Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

2979

SUPRA SPEM SPERO

W. Arthur Jeffery

فهرست

الجزء الاول

﴿من كتاب الروض الأنف شرح السيرة النبويه لابن هشام﴾

صحيفة

٢ خطبة المؤلف ومقدمة الكتاب
٤ فصل فى ترجمتى ابن اسحاق وابن هشام
٥ تفسير نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١ فصل فى ذكر اسماعيل عليه السلام وبنيه
١٣ فصل فى اختلافهم فى نسب عك بن عدنان
١٣ ذكر قحطان والعرب العاربة
١٤ ذكر نسب الانصار
١٥ فصل فى ذكر تفرق سبأ وذكر سيل العرم
١٥ فصل فى ذكر معد وولده
١٧ فصل فى ذكر قنص بن معد
١٧ فصل فى حديث جبير بن مطعم وخبر سيف النعمان بن المنذر
١٧ أمر عمرو بن عامر وخروجه من اليمن وقصة سد مأرب *
١٨ ذكر حديث ربيعة بن نصر ورؤياه
٢١ مطلب فى قصة شاهبور بن ازدشير
٢٣ فصل فى نسب حسان بن تبان أسعد
٢٥ شرح غريب حديث تبع
٢٩ خبر لخنيعة وذى نواس
٣٠ ذكر حديث فيمؤن
٣١ خبر ابن الثامر وطلبه الاسم الاعظم
٣٢ التفضيل بين أسماء الله واختلاف العلماء فى ذلك
٣٤ مطلب فى ان الشهداء أحياء بقبورهم
٣٥ مطلب فى حديث الحبشة وقصة أبرهة
٣٧ مطلب فى شرح شعر ذى جدن الحميرى

893.792
Ab314

صحيفة

٤٠ خبر القليس مع الفيل وذكر بنيان أبرهة للقليس
٤٢ فصل فى النسيئة وخبر أول من نسأ وآخرهم
٤٣ مطلب فى قدوم أبرهة لمكة ومقابلة عبد المطلب له
٤٧ مطلب فى خبر قصة أصحاب الفيل ونزول السورة فيهم
٤٨ مطلب فى ذكر ما قالته العرب من الشعر عند ما رد الله الحبشة عن مكة *
٥٠ مطلب فيمن ملك الحبشة بعد أبرهة *
٥١ مطلب فى قدوم سيف بن ذى يزن على كسرى يستنجده *
٥٤ ذكر ما انتهى اليه أمر الفرس باليمن *
٥٦ خبر ملك الحضر والساطرون
٦٠ ذكر نزار بن معد ومن تناسل منهم
٦١ قصة عمرو بن لحى وذكر أصنام العرب *
٦٢ فصل فى أصل عبادة الاوثان
٦٥ فصل فى خبر اساف ونائلة والكلام على باقى أصنام العرب
٦٦ فصل فى خبر المستوغر أحد المعمرين من العرب
٦٨ فصل فى أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحام *
٧٠ فصل فى ذكر النضر بن كنانة وانه قريش والاختلاف فى ذلك
٧٢ فصل فى أمر سامة بن لؤى *
٧٣ فصل فى أمر عوف بن لؤى ونقلته *
٧٥ فصل فى أمر البسل ونسيئهم *
٧٧ فصل فى أولاد عبد المطلب بن هاشم *
٧٨ فصل فى ذكر أمهات النبى صلى الله عليه وسلم
٧٩ باب مولد النبى صلى الله عليه وسلم
٨٠ مطلب فى أمر جرهم ودفنها زمزم *
٨٠ فصل فى ذكر نزول جرهم وقطورا على هاجر أم اسماعيل عليه السلام
٨٠ فصل فى ذكر ولايتهم البيت دون بنى اسماعيل واستحلالهم حرمة الكعبة
٨٠ فصل فى جلاء جرهم عن البيت وملك خزاعة لمكة
٨١ فصل فى غربة الحارث بن مضاض التى يضرب بها المثل
٨١ فصل فى لفظى بكة ومكة ومعناهما
٨٢ فصل فى خبر بئر طسم وجديس وما وجد فيه من الاحجار المكتوبة
٨٤ فصل فى حديث قصى وذكر انتقال ولاية البيت اليه
٨٤ مطلب فيما كان يليه الغوث بن مر من الاجازة للناس بالحج *

18916G

صحيفة

٨٥ فصل فى سبب تسمية الغوث و ولده بصوفة
٨٥ فصل فى ذكر وراثة بنى سعد اجازة الحاج
٨٦ فصل فى معنى الافاضة من المزدلفة
٨٦ فصل فى ذكر أبو سيارة واجازته بالناس
٨٦ فصل فى ذكر عامر بن الظرب وحكمه فى الخنثى
٨٧ فصل فى ذكر يعمر الشداخ بن عوف
٨٧ مطلب فى ذكر غلب قصى بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش *
٨٨ فصل فى تفسير شعر رزاح الذى اجاب به قصيا
٩٠ ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصى وخبر حلف المطيبين *
٩٠ فصل فى خبر حلف الفضول *
٩٢ فصل فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا الحديث
٩٣ فصل فى خبر الحسين مع الوليد بن عتبة
٩٤ فصل فى ذكر بنى عبد مناف
٩٥ فصل فى ذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية
٩٧ ذكر حفر زمزم
٩٨ فصل فى رؤيا عبد المطلب لحفر زمزم
١٠٣ فصل فى نذر عبد المطلب ان ينحر ابنه وقصة فدائه
١٠٤ فصل فى تزويج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة بنت وهب
١٠٥ فصل فى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٠٧ فصل فى تعيين زمن مولده صلى الله عليه وسلم
١٠٨ شرح ما فى حديث الرضاع من الاخبار والآيات
١١٢ فصل فى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبى الا وقد رعى الغنم
١١٢ فصل فى كفالة عمه له صلى الله عليه وسلم
١١٣ فصل فى ذكر موت أمه آمنة بالابواء
١١٣ وفات عبد المطلب وما رثى به من الشعر *
١١٨ فصل فى ذكر خبر اللهبى العائف
١١٨ فصل فى قصة بحيرا وسفر أبى طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم
١٢٠ خبر حرب الفجار *
١٢١ حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بخديجة رضى الله عنها *
١٢٢ فصل فى إن الذى أنكح خديجة عمها عمرو بن أسد
١٢٣ فصل فى ان خديجة ولدت لرسول الله عليه السلام ولده كلهم الا ابراهيم

صحيفة
١٢٤ فصل فى ذكر ولده ابراهيم وانه من مارية القبطية
١٢٤ فصل فى ذكر ورقة بن نوفل وما تنبأ به عن رسول الله عليه السلام
١٢٥ فصل فى تفسير شعر ورقة بن نوفل
١٢٧ حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش فى وضع الحجر
١٣٠ فصل فى ذكر دويك الذى سرق كنز الكعبة وخبره
١٣٠ فصل فى ذكر العقاب الذى اختطف الحية من بئر الكعبة وخبره
١٣١ فصل فى ذكر الحجر الذى وجد مكتوبا فى الكعبة
١٣١ فصل فى اختلافهم فى وضع الركن وان رسول الله عليه السلام هو الذى وضعه بيده
١٣٢ فصل فى حديث الحمس وما ابتدعته قريش فى ذلك
١٣٣ فصل فى ذكر اللقى وعادتهم فيه
١٣٤ فصل فى خبر ضباعة بنت عامر وقولها اليوم يبدو بعضه أوكله
١٣٤ فصل فى ذكر ما أنزله الله تعالى فى أمر الحمس
١٣٥ أخبار الكهان من العرب والاحبار من يهود والرهبان من النصارى *
١٣٥ فصل فى الكهانة وما جاء فيها من الاخبار
١٣٦ فصل فى معنى قوله تعالى وانه كان رجال من الانس الآية
١٣٦ فصل فيما كانت تقوله العرب عند سقوط نجم
١٣٧ فصل فى حديث الغيطلة الكاهنه
١٣٧ فصل فى انكار ثقيف للرمى بالنجوم
١٣٨ فصل فى قول سيدنا عمر لرجل أتاه أكنت كاهنا فى الجاهلية
١٤٠ مطلب فى خبر سواد بن قارب ومقامه الحميد فى دوس
١٤١ خبر انذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم *
١٤١ فصل فى ذكر حديث ابن الهيبان وما بشر به من أمر رسول الله عليه السلام
١٤٢ حديث اسلام سلمان رضى الله عنه *
١٤٤ فصل وذكر ابن اسحق فى مكاتبة سلمان
١٤٥ ذكر ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل وخبر تحنثهم *
١٤٨ فصل فى تفسير بعض شعر زيد بن عمرو
١٥١ فصل فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانجيل *
١٥١ كتاب مبعث النبى صلى الله عليه وسلم *
١٥٢ فصل فى ذكر مابدئ به النبى عليه الصلاة والسلام من النبوءة
١٥٣ فصل فى ذكر نزول جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٥٤ فصل فى ان جبريل أتاه بنمط من ديباج فيه كتاب

صحيفة

١٥٤ فصل فى ذكر مافى قوله تعالى اقرأ باسم ربك من الفقه
١٥٦ فصل فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لورقة أومخرجى هم
١٥٦ فصل فى ان ورقة بن نوفل لقى النبى عليه السلام فقبل يافوخه
١٥٧ فصل فيما تكلم به العلماء من قوله عليه السلام لقد خشيت على نفسى
١٥٧ فصل فى قوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن
١٥٨ فصل فى ذكر الشهر مضافا الى رمضان
١٥٨ فصل فى حديث ان خديجة أدخلته بين ثوبها
١٥٨ فصل فى بشارته خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب
١٦٠ فصل فى قوله عليه السلام لخديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك
١٦١ فصل فى فترة الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٢ ابتداء ما افترض الله على النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها *
١٦٢ فصل فى ذكر نزول جبريل لتعليمه الوضوء
١٦٤ فصل فى حديث زيد بن حارثة وتبنيه له صلى الله عليه وسلم
١٦٥ فصل فى اسلام أبى بكر ونسبه رضى الله عنه وذكر من أسلم باسلامه
١٦٨ فصل فى قوله تعالى فاصدع بما تؤمر
١٦٩ مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه
١٧٠ فصل فى قوله عليه الصلاة والسلام والله لو وضعوا الشمس بيمنى الحديث
١٧١ فصل فى عرض قريش على أبى طالب عمارة بن الوليد على ان يسلم اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه
١٧١ فصل فى شعر لابى طالب يحرض به بنى هاشم على القيام معه للمدافعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفسير ذلك
١٧٣ فصل فيما نزل بالوليد بن المغيرة من القرآن
١٧٤ فصل فى ذكر قصيدة لامية أبى طالب وتفسير مافيها من الغريب
١٧٩ فصل فى قول أبى طالب وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
١٨٠ فصل فى ذكر قصيدة ابن الاسلت يحض فيها قريش على متابعة أبى طالب
١٨٢ فصل فى خبر حرب داحس والغبراء
١٨٣ فصل فى ذكر مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه
١٨٥ فصل فى اسلام سيدنا حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٦ فصل فى ذكر ماسأله قومه من الآيات تعنتاً وبيان ذلك
١٨٧ فصل فى قول عبد الله بن أمية لا أومن بك حتى تتخذ سلماً الى السماء
١٨٨ فصل فى حديث النضر ومانزل فيه من قوله تعالى وقالوا أساطير الاولين

صحيفة

١٩٠ فصل فى ارسال قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط الى يهود ومارجعا به
١٩١ فصل فى ذكر الرقيم وماقيل فيه
١٩٢ فصل فى قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم الآية
١٩٣ فصل فى قوله تعالى ولا تقولن لشىء — وقوله تعالى ولبثوا فى كهفهم
١٩٤ فصل فى تفسير السنة والعام
١٩٥ فصل فى قصة الرجل الطواف وماجاء فيه
١٩٦ فصل فى سؤالهم عن الروح وماأنزل الله فيه
١٩٧ فصل ومما يتصل بمعنى الروح
١٩٨ فصل فى ان الروح سبب الحياة ومعنى ذلك
١٩٩ فصل وقد يعبر بالنفس عن جملة الانسان وروحه وجسده
٢٠٠ فصل فى ذكر أبى الاشدين الجمحى وخبره
٢٠٠ فصل فى قول قريش انما يعلمه رجل باليمامة
٢٠١ فصل فى استماع أبى جهل وأبى سفيان والاخنس للقرآن
٢٠٢ ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالاذى *
٢٠٢ فصل واختلف الاصوليون فى مسئلة من الاكراه
٢٠٣ فصل وذكر فيمن عذب فى الله سمية أم عمار
٢٠٣ فصل وذكر زنيرة التى أعتقها أبو بكر
٢٠٤ ذكر الهجرة الاولى الى الحبشة وذكر من هاجر اليها *
٢٠٧ فصل وأنشد لعبد الله بن الحارث ماقاله فى أرض الحبشة
٢٠٩ فصل ان التى فى تأويل المصدر لا يضاف اليها اسم
٢١٠ فصل فى ذكر من هاجر الى أرض الحبشة من بنى عدى
٢١١ فصل فى ذكر أحاديث تدل على ان النجاشى مات شهيدا
٢١١ خبر ارسال قريش الى النجاشى فى أمر أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
٢١٢ فصل وكان معهما فى ذلك السفر عمارة بن الوليد
٢١٣ فصل وفى الهجرة الى الحبشة من الفقه الخروج عن الوطن
٢١٤ فصل وذكر حديث عائشة عن النجاشى حين رد الله عليه ملكه
٢١٥ فصل فى ذكر الكتاب الذى كتبه النجاشى وجعله بين صدره وقبائه
٢١٦ ذكر اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه *
٢١٧ فصل وذكر تطهير عمر لمس القرآن وقول أخته لا يمسه الا المطهرون
٢١٨ فصل وذكر ابن سنجر من حديث اسلام عمر الخ
٢١٨ فصل فى معنى الهينمة وتفسيرها

صحيفة

٢١٩ فصل فى قول عمر لجميل بن معمر الجمحى انى قد أسلمت
٢١٩ خبر الصحيفة التى كتبتها قريش *
٢٢٢ فصل فى ذكر أم جميل بنت حرب عمة معاوية
٢٢٤ فصل فى قول أبى جهل لتكفن عن سب آلهتنا الخ
٢٢٥ فصل فى حديث النضر بن الحارث وتعلمه أخبار رستم
٢٢٦ فصل فى ذكر ما أنزل الله فى الاخنس بن شريق
٢٢٧ فصل فى قوله تعالى قل يا أيها الكافرون الآية
٢٢٨ فصل فى ذكر شجرة الزقوم
٢٢٨ فصل فى ذكر خبر ابن أم مكتوم وقوله تعالى أن جاءه الاعمى
٢٢٩ فصل فى ذكر ما بلغ أهل الحبشه من اسلام أهل مكة
٢٣١ حديث نقض الصحيفة * وحديث سيدنا أبى بكر مع ابن الدغنة
٢٣٣ مطلب فى قصيدة لابى طالب يمدح بها القائمين بنقض الصحيفة
٢٣٤ فصل فى حديث طفيل بن عمرو الدوسى
٢٣٦ فصل فى خبر الاعشى وصد قريش له عن اجتماعه على النبى صلى الله عليه وسلم
٢٣٧ فصل وذكر حديث الاراشى الذى قدم مكة واستعدى على أبى جهل
٢٣٨ فصل وذكر حديث ركانة ومصارعته للنبى صلى الله عليه وسلم
٢٣٩ فصل وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وايمانهم وما أنزل الله فيهم
٢٣٩ فصل فى خبر مبيعة الغلام
٢٣٩ فصل فى قول العاصى بن وائل ان محمدا ابتر وما أنزل الله فى ذلك
٢٤١ فصل فيما ذكره ابن هشام من الاستشهاد على معنى الكوثر
٢٤٢ ذكر الاسراء والمعراج وشرح ما فى حديثه من المشكل
٢٤٣ فصل فى هل كان الاسراء يقظة بجسده أو كان فى نومه بروحه
٢٤٥ فصل فى البراق ومعنى شماسه
٢٤٦ فصل فى رؤيته آدم فى سماء الدنيا
٢٤٦ فصل فى شربه من اناء القوم وهو مغطى
٢٤٦ فصل فى دخوله بيت المقدس
٢٤٧ فصل فى ذكر صفة النبى صلى الله عليه وسلم مما نعته به على بن أبى طالب
٢٤٨ فصل وقد تكلم العلماء فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الاسراء
٢٤٩ فصل ومما سئل عنه من حديث الاسراء لقاؤه الانبياء
٢٥١ فصل وذكر البيت المعمور وما يدخله كل يوم من الملائكة
٢٥١ فصل فى فرض الصلاة عليه وفيه التنبيه على فضلها
٢٥٢ فصل فى لقياه صلى الله عليه وسلم مالكا خازن جهنم

صحيفة
٢٥٤ فصل وذكر من قول الانبياء له فى كل سماء مرحبا بالاخ الصالح وما فى ذلك من المعنى
٢٥٥ فصل فى ذكر حديث المستهزئين — وذكر وفاة الوليد بن المغيرة
٢٥٧ فصل فى ذكر ما أنزل الله فى الربا من الآيات
٢٥٨ فصل فى ذكر وفاة ابى طالب
٢٥٩ فصل فى ذكر ما أنزل الله تعالى فى قولهم ان امشوا واصبروا على إلهتكم
٢٦٠ ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الطائف
٢٦١ فصل فى ذكر دعاءه عليه الصلاة والسلام عند الشدة
٢٦٢ فصل وذكر خبر عداس غلام عتبة وشيبة ابنى ربيعة
٢٦٣ عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل
٢٦٤ فصل وذكر عرضه نفسه على كندة وعلى بنى ذهل
٢٦٥ فصل فى خبر سويد بن الصامت وشعره
٢٦٦ فصل فى معنى مجلة لقمان
٢٦٦ ذكر بدء اسلام الانصار
٢٦٩ فصل فى ذكر هجرة مصعب بن عمير
٢٦٩ فصل فى ذكر أول من جمع بالمدينة
٢٧٠ فصل فى تجميع أصحاب رسول الله الجمعة وتسميتهم اياها بذلك
٢٧٢ خبر اسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير
٢٧٣ خبر البراء بن معرور وصلاته الى القبلة
٢٧٣ ذكر البيعة الثانية الكبرى بالعقبة
٢٧٦ ذكر أسماء النقباء الاثنى عشر وتمام خبر العقبة
٢٧٩ فصل فى خبر اسلام عمرو بن الجموح
٢٨٠ فصل فى ذكر من أسماهم ابن اسحق ممن حضر العقبة
٢٨٤ فصل فى هجرة أم سلمة رضى الله عنها
٢٨٥ فصل فى هجرة بنى جحش
٢٩٠ خبر دار الندوة واجتماع قريش للتشاور فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ تمت الفهرست ﴾

﴿ تنبيه ﴾ المطالب التى فى آخرها نجمة (*) هى من أصل السيرة وما عداها من الروض

الجزء الاول

من

كتاب

الروض الأنف

« فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام »

للامام الفقيه المحدث أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن أبى الحسن الخثعمى
السهيلى المولود بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ والمتوفى بمراكش سنة ٥٨١

وبهامشه « السيرة النبوية » للامام أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى
الحميرى البصرى الاصل المتوفى بمصر ٢١٣ رحمهم الله أجمعين

طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى سابقا امام زمانه وفريد عصره
وأوانه قدوة الامراء وحجة العلماء العلامة المحقق والملاذ الاكبر المدقق فرع
الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية سيدنا ومولانا عبد الحفيظ
ابن السلطان مولاى الحسن بن السلطان سيدى محمد رفع
الله قدره وأدامه وأودع فى القلوب محبته واحترامه آمين

بتوكيل الحاج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالى بالله
الآن بثغر طنجة ووكيل دولة المغرب الاقصى سابقا بمصر
على يد نجله الحاج « عبد السلام بن شقرون »

(تنبيه) لا يجوز لاحد أن يطبع هذا الكتاب وكل من يطبعه يكون مكلفا
بابراز أصل قديم يثبت انه طبع منه والا فيكون مسؤلا عن التعويض قانونا

طبع بمطبعة الجمالية - بمصر

سنة ١٣٣٢ هـ
١٩١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه نستعين ﴾

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمدا لله ﴾ المقدم على كل أمر ذى بال * وذكره سبحانه حرى ألا يفارق الخلد والبال * كما بدأنا جل وعلا بجميل عوارفه قبل الضراعة اليه والابتهال * فله الحمد تعالى حمداً لا يزال دائم الاقتبال * ضافى السربال * جديداً على مر الجديدين غير بال * على أن حمده سبحانه وشكره على نعمه وجميل بلائه * منة من منته وآلاء من آلائه * فسبحان من لا غاية لجوده ونعمائه * ولا حد لجلاله ولا حصر لاسمائه * [والحمد لله الذى ألحقنا بعصابة الموحدين * ووفقنا للاعتصام بعروة هذا الامر المتين * وخلقنا فى إبان الامامة الموعود ببركتها على لسان الصادق الامين * امامة سيدنا الخليفة أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين * الساطعة أنوارها فى جميع الآفاق * المطفئة بصوب سحائبها وجوب كتائبها جمرات الكفر والنفاق

فى دولة لحظ الزمان شعاعها * فارتد منتكصا بعينى أرمد
من كان مولده تقدّم قبلها * أو بعدها فكأنه لم يولد

فله الحمد تعالى على ذلك كله حمدا لا يزال يتجدد ويتوالى](١ * وهو المسؤل سبحانه أن يخص باشرف صلواته * وأكثف بركاته * المجتبى من خليقته * والمهتدى بطريقته * المؤدى الى اللقم(٢ الافيح * والهادى الى معالم دين الله من أفلح * نبيه ﴿ محمدا ﴾ صلى الله عليه [وآله] وسلم كما قد أقام به الملة العوجاء * وأوضح بهديه الطريقة البلجاء * وفتح به آذانا صما وعيونا عميا وقلوبا غلفا * فصلى الله عليه وعلى آله صلاة

---

١) جميع الجمل التى بين هاتين [ ] الدائرتين من نسخة ثانية غير الاصل المطبوع منه فليتنبه

٢) اللقم : معظم الطريق وقيل واضحه . والافيح : الواسع

تحله أعلامنازل الزلفى ﴿ وبعد ﴾ فانى قد انتحيت فى هذا الاملاء بعد استخارة ذى الطول * والاستعانة بمن له القدرة والحول * الى ايضاح ماوقع فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى سبق الى تأليفها أبو بكر محمد بن اسحق المطلبى ولخصها عبد الملك بن هشام المعافرى المصرى النسابة النحوى مما بلغنى علمه * ويسرلى فهمه * من لفظ غريب * أواعراب غامض * أوكلام مستغلق * أونسب عويص * أوموضع فقه ينبغى التنبيه عليه * أوخبر ناقص يوجد السبيل الى تتمته * مع الاعتراف بكلول الحد * عن مبلغ [ذلك] الحد * فليس الغرض المعتمد * ان استولى على ذلك الامد * ولكن لا ينبغى أن يدع الجحش من بذه الاعيار * ومن سافرت فى العلم همته فلا يلق عصا التسيار * وقد قال الاول

[افعل الخيرما استطعت وان * كان قليلا فلن تحيط بكله]
ومتى تبلغ الكثير من الفضـ * ـل اذا كنت تاركا لاقله

نسأل الله التوفيق لما يرضيه * وشكرا يستجلب المزيد من فضله و يقتضيه (قال المؤلف) أبو القاسم قلت هذا لانى كنت حين شرعت فى املاء هذا الكتاب خيل الىّ ان المرام عسير * فجعلت أخطو خطوا لحسير * وأنهض نهض البرق الكسير * وقلت كيف أرد مشرعا لم يسبقنى اليه فارط * [١] وأسلك سبيلا لم توطأ قبلى بخف ولا حافر * [فبينا أنا أتردد تردد الحائر * اذ سنح لى هنالك خاطر * ان هذا الكتاب سيرد الحضرة العلية * المقدسة الامامية * وان الامامة ستلحظه بعين القبول * وانه سيكتتب للخزانة المباركة عمرها الله بحفظه وكلاءته * وأمدّ أمير المؤمنين بتأييده ورعايته * فينتظم الكتاب بسلك اعلاقها * ويتسق مع تلك الانوار فى مطالع اشراقها * فعند ذلك] امتطيت صهوة الجد * وهززت نبعة العزم * ومريت أخلاف الحفظ * واجتهرت ينابيع الفكر * وعصرت بلالة الطبع * فالفيت بحمد الله الباب فُتُحا * وسلكت سبل ربى ذللا * فتبجست لى [بمن الله تعالى] من المعانى الغريبة عيونها * وانثالت على من الفوائد اللطيفة أبكارها وعونها * وطفقت عقائل الكلم يزدلفن الى بأيتهن أبدأ * فأعرضت عن بعضها ايثاراً للايجاز * ودفعت فى صدور أكثرها خشية الاطالة والاملال * لكن تحصل فى هذا الكتاب * من فوائد العلوم والآداب * وأسماء الرجال والانساب * ومن الفقه الباطن اللباب * وتعليل النحو وصنعة الاعراب * ماهو مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديوانا * سوى ما أنتجه صدرى * ونقحه فكرى * ونتجه نظرى * ولقنته عن مشيختى * من نكت علمية لم أسبق اليها * ولم أزحم عليها * [كل ذلك بيمن الله و بركة هذا الامر المحيي لخواطر الطالبين * والموقظ لهمم المسترشدين * والمحرك للقلوب الغافلة الى الاطلاع على معالم الدين *] مع أنى قللت الفضول * وشذبت أطراف الفصول * ولم أتتبع شجون الأحاديث وللحديث شجون * ولا جمحت بى خيل الكلام الى غاية لم أردها وقد عنت لى منه فنون * فجاء الكتاب من أصغر الدواوين حجماً * ولكنه كُنَيِّف ملىء علما * ولو ألفه غيرى لقلت فيه أكثر من قولى (هذا) وكان بدء املائى هذا الكتاب فى شهر المحرم من سنة تسع وستين وخمسمائة وكان الفراغ منه فى جمادى الاولى من ذلك العام

فالكتاب الذى تصدينا له من السير هو ماحدثنا به الامام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى سماعا عليه قال ثنا أبو الحسن القرافى الشافعى قال ثنا أبو محمد بن النحاس قال ثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد عن أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبى زرعة[٢] الزهرى البرقى عن أبى محمد

---

١) فى النسخة الثانية : لم يستقدمنى اليه فارها ٠ ٢) فى الاصل المطبوع عنه هكذا : عبد الرحيم

عبد الملك بن هشام * وحدثنا به أيضاً سماعا عليه أبو مروان عبد الملك بن سعيد بن بونة القرشى العبدرى عن أبى بحر سفيان بن العاص الاسدى عن أبى الوليد هشام بن أحمد الكنانى * وحدثنى به أيضاً أبو مروان عن أبى بكر بن بُرّال عن أبى عمر أحمد بن محمد المقرى الطلمنكى عن أبى جعفر أحمد بن عون الله بن حُدَير عن أبى محمد بن الورد عن البرقى عن ابن هشام * وحدثنى به أيضا سماعا واجازة أبو بكر محمد بن طاهر الاشبيلى عن أبى على الغسانى عن أبى عمر النمرى وغيره من أشياخه عن الطلمنكى بالاسناد المتقدم

﴿فصل﴾ ونبدأ بالتعريف بمؤلف الكتاب وهو أبو بكر محمد بن اسحق بن يسار المطلبى بالولاء لان ولاءه لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف وكان جده يسار من سبى عين التمر سباه خالد بن الوليد * ومحمد ابن اسحق هذا رحمه الله ثبت فى الحديث عند أكثر العلماء وأما فى المغازى والسير فلا تجهل امامته فيهما قال ابن شهاب الزهرى من أراد المغازى فعليه بابن اسحق ذكره البخارى فى التاريخ وذكر عن سفيان بن عيينة انه قال ما أدركت أحداً يتهم ابن اسحق فى حديثه وذكر أيضا عن شعبة بن الحجاج انه قال ابن اسحق أمير المؤمنين يعنى فى الحديث وذكر أبو يحيي الساجى رحمه الله باسناد له عن الزهرى انه قال خرج الى قريته باذام فخرج اليه طلاب الحديث فقال لهم أين أنتم من الغلام الاحول [أو قد خلفت فيكم الغلام الاحول] يعنى ابن اسحق وذكر الساجى أيضاً قال كان أصحاب الزهرى يلجؤن الى محمد بن اسحق فيما شكوا فيه من حديث الزهرى ثقة منهم بحفظه هذا معنى كلام الساجى نقلته من حفظى لا من كتاب وذكر عن يحيي بن معين وأحمد بن حنبل ويحيي بن سعيد القطان انهم وثقوا ابن اسحق واحتجوا بحديثه وذكر على بن عمر الدارقطنى فى السنن حديث القلتين من جميع طرقه ومافيه من الاضطراب ثم قال فى حديث جرى وهذا يدل على حفظ محمد بن اسحق وشدة إتقانه (قال المؤلف) وانما لم يخرج البخارى عنه وقد وثقه وكذلك [وثقه] مسلم بن الحجاج ولم يخرج عنه [أيضا] الا حديثا واحداً فى الرجم عن سعيد المقبرى عن أبيه من أجل طعن مالك فيه وانما طعن فيه مالك فيما ذكر أبو عمر رحمه الله عن عبد الله بن ادريس الاودى لانه بلغه ان ابن اسحق قال هاتوا حديث مالك فانا طبيب بعلله فقال مالك وما ابن اسحق انما هو دجال من الدجاجلة نحن أخرجناه من المدينة يشير والله أعلم الى أن الدجال لا يدخل المدينة قال ابن ادريس وما عرفت ان دجال يجمع على دجاجلة حتى سمعتها من مالك وذكر ان ابن اسحق مات ببغداد سنة احدى وخمسين ومائة وقد أدرك من لم يدركه مالك روى حديثا كثيرا عن محمد بن ابراهيم [بن الحرث] التيمى ومالك انما يروى عن رجل عنه وذكر الخطيب [أحمد بن] على بن ثابت فى تاريخه فيما ذكر لى [عنه] أنه يعنى ابن اسحق رأى انس بن مالك وعليه عمامة سوداء والصبيان خلفه يشتدون و يقولون هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يلقى الدجال وذكر الخطيب أيضا انه روى عن سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وأبى سلمة بن عبد الرحمن

ابن أبى زر   الزهرى البرقى بوجود بياض يسع كلمة و فى الاصل الثانى : عبد الرحيم ابن أبى زرعة الزهرى البرقى الخ . وفى مشيخة أبى بكر محمد بن خير الاموى الاشبيلى فى أسانيد روايته لهذا الكتاب خلاف ذلك ونصه بعد أن ساق سنده لابى محمد بن الورد البغدادى قال : ثنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى عن عبد الملك بن هشام ثم ساقه من طريق آخر عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعد بن أبى زرعة الزهرى عن عبد الملك فيكون البرقى غير الزهرى فليحرر وقوله ابن حدير فى مشيخة ابن خير بالجيم

وذكر

وذكر أن يحيى بن سعيد الانصارى شيخ مالك روى عن ابن اسحق قال وروى عنه سفيان الثورى والحمادان حماد بن سلمة بن دينار وحماد بن زيد بن درهم وشعبة وذكر عن الشافعى [رضى الله عنه] انه قال من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق فهذا ما بلغنا عن محمد بن اسحق [رحمه الله] وأما الرواة الذين رووا هذا الكتاب عنه فكثير * منهم يونس بن بكير الشيبانى ومحمد بن فليح والبكائى وابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن ادريس وسلمة بن الفضل [الاسدى] وغيرهم * ونذكر البكائى لانه شيخ ابن هشام وهو أبو محمد زياد بن عبد الله بن طفيل بن عامر القيسى العامرى من بنى عامر بن صعصعة ثم من بنى البكاء واسم البكاء ربيعة وسمى البكاء لخبر يسمج ذكره كذلك ذكر بعض النسابين والبكائى هذا ثقة خرج عنه البخارى فى كتاب الجهاد وخرج عنه مسلم فى مواضع من كتابه وحسبك بهذا تزكية وقد روى زياد عن حميد الطويل وذكر البخارى فى التاريخ عن وكيع قال زياد أشرف من أن يكذب فى الحديث ووهم الترمذى فقال فى كتابه عن البخارى قال قال وكيع زياد بن عبد الله على شرفه يكذب فى الحديث وهذا وهم ولم يقل وكيع فيه الا ما ذكره البخارى فى تاريخه ولو رماه وكيع بالكذب ما خرج البخارى عنه حديثا ولا مسلم كما لم يخرجا عن الحارث الاعور لما رماه الشعبى بالكذب ولا عن أبان بن أبى عياش لما رماه شعبة بالكذب وهو كوفى توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة * وأما عبد الملك بن هشام فمشهور بحمل العلم متقدم فى علم النسب والنحو وهو حميرى معافرى من مصر وأصله من البصرة وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين وله كتاب فى أنساب حمير وملوكها وكتاب فى شرح ما وقع فى أشعار السير من الغريب فيما ذكر لى [والحمد لله كثيرا وصلواته على نبيه محمد وسلامه]

﴿تفسير نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

قد ذكرنا فى كتاب التعريف والاعلام بما أبهم فى القرآن من الاسماء الاعلام معانى بديعة وحكمة من الله بالغة فى تخصيص نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بهذين الاسمين محمد وأحمد فلتنظر هناك ولعلنا أن نعود اليه فى باب مولده من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وأما جده [عبد المطلب] فاسمه عامر فى قول ابن قتيبة وشيبة فى قول ابن اسحق وغيره وهو الصحيح وقيل سمى شيبة لانه ولد وفى رأسه شيبة وأما غيره من العرب ممن اسمه شيبة فانما قصد فى تسميتهم بهذا الاسم التفاؤل لهم ببلوغ سن الحنكة والرأى كما سموا بهرم وكبير وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وكان لدة عبيد بن الابرص الشاعر غير أن عبيدا مات قبله بعشرين سنة قتله المنذر أبو النعمان بن المنذر ويقال ان عبد المطلب أول من خضب بالسواد من العرب والله أعلم وقد ذكر ابن اسحق سبب تلقيبه بعبد المطلب والمطلب مفتعل من الطلب * واما هاشم فعمرو كما ذكر وهو اسم منقول من أحد أربعة أشياء من العمر الذى هو العمر أو العمر الذى هو من عمور الاسنان وقاله القتبى أو العمر الذى هو طرف الكم يقال سجد على عمريه أى على كميه أو العمر الذى هو القرط كما قال التنوخى

وعمرو هند كأن الله صوره * عمرو بن هند يسوم الناس تعنيتا

وزاد أبو حنيفة وجها خامسا فقال فى العمر الذى هو اسم لنخل السكر ويقال فيه عمر أيضا قال يجوز ان يكون أحد الوجوه التى بها سمى الرجل عمرا وقال كان ابن أبى ليلى يستاك بعسيب العمر * وعبد مناف اسمه المغيرة

﴿ذكر سرد النسب الزكى من محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى آدم عليه السلام﴾

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن

كما ذكر وهو منقول من الوصف والهاء فيه للمبالغة أى انه مغير على الاعداء أو مغير من أغار الحبل اذا أحكمه ودخلته الهاء كما دخلت فى علامة ونسابة لانهم قصدوا اقصد الغاية وأجروه مجرى الطامة والداهية وكانت الهاء أولى بهذا المعنى لان مخرجها غاية الصوت ومنتهاه ومن ثم لم يكسر ما كانت فيه هذه الهاء فيقال فى علامة علاليم وفى نسابة نساسيب كى لا يذهب اللفظ الدال على المبالغة كما لم يكسر الاسم المصغر كى لا تذهب بنية التصغير وعلامته ويجوز ان تكون الهاء فى مغيرة للتأنيث ويكون منقولا من وصف كتيبة أو خيل مغيرة كما سموا بعسكر وعبد مناف هذا [كان] يلقب قمر البطحاء فيما ذكر الطبرى وكانت أمه حبى قد أخدمته مناة وكان صنما عظيما لهم وكان سمى به عبد مناة ثم نظر قصى فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله عبد مناف ذكره البرقى والزبير أيضا وفى المعيطى عن أبى نعيم قال قلت لمالك ما كان اسم عبد المطلب قال شيبة قلت فهاشم قال عمرو قلت فعبد مناف قال لا أدرى * وقصى اسمه زيد وهو تصغير قصى أى بعيد لانه بعد عن عشيرته فى بلاد قضاعة حين احتملته أمه فاطمة مع رابه ربيعة بن حرام على ما سيأتى بيانه فى الكتاب ان شاء الله تعالى وصغر على فعيل وهو تصغير فعيل لانهم كرهوا اجتماع ثلاث ياآت فحذفوا احداهن وهى الياء الزائدة الثانية التى تكون فى فعيل نحو قضيب فبقى على وزن فعيل ويجوز ان يكون المحذوف لام الفعل فيكون وزنه فعيا وتكون ياء التصغير هى الباقية مع الزائدة فقد جاء ما هو أبلغ فى الحذف من هذا وهى قراءة قنبل يا بنىْ ببقاء ياء التصغير وحدها وأما قراءة حفص يا بنىّ فانما هى ياء التصغير مع ياء المتكلم ولام الفعل محذوفة فكان وزنه فعى ومن كسر الياء قال يا بنى فوزنه يا فعيل وياء المتكلم هى المحذوفة فى هذه القراءة * وأما كلاب فهو منقول اما من المصدر الذى هو معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة وكلابا وأما من الكلاب جمع كلب لانهم يريدون الكثرة كما سموا بسباع وأنمار وقيل لابى الرقيش الاعرابى لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم باحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح فقال انما نسمى أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد ان الابناء عدة الاعداء وسهام فى نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء * ومرة منقول من وصف الحنظلة والعلقمة وكثيرا ما يسمون بحنظلة وعلقمة ويجوز ان تكون الهاء للمبالغة فيكون منقولا من وصف الرجل بالمرارة ويقوى هذا قولهم تميم بن مر وأحسبه من المسمين بالنبات لان أبا حنيفة ذكر ان المرة بقلة تقلع فتؤكل بالخل والزيت يشبه ورقها ورق الهندباء * وأما كعب فمنقول أما من الكعب الذى هو قطعة من السمن أو من كعب القدم وهو عندى أشبه لقولهم ثبت ثبوت الكعب وجاء فى خبر ابن الزبير انه كان يصلى عند الكعبة يوم قتل وحجارة المنجنيق تمر باذنيه وهو لا يلتفت كانه كعب راتب وكعب ابن لؤى هذا أول من جمع يوم العروبة ولم تسم العروبة الجمعة الا مذ جاء الاسلام فى قول بعضهم وقيل هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع اليه فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم انه من ولده ويأمرهم باتباعه والايمان به وينشد فى هذا أبياتا منها قوله

يا ليتنى شاهدٌ فحواء دعوته * اذا قريش تبغّى الحق خذلانا

وقد ذكر الماوردى هذا الخبر عن كعب فى كتاب الاحكام له * وأما لؤى فقال ابن الانبارى هو تصغير اللأى وهو الثور الوحشى وأنشد

يعتاد أدحية بقين بقفرة * ميثاء يسكنها اللأى والفرقد

قال أبو حنيفة اللأى هى البقرة قال وسمعت اعرابيا يقول بكم لاءك هذه وأنشد فى وصف فلاة

كظهر اللأى لو يبتغى ريّة بها * نهاراً لاعيت فى بطون الشواجن

قصى بن كلاب بن مرة بن
كعب بن لؤى بن غالب بن

ـ الشواجن ـ شعب الجبال ـ والرية ـ مقلوب من ورى الزند وأصله ورية وهو الحراق الذى يشعل به الشررة من الزند وهو عندى تصغير لأى واللأى البطء كأنهم يريدون معنى الاناة وترك العجلة وذلك انى ألفيته فى أشعار بدر مكبرا على هذا اللفظ فى شعر أبى أسامة حيث يقول

فدونكم بنى لأى أخاكم * ودونك مالكا يا أم عمرو

مع ماجاء فى بيت الحطيئة فى غيره

أتت آل شماس بن لأى وانما * أتاهم بها الاحلام والحسب العد

وقوله أيضاً

فما تت أم جارة آل لأى * ولكن يضمنون لها قراها

وفى الحديث من قول أبى هريرة أحب الى من شاء ولاء فاللاء ههنا جمع اللائى وهو الثور مثل الباقر والجامل وتوهم ابن قتيبة ان قوله لاءٍ مثل ماء فخطأ الرواية وقال انما هو ألآء مثل ألعاع جمع لأى (١ وليس الصواب الا ماتقدم وانه لاء مثل جاء * وأما فهر فقد قيل انه لقب والفهر من الحجارة الطويل واسمه قريش وقيل بل اسمه فهر وقريش لقب له على ماسيأتى الاختلاف فيه ان شاء الله تعالى ومالك والنضر وكنانة لا اشكال فيها * وخزيمة والد كنانة تصغير خزمة وهى واحدة الخزم ويجوز ان يكون تصغير خزمة وكلاهما موجود فى أسماء الانصار وغيرهم وهى المرة الواحدة من الخزم وهو شد الشىء واصلاحه وقال أبو حنيفة الخزم مثل الدوم تتخذ من سعفه الحبال ويصنع من أسافله خلايا للنحل وله ثمر لا يأكله الناس ولكن تألفه الغربان وتستطيبه * وأما مدركة فمذكور فى الكتاب والياس أبوه قال فيه ابن الانبارى الياس بكسر الهمزة وجعله موافقا لاسم الياس النبى صلى الله عليه وسلم وقال فى اشتقاقه أقوالا منها ان يكون فعيالا من الألس وهى الخديعة وأنشد *من فهة الجهل والألسه* ومنها ان الألس اختلاط العقل وأنشدوا * انى اذا الضعيف العقل مألوس * ومنها انه إفعال من قولهم رجل إليس وهو الشجاع الذى لا يفر قال العجاج * إليس عن حوبائه سخى * وقال آخر * إليس كالنشوان وهو صاح * وفى غريب الحديث للقتبى ان فلانا أليس أهيس ألد ملحس ان سئل أزّ وان دعى انتهز وقد فسره وزعم ان أهيس مقلوب الواو وانه من الهوس وجعلت واوه ياء لازدواج الكلام فالأليس الثابت الذى لا يبرح والذى قاله غير ابن الانبارى أصح وهو انه الياس سمى بضد الرجاء واللام فيه للتعريف والهمزة همزة وصل وقاله قاسم بن ثابت فى الدلائل وأنشد أبياتا شواهد منها قول قصى

انى لدى الحرب رخى اللبب * أمّهتى خندف، والياس أبى

ويقال انما سمى السل داء ياس وداء الياس لان الياس بن مضر مات منه قال ابن هرمة

يقول العاذلون اذا رأونى * أصيبت بداء ياس فهو مودى

وقال ابن أبى عاصية

فلو كان داء الياس بى وأعاننى * طبيب بارواح العقيق شفانيا

وقال عروة بن حزام

بى الياس أو داء الهيام أصابنى * فاياك عنى لا يكن بك مابيا

فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة بن خزيمة بن مدركة
واسم مدركة عامر بن الياس

---

١) فى الاصل نقص وصحح من لسان العرب فليتنبه

ابن مضر بن نزار بن معد
ابن عدنان بن أدد بن

و يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وذكر انه كان يسمع فى صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج ينظر فى كتاب المولد للواقدى والياس أول من أهدى البدن للبيت قاله الزبير وأم الياس الرباب بنت حميرة (١ بن معد بن عدنان قاله الطبرى وهو خلاف ما قاله ابن هشام فى هذا الكتاب * وأما مضر فقد قال القتبي هو من المضيرة أو من اللبن الماضر والمضيرة شيء يصنع من اللبن فسمى مضر لبياضه والعرب تسمى الابيض أحمر فلذلك قيل مضر الحمراء وقيل بل أوصى له أبوه بقبة حمراء وأوصى لاخيه ربيعة بفرس فقيل مضر الحمراء وربيعة الفرس ومضر أول من سن للعرب حداء الابل وكان أحسن الناس صوتا فيما زعموا وسنذكر سبب ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى وفى الحديث المروى لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مؤمنين ذكره الزبير بن أبى بكر * وأما نزار فمن النزر وهو القليل وكان أبوه حين ولد له ونظر الى النور بين عينيه وهو نور النبوة الذى كان ينتقل فى الاصلاب الى محمد صلى الله عليه وسلم فرح فرحا شديدا به ونحر وأطعم وقال ان هذا كله نزر لحق هذا المولود فسمى نزارا لذلك * وأما معد أبوه فقال ابن الانبارى فيه ثلاثة أقوال أحدها ان يكون مفعلا من العد والثانى ان يكون مفعلا من معد فى الارض أى أفسد كما قال

وخار بين خربا فمَعَدا * ما يحسبان الله الا رقَدا

وأن كان ليس فى الاسماء ما هو على وزن فعل بفتح الفاء الا مع التضعيف فان التضعيف يدخل فى الاوزان ما ليس فيها كما قالوا شمرّ وقشعريرة ولولا التضعيف ما وجد مثل هذا ونحو ذلك الثالث ان يكون من المعدّين وهما موضع عقبي الفارس من الفرس وأصله على القولين الاخيرين من المعد بسكون العين وهو القوة ومنه اشتقاق المعدة * وأما عدنان ففعلان من عدن اذا أقام ولعدنان اخوانُ نبت وعمرو فيما ذكر الطبرى * وأدد مصروف قال ابن السراج هو من الود وانصرف لانه مثل ثقب وليس معدولا كعمر وهو معنى قول سيبويه وقد قيل فى عدنان هو ابن ميدعة وقيل ابن يحثم قاله القتبي وما بعد عدنان من الاسماء مضطرب فيه فالذى صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه انتسب الى عدنان لم يتجاوزه بل قد روى من طريق ابن عباس انه لما بلغ عدنان قال كذب النسابون مرتين أو ثلاثا والاصح فى هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال انما ننتسب الى عدنان وما فوق ذلك لا ندرى ما هو واصح شيء روى فيما بعد عدنان ما ذكره الدولابى أبو بشر من طريق موسى بن يعقوب عن عبد الله بن وهب بن زمعة الزمعى عن عمته عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال معد بن عدنان بن ادد بن زند بالنون بن اليرى بن اعراق الثرى قالت أم سلمة فزند هو الهميسع واليرى هو نبت واعراق الثرى هو اسماعيل لانه ابن ابراهيم وابراهيم لم تأكله النار كما ان النار لا تأكل الثرى وقد قال الدارقطنى لا نعرف زندا الا فى هذا الحديث وزند بن الجون وهو أبو دلامة الشاعر «قال المؤلف» وهذا الحديث عندى ليس بمعارض لما تقدم من قوله كذب النسابون ولا لقول عمر رضى الله عنه لانه حديث متأول يحتمل أن يكون قوله ابن اليرى بن اعراق الثرى كما قال كلكم بنو آدم وآدم من تراب لا يريد ان الهميسع ومن دونه ابن لاسمعيل لصلبه ولا بد من هذا التأويل أو غيره لان أصحاب الاخبار لا يختلفون فى بعد المدة ما بين عدنان وابراهيم ويستحيل فى العادة ان يكون بينهما أربعة آباء أو سبعة كما ذكر ابن اسحق أو عشرة أو عشرون فان المدة أطول من ذلك كله وذلك ان معد بن عدنان كان فى مدة بخت نصر ابن ثنتى عشرة سنة قاله الطبرى

---

١) فى الثانية : حيدة .

وذكر ان الله تعالى أوحى فى ذلك الزمان الى إرمياء بن حلقيا ان اذهب الى بخت نصر فاعلمه انى قد سلطته على العرب وأحمل معدا على البراق كى لا تصيبه النقمة فيهم فانى مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل فاحتمل معدا على البراق الى أرض الشام فنشأ مع بنى اسرائيل وتزوج هناك امرأة اسمها مُعانة بنت جوشن من بنى دب بن جرهم ويقال فى اسمها ناعمة قاله الزبير ومن ثم وقع فى كتاب الاسرائيليين نسب معد ثبته فى كتبه رخيا وهو بورخ كاتب إرمياء كذلك ذكر أبو عمر النمرى حدثت بذلك عن الغسانى عنه وبينه وبين ابراهيم فى ذلك النسب نحو من أربعين جدا وقد ذكرهم كلهم أبو الحسن المسعودى على اضطراب فى الاسماء [ولذلك والله أعلم أعرض النبى صلى الله عليه وسلم عن رفع نسب عدنان الى اسماعيل لما فيه من التخليط وتغيير فى الالفاظ] وعواصة تلك الاسماء مع قلة الفائدة فى تحصيلها وقد ذكر الطبرى نسب عدنان الى اسمعيل من وجوه ذكر فى أكثرها نحوا من أربعين أبا ولكن باختلاف فى الالفاظ لانها نقلت من كتب عبرانية وذكر من وجه قوى فى الرواية عن نساب العرب ان نسب عدنان يرجع الى قيذر بن اسمعيل وان قيذر كان الملك فى زمانه وان معنى قيذر الملك اذا فسر وذكر الطبرى فى عمود هذا النسب بُورابن شُوحا وهو أول من عتر العتيرة وان شوحا هو سعد رجب وانه أول من سن رجبا للعرب والعتيرة هى الرجبية وذكر فى هذا النسب عبيد بن ذى يزن بن هماذا وهو الطعان واليه تنسب الرماح اليزنية وذكر فيهم أيضا دوس العُتُق وكان من أحسن الناس وجها وكان يقال فى المثل أعتق من دوس وهو الذى هزم جيش قطور ابن جرهم - وذكر فيهم اسمعيل ذا الاعوج وهو فرسه واليه تنسب الخيل الاعوجية وهذا هو الذى يشبه فان بخت نصر كان بعد سليمان بمئين من السنين لانه كان عاملا على العراق لكى لهراسب ثم لابنه كى يستاسب الى مدة بهمن قبل غلبة الاسكندر على دارا بن دارا بن بهمن وذلك قريب من مدة عيسى ابن مريم فأين هذه المدة من مدة اسمعيل وكيف يكون بين معد وبينه مع هذا سبعة آباء فكيف أربعة والله أعلم وكان رجوع معد الى أرض الحجاز بعد مارفع الله بأسه عن العرب ورجعت بقاياهم التى كانت فى الشواهق الى محالهم ومياههم بعدان دوخ بلادهم بخت نصر وخرب المعمور وأستاصل أهل حَضور وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله «وكم قصمنا من قرية» الآية وذلك لقتلهم شعيب بن ذى مهدم نبيا أرسله الله اليهم وقبره بصنين جبل باليمن وليس بشعيب الاول صاحب مدين ذلك شعيب بن عَيفى ويقال فيه ابن صيفون وكذلك أهل عدن قتلوا نبيا أرسل اليهم اسمه حنظلة بن صفوان فكانت سطوة الله بالعرب لذلك نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه ثم نعود الى النسب * فامامقوم بكسر الواو أبو أدد فمفهوم المعنى * وتيرح فيعل من الترحة ان كان عربيا وكذلك ناحور من النحر ويشجب من الشجب وان كان المعروف ان يقال شجب بكسر الجيم يشجب بفتحها ولكن قد يقال فى المغالبة شاجبته فشجبته أشجبه بضم الجيم فى المستقبل وفتحها فى الماضى كما يقال من العلم عالمته فعلمته بفتح اللام أعلمه بضمها وقد ذكرهم أبو العباس الناشى ٔ فى قصيدته المنظومة فى نسب النبى صلى الله عليه وسلم الى آدم كما ذكرهم ابن اسحق * وابراهيم معناه أب راحم وآزر قيل معناه يا أعوج وقيل هو اسم صنم وانتصب على اضمار الفعل فى التلاوة وقيل هو اسم لابيه كان يسمى تارح وآزر وهذا هو الصحيح لمجيئه فى الحديث منسوبا الى آزر وأمه نونا ويقال فى اسمها يوثى أو نحو هذا وما بعد ابراهيم أسماء سريانية فسر أكثرها بالعربية ابن هشام فى غير هذا الكتاب وذكر ان فالغ(١) معناه القسام وشالخ معناه الرسول أو الوكيل وذكر ان اسمعيل تفسيره مطيع الله وذكر الطبرى ان بين فالغ وعابر

مقوم بن ناحور بن تيرح بن
يعرب بن يشجب بن نابت
ابن اسمعيل بن ابراهيم
خليل الرحمن بن تارح وهو
آزر بن ناحور بن ساروح
ابن راعو بن فالخ بن عيبر
ابن شالخ بن

---

١) كذا فى النسختين بالغين المعجمة وهو الموافق لما فى الطبرى فليحرر

ارفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون والله أعلم وكان أول بنى آدم أعطى النبوة وخط بالقلم بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم * قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى بهذا الذى ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى آدم عليه السلام وما فيه من حديث ادريس وغيره «قال ابن هشام» وحدثنى خلاد بن قرة بن خالد السدوسى عن شيبان بن زهير بن شقيق بن ثور عن قتادة بن دعامة انه قال اسمعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارح وهو آزر ابن ناحور بن استرغ بن ارغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ ابن اخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين بن أنوش ابن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام». وأنا ان شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسمعيل ابن ابراهيم ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولده وأولادهم لاصلابهم الاول فالاول من اسمعيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد اسمعيل على هذه الجهة للاختصار الى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتارك بعض ماذكره ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شىء وليس سببا لشىء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكائى بروايته ومستقص ان شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به

أبا اسمه قينن اسقط اسمه فى التوراة لانه كان ساحرا * وارفخشذ تفسيره مصباح مضىء وشاذ مخفف بالسريانية الضياء ومنه حمشاذ بالسريانية وهو رابع الملوك بعد جيومرث وهو الذى قتله الضحاك واسمه بيوراسب بن اندراسب والضحاك مغير من ازدهاق قال حبيب

وكأنه الضحاك فى فتكاته * بالعالمين وانت افريذون

لان أفريذون هو الذى قتل الضحاك بعد ان عاش ألف سنة فى جور وعتو وطغيان عظيم وذلك مذكور على التفصيل فى تاريخ الطبرى وغيره * وذكر نوحا عليه السلام واسمه عبد الغفار وسمى نوحا لنوحه على ذنبه وأخوه صابى بن لامك اليه ينسب دين الصابئين فيما ذكروا والله أعلم * وذكر ان لامك والد نوح عليه السلام ولامك أول من اتخذ العود للغناء بسبب يطول ذكره واتخذ مصانع الماء * وأبوه متوشلخ وذكره الناشئ فى قصيدته فقال متوشلخ وتفسيره مات الرسول لان أباه كان رسولا وهو خنوخ وقال ابن اسحق وغيره هو ادريس النبي عليه السلام وروى ابن اسحق فى الكتاب الكبير عن شهر بن حوشب عن أبى ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول من كتب بالقلم ادريس وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال أول من كتب بالعربية اسمعيل وقال أبو عمر وهذه الرواية أصح من رواية من روى أن أول من تكلم بالعربية اسمعيل والخلاف كثير فى أول من تكلم بالعربية وفى أول من أدخل الكتاب العربى أرض الحجاز فقيل حرب بن أمية قاله الشعبى وقيل هو سفيان بن أمية وقيل عبد بن قصى تعلمه بالحيرة وتعلمه أهل الحيرة من أهل الانبار ﴿قال المؤلف﴾ ثم نرجع الآن الى ما كنا بصدده فنقول ان ادريس عليه السلام قد قيل انه الياس وانه ليس بجد لنوح ولا هو فى عمود هذا النسب وكذلك سمعت شيخنا الحافظ أبا بكر رحمه الله يقول ويستشهد بحديث الاسراء فان النبي صلى الله عليه وسلم كلما لقى نبيا من الانبياء الذين لقيهم ليلة الاسراء قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح وقال له آدم مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح وكذلك قال له ابراهيم وقال له ادريس والاخ الصالح فلو كان فى عمود نسبه لقال له كما قال له أبوه ابراهيم وأبوه آدم ولخاطبه بالبنوة ولم يخاطبه بالأخوة وهذا القول عندى أنبل والنفس اليه أميل لما عضده من هذا الدليل * وقال ادريس بن يرد وتفسيره الضابط ابن مهلاييل وتفسيره الممدح وفى زمنه كان بدء عبادة الاصنام ابن قينان وتفسيره المستوى ابن أنوش وتفسيره الصادق وهو بالعربية أُنُش وهو أول من غرس النخلة وبوب الكعبة وبذر الحبة فيما ذكروا ابن شيث وهو بالسريانية شاث وبالعبرانية شيث وتفسيره عطية الله ابن آدم وفيه ثلاثة أقوال قيل هو اسم سريانى وقيل هو أفعل من الأدمة وقيل أخذ من لفظ الاديم لانه خلق من أديم الارض وروى ذلك عن ابن عباس وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل عن محمد بن المستنير وهو قطرب انه قال لو كان من أديم الارض لكان على وزن فاعل وكانت الهمزة أصلية فلم يكن يمنعه من الصرف مانع وانما هو على وزن أفعل من الادمة ولذلك جاء غير مجرى ﴿قال المؤلف﴾ وهذا القول ليس بشىء لانه لا يمتنع أن يكون من الاديم ويكون على وزن أفعل تدخل الهمزة الزائدة على الهمزة الاصلية كما تدخل على همزة الادمة فاول الادمة

همزة

همزة أصلية فكذلك أول الاديم همزة أصلية فلا يمتنع أن يبنى منها افعل فيكون غير مجرى كما يقال رجل أعين وأرأس من العين والرأس وأسوق وأعنق من الساق والعنق مع ما فى هذا القول من المخالفة لقول السلف الذين هم أعلم منه لسانا وأذكى جنانا ﴿قال المؤلف﴾ وانما تكلمنا فى رفع هذا النسب على مذهب من رأى ذلك من العلماء ولم يكرهه كابن اسحق والطبرى والبخارى والزبيريين وغيرهم من العلماء وأما مالك [رحمه الله فقد] سئل عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك قيل له فالى اسمعيل فانكر ذلك أيضا وقال ومن يخبره به وكره أيضا أن يرفع فى نسب الانبياء مثل أن يقال ابراهيم بن فلان بن فلان قال ومن يخبره به وقع هذا الكلام لمالك فى الكتاب الكبير المنسوب الى المعيطى وانما أصله لعبد الله بن محمد بن حنين وعمه المعيطى فنسب اليه وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير انه قال ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان واسمعيل وعن ابن عباس رضى الله عنه قال بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون

﴿ ذكر اسمعيل صلى الله عليه و بنيه ﴾

وقد كان لابراهيم عليه السلام بنون سوى اسحق واسمعيل منهم ستة من قطورا بنت يقطر وهم مديان وزَمران وسرج بالجيم ونِقشان ومن ولد نقشان البربر فى احد الاقوال وأميم رغوة ومنهم نشق وله بنون آخرون من حجون بنت أهين وهم كيسان وسورج وأميم ولوطان ونافس هؤلاء بنو ابراهيم وقد ذكر ابن اسحق أسماء بنى اسمعيل ولم يذكر بنته وهى نسمة بنت اسمعيل وهى امرأة عيصو بن اسحق وولدتُ له الروم وفارس فيما ذكر الطبرى وقال أشك فى الاشبان هل هى أمهم أم لا وهم من ولد عيصو ويقال فيه أيضا عيصا وذكر فى ولد اسمعيل ظميا وقيده الدارقطنى ظميا بظاء منقوطة بعدها ميم كانها تانيث أظمى والظمى مقصور سمرة فى الشفتين وذكر دما ورأيت للبكرى ان دومة الجندل عرفت بدوما بن اسمعيل وكان نزلها فلعل دما مغير منه وذكر ان الطور سمى بيطور بن اسمعيل فلعله محذوف الياء أيضاً ان كان صح ما قاله والله أعلم وأما الذى قاله أهل التفسير فى الطور فهو كل جبل ينبت الشجر فان لم ينبت شيأ فليس بطور وأما قيذر فتفسيره عندهم صاحب الابل وذلك انه كان صاحب ابل اسمعيل * قال وأمه هاجر ويقال فيها آجر وكانت سرية لابراهيم وهبتها له سارة بنت عمه وهى سارة بنت توبيل بن ناحور وقيل بنت هاران بن ناحور وقيل هاران بنت تارح وهى بنت أخيه على هذا وأخت لوط قاله القتبى فى المعارف وقاله النقاش فى التفسير وذلك ان نكاح بنت الاخ كان حلالا اذ ذاك فيما ذكر ثم نقض النقاش هذا القول فى تفسير قوله تعالى «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا» ان هذا يدل على تحريم بنت الاخ على لسان نوح عليه السلام وهذا هو الحق وانما توهموا انها بنت أخيه لان هاران أخوه وهو هاران الاصغر وكانت هى بنت هاران الاكبر وهو عمه وبهاران سميت مدينة حران لان الحاء هاء بلسانهم وهو سريانى وذكر الطبرى ان ابراهيم انما نطق بالعبرانية حين عبر النهر فاراً من النمروذ وكان النمروذ قد قال للطلاب الذين أرسلهم فى طلبه اذا وجدتم فتى يتكلم بالسريانية فردوه فلما أدركوه استنطقوه فحول الله لسانه عبرانيا وذلك حين عبر النهر فسميت العبرانية بذلك وأما السريانية فيما ذكر ابن سلام فسميت بذلك لان الله سبحانه لما علم آدم الاسماء كلها علمه سراً من الملائكة وأنطقه بها حينئذ وكانت هاجر قبل ذلك لملك الاردن واسمه صادوق فيما ذكر القتبى دفعها الى سارة حين أخذها من ابراهيم عجبا منه بجمالها فصرع مكانه فقال ادعى الله أن يطلقنى الحديث وهو مشهور فى الصحاح فارسلها وأخدمها هاجر وكانت هاجر قبل ذلك الملك بنت ملك من ملوك القبط بمصر ذكره الطبرى من

﴿ سياقة النسب من ولد اسمعيل عليه السلام ﴾

«قال ابن هشام» حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام اثنى عشر رجلا نابتا وكان أكبرهم وقيدر واذبل ومنشا ومسمع وماشى ودما وأذر وظيما وتطور ونبش وقيذما وامهم بنت مضاض بن عمرو الجرهمى «قال ابن هشام» ويقال مضاض وجرهم بن قحطان وقحطان أبو اليمن كلها واليه يجتمع نسبها ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح * قال ابن اسحق جرهم بن يقطن ابن عيبر بن شالخ وقحطان بن عيبر بن شالخ * قال ابن اسحق وكان عمر اسمعيل فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات رحمة الله وبركاته عليه ودفن فى الحجر مع أمه هاجر رحمهم الله تعالى «قال ابن هشام» يقول العرب هاجر وآجر فيبدلون الالف من الهاء كما قالوا هراق الماء وأراء الماء وغيره وهاجر من أهل مصر «قال ابن هشام» ثنا عبد الله بن وهب عن عبد الله بن لهيعة

عن عمر مولى غفرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله الله فى أهل الذمة أهل المدرة السوداء السحم الجعاد فان لهم نسبا وصهرا قال عمر مولى غفرة نسبهم أن أم اسمعيل النبي صلى الله عليه وسلم منهم وصهرهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسرر فيهم قال ابن لهيعة أم اسمعيل هاجر من أم العرب قرية كانت امام الفرما من مصر وأم ابراهيم مارية سرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم التى أهداها له المقوقس من حفن من كورة انصنا * قال ابن اسحق حدثنى محمد ابن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ان عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك الانصارى ثم السلمى حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فقلت لمحمد بن مسلم ما الرحم التى ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم فقال كانت هاجر أم اسمعيل منهم

حديث سيف بن عمر أو غيره ان عمرو بن العاص حين حاصر مصر قال لاهلها ان نبينا عليه السلام قد وعدنا بفتحها وقد أمرنا أن نستوصى باهلها خيرا فان لهم نسبا وصهراً فقالوا هذا نسب لا يحفظ حقه الا نبى لانه نسب بعيد وصدق كانت أمكم امرأة لملك من ملوك كنا لخار بنا أهل عين الشمس فكانت لهم علينا دولة فقتلوا الملك واحتملوها فمن هناك تصيرت الى أبيكم ابراهيم أو كما قالوا وذكر الطبرى ان الملك الذى أراد سارة هو سنان بن علوان وانه أخو الضحاك الذى تقدم ذكره وفى كتاب التيجان لابن هشام انه عمرو ابن امرئ القيس بن بابليون بن سبا وكان على مصر والله أعلم وهاجر أول امرأة ثقبت أذناها وأول من خفض من النساء وأول من جرت ذيلها وذلك ان سارة غضبت عليها فحلفت ان تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فامرها ابراهيم عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة فى النساء وممن ذكر هذا الخبر ابن أبى زيد فى نوادره واسمعيل عليه السلام نبى مرسل أرسله الله تعالى الى أخواله من جرهم والى العماليق الذين كانوا بارض الحجاز فآمن بعض وكفر بعض ﴿وقوله﴾ وأمهم بنت مضاض ولم يذكر اسمها واسمها السيدة ذكره الدارقطنى وقد كان له امرأة سواها من جرهم وهى التى أمره أبوه بتطليقها حين قال لها ابراهيم قولى لزوجك فليغير عتبته يقال اسمها جداء بنت سعد ثم تزوج أخرى وهى التى قال لها ابراهيم فى الزورة الثانية قولى لزوجك فليثبت عتبة بيته الحديث وهو مشهور فى الصحاح أيضا يقال اسم هذه الآخرة سامة بنت مهلهل ذكرها وذكر التى قبلها الواقدى فى كتاب انتقال النور وذكرهما المسعودى أيضا وقد قيل فى الثانية عاتكة ﴿وقوله﴾ فى حديث عمر مولى غفرة وغفرة هذه هى أخت بلال بن رباح وقول مولى غفرة هذا ان صهرهم لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرر منهم يعنى مارية بنت شمعون التى أهداها اليه المقوقس واسمه جريج بن ميناء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل اليه حاطب بن أبى بلتعة وجبراً مولى أبى رهم الغفارى فقارب الاسلام وأهدى معهما الى النبى صلى الله عليه وسلم بغلته التى يقال لها دلدل والدلدل القنفذ العظيم وأهدى اليه مارية بنت شمعون والمارية بتخفيف الياء البقرة الفتية بخط ابن سراج يذكره عن أبى عمرو المطرز وأما المارية بالتشديد فيقال قطاة مارية أى ملساء قاله أبو عبيد فى الغريب المصنف وأهدى اليه أيضا قدحا من قوارير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه رواه ابن عباس فيقال ان هرقل عزله لما رأى من ميله الى الاسلام ومعنى المقوقس المطول للبناء والقوس الصومعة العالية يقال فى مثل أنا فى القوس وأنت فى القرقوس متى نجتمع وقول ابن لهيعة بالفرما من مصر الفرما مدينة كانت تنسب الى صاحبها الذى بناها وهو الفرما بن قيلقوس ويقال فيه ابن قليس ومعناه محب الفرس ويقال فيه ابن بليس ذكره المسعودى والاول قول الطبرى وهو أخو الاسكندر بن قليس اليونانى وذكر الطبرى ان الاسكندر حين بنى مدينة الاسكندرية قال أبنى مدينة فقيرة الى الله غنية عن الناس وقال الفرما أبنى مدينة فقيرة الى الناس غنية عن الله فسلط الله على مدينة الفرما الخراب سريعا فذهب رسمها وعفا أثرها وبقيت مدينة الاسكندر الى الآن وذكر الطبرى ان عمرو بن العاص حين أفتتح مصر وقف على آثار مدينة الفرما فسأل عنها فحدث بهذا الحديث والله أعلم وأما مصر فسميت بمصر بن النبيط ويقال ابن قبط بن النبيط من ولد كوش بن كنعان * وأما حفن التى ذكر انها قرية أم ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم [فقرية بالصعيد معروفة وهى التى كلم الحسن بن على رضى الله عنهما معاوية أن يضع الخراج عن أهلها ففعل معاوية ذلك] حفظا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ورعاية لحرمة الصهر ذكره أبو عبيد فى كتاب الاموال * وذكر انصنا وهى قرية بالصعيد يقال انها كانت مدينة السحرة قال أبو حنيفة ولا

ينبت اللبخ الا بانصنا وهو عود تنشر منه ألواح للسفن وربما أرعف ناشرها ويباع اللوح منها بخمسين دينارا أو نحوها واذا شد لوح منها بلوح وطرح فى الماء سنة التأما وصارا لوحا واحدا

﴿فصل﴾ وذكر عك بن عدنان وأن بعض أهل اليمن يقول فيه عك بن عدنان بن عبد الله بن الازد وذكر الدارقطنى فى هذا الموضع عن ابن الحباب انه قال فيه عك بن عبد الله بن عُدثان بالثاء المثلثة ولا خلاف فى الاول انه بنونين كما لم يختلف فى دوس بن عدثان انه بالثاء وهى قبيلة من الازد أيضا واسم عك عامر والديث الذى ذكره هو بالثاء وقاله الزبير الذيب بالذال والباء ولعدنان أيضا ابن اسمه الحارث وآخر يقال له المذهب ولذلك قيل فى المثل أجمل من المذهب وقد ذكر أيضاً فى بنيه الضحاك وقيل فى الضحاك انه ابن معد لا ابن عدنان وقيل ان عدن الذى تعرف به مدينة عدن وكذلك أبين هما ابنا عدنان قاله الطبرى ولعدنان بن اددا خوان نبت بن ادد وعمرو بن ادد قاله الطبرى ايضا

﴿ذكر قحطان والعرب العاربة﴾

أما قحطان فاسمه مهزم فيما ذكر ابن ما كولا وكانوا أربعة اخوة فيما روى عن ابن منبه قحطان وقاحط ومقحط وفالغ وقحطان أول من قيل له أبيت اللعن وأول من قيل له عم صباحا واختلف فيه فقيل هو ابن عابر بن شالخ وقيل هو ابن عبد الله أخو هود وقيل هو هود نفسه فهو على هذا القول من أرم بن سام ومن جعل العرب كلها من اسمعيل قالوا فيه هو ابن تيمن بن قيذر بن اسمعيل ويقال هو ابن الهميسع بن يمن وبيمن سميت اليمن فى قول وقيل بل سميت بذلك لانها عن يمين الكعبة وتفسير الهميسع الصرّاع وقال ابن هشام يمن هو يعرب بن قحطان سمى بذلك لان هودا عليه السلام قال له أنت أيمن ولدى نقيبة فى خبر ذكره قال وهو أول من قال القريض والرجز وهو الذى أجلى بنى حام الى بلاد المغرب بعد ان كانوا يأخذون الجزية من ولد قوط بن يافث قال وهى أول جزية وخراج أخذت فى بنى آدم وقد احتجوا لهذا القول أعنى ان قحطان من ولد اسمعيل عليه السلام بقول النبى صلى الله عليه وسلم ارموا يا بنى اسمعيل فان أباكم كان راميا قال هذا القول لقوم من أسلم بن أفصى وأسلم اخو خزاعة وهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وهم من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولا حجة عندى فى هذا الحديث لاهل هذا القول لان اليمن لو كانت من اسمعيل مع ان عدنان كلها من اسمعيل بلا شك لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسب الى اسماعيل معنى لان غيرهم من العرب أيضا أبوهم اسمعيل ولكن فى الحديث دليل والله أعلم على ان خزاعة من بنى قمعة أخى مدركة بن الياس بن مضر كما سيأتى بيانه فى هذا الكتاب عند حديث عمرو بن لحى ان شاء الله وكذلك قول أبى هريرة رضى الله عنه هى أمكم يا بنى ماء السماء يعنى هاجر يحتمل أن يكون تأول فى قحطان ما تأوله غيره ويحتمل أن يكون نسبهم الى ماء السماء على زعمهم فانهم ينتسبون اليه كما ينتسب كثير من قبائل العرب الى حاضنتهم والى رابهم أى زوج أمهم كما سيأتى بيانه فى باب قضاعة ان شاء الله وسبأ اسمه عبد شمس كما ذكر وكان أول من تتوج من ملوك العرب وأول من سبى فسمى سبأ ولست من هذا الاشتقاق على يقين لان سبأ مهموز والسبى غير مهموز وذكر أميما ويقال فيه أميم ووجدت بخط أشياخ مشاهير أميم وأميم بفتح الهمزة وتشديد الميم مكسورة ولا نظير له فى الكلام والعرب تضطرب فى هذه الاسماء القديمة قال المعرى:

يراه بنو الدهر الاخير بحاله * كما قد رأته جرهم وأميم

فجاء به على وزن فعيل وهو الاكثر وأميم فيما ذكروا أول من سقف البيوت بالخشب المنشور وكان ملكا

«قال ابن هشام» فالعرب كلها من اسمعيل وقحطان وبعض أهل اليمن يقول قحطان من ولد اسمعيل ويقول اسمعيل أبو العرب كلها * قال ابن اسحق عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وثمود وجديس ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح وطسم وعملاق وأميم بنو لاوذ بن سام بن نوح عرب كلهم فولد نابت بن اسمعيل يشجب بن نابت فولد يشجب يعرب بن يشجب فولد يعرب تيرح بن يعرب فولد تيرح ناحور بن تيرج فولد ناحور مقوم بن ناحور فولد مقوم ادد بن مقوم فولد أدد عدنان بن أدد «قال ابن هشام» ويقال عدنان بن أد * قال ابن اسحق فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام فولد عدنان رجلين معد بن عدنان وعك بن عدنان «قال ابن هشام» فصارت عك فى دار اليمن وذلك ان عكا تزوج فى الاشعريين فاقام فيهم فصارت الدار واللغة واحدة والاشعريون بنو اشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد

وكان يسمى آدم وهو عند الفرس آدم الاصغر وولده وبار وهم أمة هلكت فى الرمل هالت الرياح الرمل على فجاجهم ومناهلهم فهلكوا قال الشاعر

وكرّ دهر على وبار * فاهلكت عنوة وبار

والنسب اليه أبارى على غير قياس ومن العماليق ملوك مصر الفراعنة منهم الوليد بن مصعب صاحب موسى وقابوس بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن اراشة بن معاوية بن عمليق أخو الاول ومنهم الريان بن الوليد صاحب يوسف عليه السلام ويقال فيه ابن دومع فيماذكر المسعودى وأما طسم وجديس فافنى بعضهم بعضا قتلت طسم جديسا لسوء ملكتهم اياهم وجورهم فيهم فافلت منهم رجل اسمه رباح بن مرة فاستصرخ بتبع وهو حسان بن تبان أسعد وكانت أخته اليمامة واسمها عنز ناكحاً فى طسم وكان هواها معهم فانذرتهم فلم يقبلوا فصبحتهم جنود تبع فافنوهم قتلا وصلبوا اليمامة الزرقاء بباب جو وهى المدينة فسميت جو باليمامة من هنالك الى اليوم وذلك فى أيام ملوك الطوائف وبقيت بعد طسم يبابا لايأكل ثمرها الاعوافى الطير والسباع حتى وقع عليها عبيد بن ثعلبة الحنفى وكان رائداً لقومه فى البلاد فلما أكل الثمر قال ان هذا لطعام وحجر بعصاه على موضع قصبة اليمامة فسميت حجرا وهى منازل حنيفة الى اليوم وخبر طسم وجديس مشهور اقتصرنا منه على هذه النبذة [لشهرته عند الاخباريين]

﴿ ذكر نسب الانصار ﴾

وهم الأوس والخزرج والأوس الذئب والعطية أيضا والخزرج الريح الباردة ولا أحسب الاوس فى اللغة الا العطية خاصة وهى مصدر أسته وأما أوس الذى هو الذئب فعلم كاسم الرجل وهو كقولك أسامة فى اسم الاسد وليس أوس اذا أردت الذئب كقولك ذئب وأسد ولو كان كذلك لجمع وعرف قال كما يفعل باسماء الاجناس ولقيل فى الانثى أوسة كما يقال ذئبة وفى الحديث ما يقوى هذا وهو قوله عليه السلام هذا أويس يسئلكم من أموالكم فقالوا لا تطيب له أنفسنا بشئ ولم يقل هذا الاوس فتأمله وليس أوس على هذا من المسمين بالسباع ولا منقولا من الاجناس الا من العطية خاصة * وفيه عمرو وهو مزيقياء لانه فيما ذكروا كان يمزق كل يوم حلة ابن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس وهو البهلول بن ثعلبة الصنم ابن مازن السراج ابن الاسد ويقال لثعلبة أبيه الصنم وكان يقال لثعلبة ابن عمرو جد الاوس والخزرج ثعلبة العنقاء وكانهم ملوك متوجون ومات حارثة بن ثعلبة العنقاء والد الاوس والخزرج بالمدينة بعد ظهورهم على الروم بالشام ومصالحة غسان (١) لملك الروم وكان موت حارثة وجذع بن سنان من صيحة كانت بين السماء والارض سمع فيها صهيل الخيل وبعد موت حارثة كان ما كان من نكث يهود العهود حتى ظهرت الاوس والخزرج عليهم بمن استنصروا به من ملوك [جفنة] ويقال فى الاسد الازد بالسين والزاى واسمه الازدراء بن الغوث قاله وثيمة بن موسى بن الفرات وقال غيره سمى أسدا لكثرة ما أسدى الى الناس من الايادى ورفع فى النسب الى كهلان بن سبا وكهلان كان ملكا بعد حمير وعاش فيما ذكروا ثلاثمائة سنة ثم تحول الملك الى أخيه حمير ثم فى بنيهم وهم وائل ومالك وعمرو وعامر وسعد وعوف * وذكر لطمة ولد عمرو بن عامر لابيه وانه كان أصغر ولده قال المسعودى واسمه مالك وقال غيره ثعلبة وقال ويقال انه كان يتيما فى حجره وقول حسان

---

١) فى الثانية : بعد حربهم للروم وظهورهم على كل من حاربوه

اما

ابن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال أشعر بن نبت بن أدد ويقال أشعر بن مالك ومالك مذحج بن أدد بن زيد بن مهسع ويقال اشعر ابن سبا بن يشجب (وأنشدنى) أبو محرز خلف الاحمر وابو عبيدة لعباس بن مرداس احد بنى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان يفخر بعك

وعك بن عدنان الذين تلعبوا
بغسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت فى قصيدة له وغسان ماء بسد مأرب باليمن كان شربا لولد مازن ابن الاسد بن الغوث فسموا به ويقال غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة والذين شربوا منه تحزبوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الاسد بن الغوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال حسان بن ثابت الانصارى والانصار بنو الاوس والخزرج بنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الاسد بن الغوث

أما سألت فانا معشر أنف * الاسد نسبتنا والماء غسان

وقبله

يا أخت آل فراس انى رجل * من معشر لهم فى المجد بنيان

واشتقاق غسان اسم ذلك الماء من الغسن وهو الضعيف كما قال * غس الامانة صنبور فصنبور * ويروى غسى ويقال للمهر اذا زجر غس بتخفيف السين [قاله صاحب العين] والغسيسة من الرطب التى يبدأها الارطاب من قبل معلاقها ولا تكون الا ضعيفة ساقطة

﴿ فصل ﴾ وذكر تفرق سبا والعرب تقول تفرقوا أيدى سبا وأيادى سبأ نصبا على الحال وان كان معرفة فى الظاهر لان معناه مثل أيدى سبا والياء ساكنة فيه فى موضع النصب لانه صار بمنزلة اسمين جعلا اسما واحداً مثل معدى كرب ولم يسكنوها فى ثمانى عشرة لانها متحركة فى ثمانية عشر

﴿ فصل ﴾ وذكر سيل العرم وفى العرم أقوال قيل هى المنساة أى السد وهو قول قتادة وقيل هو اسم للوادى وهو قول عطاء وقيل هو الجرذ الذى خرب السد وقيل هو صفة للسيل من العرامة وهو معنى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس وقال البخارى العرم ماء أحمر حفر فى الارض حتى ارتفعت عنه الجنتان فلم يسقهما حتى يبست وليس الماء الاحمر من السد ولكنه كان عذابا أرسل عليهم انتهى كلام البخارى والعرب تضيف الاسم الى وصفه لانهما اسمان فتعرف أحدهما بالآخر وحقيقة اضافة المسمى الى الاسم الثانى أى صاحب هذا الاسم كما تقول ذو زيد أى المسمى بزيد ومنه سعد ناشرة وعمرو بطة وقول الاعشى * ومأرب عفى عليها العرم * يقوى انه السيل ومأرب بسكون الهمزة اسم لقصر كان لهم وقيل هو اسم لكل ملك كان يلى سبا كما ان تبعا اسم لكل من ولى اليمن وحضرموت والشحر قاله المسعودى وكان هذا السد من بناء سبا بن يشجب بن يعرب وكان ساق اليه سبعين واديا ومات قبل أن يستتمه فاتمته ملوك حمير بعده وقال المسعودى بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخا فى فرسخ وجعل له ثلاثين مثقبا وقول الاعشى * اذا جاء موّاره لم يرم * من قوله تعالى «يوم تمور السماء موراً» فهو مفتوح الميم وبعضهم يرويه مضموم الميم والفتح أصح ومنه قولهم دم مائر أى سائل وفى الحديث أمر الدم بما شئت أى أسله ورواه أبو عبيد أمر بسكون الميم جعله من مريت الضرع والنفس الى الرواية الاولى أميل من طريق المعنى وكذلك رواه النقاش وفسره وقوله - لم يرم - أى [لم] يمسكه السد حتى يأخذوا منه ما يحتاجون اليه * وقوله فاروى الزروع وأعنابها أى أعناب تلك البلاد لان الزروع لا عنب لها وأنشد لامية بن أبى الصلت

من سبا الحاضرين مأرب إذ * يبنون من سيله العرما

وهذا أبين شاهد على أن العرم هو السد واسم أبى الصلت ربيعة بن وهب بن علاج الثقفى وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف

﴿ ذكر معد وولده ﴾

قوله وولد معد أربعة نفر أما نزار فمتفق على انه ابن معد وسائر ولد معد فمختلف فيه فمنهم جشم بن معد وسلهم ابن معد وجنادة بن معد وقناصة بن معد وقنص بن معد [وسنام بن معد] وعوف وقد انقرض عقبه وحيدان وهم الآن فى قضاعة وأودهم فى مذحج ينسبون بنى أود بن عمرو ومنهم عبيد الرماح وحيدة وحيادة وجنيد وقحم فاما قضاعة فاكثر النسابين يذهبون الى ان قضاعة هو ابن معد وهو مذهب الزبيريين وابن هشام وقد روى من طريق هشام بن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن قضاعة فقال

اما سألت فانا معشر نجب
الاسد نسبتنا والماء غسان
وهذا البيت فى أبيات له
فقالت اليمن وبعض عك
وهم الذين بخراسان منهم
عك بن عدنان بن عبد الله
بن الاسد بن الغوث
ويقال عدنان بن الديث
بن عبد الله بن الاسد بن
الغوث

هو ابن معد وكان بكره قال أبو عمر وليس دون هشام بن عروة من يحتج به فى هذا الحديث وقد عارضه حديث آخر عن عقبة بن عامر الجهنى وجهينة هو ابن [زيد بن ليث بن] سود بن أسلم بضم اللام ابن الحاف بن قضاعة انه قال يارسول الله لمن نحن فقال أنتم بنو مالك بن حمير وقال عمرو بن مرة وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و يكنى أبا مريم

* يايها الداعي ادعنا وا [بشر] * وكن قضاعياً ولا تنزّر
نحن بنو الشيخ الهجان الازهر * قضاعة بن مالك بن حمير

[قال ذو الحسبين قال الزبير الشعر لافلح بن اليعبوب] وعمرو بن مرة هذا له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان أحدهما فى اعلام النبوة والآخر من ولى أمر الناس فسد بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة ومما احتج به أصحاب القول الاول أيضا قول زهير

قضاعية أو آختها مضرية * يحرق فى حافاتها الحطب الجزل

فجعل قضاعة ومضر أخوين وأشعار كثيرة للبيد وغيره وقد قال الكميت يعاتب قضاعة فى انتسابهم الى اليمن

على م نزائم من غير فقر * ولا ضراء منزلة الحميل

والحميل – المسبي لانه يحمل من بلد الى بلد قال الاعمش كان أبي حميلا فورثه مسروق أراد أن مسروقا كان يرى التوارث بولادة الاعاجم وقال ابن الماجشون كان أبي ومالك وابن دينار والمغيرة يقولون فى الحميل وهو المسبي بقول ابن هرمز ثم رجع مالك قبل موته بيسير الى قول ابن شهاب وانهم يتوارثون بشهادة العدول ولما تعارض القولان فى قضاعة وتكافأت الحجاج نظرنا فاذا بعض النسابين وهو الزبير قد ذكر ما يدل على صدق الفريقين وذكر عن ابن الكلبي أو غيره ان امرأة مالك بن حمير واسمها عكبرة آمت منه وهى ترضع قضاعة فتزوجها معد فهو رابه فتبناه وتكنى به و يقال بل ولدته على فراشه فنسب اليه وهو قول الزبير كما نسب بنو عبد مناة بن كنانة الى على بن مسعود بن مازن بن الذئب الاسدى لانه كان حاضن أبيهم و زوج أمهم فيقال لهم بنو على الى الآن وكذلك عكل وهو حاضن بنى عوف بن ود بن طابخة ولكن لا يعرفون الا بعكل وكذلك سعد بن هذيم انما هم بنو سعد بن زيد من قضاعة وهذيم كان حاضن سعد فنسب اليه وهذا كثير فى قبائل العرب وسيأتى منه فى الكتاب زيادة ان شاء الله وتفسير قضاعة فيما ذكر صاحب العين كلب الماء فهو اسم منقول منه وهو لقب له [واسمه عمرو و يكنى أبا حسن وكنيته أبا حكم] [١] فيما ذكروا وقول ابن اسحق كان بكر معد فالبكر أول ولد الرجل وأبوه بكر والثنى ولده الثانى وأبوه ثنى والثالث ولده الثالث ولا يقال للاب ثلث ولا يقال فيما بعد الثالث شئ من هذا قاله الخطابى ومما عوتبت به قضاعة فى انتسابهم الى اليمن قول أعشى بنى تغلب [٢] وقيل هى لرجل من كلب وكلب من قضاعة

أزنيتم عُجوزكم وكانت * قديما لا يشمّ لها خمار
عجوز لو دنا منها يمان * للاقى مثل مالاقى يسار

يريد يسار الكواعب الذى هم بهن فخصينه وقال بعض شعراء حمير فى قضاعة

مررنا على حيٍّ قضاعة غدوة * وقد أخذوا فى الزفن والزَفنان
فقلت لهم مابال زفنكم كذا * لعرس نرى ذا الزفن أو لختان

---

١) فى الاصل : «وكنيته أبو عمر فيماذكر» وعلم فوقه بكذا اشارة يضعها كاتب النسخة فيما يشتبه عليه ولذلك وضعت فى المتن ما وجدته فى الثانية ٢) نسخه ثعلب

* قال ابن اسحق فولد معد بن عدنان أربعة نفر نزار بن معد وقضاعة بن معد وكان قضاعة بكر معد الذى به يكنى فيما يزعمون وقنص بن معد واياد بن معد فاما قضاعة فتيامنت الى حمير بن سبأ وكان اسم سبأ عبد شمس وانما سمى سبأ لانه أول من سبى فى العرب ابن يعرب بن يشجب بن قحطان ﴿قال ابن هشام﴾ فقالت اليمن وقضاعة قضاعة بن مالك بن حمير وقال عمرو بن مرة الجهنى وجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة

نحن بنو الشيخ الهجان الازهر * قضاعة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر * فى الحجر المنقوش تحت المنبر

*قال ابن اسحق وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما يزعم نساب معد وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ان النعمان بن المنذر كان من ولد قنص بن معد «قال ابن هشام» ويقال قنص *قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس عن شيخ من الانصار من بنى زريق انه حدثه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى وكان جبير من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة وكان يقول انما أخذت النسب من أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب فسلحه اياه ثم قال ممن كان يا جبير النعمان بن المنذر فقال كان من اشلاء قنص بن معد *قال بن اسحق فاما سائر العرب فيزعمون انه كان رجلا من لخم من ولد ربيعة بن نصر فالله أعلم أى ذلك كان «قال ابن هشام» لخم بن عدى بن الحرث بن مرة بن ادد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ ويقال ربيعة بن نصر بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن

﴿أمر عمرو بن عامر فى خروجه من اليمن وقصة سد مأرب﴾

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثنى أبو زيد الانصارى انه رأى جرذا يحفر فى سد مأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤا من أرضهم فعلم انه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه فامر أصغر ولده اذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم اليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهى فيه أصغر ولدى وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل فى ولده وولد ولده وقالت الازد لا نتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهم عك فكانت حربهم سجالا ففى ذلك قال عباس بن مراس البيت الذى كتبنا ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا فى البلدان فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزلت الاوس والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مرا ونزلت أزد السراة السراة

فقالوا ألاَ انا وجدنا لنا أبا * فقلت ليهنئكم باى مكان
فقالوا وجدناه بجرعاء مالك * فقلت اذاً ما أمكم بحصان
فما مس خصيا مالك فرج أمكم * ولا بات منه الفرج بالمتدان
فقالوا بلى والله حتى كانما * خصياه فى باب أستها جعلان

ذكره أبو عمر رحمه الله فى كتاب الانباه له وقال جميل بن معمر وهو من بنى حُن بن ربيعة من قضاعة يصف بثينة وهى من حن أيضا

ربت الروابى من معد وفضلت * على المحصنات البيض وهى وليد

وقال جميل أيضا وهو يحدو بالوليد بن عبد الملك

أنا جميل فى السنام من معد * الضار بين الناس فى الركن الاشد

﴿ذكر قنص بن معد﴾

وكان قنص بن معد قد انتشر ولده بالحجاز فوقعت بينهم وبين بنى أبيهم حرب وتضايقوا فى البلاد وأجدبت لهم الارض فساروا نحو سواد العراق وذلك أيام ملوك الطوائف فقاتلهم الاردانيون وبعض ملوك الطوائف وأجلوهم عن السواد وقتلوهم الا أشلاء لحقت بقبائل العرب ودخلوا فيهم وانتسبوا اليهم

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق حديث جبير بن مطعم حين أتى عمر بسيف النعمان بن المنذر وكان جبير أنسب الناس الحديث وذكر الطبرى أن سيف النعمان بن المنذر انما أتى به عمر حين افتتحت المدائن وكانت بها حرائب كسرى وذخائره فلما غلب عليها فر الى اصطخر فاخذت أمواله ونفائس عدده وأخذ له خمسة أسياف لم ير مثلها أحدها سيف كسرى أبرويز وسيف كسرى أنوشروان وسيف النعمان بن المنذر الذى كان استلبه منه حين قتله غضبا عليه وألقاه الى الفيلة فخبطته بايديها حتى مات وقال الطبرى انما مات فى سجنه فى الطاعون الذى كان فى الفرس وسيف خاقان ملك الترك وسيف

ونزلت أزد عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم «لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم» والعرم السد واحدته عرمة فيما حدثنى أبو عبيدة ٭ قال الاعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ﴿قال ابن هشام﴾ ويقال أفصى بن دعمى بن جديلة واسم الاعشى ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة

وفى ذاك للمؤتسى أسوة ٭ ومأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير ٭ اذا جاء موّاره لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها ٭ على سعة ماؤهم اذ قسم
فصاروا أيادى ما يقدرو ٭ ن منه على شرب طفل فطم

وهذه الابيات فى قصيدة له ٭ وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى واسم ثقيف قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

من سبا الحاضرين مارب اذ ٭ يبنون من دون سيله العرما

وهذا البيت فى قصيدة له ٭ ويروى للنابغة الجعدى واسمه قيس بن عبد الله أحد بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وهو حديث طويل منعنى من استقصائه ما ذكرت من الاختصار

٭ قال ابن اسحق وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هالته وفظع بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته الا جمعه اليه فقال لهم انى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظعت بها فأخبرونى بها وبتأويلها قالوا له اقصصها علينا نخبرك بتأويلها قال انى ان أخبرتكم بها لم أطمئن الى خبركم عن تأويلها فانه لا يعرف تأويلها الا من عرفها قبل أن أخبره بها فقال له رجل منهم فان كان الملك يريد هذا فليبعث الى سطيح وشق فانه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان وشق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار وأنمار أبو بجيلة وخثعم «قال ابن هشام» وقالت اليمن وبجيلة أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نابت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال أراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث ودار بجيلة وخثعم يمانية قال ابن اسحق فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شق فقال له انى قد رأيت رؤيا هالتنى

هرقل وكان تصيره الى كسرى أيام غلبته على الروم فى المدة التى ذكرها الله تعالى فى قوله «الم غلبت الروم فى أدنى الارض» الآية فهذا كان سبب تصيير سيف النعمان الى كسرى أبرويز ثم الى كسرى يزدجرد ثم الى عمر رضى الله عنه وكان الذى قتل النعمان منهم أبرويز بن هرمز بن أنوشروان وكان لابرويز فيما ذكر ألف فيل وخمسون ألف فرس وثلاثة آلاف امرأة فيما ذكر الطبرى وتفسير أنوشروان بالعربية مجدد الملك فيما ذكروا والله أعلم وكذلك تفسير أبرويز المظفر قاله المسعودى والطبرى أيضا وزاد الطبرى فى حديث جبير حين سأله عمر عن نسب النعمان قال كانت العرب تقول انه من أشلاء قنص بن معد وهو من ولد عجم بن قنص الا أن الناس لم يدروا ما عجم فجعلوا مكانه لخما فقالوا هو من لخم [ونسبوا اليه] وأبرويز هو الذى كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه فدعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

وبعضهم يقول فيه نصر بن ربيعة وهو فى قول نساب اليمن ربيعة بن نصر بن الحارث بن نمارة بن لخم وقال الزبير فى هذا النسب نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن لخم ولخم أخو جذام وسمى لخما لانه لخم أخاه أى لطمه فعضه الآخر فى يده فجذمها فسمى جذاما وقال قطرب اللخم سمكة فى البحر بها سمى الرجل لخما [وأكثر المؤرخين يقولون فيه نصر بن ربيعة] وقد تقدم ما قاله سعيد بن جبير فى نسب النعمان وهو من ولد ربيعة وان لخما فى نسبه تصحيف من عجم بن قنص وذكر رؤياه وسطيحا الكاهن ونسبه وقد خالفه محمد بن حبيب النسابة فى شىء من هذا النسب فى كتاب المحبر وكان سطيح جسدا ملقى لا جوارح له فيما يذكرون ولا يقدر على الجلوس الا اذا غضب انتفخ فجلس وكان شق شق انسان فيما يذكرون انما له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ويذكر عن وهب بن منبه انه قال قيل لسطيح انى لك هذا العلم فقال لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى منه موسى عليه السلام فهو يؤدى الىّ من ذلك ما يؤديه وولد سطيح وشق فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر وهى بنت الخير الحميرية ودعت بسطيح قبل أن تموت فأتيت به فتفلت فى فيه وأخبرت انه سيخلفها فى علمها وكهانتها وكان وجهه فى صدره لم يكن له رأس ولا عنق ودعت

بشق

وفظعت بها فاخبرنى بها فانك ان أصبتها أصبت تاويلها قال افعل رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة فاكلت منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت منها شيئا ياسطيح فما عندك فى تأويلها فقال أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن ارضكم الحبش فليملكن ما بين أبين الى جرش فقال له الملك وأبيك ياسطيح ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفى زمانى هذا أم بعده قال لا بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين قال أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع قال لا بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين قال ومن يلى ذلك من قتلهم واخراجهم قال يليه إرم ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى يأتيه الوحى من قبل العلى قال وممن هذا النبى قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيؤن قال أحق ما تخبرنى قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان قال نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة أكلت منها كل ذات نسمة قال فلما قال له ذلك عرف انهما قد اتفقا وان قولهما واحد الا أن سطيحا قال وقعت بارض تهمة فاكلت منها كل ذات جمجمة وقال شق وقعت بين روضة وأكمة فاكلت منها كل ذات نسمة فقال له الملك ما أخطأت ياشق منها شيئا فما عندك فى تأويلها قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين الى نجران فقال له الملك وابيك ياشق ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعده قال لا بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم أشد الهوان قال ومن هذا العظيم الشان قال غلام ليس بدنى ولا مدن

بشق ففعلت به مثل ما فعلت بسطيح ثم ماتت وقبرها بالجحفة وذكر أبو الفرج ان خالد بن عبد الله القسرى كان من ولد شق هذا فهو خالد بن عبد الله بن أسد بن يزيد بن كرز وذكر ان كرزا كان دعيا وانه كان من اليهود فجنى جناية فهرب الى بجيلة فانتسب فيهم ويقال كان عبدا لعبد القيس وهو ابن عامر ذى الرقعة وسمى بذى الرقعة لانه كان أعور يغطى عينه برقعة ابن عبد شمس بن جوين بن شق الكاهن بن صعب * وقوله فى حديث الرؤيا أكلت منها كل ذات جمجمة وكل ذات نسمة نصب كل أصح فى الرواية وفى المعنى لان الحممة نار فهى تأكل ولا تؤكل على أن فى رواية الشيخ برفع كل ولها وجه لكن فى حاشية كتابه ان فى نسخة البرقى التى قرأها على ابن هشام كل ذات بنصب اللام * وقوله خرجت من ظلمة أى من ظلمة وذلك أن الحممة قطعة من نار وخروجها من ظلمة يشبه خروج عسكر الحبشة من أرض السودان والحممة الفحمة وقد تكون جمرة محرقة كما فى هذا الحديث فيكون لفظها من الحميم ومن الحمى أيضا لحرارتها وقد تكون منطفئة فيكون لفظها من الحمة وهى السواد يقال حممت وجهه اذا سودته وكلا المعنيين حاصل فى لفظ الحممة هاهنا * وقوله بين روضة وأكمة لانها وقعت بين صنعاء وأحوازها * وقوله فى أرض تهمة أى منخفضة ومنه سميت تهامة * وقوله أكلت منها كل ذات جمجمة ولم يقل كل ذى جمجمة وهو من باب قوله تعالى سبحانه «ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء» لان القصد الى النفس والنسمة فهو أعم ويدخل فيه جميع ذوات الارواح ولو جاء بالتذكير لكان اما خاصا بالانسان أو عاما فى كل شىء حى أو جماد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل نائلة تفيخ أى يكون منها افاخة وهى الحدث وقال النحاس هو تأنيث الصفة والخلقة * وقوله ليهبطن أرضكم الحبش هم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح وبه سميت الحبشة * وقوله ما بين أبين الى جرش ذكره سيبويه بكسر الهمزة على مثل اصبع وجوز فيه الفتح وكذلك تقيد فى هذا الكتاب وقال ابن ماكولا هو أبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع من حمير أو من ابن حمير سميت به البلدة وقد تقدم قول الطبرى ان أبين وعدن ابنا عدنان سميت بهما البلدتان * وقوله بغلام لا دنى ولا مدن الدنى معروف والمدن الذى جمع الضعيف مع الدناءة قاله صاحب العين * وقوله لحق ما فيه أمض أى ما فيه شك ولا مستراب وقد عمر سطيح زمانا طويلا بعد هذا الحديث حتى أدرك مولد النبى صلى الله عليه وسلم فرأى كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز ما رأى من ارتجاس الايوان وخمود النيران ولم تكن خمدت قبل ذلك بالف عام وسقطت من قصره أربع عشرة شرفة وأخبره الموبذان ومعناه القاضى أو المفتى بلغتهم انه رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا فانتشرت فى بلادهم وغارت بحيرة ساوة فارسل كسرى عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نفيلة الغسانى [الى سطيح] وكان سطيح من أخوال عبد المسيح ولذلك أرسله كسرى فيما ذكر الطبرى الى سطيح يستخبره علم ذلك ويستعبره رؤيا الموبذان فقدم عليه وقد أشفى على الموت فسلم عليه فلم يحر اليه سطيح جوابا فانشأ عبد المسيح يقول

أصم أم يسمع غطريف اليمن * أم فاد فازلم به شأو العنن
يا فاصل الخطة أعيت من ومن * أتاك شيخ الحى من آل سنن
وأمه من آل ذئب بن حجن * أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يسرى للوسن * لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب بى الارض علنداة شزن * ترفعنى وجن وتهوى بى وجن
حتى أتى عارى الجآجى والقطن * تلفه فى الريح بوغاء الدمن
* كأنما حثحث من حضنى ثكن *

— ثكن — اسم جبل فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال عبد المسيح على جمل مشيح جاء الى سطيح حين أوفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وخمدت نار فارس وغارت بحيرة ساوة وفاض وادى السماوة فليست الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه وقوله — فازلم به — معناه قبض قاله ثعلب وقوله — شأو العنن — يريد الموت وما عن منه قاله الخطابى — وفاد مات يقال منه فاد يفود — واما يفيد فمعناه يتبختر * وقول ابن اسحق فى خبر ربيعة بن نصر فجهز أهله وبنيه الى الحيرة وكتب لهم الى ملك يقال له سابور بن خرزاذ [قال المؤلف] الشيخ الحافظ أبو القاسم عفا الله عنه ولا يعرف خرزاذ فى ملوك بنى ساسان من الفرس وهم من عهد أزدشير بن بابك الى يزدجرد التى قتل فى أول خلافة عثمان رضى الله عنه معروفون مسمون بأسمائهم و بمقادير مددهم مشهور ذلك عند الاخباريين والمؤرخين ولكنه يحتمل ان يكون ابن خرزاذ هذا املكا دون الملك الاعظم منهم أو يكون أحد ملوك الطوائف وهو الظاهر فى مدة ربيعة [بن نصر] لانه جد عمرو بن عدى وابن أخت جذيمة الابرش وكان ملك جذيمة أوله فيما أحسب فى مدة ملوك الطوائف وآخره فى مدة الساسانيين وأول من ملك الحيرة من الساسانية سابور بن ازدشير وهو الذى خرب الحضر وكانت ملوك الطوائف متعادين يغير بعضهم على بعض قد تحصن كل واحد منهم فى حصن وتحوز الى حيز منهم عرب ومنهم أشغانيون على دين الفرس وأكثرهم ينتسبون الى الفرس من ذرية دارا بن دارا وكان الذى فرقهم وشتت شملهم وأدخل بعضهم بين بعض لئلا يستوثق لهم ملك ولا يقوم لهم سلطان الاسكندر بن فيلبش اليونانى حين ظهر على دارا واستولى على بلاد مملكته وتزوج بنته روشنك بوصية أبيها دارا له بذلك حين وجده مثخنا فى المعركة ولم يكن الاسكندر أراد قتله لانه كان أخاه لامه فيما زعموا فوضع الاسكندر رأسه على فخذه فيما ذكروا وقال يا سيد الناس لم أرد قتلك ولا رضيته فهل لك من حاجة قال نعم تزوج ابنتى روشنك وتقتل من قتلنى ثم قضى دارا ففعل ذلك الاسكندر وفرق الفرس وأدخل بينهم العرب فتحاجزوا وسموا ملوك الطوائف لان كل واحد منهم كان على طائفة من الارض ثم دام أمرهم كذلك أربعمائة وثمانين سنة فى قول الطبرى وقد قيل أقل من ذلك وقال المسعودى خمسمائة وعشرين سنة وفى أيامهم بعث عيسى بن مريم عليه السلام وذلك بعد موت الاسكندر بثلاثمائة سنة فابن خرزاذ هذا والله أعلم من أولئك و بنو ساسان القائمون بعد ملوك الطوائف و بعد ملوك الاشغانيين هم بنو ساسان بن بهمن وهو من الكينية وانما قيل لهم الكينية لان كل واحد منهم يضاف الى كى وهو البهاء و يقال معناه ادراك الثأر وأول من تسمى بكى أفريذون [بن أثفيان]

يخرج عليهم من بيت ذى يزن قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك فى قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم تجزى فيه الولات يدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الاحياء والاموات و يجمع فيه بين الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال أحق ما تقول قال أى ورب السماء والارض وما بينهما من رفع وخفض ان ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض

قاتل الضحاك بثار جده جم ثم صار الملك فى عقبه الى منوشهر الذى بعث موسى عليه السلام فى زمانه الى كى قاوس وكان فى زمن سليمان عليه السلام وسيأتى طرف من ذكره فى الكتاب الى كى يستاسب الذى ولى بخت نصر وملكه وبخت نصر هو الذى حير الحيرة حين جعل فيها سبايا العرب فتحيروا هنالك فسميت الحيرة وأخذ اسمه من بوخت وهى النخلة لانه ولد فى أصل نخلة ثم كان بعد كى يستاسب بهمن بن اسبندياذ ابن يستاسب وكان له ابنان دارا وساسان وكان ساسان هو الاكبر فكان قد طمع فى الملك بعد أبيه فصرف بهمن الامر عنه الى دارا لخبر يطول ذكره حملته على ذلك خمانا أم دارا فخرج ساسان سائحا فى الجبال ورفض الدنيا وهانت عليه وعهد الى بنيه متى كان لهم الامر أن يقتلوا كل أشغانى وهم نسل دارا فلما قام أزدشير بن بابك وقيده الدارقطنى أردشير بالراء المهملة ودعا ملوك الطوائف الى القيام معه على من خالفه حتى ينتظم له ملك فارس وأجابه الى ذلك أكثرهم وكانوا يدا على الاقل حتى أزالوه وجعل أزدشير يقتل كل من ظهر عليه من أولئك الاشغانيين فقتل ملكا منهم [يقال له الاردوان] واستولى على قصره فالفى فيه امرأة جميلة رائعة الحسن فقال لها ما أنت فقالت أمة من إماء الملك وكانت بنت الملك الاردوان لاذت بهذه الحيلة من القتل لانه كان لا يبقى منهم ذكرا ولا أنثى فصدق قولها واستسرها فحملت منه فلما أثقلت استبشرت بالامان منه فاقرت انها بنت الاشغانى الذى قتل واسمه اردوان فيما ذكروا فدعا وزيرا له ناصحا وقد سماه الطبرى فى التاريخ فقال استودع هذه بطن الارض فكره الوزير أن يقتلها وفى بطنها ابن للملك وكره أن يعصى أمره فاتخذ لها قصرا تحت الارض ثم خصى نفسه وصير مذاكيره وجعلها فى حريرة ووضع الحريرة فى حق وختم عليه ثم جاء به الملك فاستودعه اياه وجعل لا يدخل الى المرأة فى ذلك القصر سواه ولا تراها الا عينه حتى وضعت المولود ذكرا فكره أن يسميه قبل أبيه فسماه شاهبور ومعناه ابن الملك فكان الصبى يدعى بهذا ولا يعرف لنفسه اسما غيره فلما قبل التعليم نظر فى تعليمه وتقويم أوده واجتهد فى كل ما يصلحه الى أن ترعرع الغلام فدخل الوزير يوما على أزدشير وهو واجم فقال لا يسوءك الله أيها الملك فقد ساءنى اطراقك ووجومك فقال كبرت سنى وليس لى ولد أقلده الامر بعدى وأخاف انتشار الامر بعد انتظامه وافتراق الكلمة بعد اجتماعها فقال له ان لى عندك وديعة أيها الملك وقد احتجت اليها فاخرج اليه الحقة بخاتمها ففض الخاتم وأخرج المذاكير منها فقال له الملك ما هذا فقال كرهت ان أعصى الملك حين أمرنى فى الجارية بما أمر فاستودعتها بطن الارض حية حتى أخرج الله منها سليل الملك حيا وارضعته وحضنته وها هو ذا عندى فان أمر الملك جئته به فامره ازدشير باحضاره فى مائة غلام من ابناء فارس بايديهم الصوالج يلعبون بالكرة فلعبوا فى القصر فكانت الكرة تقع فى ايوان الملك فيتهيبون أخذها حتى طارت للغلام فوقعت فى سرير الملك فتقدم حتى أخذها ولم يهب ذلك فقال الملك ابنى والشمس متعجبا من عزة نفسه وصرامته ثم قال له ما اسمك يا غلام فقال له شاهبور فقال له صدقت أنت ابنى وقد سميتك بهذا الاسم وبور هو الابن وشاه هو الملك بلسانهم واضافتهم مقلوبة يقدمون المضاف اليه على المضاف كما تقدم فى الكى الكلمة التى كانت فى أوائل أسماء الملوك الكينية فكانوا يضافون الى الكى ثم ان أزدشير عهد الى ابنه شاهبور وسيأتى فى الكتاب فى قول الاعشى :

اقام به شاهبور الجنود * حولين يضرب فيه القُدُم

ثم غيرت العرب هذا الاسم فقالوا سابور وتسمى به ملوك بنى ساسان منهم سابور ذو الاكتاف الذى وطىء ارض العرب وكان يخلع اكتافهم حتى مرّ بارض بنى تميم ففروا منه وتركوا عمرو بن

تميم وهو ابن ثلاثمائة سنة لم يقـدر على الفرار وكان فى قفة معلقا من عمود الخيمة من الكبر فاخذ وجيء به الملك فاستنطقه سابو ر فوجد عنده رأيا ودهاء فقال له ايها الملك لم تفعل هـذا بالعرب فقال يزعمون ان ملـكنا يصل اليهم على يد نبي يبعث فى آخر الزمان فقال عمرو فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هـذا الامر باطلا فلا يضرك وان يكن حقا الفاك وقداتخذت عندهم يدا يكافئونك عليها ويحفظونك بها فى ذويك فيقال ان سابور انصرف عنهم واستبقى بقيتهم واحسن اليهم بعد ذلك والله اعـلم واما ابرو يزبن هرمز وتفسيره بالعربية مظفر فهو الذى كـتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم وسـيأتى طرف من ذكره وهو الذى عرض على الله تعالى فى المنام فقيل له سلم مافى يديك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كـتب اليه النعمان بظهو ر النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم أن الامر سيصير اليه حتى كان من امره ما كان وهو الذى سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحجة الله على كسرى فقال ان الله تعالى ارسل اليه ملكا فسلك يده فى جدار مجلسه حتى اخرجها اليه وهى تتلألأ نو را فارتاع كسرى فقال له الملك لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسوله فاسلم تسلم فقال سانظر ذكره الطبرى فى اعلام كثيرة من النبوة عرضت على ابر و يز اضربنا عن الاطالة بها فى هذا الموضع وتسمى ايضا سابور بعد هـذا سابو ر بن ابرو يزاخوشيرويه وقدملك نحوامن شهر ين فى مدة النبي صلى الله عليه وسلم وملك اخوه شـير ويه نحوا من ستة اشهر ثم ملـكت بوران اختهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ملـكتهم امرأة فملـكت سنة وهلـكت وتشتت امرهم كل الشتات ثم اجتمعوا على يزدجرد بن شهر يار والمسلمون قد غلبوا على اطراف ارضهم ثم كانت حروب القادسـية معهم الى ان قهرهم الاسلام وفتحت بلادهم على يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستؤصل امرهم والحمد لله وسابو ر تنسب اليه الثياب السابرية قاله الخطابى و زعم انه من النسب الذى غير فاذا نسبوا الى نيسابور المدينة قالوا نيسابورى على القياس وزعم بعضهم ان نى هى القصب وكانت مقصبة فبناها سابور مدينة فنسبت اليه والله اعلم

﴿ فصـل ﴾ وقول سطيح فى حـديث ر بيعة ارم ذى يزن المعر وف سيف بن ذى يزن ولـكن جعله ارما امالان الارم هو العلم فمدحه [بذلك] واما شبهه بعاد إرم فى عظم الخلق والقوة قال الله تبا رك وتعالى « بعاد إرم ذات العماد » و ر بيعة بن نصر هذا هو أحـد ملوك الحيرة وهم آل المنذر والمنذر هو ابن ماء السماء وهى أمه عرف بها وهى من النمر بن قاسط وابنه عمر و بن هنـد عرف بامه أيضاً وهى بنت الحارث آكل المرار جد امرىء القيس الشاعر و يعرف عمر و بمحرق لانه حرق مـدينة يقال لها ملهم وهى عند اليمامة وقال المبرد والقتبي سمى محرقا لانه حرق مائة من بنى تميم وذكر خبرهم و ولد نصر بن ر بيعـة هو عـدى وكان كاتبا لجذيمة الابرش وابنه عمر و وهو ابن أخت جذيمة و يكنى جـذيمة أبامالك فى قول المسعودى وهو منادم الفرقـدين واسم أخت جـذيمة رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن دوس وهو الذى اختطفته الجن وفيه جرى المثـل شب عمرو عن الطوق وهو قاتل الزبا بنت عمر و واسمها نائلة فى قول الطبرى و يعقوب بن السكيت وميسون فى قول ابن دريد واستشهد الطبرى بقول الشاعر

أتعرف مـنزلا بين المنقى * و بين مجرّ نائلة القديم

وقد أملينا فى غـير هـذا الموضع ذكر نسبها وطرفا من أخبارها وأخو عمر و بن هنـد النعمان بن المنذر وهو ابن مامة وكان ملـكه بعـد عمر و وفى ملك عمر و ولد رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وفى زمن كسرى أنوشر وان بن قباذ وأسقط ابن اسحاق من هـذا النسب رجلين وهما النعمان بن امرىء القيس

(قال ابن هشام) امض يعنى شـكا هذا بلغة حمير وقال أبو عمرو امض أى باطل فوقع فى نفس ر بيعة بن نصر ماقالا فجهز بنيه واهل بيته الى العراق بما يصلحهم وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فاسكنهم الحيرة فمن بقية ولد ر بيعة بن نصر النعمان بن المنذر فهو فى نسب اليمن وغلبهم النعمان ابن المنـذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى ابن ر بيعة بن نصر ذلك الملك (قال ابن هشام) النعمان ابن المنذر بن المنذر فيما أخبرنى خلف الاحمر

* قال ابن اسحق فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله الى حسان ابن تبان اسعد أبى كرب وتبان أسعد تبع الآخر ابن كلكيكرب ابن زيد وزيد تبع الاول ابن عمرو ذى الاذعار بن ابرهة ذى المنار ين الريش (قال ابن هشام) ويقال الرائش * قال ابن اسحق بن عدى بن صيفى بن سبأ الاصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب ابن زهير بن أنس بن الهميسع بن العرنجج والعرنجج حمير ابن سبا الاكبر ابن يعرب ابن يشجب بن قحطان «قال ابن هشام» يشجب بن يعرب بن قحطان * قال ابن اسحق وتبان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة وساق الحبرين من يهود الى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر «قال ابن هشام» وهو الذى يقال له

ليت حظى من أبى كرب *
ان يسد خيره خبله

قال ابن اسحق وكان قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة وكان قد مر بها فى بدأته فلم يهج أهلها وخلف بين أظهرهم ابناله فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع لاخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها فجمع له هذا الحى من الانصار ورئيسهم عمرو بن طلة أخو بنى

وأبوه امرؤ القيس بن عمرو بن عدى وقد قيل ان النعمان هذا هو أخو امرىء القيس وملك بعده وسيأتى ذكر النعمان بعد هذا عند ذكر صاحب الحضر ان شاء الله تعالى وانه الذى بنى الخورنق والسدير

﴿ فصل ﴾ وقوله فى نسب حسان بن تبان أسعد هو تبان أسعد اسمان جعلا اسما واحداً وان شئت أضفت كما تضيف معدى كرب وان شئت جعلت الاعراب فى الاسم الآخر وتبان من التبانة وهى الذكاء والفطنة يقال رجل تبن وطبن وكلكى كرب اسم مركب أيضاً وسيأتى معنى الكرب فى لغة حمير عند ذكر معدى كرب ان شاء الله تعالى وكان ملك كلكى كرب خمساً وثلاثين سنة وكان مضعفاً ساقط الهمة لم يغز قط «وقوله» فى نسب حسان بن تبان أسعد [وتبان أسعد تبع الآخر] وهو تبع نقص من النسب أسماء كثيرة وملوكا فان عمراً ذا الاذعار كان بعده ناشر بن عمرو ويقال له ناشر النعم وانما قيل له ناشر لانه نشر الملك واسمه مالك ملك بعد قتل رجعيم بن سليمان عليه السلام بالشام وهو الذى انتهى الى وادى الرمل وماتت فيه طائفة من جنده جرت عليهم الرمال وبعده تبع الاقرن وأفريقيس بن قيس الذى بنى أفريقية وبه سميت وساق اليها البربر من أرض كنعان وتبع بن الاقرن وهو التبع الاوسط وشمر بن مالك الذى سميت به مدينة سمرقند ومالك هو الاملوك وفى بنى الاملوك يقول الشاعر

فنقب عن الاملوك واهتف بيعفر * وعش جار عز لا يغالبه الدهر

وقد قيل ان الاملوك كان على عهد منوشهر وذلك فى زمن موسى عليه السلام كل هؤلاء مذكورون باخبارهم فى غير هذا الكتاب وعمر وذو الازعار كان على عهد سليمان أو قبله بقليل وكان أوغل فى ديار المغرب وسبا أمة وجوهها فى صدورها فذعر الناس منهم فسمى ذا الاذعار وبعده ملكت بلقيس بنت هُداهد بن شرحبيل (١) صاحبة سليمان عليه السلام واسم أمها بلمقة بنت جنى وقيل رواحة بنت سُكَين قاله ابن هشام وزعم أيضا انها قتلت عمراً ذا الاذعار بحيلة ذكرها وانه سمى ذا الاذعار لكثرة ما ذعر الناس منه لجوره وانه ابن أبرهة ذى المنار بن الصعب وهو ذو القرنين بن ذى مرائل الحميرى وأبوه ابرهة ذو المنار سمى بذلك لانه رفع نيرانا فى جبال ليهتدى بها واما حسان الذى ذكر فهو الذى استباح طسما وصلب اليمامة الزرقاء وذلك حين استصرخه عليهم رباح بن مرة اخو الزرقاء وهو من فل جديس وقد تقدم الايماء الى خبرهم ومعنى تبع فى لغة اليمن الملك المتبوع وقال المسعودى لا يقال للملك تبع حتى يغلب اليمن والشحر وحضرموت وأول التبابعة الحارث الرائش وهو ابن همال بن ذى شدد وسمى الرائش لانه راش الناس بما أوسعهم من العطاء وقسم فيهم من الغنائم وكان أول من غنم فيما ذكروا واما العرنجج الذى ذكر انه حمير بن سبا فمعناه بالحميرية العتيق قاله ابن هشام وفى عهد زمن تبع الاوسط وهو حسان بن تبان أسعد كان خروج عمرو بن عامر من اليمن من أجل سيل العرم فيما ذكر القتبى واما عمرو أخو حسان الذى ذكر ابن اسحق قصته وقتله لاخيه فهو المعروف بموثبان سمى بذلك للزومه الوثاب وهو الفراش وقلة غزوه قاله القتبى * واما ماذكره من غزو تبع المدينة فقد ذكر القتبى انه لم يقصد غزوها وانما قصد قتل اليهود الذى كانوا فيها وذلك أن الاوس والخزرج كانوا نزلوها معهم حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم فلم يف لهم بذلك يهود واستضاموهم فاستغاثوا بتبع فعند ذلك قدمها وقد قيل بل كان هذا الخبر لابى جبيلة الغسانى وهو الذى استصرخته الاوس والخزرج على يهود فالله أعلم والرجل الذى عدا على عذق الملك وجده من بنى النجار هو مالك بن

---

(١) فى الثانية: هدهاد بن شرجيل.

العجلان فيما قال القتبي ولا يصح هذا عندى فى القياس لبعد عهد تبع من مدة ملك بن العجلان وخبر ملك ابن العجلان انما هو مع أبى جبيلة الغسانى حين استصرخت به الانصار على اليهود فجاء حتى قتل وجوها من يهود وأما تبع فحديثه أقدم من ذلك يقال كان قبل الاسلام بسبعمائة عام والصحيح فى اسم أبى جبيلة جبيلة غير مكنى ابن عمرو بن جبلة بن جفنة وجفنة هو غلبة بن عمرو بن عامر ماء السماء وجبيلة هو جد جبلة بن الايهم آخر ملوك بنى جفنة ومات جبيلة الغسانى من علقة شربها فى ماء وهو منصرف عن المدينة * وذكر ان تبعا أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فقال له رجل منهم له مائتان وخمسون سنة الملك أجل من أن يطير به نزق أو يستخفه غضب وأمره أعظم من ان يضيق عنا حلمه أو نحرم صفحه مع ان هذه البلدة مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم وهذا اليهودى هو أحد الحبرين الذين ذكر ابن اسحق واسم أحد الحبرين سحيت والآخر منبه ذكر ذلك قاسم بن ثابت فى الدلائل وفى رواية يونس عن ابن اسحق قال واسم الحبر الذى كلم الملك بليامين وذكر ان امرأة اسمها فكيهة من بنى زريق كانت تحمل له الماء من بئر رومة بعد ما قال له الحبران ما قالا وكف عن قتال أهل المدينة ودخلوا عسكره فاعطى فكيهة حتى أغناها فلم تزل هى وعشيرتها من أغنى الانصار حتى جاء الاسلام ولما آمن الملك بمحمد صلى الله عليه وسلم واعلم بخبره قال

شهدت على أحمد انه * نبى من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل هم

وذكر ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور وذكره أيضا أبى اسحاق الزجاج فى كتاب المغازى له ان قبرا حفر بصنعاء فوجد فيه إمرأتان معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه هذا قبر لميس وحبى ابنتى تبع ماتا وهما تشهدان لا اله الا الله وحده لا شريك له وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدرى اتبع لعين أم لا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا فان صح هذا الحديث الاخير فانما هو بعد ما أعلم بحاله ولا ندرى اى التبابعة أراد غير ان فى حديث معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا أسعد الحميرى فانه أول من كسى الكعبة فهذا أصح من الحديث الاول وأبين حيث ذكر فيه أسعد وتبان أسعد الذى تقدم ذكره وقد كان تبع الاول مؤمنا أيضا بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو الرائش وقد قال شعرا ينبىء فيه بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم يقول فيه

ويأتى بعدهم رجل عظيم * نبىء لا يرخص فى الحرام

وقد قيل انه القائل

منع البقاء تصرف الشمس * وطلوعها من حيث لا تمس
اليوم أعلم ما يجىء به * ومضى بفصل قضائه أمس
وطلوعها بيضاء مشرقة * وغروبها صفراء كالورس
تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس

وقد قيل ان هذا الشعر لتبع الآخر فالله أعلم ومن هذا أخذ أبو تمام قوله

التى الى كعبة الرحمن أرحله * والشمس قد نقضت ورسا على الأصل

النجار ثم أحد بنى عمرو بن مبذول واسم مبذول عامر بن مالك بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة عمرو بن عامر « قال ابن هشام » عمرو بن طلة عمرو بن معاوية بن عمرو ابن عامر بن مالك بن النجار وطلة أمه وهى بنت عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج

قال ابن اسحق وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من أصحاب تبع حين نزل بهم فقتله وذلك انه وجده فى عذق له يجده فضربه بمنجله فقتله وقال انما التمر لمن ابره فزاد ذلك تبعاً حنقا عليهم قال فاقتتلوا فتزعم الانصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله ان قومنا لكرام فبينا تبع على ذلك من قتالهم اذ جاءه حبران من أحبار يهود من بنى قريظة وقريظة والنضير والنحام وعمرو وهو هدل بنو الخزرج ابن الصريح بن التومان بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوى بن خير بن النحام بن تنحوم بن عازر بن عزرى بن هرون بنى عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو اسرائيل الله ابن اسحق ابن ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم عالمان راسخان فى العلم حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان أتيت الا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال لهما ولم ذلك فقالا هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى عن ذلك ورأى ان لهما علما واعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما فقال خالد بن عبد العزى بن غزية بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة

أصحى أم قد نهى ذكره * أم قضى من لذة وطره
أم تذكرت الشباب وما * ذكرك الشباب أو عصره
انها حرب رباعية * مثلها أتى الفتى عبره
فاسألا عمران أو أسدا * اذ أتت عدوا مع الزهره
فيلق فيها أبو كرب * سبغ أبدانها ذفره
ثم قالوا من نؤم بها * ابنى عوف أم النجره
بل بنى النجار ان لنا * فيهم قتلى وان تره
فتلقتهم مسايفة *

﴿ غريب حديث تبع ﴾

ذكر فيه فجد عذق الملك العذق النخلة بفتح العين والعذق بالكسر الكباسة بما عليها من التمر وذكر فى نسب قريظة والنضير عمرا وهو هدل بفتح الدال والهاء كانه مصدر هدل هدلا اذا استرخت شفته وذكره الامير ابن ماكولا عن أبى عبدة النسابة فقال فيه هدل بسكون الدال وذكر فيه بن التومان على وزن فعلان كانه من لفظ التوم وهو الدر أو نحوه وفيه ابن السبط بكسر السين وفيه بن تنحوم بفتح التاء وسكون النون والحاء المهملة وهو عبرانى وكذلك عازر وعزرى بكسر العين من عزرى وقاهت وبالتاء المنقوطة باثنتين وهكذا وقع فى نسخة الشيخ أبى بحر وفى غيرها بالثاء المثلثة وكلها عبرانية وكذلك اسرائيل وتفصيله بالعربية سرى الله * وقوله فى شعر خالد بن عبد العزى * أصحى أم قد نهاه ذكره * الذكر جمع ذكرة كما تقول بكرة وبكر والمستعمل فى هذا المعنى ذكرى بالالف وقلما يجمع فعلى على فعل وانما يجمع على فعال فان كان أراد فى هذا البيت جمع ذكرى وشبه ألف التانيث بهاء التأنيث فله وجه قد يحملون الشيء على الشيء اذا كان فى معناه * وقوله ذكرك الشباب أو عصره أراد أو عصره والعصر والعُصر لغتان وحرك الصاد بالضم قال ابن جنى ليس شيء على وزن فعل بسكون العين يمتنع فيه فعل * وقوله انها حرب رباعية مثل أى ليست بصغيرة ولا جذعة بل هى فوق ذلك وضرب سن الرباعية مثلا كما يقال حرب عوان لان العوان أقوى من الفتية وأدرب * وقوله عدوا مع الزهره يريد صبحهم بغلس قبل مغيب الزهرة * وقوله أبدانها ذفره يعنى الدروع وذفرة من الذفر وهى سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة واما الدفر بالدال المهملة فانما هو فيما كره من الروائح ومنه قيل للدنيا أم دفر وذكره القالى فى الامالى بتحريك الفاء وغلّط فى ذلك والدفر بالسكون أيضاً الدفع * وقوله أم النجره جمع ناجر والناجر والنجار بمعنى واحد وهذا كما قيل المناذرة فى بنى المنذر والنجار وهم تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج وسمى النجار لانه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب * وقوله فيهم قتلى وان تره أظهر ان بعد الواو وأراد ان لنا قتلى وترة والترة الوتر فأظهر المضمر وهذا البيت شاهد على ان حروف العطف يضمر بعدها العامل المتقدم نحو قولك ان زيدا وعمرا فى الدار فالتقدير ان زيدا وان عمرا فى الدار ودلت الواو على ما أردت وان احتجت الى الاظهار أظهرت كما فى هذا البيت الا أن تكون الواو الجامعة فى نحو اختصم زيد وعمرو فليس ثم اضمار لقيام الواو مقام صيغة التثنية كانك قلت اختصم هذان وعلى هذا تقول طلع الشمس والقمر فتغلب المذكر كانك قلت طلع هذان النيران فان جعلت الواو هى التى تضمر بعدها الفعل قلت طلعت الشمس والقمر وتقول فى نفى المسئلة الاولى ما طلع الشمس والقمر وفى نفى المسئلة الثانية ما طلعت الشمس ولا القمر تعيد حرف النفى لينتفى به الفعل المضمر ويتفرع من هذا الاصل فى النحو مسائل كثيرة لا نطول بذكرها * وقوله فتلقتهم مسايفة بكسر الياء أى كتيبة مسايفة ولو فتحت الياء فقلت مسايفة لكان حالا من المصدر التى تكون أحوالا مثل كلمته مشافهة ولعل

مدها كالغبية النثره

فيهم عمرو بن طلة ملـ * ـى الاله قومه عمره

سيد سام الملوك ومن * رام عمرا لا يكن قدره

وهذا الحى من الانصار يزعمون انه انما كان حنق تبع على هذا الحى من يهود الذين كانوا بين أظهرهم وانما أراد هلاكهم فمنعوهم منه حتى انصرف عنهم ولذلك قال فى شعره

حنقا على سبطين حلا يثربا * أولى لهم بعقاب يوم مفسد

«قال ابن هشام» الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع فذلك الذى منعنا من اثباته * قال ابن اسحق وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه الى مكة وهى طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عفان وامج أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد فقالوا له أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده أهله و يصلون عنده وانما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك و بغى عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل الى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له ما أراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتا لله اتخذه فى الارض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا قال فماذا تأمرانى أن أصنع اذا أنا قدمت عليه قالا تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذلل له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكما أنتما من ذلك اخرا به قالا أما والله انه لبيت أبينا ابراهيم وانه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا و بينه بالاوثان التى نصبوها حوله و بالدماء التى يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك أو كما قالا له فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس و يطعم أهلها و يسقيهم العسل وأرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه

هذه الحال ان يكون لها ذكر فى الكتاب فنكشف عن سرها ونبين ما خفى على الناس من أمرها وفى غير نسخة الشيخ فتلقتهم مسابقة بالباء والقاف والغبية الدفعة من المطر * وقوله النثره أى المنتثرة وهى التى لا تمسك ماء * وقوله الاله من قولهم تمليت حينا أى عشت معه حينا وهو مأخوذ من الملاوة والملوين قال ابن أحمر

ألا يا ديار الحى بالسبعان * أمل عليها بالبلى الملوان

ألا يا ديار الحى لا هجر بيننا * ولكن روعات من الحدثان

نهار وليل دائب ملواهما * على كل حال الناس يختلفان

معنى قول الشاعر دائب ملواهما والملوان الليل والنهار وهو مشكل لان الشىء لا يضاف الى نفسه لكنه جازها هنا لان الملا هو المتسع من الزمان والمكان وسمى الليل والنهار ملوين لانفساحهما فكانه وصف لهما لا عبارة عن ذاتيهما ولذلك جازت اضافته اليهما فقال دائب ملواهما أى مداهما وانفساحهما وقد رأيت معنى هذا الكلام فى هذا البيت بعينه لابى على الفسورى فى بعض مسائله الشيرازية * وقوله لا يكن قدره دعاء عليه والهاء عائدة على عمرو أراد لا يكن قدر عليه وحذف حرف الجر فتعدى الفعل فنصب ولا يجوز حذف حرف الجر فى كل فعل وانما جاز فى هذا لانه فى معنى استطاعه أو أطاعه فحمل على ما هو فى معناه ونظائره كثيرة * والبيت الذى أنشده

ليت حظى من أبى كرب * ان يسد خيره خبله

قال البرقى نسب هذا البيت الى الاعشى ولم يصح قال وانما هو لعجوز من بنى سالم أحسبه قال فى اسمها جميلة قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع فدخل سرا فقال لقومه قد جاء تبع فقالت العجوز البيت * وقوله فى حديث تبع وقوم يزعمون ان حنقه انما كان على هذين السبطين من يهود يقوى ما ذكرناه قبل هذا عنه * والشعر الذى زعم ابن هشام انه مصنوع قد ذكره فى كتاب التيجان وهو قصيد مطول أوله

ما بال عينك لا تنام كأنما * كحلت مآقيها بسم الاسود

حنقاً على سبطين حلا يثربا * أولى لهم بعقاب يوم مفسد

وذكر فى القصيدة ذا القرنين وهو الصعب بن ذى مراثد فقال فيه

ولقد أذل الصعب صعب زمانه * وأناط عروة عزه بالفرقد

لم يدفع المقرور عنه قوة * عند المنون ولا سموّ المحتد

والصنعة بادية فى هذا البيت وفى أكثر شعره وفيه يقول

فاتى مغار الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثاط حرمد

والخلب الطين والثاط الحرمد وهو الحمأ الاسود وروى نقلة الاخبار ان تبعاً لما عمد الى البيت يريد

الخصف ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دما ولا ميتة ولا مئلاثا وهى المحائض وجعل له بابا ومفتاحا فقالت سبيعة بنت الاجب بن زبينة بن جذيمة بن عوف بن نصر بن معاوية بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة لابن لها منه يقال له خالد تعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغى فيها وتذكر تبعا وتذلله لها وما صنع بها

أبنى لا تظلم بمكـ * ـة لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بـ * ـنى ولا يغرنك الغرور
أبنى من يظلم بمـ * ـكة يلق أطراف الشرور
أبنى يضرب وجهه
ويلج بخديه السعير
أبنى قد جربتها
فوجدت ظالمها يبور
الله آمنها وما
بنيت بعرصتها قصور
والله آمن طيرها
والعصم تأمن فى ثبير
ولقد غزاها تبع
فكسا بنيتها الحبير
واذل ربى ملكه
فيها فاوفى بالنذور
يمشى اليها حافيا
بفنائها ألفا بعير
ويظل يطعم أهلها
لحم المهارى والجزور
يسقيهم العسل المصفى
والرحيض من الشعير
والفيل أهلك جيشه
يرمون فيها بالصخور
والملك فى أقصى البلا
دوفى الاعاجم والخدير
فاسمع اذا حدثت وافـ
ـهم كيف عاقبة الامور

«قال ابن هشام» يوقف على قوافيها لا تعرب ثم خرج منها متوجها الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى اذا دخل اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فابوا عليه حتى يحاكموه الى النار التى كانت باليمن * قال ابن اسحق حدثنى أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى قال سمعت ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه خير من دينكم فقالوا فحاكمنا الى النار قال نعم قال وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه باوثانهم وما يتقربون به فى دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فذمرهم من حضرهم من الناس

اخرابه رمى بداء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا يثج ثجا وأنتن حتى لا يستطيع أحد ان يدنو منه قيد الرمح وقيل بل أرسلت عليه ريح كنعت منه يديه ورجليه وأصابتهم ظلمة شديدة حتى دفت خيلهم فسمى ذلك المكان الدف فدعا بالحزاة والاطباء فسألهم عن دائه فهالهم ما رأوا منه ولم يجد عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبران لعلك هممت بشىء فى أمر هذا البيت فقال نعم أردت هدمه فقالا له تب الى الله مما نويت فانه بيت الله وحرمه وأمراه بتعظيم حرمته ففعل فبرئ من دائه وصح من وجعه وأخلق بهذا الخبر أن يكون صحيحا فان الله سبحانه يقول ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم أى ومن يسهم فيه بظلم والباء فى قوله بظلم تدل على صحة المعنى وان من هم فيه بالظلم وان لم يفعل عذب تشديدا فى حقه وتعظيما لحرمته وكما فعل الله باصحاب الفيل أهلكهم قبل الوصول اليه * وقوله فكسى البيت الخصف جمع خصفة وهى شىء ينسج من الخوص والليف والخصف أيضا ثياب غلاظ والخصف لغة فى الخزف فى كتاب العين والخصف بضم الخاء وسكون الصاد هو الخوز ويروى ان تبعا لما كسى البيت المسوح والانطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه وفعل ذلك حين كساه الخصف فلما كساه الملاء والوصائل قبلها وممن ذكر هذا الخبر قاسم فى الدلائل واما الوصائل فثياب موصلة من ثياب اليمن واحدتها وصيلة * وقوله ولا تقربوه مئلات وهى المحائض لم يرد النساء الحيض لان حائضا لا يجمع على محائض وانما هى جمع محيضة وهى خرقة المحيض ويقال للخرقة أيضا مئلاة وجمعها المآلى قال الشاعر

كان مصفحات فى ذراه * وانواحا عليهن المآلى

وهى هنا خرق تمسكهن النواحات بايديهن فكان المئلات كل خرقة دنسة لحيض كانت أو لغيره ووزنها مفعلة من ألوت اذا قصرت وضيعت وجعلها صاحب العين فى باب الالية والالية فلام الفعل عنده ياء على هذا والله أعلم ويروى فى هذا الموضع مثلاثا بثاء مثلثة ومن قوله حين كسى البيت

وكسونا البيت الذى حرم الله * ملاء معضدا وبرودا
فاقمنا به من الشهر عشرا * وجعلنا لبابه اقليدا
ونحرنا بالشعب ستة الف * فترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه نؤم سهيلا * فرفعنا لواءنا معقودا

وقال القتيبى كانت قصة تبع قبل الاسلام بسبعمائة عام * وقوله بنت الاحب بالحاء المهملة ابن زبينة

وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما فأصفقت عند ذلك حمير على دينه فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن * قال ابن اسحق وقد حدثنى محدث ان الحبرين ومن خرج من حمير انما اتبعوا النار ليردوها وقالوا من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وتنكص عنهما حتى رداها الى مخرجها الذى خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما والله أعلم أى ذلك كان * قال ابن اسحق وكان رئام بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون اذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع انما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا اسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقاياه اليوم كما ذكر لى بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه فلما ملك ابنه حسان بن تبان أسعد أبى كرب سار باهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الاعاجم حتى اذا كانوا ببعض أرض العراق «قال ابن هشام» بالبحرين فيما ذكر لى بعض أهل العلم كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه وأرادوا الرجعة الى بلادهم وأهلهم فكلموا أخا له يقال له عمرو وكان معه فى جيشه فقالوا له اقتل أخاك حسان وتملك علينا وترجع بنا الى بلادنا فأجابهم فاجتمعوا لا على ذلك الا ذارعين الحميرى فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فقال ذو رعين

ألا من يشترى سهراً بنوم * سعيد من يبيت قرير عين
فاما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الاله لذى رعين

ثم كتبهما فى رقعة وختم عليها ثم أتى بها عمراً فقال له ضع لى هذا الكتاب عندك ففعل ثم قتل عمرو أخاه حسان ورجع بمن معه الى اليمن

بالزاى والباء والنون فعيلة من الزبن والنسب اليه زبانى على غير قياس ولو سمى به رجل لقيل فى النسب اليه زبنى على القياس قال سيبويه الاحب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب وأبو عبيدة يقوله بالجيم وانما قالت بنت الاحب هذا الشعر فى حرب كانت بين بنى السباق بن عبد الدار وبين بنى على بن سعد بن تميم حتى تفانوا ولحقت طائفة من بنى السباق بعك فهم فيهم قال وهو أول بغى كان فى قريش وقد قيل أول بغى كان فى قريش بغى الاقايش وهم بنو اقيش من بنى سهم بغى بعضهم على بعض فلما كثر بغيهم على الناس أرسل الله عليهم فأرة تحمل فتيلة فاحرقت الدار التى كانت فيها مساكنهم فلم يبق لهم عقب وقولها وكسى بنيتها الحبير تريد الحبرات والرحيض من الشعير أى المنقى والمصفى منه وقال ابن اسحق فى غير هذا الموضع أول من كسى الكعبة الديباج الحجاج وذكر جماعة سواه منهم الدارقطنى تنيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب كانت قد اضلت العباس صغيرا فنذرت ان وجدته ان تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته وكانت من بيت مملكة وسيأتى ذكر نسبها فيما بعد ان شاء الله وقال الزبير النسابة بل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير وذكر البيت الذى كان لهم يقال له رئام وهو فعال من رأمت الانثى ولدها ترأمه رئما ورئاما اذا عطفت عليه ورحمته فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسون فى عبادته والله أعلم وفى رواية يونس عن ابن اسحق ان رئاما كان فيه شيطان وكانوا يملؤن له حياضا من دماء القربان فيخرج فيصيب منها ويكلمهم وكانوا يعبدونه فلما جاء الحبران مع تبع نشرا التوراة عنده وجعلا يقرآنها فطار ذلك الشيطان حتى وقع فى البحر وقوله فى حديث عمرو وأخى حسان وهو الذى كان يقال له موثبان وقد تقدم لم لقب بذلك وقول ذى رعين له فى البيتين

ألا من يشترى سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين

معناه أمن يشترى وحسن حذف ألف الاستفهام ههنا لتقدم همزة ألا كما حسن فى قول امرىء القيس .

أحار ترى برقا أريك وميضه .

أراد أترى وفى البيت حذف تقديره بل من يبيت قرير عين هو السعيد فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه وفى كتاب ابن دريد سعيد أم يبيت بحذف من وهذا من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه لان من ههنا نكرة موصوفة ومثله قول الراجز

لو قلت ما فى قومها لم تيثم * يفضلها فى حسب وميثم

أى من يفضلها وهذا انما يوجد فى الكلام اذا كان الفعل مضارعا لا ماضيا قاله ابن السراج وغيره وذو رعين تصغير رعن والرعن أنف الجبل ورعين جبل باليمن قاله صاحب العين واليه ينسب ذو رعين وقوله فى الابيات بعد هذا لاه من رأى مثل حسان أراد لله وحذف لام الجر واللام الاخرى مع ألف الوصل وهذا حذف كثير ولكنه جاز فى هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الالسنة ومثل قول الفراء .

لهنك من برق على "كريم أراد والله انك وقال بعضهم أراد لانك وابدل الهمزة هاء وهذا بعيد لان اللام

فقال رجل من حمير

لاه عينا الذى رأى مثل حسا * ن قتيلا فى سالف الاحقاب
قتلته مقاول خشية الحبـ * ـس غداة قالوا لباب لباب
ميتكم خيرنا وحيكم * رب علينا وكلكم أرباب

قال ابن اسحق وقوله لباب لباب لاباس لاباس بلغة حمير «قال ابن هشام» ويروى لباب لباب * قال ابن اسحق فلما نزل عمرو بن تبان اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فلما جهده ذلك سال الاطباء والحزاة من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم انه والله ماقتل رجل قط أخاه أوذا رحمه بغيا على مثل ماقتلت أخاك عليه الاذهب نومه وسلط عليه السهر فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن حتى خلص الى ذى رعين فقال له ذو رعين ان لى عندك براءة فقال وماهى قال الكتاب الذى دفعت اليك فاخرجه فاذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم فقال قائل من حمير للخنيعة

تقتل ابناها وتنفى سراتها * وتبنى بايديها الذل حمير
تدمر دنياها بطيش حلومها * وما ضيعت من دينها فهو أكثر
كذاك القرون قبل ذاك بظلمها * واسرافها تاتى الشرور فتخسر

وكان لخنيعة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل الى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه فى مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك الى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكا فجعله فى فيه ليعلمهم انه قد فرغ منه حتى بعث الى زرعة ذى نواس بن تبان أسعد أخى حسان وكان صبيا صغيرا حين قتل حسان ثم شب غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل فلما أتاه رسوله عرف مايريد منه فاخذ سكينا جديدا لطيفا فخباه بين قدمه ونعله ثم أتاه فلما خلا معه وثب اليه فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حز رأسه فوضعه فى الكوة التى كان يشرف منها ووضع مسواكه فى فيه ثم خرج على الناس فقالوا له ذا نواس أرطب أم يباس فقال سل نحماس استرطبان ذو نواس استرطبان لاباس

لاتجمع مع ان الا ان تؤخر اللام الى الخبر لانهما حرفان مؤكدان وليس انقلاب الهمزة هاء بمزيل العلة المانعة من اجتماعهما وقوله قتلته المقاول يريد الاقيال وهم الذين دون التبابعة واحدهم قيل وأصله قيل مثل سيد ثم خفف واستعمل بالياء فى افراده وجمعه وان كان أصله الواو لان معناه الذى يقول يسمع قوله ولكنهم كرهوا ان يقولوا اقوال فيلتبس بجمع قول كما قالوا عيد وأعياد وان كان من عاد يعود لكن اماتوا الواو فيه اماتة كى لا يشبه جمع العود واذا أرادوا احياء الواو فى جمع قيل قالوا مقاول كانه جمع مقول أو جمع مقال ومقالة فلم يبعدوا من معنى القول وأمنوا اللبس وقد قالوا محاسن ومذاكر لا واحد لها من لفظها وكانهم ذهبوا أيضا فى مقاول مذهب المرازب وهم ملوك العجم والله اعلم على انهم قالوا أقيال وأقوال ولم يقولوا فى جمع عيد الا أعياد ومثل عيد وأعياد ريح وارياح فى لغة بنى أسد وقد صرفوا من القيل فعلا وقالوا اقال علينا فلان أى ملك والقيالة الامارة ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى تسبيحه الذى رواه الترمذى سبحان الذى لبس العز وقال به أى ملك به وقهر كذا فسره الهروى فى الغريبين

خبر لخنيعة وذى نواس

وقال فيه بن دريد لخيعة وقال هو من اللخع وهو استرخاء فى الجسم وذو شناتر الشناتر الاصابع بلغة حمير واحدها شنترة وذو نواس اسمه زرعة وهو من قولهم للغلام زرعك الله أى أنبتك وسموا بزارع كما سموا بنابت وقال الله تعالى «أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون» أى تنبتونه وفى مسند وكيع بن الجراح عن أبى عبد الرحمن الحبلى انه كان يكره ان يقول الرجل زرعت فى أرضى كذا وكذا الا ان الله هو الزارع وفى مسند البزار مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم النهى عن ذلك أيضا وقد تكلمنا على وجه هذا الحديث فى غير هذا الاملاء فقد جاء فى الصحيح مامن مسلم يغرس غرسا أو زرع زرعا الحديث وفى كتاب الله تعالى أيضا قال «تزرعون سبع سنين دأبا» وسمى ذا نواس بغديرتين كانتا له تنوسان أى ظفيرتان من شعر والنوس الحركة والاضطراب فيما كان متعلقا قال الراجز

لو رأتنى والنعاس غالبى * على البعير نائسا ذباذبى

يريد ذباذب القميص وقال بن قتيبة أراد بالذباذب مذاكيره والاول أشبه بالمعنى وذكر قول ذى نواس للحرس حين قالوا له أرطب أم يباس واليباس واليبيس مثل الكبار والكبير فقال لهم سل نحماس والنحماس فى لغتهم هو الرأس كما ذكر ووقع فى نسخة أبى بحر التى قيدها على أبو الوليد الوقشى نخماس بنون وخاء منقوطة ولعل هذا هو الصحيح اذ يحتمل ان يكون النخماس فى لغتهم هو الرأس ثم صحف وقيده كراع بالتاء المنقوطة باثنتين من فوق والحاء المهملة فيما ذكر لى وقوله استرطبان الى آخر الكلام مشكل يفسره ماذكره أبو

«قال ابن هشام» هذا كلام حمير وتحماس الرأس فنظروا الى الكوة فاذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجوا فى أثر ذى نواس حتى أدركوه فقالوا ماينبغى أن يملكنا غيرك اذأرحتنامن هذا الخبيث فملكوه واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير وتسمى يوسف فاقام فى ملكه زمانا وبنجران بقايامن أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الانجيل أهل فضل واستقامة من أهل دينهم لهم رأس يقال له عبدالله بن الثامر وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران وهى باوسط أرض العرب فى ذلك الزمان وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها وذلك ان رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه فدانوامنه * قال ابن اسحق فحدثنى المغيرة بن أبى لبيد مولى الاخنس عن وهب بن منبه اليمانى انه حدثهم ان موقع ذلك الدين بنجران كان ان رجلامن بقاياأهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون وكان رجلاصالحاًمجتهدازاهدا فى الدنيامجاب الدعوة وكان سائحاًينزل بين القرى لا يعرف بقرية الاخرج منهاالى قرية لايعرف بها وكان لاياكل الامن كسب يديه وكان بناء يعمل الطين وكان يعظم الاحد فاذا كان يوم الاحدلم يعمل فيه شيئاوخرج الى فلاة من الارض فصلى بها حتى يمسى قال وكان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياًففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح فاحبه صالح حبا لم يحبه شيئا كان قبله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة فى يوم الاحد الى فلاةمن الارض كما كان يصنع وقد أتبعه صالح وفيميون لايدرى فجلس صالح منه منظر العين مستخفيامنه لايحب أن يعلم بمكانه وقام فيميون يصلى فبيناهو يصلى اذ اقبل نحوه التنين الحية ذات الرؤس السبعة فلمارآها فيميون دعاعليهافماتت ورآها صالح ولم يدرماأصابهافخافها عليه فعيل عولة فصرخ يافيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منهاوأمسى فانصرف وعرف انه قد عرف وعرف صالح انه قد رأى مكانه فقال فيميون تعلم والله انى ماأحببت شيأ قط حبك وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيث كنت فقال ماشئت أمرى كماترى فان علمت انك تقوى عليه فنعم فلزمه صالح وقد كادأهل القرية يفطنون لشأنه وكان اذافاجأه العبد به الضر دعاله فشفى واذا دعى الى أحد به ضرلم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شان فيميون فقيل له انه لا ياتى أحدادعاه ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالاجر فعمد الرجل الى ابنه ذلك باتم فوضعه فى حجرته وألقى عليه ثوباثم جاءه فقال له يافيميون انى قد أردت ان أعمل فى بيتى عملافانطلق معى اليه حتى تنظراليه فاشارطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له ماتريدأن تعمل من بيتك هذاقال كذاوكذاثم انتشط الرجل الثوب عن الصبى ثم قال له يافيميون عبد من عباد الله أصابه ماترى فادع الله له فدعاله فيميون فقام الصبى ليس به بأس وعرف فيميون انه قد عرف فخرج من القرية وأتبعه صالح فبينما هو يمشى فى بعض الشام اذمر بشجرة عظيمة فناداه منهارجل فقال يافيميون قال نعم قال مازلت أنظرك وأقول متى هوجاءحتى سمعت صوتك فعرفت انك هو لا تبرح حتى تقوم على فانى ميت الآن قال فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب فعدواعليهما فاختطفتهماسيارة من بعض العرب فخرجوابهماحتى باعوهما بنجران وأهل نجران يومئذعلى دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لهاعيدفى كل سنة اذا كان ذلك العيد علقواعليها كل ثوب حسن وجدوه وحلى النساء ثم خرجوا اليهافعكفوا عليها يوما فابتاع فيميون رجل من أشرافهم وابتاع صالحاً آخر فكان فيميون اذا قام من الليل يتهجد فى بيت له أسكنه اياه سيده يصلى استسرج له البيت نوراحتى يصبح من غيرمصباح فرأى ذلك سيده فاعجبه مايرى منه فسأله عن دينه فأخبره به فقال له فيميون انماأنتم فى باطل ان هذه النخلة لاتضر ولاتنفع ولودعوت عليهاإلهى الذى أعبده أهلكهاوهو الله وحده لاشريك له قال فقال له سيده فافعل فانك ان فعلت دخلنا فى دينك وتركنا مانحن عليه قال فقام فيميون فتطهر وصلى ركعتين ثم دعاالله عليهافارسل الله عليهاريحاًفجعفتهامن أصلهافالقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ثم دخلت عليهم الاحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض

الفرج فى الاغانى قال كان الغلام اذاخرج من عند لخنيعة وقدلاط به قطعوامشافرناقته وذنبها وصاحوابه أرطب أم يباس فلماخرج ذونواس من عنده وركب ناقة له يقال لها السراب قالوا ذانواس أرطب أم يباس فقال ستعلم الاحراس است ذى نواس است رطبان أم يباس فهذا اللفظ مفهوم والذى وقع فى الاصل هذا معناه ولفظه قريب من هذا ولعله تغيير فى اللفظ والله أعلم وكان ملك لخنيعة سبعا وعشرين سنة وملك ذونواس بعده ثمانيا وستين سنة قاله ابن قتيبة

حديث فيمؤن

ويذكرعن الطبرى انه قال فيه قيمؤن بالقاف وشك فيه وقال القتبى فيه رجل من آل جفنة من غسان جاءهم من الشام فحملهم على دين عيسى عليه السلام ولم يسمه وقال فيه النقاش اسمه يحيي وكان أبوه ملكافتوفى وأرادقومه ان يملكوه بعدأبيه ففر من الملك ولزم السياحة وذكر الطبرى قصة الرجل الذى دعالابنه فشفى

فمن هنالك كانت النصرانية بنجران فى أرض العرب *قال ابن اسحاق فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى وحدثنى أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان وكان فى قرية من قراها قريبا من نجران ونجران القرية العظمى التى اليها جماع أهل تلك البلاد ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيميون ولم يسموه لى باسمه الذى سماه به وهب بن منبه قالوا رجل نزلها ابتنى خيمة بين نجران و بين تلك القرية التى بها الساحر فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث اليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران فكان. اذا مر بصاحب الخيمة أعجبه مايرى منه من صلاته وعبادته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه اياه فقال يا ابن أخى انك لن تحمله أخشى عليك ضعفك عنه والثامر أبو عبد الله لا يظن الا أن ابنه يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد الى قداح فجمعها ثم لم يبق لله اسما يعلمه الا كتبه فى قدح لكل اسم قدح حتى اذا أحصاها أوقد لها نارا ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى اذا مر بالاسم الاعظم قذف به فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيئا فاخذه ثم أتى صاحبه فاخبره بانه قد علم الاسم الذى كتمه فقال وما هو قال هو كذا وكذا قال وكيف علمته فاخبره بما صنع قال أى ابن أخى قد أصبته فامسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن الثامر اذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر الا قال يا عبد الله أتوحد الله وتدخل فى دينى وادعو الله فيعافيك مما انت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله و يسلم و يدعو له فيشفى حتى لم يبق بنجران احد به ضر الا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفى حتى رفع شانه الى ملك نجران فدعاه فقال أفسدت

باتم مما ذكرها ابن اسحق قال فيمؤن حين دخل مع الرجل وكشف له عن ابنه اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك فى نعمتك ليفسدها عليه فاشفه وعافه وامنعه منه فقام الصبى ليس به باس فتبين من هذا ان الصبى كان مجنونا لقوله دخل عليه عدوك يعنى الشيطان وليس هذا فى حديث ابن اسحق وذكر ابن اسحق فى الرواية الاخرى عن محمد بن كعب القرظى وعن بعض أهل نجران وماذكروه من خبر فيمؤن قال ولم يسموه لى بالاسم الذى سماه ابن منبه «قال المؤلف رحمه الله» يحتمل انهم سموه يحيي وهو الاسم الذى تقدم ذكره وما قاله النقاش والقتبى وفيه ذكر قرية نجران فى هذا الحديث ونجران اسم رجل كان أول من نزلها فسميت به وهو نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان قاله البكرى وذكر أصحاب الاخدود وما أنزل الله تعالى فيهم وقد روى ابن سنجر عن جبير بن نفير قال اللذين خددوا الاخدود ثلاثة تبع صاحب اليمن وقسطنطين بن هلانى وهى أمه حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح الى عبادة الصليب وبخت نصر من أهل بابل حين أمر الناس ان يسجدوا اليه فامتنع دانيال وأصحابه فالقاهم فى النار فكانت بردا وسلاما عليهم وحرق الذين بغوا عليهم

﴿خبر ابن الثامر﴾

وذكر فيه الاسم الاعظم وقول الراهب له انك لن تطيقه أى لن تطيق شروطه والانتهاض بما يجب من حقه وقد قيل فى قول الله تعالى « وقال الذى عنده علم من الكتاب » انه أوتى الاسم الاعظم الذى اذا دعى الله به أجاب وهو آصف بن برخيا فى قول أكثرهم وقيل غير ذلك وأعجب ماقيل فيه انه ضبة بن أد بن طابخة قاله النقاش ولا يصح وهى مسئلة اختلف فيها العلماء فذهبت طائفة الى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى وقالوا لا يجوز ان يكون اسم من أسمائه أعظم من الاسم الآخر وقالوا اذا أمر فى خبر أو أثر ذكر الاسم الاعظم فمعناه العظيم كما قالوا انى لاوجل أى وجلا وكما قال بعضهم فى أكبر من قولك الله أكبر ان أكبر بمعنى كبير وان لم يكن قول سيبويه وذكروا ان أهون بمعنى هين من قوله عز وجل وهو أهون عليه وأكثروا الاستشهاد على هذا ونسب أبو الحسن بن بطال هذا القول الى جماعة منهم ابن أبى زيد والقابسى وغيرهما ومما احتجوا به أيضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليحرم العلم بهذا الاسم وقد علمه من هو دونه من ليس بنبى ولم يكن ليدعو حين اجتهد فى الدعاء لامته ألا يجعل باسهم بينهم وهو رؤف بهم عزيز عليه عنتهم الا بالاسم الاعظم ليستجاب له فيه فلما منع ذلك علمنا انه ليس اسم من اسماء الله الا وهو كسائر الاسماء فى الحكم والفضيلة يستجيب الله اذا دعى ببعضها ان شاء ويمنع اذا شاء وقال الله سبحانه «قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى» وظاهر هذا الكلام التسوية بين اسمائه الحسنى وكذلك ذهب هؤلاء وغيرهم من العلماء الى انه ليس شىء من كلام الله تعالى افضل من شىء لانه كلام واحد من رب واحد فيستحيل التفاضل فيه «قال الشيخ الفقيه الحافظ ابو القاسم عفا الله عنه» وجه استفتاح الكلام معهم ان يقال هل

يستحيل هذا عقلا أم يستحيل شرعا ولا يستحيل عقلا ان يفضل الله سبحانه عملا من البر على عمل وكلمة من الذكر على كلمة فان التفضيل راجع الى زيادة الثواب ونقصانه وقد فضلت الفرائض على النوافل باجماع وفضلت الصلاة والجهاد على كثير من الاعمال والدعاء والذكر عمل من الاعمال فلا يبعد ان يكون بعضه اقرب الى الاجابة من بعض واجزل ثوابا فى الآخرة من بعض والاسماء عبارة عن المسمى وهى من كلام الله سبحانه القديم ولا نقول فى كلام الله هو هو ولا هو غيره كذلك لا نقول فى اسمائه التى تضمنها كلامه انها هو ولا هى غيره فان تكلمنا نحن [بها] بالسنتنا المخلوقة والفاظنا المحدثة فكلامنا عمل من اعمالنا والله سبحانه وتعالى يقول «والله خلقكم وما تعملون» وقبحا للمعتزلة فانهم زعموا ان كلامه مخلوق فاسماؤه على أصلهم الفاسد محدثة غير المسمى بها وسووا بين كلام الخالق وكلام المخلوق فى الغيرية والحدوث واذا ثبت هذا وصح جواز التفضيل بين الاسماء اذا دعونا بها فكذلك القول فى تفضيل السور والآى بعضها على بعض فان ذلك راجع الى التلاوة التى هى عملنا لا الى المتلو الذى هو كلام ربنا وصفة من صفاته القديمة وقد قال صلى الله عليه وسلم لأبى أى آية معك فى كتاب الله أعظم فقال «الله لا اله الا هو الحى القيوم» فقال ليهنك العلم أبا المنذر ومحال ان يريد بقوله أعظم معنى عظيم لان القرآن كله عظيم فكيف يقول له أى آية فى القرآن عظيمة وكل آية فيه عظيمة كذلك وكل ما استشهدوا به من قولهم أكبر بمعنى كبير وأهون بمعنى هين باطل عند حذاق النحاة ولولا ان نخرج عما نحن بصدده لاوضحنا بطلانه بما لا قبل لهم به ولو كان صحيحا فى العربية ما جاز ان يحمل عليه قوله أى آية معك فى كتاب الله أعظم لان القرآن كله عظيم وانما سأله عن الاعظم منه والافضل فى ثواب التلاوة وقرب الاجابة وفى هذا الحديث دليل أيضاً على ثبوت الاسم الاعظم وان لله اسما هو أعظم أسمائه ومحال ان يخلو القرآن عن ذلك الاسم والله تعالى يقول «مافرطنا فى الكتاب من شىء» فهو فى القرآن لا محالة وما كان الله ليحرمه محمدا وأمته وقد فضله على الانبياء وفضلهم على الامم فان قلت فاين هو فى القرآن فقد قيل انه أخفى فيه كما أخفيت الساعة فى يوم الجمعة وليلة القدر فى رمضان ليجتهد الناس ولا يتكلوا «قال الفقيه الحافظ أبو القاسم رضى الله عنه» فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى أى آية معك فى كتاب الله أعظم ولم يقل أفضل اشارة الى الاسم الاعظم انه فيها اذ لا يتصور ان تكون هى أعظم آية ويكون الاسم الاعظم فى أخرى دونها بل انما صارت أعظم الآيات لان الاسم الاعظم فيها الا ترى كيف هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا بما أعطاه الله تعالى من العلم وما هنأه الا بعظيم بان عرف الاسم الاعظم والآية العظمى التى كانت الامم قبلنا لا يعلمه منهم الا الافراد عبد الله بن الثامر وآصف صاحب سليمان عليه السلام وبلعوم قبل ان يتبعه الشيطان فكان من الغاوين وقد جاء منصوصا فى حديث أم سلمة رضى الله عنها الذى خرجه الترمذى وأبو داود وروى أيضا عن اسماء بنت يزيد وكنيتها أم سلمة فلعل الحديث واحد انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى هاتين الآيتين «الله لا اله الا هو الحى القيوم» و «الم الله لا اله الا هو الحى القيوم (١)» . وقال سبحانه «هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين» الآية أى فادعوه بهذا الاسم ثم قال «الحمد لله رب العالمين» تنبيها لنا على حمده وشكره اذ علمنا من هذا الاسم العظيم ما لم نكن نعلم فان قلت فقد روى أبو داود والترمذى أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا وهو [زيد] ابو عياش الزرقى ذكر اسمه الحرث بن أبى اسامة فى مسنده يقول اللهم انى أسالك بان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام فقال لقد دعا

---

١) فى الثانية هكذا : والهكم إله واحد . والله لا إله الا هو الحى القيوم .

علىّ اهل قريتى وخالفت دينى ودين آبائى لامثلن بك قال لا تقدر على ذلك قال فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع الى الارض ليس به بأس وجعل يبعث به الى مياه بنجران بحور لا يقع فيها شىء الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر انك والله لن تقدر على قتلى حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فانك ان فعلت ذلك سلطت على فقتلتنى قال فوحد الله تعالى ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله ثم هلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وكان على ما جاء به عيسى صلى الله عليه وسلم من الانجيل وحكمه ثم أصابهم مثل ما أصاب اهل دينهم من الاحداث فمن هنالك كان اصل النصرانية بنجران والله أعلم بذلك * قال ابن اسحق فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض اهل نجران عن عبد الله بن الثامر والله اعلم اى ذلك كان فسار

الله باسمه الاعظم و يروى انه قال له فى هذا الحديث غفر الله له غفر الله له و روى الترمذى نحو هذا فيمن قال اللهـم انى أسالك فانك الله الذى لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم تلد ولم تولد وهذا معارض لحديث أم سلمة قلنا لا معارضة بين هذا و بين ما تقدم فانا لم نقل ان الاسم الاعظم هو الحى القيوم بل الحى القيوم صـفتان تابعتان للاسم الاعظم وتتميم لذكره وكذلك المنان وذو الجلال والاكرام فى حديث أبى داوود وقد خرجه الترمـذى أيضا فى الدعوات وكذلك الاحد الصمد فى حديث الترمذى وقولك الله لا اله الا هو هو الاسم لانه لا سمى له ولم يتسم به غـيره وقد قال بعض العلماء فى التسعة والتسعين اسما انها كلها تابعة للاسم الذى هو الله وهو تمام المائة فهى مائة على عدد درج الجنة اذ قد ثبت فى الصحيح انها مائة درجة بـين كل درجتين مسـيرة مائة عام وقال فى الاسماء من أحصاها دخل الجنة فهى على عـدد درج الجنة واسماؤه تعالى لا تحصى وانما هذه الاسماء هى المفضلة على غيرها والمذكورة فى القرآن يدل على ذلك قوله فى الصحيح أسالك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعـلم و وقع فى جامع ابن وهب سبحانك لا أحصى أسماءك ومما يدل على انه الاسم الاعظم انك تضيف جميع الاسماء اليه ولا تضيفه اليها تقول العزيز اسم من أسماء الله ولا تقول الله اسم من أسماء العزيز وفخمت اللام من اسمه وان كانت لا تفخم لام فى كلام العرب الا مع حروف الاطباق نحو الطلاق ولا تفخم لام فى شىء من أسمائه ولا شىء من الحروف الواقعة فى أسمائه التى ليست بمستعلية الا فى هذا الاسم العظيم المنتظم من الف ولامين وهاء فالالف من مبدأ الصوت والهاء راجعة الى مخرج الالف فشاكل اللفظ المعنى وطابقه لان المسمى بهذا الاسم منه المبدأ واليه المعاد والاعادة أهون من الابتداء عنـد المخاطبين فـكذلك الهاء أخف وألين فى اللفظ من الهمزة التى هى مبدأ الاسم أخبرت بهذا الـكلام أو نحوه فى الاسم وحروفه عن ابن فورك رحمه الله ذكره أبو بكر شيخنا فى كتاب شرح الاسماء الحسنى له (فان قيل) فاين ما ذكروه عن الاسم الاعظم وانه لا يدعى الله به الا أجاب ولا يسئل به شيئاً الا أعطاه (قلنا) عن ذلك جوابان أحدهما ان هـذا الاسم كان عند من كان قبلنا اذا علمه مصونا غير مبتـذل معظما لا يمسـه الا الطاهر ولا يلفظ به الا طاهر ويكون الذى يعرفه عامـلا بمقتضاه متألها مخبتا قد امتـلا قلبـه بعظمة المسمى به لا يلتفت الى غـيره ولا يخاف سواه فلما ابتـذل وتـكلم به فى معرض البطالات والهزل ولم يعمل بمقتضاه ذهبت من القلوب هيبته فلم يـكن فيه من سرعة الاجابة وتعجيل قضاء الحاجـة للداعى ما كان قبل ألا ترى قول أيوب عليه السلام فى بلائه قد كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيـذكران الله يعنى فى تنازعهما أى تخاصمهما فارجع الى بيتى فاكفر عنهما كراهة ان يذكر الله الا فى حق وفى الحديث عن النبى صـلى الله عليه وسـلم كرهت ان أذكر الله الا على طهر فقد لاح لك تعظيم الانبياء له (والجواب الثانى) ان الدعاء به اذا كان من القلب ولم يكن بمجرد اللسان استجيب للعبـد غير ان الاستجابة تنقسم كما قال عليه السـلام اما ان يعجل له ما سأل واما ان يدخر له وذلك خير مما طلب واما ان يصرف عنه من البلاء بقدر ما سأل من الخير واما دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لامته الا يجعل بأسهم بينهم فمنعها فقـد أعطى عوضا لهم من ذلك الشفاعـة لهم فى الآخرة وقد قال أمتى هـذه أمة مرحومة ليس عليها فى الآخرة عذاب عذابها فى الدنيا الزلازل والفتن خرجـه أبو داود فاذا كانت الفتن سببا لصرف عذاب الآخرة عن الامة فما خاب دعاؤه لهم على انى تاملت هذا الحـديث وتاملت حديثـه الآخر حـين نزلت «قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقـكم» فقال أعوذ بوجهك فلما سمع «أو من تحت أرجلـكم» قال أعوذ بوجهـك فلما سمع «أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضـكم باس بعض» قال هـذه أهون فمن

اليهم ذو نواس بجنوده فدعاهم الى اليهودية وخـيرهم بين ذلك والقتـل فاختاروا القتل فخدلهم الاخـدود فحرق من حرق بالنار وقتل من قتل بالسيف ومثـل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا فقى ذى نواس

هاهنا والله أعلم أعيذت أمته من الاولى والثانية ومنع الثالثة حين سألها بعد وقد عرضت هذا الكلام على رجل من فقهاء زماننا فقال هذا حسن جدا غير أنا لا ندرى أ كانت مسألته بعد نزول الآية أم لا فان كان بعد نزول الآية فاخلق بهذا النظر أن يكون صحيحا قلت له أليس فى الموطأ انه دعابها فى مسجد بنى معاوية وهو فى المدينة ولا خلاف ان سورة الانعام مكية فقال نعم وسلم واذعن للحق واقر به رحمه الله ﴿فصل﴾ وذكر من وجدان عبد الله فى خربة من خرب نجران يصدقه قوله تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء» الآية وما وجد فى صدر هذه الامة من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة كحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فانه وجد حين حفر معاوية العين صحيحا لم يتغير وأصابت الفأس أصبعه فدميت وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام [وعمرو بن الجموح] وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم استخرجته بنته عائشة [من قبره] حين رأته فى المنام فأمرها أن تنقله من موضعه فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير ذكره ابن قتيبة فى المعارف والاخبار بذلك صحيحة وقد قال عليه السلام ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء خرجه سليمان بن الاشعث وذكر أبو جعفر الداوودى فى كتاب الناسى(١) هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين وهى زيادة غريبة لم تقع [لى] فى مسند غير ان الداودى من أهل الثقة والعلم وفى المسند من طريق أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء أحياء يصلون فى قبورهم انفرد به ثابت البنانى عن أنس وقد روى ان ثابتا التمس فى قبره بعد مادفن فلم يوجد فذكر ذلك لبنته فقالت كان يصلى فلم تروه لانى كنت أسمعه اذا تهجد بالليل يقول اللهم اجعلنى ممن يصلى فى قبره بعد الموت وفى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مررت بموسى عليه السلام وهو يصلى فى قبره وحديث عبد الله بن الثامر انما رواه ابن اسحاق موقوفا على محمد بن كعب القرظى عن بعض أهل نجران ليصل به حديث فيمؤن وهو حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق ابن أبى ليلى عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أولى أن يعتمد عليه وهو يخالف حديث ابن اسحاق فى ألفاظ كثيرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث بهذا الحديث يعنى حديثاً تقدم قبل هذا الحديث يحدث بهذا الحديث الآخر قال كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يكهن له فقال الكاهن انظروا الى غلاما فهما او قال فطنا لقنا فاعلمه علمى هذا فانى أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه [قال فنظروا له غلاما] على ماوصف فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف اليه فجعل يختلف اليه وكان على طريق الغلام راهب فى صومعة قال معمر أحسب أن أصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين قال فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كل مامر به فلم يزل به حتى أخبره فقال انما أعبد الله قال فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطىء على الكاهن فارسل الكاهن الى أهل الغلام انه لا يكاد يحضرنى فاخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب اذا قال لك الكاهن أين كنت فقل كنت عند أهلى فاذا قال لك أهلك أين كنت فاخبرهم انك كنت عند الكاهن قال فبينما الغلام على ذلك اذ مر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة فقال بعضهم ان تلك الدابة كانت أسدا فاخذ الغلام حجراً فقال اللهم ان كان مايقول الراهب حقا فاسئلك أن تقتله قال ثم رمى فقتل الدابة فقال الناس من قتلها فقالوا الغلام ففزع الناس وقالوا لقد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد قال فسمع به أعمى فقال له ان أنت رددت بصرى فلك كذا وكذا فقال له لا أريد منك هذا ولكن أرأيت ان رجع اليك بصرك اتؤمن بالذى رده قال نعم قال فدعا الله فرد عليه بصره فآمن الاعمى فبلغ الملك أمرهم فبعث اليهم فأتى بهم فقال

وجنده ذلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذهم عليها قعود وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد

---

(١) فى الثانية : النامى ولم أقف له على ذكر فليحرر

لاقتلن

(قال ابن هشام) الاخدود الحفر المستطيل فى الارض كالخندق والجدول ونحوه وجمعه أخاديد • قال ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة أحد بنى عدى بن عبد مناف بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر

من العراقية اللاتى يحيل لها * بين الفلاة و بين النخل أخدود

يعنى جدولا وهذا البيت فى قصيدة له قال و يقال لاثر السيف والسكين فى الجلد وأثر السوط ونحوه أخدود وجمعه أخاديد (قال ابن اسحق) ويقال كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رأسهم وامامهم (قال ابن اسحق) وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انه حدث أن رجلا من اهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا واضعا يده على ضربة فى رأسه ممسكا عليها بيده فاذا أخرت يده عنها تنبعث دما واذا أرسلت يده ردها عليها فامسكت دمها وفى يده خاتم مكتوب فيه ربى الله فكتب فيه الى عمر بن الخطاب يخبر بامره فكتب اليهم عمر رضى الله عنه أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذى كان عليه ففعلوا (قال ابن اسحق) وأفلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له فسلك الرمل فاعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذى نواس وجنوده فاخبره بما بلغ منهم فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثاره فقدم دوس على النجاشى بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمر عليهم رجلا منهم يقال له ارياط ومعه فى جنده أبرهة الاشرم فركب ارياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان وسار اليه ذو نواس فى حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه فلما رأى ذو نواس ما نزل به و بقومه وجه فرسه فى البحر ثم ضربه فدخل به

لاقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه فأمر بالراهب و بالرجل الذى كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله ثم قتل الآخر بقتلة أخرى ثم أمر بالغلام فقال انطلقوا به الى جبل كذا وكذا فالقوه من رأسه فانطلقوا به الى ذلك الجبل فلما انتهوا الى ذلك المكان الذى أرادوا أن يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل و يتردون منه حتى لم يبق منهم الا الغلام قال ثم رجع فامر به الملك أن ينطلقوا به الى البحر فيلقونه فيه فانطلق به الى البحر فغرق الله الذين كانوا معه وأنجاه فقال الغلام للملك انك لا تقتلنى حتى تصلبنى وترمينى وتقول اذا رميتنى بسم الله رب هذا الغلام قال فامر به فصلب ثم رماه فقال بسم الله رب هذا الغلام قال فوضع الغلام يده على صدغه حين رمى ثم مات فقال الناس لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد فانا نؤمن برب هذا الغلام قال فقيل للملك أجزعت ان خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك قال فخد أخدودا ثم ألقى فيه الحطب والنار ثم جمع الناس فقال من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه فى هذه النار فجعل يلقيهم فى ذلك الاخدود قال يقول الله سبحانه «قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود حتى بلغ العزيز الحميد» قال فاما الغلام فانه دفن قال فيذكر انه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل رواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن عبد الرزاق عن معمر ورواه مسلم عن هداب بن خالد عن حماد بن سلمة ثم اتفقا عن ثابت عن ابن أبى ليلى عن صهيب غير أن فى حديث مسلم ان الاعمى الذى شفى كان جليسا للملك وانه جاءه بعد ما شفى فجلس من الملك كما كان يجلس فقال من رد عليك بصرك قال ربى قال وهل لك رب غيرى فقال الله ربى و ربك فامر بالمنشار فجعل على رأسه حتى وقع شقاه وأمر بالراهب ففعل به مثل ذلك و زاد مسلم فى آخر الحديث قال فاتى بامرأة لتلقى فى النار ومعها صبى يرضع فقال لها الغلام يا أمه لا تجزعى فانك على الحق وذكر ابن قتيبة ان الغلام الرضيع كان من سبعة أشهر

﴿ حديث الحبشة ﴾

وذكر فيه دوسا ذا ثعلبان الذى أتى قيصر ودوس هو ابن تبع الذى قتله أخوه قاله ابن اسحاق فى غير رواية ابن هشام * وذكر فيه قيصر وكتابه للنجاشى وقيصر اسم علم لكل من ولى الروم وتفسيره بلسانهم البقير الذى بقر بطن أمه عنه وكان أول من تسمى به بقيرا فلما ملك وعرف به تسمى به كل من ملك بعده قاله المسعودى وانما كتب (بذلك) الى النجاشى لانه على دينه وكان أقرب الى اليمن منه وذكر غير ابن اسحاق ان ذا نواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن حين رأى أن لا قبل لهم به بعد أن استنفر جميع المقاول ليكونوا معه يدا واحدة عليهم فابوا الا أن يحمى كل واحد منهم حوزته على حدته فخرج اليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله على أن يسالموه ومن معه ولا يقتلوا أحدا فكتبوا الى النجاشى بذلك فامرهم أن يقبلوا ذلك منهم فدخلوا صنعاء ودفع اليهم المفاتيح وأمرهم أن يقبضوا ما فى بلاده من خزائن أمواله ثم كتب هو الى كل موضع من أرضه أن اقتلوا كل ثور أسود فقتل أكثر الحبشة فلما بلغ ذلك النجاشى وجه جيشا الى ابرهة

[وعليهم ارياط] وأمره أن يقتل ذا نواس ويخرب ثلث بلاده ويقتل ثلث الرجال ويسبي ثلث النساء والذرية ففعل ذلك ابرهة وابرهة بالحبشة هو الابيض الوجه وفى هذا قوة لقول من قال ان ابرهة هذا هو ابرهة بن الصباح الحميرى وليس بابى يكسوم الحبشى وان الحبشة كانوا قد أمروا ابرهة بن الصباح على اليمن وهذا القول ذكره ابن سلام فى تفسيره واقتحم ذو نواس البحر فهلك وقام بامره من بعده ذو جدن واسمه علس بن الحارث أخو سبيع بن الحرث والجدن حسن الصوت يقال انه أول من أظهر الغناء باليمن فسمى به وجدن أيضا مفازة باليمن زعم البكرى ان ذا جدن اليها ينسب فحارب الحبشة بعد ذى نواس فكسروا جنده وغلبوه على أمره ففر الى البحر كما فعل ذو نواس فهلك فيه وذكروا سبب منازعة ابرهة لارياط وان ذلك انما كان لان ابرهة بلّغ النجاشى انه استبد بنفسه ولم يرسل اليه من جباية اليمن شيئا فوجه ارياطا الى خلعه فعند ذلك دعاه ابرهة الى المبارزة كما ذكر ابن اسحاق وذكر الطبرى ان عتودة الغلام الذى قتل ارياطا والعتودة الشدة وقد قيل فى اسمه ارنجدة قال له ابرهة احتكم على قال أحتكم أن لا تزف امرأة الى بعلها حتى أكون أنا الذى ابدأ بها قبله ففعل ذلك ابرهة وغبر العبد زمانا يفعل ذلك فلما اشتد الغيظ باهل اليمن قتلوا عتودة غيلة فقال لهم الملك قد آنى لكم يا أهل اليمن أن تفعلوا فعل الاحرار وأن تغضبوا لحرمكم ولو علمت ان هذا العبد يسألنى هذا الذى سأل ما حكمته ولكن والله لا يؤخذ منكم فيه دية ولا تطلبون بذحل وحيثما وقع اسم ارياط فى رواية يونس لم يسمه بهذا الاسم انما سماه روزنة أو نحو هذا وذكر الطبرى أن سيف بن ذى يزن لما فعل ذو نواس بالحبشة ما فعل ثم ظفروا به بعث عظيمهم الى أبى مرة سيف بن ذى يزن فانتزع منه ريحانة بنت علقمة بن مالك وكانت قد ولدت له معدى كرب فملكها أبرهة وأولدها مسروق بن أبرهة وعند ذلك توجه سيف الى كسرى أنوشروان يطلب منه الغوث على الحبشة فوعده بذلك وأقام عنده سنين ثم مات وخلفه ابنه معدى كرب فى طلب الثار فادخل على كسرى فقال له من أنت فقال رجل يطلب ارث أبيه وهو وعد الملك الذى وعده به فسأل عنه كسرى أهو من بيت مملكة أم لا فاخبر انه من بيت ملك فوجه معه وهرز الفارسى فى سبعة آلاف وخمسمائة من الفرس وقال ابن اسحاق فى ثمانمائة غرق منهم مائتان وسلم ستمائة والقول الاول قول ابن قتيبة وهو أشبه بالصواب اذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة وان كان قد جمع اليهم من العرب كما ذكر ابن اسحاق ما جمع ثم ان معدى كرب بن سيف لما قتل الحبشة وملك هو ووهرز اليمن أقام فى ذلك نحو أربع سنين ثم قتلته عبيد له كان قد اتخذهم من أولئك الحبشة خرج بهم الى الصيد فزرقوه بحرابهم ثم هربوا فاتبعوا فقتلوا وتفرق أمر اليمن بعده الى مخالف عليها مقاول كملوك الطوائف لا يدين بعضهم لبعض الا ما كان من صنعاء وكون الابناء فيها حتى جاء الاسلام

﴿ فصل ﴾ واستشهد ابن هشام فى هذا الخبر على الاخدود ببيت ذى الرمة وهو غيلان بن عقبة بن بهيش بضم الباء والشين وسمى ذا الرمة ببيت قاله فى الوتد * أشعث باقى رمة التقليد * وقيل ان مية سمته بذلك وكان قد قال لها اصلحى لى هذا الدلو فقالت له انى خرقاء فولى وهى على عنقه برمتها فنادته يا ذا الرمة ان كنت خرقاء فان لى أمة صناعا فلذلك سماها بخرقاء كما سمته بذى الرمة

﴿ فصل ﴾ وقوله فخاض ضحضاح البحر الى غمره الضحضاح من الماء الذى يظهر منه القعر وكان أصله من الضح وهو حر الشمس كان الشمس تداخله لقلته فقلبت فيه احدى الحاءين ضادا كما قالوا فى ثرة ثرثاره وفى تملل تململ وهو قول الكوفيين من النحويين ولست أعرف أصلا يدفعه ولا دليلا يرده ويقال له أيضا

فخاض به ضحضاح البحر حتى أفضى به الى غمره فادخله فيه وكان آخر العهد به ودخل ارياط اليمن فملكها فقال رجل من أهل اليمن وهو يذكر ما ساق اليهم دوس من أمر الحبشة * لا كدوس ولا كاعلاق رحله * فهى مثل باليمن الى هذا اليوم

الرقراق والضهل وقد يستعار فى غير الماء كقول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمه أبى طالب حين سئل عنه فقال هو فى ضحضاح من النار ولولا مكانى لكان فى الطمطام وفى البخارى وجدته فى غمرة من النار فاخرجته الى الضحضاح والغمر هو الطمطام وأما قول ذى جدن * هونك لن يرد الدمع ما فاتا * هكذا روى هذا القسيم ناقصا قاله البرقى وقد روى عن ابن اسحاق من غير رواية ابن هشام هونكما لن يرد قال وهو من باب قول العرب للواحد افعلا وهو كثير فى القرآن والكلام وفيه

أبعد بينون لا عين ولا أثر * و بعد سلحين يبنى الناس أبياتا

فبينون وسلحين مدينتان خربهما ارياط كما ذكر قال البكرى فى كتاب معجم ما استعجم سميت بينون لانها كانت بين عمان والبحرين فهى اذاً على قوله فعلون من البين والياء أصلية وقياس النحويين يمنع من هذا لان الاعراب اذا كان فى النون لزمت الاسم الياء فى جميع أحواله كقنسرين وفلسطين ألا ترى كيف قال فى آخر البيت و بعد سلحين فكذلك كان القياس أن يقول على هذا أبعد بينين وعلى مذهب من جعله من العرب بالواو فى الرفع و بالياء فى الخفض والنصب يقول أيضا أبعد بينين وليس للعرب فيه مذهب ثالث فثبت انه ليس من البين انما هو فيعول والواو زائدة من ابن بالمكان و بن اذا أقام فيه لكنه لا ينصرف للتعريف والتأنيث غير ان أبا سعيد السيرافى ذكر وجها ثالثا للعرب فى تسمية الاسم بالجمع المسلم فاجاز أن يكون الاعراب فى النون وتثبت الواو وقال فى زيتون انه فعلون من الزيت وأجاز أبو الفتح بن جنى أن يكون الزيتون فيعولا من الزيت ولكن من قولهم زتن المكان اذا أنبت الزيتون فان صحت هذه الحكاية عن العرب والا فالظاهر انه من الزيت وانه فعلون وقد كثر هذا فى كلام الناس غير انه ليس فى كلام العرب القدماء فى المعروفين من أسماء الناس سحنون وعبدون قال الشاعر وهو ابن المعتز

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ودير عبدون معروف بالشام وكذلك دير فينون غير ان فينون يحتمل أن يكون فيعولا فلا يكون من هذا الباب كما قلنا فى بينون وهو الاظهر * وأما حلزون وهو دود يكون بالعشب وأكثر ما يكون فى الرمث فليس من باب فلسطين وقنسرين ولكن النون فيه أصلية كزرجون ولذلك أدخله أبو عبيد فى باب فعلون وكذلك فعل صاحب كتاب العين أدخله فى باب الرباعى فدل على ان النون عنده فيه أصلية وانه فعلول بلا مين * وقول ذى جدن و بعد سلحين يقطع على ان بينون فيعول على كل حال لان الذى ذكره السيرافى من المذهب الثالث ان صح فانما هى لغة أخرى غير لغة ذى جدن الحميرى اذ لو كان من لغته لقال سلحون وأعرب النون مع بقاء الواو فلما لم يفعل علمنا أن المعتقد عندهم فى بينون زيادة الياء وان النونين أصليتان كما تقدم * وقوله دعينى لا أبالك لن تطيقى أى لن تطيقى صرفى بالعذل عن شانى وحذف النون من تطيقين للنصب أو للجزم على لغة من جزم بلن ان كان ذلك من لغته والياء التى بعد القاف اسم مضمر فى قول سيبويه وحرف علامة تأنيث فى قول الاخفش وللحجة لهما وعليهما موضع غير هذا * وقوله قد أنزفت ريقى أى أكثرت على من العذل حتى أيبست ريقى فى فمى وقلة الريق من الحصر وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش قال الراجز

انى اذا زببت الاشداق * وكثر اللجاج واللقلاق * ثبت الجنان مرجم وداق

زببت الاشداق من الزبيبتين وهو ما ينعقد من الريق فى جانبى الفم عند كثرة الكلام * وقوله وداق أى يسيل كالودق يريد سيلان الريق وكثرة القول كما قال أبو المخش فى ابنه كان اشدق خرطمانيا اذا تكلم سال

وقال ذوجدن الحميرى
هونك ليس يرد الدمع ما فاتا *
لا تهلكى أسفا فى أثر من ماتا
أبعد بينون لا عين ولا أثر *
و بعد سلحين يبنى الناس أبياتا
بينون وسلحين وغمدان
من حصون اليمن التى هدم
ارياط ولم يكن فى الناس
مثلها وقال ذوجدن أيضاً
دعينى لا أبالك لن تطيقى
لحاك الله قد أنزفت ريقى
لدى عزف القيان اذا
انتشينا
واذ نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عارا
اذا لم يشكنى فيها رفيق
فان الموت لا ينهاه نهاه

لعابه * وقوله ولو شرب الشفاء مع النشوق أى لو شرب كل دواء يستشفى به وتنشق كل نشوق يجعل فى الانف للتداوى به ما نهى ذلك الموت عنه * وقوله ولا مترهب يجوز ان يكون رفعه عطفا على ناه أى لا يرد الموت ناه ولا مترهب أى دعاء مترهب يدعو لك ويجوز أن يكون مترهب رفعا على معنى ولا ينجو منه مترهب كما قال تالله يبقى على الايام ذو حيد . البيت والاسطوان أفعوال النون أصلية لان جمعه أساطين وليس فى الكلام أفاعين * وقوله يناطح جدره بيض الانوق * جدره جمع جدار وهو مخفف من جدور وفى التنزيل «أو من وراء جدر» هكذا تقيد بضم الجيم والجدر أيضا بفتح الجيم الحائط ولكن الرواية فى الكتاب كما ذكرنا والانوق الانثى من الرخم يقال فى المثل اعز من بيض الانوق اذا أراد ما لا يوجد لانها تبيض حيث لا يدرك بيضها من شواهق الجبال هذا قول المبرد فى الكامل ولا يوافق عليه فقد قال الخليل الانوق الذكر من الرخم وهذا أشبه بالمعنى لان الذكر لا يبيض فمن أراد بيض الانوق فقد أراد المحال كمن أراد الابلق العقوق وقد قال القالى فى الامالى الانوق يقع على الذكر والانثى من الرخم * وقوله وغمدان الذى حدث عنه هو الحصن الذى كان لهوذة بن على ملك اليمامة وسيأتى طرف من ذكره ومسمكا مرفعا من قوله سمك السماء والنيق أعلى الجبل * وقوله بمنهمة هو موضع الرهبان والراهب يقال له النهامى ويقال للنجار أيضا نهامى فتكون المنهمة أيضا على هذا موضع نجر * وقوله وأسفله جرون جمع جرن وهو النقير [من جرن الثوب اذا لان] ورواية أبى الوليد الوقشى جروب بالباء وكذلك ذكره الطبرى بالباء أيضا وفى حاشية كتاب الوقشى الجروب حجارة سود كذا نقل أبو بحر عنه فى نسخة كتابه فان صح هذا فى اللغة والا فالجروب جمع جريب على حذف الياء من جريب فقد يجمع الاسم على حذف الزوائد كما جمعوا اصاحبا على أصحاب وقالوا اطوى واطواء وغير ذلك والجريب والجربة المزرعة * وقوله وحر الموحل بفتح الحاء وهو القياس لانه من وحل يوحل ولو كان الفعل منه وحل على مثال وعد لكان القياس فى الموحل الكسر لا غير وقد ذكر القتبى فيه اللغتين الكسر والفتح والاصل ما قدمناه * وقوله وحر بضم الحاء وهو خالص كل شئ وفى كتاب أبى بحر عن الوقشى وحر الموجل بفتح الحاء والجيم من الموجل مفتوحة وفسر الموجل فقال حجارة ملس لينة والذى أذهب اليه ان الموجل ها هنا واحد المواجل وهى مناهل الماء وفتحت الجيم لان الاصل ماجل كذلك قال أبو عبيد هى المآجل وواحدها ماجل وفى آثار المدونة سئل مالك رحمه الله عن مواجل برقة يعنى المناهل فلو كانت الواو فى الكلمة أصلا لقيل فى الواحد موجل مثل موضع الا ان يراد به معنى الوجل فيكون الماضى من الفعل مكسور الجيم والمستقبل مفتوحا فيفتح الموجل حينئذ ولا معنى له فى هذا الموضع * وقوله اللثق الزليق اللثق من اللثق وهو ان يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق قال بعض الفصحاء غاب الشفق وطال الارق وكثر اللثق فلينطق من نطق وفى حاشية كتاب أبى بحر اللبق بالباء المنقوطة بواحدة وذكر انه هكذا وجد فى أصل ابن هشام ولا معنى للبق ههنا واظنه تصحيفا من الراوى والله أعلم * وقوله فى الشعر . يكاد البسر يهصر بالعذوق . أى يميل بها وهو جمع عذق بكسر العين وهى الكباسة أو جمع عذق بفتح العين وهى النخلة وهو أبلغ فى وصفها بالايقار ان يكون جمع عذق بالفتح * وقوله . واسلم ذو نواس مستكينا . أى خاضعا ذليلا وفى التنزيل «فما استكانوا لربهم» قال ابن الانبارى فيه قولان أحدهما أن يكون من السكون ويكون الاصل استكن على وزن افتعل ومكنوا الفتحة فصارت ألفا كما قال الشاعر

وانى حيث ما يثنى الهوى بصرى * من حيث ما سلكوا أدنوا فانظور

وقال آخر . ياليتها جرت على الكلكال . أراد الكلكل والقول الآخر أن يكون استفعل من كان

يكون

ولو شرب الشفاء مع السويق
ولا مترهب فى اسطوان
يناطح جدره بيض الانوق
وغمدان الذى حدثت عنه.

بنوه مسمكا فى رأس نيق
بمنهمة وأسفله جرون
وحر الموحل اللثق الذليق
مصابيح السليط تلوح فيه
اذا يمسى كتوماض البروق
ونخلته التى غرست اليه
يكاد البسر يهصر بالعذوق
فاصبح بعد جدته رمادا
وغير حسنه لهب الحريق
وأسلم ذو نواس مستكينا
وحذر قومه ضنك المضيق

وقال عبد الله بن الذئبة الثقفى فى ذلك (قال ابن هشام) الذئبة أمه واسمه ربيعة بن عبد ياليل بن سالم ابن مالك بن حطيط بن جشم بن قسى

لعمرك ماللفتى من مقر
مع الموت يلحقه والكبر
لعمرك ماللفتى صحرة
لعمرك مان له من وزر
أبعد قبائل من حمير
أبيدوا صباحا بذات العبر
بالف ألوف وحرّابة
كمثل السماء قبيل المطر
يصم صياحهم المقربات
وينفون من قاتلوا بالذفر
سعالى مثل عديد التراب
تيبس منهم رطاب الشجر

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدى فى شئ كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرادى فبلغه انه يتوعده فقال يذكر حمير وعزها وما زال من ملكها عنها

أتوعدنى كانك ذورعين
بافضل عيشة أوذو نواس
وكائن كان قبلك من نعيم
وملك ثابت فى الناس راسى
قديم عهده من عهد عاد
عظيم قاهر الجبروت قاسى
فامسى أهله بادوا وأمسى
يحوّل من أناس فى أناس

(قال ابن هشام) زبيد بن سلمة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ابن مذجج ويقال زبيد بن منبه بن صعب بنُ سعد العشيرة ويقال زبيد بن صعب بن سعد ومراد يحابر ابن مذحج

يكون مثل استقام من قام يقوم ﴿ قال المؤلف رحمه الله ﴾ هذا القول الاخير جيد فى التصريف مستقيم فى القياس لكنه بعيد فى المعنى من باب الخضوع والذلة والقول الاول قريب فى المعنى لكنه بعيد عن قياس التصريف اذ ليس فى الكلام فعل على وزن افتعال بالف ولكن وجدت لغير ابن الانبارى قولا ثالثا انه استفعل من السكين وكين الانسان عجزه ومؤخره وكان المستكين قد حنا ذلك منه كما يقال صلى أى حنا صلاه والصلى أسفل الظهر وهذا القول جيد فى التصريف قريب المعنى من الخضوع * وذكر قول ابن الذئبة واسمه وهو ربيعة بن عبد ياليل وقال فيه لعمرك ماللفتى صحرة وهو المتسع أخذ من لفظ الصحراء والوزر الملجا ومنه اشتق الوزير لان الملك يلجأ الى رأيه وقد قيل من الوزر لانه يحمل عن الملك اثقالا والوزر الثقل ولا يصح قول من قال هو من آزره اذا أعانه لان فاء الفعل فى الوزير واو وفى الازر الذى هو العون همزة * وذات العبر أى ذات الحزن يقال عبر الرجل اذا حزن ويقال لامه العبر كما يقال لامه الثكل * والمقربات الخيل العتاق التى لا تسرح فى المرعى ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو * وقوله ينفون من قاتلوا بالذفر . أى بريحهم وأنفاسهم ينفون من قاتلوا وهذا افراط فى وصفهم بالكثرة قال البرقى أراد ينفون من قاتلوا بذفر آباطهم أى بنتنها والذفر بالذال المعجمة تستعمل فى قوة الريح الطيبة والخبيثة ﴿ قال المؤلف رحمه الله ﴾ فان كان أراد هذا فانما قصده لان السودان أنتن الناس آباطا وأعراقا * وقوله سعالى شبههم بالسعالى من الجن جمع سعلاة ويقال بل هى الساحرة من الجن * وقوله كمثل السماء أى كمثل السحاب لاسوداد السحاب وظلمته قبيل المطر

﴿ فصل ﴾ وقوله عمرو بن معدى كرب ومعدى كرب بالحميرية وجه الفلاح المعدى هو الوجه بلغتهم والكرب هو الفلاح وقد تقدم أبو كرب فمعناه على هذا أبو الفلاح قاله ابن هشام فى غير هذا الكتاب وكذلك تقدم كلكى كرب ولا أدرى ما كلكى * وقوله قيس بن مكشوح المرادى انما هو حليف لمراد واسم مراد يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج ونسبه فى بجيلة ثم فى بنى أحمس وأبوه مكشوح اسمه هبيرة بن هلال ويقال عبد يغوث بن هبيرة بن الحرث بن عمرو بن عامر بن على بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار وأنمار هو والد بجيلة وخثعم وسمى أبوه مكشوحا لانه ضرب بسيف على كشحه ويكنى قيس أبا شداد وهو قاتل الاسود العنسى الكذاب هو وذادويه وفيروز وكان قيس بطلا بئيسا قتل مع على رضى الله عنه يوم صفين وله فى ذلك اليوم مواقف لم يسمع بمثلها عن بهمة من البهم وكذلك له فى حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد وعمرو بن معدى كرب رضى الله عنه يكنى أبا ثور تضرب الامثال بفروسيته وبسالته وفيه يقول الشاعر حين مات

فقل لزبيد بل لمذحج كلها * رزيتم أبا ثور قريعكم عمرا

وصمصامته المشهورة كانت من حديدة وجدت عند الكعبة مدفونة فى الجاهلية فصنع منها ذو الفقار والصمصامة ثم تصيرت الى خالد بن سعيد بن العاصى يقال ان عمرا وهبها له ليد كانت له عليه وذلك ان ريحانة أخت عمرو التى يقول فيها عمرو

أمن ريحانة الداعى السميع * [يؤرقنى وأصحابى هجوع]

كان أصابها خالد بن سعيد فى سبى سباه فمن عليها وخلى سبيلها فشكر ذلك له عمرو وأخوها وفى آخر الكتاب من خبر قيس بن مكشوح وعمرو بن معدى كرب اكثر مما وقع ههنا والشعر السينى الذى ذكره ابن اسحاق وأوله . أتوعدنى كانك ذو رعين . ذكر المسعودى أن عمرا قاله لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أراد ضربه بالدرة فى حديث ذكره وفى الشعر زيادة لم تقع فى السيرة وهو قوله

(قال ابن هشام) وحدثنى أبو عبيدة قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سلمان بن ربيعة الباهلى وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وهو بارمينية يأمره أن يفضل اصحاب الخيل العراب على أصحاب الخيل المقارف فى العطاء فعرض الخيل فمر به فرس عمرو بن معديكرب فقال له سلمان فرسك هذا مقرف فغضب عمرو وقال هجين عرف هجينا مثله فوثب اليه قيس فتوعده فقال عمرو هذه الابيات

(قال ابن هشام) وهذا الذى عنى سطيح الكاهن بقوله ليهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين أبين الى جرش والذى عنى شق الكاهن بقوله لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين الى نجران (قال ابن اسحق) فاقام ارياط بارض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشى حتى تفرقت الحبشة عليهما فانحاز الى كل واحد منهما طائفة منهم ثم سار أحدهما الى الآخر فلما تقارب الناس أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع بان تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا فابرز الى وأبرز اليك فاينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده فارسل اليه ارياط أنصفت فخرج اليه أبرهة وكان رجلا قصيرا لحيما وكان ذا دين فى النصرانية وخرج اليه ارياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا وفى يده حربة له وخلف أبرهة غلام له يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته فبذلك سمى أبرهة الاشرم وحمل عتودة على ارياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف جند ارياط الى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى أبرهة ارياط فلما بلغ ذلك النجاشى غضب غضبا شديدا وقال عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ثم حلف لايدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فحلق أبرهة رأسه وملأ جرابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشى ثم كتب اليه أيها الملك انما كان ارياط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا فى أمرك وكل طاعته لك الا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من أرضى ليضعه تحت قدمه فيبر قسمه فىّ فلما انتهى ذلك الى النجاشى رضى عنه وكتب اليه أن اثبت بارض اليمن حتى يأتيك أمرى فاقام أبرهة باليمن * ثم ان أبرهة بنى القليس بصنعاء فبنى كنيسة لم ير مثلها فى زمانها بشئ من الارض ثم كتب الى النجاشى انى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف اليها حاج العرب فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك

فلا يغررك ملكك كل ملك * يصير لذلة بعد الشماس

وذكر سلمان بن ربيعة حين هجن فرس عمرو ونسبه الى باهلة بن أعصر وكذلك هو عند أهل النسب باهلى ثم أحد بنى قتيبة بن معن وباهلة أمهم وهى بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج وأبوهم يعصر وهو منبه بن سعد بن قيس بن غيلان وسمى يعصر لقوله

اعمير ان أباك غير لونه * مر الليالى واختلاف الاعصر

فيقال له أعصر ويعصر وكان سلمان بن ربيعة قاضيا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه على الكوفة ويقال سلمان الخيل لانه كان يتولى النظر فيها وقال أبو وائل اختلفت الى سلمان بن ربيعة أربعين صباحا وهو قاض فما وجدت عنده أحدا يختصم اليه واستشهد سلمان بارمينية سنة تسع وعشرين * وذكر خبر عتودة غلام ابرهة وقد فرغنا من حديثه فيما مضى وما زاد فيه الطبرى وغيره وان العتودة الشدة فى الحرب وذكر ان ارياط علا بالحربة ابرهة فاخطأ يافوخه واليافوخ وسط الرأس ويقال له من الطفل غاذية بالذال فاذا اشتد وصلب سمى يافوخا بالهمز على وزن يفعول وجمعه يآفيخ قال العجاج * ضرب اذا أصاب اليآفيخ حفر * وقوله شرم انفه وشفته أى شقهما

خبر القليس مع الفيل وذكر بنيان ابرهة للقليس

وهى الكنيسة التى أراد ان يصرف اليها حج العرب وسميت هذه الكنيسة القليس لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لانها فى أعلى الرؤوس ويقال تقلنس الرجل وتقلس اذا لبس القلنسوة وقلس طعاما أى ارتفع من معدته الى فيه وكان ابرهة قد استذل أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة وجشمهم فيها أنواعا من السخر وكان ينقل اليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ وكان فيه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما أراده فى هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنس وكان أراد أن يرفع فى بنائها حتى يشرف منها على عدن وكان حكمه فى العامل اذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ فى عمله أن يقطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهى امرأة عجوز فتضرعت اليه تستشفع لابنها فأبى الا أن يقطع يده فقالت اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغدا لغيرك فقال ويحك ما قلت فقالت نعم كما صار هذا الملك من غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك فاخذته

الى النجاشى غضب رجل من النسأة أحد بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر والنسأة الذين كانوا ينسؤن الشهور على العرب فى الجاهلية فيحلون الشهر من الاشهر الحرم و يحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ليواطئوا عدة ماحرم الله و يؤخرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله تبارك وتعالى انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما (قال ابن هشام) ليواطؤا ليوافقوا والمواطاة الموافقة تقول العرب واطأتك على هذا الامر أى وافقتك عليه والايطاء فى الشعر الموافقة وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد نحو قول العجاج واسم العجاج عبدالله ابن رؤبة أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار * فى اثعبان المنجنون المرسل * ثم قال * مدالخليج فى الخليج المرسل * وهذان البيتان فى أرجوزة له * قال ابن اسحق وكان أول من نسأ الشهور على العرب فاحلت منها ما أحل وحرمت منها ماحرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة ابن خزيمة ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام بعد عباد قلع بن عباد ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن أمية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فحرم الاشهر الحرم الاربعة رجبا وذا القعدة وذا الحجة والمحرم فاذا أراد أن يحل منها شيئا أحل المحرم فاحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة الاشهر الحرم فاذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال اللهم انى قد أحللت لهم أحد

فاخذته موعظتها وأعفى الناس من العمل فيها بعد فلما هلك ومزقت الحبشة كل ممزق وأقفر ما حول هذه الكنيسة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات وكان كل من أراد أن يأخذ شيئا منها أصابته الجن فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من المال لا يستطيع أحد أن يأخذ منها شيئا الى زمن أبى العباس فذكر له أمرها وما يتهيب من جنها وحياتها فلم يرعه ذلك و بعث اليها ابن الربيع عامله على اليمن معه أهل الحزم والجلادة فخربها وحصلوا منها مالا كثيرا ببيع ما أمكن بيعه من رخامها وآلاتها فعفى بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها ودرست آثارها وكان الذى يصيبهم من الجن ينسبونه الى كعيب وامرأته صنمين كانت الكنيسة عليهما فلما كسر كعيب وامرأته أصيب الذى كسره بجذام فافتتن بذلك رعاع اليمن وطغامهم وقالوا أصابه كعيب وذكر أبو الوليد الازرقى أن كعيبا كان من خشب طوله ستون ذراعا * وذكر النسأة والنسىء من الاشهر فاما النسأة فأولهم القلمس واسمه حذيفة بن عبد بن فقيم وقيل له القلمس لجوده اذ القلمس من أسماء البحر وانشد قاسم بن ثابت

الى نضد من عبد شمس كانهم * هضاب اجا أركانه لم تقصف
قلامسة ساموا الامور فاحكمت * سياستها حتى أقرت لمردف

وذكر أبو على القالى فى الامالى ان الذى نسأ الشهور منهم نعيم بن ثعلبة وليس هذا بمعروف وأما نسؤهم للشهر فكان على ضربين . أحدهما ماذكر ابن اسحاق من تأخير شهر المحرم الى صفر لحاجتهم الى شن الغارات وطلب الثارات . والثانى تأخيرهم الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما أو أكثر قليلا حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته ولذلك قال عليه السلام فى حجة الوداع ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج الى وقته ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة غير تلك الحجة وذلك لاخراج الكفار الحج عن وقته ولطوافهم بالبيت عراة والله أعلم اذ كانت مكة بحكمهم حتى فتحها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (قال شيخنا أبو بكر) نرى ان قول الله سبحانه « يسئلونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج » وخص الحج بالذكر دون غيره من العبادات المؤقتة بالاوقات تأكيدا لاعتباره بالاهلة دون حساب الاعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا فى الحج من الاعتبار بالشهور العجمية والله أعلم * وذكر ابن هشام قول العجاج * فى أثعبان المنجنون المرسل * الاثعبان ما يندفع من الماء من شعبه والمنجنون اداة السانية والميم فى المنجنون أصلية فى قول سيبويه وكذلك النون لانه يقال فيه منجنين مثل عرطليل وقد ذكر سيبويه أيضا فى موضع آخر من كتابه ان النون زائدة الا ان بعض رواة الكتاب قال فيه منحنون بالحاء فعلى هذا لم يتناقض كلامه رحمه الله وفى اداة السانية الدولاب بضم الدال وفتحها والشهرق وهو الذى يلقى عليه حبل الاقداس واحدها قدس والعامة تقول قادوس والعصامير عيدان السانية قاله أبو حنيفة وقال صاحب العين العصمور عود السانية * وقوله من الخليج الخليج الجبل والخليج أيضا خليج الماء * وذكر اسم

الصفر بن الصفر الاول ونسات الآخر للعام المقبل فقال فى ذلك عمير بن قيس جذل الطعان أحد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة
يفخر بالنسأة على العرب لقد علمت معدان قومى * كرام الناس ان لهم كراما فأى الناس فاتونا بوتر * وأى الناس لم نعلك لجاما
ألسنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما (قال ابن هشام) أول الاشهر الحرم المحرم * قال ابن اسحق فخرج الكنانى
حتى أتى القليس فقعد فيها (قال ابن هشام) يعنى أحدث فيها * قال ابن اسحق ثم خرج فلحق بارضه فاخبر بذلك أبرهة فقال من صنع هذا فقيل له صنع هذا رجل من العرب من اهل هذا البيت الذى تحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب غضب فجاء فقعد فيها اى انها ليست لذلك باهل فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه ثم امر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم حين سمعوا بانه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل كان من اشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن اجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه واخرابه فاجابه الى ذلك من اجابه ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر واصحابه واخذله ذو نفر فاتى به اسيرا فلما اراد قتله قال له ذو نفر ايها الملك لا تقتلنى فانه عسى ان يكون بقائى معك خيرا لك من قتلى فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق وكان ابرهة فلو
رجلا حليما ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى اذا كان بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلى خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه ابرهة واخذ له نفيل اسيرا فاتى به فلما هم بقتله قال له نفيل ايها الملك لا تقتلنى فانى دليلك بارض العرب وهاتان يداى لك على قبيلى خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يدله حتى اذا مر بالطائف

العجاج ولم يكنه وكنيته أبو الشعثاء وسمى العجاج بقوله * حتى يعج عندها من عججا * وقال عمير بن قيس كرام الناس ان لهم كراما * أى آباء كراما وأخلاقا كراما * وقوله وأى الناس لم نعلك لجاما أى لم نقدعهم ونكفهم كما يقدع الفرس باللجام تقول أعلكت الفرس لجامه اذا رددته عن تنزعه فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه فهو مقدوع قال الشاعر

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك اللجام الى انصراف الزائر

وكان عمير هذا من أطول الناس وهو مذكور فى مقبلى الظعن وسمى جذل الطعان لثباته فى الحرب كانه جذل شجرة واقف وقيل لانه كان يستشفى برأيه ويستراح اليه كما تستريح البهيمة الجرباء الى الجذل تحتك به ونحو منه قول الجباب انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقول الاعرابى يصف ابنه انه لجذل حكاك ومدره لكاك واللكاك الزحام

﴿ فصل ﴾ وذكر جنادة بن عوف من النسأة وعليه قام الاسلام ولم يذكر هل أسلم أم لا وقد وجدت له خبرا يدل على اسلامه حضر الحج فى زمن عمر فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى أيها الناس انى قد أجرته منكم فخفقه عمر بالدرة وقال ويحك ان الله قد أبطل أمر الجاهلية وذكر البرقى عن ابن الكلبى قال فنسأ قلع بن عباد سبع سنين ونسأ بعده أمية بن قلع احدى وعشرين سنة ثم نسأ من بعده جنادة وهو أبو امامة وهو القلمس أربعين سنة وقول ابن هشام أول الاشهر الحرم المحرم قول وقد قيل أولها ذو القعدة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ به حين ذكر الاشهر الحرم ومن قال المحرم أولها احتج بانه أول السنة وفقه هذا الخلاف ان من نذر صيام الاشهر الحرم فيقال له على الاول ابدأ بالمحرم ثم برجب ثم بذى القعدة وذى الحجة وعلى القول الآخر يقال له ابدأ بذى القعدة حتى يكون آخر صيامك فى رجب من العام الثانى * وقوله خرج الكنانى حتى قعد فى القليس أى أحدث فيها وفيه شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء فى تفسير القعود على المقابر المنهى عنه وان ذلك للمذاهب كما قال مالك والله أعلم * وذكر قول نفيل الخثعمى وهاتان يداى لك على شهران وناهس * وهما قبيلا خثعم أما خثعم فاسم جبل سمى به بنو عبرس ابن خلف بن أفتل بن أنمار لانهم نزلوا عنده وقيل انهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم أى تلطخوا وقيل بل خثعم ثلاث شهران وقامس واكلب غير ان اكلب عند أهل النسب هو ابن ربيعة بن نزار ولكنهم دخلوا فى خثعم وانتسبوا اليهم فالله أعلم قال رجل من خثعم

ما أكلب منا ولا نحن منهم * وما خثعم يوم الفخار واكلب
قبيلة سوء من ربيعة أصلها * فليس لها عم لدينا ولا أب

فاجابه الاكلبى فقال

انى من القوم الذين نسبتنى * اليهم كريم الجد والعم والاب

خرج اليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف واسم ثقيف قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن اياد بن معد بن عدنان * قال أمية بن أبي الصلت الثقفي

قومي اياد لو أنهم أمم * أولو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم ساحة العراق اذا * ساروا جميعا والقط والقلم

وقال أمية بن أبي الصلت أيضاً

فاما تسألي عني لبيني * وعن نسبي أخبرك اليقينا
فانا للنبيت ابي قسي * لمنصور بن يقدم الاقدمينا

(قال ابن هشام) ثقيف قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والبيتان الاولان والآخران في قصيدتين لامية * قال ابن اسحق فقالوا له أيها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة (قال ابن هشام) وأنشدني أبو عبيدة النحوي لضرار بن الخطاب الفهري

وفرت ثقيف الى لاتها * بمنقلب الخائب الخاسر

وهذا البيت في أبيات له * قال ابن اسحق فبعثوا معه ابارغال يدله على الطريق الى مكة فخرج أبرهة ومعه ابو رغال حتى أنزله به فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذي ترجم الناس بالمغمس فلما نزل ابرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مفصود على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق اليه أموال تهامة من قريش وغيرهم فاصاب فيها مائتي بعير

فلو كنت ذا علم بهم ما نفيتني * اليهم ترى اني بذلك أثلب
فان لا يكن عماي خلفا وناهسا * فاني امرؤ عماي بكر وتغلب
أبونا الذي لم تركب الخيل قبله * ولم يدر مرء قبله كيف يركب

يريد انه من ربيعة وربيعة كان يقال له ربيعة الفرس * وأما ثقيف وما ذكر من اختلاف النسابين فيهم فبعضهم ينسبهم الى اياد وبعضهم ينسبهم الى قيس وقد نسبوا الى ثمود أيضاً * وقد روى في ذلك حديث عنه عليه السلام رواه معمر بن راشد في جامعه وكذلك أيضاً روى في الجامع ان أبا رغال من ثمود وانه كان بالحرم حين أصاب قومه الصيحة فلما خرج من الحرم أصابه من الهلاك ما أصاب قومه فدفن هنالك ودفن معه غصنان من ذهب * وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالقبر وأمر باستخراج الغصنين منه فاستخرجا وقال جرير أو غيره

اذا مات الفرزدق فارجموه * كرجمكم لقبر أبي رغال

ووقع في هذه النسخة في نسب ثقيف الاول ابن اياد بن معد * وفي الحاشية ان القاضي أبا الوليد غيره فجعل مكان ابن معد من معد وذلك والله أعلم لان اياد هذا هو بن نزار وليس بابن معد لصلبه ولمعد ابن اسمه اياد وهو ابنه لصلبه وقد ذكره ابن اسحق وقد قدمنا ذكره مع بني معد في أول الكتاب وهو عم اياد والاياد في اللغة التراب الذي يضم الى الخباء ليقيه من السيل ونحوه وهو مأخوذ من الايد وهي القوة لان فيه قوة للخباء وهو بين النؤى والخباء والنؤى يشتق من النائي لانه حفير ينأى به المطر أي يبعد عن الخباء وأنشد لامية بن أبي الصلت واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب في قول الزبير

قومي اياد لو أنهم أمم * أولو أقاموا فتهزل النعم

يريد أي لو أقاموا بالحجاز وان هزلت نعمهم لانهم انتقلوا عنها الا نها ضاقت عن مسارحهم فصاروا الى ريف العراق ولذلك قال والقط والقلم والقط ما قط من الكاغد والرق ونحوه وذلك ان الكتابة كانت في تلك البلاد التي ساروا اليها وقد قيل لقريش ممن تعلمتم القط فقالوا تعلمناه من أهل الحيرة وتعلمه أهل الحيرة من اهل الانبار ونصب قوله فتهزل النعم بالفاء على جواب التمني المضمن في لو نحو قوله تعالى «فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين» * وأما تسمية قصي بثقيف فسيأتي سبب ذلك في غزوة الطائف ان شاء الله تعالى وقوله فلما نزل ابرهة المغمس هكذا ألفيته في نسخة الشيخ أبي بحر المقيدة على أبي الوليد القاضي بفتح الميم الآخرة من المغمس * وذكر البكري في كتاب المعجم عن ابن دريد وعن غيره من أئمة اللغة انه المغمس بكسر الميم الآخرة وانه أصح ما قيل فيه وذكر أيضاً انه يروى بالفتح فعلى رواية الكسر هو مغمس مفعل من غمست كانه اشتق من الغميس وهو الغمير وهو النبات الاخضر الذي ينبت في الخريف تحت اليابس يقال غمس المكان وغمر اذا انبت فيه ذلك كما يقال صوح وشجر وأما على رواية الفتح فكانه من غمست

لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك و بعث أبرهة حناطة الحميرى الى مكة وقال له سل عن سيد اهل هذا البلد وشريفها ثم قل ان الملك يقول لك انى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لى فى دمائكم فان هو لم يرد حربى فاتنى به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب والله مانريد حربه ومالنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام و بيت خليله ابراهيم عليه السلام أو كما قال فان يمنعه منه فهو بيته وحرمته وان يخل بينه و بينه فوالله ماعندنا دفع عنه فقال حناطة فانطلق معى اليه فانه قد أمرنى أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر وكان له صديقا حتى دخل عليه وهو فى محبسه فقال له ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا ماعندى غناء فى شىء مما نزل بك الا ان أنيسا سائس الفيل صديق لى وسارسل اليه فاوصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله ان يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدالك و يشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك فقال حسبى فبعث ذو نفر الى أنيس فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بعير فاستاذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت فقال أفعل فكلم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستاذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فاذن له عليك فليكلمك فى حاجته قال فاذن له ابرهة قال وكان عبد المطلب أوسم الناس واجملهم واعظمهم فلما رآه أبرهة اجله واعظمه واكرمه عن أن يجلسه تحته وكره ان تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل ابرهة عن سريره فجلس على بساطه واجلسه معه عليه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتى ان يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى فلما قال له ذلك قال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه قال له عبد المطلب انى أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع منى قال أنت وذاك وكان فيما يزعم بعض اهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب الى أبرهة حين بعث اليه حناطة بعمر بن نفاثة بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد بنى بكر وخويلد بن وائلة الهذلى وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على ان يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم والله اعلم كان ذلك أم لا فرد ابرهة على عبد المطلب الابل التى أصاب له فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب الى قريش فاخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله و يستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان العبد يمـ * ـنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم غدوا محالك ان كنت تاركهم وقبـ * ـلتنا فامر مابدالك

الشىء اذا غطيته وذلك انه مكان مستور إما بهضاب واما بعضاه وانما قلنا هذا الان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان بمكة كان اذا أراد حاجة الانسان خرج الى المغمس وهو على ثلث فرسخ منها كذلك رواه على ابن السكن فى كتاب السنن له . وفى السنن لابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد البراز أبعد ولم يبين مقدار البعد وهو مبين فى حديث ابن السكن كما قدمنا ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتى مكانا للمذهب الا وهو مستور منخفض فاستقام المعنى فيه على الروايتين جميعا * وقوله فى صفة عبد المطلب أوسم الناس واجمله ذكر سيبويه هذا الكلام محكيا عن العرب ووجهه عندهم انه محمول على المعنى فكأنك قلت أحسن رجل وأجمله فافرد الاسم المضمر التفاتا الى هذا المعنى وهو عندى محمول على الجنس كانه حين ذكر الناس قال هو أجمل هذا الجنس من الخلق وانما عدلنا عن ذلك التقدير الاول لان فى الحديث الصحيح خير نساء ركبن الابل صوالح نساء قريش أحناه على ولده فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده ولا يستقيم ههنا حمله على الافراد لان المفرد ههنا امرأة فلو نظر الى واحد النساء لقال أحناها على ولد فاذا التقدير أحنى هذا الجنس الذى هو النساء وهذا الصنف ونحو هذا * وذكر قول عبد المطلب

لا هم ان المرء يمـ * ـنع رحله فامنع حلالك

العرب تحذف الالف واللام من اللهم وتكتفى بما بقى وكذلك تقول لاه أبوك تريد لله أبوك وقد تقدم

قول

« قال ابن هشام » هـذا ماصح له منها * قال ابن اسحق وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى

اللهم اخز الاسود بن مفصود * الآخذ الهجمة فيها التقليد
بين حراء وثبير فالبيد * يحبسها وهى أولات التطريد
فضمها الى طماطم سود * اخفره يارب وأنت محمود

(قال ابن هشام) هذا ماصح له منها والطماطم الاعلاج قال ابن اسحق ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهيا لدخول مكة وهيأ فيله وعبى جيشه وكان اسم الفيل محمودا وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف الى اليمن فلما وجهوا الفيل الى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنب الفيل ثم أخذ باذنه فقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام ثم أرسل اذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل وضربوا الفيل ليقوم فابى فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فابى فادخلوا محاجن لهم فى مراقه

قول من قال فى لاهنك وان المعنى والله انك وهذا لكثرة دورهذا الاسم على الالسنة وقد قالوا فيما هودونه فى الاستعمال أجنك تفعل كذا وكذا أى من اجل انك تفعل كذا وكذا والحلال فى هذا البيت القوم الحلول فى المكان والحلال مركب من مراكب النساء قال الشاعر * بغير حلال غادرته مجحفل * والحلال أيضا متاع البيت وجائز ان يستعيره ههنا وفى الرجز بيت ثالث لم يقع فى الاصل وهو قوله

وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك

وفيه حجة على النحاس والزبيدى حيث زعما ومن قال بقولهما انه لا يقال اللهم صلى على محمد وعلى آله لان المضمر يرد المعتل الى أصله وأصله أهل فلا يقال الا وعلى أهله وبهذه المسئلة ختم النحاس كتابه الكافى وقولهما خطأ من وجوه وغير معروف فى قياس ولا سماع وما وجد ناقط مضمرا يرد معتلا الى أصله الا قولهم أعطيتكموه برد الواو وليس هو من هذا الباب فى ورد ولا صدر (ولا نقول) أيضا ان آلا أصله أهل ولا هو فى معناه (ولا نقول) ان أهيلا تصغير آل كما ظن بعضهم ولتوجيه الحجاج عليهم موضع غير هذا وفى الكامل من قول الكتابى لمعاوية حين ذكر عبد الملك من آلك وليس منك وقول عكرمة بن عامر الآخذ الهجمة فيها التقليد الهجمة هى ما بين التسعين الى المائة والمائة منها هنيدة والمائتان هند وقال بعضهم والثلاثمائة امامة وانشدوا * تبين رويدا أمامة من هند * وكان اشتقاق الهجمة من الهجيمة وهو الثخين من اللبن لانه لما كثر لبنها لكثرتها لم يمزج بماء وشرب صرفا ثخينا ويقال للقدح الذى يحلب فيه اذا كان كبيرا هجم * وقوله اخفره يارب أى انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه يقال أخفرت الرجل اذا نقضت عهده وخفرته أخفره اذا أجرته فينبغى ان لا يضبط هذا الا بقطع الهمزة وفتحها لئلا يصير الدعاء عليه دعاء له * وقوله الى طماطم سود يعنى العلوج ويقال لكل أعجمى طمطمانى وطمطم ويذكر عن الاخفش طمطم بفتح الطاء * وقوله عبى جيشه يقال عبيت الجيش بغير همز وعبأت المتاع بالهمز وقد حكى عبأت الجيش بالهمز وهو قليل * وقوله فبرك الفيل فيه نظر لان الفيل لا يبرك فيحتمل أن يكون بروكه سقوطه الى الارض لما جاءه من أمر الله سبحانه ويحتمل أن يكون فعل فعل البارك الذى يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك وقد سمعت من يقول ان فى الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل فان صح والا فتأويله ما قدمناه والاسود بن مفصود صاحب الفيل هو الاسود بن مفصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو ابن علة ويقال فيه علة على وزن عمر بن خالد بن مذحج وكان الاسود قد بعثه النجاشى مع الفيلة والجيش وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا فهلكت كلها الا محمودا وهو فيل النجاشى من أجل انه ابى من التوجه الى الحرم والله أعلم * ونفيل الذى ذكره هو نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب ابن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل وهو خثعم كذلك نسبه البرقى * وفى الكتاب نفيل بن حبيب ونفيل من المسمين بالنبات قاله ابو حنيفة وقال هو تصغير نفل وهو نبت مسلنطح على الارض * وذكر النقاش ان الطير كانت أنيابها كانياب السبع وأكفها كاكف الكلاب وذكر البرقى ان ابن عباس قال أصغر الحجارة كرأس الانسان وكبارها كالابل وهذا الذى ذكره البرقى ذكره ابن اسحق فى رواية يونس عنه * وفى تفسير النقاش ان السيل احتمل جثثهم فألقاها فى البحر وكانت قصة الفيل أول المحرم من سنة ثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين * وقوله فضربوا رأسه بالطبرزين هكذا تقيد فى

فبزغوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك فأرسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاؤا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والاله الطالب
والاشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن هشام قوله ليس الغالب عن غير ابن اسحق

قال ابن اسحق وقال نفيل أيضا

الاحييت عنا يا ردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا
ردينة لو رأيت فلا تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت امرى * ولم تأسى على مافات بينا
حمدت الله اذ أبصرت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل واصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة كلما سقطت أنملة تبعتها منه مدة تمث قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون

نسخة الشيخ أبى بحر بسكون الباء وذكره البكرى فى المعجم وان الاصل فيه طبرزين بفتح الباء وقال طبر هو الفاس * وذكر طبرستان بفتح الباء وقال معناه شجر قطع بفاس لانها قبل ان تبنى كانت شجراء فقطعت ولم يقل فى طبرية مثل هذا قال ولكنها نسبت الى طباراء وهو اسم الملك الذى بناها وقد ألفيته فى شعر قديم طبرزين بفتح الباء كما قال البكرى وجائز فى طبرزين وان كان ماذكر ان تسكن الباء لان العرب تتلاعب بالاسماء الاعجمية تلاعبا لا يقرها على حال قاله ابن جنى * وقوله فبزغوه أى ادموه ومنه سمى المبزغ وفى رواية يونس عن ابن اسحق ان الفيل ربض فجعلوا يقسمون بالله انهم رادوه الى اليمن فحرك لهم أذنيه كانه يأخذ عليهم عهدا بذلك فاذا أقسموا له قام يهرول فيردونه الى مكة فيربض فيحلفون له فيحرك لهم أذنيه كالمؤكد عليهم ففعلوا ذلك مرارا * وقوله أمثال الحمص والعدس يقال حمص وحمص كما يقال جلق وجلق قاله الزبيدى ولم يذكر أبو حنيفة فى الحمص الا الفتح وليس لهما نظير فى الابنية الا الحلزة وهو القصير وقال ابن الانبارى الحلز البخيل بتشديد الزاى وصوب القالى هذه الرواية فى الغريب المصنف لان فعلا بالتشديد ليس فى الصفات عند سيبويه ويعنى بمماثلة الحجارة للحمص انها على شكلها والله أعلم لانه قد روى انها كانت ضخاما تكسر الرؤس وروى ان مخالب الطير كانت كأكف الكلاب والله اعلم وفى رواية يونس عن ابن اسحق قال جاءتهم طير من البحر كرجال الهند وفى رواية أخرى عنه انهم استشعروا العذاب فى ليلة ذلك اليوم لانهم نظروا الى النجوم كالحة اليهم تكاد تكلمهم من اقترابها منهم ففزعوا لذلك وقول نفيل * ولم تأسى على مافات بينا * نصب بينا نصب المصدر المؤكد لما قبله اذ كان فى معناه ولم يكن على لفظه لان فات معنى فارق وبان كانه قال على مافات فوتا أو بان بينا ولا يصح لان يكون مفعولا من أجله يعمل فيه تاسى لان الاسى باطن فى القلب والبين ظاهر ولا يجوز أن يكون المفعول من أجله الا بعكس هذا تقول بكى أسفا وخرج خوفا وانطلق حرصا على كذا ولو عكست الكلام كان خلفا من القول وهذا أحد شروط المفعول من أجله ولعل له موضعا من الكتاب فنذكره فيه * وقوله * نعمنا كم مع الاصباح عينا * دعاء أى نعمنا بكم فعدى الفعل لما حذف حرف الجر وهذا كما تقول أنعم الله بك عينا * وقوله فى أول البيت * الاحييت عنا يا ردينا * هو اسم امرأة كانها سميت بتصغير ردنة وهى القطعة من الردن وهو الحرير ويقال لمقدم الكم ردن ولكنه مذكر وامادرينة بتقديم الدال على الراء فهو اسم للاحمق قاله الخليل * وقوله فى خبر ابرهة تبعتها مدة تمث قيحا ودما الفيته فى نسخة الشيخ تمث وتمث بالضم والكسر فعلى رواية الضم يكون الفعل متعديا ونصب قيحا على المفعول وعلى رواية الكسر يكون غير متعد ونصب قيحا على التميز فى قول أكثرهم وهو عندنا على الحال وهو من باب تصبب عرقا وتفقأ شحما وكذلك كان يقول شيخنا ابو الحسين فى مثل هذا وقد أفصح سيبويه فى لفظ الحال فى ذهبن كلا كلا وصدورا وأشرق كاهلا وهذا مثاله ولكشف القناع عن حقيقة هذا موضع غير هذا وانما قلنا ان من رواه تمث بضم الميم فهو متعد كانه مضاعف والمضاعف اذا كان متعديا كان فى المستقبل مضموما نحو رده يرده الا ما شذ منه نحو عل يعل ويعل وهر الكاس يهر ويهر واذا كان غير متعد كان مكسورا فى المستقبل نحو خف يخف وفر يفر الا ستة أفعال جاءت فيها اللغتان جميعا وهى فى أدب الكتاب وغيره فغنينا بذلك عن ذكرها على انهم قد أغفلوا هب يهب وخب يخب وأج يؤج اذا أسرع وشك فى الامر يشك ومعنى تمث قيحا أى تسيل يقال فلان يمث كما يمث الزق * وقوله يسقط أنملة أنملة أى ينتثر جسمه

والانملة

* قال ابن اسحق حدثنى يعقوب بن عتبة انه حدث ان أول مارؤيت الحصبة والجدرى بارض العرب ذلك العام وانه أول مارؤى بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام * قال ابن اسحق فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ماردعنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال الله تبارك وتعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وارسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وقال لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه (قال ابن هشام) الابابيل الجماعات ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه وأما السجيل فاخبرنى يونس النحوى وابو عبيدة انه عند العرب الشديد الصلب * قال رؤبة بن العجاج

ومسهم مامس أصحاب الفيل
ترميهم حجارة من سجيل
* ولعبت طير بهم ابابيل *

وهذه الابيات فى أرجوزة له وذكر بعض المفسرين انهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وانما هو سنج وجل يعنى بالسنج الحجر والجل الطين يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين والعصف ورق الزرع الذى لم يقصب وواحدته عصفة (حدثنا ابن هشام) قال وأخبرنى أبو عبيدة النحوى انه يقال له العصافة والعصيفة وأنشدنى لعلقمة بن عبدة أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم

يسقى مذانب قدمالت عصيفتها * جدورها من أتى الماء مطموم

وهذا البيت فى قصيدة له وقال الراجز

والانملة طرف الاصبع ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الاصبع والجزء الصغير ففى مسند الحرث بن أبى أسامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الشجرة شجرة هى مثل المؤمن لا تسقط لها أنملة ثم قال هى النخلة وكذلك المؤمن لا تسقط له دعوة * وقوله مرائر الشجر يقال شجرة مرة ثم تجمع على مرائر كما تجمع حرة على حرائر ولا تعرف فعلة تجمع على فعائل الا فى هذين الحرفين وقياس جمعهما فعل نحو درة ودرر ولكن الحرة من النساء فى معنى الكريمة والعقيلة ونحو ذلك فاجروها مجرى ماهو فى معناها من الفعيلة وكذلك المر قياسه ان يقال فيه مرير لان المرارة فى الشىء طبيعة فقياس فعله أن يكون فعل كما تقول عذب الشىء وقبح وعسر اذا صار عسيرا واذا كان قياسه فعل فقياس الصفة منه ان تكون على فعيل والانثى فعيلة والشىء المر عسيرأكله شديد فاجروا الجمع مجرى هذه الصفات التى هى على فعيل لانها طباع وخصال وأفعال الطباع والخصال كلها تجرى هذا المجرى * وذكر العشر وهو شجر مر يحمل ثمرا كالاترج وليس فيه منتفع ولبن العشر تعالج به الجلود قبل ان تجعل فى المنية وهى المدبغة كما تعالج بالغلقة وهى شجرة وفى العشر الخرفع والخرفع وهو شبه القطن ويجنى من العشر المغافير واحدها مغفور ومغافر وواحدها مغفر ويقال لها سكر العشر ولا تكون المغافير الا فيه وفى الرمث وفى الثمام والثمام أكثرها لثى وفى المثل هذا الجنى لا ان يكن المغفر من كتاب أبى حنيفة وذكر ابن هشام الابابيل وقال لم يسمع لها بواحد وقال غيره واحدها ابالة وأبول وزاد ابن عزيز وأبيل وأنشد ابن هشام لرؤبة * وصيروا مثل كعصف مأكول * وقال ولهذا البيت تفسير فى النحو وتفسيره ان الكاف تكون حرف جر وتكون اسما بمعنى مثل ويدلك انها حرف وقوعها صلة للذى لانك تقول رأيت الذى كزيد ولو قلت الذى مثل زيد لم يحسن ويدلك انها تكون اسما دخول حرف الجر عليها كقوله * ورحنا بكابن الماء [ينفض رأسه] * ودخول الكاف عليها وأنشدوا *وصاليات ككما يؤثفين* واذا دخلت على مثل كقوله تعالى «ليس كمثله شىء» فهى اذا حرف اذ لا يستقيم ان يقال مثل مثله وكذلك هى حرف فى بيت رؤبة مثل كعصف لكنها مقحمة لتأكيد التشبيه كما أقحموا اللام من قوله يابؤس للحرب ولا يجوز أن يقحم حرف من حروف الجر سوى اللام والكاف أما اللام فلانها تعطى بنفسها معنى الاضافة فلم تغير معناها وكذلك الكاف تعطى معنى التشبيه فاقحمت لتأكيد معنى المماثلة غير ان دخول مثل عليها كما فى بيت رؤبة قبيح ودخولها على مثل كما فى القرآن أحسن شىء لانها حرف جر تعمل فى الاسم والاسم لا يعمل فيها فلا يتقدم عليها الا ان يقحمها كما أقحمت اللام وأنشد شاهدا على العصيفة قول علقمة وآخره * جدورها من أتى الماء مطموم * وهذا البيت أنشده أبو حنيفة فى النبات جدورها وهو جمع جدر بالجيم وهى الحواجز التى تحبس الماء ويقال للجدر حباس أيضا وفى الحديث امسك الماء حتى يبلغ الجدر ثم أرسله وقد ذكر غيره رواية الجيم وقال انما قال جدورها من أتى الماء مطموم وأفرد الخبر لانه رده على كل واحد من الجدر كما قال الآخر * ترى جوانبها بالشحم مفتوقا * أى ترى كل جانب منها

﴿ فصل ﴾ ويقال للعصيفة أيضا أذنة ولما تحيط به الجدور التى تمسك الماء دبرة وحبس ومشارة ولمفتح

* فصيروا مثل كعصف مأكول * (قال ابن هشام) ولهذا البيت تفسير فى النحو وايلاف قريش الفهم الخروج الى الشام فى تجارتهم وكانت لهم خرجتان خرجة فى الشتاء وخرجة فى الصيف (أخبرنا) ابن هشام قال اخبرنى أبو زيد الانصارى ان العرب تقول ألفت الشىء الفا وآلفته ايلافا فى معنى واحد وأنشدنى لذى الرمة   من المؤلفات الرمل ادماء حرة * شعاع الضحى فى لونها يتوضح   وهذا البيت فى قصيدة له وقال مطرود بن كعب الخزاعى   المنعمين اذا النجوم تغيرت * والظاعنين لرحلة الايلاف

وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى والايلاف أيضا ان يكون للانسان ألف من الابل أو البقر أو الغنم او غير ذلك يقال آلف فلان ايلافا * قال الكميت ابن زيد أحد بنى اسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد

بعام يقول له المؤلفو * ن هذا المعيم لنا المرجل

وهذا البيت فى قصيدة له والايلاف أيضاً ان يصير القوم ألفا يقال الف القوم ايلافا قال الكميت بن زيد

وآل مزيقياء غداة لاقوا * بنى سعد بن ضبة مؤلفينا

وهذا البيت فى قصيدة له والايلاف أيضاً ان يؤلف الشىء الى الشىء فيألفه ويلزمه يقال آلفته اياه ايلافا والايلاف أيضاً أن تصير مادون الالف ألفا يقال آلفته ايلافا * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن ابى بكر عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عائشة رضى الله عنها قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس * قال ابن اسحق فلما رد الله الحبشة عن مكة وأصابهم بما أصابهم به من النقمة أعظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فقالوا فى ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة وما رد عن قريش من كيدهم فقال عبد الله بن الزبعرى بن عدى بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وهو ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر

تنكلوا عن بطن مكة انها * كانت قديما لا يرام حريمها

الماء منها أغية بالتخفيف والتثقيل * وذكر ايلاف قريش للرحلتين وقال هو مصدر ألفت الشىء وألفته فجعله من الالف للشىء وفيه تفسير آخر أليق بالمعنى لان السفر قطعة من العذاب ولا تألفه النفس انما تألف الدعة والكينونة مع الاهل   قال الهروى هى حبال أى عهود كانت بينهم وبين ملوك العجم فكان هاشم يؤالف الى ملك الشام وكان المطلب يؤالف الى كسرى والآخران يؤالفان أحدهما الى ملك مصر والآخر الى ملك الحبشة وهما عبد شمس ونوفل قال ومعنى يؤالف يعاهد ويصالح ونحو هذا فيكون الفعل منه أيضا آلف على وزن فاعل والمصدر الافا بغير ياء مثل قتالا ويكون الفعل منه أيضا ألف على وزن افعل مثل آمن ويكون المصدر ايلافا بالياء مثل ايمانا   وقد قرئ لإلاف قريش بغير ياء ولو كان من الفت الشىء على وزن أفعلت اذا ألفته لم تكن هذه القراءة صحيحة وقد قرأها ابن عامر فدل هذا على صحة ما قاله الهروى وقد حكاه عمن تقدمه   وظاهر كلام ابن اسحق ان اللام من قوله تعالى لإيلاف قريش متعلقة بقوله سبحانه فجعلهم كعصف مأكول وقد قاله غيره ومذهب الخليل وسيبويه انها متعلقة بقوله فليعبدوا رب هذا البيت أى فليعبدوه من أجل ما فعل بهم   وقال قوم هى لام التعجب وهى متعلقة بمضمر كانه قال أعجب لايلاف قريش كما قال صلى الله عليه وسلم فى سعد بن معاذ رضى الله عنه حين دفن سبحان الله لهذا العبد الصالح ضم فى قبره حتى فرّج الله عنه   وقال فى عبد حبشى مات بالمدينة لهذا العبد الحبشى جاء من أرضه وسمائه الى الارض الذى خلق منها أى اعجبوا لهذا العبد الصالح وأنشد للكميت

بعام يقول له المؤلفو * ن أهذا المعيم لنا المرجل

المؤلف صاحب الالف من الابل كما ذكر   والمعيم بالميم من العيمة أى تجعل تلك السنة صاحب الالف من الابل بعام الى اللبن وترجله فيمشى راجلا لعجف الدواب وهزالها   وذكر قول ابن الزبعرى * تنكلوا عن بطن مكة * البيت ونسبه الى عدى بن سعيد بن سهم وكرر هذا النسب فى كتابه مرارا وهو خطا والصواب سعد بن سهم وانما سعيد أخو سعد وهو فى نسب عمرو بن العاص بن وائل   وقد أنشد فى الكتاب ما يدل على خلاف قوله وهو قول المبرق وهو عبد الله بن الحرث بن عدى بن سعد

فان تك كانت فى عدى أمانة * عدى بن سعد فى الخطوب الاوائل

فقال عدى بن سعد ولم يقل سعيد وكذلك ذكره الواقدى والزبيريون وغيرهم * وقوله * تنكلوا عن بطن مكة انها * وهذا خرم فى الكامل وقد وجد فى غير هذا البيت فى أشعار هذا الكتاب الخرم فى الكامل ولا يبعد ان يدخل الخرم فى متفاعل فيحذف من السبب حرف كما حذف من الوتد فى الطويل حرف واذا وجد حذف السبب الثقيل كله فاحرى أن يجوز حذف حرف منه   وذلك فى قول ابن مفرغ

هامة تدعوا صدى * بين المشقر واليمامه

لم تخلق الشعرى ليالى حرمت * اذلا عزيز من الانام يرومها سائل أمير الجيش عنها مارأى * ولسوف ينبى الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤبوا أرضهم * بل لم يعش بعد الاياب سقيمها كانت بها عاد وجرهم قبلهم * والله من فوق العباد يقيمها

قال ابن اسحق يعنى ابن الزبعرى بقوله بعد الاياب سقيمها ابرهة اذ حملوه معهم حين أصابه ما اصابه حتى مات بصنعاء٬ وقال أبو قيس ابن الاسلت الانصارى ثم الخطمى واسمه صيفى (قال ابن هشام) أبو قيس صيفى بن الاسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الاوس

ومن صنعه يوم فيل الحبوش اذ كل مابعثوه رزم
محاجنهم تحت أقرابه * وقد شرموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه مغولا * اذا يمموه قفاه كلم
فولى وأدبر أدراجه * وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصباً * فلفهم مثل لف القزم
تحض على الصبر أحبارهم * وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

(قال ابن هشام)٬ وهذه الابيات فى قصيدة له والقصيدة أيضاً تروى لأمية بن أبى الصلت * قال ابن اسحق وقال أبو قيس ابن الاسلت

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا * بأركان هذا البيت بين الاخاشب
فعندكم منه بلاء مصدق * غداة أبى يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسهل تمشى ورجله * على القاذفات فى رؤس المناقب
فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم * جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب * الى أهله ملحبش غير عصائب

(قال ابن هشام) أنشدنى أبو زيد الانصارى قوله على القاذفات فى رؤس المناقب وهذه الابيات فى قصيدة لابى قيس سأذكرها فى موضعها ان شاء الله وقوله غداة أبى يكسوم يعنى أبرهة كان يكنى أبا يكسوم * قال ابن اسحق وقال طالب بن أبى طالب بن عبد المطلب

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس * وجيش أبى يكسوم اذ ملؤا الشعبا
فلولا دفاع الله لاشئ غيره * لاصبحتم لا تمنعون لكم سربا

وهو من المرفل والمرفل من الكامل ألا ترى أن قبله

وشريت برداً ليتنى * من بعد برد كنت هامه

فالمحذوف من الطويل اذا خرم حرف من وتد مجموع والمحذوف من الكامل اذا خرم حرف من سبب ثقيل بعده سبب خفيف ولما كان الاضمار فيه كثيرا وهو اسكان التاء من متفاعلن فمن ثم قال أبو على لا يجوز فيه الخرم لان ذلك يؤول الى الابتداء بساكن وهذا الكلام لمن تدبره بارد غث لان الكلمة التى يدخلها الخرم لم يكن قط فيها اضمار نحو تنكلوا عن بطن مكة والتى يدخلها الاضمار لا يتصور فيها الخرم نحو لا يبعدن قومى ونحو قوله * لم تخلق الشعرى ليالى حرمت * فتعليله فى هذا الشعر اذاً لا يفيد شيئا وما أبعد العرب من الالتفات الى هذه الاغراض التى يستعملها بعض النحاة وهى أوهى من نسج الخدرنق * وقوله * لم تخلق الشعرى ليالى حرمت * ان كان ابن الزبعرى قال هذا فى الاسلام فهو منتزع من قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة ولم يحرمها الناس ومن قوله فى حديث آخر ان الله حرمها يوم خلق السموات والارض والتربة خلقت قبل خلق الكواكب وان كان ابن الزبعرى قال هذا فى الجاهلية فانما أخذه والله أعلم من الكتاب الذى وجدوه فى الحجر بالخط المسند حين بنوا الكعبة وفيه أنا الله رب بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض الحديث * وقوله * ولم يعش بعد الاياب سقيمها * هكذا فى النسخة المقيدة على أبى الوليد المقابلة بالاصلين اللذين كانا عنده وقابلها أبو بحر رحمه الله بهما مرتين وحسب بعضهم أنه كسر فى البيت فزاد من قبل نفسه فقال بل لم يعش فأفسد المعنى وانما هو خرم فى أول القسيم من عجز البيت كما كان فى الصدر من أول بيت منها * وقول قيس بن الاسلب مثل لف القزم القزم صغار الغنم ويقال رذال المال ورزم ثبت ولزم موضعه وأرزم من الرزيم وهو صوت ليس بالقوى وكذلك صوت الفيل ضئيل على عظم خلقته ويفرق من الهر وينفر منه وقد احتيل على الفيلة فى بعض الحروب مع الهند أحضرت لها الهرة فذعرت وولت وكان سببا لهزيمة القوم ذكره المسعودى ونسب هذه الحيلة الى هرون بن موسى حين غزا بلاد الهند وأول من ذلل الفيلة فيما قال الطبرى أفريدون بن أثفيان ومعنى أثفيان صاحب البقر وهو اول من نتج البغال واتخذ للخيل السروج والوكف فيما ذكروا وأما أول من سخر الخيل وركبها فطمهورث وهو الثالث من ملوك الارض فيما زعموا وثؤاج الغنم صوتها ووقع فى النسخة تجوا وعليه مكتوب الصواب ثأجوا كثؤاج الغنم * وقول ابن الاسلت فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا سيأتى شرح هذه الابيات فى القصيدة حيث يذكرها ابن اسحاق بكمالها ان شاء الله * وذكر قول طالب بن أبى طالب * فاصبحتم لا تمنعون لكم سربا * ويروى سربا بالكسر والسرب بالفتح المال الراعى والسرب

(قال ابن هشام) هـذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بدر سأذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق وقال أبو الصلت ابن أبى ربيعة الثقفى فى شأن الفيل ويذكر الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام (قال ابن هشام) يروى لامية بن أبى الصلت بن أبى ربيعة الثقفى

ان آيات ربنا ثاقبات * لا يمارى فيهن الا الكفور   خلق الليـل والنهار فكل * مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار رب رحيم * بمهاة شعاعها منشور   حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كانه معقور

لازما حلقة الجران كما قطـ ـر من صخر كبكب محدور (٥٠) حوله من ملوك كندة أبطا * ل ملاويث فى الحروب صقور

خلفوه ثم ابذعروا جميعا *
كلهم عظم ساقه مكسور

كل دين يوم القيامـة عنـد
اللـ * ـه
الا دين الحنيفة بور

(قال ابن هشام) وقال الفرزدق واسمه همام بن غالب أحد بنى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويهجو الحجاج بن يوسف ويذكر الفيل وجيشه

فلما طغى الحجاج حين
طغى به
عنا قال انى مرتق فى
السلالم
فكان كما قال ابن نوح
سأرتقى
الى جبل من خشـية الماء
عاصم
رمى الله فى جثمانه مثـل
مارمى
عن القبـلة البيضاء ذات
المحارم
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم * هباء وكانوا مطرخمى الطراخم   نصرت كنصر البيت اذ ساق فيله * اليه عظيم المشركين الاعاجم

وهذه الابيات فى قصيدة له (قال ابن هشام) وقال عبد الله بن قيس الرقيات أحد بنى عامر بن لؤى بن غالب يذكر أبرهة وهو الاشرم والفيل

كاده الاشرم الذى جاء بالفيـل فولى وجيشه مهزوم   واستهلت عليهم الطير بالجنـدل حتى كانه مرجوم
ذاك من يغزه من الناس يرجع * وهو فل من الجيوش ذميم

وهذه الابيات فى قصيدة له * قال ابن اسحق فلما هلك ابرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن ابرهة وبه كان يكنى فلما هلك يكسوم ابن ابرهة ملك اليمن فى الحبشة أخوه مسروق بن

بالكسر القطيع من البقر والظباء ومن النساء أيضا قال الشاعر

فلم ترعينى مثل سرب رأيته * خرجن علينا من زقاق ابن واقف

وطالب بن أبى طالب كان أسن من عقيل بعشرة أعوام وكان عقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من على رضى الله عنه بمثل ذلك وذكروا ان طالبا اختطفته الجن فذهب ولم يذكر انه أسلم * وذكر شعر أبى الصلت واسمه ربيعة بن وهب بن علاج وفيه حبس الفيـل بالمغمس وقد تقدم الكلام على المغمس وان كسر الميم الآخرة أشهر فيه وفيه * بمهاة شعاعها منشور * والمهاة الشمس سميت بذلك لصـفائها والمها من الاجسام الصافى الذى يرى باطنـه من ظاهره والمهاة البلورة والمهاة الظبية ومن اسماء الشمس الغزالة اذا ارتفعت فهـذا فى معـنى المهاة ومن أسمائها البتيراء سئل على بن أبى طالب رضوان الله عليـه عن وقت صـلاة الضحى فقال حتى ترتفع البتيراء ذكره الهروى والخطابى ومن أسمائها حناذ وبراح والضح وذكاء والجارية والبيضاء وبوح ويقال يوح باليـاء وهو قول الفارسى وبالباء ذكره ابن الانبارى والشرق والسراج * وقوله حلقـة الجران الجران العنق يريد ألقى بجرانه الى الارض وهـذا يقوى انه برك كما تقدم ألا تراه يقول كما قطر من صخر كبكب وهو جبل محدور أى محجر حدر حتى بلغ الارض * وقوله ابذعروا تفرقوا من ذعر وهى كلمة منحوتة من أصلين من البـذر والذعر * وقوله الا دين الحنيفة يريد بالحنيفة الامة الحنيفة أى المسلمة التى على دين ابراهيم الحنيف صلى الله عليه وسلم وذلك انه حنف عن اليهودية والنصرانية أى عـدل عنها فسمى حنيفا أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه * وقوله فى شعر الفرزدق كما قال ابن نوح اسمه يام وقيل كنعان * وقوله مطرخمى الطراخم المطرخم الممتلئ كبرا أو غضبا والطراخم جمع مطرخم على قياس الجمع فان المطرخم اسم من سـتة أحرف فيحذف منه فى الجمع والتصغير ما فيه من الزوائد وفيه زائدتان الميم الاولى والميم المدغمة فى الميم الآخرة لان الحرف المضاعف حرفان يقال فى تصـغير مطرخم طريخم وفى جمعه طراخم وفى مسبطر سباطر وذكره يعقوب فى الالفاظ بالغين فقال اطرغم الرجل ولم يذكر الخاء * وذكر عبد الله بن قيس الرقيات واختلف فى تلقيبه قيس الرقيات فقيل كان له ثلاث جدات كلهن رقية [فمن قال فيه ابن الرقيات فانه نسـبه الى جداته ومن قال قيس الرقيات دون ذكر ابن فانه نسبة] وقيل بل شبب بثلاث نسوة كلهن تسمى رقية وقيل بل ببيت قاله وهو * رقية ما رقية ما رقية أيها الرجل * وقال الزبير كان يشبب برقية بنت عبد الواحد بن أبى السرح من بنى ضباب بن حجير بن عبد ابن معيص وبابنة عم لها اسمها رقية وهو ابن قيس بن شريح من بنى حجير أيضا وحجير أخو حجر بن عبد ابن معيص بن عامر رهط عمرو بن أم مكتوم الاعمى * وقوله حتى كانه مرجوم وهو قد رجم فكيف شبهه
بالمرجوم

ابرهة فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميرى وكان يكنى بأبى مرة حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا اليه ما هم فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويليهم هو ويبعث اليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق فشكا اليه أمر الحبشة فقال له النعمان ان لى على كسرى وفادة فى كل عام فاقم حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فادخله على كسرى وكان كسرى يجلس فى ايوان مجلسه الذى فيه تاجه وكان تاجه مثل القنقل العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك وكانت عنقه لا تحمل تاجه انما يستر عليه بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه فى تاجه فاذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك الا برك هيبة له فلما دخل عليه سيف ابن ذى يزن برك (قال ابن هشام) حدثنى أبو عبيدة ان سيفا لما دخل عليه طاطأ رأسه فقال الملك ان هذا الاحمق يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطاطأ رأسه فقيل ذلك لسيف فقال انما فعلت هذا لهمى لانه يضيق عنه كل شىء* قال ابن اسحق ثم قال له أيها الملك غلبتنا على بلادنا الاغربة فقال له كسرى أى الاغربة الحبشة أم السند فقال بل الحبشة فجئتك لتنصرنى ويكون ملك بلادى لك قال بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لاورط جيشا من فارس بارض العرب لا حاجة لى بذلك ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس فبلغ ذلك الملك فقال ان لهذا لشأنا ثم بعث اليه فقال عمدت الى حباء الملك تنثره للناس فقال وما أصنع بهذا ما جبال أرضى التى جئت بها الا ذهب وفضة يرغبه فيها فجمع كسرى مرازبته فقال لهم ماذا ترون فى أمر هذا الرجل وما جاء له فقال قائل أيها الملك ان فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل فلو أنك بعثتهم معه فان يهلكوا كان ذلك الذى اردت بهم وان ظفروا كان ملكا أردته فبعث معه كسرى من كان فى سجونه وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم رجلا منهم يقال له وهرز وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حسبا وبيتا فخرج فى ثمان سفائن فغرقت سفينتان ووصل الى ساحل عدن ست سفائن فجمع سيف الى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلى مع رجلك حتى نموت جميعا او نظفر جميعا قال له وهرز أنصفت وخرج اليه مسروق بن ابرهة ملك اليمن وجمع اليه جنده فارسل اليهم وهرز ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهرز أرونى ملكهم فقالوا له أترى رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء قال نعم قالوا ذاك ملكهم فقال اتركوه قال فوقفوا طويلا ثم قال علام هو قالوا قد تحول على الفرس قال اتركوه فوقفوا طويلا ثم

بالمرجوم وهو مرجوم بالحجارة وهل يجوز أن يقال فى مقتول كانه مقتول فنقول لما ذكر استهلال الطير وجعلها كالسحاب يستهل بالمطر والمطر ليس برجم وانما الرجم بالاكف ونحوها شبهه بالمرجوم الذى يرجمه الآدميون أو من يعقل ويتعمد الرجم من عدو ونحوه فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوما على الحقيقة ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك وانما أمطروا احجارة فمن ثم قال كانه مرجوم* وذكر سيف بن ذى يزن وخبره مع النعمان وكسرى وقد ذكرنا قصته فى أول حديث الحبشة وانه مات عند كسرى وقام ابنه مقامه فى الطلب وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج وهو حمير بن سبا وكسرى هذا هو أنوشروان بن قباذ ومعناه مجدد الملك لانه جمع ملك فارس بعد شتات والنعمان اسم منقول من النعمان الذى هو الدم قاله صاحب العين والقنقل الذى شبه به التاج هو مكيال عظم قال الراجز يصف الكماة

مالك لا تجرفها بالقنقل * لا خير فى الكماة ان لم تفعل

وفى الغريبين للهروى القنقل مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منا ولم يذكر كم المن وأحسبه وزن رطلين وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين استلب من يزدجرد بن شهريار تصير اليه من قبل جده أنوشروان المذكور فلما أتى به عمر رضى الله عنه دعا سراقة بن مالك المدلجى فحلاه باسورة كسرى وجعل التاج على رأسه وقال له قل الحمد الذى نزع تاج كسرى ملك الاملاك من رأسه ووضعه فى رأس اعرابى من بنى مدلج وذلك بعز الاسلام وبركته لا بقوتنا وانما خص عمر سراقة بهذا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قال له ياسراق كيف بك اذا وضع تاج كسرى على رأسك وأسواره فى يديك أو كما قال صلى الله عليه وسلم وذكر قدوم سيف مع وهرز على صنعاء فى ستمائة وقد قدمنا قول ابن قتيبة انهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة وانضافت اليهم قبائل من العرب* وذكر دخول وهرز صنعاء وهدمه بابها وانما كانت تسمى قبل ذلك أوال

قال على ماهو قالوا قد تحول على البغلة قال وهرز بنت الحمار ذل وذل ملكه انى سأرميه فان رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى اوذنكم فانى قد أخطأت الرجل وان رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به فقد أصبت الرجل فاحملوا عليهم ثم وتر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها وأمر بحاجبيه فعصبا له ثم رماه فصك الياقوتة التى بين عينيه فتغلغلت النشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته واستدارت الحبشة ولاثت به وحملت عليهم الفرس وانهزموا فقتلوا وهربوا فى كل وجه وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى اذا أتى بابها فقال لا تدخل رايتى منكسة أبدا اهدموا الباب فهدم ثم دخلها ناصبا رايته فقال سيف بن ذى يزن الحميرى

يظن الناس بالملكـ
ـين انهما قد التأما
ومن يسمع بلأمهما
فان الخطب قد فقما
قتلنا القيل مسروقا
وروينا الكثيب دما
وان القيل قيل النا
س وهرز مقسم قسما
يذوق مشعشعا حتى
يفئ السبى والنعما

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى أبيات له وأنشدنى خلاد بن قرة السدوسى آخرها بيتا لاعشى بنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له وغيره من اهل العلم بالشعر ينكرها له * قال ابن اسحق وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى (قال ابن هشام) ويروى لامية ابن أبى الصلت

ليطلب الوتر أمثال بن ذى يزن
ريم فى البحر للاعداء أحوالا
يمم قيصر لما حان رحلته * فلم يجد عنده بعض الذى سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة * من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببنى الاحرار يحملهم * انك عمرى لقد أسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا * ما ان أرى لهم فى الناس أمثالا
بيضا مرازبة غلبا أساورة * أسدا تربب فى الغيضات أشبالا
يرمون عن شدف كأنها غبط * بزمجر يعجل المرمى اعجالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد * أضحى شريدهم فى الارض فلالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا *

[بفتح الهمزه وكسرها] قال ابن الكلبى وسميت صنعاء لقول وهرز حين دخلها صنعة صنعة يريد أن الحبشة أحكمت صنعها قال ابن مقبل يذكر أوال

عمد الحداة بها لعارض قرية * وكأنها سفن بسيف أوال

وقال جرير

وشبهت الحدوج غداة قو * سفين الهند روح من أوالا

وقال الاخطل

خوص كأن شكيمهن معلق * بقنار دينة أو جذوع أوال

وقد قيل ان صنعاء اسم الذى بناها وهو صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ فكانت تعرف تارة باوال وتارة بصنعاء * وقوله فى شعر أمية ابن بى الصلت ريم فى البحر أى أقام فيه ومنه الروايم وهى الاثافى كذلك وجدته فى حاشية الشيخ التى عارضها بكتابى أبى الوليد الوقشى وهو عندى غلط لان الروايم من رأمت اذا عطفت وريم ليس من رأم وانما هو من الريم وهو الدرج أو من الريم الذى هو الزيادة والفضل أو من رام يريم اذا برح كانه يريد غاب زمانا وأحوالا ثم رجع للاعداء وارتقى فى درجات المجد احوالا ان كان من الريم الذى هو الدرج ووجدته فى غير هذا الكتاب خيم مكان ريم فهذا معناه اقام * وقوله عمرى أراد لعمرى وقد قال الطائى

عمرى لقد نصح الزمان وانه * لمن العجائب ناصح لا يشفق

وقوله اسرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها وكقول الآخر * وقلقل يبغى العز كل مقلقل * وهى شدة الحركة وقوله يرمون عن شدف كانها غبط الشدف الشخص ويجمع على شدوف ولم يردها هنا الا القسى وليس شدوف جمع الشدف وانما هو جمع شدوف وهو النشيط المرح يقال شدف فهو شدف ثم تقول شدوف كما تقول مروح وقد يستعار المرح والنشاط للقسى لحسن تأتيها وجودة رميها واصابتها وانما احتجنا الى هذا التأويل لان فعلا لا يجمع على فعل الا وثن ووثن (فان قلت) فيجمع على فعول مثل اسود فتقول شدوف ثم تجمع الجمع فتقول شدف (قلنا) الجمع الكثير لا يجمع وانما يجمع منه ابنية القليل نحو افعال وافعل وافعلة واشبه ما يقال فى هذا البيت انه جمع على غير قياس هذا ان كان الشدوف القسى ويجوز ان يكون جمع شدف على شدف مثل اسد وأسد ثم حرك الدال وجائز ان يكون أراد المرح من الخيل كما تقدم وجعلها كالغبط لاشراف ظهورها وعلوها * وقوله يرمون عن شدف أى يدفعون عنها بالرمى ويكون الزمخر القسى أو النبل والغبط

فى رأس غمدان دارا منك محلالا

واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم * واسبل اليوم فى برديك اسبالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(قال ابن هشام) هذا ما صح له مما روى ابن اسحق منها الا آخرها بيتا

تلك المكارم لا قعبان من

من لبن فانه للنابغة الجعدى واسمه عبد الله بن قيس أحد بنى جعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال عدى بن زيد الحيرى وكان أحد بنى تميم (قال ابن هشام) ثم أحد بنى امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ويقال عدى من العباد من أهل الحيرة

ما بعد صنعاء كان يعمرها

ولاة ملك جزل مواهبها

رفعها من بنى لدى قزع المزن وتندى مسكا محاربها

محفوفة بالجبال دون عرى الكائد ما ترتقى غواربها

يأنس فيها صوت النهام اذا

جاوبها بالعشى قاصبها

ساقت اليه الاسباب جند بنى الاحرار فرسانها مواكبها

وفوزت بالبغال توسق بالحتف وتسعى بها توالبها

حتى رآها الاقوال من طرف المنقل مخضرة كتائبها

يوما ينادون آل بربر واليكسوم لا يفلحن هاربها

وكان يوما باقى الحديث وزا * لت أمة ثابت مرتبها

وبدل الفيح بالزرافة والايام جون جم عجائبها

والغبط الهوادج والزمخر القصب الفارسى * وقوله فى رأس غمدان ذكر ابن هشام ان غمدان أسسه يعرب بن قحطان وأكمله بعده واحتله وائل بن حمير بن سبأ وكان ملكا متوجا كابيه وجده * وقوله شالت نعامتهم أى هلكوا والنعامة باطن القدم وشالت ارتفعت ومن هلك ارتفعت رجلاه وانتكس رأسه فظهرت نعامة قدمه تقول العرب تنعمت اذا مشيت حافيا قال الشاعر

تنعمت لما جاءنى سوء فعلهم * الا انما الباساء للمتنعم

والنعامة أيضا الظلمة والنعامة الدعامة التى تكون عليها البكرة والنعامة الجماعة من الناس وابن النعامة عرق فى باطن القدم * وذكر النابغة الجعدى واسمه قيس بن عبد الله وقيل ان اسمه حيان بن قيس بن عبد الله بن وحوح والوحوح فى اللغة وسط الوادى قاله أبو عبيد وأبو حنيفة وهو أحد النوابغ وهم ثمانية ذكرهم البكرى وذكر الاعاشى وهم خمسة عشر والنابغة شاعر معمر عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها فى الجاهلية وقدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشاده اياه ودعاء النبى صلى الله عليه وسلم ألا يفضّ الله فاه مشهور وفى كتب الادب والخبر مسطور فلا معنى للاطالة به * وذكر شعر عدى بن زيد العبادى نسب الى العباد وهم من عبد القيس ابن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة قيل انهم انتسلوا من أربعة عبد المسيح وعبد كلال وعبد الله وعبد ياليل وكذلك سائرهم فى اسم كل واحد منهم عبد وكانوا قدموا على ملك فتسموا له فقال أنتم العباد فسموا بذلك وقد قيل غير هذا وفى الحديث المسند أبعد الناس عن الاسلام الروم والعباد وأحسبهم هؤلاء لانهم تنصروا وهم من ربيعة ثم من بنى عبد القيس والله أعلم والذى ذكره الطبرى فى نسب عدى بن زيد انه ابن زيد ابن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم وقد دخل بنو امرىء القيس بن زيد مناة فى العباد فلذلك ينسب عدى اليهم * وقوله صوت النهام يريد ذكر البوم وقاصبها الذى يزمر فى القصب * وقوله فيها دون عرى الكايد يريد عرى السماء وأسبابها * ووقع فى نسخة الشيخ عرى بفتح العين وهى الناحية وأضافها الى الكايد وهو الذى كادهم والبارى سبحانه وتعالى كيده متين * وقوله فوّزت بالبغال أى ركبت المفاوز * وقوله توسق بالحتف أى وسق البغال الحتوف وتوالبها جمع تولب وهو ولد الحمار والتاء فى تولب بدل من واو كما هى فى تؤم وتولج وفى توراة على أحد القولين لان اشتقاق التولب من الوالبة وهى ما يولده الزرع وجمعها والب * وقوله من طرف المنقل أى من أعالى حصونها والمنقال الخرج ينقل الى الملوك من قرية الى قرية فكان المنقل من هذا والله أعلم * وقوله مخضرة كتائبها يعنى من الحديد ومنه الكتيبة الخضراء * وقوله ينادون آل بربر لان البربر والحبشة من ولد حام وقد قيل انهم من ولد جالوت من العماليق * وقد قيل فى جالوت انه من الخزر وأن افريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بربرة وهى اختلاط الاصوات فقال ما أكثر بربرتهم فسموا بذلك وقيل غير هذا * وقوله والغرب أراد الغرب بضم الراء جمع غراب [والاغرب هى الرواية وبه يكمل الوزن] وان كان المعروب أغربة وغربان ولكن القياس لا يدفعه وعنى بهم السودان * وقوله وبدل الفيح بالزرافة وهو المنفرد فى مشيته والزرافة الجماعة وقيل فى الزرافة التى هى حيوان طويل العنق انه اختلط فيها النسل بين الابل الوحشية والبقر الوحشية والنعام وانها متولدة من هذه الاجناس الثلاثة وكذلك ذكر الزبيدى وغيره وأنكر الجاحظ هذا فى كتاب الحيوان له وقال انما دخل هذا الغلط عليهم من تسمية الفرس لها اشتركا وماه

بعد بنى تبع نخاورة * قداطمانت بهامرازبها

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى قصيدة له وأنشدنى أبو زيد ورواه لى عن المفضل الضبى قوله يومايناد ون آل بربر واليكسوم وهذا الذى عنى سطيح بقوله يليه ارم ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك احدا منهم باليمن والذى عنى شق بقوله غلام ليس بدنى ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذى يزن * قال ابن اسحق فاقام وهرز والفرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الابناء الذين باليمن اليوم وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين ان دخلها ارياط الى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة اثنين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة ارياط ثم أبرهة ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن ابرهة

﴿ذكر ما انتهى اليه أمر الفرس باليمن﴾

(قال ابن هشام) ثم مات وهرز فامر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فامر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان على اليمن ثم مات التينجان فامر كسرى ابن التينجان على اليمن ثم عزله وأمر باذان فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فبلغنى عن الزهرى أنه قال كتب كسرى الى باذان انه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبى فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الى برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال ان كان نبيا فسيكون ماقال فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) قتل على يدى ابنه شيرويه (وقال) خالد بن حق الشيبانى

وكسرى اذ تقسمه بنوه * باسياف كما اقتسم اللحام

تمخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

وقد

(قال الزهرى) فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام من معه من الفرس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الرسل من الفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى من نحن يارسول الله قال أنتم منا والينا أهل البيت (قال ابن هشام) فبلغنى عن الزهرى انه قال فمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت (قال ابن هشام) فهو الذى عنى سطيح بقوله نبى زكى يأتيه الوحى من قبل العلى والذى عنى شق بقوله بل ينقطع برسول مرسل ياتى بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك فى قومه الى يوم الفصل

والفرس انما سمته بذلك لان فى خلقتها شبها من جمل ونعامة و بقرة فاشترهوا الجمل وكاو النعامة وماه البقرة والفرس تركب الاسماء وتمزج الالفاظ اذا كان فى المسمى شبه من شيئين أو أشياء ويقال زرافة بتشديد الفاء حكاه أبو عبيد عن القنانى * وقوله * بعد بنى تبع بجاورة * هكذا فى نسخة سفيان بن أبى العاص الاسدى مصححا عليه وقد كتب فى الحاشية نخاورة فى الامين وفى الحاشية النخاورة الكرام وكذلك فى المسموعة على ابن هشام يعنى نسختى أبى الوليد الوقشى اللتين قابل بهما مرتين و يعنى بالحاشية حاشية تينك الامين وان فيهما نخاورة بالنون والخاء المنقوطة وهم الكرام كما ذكر * وذكر قصة باذان وما كتب به الى كسرى وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ومعنى أبرويز بالعربية المظفر وهو الذى غلب الروم حين أنزل الله «ألم غلبت الرومِ فى أدنى الارض» وهو الذى عرض على الله فى المنام فقال له سلم مافى يديك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان بن المنذر بظهور النبى صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم أن الامر سيصير اليه حتى كان من أمره ما كان وهو الذى كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم وحفيده يزدجرد بن شهريار بن أبرويز وهو آخر ملوك الفرس وكان سلب ملكه وهدم سلطانه على يدى عمر بن الخطاب ثم قتل هو فى أول خلافة عثمان وجد مستخفيا فى رحى فقتل وطرح فى قناة الرحى وذلك بمرو من أرض فارس * وذكر حديث باذان ومقتل كسرى وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الاولى سنة سبع من الهجرة وأسلم باذان باليمن فى سنة عشر وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الابناء يدعوهم الى الاسلام فمن الابناء وهب بن منبه بن سيج بن ذكبار وطاووس وذادويه وفيروز اللذان قتلا الاسود العنسى الكذاب وقد قيل فى طاووس انه ليس من الابناء وانه من حمير وقد قيل من فارس واسمه ذكوان بن كيسان وهو مولى بحير بن ريسان وقد قيل مولى الجعد وكان يقال له طاووس القراء لجماله * وقول خالد بن حق.

تمخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

المنون المنية وهو أيضا من أسماء الدهر وهو من مننت الحبل اذا قطعته وفعول اذا كان بمعنى فاعل لم تدخل التاء فى مؤنثه لسر بديع ذكرناه فى غير هذا الكتاب فيقال امرأة صبور وشكور فمعنى المنون المقطوع وتمخضت أى حملت والمخاض الحمل ووزنه فعال ومخاضة الماء ومخاضة وزنه مفعل من الخوض * وقوله أنى أى حان

وقد قلبوه فقالوا آن يئين والدليل على أن آن يئين مقلوب من أنى يأنى قوله آناء الليل وواحدها أنى و إنى و إنى فالنون مقدمة على الياء فى كل هذا وفى كل ما صرف منه نحو الاناء والآنى الذى بلغ اناه أى منتهى وقته فى النسخين وهذا المعنى كقولهم فى المثل الدهر حبلى لا يدرى ما تضع ان كان أراد بالمنون فى البيت الدهر وان كان أراد بالمنون المنية فبعيد ان يقال تمخضت المنون له بهذا اليوم الذى مات فيه فان موته منيته فكيف تمخض المنية بالمنية الا أن يريد أسبابها وما منى له أى قدر من وقتها فتصح الاستعارة حينئذ و يستقيم التشبيه *وقول ابن حق*وكسرى اذ تقسمه بنوه* وانما كان قتله على يدى ابنه شيرويه لكن ذكر بنيه لان بدء السير بينه و بينهم ان ابنه فرخان رأى فى النوم انه قاعد على سرير الملك فى موضع أبيه فبلغ أباه ذلك فكتب الى ابنه شهريار وكان واليا له على بعض البلاد أن اقتل أخاك فرخان فاخفى شهريار الكتاب من أخيه فكتب اليه مرة أخرى فابى من ذلك فعزله و ولى فرخان وأمره بقتل شهريار فعزم على ذلك فاراه شهريار الكتاب الذى كتب له أبوه فيه فتواطئا عند ذلك على القيام على أبيهما وأرسلا الى ملك الروم يستعينان به فى خبر طويل فكان هذا بدء الشر ثم ان الفرس خلعت كسرى لاحداث أحدثها و ولت ابنه شيرويه فكان كسرى ابرويز ربما أشار برأى من محبسه فقالت المرازبة لشيرويه لا يستقيم لك الملك الا ان تقتل أباك فارسل اليه من يقتله فيقال انه كان يضرب بالسيف فما يعمل فيه شيئا ففتش فوجد على عضده حجر معلق كالخرزة فنزع فعملت فيه السلاح وكان قبل يقول لابنه يا قصير العمر فلم يدم أمره بعده الا أقل من ستة أشهر فيما ذكروا والله أعلم* وقوله وجد بحجر باليمن لمن ملك ذمار وحكى ابن هشام عن يونس ذمار بفتح الذال فدل على أن رواية ابن اسحق بالكسر فاذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف لانه اسم لمدينة والغالب عليه التأنيث و يجوز صرفه أيضا لانه اسم بلد واذا فتحت الذال فهو مبنى مثل رقاش وحذام و بنو تميم يعربون مثل هذا البناء فيقولون رقاش فى الرفع ورقاش وحذام فى النصب والخفض يعربونه ولا يصرفونه فاذا كان لام الفعل راء اتفقوا مع أهل الحجاز على البناء والكسر وذمار من ذمرت الرجل اذا حرضته على الحرب*وقوله لحمير الاخيار لانهم كانوا أهل دين كما تقدم فى حديث فيمون وابن الثامر*وقوله لفارس الاحرار فلان الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت فى زعمهم الى أن جاء الاسلام لن يدينوا لملك من غيرهم ولا أدوا الاتاوة لذى سلطان من سواهم فكانوا أحرارا لذلك*وأما قوله للحبشة الاشرار فلما أحدثوا فى اليمن من العيث والفساد واخراب البلاد حتى هموا بهدم بيت الله الحرام وسيهدمونه فى آخر الزمان اذا رفع القرآن وذهب من الصدور الايمان وهذا الكلام المسجع ذكره المسعودى منظوما

حين شدت ذمار قيل لمن أنـ * ـت فقالت لحمير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذاك فقالت * انا للحبش أخبث الاشرار
ثم قالوا من بعد ذاك لمن أنـ * ـت فقالت لفارس الاحرار
ثم قالوا من بعد ذاك لمن أنـ * ـت فقالت الى قريش التجار

وهذا الكلام الذى ذكر انه وجد مكتوبا بالحجر هو فيما زعموا من كلام هود عليه السلام وجد مكتوبا فى منبره وعند قبره حين كشفت الريح العاصفة عن منبره الرمل حتى ظهر وذلك قبل ملك بلقيس بيسير وكان خطه بالمسند و يقال ان الذى بنى ذمار هو شمر بن الاملوك والاملوك هو مالك بن ذى المنار و يقال ذمار وظفار ومنه المثل من دخل ظفار حمر أى تكلم بالحميرية*وذكر قول الاعشى

*قال ابن اسحق وكان فى حجر باليمن فيما يزعمون كتاب بالزبور كتب فى الزمان الاول لمن ملك ذمار لحمير الاخيار لمن ملك ذمار للحبشة الاشرار لمن ملك ذمار لفارس الاحرار لمن ملك ذمار لقريش التجار وذمار اليمن أو صنعاء (قال ابن هشام) ذمار بالفتح فيما أخبرنى يونس * قال ابن اسحق وقال الاعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة فى وقوع ما قال سطيح وصاحبه

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها * حقا كما صدق الذئبى اذ سجعا

وكانت العرب تقول لسطيح الذئبى لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب «قال ابن هشام» وهذا البيت فى قصيدة للاعشى واسم الاعشى ميمون بن قيس

﴿ قصة ملك الحضر ﴾

«قال ابن هشام» وحدثنى خلاد بن قرة بن خالد السدوسى عن جناد أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب أنه يقال ان النعمان بن المنذر من ولد ساطرون ملك الحضر والحضر حصن عظيم كالمدينة كان على شاطئ الفرات وهو الذى ذكر عدى بن زيد فى قوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ * ـلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـ * ـسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فبان الـ * ـملك عنه فبابه مهجور

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى قصيدة له والذى ذكره أبو داود الايادى فى قوله

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال انها لخلف الاحمر ويقال انها لحماد الراوية وكان كسرى سابور ذو الاكتاف غزا ساطرون ملك الحضر فحصره سنتين فاشرفت بنت ساطرون يوما فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا فدست اليه أتتزوجنى ان فتحت لك باب الحضر فقال نعم فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت الا سكران فاخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخربه وسار بها معه فتزوجها فبينا هى نائمة على فراشها ليلا اذ جعلت تململ لا تنام فدعا لها بشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس فقال لها سابور أهذا الذى أسهرك قالت نعم قال فما كان أبوك يصنع بك قالت كان يفرش لى الديباج ويلبسنى الحرير

---

* ما نظرت ذات اشفار كنظرتها * البيت يريد زرقاء اليمامة وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام وقد تقدم طرف من ذكرها فى خبر جديس وطسم وقبل البيت

قالت أرى رجلا فى كفه كتف * أو يخصف النعل لهفى أية صنعا
فكذبوها بما قالت فصبحهم * ذو آل حسان يزجى الموت والسلعا

وكان جيش حسان هذا قد أمروا أن يخيلوا عليها بان يمسك كل واحد منهم نعلا كأنه يخصفها وكتفا كأنه يأكلها وأن يجعلوا على أكتافهم أغصان الشجر فلما أبصرتهم قالت لقومها قد جاءتكم الشجر أو قد غزتكم حمير فقالوا قد كبرت وخرفت فكذبوها فاستبيحت بيضتهم وهو الذى ذكر الاعشى

﴿ خبر الحضر والساطرون ﴾

ذكر فيه قول من قال ان النعمان من ولد الساطرون وهو صاحب الحضر (قال المؤلف) فنذكر شرح قصة الحضر وصاحبه وما قيل فى ذلك ملخصا بعون الله الساطرون بالسريانية هو الملك واسم الساطرون الضيزن ابن معاوية قال الطبرى هو جرمقانى وقال ابن الكلبى هو قضاعى من العرب الذين تنخوا بالسواد فسموا تنوخ أى أقاموا بها وهم قبائل شتى ونسبه ابن الكلبى فقال هو ابن معاوية بن عبيد ووجدته بخط أبى بحر عبيد بضم العين بن أجرم ممن بنى سليح بن حلوان بن الحاف بن قضاعة وأمه جيهلة وبها كان يعرف وهى أيضا قضاعية من بنى تزيد الذين تنسب اليهم الثياب التزيدية وذكر قول أبى دواد

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون

واسم أبى دواد جارية بن حجاج وقيل حنظلة بن شرقى وبعد هذا البيت

صرعته الايام من بعد ملك * ونعيم وجوهر مكنون

وكان الضيزن من ملوك الطوائف وكان يقدمهم اذا اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم وكانت الحضر بين دجلة والفرات وكان ملكه يبلغ أطراف الشام وكان سابور قد تغيب عن العراق الى خراسان فاغار الضيزن على بلاده بمن معه من العرب فلما قفل سابور وأخبر بصنع الضيزن نهد اليه وأقام عليه أربع سنين وذكر الاعشى فى شعره حولين لا يقدر على فتح الحصن وكان للضيزن بنت اسمها النضيرة وفيها قيل

أقفر الحضر من نضيرة فالمـ * ـرباع منها فجانب الثرثار

وكانت سنتهم فى الجارية اذا عركت أى حاضت أخرجوها الى ربض المدينة فعركت النضيرة فاخرجت الى ربض الحضر فاشرفت ذات يوم فابصرت سابور وكان من أجمل الناس فهويته فارسلت اليه أن يتزوجها وتفتح له الحضر واشترطت عليه والتزم لها ما أرادت ثم اختلف فى السبب الذى دلت عليه * فقال ابن

اسحق

اسحق مافى الكتاب وقال المسعودى دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء الى الحضر فقطع لهم الماء ودخلوا منه * وقال الطبرى دلتـه على طلسم كان فى الحضر وكان فى علمهم انه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل الحمامة فتنزل على سور الحضر فيقع الطلسم فيفتح الحضر ففعل سابور ذلك فاستباح الحضر وأباد قبائل من قضاعة كانوا فيه منهم بنو عبيد رهط الضيزن لم يبق منهم عقب وحرق خزائن الضيزن واكتسح مافيها ثم قفل بنضيرة معه وذكر الطبرى فى قتله اياها حين تململت على الفراش الوثير ولين الحرير انه قال لها ما كان يصنع بك أبوك فقالت كان يطعمنى المخ والزبد وشهد أبكار النحل وصفو الخمر وذكر انه كان يرى مخها من صفاء بشرتها وأن ورقة الآس أدمتها فى عكنة من عكنها وان الفراش الذى نامت عليه كان من حرير حشوه القز * وقال المسعودى كان حشوه زغب الطير ثم اتفقوا فى صورة قتلها كما ذكر ابن اسحق غير أن ابن اسحق قال كان المستبيح للحضر سابور ذو الاكتاف وجعله غير سابور بن ازدشير بن بابك وقد تقدم ان ازدشير هو أول من جمع ملك فارس وأذل ملوك الطوائف حتى دان الملك له والضيزن كان من ملوك الطوائف فيبعد ان تكون هذه القصة لسابور ذى الاكتاف وهو سابور بن هرمز وهو ذو الاكتاف لانه كان بعد سابور الاكبر بدهر طويل وبينهم ملوك مسمون فى كتب التاريخ وهم هرمز بن سابور وبهرام بن هرمز وبهرام بن بهرام وبهرام الثالث ونرسى بن بهرام وبعده كان ابنه سابور ذو الاكتاف والله أعلم * وقول الاعشى شاهبورا الجنود بخفض الدال يدل على انه ليس بشاهبور ذى الاكتاف وأما انشاده لابيات عدى بن زيد

وأخو الحضر اذ بناه واذ * دجلة تجبى اليه والخابور

فللشعر خبر عجيب * حدثنا اجازة القاضى الحافظ أبو بكر عن ابن أيوب عن البرقانى عن أبى الحسن على بن عمر قال حدثنا أبو بكر الازرق يوسف بن يعقوب بن اسحق بن البهلول قال حدثنى جدى قال حدثنى أبى عن اسحق بن زياد من بنى سلمة بن لؤى عن شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الاهتم قال أوفدنى يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك فى وفد العراق قال فقدمت عليه وقد خرج متبديا بقرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه فنزل فى أرض قاع صحصح متنايف أفيح فى عام بكر وسميه وتتابع وليه وأخذت الارض زينتها من اختلاف أنوار نبتها من نور ربيع مونق فهو أحسن منظرا وأحسن مستنظرا وأحسن مختبرا بصعيد كان ترابه قطع الكافور حتى لو ان قطعة ألقيت فيه لم تترب قال وقد ضرب له سرادق من حبرة كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة من خز أحمر مثلها عمامتها قال وقد أخذ الناس مجالسهم فاخرجت رأسى من ناحية الطاق فنظر الى شبه المستنطق فقلت أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمة سوغكها بشكر وجعل ما قلدك من هذا الامر رشدا وعاقبة ما تؤل اليه حمدا أخلصه لك بالتقى وكثره لك بالنماء ولا كدر عليك منه ما صفا ولا خالط مسروره الردى فقد أصبحت للمسلمين ثقة ومستراحا اليك يقصدون فى أمورهم واليك يفزعون فى مظالمهم وما أجد يا أمير المؤمنين شيا جعلنى الله فداءك هو أبلغ فى قضاء حقك وتوقير مجلسك مما من الله به علىّ من مجالستك والنظر الى وجهك من ان اذكرك نعم الله عليك وأنبهك لشكرها وما أجد يا أمير المؤمنين شيئا هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فان أذن لى أمير المؤمنين أخبرته عنه قال فاستوى جالسا وكان متكئا ثم قال هات يا ابن الاهتم فقلت يا أمير المؤمنين ان ملكا من الملوك قبلك خرج فى عام مثل عامنا هذا الى الخورنق والسدير فى عام قد بكر وسميه وتتابع وليه وأخذت الارض فيه زينتها من نور ربيع مونق فهو فى أحسن منظر

ويطعمنى المخ ويسقينى الخمر قال وكان جزاء أبيك ما صنعت به أنت الى بذلك أسرع ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها ففيه يقول أعشى بن قيس ابن ثعلبة

ألم تر للحضر اذ أهله
بنعمى وهل خالد من نعم

وأحسن مستنظر وأحسن مختبر بصعيد كان ترابه قطع الكافور حتى لوان قطعة ألقيت فيه لم تترب قال وقد كان اعطى فتاء السن مع الكثرة والغلبة والقهر قال فنظر فابعد النظر فقال لجلسائه لمن هذا هل رأيتم مثل ما أنا فيه هل أعطى احد مثل ما أعطيت قال وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضى على أدب الحق ومنهاجه قال ولن تخلو الارض من قائم لله بحجته فى عباده فقال أيها الملك انك قد سألت عن أمر أفتأذن فى الجواب عنه قال نعم قال أرأيت ما أنت فيه أشىء لم تزل فيه ام شىء صار اليك ميراثا من غيرك وهو زائل عنك وصائر الى غيرك كما صار اليك ميراثا من لدن غيرك قال فكذلك هو قال فلا أراك أعجبت بشىء يسير تكون فيه قليلا وتغيب عنه طويلا وتكون غدا بحسابه مرتهنا قال ويحك فأين المهرب وأين المطلب قال اما ان تقيم فى ملكك تعمل فيه بطاعة ربك على ماساءك وسرك ومضك وأرمضك واما ان تضع تاجك وتضع أطمارك وتلبس أمساحك وتعبد ربك فى هذا الجبل حتى يأتيك أجلك قال فاذا كان فى السحر فاقرع على بابى فانى مختار أحد الرأيين فان اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا تعصى وان اخترت خلوات الارض وقفر البلاد كنت رفيقا لا تخالف قال فقرع عليه بابه عند السحر فاذا هو قد وضع تاجه ولبس أمساحه وتهيأ للسياحة قال فلزما والله الجبل حتى أتتهما آجالهما وهو حيث يقول أحد بنى تميم عدى بن سالم المرى العدوى

أيها الشامت المعير بالد * هر هاأنت المبرء الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الايا * م بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم * من ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنو * شروان أم أين قبله سابور
و بنو الاصفر الكرام ملوك الر * وم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ*ـلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـ*ـسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فبا * ن الملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق اذ * أشرف يوما وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة مايـلك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال وماغبـ*ـطة حى الى الممات يصير
ثم أضحوا كانهم ورق جف * فألوت به الصبا والدبور
ثم بعد الفلاح والملـ*ـك والامة وارتهم هناك القبور

قال فبكى هشام حتى اخضل لحيته و بل عمامته وأمر بنزع أبنيته و بنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ولزم قصره قال فاقبلت الموالى والحشم على خالد بن صفوان بن الاهتم وقالوا اما أردت الى أمير المؤمنين أفسدت عليه لذته ونغصت عليه باديته قال اليكم عنى فانى عاهدت الله عهدا أن لا أخلو بملك الا ذكرته الله عز وجل والذى ذكره عدى بن زيد فى هذا الشعر هو النعمان بن امرىء القيس جد النعمان ابن المنذر وأول هذا الشعر

أرواح مودع أم بكور * فانظر لاى ذاك تصير

قاله عدى وهو فى سجن النعمان بن المنذر وفيه قتل وهو عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروب ابن عامر بن عصبة بن أمرىء القيس بن زيد بن مناة بن تميم وقال عمرو بن آلة بن الخنساء

الم ينبئك والانباء تنمى * بما لاقت سراة بنى العبيد
ومصرع ضيزن و بنى أبيه * وأحلاس الكتائب من شريد
أتاهم بالفيول مجللات * وبالابطال سابور الجنود
فهدم من أواسى الحضر صخرا * كان ثقاله زبر الحديد

وقال الاعشى

أقام به شاهبور الجنو * دحولين تضرب فيه القدم

وقد قدمنا أن شاهبور معناه ابن الملك وان بور هو الابن بلسانهم و فى هذا البيت دليل على ماقلناه من أن سابور مغير بن شاهبور والقدم جمع قدوم وهو الفاس ونحوه والقدوم اسم موضع ايضاً اختتن فيه ابراهيم عليه السلام الذى جاء فى الحديث ان ابراهيم اختتن بالقدوم مخفف أيضاً وقد روى فيه التشديد و بعده

فهل زاده ربه قوة * ومثل مجاوره لم يقم
وكان قد دعا قومه * هلموا الى أمركم قد صرم
فموتوا كراما باسيافكم * أرى الموت يجشمه من جشم

وفى الشعر وهل خالد من نعم يقال نعم ينعم و ينعم مثل حسب يحسب و يحسب * وفى أدب الكتاب انه يقال نعم ينعم مثل فضل يفضل حكى ذلك عن سيبويه وهو غلط من القتبى ومن تامله فى كتاب سيبويه تبين له غلط القتبى وان سيبويه لم يذكر الضم الا فى فضل يفضل * وقول عدى بن زيد ربية لم توق والدها يحتمل ان تكون فعيلة من ربيت الا ان القياس فى فعيلة بمعنى مفعولة ان تكون بغير هاء و يحتمل انه أراد معنى الربو والنماء لانها ربت فى نعمة فتكون بمعنى فاعلة و يكون البناء موافقا للقياس وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد ربيئة بالهمز وسهل الهمزة فصارت ياء وجعلها ربيئة لانها كانت طليعة حيث اطلعت حتى رأت سابور وجنوده و يقال للطليعة ذكرا كان أو أنثى ربيئة و يقال له رباء على وزن فعال وانشدوا * رباء شماء لا يأوى لقلتها * البيت وقوله أضاع راقبها أى أضاع المربئة الذى يرقبها و يحرسها و يحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أى أضاعها حافظها * وقوله والخمر وهل يقال وهل الرجل وهلا و وهلا اذا أراد شيئاً فذهب وهمه الى غيره و يقال فيه وهم أيضا بفتح الهاء واما وهم بالكسر فمعناه غلط وأوهم بالالف معناه أسقط * وقوله سبائبها السبائب جمع سبيبة وهى كالعمامة أونحوها ومنه السبب وهو الخمار * وقوله فى خدرها مشاجبها المشاجب جمع شجب وهو ما تعلق منه الثياب ومنه قول جابر وان ثيابى لعلى المشجب وكانوا يسمون القربة مشجبا لانها جلد ماء قد شجب أى عطب وكانوا لا يمسكون القربة وهى الشجب الا معلقة فالعود الذى تعلق به هو المشجب حقيقة ثم اتسعوا فسموا ما تعلق به الثياب مشجبا تشبيها به وفى شعر عدى المتقدم ذكر الخابور وهو واد معروف وهو فاعول من خبرت الارض اذا حرثتها وهو واد عظيم عليه مزارع قالت ليلى أخت الوليد بن طريف الخارجى الشيبانى حين قتل أخوها الوليد قتله يزيد بن مزيد الشيبانى أيام الرشيد فلما قتل قالت أخته

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كانك لم تحزن على ابن طريف
فقدناه فقدان الربيع وليتنا * فديناه من ساداتنا بالوف

واما الخافور بالفاء فنبات تخفر ريحه أى تقطع شهوة النساء كما يفعل الحبق و يقال له المرو و بهذا الاسم يعرفه الناس وهو الزعبر أيضا

أقام به شاهبور الجنو
دحولين تضرب فيه القدم
فلما دعا ربه دعوة
أناب اليه فلم ينتقم
وهذه الابيات فى قصيدة
له * وقال عدى بن زيد فى
ذلك
والحضر صابت عليه
داهية
من فوقه أيد مناكبها
ربية لم توق والدها
لحينها اذ أضاع راقبها
اذ غبقته صهباء صافية
والخمر وهل يهيم شاربها
فاسلمت أهلها بليلتها
تظن ان الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس اذ
جشر ال
صبح دماء تجرى سبائبها
وخرب الحضر واستبيح
وقد
أحرق فى خدرها مشاجبها
وهذه الابيات فى قصيدة له

﴿ذكر ولد نزار بن معد﴾ قال ابن اسحق فولد نزار بن معد ثلاثة نفر مضر بن نزار وربيعة بن نزار وأنمار بن نزار (قال ابن هشام) واياد بن نزار قال الحرث بن دوس الايادى ويروى لابى دؤاد الايادى واسمه حارثة بن الحجاج

وفتو حسن أوجههم * من اياد بن نزار بن معد

وهذا البيت فى أبيات له فام مضر واياد سودة بنت عك بن عدنان وأم ربيعة وانمار شقيقة بنت عك بن عدنان ويقال جمعة بنت عك بن عدنان * قال ابن اسحق فانمار أبو خثعم وبجيلة قال جرير بن عبد الله البجلى وكان سيد بجيلة وهو الذى يقول له القائل

لولا جرير هلكت بجيله * نعم الفتى وبئست القبيله

وهو ينافر الفرافصة الكلبى الى الاقرع بن حابس التميمى

ياأقرع بن حابس ياأقرع * انك ان تصرع أخاك تصرع

وقال

ابنى نزار انصرا اخاكما * ان أبى وجدته أبا كما
لن يغلب اليوم أخ والاكما *

وقد تيامنت فلحقت باليمن (قال ابن هشام) قالت اليمن وبجيلة انمار بن أراش بن لحيان بن عمرو ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال اراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث ودار بجيلة وخثعم يمانية * قال ابن اسحق فولد مضر بن نزار رجلين الياس بن مضر وعيلان بن مضر

﴿ذكر نزار بن معد ومن تناسل منهم﴾

قد ذكرنا أولاد معد العشرة فيما تقدم فاما مضر فقد تقدم ذكره فى عمود نسب النبى صلى الله عليه وسلم وذكرنا انه أول من سن حداء الابل وسببه فيما ذكروا انه سقط عن بعير فوثبت يده وكان أحسن الناس صوتا فكان يمشى خلف الابل ويقول وايدياه وايدياه يترنم بذلك فاعنقت الابل وذهب كلالها فكان ذلك أصل الحداء عند العرب وذلك انها تنشط بحدائها الابل فتسرع واما انمار بن نزار وهو أبو بجيلة وخثعم فسمى بالانمار جمع نمر كما سموا بسباع وكلاب وأم بنيه بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ولده من غيرها أفتل وهو خثعم وولدت له عبقر فى خمسة عشر سماهم أبو الفرج عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم وداعة وخزيمة وصحيم والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفهم والغوث وسهل وعبقر وأشهل كلهم بنو انمار ويقال ان بجيلة حبشية حضنت أولاد انمار الذين سمينا ولم تحضن أفتل وهو خثعم فلم ينسب اليها وروى الترمذى من طريق فروة بن مسيك انه لما أنزل الله فى سبا ما أنزل قال رجل يارسول الله ماسبا امرأة أم أرض قال ليس بامرأة ولا أرض ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان واما الذين تيامنوا فالازد والاشعرون وحمير ومذحج وكندة وأنمار قال الرجل ومن أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة * وقوله

لولا جرير هلكت بجيلة * نعم الفتى وبئست القبيلة

قال لما سمع هذا مامدح رجل هجى قومه وجرير هذا هو ابن عبد الله بن جابر وهو السليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن جذيمة [فميلة من الجذم عن ابن دريد قاله أبو على البغدادى بن حرب] بن عدى بن مالك بن سعد بن زيد بن قصر وهو مالك بن عبقر بن انمار بن أراش بن عمرو بن الغوث يكنى أباعمرو وقيل أباعبد الله وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم خير ذى يمن عليه مسحة ملك وكان عمر يسميه يوسف هذه الامة وكان من مقبلى الظعن وكانت نعله طولها ذراع فيما ذكروا ومن النذير بن قصر العرنيون الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة وحديثهم مشهور وهم بنو عرينة بن النذير أو بنو عرينة بن ربيعة بن نذير لانهما عرينتان وأحدهما عم الآخر وقال ابن اسحق فى السيرة من بنى قيس كبة من بجيلة * وقوله وهو ينافر الفرافصة الكلبى الى الاقرع بن حابس التميمى ينافر أى يحاكم قال قاسم بن ثابت لفظ المنافرة مأخوذ من النفر وكانوا اذا تنازع الرجلان وادعى كل واحد منهم انه أعز نفرا من صاحبه تحاكموا الى العلامة فمن فضل منهما قيل نفره عليه أى فضل نفره على نفر الآخر فمن هذا أخذت المنافرة وقال زهير

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء

والفرافصة بالضم اسم الاسد وبالفتح اسم الرجل وقد قيل كل فرافصة فى العرب بالضم الا الفرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فانه بالفتح * وقوله ذلك أن تصرع أخاك تصرع * وجدت فى حاشية أبى بحر قال الاشهر فى الرواية ان يصرع أخوك وانما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط لانه فى نية التقديم عند سيبويه وهو على اضمار الفاء عند المبرد وماذكر فى انمار من قول أهل اليمن يشهد له حديث الترمذى المتقدم وذكر أم الياس وقال فيها امرأة من جرهم ولم يسمها وليست من جرهم وانما هى الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبرى وقد قدمنا ذلك فى نسب النبى صلى الله عليه وسلم * وأما عيلان أخو الياس فقد قيل انه قيس

(قال ابن هشام) وأمهما جرهمية * قال ابن اسحق فولد الياس بن مضر ثلاثة نفر مدركة بن الياس وطابخة بن الياس وقمعة بن الياس وامهم خندف امرأة من اليمن (قال ابن هشام) خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة * قال ابن اسحق وكان اسم مدركة عامرا واسم طابخة عمرا وزعموا انهما كانا فى ابل لهما يرعيانها فاقتنصا صيدا فقعدا عليه يطبخانه وعدت عادية على ابلهما فقال عامر لعمرو أتدرك الابل أم تطبخ هذا الصيد فقال عمرو بل اطبخ فلحق عامر بالابل فجاء بها فلما راحا على أبيهما حدثاه بشانهما فقال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو وأنت طابخة وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن لحى بن قمعة بن الياس

﴿قصة عمرو بن لحى وذكر أصنام العرب﴾

* قال ابن اسحق وحدثنى عبدالله بن ابى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن أبيه قال حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار فسألته عمن بينى و بينه من الناس فقال هلكوا * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمى ان اباصالح السمان حدثه انه سمع أباهريرة (قال ابن هشام) واسم أبى هريرة عبدالله بن عامر و يقال اسمه عبدالرحمن بن صخر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاكثم بن الجون الخزاعى ياأكثم رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلا

نفسه لا أبوه وسمى بفرس له اسمه عيلان وكان يجاوره قيس كبة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه فرق بينهما بهذه الاضافة وقيل عيلان اسم كلب له وكان يقال له الياس ولاخيه الياس وقد تقدم فى أول الكتاب القول فى عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومافيه غنية من شرح تلك الاسماء * وذكر مدركة وطابخة وقمعة وسبب تسميتهم بهذه الاسماء وفى الخبر زيادة وهو ان الياس قال لامهم واسمها ليلى وأمها ضرية بنت ربيعة بن نزار التى ينسب اليها حمى ضرية وقد أقبلت تخندف فى مشيتها مالك تخندفين فسميت خندف والخندفة سرعة فى مشى وقال لمدركة * وأنت قد أدركت ماطلبتا * وقال لطابخة * وأنت قد أنضجت ماطبختا * وقال لقمعة وهو عمير * وأنت قد قعدت فانقمعتا * وخندف التى عرف بها بنو الياس وهى التى ضربت الامثال بحزنها على الياس وذلك انها تركت بنيها وساحت فى الارض تبكيه حتى ماتت كمدا وكان مات يوم خميس وكانت اذا جاء الخميس بكت من أول النهار الى آخره فمما قيل من الشعر فى ذلك

اذا مؤنس لاحت خراطيم شمسه * بكت به حتى ترى الشمس تغرب
فما رد نأسا حزنها وعويلها * ولم يغنها حزن ونفس تعذب

وكانوا يسمون الخميس مؤنسا قال الزبير وانما نسب بنو الياس لامهم لانها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم رحمهم الناس فقالوا هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم وهم صغار أيتام حتى عرفوا ببنى خندف وأما عوانة بنت سعد بن قيس عيلان فسميت العوانة وهى الناقة الطويلة * وذكر حديث عمرو بن لحى بن قمعة ابن الياس وقد تقدم فى نسب خزاعة وأسلم انهما ابنا حارثة بن ثعلبة وان ربيعة بن حارثة هو أبو خزاعة من بنى أبى حارثة بن عامر لا من حارثة وسيأتى ذلك وقول النبى صلى الله عليه وسلم لاسلم ارموا يابنى اسمعيل فان أباكم كان راميا وهو معارض لحديث أكثم بن الجون فى الظاهر الان بعض أهل النسب ذكر أن عمرو بن لحى كان حارثة قد خلف على أمه بعد أن أيمت من قمعة ولحى صغير ولحى هو ربيعة فتبناه حارثة وانتسب اليه فيكون النسب صحيحا بالوجهين جميعا الى حارثة بالتبنى والى قمعة بالولادة وكذلك أسلم بن أفصى بن حارثة فانه أخو خزاعة والقول فيه كالقول فى خزاعة وقيل فى أسلم بن أفصى انهم من بنى أبى حارثة ابن عامر لا من بنى حارثة فعلى هذا لا يكون فى الحديث حجة لمن نسب قحطان الى اسمعيل والله أعلم * ومن حجة من نسب خزاعة الى قمعة مع الحديث المذكور فى ذلك قول المعطل يخاطب قوما من خزاعة

لعلكم من أسرة قمعية * اذا حضروا لا يشهدون المعرفا

* وقوله فى حديث أكثم الذى يرويه أبو هريرة اسم أبى هريرة عبدالله بن عمرو وقيل عبدالرحمن بن صخر وقيل هو الذى ذكره ابن هشام وقال البخارى اسمه عبد شمس بن عبد نهم وقيل اسمه عبد غنم ويحتمل أن يكون هذا اسمه فى الجاهلية فبدله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدل كثيرا من الاسماء وقد قيل اسمه يزيد بن عشرقة وقيل كردوس وقيل سكين قاله النفسوى وقيل غير هذا وكناه أباهريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهرة رآها معه وقد ذكر أن الهرة كانت وحشية * واما أكثم الذى ذكره فقد صرح فى حديثه بنسب عمرو والد خزاعة وذكره لقوة الشبه بين أكثم و بينه يدل على انه نسب ولادة كما تقدم لاسيما على رواية الزبير فان فيها انه قال رأيت عمرو بن لحى والد خزاعة يجر قصبه فى النار * وقوله لاكثم انك مؤمن وهو كافر قد روى الحديث الحارث بن أبى أسامة فى مسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه المقالة فى حديث الدجال لعبد العزى بن قطن وان عبد العزى قال أيضرنى شبهى به يارسول الله يعنى

الدجال فقال له كما قال لا كثم انك مؤمن وهو كافر وأحسب هذا وهما فى الحديث والله أعلم كما ذكره البخارى عن الزهرى قال ابن قطن رجل من خزاعة هلك فى الجاهلية ولا كثم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان ٠ أحدهما خير الرفقاء أربعة وقد تكلمنا على معناه فى كتاب التعريف والاعلام ٠ والآخر اغزمع غير قومك تحسن خلقك قال الاسكاف فى كتاب فوائد الاخبار معنى هذا الان الرجل اذا غزى مع غير قومه تحفظ ولم يسترسل وتكلف من رياضة نفسه ما لا يتكلفه فى صحبة من يثق باحتماله لنظرهم اليه بعين الرضى ولصحة ادلاله فلذلك تحسن خلقه لرياضة نفسه على الصبر والاحتمال فهذا احسن من التأويل غير ان الحديث مختلف فى لفظه فقد روى فيه سافر مع قومك وذكر الروايتين أبو عمر رحمه الله * وذكر فى الحديث عمرو بن لحى وأنه أول من بحر البحيرة * وقد روى أيضا أن أول من بحر البحيرة رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته فى النار يخبطانه باخفافهما ويعضانه بافواههما وقال عليه السلام قد عرفت أول من سيب السائبة ونصب النصب عمرو ابن لحى رأيته يوذى أهل النار بريح قصبه رواه ابن اسحق عن عبد الله بن أبى بكر مرسلا ولم يقع فى رواية البكائى عنه

أصل عبادة الاوثان

يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غير صخرة كالنحاس ونحوه وكان عمرو ابن لحى حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسو فى الموسم فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة حتى انه اللات الذى يلت السويق للحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذى يلت كان من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولكن دخل فى الصخرة ثم أمرهم بعبادتها وان يبنوا عليها بيتا يسمى اللات ويقال دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التاء واتخذ صنما يعبد * وقد ذكر ابن اسحق انه أول من أدخل الاصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها وسيأتى ذكر اساف ونائلة وما كان منه فى أمرهما وذكر أبو الوليد الازرقى فى أخبار مكة ان عمرو بن لحى فقأ أعين عشرين بعيرا وكانوا يفقؤن عين الفحل اذا بلغت الابل الفا فاذا بلغت الفين فقؤا العين الاخرى قال الراجز

وكان شكر القوم عند المنن * كى الصحيحات وفقأ الاعين

وكانت التلبية من عهد ابراهيم لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحى فبينما هو يلبى تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال الشيخ الا شريكا هو لك فانكر ذلك عمرو وقال وما هذا فقال الشيخ قل تملكه وما ملك فانه لا بأس بهذا فقالها عمرو فدانت بها العرب وذكر ابن اسحق ما كان فى قوم نوح ومن قبلهم من عبادة الاصنام وتلك هى الجاهلية الاولى التى ذكر الله فى القرآن فى قوله «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى» وكان بدؤ ذلك فى عهد مهلايل بن قينان فيما ذكروا وقد ذكر البخارى عن ابن عباس قال صارت الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد وهى أسماء قوم صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان أنصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسونها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولائك وتنوسخ العلم عبدت وذكر الطبرى هذا المعنى وزاد أن سواعا كان ابن شيث وان يغوث كان ابن سواع وكذلك يعوق ونسر كلما هلك الاول صورت صورته

أشبه برجل منك به ولا بك منه فقال أكثم عسى أن يضرنى شبهه يارسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر انه كان أول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى (قال ابن هشام) حدثنى بعض أهل العلم ان عمرو بن لحى خرج من مكة الى الشام فى بعض اموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه الاصنام التى أراكم تعبدون قالوا له هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطوننى منها صنما فاسير به الى أرض العرب

فيعبدونه فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وامر الناس بعبادته وتعظيمه * قال ابن اسحق ويزعمون ان اول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى اسمعيل انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح فى البلاد الاحمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم الى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسمعيل غيره فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدى البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه فكانت كنانة وقريش اذا أهلوا قالوا لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أى ما يوحدونى لمعرفة حقى الا جعلوا معى شريكا من خلقى وقد كانت لقوم نوح اصنام قد عكفوا عليها قص الله تبارك وتعالى خبرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فكان الذين اتخذوا تلك الاصنام من ولد اسمعيل وغيرهم وسموا باسمائهم حين فارقوا دين اسمعيل هذيل بن مدركة ابن الياس بن مضر اتخذوا سواعا وكان لهم برهاط وكلب بن وبرة من قضاعة اتخذوا ودا بدومة الجندل * قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك الانصارى

ونسى اللات والعزى وودا
ونسلبها القلائد والشنوفا

(قال ابن هشام) وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها ان شاء الله (قال ابن هشام) وكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة * قال ابن اسحق وأنعم من طيء واهل جرش من مذحج اتخذوا يغوث بجرش (قال ابن هشام) ويقال بل أنعم وطيء ابن أدد بن مالك ومالك مذحج بن أدد ويقال طيء بن ادد بن زيد بن كهلان بن سبأ * قال ابن اسحق وخيوان بطن من همدان اتخذوا يعوق بارض همدان من أرض اليمن (قال ابن هشام) اسم همدان أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال أوسلة بن زيد بن أوسلة بن الخيار (قال ابن هشام) وقال مالك بن نمط الهمدانى

يريش الله فى الدنيا ويبرى * ولا يبرى يعوق ولا يريش

وهذا البيت فى أبيات له ويقال همدان بن أوسلة ابن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ * قال ابن اسحق وذو الكلاع من حمير اتخذوا نسرا بأرض حمير وكان لخولان صنم يقال له عم أنس بأرض خولان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم فما دخل فى حق عم أنس من حق الله تعالى الذى سموه له تركوه له وما دخل فى حق الله تعالى من حق عم أنس ردوه عليه وهم بطن من خولان يقال لهم الاديم وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا

وعظمت لموضعه من الدين ولما عهدوا فى دعائه من الاجابة فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف وقالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا الا لانها ترزق وتنفع وتضر واتخذوها آلهة وهذه أسماء سريانية وقعت الى الهند فسموا بها أصنامهم التى زعموا انها صور الدرارى السبعة وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم ثم أدخلها الى العرب عمرو بن لحى كما ذكر أو غيره وعلمهم تلك الاسماء والقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا فى عهد نوح * وذكر ابن اسحق ان كلب بن وبرة من قضاعة وبرة بسكون الباء تقييد فى نسخة الشيخ وهى الانثى من الوبر اتخذوا ودا فى دومة الجندل ودومة هذه بضم الدال ذكروا انها سميت بدومى بن اسمعيل كان نزلها ودومة أخرى بضم الدل عند الكوفة ودومة بفتح الدال أخرى مذكورة فى أخبار الردة كذا وجدته للبكرى مقيدا فى أسماء هذه المواضع وذكر طيء بن أدد أو ابن ملك بن أدد على الخلاف وملك هو مذحج وسمو مذحجا بأكمة نزلوا اليها من الطأة وهى بعد الذهاب فى الارض قاله ابن جنى ولم يرض قول القتبى انه أول من طوى المناهل لان طيئا مهموز وطويت غير مهموز * وذكر جرش فى مذحج والمعروف أنهم فى حمير وأن مذحج من كهلان بن سبأ ويقال ان الملك كان لكهلان بعد حمير وان ملكه دام ثلثمائة سنة ثم عاد فى بنى حمير قاله المسعودى * وذكر الدارقطنى ان جرش وحرش بالحاء اخوان وانهما ابنا عليم بن جناب الكلبى فهما قبيلان من كلب والله أعلم * وذكر ملك بن نمط الهمدانى وهو أبو ثور يلقب ذا المعشار وهو من بنى خارف وقد قيل انه من يام بن أصى وكلاهما من همدان * وقوله يريش الله فى الدنيا ويبرى هو من رشت السهم وبريته ثم استعير فى النفع والضر قال سويد

فرشنى بخير طال ما قد بريتنى * وخير الموالى من يريش ولا يبرى

فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون (قال ابن هشام) خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ويقال خولان بن عمرو بن برة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج * قال ابن اسحق وكان لبنى ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر صنم يقال سعد صخرة بفلاة من أرضهم طويلة فاقبل رجل من بنى ملكان بابل له مويلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم فلما رأته الابل وكانت مرعبة لا تركب وكان يهراق عليه الدماء نفرت منه فذهبت فى كل وجه وغضب ربها الملكانى فاخذ حجرا فرماه به ثم قال لا بارك الله فيك نفرت على ابلى ثم خرج فى طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال

أتينا الى سعد ليجمع شملنا * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة بتنوفة * من الارض لا يدعو لغى ولا رشد

وكان فى دوس صنم لعمرو بن حممة الدوسى (قال ابن هشام) ساذكر حديثه فى موضعه ان شاء الله ودوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الاسد بن الغوث ويقال دوس بن عبد الله بن زهران بن الاسد بن الغوث * قال ابن اسحق وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل (قال ابن هشام) ساذكر حديثه ان شاء الله فى موضعه. قال ابن اسحق واتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم هو اساف بن بغى ونائلة بنت ديك فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة انها قالت سمعت عائشة رضى الله عنها تقول مازلنا نسمع ان اسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم * قال ابن اسح

وقال أبو طالب

وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم * بمفضى السيول من اساف ونائل

(قال ابن هشام) وهذا البيت فى قصيد ساذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به ح يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره واذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله فلما بع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش أجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا الشىء عجاب وكانت العرب قد اتخذت مع الك طواغيت وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدى اليها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنح عندها وهى تعرف فضل الكعبة عليها لانها كانت قد عرفت انها بيت ابراهيم الخليل ومسجده وكانت لقريش وبنى كنانة العزى بنخ

وذكر حديث الملكانى وقوله * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد * ويمتنع فى العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر الا مع تكرار لا مثل ان تقول لا زيد فى الدار ولا عمرو وذكر سيبويه قولهم لا نولك ان تفعل وقال انما جاز هذا الان معناه معنى الفعل أى لا ينبغى لك أن تفعل وكذلك ينبغى ان يقال فى بيت الملكانى اى لم يقلها على جهة الخبر ولكن على قصد التبرى منه فكان معنى الكلام فلا نتولى سعدا ولا ندين به فهذا المعنى حسن دخول لا على الابتداء كما حسن لا نولك * وقوله الا صخرة بتنوفة التنوفة القفر وجمعها تنائف بالهمز ووزنها فعولة ولو كانت تفعلة من النوف وهو الارتفاع لجمعت تناوف ولكنه لا يجوز ان يكون تفعلة الا ان تحرك الواو بالضم لئلا يشبه بناء الفعل ولو قيل فيها تنوفة بضم التاء لاحتمل حينئذ أن تكون فعولة أو تفعلة على مثال تنفلة اذ ليس فى الافعال تفعل بالضم وهذا من دقيق علم التصريف * واما ملكان بن كنانة فبكسر الميم قال أبو جعفر بن حبيب النسابة كل شىء فى العرب فهو ملكا بكسر الميم ساكن اللام غير ملكان فى قضاعة وملكان فى السكون فانهما بفتح الميم واللام فملكان قضاعة هو ابن جرم بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وملكان السكون هو ابن عباد بن عياض بن عقبة بن السكون بن اشرس من كندة وكذلك قال الهمدانى فى ملكان بن جرم وقال مثل غطفان وقال ابن حبيب مشايخ خزاعة يقولون ملكان بفتح اللام قال أبو الوليد يعنى ابن حبيب ملكان بن أفصى بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وذكر أبو على القالى فى أماليه عن أبى بكر بن الانبارى عن أبيه عن أشياخه ان كل ملكان فى العرب فهو ملكان بكسر الميم الا ملكان فى جرم بن زبان (قال المؤلف) وابن حبيب النسابة مصروف اسم أبيه ورأيت لابن المغربى قال انما هو ابن حبيب بفتح الباء غير مجرى لانها أمه وأنكر ذلك عليه غيره وقالوا هو حبيب بن المحبر معروف غير منكر وانما ذكرناه ههنا لما حكينا قوله فى ملكان

﴿فصل﴾ وذكر اسافا ونائلة وانهما رجل وامرأة من جرهم وان اسافا وقع عليها فى الكعبة فمسخا وذكر رزين فى فضائل مكة عن بعض السلف قال ما أمهلهما الله الى أن يفجرا فيها ولكنه قبلها فمسخا حجرين

فاخرجا

وكانت سدنتها وحجابها بنى شيبان من سليم حلفاء بنى هاشم (قال ابن هشام) حلفاء أبى طالب خاصة وسليم سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان * قال ابن اسحق فقال شاعر من العرب

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة * من الادم أهداها امرؤ من بنى غنم
رأى قدعا فى عينها اذ يسوقها * الى غبغب العزى فوسع فى القسم

وكذلك كانوا يصنعون اذا نحروا هديا قسموه فيمن حضرهم والغبغب المنحر مهراق الدماء (قال ابن هشام) وهذان البيتان لابى خراش الهذلى واسمه خويلد بن مرة فى أبيات له والسدنة الذين يقومون بامر الكعبة قال رؤبة بن العجاج

فلا ورب الآمنات القطن
بمحبس الهدى وبيت المسدن

وهذان البيتان فى أرجوزة له وسأذكر حديثها ان شاء الله تعالى فى موضعه * قال ابن اسحق وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بنى معتب من ثقيف (قال ابن هشام) وسأذكر حديثها ان شاء الله تعالى فى موضعه * قال ابن اسحق وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد (قال ابن هشام) وقال الكميت بن زيد احد بنى أسد بن خزيمة بن مدركة

وقد آلت قبائل لا تولى * مناة ظهورها متحرفينا

وهذا البيت فى قصيدة له (قال ابن هشام) فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها أباسفيان بن حرب فهدمها ويقال على بن أبى طالب * قال ابن اسحق وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة (قال ابن هشام) ويقال ذو الخلصة قال رجل من العرب

لو كنت ياذا الخلص الموتورا * مثلى وكان شيخك المقبورا * لم تنه عن قتل العداة زورا

قال وكان أبوه قتل فاراد الطلب بثاره فاتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالازلام فخرج السهم بنهيه عن ذلك فقال هذه الابيات ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حجر الكندى

فأخرجا الى الصفا والمروة فنصبا عليهما ليكونا عبرة وموعظة فلما كان عمرو بن لحى نقلهما الى الكعبة ونصبهما على زمزم فطاف الناس بالكعبة وبهما حتى عبدا من دون الله . وأما هبل فان عمرو بن لحى جاء به من هيت وهى من أرض الجزيرة حتى وضعه فى الكعبة . وذكر الواقدى ان نائلة حين كسرها النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتنادى بالويل والثبور وذكر باقى الحديث وقول عائشة أحدثا فى الكعبة أرادت الحدث الذى هو الفجور كما قال عليه السلام من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله . وقال عمر حين كانت الزلزلة بالمدينة أحدثتم والله لئن عادت لاخرجن من بين أظهركم وقول أبى طالب من اساف ونائل هو ترخيم فى غير النداء للضرورة كما قال أمال بن حنظل وذكر قول الشاعر * رأى قدعا فى عينها * والقدع ضعف البصر من ادمان النظر * وقوله فى الغبغب وهو المنحر ومراق الدم كانه سمى بحكاية صوت الدم عند انبعاثه ويجوز ان يكون مقلوبا من قولهم بئر بغبغ وبغيبغ اذا كانت كثيرة الماء قال الراجز * بغيبغ قصيرة الرشاء * ومنه قيل لعين أبى نيزر البغيبغة ومعنى هذا البيت الذم وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها فلا تصلح الا للذبح والقسم * وذكر قلسا فى بلاد طيئ بين أجا وسلمى . ويذكر عن ابن الكلبى أو غيره ان أجا اسم رجل بعينه وهو أجا بن عبد الحى وكان فجر بسلمى بنت حام أواتهم بذلك فصلبا فى ذينك الجبلين وعندهما جبل يقال له العرجاء وكانت العرجاء حاضنة سلمى فيماذكر وكانت السفير بينها وبين اجا فصلبت فى الجبل الثالث فسمى بها * وذكر ذا الخلصة وهو بيت دوس والخلص فى اللغة نبات طيب الريح يتعلق بالشجر له حب كعنب الثعلب وجمع الخلصة خلص وان الذى استقسم بالازلام هو امرؤ القيس بن حجر ووقع فى كتاب أبى الفرج أن أمرىء القيس بن حجر حين وترته بنو أسد بقتل أبيه استقسم عند ذى الخلصة بثلاثة أزلام وهى الزاجر والآمر والمربض فخرج له الزاجر فسب الصنم ورماه بالحجارة وقال له اعضض ببظر أمك * وقال الرجز الذى ذكره ابن اسحق * لو كنت ياذا الخلص الموتورا * الى آخره ولم يستقسم أحد عند ذى الخلصة بعد حتى جاء الاسلام وموضعه اليوم مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم ذكره المبرد عن أبى عبيدة واسم امرئ القيس حندج والحندج بقلة تنبت فى الرمل والقيس الشدة والنجدة قال الشاعر

وأنت على الاعداء قيس ونجدة * وأنت على الادنى هشام ونوفل

والنسب اليه مرقسى والى كل امرىء القيس سواه مرئى وقد قيل ان حندجا اسم امرئ القيس بن عابس وله صحبة وهو كندى مثل الاول فوقع الغلط من ههنا * وقوله * لم تنه عن قتل العداة زورا * نصب زورا على الحال من المصدر الذى هو النهى أراد نهيا زورا وانتصاب المصدر على هذه الصورة انما هو حال أو مفعول مطلق فاذا حذفت المصدر وأقمت الصفة مقامه لم تكن الا حالا والدليل على ذلك انك تقول ساروا شديدا

فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي فهدمه * قال ابن اسحق وكانت قلس لطيء ومن يليها بجبلي طيء بين سلمى وأجا (قال ابن هشام) فحدثني بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليها على بن أبى طالب فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لاحدهما الرسوب وللآخر المخذم فاتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبهما له فهما سيفا على رضى الله عنه * قال ابن اسحق وكان لحمير واهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رئام (قال ابن هشام) قد ذكرت حديثه فيما مضى * قال ابن اسحق وكانت رضاء بيتا لبنى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها فى الاسلام

ولقد شددت على رضاء شدة
فتركتها قفرا بقاع أسحما

(قال ابن هشام) قوله فتركتها قفرا بقاع أسحما عن رجل من بنى سعد ويقال ان المستوغر عمر ثلثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمرا وهو الذى يقول

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة حدتها بعدها مائتان لى * وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقى الا كما قد فاتنا * يوم يمر وليلة تحدونا

وبعض الناس يروى هذه الابيات لزهير بن جناب الكلبي

أحب

وساروا رويدا فان رددته الى ما لم يسم فاعله لم يجز رفعه لانه حال ولو لفظت بالمصدر فقلت ساروا سيرا رويداً لجاز أن تقول فيما لم يسم فاعله سير عليه سير رويد هذا كله معنى قول سيبويه فدل على أن حكمه اذا لفظ به غير حكمه اذا حذف والسر فى ذلك ان الصفة لا تقوم مقام المفعول اذا حذف لا تقول كلمت شديداً ولا ضربت طويلا يقبح ذلك اذا كانت الصفة عامة والحال ليست كذلك لانها تجرى مجرى الظرف وان كانت صفة فموصوفها معها وهو الاسم الذى هى حال له ومن هذا الباب قوله تعالى « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا »

وذكر بعث جرير البجلي الى هدم ذى الخلصة وذلك قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بشهرين أو نحوهما قال جرير بعثنى رسول الله صلى الله عله وسلم فى مائة وخمسين راكبا من أحمس الى ذى الخلصة فقلت يا رسول الله انى لا أثبت على الخيل فدعا لى وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا وفى كتاب مسلم فى هذا الحديث وكان يقال له الكعبة اليمانية والشامية وهذا مشكل ومعناه كان يقال الكعبة اليمانية والشامية يعنون بالشامية البيت الحرام فزيادة له سهو وباسقاطه يصح المعنى قاله بعض المحدثين والحديث فى جامع البخارى بزيادة له كما فى صحيح مسلم وليس هذا عندى بسهو وانما معناه كان يقال له أى يقال من أجله الكعبة الشامية للكعبة وهو الكعبة اليمانية وله بمعنى من أجله لا تنكر كما قال ابن أبى ربيعة

وقمير من آخر الليل قد لا * ح له قالت الفتاتان قوما

وذو الخلصة بضم الخاء واللام فى قول ابن اسحق وبفتحهما فى قول ابن هشام وهو صنم سيعبد فى آخر الزمان ثبت فى الحديث انه لا تقوم الساعة حتى تصطفق أليات نساء دوس وخثعم حول ذى الخلصة

﴿فصل﴾ وذكر المستوغر بن ربيعة واسمه كعب قال ابن دريد سمى مستوغرا بقوله

ينش الماء فى الزبلات منه * نشيش الرضف فى اللبن الوغير

والوغير فعيل من وغرة الحر وهى شدته وذكر القتبى أن المستوغر حضر سوق عكاظ ومعه ابن ابنه وقد هرم والجد يقوده فقال له رجل ارفق بهذا الشيخ فقد طال ما رفق بك فقال ومن تراه فقال هو أبوك أو جدك فقال ما هو الا ابن ابنى فقال ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة فقال أنا المستوغر والابيات التى أنشدها له

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا

الى آخرها ذكر انها تروى لزهير بن جناب الكلبي وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر ابن عوف بن غدرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة وزهير هذا من المعمرين وهو الذى يقول

أبنى ان أهلك فانى * قد بنيت لكم بنيه
وتركتكم أولاد سادا * ت زنادهم وريه
من كل ما نال الفتى * قد نلته الا التحيه

يريد بالتحية البقاء وقيل الملك وأعقب هو واخوته قبائل فى كلب وهم زهير وعدى وحارثة ومالك ويعرف مالك هذا بالاصم لقوله

أصم عن الخنا ان قيل يوما * وفى غير الخنا ألفى سميعا

وأخوه حارثة بن جناب وعليم بن جناب ومن بنى عليم بنو زيد غير مصروف عرفوا بأمهم زيد بنت مالك وم بنو كعب بن عليم منهم الرباب بنت امرئ القيس امرأة الحسين بن على وفيها يقول

أحب لحبها زيدا جميعا * ونثلة كلها و بنى الرباب
وأخرى لانهامن آل لام * أحبهم وطرُّ بنى جناب

فمن المعمرين من العرب سوى المستوغر ممازادوا على المائتين والثلاثمائة زهير هذا وعبيد بن شرية ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن ضبع الفزارى وذو الاصبع العدوانى ونصر بن دهمان بن أشجع ابن ريث بن غطفان وكان قداسود رأسه بعدا بيضاضه وتقوم ظهره بعدانحنائه وفيه يقول القائل

لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها * وتسعين حولا ثم قوم فانصاتا
وعادسوادالرأس بعدابيضاضه * ولا كنه من بعدذلك قدماتا

وأمره عندالعرب من أعجب العجب ومن أطول المعمرين عمراذويد واسمه زيد بن نهدمن قضاعة وأبوه نهداليه ينسب الحى المعروفون من قضاعة بنونهد بن زيد عاش ذويد أربعمائة عام فيماذكروا وكان له آثار فى العرب ووقائع وغارات فلما جاءالموت قال

اليوم يبنى لِذويد بيته * ومغنم يوم الوغا حويته
ومعصم موشم لويته * لو كان للدهر بلى أبليته
* أو كان قرنى واحدا كفيته *

وقول المستوغر

ولقدشددت على رضاء شدة * فتركتها قفرا بقاع أسحما

يريدتركتها سحما من آثارالنار و بعده

وأعان عبدالله فى مكروهها * و بمثل عبدالله أغشى المحرما

ذكرذا الكعبات بيت وائل وأنشد للاسود بن يعفر

أرض الخورنق والسديرودارم * والبيت ذى الشرفات من سنداَد

والخورنق قصر بناه النعمان الاكبرملك الحيرة لسابور ليكون ولده فيه عنده و بناه بنيانا عجميا لم ترالعرب مثله واسم الذى بناه له سنمار وهوالذى ردى من أعلاه حتى قالت العرب جزانى جزاءسنمار وذلك انه لماتم الخورنق وعجب الناس من حسنه قال سنمار أما والله لوشئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت فقال له الملك أانك لتحسن أن تبنى أجمل من هذا وغارت نفسه أن يبتنى لغيره مثله وأمر به فطرح من أعلاه وكان بناه فى عشرين سنة قال الشاعر

جزانى جزاه الله شر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذاذنب
سوى رضفه البنيان عشرين حجة * يعدعليه بالقرامدوالسكب
فلما انتهى البنيان يوماتمامه * وآض كمثل الطودوالباذخ الصعب
رمى بسنمار على حق رأسه * وذاك لعمرالله من أقبح الخطب

ذكرهذا الشعر الجاحظ فى كتاب الحيوان والسنمار من أسماء القمر وأول شعر الاسود * ذهب الرقادفما أحس رقادى * وفيها يقول

ولقدعمرت وان تطاول فى المدى * ان السبيل سبيل ذى الاعواد

قيل يريدبالاعواد النعش وقيل أرادعامر بن الظرب الذى قرعت له العصابالعودمن الهرم والخرف وفيها يقول

* قال ابن اسحق وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب بنى وائل واياد بسنداد وله يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة

بين الخورنق والسدير وبارق
والبيت ذى الشرفات من سنداد

(قال ابن هشام) وهذا البيت للاسود بن يعفر النهشلى نهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيدمناة بن تميم فى قصيدة له وأنشدنيه ابو محرز خلف الاحمر

أهل الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذى الشرفات من سنداد

﴿أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى﴾

* قال ابن اسحق فاما البحيرة فهى بنت السائبة والسائبة الناقة اذا تابعت بين عشر اناث ليس بينهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت اذنها ثم خلى سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بامها فهى البحيرة بنت السائبة * والوصيلة الشاة اذا أتأمت عشر اناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت فكان ماولدت بعد ذلك للذكور منهم دون اناثهم الا أن يموت منها شىء فيشتركوا فى أكله ذكورهم واناثهم (قال ابن هشام) ويروى فكان ماولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم * قال ابن اسحق والحامى الفحل اذا نتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره فلم يركب ظهره ولم يجز وبره وخلى فى ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك (قال ابن هشام) وهذا عند العرب على غير هذا الا الحامى فانه عندهم على ماقال ابن اسحق * والبحيرة عندهم الناقة تشق اذنها فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف أو يتصدق به وتهمل لآلهتهم والسائبة التى ينذر الرجل أن يسيبها ان برئ من مرضه أو ان أصاب أمرا يطلبه فاذا كان ذلك أساب ناقة من ابله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها * والوصيلة التى تلد أمها اثنين فى كل بطن فيجعل صاحبها لآلهته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطن فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخوها معها فلا ينتفع به (قال ابن هشام) حدثنى به يونس بن حبيب النحوى وغيره روى الرواية ما لم يرو بعض * قال ابن اسحق فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وأنزل الله تعالى وقالوا مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم وأنزل عليه قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وأنزل عليه من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين (قال ابن هشام) قال الشاعر

ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد اياد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجىء من أطواد
أرض الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذى الكعبات من سنداد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنما كانوا على ميعاد
وأرى النعيم وكل مايلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

ومعنى السدير بالفارسية بيت الملك يقولون له سهدلى أى له ثلاث شعب وقال البكرى سمى السدير لان الاعراب كانوا يرفعون أبصارهم اليه فتسدر من علوه يقال سدر بصره اذا تحير

﴿فصل﴾ وذكر البحيرة والسائبة وفسر ذلك وفسره ابن هشام بتفسير آخر وللمفسرين فى تفسيرهما أقوال منها مايقرب ومنها مايبعد من قولهما وحسبك منها ماوقع فى الكتاب لانها أمور كانت فى الجاهلية قد أبطلها الاسلام فلا تمس الحاجة الى علمها * وذكر ما أنزل الله فى ذلك منها قوله تعالى «خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا» وفيه من الفقه الزجر عن التشبه بهم فى تخصيصهم الذكور دون الاناث بالهبات روت عمرة عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعمد أحدكم الى المال فيجعله عند ذكور ولده ان هذا الا كما قال الله تعالى «وقالوا مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا» رواه البخارى فى التاريخ من حديث سليمان بن محجاج وأنشد فى البحيرة

فيه من الاخرج المرباع قرقرة * هدر الديافى وسط الهجمة البحر

هكذا الرواية المرباع بالباء من الربيع والمرباع هو الفحل الذى يبكر بالالقاح ويقال للناقة أيضا مرباع اذا بكرت بالنتاج وللروضة اذا بكرت بالنبات يصف فى هذا البيت حمار وحش يقول فيه من الاخرج وهو الظليم الذى فيه بياض وسواد أى فيه منه قرقرة أى صوت وهدر مثل هدر الديافى أى الفحل المنسوب الى دياف بلد بالشام والهجمة من الابل دون المائة وجعلها بحرا لانها تأمن من الغارات يصفها بالمنعة والحماية كما تأمن البحيرة من أن تذبح أو تنحر ورأيت فى شعر ابن مقبل من الاخرج المرياع بالياء أخت الواو وفسره فى الشرح من راع يريع اذا أسرع الاجابة كما قال طرفة * تريع الى صوت المهيب وتتقى * والنفس الى

حول الفصائل فى شريف حقة * والحاميات ظهورها والسيب

وقال تميم بن مقبل أحد بنى عامر بن صعصعة

فيه من الاخرج المرباع قرقرة * هدر الديافى وسط الهجمة البحر

وهذا البيت فى قصيدة له وجمع بحيرة بحائر وبحر وجمع وصيلة وصائل ووصل وجمع سائبة الاكثر سوائب وسيب وجمع حام الاكثر حوام * قال ابن اسحق وخزاعة تقول نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن « قال ابن هشام » وتقول خزاعة نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الاسد بن الغوث وخندف أمنا فيما حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم ويقال خزاعة بنو حارثة بن عمرو ابن عامر وانما سميت خزاعة لانهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بمر الظهران فأقاموا بها * قال عوف ابن أيوب الانصارى أحد بنى عمرو بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة ابن الخزرج فى الاسلام

فلما هبطنا بطن مر تخزعت * خزاعة منا فى خيول كراكر
حمت كل واد من تهامة واحتمت * بصم القنا والمرهفات البواتر

وهذان البيتان فى قصيدة له * وقال أبو المطهر اسمعيل بن رافع الانصارى أحد بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الاوس

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت * خزاعة دار الآكل المتحامل
فحلت أكاريشا وشنت قنابلا * على كل حى بين نجد وساحل
نفوا جرهما عن بطن مكة واحتبوا * بعز خزاعى شديد الكواهل

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى قصيدة له وأنا ان شاء الله أذكر نفيها جرهم فى موضعه * قال ابن اسحق فولد مدركة بن الياس رجلين خزيمة بن مدركة وهذيل بن مدركة وأمهما امرأة من قضاعة فولد خزيمة بن مدركة أربعة نفر كنانة بن خزيمة وأسد بن خزيمة وأسدة بن خزيمة والهون بن خزيمة فأم كنانة عوانة

الرواية الاولى أسكن وحكى عن ابن قتيبة انه قال فى البحر هى الغزيرات اللبن لا جمع بحيرة كانها جمع بحور عنده فظن هذا يذهب المعنى الذى ذكرنا من أمنها ومنعتها اذ ليس هذا المعنى فى الغزيرات اللبن لكنه أظهر فى العربية لان بحيرة فعيلة وفعيلة لا تجمع على فعل الا أن تشبه بسفينة وسفن وخريدة وخرد وهو قليل وقبل البيت فى وصف روض

بعازب النبت يرتاح الفؤاد له * رأد النهار لاصوات من النغر

وبعد البيت الواقع فى السيرة

والازرق الاخضر السربال منتصب * قيد العصا فوق ذبال من الزهر

يعنى بالازرق ذباب الروض وكذلك النغر * وقوله فى البيت الآخر حول الوصائل جمع حائل ويقال فى جمعها أيضا حوال ومثله عائط وعوطط على غير قياس والشريف اسم موضع * وقوله فى نسب خزاعة تقول خزاعة نحن بنو عمرو بن عامر الى آخر النسب وقد تقدم أن عمرا يقال له مزيقياء * وأما عامر فهو ماء السماء سمى بذلك لجوده وقيامه عندهم مقام الغيث وحارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة وهو الغطريف وقول عون لما هبطنا بطن مر يريد مر الظهران وسمى مرا لان فى عرق من الوادى من غير لون الارض شبه الميم الممدودة وبعدها راء خلقت كذلك ويذكر عن كثير انه قال سميت مرا لمرارتها ولا أدرى ما صحة هذا فلما هبطنا بطن مر البيتين وبعدهما

خزاعتنا أهل اجتهاد وهجرة * وأنصارنا جند النبى المهاجر
وسرنا الى أن قد نزلنا بيثرب * بلا وهن منا وغير تشاجر
وسارت لنا سيارة ذات منظر * بكوم المطايا والخيول الجماهر
يؤمون أهل الشام حين تمكنوا * ملوكا بارض الشام فوق البرابر
أولاك بنو ماء السماء توارثوا * دمشقا بملك كابرا بعد كابر

الحلول جمع حال والكراديس جمع كردوس الخيل (١) * وقوله دمشقا سميت مدينة الشام باسم الرجل الذى هاجر اليها مع ابراهيم وهو دامشق بن النمروذ بن كنعان أبوه الملك الكافر عدو ابراهيم وكان ابنه دامشق قد آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام كذلك ذكر بعض النساب وذكره البكرى فى كتاب المعجم والدمشق فى اللغة الناقة المسنة فيما ذكر بعضهم وكان يقال لدمشق أيضا جيرون سميت باسم الذى بناها وهو جيرون بن سعد وفيها يقول أبو ذهبل

صاح حيا الاله حيا ودارا * عند شرق القناة من جيرون

* وذكر بنى كنانة الاربعة مالكا وملكان والنضر وعبد مناة وزاد الطبرى فى ولد كنانة عامرا والحارث والنضير وغنما وسعدا وعوفا وجرولا والجرال وغزوان كلهم بنو كنانة

---

(١) كذا وقع فى الاصل وكانه فسر به شيئاً تقدم فليحرر

بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر «قال ابن هشام» و يقال الهون بن خزيمة * قال ابن اسحق فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر النضر بن كنانة ومالك بن كنانة وعبد مناة بن كنانة وملكان بن كنانة فأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وسائر بنيه لامرأة أخرى «قال ابن هشام» أم النضر ومالك وملكان برة بنت مر وأم عبد مناة هالة بنت سويد بن الغطريف من أزد شنوءة وشنوءة عبدالله بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الاسد بن الغوث وانما سموا شنوءة لشنآن كان بينهم والشنآن البغض «قال ابن هشام» النضر قريش فمن كان من ولده فهو قرشى ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى وقال جرير بن عطية أحد بنى كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان

فما الام التى ولدت قريشا
بمقرفة النجار ولا عقيم
وما قرم بانجب من أبيكم
وما خال باكرم من تميم

يعنى برة بنت مر أخت تميم ابن مر أم النضر وهذان البيتان فى قصيدة له و يقال فهر بن مالك قريش فمن كان من ولده فهو قرشى ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى وانما سميت قريش قريشا من التقرش والتقرش التجارة والاكتساب قال رؤبة بن العجاج

قد كان يغنيهم عن الشغوش
والخشل من تساقط القروش
* شحم ومحض ليس بالمغشوش *

«قال ابن هشام» والشغوش قمح يسمى الشغوش والخشل رؤس الخلاخيل والاسورة ونحوه والقروش التجارة والاكتساب يقول قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض والمحض اللبن الحليب الخالص وهذه الابيات فى أرجوزة له وقال أبو جلدة اليشكرى و يشكر بن بكر ابن وائل

اخوة قرشوا الذنوب علينا * فى حديث من عمرنا وقديم

وهذا البيت فى أبيات له * قال ابن اسحق و يقال انما سميت قريش قريشا لتجمعها من بعد تفرقها يقال للتجمع التقرش * فولد النضر بن كنانه رجلين مالك بن النضر و يخلد بن النضر فأم مالك

«فصل» وذكر النضر بن كنانة وقول من قال انه قريش والقول الآخر فى أن فهرا هو قريش وقد قيل ان فهراً لقب واسمه الذى سمى به قريش * وأما يخلد بن النضر فذكر أبو عبدالله الزبير بن بكار فى أنساب قريش له قال قال عمى وأما بنو يخلد بن النضر فذكر فى بنى عمرو بن الحارث بن ملك بن كنانة ومنهم قريش ابن بدر بن يخلد بن النضر وكان دليل بنى كنانة فى تجاراتهم فكان يقال قدمت عير قريش فسميت قريش به وأبوه بدر بن يخلد صاحب بدر الموضع الذى لقى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وقال عن غير عمه قريش بن الحارث بن يخلد وابنه بدر الذى سميت به بدر وهو احتفرها قال وقد قالوا اسم فهر بن ملك قريش ومن لم يلده فهر فليس من قريش وذكر عن عمه ان فهراً هو قريش . وقال أبو عبدالله حدثنى عمرو بن أبى بكر المؤملى عن جدى عبدالله بن مصعب رحمه الله انه سمعه يقول اسم فهر بن ملك قريش وانما فهر لقب وكذلك حدثه المؤملى عن عثمان بن أبى سليمان فى اسم فهر بن مالك انه قريش ومثل ذلك ذكر عن المؤملى عن أبى عبيدة بن عبدالله فى اسم فهر بن مالك انه قريش قال وحدثنى ابراهيم بن المنذر وقال حدثنا أبو البخترى وهب بن وهب قال حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن عمه ان اسم فهر بن مالك الذى أسمته أمه قريش وانما نبزته فهرا كما يسمى الصبى غرارة وشملة وأشباه ذلك قال قال وقد اجتمع النساب من قريش وغيرهم ان قريشا انما تفرقت عن فهر والذى عليه من أدركته من نساب قريش وغيرهم ان ولد فهر بن مالك قريش وان من جاوز فهر بن مالك بنسبة فليس من قريش * وذكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى فيما حدثه أبو الحسن الاثرم عنه ان النضر بن كنانة هو قريش * وذكر عنه انه قال فى موضع آخر ولد مالك بن النضر فهراً وهو جماع قريش وقال قال محمد بن حسن عن نصر بن مزاحم عن عمرو بن محمد عن الشعبى قال النضر بن كنانة هو قريش وانما سمى قريشاً لانه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله والتقريش هو التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيرفدونهم بما يبلغهم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشا . وقد قال الحارث بن حلزة فى بيان القرش

أيها الناطق المقرش عنا * عند عمرو فهل له انقاء

وحدثه أبو الحسن الاثرم عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال منتهى من وقع عليه اسم قريش النضر وكنانة فولده قريش دون سائر بنى كنانة بن خزيمة بن مدركة وهو عامر بن الياس بن مضر فأما من ولد كنانة سوى النضر فلا يقال لهم قريش وانما سمى بنو النضر قريشاً لتجمعهم لان التقرش هو التجمع قال وقال بعضهم التجار يتقارشون يتجرون والدليل على اضطراب هذا القول ان قريشا لم يجتمعوا حتى جمعهم قصى بن كلاب فلم يجمع الا ولد فهر بن مالك لا مرية عند أحد فى ذلك و بعد هذا فنحن أعلم بامورنا وأرعى لمآثرنا وأحفظ لاسمائنا لم نعلم ولم ندع قريشاً ولم نهمم الا ولد فهر بن مالك (قال المؤلف) فى جميع هذا الكلام من قول الزبير وما حكاه عن النسابين نقلته من كتاب الشيخ أبى بحر رحمه الله ثم الفيته فى كتاب الزبير كما ذكر ورأيت

عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ولا أدرى أهى أم يخلد أم لا « قال ابن هشام » والصلت بن النضر فيما قال أبو عمرو
المدنى وأمهم جميعا بنت سعد بن ظرب العدوانى وعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان قال كثير بن عبد الرحمن وهو كثير عزة أحد بنى مليح
بن عمرو من خزاعة أليس أبى بالصلت أم ليس اخوتى * لكل هجان من بنى النضر أزهرا رأيت ثياب العصب مختلط السدى
بناو بهم والحضرمى المخصرا فان لم تكونوا من بنى النضر فاتركوا * أراكا باذناب الفوائج أخضرا قال وهذه الابيات فى قصيدة
له والذين يعزون الى الصلت بن النضر من خزاعة بنو مليح بن عمرو رهط كثير عزة * قال ابن اسحق فولد مالك بن النضر
فهر بن مالك وأمه جندلة بنت الحرث بن مضاض الجرهمى « قال ابن هشام » وليس بابن مضاض الاكبر * قال ابن اسحق فولد فهر ابن مالك أربعة نفر غالب ابن فهر ومحارب بن فهر والحرث بن فهر وأسد بن فهر وأمهم ليلى بنت سعد ابن هذيل بن مدركة « قال ابن هشام » وجندلة بنت فهر وهى أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم وأمها ليلى بنت سعد قال جرير بن عطية بن الخطفى واسم الخطفى حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة

واذا غضبت رمى ورائى بالحصا
ابناء جندلة كخير الجندل

وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق فولد غالب بن فهر رجلين لؤى ابن غالب وتيم بن غالب وأمهما سلمى بنت عمرو الخزاعى وتيم بن غالب الذين يقال لهم بنو الادرم « قال ابن هشام » وقيس ابن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعى وهى أم لؤى وتيم بنى غالب * قال ابن اسحق فولد لؤى بن غالب أربعة نفر كعب بن لؤى وعامر بن لؤى وسامة بن لؤى وعوف بن لؤى فأم كعب وعامر وسامة ماوية بنت كعب بن القين بن جسر من قضاعة « قال ابن هشام » ويقال والحرث بن لؤى وهم جشم بن الحرث فى هزان من ربيعة قال جرير

بنى جشم لستم لهزا ان فانتموا * لاعلى الروابى من لؤى بن غالب
ولا تنكحوا فى آل ضور نساءكم * ولا فى شكيس بئس مثوى الغرائب

ورأيت لغيره أن قريشا تصغير القرش وهو حوت فى البحر يأكل حيتان البحر سميت به القبيلة أو سمى به أبو القبيلة والله أعلم ورد الزبير على ابن اسحق فى انها سميت قريشا لتجمعها وانه لا يعرف قريش الا فى بنى فهر رد الا يلزم لان ابن اسحق لم يقل انهم بنو قصى خاصة وانما أراد انهم سموا بهذا الاسم مذ جمعهم قصى وكذا قال المبرد فى المقتضب ان هذه التسمية انما وقعت لقصى والله أعلم غير أنا قدمنا فى قول كعب بن لؤى مايدل على انها كانت تسمى قريشا قبل مولد قصى وهو قوله * اذا قريش تبغى الحق خذلانا * وذكر قول رؤبة * قد كان يغنيهم عن الشغوش * وفسره ضرب من القمح وفسر الخشل رؤس الخلاخيل . وفى حاشية الشيخ عن أبى الوليد قال انما الخشل المقل والقروش ما تساقط من حثاته وتقشر منه وأنشد لكثير بن عبد الرحمن * أليس أبى بالصلت أم ليس اخوتى * البيت وبعده

رأيت ثياب العصب مختلط السدى * بناو بهم والحضرمى المخصرا

والعصب برود اليمن لانها تصبغ بالعصب ولا ينبت العصب ولا الورس الا باليمن وكذلك اللبان قاله أبو حنيفة يريد أن قدودنا من قدودهم فسدى أثوابنا مختلط بسدى أثوابهم والحضرمى النعال المخصرة التى تضيق من جانبيها كانها ناقصة الخصرين كما يقال رجل مبطن أى ضامر البطن وجاء فى صفة نعل النبى صلى الله عليه وسلم انها كانت معقبة مخصرة ملسنة مخترمة والمخترمة التى لها اخترمة وهو كالتحدير فى مقدمها وكانت نعله عليه السلام من سبت ولا يكون السبت الا من جلد بقر مدبوغ * قاله أبو حنيفة عن الاصمعى وأبى زيد * وذكر قول جرير بن الخطفى

يرفعن بالليل اذا ما أسدفا * أعناق جنان وهاما رحفا * وعنقا باقى الرسيم خيطفا

والخيطفة سرعة فى العدو فاذا وصفت به العنق والجرى قلت عنق خيطف واذا سميت به الرجل قلت خطفى وكذلك ان جعلته اسما للمشية فهو مثل الجمزى والبشكى * وقوله وتيم بن غالب وهم بنو الادرم والادرم المدفون الكعبين من اللحم يقال امرأة درماء وكعب أدرم قال الراجز

قامت تريه خشية ان تصرما * ساقا بخنداة وكعبا أدرما
* وكفلا مثل النقا أو أعظما *

والادرم أيضا المنقوض الذقن وكان تيم بن غالب كذلك فسمى الادرم قاله الزبير وبنو الادرم هؤلاء هم أعراب مكة وهم من قريش الظواهر لا من قريش البطاح وكذلك بنو محارب بن فهر وبنو معيص بن عامر * وذكر بنى لؤى فقال أم عامر ماوية بنت كعب بن القين سميت بالماوية وهى المرآة كانها نسبت الى الماء لصفائها وقلبت همزة الماء واوا وكان القياس أن تقلب هاء فيقال ماهية ولكن شبهوه بما الهمزة فيه منقلبة عن ياء أو واو ولما كان حكم الهاء أن لا تهمز فى هذا الموضع فلما شابهت بحروف المد واللين

وسعد بن لؤى وهما بنانة فى شيبان بن ثعلبة بن عكامة بن صعب بن على بن بكر بن وائل من ربيعة و بنانة حاضنة لهم من بنى القين ابن جسر بن شيع الله ويقال سبع الله بن الاسد ابن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة ويقال بنت النمر بن قاسط من ربيعة ويقال بنت جرم بن ربان ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وخزيمة ابن لؤى بن غالب وهم عائذة فى شيبان بن ثعلبة وعائذة امرأة من اليمن وهى أم بنى عبيد بن خزيمة بن لؤى وأم بنى لؤى كلهم الا عامر بن لؤى ماوية بنت كعب بن القين بن جسر وأم عامر بن لؤى مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ويقال ليلى بنت شيبان بن محارب بن فهر

﴿أمر سامة﴾

* قال ابن اسحق فأما سامة بن لؤى فخرج الى عمان وكان بها ويزعمون ان عامر بن لؤى أخرجه وذلك انه كان بينهما شىء ففقا سامة عين عامر فاخافه عامر فخرج الى عمان فيزعمون ان سامة بن لؤى بينا هو يسير على ناقته اذ وضعت رأسها ترتع فأخذت حية بمشفرها فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقها ثم نهشت سامة فقتلته فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون

عين فابكى لسامة بن لوى * علقت ما بسامة العلاقه
لا أرى مثل سامة بن لؤى

فهمزوها لذلك اطرد فيها ذلك الشبه ويحتمل اسم المرأة ان يكون من آويته اذا ضممته اليك يقال أويت مثل ضممت وأويته مثل أذيته ثم يقال فى المفعول من أويته على وزن فعلت مأوى والمرأة مأوية ثم تسهل الهمزة فتكون ألفا ساكنة وخالفه ابن هشام فى أم عامر فقال مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر وماوية أم سائر بنيه غير عامر * وذكر سعد بن لؤى وانهم بنانة فى شيبان عرفوا بحاضنة لهم اسمها بنانة وكان بنو ضبيعة قد ادعوهم وهو ضبيعة أضجح بن ربيعة لا ضبيعة بن أقيش بن ثعلبة فلما كان زمن عمر قدموا عليه وفيهم سيد لهم يقال له أبو الدهماء فكلم أبو الدهماء عمر أن يلحقهم بقريش فانكر عمر ذلك فاخبره عثمان عن أبيه عفان انه حدثه بصحة نسبهم الى قريش وسبب خروجهم عنهم فواعدهم ان يأتوه العام القابل فيلحقهم فقتل أبو الدهماء عند انصرافه وشغلوا بامره حتى مات عمر فالحقهم عثمان بقريش فلما كان على نفاهم عن قريش وردهم الى شيبان فقال شاعر

ضُرب التجيبى المضلل ضربة * ردت بنانة فى بنى شيبانا
والعائدى لمثلها متوقع . لما يكن وكأنه قد كانا

لخصت هذا الخبر من حديث ذكره البرقى عن ابن الكلبى والبنانة فى اللغة الرائحة الطيبة . وقال أبو حنيفة البنانة الروضة المعشبة الحالية أى قد حليت بازهر وذكر خزيمة بن لؤى وانهم انتسبوا فى شيبان ويعرفون بامهم عائذة قال وعائذة من اليمن وقال غيره هى بنت الخمس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكا وحارثا فهم بنو خزيمة عائذة ومن بنى خزيمة أيضا بنو حرب بن خزيمة قتلتهم المسودة فى قريتهم بالشام وهم يحسبونهم بنى حرب بن أمية * وذكر بنت جرم بن زبان وبنت جرم هى ناجية واسمها ليلى وجرم أبو جدة الذى نزل جدة من ساحل الحجاز فعرفت به كما عرفت كثير من البلاد بمن نزلها من الرجال وقد تقدم طرف من ذلك وسيأتى فى الكتاب كثير ان شاء الله تعالى وربان هو علاف الذى تنسب اليه الرحال العلافية * وذكر سعد بن ذبيان وقصته مع عوف بن لؤى وذبيان بن بغيض بكسر الذال وضمها والكسر أفصح وهم أربعة أحياء من العرب ذبيان بن بغيض فى قيس وذبيان بن ثعلبة فى بجيلة وذبيان فى قضاعة وذبيان فى الازد . وذكر ابن دريد فى كتاب اشتقاق الاسماء له ان ذبيان فعلان من ذبى العود يذبى يقال ذبى العود وذوى بمعنى واحد * وذكر حديث سامة بن لؤى حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد بنيه فانتسب له الى سامة فقال له عليه السلام ألشاعر بخفض الراء من ألشاعر كذا قيده أبو بحر على أبى الوليد بالخفض وهو الصحيح لانه مردود على ما قبله كانه مقتضب من كلام المخاطب وان كان الاستفهام لا يعمل ما قبله فيما بعده ولكن العامل مقدر بعد الالف فاذا قال لك القائل قرأت على زيد مثلا فقلت ألعالم بالاستفهام كانك قلت له أعلى العالم ونظير هذا الف الانكار اذا قال القائل مررت بزيد فانكرت عليه فقلت أزيدنيه بخفض الدال وبالنصب اذا قال رأيت زيدا قلت أزيدنيه وكذلك الرفع ومن بنى سامة هذا محمد بن عرعرة بن اليزيد شيخ البخارى وبنو سامة بن لؤى زعم بعض النساب انهم أدعياء وان سامة لم يعقب وقال الزبير ولد سامة غالبا والنبيت والحارث وأم غالب ناجية بنت جرم بن زبان واسمها ليلى سميت ناجية لانها عطشت بارض فلاة فجعل زوجها يقول لها انظرى الى الماء وهو يريها السراب حتى نجت فسميت ناجية واليها ينسب أبو الصديق الناجى الذى يروى عن أبى سعيد الخدرى وأبو المتوكل الناجى وكثير مما يخرج عنه الترمذى وكان بنو سامة بالعراق أعداء لعلى رحمه الله والذين خالفوا عليا منهم بنو عبد البيت ومنهم على بن الجهم الشاعر قيل انه كان يلعن أباه لما سماه عليا بغضا منه فى على رحمه الله ذكره المسعودى

يوم حلوا به قتيلا لناقه   بلغا عامرا وكعبا رسولا * أن نفسى اليهما مشتاقه   ان تكن فى عمان دارى فانى * غالبى خرجت من غير فاقه
رب كأس هرقت يا ابن لؤى * حذر الموت لم تكن مهراقه   رمت دفع الحتوف يا ابن لؤى * ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه
وخروس السرى تركت رزيا * بعد جد وحدة ورشاقه

«قال ابن هشام» و بلغنى أن بعض ولده أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب الى سامة بن لؤى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألشاعر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله

رب كأس هرقت يا ابن لؤى * حذر الموت لم تكن مهراقه

قال أجل

أمر عوف بن لؤى ونقلته

* قال ابن اسحق وأما عوف بن لؤى فانه خرج فيما يزعمون فى ركب من قريش حتى اذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبطئ به فانطلق من كان معه من قومه فأتاه ثعلبة بن سعد وهو أخوه فى نسب بنى ذبيان بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وعوف بن سعد ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان فحبسه وزوجه والتاطه وآخاه فشاع نسبه فى بنى ذبيان وثعلبة فيما يزعمون الذى يقول لعوف حين أبطئ به فتركه قومه

احبس على بن لؤى جملك * تركك القوم ولا مترك لك

* قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين ان عمر ابن الخطاب قال لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بنى مرة بن عوف انا لنعرف منهم الاشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعنى عوف بن لؤى * قال ابن اسحق فهو فى نسب غطفان مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وهم يقولون اذا ذكر لهم هذا النسب ما ننكره وما نجحده وانه لاحب النسب الينا * وقال الحرث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع «قال ابن هشام» أحد بنى مرة بن عوف حين هرب من النعمان بن المنذر فلحق بقريش

فما قومى بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا
وقومى ان سألت بنى لؤى * بمكة علموا مضر الضرابا

---

* وقوله * بلغا عامرا وكعبا رسولا * يجوز ان يكون رسولا مفعول ببلغا اذا جعلت الرسول بمعنى الرسالة كما قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بليلى ولا أرسلتهم برسول

اى برسالة وانما سموا الرسالة رسولا اذا كانت كتابا أو ما يقوم مقام الكتاب من شعر منظوم كأنهم كانوا يقيمون الشعر مقام الكتاب فتبلغه الركبان كما تبلغ الكتاب يعرب عن ضمير الكاتب كما يعرب الرسول وكذلك الشعر المبلغ فسمى رسولا و بين الرسول والمرسل معنى دقيق ينتفع به فى فهم قول الله عز وجل «وأرسلناك للناس رسولا» فانه لا يحسن فى مثل هذا أن يقال أرسلناك مرسلا ولا نبأناك تنبيئا كما لا يحسن ضربناك مضروبا ولكشف هذا المعنى وايضاحه موضع غير هذا واختصار القول فيه أن ليس كل مرسل رسولا فالرياح مرسلات والحاصب مرسل وكذلك كل عذاب أرسله الله وانما الرسول اسم للمبلغ عن المرسل ويجوز أن يكون رسولا حال من قوله بلغا عامرا أو كعبا رسولا اذ قد يعبر بالواحد عن الاثنين والجماعة فى مثل هذا اللفظ تقول انتم رسولى وهى رسولى تسوى الجماعة والواحد والمذكر والمؤنث وفى التنزيل «انا رسول رب العالمين» فيكون المفعول على هذا ان نفسى اليهما مشتاقة ويكون ان على القول الاول بدلا من رسول أى رسالة * وقوله * وخروس السرى تركت رزيا * ان خفضت فمعناه رب خروس السرى تركت فتركت فى موضع الصفة لخروس وان نصبت جعلتها مفعولا بتركت ولم يكن تركت فى موضع صفة لان الصفة لا تعمل فى الموصوف والسرى فى موضع خفض لخروس على المجاز كما تقول نام ليلك يريد ناقة صموتا صبورا على السرى لا تضجر منه فسراها كالاخرس ومنه قول الكميت

كتوم اذا ضج المطى كأنما * تكرم عن أخلاقهن وترغب

وقول الاعشى

كتوم الرغاء اذا هجرت * وكانت بقية ذود كتم

وانما قال خروس فى معنى الاخرس لانه أراد كتوم فجاء به على وزنه قال البرقى وكانت ماوية بنت كعب تحب سامة أكثر من اخوته وكانت تقول وهى ترقصه صغيرا

وان ظنى ببنى ان كبن * أن يشترى الحمد ويغلى بالثمن
ويهزم الجيش اذا ارجحن * ويروى العيمان من محض اللبن

يقال كبن وأكبن اذا اشتد * وذكر قول جرير لبنى جشم بن لؤى

بنى جشم لستم لهزان فانتموا * لاعلا الروابى من لؤى بن غالب

سفهنا باتباع بنى بغيض * وترك الاقربين لنا انتسابا
سفاهة مخلف لما تروى * هراق الماء واتبع السرابا
فلو طووعت عمرك كنت فيهم * وما ألفيت أنتجع السحابا
وخش رواحة القرشى رحلى * بناجية ولم يطلب ثوابا

«قال ابن هشام» هذا ما أنشدنى أبو عبيدة منها * قال ابن اسحق فقال الحصين بن الحمام المرى ثم أحد بنى سهم بن مرة يرد على الحرث بن ظالم وينتمى الى غطفان

الا لستم منا ولسنا اليكم * برئنا اليكم من لؤى بن غالب
أقمنا على عز الحجاز وأنتم * بمعتلج البطحاء بين الاخاشب

يعنى قريشا ثم ندم الحصين على ما قال وعرف ما قال الحرث بن ظالم فانتمى الى قريش وأكذب نفسه فقال

ندمت على قول مضى كنت قلته * تبينت فيه انه قول كاذب
فليت لسانى كان نصفين منهما * بكيم ونصف عند مجرى الكواكب
أبونا كنانى بمكة قبره * بمعتلج البطحاء بين الاخاشب
لنا الربع من بيت الحرام وراثة * وربع البطاح عند دار بن حاطب

أى ان بنى لؤى كانوا أربعة كعبا وعامرا وسامة وعوفا * قال ابن اسحق وحدثنى من لا اتهم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجال من بنى مرة ان شئتم أن ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه * قال ابن اسحق وكان القوم أشرافا فى غطفان هم سادتهم وقادتهم منهم هرم بن سنان بن أبى حارثة وخارجة بن سنان بن ابى حارثة والحرث بن عوف والحصين بن الحمام وهاشم بن حرملة الذى وانه يقول له القائل

أحيا أباه هاشم بن حرمله * يوم الهباآت ويوم اليعمله
ترى الملوك عنده مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

«قال ابن هشام» أنشدنى أبو عبيدة هذه الابيات لعامر الخصفى خصفة بن قيس بن عيلان

أحيا أباه هاشم بن حرمله * يوم الهباآت ويوم اليعمله
ترى الملوك عنده مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له
ورمحه للوالدات مشكله

«قال ابن هشام» وحدثنى ان هاشما قال لعامر قل فى بيتا جيدا أثبك عليه فقال عامر البيت الاول فلم يعجب هاشما ثم قال الثانى فلم يعجبه ثم قال الثالث فلم يعجبه فلما قال الرابع يقتل ذا الذنب

يقال انهم أعطوا جريرا على هذا الشعر ألف عير ربى وكانوا ينتسبون الى ربيعة فما انتسبوا بعد الا لقريش وذكر شعر الحارث بن ظالم * وقوله سفاهة مخلف وهو المستقى وفيه المزيد كر

لعمرك اننى لأحب كعبا * وسامة اخوتى حبى الشرابا

وقوله * وخش رواحة القرشى رحلى * بناجية أى بناقة سريعة يقال خش السهم بالريش اذا راشه به فاراد راشنى وأصلح رحلى بناجية ولم يطلب ثوابا بمدحه بذلك ورواحة هذا هو رواحة بن منقذ بن معيص بن عامر كان قد ربع فى الجاهلية أى رأس وأخذ المرباع * وقوله * ولو طووعت عمرك كنت فيهم ونصب عمرك على الظرف * وقوله وما ألفيت أنتجع السحابا أى كانوا يغنوننى بسيبهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب وارتياد المراعى فى البلاد * وقول الحصين بمعتلج البطحاء أى حيث تعتلج السيول والاعتلاج عمل بقوة قال الشاعر

لو قلت للسيل دع طريقك والـ * ـسيل كمثل الهضاب يعتلج

وفى الحديث انكما علجان فعالجا عن دينكما * وفى الحديث ان الدعاء ليلقى البلاء نازلا من السماء فيعتلجان الى يوم القيامة أى يتدافعان بقوة * وقوله لنا الربع بضم الراء يريد أن بنى لؤى كانوا أربعة أحدهم ابوهم وهو عوف وبنو لؤى هم أهل الحرم ولهم وراثة البيت والاخاشب جبال مكة وقد يقال لكل جبل أخشب أنشد أبو عبيد * كأن فوق منكبيه أخشبا * وذكر خارجة بن سنان الذى تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساؤها لبراعته ونجدته ونجابة نسله وقد قدمت بنته على عمر فقال لها ما كان أبوك أعطى زهيرا حين مدحه فقالت أعطاه مالا ورقيقا وأثاثا أفناه الدهر فقال لكن ما أعطاكم زهير لم يفنه الدهر وكان خارجة بقيرا أمرت أمه عند موتها أن يبقر بطنها عنه ففعلوا فخرج حيا فسمى خارجة ويقال للبقير خشعة قال الحطيئة يعنى خارجة بن سنان

لقد علمت خيل ابن خشعة انها * متى ما يكن يوما جلاد تجالد

وقول عامر ترى الملوك حوله مغربله قيل معناه منتفخة وذكروا انه يقال غربل القتيل اذا انتفخ وهذا غير معروف وان كان أبو عبيد قد ذكره فى الغريب المصنف وأيضا فان الرواية بفتح الباء مغربلة وقال بعضهم معناه يتخير الملوك فيقتلهم والذى أراه فى ذلك انه تريد بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم كما قال مكحول الدمشقى ودخلت الشام فغربلتها غربلة حتى لم أدع علما الا حويته فى كل ذلك أسئل عن النفل وذكر الحديث فمعنى هذا التتبع والاستقصاء وكأنه من غربلت الطعام اذا تتبعته بالاستخراج حتى لا تبقى الا الحثالة * وقوله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له * انما أعجب هاشما هذا البيت لانه وصفه فيه بالعز والامتناع

ومن لا ذنب له أعجبه فاثابه عليه « قال ابن هشام » وذلك الذى أراد الكميت بن زيد فى قوله

وهاشم مرة المفنى ملوكا * بلا ذنب اليه ومذنبينا

وهذا البيت فى قصيدة له وقول عامر يوم الهباآت عن غير أبى عبيدة * قال ابن اسحق قوم لهم صيت وذكر فى غطفان وقيس كلها فأقاموا على سنتهم وفيهم كان البسل ﴿أمر البسل﴾ والبسل فيما يزعمون نسيئهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه يسيرون به الى أى بلاد العرب شاؤا لا يخافون منهم شيئاً قال زهير بن أبى سلمى يعنى بنى مرة « قال ابن هشام » زهير أحد بنى مزينة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ويقال زهير بن أبى سلمى من غطفان ويقال حليف فى غطفان

تأمل فان تقو المرورات منهم * وداراتها لا تقو منهم اذا نخل

بلاد بها نادمتهم وألفتهم * فان تقويا منهم فانهم بُسل

أى حرام يقول ساروا فى حرمهم « قال ابن هشام » وهذان البيتان فى قصيدة له * قال ابن اسحق * وقال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة

أجارتكم بسل علينا محرم * وجارتنا حل لكم وحليلها

« قال ابن هشام » وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق فولد كعب بن لؤى ثلاثة نفر مرة بن كعب وعدى بن كعب وهصيص بن كعب وأمهم وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر كلاب بن مرة وتيم بن مرة ويقظة بن مرة فأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة وأم يقظة البارقية امرأة من بارق من الاسد من اليمن ويقال هى أم تيم ويقال تيم لهند بنت سرير أم كلاب « قال ابن هشام » بارق بنو عدى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الاسد بن الغوث وهم فى شنوءة * قال الكميت بن زيد

وأزد شنوءة اندرؤا علينا * بجم يحسبون لها قرونا

فما قلنا لبارق قد أسأتم * وما قلنا لبارق أعتبونا

قال وهذان البيتان فى قصيدة له وانما سموا ببارق لانهم تبعوا البرق

وانه لا يخاف حاكما يعدى عليه ولا ترة من طالب ثار وهاشم بن حرملة هذا هو جد منظور بن زبان بن يسار الذى كانت بنته زجلة عند ابن الزبير فهو جد منظور لامه واسمها قهطم بنت هاشم كانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين وولدته باضراسه فسمى منظورا لطول انتظارهم اياه وفى زبان بن سيار والد منظور يقول الحطيئة

وفى آل زبان بن سيار فتية * يرون ثنايا المجد سهلا صعابها

ولم يصرف سياراً لما سنذكره بعد ان شاء الله وذكر زهيرا ونسبه الى مزينة وهم بنو عثمان بن عمرو بن الاطم بن أد بن طابخة قال حسان بن ثابت

فانك خير عثمان بن عمرو * وأسناها اذا ذكر السناء

يمدح رجلا من مزينة ومزينة أمهم وهى بنت كلب بن وبرة وأختها الحوأب بنت كلب التى يعرف بها ماء الحوأب المذكور فى حديث عائشة أيتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب وذكر البسل وهو الحرام والبسل أيضا الحلال فهو من الاضداد ومنه بسلة الراقى أى ما يحل له أن يأخذه على الرقية وبسل فى الدعاء بمعنى آمين قال الراجز

لا خاب من نفعك من رجاك * بسلا وعادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول فى أثر الدعاء أمين وبسلا أى استجابة * وقول زهير فان تقو المروراة منهم * البيت وقع فى بعض النسخ المرورات بتاء ممدودة كانه جمع مرور وليس فى الكلام مثل هذا البناء وانما هو المروراة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام فهو فعلعلة مثل صمحمحة والالف فيه منقلبة عن واو أصلية وهذا قول سيبويه جعله مثل شجوجاة وأبطل ان يكون من باب عثوثل وقال ابن السراج فى قطوطاة وهو مثل مروراة هو فعوعل مثل عثوثل وقال سيبويه فيه انه من باب صمحمحة فالواو زائدة على قول ابن السراج ووزنه عنده فعوعلة * وذكر هصيص بن كعب وهو فعيل من الهص وهو القبض بالاصابع من كتاب العين * وذكر يقظة بن مرة بفتح القاف وقد وجدته بسكون القاف فى أشعار مدح بها خالد بن الوليد فمنها قول الشاعر

وأنت لمخزوم بن يقظة جنة * كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد

وأم مخزوم بن يقظة جد بنى مخزوم كلبة بنت عامر بن لؤى قاله الزبير * وذكر بارق وهم بنو عدى من الازد وقال سموا بارق لانهم اتبعوا البرق وقد قيل انهم نزلوا عند جبل يقال له بارق فسموا به * وقول الكميت بجم يحسبون لها قرونا أى يناطحون بلا عدة ولا منة كالكباش الجم التى لا قرون لها ويحسبون أن لهم قوة

* قال ابن اسحق فولد كلاب بن مرة رجلين قصى بن كلاب وزهرة بن كلاب وأمهما فاطمة بنت سعد ابن سيل أحد الجدرة من جعثمة الازد من اليمن حلفاء فى بنى الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة «قال ابن هشام» و يقال جعثمة الاسد وجعثمة الازد وهو جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الاسد بن الغوث و يقال جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن نصر بن زهران بن الاسد بن الغوث وانما سموا الجدرة لان عامر بن عمرو ابن خزيمة بن جعثمة تزوج بنت الحرث بن مضاض الجرهمى وكانت جرهم أصحاب الكعبة فبنى للكعبة جدارا فسمى عامر بذلك الجادر فقيل لولده الجدرة لذلك * قال ابن اسحق ولسعد بن سيل يقول الشاعر

ما نرى فى الناس شخصا واحدا
من علمناه كسعد بن سَيَل
فارسا أضبط فيه عسرة
واذا ما واقف القرن نزل
فارسا يستدرج الخيل كما
استدرج الحر القطامى الحجل

«قال ابن هشام» قوله كما استدرج الحر عن بعض أهل العلم بالشعر «قال ابن هشام» ونعم بنت كلاب وهى أم أسعد وسعيد ابنى سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤى وأمها فاطمة بنت سعد بن سيل * قال ابن اسحق فولد قصى بن كلاب أربعة نفر وامرأتين عبد مناف بن قصى وعبد الدار بن قصى وعبد العزى بن قصى وعبد بن قصى ولدن وتخمر بنت قصى و برة بنت قصى وأمهم حبى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى «قال ابن هشام» و يقال حبشية ابن سلول «قال ابن هشام» فولد عبد مناف بن قصى أربعة نفر هاشم بن عبد مناف وعبد شمس بن عبد مناف والمطلب بن عبد مناف وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج

والكميت هذا هو ابن زيد أبو المستهل من بنى أسد * وفى أسد الكميت بن معروف كان قبل هذا وفيهم أيضا الكميت بن ثعلبة وهو أقدم الثلاثة وابن معروف هو الذى يقول

ولا تكثر وافيه الضجاج فانه * محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

وذكر الجدرة وقال هم بنو عامر بن عمرو بن خزيمة بن جعثمة * وفى حاشية الشيخ ابى بحر زيادة خزيمة خطا انما هو عمرو بن جعثمة * وذكر غير ابن اسحق ان السيل ذات مرة دخل الكعبة وصدع بنيانها ففزعت لذلك قريش وخافوا انهدادها ان جاء سيل آخر وان يذهب شرفهم ودينهم فبنى عامر لها جدارا فسمى الجادر * وقوله فى الجدرة حلفاء بنى الدئل المعروف عند أهل النسب ان الدئل فى عبد القيس وهو الدئل بن عمرو بن وديعة والدئل أيضا فى الازد وهو ابن هدهاد بن زيد مناة والدئل أيضا فى تغلب وهو ابن زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب والديل أيضا فى اياد وهو ابن أمية بن حذافة بن زهير بن اياد واما الذى فى كنانة وهم الذين ينسب اليهم أبو الاسود الدؤلى وهو ظالم بن عمرو وهم حلفاء الجدرة فابن الكلبى ومحمد ابن حبيب وغيرهما من أهل النسب يقولون فيه الدئل بضم الدال وهمزة مكسورة و ينسبون اليه دؤلى وطائفة من أهل اللغة منهم الكسائى و يونس بن حبيب والاخفش يقولون فيه الديل بكسر الدال و ينسبون اليه الدئلى واختاره أبو عبيدة قال محمد بن حبيب ابن الكلبى وغيره من أهل النسب أقعد بهذا واليهم يرجع فيما أشكل من هذا الباب (قال المؤلف) واما الدؤل فالدؤل بن حنيفة واسم حنيفة أثال بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وهم رهط مسيلمة الكذاب وفى ربيعة أيضا ثم فى عمرة الدؤل بن صباح وفى الرباب الدؤل بن جل من عدى بن عبد مناة بن أد بن طابخة وفى الاسد الدؤل بن سعد مناة بن غامد والذى تقيد عن ابن اسحق فى الديل بن بكر بكسر الدال والياء الساكنة وقد وافقه على ذلك من النساب العدوى وابن سالم الجمحى ومن تقدم ذكره من أهل اللغة والدئل على وزن فعل من دأل يدأل اذا مشى بعجلة واما الديل بغير همز فكانه سمى بالفعل من ديل عليهم من الدولة على وزن ما لم يسم فاعله وقد قيل ان الدئل بن بكر سمى بالدئل وهى دويبة صغيرة وأنشدوا لكعب بن مالك

جاءوا بجيش لو قيس معرسه * ما كان الا كمعرس الدئل

* وأنشد فى سعد بن سيل واسم سيل خير بن جمالة قاله الطبرى والسيل هو السنبل وهو أول من حلى السيوف بالذهب والفضة فارسا أضبط فيه عسرة الاضبط الذى يعمل بكلتى يديه وهو من صفة الاسد أيضا قال الجميح * ضبطاء تسكن غيلا غير مقروب * وقوله فيه عسرة من هذا المعنى أيضا والاسم منه أعسر * وذكر حليل بن حبشية والحبشية نملة كبيرة سوداء وان قصيا تزوج ابنته حبى فولدت له عبد مناف واخوته وقال غيره بل أم عبد مناف عاتكة بنت هلال بن بالج بن ذكوان وأم هاشم عاتكة بنت مرة فالاولى عمة الثانية وأم وهب جد النبى عليه السلام لامه عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال فهن عواتك

ابن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة ونوفل بن عبد مناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية مازن بن منصور بن عكرمة « قال ابن هشام » فبهذا النسب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن سيب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور ابن عكرمة « وقال ابن هشام » وأبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وريطة وأم الاخثم وأم سفيان بنو عبد مناف فأم أبى عمرو وريطة امرأة من ثقيف وأم سائر النساء عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف وأمها صفية بنت حوزة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن وأم صفية بنت عائذ الله بن سعد العشيرة ابن مذحج « قال ابن هشام » فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب بن هاشم وأسد بن هاشم وأبا صيفى ابن هاشم ونضلة بن هاشم والشفا وخالدة وضعيفة ورقية وحية فأم عبد المطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر وأمها عميرة بنت صخر بن الحرث بن ثعلبة بن مازن ابن النجار وأم عميرة سلمى بنت عبد الاشهل النجارية وأم أسد قيلة بنت عامر ابن مالك الخزاعى وأم أبى صيفى وحية هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية وأم نضلة والشفا امرأة من قضاعة وأم خالدة وضعيفة واقدة بنت أبى عدى المازنية

﴿ أولاد عبد المطلب بن هاشم ﴾

« قال ابن هشام » فولد عبد المطلب ابن هاشم عشرة نفر وست نسوة العباس وحمزة وعبد الله وأبا طالب واسمه عبد مناف والزبير والحرث وحجلا والمقوم وضرارا وأبا لهب واسمه عبد العزى وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة فأم العباس وضرار نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد بن مناة بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويقال أفصى بن

ولدن النبي عليه السلام ولذلك قال انا ابن العواتك من سليم وقد قيل فى تأويل هذا الحديث ان ثلاث نسوة من سليم أرضعنه كلهن تسمى عاتكة والاول أصح وأم عاتكة بنت مرة ماوية بنت حورة بن عمرو بن مرة أخى عامر بن صعصعة وهم بنو اسلول وأم ماوية أم أناس المذحجية * وقال فى أمهات بنى عبد مناف واما صفية فامها بنت عبد الله بن سعد العشيرة بن مذحج وهو وهم لان سعد العشيرة بن مذحج هو أبو القبائل المنسوبة الى مذحج الا أقلها فيستحيل ان يكون فى عصر هاشم من هو ابن له لصلبه ولكن هكذا رواه البرقى عن ابن هشام كما قلنا ورواه غيره بنت عبد الله من سعد العشيرة وهى رواية الغسانى وقد قيل فيه عائذ الله وهو أقرب الى الصواب ولسعد العشيرة ابن لصلبه واسمه عيذ الله وهى قبيلة من قبائل جنب من مذحج وقد ذكرت بطون جنب واسماء ولد سعد العشيرة أو أكثرهم فى هذا الكتاب ولم سميت تلك القبائل بجنب وأحسب الوهم فى رواية البرقى انما جاء من اشتراك الاسم لان أم صفية المذكورة بنت عيذ الله ولكن ليس بعيذ الله الذى هو ابن سعد العشيرة لصلبه ولكنه من سعد العشيرة * وذكر عبد شمس بن عبد مناف وكان تلو الهاشم ويقال كانا توأمين فولد هاشم ورجله فى جبهة عبد شمس ملتصقة فلم يقدر على نزعها الا بدم فكانوا يقولون سيكون بين ولدهما دماء فكان تلك الدماء ما وقع بين بنى هاشم وبين بنى أمية بن عبد شمس واما سلمى أم عبد المطلب فقد ذكر نسبها وأمها عمرة بنت صخر المازنية وابنها عمرو بن أحيحة بن الجلاح وأخوه معبد ولدتهما لاحيحة بعد هاشم وكان عمرو من أجمل الناس وأنطقهم بحكمة وقال رجل من بنى هاشم للمنصور رأيت ان اتسعنا فى البنين وضقنا فى البنات فالى من تدفعنا يعنى فى المصاهرة فانشد

عبد شمس كان يتلو هاشما * وهما بعد لام ولأب

* وذكر الدارقطنى ان الحارث بن حبش السلمى كان أخا هاشم وعبد شمس والمطلب لامهم وانه رثى هاشما لهذه الاخوة وهذا يقوى ان أمهم عاتكة السلمية .

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق ان أم حية بنت هاشم وأم أبى صيفى هند بنت ثعلبة والمعروف عند أهل النسب ان أم حية جحل بنت حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيط الثقفية وحية بنت هاشم كانت تحت الاجحم بن دندنة الخزاعى ولدت له أسيدا وفاطمة بنت الاجحم التى تقول

قد كنت لى جبلا ألوذ بظله * فتركتنى أضحى باجرد ضاح

وقع هذا الشعر لها فى الحماسة وغيرها * وذكر أم العباس وهى تنيلة بنت جناب بن كليب وهى من نى عامر الذى يعرف بالضحيان وكان من ملوك ربيعة وقد ذكرنا فى خبر تبع انها أول من كسى البيت الديباج وذكرنا سبب ذلك ونزيدها هنا ما ذكره الماوردى قال أول من كسى البيت الديباج خالد بن جعفر بن كلاب أخذ لطيمة من البر وأخذ فيها أنماطا فعلقها على الكعبة وأم تنيلة أم حجر أو أم كرز بنت الازب من بنى بكيل من همدان وهى تنيلة بتاء منقوطة باثنتين وهى تصغير تنلة واحدة التنل وهم بيض النعام وبعضهم يصحفها بثاء

دعمى بن جديلة وأم حمزة والمقوم وحجل وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره وسعة ماله وأم صفية هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى وأم عبد الله وأبى طالب والزبير وجميع النساء غير صفية فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأمها صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم صخرة تخمر بنت عبد بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر وأم الحرث ابن عبد المطلب سمراء بنت جندب بن حجير بن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة وأم أبى لهب لبنى بنت هاجر بن عبد مناف ابن ضاطر بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى «قال ابن هشام» فولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم (محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب) صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله * وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة وامها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم برة أم حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم أم حبيب برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر «قال ابن هشام» فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم

لا

مثلثة * وذكر فى بنى عبد المطلب جحلا بتقديم الجيم على الحاء هكذا رواية الكتاب وقال الدارقطنى هو حجل بتقديم الحاء وقال جحل بتقديم الجيم هو الحكم بن جحل يروى عن على ومن حديثه عنه انه قال من فضلنى على أبى بكر جلدته حد الفرية والجحل السقاء الضخم والجحل الحرباء وذكر ابن دريد ان اسم جحل مصعب وقال غيره كان اسمه مغيرة وجحل لقب له والجحل ضرب من اليعاسيب قاله صاحب العين وقال أبو حنيفة كل شىء ضخم فهو جحل وجحل هو الغيداق والغيداق ولد الضب وهو أكبر من الحسل ولم يعقب وكذا المقوم لم يعقب الا بنتا اسمها هند وأم الغيداق فيما ذكر القتبى ممنعة بنت عمرو الخزاعية وهذا خلاف قول ابن اسحق وذكر فى أعمامه أيضا الزبير وهو أكبر أعمام النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى كان يرقص النبى صلى الله عليه وسلم وهو طفل ويقول

محمد بن عبدم * عشت بعيش أنعم
فى دولة ومغنم * دام سجيس الازلم

وبنته ضباعة كانت تحت المقداد وعبد الله ابنه مذكور فى الصحابة رضى الله عنهم وكان الزبير رضى الله عنه يكنى أبا الطاهر بابنه الطاهر وكان من أظرف فتيان قريش وبه سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه الطاهر وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة انه مات فقال باى عقوبة كان موته فقيل مات حتف أنفه فقال وان فلابد من يوم ينصف الله فيه المظلومين ففى هذا دليل على اقراره بالبعث * وذكر أبا طالب واسمه عبد مناف وله يقول عبد المطلب

أوصيك يا عبد مناف بعدى * بمؤتم بعد أبيه فرد
مات أبوه وهو حلف المهد

* وذكر أبا لهب واسمه عبد العزى وكنى أبا لهب لاشراق وجهه وكان تقدمة من الله تعالى لما صار اليه من اللهب وأمه لبنى بنت هاجر بكسر الجيم من بنى ضاطرة بضاد منقوطة واللبنى فى اللغة شىء يميع من بعض الشجر قاله أبو حنيفة ويقال لبعضه الميعة والدودم مثل اللبنى يسيل من السمر غير انه أحمر فيقال حاضت السمرة اذا رشح ذلك منها

﴿ أمهات النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكر فى آخرهن برّة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى وهن كلهن قرشيات ولذلك وقف فى برة وان كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا أم برة وأم أمها وأم أم الام ولكنهن من غير قريش قال محمد بن حبيب وأم برة قلابة بنت الحرث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل وأم قلابة أميمة بنت مالك بن غنم بن لحيان بن غادية بن كعب [وأم أميمة دبة بنت الحرث بن لحيان بن غادية] وأمها بنت كهف الظلم من ثقيف وذكر الزبير قلابة بنت الحرث وزعم ان أباها الحرث كان يكنى أبا قلابة وانه أقدم شعراء هذيل وذكر من قوله

لا تأمنن وان أمسيت فى حرم * ان المنايا بجنبى كل انسان
واسلك طريقك تمشى غير مختشع * حتى تلاقى ما منى لك المانى
فالخير والشر مقرونان فى قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان

باب مولد النبى صلى الله عليه وسلم

ذكر نسب أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة وان زهرة هو ابن كلاب وفى المعارف لابن قتيبة ان زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة وهذا منكر غير معروف وانما هو اسم جدهم كما قال ابن اسحاق والزهرة فى اللغة اشراق فى اللون أى لون كان من بياض أو غيره وزعم بعضهم أن الازهر هو الابيض خاصة وان الزهر اسم للابيض من النوّار وخطأ أبو حنيفة من قال بهذا القول وقال انما الزهرة اشراق فى الالوان كلها وأنشد فى نور الحوذان وهو أصفر

ترى زهر الحوذان حول رياضه * يضىء كلون الاتحمى المورس

وفى حديث يوم أحد نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تزهران تحت المغفر وذكر فيه خبر اسمعيل وأمه وقد تقدم طرف منه * وذكر ان جبريل عليه السلام همز بعقبه فى موضع زمزم فنبع الماء وكذلك زمزم تسمى همزة جبريل بتقديم الميم على الزاى ويقال فيها أيضا هزمة جبريل لانها هزمة فى الارض وحكى فى اسمها زمازم وزمزم حكى ذلك عن المطرز وتسمى أيضا طعام طعم وشفاء سقم وقال الجربى سميت زمزم بزمزمة الماء وهى صوته وقال المسعودى سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها فى الزمن الاول فزمزمت عليها والزمزمة صوت يخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء وقد كتب عمر رضى الله عنه الى عماله ان انهوا الفرس عن الزمزمة وأنشد المسعودى

زمزمت الفرس على زمزم * وذاك فى سالفها الاقدم

وذكر البرقى عن ابن عباس رضى الله عنه انها سميت زمزم لانها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا ولو تركت لساحت على الارض حتى تملأ كل شىء وقال ابن هشام والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع قال الشاعر

وباشرت معطنها المدهشما * ويممت زمزومها المزمزما

المدهشم اللين وكان سبب انزال هاجر وابنها اسماعيل بمكة ونقلها اليها من الشام ان سارة بنت عم ابراهيم عليه السلام شجر بينها وبين هاجر أمر وساء ما بينهما فامر ابراهيم أن يسير بها الى مكة فاحتملها على البراق واحتمل معه قربة بماء ومزود تمر وسار بها حتى أنزلها بمكة فى موضع البيت ثم ولى راجعا عوده على بدئه وتبعته هاجر وهى تقول آلله أمرك ان تدعنى وهذا الصبى فى هذا البلد الموحش وليس معنا أنيس فقال نعم فقالت اذا لا يضيعنا فجعلت تأكل من التمر وتشرب من ماء القربة حتى نفد الماء وعطش الصبى وجعل ينشغ للموت وجعلت هى تسعى من الصفا الى المروة ومن المروة الى الصفا لترى أحدا حتى سمعت صوتا عند الصبى فقالت قد أسمعت ان كان عندك غوث ثم جاءت الصبى فاذا الماء ينبع من تحت خده فجعلت تغرف بيديها وتجعل فى القربة قال النبى صلى الله عليه وسلم لو تركته لكانت عينا او قال نهرا معينا وكلمها الملك وهو جبريل عليه السلام وأخبرها انها مقر ابنها وولده الى يوم القيامة وانها موضع بيت الله الحرام ثم ماتت هاجر واسماعيل عليه السلام ابن عشرين سنة وقبرها فى الحجر وثم قبر اسماعيل عليه السلام وكان الحجر قبل بناء البيت زربا لغنم اسماعيل صلى الله عليه وسلم ويقال ان أول بلد ميرت منه أم اسماعيل عليه السلام وابنها التمر

حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك ابن هشام قال وكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال بينما عبد المطلب بن هاشم نائم فى الحجر اذ أتى فأمر بحفر زمزم وهى دفن بين صنمى قريش اساف ونائلة عند منحر قريش وكانت جرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة وهى بئر اسمعيل بن ابراهيم التى سقاه الله حين ظمىء وهو صغير فالتمست له أمه ماء فلم تجده فقامت على الصفا تدعو الله وتستغيثه لاسمعيل ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فهمز له بعقبه فى الارض فظهر لها الماء وسمعت أمه اصوات السباع فخافتها عليه فجاءت تشتد نحوه فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت خده ويشرب فجعلته حسيا

القرية التى كانت تعرف بالفرع من ناحية المدينة والله أعلم

﴿فصل﴾ وذكر نزول جرهم وقطورا على أم اسماعيل هاجر وجرهم هو قحطان بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ويقال جرهم بن عابر وقد قيل انه كان مع نوح عليه السلام فى السفينة وذلك انه من ولد ولده وهم من العرب العاربة ومنهم تعلم اسماعيل العربية • وقيل ان الله تعالى أنطقه بها انطاقا وهو ابن أربع عشرة سنة * وأما قطورا فهو قطورا ابن كركر * وأما السميدع الذى ذكره فهو السميدع بن هوثر بثاء مثلثة قيدها البكرى بن لاى بن قطورا بن كركر بن عملاق ويقال ان الزباء الملكة كانت من ذريته وهى بنت عمرو بن أذينة بن ظرب بن حسان وبين حسان وبين السميدع آباء كثيرة ولا يصح قول من قال ان حسان ابنه لصلبه لبعد زمن الزباء من السميدع وقد ذكرنا الاختلاف فى اسمها فى غير هذا الموضع * [وذكر الحرث ابن مضاض الاكبر بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هىّ بن بنت جرهم]

﴿فصل﴾ وذكر ولاية جرهم البيت الحرام دون بنى اسماعيل الى ان بغوا فى الحرم وكان أول بغى فى الحرم ما ذكره من حرب جرهم لقطورا * وأما اجياد فلم يسم باجياد من اجل جياد الخيل كما ذكر لان جياد الخيل لا يقال فيها أجياد وانما أجياد جمع جيد * وذكر أصحاب الاخبار ان مضاضا ضرب فى ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة فسمى الموضع باجياد وهكذا ذكر ابن هشام فى غير هذا الكتاب ومن شعب أجياد تخرج دابة الارض التى تكلم الناس قبل يوم القيامة كذلك روى عن صالح مولى التوأمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص وذكر غيره فى اخبار مكة ان قعيقعان سمى بهذا الاسم حين نزل تبع مكة ونحر عندها وأطعم ووضع سلاحه وأسلحة جنده بهذا المكان فسمى قعيقعان بقعقعة السلاح فيه والله أعلم

﴿فصل﴾ وذكر استحلال جرهم لحرمة الكعبة فمن ذلك ان ابراهيم عليه السلام كان احتفر بئرا قريبة القعر عند باب الكعبة كان يلقى فيها ما يهدى اليها فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة فيذكر ان رجلا منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة فسقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كرأس الجدى سوداء المتن بيضاء البطن فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة وأقامت فى البئر فيما ذكروا نحوا من خمسمائة عام وسنذكر قصة رفعها عند بنيان الكعبة ان شاء الله

﴿فصل﴾ فلما كان من بغى جرهم ما كان وافق تفرق سبأ من أجل سيل العرم ونزول حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر أرض مكة وذلك بامر طريفة الكاهنة وهى امرأة عمرو بن مزيقياء وهى من حمير وبامر عمران بن عامر أخى عمرو وكان كاهنا أيضاً فنزلها هو وقومه فاستأذنوا جرهما ان يقيموا بها أياما حتى يرسلوا الرواد ويرتادوا منزلا حيث رأوا من البلاد فأبت عليهم جرهم وأغضبوهم حتى أقسم حارثة الا يبرح مكة الا عن قتال وغلبة فحاربتهم جرهم فكانت الدولة لبنى حارثة عليهم واعتزلت بنو اسماعيل فلم تكن مع أحد من الفريقين فعند ذلك ملكت خزاعة وهم بنو حارثة مكة وصارت ولاية البيت لهم وكان رئيسهم عمرو بن لحى الذى تقدم ذكره قبل فشرّد بقية جرهم فسار فلهم فى البلاد وسلط عليهم الذر والرعاف وأهلك بقيتهم السيل باضم حتى كان آخرهم موتا امرأة رئيت تطوف بالبيت بعد خروجهم منها بزمان فعجبوا من طولها وعظم خلقتها حتى قال لها قائل أجنية انت أم انسية فقالت بل انسية من جرهم وأنشدت رجزا فى معنى حديثهم واستكرت بعيرا من رجلين من جهينة فاحتملاها على البعير الى أرض خيبر فلما أنزلاها بالمنزل الذى رسمت لهما سألاها عن الماء فاشارت لهما الى موضع الماء فوليا عنها واذا الذر قد تعلق بها حتى بلغ خياشيمها وعينيها وهى تنادى بالويل والثبور حتى دخل حلقها وسقطت لوجهها وذهب الجهنيان الى الماء

فاستوطناه

﴿أمر جرهم ودفن زمزم﴾

«قال ابن هشام» وكان من حديث جرهم ودفنها زمزم وخروجها من مكة ومن ولى أمر مكة بعدها الى أن حفر عبد المطلب زمزم ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائى عن محمد ابن اسحق قال لما توفى اسمعيل بن ابراهيم ولى البيت بعده ابنه نابت بن اسمعيل ما شاء الله ان يليه ثم ولى البيت بعده مضاض ابن عمرو الجرهمى «قال ابن هشام» ويقال مضاض بن عمرو الجرهمى * قال ابن اسحق وبنو اسمعيل وبنو نابت مع جدهم مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرهم وجرهم وقطوراء يومئذ أهل مكة وهما ابنا عم وكانا ظعنا من اليمن فأقبلا سيارة وعلى جرهم مضاض بن عمرو وعلى قطوراء السميدع رجل منهم وكانوا اذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا الا ولهم ملك يقيم أمرهم فلما نزلا مكة رأيا بلدا ذا ماء وشجر فاعجبهما فنزلا به

فنزل مضاض بن عمرو ومن معه من جرهم باعلى مكة بقعيقعان فما حاز ونزل السميدع بقطوراء أسفل مكة باجياد فما حاز فكان مضاض يعشر من دخل مكة من أعلاها وكان السميدع يعشر من دخل مكة من أسفلها وكل فى قومه لا يدخل واحد منهما على صاحبه ثم ان جرهم وقطوراء بغى بعضهم على بعض وتنافسوا الملك بها ومع مضاض يومئذ بنو اسمعيل و بنو نابت واليه ولاية البيت دون السميدع فسار بعضهم الى بعض فخرج مضاض بن عمرو من قعيقعان فى كتيبته سائرا الى السميدع ومع كتيبته عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب يقعقع بذلك معه فيقال ماسمى قعيقعان بقعيقعان الا لذلك وخرج السميدع من أجياد ومعه الخيل والرجال فيقال ماسمى أجياد أجيادا الا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه فالتقوا بفاضح واقتتلوا قتالا شديدا فقتل السميدع وفضحت قطوراء فيقال ماسمى فاضح فاضحا الا لذلك ثم ان القوم تداعوا الى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعبا باعلى مكة واصطلحوا به وأسلموا الامر الى مضاض فلما جمع اليه أمر مكة فصار ملكها له نحر للناس فاطعمهم فاطبخ الناس وأكلوا فيقال ماسميت المطابخ المطابخ الا لذلك و بعض أهل العلم يزعم انها انما سميت المطابخ لما كان تبع نحر بها وأطعم وكانت منزله فكان الذى كان بين مضاض والسميدع أول بغى كان بمكة فيما يزعمون * ثم نشر الله ولد اسمعيل بمكة وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولد اسمعيل فى ذلك لخؤلتهم وقرابتهم واعظاما للحرمة ان يكون بها بغى أو قتال فلما ضاقت مكة على ولد اسمعيل انتشروا فى البلاد فلا يناوون قوما الا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم ثم ان جرهما بغوا بمكة واستحلوا خلالا من الحرمة فظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها ففرق أمرهم فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك أجمعوا الحرب بهم واخراجهم من مكة فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة وكانت مكة فى الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ولا يبغى فيها أحد الا أخرجته

فاستوطناه فمن هنالك صار موضع جهينة بالحجاز وقرب المدينة وانما هم من قضاعة وقضاعة من ريف العراق

﴿فصل﴾ رجع الحديث وكان الحرث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هى بن نبت بن جرهم الجرهمى قد نزل بقنونا من أرض الحجاز فضلت له ابل فبغاها حتى أتى الحرم فأراد دخوله ليأخذ ابله فنادى عمرو بن لحى من وجد جرهميا فلم يقتله قطعت يده فسمع بذلك الحرث وأشرف على جبل من جبال مكة فرأى ابله تنحر و يتوزع لحمها فانصرف بائسا خائفا ذليلا وأبعد فى الارض وهى غربة الحرث بن مضاض التى تضرب بها المثل حتى قال الطائى

غربة تقتدى بغربة قيـ * ـس بن زهير والحارث بن مضاض

وحينئذ قال الحرث الشعر الذى رسمه ابن اسحق وهو قوله * كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * الشعر وفيه

ونبكى لبيت ليس يؤذى حمامه * تظل به أمنا وفيه العصافر

أراد العصافير وحذف الياء ضرورة ورفع العصافير على المعنى أى وتأمن فيه العصافير وتظل به أمنا أى ذات أمن ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل ركب جمع راكب وفيه ولم يسمر بمكة سامر السامر اسم الجماعة يتحدثون بالليل وفى التنزيل «سامرا تهجرون» والحجون بفتح الحاء على فرسخ وثلث من مكة قال الحميدى كان سفيان ربما أنشد هذا الشعر فزاد فيه بعد قوله فليست تغادر

ولم يتربع واسطا وجنوبه * الى السر من وادى الاراكة حاضر
وأبدلنى ربى بها دار غربة * بها الجوع باد والعدو المحاصر

قال الحميدى واسط الجبل الذى يجلس عنده المساكين اذا ذهبت الى منى وقوله فيه * لا يبعد سهيل وعامر * عامر جبل من جبال مكة يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه * وهل يبدون لى عامر وطفيل * على رواية من رواه هكذا وجرهم هذا هو الذى تتحدث بها العرب فى أكاذيبها وكان من خرافاتها فى الجاهلية ان جرهما ابن لملك أهبط من السماء لذنب أصابه [فغضب عليه من أجله] كما أهبط هاروت وماروت ثم ألقيت فيه الشهوة فتزوج امرأة فولدت له جرهما وقال قائلهم

لاهم ان جرهما عبادكا * الناس طرف وهم تلادكا

من كتاب الامثال للاصبهانى

﴿فصل﴾ وذكر مكة و بكة وقد قيل فى بكة ماذكره من انها تبك الجبابرة أى تكسرهم وتقدعهم وقيل من التباك وهو الازدحام ومكة من تمككت العظم اذا اجتذبت مافيه من المخ وتمكك الفصيل مافى ضرع

فكانت تسمى الناسة ولا يريدها ملك يستحل حرمتها الا هلك مكانه فيقال انها ماسميت ببكة الا أنها كانت تبك أعناق الجبابرة اذا أحدثوا فيها شيئاً «قال ابن هشام» أخبرنى أبو عبيدة ان بكة اسم لبطن مكة لانهم يتباكون فيها أى يزدحمون وأنشدنى اذا الشريب أخذته أكه * فخله حتى يبك بكه أى فدعه حتى يبك ابله أى يخليها الى الماء فتزدحم عليه وهو موضع البيت والمسجد وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم * قال ابن اسحق فخرج عمرو بن الحرث بن مضاض الجرهمى بغزالى الكعبة وبحجر الركن فدفنهما فى زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن فحزنوا على مافارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا فقال عمرو بن الحرث بن مضاض فى ذلك وليس بمضاض الاكبر

وقائلة والدمع سكب مبادر
وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب منى كأنما
يلجلجه بين الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلها فازالنا
صروف الليالى والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت
بعز فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فاعظم بملكنا
فليس لحى غيرنا ثم فاخر   ألم تنكحوا من خير شخص علمته * فابناؤه منا ونحن الاصاهر   والناس
فان تنثنى الدنيا علينا بحالها * فان لها حالا وفيها التشاجر   فاخرجنا منها المليك بقدرة * كذلك يا للناس تجرى المقادر
أقول اذا نام الخلى ولم أنم * اذا العرش لا يبعد سهيل وعامر   وبدلت منها أوجها لا أحبها * قبائل منها حمير ويحابر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة * بذلك عضتنا السنون الغوابر   فسحت دموع العين تبكى لبلدة * بها حرم أمن وفيها المشاعر
ونبكى لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمنا وفيه العصافر   وفيه وحوش لا ترام أنيسة * اذا خرجت منه فليست تغادر

«قال ابن هشام» قوله فابناؤه منا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال عمرو بن الحرث أيضا يذكر بكرا وغبشان وساكنى مكة الذين خلفوا فيها بعدهم

يا أيها الناس سيروا أن قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

الناقة فكأنها تجتذب الى نفسها مافى البلاد من الناس والاقوات التى تأتيها فى المواسم وقيل لما كانت فى بطن واد فهى تمكك الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر وتنجذب اليها السيول واما قول الراجز الذى أنشده ابن هشام

اذا الشريت أخذته أكه * فخله حتى تبك بكه

فالاكة الشدة وأكاك الدهر شدائده * وذكر انه كان يقال لها الناسة وهو من نست الشىء اذا أذهبته والرواية فى الكتاب بالنون وذكر الخطابى انه يقال لها الباسة أيضا بالباء وهو من بست الجبال بسا أى فتت وثريت كما يثرى السويق قال الراجز * لا تخبزا خبزا وبسابسا * يقول لا تشتغلا بالخبز وثريا الدقيق والتقماه يقال ان هذا البيت للص أعجله الهرب * وذكر أبو عبيدة ان الخبز شدة السوق والبس ألين منه وبعده * ماترك السير لهن نسا * ومن أسماء مكة أيضا الرأس وصلاح وأم رحم وكوثا واما التى يخرج منها الدجال فهى كوثاربا ومنها كانت أم ابراهيم عليه السلام وقد تقدم اسمها وأبوها هو الذى احتفر نهر كوثا قاله الطبرى

﴿فصل﴾ وذكر قول الحرث بن مضاض

يا أيها الناس سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

وذكر ابن هشام انها وجدت بحجر باليمن ولا يعرف قائلها والفيت فى كتاب [أبى بحر] سفيان بن العاصى خبرا لهذه الابيات وسنده أبو الحرث محمد بن أحمد الجعفى عن عبد الله بن عبد السلام البصرى قال حدثنا اسحق بن ابراهيم بن سليمان التمار قال أخبرنى ثقة عن رجل من أهل اليمامة قال وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار وهى بئر طسم وجديس فى قرية يقال لها معنق بينها وبين الحجر ميل وهم من بقايا عاد غزاهم تبع فقتلهم فوجدوا فى حجر من الثلاثة الاحجار مكتوبا

يا أيها الملك الذى * بالملك ساعده زمانه
ما أنت أول من علا * وعلا شؤن الناس شانه
أقصر عليك مراقبا * فالدهر مخذول أمانه
كم من أشم معصب * بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزما * ن وكان ذا خفض جنانه
تجرى الجداول حوله * للجند مترعة جفانه
قد فاجأته منية * لم ينجه منها اكتنانه
وتفرقت أجناده * عنه وناح به قيانه
والدهر من يعلق به * يطحنه مفترشا جرانه

والناس شتى فى الهوى * كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة * والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى * ولقد يشرفه بيانه

و وجد فى الحجر الثانى مكتوبا أبيات

كل عيش تعـله * ليس للدهر خله
يوم بؤس ونعمى * واجتماع وقله
حبنا العيش والتكا * ثر جهل وضله
بينما المرء ناعم * فى قصور مظله
فى ظلال ونعمة * ساحبا ذيل حله
لا يرى الشمس ملغضا * رة اذ زال زله
لم يقلها وبدات * عزة المرء ذله
آفة العيش والنع * يم كرور الأهله
وصل يوم بليلة * واعتراض بعله
والمنايا جوائم * كالصقور المدله
بالذى تكره النف * وس عليها مطله

وفى الحجر الثالث مكتوبا

يا أيها الناس سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطى وارخوا من أزمتها * قبل الممات وقضوا ماتقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فانتم كما كنا تكونونا

وذكر أبو الوليد الازرقى فى كتابه فى فضائل مكة زيادة فى هذه الابيات وهى

قد مال دهر علينا ثم أهلكنا * بالبغى فينا وبز الناس ناسونا
ان التفكر لا يجدى بصاحبه * عند البديهة فى علم له دونا
قضوا أموركم بالحزم ان لها * أمور رشد رشدتم ثم مسنونا
واستخبروا فى صنيع الناس قبلكم * كما استبان طريق عنده الهونا
كنا زمانا ملوك الناس قبلكم * بمسكن فى حرام الله مسكونا

ووجد على حائط قصر بدمشق لبنى أمية مكتوبا

يا أيها القصر الذى كانت * تحف به المواكب
اين المواكب والمضـ * ارب والنجائب والجنائب
أين العساكر والدسـ * اكر والمقانب والكتائب
ما بالهم لم يدفعوا * لما أتت عنك النوائب
ما بال قصرك واهيا * قد عاد منهدّ الجوانب

ووجد فى الحائط الآخر من حيطانها جوابها

ياسائلى عما مضى * من دهرنا ومن العجائب

حثوا المطى وأرخوا من أزمتها
قبل الممات وقضوا ماتقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا
دهر فانتم كما كنا تكونونا

«قال ابن هشام» هذا ماصح له منها «قال ابن هشام» وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الابيات أول شعر قيل فى العرب وأنها وجدت فى حجر باليمن ولم يسم لى قائلها قال ابن اسحاق ثم ان غبشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحرث الغبشانى وقريش اذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم حليل ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى

« قال ابن هشام » يقال حبشية بن سلول * قال ابن اسحق ثم ان قصى بن كلاب خطب الى حليل بن حبشية بنته حبى فرغب فيه حليل فزوجه فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا فلما انتشر ولد قصى وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل فرأى قصى انه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبنى بكر وان قريشا قرعة اسمعيل بن ابراهيم وصريح ولده فكلم رجالا من قريش وبنى كنانة ودعاهم الى اخراج خزاعة وبنى بكر من مكة فاجابوه وكان ربيعة بن حرام من عذرة بنى سعد بن زيد قد قدم مكة بعد ما هلك كلاب فتزوج فاطمة بنت سعد بن سيل وزهرة يومئذ رجل وقصى فطيم فاحتملهما الى بلاده فحملت قصيا معها وأقام زهرة فولدت لربيعة رزاحا فلما بلغ قصى وصار رجلا أتى مكة فأقام بها فلما أجابه قومه الى ما دعاهم اليه كتب الى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة يدعوه الى نصرته والقيام معه فخرج رزاح ابن ربيعة ومعه اخوته حن ابن ربيعة ومحمود بن ربيعة وجلهمة بن ربيعة وهم لغير أمه فاطمة فيمن تبعهم من قضاعة فى حاج العرب وهم مجمعون لنصرة قصى وخزاعة تزعم ان حليل بن حبشية أوصى بذلك قصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر وقال أنت أولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة فعند ذلك طلب قصى ما طلب ولم نسمع ذلك من غيرهم فالله أعلم أى ذلك كان

﴿ ما كان يليه الغوث بن مر من الاجازة للناس بالحج ﴾

وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر يلى الاجازة للناس بالحج فصل من بعد عرفة وولده من بعده وكان يقال له ولولده صوفة وانما ولى ذلك الغوث بن مر لان أمه كانت امرأة من جرهم وكانت لا تلد فنذرت لله ان هى ولدت رجلا أن تصدق به على الكعبة عبدا لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الاول مع أخواله من جرهم فولى الاجازة بالناس من عرفة لمكانه الذى كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا فقال مر بن أد لوفاء نذر أمه

انى جعلت رب من بنيه * ربيطة بمكة العليه
فباركن لى بها أليه * واجعله لى من صالح البريه

والقصر اذ أودى فاضحى * بعد منهد الجوانب
وعن الجنود أولى العقو * د ومن بهم كنا نحارب
وبهم قهرنا عنوة * من بالمشارق والمغارب
وتقول لم لم يدفعوا * لما أتت عنك النوائب
هيهات لا ينجى من المو * ت الكتائب والمقانب

﴿ فصل ﴾ فى حديث قصى ذكر فيه أن قريشا قرعة ولد اسمعيل هكذا بالقاف هى الرواية الصحيحة وفى بعض النسخ فرعة بالفاء والقرعة بالقاف هى نخبة الشىء وخياره وقريع الابل فحلها وقريع القبيلة سيدها ومنه اشتق الاقرع بن حابس وغيره ممن سمى من العرب بالاقرع * وذكر انتقال ولاية البيت من خزاعة اليه ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالامر منهم وذكر غيره أن حليلا كان يعطى مفاتيح البيت ابنته حبى حين كبر وضعف فكانت بيدها وكان قصى ربما أخذها فى بعض الاحيان ففتح البيت للناس وأغلقه ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت الى قصى فأبت خزاعة أن تمضى ذلك لقصى فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة وأرسل الى رزاح أخيه يستنجده عليهم ويذكر أيضا أن أبا غبشان من خزاعة واسمه سليم وكانت له ولاية الكعبة باع مفاتيح الكعبة من قصى بزق خمر فقيل أخسر من صفقة أبى غبشان ذكره المسعودى والاصبهانى فى الامثال وكان الاصل فى انتقال ولاية البيت من ولد مضر الى خزاعة ان الحرم حين ضاق عن ولد نزار وبغت فيه اياد أخرجتهم بنو مضر بن نزار وجلوهم عن مكة فعمدوا فى الليل الى الحجر الاسود فاقتلعوه واحتملوه على بعير فرزح البعير به وسقط الى الارض وجعلوه على آخر فرزح أيضا وعلى الثالث ففعل مثل ذلك فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا فلما أصبح أهل مكة ولم يروه وقعوا فى كرب عظيم وكانت امرأة من خزاعة قد بصرت به حين دفن فأعلمت قومها بذلك فحينئذ أخذت خزاعة على ولاة البيت أن يتخلوا لهم عن ولاية البيت ويدلوهم على الحجر ففعلوا ذلك فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة الى أن صيرها أبو غبشان الى عبد مناف هذا معنى قول الزبير

﴿ فصل ﴾ وذكر أن قصيا نشأ فى حجر ربيعة بن حرام ثم ذكر رجوعه الى مكة وزاد غيره فى شرح الخبر فقال وكان قصى رضيعا حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة فنشأ ولا يعلم لنفسه أبا الا ربيعة ولا يدعى الا له فلما كان غلاما يفعة أو حزورا سابه رجل من قضاعة فعيره بالدعوة وقال لست منا وانما أنت فينا ملصق فدخل على أمه وقد وجم لذلك فقالت له يا بنى صدق انك لست منهم ولكن رهطك خير من رهطه وآباؤك أشرف من آبائه وانما أنت قرشى وأخوك وبنو عمك بمكة وهم جيران بيت الله الحرام فدخل فى سيارة حتى أتى مكة وقد ذكرنا أن اسمه زيد وانما كان قصيا أى بعيدا عن بلده فسمى قصيا

﴿ فصل ﴾ وذكر قصة الغوث بن مر ودفعه بالناس من عرفة. وقال بعض نقلة الاخبار ان ولاية الغوث

وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالناس قال لاهمّ انى تابع تباعه * ان كان اثم فعلى قضاعه * قال ابن اسحق حدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتجيز بهم اذا نفروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا الرمى الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذو والحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظل ذو و الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة و يستعجلونه بذلك و يقولون له و يلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه * قال ابن اسحق فاذا فرغوا من رمى الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة بجانبى العقبة فحبسوا الناس وقالوا أجيزى صوفة فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم وكانت من بنى سعد فى آل صفوان بن الحرث بن شجنة «قال ابن هشام» صفوان بن جناب بن شجنة بن عطارد ابن عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم * قال ابن اسحق وكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام كرب بن صفوان «وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى»

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم * حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

«قال ابن هشام» هذا البيت فى قصيدة لاوس بن مغراء وأما قول ذى الاصبع العدوانى واسمه حرثان بن عمرو وانما سمى ذا الاصبع لانه كان له أصبع فقطعها

عذير الحى من عدوا * ن كانوا حية الارض
بغى بعضهم ظلما * فلم يرع على بعض
ومنهم كانت السادا * ت والموفون بالقرض
ومنهم من يجيز النا * س بالسنة والفرض
ومنهم حكم يقضى * فلا ينقض ما يقضى

ابن مر كانت من قبل ملوك كندة * وقوله ان كان اثم فعلى قضاعة انما خص قضاعة بهذا لان منهم محلين يستحلون الاشهر الحرم كما كانت خثعم وطىء تفعل وكذلك كانت النسأة تقول اذا حرمت صفرا أو غيره من الاشهر بدلا من الشهر الحرام يقول قائلهم قد حرمت عليكم الدماء الا دماء المحلين

﴿ فصل ﴾ وأما تسمية الغوث و ولده صوفة فاختلف فى سبب ذلك فذكر أبو عبيد الله الزبير بن أبى بكر القاضى فى أنساب قريش له عند ذكر صوفة البيت الواقع فى السيرة لاوس بن مغراء السعدى وهو

* لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم * البيت و بعده

مجد بناه لنا قدما أوائلنا * وأورثوه طوال الدهر أحزانا

ومغراء تأنيث أمغر وهو الاحمر ومنه قول الاعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم أهو هذا الرجل الامغر ثم قال قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشىء من خدمة البيت أو بشىء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان قال أبو عبيدة لانه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة وذكر أبو عبد الله انه حدثه أبو الحسن الاثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى قال انما سمى الغوث بن مرّ صوفة لانه كان لا يعيش لامه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة ففعلت فقيل له صوفة ولولده من بعده وهو الربيط وحدث ابراهيم ابن المنذر عن [عمر بن] عبد العزيز بن عمران قال أخبرنى عقال بن شبة قال قالت أم تميم بن مرّ و ولدت نسوة فقالت لله علىّ لئن ولدت غلاما لاعبدنه للبيت فولدت الغوث وهو أكبر ولد مرّ فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط وذوى واسترخى فقالت ما صار ابنى الا صوفة فسمى صوفة

﴿ فصل ﴾ وذكر وراثة بنى سعد اجازة الحاج بالقعدد من بنى الغوث بن مر وذلك ان سعدا هو ابن زيد مناة بن تميم بن مر وكان سعد أقعد بالغوث بن مر من غيره من العرب و زيد مناة بن تميم يقال فيه مناة ومناءة بالهمز وتركه و يجوز أن يكون اذا همز مفعلة من ناء ينوء و يجوز أن يكون فعالة من المنيئة وهى المدبغة كما قالت امرأة من العرب لاخرى اعطنى نفسا أو نفسين أمعس بها منيئتى فانى أفدة * النفس قطعة من الدباغ والمنيئة الجلد فى الدباغ وأفدة مقاربة لاستتمام ما تريد صلاحه وتمامه من ذلك الدباغ وأنشد أبو حنيفة

اذا أنت باكرت المنيئة باكرت * قضيب أراك بات فى المسك منقعا

وأنشد يعقوب

اذا أنت باكرت المنيئة باكرت * مداكا لها من زعفران واثمد

وهذه الابيات فى قصيدة له فلأن الافاضة من المزدلفة كانت فى عدوان فيما حدثنى زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الاعزل ففيه يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبى سياره
وعن مواليه بنى فزاره
حتى أجاز سالما حماره
مستقبل القبلة يدعو جاره

قال وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له فلذلك يقول سالما حماره * قال ابن اسحق وقوله حكم يقض يعنى عامر بن ظرب ابن عمرو بن عباد بن يشكر ابن عدوان العدوانى وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ولا عضلة فى قضاء الا أسندوا ذلك اليه ثم رضوا بما قضى فيه فاختصم اليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه فى رجل خنثى له ما للرجل وله ما للمرأة فقالوا أتجعله رجلا أو امرأة ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه فقال حتى أنظر فى أمركم فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يا معشر العرب فاستأخروا عنه فبات ليلته ساهرا يقلب أمره وينظر فى شأنه لا يتوجه له منه وجه وكانت له جارية يقال لها سخيلة ترعى عليه غنمه وكان يعاتبها اذا سرحت فيقول صبحت والله يا سخيل واذا اراحت عليه قال مسيت والله يا سخيل وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس وتؤخر الاراحة حتى يسبقها بعض الناس فلما رأت سهره وقلقه وقلة قراره على فراشه قالت مالك

﴿ فصل ﴾ وأما قوله فلأن الافاضة من المزدلفة كانت فى عدوان فالمزدلفة مفتعلة من الازدلاف وهو الاجتماع وفى التنزيل « وأزلفنا ثم الآخرين » وقيل بل الازدلاف هو الاقتراب والزلفة القربة فسميت مزدلفة لان الناس يزدلفون فيها الى الحرم وفى الخبر ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض لم يزل يزدلف الى حواء وتزدلف اليه حتى تعارفا بعرفة واجتمعا بالمزدلفة فسميت جمعا وسميت المزدلفة * وأما ذو الاصبع الذى ذكره فهو حرثان بن عمرو ويقال فيه حرثان بن الحرث بن محرث بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب وظرب هو والد عامر بن الظرب الذى كان حكم العرب وذكر ابن اسحاق قصته فى الخنثى وفيه يقول الشاعر لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وكان قد خرف حتى تفلت ذهنه فكانت العصا تقرع له اذا تكلم فى نادى قومه تنبيها له لئلا تكون له السقطة فى قول أو حكم وكذلك كان ذو الاصبع كان حكما فى زمانه وعمر ثلاثمائة سنة وسمى ذا الاصبع لان حية نهشته فى أصبعه وجدهم ظرب هو عمرو بن عياذ بن يشكر بن بكر بن عدوان واسم عدوان تيم وأمه جديلة بنت أد بن طابخة وكانوا أهل الطائف وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زهاء سبعين ألفا ثم هلكوا ببغى بعضهم على بعض وكان ثقيف وهو قسى بن منبه صهرا لعامر بن الظرب كانت تحته زينب بنت عامر وهى أم أكثر ثقيف وقيل هى أخت عامر وأختها ليلى بنت الظرب هى أم دوس بن عدنان وسيأتى طرف من خبره فيما بعد ان شاء الله فلما هلكت عدوان وأخرجت بقيتهم ثقيف من الطائف صارت الطائف بأسرها لثقيف الى اليوم * وقوله حية الارض يقال فلان حية الارض وحية الوادى اذا كان مهيبا يذعر منه كما قال حسان

يا محكم بن طفيل قد أتيح لكم * لله در أبيكم حية الوادى

يعنى بحية الوادى خالد بن الوليد رضى الله عنه

﴿ فصل ﴾ وقوله عذيرا الحى من عدوان نصب عذيرا على الفعل المتروك اظهاره كأنه يقول هاتوا عذيره أى من يعذره فيكون العذير بمعنى العاذر ويكون أيضا بمعنى العذر مصدرا كالحديث ونحوه * وذكر أبا سيارة وهو عميلة بن الاعزل فى قول ابن اسحاق وقال غيره اسمه العاصى قاله الخطابى واسم الاعزل خالد ذكره الاصبهانى وكانت له أتان عوراء خطامها ليف يقال انه دفع عليها فى الموقف أربعين سنة واياها يعنى الراجز فى قوله * حتى يجيز سالما حماره * وكانت تلك الاتان سوداء ولذلك يقول

لاهم مالى فى الحمار الاسود * أصبحت بين العالمين أحسد
فق ابا سيارة المحسد * من شر كل حاسد اذ يحسد

وأبو سيارة هذا هو الذى يقول أشرق ثبير كيما نغير وهو الذى يقول * لاهم انى تابع تباعه * وكان يقول فى دعائه اللهم بغض بين رعائنا وحبب بين نسائنا واجعل المال فى سمحائنا وهو أول من جعل الدية مائة من الابل فيما ذكر أبو اليقظان [حكاه عنه حمزة بن الحسن الاصبهانى] * وقوله وعن مواليه بنى فزارة يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزارة من قيس عيلان * وقوله * مستقبل القبلة يدعو جاره * أى يدعو الله عز وجل يقول اللهم كن لنا جارا مما نخافه أى مجيرا

﴿ فصل ﴾ وذكر عامر بن الظرب وحكمه فى الخنثى وما أفتته به جاريته سخيلة وهو حكم معمول به فى الشرع وهو من باب الاستدلال بالامارات والعلامات وله أصل فى الشريعة قال الله سبحانه « وجاؤا على قميصه بدم كذب » وجه الدلالة على الكذب فى الدم ان القميص المدمى لم يكن فيه خرق ولا أثر لانياب الذئب

لا أبالك ماعراك فى ليلتك هذه قال ويلك دعينى أمر ليس من شأنك ثم عادت له بمثل قولها فقال فى نفسه عسى أن تاتى مما أنا فيه بفرج فقال ويحك اختصم الى فى ميراث خنثى أأجعله رجلا أو امرأة فوالله ما أدرى ما أصنع وما يتوجه لى فيه وجه فقالت سبحان الله لا أبالك أتبع القضاء المبال أقعده فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل وان بال من حيث تبول المرأة فهى امرأة قال مسى سخيل بعدها أو صبحى فرجتها والله ثم خرج على الناس حين أصبح فقضى بالذى أشارت عليه به ﴿ غلب قصى بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له ﴾ * قال ابن اسحق فلما كان ذلك العام فعلت صوفة كما كانت تفعل وقد عرفت ذلك لها العرب وهو دين فى أنفسهم فى عهد جرهم وخزاعة وولايتهم فاتاهم قصى بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة فقال لنحن أولى بهذا منكم فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم انهزمت صوفه وغلبهم قصى على ما كان بايديهم من ذلك وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصى وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة فلما انحازوا عنه بادأهم وأجمع لحربهم وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا ثم انهم تداعوا الى الصلح والى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة فقضى بينهم بان قصيا أولى بالكعبة وامر مكة من خزاعة وان كل دم أصابه قصى من خزاعة وبنى بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وان ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة وان يخلى بين قصى وبين الكعبة ومكة فسمى يعمر بن عوف يومئذ الشداخ لما شدخ من الدماء ووضع منها «قال ابن هشام» ويقال الشداخ * قال ابن اسحق فولى قصى البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه الا انه قد أقر للعرب ما كانوا عليه وذلك انه كان يراه دينا فى نفسه لا ينبغى تغييره فاقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله فكان قصى أول بنى كعب بن لؤى أصاب ملكا أطاع له به قومه

الذئب وكذلك قوله «ان كان قميصه قد من قبل» الآية وقول النبى صلى الله عليه وسلم [فى المولود] ان جاءت به أورق جعدا جماليا فهو للذى رميت به فالاستدلال بالامارات أصل ينبنى عليه كثير من الاحكام فى الحدود والميراث وغير ذلك والحكم فى الخنثى أن يعتبر المبال ويعتبر بالحيض فان أشكل من كل وجه حكم بأن يكون له فى الميراث سهم امرأة ونصف وفى الدية كذلك وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد

﴿ فصل ﴾ وذكر يعمر الشداخ بن عوف حين حكموه وانه سمى بالشداخ لما شدخ من دماء خزاعة ويعمر الشداخ هو جد بنى دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الاخبار والانساب وهم عيسى بن يزيد بن دأب وأبوه يزيد وحذيمة بن دأب ودأب هو بن كرز بن أحمر من بنى يعمر بن عوف الذى شدخ دماء خزاعة أى أبطلها وأصل الشدخ الكسر والفضخ ومنه الغرة الشادخة شبهت بالضربة الواسعة والشداخ بفتح الشين كما قال ابن هشام والشداخ بضمها انما هو جمع وجائز أن يسمى هو وبنوه الشداخ كما يقال المناذرة فى المنذر وبنيه والاشعرون فى بنى الاشعر من سبا وهو باب يكثر ويطول وأم يعمر الشداخ اسمها السوم بنت عامر ابن جرة بضم الجيم وسيأتى ذكر جرة بالكسر ذكره ابن ماكولا ومن بنى الشداخ بلعاء بن قيس بن عبد الله ابن يعمر الشداخ الشاعر المذكور فى شعر الحماسة اسمه حميضة ولقب بلعاء لقوله

أنا ابن قيس سبعا وابن سبع * أبار من قيس قبيلا فالتمع
* كأنما كانوا طعاما فابتلع *

﴿ ولاية قصى البيت ﴾

ذكر فيه أمر قصى وما جمع من أهل مكة وأنشد * قصى لعمرى كان يدعى مجمعا * البيت وبعده

هموا ملؤا البطحاء مجدا وسوددا * وهم طردوا عنا غواة بنى بكر

ويذكر ان هذا الشعر لحذافة بن جمح * وذكر ان قصيا قطع مكة رباعا وأن أهلها هابوا قطع شجر الحرم للبنيان وقال الواقدى الاصح فى هذا الخبر ان قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى كيف نصنع فى شجر الحرم فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة حتى تكون فى منزله قال فاول من ترخص فى قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقعيقعان لكنه جعل دية كل شجرة بقرة وكذلك يروى عن عمر رضى الله عنه انه قطع دوحة كانت فى دار أسد بن عبد العزى وكانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة وذلك قبل أن يوسع المسجد فقطعها عمر رضى الله عنه ووداها بقرة ومذهب مالك رحمه الله فى ذلك أن لا دية فى شجر الحرم قال ولم يبلغنى فى ذلك شىء وقد أساء من فعل ذلك وأما الشافعى رحمه الله فجعل فى الدوحة بقرة وفيما دونها شاة وقال أبو حنيفة رحمه الله ان كانت الشجرة التى فى الحرم مما يغرسها

فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فانزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها و يزعم الناس ان قريشا هابوا قطع شجر الحرم فى منازلهم فقطعها قصى بيده وأعوانه فسمته قريش مجمعا لما جمع من أمرها وتيمنت بامره فما تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش وما يتشاورون فى أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم الا فى داره يعقده لهم بعض ولده وما تدرع جارية اذا بلغت ان تدرع من قريش الا فى داره يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ثم ينطلق بها الى أهلها فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها الى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضى أمورها «قال ابن هشام» وقال الشاعر

قصى لعمرى كان يدعى مجمعا
به جمع الله القبائل من فهر

* قال ابن اسحق حدثنى عبد الملك بن راشد عن أبيه قال سمعت السائب بن خباب صاحب المقصورة يحدث انه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب وهو خليفة حديث قصى ابن كلاب وما جمع من أمر قومه واخراجه خزاعة و بنى بكر من مكة وولايته البيت وأمر مكة فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره * قال ابن اسحق فلما فرغ قصى من حربه انصرف أخوه رزاح بن ربيعة الى بلاده بمن معه من قومه * وقال رزاح فى اجابته قصيا

لما أتى من قصى رسول *
فقال الرسول أجيبوا الخليلا
نهضنا اليه نقود الجيا * د وتطرح عنا الملول الثقيلا   تسير بها الليل حتى الصبا * ح ونكمى النهار لئلا نزولا   روايتين
فهن سراع كورد القطا * يجبن بنا من قصى رسولا   جمعنا من السر من اشمذين * ومن كل حى جمعنا قبيلا
فيالك حلبة ما ليلة * تزيد على الالف سيبا رسيلا   فلما مررن على عسجر * وأسهلن من مستناح سبيلا
وجاوزن بالركن من ورقا * ن وجاوزن بالعرج حيا حلولا   مررن على الحلى ماذقنه * وعالجن من مر ليلا طويلا
ندنى من العوذ أفلاءها * ارادة أن يسترقن الصهيلا   فلما انتهينا الى مكة * أبحنا الرجال قبيلا قبيلا

الناس و يستنبتونها فلا فدية على من قطع شيئا منها وان كان من غيرها ففيه القيمة بالغا ما بلغت * وذكر أبو عبيد أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أفتى فيها بعتق رقبة وذكر ان قصيا اتخذ دار الندوة وهى الدار التى كانوا يجتمعون فيها للتشاور ولفظها مأخوذ من لفظ الندىّ والنادى والمنتدى وهو مجلس القوم الذى يندون حوله أى يذهبون قريبا منه ثم يرجعون اليه والتندية فى الخيل ان تصرف عن الورد الى المرعى قريبا ثم تعاد الى الشرب وهو المندىّ وهذه الدار تصيرت بعد بنى عبد الدار الى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى فباعها فى الاسلام بمائة ألف درهم وذلك فى زمن معاوية فلامه معاوية فى ذلك وقال أبعت مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف درهم واشهدكم ان ثمنها فى سبيل الله فأينا المغبون ذكر خبر حكيم هذا الدارقطنى فى أسماء رجال الموطا له

﴿فصل﴾ وذكر شعر رزاح وفيه ونكمى النهار أى نكمن ونستتر والكمى من الفرسان الذى تكمى بالحديد وقيل الذى يكمى شجاعته أى يسترها حتى يظهرها عند الوغى وفيه مررنا بعسجر وهو اسم موضع وكذلك ورقان اسم جبل و وقع فى نسخة سفيان ورقان بفتح الراء وقيده أبو عبيد البكرى ورقان بكسر الراء وأنشد للاحوص

وكيف ترجى الوصل منها وأصبحت * ذرى ورقان دونها وجفير

و يخفف فيقال ورقان قال جميل

ياخليلى ان بثنة بانت * يوم ورقان بالفؤاد سبيا

وذكر انه من أعظم الجبال وذكر ان فيه أوشالا وعيونا عذابا وسكانه بنو أوس بن مزينة * وذكر أيضا الحديث وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر فى النار مثل أحد وفخذه مثل ورقان * وفى حديث آخر انه عليه السلام ذكر آخر من يموت من هذه الامة فقال رجلان من مزينة ينزلان جبلا من جبال العرب يقال له ورقان كل هذا من قول البكرى فى كتاب معجم ما استعجم

﴿فصل﴾ وذكر اشمذين بكسر الذال وفى حاشية كتاب سفيان بن العاص الاشمذان جبلان و يقال اسم قبيلتين ثم قال فى الحاشية فعلى هذا تكون الرواية بفتح الذال وكسر النون من اشمذين (قال المؤلف رحمه الله) فان صح انهما اسم قبيلتين فلا يبعد ان تكون الرواية كما فى الاصل اشمذين بكسر الذال لانه جمع فى المعنى واشتقاق الاشمذ من شمذت الناقة بذنبها أى رفعته و يقال للنحل شمذ لانها ترفع أعجازها وفيه مررن على الجبل وفسره الشيخ فى حاشية الكتاب فقال هو الماء المستنقع فى بطن واد و وجدت فى غير أصل الشيخ

نعاورهم ثم حد السيوف * وفى كل أوب خلسنا العقولا
نخبزهم بصلاب النسو * ر خبز القوى العزيز الذليلا
قتلنا خزاعة فى دارها * وبكرا قتلنا وجيلا فجيلا
نفيناهم من بلاد المليك * كما لا يحلون أرضا سهولا
فاصبح سبيهم فى الحديد * ومن كل حى شفينا الغليلا

وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحرث بن سعد بن هذيم القضاعى فى ذلك من أمر قصى حين دعاهم فاجابوه

جلبنا الخيل مضمرة تغالى * من الاعراف اعراف الجناب
الى غورى تهامة فالتقينا * من الفيفاء فى قاع يباب
فأما صوفة الخنثى فخلوا * منازلهم محاذرة الضراب
وقام بنو على اذ رأونا * الى الاسياف كالابل الطراب

﴿وقال قصى بن كلاب﴾

أنا ابن العاصمين بنى لؤى * بمكة منزلى وبها ربيت
الى البطحاء قد علمت معد * ومروتها رضيت بها رضيت
فلست لغالب ان لم تأثل * بها أولاد قيذر والنبيت
رزاح ناصرى وبه أسامى * فلست أخاف ضيما ما حييت

فلما استقر رزاح بن ربيعة فى بلاده نشره الله ونشر حنا فهما قبيلا عذرة اليوم وقد كان بين رزاح بن ربيعة حين قدم بلاده وبين نهد بن زيد وحوتكة بن أسلم وهما بطنان من قضاعة شىء فاخافهم حتى لحقوا باليمن وأجلوا من بلاد قضاعة فهم اليوم باليمن فقال قصى بن كلاب وكان يحب قضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها لما بينه وبين رزاح من الرحم ولبلائهم عنده اذ أجابوه اذ دعاهم الى نصرته وكره ما صنع بهم رزاح

ألا من مبلغ عنى رزاحا * فانى قد لحيتك فى اثنتين
لحيتك فى بنى نهد بن زيد * كما فرقت بينهم وبينى
وحوتكة بن أسلم ان قوما * عنوهم بالمساءة قد عنونى

«قال ابن هشام» وتروى هذه الابيات لزهير بن جناب الكلبى * قال ابن اسحق فلما كبر قصى ورق عظمه وكان عبد الدار بكره وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه وذهب كل مذهب وعبد العزى وعبد قال قصى لعبد الدار أما والله يا بنى لألحقنك بالقوم وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له ولا يعقد لقريش لواء لحربها الا أنت بيدك ولا يشرب أحد بمكة الا من سقايتك ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما الا من طعامك ولا تقطع قريش أمرا من أمورها الا فى دارك فأعطاه داره دار الندوة التى لا تقضى قريش أمرا من أمورها الا فيها وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها الى قصى بن كلاب فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيف الله وأهله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه اليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الاسلام ثم جرى فى الاسلام الى يومك هذا فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج * قال ابن اسحق حدثنى بهذا من أمر قصى بن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع اليه مما كان بيده أبى اسحق بن يسار عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار يقال له نبيه بن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى قال الحسن فجعل اليه قصى كل ما كان بيده من أمر قومه وكان قصى لا يخالف ولا يرد عليه شىء صنعه

روايتين احداهما مررن على الحل والاخرى مررن على الحلى فاما الحل فجمع حلة وهى بقلة شاكة ذكره ابن دريد فى الجمهرة وأما الحلى فيقال انه ثمر القلقلان وهو نبت * وقوله فيها نخبزهم أى نسوقهم سوقا شديدا وقد تقدم قول الراجز * لا تخبزا خبزا وبسا بسا * وذكر شعر رزاح الآخر وفيه من الاعراف اعراف الجناب بكسر الجيم وهو موضع من بلاد قضاعة وفيه وقام بنو على وهم بنو كنانة وانما اسموا بنى على لان عبد مناة بن كنانة كان ربيبا لعلى بن مسعود بن مازن من الازد جد سطيح الكاهن فقيل لبنى كنانة بنو على وأحسبه أراد فى هذا البيت بنى بكر بن عبد مناة لانهم قاموا مع خزاعة * وذكر شعر قصى * أنا ابن العاصمين بنى لؤى * الابيات وليس فيها ما يشكل وذكر ان رزاحا حين استقر فى بلاده نشر الله ولده وولد حن ابن ربيعة فهما حيا عذرة (قال المؤلف) فى قضاعة عذرتان عذرة بن رفيدة وهم من بنى كلب بن وبرة وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وأسلم هذا هو بضم اللام من ولد حن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة جد جميل بن عبد الله بن معمر صاحب بثينة ومعمر هو ابن الحرث بن خيبرى بن ظبيان وهو الضبيس بن حن وبثينة أيضا من ولد حن وهى بنت حبان بن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الاحب بن حن * وذكر حوتكة بن أسلم وبنى نهد بن زيد واجلاء رزاح لهم وحوتكة هو عم نهد بن زيد بن أسلم وليس فى العرب أسلم بضم اللام الا ثلاثة اثنان منهما فى قضاعة وهما أسلم بن الحاف هذا وأسلم بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب والثالث فى عك أسلم بن القيافة بن غابن بن الشاهد بن عك وما عدا هؤلاء فاسلم بفتح اللام ذكره ابن حبيب فى المؤتلف والمختلف

﴿ ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصى وحلف المطيبين ﴾ * قال ابن اسحق ثم ان قصى بن كلاب هلك فاقام أمره فى قومه وفى غيرهم بنوه من بعده فاختطوا مكة رباعا بعد الذى كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها فى قومهم وفى غيرهم من حلفائهم و يبيعونها فاقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ثم ان بنى عبد مناف بن قصى عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا أجمعوا على ان يأخذوا ما بايدى بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعل الى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم فتفرقت عند ذلك قريش فكانت طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم يرون انهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم وكانت طائفة مع بنى عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصى جعل اليهم فكان صاحب أمر بنى عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف وذلك انه كان أسن بنى عبد مناف وكان صاحب أمر بنى عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصى وبنو زهرة بن كلاب و بنو تيم بن مرة بن كعب و بنو الحرث بن فهر بن مالك بن النضر مع بنى عبد مناف وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة و بنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب و بنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب و بنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة فاخرج بنو عبد مناف جفنة مملوأة طيبا فيزعمون أن بعض نساء بنى عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لاحلافهم فى المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف ثم سوند بين القبائل ولز بعضها ببعض فعبيت بنو عبد مناف لبنى سهم وعبيت بنو أسد لبنى عبد الدار وعبيت زهرة لبنى جمح وعبيت بنو تيم لبنى مخزوم وعبيت بنو الحرث بن فهر لبنى عدى بن كعب ثم قالوا لتعز كل قبيلة من أسند اليها فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب اذ تداعوا الى الصلح على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة وأن يكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار كما كانت ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف فى الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة ﴿ حلف الفضول ﴾ «قال ابن هشام» وأما حلف الفضول فحدثنى زياد بن عبد الله عن محمد بن اسحق قال تداعت قبائل من قريش الى حلف فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى لشرفه وسنه فكان حلفهم عنده بنو هاشم و بنو المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول

﴿ فصل ﴾ وذكر تنازع بنى عبد مناف و بنى عبد الدار فيما كان قصى جعل اليهم وذكر فى ذلك حلف المطيبين وسماهم وذكر ان امرأة من نساء عبد مناف هى التى أخرجت لهم جفنة من طيب فغمسوا أيديهم فيها ولم يسم المرأة وقد سماها الزبير فى موضعين من كتابه فقال هى أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه قال وكان المطيبون يسمون الدافة جمع دائف بتخفيف الفاء لانهم دافوا الطيب * وذكر ان القبائل سوند بعضها الى بعض لتكفى كل قبيلة ما سوند اليها فسوند من السناد وهى مقابلة فى الحرب بين كل فريق وما يليه من عدوه ومنه أخذ سناد الشعر وهو أن يتقابل المصراعان من البيت فيكون قبل حرف الروى حرف مد ولين و يكون فى آخر البيت الثانى قبل حرف الروى حرف لين وهى ياء أو واو مفتوح ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم * ألا هبى بصحنك فاصبحينا * ثم قابله فى بيت آخر بقوله * تصفقها الرياح اذا جرينا * فكان الياء المفتوح ما قبلها قد سوندت بها الى الياء المكسور ما قبلها فتقابلتا وهما غير متفقتين فى المد كما يتقابل القبيلتان وهما مختلفتان متعاديتان وأما الاقواء فهو أن ينقص قوة من المصراع الاول كما تنقص قوة من قوى الحبل وذلك أن ينقص من آخر المصراع الاول حرف من الوتد كقوله

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجو النساء عواقب الاطهار

وكقول الآخر

لما رأت ماء السلا مشروبا * والفرث يعصر فى الاناء أرنت

وكان الاصمعى يسمى هذا الاقواء المقعد ذكره عنه أبو عبيد وقال عدىّ بن الرقاع فى السناد

وقصيدة قد بت أجمع بيتها * حتى أثقف ميلها وسنادها

﴿ حلف الفضول ﴾

وذكر ابن هشام الحلف الذى عقدته قريش بينها على نصرة كل مظلوم بمكة قال و يسمى حلف الفضول ولم يذكر

يذكر سبب هذه التسمية وذكرها ابن قتيبة فقال كان قد سبق قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم فى الزمن الاول فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم أحدهم الفضل بن فضالة والثانى الفضل بن وداعة والثالث فضيل ابن الحرث هذا قول القتبي وقال الزبير الفضيل بن شراعة والفضل بن وداعة والفضل بن قضاعة فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سمى حلف الفضول والفضول جمع فضل وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم وهذا الذى قاله ابن قتيبة حسن ولكن فى الحديث ماهو أقوى منه وأولى روى الحميدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن بنى أبى بكر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به فى الاسلام لاجبت تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها والا يعز ظالم مظلوما ورواه فى مسند الحرث بن عبد الله بن أبى أسامة التميمى فقد بين هذا الحديث لم سمى حلف الفضول وكان حلف الفضول بعد الفجار وذلك ان حرب الفجار كانت فى شعبان وكان حلف الفضول فى ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه فى العرب وكان أول من تكلم به ودعا اليه الزبير بن عبد المطلب وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى بن وائل وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدى بن كعب فابوا أن يعينوه على العاصى بن وائل وزبروه أى انتهروه فلما رأى الزبيدى الشر أوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فصاح باعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت كرامته * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار ابن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام قياما فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة وما رسى حراء وثبير مكانهما وعلى التأسى فى المعاش فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا لقد دخل هؤلاء فى فضل من الامر ثم مشوا الى العاصى ابن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها اليه وقال الزبير رضى الله عنه

حلفت لنعقدن حلفا عليهم * وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا * يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نمنع كل عار

وقال الزبير بن عبد المطلب

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا * ألا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا * فالجار والمعتر فيهم سالم

وذكر قاسم بن ثابت فى غريب الحديث أن رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له يقال لها القتول من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمى من يعدينى على هذا الرجل فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذاهم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فمالك فقال أن نبيها ظلمنى فى ابنتى وانتزعها منى قسرا

فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فقال افعل ولكن متعونى بها الليلة فقالوا له لا والله ولا شجت لقحة فاخرجها اليهم وهو يقول

راح صحبى ولم أحيي القتولا * لم أودعهم وداعا جميلا
اذ أجد الفضول أن يمنعوها * قد أرانى ولا أخاف الفضولا
لا تخالى أنى عشية راح الركب هنتم علىّ ان لا أقولا

فى أبيات غير هذه ذكرها الزبير وذكر من قوله فيها أيضا

حلت تهامة حلة * من بيتها ووطائها
ولها بمكة منزل * من سهلها وحرائها
أخذت بشاشة قلبه * ونأت وكيف بنأيها

﴿فصل﴾ وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم ولو دعيت اليه فى الاسلام لاجبت وعبد الله بن جدعان هذا تيمى هو ابن جدعان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم يكنى أبا زهير ابن عم عائشة رضى الله عنها ولذلك قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا انه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين خرجه مسلم ومن غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى يعنى فى الهاجرة وسميت الهاجرة صكة عمى لخبر ذكره أبو حنيفة فى الانواء ان عميا رجل من عدوان وقيل من اياد وكان فقيه العرب فى الجاهلية فقدم فى قوم معتمرا أو حاجا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم فى نحر الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغد فى مثل ذلك الوقت وأنشد

وصك بها نحر الظهيرة صكة * عمى وما يبغين الا ظلالها

فى أبيات وعمى تصغير اعمى على الترخيم فسميت الظهيرة صكة عمىّ به وقال البكرى فى شرح الامثال عمىّ رجل من العماليق أوقع بالعدوّ فى مثل ذلك الوقت فسمى ذلك الوقت صكة عمى والذى قاله أبو حنيفة أولى وقائله أعلى وقال يعقوب عمى الظبى يتحير بصره فى الظهيرة من شدة الحر قال ابن قتيبة وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبى فغرق أى مات وكان أمية بن أبى الصلت قبل أن يمدحه قد أتى بنى الديان من بنى الحرث بن كعب فرأى طعام بنى عبد المدان منهم لباب البر والشهد والسمن وكان ابن جدعان يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بنى الديان
البر يلبك بالشهاد طعامهم * لا ما يعللنا بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فارسل ألفى بعير الى الشام تحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل مناديا ينادى على الكعبة ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان فقال أمية عند ذلك

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق كعبتها ينادى
الى ردح من الشيزى عليها * لباب البر يلبك بالشهاد

وكان ابن جدعان فى بدء أمره صعلوكا ترب اليدين وكان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته ونفاه أبوه وحلف الا يؤويه أبدا لما أثقله به من الغرم وحمله من الديات

* قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمى انه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب ان لى به حمر النعم ولو ادعى به فى الاسلام لاجبت

فخرج

فخرج فى شعاب مكة حائرا بائرا يتمنى الموت، أن ينزل به فرأى شقا فى جبل فظن فيه حية فتعرض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئا فدخل فيه فاذا فيه ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان فافرج له فانساب عنه مستديرا بدارة عندها بيت فخطا خطوة أخرى فصفر به الثعبان وأقبل عليه كالسهم فأفرج عنه فانساب عنه قدما لا ينظر اليه فوقع فى نفسه انه مصنوع فامسكه بيده فاذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فاذا جثث على سرر طوال لم ير مثلهم طولا وعظما وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم واذا هم رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتا الحرث بن مضاض صاحب الغربة الطويلة واذا عليهم ثياب لا يمس منها شىء الا انتثر كالهباء من طول الزمن وشعر مكتوب فى اللوح فيه عظات آخر بيت منه

صاح هل رأيت أوسمعت براع   ردّ فى الضرع ماقرى فى الحلاب

وقال ابن هشام كان اللوح من رخام وكان فيه أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض باطنها وظاهرها فى طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجينى من الموت وتحته مكتوب

قد قطعت البلاد فى طلب الثرة ✻ وه والمجد قالص الاثواب
وسريت البلاد قفرا لقفر ✻ بقناتى وقوتى واكتسابى
فاصاب الردى نبات فؤادى ✻ بسهام من المنايا صياب
فانقضت شرتى وأقصر جهلى ✻ واستراحت عواذلى من عتابى
ودفعت السفاه بالحلم لما ✻ نزل الشيب فى محل الشباب
صاح هل رأيت أوسمعت براع ✻ رد فى الضرع ماقرى فى الحلاب

واذا فى وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد فاخذ منه ما أخذ ثم علم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة وأرسل الى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف ذكر حديث كنز ابن جدعان موصولا بحديث الحرث بن مضاض بن هشام فى غير هذا الكتاب ووقع أيضا فى كتاب رىّ العاطش وأنس الواحش لاحمد بن عمار وابن جدعان ممن حرم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مغرى بها وذلك انه سكر فتناول القمر ليأخذه فاخبر بذلك حين صحا فحلف لا يشربها أبدا ولما كبر وهرم أراد بنو تيم أن يمنعوه من تبديد ماله ولاموه فى العطاء فكان يدعو الرجل فاذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم يقول له قم فانشد لطمتك واطلب ديتها فاذا فعل ذلك أعطته بنو تيم من مال ابن جدعان حتى يرضى وهو جد عبيد الله بن أبى مليكة الفقيه [والذى وقع فى هذا الحديث من ذكر نفيلة أحسبه نفيلة بالنون والفاء لان بنى نفيلة كانوا ملوك الحيرة وهم من غسان لا من جرهم والله أعلم]

﴿فصل﴾ وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة وقوله لآخذن سيفى ثم لادعون بحلف الفضول الى آخر القصة وفيه من الفقه تخصيص أهل هذا الحلف بالدعوة واظهار التعصب اذا خافوا ضيما وان كان الاسلام قد رفع ما كان فى الجاهلية من قولهم يا لفلان عند التحزب والتعصب وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع رجلا يقول يا للمهاجرين وقال آخر يا للانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها فانها منتنة وقال صلى الله عليه وسلم من ادعى بدعوى الجاهلية فاعضوه بهن أبيه ولا تكنوا ونادى رجل

✻قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن عبد الله بن اسامة ابن الهاد الليثى ان محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمى حدثه انه كان بين الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان والوليد يومئذ أمير على المدينة أمره عليها عمه معاوية بن أبى سفيان منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة فكان الوليد تحامل على الحسين فى حقه لسلطانه فقال له حسين احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لاقومن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول قال فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد حين قال حسين ماقال وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى ثم لاقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا قال وبلغت المسور ابن مخزمة بن نوفل الزهرى فقال مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى

* قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن عبد الله بن اسامة بن الهاد الليثى عن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمى قال قدم محمد ابن جبير بن مطعم بن عدى ابن نوفل بن عبد مناف وكان محمد بن جبير أعلم قريش فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك فلما دخل عليه قال له يا أبا سعيد ألم نكن نحن وأنتم يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول قال أنت أعلم قال عبد الملك لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك فقال لا والله لقد خرجنا نحن وأنتم منه قال صدقت

* قال ابن اسحق فولى الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفارا قلما يقيم بمكة وكان مقلا ذا ولد وكان هاشم موسرا فكان فيما يزعمون اذا حضر الحج قام فى قريش فقال يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وانه يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه فاجمعوا له ما تصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التى لا بد لهم من الاقامة لها فانه والله لو كان مالى يسع لذلك ما كلفتكموه فيخرجون لذلك خرجا من أموالهم كل امرىء بقدر ما عنده فيصنع به للحجاج طعام حتى يصدروا منها وكان هاشم فيما يزعمون أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وأول (فصل)
من أطعم الثريد للحجاج بمكة وانما كان اسمه عمرا فما سمى هاشما الا بهشمه الخبز بمكة لقومه فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب

بالبصرة يا لعامر فجاءه النابغة الجعدى بعصية له فضربه أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه خمسين جلدة وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين اخوة ولا يقال الا كما قال عمر رضى الله عنه يا لله و يا للمسلمين لانهم كلهم حزب واحد واخوة فى الدين الا ما خص الشرع به أهل حلف الفضول والاصل فى تخصيصه قوله صلى الله عليه وسلم ولو دعيت به اليوم لاجبت يريد لو قال قائل من المظلومين يا لحلف الفضول لاجبت وذلك أن الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلومين فلم يزدد به هذا الحلف الا قوة وقوله عليه السلام وما كان من حلف فى الجاهلية فلن يزيده الاسلام الا شدة ليس معناه أن يقول الحليف يا لفلان لحلفائه فيجيبوه بل الشدة التى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هى راجعة الى معنى التواصل والتعاطف والتآلف وأما دعوى الجاهلية فقد رفعها الاسلام الا ما كان من حلف الفضول كما قدمنا فحكمه باق والدعوة به جائزة وقد ذهبت طائفة من الفقهاء الى أن الحليف يعقل مع العاقلة اذا وجبت الدية لقوله صلى الله عليه وسلم وما كان من حلف فى الجاهلية فلم يزده الاسلام الا شدة ولقوله أيضاً للذى حبسه فى المسجد انما حبستك بجريرة حلفائك

﴿فصل﴾ وذكر بنى عبد مناف الاربعة وقد كان له ولد خامس وهو أبو عمرو واسمه عبيد درج ولا عقب له ذكره البرقى والزبير وكذلك ذكر البرقى أن قصيا كان سمى ابنه عبد قصى وقال سميته بنفسى وسميت الآخر بدار الكعبة يعنى عبد الدار ثم ان الناس حولوا اسم عبد قصى فقالوا عبد بن قصى وقال الزبير أيضا كان اسم عبد الدار عبد الرحمن * وذكر هاشما وما صنع فى أمر الرفادة واطعام الحجيج وانه سمى هاشما لهشمه الثريد لقومه والمعروف فى اللغة أن يقال ثردت الخبز فهو ثريد ومثرود فلم يسم ثاردا وسمى هاشما وكان القياس كما لا يسمى الثريد هشيما بل يقال فيه ثريد ومثرود أن يقال فى اسم الفاعل أيضا كذلك ولكن سبب هذه التسمية يحتاج الى زيادة بيان ذكر أصحاب الاخبار أن هاشما كان يستعين على اطعام الحاج بقريش فيرفدونه باموالهم ويعينونه ثم جاءت أزمة شديدة فكره أن يكلف قريشا أمر الرفادة فاحتمل الى الشام بجميع ماله واشترى به أجمع كعكا ودقيقا ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله هشما ودقه دقا ثم صنع للحاج طعاما شبه الثريد فبذلك سمى هاشما لان الكعك اليابس لا يثرد وانما يهشم هشما فبذلك مدح حتى قال شاعرهم فيه وهو عبد الله بن الزبعرى

كانت قريش بيضة فتفقأت * فالمخ خالصه لعبد مناف
الخالطين فقيرهم بغنيهم * والظاعنين لرحلة الاضياف
والرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف
عمرو العلى هشم الثريد لقومه * قوم بمكة مسنتين عجاف

وكان سبب مدح ابن الزبعرى بهذه الابيات وهو سهمى لبنى عبد مناف فيما ذكره ابن اسحق فى رواية يونس انه كان قد هجا قصيا بشعر كتبه فى أستار الكعبة أوله

ألهى قصيا عن المجد الاساطير * ومشية مثل ما تمشى الشقارير

فاستعدوا عليه بنى سهم فاسلموه اليهم فضربوه وحلقوا شعره وربطوه الى صخرة بالحجول فاستغاث قومه فلم يغيثوه فجعل يمدح قصيا ويسترضيهم فاطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر وباشعار كثيرة ذكرها ابن اسحق فى رواية يونس

عمرو الذى هشم الثريد لقومه * قوم بمكة مسنتين عجاف سنت اليه الرحلتان كلاهما * سفر الشتاء و رحلة الايلاف « قال ابن هشام » أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز قوم بمكة مسنتين عجاف * قال ابن اسحق ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجرا فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف وكان أصغر من عبد شمس وهاشم وكان ذا شرف فى قومه وفضل وكانت قريش انما تسميه الفيض لسماحته وفضله وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى ابن النجار وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح بن الجريش (قال ابن هشام) ويقال الحريش بن حججبى بن كلفة ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس فولدت له عمرو بن أحيحة وكانت لا تنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها ان أمرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته فولدت لهاشم عبد المطلب فسمته شيبة فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا أو فوق ذلك ثم خرج اليه عمه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى لست بمرسلته معك فقال لها المطلب انى غير منصرف حتى أخرج به معى ان ابن أخى قد بلغ وهو غريب فى غير قومه ونحن أهل بيت شرف فى قومنا نلى كثيرا من أمرهم وقومه و بلده وعشيرته خير له من الاقامة فى غيرهم أو كما قال وقال شيبة لعمه المطلب فيما يزعمون لست بمفارقها الا أن تأذن لى فاذنت له ودفعته اليه فاحتمله فدخل به مكة مردفه معه على بعيره فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه فبها سمى شيبة عبد المطلب فقال المطلب ويحكم انما هو ابن أخى هاشم قدمت به من المدينة ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن فقال رجل من العرب يبكيه

قد ظمىء الحجيج بعد المطلب
بعد الجفان والشراب المنثعب
ليت قريشا بعده على نصب

(وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى المطلب و بنى عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف وكان نوفل آخرهم هلكا)

ياليلة هيجت ليلات * احدى ليالى القسيات
وما أقاسى من هموم وما * عالجت من رزء المنيات
اذا تذكرت أخى نوفلا * ذكرنى بالاوليات
ذكرنى بالازر الحمر والا * ردية الصفر القشيبات
أربعة كلهم سيد * أبناء سادات لسادات
ميت بردمان وميت بسلمان وميت بين غزات
وميت أسكن لحدا لدى الـ * محجوب شرقى البنيات
أخلصهم عبد مناف فهم * من لوم من لام بمنجات
ان المغيرات وأبناءها * من خير أحياء وأموات

وكان اسم عبد مناف المغيرة وكان أول بنى عبد مناف هلكا هاشم بغزة من أرض الشام ثم عبد شمس بمكة ثم المطلب بردمان من ناحية أرض اليمن ثم نوفلا بسلمان من ناحية العراق فقيل لمطرود فيما يزعمون لقد قلت فاحسنت ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن فقال أنظرونى ليالى فمكث أياما ثم قال

ياعين جودى وأذرى الدمع وانهمرى * وأبكى على السر من كعب المغيرات
ياعين واسحنفرى بالدمع واحتفلى * وأبكى خبيئة نفسى فى الملمات

﴿ فصل ﴾ وذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وولادتها له عبد المطلب بن هاشم ومن اجل هذه الولادة قال سيف بن ذى يزن أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن لعبد المطلب حين وفد عليه فى ركب من قريش مرحبا بابن اختنا لان سلمى من الخزرج وهم من اليمن من سبا وسيف من حمير بن سبا ثم قال له مرحبا وأهلا وناقة ورحلا وملكا سبحلا يعطى عطاء جزلا ثم بشره بالنبى صلى الله عليه وسلم وانه من ولده فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر ثم أجزل الملك حباءه وفضله على أصحابه وانصرف مغبوطا على ما أعطاه الملك فقال والله لما بشرنى به أحب الىّ من كل ما أعطانى فى خبر فيه طول * وذكر نسب أحيحة ابن الجلاح بن الحريش بن جمحى وقال ابن هشام هو الحريس يعنى بالسين المهملة وقال الدارقطنى عن الزبير بن أبى بكر أن كل ما فى الانصار فهو حريس بالسين غير معجمة الا هذا ووجدت فى حاشية كتاب أبى بحر رحمه الله صواب هذا الاسم يعنى فى نسب أحيحة بن الجلاح بن الحريش بالشين المعجمة على لفظ الحريس بن كعب البطن الذى فى عامر بن صعصعة

﴿ فصل ﴾ وأنشد لمطرود بن كعب ياليلة هيجت ليلاتى * احدى ليالى القسيات أى انت احدى ليالى القسيات فعيلات من القسوة أى لا لين عندهن ولا رأفة فيهن ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القسى وهو الزائف وقد قيل فى الدرهم القسى انه أعجمى معرب وقيل هو من القساوة لان الدرهم الطيب ألين من الزائف والزائف أصلب منه ونصب ليلة على التميز كذلك قال سيبويه فى قول الصلتان العبدى * أياشاعرا لا شاعر اليوم مثله * وذلك أن فى الكلام معنى التعجب وقوله وميت بغزات هى غزة ولكنهم يجعلون لكل ناحية أولكل ربض من البلدة اسم البلدة فيقولون غزات فى غزة ويقولون فى بغدان بغادين كما قال بعض المحدثين

محض الضريبة عالى الهم مختلق * جلد النحيزة ناب بالعظيمات

وأبكى على كل فياض أخى ثقة *
ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات
صعب البديهة لا نكس ولا وكل
ماض العزيمة متلاف الكريمات
صقر توسط من كعب اذا نسبوا
بحبوحة المجد والشم الرفيعات
ثم اندبى الفيض والفياض مطلبا
واستخرطى بعد فيضات بجمات
أمسى بردمان عنا اليوم مغتربا
يالهف نفسى عليه بين أموات
وأبكى لك الويل اما كنت باكية
لعبد شمس بشرقى الثنيات
وهاشم فى ضريح وسط بلقعة
تسفى الرياح عليه بين غزات
ونوفل كان دون القوم خالصتى
أمسى بسلمان فى رمس بوماة
لم ألق مثلهم عجما ولا عربا
اذا استقلت بهم أدم المطيات

أمست ديارهم منهم معطلة * وقد يكونون زينا فى السريات

شر بنا فى بغادين * على تلك الميادين

ولهذا نظائر ستمر فى الكتاب ان شاء الله ومن هذا الباب حكمهم للبعض بحكم الكل كما سموه باسمه نحو قولهم شرقت صدر القناة من الدم . وذهبت بعض أصابعه . وتواضعت سور المدينة . وقد تركبت على هذا الاصل مسئلة من الفقه قال الفقهاء أو أكثرهم من حلف الا يأكل هذا الرغيف فاكل بعضه فقد حنث فحكموا للبعض بحكم الكل وأطلقوا عليه اسمه * وفيه

ان المغيرات وأبناؤها * من خير أحياء وأموات

فالمغيرات بنوا المغيرة وهو عبد مناف كما قالوا المناذرة فى بنى المنذر والاشعرون فى بنى أشعر بن ادد كما قال على بن عبد الله بن عباس فى ابن الزبير آثر على الحميدات والتويتات والاسامات يعنى بنى حميد و بنى تويت و بنى أسامة وهم من بنى أسد بن عبد العزى * وفيه شرقى البنيات يعنى البنية وهى الكعبة وهو نحو مما تقدم فى غزات وأنشد له فى القصيدة التاوية محض الضريبة عالى الهم مختلق أى عظيم الخلق جلد النحيزة ناء بالعظيمات ليس قوله ناء من النأى فتكون الهمزة فيه عين الفعل وانما هو من ناء ينوء اذا نهض فالهمزة فيه لام الفعل كما هو فى جاء عند الخليل فانه عنده مقلوب ووزنه فالع والياء التى بعد الهمزة هى عين الفعل فى جاء يجىء * وفيه الشعث الشجيات فشدد ياء الشجى وان كان أهل اللغة قد قالوا ياء الشجى مخففة وياء الخلى مشددة وقد اعترض ابن قتيبة على أبى تمام الطائى فى قوله

أيا ويح الشجى من الخلى * وويح الدمع من احدى بلى

واحتج بقول يعقوب فى ذلك فقال له الطائى ومن أفصح عندك ابن الجرمقانية يعقوب أم أبو الاسود الدؤلى حيث يقول

ويل الشجى من الخلى فانه * وصب الفؤاد بشجوه مغموم

(قال المؤلف) وبيت مطرود أقوى فى الحجة من بيت أبى الاسود الدؤلى لانه جاهلى محكك وأبو الاسود أول من صنع النحو فشعره قريب من التوليد ولا يمتنع فى القياس أيضا ان يقال شج وشجى لانه فى معنى حزن وحزين وقد قيل من شدد الياء فهو فعيل بمعنى مفعول * وفيه بعد قوله أبا الشعث الشجيات * يبكينه حسرا مثل البليات البلية الناقة التى كانت تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعا وعطشا ويقولون انه يحشر راكبا عليها ومن لم يفعل معه هذا حشر راجلا وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث وهم الاقل ومنهم زهير فانه قال

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وقال الشاعر فى البلية

والبلايا رءوسها فى الولايا * مانحات السموم حر الخدود

والولايا هى البراذع وكانوا يثقبون البرذعة فيجعلونها فى عنق البلية وهى معقولة حتى تموت وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذا

لا تتركن أباك يحشر مرة * عدوا يخر على اليدين وينكب

فى أبيات ذكرها الخطابى * وقوله قياما كالحميات أى محترقات الاكباد كالبقر أو الظباء التى حميت الماء وهى عاطشة فحمية بمعنى محمية لكنها جاءت بالتاء لانها أجريت مجرى الاسماء كالرمية والضحية والطريدة وفى معنى الحمى قول رؤبة * قواطن مكة من ورق الحمى * يريد الحمام المحمى أى الممنوع * وقوله فى رمس بوماة

الاظهر

أفناهم الدهر أم كلت سيوفهم * أم كل من عاش أزواد المنيات أصبحت أرضى من الاقوام بعدهم * بسط الوجوه والقاء التحيات ياعين فابكى أبا الشعث الشجيات * يبكينه حسرا مثل البليات يبكين أكرم من يمشى على قدم * يعولنه بدموع بعد عبرات يبكين شخصا طويل الباع ذا فجر * آبى الهضيمة فراج الجليلات يبكين عمرو العلا اذ حان مصرعه * سمح السجية بسام العشيات يبكينه مستكينات على حزن * ياطول ذلك من حزن وعولات يبكين لما جلاهن الزمان له * خضر الخدود كامثال الحميات محتزمات على أوساطهن لما * جر الزمان من احداث المصيبات أبيت ليلى أراعى النجم من ألم * أبكى وتبكى مع شجوى بنياتى مافى القروم لهم عدل ولا خطر * ولا لمن تركوا شروى بقيات

أبناؤهم خير أبناء وأنفسهم * خير النفوس لدى جهد الاليات
كم وهبوا من طمر سابح أرن
ومن طمرة نهب فى طمرات
ومن سيوف من الهندى مخلصة
ومن رماح كأشطان الركيات
ومن توابع مما يفضلون بها * عند المسائل من بذل العطيات
فلو حسبت وأحصى الحاسبون معى
لم أقض أفعالهم تلك الهنيات
هم المدلون ما معشر فخروا
عند الفخار بانساب نقيات

زين البيوت التى حلوا مساكنها * فاصبحت منهم وحشا خليات أقول والعين لا ترقا مدامعها * لا يبعد الله أصحاب الرزيات « قال ابن هشام » الفجر العطاء قال أبو خراش الهذلى

عجف أضيافى جميل بن معمر * بذى فجر تأوى اليه الارامل

قال ابن اسحق أبو الشعث الشجيات هاشم ابن عبد مناف قال ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فاقامها للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطره فيهم

﴿ ذكر حفر زمزم ﴾

ثم ان عبد المطلب بينما هو نائم فى الحجر اذ أتى فامر بحفر زمزم

الاظهر فيه أن تكون الميم أصلية ويكون مما ضوعفت فاؤه وعينه وحمله على هذا الاصل أولى لكثرته فى الكلام وان كان أصل الميم أن تكون زائدة اذا كانت أول الكلمة الرباعية أو الخماسية الا أن يمنع من ذلك اشتقاق ولا اشتقاق ههنا أو يمنع من ذلك دخوله فيما قل من الكلام نحو قلق وسلس قال أبو على فى المرمر حمله على باب قرقر وبربر أولى من حمله على باب قلق وسلس يريد انك ان جعلت الميم زائدة كانت فاء الفعل وهى الراء مضاعفة دون عين الفعل وهى الميم واذا جعلت الميم الاولى فى مرمر أصلية وكان من باب ما ضوعفت فيه الفاء والعين وهذا معنى قول سيبويه فى المرمر وهو القياس المستتب والطريق المهيع دون ما ضوعفت فيه الفاء وحدها فتأمله * وقوله * طويل الباع ذا فجر * الفجر الجود شبه بانفجار الماء ويروى ذا فنع والفنع كثرة المال وقد قال أبو محجن الثقفى

وقد أجود وما مالى بذى فنع * وأكتم السر فيه ضربة العنق

وقوله بسام العشيات يعنى انه يضحك للاضياف ويبسم عند لقائهم كما قال الآخر وهو حاتم الطائى

أضاحك ضيفى قبل انزال رحله * ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

﴿ حديث زمزم ﴾

وكانت زمزم كما تقدم سقيا اسماعيل عليه السلام فجرها له روح القدس بعقبه وفى تفجيره اياها بالعقب دون أن يفجرها باليد أو غيره اشارة الى أنها لعقبه وراثة وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال سبحانه « وجعلها كلمة باقية فى عقبه » أى فى أمة محمد عليه السلام ثم ان زمزم لما أحدثت جرهم فى الحرم واستخفوا بالمناسك والحرم وبغى بعضهم على بعض واجترموا تغور ماء زمزم واكتتم فلما أخرج الله جرهم من مكة بالاسباب التى تقدم ذكرها عمد الحرث بن مضاض الاصغر الى ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان من ذهب وأسياف قلعية كان ساسان ملك الفرس قد أهداها الى الكعبة وقيل سابور وقد قدمنا ان الاوائل من ملوك الفرس كانت تحجها الى عهد ساسان أو سابور فلما علم ابن مضاض أنه مخرج منها جاء تحت جنح الليل حتى دفن ذلك فى زمزم وعفى عليها ولم تزل دارسة عافيا أثرها حتى آن مولد المبارك الذى كان يستسقى بوجهه غيث السماء وتتفجر من بنانه ينابيع الماء صاحب الكوثر والحوض الرواء فلما آن ظهوره أذن الله تعالى لسقيا أبيه

* قال ابن اسحق وكان أول ماابتدئ به عبد المطلب من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الله بن زرير الغافقى انه سمع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها قال قال عبد المطلب انى لنائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال احفر طيبة قال قلت وما طيبة قال ثم ذهب عنى فلما كان من الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر برة قال فقلت وما برة قال ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر المضنونة قال فقلت وما المضنونة قال ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر زمزم قال قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم وهى بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل * قال ابن اسحق فلما بين له شانها ودل على موضعها وعرف انه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحرث بن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها فلما بدا لعبد المطلب الطى كبر فعرفت قريش انه قد أدرك حاجته فقاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها بئر أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها قال ما أنا بفاعل ان هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم فقالوا له فأنصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بينى وبينكم من أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيم قال نعم قال وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أبيه من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذذاك مفاوز قال فخرجوا حتى اذا - أراد كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فابوا عليهم فقالوا انا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه واصحابه قال ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت قال فانى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه اصحابه فى حفرته ثم واروه حتى يكون آخركم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا قالوا نعم ما أمرت به

أن تظهر ولما اندفن من مائها أن تجتهر فكان صلى الله عليه وسلم قد سقت الناس بركته قبل أن يولد وسقوا بدعوته وهو طفل حين أجدبت البلد وذلك حين خرج به جده مستسقيا لقريش وسيأتى بيان ذلك فيما بعد ان شاء الله وسقيت الخليقة كلها غيوث السماء فى حياته الفينة بعد الفينة والمرة بعد المرة وتارة بدعائه وتارة من بنانه وتارة بالقاء سهمه ثم بعد موته عليه السلام استشفع عمر بعمه رضى الله عنهما عام الرمادة وأقسم عليه به وبنبيه فلم يبرح حتى قلصوا المآزر واعتلقوا الحذاء وخاضوا الغدران وسمعت الرفاق المقبلة الى المدينة فى ذلك اليوم صائحا يصيح فى السحاب أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص كل هذا ببركة المبتعث بالرحمتين والداعى الى الحياتين الموعود بهما على يديه فى الدارين صلى الله عليه وسلم صلاة تصعد ولا تنفد وتتصل ولا تنفصل وتقيم ولا تريم انه منعم كريم

﴿ فصل ﴾ فأرى عبد المطلب فى منامه ان احفر طيبة فسميت طيبة لانها للطيبين والطيبات من ولد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقيل له احتفر برة وهو اسم صادق عليها أيضا لانها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار وقيل له احفر المضنونة قال وهب بن منبه سميت زمزم المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق وروى الدارقطنى ما يقوى ذلك مسندا عن النبى صلى الله عليه وسلم من شرب من زمزم فليتضلع فانه فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون أن يتضلعوا منها أو كما قال وفى تسميتها بالمضنونة رواية أخرى رواها الزبير أن عبد المطلب قيل له احفر المضنونة ضننت بها على الناس الا عليك أو كما قال ودل عليها بعلامات ثلاث بنقرة الغراب الاعصم وانها بين الفرث والدم وعند قرية النمل ويروى انه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم فبينا هو كذلك ندت بقرة بجازرها فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام فنحرها فى الموضع الذى رسم لعبد المطلب فسال هناك الفرث والدم فحفر عبد المطلب حيث رسم له ولم تخص هذه العلامات الثلاث بان تكون دليلا عليها الا لحكمة إلهية وفائدة مشاكلة فى علم التعبير والتوسم الصادق لمعنى زمزم ومائها أما الفرث والدم فان ماءها طعام طعم وشفاء سقم وهى لما شربت له وقد تقوت من مائها أبو ذر رضى الله عنه ثلاثين بين يوم وليلة فسمن حتى تكسرت عكنه فهى اذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اللبن اذا شرب أحدكم اللبن فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شئ يسد مسد الطعام والشراب الا اللبن وقد قال الله تعالى فى اللبن « من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » فظهرت هذه السقيا المباركة بين الفرث والدم وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها * وأما قوله الغراب الاعصم قال القتبى الاعصم من الغربان التى فى جناحيه بياض وحمل على أبى عبيد لقوله فى شرح الحديث الاعصم الذى فى يديه بياض وقال كيف يكون للغراب يدان وانما

فقام كل واحد منهم فحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم ان عبد المطلب قال لاصحابه والله ان القاءنا بايدينا هكذا للموت لا نضرب فى الارض ولا نبتغى لانفسنا لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ارتحلوا فارتحلوا حتى اذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون تقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاؤا فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبينها * قال ابن اسحق فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم * وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب انه قيل له حين أمر بحفر زمزم

ثم ادع بالماء الروى غير الكدر
يسقى حجيج الله فى كل مبر * ليس يخاف منه شىء ما عمر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك الى قريش فقال تعلموا انى قد أمرت ان أحفر لكم زمزم فقالوا فهل بين لك أين هى قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت فان يك حقا من الله يبين لك وان يك من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأتى فقيل له احفر زمزم انك ان حفرتها لم تندم وهى تراث من أبيك الاعظم لا تنزف أبدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم مثل نعام جافل لم يقسم ينذر فيها ناذر لمنعم يكون ميراثا وعقدا محكم ليست كبعض ما قد تعلم وهى بين الفرث والدم (قال ابن هشام) هذا الكلام والكلام الذى قبله من حديث على فى حفر زمزم من قوله لا تنزف أبدا ولا تذم الى قوله عند قرية النمل عند نا سجع وليس شعرا

أراد أبو عبيد ان هذا الوصف لذوات الاربع ولذلك قال ان هذا الوصف فى الغربان عزيز وكانه ذهب الى الذى أراد ابن قتيبة من بياض الجناحين ولولا ذلك لقال انه فى الغربان محال لا يتصور وفى مسند ابن أبى شيبة من طريق أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يغنى عن قولهما وفيه الشفاء انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة الصالحة فى النساء كالغراب الاعصم قيل يا رسول الله وما الغراب الاعصم قال الذى احدى رجليه بيضاء فالغراب فى التأويل فاسق وهو أسود فدلت نقرته عند الكعبة على نقرة الاسود الحبشى بمعوله فى أساس الكعبة يهدمها فى آخر الزمان فكان نقر الغراب فى ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الاسود فى آخر الزمان بقبلة الرحمن وسقيا أهل الايمان وذلك عند ما يرفع القرآن وتحيا عبادة الاوثان وفى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخربن الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وفى الصحيح أيضا من صفته أنه أفحج وهذا أيضا ينظر الى كون الغراب أعصم اذ الفحج تباعد فى الرجلين كما أن العصم اختلاف فيهما والاختلاف تباعد وقد عرف بذى السويقتين كما نعت الغراب بصفة فى ساقيه فتأمله وهذا من خفى علم التأويل لانها كانت رؤيا وان شئت كان من باب الزجر والتوسم الصادق والاعتبار والتفكر فى معالم حكمة الله تعالى فهذا سعيد بن المسيب وهو من هو علما وورعا حين حدث بحديث البئر فى البستان وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد على قفها ودلى رجليه فيها ثم جاء أبو بكر رضى الله عنه ففعل مثل ذلك ثم جاء عمر رضى الله عنه ففعل مثل ذلك ثم جاء عثمان فانتبذ منهم ناحية وقعد حجرة قال سعيد ابن المسيب فأولت ذلك قبورهم اجتمعت قبور الثلاثة وانفرد قبر عثمان رضى الله عنه والله سبحانه يقول «ان فى ذلك لآيات للمتوسمين» فهذا من التوسم والفراسة الصادقة واعمال الفكر فى دلائل الحكمة واستنباط الفوائد اللطيفة من اشارات الشريعة * وأما قرية النمل ففيها من المشاكلة أيضا والمناسبة أن زمزم هى عين مكة التى يردها الحجيج والعمار من كل جانب فيحملون اليها البر والشعير وغير ذلك وهى لا تحرث ولا تزرع كما قال سبحانه خبرا عن ابراهيم عليه السلام «ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع : الى قوله وارزقهم من الثمرات» وقرية النمل كذلك لان النمل لا تحرث ولا تبذر وتجلب الحبوب الى قريتها من كل جانب وفى مكة قال الله سبحانه «قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان» مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قريت الماء فى الحوض اذا جمعته والرؤيا تعبر على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى فقد اجتمع اللفظ والمعنى فى هذا التاويل والله أعلم وقد قيل لعبد المطلب فى صفة زمزم لا تنزف أبدا ولا تذم وهذا برهان عظيم لانها لم تنزف من ذلك الحين الى اليوم قط وقد وقع فيها حبشى فنزحت من أجله فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها ماء من ناحية الحجر الاسود وذكر هذا الحديث الدارقطنى * وقوله ولا تذم فيه نظر وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه ولتضلع منه كل من يشرب به وقد تقدم فى الحديث انه لا يتضلع منها منافق

* قال ابن اسحق فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال وأين هى قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا والله أعلم أى ذلك كان فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث وليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت اليه قريش حين رأوا جده فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحرث ذدعنى حتى أحفر فوالله لامضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطى فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافا قلعية وادراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شرك وحق قال لا ولكن هلموا الى أمر نصف بينى وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف تصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج له قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلاشئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا صاحب القداح الذى يضرب بها عند هبل وهبل صنم فى جوف الكعبة وهو اعظم أصنامهم وهو الذى يعنى أبو سفيان بن حرب يوم أحد

من

فماؤها اذاً مذموم عندهم وقد كان خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق يذمها ويسميها أم جعلان واحتفر بئرا خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم جرأة منه على الله عز وجل وقلة حياء منه وهو الذى يعلن ويفصح بلعن على بن أبى طالب رضوان الله عليه على المنبر وانما ذكرناه هذا لتعلم انها قد ذمت فقوله اذا لاتذم من قول العرب بئر ذمة أى قليلة الماء فهو من أذممت البئر اذا وجدتها ذمة كما تقول أجبنت الرجل اذا وجدته جبانا وأكذبته اذا وجدته كاذبا وفى التنزيل فانهم لا يكذبونك وقد فسر أبو عبيد فى غريب الحديث قوله حتى مررنا ببئر ذمة وأنشد

مُخيسة خزراً كان عيونها * ذمام الركايا أنكرتها المواتح

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله ولا تذم لانه نفى مطلق وخبر صادق والله أعلم وحديث البئر الذمة التى ذكرها أبو عبيد حدثنا به أبو بكر بن العربى الحافظ قال أخبرنا القاضى أبو المطهر سعيد بن عبد الله بن أبى الرجاء قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أخبرنا أبو بكر [أحمد] بن يوسف بن خلاد قال حدثنا الحرث بن أبى اسامة قال حدثنا أبو النضر قال حدثنا سليمان عن حميد عن يونس عن البراء قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فاتينا على ركى ذمة يعنى قليلة الماء قال فنزل فيها ستة أنا سادسهم ماحة فادليت الينا دلو قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم على الركىّ فجعلنا فيها نصفها أو قريب ثلثيها فرفعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجئت باناثى هل أجد شيأ أجعله فى حاقى فما وجدت فرفعت الدلو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمس يده فيها فقال ماشاء الله أن يقول قال فاعيدت الينا الدلو بما فيها قال فلقد رأيت أحدنا اخرج بثوب خشية الغرق قال ثم ساحت يعنى جرت نهرا * وذكر حديث عبد المطلب فى مسيره مع قريش الى الكاهنة وذكر المفاوز التى عطشوا فيها المفاوز جمع مفازة وفى اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال روى عن الاصمعى انها سميت مفازة على جهة التفاؤل لراكبها بالفوز والنجاة ويذكر عن ابن الاعرابى انه قال سألت أبا المكارم لم سميت الفلاة مفازة فقال لان راكبها اذا قطعها وجاوزها فاز وقال بعضهم معناها مهلكة لانه يقال فاز الرجل وفوّز وفاد وفطس اذا هلك وذكر فى غير رواية على بن أبى طالب رضوان الله عليه ثم ادع بالماء الروى غير الكدر يقال ماء روىّ بالكسر والقصر ورواء بالفتح والمد وفيه * يسقى حجيج الله فى كل مبر * الحجيج جمع حاج وفى الجموع على وزن فعيل كثير كالعبيد والبقير والمعيز والابيل وأحسبه اسما للجمع لانه لو كان جمعا له واحد من لفظه لجرى على قياس واحد كسائر الجموع وهذا يختلف واحده فحجيج واحده حاج وعبيد واحد عبد وبقير واحده بقرة الى غير ذلك فجائز أن يقال انه اسم للجمع غير انه موضوع للكثرة ولذلك لا يصغر على لفظه كما تصغر اسماء الجموع فلا يقال فى العبيد عبيد ولا فى النخيل نخيل بل يرد الى واحده كما ترد الجموع فى التصغير فيقال نخيلات وعبيدون واذا قلت نخيل أو عبيد فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس قال الله سبحانه «وزرع ونخيل» وقال «وما ربك بظلام للعبيد» وحين ذكر المخاطبين منهم قال العباد وكذلك قال حين ذكر المثمر من النخيل «والنخل باسقات» وقال «اعجاز نخل منقعر» فتأمل الفرق بين الجمعين فى حكم البلاغة واختيار الكلام وأما فى مذهب اهل اللغة فلم يفرقوا هذا التفريق ولا نبهوا على هذا الغرض الدقيق * وقوله فى كل مبر هو مفعل من البر يريد فى مناسك الحج ومواضع الطاعة * وقوله * مثل نعام جافل لم يقسم * الجافل من جفلت الغنم اذا انقلعت بجملتها ولم يقسم أى لم يتوزع ولم يتفرق * وقوله * ليس يخاف منه شئ ماعمر * أى ماعمر هذا الماء فانه لا يؤذى ولا يخاف منه مايخاف

حين قال اعل هبل أى أظهر دينك وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل فضرب صاحب القداح فخرج الاصفران على الغزالين وخرج الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب فى الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة فيما يزعمون ثم ان عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج

«قال ابن هشام» وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمكة فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق قال حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوى وهى البئر التى باعلى مكة عند البيضاء دار محمد بن يوسف * وحفر هاشم بن عبد مناف بذر وهى البئر التى عند المستنذر خطم الخندمة على فم شعب أبى طالب وزعموا أنه قال حين حفرها لاجعلنها بلاغا للناس «قال ابن هشام» وقال الشاعر

سقى الله أمواها عرفت مكانها
جرابا وملكوما وبذر والغمرا

* قال ابن اسحق وحفر سجلة وهى بئر المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف التى يسقون عليها اليوم ويزعم بنو نوفل ان المطعم ابتاعها من أسد بن هاشم ويزعم بنو هاشم انه وهبها له حين ظهرت زمزم فاستغنوا بها عن تلك الآبار * وحفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه * وحفرت بنو أسد بن عبد العزى سقية وهى بئر بنى أسد * وحفرت بنو عبد الدار أم أحراد * وحفرت بنو جمح السنبلة وهى بئر خلف بن وهب * وحفرت بنو سهم الغمر وهى بئر بنى سهم وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب وكلاب بن مرة وكبراء قريش الاوائل منها يشربون

من المياه اذا أفرط فى شربها بل هو بركة على كل حال وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله لا تنزف ولا تذم عاقبة شربها وهذا تأويل سائغ أيضاً الى ما قدمناه من التأويل وكلاهما صحيح فى صفتها * وقوله وضرب الغزالين حلية الكعبة وهو أول ذهب حليت به الكعبة وقد قدمنا ذكر الغزالين ومن أهداهما الى الكعبة ومن دفنهما من جرهم وتقدم أن أول من كسى الكعبة تبع وانه أول من اتخذ لها غلقا الى ان ضرب لها عبد المطلب باب حديد من تلك الاسياف واتخذ عبد المطلب حوضا لزمزم يسقى منه فكان يخرب له بالليل حسدا له فلما غمه ذلك قيل له فى النوم قل لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل وقد كفيتهم فلما اصبح قال ذلك فكان بعد من أرادها بمكروه رمى بداء فى جسده حتى انتهوا عنه ذكره الزهرى فى سيره * وقوله وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئارا بمكة ذكروا أن قصيا كان يسقى الحجيج فى حياض من أدم وكان ينقل الماء اليها من آبار خارجة من مكة منها بئر ميمون الحضرمى وكان ينبذ لهم الزبيب ثم احتفر قصى العجول فى دار أم هانىء بنت أبى طالب وهى أول سقاية احتفرت بمكة وكانت العرب اذا استقوا منها ارتجزوا فقالوا

نروى على العجول ثم ننطلق * ان قصيا قد وفى وقد صدق

فلم تزل العجول قائمة حياة قصى وبعد موته حتى كبر عبد مناف بن قصى فسقط فيها رجل من بنى جعيل فعطلوا العجول واندفنت واحتفرت كل قبيلة بئرا واحتفر قصى سجلة وقال حين حفرها

أنا قصى وحفرت سجلة * تروى الحجيج زغلة فزغلة

وقيل بل حفرها هاشم ووهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل وفى ذلك تقول خالدة بنت هاشم

نحن وهبنا لعدى سجلة * تروى الحجيج زغلة فزغلة

وأما أم أحراد التى ذكرها فاحراد جمع حرد وهى قطعة من السنام فكأنها سميت بهذا لانها تنبت الشحم أو تسمن الابل أو نحو هذا والحرد القطا الواردة للماء فكأنها تردها القطا والطير فيكون أحراد جمع حرد بالضم على هذا وقالت أمية بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد

نحن حفرنا البحر أم احراد * ليست كبذر البرور الجماد

فاجابتها ضرتها صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه

نحن حفرنا بذر * نسقى الحجيج الاكبر
من مقبل ومدبر * وأم أحراد شر

وأما جراب فيحتمل أن يكون بمعنى جريب نحو كبار وكبير والجريب الوادى والجريب أيضا مكيال كبير والجريب أيضا المزرعة * وأما ملكوم فهو عندى مقلوب والاصل ممكول من مكلت البئر اذا استخرجت ماءها والمكلة ماء الركية وقد قالوا بئر عميقة ومعيقة فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه ممكول وملكوم والملكوم فى اللغة المظلوم اذا لم يكن مقلوبا * وأما بذر فمن التبذير وهو التفريق ولعل ماءها كان يخرج متفرقا من غير مكان واحد وهذا البناء فى الاسماء قليل نحو شلم وخضم وبذر وهى أسماء اعلام وشلم اسم بيت المقدس وأما فى غير الاعلام فلا يعرف الا البقم ولعل أصله ان يكون أعجميا فعرب * وأما خم وهى بئر مرة فهى

وهى رم • و رم بئر مرة بن كعب بن لؤى * وخم وخم بئر بنى كلاب بن مرة * والحفر قال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى « قال ابن هشام » وهو أبو أبي جهم بن حذيفة

وقد ماغنينا قبل ذلك حقبة * ولا نستقى الابخم أوالحفر

« قال ابن هشام » وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها ان شاء الله فى موضعها * قال ابن اسحق فعفت زمزم على المياه التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ماسواها من المياه ولانها بئر اسمعيل ابن ابراهيم عليهما السلام وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب * فقال مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة وما أقاموا للناس من ذلك و بزمزم حين ظهرت لهم وانما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد شرف بعضهم لبعض شرف وفضل بعضهم لبعض فضل

ورثنا المجد من آبا * ئنا فنمى بنا صعدا
ألم نسق الحجيج وننـ * ـحر الدلاقة الرفدا
ونلقى عند تصريف الـ * ـمنا ياشدادرفدا
فان نهلك فلم نملك * ومن ذا خالد أبدا
وزمزم فى أر ومتنا * ونفقأ عين من حسدا

« قال ابن هشام » وهذه الابيات فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى

وساقى الحجيج ثم للخبز هاشم * وعبد مناف ذلك السيد الفهرى
طوى زمزما عند المقام فاصبحت * سقايته فخرا على كل ذى فخر

(قال ابن هشام) يعنى عبد المطلب بن هاشم وهذان البيتان فى قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى

ابن

من خممت البيت اذا كنسته و يقال فلان مخموم القلب أى نقيه فكانها سميت بذلك لنقائها * وأما غدير خم الذى عند الجحفة فسميت بغيضة عنده يقال لها خم فيما ذكروا * وأما رم بئر بنى كلاب بن مرة فمن رممت الشىء اذا جمعته وأصلحته ومنه الحديث كنا أهل ثمه و رمه ومنه الرمان فى قول سيبويه لانه عنده فعلان وأما الاخفش فيقول فيه فعال فيجعل فيه النون أصلية و يقول ان سميت به رجلا صرفته ومن قول عبد شمس بن قصى

حفرت رما وحفرت خما * حتى ترى المجد بها قدما

وأما شفية بئر بنى أسد فقال فيها الحويرث بن أسد

ماء شفية كماء المزن * وليس ماؤها بطرق أجن

واما سنبلة بئر بنى جمح وهى بئر بنى خلف بن وهب فقال فيها شاعرهم

نحن حفرنا للحجيج سنبله * صوب سحاب ذو الجلال أنزله
ثم تركناها برأس القنبله * تصب ماء مثل ماء المعبله
* نحن سقينا الناس قبل المسئله *

وأما الغمر بئر بنى سهم فقال فيها بعضهم

نحن حفرنا الغمر للحجيج * تثيج ماء أيما تجيج

ذكر أكثره أبو عبيد البكرى و بعض هذه الارجاز أو أكثره فى كتاب الزبير بن أبى بكر رحمة الله عليه

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر مسافر بن أبى عمرو بن أمية واسم أبى عمرو ذكوان وهو الذى يقول فيه أبو سفيان

ليت شعرى مسافر بن أبى عمـ * ـرو وليت يقولها المحزون
بورك الميت الغريب كما بو * رك نضح الرمان والزيتون

فى شعر يرثيه به وكان مات من حب صعبة بنت الحضرمى وفى الشعر * وننحر الدلاقة الرفدا * الرفد جمع رفود من الرفد وهى التى تملأ اناءين عند الحلب * وقوله * ونلقى عند تصريف المنايا شددا رفدا هو جمع رفود أيضا من الرفد وهو العون والاول من الرفد بفتح الراء وهو اناء كبير قال الشاعر

رب رفد هرقته ذلك اليو * م وأسرى من معشر اقتال

وذكر أم عبد الله بن عبد المطلب وهى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران هكذا قال ابن هشام وقال ابن اسحق عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم والصحيح ما قاله ابن هشام لان الزبيريين ذكروا أن عبدا هو أخو عائذ بن عمران وان بنت عبد هى صخرة امرأة عمرو بن عائذ على قول ابن اسحق لانها كانت له عمة لا بنت عم فتأمله فقد تكرر هذا النسب فى السيرة مرارا وفى كل ذلك يقول ابن اسحق عائذ بن عبد بن عمران و يخالفه ابن هشام وصخرة بنت عبد أم فاطمة أمها تخمر بنت عبد بن قصى وأم تخمر سلمى بنت عميرة

* قال ابن اسحق وكان عبد المطلب بن هاشم فيما يزعمون والله أعلم قد نذر حين لقى من قريش ما لقى عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة فلما توافى بنوه عشرة وعرف انهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فاطاعوه وقالوا كيف نصنع قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتونى ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هبل فى جوف الكعبة وكان هبل على بئر فى جوف الكعبة وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة وكان عند هبل قداح سبعة كل قدح منها فيه العقل اذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة فان خرج العقل فعلى من خرج حمله وقدح فيه نعم للامر اذا أرادوه يضرب به فى القداح فان خرج قدح نعم عملوا به وقدح فيه لا اذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح فان خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الامر وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه اذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به وكانوا اذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحا أو يدفنوا ميتا أو شكوا فى نسب أحدهم ذهبوا به الى هبل ومائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ثم قالوا ياالهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ثم يقولون لصاحب القداح اضرب فان خرج عليه منكم كان منهم وسيطا وان خرج عليه من غيركم كان حليفا وان خرج عليه ملصق كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف وان خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به نعم عملوا به وان خرج لا أخروه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة اخرى ينتهون فى أمورهم الى ذلك مما خرجت به القداح فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذى نذر فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بنى أبيه كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر «قال ابن هشام» عائذ بن عمران بن مخزوم * قال ابن اسحق وكان عبد الله فيما يزعمون أحب ولد عبد المطلب اليه وكان عبد المطلب يرى أن السهم اذا أخطأه فقد أشوى وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبد الله فاخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به الى اساف ونائلة ليذبحه فقامت اليه قريش من أنديتها فقالوا ماذا تريد يا عبد المطلب قال أذبحه فقالت له قريش وبنوه والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة وكان عبد الله ابن أخت القوم والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فان كان فداؤه باموالنا فديناه وقالت له قريش وبنوه لا تفعل وانطلق الى الحجاز فان به عرافة لها تابع فسلها وأنت على رأس أمرك ان أمرتك بذبحه ذبحته وان أمرتك بامر لك وله فيه فرج قبلته فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها فيما يزعمون بخيبر فركبوا حتى جاؤها فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه وما أراد به ونذره فيه فقالت لهم ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فاسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر كم الدية فيكم قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه القداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم فان

ابن وديعة بن الحرث بن فهر قاله الزبير

﴿فصل﴾ وذكر نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه الى آخر الحديث وفيه أن عبد الله يعنى والد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصغر بنى أبيه وهذا غير معروف ولعل الرواية أصغر بنى أمه والا فحمزة كان أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة وروى عن العباس رضى الله عنه أنه قال أذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها فجىء بى حتى نظرت اليه وجعل النسوة يقلن لى قبل أخاك [قبل أخاك] فقبلته فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الاصغر مع هذا ولكن رواه البكائى كما تقدم ولروايته وجه وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس وسائر حديث عبد المطلب ليس فيه ما يشكل وفيه أن الدية كانت بعشر من الابل قبل هذه القصة وأول من ودى بالمائة اذا عبد الله وقد قدمنا ما ذكره الاصبهانى عن أبى اليقظان ان أبا سيارة هو أول من جعل الدية مائة من الابل وأما أول من ودى بالابل من العرب فزيد بن بكر بن هوازن قتله أخوه معاوية جد بنى عامر بن صعصعة * وأما الكاهنة التى تحاكموا اليها بالمدينة فاسمها قطبة ذكرها عبد الغنى فى كتاب الغوامض والمبهمات وذكر ابن اسحق فى رواية يونس ان اسمها سجاح

خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الابل وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل عشرين وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل ثلاثين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل أربعين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل خمسين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل ستين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل سبعين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل ثمانين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل تسعين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل مائة وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا أن عبد المطلب قال لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الابل وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الابل ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو الله فضربوا فخرج القدح على الابل ثم عادوا الثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله فضربوا فخرج القدح على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان انى ولا يمنع «قال ابن هشام» ويقال انسان ولا سبع «قال ابن هشام» وبين اضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر

* قال ابن اسحق ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله فمر به فيما يزعمون على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر وهى أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهى عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه أين تذهب يا عبد الله قال مع أبى قالت لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن قال أنا مع أبى ولا أستطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا وهى لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر. وبرة لام حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن

﴿فصل﴾ وذكر تزويج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب وذكر البرقى فى سبب تزويج عبد الله آمنة أن عبد المطلب كان يأتى اليمن وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم فنزل عنده مرة فاذا عنده رجل ممن قرأ الكتب فقال له ائذن لى أقس منخرك فقال دونك فانظر فقال أرى نبوة وملكا وأراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب وهى أم حمزة رضى الله عنه وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر أمها وأم أمها والثالثة وهى برة بنت عوف وقد قدمنا فى أول المولد ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة ونسبهن فلينظر هنالك * وأما أم هالة فهى العبلة بنت المطلب وأمها خديجة بنت سعيد بن سهم وقد أشكل على بعض الناس فى هذا الخبر أن عبد المطلب نذر نحر أحد بنيه اذا بلغوا عشرة ثم ذكر ابن اسحاق أن تزويجه هالة أم ابنه حمزة كان بعد وفائه بنذره فحمزة والعباس رضى الله عنهما انما ولدا بعد الوفاء بنذره وانما كان جميع أولاده عشرة ولا اشكال فى هذا فان جماعة من العلماء قالوا كان أعمامه عليه السلام اثنى عشر وقاله أبو عمر فان صح هذا فلا اشكال فى الخبر وان صح قول من قال كانوا عشرة بلا مزيد فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازا فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعته المرأة الاسدية الى نفسها لما رأت فى وجهه من نور النبوة ورجت أن تحمل بهذا النبى فتكون أمه دون غيرها فقال عبد الله حينئذ فيما ذكروا

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

واسم هذه المرأة رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل تكنى أم قتال وبهذه الكنية وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن اسحاق وذكر البرقى عن هشام بن الكلبى قال انما مر على امرأة اسمها فاطمة بنت مر كانت من أجمل النساء وأعفه وكانت قرأت الكتب فرأت نور النبوة فى وجهه فدعته الى نكاحها فأبى فلما أبى قالت

غالب بن فهر وأم حبيب لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت على بالامس قالت له فارقك النور الذى كان معك بالامس فليس بك اليوم حاجة وقد كانت تسمع من أخيها ورقة ابن نوفل وكان تنصر واتبع الكتب أنه كائن فى هذه الامة نبى * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار أنه حدث أن عبد الله انما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب وقد عمل فى طين له وبه آثار من الطين فدعاها الى نفسه فابطأت عليه لما رأت به من أثر الطين فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ثم خرج عامدا الى آمنة فمر بها فدعته الى نفسها فابى عليها وعمد الى آمنة فدخل عليها فاصابها فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم مر بامرأته تلك فقال لها هل لك . قالت مررت بى وبين عينيك غرة بيضاء فدعوتك فابيت على ودخلت على آمنة فذهبت بها * قال ابن اسحق فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث انه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس قالت فدعوته رجاء أن تكون تلك بى فأبى على ودخل على آمنة فاصابها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط قومه نسبا وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم ويزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث انها أتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولى أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هلك وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به

﴿ ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

انى رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحناتم القطر
فلمأتها نوراً يضىء به * ما حوله كاضاءة الفجر
ورأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر
ورأيته شرفا أبوء به * ما كل قادح زنده يورى
لله ما زهرية سلبت * منك الذى استلبت وماتدرى

وفى غريب ابن قتيبة أن التى عرضت نفسها عليه هى ليلى العدوية

﴿ فصل فى المولد ﴾

فى تفسير بقى بن مخلد ان ابليس لعنه الله رن أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين أهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب قال والرنين والنخار من عمل الشيطان قال ويكره أن يقال أم الكتاب ولكن فاتحة الكتاب وروى عن عثمان بن أبى العاص امه عن أم عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت البيت حين وضع قد امتلأ نوراو رأيت النجوم تدنوا حتى ظننت أنها ستقع على ذكره أبو عمر فى كتاب النساء وذكره الطبرى أيضا فى التاريخ وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم معذورا مسرورا أى مختونا مقطوع السرة يقال عذر الصبى وأعذر اذا ختن وكانت أمه تحدث انها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك ولما وضعته صلى الله عليه وسلم وقع الى الارض مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وذكر ابن دريد أنه ألقيت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه ولما قيل له ما سميت ابنك فقال محمداً فقيل له كيف سميت باسم ليس لاحد من آبائك وقومك فقال انى لارجو أن يحمده أهل الارض كلهم وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب وقد ذكر حديثها على القيروانى العابر فى كتاب البستان قال كان عبد المطلب قد رأى فى منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض فلذلك سماه محمداً مع ما حدثته به أمه حين قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمداً الحديث (قال المؤلف) لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه

وسلم الا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم و بقرب زمانه وأنه يبعث فى الحجاز ان يكون ولدا لهم ذكرهم ابن فورك فى كتاب الفصول وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس والآخر محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الاول فأخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم و باسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ذكر أن يسميه محمدا ففعلوا ذلك (قال المؤلف) وهذا الاسم منقول من الصفة فالمحمد فى اللغة هو الذى يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدح الا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة * وأما أحمد فهو اسمه صلى الله عليه وسلم الذى سمى به على لسان عيسى وموسى عليهما السلام فانه منقول أيضا من الصفة التى معناها التفضيل فمعنى أحمد أى أحمد الحامدين لربه وكذلك هو فى المعنى لانه تفتح عليه فى المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد * وأما محمد فمنقول من صفة أيضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذى حمد مرة بعد مرة كما أن المكرم من أكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه به قبل أن يسمى به نفسه فهذا علم من أعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود عليه السلام فى الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذى هو محمد فذكره عيسى صلى الله عليه وسلم فقال اسمه أحمد وذكره موسى صلى الله عليه وسلم حين قال له ربه تلك أمة أحمد فقال اللهم اجعلنى من أمة أحمد فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد و بعث كان محمدا بالفعل وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التى يفتحها عليه فيكون أحمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر فى الذكر والوجود وفى الدنيا والآخرة تلح لك الحكمة الالهية فى تخصيصه بهذين الاسمين وانظر كيف أنزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الانبياء وخص بلواء الحمد وخص بالمقام المحمود وانظر كيف شرع لنا سنة وقرآنا أن نقول عند اختتام الافعال وانقضاء الامور الحمد لله رب العالمين قال الله سبحانه وتعالى « وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » وقال أيضا « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » تنبيها لنا على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الامور وسن صلى الله عليه وسلم الحمد بعد الاكل والشرب وقال عند انقضاء السفر آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ثم انظر لكونه عليه السلام خاتم الانبياء ومؤذنا بانقضاء الرسالة وارتفاع الوحى ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الامور مشروع عنده تجد معانى اسميه جميعا وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلا لمعناه مطابقا لصفته وفى ذلك برهان عظيم وعلم واضح على نبوته وتخصيص الله له بكرامته وأنه قدم له هذه المقدمات قبل وجوده تكرمة له وتصديقا لأمره صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم * وذكر أن عبد المطلب دخل به الكعبة وعوذه ودعا له وفى غير رواية ابن هشام أن عبد المطلب قال وهو يعوذه

الحمد لله الذى أعطانى * هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد فى المهد على الغلمان * أعيذه بالبيت ذى الاركان
حتى يكون بلغة الفتيان * حتى أراه بالغ البيان

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول عام الفيل * قال ابن اسحق وحدثنى المطلب بن عبد الله بن قيس ابن مخرمة عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة قال ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل فنحن لدتان * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارى قال حدثنى من شئت من رجال قومى عن حسان بن ثابت قال والله انى لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت اذ سمعت يهوديا يصرخ باعلى صوته على أطمة بيثرب يامعشر يهود حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا له ويلك مالك قال طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به * قال محمد بن اسحق فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقلت ابن كم كان حسان ابن ثابت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال ابن ستين وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين * قال ابن اسحق فلما وضعته أمه صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه فاتاه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت به أن تسميه فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها * والتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء (قال ابن هشام) المراضع وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام وحرمنا عليه المراضع * قال ابن اسحق فاسترضع له من امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة ابنة أبى ذؤيب وأبو ذؤيب عبد الله بن الحرث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية

أعيذه من كل ذى شنآن * من حاسد مضطرب العنان
ذى همة ليس له عينان * حتى أراه رافع اللسان
أنت الذى سميت فى القرآن * فى كتب ثابتة المثانى
* أحمد مكتوب على البيان *

﴿ فصل ﴾ وذكر أن مولده عليه السلام كان فى ربيع الاول وهو المعروف وقال الزبير كان مولده فى رمضان وهذا القول موافق لقول من قال ان أمه حملت به فى أيام التشريق والله أعلم * وذكروا أن الفيل جاء مكة فى المحرم وانه صلى الله عليه وسلم ولد بعد مجىء الفيل بخمسين يوما وهو الاكثر والاشهر وأهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان فكانت لعشرين مضت منه وولد بالغفر من المنازل وهو مولد النبيين ولذلك قيل خير منزلتين فى الابد بين الزبانا والاسد لان الغفر يليه من العقرب زباناها ولا ضرر فى الزبانا انما تضر العقرب بذنبها ويليه من الاسد أليته وهو السماك والاسد لا يضر باليته انما يضر بمخلبه ونابه وولد بالشعب وقيل بالدار التى عند الصفا وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجدا حين حجت وذكر أنه مات أبوه وهو حمل وأكثر العلماء على انه كان فى المهد ذكره الدولابى وغيره قيل ابن شهرين ذكره ابن أبى خيثمة وقيل أكثر من ذلك ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ذهب يمتار لاهله تمرا وقد قيل مات أبوه وهو ابن ثمان وعشرين شهرا وأنشدوا رجز العبد المطلب يقوله لابنه أبى طالب

أوصيك يا عبد مناف بعدى * بمؤتم بعد أبيه فرد
* فارقه وهو ضجيع المهد *

وكان بينه وبين أبيه عليه السلام فى السن ثمانية عشر عاما * وذكر الحرث بن عبد العزى أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ولم يذكر له اسلاما ولا ذكره كثير ممن ألف فى الصحابة وقد ذكره يونس بن بكير فى روايته فقال حدثنا ابن اسحق قال حدثنى والدى اسحق بن يسار عن رجال من بنى سعد بن بكر قال قدم الحرث بن عبد العزى أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين أنزل عليه القرآن فقالت له قريش ألا تسمع يا حار ما يقول ابنك هذا فقال وما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث بعد الموت وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من أطاعه فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال أى بنى مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا أزعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فاسلم الحرث بعد ذلك وحسن اسلامه وكان يقول حين أسلم لو قد أخذ ابنى بيدى فعرفنى ما قال لم يرسلنى ان شاء الله حتى يدخلنى الجنة * وذكر ناصرة بن قصية فى نسب حليمة

ابن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان واسم أبيه الذى أرضعه صلى الله عليه وسلم الحرث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن « قال ابن هشام » ويقال هلال بن ناصرة * قال ابن اسحق واخوته من الرضاعة عبد الله بن الحرث وأنيسة بنت الحرث وخذامة بنت الحرث وهى الشيماء غلب ذلك على اسمها فلا تعرف فى قومها الا به وهم لحليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحرث أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمه اذا كان عندهم * قال ابن اسحق وحدثنى جهم بن أبى جهم مولى الحرث بن حاطب الجمحى عن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب أو عمن حدثه عنه قال كانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر تلتمس الرضعاء قالت وهى فى سنة شهباء لم تبق لنا شيئا قالت فخرجت على أتان لى قمراء معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع ما فى ثديى ما يغنيه وما فى شارفنا ما يغديه « قال ابن هشام » ويقال يغذيه ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتانى تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك أنا انما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى فكنا نقول يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجده فكنا [illegible]لذلك فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعا غيرى فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه قال لا عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة قال فذهبت اليه فأخذته وما حملنى على أخذه الا انى لم أجد غيره قالت فلما أخذته رجعت به الى رحلى فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن فشرب حتى

وهو عندهم فصية بالفاء تصغير فصاة وهى النواة ووقع فى الاصل فى جميع النسخ قصية بالقاف وقال أبو حنيفة أيضا الفصا حب الزبيب وهو من هذا المعنى * وذكر الشيماء أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وقال فى اسمها خدامة بكسر الخاء المنقوطة وقال غيره حذافة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم وكذلك ذكره يونس فى روايته عن ابن اسحق وكذلك ذكره أبو عمر فى كتاب النساء

﴿شرح ما فى حديث الرضاع﴾

قال ابن اسحق فالتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء قال ابن هشام انما هو المراضع قال وفى كتاب الله سبحانه « وحرمنا عليه المراضع » والذى قاله ابن هشام ظاهر لان المراضع جمع مرضع والرضعاء جمع رضيع ولكن لرواية ابن اسحق مخرج من وجهين أحدهما حذف المضاف كانه قال ذوات الرضعاء والثانى أن يكون أراد بالرضعاء الاطفال على حقيقة اللفظ لانهم اذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعا يرضع معه فلا يبعد أن يقال التمسوا له رضيعا علما بان الرضيع لا بد له من مرضع وأرضعته عليه السلام ثويبة قبل حليمة أرضعته وعمه حمزة وعبد الله بن جحش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك لثويبة ويصلها من المدينة فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فاخبر انهما ماتا وسأل عن قرابتهما فلم يجد أحدا منهم حيا وثويبة كانت جارية لابى لهب وسنذكر بقية حديثها ان شاء الله عند وفاة أبى لهب * وذكر قول حليمة وليس فى شارفنا ما يغديه وقال ابن هشام ما يغذيه بالذال المنقوطة وهو أتم فى المعنى من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء وليس فى أصل الشيخ رواية ثالثة وعند بعض الناس رواية غيرهاتين وهى يعذبه بعين مهملة وذال منقوطة وباء معجمة بواحدة ومعناها عندهم ما يقنعه حتى يرفع رأسه وينقطع عن الرضاع يقال منه عذبته وأعذبته اذا قطعته عن الشرب ونحوه والعذوب الرافع رأسه عن الماء وجمعه عذوب بالضم ولا يعرف فعول جمع على فعول غيره قاله أبو عبيد والذى فى الاصل أصح فى المعنى والنقل * وذكر قولها حتى أذممت بالركب تريد أنها حبستهم وكانه من الماء الدائم وهو الواقف ويروى حتى أذمت اى أذمت الاتان أى جاءت بما تذم عليه أو يكون من قولهم بئر ذمة أى قليلة الماء وليست هذه عند أبى الوليد ولا فى أصل الشيخ أبى بحر وقد ذكرها قاسم فى الدلائل ولم يذكر رواية أخرى وذكر تفسيرها عن أبى عبيدة أذم بالركب اذا ابطأ حتى حبستهم من البئر الذمة وهى القليلة الماء * وذكر قول حليمة فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى رويا * وذكر غير ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقبل الا على ثديها الواحد وكانت تعرض عليه الثدى الآخر فيأباه كانه قد أشعر عليه السلام ان

معه

روى وشرب معه أخوه حتى روى ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة قالت يقول صاحبي حين أصبحنا تعلمي والله ياحليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت والله انى لارجو ذلك قالت ثم خرجنا وركبت أتانى وحملته عليها معى فوالله لقطعت بالركب مايقدر عليها شیٔ من حمرهم حتى ان صواحبي ليقلن لي ياابنة أبي ذؤيب ويحك اربعى علينا أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها فأقول لهن بلى والله انها لهى فيقلن والله ان لها لشأنا قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا قالت فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شیٔ على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت بني عندى حتى يغلظ فانى أخشى عليه وباء مكة قالت فلم نزل بها حتى ردته معنا قالت فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا باشهر مع أخيه لفى بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا أخوه يشتد فقال لى ولابيه ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجت أناوأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يابنى

معه شريكا فى لبانها وكان مفطورا على العدل مجبولا على جميل المشاركة والفضل صلى الله عليه وسلم (قال المؤلف) والتماس الاجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر نساء العرب حتى جرى المثل تجوع المرأة ولا تأكل بثديها وكان عند بعضهن لا بأس به فقد كانت حليمة وسيطة فى بنى سعد كريمة من كرائم قومها بدليل اختيار الله تعالى اياها لرضاع نبيه صلى الله عليه وسلم كما اختار له أشرف البطون والاصلاب والرضاع كالنسب لانه يغير الطباع فى المسند عن عائشة رضى الله عنها ترفعه لا تسترضعوا الحمقا فان اللبن يورث ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضعاء اضطرارا اللازمة التى أصابتهم والسنة الشهباء التى اقتحمتهم * وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم الى المراضع فقد يكون ذلك لوجوه أحدها تفريغ النساء الى الازواج كما قال عمار بن ياسر لام سلمة رضى الله عنها وكان أخاها من الرضاعة حين انتزع من حجرها زينب بنت أبى سلمة فقال دعى هذه المقبوحة المشقوحة التى آذيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون ذلك منهم أيضا لينشأ الطفل فى الاعراب فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه وأجدر أن لا يفارق الهيئة المعدية كما قال عمر رضى الله عنه تمعددوا وتمعززوا واخشوشنوا وقد قال عليه السلام لابى بكر رضى الله عنه حين قال له ما رأيت أفصح منك يارسول الله فقال وما يمنعنى وأنا من قريش وأرضعت فى بنى سعد فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء الى المراضع الاعرابيات وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول أضر بنا حب الوليد لان الوليد كان لحانا وكان سليمان فصيحا لان الوليد أقام مع أمه وسليمان وغيره من اخوته سكنوا البادية فتعربوا ثم أدبوا فتأدبوا وكان من قريش أعراب ومنهم حضر فالاعراب منهم بنو الادرم وبنو محارب وأحسب بنى عامر بن لؤى كذلك لانهم من أهل الظواهر وليسوا من أهل البطاح * وذكر قول أخيه من الرضاعة نزل عليه رجلان ابيضان فشقا عن بطنه وهما يسوطانه يقال سطت اللبن أو الدم أو غيرهما أسوطه اذا ضربت بعضه ببعض والمسوط عود يضرب به وفى رواية أخرى عن ابن اسحاق انه نزل عليه كركيان فشق أحدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجا أو بردا أو نحو هذا وهى رواية غريبة ذكرها يونس عنه واختصر ابن اسحاق حديث نزول الملكين عليه وهو أطول من هذا وروى ابن أبى الدنيا وغيره باسناد يرفعه الى أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله كيف علمت أنك نبى وبم علمت حتى استيقنت قال ياأبا ذر أتانى ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال هو هو قال فزنه برجل فوزننى برجل فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بالف فوزننى فرجحتهم حتى جعلوا يتثاقلون علىّ من كفة الميزان فقال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطنى فاخرج قلبى فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفىّ كما هو الآن ووليا عنى فكأنى أعاين الامر معاينة ففى هذا الحديث بيان لما أبهم فى الاول لانه قال فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فبين أن الذى التمس فيه هو الذى يغمزه الشيطان من كل مولود الا عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام لقول أمها حنة «انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» فلم يصل اليه لذلك ولانه لم يخلق من منى الرجال

فاعيذه من مغمز وانما خلق من نفخة روح القدس ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم لان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نزع منه ذلك المغمز وملىء قلبه حكمة وايمانا بعد أن غسله روح القدس بالثلج والبرد وانما كان ذلك المغمز فيه لموضع الشهوة المحركة للمنى والشهوات يحضرها الشياطين لاسيما شهوة من ليس بمؤمن فكان ذلك المغمز راجعا الى الاب لا الى الابن المطهر صلى الله وسلم عليه وفى الحديث فائدة أخرى وهى من نفيس العلم وذلك أن خاتم النبوة لم يدر هل خلق به أم وضع فيه بعد ماولد أو حين نبىء فبين فى هذا الحديث متى وضع وكيف وضع ومن وضعه زادنا الله علما وأوزعنا شكر ما علم وفيه البيان لما سأل عنه أبوذر رضى الله عنه حين قال كيف علمت أنك نبى فأعلمه بكيفية ذلك غير أن فى هذا الحديث وهما من بعض النقلة وهو قوله بينما أنا ببطحاء مكة وهذه القصة لم تعرض له الا وهو فى بنى سعد مع حليمة كما ذكر ابن اسحق وغيره وقد رواه البزار من طريق عروة عن أبى ذر رضى الله عنه فلم يذكر فيه بطحاء مكة * وذكر فيه أنه قال وأوتيت بالسكينة كأنها رهرهة فوضعت فى صدرى قال ولا أعلم لعروة سماعا من أبى ذر وذكر من طريق آخر عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ياأباذر وزنت بار بعين أنت فيهم فرجحتهم والرهرهة بصيص البشرة فهذا بيان وضع الخاتم متى وضع * وأما متى وجبت له النبوة فروى عن ميسرة أنه قال له متى وجبت لك النبوة يارسول الله فقال وآدم بين الروح والجسد ويروى وآدم مجندل فى طينته وهذا الخبر يروى عنه عليه السلام على وجهين أحدهما انه شق عن قلبه وهو مع رابته ومرضعته فى بنى سعد وانه جىء بطست من ذهب فيه ثلج فغسل به قلبه والثانى فيه انه غسل بماء زمزم وأن ذلك كان ليلة الاسراء حين عرج به الى السماء بعد ما بعث باعوام وفيه انه أتى بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فافرغ فى قلبه وذكر بعض من ألف فى شرح الحديث انه تعارض فى الروايتين وجعل يأخذ فى ترجيح الرواة وتغليط بعضهم وليس الامر كذلك بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين * الاولى فى حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان وليطهر ويقدس من كل خلق ذميم حتى لا يتلبس بشىء مما يعاب على الرجال وحتى لا يكون فى قلبه شىء الا التوحيد ولذلك قال فوليا عنى يعنى الملكين وكأنى أعاين الامر معاينة * والثانية فى حال الاكتهال وبعد ما نبىء وعندما أراد الله أن يرفعه الى الحضرة المقدسة التى لا يصعد اليها الا مقدس وعرج به هنالك لتفرض عليه الصلاة وليصلى بملائكة السموات ومن شأن الصلاة الطهور فقدس ظاهرا وباطنا وغسل بماء زمزم وفى المرة الاولى بالثلج لما يشعر الثلج من ثلج اليقين وبرده على الفؤاد وكذلك هناك حصل له اليقين بالامر الذى يراد به وبوحدانية ربه وأما فى الثانية فقد كان موقنا منبئا فانما طهر لمعنى آخر وهو ماذكرناه من دخول حضرة القدس والصلاة فيها ولقاء الملك القدوس فغسله روح القدس بماء زمزم التى هى هزمة روح القدس وهمزة عقبه لابيه اسماعيل عليه السلام وجىء بطست ممتلىء حكمة وايمانا فأفرغ فى قلبه وقد كان مؤمنا ولكن الله تعالى قال «ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم» وقال «ليزداد الذين آمنوا ايمانا» (فان قيل) وكيف يكون الايمان والحكمة فى طست من ذهب والايمان عرض والاعراض لا يوصف بها الا محلها الذى تقوم به ولا يجوز فيه الانتقال لان الانتقال من صفة الاجسام لا من صفة الاعراض (قلنا) انما عبر عما كان فى الطست بالحكمة والايمان كما عبر عن اللبن الذى شربه وأعطى فضله عمر رضى الله عنه بالعلم فكان تأويل ما أفرغ فى قلبه حكمة وايمانا ولعل الذى كان فى الطست كان ثلجا وبردا كما ذكر فى الحديث الاول فعبر عنه فى المرة الثانية بما يؤول اليه وعبر عنه فى المرة الاولى بصورته التى رآها لانه فى المرة الاولى كان طفلا فلما رأى الثلج فى طست الذهب اعتقده ثلجا حتى عرف تأويله بعد وفى المرة الثانية كان نبيئا فلما رأى طست الذهب مملوأ ثلجا علم التأويل لحينه

واعتقده فى ذلك المقام حكمة وايمانا فكان لفظه فى الحديثين على حسب اعتقاده فى المقامين وكان الذهب فى الحالتين جميعا مناسبا للمعنى الذى قصد به فان نظرت الى لفظ الذهب فمطابق للاذهاب فان الله عز وجل أراد ان يذهب عنه الرجس و يطهره تطهيرا وان نظرت الى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شىء وأصفاه يقال فى المثل أنقى من الذهب . وقالت بريرة فى عائشة رضى الله عنها ما أعلم عليها الا ما يعلم الصائغ على الذهب الاحمر وقال حذيفة فى صلة بن أشيم رضى الله عنهما انما قلبه من ذهب وقال جرير بن حازم فى الخليل بن أحمد انه لرجل من ذهب يريدون النقاء من العيوب فقد طابق طست الذهب ما أريد بالنبى صلى الله عليه وسلم من نقاء قلبه ومن أوصاف الذهب أيضاً المطابقة لهذا المقام ثقله ورسوبه فانه يجعل فى الزبيق الذى هو أثقل الاشياء فيرسب والله تعالى يقول «انا سنلقى عليك قولا ثقيلا» وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انما ثقلت موازين المحقين يوم القيامة لاتباعهم الحق وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن تكون ثقيلا وقال فى أهل الباطل بعكس هذا وقد روى انه أنزل عليه الوحى وهو على ناقته فثقل عليها حتى ساخت قوائمها فى الارض فقد تطابقت الصفة المعقولة والصفة المحسوسة ومن أوصاف الذهب أيضا انه لا تأكله النار وكذلك القرآن لا تأكل النار يوم القيامة قلبا وعاه ولا بدنا عمل به قال النبى صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن فى اهاب ثم طرح فى النار ما احترق ومن أوصاف الذهب المناسبة لاوصاف القرآن والوحى أن الارض لا تبليه وأن الثرى لا يذريه وكذلك القرآن لا يخلق على كثرة الرد ولا يستطاع تغييره ولا تبديله ومن أوصافه أيضا نفاسته وعزته عند الناس وكذلك الحق والقرآن عزيز قال سبحانه «وانه لكتاب عزيز» فهذا اذا نظرت الى أوصافه ولفظه واذا نظرت الى ذاته وظاهره فانه زخرف الدنيا وزينتها وقد فتح بالقرآن والوحى على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته خزائن الملوك وتصير الى أيديهم ذهبها وفضتها وجميع زخرفها وزينتها ثم وعدوا باتباع القرآن والوحى قصور الذهب والفضة فى الجنة قال صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما من ذهب وفى التنزيل «يطاف عليهم بصحاف من ذهب . ويحلون فيها من أساور من ذهب» فكان ذلك الذهب يشعر بالذهب الذى يصير اليه من اتبع الحق والقرآن وأوصافه تشعر باوصاف الحق والقرآن ولفظه يشعر باذهاب الرجس كما تقدم فهذه حكم بالغة لمن تأمل واعتبار صحيح لمن تدبر والحمد لله وفى ذكر الطست وحروف اسمه حكمة تنظر الى قوله تعالى «طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين» ومما يسئل عنه هل خص هو صلى الله عليه وسلم بغسل قلبه فى الطست أم فعل ذلك بغيره من الانبياء قبله ففى خبر التابوت والسكينة انه كان فيه الطست التى غسلت فيها قلوب الانبياء عليهم السلام ذكره الطبرى وقد انتزع بعض الفقهاء من حديث الطست حيث جعل محلا للايمان والحكمة جواز تحلية المصحف بالذهب وهو فقه حسن ففى حديث أبى ذر رضى الله عنه هذا الذى قدمناه متى علم أنه نبىّ والحكمة فى خاتم النبوة على جهة الاعتبار انه لما ملئ قلبه حكمة و يقينا ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكا أو درا وأما وضعه عند نغض كتفه فلانه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم روى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان منه فارى جسدا ممهى يرى داخله من خارجه والشيطان فى صورة ضفدع عند نغض كتفه حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله الى قلبه يوسوس فاذا ذكر الله تعالى العبد خنس

﴿ فصل ﴾ وكان ردّ حليمة اياه الى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر فيما ذكر أبو عمر وثم لم تره بعد ذلك الا مرتين احداهما بعد تزويجه خديجة رضى الله عنها جاءته تشكو اليه السنة وأن قومها قد أسنتوا فكلم لها خديجة فاعطتها عشرين رأسا من غنم و بكرات والمرة الثانية يوم حنين وسياتى ذكرها ان شاء الله

﴿ فصل ﴾ وذكر النور الذى رأته آمنة حين ولدته عليه السلام فاضاءت لها قصور الشام وذلك بما

قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى وشقا بطنى فالتمسا شيئا لا أدرى ما هو قالت فرجعنا الى خبائنا قالت وقال لى أبوه ياحليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه باهله قبل أن يظهر ذلك به قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما أقدمك به ياظئر وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قالت فقلت نعم قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى على وتخوفت الاحداث عليه فاديته عليك كما تحبين قالت ما هذا شأنك فاصدقينى خبرك قالت فلم تدعنى حتى أخبرتها قالت أفتخوفت عليه الشيطان قالت قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وان لبنيى لشأنا أفلا أخبرك خبره قالت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج منى نور أضاء لى به قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض

رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقى راشدة * قال ابن اسحق وحدثنى ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم ولا أحسبه الا عن خالد ابن معدان الكلاعى أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يارسول الله أخبرنا عن نفسك قال نعم أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى حين حملت بى انه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام واسترضعت فى بنى سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذانى فشقا بطنى واستخرجا قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى و بطنى بذلك الثلج حتى أنقياه قال ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من أمته فوزننى بهم فوزنتهم فقال دعه عنك فوالله لو وزنته بامته لوزنها * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن نبى الا وقد رعى الغنم قيل وأنت يارسول الله قال وأنا * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه أنا أعربكم أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد ابن بكر * قال ابن اسحق وزعم الناس فيما يتحدثون والله اعلم أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلها فى الناس وهى مقبلة به نحو أهله فالتمسته فلم تجده فاتت عبد المطلب فقالت له انى قد قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت باعلى مكة أضلنى فوالله ما ادرى أين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن اسد و رجل آخر من قريش فاتيا به عبد المطلب فقالا له هذا ابنك وجدناه باعلى مكة فاخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوذه و يدعو له ثم أرسل به الى أمه آمنة * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل العلم أن مما هاج أمه السعدية على رده الى أمه مع ماذكرت لامه مما أخبرتها عنه أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه فنظروا اليه وسألوها عنه وقلبوه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا و بلدنا فان هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فزعم الذى حدثنى أنها لم تكد تنفلت به منهم * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم فى كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامته فلما

(فصل)

فتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بنى أمية واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره صلى الله عليه وسلم وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاصى قبل المبعث بيسير نورا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر فى نخيل يثرب فقصها على أخيه عمرو فقال له انها حفيرة عبد المطلب وان هذا النور منهم فكان ذلك سبب مبادرته الى الاسلام

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم مامن نبى الا وقد رعى الغنم قيل وأنت يارسول الله قال وأنا وانما أراد ابن اسحق بهذا الحديث رعايته الغنم فى بنى سعد مع أخيه من الرضاعة وقد ثبت فى الصحيح انه رعاها بمكة أيضا على قراريط لاهل مكة ذكره البخارى وذكر البخارى عنه أيضا أنه قال ماهممت بشىء من أمر الجاهلية الا مرتين وروى ان احدى المرتين كان فى غنم يرعاها هو وغلام من قريش فقال لصاحبه اكفنى أمر الغنم حتى آتى مكة وكان بها عرس فيها لهو و زمر فلما دنى من الدار ليحضر ذلك ألقى عليه النوم فنام حتى ضربته الشمس عصمة من الله له وفى المرة الآخرة قال لصاحبه مثل ذلك وألقى عليه النوم فيها كما ألقى فى المرة الاولى ذكر هذا المعنى ابن اسحق فى غير رواية البكائى وفى غريب الحديث للقتبى بعث موسى صلى الله عليه وسلم وهو راعى غنم و بعث داود صلى الله عليه وسلم وهو راعى غنم و بعثت وأنا راعى غنم اهلى باجياد وانما جعل الله هذا فى الانبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق ولتكون أممهم رعايا لهم وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ينزع على قليب وحولها غنم سود وغنم عفر قال ثم جاء أبو بكر رضى الله عنه فنزع نزعا ضعيفا والله يغفر له ثم جاء عمر فاستحالت غربا يعنى الدلو فلم أر عبقريا يفرى فريه فاولها الناس فى الخلافة لابى بكر وعمر رضى الله عنهما ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية اذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم وأكثر المحدثين لم يذكروا الغنم فى هذا الحديث ذكره البزار فى مسنده وأحمد بن حنبل أيضا وبه يصح المعنى والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر كون النبى صلى الله عليه وسلم فى كفالة عمه يكلؤه و يحفظه فمن حفظ الله له فى ذلك انه كان يتيما ليس له أب يرحمه ولا أم ترأمه لانها ماتت وهو صغير وكان عيال أبى طالب ضففا وعيشهم شظفا فكان يوضع الطعام له وللصبية من أولاد أبى طالب فيتطاولون اليه و يتقاصر هو وتمتد أيديهم وتنقبض يده تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب فيصبحون غمصا رمصا مصفرة ألوانهم و يصبح هو عليه السلام صقيلا دهينا كانه فى أنعم عيش وأعز كفاية لطفا من الله عز وجل به كذلك ذكره القتبى فى غريب الحديث

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب * قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره اياهم فماتت وهي راجعة به الى مكة «قال ابن هشام» أم عبد المطلب بن هاشم سلمى بنت عمرو النجارية فهذه الخؤولة التي ذكر ابن اسحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه أحد من بنيه اجلالا له قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له لشأنا ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع ،

﴿ وفاة عبد المطلب وما رثي به من الشعر ﴾

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين هلك عبد المطلب بن هاشم وذلك بعد الفيل بثماني سنين * قال ابن اسحق وحدثني العباس ابن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله أن عبد المطلب توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثماني سنين * قال ابن اسحق حدثني محمد بن سعيد بن المسيب أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وبرة وعاتكة وأم حكيم البيضاء وأميمة وأروى فقال لهن ابكين علي حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت «قال ابن هشام» ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا انه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه فقالت صفية ابنة عبد المطلب تبكي أباها

أرقت لصوت نائحة بليل * على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعي * على خدي كمنحدر الفريد

﴿ فصل ﴾ وذكر موت أمه آمنة بالابواء وهو موضع معروف بين مكة والمدينة وهو الى المدينة أقرب كانه سمي بجمع بو وهو جلد الحوار المحشو بالتبن وغيره وقيل سمي بالابواء لتبوء السيول فيه وكذلك ذكر عن كثير ذكره قاسم بن ثابت وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه بالابواء في ألف مقنع فبكى وأبكى وهذا حديث صحيح وفي الصحيح أيضا أنه قال استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي وفي مسند البزار من حديث بريدة أنه صلى الله عليه وسلم حين أراد أن يستغفر لامه ضرب جبريل عليه السلام في صدره وقال له لا تستغفر لمن كان مشركا فرجع وهو حزين وفي الحديث زيادة في غير الصحيح انه سئل عن بكائه فقال ذكرت ضعفها وشدة عذاب الله ان كان صح هذا وفي حديث آخر ما يصححه وهو أن رجلا قال له يا رسول الله أين أبي فقال في النار فلما ولى الرجل قال عليه السلام ان أبي وأباك في النار وليس لنا أن نقول نحن هذا في أبويه صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات والله عز وجل يقول «ان الذين يؤذون الله ورسوله» الآية وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل هذه المقالة لانه وجد في نفسه وقد قيل انه قال أين أبوك أنت فحينئذ قال ذلك وقد رواه معمر بن راشد بغير هذا اللفظ فلم يذكر أنه قال له ان أبي وأباك في النار ولكن ذكر أنه قال له اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وروى حديث غريب لعله أن يصح وجدته بخط جدي أبي عمران أحمد ابن أبي الحسن القاضي رحمه الله بسند فيه مجهولون ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه الى أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له وآمنا به ثم أماتهما والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه عليه السلام أهل أن يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته صلوات الله عليه وآله وسلم قال القرطبي في تذكرته جزم أبو بكر الخطيب في كتاب السابق واللاحق وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له في الحديث باسناديهما عن عائشة رضي الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على قبر أمه وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه صلى الله عليه وسلم ثم انه نزل فقال يا حميراء استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث عني طويلا مليا ثم انه عاد الي وهو فرح متبسم فقلت له بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم عدت الي وأنت فرح مبتسم فمم ذا يا رسول الله فقال ذهبت لقبر آمنة أمي فسألت أن يحييها فأحياها فآمنت بي أو قال فآمنت وردها الله عز وجل

﴿ وفاة عبد المطلب ﴾

قول صفية

ففاضت عند ذلكم دموعي * على خدي كمنحدر الفريد

على رجل كريم غير وغل * له الفضل المبين على العبيد
على الفياض شيبة ذى المعالى * أبيك الخير وارث كل جود
صدوق فى المواطن غير نكس * ولا شخت المقام ولا سنيد
طويل الباع أروع شيظمى * مطاع فى عشيرته حميد
رفيع البيت أبلج ذى فضول * وغيث الناس فى الزمن الحرود
كريم الجد ليس بذى وصوم * يروق على المسوّد والمسود
عظيم الحلم من نفر كرام * خضارمة ملاوثة أسود
فلو خلد امرؤ لقديم مجد * ولكن لا سبيل الى الخلود
لكان مخلدا أخرى الليالى * لفضل المجد والحسب التليد

﴿وقالت برة بنت عبد المطلب تبكى أباها﴾

أعينىّ جودا بدمع درر * على طيب الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل فى النائبات كثير المكارم جم الفجر
له فضل مجد على قومه * منير يلوح كضوء القمر
أتته المنايا فلم تشوه * بصرف الليالى وريت القمر

﴿وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباها﴾

أعينى جودا ولا تبخلا
بدمعكما بعد نوم النيام
أعينى واسحنفرا واسكبا
وشوبا بكاءكما بالتدام
أعينى واستخرطا واسجما
على رجل غير نكس كهام
على الجحفل الغمر فى النائبات
كريم المساعى وفىّ الذمام
على شيبة الحمد وارى الزناد * وذى مصدق بعد ثبت المقام
وسيف لدى الحرب صمصامة * ومردى المخاصم عند الخصام وهو
وسهل الخليقة طلق اليدين وف عدملى صميم لهام
تبنك فى باذخ بيته * رفيع الذؤابة صعب المرام

﴿وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكى أباها﴾

ألا ياعين جودى واستهلى * وبكى ذا الندى والمكرمات
ياعين لا ويحك أسعفينى * بدمع من دموع هاطلات
وبكّى خير من ركب المطايا * أباك الخير تيار الفرات
طويل الباع شيبة ذى المعالى * كريم الخيم محمود الهبات
وصولا للقرابة هبرزيا * وغيثا فى السنين الممحلات

يروى كمنحدر بكسر الدال أى كالدر المنحدر ومنحدر بفتح الدال فيكون التشبيه راجعا للفيض فعلى رواية الكسر شبهت الدمع بالدر الفريد وعلى روايه الفتح شبهت الفيض بالانحدار * وقولها أبيك الخير أرادت الخير فخففت كما يقال هين وهين وفى التنزيل «خيرات حسان» وكان اسم أم الدرداء خيرة بنت أبى حدرد وكذلك أم الحسن بن أبى الحسن البصرى اسمها خيرة فهذا من المخفف ويجوز أن يكون الخير ههنا هو ضد الشر جعلته كله خيرا على المبالغة كما تقول ما زيد الا علم أو حسن وما أنت الا سير وهو مجاز حسن فعلى هذا الوجه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث فيقال خيرة * وقولها * ولا شخت المقام ولا سنيد * الشخت ضد الضخم تقول ليس كذلك ولكنه ضخم المقام ظاهره والسنيد الضعيف الذى لا يستقل بنفسه حتى يسند رأيه الى غيره * وقولها خضارمة ملاوثة جمع ملواث من اللوثة وهى القوة كما قال المكعبر * عند الحفيظة ان ذو لوثة لاثا * وقد قيل ان اسم الليث منه أخذ الا أن واوه انقلبت ياء لانه فيعل نخفف كما تقدم فى هين وهين ولين ولين * وقول برة * أتته المنايا فلم تشوه * أى لم تصب الشوى بل أصابت المقتل وقد تقدم فى حديث عبد المطلب وضربه بالقداح على عبد الله وكان يرى أن السهم اذا خرج على غيره انه قد أشوى أى قد أخطأ مقتله أى مقتل عبد المطلب وابنه ومن رواه أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذى أشوى وأخطأ وبكلا الضبطين وجدته ويقال أيضا أشوى الزرع اذا أفرك فالاول من الشوى وهذا من الشى بالنار قاله أبو حنيفة * وقول عاتكة ومردى المخاصم المردى مفعل من الردى وهو الحجر الذى يقتل من أصيب به وفى المثل كل ضب عنده مرداته * وقولها وف أى وفى وخفف للضرورة * وقولها عدملى العدملى الشديد واللهام فعال من لهمت الشىء ألهمه اذا ابتلعته قال الراجز

كالحوت لا يرويه شىء يلهمه * يصبح عطشانا وفى البحر فمه

ومنه سمى الجيش لهاما * وقولها على الجحفل جعلته كالجحفل أى يقوم وحده مقامه والجحفل لفظ منحوت من أصلين من جحف وجفل وذلك أنه يجحف ما يمر عليه أى يقشره ويجفل أى يقلع ونظيره نهشل الذئب هو عندهم منحوت من أصلين أيضا من نهشت اللحم ونشلته وعاتكة اسم منقول من الصفات يقال امرأة عاتكة وهى المصفرة لبدنها بالزعفران والطيب وقال القتبى عاتكت القوس اذا قدمت وبه سميت المرأة والقول الاول قول أبى حنيفة * وقول أروى * ومعقل مالك وربيع فهر * تريد بنى مالك بن النضر بن كنانة وقولها بذى ربد تريد سيفا ذا طرائق والربد الطرائق وقال صخر الغى

وصارم أخلصت خشيشته * أبيض مهو فى متنه ربد

وقول عاتكة * تبنك فى باذخ بيته * أى تبنك بيته فى باذخ من الشرف ومعنى تبنك تأصل من البنك

وليثا حين تشتجر العوالى * تروق له عيون الناظرات
ومفزعها اذا ما هاج هيج * بداهية وخصم المعضلات

وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكى أباها

ومن يؤلف الضيف الغريب بيوته * اذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
أبو الحارث الفياض خلى مكانه * فلا تبعدن فكل حى الى بعد
سقاك ولى الناس فى القبر ممطرا * فسوف أبكيه وان كان فى اللحد

وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكى أباها

على سهل الخليقة أبطحى * كريم الخيم نيته العلاء
طويل الباع أملس شيظمى * أغر كان غرته ضياء
أبى الضيم ابلج هبرزى * قديم المجد ليس به خفاء
وكان هو الفتى كرما وجودا * وباسا حين تنسكب الدماء
مضى قدما بذى ربد خشيب * عليه حين تبصره البهاء
عقيل بنى كنانة والمرجى * اذا ما الدهر أقبل بالهنات
فبكيه ولا تسمى بحزن * وبكى ما بقيت الباكيات
ألا هلك الراعى العشيرة ذو الفقد * وساقى الحجيج والمحامى عن المجد
كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى * فلم تنفكك تزداد يا شيبة الحمد
فانى لباكٍ ما بقيت وموجع * وكان له أهلا لما كان من وجدى
فقد كان زينا للعشيرة كلها * وكان حميدا حيثما كان من حمد
بكت عينى وحق لها البكاء * على سمح سجيته الحياء
على الفياض شيبة ذى المعالى * أبيك الخير ليس له كفاء
أقب الكشح أروع ذى فضول * له المجد المقدم والسناء
ومعقل مالك وربيع فهر * وفاصلها اذا التمس القضاء
اذا هاب الكماة الموت حتى * كان قلوب اكثرهم هواء

* قال ابن اسحق فزعم لى محمد بن سعيد بن المسيب انه أشار برأسه وقد أصمت أن هكذا فابكينى « قال ابن هشام » المسيب ابن حزن بن أبى وهب بن عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم * قال ابن اسحق وقال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى يبكى عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ويذكر فضله وفضل قصى على قريش وفضل ولده من بعده عليهم وذلك أنه أخذ بغرم أربعة آلاف درهم بمكة فوقف بها فمر به أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب فافتكه

أعينى جودا بالدموع على الصدر * ولا تسأما أسقيتما سبل القطر وجودا بدمع واسفحا كل شارق * بكاء امرئ لم يشوه نائب الدهر
على رجل جلد القوى ذى حفيظة * جميل المحيا غير نكس ولا هذر على الماجد البهلول ذى الباع واللها * ربيع لؤى فى القحوط وفى العسر
على خير حاف من معد وناعل * كريم المساعى طيب الخيم والنجر وخيرهم أصلا وفرعا ومعدنا * وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر
وأولاهم بالمجد والحلم والنهى * وبالفضل عند المجحفات من الغبر على شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضىء سواد الليل كالقمر البدر
وساقى الحجيج ثم للخبز هاشم * وعبد مناف ذلك السيد الفهرى طوى زمزما عند المقام فاصبحت * سقايته فخرا على كل ذى فخر
ليبك عليه كل عان بكربة * وآل قصى من مقل وذى وفر بنوه سراة كهلهم وشبابهم * تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر
قصى الذى عادى كنانة كلها * ورابط بيت الله فى العسر واليسر
فان تك غالته المنايا وصرفها * فقد عاش ميمون النقيبة والامر
وأبقى رجالا سادة غير عزل * مصاليت أمثال الردينية السمر
أبو عتبة الملقى الى حباءه * أغر هجان اللون من نفر غر
وحمزة مثل البدر يهتز للندى * نقى الثياب والذمام من الغدر
وعبد مناف ماجد ذو حفيظة * وصول لذى القربى رحيم لذى الصهر

وهو الاصل والبنك أيضا ضرب من الطيب [وهو أيضا عود السوس] * وقوله فاشار اليهن برأسه وقد أصمت بفتح الهمزة والميم هكذا قيده الشيخ عن أبى الوليد ويقال صمت وأصمت وسكت وأسكت بمعنى واحد * وذكر شعر حذيفة بن غانم العدوى وهو والد أبى جهم بن حذيفة واسم أبى جهم عبيد وهو الذى أهدى الخميصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى علمها الحديث وقد روى أيضا هذا الحديث على وجه آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بخميصتين فاعطى احداهما أبا جهم وأمسك الاخرى وفيها علم فلما نظر الى علمها فى الصلاة أرسلها الى أبى جهم وأخذ الاخرى بدلا منها هكذا رواه الزبير وأم أبى جهم يسيرة بنت عبد الله بن أذاة بن رياح وابن أذاة هو خال أبى قحافة وسيأتى نسب أمه وقد قيل ان الشعر لحذافة بن غانم وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة وله يقول فيه أخارج ان أهلك * وفى الشعر غير نكس ولا هذر النكس من السهام الذى نكس فى الكنانة ليميزه الرامى فلا يأخذه لرداءته وقيل الذى انكسر

كهولهم خير الكهول ونسلهم * كنسل الملوك لاتبور ولاتحرى
متى ماتلاقى منهم الدهر ناشئا * تجده باجريا اوائله يجرى
هم ملؤا البطحاء مجدا وعزة * اذا استبق الخيرات فى سالف العصر
وفيهم بناة للعلا وعمارة * وعبد مناف جدهم جابر الكسر
بانكاح عوف بنته ليجيرنا * من اعدائنا اذ اسلمتنا بنو فهر
فسرنا تهامى البلاد ونجدها * بامنه حتى خاضت العير فى البحر
وهم حضروا والناس باد فريقهم * وليس بها الا شيوخ بنى عمرو
بنوها ديارا جمة وطووابها * بئارا تسح الماء من ثبج البحر
لكى يشرب الحجاج منها وغيرهم
اذا ابتدروها صبح تابعة النحر
ثلاثة ايام تظل ركابهم
مخيسة بين الاخاشب والحجر
وقدما غنينا قبل ذلك حقبة
ولا نستقى الابخم اوالحفر
وهم يغفرون الذنب ينقم دونه
ويعفون عن قول السفاهة والهجر
وهم جمعوا حلف الاحابيش كلها
وهم نكلوا عنا غواة بنى بكر
فخارج اما اهلكن فلا تزل
لهم شاكرا حتى تغيب فى القبر
ولا تنسى ما أسدى ابن لبنى فانه
قد أسدى يدا محفوفة منك بالشكر
وأنت ابن لبنى من قصى اذا انتموا * بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر
وأنت تناولت العلا فجمعتها * الى محتد للمجد ذى ثبج جسر
حسان
سبقت وفت القوم بذلا ونائلا * وسدت وليدا كل ذى سودد غمر
وأمك سر من خزاعة جوهر * اذا حصل الانساب يوما ذووالخبر
الى سبا الابطال تنمى وتنتمى * فاكرم بها منسوبة فى ذرا الزهر
ابوشمر منهم وعمرو بن مالك * وذوجدن من قومها وأبوالجبر
واسعد قاد الناس عشرين حجة * يؤيد فى تلك المواطن بالنصر

أعلاه فنكس ورد أعلاه أسفله وهو غير جيد للرمى * وقوله لاتبور ولاتحرى أى لاتهلك ولا تنقص ويقال للافعى حارية لرقتها وفى الحديث مازال جسم أبى بكر يحرى حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ينقص لحمه حتى مات والاحرياء السيرة وهى افعيلاء من الحرى وليس لها نظير فى الابنية الا الاهجيرا فى معنى الهجيرا * وفيها قوله * وليس بها الا شيوخ بنى عمرو * يريد بنى هاشم لان اسمه عمرو وفيها غير عزل وهو جمع أعزل ولا يجمع أفعل على فعل ولكن جاء هكذا لان الاعزل فى مقابلة الرامح وقد يحملون الصفة على ضدها كما قالوا عدوة بتاء التأنيث حملا على صديقة وقد يجوز أن يكون أجراه مجرى حسر جمع حاسر لانه قريب منه فى المعنى * وقوله فسرنا تهامى البلاد مخففا مثل يمانيا والاصل فى يمان يمنى فخففوا الياء وعوضوا منها ألفا والاصل فى تهام تهامى بكسر التاء من تهام لانه منسوب الى تهامة ولكنهم حذفوا احدى الياءين كما فعلوا فى يمان وفتحوا التاء من تهام لما حذفوا الياء من آخره لتكون الفتحة فيه كالعوض من الياء كما كانت الالف فى يمان وكذلك الالف فى شآم بفتح الهمزة وألف بعدها عوضاً من الياء المحذوفة فان شددت الياء من شأم قلت شأمى بسكون الهمزة وتذهب الالف التى كانت عوضا من الياء لرجوع الياء المحذوفة ولا تقول فى غير النسب شأم بالفتح والهمز ولا فى النسب اذا شددت الياء شآمى وسألت الاستاذ أبا القاسم بن الرماك وكان اماما فى صنعة العربية عن البيت الذى أملاه أبو علىّ فى النوادر وهو قوله

فما اعتاض المفارق من حبيب * ولو يعطى الشآم مع العراق

فقال محدث ولم يره حجة وكذلك وجدت فى شعر حبيب الشآم بالفتح كما فى هذا البيت وليس بحجة أيضا وقوله * بامنه حتى خاضت العير فى البحر * حذف الياء من هاء الكناية ضرورة كما أنشده سيبويه ساجعل عينيه لنفسه مقنعا * فى أبيات كثيرة أنشدها سيبويه وهذا مع حذف الياء والواو وبقاء حركة الهاء فان سكنت الهاء بعد الحذف فهو أقل فى الاستعمال من نحو هذا وأنشدوا * ونضواى مشتاقان له أرقان * وهذا الذى ذكرناه هو فى القياس أقوى لانه من باب حمل الوصل على الوقف نحو قول الراجز * لما رأى أن لادعه ولا شبع * ومنه فى التنزيل كثير نحو اثبات هاء السكت فى الوصل واثبات الالف من أنا واثبات ألف الفواصل نحو «وتظنون بالله الظنونا» وهذا الذى ذكره سيبويه من الضرورة فى هاء الاضمار انما هو اذا تحرك ماقبلها نحو به وله ولا يكون فى هاء المؤنث البتة لخفة الالف فان سكن ماقبل الهاء نحو فيه وبنيه كان الحذف أحسن من الاثبات (فان قلت) فقد قرأ عيسى بن مينا نصله ويؤده وأرجه ونحو ذلك فى اثنى عشر موضعا بحذف الياء وقبل الهاء متحرك فكيف حسن هذا (قلنا) ان ماقبل الهاء فى هذه المواضع ساكن وهو الياء من نصليه ويؤديه ويؤتيه ولكنه حذف للجازم فمن نظر الى اللفظ وأن ماقبل الهاء متحرك أثبت الياء كما أثبتها فى به وله ومن نظر الى الكلمة قبل دخول الجازم رأى ماقبل الهاء ساكنا فحذف الياء فهما وجهان حسنان بخلاف ما تقدم * وذكر فى هذا الشعر وأسعد قاد الناس وهو أسعد أبو

«قال ابن هشام» قوله امك سر من خزاعة يعنى أبا لهب امه لبنى بنت هاجر الخزاعى وقوله باجر يا أوائله عن غير ابن اسحق * قال ابن
اسحق وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى عبد المطلب و بنى عبد مناف يا أيها الرجل المحول رحله * هلا سألت عن آل عبد مناف
هبلتك أمك لو حللت بدارهم * ضمنوك من جرم ومن اقراف المنعمين اذا النجوم تغيرت *
والظاعنين لرحلة الايلاف
والمطعمين اذا الرياح تناوحت
حتى تغيب الشمس فى الرجاف
اما هلكت أبا الفعال فما جرى
من فوق مثلك عقد ذات نطاف
الا أبيك أخى المكارم وحده
والفيض مطلب أبى الاضياف

فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى زمزم والسقاية عليهما بعده العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ من أحدث اخوته سنا فلم تزل اليه حتى قام الاسلام وهى بيده فاقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم له على مامضى من ولايته فهى الى آل العباس بولاية العباس اياها الى اليوم * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عبد المطلب مع عمه أبى طالب وكان عبد المطلب فيما يزعمون يوصى به عمه أباطالب وذلك لان عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباطالب أخوان لاب وأم أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم «قال ابن هشام» عائذ بن عمران بن مخزوم * قال ابن اسحق وكان أبوطالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده فكان اليه ومعه

حسان بن أسعد وقد تقدم فى التبابعة وكذلك أبو شمر وهو شمر الذى بنى سمرقند وأبوه مالك يقال له الاملوك و يحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغسانى والد الحرث بن أبى شمر * وعمرو بن مالك الذى ذكر أحسبه عمر أذا الاذعار وقد تقدم فى التبابعة وهو من ملوك اليمن وانما جعلهم مفخرا لابى لهب لان أمه خزاعية من سبا والتبابعة كلهم من حمير بن سبا وقد تقدم الخلاف فى خزاعة * وأبو جبر الذى ذكره فى هذا الشعر ملك من ملوك اليمن ذكر القتبى أن سمية أم زياد كانت لابى جبر ملك من ملوك اليمن دفعها الى الحرث بن كلدة المتطبب فى طب طبه وذكر ولاية العباس رضى الله عنه السقاية وقال كان من أحدث اخوته سنا وكذلك قال فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم كان من أفضل قومه مروءة وهذا مما منعه النحويون أن يقال زيد أفضل اخوته وليس بممتنع وهو موجود فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب وغيره وحسن لان المعنى زيد يفضل اخوته أو يفضل قومه ولذلك ساغ فيه التنكير وانما الذى يمتنع باجماع اضافة أفعل الى التثنية مثل أن تقول هو أكرم اخويه الا أن تقول الاخوين بغير اضافة

﴿ فصل ﴾ وذكر فى شعر مطرود * منعوك من جور ومن اقراف * اى منعوك من أن تنكح بناتك او أخواتك من لئيم فيكون الابن مقرفا للؤم ابيه وكرم امه فيلحقك وصم من ذلك ونحو منه قول مهلهل

أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم

أى أنكحت لغربتها من غير كفؤ [قال مبرمان أنشدنا أبو بكر بن دريد وكان الخباء من أدم بخاء معجمة الاعلى وهو خطأ وتصحيف وانما هو بالحاء المهملة وهو معدود فى تصحيفات ابن دريد وفيه يقول المفجع رادا على ابن دريد

ألست قدما جعلت تعترق * الطرف بجهل مكان تغترق
وقلت كان الخباء من أدم * وهو حباء يهدى و يصطدق

وذلك أن مهلهلا نزل فى جنب وهو حى وضيع من مذحج نخطبت ابنته فلم يستطع منعها فزوجها وكان نقدها من أدم فانشد

أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبانين جاء خاطبها * ضرج ما أنف خاطب بدم]

وقوله * حتى تغيب الشمس بالرجاف * يعنى البحر لانه يرجف ومن أسمائه أيضا خضارة والدأماء وأبو خالد * وقوله * عقد ذات نطاف * النطف اللؤلؤ الصافى و وصيفة منطفة أى مقرطة بتوأمتين والنطف فى غير هذا التلطخ بالعيب وكلاهما من أصل واحد وان كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى لان النطفة هى الماء القليل وقد يكون الكثير وكان اللؤلؤ الصافى أخذ من صفاء النطفة والنطف الذى هو العيب أخذ من نطفة الانسان وهى ماؤه أى كانه لطخ بها * وقوله * والفيض مطلب أبى الاضياف * يريد أنه كان لاضيافه كالاب والعرب تقول لكل جواد أبو الاضياف كما قال مرة بن محكان

أدعى أباهم ولم أقرف بأمهم * وقد عمرت ولم أعرف لهم نسبا

* قال ابن اسحق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه ان رجلا من لهب « قال ابن هشام » ولهب من أزدشنوءة كان عائفا فكان اذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم و يعتاف لهم فيهم قال فاتى به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شئ فلما فرغ قال الغلام على به فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل يقول و يلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شان قال فانطلق أبو طالب

﴿ قصة بحيرا ﴾

* قال ابن اسحق ثم ان أبا طالب خرج فى ركب تاجرا الى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون فرق له وقال والله لاخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا أو كما قال فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام و بها راهب يقال له بحيرا فى صومعة له وكان اليه علم أهل النصرانية ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب اليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شئ رآه وهو فى صومعته يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صومعته فى الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم قال ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل اليهم فقال انى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فانا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم قال له رجل منهم والله يا بحيرا ان لك لشانا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شانك اليوم قال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتاكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا فى القوم ولم ير الصفة التى يعرف و يجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى قالوا له يا بحير اما تخلف عنك أحد ينبغى له أن ياتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا فتخلف فى رحالهم فقال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم قال فقال رجل من قريش مع القوم واللات والعزى ان كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا و ينظر الى أشياء من جسده وقد كان يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال يا غلام أسالك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسالنى باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيأ قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما أخبرتنى عما أسالك عنه فقال له سلنى

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر اللهبى العائف « قال ابن هشام » ولهب حى من الازد وقال غيره وهو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد وهى القبيلة التى تعرف بالعيافة والزجر ومنهم اللهبى الذى زجر حين وقعت الحصاة بصلعة عمر رضى الله عنه فادمته وذلك فى الحج فقال أشعر أمير المؤمنين والله لا يحج بعد هذا العام فكان كذلك واللهب شق فى الجبل و بنو ثمالة رهط المبرد الثمالى هم بنو أسلم بن أحجن بن كعب وثمالة أمهم وكانت العيافة والزجر فى لهب قال الشاعر

سألت أخا لهب ليزجر زجرة * وقد رد زجر العالمين الى لهب

وقوله ليعتاف لهم وهو يفتعل من العيف يقال عفت الطير وأعتفتها عيافة واعتيافا وعفت الطعام أعافه عيفا وعافت الطير الماء عيافا

﴿ فصل ﴾ فى قصة بحيرا وسفر أبى طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم وقع فى سير الزهرى أن بحيرا كان حبرا من يهود تيماء وفى المسعودى انه كان من عبد القيس واسمه سرجس وفى المعارف لابن قتيبة قال سمع قبل الاسلام بقليل هاتف يهتف ألا ان خير أهل الارض ثلاثة بحيرا ورباب بن البراء الشنى والثالث المنتظر فكان الثالث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القتبى وكان قبر رباب الشنى وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عليهما طش والطش المطر الضعيف * وقال فيه فصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمه الصبابة رقة الشوق يقال صببت بكسر الباء أصب و يذكر عن بعض السلف انه قرأ « أصب اليهن وأكن من الجاهلين » و فى غير رواية أبى بحر ضبث به رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لزمه قال الشاعر

كان فؤادى فى يد ضبثت به * محاذرة أن يقضب الحبل قاضبه

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذاك ابن تسع سنين فيم ذكر بعض من ألف فى السير وقال الطبرى ابن

ثنتى

عما بدا لك فجعل يساله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده «قال ابن هشام» وكان مثل أثر المحجم * قال ابن اسحق فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابنى قال له بحيرا ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخى قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به الى بلاده فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس أن زريرا وتماما ودريساوهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رآه بحيرا فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب فارادوه فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته وأنهم ان أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال تنزها وتكرما حتى ما اسمه فى قومه الا الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة

ثنتى عشرة سنة * وذكر فيه خاتم النبوة وقول ابن هشام كان كاثر المحجم يعنى أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئا وفى الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود وفى صفته أيضا انه كان كالتفاحة وكزر الحجلة وفسره الترمذى تفسيرا وهم فيه فقال زر الحجلة يقال انه بيض له فتوهم الحجلة من القبج وانما هى حجلة السرير واحدة الحجال وزرها الذى يدخل فى عروتها قال على رضوان الله عليه لاهل العراق يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الاحلام ويا عقول ربات الحجال وفى حديث آخر كان كبيضة الحمامة وفى حديث عياذ بن عبد عمرو قال رأيت خاتم النبوة وكان كركبة العنز ذكره النمرى مسندا فى كتاب الاستيعاب فهذه خمس روايات فى صفة الخاتم كالتفاحة وكبيضة الحمامة وكزر الحجلة وكأثر المحجم وكركبة العنز ورواية سادسة وهى رواية عبد الله بن سرجس قال رأيت خاتم النبوة كالجمع يعنى كالمحجة لا كجمع الكف ومعناه كمعنى الاول أى كاثر الجمع وقد قيل فى الجمع انه جمع الكف قاله القتبى والله أعلم ورواية سابعة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقد سئل عن خاتم النبوة فقال بضعة ناشزة هكذا ووضع طرف السبابة فى مفصل الابهام أو دون المفصل ذكرها يونس عن ابن اسحاق وفى صفته أيضا رواية ثامنة وهى رواية من شبهه بالسلعة وذلك لنتوه وقد تقدم حديث فيه عن أبى ذر رضى الله عنه مرفوعا بيان وضع الخاتم بين كتفيه متى كان وروى الترمذى فى مصنفه قال حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الاعرج البغدادى حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح أخبرنا يونس عن أبى اسحاق عن أبى بكر ابن أبى موسى عن أبيه قال خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت فجعل يتخللهم الراهب وهم يحلون رحالهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال انكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبى وانى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه ويقال غرصوف مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هو فى رعية الابل قال أرسلوا اليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس مال فىء الشجرة عليه فقال انظروا الى فىء الشجرة مال عليه قال فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم الا يذهبوا به الى الروم فان الروم ان رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فاذا سبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال ما جاء بكم فقالوا جئنا ان هذا النبى خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه بأناس وانا قد اخترنا خيرة بعثنا الى طريقك هذا فقال هل خلفكم أحد هو خير منكم فقالوا انما اخترنا خيرة لطريقك هذا قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه وأقاموا معه قال أنشدكم بالله أيكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا رضى الله عنهما وزوده الراهب من الكعك والزيت قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ومما قاله أبو طالب فى هذه القصة

* وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته انه قال لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ ازاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فاني لأقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة ثم قال شد عليك ازارك قال فأخذته وشددته علي ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وازاري علي من بين أصحابي

﴿حرب الفجار﴾

«قال ابن هشام» فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة فيما حدثني أبو عبيدة النحوي عن أبي عمرو بن العلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكان الذي هاجها ان عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيمة للنعمان بن المنذر فقال له البراض بن قيس أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة أتجيزها على كنانة قال نعم وعلى الخلق فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي الفجار وقال البراض في ذلك

وداهية تهم الناس قبلي * شددت لها بني بكر ضلوعي
هدمت بها بيوت بني كلاب * وأرضعت الموالي بالضروع
رفعت له بذي طلال كفي * فخر يميد كالجذع الصريع

(وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب)

أبلغ ان عرضت بني كلاب * وعامر والخطوب لها موالي
وبلغ ان عرضت بني نمير * وأخوال القتيل بني هلال
بان الوافد الرحال أمسى * مقيما عند تيمن ذي طلال

وهذه الابيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام فأتى آت قريشا فقال ان البراض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ فارتحلوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبل أن يدخلوا الحرم فاقتتلوا

ألم ترني من بعد هم هممته * بفرقة حر الوالدين كرام
بأحمد لما ان شددت مطيتي * لترحل اذ ودعته بسلام
بكى حزنا والعيس قد فصلت بنا * وأمسكت بالكفين فضل زمامي
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة * تجود من العينين ذات سجام
فقلت تروح راشدا في عمومة * مواسين في البأساء غير لئام
فرحنا مع العير التي راح أهلها * شآمي الهوى والاصل غير شآمي
فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا * لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا * لنا بشراب طيب وطعام
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا * فقلنا جمعنا القوم غير غلام

ذكره ابن اسحاق في رواية يونس عنه وذكر باقي الشعر

﴿فصل﴾ وذكر ما كان الله سبحانه وتعالى يحفظه به انه كان صغيرا يلعب مع الغلمان فتعرى فلكمه لاكم الحديث وهذه القصة انما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة مع قومه اليها وكانوا يجعلون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها على عاتقه وازاره مشدود عليه فقال له العباس رضي الله عنه يا ابن أخي لو جعلت ازارك على عاتقك ففعل فسقط مغشيا عليه ثم قال ازاري ازاري فشد عليه ازاره وقام يحمل الحجارة وفي حديث آخر انه لما سقط ضمه العباس الى نفسه وسأله عن شأنه فاخبره أنه نودي من السماء أن اشدد عليك ازارك يا محمد قال وانه لاول ما نودي وحديث ابن اسحق ان صح انه كان ذلك في صغره اذ كان يلعب مع الغلمان فحمله على ان هذا الامر كان مرتين مرة في حال صغره ومرة في أول اكتهاله عند بنيان الكعبة

﴿قصة الفجار﴾

والفجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة وذلك انه كان قتالا في الشهر الحرام ففجروا فيه جميعا فسمي الفجار وكانت للعرب فجارات أربع ذكرها المسعودي آخرها فجار البراض المذكور في السيرة وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة يوم شمطة ويوم العبلاء وهما عند عكاظ ويوم الشرب وهو أعظمها يوما وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كي لا يفروا فسموا العنابس ويوم الحريرة عند نخلة ويوم الشرب انهزمت قيس الا بني نضر منهم فانهم ثبتوا وانما لم يقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أعمامه [وكان ينبل عليهم] وقد كان بلغ سن القتال لانها كانت حرب فجار وكانوا أيضا كلهم كفارا ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل الا لتكون كلمة الله هي العليا واللطيمة عير تحمل البز والعطر * وقوله بذي طلال بتشديد اللام وانما خففه لبيد في الشعر الذي ذكره ابن اسحق ههنا للضرورة

حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أنبل على أعمامى أى أرد عنهم نبل عدوهم اذا رموهم بها * قال ابن اسحق هاجت حرب الفجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وانما سمى يوم الفجار بما استحل هذان الحيان كنانة وقيس عيلان فيه المحارم بينهم وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس وكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة حتى اذا كان فى وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس « قال ابن هشام » وحديث الفجار أطول مما ذكرت وانما منعنى من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها﴾

« قال ابن هشام » فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم عن أبى عمرو المدنى * قال ابن اسحق وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم اياه بشئ تجعله لهم وكانت قريش قوما تجارا فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت اليه فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها الى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج فى مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان فاطلع الراهب الى ميسرة فقال له من هذا الرجل الذى نزل تحت

للضرورة * وقول البراض * رفعت له بذى طلال كفى * فلم يصرفه يجوز ان يكون جعله اسم بقعة فترك اجراء الاسم للتأنيث والتعريف (فان قلت) كان يجب ان يقول بذات طلال أى ذات هذا الاسم للمؤنث كما قالوا ذو عمرو أى صاحب هذا الاسم ولو كانت أنثى لقالوا ذات هند (فالجواب) ان قوله بذى يجوز ان يكون وصفا للطريق أو جانب مضاف الى طلال اسم البقعة وأحسن من هذا كله ان يكون طلال اسما مذكرا علما والاسم العلم يجوز ترك صرفه فى الشعر كثيرا وسيأتى فى هذا الكتاب من الشواهد عليه ما يدلك على كثرته فى الكلام ونؤخر القول فى كشف هذه المسئلة وايضاحها الى ان تأتى تلك الشواهد ان شاء الله و وقع فى شعر البراض مشددا و فى شعر لبيد الذى بعد هذا مخففا وقلنا ان لبيدا خففه للضرورة ولم يقل انه شدد للضرورة وان الاصل فيه التخفيف لانه فعال من الطل كانه موضع يكثر فيه الطل فطلال بالتخفيف لا معنى له وأيضا فانا وجدناه فى الكلام المنثور مشددا وكذلك تقيد فى كلام ابن اسحق هذا فى أصل الشيخ أبى بحر * وقوله فى البيت الثانى * وألحقت الموالى بالضروع * جمع ضرع هو فى معنى قولهم لئيم راضع أى ألحقت الموالى بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع وأظهرت فسالتهم وهتكت بيوت أشراف بنى كلاب وصرحائهم * وقول لبيد * بين تيمن ذى طلال * بكسر الميم و بفتحها ولم يصرفه لوزن الفعل والتعريف لانه تفعل أو تفعل من اليمن أو اليمين وكان آخر أمر الفجار ان هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاؤا للوعد وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة وكان عتبة بن ربيعة يتيما فى حجره فضن به حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعروا الا وهو على بعيره بين الصفين ينادى يا معشر مضر علام تقاتلون فقالت له هوازن ما تدعوا اليه فقال الصلح على ان ندفع اليكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا قالوا وكيف قال ندفع اليكم رهنا منا قالوا ومن لنا بهذا قال انا قالوا ومن أنت قال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضوا ورضيت كنانة ودفعوا الى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وكان يقال لم يسد من قريش مملق الا عتبة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال

﴿فصل فى تزويجه عليه السلام خديجة رضى الله عنها﴾

ذكر فيه قول الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبى يريد ما نزل تحتها هذه الساعة الا نبى ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبى لبعد العهد بالانبياء قبل ذلك وان كان فى لفظ الخبر قط فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفى والشجرة لا تعمر فى العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى انه لم ينزل تحتها الا عيسى أو غيره من الانبياء عليهم السلام و يبعد فى العادة أيضا ان تكون شجرة تخلو من ان ينزل تحتها أحد حتى يجىء نبى الا ان تصح رواية من قال فى هذا الحديث لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم عليه السلام وهى رواية عن غير ابن اسحق فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم وهذا الراهب ذكروا ان اسمه نسطورا وليس

هـذه الشجرة قال له ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم قال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبى * ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التى خرج بها واشترى ما أراد أن يشترى ثم أقبل قافلا الى مكة ومعه ميسرة فكان ميسرة فيما يزعمون اذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فاضعف أو قريبا وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من اظلال الملكين اياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك ولسلطتك فى قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه * وهى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر * وأمها فاطمة بنت زائد بن الاصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر * وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحرث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر * وأم هالة قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه عمه حمزة ابن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها «قال ابن هشام» وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة

هو بحيرا المتقدم ذكره * وقول خديجة رضى الله عنها لسطتك فى عشيرتك وقوله فى وصفها هى أوسط قريش نسبا فالسطة من الوسط مصدر كالعدة والزنة والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ولكن فى مقامين فى ذكر النسب وفى ذكر الشهادة أما النسب فلان أوسط القبيلة أعرفها وأولاها بالصميم وأبعدها عن الاطراف والوسيط وأجدر أن لا تضاف اليه الدعوة لان الآباء والامهات قد أحاطوا به من كل جانب فكان الوسط من أجل هذا مدحا فى النسب بهذا السبب وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه «قال أوسطهم» وقوله «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس» فكان هذا مدحا فى الشهادة لانها غاية العدالة فى الشاهد أن يكون وسطا كالميزان لا يميل مع أحد بل يصمم على الحق تصميما لا يجذبه هوى ولا يميل به رغبة ولا رهبة من ههنا ولا من ههنا فكان وصفه بالوسط غاية فى التزكية والتعديل وظن كثير من الناس ان معنى الاوسط الافضل على الاطلاق وقالوا معنى الصلاة الوسطى الفضلى وليس كذلك بل هو فى جميع الاوصاف لا مدح ولا ذم كما يقتضى لفظ التوسط فاذا كان وسطا فى السمن فهى بين الممخخة والعجفاء والوسط فى الجمال بين الحسناء والشوهاء الى غير ذلك من الاوصاف لا يعطى مدحا ولا ذما غير أنهم قد قالوا فى المثل أثقل من مغن وسط على الذم لان المغنى ان كان مجيدا جدا أمتع واطرب وان كان باردا جدا أضحك وألهى وذلك أيضا مما يمتع قال الجاحظ وانما الكرب الذى يجثم على القلوب ويأخذ بالانفاس الغناء الفاتر الوسط الذى لا يمتع بحسن ولا يضحك بلهو واذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أوسط الناس أى أفضلهم ولا يوصف بانه وسط فى العلم ولا فى الجود ولا فى غير ذلك الا فى النسب والشهادة كما تقدم والحمد لله والله المحمود

﴿ فصل ﴾ وذكر مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خويلد بن أسد مع عمه حمزة رضى الله عنه وذكر غير ابن اسحق ان خويلدا كان اذ ذاك قد هلك وان الذى أنكح خديجة رضى الله عنها هو عمها عمرو ابن أسد قاله المبرد وطائفة معه وقال أيضا ان أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى خطب خطبة النكاح وكان مما قاله فى تلك الخطبة ﴿أما بعد﴾ فان محمدا ممن لا يوازن به فتى من قريش الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وان كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو هو الفحل الذى لا يقدع أنفه فانكحها منه ويقال قاله ورقة بن نوفل والذى قاله المبرد هو الصحيح لما رواه الطبرى عن جبير بن مطعم وعن ابن عباس وعن عائشة رضى الله عنهم كلهم قال ان عمرو بن أسد هو الذى أنكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان خويلدا كان قد هلك قبل الفجار وخويلد بن أسد هو الذى نازع تبعا الآخر حين حج وأراد أن يحمل الركن الاسود معه الى اليمن فقام فى ذلك خويلد وقام معه جماعة ثم ان تبعا روع فى منامه ترويعا شديدا حتى ترك ذلك وانصرف عنه والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر الزهرى فى سيره وهى أول سيرة ألفت فى الاسلام كذا روى عن الدراوردى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذى كان يتجر معه فى مال خديجة هلم فلنتحدث عند خديجة

وكان

وكانت تكرمهما وتتحفهما فلما قاما من عندها جاءت امرأة مستنشئة وهى الكاهنة كذا قال الخطابى فى شرح هذا الحديث فقالت له جئت خاطبا يا محمد فقال كلا فقالت ولم فوالله ما فى قريش امرأة وان كانت خديجة الا تراك كفؤا لها فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبا لخديجة مستحييا منها وكان خويلد أبوها سكران من الخمر فلما كلم فى ذلك أنكحها فالقت عليه خديجة حلة وضمخته بخلوق فلما صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل انك أنكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فانكر ذلك ثم رضيه وأمضاه ففى هذا الحديث ان أباها كان حيا وانه الذى أنكحها كما قال ابن اسحق وقال راجز من أهل مكة فى ذلك

لا تزهدى خديج فى محمد * نجم يضىء كاضاء الفرقد

وقيل ان عمرو بن خويلد أخاها هو الذى أنكحها منه ذكره ابن اسحق فى آخر الكتاب

﴿ فصل ﴾ وذكر ولده منها صلى الله عليه وسلم فذكر البنات وذكر القاسم والطاهر والطيب وذكر ان البنين هلكوا فى الجاهلية وقال الزبير وهو أعلم بهذا الشان ولدت له القاسم وعبد الله وهو الطاهر وهو الطيب سمى بالطاهر والطيب لانه ولد بعد النبوة واسمه الذى سمى به أول هو عبد الله وبلغ القاسم المشى غير ان رضاعته لم تكن كملت وقع فى مسند الفريابى أن خديجة دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت القاسم وهى تبكى فقالت يا رسول الله درّت لبينة القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعه لهون علىّ فقال ان له مرضعا فى الجنة تستكمل رضاعته فقالت لو أعلم ذلك لهوّن علىّ فقال ان شئت أسمعتك صوته فى الجنة فقالت بل أصدّق الله ورسوله قولها لبينة هى تصغير لبنة وهى قطعة من اللبن كالعسيلة تصغير عسلة ذكر سيبويه اللبنة والعسلة والشهدة على هذا المعنى (قال المؤلف) وهذا من فقهها رضى الله عنها كرهت أن تؤمن بهذا الامر معاينة فلا يكون لها أجر التصديق والايمان بالغيب وانما أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب وهذا الحديث يدل أيضا على أن القاسم لم يهلك فى الجاهلية واختلفوا فى الصغرى والكبرى من البنات غير أن أم كلثوم لم تكن الكبرى من البنات ولا فاطمة والاصح فى فاطمة انها أصغر من أم كلثوم وخديجة بنت خويلد تسمى الطاهرة فى الجاهلية والاسلام وفى سير التيمى انها كانت تسمى سيدة نساء قريش وأن النبى صلى الله عليه وسلم حين أخبرها عن جبريل ولم تكن سمعت باسمه قط ركبت الى بحيرا الراهب واسمه سرجس فيما ذكر المسعودى فسألته عن جبريل فقال قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش انى لك بهذا الاسم فقالت بعلى وابن عمى محمد أخبرنى انه يأتيه فقال قدوس قدوس ما علم به الا نبى مقرب فانه السفير بين الله وبين أنبيائه وان الشيطان لا يجترىء ان يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه وكان بمكة غلام لعتبة بن ربيعة سيأتى ذكره اسمه عداس عنده علم من الكتاب فأرسلت اليه تسأله عن جبريل فقال قدوس قدوس انى لهذه البلاد يذكر فيها جبريل يا سيدة نساء قريش فاخبرته بما يقول النبى صلى الله عليه وسلم فقال عدّاش مثل مقالة الراهب فكان مما زادها الله تعالى به ايمانا ويقينا وذكر ابن اسحق نسب أمها فاطمة بنت زائدة بن الاصم ولم يذكر اسم الاصم وذكره الزبير وغيره فقال جندب بن هرم بن حجر بفتح الحاء والجيم من حجر كذا قيده الدارقطنى وأخوه حجير بن عبد بن معيص بن عامر وأما حجر بسكون الجيم ففى حىّ ذى رعين واليه ينسب الحجريون وأما حجر بكسر الحاء ففى بنى الديان عبد الحجر بن عبد المدان وهم من بنى الحرث بن كعب بن مذحج وذكر يونس عن ابن اسحق نسب أم خديجة كما ذكر فى رواية ابن هشام وزاد فقال كانت أم فاطمة بنت زائدة هالة بنت عبد مناف بن الحرث بن عبد بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى وأمها قلابة وهى العرقة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى

وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضى الله عنها * قال ابن اسحق فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم الا ابراهيم * القاسم وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم والطاهر والطيب وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهم السلام «قال ابن هشام» أكبر بنيه القاسم ثم الطيب ثم الطاهر وأكبر بناته رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة * قال ابن اسحق فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا فى الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الاسلام فاسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم

وأمها أميمة بنت عامر بن الحرث بن فهر وكانت خديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبى هالة وهو هند بن زرارة وقد قيل فى اسمه زرارة وهند ابنه ابن النباش من بنى عدى بن جروة بن أسيد بن عمرو ابن تميم فهو اسيدى بالتخفيف منسوب الى أسيد بالتشديد كذا قال سيبويه فى النسب الى أسيد وعدى بن جروة يقال ان الزبير صحفه وانما هو عذى بن جروة وكانت قبل أبى هالة عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم ولدت له عبد مناف بن عتيق كذا قال ابن أبى خيثمة وقال الزبير ولدت لعتيق جارية اسمها هند وولدت لهند أبى هالة ابنا اسمه هند أيضا مات بالطاعون طاعون البصرة وكان قد مات فى ذلك اليوم نحو من سبعين ألفا فشغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهند بن هنداه واربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تبق جنازة الا تركت واحتملت جنازته على أطراف الاصابع اعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الدولابى ولخديجة من ابى هالة ابنان غير هذا اسم أحدهما الطاهر واسم الآخر هالة واختلف فى سنه صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة فقيل ما قاله ابن اسحق وقيل كان ابن ثلاثين سنة وقيل ابن احدى وعشرين سنة

﴿ فصل ﴾ وذكر أن خديجة رضى الله عنها ولدت للنبى صلى الله عليه وسلم ولده كلهم الا ابراهيم فانه من مارية التى أهداها اليه المقوقس وقد تقدم اسم المقوقس وانه جريج بن ميناوذكرنا معنى المقوقس فى أول الكتاب وذكرنا انه أهدى مارية مع حاطب بن أبى بلتعة ومع جبر مولى أبى رهم الغفارى واسم أبى رهم كلثوم ابن الحصين وذلك حين أرسلهما اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وأهدى معها أختها سيرين وهى التى وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضى الله عنه فاولدها عبد الرحمن ابن حسان وأهدى معها المقوقس أيضا غلاما خصيا اسمه مابور وبغلة تسمى دلدل وقدحا من قوارير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه وتوفيت مارية رضى الله عنها سنة ست عشرة فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان عمر هو الذى يحشر الناس الى جنازتها بنفسه وهى مارية بنت شمعون القبطية من كورة حفن * وأما ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات وهو ابن ثمانية عشر شهرا فى سنة عشر من الهجرة فى اليوم الذى كسفت فيه الشمس وكانت قابلته سلمى امرأة أبى رافع وأرضعته أم بردة بنت المنذر النجارية امرأة البراء بن أوس وسلمى هى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقابلة بنى فاطمة كلهم وهى غسلتها مع أسماء بنت عميس الخثعمية وغسلها معهما على بن أبى طالب كرم الله وجهه وفى المسند من طريق أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولدت له مارية ابنه ابراهيم وقع فى نفسه منه شىء حتى نزل جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا أبا ابراهيم

﴿ فصل ﴾ وذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وأم ورقة هند بنت أبى كبير بن عبد بن قصى ولا عقب له وهو أحد من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل البعث وروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيته فى المنام وعليه ثياب بيض ولو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض وهو حديث فى اسناده ضعف لانه يدور على عثمان بن عبد الرحمن ولكن يقويه ما يأتى بعد هذا من قوله عليه السلام رأيت القس يعنى ورقة وعليه ثياب حرير لانه أول من آمن بى وصدقنى وسيأتى بقية من خبره فيما بعد ان شاء الله وقد ألفيت للحديث الذى خرجه الترمذى فى ورقة اسنادا جيدا غير الذى ذكره الترمذى وهو ما رواه الزبير بن أبى بكر عن عبد الله بن معاذ الصنعانى عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال لقد رأيته فى المنام عليه ثياب بيض فقد

«قال ابن هشام» وأما ابراهيم فامه مارية «قال ابن هشام» حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة قال أم ابراهيم مارية سرية النبى صلى الله عليه وسلم التى أهداها اليه المقوقس من حفن من كورة انصنا * قال ابن اسحق وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان يرى منه اذ كان الملكان يظلانه فقال ورقة لئن كان هذا حقا ياخديجة ان محمدا لنبى هذه الامة وقد عرفت أنه كائن لهذه الامة نبى ينتظر هذا زمانه أو كما قال فجعل ورقة يستبطىء الامر ويقول حتى متى فقال ورقة فى ذلك

لججت وكنت فى الذكرى لجوجا
لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف
فقد طال انتظارى ياخديجا

أظن ان لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض وكان يذكر الله فى شعره فى الجاهلية و يسبحه وهو الذى يقول

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدن الها غير خالقكم * فان دعوكم فقولوا بيننا جدد
سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له * وقبلنا سبح الجودى والجمد
مسخر كل ماتحت السماء له * لا ينبغى أن يناوى ملكه أحد
لاشىء مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله و يودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجرى الرياح به * والانس والجن فيما بينها مرد
أين الملوك التى كانت لعزتها * من كل أوب اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب * لابد من ورده يوما كما وردوا

نسبه أبو الفرج الى ورقة وفيه أبيات تنسب الى أمية بن ابى الصلت ومن قوله فيما خبرته به خديجة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ياللرجال لصرف الدهر والقدر * وما لشىء قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعونى لاخبرها * أمرا أراه سيأتى الناس من أخر
فخبرتنى بامر قد سمعت به * فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بان احمد ياتيه فيخبره * جبريل انك مبعوث الى البشر
فقلت علّ الذى ترجين ينجزه * لك الاله فرجى الخير وانتظرى
وأرسليه الينا كى نسائله * عن أمره مايرى فى النوم والسهر
فقال حين أتانا منطقا عجبا * يقف منه أعالى الجلد والشعر
انى رأيت أمين الله واجهنى * فى صورة أكملت فى أهيب الصور
ثم استمر فكان الخوف يذعرنى * مما يسلم من حولى من الشجر
فقلت ظنى وما أدرى أيصدقنى * أن سوف تبعث تتلو منزل السور
وسوف أبليك ان أعلنت دعوتهم * من الجهاد بلا منّ ولا كدر

﴿ فصل ﴾ وفى شعر ورقة

ببطن المكتين على رجائى * حديثك أن أرى منه خروجا

ثنى مكة وهى واحدة لان لها بطاحا وظواهر وقد ذكرنا من أهل البطاح ومن أهل الظواهر فيما قبل على أن للعرب مذهبا فى أشعارها فى تثنية البقعة الواحدة وجمعها نحو قوله * وميت بغزات * يريد بغزة و بغادين فى بغدان وأما التثنية فكثير نحو قوله

بالرقمتين له أجر واعرأس * والحمتين سقاك الله من دار

وقول زهير * ودارلها بالرقمتين * وقول ورقة من هذا ببطن المكتين لا معنى لادخال الظواهر تحت هذا اللفظ وقد أضاف اليها البطن كما أضافه المبرق حين قال * ببطن مكة مقهور ومفتون * وانما مقصد العرب فى هذا الاشارة الى جانبي كل بلدة أو الاشارة الى أعلى البلدة وأسفلها فيجعلونها اثنين على هذا المغزى وقد قالوا صدنا بقنوين وهو قنا اسم جبل وقال عنترة * شربت بماء الدحرضين * ومن هذا الباب فى أصح

ببطن المكتين على رجائى
حديثك ان أرى منه
خروجا
بما خبرتنا من قول قس
من الرهبان أكره أن يعوجا
بان محمدا سيسود فينا *
و يخصم من يكون له حجيجا

القولين وقال عنترة أيضا * بعنيزتين وأهلنا بالعيلم * وعنيزة اسم موضع وقال الفرزدق * عشية سال المربدان كلاهما * وانما هو مربد البصرة وقولهم * تسألني برامتين سلجما * وانما هو رامة وهذا كثير وأحسن ما تكون هذه التثنية اذا كانت فى ذكر جنة وبستان فتسميها جنتين فى فصيح الكلام اشعارا بأن لها وجهين وانك اذا دخلتها ونظرت اليها يمينا وشمالا رأيت من كلتى الناحيتين ما يملأ عينيك قرة وصدرك مسرة وفى التنزيل «عن يمين وشمال» الى قوله سبحانه «وبدلناهم بجنتيهم جنتين» وفيه «جعلنا لاحدهما جنتين» الآية وفى آخرها «ودخل جنته» فافرد بعد ما ثنى وهى هى وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه «ولمن خاف مقام ربه جنتان» والقول فى هذه الآية يتسع والله المستعان

﴿ فصل ﴾ وقال فى هذا الشعر * ويظهر فى البلاد ضياء نور * هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء وان الضياء هو المنتشر عن النور وأن النور هو الاصل للضوء ومنه مبدؤه وعنه يصدر وفى التنزيل «فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم» وفيه «جعل الشمس ضياء والقمر نورا» لان نور القمر لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس لا سيما فى طرفى الشهر وفى الصحيح الصلاة نور والصبر ضياء وذلك أن الصلاة هى عمود الاسلام وهى ذكر وقرآن وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر فالصبر عن المنكرات والصبر على الطاعات هو الضياء الصادر عن هذا النور الذى هو القرآن والذكر وفى أسماء البارى سبحانه «الله نور السموات والارض» ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه سبحانه وقد أمليت فى غير هذا الكتاب من معنى نور السموات والارض ما فيه شفاء والحمد لله

﴿ فصل ﴾ وفى شعر ورقة * فياليتى اذا ما كان ذاكم * بحذف نون الوقاية وحذفها مع ليت ردىء وهو فى لعل أحسن منه لقرب مخرج اللام من النون حتى لقد قالوا لعل ولعن ولان بمعنى واحد ولا سيما وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفض بلعل وهذا يؤكد حذف النون من لعلنى وأحسن ما يكون حذف هذه النون فى ان وان ولكن وكان لاجتماع النونات وحسنه فى لعل أيضا كثرة حروف الكلمة وفى التنزيل «لعلى أرجع الى الناس» بغير نون ومجىء هذه الياء فى ليتى بغير نون مع ان ليت ناصبة يدلك على أن الاسم المضمر فى ضربنى هو الياء دون النون كما هو فى ضربك وضربه حرف واحد وهو الكاف ولو كان الاسم هو النون مع الياء كما قالوا فى المخفوض منى وعنى بنونين نون من ونون أخرى مع الياء فاذا الياء وحدها هى الاسم فى حال الخفض وفى حال النصب

﴿ فصل ﴾ وفيه * حديثك ان أرى منه خروجا * قوله منه الهاء راجعة على الحديث وحرف الجر متعلق بالخروج وان كره النحويون ذلك لان ما كان من صلة المصدر عندهم فلا يتقدم عليه لان المصدر مقدر بان والفعل فما يعمل فيه هو من صلة أن فلا يتقدم فمن أطلق القول فى هذا الاصل ولم يخصص مصدرا من مصدر فقد أخطأ المفصل وتاه فى تضلل ففى التنزيل «أكان للناس عجبا أن أوحينا» ومعناه أكان عجبا للناس أن أوحينا ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب لانها ليست فى موضع صفة ولا موضع حال لعدم العامل فيها وفيه أيضا «لا يبغون عنها حولا . ولم يجدوا عنها مصرفا» وفيه أيضا «لوليت منهم فرارا» وتقول لى فيك رغبة ومالى عنك معول فيحسن كل هذا بلا خلاف وقد أجاز ابن السراج [أبو بكر] والمبرد أيضا فى ضربا زيدا اذا أردت الامر أن تقدم المفعول المنصوب بالمصدر وقال لان ضربا هاهنا فى معنى اضرب فقد خصص لك ضربا من المصادر بجواز تقديم معمولها عليها فان كان المصدر غير أمر وكان نكرة لم يتقدم المفعول خاصة عليه بخلاف المجرور والظرف فالواجب اذا ربط هذا الباب وتفصيله فنقول كل مصدر نكرة غير مضاف الى ما بعده يجوز

ويظهر فى البلاد ضياء نور
يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحارب خسارا *
ويلقى من يسالمه فلوجا
فياليتى اذا ما كان ذاكم *
شهدت وكنت أكثرهم
ولوجا
ولوجا فى الذى كرهت
قريش
ولو عجت بمكتها عجيجا
أرجى بالذى كرهوا جميعا
الى ذى العرش ان سفلوا
عروجا
وهل أمر السفالة غير كفر *
بمن يختار من سمك البروجا
فان يبقوا وأبق يكن أمور *
يضج الكافرون لها ضجيجا
وان أهلك فكل فتى سيلقى *
من الاقدار متلفة خروجا

تقديم معموله عليه الا المفعول لان المصدر النكرة لا يتقدر بأن والفعل لانك ان قدرته بان والفعل بقى الفعل بلا فاعل وما كان مضافا الى ما بعده فالمضاف اليه فاعل فى المعنى أو مفعول فلذلك يصير المصدر مقدراً بأن والفعل فقف على هذا الاصل فمنه حسن قول ورقة ان أرى منه خر وجا لأى أرى خر وجامنه وكذلك لو ذكر الدخول فقال أرى فيه دخولا يريد دخولا فيه لكان حسنا وتقول اللهم اجعل من أمرنا فرجا ومخرجا فمن أمرنا متعلق بما بعده وهو مصدر ولا خفاء فى حسن هذا التقديم لما ذكرناه ومن قول ورقة بن نوفل فى معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن اسحق

أتبكر أم أنت العشية رائح * وفى الصدر من اضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم * كانك عنهم بعد يومين نازح
وأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فتاك التى وجهت ياخير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى فى الركاب التى غدت * وهن من الاحمال قعص دوالح
نخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله أحمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظنى به أن سوف يبعث صادقا * كما أرسل العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حيا لؤى جماعة * شبابهم والاشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس دهره * فانى به مستبشر الود فارح
والا فانى ياخديجة فاعلمى * عن أرضك فى الارض العريضة سائح

﴿ بنيان الكعبة ﴾

فى خبرها انها كانت رضما فوق القامة * الرضم أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط كما قال

رزئتهم فى ساعة جرعتهم * كؤس المنايا تحت صخر مرضم

وقوله فوق القامة كلام غير مبين لمقدار ارتفاعها اذ ذاك * وذكر غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد اسمعيل ولم يكن لها سقف فلما بنتها قريش قبل الاسلام زادوا فيها تسع أذرع فكانت ثمان عشرة ذراعا ورفعوا بابها عن الارض فكان لا يصعد اليها الا فى درج أو سلم وقد ذكرنا أول من عمل لها غلقا وهو تبع ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا وعلى ذلك هى الآن وكان بناؤها فى الدهر خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانية حين بناها ابراهيم على القواعد الاولى والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة أعوام والرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبى قبيس فوقعت فى أستارها فاحترقت وقيل ان امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شرارة من المجمر فى أستارها فاحترقت فشاور ابن الزبير فى هدمها من حضره فهابوا هدمها وقالوا نرى أن تصلح ما وهى ولا تهدم فقال لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له الا باكمل صلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها فهدمها حتى أفضى الى قواعد ابراهيم فامرهم أن يزيدوا فى الحفر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارا وهولا أفزعهم فامرهم ان يقروا القواعد وان يبنوا من حيث انتهى الحفر وفى الخبر انه سترها حين وصل الى القواعد فطاف الناس بتلك الاستار فلم تخل قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب واشتغل الناس فلم ير

﴿ حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش فى وضع الحجر ﴾

* قال ابن اسحق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها وانما كانت رضما فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها

طائف يطوف بالكعبة الاجمل يطوف بها فلما استتم بنيانها الصق بابها بالارض وعمل لها خلفا أى بابا آخر من ورائها وأدخل الحجر فيها وذلك لحديث حدثته به خالته عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ألم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم حين عجزت بهم النفقة ثم قال عليه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفا وألصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر أو كما قال عليه السلام قال ابن الزبير فليس بنا اليوم عجز عن النفقة فبناها على مقتضى حديث عائشة فلما قام عبد الملك بن مروان قال لسنا من تخليط أبى خبيب بشىء فهدمها وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من بنيانها جاءه الحارث بن أبى ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمر بن أبى ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر فحدثاه عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث المتقدم فندم وجعل ينكت فى الارض بمخصرة فى يده ويقول وددت انى تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك فهذه المرة الخامسة فلما قام أبو جعفر المنصور وأراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور فى ذلك فقال مالك بن أنس أنشدك الله يا أمير المؤمنين وأن تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشاء أحدهم أن يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه فيه وقد قيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لان السيل كان قد صدع حائطه ولم يكن ذلك بنيانا على نحو ما قدمنا انما كان اصلاحا لما وهى منه وجداراً بنى بينه وبين السيل بناه عامر الجارود وقد تقدم هذا الخبر وكانت الكعبة قبل أن يبنيها شيث عليه السلام خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم ويأنس اليها لانها أنزلت اليه من الجنة وكان قد حج الى موضعها من الهند وقد قيل ان آدم هو أول من بناها ذكره ابن اسحق فى غير رواية البكائى وفى الخبر ان موضعها كان غثاءة على الماء قبل أن يخلق الله السموات والارض فلما بدأ الله بخلق الاشياء خلق التربة قبل السماء فلما خلق السماء وقضاهن سبع سموات دحى الارض أى بسطها وذلك قوله سبحانه «والارض بعد ذلك دحاها» وانما دحاها من تحت مكة ولذلك سميت أم القرى وفى التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والارض «ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين» لم يجبه بهذه المقالة من الارض الا أرض الحرم فلذلك حرمها وفى الحديث ان الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والارض فصارت حرمتها كحرمة المؤمن لان المؤمن انما حرم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه وأرض الحرم لما قالت أتينا طائعين حرم صيدها وشجرها وخلاها الا الاذخر فلا حرمة الا لذى طاعة جعلنا الله ممن أطاعه وروى فى سبب بنيان البيت خبر آخر وليس بمعارض لما تقدم وذلك ان الله سبحانه لما قال للملائكته «انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها» الآية خافوا أن يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم فى علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون اليه فامرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة وأن يجعلوا طوافهم به فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ثم أمرهم أن يبنوا فى كل سماء بيتا وفى كل أرض بيتا قال مجاهد هى أربعة عشر بيتا كل بيت منها منا صاحبه أى فى مقابلته لو سقطت لسقط بعضها على بعض وروى أيضا ان الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الارض الى منتهاها وقذفت فيها حجارة أمثال الابل فتلك القواعد من البيت التى رفع ابراهيم واسمعيل فلما جاء الطوفان رفعت وأودع الحجر الاسود أبا قبيس * وذكر ابن هشام ان الماء لم يعلها حين الطوفان ولكنه قام حولها وبقيت فى هواء الى السماء وان نوحا قال لاهل السفينة وهى تطوف بالبيت انكم فى حرم الله وحول بيته فاحرموا لله ولا يمس أحد امرأة وجعل بينهم وبين السماء حاجزا فتعدى حام فدعا عليه نوح أن يسود لون بنيه فاسود كوش بن حام

ونسله الى يوم القيامة وقد قيل فى سبب دعوة نوح على حام غير هذا والله أعلم * وذكر فى الخبر عن ابن عباس قال اول من عاذ بالكعبة حوت صغير خاف من حوت كبير فعاذ منه بالبيت وذلك أيام الطوفان ذكره يحيي بن سلام فلما نضب ماء الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة وحج اليه هود وصالح ومن آمن معهما وهو كذلك ويذكر أن يعرب قال لهود عليه السلام ألا تبنيه قال انما يبنيه نبي كريم يأتى من بعدى يتخذه الرحمن خليلا فلما بعث الله ابراهيم وشب اسمعيل بمكة أمر ابراهيم ببناء الكعبة فدلته عليه السكينة وظللت له على موضع البيت فكانت عليه كالجحفة وذلك أن السكينة من شأن الصلاة فجعلت علما على قبلتها حكمة من الله سبحانه وبناه عليه السلام من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها وهى طور تينا وطور زيتا اللذين بالشام والجودى وهو بالجزيرة ولبنان وحراء وهما بالحرم كل هذا جمعناه من آثار مروية وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أجبل فشاكل ذلك معناها اذ هى قبلة للصلاة الخمس وعمود الاسلام وقد بنى على خمس وكيف دلت عليه السكينة اذ هو قبلة للصلاة والسكينة من شأن الصلاة قال عليه السلام وأتوها وعليكم السكينة فلما بلغ ابراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الاسود من جوف أبى قبيس وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل الحجر الاسود من الجنة أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم وروى الترمذى أيضا من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعا ان الركن الاسود والركن اليمانى ياقوتتان من الجنة ولولا ما طمس من نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب وفى رواية غيره لابرأ من استلمهما من الخرس والجذام والبرص وروى غير الترمذى من طريق على رحمه الله أن العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره ألا يشركوا به شيئا كتبه فى صك والقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم له ايمانا بك ووفاء بعهدك وذكر هذا الخبر الزبير وزاد فيه ان الله سبحانه أجرى نهرا أطيب من اللبن وألين من الزبد فاستمد منه القلم الذى كتب العهد قال وكان ابو قبيس يسمى الامين لان الركن كان مودعا فيه وانه نادى ابراهيم حين بلغ بالبنيان الى موضع الركن فاخبره ان الركن فيه ودله على موضعه منه وانتبه من ههنا الى الحكمة فى أن سودته خطايا بنى آدم دون غيره من حجارة الكعبة وأستارها وذلك ان العهد الذى فيه هى الفطرة التى فطر الناس عليها من توحيد الله فكل مولود يولد على تلك الفطرة وعلى ذلك الميثاق فلولا ان أبويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه حتى يسود قلبه بالشرك لما حال عن العهد فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق فتناسبا فاسود من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما كان ولد عليه من ذلك العهد واسود الحجر بعد ابيضاضه وكانت الخطايا سببا فى ذلك حكمة من الله سبحانه فهذا ما ذكر فى بنيان الكعبة ملخصا منه ما ذكر الماوردى ومنه ما ذكره الطبرى ومنه ما وقع فى كتاب التمهيد لابى عمر ونبذ أخذتها من كتاب فضائل مكة لرزين بن معاوية ومن كتاب أبى الوليد الازرقى فى أخبار مكة ومن أحاديث فى المسندات المروية وسنورد فى باقى الحديث بعض ما بلغنا فى ذلك مستعينين بالله وأما الركن اليمانى فسمى باليمانى فيما ذكر القتبى لان رجلا من اليمن بناه اسمه أبى بن سالم وأنشد

لنا الركن من بيت الحرام وراثة * بقية ما أبقى أبى بن سالم

وأما المسجد الحرام فاول من بناه عمر بن الخطاب وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة والصقوا دورهم بها فقال عمر ان الكعبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء وانكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم كان عثمان فاشترى دورا أخرى واغلى فى ثمنها وزاد فى سعة المسجد

وذلك ان نفرا سرقوا كنزا للكعبة وأنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة وكان الذى وجد عنده الكنز دويكا مولى لبنى مليح بن عمرو من خزاعة (قال ابن هشام) فقطعت قريش يده وتزعم قريش ان الذين سرقوه وضعوه عند دويك وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قبطى نجار فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى (١٣٠) كانت يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتتشرق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك انه كان لا يدنو منها أحد الا احزألت وكشت وفتحت فاها وكانوا يهابونها فبينا هى ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله اليها طائرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش انا لنرجوا ان يكون الله قد رضى ما اردنا عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية فلما اجمعوا امرهم فى هدمها وبنائها قام ابو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عبد بن عمران بن مخزوم « قال ابن هشام » عائذ ابن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم * قال ابن اسحق وقد حدثنى عبد الله بن ابى نجيح المكى انه حدث عن عبد الله بن صفوان بن امية بن خلف بن وهب بن اسحق

حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى انه رأى ابنا لجعدة بن هبيرة بن ابى وهب بن عمرو يطوف بالبيت فسأل عنه فقيل هذا ابن لجعدة بن هبيرة فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك جد هذا يعنى ابا وهب الذى اخذ حجرا من الكعبة حين اجتمعت قريش لهدمها فوثب من يديه حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا

فلما كان ابن الزبير زاد فى اتقانه لا فى سعته وجعل فيه عمدا من الرخام وزاد فى أبوابه وحسنها فلما كان عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد وحمل اليه السوارى فى البحر الى جدة واحتملت من جدة على العجل الى مكة وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباج وقد كنا قدمنا ان ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج ذكره الزبير بن بكار وذكرنا أيضا ان خالد بن جعفر بن كلاب ممن كساها الديباج قبل الاسلام ثم كان الوليد بن عبد الملك فزاد فى حليها وصرف فى ميزابها وسقفها ما كان فى مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام من ذهب وفضة وكانت قد احتملت اليه من طليطلة من جزيرة الاندلس وكانت لها اطواق من ياقوت وزبرجد وكانت قد احتملت على بغل قوى فتفسخ تحتها فضرب منها الوليد حلية للكعبة فلما كان ابو جعفر المنصور وابنه محمد المهدى زادا ايضا فى اتقان المسجد وتحسين هيئته ولم يحدث فيه بعد ذلك عمل الى الآن وفى اشتراء عمر وعثمان الدور التى زادا فيها دليل على أن رباع اهل مكة ملك لاهلها يتصرفون فيها بالبيع والشراء اذا شاءوا وفى ذلك اختلاف

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق دويكا الذى سرق كنز الكعبة وقد تقدم أن سارقا سرق من مالها فى زمن جرهم وانه دخل البئر التى فيها كنزها فسقط عليه حجر فحبسه فيها حتى اخرج منها وانتزع المال منه ثم بعث الله حية لها رأس كراس الجدى بيضاء البطن سوداء المتن فكانت فى بئر الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين وهى التى ذكرها ابن اسحق وكان لا يدنوا احد من بئر الكعبة الا احزألت اى رفعت ذنبها وكشت أى صوتت * وذكر ابن اسحق ان سفينة رماها البحر الى جدة فتحطمت وذكر غيره عن ابن منبه ان سفينة خجتها الريح الى الشعيبة وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة والشعيبة بضم الشين ذكره البكرى وفسر الخطابى خجتها اى دفعتها بقوة من الريح الخجوج اى الدفوع قال ابن اسحق وكان بمكة نجار قبطى وذكر غيره انه كان علجا فى السفينة التى خجتها الريح الى الشعيبة وان اسم ذلك النجار باقوم وكذلك روى ايضا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرفاء الغابة ولعله أن يكون هذا فالله اعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر العقاب أو الطائر الذى اختطف الحية من بئر الكعبة وقال غيره طرحها الطائر بالحجون فالتقمتها الارض وقال محمد بن الحسن المقرى هذا القول ثم قال وهى الدابة التى تكلم الناس قبل يوم القيامة واسمها أقصى فيما ذكر ومحمد بن الحسن المقرى هو النقاش وهو من أهل العلم والله اعلم بصحة ما قال غير انه قد روى فى حديث آخر ان موسى عليه السلام سأل ربه ان يريه الدابة التى تكلم الناس فاخرجها له من الارض فرأى منظرا هاله وأفزعه فقال أى رب ردها فردها * وذكر ابن اسحق حديث الحجر الذى أخذ من الكعبة فوثب من يد آخذه حتى عاد الى موضعه وقال غيره ضربوا بالمعول فى حجر من أحجارها فلمعت برقة كادت تخطف أبصارهم وأخذ رجل منهم حجرا فطار من يده وعاد الى موضعه * وذكر ابن

لاتدخلوا فيـه مهر بغى ولابيع ربا ولامظلمة احد من الناس * قال ابن اسحق وابو وهب خال ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شريفا وله يقول شاعر من العرب

ولو بابى وهب انخت مطيتى * غدت من نداه رحلها غير خائب
بأبيض من فرعى لؤى بن غالب * اذا حصلت أنسابها فى الذوائب
أبى لأخذ الضيم يرتاح للندى * توسط جداه فروع الاطايب
عظيم رماد القدر يملأ جفانه * من الخبز يعلوهن مثل السبائب

ثم ان قريشا تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبنى عبد مناف و زهرة وكان ما بين الركن الاسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وسهم ابنى عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وكان شق الحجر لبنى عبد الدار بن قصى ولبنى أسد بن العزى بن قصى ولبنى عدى بن كعب بن لؤى وهو الحطيم ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدؤكم فى هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع «قال ابن هشام» ويقال لم نزغ اللهم انا لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شىء فقد رضى الله صنعنا فهدمنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة آخذ بعضها بعضا * قال ابن اسحق فحدثنى بعض من يروى الحديث أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر تنقضت مكة باسرها فانتهوا عن ذلك الاساس * قال ابن اسحق وحدثت ان قريشا وجدوا فى الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ماهو حتى قرأه لهم رجل من يهود فاذا هو أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها مبارك لاهلها فى الماء واللبن «قال ابن هشام» أخشباها جبلاها * قال ابن اسحق وحدثت انهم وجدوا فى المقام كتابا فيه مكة الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل لا يحلها أول من أهلها * قال ابن اسحق و زعم ليث بن أبى سليم انهم وجدوا حجرا فى الكعبة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة ان كان ماذكر حقا مكتوبا فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيئات وتجزون الحسنات أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب * قال ابن اسحق ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم و بنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى

اسحق قولهم اللهم لم ترع وهى كلمة تقال عند تسكين الروع والتأنيس واظهار اللين والبر فى القول ولا روع فى هذا الموطن فينفى ولكن الكلمة تقتضى اظهار قصد البر فلذلك تكلموا بها وعلى هذا يجوز التكلم بها فى الاسلام وان كان فيها ذكر الروع الذى هو محال فى حق البارى تعالى ولكن لما كان المقصود ماذكرنا جاز النطق بها وسيأتى فى هذا الكتاب ان شاء الله زيادة بيان عند قوله فاغفر فداء لك ما اقتفينا * ويروى أيضا اللهم لم ترغ وهو جلى لا يشكل * وذكر قولهم لاتدخلوا فى هذا البيت مهر بغى وهى الزانية وهى فعول من البغاء فاندغمت الواو فى الياء ولا يجوز عندهم أن يكون على وزن فعيل لان فعيلا بمعنى فاعل يكون بالهاء فى المؤنث كرحيمة وكريمة وانما يكون بغيرهاء اذا كان فى معنى مفعول نحو امرأة جريح وقتيل * وقوله ولا بيع ربا يدل على ان الربا كان محرما عليهم فى الجاهلية كما كان الظلم والبغاء وهو الزنا محرما عليهم يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع ابراهيم عليه السلام كما كان بقى فيهم الحج والعمرة وشىء من أحكام الطلاق والعتق وغير ذلك وفى قوله سبحانه «وأحل الله البيع وحرم الربا» دليل على تقدم التحريم

﴿ فصل ﴾ وذكر الحجر الذى وجد مكتوبا فى الكعبة وفيه أنا الله ذو بكة الحديث روى معمر بن راشد فى الجامع عن الزهرى أنه قال بلغنى ان قريشا حين بنوا الكعبة وجدوا فيها حجرا وفيه ثلاثة صفوح فى الصفح الاول أنا الله ذو بكة صغتها يوم صغت الشمس والقمر الى آخر كلام ابن اسحق وفى الصفح الثانى أنا الله ذو بكة خلقت الرحم واشتققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتتته وفى الصفح الثالث أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وفى حديث ابن اسحق لا يحلها أول من أهلها يريد والله أعلم ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير وحصين بن نمير ثم الحجاج بعده ولذلك قال ابن ابى ربيعة

ألا من لقلب معنى غزل * بحب المحلة اخت المحل

يعنى بالمحل عبد الله بن الزبير لقتاله فى الحرم

﴿ فصل ﴾ وذكر اختلافهم فى وضع الركن وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى وضعه بيده

تلك الجفنة فسموا لعقة الدم فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم انهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلها قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فاتى به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحى الامين فلما فرغوا من البنيان و بنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

عجبت لما تصوبت العقاب * الى الثعبان وهى لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش * وأحيانا يكون لها وثاب
اذا قمنا الى التأسيس شدت
تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت *
عقاب تتلئب لها انصباب
فضمتها اليها ثم خلت *
لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين الى بناء *
لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه *
وليس على مسوينا ثياب
أعز به المليك بنى لؤى *
فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدى
ومرة قد تقدمها كلاب
فبوأنا المليك بذاك عزا *
وعند الله يلتمس الثواب

« قال ابن هشام » ويروى على مساوينا ثياب وكانت الكعبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة ذراعا وكانت تكسى القباطى ثم كسيت البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف

الزبد

﴿ حديث الحمس ﴾

* قال ابن اسحق وقد كانت قريش لاأدرى قبل الفيل أو بعده ابتدعت رأى الحمس رأيا رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمة و ولاة البيت وقطان مكة وساكنها فليس لاحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون و يقرون أنها من المشاعر والحج ودين ابراهيم صلى الله عليه وسلم و يرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها الا أنهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس والحمس أهل الحرم ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم و يحرم عليهم ما يحرم عليهم وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك

وذكر غيره ان ابليس كان معهم فى صورة شيخ نجدى وانه صاح باعلا صوته يا معشر قريش أرضيتم ان يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوى أسنانكم فكاد يثير شرا فيما بينهم ثم سكنوا ذلك . واما وضع الركن حين بنيت الكعبة فى ايام ابن الزبير فوضعه فى الموضع الذى هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير وابوه يصلى بالناس فى المسجد اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس فى ذلك وخاف الخلاف فاقره ابوه ذكر ذلك الزبير بن ابى بكر * وذكر ابن اسحق ايضاً انهم افضوا الى قواعد البيت واذا هى خضر كالاسنة هكذا تقيد فى نسخة الشيخ و فى غيرها من النسخ و وقع فى نسخة صحيحة كالاسنمة وليست هذه رواية السيرة اعا الصحيح فى الكتاب كالاسنة وهو وهم من بعض النقلة عن ابن اسحق والله اعلم فانه لا يوجد فى غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدى ولا غيره وقد ذكر البخارى فى بنيان الكعبة هذا الخبر فقال فيه عن يزيد بن رومان فنظرت اليها فاذا هى كاسنمة الابل وتشبيهها بالاسنة لا يشبه الا فى الزرقة وتشبيهها باسنمة الابل أولى لعظمها ولما تقدم فى حديث بنيان الملائكة لها قبل هذا

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب * عجبت لما تصوبت العقاب * الى قوله * تتلئب لها انصباب * قوله تتلئب يقال اتلأب على طريقه اذا لم يعرج يمنة ولا يسرة وكانه منحوت من أصلين كما تقدم فى مثل هذا من تلا اذا تبع وألب اذا أقام وأب ايضا قريب من هذا المعنى يقال أب ابابة من كتاب العين اذا استقام وتهيا فكانه مقيم مستمر على ما يتلوه و يتبعه مما هو بسبيله والاسم من اتلأب التلأبيبة على وزن الطمأنينة والقشعريرة قاله أبو عبيد * وقوله * وليس على مسوينا ثياب أى مسوى البنيان * وهو فى معنى الحديث الصحيح فى نقلانهم الحجارة الى الكعبة انهم كانوا ينقلونها عراة و يرون ذلك دينا وانه من باب التشمير والجد فى الطاعة * وقول ابن هشام و يروى مساوينا يريد السوآت فهو جمع مساءة مفعلة من السوءة والاصل مساوى فسهلت الهمزة

﴿ فصل ﴾ وذكر الحمس وما ابتدعته قريش فى ذلك والتحمس التشدد وكانوا قد ذهبوا فى ذلك مذهب التزهد والتأله فكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر وكانوا لا يسلؤون السمن وسلؤ السمن ان يطبخ

« قال ابن هشام » وحدثنى أبو عبيدة النحوى ان بنى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك وأنشدنى لعمرو بن معديكرب أعباس لو كانت شيارا جيادنا * بتثليث ما ناصيت بعدى الاحامسا (قال ابن هشام) تثليث موضع من بلادهم والشيار الحسان يعنى بالاحامس بنى عامر بن صعصعة وعباس عباس بن مرداس السلمى وكان أغار على بنى زبيد بتثليث وهذا البيت فى قصيدة لعمرو وأنشدنى للقيط بن زرارة الدارمى فى يوم جبلة أجذم اليك انها بنو عبس * المعشر الجلة فى القوم الحمس لان بنى عبس كانوا يوم جبلة حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة ويوم جبلة يوم كان بين بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبين بنى عامر بن صعصعة فكان الظفر فيه لبنى عامر بن صعصعة على بنى حنظلة وقتل يومئذ لقيط بن زرارة بن عدس وأسر حاجب بن زرارة بن عدس وانهزم عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة ففيه يقول جرير للفرزدق كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذ دعوا يالدارم وهذا البيت فى قصيدة له ثم التقوا يوم ذى نجب فكان الظفر لحنظلة على بنى عامر وقتل يومئذ حسان بن معاوية الكندى وهو أبو كبشة وأسر يزيد بن الصعق الكلابى وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب أبو عامر بن الطفيل ففيه يقول الفرزدق ومنهن اذ نجى طفيل بن مالك على قرزل رجلا ركوض الهزائم ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيد على أم الفراخ الجواثم وهذان البيتان فى قصيدة له فقال جرير ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه ولاقى امرأ فى ضمة الخيل مصقعا وهذا البيت فى قصيدة له وحديث يوم جبلة ويوم ذى نجب أطول مما ذكرنا وانما منعنى من استقصائه ما ذكرت فى حديث يوم الفجار * قال ابن اسحق ثم ابتدعوا فى ذلك أمورا لم تكن لهم حتى قالوا لا ينبغى للحمس أن يأتقطوا الاقط ولا يأتؤوا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتا من شعر ولا يستظلوا ان استظلوا الا فى بيوت الادم ما كانوا حرما ثم رفعوا فى ذلك فقالوا لا ينبغى لاهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاؤا حجاجا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم الا فى ثياب الحمس فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة فان تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب الحمس فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل ألقاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبدا وكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى فحملوا على ذلك العرب فدانت به ووقفوا على عرفات وأفاضوا منها وطافوا بالبيت عراة أما الرجال فيطوفون عراة وأما النساء فتضع احداهن ثيابها كلها الا درعا مفرجا عليها ثم تطوف فيه فقالت امرأة من العرب وهى كذلك تطوف بالبيت

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحل ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه

كفى حزنا كرى عليها كأنها * لقى بين أيدى الطائفين حريم

يقول لا تمس فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم

لزبد حتى يصير سمنا قال ابرهة

ان لنا صرمة مخيسة * نشرب ألبانها ونسلؤها

ذكر قول ابن معديكرب * أعباس لو كانت شيارا أجيادنا * البيت شيارا من الشارة الحسنة يعنى سمانا حسانا وبعد البيت

ولكنها قيدت بصعدة مرة * فاصبحن ما يمشين الا تكارسا

وأنشد أيضا * أجذم اليك انها بنو عبس * أجذم زجر معروف للخيل وكذلك ارحب وهب وهقط وهقط وهقب * وذكر يوم جبلة وجبلة هضبة عالية كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم وكان معهم فى ذلك اليوم رئيس نجران وهو ابن الجون الكندى وأخ للنعمان بن المنذر أحسب اسمه حسان بن وبرة وهو أخو النعمان لامه وفى أيام جبلة كان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم واثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان بن قباذ وكان مولد أبيه عبد الله لاربع وعشرين مضت من ملك أنوشروان المذكور فبينه عليه السلام وبين أبيه عبد الله نحو من ثمان عشرة سنة * وذكر زرارة بن عدس بن زيد وهو عدس بضم الدال عند جميعهم الا أبا عبيدة فانه كان يفتح الدال منه وكل عدس فى العرب سواه فانه مفتوح الدال * وذكر الحلة وهم ماعدا الحمس وانهم كانوا يطوفون عراة ان لم يجدوا ثياب أحمس وكانوا يقصدون فى ذلك طرح الثياب التى اقترفوا فيها الذنوب عنهم ولم يذكر الطلس من العرب وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس كانوا يأتون من أقصا اليمن طلسا من الغبار فيطوفون بالبيت فى تلك الثياب الطلس فسموا بذلك ذكره محمد بن حبيب

﴿فصل﴾ وذكر اللقى وهو الثوب الذى كان يطرح بعد الطواف فلا يأخذه أحد وأنشد

كفى حزنا كرى عليه كأنه * لقى بين أيدى الطائفين حريم

فانزل عليه حين أحكم له دينه وشرع له سنن حجه ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم يعنى قريشا والناس العرب فرفعهم فى سنة الحج الى عرفات والوقوف عليها والافاضة منها وأنزل الله عليه فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرموا ما جاؤا به من الحل من الطعام يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل التى من حرم زينة الله أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون فوضع الله تعالى أمر الحمس وما كانت قريش ابتدعت منه عن الناس بالاسلام حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عثمان بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم عن عمه نافع ابن جبير عن ابيه جبير ابن مطعم

حريم أى محرم لا يؤخذ ولا ينتفع به وكل شىء مطرح فهو لقى قال الشاعر يصف فرخ قطا

تروى لقى ألقى فى صفصف * تصهره الشمس فما ينصهر

تروى بفتح التاء أى تستقى له ومن اللقى حديث فاختة أم حكيم بن حزام وكانت دخلت الكعبة وهى حامل متم بحكيم بن حزام فاجاءها المخاض فلم تستطع الخروج من الكعبة فوضعته فيها فلفت فى الانطاع هى وجنينها وطرح مثبرها وثيابها التى كانت عليها فجعلت لقى لا تقرب

﴿ فصل ﴾ وذكر قول المرأة * اليوم يبدو بعضه أو كله * البيتين ويذكر أن هذه المرأة هى ضباعة بنت عامر بن صعصعة ثم من بنى سلمة بن قشير وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها فذكرت له عنها كبرة فتركها فقيل انها ماتت كمداً وحزنا على ذلك (قال المؤلف) ان كان صح هذا فما أخرها عن أن تكون أما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين الا قولها * اليوم يبدو بعضه أو كله * تكرمة من الله لنبيه وعلما منه بغيرته والله أغير منه ومما ذكر من تعريهم فى الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك فانضم الرجل الى المرأة تلذذاً واستمتاعا فلصق عضده بعضدها ففزعا عند ذلك وخرجا من المسجد وهما ملتصقان ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها حتى قال لهما قائل توبا مما كان فى ضميركما وأخلصا لله التوبة ففعلا فانحل أحدهما من الآخر * وأنشد للفرزدق

ومنهن اذ نجى طفيل بن مالك * على قرزل رجلا ركوض الهزائم

قرزل اسم فرسه وكان طفيل يسمى فارس قرزل وقرزل القيد سمى الفرس به كانه يقيد ما يسابقه كما قال امرؤ القيس * بمنجرد قيد الاوابد هيكل * وطفيل هذا هو والد عامر بن الطفيل عدو الله وعدو رسوله وأخو طفيل هذا عامر ملاعب الاسنة وسنذكر لم سمى ملاعب الاسنة ونذكر اخوته وألقابهم فى هذا الكتاب ان شاء الله * وقوله * على أم الفراخ الجواثم * يعنى الهامة وهى البوم وكانوا يعتقدون أن الرجل اذا قتل خرجت من رأسه هامة تصيح اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره قال ذو الاصبع العدوانى

* أضربك حيث تقول الهامة اسقونى *

﴿ فصل ﴾ وأنشد لجرير

ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه * ولاقى امرأ فى ضمة الخيل مصقعا

وجدت فى حاشية الشيخ أبى بحر هذا البيت المعروف فى اللغة ان المصقع الخطيب البليغ وليس هذا موضعه لكن يقال فى اللغة صقعه اذا ضربه على شىء مصمت يابس قاله الاصمعى فيشبه أن يكون مصقع فى هذا البيت من هذا المعنى فيقال منه رجل مصقع كما يقال محرب وفى الحديث ان سعداً لمحرب يعنى ابى وقاص

﴿ فصل ﴾ وذكر ما انزل الله تعالى فى امر الحمس وهو قوله تعالى « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا » الآية فقوله وكلوا واشربوا اشارة الى ما كانت الحمس حرمته من طعام الحج الا طعام احمسى وخذوا زينتكم يعنى اللباس ولا تتعروا ولذلك افتتح بقوله يابنى آدم بعد أن قص خبر آدم وزوجه اذ يخصفان عليهما من ورق الجنة أى ان كنتم تحتجون بانه دين آبائكم فآدم ابوكم ودينه ستر العورة كما قال ملة ابيكم ابراهيم أى ان كانت عبادة الاصنام دين آبائكم فابراهيم أبوكم ولم يكن من المشركين ومما نزل فى ذلك « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » ففى التفسير انهم كانوا يطوفون عراة ويصفقون بأيديهم ويصفرون فالمكاء الصفير والتصدية التصفيق قال الراجز * وأنا من غرو الهوى أصدى * ومما نزل من أمر الحمس « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » لان الحمس لا يدخلون تحت سقف ولا يحول

قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحى وانه لواقف على بعيرله بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا من الله له صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا

﴿ أخبار الكهان من العرب والاحبار من يهود والرهبان من النصارى ﴾

* قال ابن اسحق وكانت الاحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه أما الاحبار من يهود والرهبان من النصارى فعما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم اليهم فيه وأما الكهان من العرب فاتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع اذ كانت وهى لاتحجب عن ذلك بالقذف من النجوم وكان الكاهن والكاهنة لايزال يقع منهما ذكر بعض أموره لاتلقى العرب لذلك فيه بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التى كانوا يذكرون فعرفوها فلما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرموا بالنجوم فعرفت الجن أن ذلك لامر حدث من أمر الله فى العباد يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه وهو يقص عليه خبر الجن اذ حجبوا عن السمع فعرفوا ما عرفوا وأنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا

بينهم وبين السماء عتبة باب ولا غيرها فان احتاج أحدهم الى حاجة فى داره تسنم البيت من ظهره ولم يدخل من الباب فقال الله سبحانه «وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون» *وذكر وقوف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفة مع الناس قبل الهجرة وقبل النبوة توفيقا من الله حتى لا يفوته ثواب الحج والوقوف بعرفة قال جبير بن مطعم حين رآه واقفا بعرفة مع الناس هذا رجل أحمس فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون

﴿ فصل فى الكهانة ﴾

روى فى مأثور الاخبار أن ابليس كان يخترق السموات قبل عيسى فلما بعث عيسى أو ولد حجب عن ثلاث سماوات فلما ولد محمد حجب عنها كلها وقذفت الشياطين بالنجوم وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم قامت الساعة فقال عتبة بن ربيعة انظروا الى العيوق فان كان رمى به فقد آن قيام الساعة والا فلا وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبى بكر *وذكر ابن اسحق فى هذا الباب مارميت به الشياطين حين ظهر القذف بالنجوم لئلا يلتبس بالوحى وليكون ذلك أظهر للحجة وأقطع للشبهة والذى قاله صحيح ولكن القذف بالنجوم قد كان قديما وذلك موجود فى أشعار القدماء من الجاهلية منهم عوف بن الجزع وأوس بن حجر وبشر بن أبى خازم وكلهم جاهلى وقد وصفوا الرمى بالنجوم وأبياتهم فى ذلك مذكورة فى مشكل ابن قتيبة فى تفسير سورة الجن وذكر عبد الرزاق فى تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمى بالنجوم أكان فى الجاهلية قال نعم ولكنه اذ جاء الاسلام غلظ وشدد وفى قول الله سبحانه «وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا» الآية ولم يقل حرست دليل على أنه قد كان منه شىء فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ملئت حرسا شديدا وشهبا وذلك لينحسم أمر الشياطين وتخليطهم ولتكون الآية أبين والحجة أقطع وان وجد اليوم كاهن فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع فان ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة ثم بقيت منه أعنى من استراق السمع بقايا يسيرة بدليل وجودهم على الندور فى بعض الازمنة وفى بعض البلاد وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال ليسوا بشىء فقيل انهم يتكلمون بالكلمة فتكون كما قالوا فقال تلك الكلمة من الجن يحفظها الجنى فيقرها فى أذن وليه قر الزجاجة فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة ويروى قر الدجاجة بالدال وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت فى الدلائل والزجاجة بالزاى أولى لما ثبت فى الصحيح فيقرها فى أذن وليه كما تقر القارورة ومعنى يقرها يصبها ويفرغها قال الراجز

لاتفرغن فى أذنى قرها * ما يستفز فأريك فقرها

وفى تفسير ابن سلام عن ابن عباس قال اذا رمى الشهاب الجنى لم يخطئه ويحرق ما أصاب ولا يقتله وعن الحسن قال يقتله فى أسرع من طرفة العين وفى تفسير ابن سلام أيضا عن أبى قتادة انه كان مع قوم فرمى بنجم فقال لاتتبعوه أبصاركم وفيه أيضا عن حفص أنه سأل الحسن أيتبع بصره الكوكب فقال قال سبحانه «وجعلناها رجوما للشياطين» وقال «أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض» قال كيف نعلم اذا لم ننظر اليه لاتبعنه بصرى وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن «والذين ولوا الى قومهم منذرين قالوا

وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا الى قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا فلما سمعت الجن القرآن عرفت انها انما منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحى بشئ من خبر السماء فيلتبس على أهل الارض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة فآمنوا وصدقوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم الآية وكان قول الجن وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم اذا سافر فنزل بطن واد من الارض ليبيت فيه قال انى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه «قال ابن هشام» الرهق الطغيان والسفه قال رؤبة بن العجاج * اذ تستبى الهيامة المرهقا * وهذا البيت فى أرجوزة له والرهق أيضا طلبك الشئ حتى تدنو منه فتأخذه أولا تأخذه قال رؤبة بن العجاج يصف حمير وحش * بصبصن واقشعررن من خوف الرهق * وهذا البيت فى أرجوزة له والرهق أيضا مصدر لقول الرجل للرجل رهقت الاثم والعسر الذى أرهقتنى رهقا شديدا أى حملت الاثم والعسر الذى حملتنى حملا شديدا وفى كتاب الله تعالى فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا وقوله ولا ترهقنى من أمرى عسرا * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث ان أول العرب فزع للرمى بالنجوم حين رمى بها هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بنى علاج قال وكان أدهى العرب وأمكرها رأيا فقالوا له هذا يا عمرو ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس فى معايشهم هى التى يرمى بها فهو والله طى الدنيا وهلاك هذا الخلق الذى فيها وان كانت نجوما غيرها وهى ثابتة على حالها فهذا لامر أراد الله به هذا الخلق فما هو * قال ابن اسحق فذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن على بن الحسين بن على بن ابى طالب عن عبد الله بن عباس عن نفر من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به قالوا يانبى الله كنا نقول حين رأيناها يرمى بها مات ملك ملك ملك ولد مولود مات مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله تبارك وتعالى كان اذا قضى فى خلقه أمرا أسمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم فسبح لتسبيحهم من تحت ذلك فلا يزال التسبيح

ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى» وفى الحديث انهم كانوا من جن نصيبين وفى التفسير انهم كانوا يهوداً ولذلك قالوا من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى ذكره ابن سلام وكانوا سبعة وقد ذكروا باسمائهم فى التفاسير والمسندات وهم شاصر وماصر ومنشى ولاشى والاحقاب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد ووجدت فى خبر حدثنى به أبو بكر بن طاهر الاشبيلى القيسى عن أبى على الغسانى فى فضائل عمر بن عبد العزيز قال بينما عمر بن عبد العزيز يمشى فى أرض فلاة فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها فاذا قائل يقول ياسرق أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ستموت بارض فلاة فيكفنك ويدفنك رجل صالح فقال من أنت يرحمك الله فقال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم الا أنا وسرق وهذا سرق قد مات وذكر ابن سلام من طريق أبى اسحق السبيعى عن أشياخه عن ابن مسعود انه كان فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار ثم جاء اعصار أعظم منه ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأتان يتساءلان أيكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندرى من عمرو بن جابر فقالتا ان كنتم ابتغيتم الأجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين منهم فقتل عمرو وهو الحية التى رأيتم وهو من النفر الذين استمعوا القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم ثم ولوا الى قومهم منذرين

﴿ فصل ﴾ وأما ما ذكره فى معنى قوله سبحانه «وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن» الآية فقد روى فى معنى ذلك عن حجاج بن علاط السلمى وهو والد نصر بن حجاج الذى قيل فيه * ام لا سبيل الى نصر بن حجاج * أنه قدم مكة فى ركب فاجنهم الليل بواد مخوف موحش فقال له الركب قم خذ لنفسك أمانا ولاصحابك فجعل يطوف بالركب ويقول

أعيذ نفسى واعيذ صحبى * من كل جنى بهذا النقب * حتى أأوب سالما وركبى

فسمع قارئا «يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض» الآية فلما قدم مكة خبر كفار قريش بما سمع فقالوا أصبت يا ابا كلاب ان هذا يزعم محمد انه انزل عليه فقال والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معى ثم اسلم وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة وابتنى بها مسجدا فهو يعرف به.

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق حديث ابن عباس وفيه كنا نقول اذا رأيناه يموت عظيم أو يولد عظيم وفى

يهبط حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض مم سبحتم فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم فيقولون ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا الى حملة العرش فيقال لهم مم سبحتم فيقولون قضى الله فى خلقه كذا وكذا للامر الذى كان فيهبط به الخبر من سماء الى سماء حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيتحدثوا به فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ثم ياتوا به الكهان من أهل الارض فيحدثونهم به فيخطئون ويصيبون فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضا ويخطئون بعضا ثم ان الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التى يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة * قال ابن اسحق وحدثنى عمرو بن أبى جعفر عن محمد بن عبد الرحمن بن لبينة عن على بن الحسين بن على رضى الله عنه بمثل حديث ابن شهاب عنه * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل العلم أن امرأة من بنى سهم يقال لها الغيطلة كانت كاهنة فى الجاهلية فلما جاءها صاحبها فى ليلة من الليالى فانقض تحتها ثم قال أدر ما أدر يوم عقر ونحر قالت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحتها ثم قال شعوب ما شعوب تصرع فيه كعب لجنوب فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ماذا يريد ان هذا الامر هو كائن فانظروا ما هو فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب فعرفوا انه الذى كان جاء به الى صاحبته «قال ابن هشام» الغيطلة من بنى مرة بن عبد مناة بن كنانة أخوه مدلج بن مرة وهى ام الغياطل الذين ذكر أبو طالب فى قوله

لقد سفهت احلام قوم تبدلوا * بنى خلف قيظا بنا والغياطل

فقيل لولدها الغياطل وهم من بنى سهم بن عمرو بن هصيص وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى

هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم كان قديما ولكنه اذ بعث الرسول عليه السلام غلظ وشدد كما قال الزهرى وملئت السماء حرسا * وقوله فى آخر الحديث وقد انقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة يدل قوله اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه والذى انقطع اليوم والى يوم القيامة ان تدرك الشياطين ما كانت تدركه فى الجاهلية الجهلاء وعند تمكنها من سماع أخبار السماء وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين انما هو خبرهم عما يرونه فى الارض مما لا نراه نحن كسرقة سارق أو خبيئته فى مكان خفى او نحو ذلك وان اخبروا بما سيكون كان تحرسا وتظنيا فيصيبون قليلا ويخطئون كثيرا وذلك القليل الذى يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة فى العنان كما فى حديث البخارى فيطردون بالنجوم فيضيفون الى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة كما قال عليه السلام فى الحديث الذى قدمناه «فان قلت» فقد كان صاف بن صياد وكان يتكهن ويدعى النبوة وخبأ له النبى صلى الله عليه وسلم خبيئا فعلمه وهو الدخ فاين انقطاع الكهانة فى ذلك الزمان «قلنا» عن هذا جوابان (احدهما) ذكره الخطابى فى اعلام الحديث قال الدخ نبات يكون بين النخيل وخبأ له عليه السلام «فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين» فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبأ له النبى صلى الله عليه وسلم (الثانى) ان شيطانه كان يأتيه بما خفى من أخبار الارض ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم فان كان أراد بالدخ الدخان بقوة جعلت لهم فى أسماعهم ليست لنا فالقى الكلمة عن لسان صاف وحدها اذ لم يمكن سماع سائر الآية ولذلك قال له النبى عليه السلام اخسأ فلن تعدو قدر الله فيك أى فلن تعدو منزلتك من العجز عن علم الغيب وانما الذى يمكن فى حقه هذا القدر دون مزيد عليه على هذا النحو فسره الخطابى

«فصل» وذكر حديث الغيطلة الكاهنة قال وهى من بنى مرة بن عبد مناة بن كنانة أخى مدلج وهى أم الغياطل الذى ذكر أبو طالب وسنذكر معنى الغيطلة عند شعر أبى طالب ان شاء الله ونذكر هاهنا ما ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر فى هذا الموضع قال الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق ابن شنوق بن مرة وشنوق أخو مدلج وهكذا ذكر نسبها الزبير وذكر قولها شعوب وما شعوب تصرع فيها كعب لجنوب كعب هاهنا هو كعب بن لؤى والذين صرعوا لجنوبهم ببدر وأحد من أشراف قريش معظمهم من كعب بن لؤى وشعوب هاهنا أحسبه بضم الشين ولم أجده مقيدا وكانه جمع شعب وقول ابن اسحق يدل على هذا حين قال فلم يدر ما قالت حتى قتل من قتل ببدر وأحد بالشعب * وذكر قول التابع أدر ما أدر وقيد عن أبى على فيه رواية أخرى وما بدر وهى أبين من هذه وفى غير رواية البكائى عن ابن اسحق أن فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جاءها اقتحم عليها فى بيتها فلما كان فى أول البعث أتاها فقعد على حائط الدار ولم يدخل فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبى بتحريم الزنا فذلك أول ما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة

«فصل» وذكر انكار ثقيف للرمى بالنجوم وما قاله عمرو بن أمية أحد بنى علاج الى آخر الحديث وهو كلام صحيح المعنى لكن فيه ابهاما لقوله وان كانت غير هذه النجوم فهو لامر حدث فما هو وقد فعل ما فعلت

ثقيف بنو لهب عند فزعهم للرمى بالنجوم فاجتمعوا الى كاهن لهم يقال له خطر فبين لهم الخبر وما حدث من أمر النبوة روى أبو جعفر العقيلى فى كتاب الصحابة عن رجل من بنى لهب يقال له لهيب أو لهيب • وقد تكلمنا على نسب لهب فى هذا الكتاب قال لهيب حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بابى وأمى نحن أول من عرف حراسة السماء و زجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم وذلك أنا اجتمعنا الى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التى يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخشينا سوء عاقبتها فقال ائتونى بسحر أخبركم الخبر أبخير ام ضرر أو لامن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد فى وجه السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه • شاخص فى السماء بعينيه فناديناه أخطر يا خطر فاوما الينا ان أمسكوا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته • أصابه اصابه • خامره عقابه • عاجله عذابه • أحرقه شهابه • زايله جوابه • ياويله ما حاله • بلبله بلباله • عاوده خباله • تقطعت حباله • وغيرت أحواله • ثم أمسك طويلا وهو يقول:

يامعشر بنى قحطان * أخبركم بالحق والبيان
أقسمت بالكعبة والاركان * والبلد المؤتمن السُّدان
لقد مُنع السمع عتاة الجان * بثاقب بكف ذى سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشان * يبعث بالتنزيل والقرآن
وبالهدى وفاصل القرآن * تبطل به عبادة الاوثان

قال فقلنا ويحك يا خطر انك لتذكر أمرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال

أرى لقومى ما أرى لنفسى * أن يتبعوا خير نبى الانس
برهانه مثل شعاع الشمس * يبعث فى مكة دار الحمس
* بمحكم التنزيل غير اللبس *

فقلنا له يا خطر وممن هو فقال والحياة والعيش • انه لمن قريش • ما فى حلمه طيش • ولا فى خلقه هيش • يكون فى جيش • وأى جيش • من آل قحطان وآل ايش • فقلت له بين لنا من أى قريش هو فقال والبيت ذى الدعائم • والركن والاحائم • انه لمن نجل هاشم • من معشر كرائم • يبعث بالملاحم • وقتل كل ظالم • ثم قال هذا هو البيان • أخبرنى به رئيس الجان • ثم قال الله أكبر جاء الحق وظهر • وانقطع عن الجن الخبر • ثم سكت وأغمى عليه فما أفاق الا بعد ثلاثة فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نطق عن مثل نبوة وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده «قال المؤلف» فى هذا الخبر قوله أصابه إصابه هكذا قيدته بكسر الهمزة من إصابه على أبى بكر بن طاهر وأخبرنى به عن أبى على الغسانى ووجهه أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وشاح و إشاح والمعنى إصابه وصابه جمع وصب مثل جمل وجمال وقوله من آل قحطان وآل ايش يعنى بآل قحطان الانصار لانهم من قحطان وأما آل ايش فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون الى ايش فان يكن هذا والا فله معنى فى المدح غريب تقول فلان ايش هو وابن ايش ومعناه أى شئ أى شئ عظيم فكانه أراد من آل قحطان ومن المهاجرين الذى يقال فيهم مثل هذا كما تقول هم وماهم وزيد وما زيد وأى شئ زيد وايش فى معنى أى شئ كما يقال ويلمه فى معنى ويل أمه على الحذف لكثرة الاستعمال وهذا كما قال هو فى جيش اى ما جيش والله أعلم وأحسبه أراد

* قال ابن اسحق وحدثني علي بن نافع الجرشي أن جنبا بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب قالت له جنب أنظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا له في أسفل جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس له فرفع رأسه الى السماء طويلا ثم جعل ينزو ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ثم اشتد في جبله راجعا من حيث جاء * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان انه حدث أن عمر بن الخطاب بينا هو جالس في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل من العرب داخلا المسجد يريد عمر بن الخطاب فلما نظر اليه عمر رضى الله عنه قال ان هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد أو لقد كان كاهنا في الجاهلية فسلم عليه الرجل ثم جلس فقال له عمر رضى الله عنه هل أسلمت قال نعم يا أمير المؤمنين قال له فهل كنت كاهنا في الجاهلية فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لاحد من رعيتك منذ وليت ما وليت فقال عمر اللهم غفرا لقد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام ونعتنق الاوثان حتى أكرمنا الله برسوله وبالاسلام قال نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية قال فأخبرني ما جاءك به صاحبك قال جاءني قبل الاسلام بشهر أو شيعه فقال

با آل ايش بني اقيش وهم حلفاء الانصار من الجن فحذف من الاسم حرفا وقد تفعل العرب مثل هذا وقد وقع ذكر بني اقيش في السيرة في حديث البيعة وذكر الركن والاحائم يجوز أن يكون أراد الاحاوم بالواو فهمز الواو لانكسارها والاحاوم جمع أحوام والاحوام جمع حوم وهو الماء في البئر فكأنه أراد ماء زمزم والحوم أيضا ابل كثيرة ترد الماء فعبر بالاحائم عن وراد زمزم ويجوز أن يريد بها الطير وحمام مكة التي تحوم على الماء فيكون بمعنى الحوائم وقلب اللفظ فصار بعد فواعل أفاعل والله أعلم

﴿فصل﴾ وذكر أن جنبا وهم حي من اليمن اجتمعوا الى كاهن لهم فسألوه عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين رمي بالنجوم الى آخر الحديث جنب هم من مذحج وهم عيذ الله وأنس الله وزيد الله وأوس الله وجعفى والحكم وجروة بنو سعد العشيرة بن مذحج ومذحج هو مالك بن أدد وسموا جنبا لأنهم جانبوا بني عمهم صداء ويزيد ابني سعد العشيرة بن مذحج قاله الدارقطني * وذكر في موضع آخر خلافا في أسمائهم * وذكر فيهم بني غلى بالغين وليس في العرب غلى غيره قال مهلهل

أنكحها فقدها الاراقم في * جنب وكان الحباء من أدم

﴿فصل﴾ وذكر حديث عمر وقوله للرجل أكنت كاهنا في الجاهلية فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك استقبلت به أحدا منذ وليت وذكر الحديث * وقوله خلت في هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلت وظننت كقولهم في المثل من يسمع يخل ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر فاذا حذفت الجملة كلها جاز لان حكمها حكم المفعول والمفعول قد يجوز حذفه ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ففي قولهم من يسمع يخل دليل يدل على المفعول وهو يسمع وفي قوله خلت في دليل أيضا وهو قوله في كأنه قال خلت الشر في أو نحو هذا * وقوله قبل الاسلام بشهر أو شيعه أي دونه بقليل وشيع كل شيء ما هو تبع له وهو من الشياع وهي حطب صغار تجعل مع الكبار تبعا لها ومنه المشيعة وهي الشاة تتبع الغنم لانها دونها في القوة والصوت الذي سمعه عمر من العجل ياجليح سمعت بعض أشياخنا يقول هو اسم شيطان والجليح في اللغة ما تطاير من رؤس النبات وخف نحو القطن وشبهه والواحدة جليحة والذي وقع في السيرة ياذريح وكأنه نداء للعجل المذبوح لقولهم أحمر ذريحي أي شديد الحمرة فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم ومن رواه ياجليح فمآله الى هذا المعنى لان العجل قد جلح أي كشف عنه الجلد فالله أعلم وهذا الرجل الذي كان كاهنا هو سواد بن قارب الدوسي في قول ابن الكلبي وقال غيره هو سدوسي وفيه يقول القائل

الا لله علم لا يجارى * الى الغايات في جنبي سواد
أتيناه نسائله امتحانا * فلم يبعل وأخبر بالسداد

وهذان البيتان في شعر وخبر ذكره أبو علي القالي في أماليه وروى غير ابن اسحق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه وأن عمر مازحه فقال ما فعلت كهانتك يا سواد فغضب وقال قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرني بأمر تبت منه فقال عمر حينئذ اللهم غفرا * وذكر غير ابن اسحق في هذا الحديث سياقة حسنة وزيادة مفيدة وذكر أنه حدث عمر أن رئيه جاء ثلاث ليال متواليات هو فيها كلها بين النائم واليقظان فقال قم يا سواد واسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو الى الله وعبادته وانشده في كل ليلة من الثلاث الليالي ثلاث ابيات

معناها واحد وقافيتها مختلفة

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماصادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كاذنابها

وقال له فى الثانية

عجبت للجن وإبلاسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماطاهر الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس ذناباالطير من رأسها

وقال له فى الثالثة

عجبت للجن وتنفارها * وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * مامؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الاتقين من هاشم * ليس قداماها كأدبارها

* وذكر تمام الخبر وفى آخر شعر سواد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده ما كان من الجنى رئيه ثلاث ليال متواليات وذلك قوله

اتانى نجيّ بعد هدء ورقدة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك نبي من لؤى بن غالب
فرفعت اذيال الازار وشمرت * بى العرمس الوجنا هجول السباسب
فاشهد ان الله لاشىء غيره * وأنك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك من وحى ربنا * وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد فى دوس حين بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حينئذ سواد فقال يامعشر الازد ان من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم الا يتعظوا الا بانفسهم ومن لم تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما اسلمتم به امس وقد علمتم ان النبى صلى الله عليه وسلم قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم وأوعد قوما اكثر منكم فاخافهم ولم يمنعه منكم عدة ولا عدد وكل بلاء منسى الا ما بقى اثره فى الناس ولا ينبغى لاهل البلاء الا أن يكونوا اذكر من اهل العافية للعافية وانما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه فلم تزالوا خارجين مما فيه اهل البلاء داخلين مما فيه اهل العافية حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبكم ونقيبكم فعبر الخطيب عن الشاهد ونقب النقيب عن الغائب ولست أدرى لعله تكون للناس جولة فان تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فاحبوها فاجابه القوم وسمعوا قوله فقال فى ذلك سواد بن قارب

جلت مصيبتك الغداة سواد * وأرى المصيبة بعدها تزداد
ابقى لنا فقد النبى محمد * صلى الاله عليه ما يعتاد
حزنا لعمرك فى الفؤاد مخامرا * وهل لمن فقد النبى فؤاد
كنا نحل به جنابا ممرعا * جف الجناب فاجدب الروّاد

ألم تر الى الجن وابلاسها وايا سها من دينها ولحوقها بالقلاص واحلاسها «قال ابن هشام» هذا الكلام سجع وليس بشعر قال عبد الله بن كعب فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس والله انى لعند وثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه اذ سمعت من جوف العجل صوتا ماسمعت صوتا قط أنفذ منه وذلك قبيل الاسلام بشهر أوشيعه يقول ياذريح أمر نجيح رجل يصيح يقول لا اله الا الله «قال ابن هشام» ويقال رجل يصيح بلسان فصيح يقول لا اله الا الله وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر

عجبت للجن وابلاسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنو الجن كانجاسها

* قال ابن اسحق فهذا ما بلغنا عن الكهان من العرب

﴿ انذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا ان مما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لما كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لاتزال بيننا و بينهم شرو رفاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا انه تقارب زمان نبى يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين «قال ابن هشام» يستفتحون يستنصرون و يستفتحون أيضاً يتحاكمون وفى كتاب الله تعالى ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الاشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان سلمة من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الاشهل قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بنى عبد الاشهل قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا على بردة لى مضطجع فيها بفناء أهلى فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار قال فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لايرون أن بعثا كائن بعد الموت فقالوا له ويحك يافلان أوترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة و نار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذى يحلف به و يود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور فى الدار يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطينونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك يافلان فما آية ذلك قال نبى مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن فقالوا ومتى تراه قال فنظر الى وأنا من أحدثهم سنا فقال ان يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حى بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسدا فقال فقلنا له ويحك يافلان ألست الذى قلت لنا فيه ماقلت قال بلى ولكن ليس به * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال قال لى هل تدرى عم كان اسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد نفر من بنى هدل اخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم فى الاسلام قال قلت لا قال فان رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبيل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا

فبكت عليه أرضنا وسماؤنا * وتصدعت وجدا به الاكباد
قل المتاع به وكان عيانه * حلما تضمن سكرتيه رقاد
كان العيان هو الطريف وحزنه * باق لعمرك فى النفوس تلاد
ان النبى وفاته كحياته * الحق حق والجهاد جهاد
لوقيل تفدون النبى محمداً * بذلت له الاموال والاولاد
وتسارعت فيه النفوس ببذلها * هذا له الاغياب والاشهاد
هذا وهذا لايرد نبينا * لو كان يفديه فداه سواد
أنى أحاذر والحوادث جمة * أمراً لعاصف ريحه إرعاد
إن حل منه مايخاف فانتم * للارض ان رجفت بنا أوتاد
لو زاد قوم فوق منية صاحب * زدتم وليس لمنية مزداد

فاعجب القوم شعره وقوله فاجابوا الى ما أحب ومن هذا الباب خبر سوداء بنت زهرة بن كلاب وذلك انها حين ولدت ورآها أبوها زرقاء شيماء أمر بوأدها وكانوا يئدون من البنات ما كان على هذه الصفة فارسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لاتئد الصبية وخلها فى البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يهتف بسجع آخر فى المعنى فرجع الى أبيها فاخبره بما سمع فقال ان لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة ان فيكم نذيرة أو تلد نذيرا فاعرضوا علىّ بناتكم فعرضن عليها فقالت فى كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو تلد نذيرا وهو خبر طويل ذكر الزبير منه يسيرا وأورده بطوله أبو بكر النقاش وفيه ذكر جهنم أعاذنا الله منها ولم يكن اسم جهنم مسموعا به عندهم فقالوا لها وما جهنم فقالت سيخبركم النذير عنها —

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق حديث سلمة بن سلامة بن وقش وما سمع من اليهودى حين ذكر الجنة والنار وقال آية ذلك نبى مبعوث قد أظل زمانه الى آخر الحديث وليس فيه اشكال وابن وقش يقال فيه وقش بتحريك القاف وتسكينها والوقش الحركة

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ابن الهيبان وما بشر به من أمر النبى صلى الله عليه وسلم وان ذلك كان سبب

لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس أفضل منه فأقام عندنا فكنا اذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدى مخرجكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر أو مدين من شعير قال فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقى لنا فوالله ما يبرح من مجلسه حتى تمر السحابة وتسقى قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث قال ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف أنه ميت قال يامعشر يهود ماترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير الى أرض البؤس والجوع قال قلنا انك أعلم قال فانى انما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبى قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره فكنت أرجو أن يبعث فاتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يامعشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذرارى والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قريظة قال هؤلاء الفتية وكانوا شبابا احداثا يا بنى قريظة والله انه للنبى الذى كان عهد اليكم فيه ابن الهيبان قالوا ليس به قالوا بلى والله انه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم * قال ابن اسحق فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود

﴿ حديث اسلام سلمان رضى الله عنه ﴾

* قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الانصارى عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال حدثنى سلمان الفارسى من فيه قال كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جى وكان أبى دهقان قريته وكنت أحب خلق الله اليه لم يزل به حبه اياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار الذى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة قال وكانت لابى ضيعة عظيمة قال فشغل فى بنيان له يوما فقال لى يا بنى انى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب اليها فاطلعها وأمرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال لى ولا تحتبس عنى فانك ان احتبست عنى كنت أهم الى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شىء من أمرى قال فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى اليها فمررت بكنيسة

اسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن سعية وهم من بنى هدل والهيبان من المسمين بالصفات يقال قطن هيبان أى منتفش وأنشد أبو حنيفة

تطير اللغام الهيبان كانه * خبى عشر تبقيه أشداقها الهدل

والهيبان أيضا الجبان وقد قدمنا الاختلاف فى هدل وأما أسيد بن سعية فقال ابراهيم بن سعد بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف المدنى عن ابن اسحق وهو أحد رواة المغازى عنه أسيد بن سعية بضم الالف وقال يونس بن بكير عن ابن اسحق وهو قول الواقدى وغيره أسيد بفتحها قال الدارقطنى وهذا هو الصواب ولا يصح ما قاله ابراهيم عن ابن اسحق وبنو سعية هؤلاء فيهم أنزل الله عز وجل من أهل الكتاب أمة قائمة الآية وسعية أبوهم يقال له ابن العريض وهو بالسين المهملة والياء المنقوطة باثنين وأما سعنة بالنون فزيد بن سعنة حبر من أحبار يهود كان قد داين النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه يتقاضاه قبل الاجل فقال الا تقضينى يا محمد فانكم يا بنى عبد المطلب مطل وما أردت الا ان أعلم علمكم فارتعد عمر ودار كانه فى فلك وجعل يلحظ يمينا وشمالا وقال تقول هذا لرسول الله يا عدو الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر ان تأمرنى بحس الاداء وتأمره بحسن التبعة قم فاقضه عنى فوالله ما حل الاجل وزده عشرين صاعا بما روعته وفى حديث آخر انه قال دعه فان لصاحب الحق مقالا ويذكر أنه أسلم لما رأى من موافقة وصف النبى عليه السلام لما كان عنده فى التوراة وكان يجده موصوفا بالحلم فلما رأى من حلمه ما رأى أسلم وتوفى غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ويقال فى اسمه سعية بالياء كما فى الاول ولم يذكره الدارقطنى الا بالنون

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث سلمان بطوله وقال كنت من أهل اصبهان هكذا قيده البكرى فى كتاب المعجم بالكسر فى الهمزة وأصبه بالعربية فرس وقيل هو العسكر فمعنى الكلمة موضع العسكر أو الخيل أو نحو هذا وليس فى حديث سلمان على طوله اشكال ووقع فى الاصل فى هذا الحديث فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته ورأيت فى حاشية الشيخ أستدير به وكذلك وقع فيه أحييها له بالفقير وفى حاشية الشيخ الوجه التفقير والفقير للنخلة يقال لها فى الكرمة حيية وجمعها حيايا وهى الحفيرة واذا خرجت النخلة من النواة فهى غريسة ثم يقال لها ودية ثم فسيلة ثم اشاءة فاذا فاتت اليد فهى جبارة وهى العضيد والكتيلة ويقال للتى لم تخرج من النواة لكنها اجتثت من جنب أمها قلعة وجثيثة وهى الجثائث والهراء ويقال للنخلة الطويلة عوانة بلغة عمان وعيدانة بلغة غيرهم وهى فيعالة من عدن بالمكان واختلف فيها قول صاحب كتاب العين فجعلها تارة فيعالة من عدن ثم جعلها فى باب المعتل العين فعلانة ومن الفسيلة حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ان يغرسها قبل ان تقوم الساعة فليغرسها من مصنف حماد بن سلمة والذين صحبوا سلمان من النصارى

كانوا

من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى اياى فى بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقلت هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أى بنى أين كنت أولم أكن عهدت اليك ما عهدت قال قلت يا أبت مررت بناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أى بنى ليس فى ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه قال قلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافنى فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته قال وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبرونى بهم قال فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فاخبرونى بهم فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم فآذنونى بهم قال فلما أرادوا الرجعة الى بلادهم أخبرونى بهم فالقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علما قالوا الاسقف فى الكنيسة قال فجئته فقلت له انى قد رغبت فى هذا الدين فاحببت ان أكون معك وأخدمك فى كنيستك فاتعلم منك وأصلى معك قال ادخل فدخلت معه قال وكان رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق قال فابغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت اليه النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يامركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا قال فقالوا لى وما علمك بذلك قال قلت لهم أنا أدلكم على كنزه قالوا فدلنا عليه قال فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا قال فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا قال فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه قال يقول سلمان فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى انه كان أفضل منه أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه قال فاحببته حبا لم أحبه شيئا قبله مثله قال فاقمت معه زمانا ثم حضرته الوفاة فقلت له يا فلان انى قد كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فالى من توصى بى وبم تامرنى قال أى بنى والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه فقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له يا فلان ان فلانا أوصانى عند موته ان ألحق بك وأخبرنى أنك على أمره قال فقال لى أقم عندى فاقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان ان فلانا أوصانى اليك وأمرنى باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصى بى وبم تامرنى قال يا بنى والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبرى وما أمرنى به صاحباى فقال أقم عندى فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فاقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يا فلان ان فلانا كان أوصانى الى فلان ثم أوصانى فلان اليك فالى من توصينى وبم تامرنى قال يا بنى والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تاتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان أحببت فاته فانه على أمرنا فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فاخبرته خبرى فقال أقم عندى فاقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم قال واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة قال ثم نزل به امر الله فلما حضر قلت له يا فلان انى كنت مع فلان فاوصى بى الى فلان ثم اوصى بى فلان الى فلان ثم أوصى بى فلان الى فلان ثم أوصى بى فلان اليك فالى من توصى بى وبم تامرنى قال أى بنى والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تاتيه ولكنه قد أظل زمان نبى وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام يخرج بارض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل قال ثم مات وغيب ومكثت بعمورية ما شاء الله ان أمكث ثم مر بى نفر من كلب تجار فقلت لهم احملونى الى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه قالوا نعم فاعطيتموها وحملونى معهم حتى اذا بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبدا فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم يحق فى نفسى فبينا أنا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بنى

كانوا على الحق على دين عيسى بن مريم وكانوا ثلاثين يداولونه سيدا بعد سيد وذكر فى آخر الحديث انه جمع شيئا فجاء به النبى صلى الله عليه وسلم ليختبره أيأكل الصدقة أم لا فلم يسئله رسول الله صلى الله عليه وسلم أحر أنت ام عبد ولا من أين لك هذا ففى هذا من الفقه قبول الهدية وترك سؤال المهدى وكذلك الصدقة وفى الحديث من قدم اليه طعام فليأكل ولا يسئل وذكر أبو عبيد فى كتاب الاموال حديث سلمان حجة على من قال ان العبد لا يملك وقال لو كان لا يملك ما قبل النبى صلى الله عليه وسلم صدقته ولا قال

قريظة من المدينة فابتاعني منه فاحتملني الى المدينة فوالله ما هو الا أن رأيتها عرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله اني لفي رأس عذق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بني قيلة والله انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي « قال ابن هشام » قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة أم الاوس والخزرج قال النعمان بن بشير الانصاري يمدح الاوس والخزرج

بهاليل من أولاد قيلة لم يجد * عليهم خليط في مخالطة عتبا
مساميح أبطال يراحون للندى * يرون عليهم فعل آبائهم نحبا

وهذان البيتان في قصيدة له * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر ابن قتادة الانصاري عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال قال سلمان فلما سمعتها أخذتني العرواء « قال ابن هشام » العرواء الرعدة من البرد والانتفاض فان كان مع ذلك عرق فهي الرحضاء وكلاهما ممدود حتى ظننت أني سأسقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ماذا تقول فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك قال قلت لا شيء انما أردت أن أستثبته عما قال وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء قد كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم قال فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه كلوا وأمسك يده فلم يأكل قال فقلت في نفسي هذه واحدة قال ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته به فقلت له اني قد رأيتك لا تأكل الصدقة فهذه هدية أكرمتك بها قال فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسي هاتان ثنتان قال ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه علي شملتان لي وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف اني أستثبت في شيء وصف لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد قال سلمان ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفقير وأربعين أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين ودية والرجل بخمس عشرة ودية والرجل بعشر يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر لها فاذا فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي قال ففقرت وأعانني أصحابي حتى اذا فرغت جئته فأخبرته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودي و يضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغنا فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة فأديت النخل و بقي علي المال فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال ما فعل الفارسي

لأصحابه كلوا وأصدقته ذكر غير ابن اسحق في حديث سلمان الوجه الذي جمع منه سلمان ما أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قال سلمان كنت عبدا لامرأة فسألت سيدتي أن تهب لي يوما فعملت في ذلك اليوم على صاع أو صاعين من تمر وجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته لا يأكل الصدقة سألت سيدتي ان تهب لي يوما آخر فعملت فيه على ذلك ثم جئت به هدية للنبي صلى الله عليه وسلم فقبله وأكل منه فبين في هذه الرواية الوجه الذي جمع منه سلمان ما ذكر في حديث ابن اسحق والصدقة التي قال النبي عليه السلام لا تحل لمحمد ولا لآل محمد هي المفروضة دون التطوع قاله الشافعي غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن تحل له صدقة الفرض ولا التطوع وهو معنى قول مالك وقال الثوري لا تحل الصدقة لآل محمد فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم لأن مولى القوم من أنفسهم بذلك جاء الحديث . وقال مالك تحل لمواليهم وقالت جماعة منهم أبو يوسف لا تحل لآل محمد صدقة غيرهم وتحل لهم صدقة بعضهم على بعض وهم بنو هاشم و بنو عبد المطلب وقول سلمان فأتيت رسول الله وهو في جنازة بعض أصحابه صاحبه الذي مات في تلك الايام كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال الطبري أول من مات من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة بأيام قليلة كلثوم بن الهدم ثم مات بعده أسعد بن زرارة

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق في مكاتبة سلمان انه فقر لثلثمائة ودية أي حفر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعها كلها بيده فلم تمت منها ودية واحدة وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن اسحق

المكاتب قال فدعيت له فقال خذ هذه فادها مما عليك ياسلمان قال قلت وأين تقع هذه يارسول الله مما على فقال خذها فان الله سيؤدى بها عنك قال فأخذتها فوزنت لهم منها والذى نفس سلمان بيده أربعين أوقية فاوفيتهم حقهم منها وعتق سلمان فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الخندق حرا ثم لم يفتنى معه مشهد * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان انه قال لما قلت وأين تقع هذه من الذى على يارسول الله أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ثم قال خذها فاوفهم منها فاخذتها فاوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال حدثت عن سلمان انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره خبره ان صاحب عمورية قال له ائت كذا وكذا من أرض الشام فان بها رجلا بين غيضتين يخرج فى كل سنة من هذه الغيضة الى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام فلا يدعو لاحد منهم الا شفى فاسأله عن هذا الدين الذى تبتغى فهو يخبرك عنه قال سلمان فخرجت حتى أتيت حيث وصف لى فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك حتى خرج تلك الليلة مستجيزا من احدى الغيضتين الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الا شفى وغلبونى عليه فلم أخلص اليه حتى دخل الغيضة التى يريد أن يدخل الا منكبه قال فتناولته فقال من هذا والتفت الى فقلت يرحمك الله أخبرنى عن الحنيفية دين ابراهيم قال انك لتسأل عن شىء ما يسأل عنه الناس اليوم قد أظلك زمان نبى يبعث بهذا الدين من أهل الحرم فانه فهو يحملك عليه قال ثم دخل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتنى ياسلمان لقد لقيت عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام

﴿ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله بن جحش وعثمان ابن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل﴾

* قال ابن اسحق واجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة يوما فخلص منهم أربعة نفر نجيا ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض قالوا أجل وهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وعبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب * وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى * وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى فقال بعضهم لبعض تعلموا والله ما قومكم على شىء لقد أخطؤا دين أبيهم ابراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ياقوم التمسوا لانفسكم فانكم والله ما أنتم على شىء فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فاما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب وأما عبيد الله بن جحش فاقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمة فلما قدمها تنصر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانيا

اسحق غير انه ذكر ان سلمان غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها فعاشت كلها الا التى غرس سلمان هذا معنى حديث البخارى

﴿فصل﴾ وذكر عن داود بن الحصين قال حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال قال سلمان للنبى صلى الله عليه وسلم وذكر خبر الرجل الذى كان يخرج مستجيزاً من غيضة الى غيضة ويلقاه الناس بمرضاهم فلا يدعو لمريض الا شفى وان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان كنت صدقتنى ياسلمان فقد رأيت عيسى ابن مريم اسناد هذا الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال ان ذلك الرجل هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف باجماع منهم فان صح الحديث فلا نكارة فى متنه فقد ذكر الطبرى أن المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذى فيه الصليب يبكيان فكلمهما وأخبرهما انه لم يقتل وان الله رفعه وأرسل الى الحواريين ووجههم الى البلاد واذا جاز أن ينزل مرة جاز ان ينزل مرارا ولكن لا يعلم انه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء فى الصحيح والله أعلم ويروى انه اذا نزل تزوج امرأة من جذام ويدفن اذا مات فى الروضة التى فيها النبى عليه السلام

﴿فصل﴾ وذكر حديث ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل وما تناجوا به وقال زيد بن عمرو بن نفيل الى آخر النسب والمعروف فى نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب نفيل بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بتقديم رياح على عبد الله ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر وزعم الدارقطنى انه رزاح بالفتح وانما رزاح بالكسر رزاح بن ربيعة أخو قصى لامه الذى تقدم ذكره وأم زيد هى الحيداء بنت خالد الفهمية وهى امرأة جده نفيل ولدت له الخطاب فهو أخو الخطاب لامه وابن أخيه وكان ذلك مباحا فى الجاهلية بشرع متقدم ولم تكن من الحرمات التى انتهكوها ولا من العظائم

*قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال كان عبيد الله بن جحش حين تنصر يمر باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم هنالك من أرض الحبشة فيقولون فقحنا وصأصأتم أى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد وذلك أن ولد الكلب اذا أراد أن يفتح عينيه لينظر صأصأ لينظر وقوله فقح فتح عينيه *قال ابن اسحق وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن على بن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها الى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى فخطبها عليه النجاشى فزوجه اياها وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار فقال محمد بن على مانرى عبد الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار الا عن ذلك وكان الذى أملكها للنبى صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص * قال ابن اسحق وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده «قال ابن هشام» ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث منعنى من ذكره ماذكرت فى حديث الفجار * قال ابن اسحق وأما زيد ابن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الاوثان

التى ابتدعوها لانه أمر كان فى عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنانة زوج امرأة أبيه خزيمة وهى برة بنت مر فولدت له النضر بن كنانة وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه واقدة فولدت له ضعيفة ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم تلد جدا له أعنى واقدة وقد قال عليه السلام أنا من نكاح لا من سفاح ولذلك قال سبحانه «ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف» أى الا ماسلف من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء ألا يعاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم يكن فى أجداده من كان لغية ولا من سفاح ألا ترى انه لم يقل فى شئ نهى عنه فى القرآن الا ماقد سلف نحو قوله «ولا تقربوا الزنا» ولم يقل الا ماقد سلف «ولا تقتلوا النفس التى حرم الله» ولم يقل الا ماقد سلف ولا فى شئ من المعاصى التى نهى عنها الا فى هذه وفى الجمع بين الاختين لان الجمع بين الاختين قد كان مباحا أيضا فى شرع من قبلنا وقد جمع يعقوب بين راحل وأختها ليا فقوله الا ماقد سلف التفاتة الى هذا المعنى وتنبيه على هذا المغزى وهذه النكتة لقفتها من شيخنا الامام الحافظ أبى بكر محمد بن العربى رحمه الله و زيد هذا هو والد سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم بالجنة وأم سعيد فاطمة بنت نعجة بن خلف الخزاعى *وذكر قول عبيد الله بن جحش حين تنصر بالحبشة فقحنا وصأصأتم وشرح فقحنا بقوله فقح الجرو اذا فتح عينيه وهكذا ذكره أبو عبيد وزاد جصص أيضا وذكر أبو عبيد بصص بالباء حكاها عن أبى زيد وقال القالى انما رواه البصريون عن أبى زيد بياء منقوطة باثنتين لان الياء تبدل من الجيم كثيرا كما تقول ايل واجل ولرواية أبى عبيد وجه وهو أن يكون بصص من البصيص وهو البريق

«فصل» وذكر عثمان بن الحويرث مع زيد وورقة وعبيد الله بن جحش ثم قال وأما عثمان بن الحويرث فانه ذهب الى الشام وله فيها مع قيصر خبر ولم يذكر ذلك الخبر وذكر البرقى عن ابن اسحق أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر فقال له انى أجعل لك خرجا على قريش ان جاؤا الشام لتجارتهم والا منعتهم فاراد قيصر أن يفعل فخرج سعيد بن العاصى بن أمية وأبو ذئب وهو هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر الى الشام فاخذا فحبسا فمات أبو ذئب فى الحبس وأما سعيد بن العاصى فانه خرج الوليد بن المغيرة وهو وأمية فتخلصوه فى حديث طويل رواه ابن اسحق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس وأبو ذئب الذى ذكره هو جد الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب يكنى أبا الحارث من فقهاء المدينة وأمه بريهة بنت عبد الرحمن بن أبى ذئب وأما الزبير فذكر أن قيصر كان قد توّج عثمان وولاه أمر مكة فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك وصاح الاسود بن أسد بن عبد العزى الا ان مكة حى لقاح لا تدين لملك فلم يتم له مراده قال وكان يقال له البطريق ولا عقب له ومات بالشام مسموما سمه عمرو بن جفنة الغسانى الملك

«فصل» وذكر اعتزال زيد الاوثان وتركه طواغيتهم وتركه أكل مانحر والنصب روى البخارى عن محمد بن أبى بكر قال أخبرنا فضيل بن سليمان قال أخبرنا موسى قال حدثنى سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبى عليه السلام الوحى فقدمت الى النبى صلى الله عليه وسلم سفرة أو قدمها اليه النبى صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد انى لست آكل ماتذبحون على أنصابكم ولا آكل الا ماذكر اسم الله عليه وان زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الارض

الكلاء

الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله انكاراً لذلك واعظاماله قال موسى بن سالم بن عبد الله ولا أعلم الا ما تحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين و يتبعه فاتى عالما من اليهود فسأله عن دينهم وقال انى لعلى أن أدين بدينكم فاخبرونى فقال لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد ما أفر الا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وانى أستطيعه فهل تدلنى على غيره قال ما أعلمه الا أن يكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله فخرج زيد فاتى عالما من النصارى فذكر مثله فقال ان تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال ما أفر الا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا وأنى أستطيع فهل تدلنى على غيره قال ما أعلمه الا أن يكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله فلما رأى زيد قولهم فى ابراهيم خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم انى أشهدك أنى على دين ابراهيم وقال الليث كتب الى هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسنداً ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى وكان يحيي الموؤدة يقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها الى هاهنا انتهى حديث البخارى وفيه سؤال ﴿يقال﴾ كيف وفق الله زيداً الى ترك أكل ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية لما ثبت الله له ﴿فالجواب﴾ من وجهين (أحدهما) انه ليس فى الحديث حين لقيه ببلدح فقدمت اليه السفرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منها وانما فى الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه (الجواب الثانى) أن زيداً انما فعل ذلك برأى رآه لا بشرع متقدم وانما تقدم شرع ابراهيم بتحريم الميتة لا بتحريم ما ذبح لغير الله وانما نزل تحريم ذلك فى الاسلام و بعض الاصوليين يقولون الاشياء قبل ورود الشرع على الاباحة فان قلنا بهذا وقلنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل مما ذبح على النصب فانما فعل أمراً مباحا وان كان لا يأكل منها فلا اشكال وان قلنا أيضاً انها ليست على الاباحة ولا على التحريم وهو الصحيح فالذبائح خاصة لها أصل فى تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ونحو ذلك مما أحله الله تعالى فى دين من كان قبلنا ولم يقدح فى ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه حتى جاء الاسلام وأنزل الله سبحانه «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه» ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ولم يقدح فى التحليل ما أحدثوه من الكفر وعبادة الصلبان فكذلك كان ما ذبحه أهل الاوثان محللا بالشرع المتقدم حتى خصه القرآن بالتحريم

﴿فصل﴾ وذكر خبر الموؤدة وما كان زيد يفعل فى ذلك وقد كان صعصعة بن معاوية جد الفرزدق رحمه الله يفعل مثل ذلك ولما أسلم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى فى ذلك من أجر فقال فى اصح الروايتين لك أجره اذا من الله عليك بالاسلام وقال المبرد فى الكامل عن النبى صلى الله عليه وسلم كلاما لم يصح لفظه ولا معناه ولا يشهد له أصل والاصول تشهد له بهذه الرواية التى ذكرناها لما ثبت أن الكافر اذا أسلم وحسن اسلامه كتب له كل حسنة كان زلفها وهذا الحديث أخرجه البخارى ولم يذكر فيه كل حسنة كان زلفها وذكرها الدارقطنى وغيره ثم يكون القصاص بعد ذلك الحسنة بعشر أمثالها والموؤدة مفعولة من وأده اذا أثقله قال الفرزدق

ومنا الذى منع الوائدا * ت وأحيا الوئيد فلم يوأد

ونهى عن قتل الموؤدة وقال أعبد رب ابراهيم ونادى قومه بعيب ما هم عليه * قال ابن اسحق وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن أمه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره الى الكعبة وهو يقول يا معشر قريش والذى نفس زيد ابن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيرى ثم يقول اللهم لو انى أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته * قال ابن اسحق وحدثت ان ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث أمة وحده

(وقال زيد بن عمرو بن نفيل فى فراق دين قومه وما كان لقى منهم فى ذلك)

أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور

عزلت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها * ولا صنمى بنى عمرو أزور
ولا غنما أدين وكان ربا * لنا فى الدهر اذ حلمى يسير
عجبت وفى الليالى معجبات * وفى الايام يعرفها البصير
بان الله قد أفنى رجالا * كثيرا كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم * فيربل منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوما * كما يتروح الغصن المطير
ولكن أعبد الرحمن ربى * ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها * متى ماتحفظوها لاتبوروا
ترى الابرار دارهم جنان * وللكفار حامية سعير
وخزى فى الحياة وان يموتوا * يلاقوا ماتضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضا «قال ابن هشام» هى لامية بن أبى الصلت فى قصيدة له الا البيتين الاولين والبيت الخامس وآخرها بيتا وعجز البيت الاول من غير ابن اسحق

الى الله أهدى مدحتى وثنائيا * وقولا رضيا لاينى الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه * اله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الانسان اياك والردى * فانك لاتخفى من الله خافيا
واياك لاتجعل مع الله غيره * فان سبيل الرشد أصبح باديا
حنانيك ان الجن كانت رجاءهم * وأنت الهى ربنا ورجائيا
يريد

يعنى جده صعصعة بن معاوية بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع وقد قيل كانوا يفعلون ذلك غيرة على البنات وماقاله الله فى القرآن هو الحق من قوله «خشية املاق» وذكر النقاش فى التفسير انهم كانوا يئدون من البنات ما كان منهن زرقاء أو برشاء او شيماء او كشحاء تشاؤما منهم بهذه الصفات قال الله تعالى «واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت»

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر زيد بن عمرو وفيه * عزلت اللات والعزى جميعا * فاما اللات فقد تقدم ذكرها واما العزى فكانت نخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحى قد أخبرهم فيما ذكر أن الرب يشتى بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتا وكانوا يهدون اليه كما يهدون الى الكعبة وهى التى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليكسرها فقال له سادنها ياخالد احذرها فانها تجدع وتكنع فهدمها خالد وترك منها جذمها وأساسها فقال قيمها والله لتعودن ولتنتقمن ممن فعل بها هذا فذكر والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخالد هل رأيت فيها شيئا فقال لا فامره ان يرجع ويستأصل بقيتها بالهدم فرجع خالد فاخرج أساسها فوجد فيها امرأة سوداء منتفشة الشعر تخدش وجهها فقتلها وهرب القيم وهو يقول لا تعبد العزى بعد اليوم هذا معنى ماذكر أبو سعيد النيسابورى فى المبعث وذكره الازرقى ايضا ورزين * وقوله * فيربل منهم الطفل الصغير * الفيت فى حاشية الشيخ أبى بحر ربل الطفل يربل اذا شب وعظم يربل بفتح الباء أى يكبر وينبت ومنه أخذ تربيل الارض * وقوله كما يتروح الغصن اى ينبت ورقه بعد سقوطه * وقوله * وللكفار حامية سعير * نصب حامية على الحال من سعير لان نعت النكرة اذا تقدم عليها نصب على الحال وانشد سيبويه فى مثله * لمية موحشا طلل * وانشد ايضا

وتحت العوالى والقنا مستكنة * ظباء أعارتها العيون الجآذر

والعامل فى هذا الحال الاستقرار الذى يعمل فى الظرف ويتعلق به حرف الجر وهذا الحال على مذهب أبى الحسن الاخفش لا اعتراض فيها لانه يجعل النكرة التى بعدها مرتفعة بالظرف ارتفاع الفاعل وأما على مذهب سيبويه فالمسئلة عسيرة جدا لانه يلزمه أن يجعلها حالا من المضمر فى الاستقرار لانه معرفة فذلك أولى من ان يكون حالا من نكرة فان قدر الاستقرار آخر الكلام وبعد المرفوع كان ذلك فاسدا لتقدم الحال على العامل المعنوى وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا

﴿ فصل ﴾ وانشد ايضا لزيد * الى الله اهدى مدحتى وثنائيا * وفيه * الا ايها الانسان اياك والردى * تحذير من الردى والردى هو الموت فظاهر اللفظ متروك وانما هو تحذير مما يأتى به الموت ويبديه ويكشفه من جزاء الاعمال ولذلك قال * فانك لاتخفى من الله خافيا * وفيه

وانى وان سبحت باسمك ربنا * لاكثر الا ماغفرت خطائيا

معنى البيت انى لاكثر من هذا الدعاء الذى هو باسمك ربنا الا ماغفرت وما بعد الا زائدة وان سبحت اعتراض بين اسم ان وخبرها كما تقول انى لاكثر من هذا الدعاء الذى هو باسمك ربنا الا والله يغفر لى لافعل كذا والتسبيح هنا بمعنى الصلاة أى لا أعتمد وان صليت الا على دعائك واستغفارك من خطاياى * وقوله حنانيك بلفظ التثنية قال النحويون يريد حنانا بعد حنان كانهم ذهبوا الى التضعيف والتكرار لا الى القصر على اثنين خاصة دون مزيد (قال المؤلف رحمه الله) ويجوز أن يريد حنانا فى الدنيا وحنانا فى الآخرة واذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طرفة * حنانيك بعض الشر أهون من بعض * فانما

رضيت بك اللهم ربا فان أرى * أدين الها غيرك الله ثانيا وأنت الذى من فضل من ورحمة * بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت له اذهب وهرون فادعوا * الى الله فرعون الذى كان طاغيا وقولا له أأنت سويت هذه * بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له أأنت رفعت هذه * بلا عمد ارفق اذا بك بانيا وقولا له أأنت سويت وسطها * منيرا اذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة * فيصبح ما مست من الارض ضياحا وقولا له من ينبت الحب فى الثرى *
فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه فى رؤسه
وفى ذاك آيات لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نجيت
يونسا
وقد بات فى أضعاف حوت
لياليا
وانى لو سبحت باسمك ربنا
لأكثر الا ما غفرت خطائيا
فرب العباد ألق سيبا ورحمة
على وبارك فى بنى وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمى (قال ابن هشام) واسم الحضرمى عبد الله بن عباد أحد الصدف واسم الصدف عمرو بن مالك أحد السكون بن أشرس بن كندى ويقال كندة بن ثور بن مرتع بن عفير بن عدى بن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال مرتع بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا * قال ابن اسحق وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة ليضرب فى الارض يطلب الحنيفية دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم فكانت صفية بنت الحضرمى كلما رأته قد تهيأ للخروج وأراده آذنت به الخطاب بن نفيل وكان الخطاب بن نفيل عمه وأخاه لامه وكان يعاتبه على فراق دين قومه وكان الخطاب قد وكل صفية به وقال اذا رأيتيه قد هم بامر فآذنيني به فقال زيد

لا تحبسينى فى الهوا * ن صفى ما دأبى ودأبه انى اذا خفت الهوا * ن مشيع ذلل ركابه دعموص أبواب الملو * ك وجائب للخرق نابه
قطاع أسباب تذل * بغير اقران صعابه وانما أخذ الهوا * ن العير اذ يوهى اهابه

يريد حنان دفع وحنان نفع لان كل من أمل ملكا فانما يؤمله ليدفع عنه ضيرا او ليجلب اليه خيرا * وقوله فلن ارى ادين إلها اى أدين لاله وحذف اللام وعدى الفعل لانه فى معنى اعبد الها * وقوله غيرك الله برفع الهاء اراد يا الله وهذا لا يجوز فيما فيه الالف واللام الا ان حكم الالف واللام فى هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها فى سائر الاسماء الا ترى انك تقول يا ايها الرجل ولا ينادى اسم الله بيا ايها وتقطع همزته فى النداء فتقول يا الله ولا يكون ذلك فى اسم غيره الى احكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الاسماء المعرفة ولعل بعض ذلك ان يذكر فيما بعد ان شاء الله وقد استوفيناه فى غير هذا الكتاب وفيه بيت حسن لم يذكره ابن اسحق وذكره ابو الفرج فى اخبار زيد وهو

أدين إلاها يستجار ولا أرى * أدين لمن لم يسمع الدهر داعيا

وفيه فقلت الا يا اذهب على حذف المنادى كانه قال الا يا هذا اذهب كما قرىء الا يا اسجدوا يريد يا قوم اسجدوا وكما قال غيلان * ألا يا سلمى يا دارمى على البلى * وفيه اذهب وهارون عطفا على الضمير فى اذهب وهو قبيح اذ لم يؤكد ولو نصبه على المفعول معه لكان جيدا * وقوله اطمأنت كما هيا وزنه افلعلت لان الميم أصلها أن تكون بعد الالف لانه من تطامن أى تطأطأ وانما قدموها لتباعد الهمزة التى هى عين الفعل من همزة الوصل فتكون أخف عليهم فى اللفظ كما فعلوا فى أشياء حين قلبوها فى قول الخليل وسيبويه فرارا من تقارب الهمزتين كما هيا ما زائدة لتكف الكاف عن العمل وتهيئها للدخول على الجمل وهى اسم مبتدا والخبر محذوف التقدير كما هى عليه والكاف فى موضع نصب على الحال من المصدر الذى دل عليه اطمأن كما تقول سرت مثل سير زيد فمثل حال من سيرك الذى سرته وفيه ارفق اذا بك بانيا ارفق تعجب وبك فى موضع رفع لان المعنى رفقت وبانيا تمييز لانه يصلح أن يجر بمن كما تقول أحسن بزيد من رجل وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب اذ قد علم انك متعجب منه ولبسط هذا المعنى وكشفه موضع غير هذا ان شاء الله وبعد قوله

* وقد بات فى أضعاف حوت لياليا * بيت لم يذكره ابن اسحق ووقع فى جامع ابن وهب وهو

وأنبت يقطينا عليه برحمة * من الله لولا ذاك أصبح ضاحيا

* وذكر صفية بنت الحضرمى واسم الحضرمى عبد الله بن عمار وسيأتى ذكر نسبها عند ذكر أخيها بعد * وقوله دعموص أبواب الملوك يريد ولاجا فى أبواب الملوك واصل الدعموص سمكة صغيرة كحية الماء فاستعاره هنا وكذلك جاء فى حديث أبى هريرة يرفعه صغاركم دعاميص الجنة وكما استعارت عائشة العصفور حين نظرت الى طفل صغير قد مات فقالت طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوء فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا اخرجه مسلم وفى هذه الابيات خرم فى موضعين أحدهما قوله ولو أشاء لقلت ما * عندى مفاتحه وبابه والآخر قوله وانما أخذ الهوان العيراذ * يوهى اهابه وقد تقدم مثل هذا فى شعر ابن الزبعرى وتكلمنا عليه هنالك بما فيه كفاية

ويقول انى لا أذ * ل بصك جنبيه صلابه   واخى ابن أمى ثم عمـ * ـى لا يواتينى خطابه
واذا يعاتبنى بسو * ء قلت أعيانى جوابه   ولو أشاء لقلت ما * عندى مفاتحه وبابه

* قال ابن اسحق وحدث بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيدا كان اذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال لبيك حقا حقا تعبدا ورقا
عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم اذ قال   أنفى لك اللهم عان راغم * مهما تجشمنى فانى جاشم   البر أبغى لا الخال
ليس مهجر كمن قال «قال ابن هشام» ويقال البر أبقى لا الخال ليس مهجر كمن قال قال وقوله مستقبل الكعبة عن بعض أهل العلم * قال ابن
اسحق وقال زيد بن عمرو بن نفيل   وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت * على الماء أرسى عليها الجبالا   وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هى سيقت الى بلدة * أطاعت فصبت عليها سجالا   وكان الخطاب قد آذى زيدا حتى أخرجه الى أعلى

مكة فنزل حراء مقابل مكة
ووكل به الخطاب شبابا من
شباب قريش وسفهاء من
سفهائهم فقال لهم لا تتركوه
يدخل مكة فكان لا يدخلها
الا سرا منهم فاذا علموا
بذلك آذنوا به الخطاب
فاخرجوه وآذوه كراهية أن
يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه
أحد منهم على فراقه فقال
وهو يعظم حرمته على من
استحل منه ما استحل من
قومه

لاهم انى محرم لاحله *
وان بيتى أوسط المحله
* عند الصفا ليس بذى
مضله *

ثم خرج يطلب دين ابراهيم
عليه السلام ويسأل الرهبان
والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجال الشام كلها حتى انتهى الى راهب بميفعة من   لا تعجبوا .
أرض البلقاء كان ينتهى اليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه
اليوم ولكن قد أظل زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فانه مبعوث الآن هذا زمانه وقد كان
شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئا منهما فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه
فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه   رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما * تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله * وتركك أوثان الطواغى كما هيا   وادراكك الدين الذى قد طلبته * ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فاصبحت فى دار كريم مقامها * تعلل فيها بالكرامة لاهيا   تلاقى خليل الله فيها ولم تكن * من الناس جبارا الى النار هاويا
وقد تدرك الانسان رحمة ربه * ولو كان تحت الارض سبعين واديا   «قال ابن هشام» يروى لامية بن أبى الصلت البيتان
الاولان منها وآخرها بيتا فى قصيدة له وقوله أوثان الطواغى عن غير ابن اسحق

---

* وقوله ويقول أنى لا أذل أى يقول العير ذلك بصك جنبيه صلابه أى صلاب ما يوضع عليه وأضافها الى العير لانها عبؤه وحمله * وذكر قوله البر ابغى لا الخال قال ابن هشام البر ابغى بالنصب والخال الخيلاء والكبر * وقوله ليس مهجر كمن قال أى ليس من هجر وتكيس كمن آثر القائلة والنوم فهو من قال يقيل وهو ثلاثى ولكن لا يتعجب منه لا يقال ما أقيله قال أهل النحو استغنوا عنه بما أنومه ولذكر السير فى امتناع التعجب من هذا الفعل موضع غير هذا * وقول زيد انى محرم لا حله محرم أى ساكن بالحرم والحلة أهل الحل يقال للواحد والجميع حلة * ذكر لقاء زيد الراهب بميفعة هكذا تقيد فى الاصل بكسر الميم من ميفعة والقياس فيها الفتح لانه اسم لموضع أخذ من اليفاع وهو المرتفع من الارض * وقوله شام اليهودية والنصرانية هو فاعل من الشم كما قال يزيد بن شيبان حين سأل النسابة من قضاعة ثم انصرف فقال له النسابة شاممتنا مشامة الذئب الغنم ثم تنصرف فى حديث ذكره أبو على فى النوادر ومعناه استخبر فاستعاره من الشم فنصب اليهودية والنصرانية نصب المفعول ومن خفض جعل شامّ اسم فاعل من شممت والفعل أولى بهذا الموضع كما تقدم * وقول ورقة رشدت وأنعمت ابن عمرو أى رشدت وبالغت فى الرشد كما يقال أمعنت النظر وأنعمته * وقوله ولو كان تحت الارض سبعين واديا بالنصب نصب سبعين على الحال لانه قد يكون صفة للنكرة كما قال * فلو كنت فى جب ثمانين قامة * وما صفة للنكرة يكون حالا من المعرفة وهو هنا حال من البعد كانه قال ولو بعد تحت الارض سبعين كما تقول بعد طويلا أى بعدا طويلا واذا حذفت المصدر وأقمت الصفة مقامه لم تكن الا حالا وقد تقدم قول سيبويه فى ذلك فى مسئلة ساروا رويدا ونحو هذا دارى خلف دارك فرسخا أى تقرب منها فرسخا إن أردت القرب وكذلك إن أردت البعد فالبعد والقرب مقدران بالفرسخ فلو قلت دارى تقرب منك قربا مقدرا بفرسخ لكان بمنزلة من يقول قربا كثيرا أو قليلا فالفرسخ موضوع موضع كثير أو قليل فاعرابه كاعرابه وكذلك قول الشاعر

﴿ صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانجيل ﴾ * قال ابن اسحق وقد كان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله فى الانجيل لاهل الانجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثبت يحنس الحوارى لهم حين نسخ لهم الانجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام فى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم بانه قال من أبغضنى فقد أبغض الرب ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن بطروا وظنوا انهم يعزوننى وأيضا للرب ولكن لابد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس انهم أبغضونى مجانا أى باطلا فلو قد جاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله اليكم من عند الرب روح القدس هذا الذى من عند الرب خرج فهو شهيد علىّ وأنتم أيضاً لانكم قديما كنتم معى فى هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا والمنحمنا بالسريانية محمد وهو بالرومية البرقليطس صلى الله عليه وعلى آله وسلم

﴿ مبعث النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما ﴾

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى أى ثقل ما حملتكم من عهدى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا

لا تعجبوا فلو أن طول قناته * ميل اذا نظم الفوارس ميلا

أى نظمهم نظما مستطيلا ووضع ميلا موضع مستطيلا فاعرابه كاعرابه فهو وصف للمصدر واذا أقيم الوصف مقام الموصوف فى هذا الباب لم يكن حالا من الفاعل لكن من المصدر الذى يدل الفعل عليه بلفظه نحو سار واطويلا وسقيتها أحسن من سقى ابلك ونحو ذلك

﴿ فصل ﴾ وذكر يحنس الحوارى وسيأتى فى آخر الكتاب ذكر الحواريين كلهم باسمائهم * وذكر قوله أبغضتمونى مجانا أى باطلا وكذلك جاء فى الحكمة يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا أى بلا ثمن وفى وصايا الحكماء شاور ذوى الاسنان والعقول يعطوك من رأيهم مجانا ما أخذوه بالثمن أى بطول التجارب ومن صفة النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة ما رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو قال وجدت فى التوراة صفة النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء فيفتح به عيونا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بان يقولوا لا اله الا الله ومما وجد من صفته صلى الله عليه وسلم عند الاحبار ما ذكره الواقدى من حديث النعمان التيمى قال وكان من أحبار يهود باليمن فلما سمع بذكر النبى صلى الله عليه وسلم قدم عليه فسأله عن أشياء ثم قال ان أبى كان يختم على سفر يقول على يهود حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال نعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه انك خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك أحمد وأمتك الحامدون قربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم وهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن النسر على فراخه ثم قال لى اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدق به فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يتبسم ثم قال اشهد انى رسول الله وهو الذى قتله الاسود العنسى وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه بالنار

﴿ كتاب المبعث ﴾

ذكر ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام وهذا مروى عن ابن عباس وجبير بن مطعم وقباث بن أشيم وعطاء وسعيد بن المسيب وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالاثر وقد روى أنه نبى على رأس أربعين وشهرين من مولده وقيل لقباث بن أشيم من أكبر أنت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله أكبر منى وأنا أسن منه وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بى أمى على روث الفيل ويروى خزق الطير فرأيته أخضر محيلا أى قد أتى عليه حول وفى غير رواية البكائى من هذا الكتاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال لا يفتك صيام يوم الاثنين فانى قد ولدت فيه وبعثت فيه وأموت فيه * وذكر ابن اسحق قول الله سبحانه « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » الآية وما فى هذه الآية اسم مبتدأ بمعنى الذى والتقدير

بالتصديق له والنصر له ممن خالفه وأدوا ذلك الى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين * قال ابن اسحق فذكر الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها انها حدثته ان أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به رؤيا فى نومه الا جاءت كفلق الصبح قالت وحبب الله تعالى اليه الخلوة فلم يكن شىء أحب اليه من أن يخلو وحده

* وقال ابن اسحق وحدثنى عبد الملك بن عبيد الله بن أبى سفيان بن العلاء ابن جارية الثقفى وكان واعية عن بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضى الى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله قال فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى الا الشجر والحجارة فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء فى شهر رمضان

للذى آتينا كم من كتاب وحكمة ولا يصح أن تكون فى موضع نصب على اضمار فعل كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل بضميره لان ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها وما لا يجوز ان يعمل فيه ما قبله فلا يجوز ان يكون تفسيرا لما يعمل فيه وقد قيل ان ما هذه شرط والتقدير لمهما آتينا كم من كتاب وحكمة لتؤمنن به وهو ظاهر قول سيبويه لانه جعلها بمنزلة ان وقول الخليل انها بمنزلة الذى أى انها اسم لا حرف ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا فتكون اسما وتكون شرطا ويحتمل أيضا ان تكون على قول الخليل خبرية فى موضع رفع بالابتداء ويكون الخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وان كان الضميران عائدين على الرسول لا على الذى ولكن لما قال رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدا وله نظير فى التنزيل منه قوله تعالى «والذين يتوفون منكم» خبره يتربصن بانفسهن ولم يعد على المبتدا شىء لتشبث الكلام بعضه ببعض وقد لاح لى بعد نظرى الكتاب ان الذى قاله الخليل وقول سيبويه قول واحد غير انه قال ودخول اللام على ما كدخولها على ان يعنى فى الجزاء ولم يرد ان يعمل ما جزاء وانما تكلم على اللام خاصة والله أعلم * وذكر قول ابن اسحق والنبوءة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيعها الا أهل القوة والعزم من الرسل ووقع فى رواية يونس عن ابن اسحق فى هذا الموضع عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن قال سمعت وهب بن منبه وهو فى مسجد منى وذكر له يونس النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حملت عليه أثقال النبوءة ولها أثقال تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فالقاها عنه وخرج هاربا وفى رواية عن ابن اسحق ان أولى العزم من الرسل منهم نوح وهود وابراهيم أما نوح فلقوله «ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله» وأما هود فلقوله «انى أشهد الله واشهدوا انى برىء مما تشركون» وأما ابراهيم فلقوله هو والذين معه «انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله» وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق ما بدىء به النبى صلى الله عليه وسلم من النبوءة اذ كان لا يمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وفى مصنف الترمذى ومسلم أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن ينزل على وفى بعض المسندات زيادة ان هذا الحجر الذى كان يسلم عليه هو الحجر الاسود وهذا التسليم الاظهر فيه أن يكون حقيقة وأن يكون الله أنطقه انطاقا كما خلق الحنين فى الجذع ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف الحياة والعلم والارادة لانه صوت كسائر الاصوات والصوت عرض فى قول الاكثرين ولم يخالف فيه الا النظام فانه زعم أنه جسم وجعله الاشعرى اصطكاكا فى الجواهر بعضها لبعض وقال أبو بكر بن الطيب ليس الصوت نفس الاصطكاك ولكنه معنى زائد عليه وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر والصوت عبارة عنه لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام والله أعلم أى ذلك كان أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم فيكون الحجر به مؤمنا أو كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوءة وأما حنين الجذع فقد سمى حنينا وحقيقة الحنين يقتضى شرط الحياة وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا فى الحقيقة الى ملائكة يسكنون تلك الاماكن ويعمرونها فيكون مجازا من باب قوله تعالى «واسئل القرية» والاول أظهر وان كانت كل صورة من هذه الصور التى ذكرناها فيها علم على نبوته عليه السلام غير أنه لا يسمى معجزة فى اصطلاح المتكلمين الا ما تحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته

* قال ابن اسحق وحدثنى وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثى حدثنا يا عبيد كيف كان بدؤ ما ابتدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام قال فقال عبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله ابن الزبير ومن عنده من الناس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء من كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث به قريش فى الجاهلية والتحنث التبرر * قال ابن اسحق وقال أبو طالب

ونور ومن أرسى ثبيرا مكانه
وراق ليرقى فى حراء ونازل

« قال ابن هشام » تقول العرب التحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء كما قالوا جذف وجدث يريدون القبر قال رؤبة بن العجاج لو كان أحجارى مع الاجذاف * يريد الاجداث وهذا البيت فى أرجوزة له وبيت أبى طالب فى قصيدة له سأذكرها ان شاء الله فى موضعها « قال ابن هشام » وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول فم فى موضع ثم يبدلون الفاء من الثاء * قال ابن اسحق حدثنى وهب بن كيسان قال قال عبيد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدؤ به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه الله تعالى فيها وذلك الشهر رمضان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى اذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءنى جبريل وأنا نائم

---

* وذكر حديث عبيد بن عمير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجاور بغار حراء ويتحنث فيه قال والتحنث التبرر تفعل من البر وتفعل يقتضى الدخول فى الفعل وهو الاكثر فيها مثل تفقه وتعبد وتنسك وقد جاءت فى ألفاظ يسيرة تعطى الخروج عن الشىء واطراحه كالتأثم والتحرج والتحنث بالثاء المثلثة لانه من الحنث وهو الحمل الثقيل وكذلك التقذر انما هو تباعد عن القذر وأما التحنف بالفاء فهو من باب التبرر لانه من الحنيفية دين ابراهيم وان كان الفاء مبدلة من الثاء فهو من باب التقذر والتأثم وهو قول ابن هشام واحتج بجذف وجدث وأنشد قول رؤبة * لو كان أحجارى مع الاجذاف * وفى بيت رؤبة هذا شاهد ورد على ابن جنى حيث زعم فى سر الصناعة أن جذف بالفاء لا يجمع على أجذاف واحتج بهذا لمذهبه فى أن التاء هى الاصل وقول رؤبة رد عليه والذى نذهب اليه ان الفاء هى الاصل فى هذا الحرف لانه من الجذف وهو القطع ومنه مجذاف السفينة وفى حديث عمر فى وصف الجن شرابهم الجذف وهى الرغوة لانها تجذف عن الماء وقيل هى نبات يقطع ويؤكل وقيل كل اناء كشف عنه غطاؤه جذف والجذف القبر من هذا فله مادة وأصل فى الاشتقاق فاجدر بان تكون الفاء هى الاصل والثاء داخلة عليها * وقوله يجاور فى حراء الى آخر الكلام الجوار بالكسر فى معنى المجاورة وهى الاعتكاف ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد كذلك قال ابن عبد البر ولذلك لم يسم جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد ولكنه من جبال الحرم وهو الجبل الذى نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عنى فانى أخاف أن تقتل على ظهرى فاعذب فناداه حراء الى الى يا رسول الله

﴿فصل﴾ وذكر نزول جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الحديث فأتانى وأنا نائم وقال فى آخره فهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى كتابا وليس ذكر النوم فى حديث عائشة ولا غيرها بل فى حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ كان فى اليقظة لانها قالت فى أول الحديث أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب الله اليه الخلاء الى قولها حتى جاءه الحق وهو بغار حراء فجاءه جبريل فذكرت فى هذا الحديث ان الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبى عليه السلام بالقرآن وقد يمكن الجمع بين الحديثين بان النبى صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به لان أمر النبوءة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف وسيأتى فى حديث الاسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه قد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراآه ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحى والشىء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحى فعلى هذا كان نزول الوحى عليه صلى الله عليه وسلم فى أحوال مختلفة فمنها النوم كما فى حديث ابن اسحق وكما قالت عائشة أيضا أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة وقد قال ابراهيم عليه السلام «انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى» فقال له ابنه «افعل ما تؤمر» فدل على أن الوحى كان يأتيهم

فى المنام كما يأتيهم فى اليقظة ومنها أن ينفث فى روعه الكلام نفثا كما قال عليه السلام ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال مجاهد وأكثر المفسرين فى قوله سبحانه «وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا» قال هو أن ينفث فى روعه بالوحى ومنها أن يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وقيل ان ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع وألقن لما يلقى ومنها أن يتمثل له الملك رجلا فقد كان يأتيه فى صورة دحية بن خليفة ويروى أن دحية اذا قدم المدينة لم تبق معصر الا خرجت تنظر اليه لفرط جماله وقال ابن سلام فى قوله تعالى «واذا رأوا تجارة أو لهوا» قال كان اللهو نظرهم الى وجه دحية لجماله ومنها أن يترا آله جبريل فى صورته التى خلقه الله فيها له ستمائة جناح ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت ومنها أن يكلمه الله من وراء حجاب اما فى اليقظة كما كلمه فى ليلة الاسراء واما فى النوم كما قال فى حديث معاذ الذى رواه الترمذى قال أتانى ربى فى أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت لا أدرى فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثندوتى وتجلى لى علم كل شىء وقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى فقلت فى الكفارات فقال وماهن فقلت الوضوء عند الكريهات ونقل الاقدام الى الحسنات وانتظار الصلوات بعد الصلوات فمن فعل ذلك عاش حميدا أو مات حميدا وكان من ذنبه كمن ولدته أمه وذكر الحديث فهذه ستة أحوال وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها وهى نزول اسرافيل عليه بكلمات من الوحى قبل جبريل فهذه سبع صور فى كيفية نزول الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم لم أر أحدا جمعها كهذا الجمع وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غنية وقد أملينا أيضا فى حقيقة رؤيته عليه السلام ربه فى المنام على أحسن صورة ويروى على صورة شاب مسئلة بديعة كاشفة لقناع اللبس فلتنظر هنالك

﴿فصل﴾ وذكر فى الحديث أن جبريل أتاه بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال بعض المفسرين فى قوله «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه» انها اشارة الى الكتاب الذى جاءه به جبريل حين قال له اقرأ وفى الآية أقوال غير هذه منها انها اشارة الى ما تضمنه قوله سبحانه الم لان هذه الحروف المقطعة تضمنت معانى الكتاب كله فهى كالترجمة له * وقوله ما أنا بقارئ أى انى أمى فلا أقرأ الكتب قالها ثلاثا فقيل له اقرأ باسم ربك أى انك لا تقرؤه بحولك ولا بصفة نفسك ولا بمعرفتك ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا به فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك علق الدم ومغمز الشيطان بعد ما خلقه فيك كما خلقه فى كل انسان والآيتان المتقدمتان لمحمد والآخرتان لامته وهما قوله تعالى «الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم» لانها كانت أمة أمية لا تكتب فصاروا أهل كتاب وأصحاب قلم فتعلموا القرآن بالقلم وتعلمه نبيهم تلقينا من جبريل نزله على قلبه باذن الله ليكون من المرسلين

﴿فصل﴾ وفى قوله اقرأ باسم ربك من الفقه وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم غير انه أمر مبهم لم يبين له باى اسم من أسماء ربه يفتتح حتى جاء البيان بعد فى قوله «بسم الله مجراها» ثم قوله تعالى «وانه بسم الله الرحمن الرحيم» ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة وقد ثبت فى سواد المصحف باجماع من الصحابة على ذلك وما ذكره البخارى من مصحف الحسن البصرى فشذوذ فهى على هذا من القرآن اذ لا يكتب فى المصحف ما ليس بقرآن ولا يلتزم قول الشافعى انها آية من كل سورة ولا أنها آية من الفاتحة بل نقول انها آية من كتاب الله تعالى مقترنة مع السورة وهو قول داود وأبى حنيفة وهو قول بين القوة لمن أنصف وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبحت الجبال فقالت قريش سحر محمد الجبال

بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال قلت ما أقرأ قال فغتنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أقرأ قال فغتنى به حتى ظننت انه الموت ثم ارسلنى فقال اقرأ قال قلت ماذا اقرأ قال فغتنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قال فقلت ماذا اقرأ ما أقول ذلك الا افتداء منه ان يعود لى بمثل ما صنع بى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قال فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببت من نومى فكانما كتبت فى قلبى كتابا قال فخرجت حتى اذا كنت فى وسط من الجبل

ذكره النقاش وان صح ماذكره فلمعنى ما سبحت عند نزولها خاصة وذلك انها آية انزلت على آل داود وقد كانت الجبال تسبح مع داود كما قال الله تعالى «انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق» وقال «انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم» وفى الحديث ذكر نمط الديباج من الكتاب وفيه دليل واشارة الى ان هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الاعاجم ويسلبونهم الديباج والحرير الذى كان زيهم وزينتهم وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج وفى سير موسى بن عقبة وسير سليمان بن المعتمر زيادة وهو أن جبريل أتاه بدرنوك من ديباج منسوج بالدر والياقوت فاجلسه عليه غير أن موسى بن عقبة قال ببساط ولم يقل درنوك وقال فى سير ابن المعتمر ان الله تعالى أنزل عليه «ألم نشرح لك صدرك» الآيات كانه يشير به فسح جبريل صدره وقال اللهم اشرح صدره وارفع ذكره وضع عنه وزره ويصحح مارواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه الم نشرح لك صدرك الآيات كانه يشير الى ذلك الدعاء الذى كان من جبريل والله أعلم ※ وقوله فى الحديث فغطنى ويروى فسأبنى ويروى سأتنى وأحسبه أيضا يروى فذعتنى وكلها بمعنى واحد وهو الخنق والغم ومن الذعت حديثه الآخر ان الشيطان عرض له وهو يصلى قال فذعته حتى وجدت برد لسانه على يدى ثم ذكرت قول أخى سليمان رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى الحديث وكان فى ذلك اظهار للشدة والجد فى الامر وان يأخذ الكتاب بقوة ويترك الاناة فانه أمر ليس بالهوينا وقد انتزع بعض التابعين وهو شريح القاضى من هذا الا يضرب الصبى على القرآن الا ثلاثا كما غط جبريل عليه السلام محمدا صلى الله عليه وسلم ثلاثا وعلى رواية ابن اسحق ان ذلك فى نومه كان يكون فى تلك الغطات الثلاث من التأويل ثلاث شدائد يبتلى بها أولا ثم يأتى الفرج والروح وكذلك كان لقى هو وأصحابه شدة من الجوع فى شعب الخيف حين تعاقدت قريش ألا يبيعوا منهم ولا يتركوا ميرة تصل اليهم وشدة أخرى من الخوف والايعاد بالقتل وشدة أخرى من الاجلاء عن أحب الاوطان اليه ثم كانت العاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين ※ وقوله فى حديث ابن اسحق اقرأ قال ما أقرأ يحتمل أن تكون ما استفهاما يريد أى شىء أقرأ ويحتمل ان تكون نفيا ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفى أى ما احسن ان أقرأ كما تقدم من قوله ما أنا بقارئ ※ وذكر رؤيته لجبريل وهو صاف قدميه وفى حديث جابر انه رآه على رفرف بين السماء والارض ويروى على عرش بين السماء والارض وفى حديث البخارى الذى ذكره فى آخر الجامع انه حين فتر عنه الوحى كان يأتى شواهق الجبال يهم بان يلقى نفسه منها فكان جبريل يتراآ له بين السماء والارض يقول له أنت رسول الله وأنا جبريل واسم جبريل سريانى ومعناه عبد الرحمن أو عبد العزيز هكذا جاء عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا أيضا والوقف أصح وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله وهو إيل وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم فى ان هذه الاسماء اضافتها مقلوبة وكذلك الاضافة فى كلام العجم يقولون فى غلام زيد زيد غلام فعلى هذا يكون ايل عبارة عن العبد ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ألا ترى كيف قال فى حديث ابن عباس جبريل وميكائيل كما تقول عبد الله وعبد الرحمن ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد والاسماء ألفاظها مختلفة وأما ال بالتشديد من قوله تعالى «الا ولا ذمة» فحذار حذار من أن تقول فيه هو اسم الله فتسمى الله باسم لم يسم به نفسه ألا ترى ان جميع اسماء الله تعالى معرفة وال نكرة وحاشى لله ان يكون اسمه نكرة وانما الآل كل ماله حرمة وحق فماله حق ويجب تعظيمه القرابة والرحم والجوار والعهد وهو من أللت اذا اجتهدت فى الشىء وحافظت عليه ولم تضيعه ومنه الآل فى السير وهو الجد ومنه قول الكميت

سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسى الى السماء أنظر فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء قال فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا أعلى مكة ورجعوا اليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا الى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست الى فخذها مضيفا اليها فقالت يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا الى ثم حدثتها بالذى رأيت فقالت أبشر يا ابن عم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها

ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عمها وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل فاخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى وسمع فقال ورقة بن نوفل قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى ياخديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان ياتى موسى وانه لنبي هذه الامة فقولى له فليثبت فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذى نفسى بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله

وأنت ما أنت فى غبراء مجدبة * اذا دعت اليهما الكاعب الفضل

يريد اجتهدت فى الدعاء واذا كان الال بالفتح المصدر فالال بالكسر الاسم كالذبح من الذبح فهو اذا الشىء المحافظ عليه وقول الصديق هذا كلام لم يخرج من ال ولا برأى لم يصدر عن ربوبية لان الربوبية حقها واجب معظم وكذلك فسره أبو عبيد واتفق فى اسم جبريل عليه السلام انه موافق من جهة العربية لمعناه وان كان أعجميا فان الجبر هو اصلاح ما وهى وجبريل موكل بالوحى وفى الوحى اصلاح ما فسد وجبر ما وهى من الدين ولم يكن معروفا بمكة ولا بارض العرب فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة به انطلقت تسئل من عنده علم من الكتاب كعداس ونسطور الراهب فقال لها قدوس قدوس انى لهذا الاسم أن يذكر فى هذه البلاد وقد قدمنا هذا الخبر عنها وهو فى سير التيمى لما ذكرناه قبل وفى كتاب المعيطى عن أشهب قال سئل مالك عن التسمى بجبريل أو من يسمى به ولده فكره ذلك ولم يعجبه * وقول ورقة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى الناموس صاحب سر الملك وقال بعضهم هو صاحب سر الخير والجاسوس هو صاحب سر الشر وقد فسره أبو عبيد وأنشد

فابلغ يزيدان عرضت ومنذرا * وعمهما والمستشر المنامسا

وانما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى وهو أقرب لان ورقة كان قد تنصر والنصارى لا يقولون فى عيسى انه نبي يأتيه جبريل انما يقولون فيه ان اقنوما من الاقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح واتحد به على اختلاف بينهم فى ذلك الحلول وهو اقنوم الكلمة والكلمة عندهم عبارة عن العلم فلذلك كان المسيح عندهم يعلم الغيب ويخبر بما فى غد فلما كان هذا من مذهب النصارى الكذبة على الله المدعين المحال عدل عن ذكر عيسى الى ذكر موسى لعلمه أو لاعتقاده ان جبريل كان ينزل على موسى لكن ورقة قد ثبت ايمانه بمحمد عليه السلام وقد قدمنا حديث الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه فى المنام وعليه ثياب بيض الى آخر الحديث * وقول ورقة لتكذبنه ولتؤذينه ولا ينطق بهذه الهاء الاساكنة لانها هاء السكت وليست بهاء اضمار * وقوله ان أدرك ذلك اليوم أنصرك نصرا مؤزرا وقال فى الحديث ان يدركنى يومك وهو القياس لان ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذى يدركه من يأتى بعده كما جاء فى الحديث أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى ورواية ابن اسحق أيضا لها وجه لان المعنى أترى ذلك اليوم فسمى رؤيته ادراكا وفى التنزيل «لا تدركه الابصار» أى لا تراه على احد القولين * وقوله مؤزرا من الازر وهو القوة والعون

﴿ فصل ﴾ وفى حديث البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لورقة أومخرجى هم لا بد من تشديد الياء فى مخرجى لانه جمع والاصل مخرجوى فادغمت الواو فى الياء وهو خبر ابتداء مقدم ولو كان المبتدا اسما ظاهرا لجاز تخفيف الياء ويكون الاسم الظاهر فاعلا لا مبتدأ كما تقول أضارب قومك أخارج اخوتك فتفرد لانك رفعت به فاعلا وهو حسن فى مذهب سيبويه والاخفش ولولا الاستفهام ما جاز الافراد الا على مذهب الاخفش فانه يقول قائم الزيدون دون استفهام فان كان الاسم المبتدا من المضمرات نحو أخارج أنت وأقائم هو لم يصح فيه الا الابتداء لان الفاعل اذا كان مضمرا لم يكن منفصلا لا تقول قام أنا ولا ذهب انت وكذلك لا تقول أذاهب أنت على حد الفاعل ولكن على المبتدا واذا كان على حد المبتدا فلا بد من جمع الخبر فعلى هذا تقول أمخرجى هم تريد مخرجون ثم أضفت الى الياء وحذفت النون وأدغمت الواو كما يقتضى القياس

﴿ فصل ﴾ وذكر أن ورقة بن نوفل لقى النبي عليه السلام فقبل يافوخه قد تقدم ذكر اليافوخ وانه يفعول مهموز وانه لا يقال فى رأس الطفل يافوخ حتى يشتد وانما يقال له الغاذية وذكرنا قول العجاج

قال ابن اسحق وحدثنى اسمعيل بن ابى حكيم مولى آل الزبير أنه حدث عن خديجة رضى الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى ابن عم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك فاخبرنى به فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس على فخذى اليمنى قال فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس فى حجرى قالت فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فى حجرها قالت هل تراه قال نعم قال فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ثم قالت له هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه لملك وما هذا بشيطان * قال ابن اسحق وقد حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال سمعت أمى فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة الا انى سمعتها تقول أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الملك وما هو بشيطان * قال ابن اسحق فابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل فى شهر رمضان يقول الله عز وجل شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وقال الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر وقال الله تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم

* ضرب اذا أصاب اليافيخ حفر * ولو كان يافوخ فاعولا كما ظن بعضهم لم يجز همزه فى الواحد ولا فى الجمع وفى رواية يونس عن ابن اسحق بسنده الى أبى ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرت خديجة له ذلك فقالت يا عتيق اذهب مع محمد الى ورقة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة بن نوفل فقال ومن أخبرك قال خديجة فانطلقا اليه فقصا عليه فقال انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى يا محمد يا محمد فانطلق هاربا فى الارض فقال له لا تفعل اذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول لك ثم ائتنى فأخبرنى فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين قل لا اله الا الله فأتى ورقة فذكر ذلك له فقال له ورقة أبشر ثم ابشر فانا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبى مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركنى ذلك لاجاهدن معك فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس فى الجنة وعليه ثياب الحرير لانه آمن بى وصدقنى يعنى ورقة وفى رواية يونس أيضا انه عليه السلام قال لرجل سب ورقة أما علمت أنى رأيت لورقة جنة أو جنتين وهذا الحديث الاخير قد أسنده البزار

﴿فصل﴾ وفى الصحيح انه قال لخديجة لقد خشيت على نفسى وتكلم العلماء فى معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة فذهب أبو بكر الاسماعيلى الى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذى جاءه ملك من عند الله وكان أشق شئ عليه أن يقال عنه مجنون ولم ير الاسماعيلى أن هذا محال فى مبدإ الامر لان العلم الضرورى قد لا يحصل دفعة واحدة وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله فلا تدرى أنظم هو أم نثر فاذا استمر الانشاد علمت قطعا انه قصد به قصد الشعر كذلك لما استمر الوحى واقترنت به القرائن المقتضية للعلم القطعى حصل العلم القطعى وقد أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال «آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الى قوله وملائكته وكتبه ورسله» فايمانه بالله وبملائكته ايمان كسبى موعود عليه بالثواب الجزيل كما وعد على سائر أفعاله المكتسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح وقد قيل فى قوله لقد خشيت على نفسى أى خشيت الا أنهض بأعباء النبوة وان أضعف عنها ثم أزال الله خشيته ورزقه الايد والقوة والثبات والعصمة وقد قيل ان خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ولا غرو فانه بشر يخشى من القتل والاذاية الشديدة ما يخشاه البشر ثم يهون عليه الصبر فى ذات الله كل خشية ويجلب الى قلبه كل شجاعة وقوة وقد قيل فى معنى الخشية أقوال غير هذه رغبت عن التطويل بذكرها

﴿فصل﴾ وذكر قول الله تعالى «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن» الى آخر الآية مستشهدا بذلك على أن القرآن أنزل فى شهر رمضان وفى ليلة القدر من رمضان وهذا يحتمل تأويلين. أحدهما أن يكون أراد بدء النزول وأوله لان القرآن نزل فى أكثر من عشرين سنة فى رمضان وغيره والثانى ما قاله ابن عباس

أمرا من عندنا انا كنا مرسلين وقال تعالى ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وذلك ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين ببدر * قال ابن اسحق وحدثنى ابوجعفر محمد بن على بن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان * قال ابن اسحق ثم تتام الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيع بها الا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه لما يلقون من الناس ومايرد عليهم مما جاؤا به عن الله سبحانه وتعالى قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله على ما يلقى من قومه من الخلاف والاذى وآمنت به خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله وو ازرته على أمره وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيأ مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رحمها الله تعالى * قال ابن اسحق وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب

انه نزل جملة واحدة الى سماء الدنيا فجعل فى بيت العزة مكنونا فى الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة ثم نزلت منه الآية بعد الآية والسورة بعد السورة فى أجوبة السائلين والنوازل الحادثة الى أن توفى صلى الله عليه وسلم وهذا التاويل أشبه بالظاهر وأصح فى النقل والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وفى قوله تعالى «شهر رمضان» فذكر الشهر مضافا الى رمضان واختار الكتاب والموثقون النطق بهذا اللفظ دون أن يقولوا كتب فى رمضان وترجم البخارى والنسوى على جواز اللفظين جميعا وأوردا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان واذا جاء رمضان ولم يقل شهر رمضان وقد بينت أن لكل مقام مقال ولا بد من ذكر شهر فى مقام ومن حذفه فى مقام آخر والحكمة فى ذكره اذا ذكر فى القرآن والحكمة أيضا فى حذفه اذا حذف من اللفظ وأين يصلح الحذف ويكون أبلغ من الذكر كل هذا مبين فى كتاب نتائج الفكر فهناك أوردنا فيه فوائد تعجز عنها همم أهل هذا العصر أدناها تساوى رحلة عند من عرف قدرها غير أنا نشير الى بعضها فنقول قال سيبويه ومما لا يكون العمل الا فيه كله المحرم وصفر يريد ان الاسم العلم يتناول اللفظ كله وذلك اذا قلت الاحد أو الاثنين فان قلت يوم الاحد أو شهر المحرم كان ظرفا ولم يجر مجرى المفعولات وزال العموم من اللفظ لانك تريد فى الشهر وفى اليوم ولذلك قال عليه السلام من صام رمضان ولم يقل شهر رمضان ليكون العمل فيه كله وهذه اشارة الى بعض تلك الفوائد التى أحكمناها فى غير هذا الكتاب * بقية من حديث ورقة وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتكذبنه فلم يقل له النبى صلى الله عليه وسلم شيئا ثم قال ولتؤذينه فلم يقل له شيئا ثم قال ولتخرجنه فقال أو مخرجى هم ففى هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس وايضا فانه حرم الله وجوار بيته وبلدة أبيه اسمعيل فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه مالم تتحرك قبل ذلك فقال أو مخرجىّ هم والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها ادخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الاخراج بالسؤال عنه وذلك أن الواو ترد الى الكلام المتقدم وتشعر المخاطب بان الاستفهام على جهة الانكار أو التفجع لكلامه أو التألم منه

﴿ فصل ﴾ وذكر عبد الله بن حسن بن على بن أبى طالب وقوله حدثتنى أمى فاطمة بنت الحسين أن خديجة أدخلته بين ثوبها الحديث عبد الله هذا هو عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب وأمه فاطمة بنت الحسين أخت سكينة واسمها آمنة وسكينة لقب لها التى كانت ذات دعابة ومزح وفى سكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن على رضى الله عن جميعهم

كان الليل موصول بليل * اذا زارت سكينة والرباب

أى زارت قومها وهم بنو عليم بن جناب من كلب ثم من بنى كعب بن عليم ويعرف بنو كعب بن عليم ببنى زيد غير مصروف لانه اسم أمهم وعبد الله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بنى العباس وهم محمد ويحيى وادريس مات ادريس بافريقية فارّا من الرشيد ومات مسموما فى دلاعة أكلها ووقع فى كتاب الزبير ابن أبى بكر قال قال عبد الرحمن بن زيد قال آدم عليه السلام مما فضل به على ابنى صاحب البعير أن زوجه كانت عونا له على تبليغ أمر الله وأن زوجى كانت عونا لى على المعصية

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب هذا حديث مرسل وقد رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ماغرت على أحد ماغرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى رسول

الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب فى الجنة * وفى حديث آخر أن عائشة قالت ماتذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت فى الدهر قد أبدلك الله خيرا منها فغضب وقال والله ما أبدلنى الله خيرا منها آمنت بى حين كذبنى الناس وواستنى بمالها حين حرمنى الناس ورزقت الولد منها وحرمته من غيرها وروى يونس عن عبد الواحد بن أيمن المخزومى قال حدثنا أبو نجيح قال أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جزور أو لحم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عظما منها فناوله الرسول بيده فقال اذهب بهذا الى فلانة فقالت عائشة لم غمرت يدك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا ان خديجة أوصتنى بها فغارت عائشة وقالت لكانه ليس فى الارض امرأة الا خديجة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا فلبث ماشاء الله ثم رجع فاذا أم رومان قالت يارسول الله مالك ولعائشة انها حدثة وانك أحق من تجاوز عنها فاخذ بشدق عائشة وقال ألست القائلة كانما ليس على الارض امرأة الا خديجة والله لقد آمنت بى اذ كفر قومك ورزقت منى الولد وحرمتموه وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة والهاء فى نسائها حين ذكر مريم عائدة على السماء والهاء فى نسائها حين ذكر خديجة عائدة على الارض وذلك أن هذا الحديث رواه وكيع وأبو اسامة وابن نمير فى آخرين وأشار وكيع من بينهم حين حدث بالحديث باصبعه الى السماء عند ذكر مريم والى الارض عند ذكر خديجة وهذه اشارة ليست من رأيه وانما هى زيادة فى حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم وزيادة العدل مقبولة ويحتمل أن يكون معنى اشارته الى السماء والارض عند ذكرهما أى هما خير نساء بين السماء والارض وهذا أثبت عندى بظاهر الحديث ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء فى التفضيل بين مريم وخديجة وعائشة رضى الله عنهن وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم ومانزع به كل فريق منهم * وأما قوله ببيت من قصب فقد رواه الخطابى مفسرا وقال فيه قالت خديجة يارسول الله هل فى الجنة قصب فقال انه قصب من لؤلؤ مجبى قال الخطابى يجوز أن يكون معناه مجوبا من قولك جبت الثوب اذا خرقته فيكون من المقلوب ويجوز أن يكون الاصل مجببا بباءين من الجب وهو القطع أى قطع داخله وقلبت الباء ياء كما قالوا تظنيت من الظن وتقصيت أظفارى وتكلم أصحاب المعانى فى هذا الحديث وقالوا كيف لم يبشرها الا ببيت وأدنى أهل الجنة منزلة من يعطى مسيرة ألف عام فى الجنة كما فى حديث ابن عمر خرجه الترمذى وكيف لم ينعت هذا البيت بشىء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفى الصخب وهو رفع الصوت فاما أبو بكر الاسكاف فقال فى كتاب فوائد الاخبار له معنى الحديث انه بشرت ببيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لايمانها وعملها ولذلك قال لا صخب فيه ولا نصب أى لم تنصب فيه ولم تصخب أى انما أعطيته زيادة على جميع العمل الذى نصبت فيه (قال المؤلف رحمه الله) لا أدرى ماهذا التأويل ولا يقتضيه ظاهر الحديث ولا يوجد شاهد يعضده وأما الخطابى فقال البيت هاهنا عبارة عن قصر وقد يقال لمنزل الرجل بيته والذى قاله صحيح يقال فى القوم هم أهل بيت شرف وبيت عز وفى التنزيل «غير بيت من المسلمين» ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ ولقوله ببيت ولم يقل بقصر معنى لائق بصورة الحال وذلك أنها كانت ربة بيت اسلام لم يكن على الارض بيت اسلام الا بيتها حين آمنت وأيضا فانها أول من بنى بيتا فى الاسلام بتزويجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبتها فيه وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل وان كان أشرف منه لما جاء من كسى مسلما على عرى كساه الله من حلل الجنة ومن سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق ومن هذا الباب قوله عليه السلام من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله فى الجنة لم يرد مثله فى كونه مسجدا ولا فى صفته ولكن قابل البنيان بالبنيان

«قال ابن هشام» القصب هاهنا اللؤلؤ المجوف «قال ابن هشام» وحدثنى من أثق به أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئ خديجة السلام من ربها

أى كما بنى يبنى له كما قابل الكسوة بالكسوة والسقيا بالسقيا فهاهنا وقعت المماثلة لا فى ذات المبنى أو المكسو واذا ثبت هذا فمن ههنا اقتضت الفصاحة أن يعبر لها عما بشرت به بلفظ البيت وان كان فيه مالا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر ومن تسمية الجزاء على الفعل بالفعل فى عكس ماذكرناه قوله تعالى «نسوا الله فنسيهم • ومكروا ومكر الله» * وأما قوله لا صخب فيه ولا نصب فانه أيضا من باب ما كنا بسبيله لانه عليه السلام دعاها الى الايمان فاجابته عفوا لم تحوجه الى أن يصخب كما يصخب البعل اذا تعصت عليه حليلته ولا أن ينصب بل أزالت عنه كل نصب وأنسته من كل وحشة وهونت عليه كل مكروه وأراحته بما لها من كل كد ونصب فوصف منزلها الذى بشرت به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته * وأما قوله من قصب ولم يقل من لؤلؤ وان كان المعنى واحدا ولكن فى اختصاصه هذا اللفظ من المشاكلة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل انها رضى الله عنها كانت قد أحرزت قصب السبق الى الايمان دون غيرها من الرجال والنسوان والعرب تسمى السابق محرزا للقصب قال الشاعر

مشى ابن الزبير القهقرى وتقدمت * أمية حتى أحرزوا القصبات

فاقتضت البلاغة أن يعبر بالعبارة المشاكلة لعملها فى جميع ألفاظ الحديث فتأمله

﴿فصل﴾ وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك الحديث يذكر عن أبى بكر بن داوود أنه سئل أعائشة أفضل أم خديجة فقال عائشة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فهى أفضل قيل له فمن أفضل أخديجة أم فاطمة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فاطمة بضعة منى فلا أعدل ببضعة من رسول الله أحدا وهذا استقراء حسن ويشهد لصحة هذا الاستقراء ان أبا لبابة حين ارتبط نفسه وحلف ألا يحله الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت فاطمة لتحله فابى من أجل قسمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فاطمة مضغة منى فحلته وسنذكر الحديث باسناده فى موضعه ان شاء الله تعالى ويدل أيضا على تفضيل فاطمة قوله عليه السلام لها أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة الا مريم فدخل فى هذا الحديث أمها وأخواتها وقد تكلم الناس فى المعنى الذى سادت به فاطمة غيرها دون أخواتها فقيل انها ولدت سيد هذه الامة وهو الحسن الذى يقول فيه النبى صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وهو خليفة وبعلها خليفة ايضا وأحسن من هذا القول قول من قال سادت اخواتها وامها لانهن متن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فكن فى صحيفته ومات ابوها وهو سيد العالمين فكان رزؤه فى صحيفتها وميزانها وقد روى البزار من طريق عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة هى خير بناتى انها اصيبت بى فحق لمن كانت هذه حاله أن يسود نساء اهل الجنة وهذا قول حسن والله اعلم ومن سؤددها ايضا ان المهدى المبشر به فى آخر الزمان من ذريتها فهى مخصوصة بهذا كله والاحاديث الواردة فى أمر المهدى كثيرة وقد جمعها أبو بكر بن أبى خيثمة فاكثر ومن اغربها اسنادا ماذكره ابو بكر الاسكاف فى فوائد الاخبار مسندا الى مالك بن انس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدى فقد كفر وقال فى طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب * وقول خديجة الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام علمت بفقهها أن الله سبحانه لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوق لان السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها الله السلام فكيف أقول عليه السلام والسلام منه يسئل ومنه يأتى ولكن على جبريل السلام فالذى يحصل من هذا الكلام من الفقه انه لا يليق بالله سبحانه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك فقالت خديجة لله السلام

ومنه السلام وعلى جبريل السلام * قال ابن اسحق ثم فتر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من ذلك حتى شق ذلك عليه فاحزنه فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ماودعه ربه وما قلاه فقال تعالى والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وما قلى يقول ماصرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك وللآخرة خير لك من الاولى

أى لما عندى فى مرجعك الى خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى من الفلج فى الدنيا والثواب فى الآخرة ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى يعرفه الله ما ابتداه به من كرامته فى عاجل أمره ومنّه عليه فى يتمه وعيلته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته « قال ابن هشام » سجى سكن قال أمية بن ابى الصلت الثقفى

اذ أتى موهنا وقد نام صحبى * وسجا الليل بالظلام البهيم

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية وسجا طرفها قال جرير

ولقد رمينك حين رحن باعين * يقتلن من خلل الستور سواجى

وهذا البيت فى قصيدة له والعائل الفقير قال أبو خراش الهذلى

الى بيته يأوى الضريك اذا شتا * ومستنبح بالى الدريسين عائل

وجمعه عالة وعيل وهذا البيت فى قصيدة له ساذكرها فى موضعها ان شاء الله والعائل

أيضا الذى يعول العيال والعائل أيضا الخائف وفى كتاب الله تعالى ذلك أدنى ألا تعولوا وقال أبو طالب

بميزان قسط لا يخس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

وهذا البيت فى قصيدة له ساذكرها ان شاء الله فى موضعها والعائل أيضا الشىء المثقل المعيي يقول الرجل قد عالنى هذا الامر أى أثقلنى وأعيانى قال الفرزدق

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الأمر فى الحدثان عالا

الا الثناء عليه فجعلت مكان رد التحية على الله ثناء عليه كما علموا فى التشهد حين قالوا السلام على الله من عباده السلام على فلان فقيل لهم لا تقولوا هذا ولكن قولوا التحيات لله وقد ذكرنا فى غير هذا الكتاب فوائد جمة فى معنى التحيات الى آخر التشهد * وقولها ومنه السلام ان كانت أرادت بالسلام التحية فهو خبر يراد به التشكر كما تقول هذه النعمة من الله وان كانت أرادت بالسلام السلامة من سوء فهو خبر يراد به المسئلة كما تقول منه يسئل الخير وذهب أكثر أهل اللغة الى أن السلام والسلامة بمعنى واحد كالرضاع والرضاعة ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاء التأنيث من التحديد لرأوا أن بينهما فرقانا عظيما وان الجلال أعم من الجلالة بكثير وان اللذاذ أبلغ من اللذاذة وأن الرضاعة تقع على الرضعة الواحدة والرضاع أكثر من ذلك فكذلك السلام والسلامة وقس على هذا تمرة وتمر ولقاة ولقى وضربة وضرب الى غير ذلك وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة وعمهم من السلامة من الاختلال والتفاوت اذ الكل جار على نظام الحكمة وكذلك سلم الثقلان من جور وظلم أن يأتيهم من قبله سبحانه فانما الكل مدبر بفضل أو عدل أما الكافر فلا يجرى عليه الا عدله وأما المؤمن فيغمره فضله فهو سبحانه فى جميع أفعاله سلام لا حيف ولا ظلم ولا تفاوت ولا اختلال ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمى به لسلامته من الآفات والعيوب فقد أتى بشنيع من القول انما السلام من سلم منه والسالم من سلم من غيره وانظر الى قوله سبحانه « كونى بردا وسلاما » والى قوله « سلام هى » ولا يقال فى الحائط سالم من العمى ولا فى الحجر انه سالم من الزكام أو من السعال انما يقال سالم فيمن تجوز عليه الآفة ويتوقعها ثم يسلم منها والقدوس سبحانه متعال عن توقع الآفات متنزه عن جواز النقائص ومن هذه صفته لا يقال سلم ولا يتسمى بسالم وهم قد جعلوا سلاما بمعنى سالم والذى ذكرناه أول هو معنى قول أكثر السلف والسلامة خصلة واحدة من خصال السلام

﴿ فصل ﴾ وذكر فترة الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر مقدار مدة الفترة وقد جاء فى بعض الاحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مكثه بمكة كان عشر سنين وقول ابن عباس ثلاث عشرة سنة وكان قد ابتدئ بالرؤيا الصادقة ستة أشهر فمن عد مدة الفترة وأضاف اليها الاشهر الستة كانت كما قال ابن عباس ومن عدها من حين حمى الوحى وتتابع كما فى حديث جابر كانت عشر سنين ووجه آخر فى الجمع بين القولين أيضا وهو أن الشعبي قال وكل اسرافيل بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ثم جاءه بالقرآن جبريل وقد قدمنا هذا الحديث ورواه أبو عمر فى كتاب الاستيعاب واذا صح فهو أيضا وجه من الجمع بين الحديثين والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق قول أبى خراش خويلد بن مرة الهذلى

الى بيته يأوى الضريك اذا شتى * ومستنبح بالى الدريسين عائل

الضريك الضعيف المضطر والمستنبح الذى يضل عن الطريق فى ظلمة الليل فينبح ليسمع نباح كلب والدريس الثوب الخلق وقول الفرزدق

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الأمر فى الحدثان عالا

قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

يعني سعيد بن العاصي بن أمية ويقال ان مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت حسده فقال له قل قعودا ينظرون الى سعيد يا أبا فراس فقال له الفرزدق والله يا أبا عبد الملك الا قياما على الاقدام * وذكر سبب نزول سورة والضحى وان ذلك لفترة الوحي عنه وخرج البخاري من طريق جندب بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فقالت له امرأة انى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك فانزل الله تعالى سورة والضحى

﴿ فرض الصلاة ﴾

وذكر حديث عروة عن عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فزيد فى صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر وذكر المزنى أن الصلاة قبل الاسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها ويشهد لهذا القول قوله سبحانه «وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار» وقال يحيي بن سلام مثله وقال كان الاسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام فعلى هذا يحتمل قول عائشة فزيد فى صلاة الحضر أى زيد فيها حين أكملت خمسا فتكون الزيادة فى الركعات وفى عدد الصلوات ويكون قولها فرضت الصلاة ركعتين أى قبل الاسراء وقد قال بهذا طائفة من السلف منهم ابن عباس ويجوز أن يكون معنى قولها فرضت الصلاة أى ليلة الاسراء حين فرضت الخمس فرضت ركعتين ركعتين ثم زيد فى صلاة الحضر بعد ذلك وهذا هو المروى عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة وممن رواه هكذا الحسن والشعبى ان الزيادة فى صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام أو نحوه وقد ذكره أبو عمر وقد ذكر البخارى من رواية معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ففرضت أربعا هكذا لفظ حديثه • وههنا سؤال يقال هل هذه الزيادة فى الصلاة نسخ أم لا فيقال أما زيادة ركعتين أو ركعة الى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة فنسخ لان النسخ رفع الحكم وقد ارتفع حكم الاجزاء من الركعتين وصار من سلم منهما عامدا أفسدهما وان أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم وتحدث عامدا لم يجزه الا أن يستأنف الصلاة من أولها فقد ارتفع حكم الاجزاء بالنسخ وأما الزيادة فى عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين فيسمى نسخا على مذهب أبى حنيفة فان الزيادة عنده على النص نسخ وجمهور المتكلمين على انه ليس بنسخ ولاحتجاج الفريقين موضع غير هذا

﴿ فصل ﴾ وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلا مكة حين همز له بعقبه فانبع الماء وعلمه الوضوء وهذا الحديث مقطوع فى السيرة ومثله لا يكون أصلا فى الاحكام الشرعية ولكنه قد روى مسندا الى زيد بن حارثة يرفعه غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن لهيعة وقد ضعف ولم يخرج عنه مسلم ولا البخارى لانه يقال ان كتبه احترقت فكان يحدث من حفظه وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول ويقال انه الذى روى عنه حديث بيع العربان فى الموطا مالك عن الثقة عنده عن عمرو بن شعيب فيقال ان الثقة ههنا ابن لهيعة ويقال ان ابن وهب حدث به عن ابن لهيعة وحديث ابن لهيعة هذا أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد ابن العربى قال نا أبو المطهر سعد بن عبد الله بن أبى الرجاء عن أبى نعيم الحافظ قال نا ابو بكر أحمد بن يوسف العطار قال نا الحارث بن أبى اسامة قال نا الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الزهرى عن عروة عن اسامة بن زيد قال حدثنى أبى زيد بن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول ما أوحى اليه أتاه جبريل عليه السلام فعلمه الوضوء فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه وحدثنا

وهذا البيت فى قصيدة له فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر أى لا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا فظا على الضعفاء من عباد الله وأما بنعمة ربك فحدث أى بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث اذكرها وادع اليها * فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا الى من يطمئن اليه من أهله وافترضت عليه الصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته

﴿ ابتداء ما افترض الله سبحانه على النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها ﴾

* قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن كيسان عن عروة ابن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين كل صلاة ثم ان الله تعالى أتمها فى الحضر أربعا وأقرها فى السفر على فرضها الاول ركعتين * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين

فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيف الطهور للصلاة ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه السلام ثم صلى بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته * قال ابن اسحق وحدثني عتبة بن مسلم مولى بني تيم عن نافع بن جبير بن مطعم وكان نافع كثير الرواية عن ابن عباس قال لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فصلى به الظهر حين مالت الشمس ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالامس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الاول ثم صلى به الصبح مسفرا غير مشرق ثم قال يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالامس

* قال ابن اسحق ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى وصدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن عشر سنين يومئذ وكان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجاج قال كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ومما صنع الله له وأراده به من الخير أن قريشا اصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه وكان من أيسر بني هاشم يا عباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه فلنخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلا وتاخذ أنت رجلا فنكفهما عنه فقال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما اذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما « قال ابن هشام » ويقال عقيلا وطالبا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا فاتبعه علي رضي الله عنه وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه * قال ابن اسحق وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ثم ان أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به قال أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا ابراهيم أو كما قال صلى الله عليه وسلم بعثني الله به رسولا الى العباد وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابني اليه وأعانني عليه أو كما قال فقال أبو طالب أي ابن أخي اني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك شيء تكرهه ما بقيت وذكروا أنه قال لعلي أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه فقال يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته فزعموا انه قال له اما انه لم يدعك الا الى خير فالزمه

به أيضا أبو بكر محمد بن طاهر عن أبي علي الغساني عن أبي عمر النمري عن أحمد بن قاسم عن قاسم بن أصبغ عن الحارث بن أبي اسامة بالاسناد المتقدم فالوضوء على هذا الحديث مكي بالفرض مدني بالتلاوة لان آية الوضوء مدنية وانما قالت عائشة فانزل الله تعالى آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهي هي لان الوضوء قد كان مفروضا قبل غير انه لم يكن قرآنا يتلى حتى نزلت آية المائدة * وذكر حديث عبد الله بن عباس في امامة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وتعليمه اياه أوقات الصلوات الخمس في اليومين وهذا الحديث لم يكن ينبغي له ان يذكره في هذا الموضع لان أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة كانت في الغد من ليلة الاسراء وذلك بعد ما نبئ بخمسة أعوام وقد قيل ان الاسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف وقيل بعام فذكره ابن اسحق في بدء نزول الوحي وأول احوال الصلاة * وذكر أن اول ذكر آمن بالله علي رضي الله عنه وسيأتي قول من قال اول من أسلم أبو بكر ولكن ذلك والله أعلم من الرجال لان عليا كان حين أسلم صبيا لم يدرك ولا يختلف أن خديجة هي اول من آمن بالله وصدق رسوله وكان علي اصغر من جعفر بعشر سنين وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين وكلهم أسلم الا طالبا اختطفته الجن فذهب ولم يعلم باسلامه وأم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم وقد أسلمت وهي احدى الفواطم التي قال فيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اقسمه بين الفواطم الثلاث يعني ثوب حرير قال القتبي

* قال ابن اسحق ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب « قال ابن هشام » زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة وصيف فدخلت عليه خديجة بنت خويلد وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك فاختارت زيدا فاخذته فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه وذلك قبل ان يوحى اليه وكان ابوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده فقال

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * أحي فيرجى ام اتى دونه الاجل
فوالله ما أدري واني لسائل * اغالك بعدي السهل ام غالك الجبل
ويا ليت شعري هل لك الدهر أوبة * فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها * ويعرض ذكراه اذا غربها أفل
وان هبت الارواح هيجن ذكره * فيا طول ما حزني عليه وما وجل
ساعمل نص العيس في الارض جاهدا * فصل
ولا اسأم التطواف او تسام الابل
حياتي او تاتي على منيتي * فكل امرئ فان وان غره الامل

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاقم عندي وان شئت فانطلق مع ابيك فقال بل أقيم عندك فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم وصلى معه فلما انزل الله عز وجل ادعوهم لآبائهم قال أنا زيد بن حارثة

يعني فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت أسد ولا أدري من الثالثة ورواه عبد الغني ابن سعيد اقسمه بين الفواطم الاربع * وذكر فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدمتا وقال لا ادري من الرابعة قاله في كتاب الغوامض والمبهمات

« فصل » وذكر حديث زيد بن حارثة وقال فيه حارثة بن شرحبيل وقال ابن هشام شراحيل وقال أصحاب النسب كما قال ابن هشام ورفع نسبه الى كلب بن وبرة ووبرة هو ابن ثعلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة وأم زيد سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيئ وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها فاصابته خيل من بني القين بن جسر فباعوه بسوق حباشة وهو من أسواق العرب وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام ثم كان من حديثه ما ذكر ابن اسحق ولما بلغ زيدا قول أبيه * بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * الابيات قال بحيث يسمعه الركبان

أحن الى أهلي وان كنت نائيا * باني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم * ولا تعملوا في الارض نص الاباعر
فاني بحمد الله في خير اسرة * كرام معد كابرا بعد كابر

فبلغ أباه قوله فجاء هو وعمه كعب حتى وقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وذلك قبل الاسلام فقالا له يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم جيران الله وتفكون العاني وتطعمون الجائع وقد جئناك في ابننا عبدك لتحسن الينا في فدائه فقال أو غير ذلك فقالا وما هو فقال ادعوه واخيره فان اختاركما فذاك وان اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحدا فقالا له قد زدت على النصف فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال من هذان فقال هذا أبي حارثة بن شراحيل وهذا عمي كعب بن شراحيل فقال قد خيرتك ان شئت ذهبت معهما وان شئت أقمت معي فقال بل أقيم معك فقال له أبوه يا زيد أتختار العبودية على أبيك وأمك وبلدك وقومك فقال اني قد رأيت من هذا الرجل شيأ وما أنا بالذي أفارقه أبدا فعند ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقام به الى الملأ من قريش فقال اشهدوا ان هذا ابني وارثا وموروثا فطابت نفس أبيه عند ذلك وكان يدعى زيد بن محمد حتى أنزل الله تعالى « ادعوهم لآبائهم » * وفي الشعر الذي ذكره ابن اسحق لحارثة بعد قوله

حياتي وان تأتي على منيتي * فكل أمرئ فان وان غره الامل
سأوصي به قيسا وعمرا كليهما * وأوصي يزيد ثم أوصي به جبل

يعني يزيد بن كعب وهو ابن عم زيد وأخوه ويعني بجبل جبلة بن حارثة أخا زيد وكان أسن منه سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد فقال زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله ويريد انه افضل منه بسبقه للاسلام

* قال ابن اسحق ثم اسلم ابو بكر بن ابى قحافة واسمه عتيق واسم ابى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر « قال ابن هشام » واسم ابى بكر عبد الله وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه * قال ابن اسحق فلما اسلم ابو بكر رضى الله عنه اظهر اسلامه ودعا الى الله والى رسوله وكان ابو بكر رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش واعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الامر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعوا الى الله والى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فاسلم بدعائه فيما بلغنى عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب * والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى * وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى * وسعد بن ابى وقاص واسم ابى وقاص مالك بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى * وطلحة ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فاسلموا وصلوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنى ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبى بكر بن أبى قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه « قال ابن هشام » قوله عكم تلبث قال رؤبة بن العجاج * فانصاع وثاب بها وما عكم * « قال ابن هشام » قوله بدعائه عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله * ثم أسلم أبو عبيدة واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحرث بن فهر * وأبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤى * والارقم بن أبى الارقم واسم أبى الارقم عبد مناف بن أسد وكان أسد يكنى أبا جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤى * وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب * وعبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وسعيد بن زيد بن عمرو

﴿ فصل ﴾ وذكر اسلام أبى بكر ونسبه قال واسمه عبد الله وسمى عتيقا لعتاقة وجهه والعتيق الحسن كانه أعتق من الذم والعيب وقيل سمى عتيقا لان أمه كانت لا يعيش لها ولد فنذرت ان ولد لها ولد أن تسميه عبد الكعبة وتصدق به عليها فلما عاش وشب سمى عتيقا كانه أعتق من الموت وكان يسمى أيضا عبد الكعبة الى أن أسلم فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وقيل سمى عتيقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أسلم أنت عتيق من النار وقيل كان لابيه ثلاثة من الولد معتق ومعيتق وعتيق وهو أبو بكر وسئل ابن معين عن أم أبى بكر فقال أم الخير عند اسمها وهى أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبى قحافة واسمها سلمى وتكنى أم الخير وهى من المبايعات وأما أبوه عثمان أبو قحافة فامه قيلة بياء باثنتين منقوطة من أسفل بنت أذاة بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب وامرأة أبى بكر أم ابنه عبد الله واسماء قتلة بنت عبد العزى بتاء منقوطة باثنتين من فوق وقيل فيها بنت عبد أسعد بن نصر بن حسل بن عامر وهو قول الزبير * وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليه الاسلام فما عكم عند ذلك أى ما تردد وكان من أسباب توفيق الله اياه فيما ذكر رؤيا رآها قبل ذلك وذلك أنه رأى القمر ينزل الى مكة ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها فدخل فى كل بيت منه شعبة ثم كانه جمع فى حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبرها له بأن النبى المنتظر الذى قد أظل زمانه تتبعه وتكون أسعد الناس به فلما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام لم يتوقف وفى مدح حسان الذى قاله فيه وسمعه النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكره دليل على أنه اول من اسلم من الرجال وفيه

خير البرية أتقاها وافضلها * بعد النبى وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده * والثانى التالى صدق الرسلا

وذكر اسلام ابى عبيدة بن الجراح واسمه وقد اختلف فيه فقيل عبد الله بن عامر وقيل عامر بن عبد الله وامه اميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن وديعة بن الحارث بن فهر قاله الزبير * وذكر اسلام سعيد بن زيد وقد ذكرناه فيما مضى وذكرنا امه فاطمة بنت بعجة بن خلف الخزاعية وما وقع فى نسبه من التقديم والتأخير ومن الفتح فى رزاح بن عدى والكسر وان رزاح بن ربيعة هو الذى لم يختلف فى كسر الراء منه ويكنى سعيد ابا الاعور توفى بأرضه بالعقيق ودفن بالمدينة فى ايام معاوية سنة خمسين اواحدى

بن نفيل بن عبدالعزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى * وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن عبـدالله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عـدى بن كعب بن لؤى أخت عمر بن الخطاب وأسماء بنت أبى بكر وعائشة بنت أبى بكر وهى يومئذ صغيرة * وخباب بن الأرت حليف بنى زهرة «قال ابن هشام» خباب بن الارت من بنى تميم ويقال هو من خزاعة * قال ابن اسحق وعمير بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص * وعبد الله بن مسـعود بن الحرث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هـذيل حليف بنى زهرة * ومسعود بن القارى وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبـدالعزى بن حمـالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة من القارة (قال ابن هشام) والقارة لقب ولهم يقال قد انصف القـارة من راماها وكانوا رماة

وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة روى عنه ابن عمر وعمرو بن حريث وأبو الطفيل عامر بن واثلة وجماعة من التابعين ولم ير وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حديثين . احدهما من غصب شبرا من ارض طوقه يوم القيامة من سبع ارضين وهو احد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأحد الذين رجف بهم الجبل فقال له النبى صلى الله عليه وسـلم اثبت حراء فانما عليـك نبى أو صديق او شـهيد ويروى اثبت احد وان القصة كانت فى جبـل احد ويروى انها كانت فى جبل ثبير ذكره الترمذى وانهم كانوا أربعـة مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم وهم الخلفاء الاربعة ولعـل هـذا أن يكون مرارا فتصح الاحاديث كلها والله أعلم * وذكر فيمن أسلم بعـد أبى بكر سعد بن أبى وقاص واسم أبى وقاص مالك بن أهيب وأهيب هو عم آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسـلم والوقاص فى اللغة هو واحد الوقاقيص وهى شباك يصطاد بها الطير وهو أيضاً فعال من وقص اذا انكسر عنقه وأم سعد حمنة بنت سـفيان بن أمية ابن عبد شمس يكنى أبا اسحق وهو أحد العشرة دعا له النبى صلى الله عليه وسلم أن يسـدد الله سهمه وأن يجيب دعوته فكان دعاؤه أسرع الدعاء اجابة وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احذروا دعوة سعـد مات فى خلافة معاوية * وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة وهو أيضا أحد العشرة يكنى أبا محمد أمه الشـفاء بنت عوف بن عبد بن الحرث وهى بنت عم عوف والد عبد الرحمن بن عوف فأبوها عوف عم عوف وأخو عبد عوف * وذكر نعيم بن عبد الله النحام وقول النبى صـلى الله عليه وسـلم سمعت نحمة فى الجنه ولم يفسر النحم ماهو وهى سـعلة مستطيلة ويقال للبخيل نحام لانه يسعل اذا سئل يتشاغل بذلك وأنشد الزبير

مالك لا تنحم يا رواحـه * ان النحيم للسـعاة راحه

قال ويقال للنحمة نحطـة وقال غيره النحطة فى الصـدر والنحمة فى الحلق والنحام أيضاً طائر أحمر فى عظم الاوز * وذكر عبد الله بن مسعود بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بنى زهرة وقال فى نسـبه كاهل وقيده الوقشى بفتح الهاء من كاهـل كانه سمى بالفعل من كاهل يكاهل كما قال عليه السلام لرجل استأذنه فى الجهاد واسمه جاهمة فقال هل فى أهلك من كاهـل أى من قوى على التصرف والاكتهال القوة وقال أبو عبيد كاهل أى أسن وقال ابن الاعرابى انما لفظ الحديث هل فى أهلك من كاهن وغيره الراوى له فقال من كاهل قال وكاهن الرجال هو الذى يخلف الرجل فى أهـله يقوم بأمرهم بعـده يقال منه كهن يكهن كهانة * وذكر فى نسبه أيضا شمخا وهو من شمخ بأنفه اذا رفعـه عزة وأم عبد الله هى أم عبد بنت سود بن قديم بن صاهلة هـذالية * وذكر مسعوداً القارى وهو مسعود بن ربيعة ورفع نسبه الى الهون بن خزيمة وهم القارة وفيهم جرى المثـل * قد أنصف القارة من راماها * قال الراجز

قد علمت سـلمى ومن والاها * انا نرد الخيـل عـن هواها
نردهـا داميــة كـلاها * قـد أنصف القارة من راماها
انا اذا مافئــة نلقـاها * نرد أولاها عـلى أخراهـا

وسمى بنو الهون بن خزيمة قارة لقول الشاعر منهم فى بعض الحروب

دعـونا قارة لا تذعـرونا * فنجفل مثـل اجفال الظليم

هكذا أنشده أبو عبيد فى كتاب الانساب وأنشده قاسم فى الدلائل

دعونا قارة لا تذعـرونا * فنبتك القرابة والذمام

وكانوا

قال ابن اسحق وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر * وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية * وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * وعامر بن ربيعة بن عنز بن وائل حليف آل الخطاب بن نفيل بن عبد العزى «قال ابن هشام» عنز بن وائل أخو بكر بن وائل من ربيعة بن نزار * قال ابن اسحق وعبد الله بن جحش ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة * وأخوه أبو أحمد بن جحش حليفا بنى أمية بن عبد شمس وجعفر بن أبى طالب * وامرأته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة من خثعم * وحاطب بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * وامرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر * وأخوه خطاب بن الحرث وامرأته فكيهة بنت يسار * ومعمر بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * والسائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب * والمطلب بن أزهر ابن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وامرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى «قال ابن هشام» هو نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى وانما سمى النحام لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد سمعت نحمه فى الجنة «قال ابن هشام» نحمه صوته وحسه

وكانوا رماة الحدق فمن راماهم فقد أنصفهم والقارة أرض كثيرة الحجارة وجمعها قور فكان معنى المثل عندهم ان القارة لا تنفد حجارتها اذا رمى بها فمن راماها فقد أنصف * وذكر أبا حذيفة بن عتبة «قال ابن هشام» واسمه مهشم وهو وهم عند أهل النسب فان مهشما انما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم وهشام ابنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واما ابو حذيفة بن عتبة فاسمه قيس فيما ذكروا * وذكر أسماء بنت عميس امرأة جعفر ابن أبى طالب وعميس أبوها هو ابن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة ابن زيد بن مالك بن نسر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل وهو جماعة خثعم بن أنمار على الاختلاف فى أنمار هذا وقد تقدم وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث من كنانة وهى أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبى صلى الله عليه وسلم أمهما واحدة وأخت لبابة أم الفضل امرأة العباس وكن تسع اخوات فيهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخوات مؤمنات وكانت قبل جعفر عند حمزة بن عبد المطلب فولدت له أمة الله ثم كانت عند شداد بن الهاد فولدت له عبد الله وعبد الرحمن وقد قيل بل التى كانت عند حمزة ثم عند شداد هى أختها سلمى لا أسماء وتزوجها بعد حمزة أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبى بكر وتزوجها بعده على بن ابى طالب فولدت له يحيى قال الكلبى ولدت له مع يحيى عون بن على ولم يختلف انها ولدت لجعفر ابنا اسمه عون وولدت له ايضا عبد الله بن جعفر وكان جواد العرب فى الاسلام و بنات عميس اسماء وسلامة وسلمى وهن اخوات ميمونة وسائر اخواتها الام * وذكر ابن اسحق فى السابقين الى الاسلام من بنى سهم عبد الله بن قيس بن الحارث بن عدى بن سعيد بن سهم وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد ابن سهم يقول فيه ابن اسحق سعيد والناس على خلافه انما هو سعد وسيأتى فى شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك وانما سعيد بن سهم اخو سعد وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم وفى سهم سعيد آخر وهو ابن سعد المذكور وهو جد المطلب بن ابى وداعة واسم ابى وداعة عوف بن صبيرة ابن سعيد بن سعد وقد قيل فى صبيرة ضبيرة بالضاد المعجمة وهو الذى كان شابا جميلا يلبس حلة ويقول للناس هل ترون بى بأسا إعجابا بنفسه فاصابته المنية بغتة فقال الشاعر فيه

من يأمن الحدثان بعد ضبـ * ـيرة القرشى ماتا
سبقت منيته المشيـ * ـب وكان منيته افتلاتا

* وذكر عامر بن ربيعة وقال هو من عنز بن وائل عنز بسكون النون ويذكر عن على بن المدينى انه قال فيه عنز بفتح النون والسكون اعرف ذكر اهل النسب ان وائلا كان اذا ولد له ولد خرج من خبائه فما وقعت عينه عليه سماه به فلما ولد له بكر وقعت عينه على بكر من الابل فسماه به فلما ولد له تغلب رأى نفسين يتغالبان فسماه تغلب فلما ولد له عنز رأى عنزا وهى الانثى من المعز فسماه عنزا فلما ولد له الشخيص خرج فرأى شخصا على بعد صغيرا فسماه الشخيص بهؤلاء الاربع هم قبائل وائل وهم معظم ربيعة وهو عامر بن ربيعة العنزى

* قال ابن اسحق وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه «قال ابن هشام» عامر بن فهيرة مولد من مولدى الأسد اسود اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم * قال بن اسحق وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة «قال ابن هشام» ويقال همينة بنت خلف * قال ابن اسحق وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب ابن فهر * وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة واسمه مهشم فيما قال ابن هشام بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * و واقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف بنى عدى بن كعب «قال ابن هشام» جاءت به باهلة فباعوه من الخطاب بن نفيل فتبناه فلما أنزل الله تعالى ادعوهم لآبائهم قال انا واقد بن عبد الله فيما قال أبو عمرو والمدنى * قال ابن اسحق وخالد وعامر وعاقل واياس بنوا البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بنى عدى بن كعب * وعمار ابن ياسر حليف بنى مخزوم بن يقظة «قال ابن هشام» عمار بن ياسر عنسى من مذحج * قال ابن اسحق وصهيب بن سنان أحد النمر بن قاسط حليف بنى تيم بن مرة «قال ابن هشام» النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويقال أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد ويقال صهيب مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ويقال انه رومى فقال بعض من ذكر انه من النمر بن قاسط انما كان أسيرا فى أرض الروم فاشترى منهم وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم * قال ابن اسحق ثم دخل الناس فى الاسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به ثم ان الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه وأن ينادى الناس بامره وأن يدعو اليه وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به الى أن أمره الله تعالى باظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغنى من مبعثه ثم قال الله تعالى له فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وقال تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقل انى أنا النذير المبين «قال ابن هشام» فاصدع افرق بين الحق والباطل * قال أبو ذؤيب الهذلى واسمه خويلد بن خالد يصف أتن وحش وفحلها

وكانهن ربابه وكانه * يسر يفيض على القداح و يصدع

أى يفرق على القداح ويبين أنصباءها وهذا البيت فى قصيدة له وقال رؤبة بن العجاج

أنت الحليم والامير المنتقم * تصدع بالحق وتنفى من ظلم

وهذان البيتان فى أرجوزة له * قال ابن اسحق وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول

العدوى حليف لهم ويقال هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط وقيل عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حجير بن سلامان بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وذكر عامر بن فهيرة مولى أبى بكر وفهيرة أمه وهى تصغير فهر لأن الفهر مؤنثة وكان عبدا اسود للطفيل بن الحارث بن سخبرة اشتراه أبو بكر فأعتقه وأسلم قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وسيأتى فى الكتاب نبذ من أخباره منها انه قتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة فلما طعنه خرج من الطعنة نور وكان عامر يقول من رجل لما طعنته رفع حتى حالت السماء دونه هذه رواية البكائى عن ابن اسحق وفى رواية يونس بن بكير عن ابن اسحق ان عامرا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وقال يا محمد من رجل من أصحابك لما طعنته رفع الى السماء فقال هو عامر بن فهيرة وروى هشام بن عروة عن أبيه ان عامرا التمس فى القتلى يومئذ فلم يوجد فكانوا يرون ان الملائكة رفعته أو دفنته ذكره ابن المبارك

﴿ فصل ﴾ وذكر قول الله سبحانه «فاصدع بما تؤمر» والمعنى اصدع بالذى تؤمر به ولكنه لما عدى الفعل الى الهاء حسن حذفها وكان الحذف ههنا احسن من ذكرها لأن ما فيها من الابهام أكثر مما تقتضيه الذى وقولهم ما مع الفعل بتأويل المصدر راجع الى معنى الذى اذا تأملته وذلك ان الذى تصلح فى كل موضع تصلح فيه ما التى يسمونها المصدرية نحو قول الشاعر

عسى الايام ان يرجعـ * ـن يوما كالذى كانوا

أى كما كانوا فقول الله عز وجل اذا «فاصدع بما تؤمر» اما ان يكون معناه بالذى تؤمر به من التبليغ ونحوه واما ان يكون معناه اصدع بالامر الذى تؤمره كما تقول عجبت من الضرب الذى تضر به فتكون ما ههنا عبارة عن الأمر الذى هو أمر الله تعالى ولا يكون للباء فيه دخول ولا تقدير وعلى الوجه الاول تكون ما مع صلتها

عبارة

الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه فكان أول دم اهريق فى الاسلام * قال ابن اسحق فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه فيما بلغنى حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه واجمعوا خلافه وعداوته الا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرا لامره لا يرده عنه شئ فلما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شئ أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا ان عمه أباطالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم مشى رجال من أشراف قريش الى أبى طالب عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وأبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر

عبارة عما هو فعل للنبى صلى الله عليه وسلم والاظهر انها مع صلتها عبارة عن الامر الذى هو قول الله ووحيه بدليل حذف الهاء الراجعة الى ما وان كانت بمعنى الذى فى الوجهين جميعا الا انك اذا أردت معنى الامر لم تحذف الا الهاء وحدها واذا أردت معنى المأمور به حذفت باء وهاء فحذف واحد أيسر من حذفين مع ان صدعه وبيانه اذا علقته بامر الله ووحيه كان حقيقة واذا علقته بالفعل الذى أمر به كان مجازا واذا صرحت بلفظ الذى لم يكن حذفها بذلك الحسن وتأمله فى القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى «وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . ويعلم ما تسرون وما تعلنون . ولما خلقت بيدى . ولا أعبد ما تعبدون» ولم يقل خلقته وحذف الهاء فى ذلك كله وقال فى الذى «الذين آتيناهم الكتاب . والذى جعلناه للناس سواء» وما أشبه ذلك وانما كان الحذف مع ما أحسن لما قدمناه من ابهامها فالذى فيها من الابهام قربها من ما التى هى شرط لفظا ومعنى الا ترى ان ما اذا كانت شرطا تقول فيها ما تصنع اصنع مثله ولا تقول ما تصنعه لان الفعل قد عمل فيها فلما ضارعتها هذه التى هى موصولة وهى بمعنى الذى أجريت فى حذف الهاء مجراها فى أكثر الكلام وهذه تفرقة فى عود الضمير على ما وعلى الذى يشهد لها التنزيل والقياس الذى ذكرناه من الابهام ومع هذا لم نر أحدا نبه على هذه التفرقة ولا أشار اليها وقارئ القرآن محتاج الى هذه التفرقة وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذى لانه أوجز ولكنه ليس كحسنه مع من وما ففى التنزيل «والنور الذى أنزلنا» فان كان الفعل متعديا الى اثنين كان ابراز الضمير أحسن من حذفه لئلا يتوهم ان الفعل واقع على المفعول الواحد وانه مقتصر عليه كقوله تعالى «جعلناه للناس سواء . والذين آتيناهم الكتاب» وشرح ابن هشام معنى قوله اصدع شرحا صحيحا وتتمته انه صدع على جهة البيان وتشبيه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل والقرآن نور فصدع به تلك الظلمة ومنه سمى الفجر صديعا لانه يصدع ظلمة الليل وقال الشماخ

ترى السرحان مفترشا يديه * كان بياض لبته صديع

على هذا تأوله أكثر اهل المعانى وقال قاسم بن ثابت الصديع فى هذا البيت ثوب اسود تلبسه النواحة تحته ثوب أبيض وتصدع الاسود عند صدرها فيبدو الابيض وأنشد

كانهن اذ وردن ليعا * نواحة مجتابة صديعا

ليع — اسم جبل

﴿ مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ﴾

ذكر فى الحديث ان أباطالب حدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام دونه أصل الحدب انحناء فى الظهر ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له كما قال النابغة

حدبت علىّ بطون ضبة كلها * ان ظالما فيهم وان مظلوما

ومثل ذلك الصلاة أصلها انحناء وانعطاف من الصلوين وهما عرقان فى الظهر الى الفخذين ثم قالوا صلى عليه أى انحنى عليه ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة اذا أرادوا المبالغة فيها فقولك صلى الله على محمد هو أرق وأبلغ من قولك رحم الله محمدا فى الحنو والعطف والصلاة أصلها فى المحسوسات عبر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيدا كما قال الشاعر

فما زلت فى لينى وتعطفى * عليه كما تحنو على الولد الام

ومنه قيل صليت على الميت أى دعوت له دعاء من يحنو عليه ويتعطف عليه ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الاطلاق لا تقول صليت على العدو أى دعوت عليه انما يقال صليت عليه فى معنى الحنو والرحمة

« قال ابن هشام » واسم أبى سفيان صخر * قال ابن اسحق وأبو البخترى واسمه العاص بن هشام بن الحرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى « قال ابن هشام » أبو البخترى العاص بن هاشم * قال ابن اسحق والاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وأبو جهل بن هشام واسمه عمرو وكان يكنى أبا الحكم بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى * والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤى * ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * والعاص بن وائل « قال ابن هشام » العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * قال ابن اسحق أومن مشى منهم فقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلى بيننا و بينه فانك على مثل مانحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماهو عليه يظهر دين الله و يدعو اليه ثم شرى الامر بينه و بينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها فتذامر وافيه وحض بعضهم بعضا عليه ثم انهم مشوا الى أبى طالب مرة أخرى فقالوا له يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا له انصرفوا عنه فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا و يابى باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس انه حدث ان قريشا حين قالوا لابى طالب هذه المقالة بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخى ان قومك قد جاؤنى فقالوا لى كذا وكذا للذى كانوا قالوا له فابق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر مالا أطيق قال فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد بدا لعمه فيه بدو وانه خاذله ومسلمه وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته قال ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخى قال فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء أبدا

والعطف لانها فى الاصل انعطاف ومن أجل ذلك عديت فى اللفظ بعلى فتقول صليت عليه أى حنوت عليه ولا تقول فى الدعاء الا دعوت له فتعدى الفعل باللام الا أن تريد الشر والدعاء على العدو فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء وأهل اللغة لم يفرقوا ولكن قالوا الصلاة بمعنى الدعاء اطلاقا ولم يفرقوا بين حال وحال ولا ذكروا التعدى باللام ولا بعلى ولا بد من تقييد العبارة لما ذكرناه وقد يكون الحدب أيضا مستعملا فى معنى المخالفة اذا قرن بالقعس كقول الشاعر

وان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا * لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحدب

وكقول الآخر

ولن ينهنه قوما أنت خائفهم * كمثل وقمك جهالا بجهال
فاقعس اذا حدبوا واحدب اذا قعسوا * ووازن الشر مثقالا بمثقال

أنشده الجاحظ فى كتاب الحيوان له

﴿ فصل ﴾ وذكر مجىء النفر من قريش الى أبى طالب فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وذكر أنسابهم وذكر فيهم أبا البخترى بن هشام قال واسمه العاصى بن هشام وقال ابن هشام هو العاصى بن هاشم والذى قاله ابن اسحق هو قول ابن الكلبى والذى قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبى بكر وقول مصعب وهكذا وجدت فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر سفيان بن العاصى

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أدع هذا الذى جئت به ماتركته أو كما قال خص الشمس باليمين لانها الآية المبصرة وخص القمر بالشمال لانها الآية الممحوة وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له انى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم فقال عمر مع أيهما كنت فقال مع القمر قال كنت مع الآية الممحوة اذهب فلا تعمل لى عملا وكان عاملا له فعزله فقتل الرجل فى صفين مع معاوية واسمه حابس بن سعد وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم النيرين حين ضرب المثل بهما لان نورهما محسوس والنور الذى جاء به من عند الله وهو الذى أرادوه على تركه هو لا محالة أشرف من النور المخلوق قال الله سبحانه « يريدون أن يطفؤا نور الله بافواههم

* قال ابن اسحق ثم ان قريشا حين عرفوا أن أباطالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلامه واجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغنى يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فانما هو رجل برجل قال والله لبئس ما تسومونى أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله مالا يكون أبدا قال فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا فقال أبو طالب للمطعم والله ما أنصفونى ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك أو كما قال قال فحقب الامر وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضا فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدى ويعم من خذله من عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم

الا قل لعمرو والوليد ومطعم * ألا ليت حظى من حياطتكم بكر
من الخور حبحاب كثير رغاؤه * يرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق * اذا ما علا الفيفاء قيل له وبر
أرى أخوينا من أبينا وأمنا * اذا سئلا قالا الى غيرنا الامر

ويأبى الله الا أن يتم نوره» فاقتضت بلاغة النبوة لما أرادوه على ترك النور الاعلى أن يقابله بالنور الادنى وان يخص أعلا النيرين وهى الآية المبصرة باشرف اليدين وهى اليمنى بلاغة لا مثلها وحكمة لا يجهل اللبيب فضلها * وقول ابن اسحق ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قد بدا لعمه بداء أى ظهر له رأى فسمى الرأى بداء لانه شئ يبدو بعد ما خفى والمصدر البدء والبدو والاسم البداء ولا يقال فى المصدر بدا له بدو كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع لان الذى يظهر و يبدو ههنا هو الاسم نحو البداء وأنشد أبو على

لعلك والموعود حق وفاؤه * بدا لك فى تلك القلوص بداء

ومن أجل أن البدو هو الظهور كان البداء فى وصف البارى سبحانه محالا لانه لا يبدو له شئ كان غائبا عنه والنسخ للحكم ليس ببداء كما توهمت الجهلة من الرافضة واليهود انما هو تبديل حكم بحكم بقدر قدره وعلم علمه وقد يجوز أن يقال بدا له أن يفعل كذا و يكون معناه أراد وهذا من المجاز الذى لا سبيل الى اطلاقه الا باذن من صاحب الشرع وقد صح فى ذلك ما خرجه البخارى فى حديث الثلاثة الاعمى والاقرع والابرص وانه عليه السلام قال بدا لله أن يبتليهم فبدا ههنا بمعنى أراد وذكرنا الرافضة لان ابن أعين ومن اتبعه منهم يجيزون البداء على الله تعالى و يجعلونه والنسخ شيئا واحدا واليهود لا تجيز النسخ يحسبونه بداء ومنهم من أجاز البداء كالرافضة ويروى أن عليا رحمه الله صلى يوما ثم ضحك فسئل عن ضحكه فقال تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ورآنى أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة فقال ما هذا الفعل الذى أرى فلما أخبرناه قال هذا حسن ولكن لا أفعله أبدا لا أحب أن تعلونى استى فتذكرت الآن قوله فضحكت

﴿ فصل ﴾ وذكر قول الملأ من قريش لابى طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله فخذه مكان ابن اخيك أنهد أى أقوى وأجلد و يقال فرس نهد للذى يتقدم الخيل واصل هذه الكلمة التقدم ومنه يقال نهد ثدى الجارية أى برز قدما وعمارة بن الوليد هذا المذكور هو الذى ارسلته قريش مع عمرو بن العاصى الى أرض الحبشة فسحر هناك وجن وسنزيد فى خبره شيئا بعد هذا ان شاء الله * وذكروا ان أبا طالب قال لهم حين سألوه ان يأخذ عمارة بدلا من محمد صلى الله عليه وسلم أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها وترأمه لا أعطيكم ابنى تقتلونه أبدا وأخذ ابنكم أكفله وأغذوه وهو معنى ما ذكر ابن اسحق قال ابن اسحق فحقب الامر عند ذلك يريد اشتد وهو من قولك حقب البعير اذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب واذا عسر عليه البول أيضا لشد الحقب على ذلك الموضع فيقال منه حقب البعير ثم يستعمل فى الامر اذا عسر وكذلك قوله فشرى الامر عند ذلك أى انتشر الشر ومنه الشرى وهى قروح تنتشر على البدن يقال منه شرى جلد الرجل يشرى شرى

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر أبى طالب الا قل لعمرو والوليد الى آخر الشعر

* وفيه الا ليت حظى من حياطتكم بكر * أى ان بكرا من الابل أنفع لى منكم فليته لى بدلا من حياطتكم كما قال طرفة فى عمرو بن هند

ليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور

* وقوله من الخور حبحاب الخور الضعاف والحبحاب بالحاء الصغير وفى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر جبجاب بالجيم وفسره فقال هو الكثير الهدر وفى الشعر * اذا ما علا الفيفاء قيل له وبر * أى يشبه بالوبر لصغره و يحتمل أن يكون أراد يصغر فى العين لعلو المكان و بعده والفيفاء فعلاء ولولا قولهم الفيف لكان حمله على

بلى لهما أمر ولكن تجرجما * كما جرجمت من رأس ذى علق صخر
أخص خصوصا عبدشمس ونوفلا * هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
هما أغمزا للقوم فى أخويهما * فقد أصبحا منهم أكفهم صفر
هما أشركا فى المجد من لا أباله * من الناس الا ان يرس له ذكر
وتيم ومخزوم وزهرة منهم * وكانوا لنا مولى اذا بغى النصر
فوالله لا ينفك منا عداوة * ولا منهم ما كان من نسلنا شفر
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم * وكانوا كجفر بئس ماصنعت جفر

«قال ابن هشام» تركنا منها بيتين أقذع فيها * قال ابن اسحق ثم ان قريشا تذامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه ابى طالب وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم وبنى المطلب فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه واجابوه الى مادعاهم اليه الا ما كان من أبى لهب عدو الله الملعون فلما رأى ابو طالب من قومه ماسره فى جهدهم معه وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره فقال

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
فان حصلت أشراف عبدمنافها * ففى هاشم أشرافها وقديمها
فالمرتجز
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة * اذا ماثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمى حماها كل يوم كريهة * ونضرب عن احجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وانما * باكنافنا تندى وتنمى أرومها

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذاسن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يامعشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بامر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا

باب القضقاض والجرجار أولى ولكن سمع الفيف فعلم ان الالفين زائدتان وانه من باب قلق وسلس الذى ضوعفت فيه فاء الفعل دون عينه وهى ألفاظ يسيرة نحو قلق وسلس وثلث وسدس وقد اعتنينا بجمعها من الكلام ولعل لها موضعا نذكرفيه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ولا تكون ألف فيفاء للالحاق فيصرف لانه ليس فى الكلام فعلال . فان قيل يكون ملحقا بقضقاض وبابه . قلنا قضقاض ثنائى مضاعف فلا يلحق به الثلاثى كما لا يلحق الرباعى بالثلاثى ولا الاكثر بالاقل وقد حكى فيفاة بالقصر وليست الفها للتأنيث اذ لا يجمع بين علامتى تانيث فهى اذا من باب ارطاة ونحوها كانها ملحقة بسلهبة * وفى الشعر * كما جرجمت من رأس ذى علق صخر * وترك صرف علق امالانه جعله اسم بقعة واما لانه اسم علم وترك صرف الاسم العلم سائغ فى الشعر وان لم يكن مؤنثا ولا عجميا نحو قول عباس بن مرداس

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى المجمع

ونحو قول الآخر

يامن جفانى وملا * نسيت أهلا وسهلا
ومات مرحب لما * رأيت مالى قلا

فلم يصرف مرحبا وسيأتى فى هذا الكتاب شواهد كثيرة على هذا ونشرح العلة فيه ان شاء الله تعالى ولو روى من رأس ذى علق الصخر بحذف التنوين لالتقاء الساكنين لكان حسنا كما قرئ قل هو الله احد الله الصمد بحذف التنوين من أحد وهى رواية عن أبى عمرو بن العلاء وقال الشاعر * حميد الذى امج داره * وقال آخر * ولا ذاكر الله الا قليلا * وانشد قول ابى طالب

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها

* قوله سرها اى وسطها وسر الوادى وسرارته وسطه وقد تقدم متى يكون الوسط مدحا وأن ذلك فى موضعين فى وصف الشهود وفى النسب وبينا السر فى ذلك * وقال فى القصيدة ونضرب عن أحجارها من يرومها * اى ندفع عن حصونها ومعاقلها وان كانت الرواية اجحارها بتقديم الجيم فهو جمع جحر والجحر هنا مستعار وانما يريد عن بيوتها ومساكنها * وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله فيما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الوحى والقرآن قد سمعنا الشعر فما هو بهزجه ولا رجزه والهزج من أعاريض الشعر معروف عند العروضيين ولا أعرف له اشتقاقا الا أن يكون من قولهم فى وصف الذباب هزج أى مترنم وأما الرجز فيحتمل أن يكون من رجزت الجمل اذا عدلته بالرجازة وهو شىء يعدل به الحمل وكذلك الرجز فى الشعر أشطار معدلة ويجوز أن يكون من رجزت الناقة اذا أصابتها رعدة عند قيامها كما قال الشاعر * حتى تقوم تكلف الرجزا *

ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا قالوا فانت يا ابا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقل به قال بل أنتم فقولوا اسمع قالوا نقول كاهن قال والله ماهو بكاهن لقد رأينا الكهان فماهو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال ماهو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فماهو بنفثهم ولا عقدهم قالوا فما نقول يا ابا عبد شمس قال والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة «قال ابن هشام» ويقال لغدق وما انتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل وان اقرب القول فيه لان تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وابيه وبين المرء واخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره فانزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة وفى ذلك من قوله ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا أى خصيما «قال ابن هشام» عنيد معاند مخالف قال رؤبة بن العجاج

* ونحن ضرابون رأس العند *

وهذا البيت فى أرجوزة له سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر «قال ابن هشام» بسر كره وجهه قال العجاج

* مضبر اللحيين بسرا منهسا *

يصف كراهية وجهه وهذا البيت فى أرجوزة له ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر * قال ابن اسحق وأنزل الله تعالى فى رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى وفى النفر الذين كانوا معه يصنفون القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين أى أصنافا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون * قال ابن هشام واحدة العضين عضه يقول عضوه فرقوه قال رؤبة بن العجاج * وليس دين الله بالمعضى * وهذا البيت فى أرجوزة * قال ابن اسحق فجعل أولئك النفر يقولون ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها فلما خشى أبو طالب دهماء العرب ان يركبوه مع قومه قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى ذلك من شعره انه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تاركه لشىء أبدا حتى يهلك دونه فقال أبو طالب

ولما رأيت القوم لا ود فيهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

فالمرتجز كانه مرتعد عند انشاده لقصر الابيات * وقوله قد سمعنا الكهان فماهو بزمزمة الكاهن ولا سجعه الزمزمة صوت ضعيف كنحو ما كانت الفرس تفعله عند شربها الماء ويقال أيضا زمزم الرعد وهو صوت له قبل الهدر وكذلك الكهان كانت لهم زمزمة الله أعلم بكيفيتها وأما زمزمة الفرس فكانت من أنوفهم * وقول الوليد ان أصله لعذق وان فرعه لجناة استعارة من النخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها اذا اجنى والنخلة هى العذق بفتح العين ورواية ابن اسحق أفصح من رواية ابن هشام لانها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ورواية ابن هشام ان أصله لغدق وهو الماء الكثير ومنه يقال غيدق الرجل اذا كثر بصاقه واحد أعمام النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمى الغيداق لكثرة عطائه والغيدق أيضا ولد الضب وهو أكبر من الحسل قاله قطرب فى كتاب الافعال والاسماء له

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق قول الله تعالى « ذرنى ومن خلقت وحيداً » الآيات التى نزلت فى الوليد وفيها له تهديد ووعيد شديد لان معنى ذرنى ومن خلقت أى دعنى واياه فسترى ما أصنع به كما قال فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث وهى كلمة يقولها المغتاظ اذا اشتد غيظه وغضبه وكره أن يشفع لمن اغتاظ عليه فمعنى الكلام أى لا شفاعة تنفع لهذا الكافر ولا استغفار يا محمد منك ولا من غيرك وقوله « وبنين شهوداً » أى مقيمين معه غير محتاجين الى الاسفار والغيبة عنه لان ماله كان ممدوداً والمال الممدود عندهم اثنا عشر ألف دينار فصاعداً « ومهدت له تمهيداً » أى هيأت له وقدمت له مقدمات استدراجه وقوله تعالى « سارهقه صعوداً » هى عقبة فى جهنم يقال لها الصعود مسيرها سبعين سنة يكلف الكافر أن يصعدها فاذا صعدها بعد عذاب طويل صب من أعلاها ولا يتنفس ثم لا يزال كذلك أبداً كذلك جاء فى التفسير وقوله سبحانه « فقتل كيف قدر » أى لعن كيفما كان تقديره فكيف هاهنا من حروف الشرط وقيل معنى قتل أى هو أهل أن يدعى عليه بالقتل وقد فسر ابن هشام بسر والبسر أيضاً القهر والبسر حمل الفحل على الناقة قبل وقت الضراب وفسر عضين وجعله من عضيت أى فرقت وفى الحديث لا تعضية فى ميراث الا ما احتمله القسم ومعنى هذا الحديث موافق لمذهب ابن القاسم ورأيه فى كل مالا ينتفع به اذا قسم او كان فيه ضرر على

الشريكين ألا يقسم وهو خلاف رأى مالك وحجة مالك قول الله تعالى «مما قل منه او كثر نصيباً مفروضاً» وقد قيل فى عضين انه جمع عضة وهى السحر وانشدوا

اعوذ بربى من النافثا * ت فى عقد العاضه المعضه

ومنه قولهم يا للعضيهة و يا للافيكة

﴿ فصل ﴾ وذكر قصيدة ابى طالب الى آخرها وفيها * وابيض عضب من تراث المقاول * قد شرحنا الاقيال والمقاول فيما تقدم وتراث اصله وراث من ورثت ولكن لا تبدل هذه الواو تاء الا فى مواضع محفوظة وعلتها كثرة وجود التاء فى تصاريف الكلمة فالتراث مال قد توورث وتوارثه قوم عن قوم فالتاء مستعملة فى التوريث والتوارث وكذلك تجاه البيت التاء مستعملة فى التوجه والتوجيه ونحوه فلما الفوها فى تصاريف الكلمة لم ينكروا اقلب الواو اليها كما فعلوا فى ريحان وهو من الروح لكثرة الياء فى تصاريف الكلمة كما قدمنا قبل وهى فى تراث و بابه ابعد لان الياء المألوفة فى مادة الكلمة زائدة وياء ريحان ليست كذلك وكذلك التكأة من توكات وتترى من التواتر والتولج من التولج والمتاج لانهم يقولون اتاج بالتشديد فتصير الواو تاء للادغام حتى يقولوا متلج فيجعلونها تاء دون الادغام وهذا اشبه بقياس ريحان و بابه فان التاء الاولى من متلج اصلية وهى فى متلج اذا ضعفت اصلية ايضاً فهى هى فقف على هذا الاصل فانه سر الباب واراد بالمقاول اباءه شبههم بالملوك ولم يكونوا ملوكا ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث ابى سفيان حين قال له هرقل هل كان فى آبائه من ملك فقال لا ويحتمل ان يكون هذا السيف الذى ذكر ابو طالب من هبات الملوك لابيه فقد وهب ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش يهنئونه بظفره بالحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين *وقوله موسمة الاعضاد او قصراتها يعنى بسمة فى اعضادها و يقال لذلك الوسم السطاع والخباط فى الفخذ والرقمة ايضا فى العضد و يقال للوسم فى الكشح الكشاح ولما فى قصرة العنق العلاط والعلطتان والشعب ايضاً فى العنق وهو كالمحجن وفى العنق وسم آخر ايضاً يقال لها قيد الفرس قال الراجز

كوم على أعناقها قيد الفرس * تنجو اذا الليل تدانى والتبس

ولوسوم الابل أسماء كثيرة و باب طويل ذكر أبو عبيد أكثره فى كتاب الابل فمنها المشيطنة والمفعاة والقرمة وهى فى الانف وكذلك الجرف والخطاف وهى فى العنق والدلو والمشط والفرتاج والثؤثور والدماع فى موضع الدمع والصداغ فى موضع الصدغ واللجام من الخد الى العين يقال منه بعير ملجوم والهلال والخراش وهو من الصدغ الى الذقن * وقوله وقصراتها جمع قصرة وهى أصل العنق وخفضها بالعطف على الاعضاد ولا يجوز ان تكون فى موضع نصب كما تقول هو ضارب الرجل وزيدا فى باب اسم الفاعل لان قوله موسمة الاعضاد من باب الصفة المشبهة وهى لا تعمل الا مضمرة واسم الفاعل يضمر اذا عطف على المخفوض وذلك ان الصفة لا تعمل بالمعنى وانما تعمل بشبه لفظى بينها و بين اسم الفاعل فاذا زال اللفظ ورجع الى الاضمار لم تعمل وتخالف اسم الفاعل أيضا لان معمولها لا يتقدم عليها كما يتقدم المفعول على اسم الفاعل وذلك ان منصوبها فاعل فى المعنى والفاعل لا يتقدم والصفة لا يفصل بينها و بين منصوبها بالظرف ويجوز ذلك فى اسم الفاعل والصفة لا تعمل الا بمعنى الحال واسم الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال نعم و يعمل بمعنى الماضى اذا دخلت عليه الالف واللام ولو روى موسمة الاعضاد بنصب الدال على معنى موسمة الاعضاد بالتنوين وحذفه لا لتقاء الساكنين لجاز كما روى فى شعر جندح * كبكر مقناة البياض *

وقد حالقوا قوما علينا اظنة * يعضون غيظا خلفنا بالانامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة * وابيض عضب من تراث المقاول
واحضرت عند البيت رهطى واخوتى * وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياما معا مستقبلين رتاجه * لدى حيث يقضى حلفه كل نافل
وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم * بمفضى السيول من اساف ونائل
موسمة الاعضاد أو قصراتها * مخيسة بين السديس وبازل

بالنصب

بالنصب و بالرفع أيضا أى البياض منها على نية التنوين فى مقاناة وحذفه لالتقاء الساكنين وأما الخفض فلا خفاء به واذا كانت القصرات مخفوضة بالعطف على الاعضاد ففيه شاهد لمن قال هو حسن وجهه كما روى سيبويه حين أنشد * كميتا الاعالى جونتا مصطلاهما * وفى حديث أم زرع صفر ردائها وملء كسائها مثل حسنة وجهها وفى الامالى من صفة النبى صلى الله عليه وسلم شثن الكفين طويل أصابعه أعنى مثل صفر ردائها * وقوله ترى الودع فيه الودع والودع بالسكون والفتح خرزات تنظم و يتحلى بها النساء والصبيان كما قال * والحلم حلم صبى يمرس الودعا * وقال الشاعر

ان الرواة بلا فهم لما حفظوا * مثل الجمال عليها يحمل الودع
لا الودع ينفعه حمل الجمال له * ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

و يقال ان هذه الخرزات يقذفها البحر وانها حيوان فى جوف البحر فاذا قذفها ماتت ولها بريق ولون حسن وتصلب صلابة الحجر فتثقب و يتخذ منها القلائد واسمها مشتق من ودعته أى تركته لان البحر ينضب عنها او يدعها فهى ودع مثل قبض و نفض واذا قلت الودع بالسكون فهى من باب ما سمى بالمصدر * وقوله والرخام أى ما قطع من الرخام فنظم وهو حجر أبيض ناصع والعثاكل اراد العثاكيل فحذف الياء ضرورة كما قال ابن مضاض وفيها العصافر أراد العصافير وفى أول القصيدة وقد حالفوا علينا أظنة أى متهم ولو كان بالضاد مع قوله علينا لعاد معناه مدحا لهم كانه قال اشحة علينا كما أنشد عمرو بن بحر

لو كنت فى قوم عليك أشحة * عليك الا ان من طاح طائح
يودون لو خاطوا عليك جلودهم * وهل يدفع الموت النفوس الشحائح

وفيها * وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق ليرقى فى حراء ونازل

ثور جبل بمكة وثبير جبل من جبالها ذكروا ان ثبيرا كان رجلا من هذيل مات فى ذلك الجبل فعرف الجبل به كما عرف أبو قبيس بقبيس بن شالخ رجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضاض و بين ابنة عمه مية فنذرت الا تكلمه وكان شديد الكلف بها فخلف ليقتلن قبيسا فهرب منه فى الجبل المعروف به وانقطع خبره فاما مات واما تردى منه فسمى الجبل أبا قبيس وهو خبر طويل ذكره ابن هشام فى غير هذا الكتاب * وقوله و راق ليرقى قد تقدم القول فيه واصح الروايتين فيه و راق لبر فى حراء ونازل قال البرقى هكذا رواه ابن اسحق وغيره وهو الصواب (قال المؤلف) فالوهم فيه اذا من ابن هشام أو من البكائى والله أعلم * وقوله و بالحجر الاسود فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الاسود ونحوه قول جندح * ألا رب يوم لك منهن صالح * وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك * وقوله اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل الاصائل جمع أصيلة والاصل جمع أصيل وذلك ان فعائل جمع فعيلة والاصيلة لغة معروفة فى الاصيل وظن بعضهم ان أصائل جمع أصال على وزن أفعال وأصال جمع أصل نحو أطناب وطنب واصل جمع أصيل مثل رغف جمع رغيف فاصائل على قولهم جمع جمع الجمع وهذا خطأ بين من وجوه منها ان جمع جمع الجمع لم يوجد قط فى الكلام فيكون هذا نظيره ومن جهة القياس اذ كانوا لا يجمعون الجمع الذى ليس لادنى العدد فاحرى الا يجمعوا جمع الجمع وأبين خطأ فى هذا القول غفلتهم عن الهمزة التى هى فاء الفعل التى فى أصيل واصل وكذلك هى فاء الفعل فى أصائل لانها فعائل وتوهموها زائدة كالتى فى أقاويل ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعل وانما هى عينه كما هى فى أصيل واصل فلو كانت أصائل جمع اصال مثل أقوال وأقاويل لاجتمعت همزة الجمع مع همزة الاصل

ترى الودع فيها والرخام وزينة *
باعناقها معقودة كالعثاكل *
أعوذ برب الناس من كل طاعن *
علينا بسوء أو ملح بباطل *
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة *
ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول *
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه *
وراق ليرقى فى حراء ونازل *
و بالبيت حق البيت من بطن مكة *
و بالله ان الله ليس بغافل
و بالحجر المسود اذ يمسحونه *
اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل

وموطىء ابراهيم فى الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل   واشواط بين المروتين الى الصفا * وما فيهما من صورة وتماثل
ومن حج بيت الله من كل راكب * ومن كل ذى نذر ومن كل راجل   وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له * الال الى مفضى الشراج القوابل
وتوقافهم فوق الجبال عشية * يقيمون بالايدى صدور الرواحل   وليلة جمع والمنازل من منى * وهل فوقها من حرمة ومنازل
وجمع اذا ما المقربات أجزنه * سراعا كما يخرجن من وقع وابل
وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها * يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وكندة اذ هم بالحصاب عشية * تجيز بهم حجاج بكر بن وائل
حليفان شدا عقد ما احتلفا له * وردا عليه عاطفات الوسائل
وحطمهم سمر الرماح وسرحه * وشبرقه وخد النعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ * وهل من معيذ يتقى الله عاذل
يطاع بنا أمر العدا ود أننا * يسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيت الله نترك مكة * ونظعن الا أمركم فى بلابل
كذبتم وبيت الله نبذى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرّع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم بالحديد اليكم * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل   وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه * من الطعن فعل الانكب المتحامل
وانا لعمر الله ان جد ما أرى * لتلتبسا أسيافنا بالاماثل   بكفى فتى مثل الشهاب سميدع * أخى ثقة حامى الحقيقة باسل

ولقالوا فيه أواصيل بتسهيل الهمزة الثانية و وجه آخر من الخطأ بين أيضا وهو ان أفاعيل جمع أفعال لا بد من ياء قبل آخره كما قالوا فى أقاويل فكان يكون اواصيل وليس فى أصائل حرف مد ولين قبل آخره انما هى همزة فعائل ومن الخطأ فى قولهم أيضا ان جعلوا أصلا جمعا كثيرا مثل رغف ثم زعموا ان آصالا جمع له فهم بمنزلة من قال فى رغف جمع ارغاف . فان قيل فجمع أى شىء هى آصال قلنا جمع اصل الذى هو اسم مفرد فى معنى الاصائل لا جمع اصل الذى هو جمع . فان قيل فهل يقال أصل واحد كما يقال أصيل واحد . قلنا قد قال بعض أرباب اللغة ذلك واستشهدوا بقول الاعشى

يوما باطيب منها نشر رائحة * ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

أى دنا الاصيل فان صح ان الاصل بمعنى الاصيل والافصال جمع أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طوى وأطواء ولا اعرف أحدا قال هذا القول أعنى جمع جمع الجمع غير الزجاجى وابن عزيز * وقوله وموطىء ابراهيم فى الصخر رطبة يعنى موضع قدميه حين غسلت كنته رأسه وهو راكب فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل وكانت سارة قد اخذت عليه عهدا حين استأذنها فى ان يطالع تركيته بمكة فخلف لها انه لا ينزل عن دابته ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها اثر قدمه آية قال الله سبحانه «فيه آيات بينات مقام ابراهيم» أى منها مقام ابراهيم ومن جعل مقاما بدلا من آيات قال المقام جمع مقامة وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه * وقوله بين المروتين هو كنحو ما تقدم فى بطن المكتين والحمتين وعنيزتين عماو ردمتنى من أسماء المواضع وهو واحد فى الحقيقة وذكرنا العلة فى مجيئه مثنى ومجموعا فى الشعر وفيها قوله

* وبالمشعر الاقصى اذا قصدوا له * الالا البيت فالمشعر الاقصى عرفة والالا جبل عرفة قال النابغة

* يزرن الالا سيرهن التدافع * وسمى الالا لان الحجيج اذا رأوه والوا فى السير أى اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف قال الراجز

مهر أبى الحبحاب لا تشل * بارك فيك الله من ذى أل

والشراج جمع شرج وهو مسيل الماء والقوابل المتقابلة * وفيها قوله وحطمهم سمر الصفاح جمع صفح وهو سطح الجبل والسمر يجوز أن يكون أراد به السمر يقال فيه سمر وسمر بسكون الميم ويجوز نقل ضمة الميم الى ماقبلها الى السين كما قالوا فى حسن حسن وكذا وقع فى الاصل بضم السين غير أن هذا النقل انما يقع غالبا فيما يراد به المدح أو الذم نحو حسن وقبح كما قال وحسن ذا أدبا أى حسن ذا أدبا وجائز أن يراد بالسمر ههنا جمع أسمر وسمراء ويكون وصفا للنبات والشجر كما يوصف بالدهمة اذا كان مخضرا وفى التنزيل «مدهامتان» أى خضراوان الى السواد * وقوله وشبرقه وهو نبات يقال ليابسه الحلى والرطبة الشبرق * وقوله نبذى محمدا أى نسلبه ونغلب عليه * وقوله نهوض الروايا هى الابل تحمل الماء واحدتها راوية والاسقية أيضا يقال لها روايا وأصل هذا الجمع رواوى ثم يصير فى القياس روائى مثل حوائل جمع حول ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ماقدموا الياء قبلها وصار وزنه فوالع وانما قلبوه كراهية اجتماع واوين وفواعل والواو

التى

شهورا وأياما وحولا محرما * علينا وتأتى حجة بعد قابل   وماترك قوم لا أبالك سيدا * يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل   يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده فى رحمة وفواضل
لعمرى لقد أجرى أسيد وبكره * الى بغضنا وجزآنا لآكل   وعثمان لم يربع علينا وقنفذ * ولكن أطاعا أمر تلك القبائل
أطاعا أبيا وابن عبد يغوثهم * ولم يرقبا فينا مقالة قائل   كما قد لقينا من سبيع ونوفل * وكل تولى معرضا لم يجامل

فان يلفيا أو يمكن الله منهما *
نكل لهما صاعا بصاع المكايل
وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا
ليظعننا فى أهل شاء وجامل
يناجى بنا فى كل ممسى ومصبح
فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
ويؤلى لنا بالله ما أن يغشنا *
بلى قد تراه جهرة غير حائل
أضاق عليه بغضنا كل تلعة *
من الارض بين أخشب فمجادل
وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا
بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
وكنت امرأ ممن يعاش برأيه
ورحمته فينا ولست بجاهل
فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح *
حسود كذوب مبغض ذى دغاول
ومر أبو سفيان عنى معرضا *
كما مر قيل من عظام المقاول
يفر الى نجد وبرد مياهه *
ويزعم أنى لست عنكم بغافل
ويخبرنا فعل المناصح أنه *
شفيق ويخفى عارمات الدواخل
أمطعم لم أخذلك فى يوم نجدة *
ولا معظم عند الامور الجلائل

ولا يوم خسم اذ أتوك ألدة * أولى جدل من الخصوم المساجل   امطعم ان القوم ساموك خطة
وانى متى أوكل فلست بوائل   جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل
بميزان قسط لا يخس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل   لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
بنى خلف قيضا بنا والغياطل   ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصى فى الخطوب الاوائل

التى هى عين الفعل ووجه آخر وهو ان الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة فى الجمع لوقوع الالف بين واوين فلما انقلبت همزة قلبوها ياء كما فعلوا فى خطايا وبابه مما الهمزة فيه معترضة فى الجمع والصلاصل المزادات لها صلصلة بالماء وفيها * قوله غير ذرب مواكل وهو مخفف من ذرب والذرب اللسان الفاحش المنطق والمؤاكل الذى لا جد عنده فهو يكل أموره الى غيره وفيها * قوله ثمال اليتامى أى يثملهم ويقوم بهم يقال هو ثمال مال أى يقوم به * وفيها قوله ليظعننا فى أهل شاء وجامل الشاء والشوى اسم للجمع مثل الباقر والبقير ولا واحد لشاة والشوى من لفظه واذا قالوا فى الواحد شاة فليس من هذا لان لام الفعل فى شاة هاء بدليل قولهم فى التصغير شويهة وفى الجمع شياه والجامل اسم جمع بمنزلة الباقر * وقوله وكنتم زمانا حطب قدر حطب اسم للجمع مثل ركب وليس بجمع لانك تقول فى تصغيره حطيب وركيب * وقوله حطاب أقدر هو جمع حاطب فلا يصغر الا أن ترده الى الواحد فتقول حويطبون ومعنى البيت أى كنتم متفقين لا تحطبون الا لقدر واحدة فانتم الآن بخلاف ذلك * وفيها قوله من الارض بين أخشب فمجادل أراد الاخاشب وهى جبال مكة وجاء به على أخشب لانه فى معنى أجبل مع ان الاسم قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك والمجادل جمع مجدل وهو القصر كانه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام أو العراق والفاء من قوله فمجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو * كقوله بين الدخول فحومل وتقول مطرنا بين مكة فالمدينة اذا اتصل المطر من هذه الى هذه ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى * وقوله أولى جدل من الخصوم المساجل يروى بالجيم وبالحاء فمن رواه بالجيم فهو من المساجلة فى القول وأصله فى استقاء الماء بالسجل وصبه فكانه جمع مساجل على تقدير حذف الالف الزائدة من مفاعل أو جمع مسجل بكسر الميم وهو من نعت الخصوم ومن رواه المساحل بالحاء فهو جمع مسحل وهو اللسان وليس بصفة للخصوم انما هو مخفوض بالاضافة أى خصماء الالسنة وقال ابن أحمر * من خطيب اذا ما انحل مسحله * أى لسانه وهو أيضا من السحل وهو الصب ومنه حديث أيوب حين فرج عنه فجاءت سحابة فسحلت فى بيدره ذهبا وجاءت أخرى فسحلت فى البيدر الآخر فضة

﴿ فصل ﴾ وفيها

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا * بنى خلف قيضا بنا والغياطل

قيضا أى معاوضة ومنه قول النبى عليه السلام لذى الجوشن ان شئت قايضتك به المختار من دروع بدر فقال ما كنت لاقيضه اليوم بشئ يعنى فرسا له يقال له ابن القرحاء وقال أبو الشيص

لا تنكرى صدى ولا اعراضى * ليس المقل عن الزمان براض
بدلت من برد الشباب ملاءة * خلقا وبئس مثوبة المقتاض

والغياطل بنو سهم لان أمهم الغيطلة وقد تقدم نسبها وقيل ان بنى سهم سموا بالغياطل لان رجلا منهم قتل

فعبد مناف أنتم خير قومكم * علينا العدا من كل طمل وخامل * وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا
وجئتم بأمر مخطىء للمفاصل * لعمرى لقد وهنتم وعجزتم * فلا تشركوا فى أمركم كل واغل
ليهن بنى عبد مناف عقوقنا * الآن حطاب أقدر ومراجل * وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم
وتحتلبوها لقحة غير باهل * فان نك قوما نتئر ما صنعتم * وخذلاننا وتركنا فى المعاقل
ورهط نفيل شر من وطى الحصى * نفاهم الينا كل صقر حلاحل * وسائط كانت فى لؤى بن غالب
وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل * فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا * وألأم حاف من معد وناعل
ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم * اذا ما لجأنا دونهم فى المداخل * ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة
لعمرى وجدنا غبه غير طائل * فكل صديق وابن أخت نعده * لكنا أسى عند النساء المطافل
وهنا لهم حتى تبدد جمعهم * براء الينا من معقة خاذل * سوى أن رهطا من كلاب بن مرة
ونحن الكدى من غالب والكواهل * وكان لنا حوض السقاية فيهم * ويحسر عنا كل باغ وجاهل

شباب من المطيبين وهاشم * كبيض السيوف بين ايدى الصياقل *
فما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دما *
ولا حالفوا إلا شرار القبائل
بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم *
ضوارى أسود فوق لحم خرادل
بنى أمة محبوبة هندكية *
بنى جمح عبيد قيس بن عاقل
ولكننا نسل كرام لسادة *
بهم نعى الاقوام عند البواطل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب * زهير حساما مفردا من حمائل

جاء طاف بالبيت سبعا ثم خرج من المسجد فقتله فاظلمت مكة حتى فزعوا من شدة الظلمة التى أصابتهم والغيطلة الظلمة الشديدة والغيطلة أيضا الشجر الملتف والغيطلة اختلاط الاصوات والغيطلة البقرة الوحشية والغيطلة غلبة النعاس * وقوله يخس سعيرة أى ينقص والخسيس الناقص من كل شىء ويروى فى غير السيرة يحص بالصاد والحاء مهملة من حص الشعر اذا أذهبه * وقوله من كل طمل وخامل الطمل اللص كذا وجدته فى كتاب أبى بحر وفى العين الطمل الرجل الفاحش والطمل والطملال الفقير والطمل الذئب * وقوله لقحة غير باهل الباهل الناقة التى لا صرار على أخلافها فهى مباحة الحلب يقال ناقة مصرورة اذا كان على خلفها صرار يمنع الفصيل من أن يرضع وليست المصراة من هذا المعنى انما هى التى يجمع لبنها فى ضرعها فهو من الماء الصرى وقد غلط أبو على فى البارع فجعل المصراة بمعنى المصرورة وله وجه بعيد وذلك أن يحتج له بقلب احدى الراءين ياء مثل قصيت أظفارى غير انه بعيد فى المعنى وقالت امرأة المغيرة تعاتب زوجها وتذكر أنها جاءته كالناقة الباهلة التى لا صرار على أخلافها أطعمتك مأدومى وابثثتك مكتومى وجئتك باهلا غير ذات صرار وفى الحديث لا توردا الابل بهلا فان الشياطين ترضعها أى لا أصرة عليها * وفيها قوله * براء الينا من معقة خاذل * يقال قوم براء وبراء بالفتح وبراء بالكسر فاما براء بالكسر فجمع برىء مثل كريم وكرام واما براء فمصدر مثل سلام والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ويقال رجل براء ورجلان براء واذا كسرتها أو ضممتها لم يجز الا فى الجمع وأما براء بضم الباء فالاصل فيه برآء مثل كرماء فاستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الاولى وكان وزنه فعلاء فلما حذفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فعاء وانصرف لانه

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد * الى حسب فى حومة المجد فاضل * أشم من الشم البهاليل ينتمى
وزينا لمن والاه رب المشاكل * فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها * واخوته دأب المحب المواصل
حليم رشيد عادل غير طائش * اذا قاسه الحكام عند التفاضل * فمن مثله فى الناس أى مؤمل
تجر على أشياخنا فى المحافل * فوالله لولا ان أجىء بسبة * يوالى إلها ليس عنه بغافل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب * من الدهر جدا غير قول التهازل * لكنا اتبعناه على كل حالة
تقصر عنه سورة المتطاول * فأصبح فينا أحمد فى أرومة * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فأيده رب العباد بنصره * ودافعت عنه بالذرا والكلاكل * حدبت بنفسى دونه وحميته
الى الخير آباء كرام المحاصل * رجال كرام غير ميل نماهم * وأظهر دينا حقه غير باطل
«قال ابن هشام» هذا ما صح لى من هذه القصيدة * فلا بد يوما مرة من تزايل * فان تك كعب من لؤى صقيبة

لانه أشبه فعالا والنسب اليه اذا سميت به براوى والنسب الى الآخرين برائى و برائى وزعم بعضهم الى ان براء بضم أوله من الجمع الذى جاء على فعال وهى ثمانية ألفاظ فرير وفرار وعرن وعران ولم يصنع شيئاً وقال النحاس براء بضم الباء

﴿فصل﴾ وذكر حديث استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو حديث مروى من طرق كثيرة و بالفاظ مختلفة * وقوله حتى أتاه أهل الضواحى يشكون الغرق الضواحى جمع ضاحية وهى الارض البراز التى ليس فيها ما يكن من المطر ولا منجاة من السيول وقيل ضاحية كل بلد خارجه * وقوله عليه السلام اللهم حوالينا ولا علينا كقوله فى حديث آخر اللهم منابت الشجر و بطون الاودية وظهور الآكام فلم يقل اللهم ارفعه عنا هو من حسن الادب فى الدعاء لانها رحمة الله و نعمته المطلوبة منه فكيف يطلب منه رفع نعمته وكشف رحمته وانما يسئل سبحانه كشف البلاء والمزيد من النعماء ففيه تعليم كيفية الاستصحاء وقال اللهم منابت الشجر ولم يقل اصرفها الى منابت الشجر لان الرب تعالى أعلم بوجه اللطف وطريق المصلحة كان ذلك بمطر أو بندى أوطل أو كيف شاء وكذلك بطون الاودية والقدر الذى يحتاج اليه من مائها

﴿فصل فان قيل﴾ * كيف قال أبو طالب * وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ولم يره قط استسقى وانما كانت استسقاآته عليه السلام بالمدينة فى سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة اجابة الله له ﴿فالجواب﴾ ان أباطالب قد شاهد من ذلك أيضا فى حياة عبد المطلب ما دله على ما قال روى أبو سلمان حمد ابن محمد بن ابراهيم البستى النيسابورى أن رقيقة بنت أبى صيفى بن هاشم قالت تتابعت على قريش سنو جدب قد أقحلت الظلف وأرقت العظم فبينا أنا راقدة اللهم أو مهدمة ومعى صنوى اذ أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول يامعشر قريش ان هذا النبى المبعوث منكم هذا ابان نجومه فحى هلا بالحيا والخصب الا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاما أبيض فظا أشم العرنين له فخر يكظم عليه ألا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن رجل الا فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته الا فليدع الرجل وليؤمن القوم الا فغثتم أبدا ما عشتم قالت فاصبحت مذعورة قد قف جلدى و وله عقلى فاقتصصت رؤياى فوالحرمة والحرم ان بقى أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد وتتامت عنده قريش وانقض اليه الناس من كل بطن رجل فشنوا ومسوا واستلموا واطوفوا ثم ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يدفون حوله ما ان يدرك سعيهم مهلة حتى قروا بذروة الجبل واستكفوا جنابيه فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قد كرب ثم قال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسؤل غير مبخل وهذه عبداؤك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثا مريعا مغدقا فما راموا والبيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بثجيجه رواه أبو سليمان عن ابن الاعرابى قال حدثنا محمد بن على بن البحترى نا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف نا عبد العزيز بن عمران عن ابن حويصة قال يحدث مخرمة بن نفيل عن أمه رقيقة بنت أبى صيفى * وذكر الحديث ورواه باسناد آخر الى رقيقة وفيه الا فانظروا منكم رجلا وسيطا عظاما جساما أوطف الاهداب وان عبد المطلب قام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أيفع أو كرب وذكر القصة

و بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها «قال ابن هشام» وحدثنى من أثق به قال أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك اليه فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحى يشكون منه الغرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالاكليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه كانك يارسول الله أردت لقوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه *
ثمال اليتامى عصمة للارامل

قال أجل «قال ابن هشام» وقوله وشبرقه عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق والغياطل من بنى سهم بن عمرو بن هصيص * وأبو سفيان بن حرب بن أمية * ومطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف * وزهير بن ابى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وامه عاتكة بنت عبد المطلب * قال ابن اسحق وأسيد وبكره عتاب بن أسيد بن ابى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى * وعثمان بن عبيد الله أخو طلحة بن عبيد الله التيمى * وقنفذ بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة * وابو الوليد عتبة بن ربيعة * وابىّ الاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة بن كلاب «قال ابن هشام» وانما سمى الاخنس لانه خنس بالقوم يوم بدر وانما اسمه ابىّ وهو من بنى علاج وهو علاج بن ابى سلمة بن عوف بن عقبة * والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب * وسبيع بن خالد أخو بلحث بن فهر * ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن العدوية وكان من شياطين قريش وهو الذى قرن بين أبى بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما فى حبل حين أسلما فبذلك كانا يسميان القرينين قتله على بن أبى طالب عليه السلام يوم بدر * وابو عمرو وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف وقوم علينا أظنة بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة فهؤلاء الذين عد أبو طالب فى شعره من العرب فلما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العرب و بلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر وقبل ان يذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود وكانوا لهم حلفاء ومعهم فى بلادهم فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال ابو قيس بن الاسلت أخو بنى واقف «قال ابن هشام» نسب ابن اسحق اباقيس هذا ههنا الى بنى واقف ونسبه فى حديث الفيل الى خطمة لان العرب قد تنسب الرجل الى أخى جده الذى هو أشهر منه «قال ابن هشام» حدثنى ابو عبيدة ان الحكم بن عمرو الغفارى من ولد نعيلة اری أخى غفار وهو غفار بن مليل و نعيلة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة وقد قالوا عتبة بن غزوان السلمى وهو من ولد مازن بن منصور وسليم بن منصور «قال ابن هشام» فابو قيس بن الاسلت من بنى وائل ووائل وواقف وخطمة اخوة من الأوس * قال ابن اسحق فقال أبو قيس بن الاسلت وكان يحب قريشا وكان لهم صهرا كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى وكان يقيم عندهم السنين بامرأته قصيدة يعظم فيها الحرمة و ينهى قريشا فيها عن الحرب و يأمرهم بالكف بعضهم عن بعض و يذكر فضلهم وأحلامهم و يأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و يذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيده عنهم فقال

يارا كبا اما عرضت فبلغن * مغلغلة عنى لؤى بن غالب * رسول أمرىء قد راعه ذات بينكم
على النائى محزون بذلك ناصب * وقد كان عندى للهموم معرس * فلم أقض منها حاجتى وما آربى
نبيتكم شرجين كل قبيلة * لها أزمل من بين مذك وحاطب * أعيذكم بالله من شر صنعكم *
وشر تباغيكم ودس العقارب * واظهار اخلاق ونجوى سقيمة * كوخز الاسافى وقعها حق صائب

﴿فصل﴾ وذكر ابن هشام كل من سماه أبو طالب فى قصيدته أو أشار اليه وعرف بهم تعريفا مستغنيا عن المزيد * وذكر قصيدة أبى قيس صيفى بن الاسلت واسم الاسلت عامر والاسلت هو الشديد القطس يقال سلت الله أنفه ومن السلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله فلما كتب له عهده أبى أن يقبله وقال لا حاجة لى به انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الولاة يجاء بهم يوم القيامة فيقفون على جسر جهنم فمن كان مطاوعا لله تناوله بيمينه حتى ينجيه ومن كان عاصيا لله انخرق به الجسر الى واد من نار تلتهب التهابا قال فارسل عمر الى أبى ذر والى سلمان فقال لابى ذر أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم والله و بعد الوادى واد آخر من نار قال وسأل سلمان فكره أن يخبره بشىء فقال عمر من يأخذها بما فيها فقال أبو ذر من سلت الله أنفه وعينيه وأضرع خده الى الارض ذكره ابن أبى شيبة وأول القصيدة * يارا كبا اما عرضت فبلغن * البيت المغلغلة الداخلة الى أقصى ما يراد بلوغه منها ومنه تغلغل فى البلاد اذا بالغ فى الدخول فيها وأصله تغلل ومغللة ولكن قلبوا احدى اللامين غينا كما فعلوا فى كثير من المضاعف وأصله من الغلل والغلالة فاما الغلل فماء يستره النبات والشجر وأما الغلالة فسا ترة لما تحتها وفيها نبيتكم شرجين أى فريقين مختلفين ونبيتكم لفظ مشكل وفى حاشية الشيخ نبيتكم شرجين وهو بين فى المعنى وفيه زحاف خرم ولكن لا يعاب المعنى بذلك وأما لفظ التبييت فى هذا البيت فبعيد من معناه والازمل الصوت والمذكى الذى يوقد النار والحاطب الذى يحطب لها ضرب هذا مثلا لنار الحرب كما قال الآخر

فذ كرهم بالله أول وهـلة * واحلال احرام الظباء الشوازب * وقل لهـم والله يحـكم حكمه *
ذروا الحرب تذهب عنكم فى المراحب * مـتى تبعثوها تبعثوها ذميمـة * هى الغـول للاقصـين أو للاقارب
تقطـع أرحاما وتهلك امـة * وتبرى السديف من سنام وغارب * وتسـتبدلوا بالاتحمية بعـدها *
شليلا واصداء ثياب المحارب * و بالمسك والكافور غبرا سوابغا * كأن قتـيريهـا عيـون الجنادب
فاياكم والحـرب لا تعلقنكم * وحوضا وخيم الماء مر المشارب * تزين للأقـوام ثم يرونها *
بعاقبـة اذ بينت أم صاحب * تحرق لا تشوق ضـعيفا وتنتحى * ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس * فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب * وكم قد أصابت من شريف مسوّد
طويل العماد ضيفه غير خائب
عظيم رماد النار يحمـد أمره
وذى شـيمة محض كريم المضارب
وماء هريق فى الضـلال كأنما *
أذاعت به ريح الصـبا والجنائب
يخبركم عنها امرؤ حق عالم *
بايامها والعلم علم التجارب
فبيعوا الحراب ملمحارب واذكروا *
حسابكم والله خير محاسب
ولى امرىء فاختار دينا فلا يكن *
عليـكم رقيبا غـير رب النواقب
أقيموا لنا دينا حنيفا فانتم *
لنا غاية قـد يهتـدى بالذوائب * وأنـتم لهـذا الناس نور وعصمة * تؤمون والاحلام غـير عوازب
وأنتم اذا ماحصّل الناس جوهر * لكم سرة البطحـاء شم الارانب * تصونون أجساد اكراما عتيقـة *
مهذبة الانساب غـير أشائب * يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم * عصائب هلكى تهتـدى بعصائب
لقـد عـلم الاقـوام ان سراتكم * على كل حال خير أهل الجباجب * وأفضـله رأيا وأعـلاه سـنة *
وأقوله للحـق وسط المواكب * فقوموا فصلوا ربـكم وتمسحوا * باركان هـذا البيت بين الاخاشب
فعنـد كم منه بلاء ومصـدق * غداة أبى يكسوم هادى الكتائب * كتيبته بالسـهل تمشى ورجـله
على القاذفات فى روءس المنـاقب * فلما أتاكم نصر ذى العـرش ردهم * جنـود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هارين ولم يؤب * الى أهله ملحبش غير عصائب * فان تهلكوا نهلك وتهلك مواسم * يعاش بها قول امرىء غـير كاذب

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعـودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام

وقوله هى الغول للادنى أى هى الهلاك يقال الغضب غول الحلم أى يهلكه والغول بفتح الغين وجع البطن قاله البخارى فى تفسـير قوله «لا فيها غول» *وقوله* واحلال احرام الظباء الشوازب * أى ان بلدكم بلد حرام تأمن فيـه الظباء الشوازب التى تأتيـه من بعد لتأمن فيه فهى شازبة أى ضامرة من بعـد المسافة واذا لم تحلوا بالظباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم واحرام الظباء كونها فى الحرم يقال لمن دخـل فى الشهر الحرام أو فى البلد الحرام محرم والاتحمية ثياب رقاق تصنع باليمن والشليل درع قصـيرة والاصداء جمع صداء الحـديد والقتير حلق الدرع شبهها بعيون الجراد وأخذ هذا المعنى التنوخى فقال

كأثواب الاراقم مزقتهـا * نخـاطتها بأعينها الجراد

وقوله فى وصف الحرب

تزين للاقـوام ثم يرونهـا * بعاقبة اذ بينت أم صاحب

هو كقول عمرو بن معدى كرب

الحـرب أول ماتكون فتيـة * تسـعى ببزتها لكل جهول
حتى اذا اشتعلت وشب ضرامها * ولت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها فتنكرت * مكروهـة للشم والتقبيـل

فقوله أم صاحب أى عجوزاً كأم صاحب لك اذ لا يصحب الرجل الا رجل فى سـنه وفى جامع البخارى كانوا اذا وقعت الحرب يأمرون بحفظ هذه الابيات يعنى أبيات عمرو المتقدمة* وقوله* لم تعلموا ما كان فى حرب داحس *يذكر معنى داحس اذا ذكره ابن اسحق بعد هـذه القصيدة ان شاء الله تعالى * وقوله فيها* ولىّ أمرىء فاختار دينا فانما* أى هو ولى أمرىء اختار ديناً والفاء زائدة على أصل أبى الحسن قال فى قولهم زيداً فاضرب الفاء معلقة أى زائدة ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر كانه قال

«قال ابن هشام» أنشدني بيته المناقب أبو زيد الانصاري وغيره «قال ابن هشام» وأما قوله ألم تعلموا ما كان في حرب داحس فحدثني ابو عبيدة النحوي أن داحسا فرس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحرث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث ابن غطفان اجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان يقال لها الغبراء فدس حذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وجه داحس ان رأوه قد جاء سابقا فجاء داحس سابقا فضربوا وجهه وجاءت الغبراء فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبر فوثب أخوه مالك ابن زهير فلطم وجه الغبراء فقام حمل بن بدر فلطم مالكا ثم ان أبا الجنيدب العبسي لقى عوف بن حذيفة فقتله ثم لقى رجل من بنى فزارة مالكا فقتله فقال حمل ابن بدر أخو حذيفة بن بدر

قتلنا بعوف مالكا وهو ثأرنا * فان تطلبوا منا سوى الحق تندموا

وهذا البيت في أبيات له * وقال الربيع بن زياد العبسي *

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجوا النساء عواقب الاطهار

ولى أمرئ تدين فاختار دينا أو نحو هذا وقد تقدم شرح باقي القصيدة في آخر قصة الحبشة * وقال فيها كريم المضارب وفي حاشية كتاب الشيخ لعله الضرائب يريد جمع ضريبة ولا يبعد أيضا أن يكون قال المضارب يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ولا راجعة عليه الا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم * وفيها قوله * وماء هريق في الضلال * ويروى في الصلال جمع صلة وهي الارض التي لا تمسك الماء أي رب ماء هريق في الضلال من أجل السراب لانه لا يهريق ماء من أجل السراب الا ضال غير مميز بمواضع الماء وأذاعت به أي بددته فلم ينتفع به وهذا مثل ضربه للنظر في عواقب الامور ويروى وما أهريق في أمر ومعناه والذي أهريق في أمر الضلال فوصل ألف القطع ضرورة و يقال أريق الماء وأهريق بالجمع بين الهمزة والهاء وهي أقلها ولتعليلها موضع غير هذا * وقوله فيها بين ساف وحاصب السافي الذي يرمي بالتراب والحاصب الذي يقذف بالحصباء * وفيها ذكر الجباجب وهي منازل منى كذا قال ابن اسحق وقال البرقي هي حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا والعرب تعظمها وتفخر بها وقيل الجباجب الكروش يقال للكرش جبجبة بفتح الجيم والذي تقدم واحده جبجبة بالضم

«فصل» وذكر حديث حرب داحس مختصرا وداحس اسم فرس كان لقيس بن أبي زهير ومعنى داحس مدحوس كما قيل ماء دافق أي مدفوق والدحس ادخال اليد بقوة في ضيق كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بغلام يسلخ شاة فأمره أن يتنحى ليريه ثم دحس عليه السلام بيده بين الجلد واللحم حتى بلغ الارابط ثم صلى ولم يتوضأ فداحس سمى بهذا الاسم لان أمه كانت لرجل من بني تميم ثم من بني يربوع اسمه قرواش بن عوف وكان اسم الفرس جلوى وكان ذو العقال فرسا عتيقا لحوط بن جابر فخرجت به فتاتان له لتسقيانه [فبصر] بجلوى فأدلى حين رآها فضحك غلمة كانوا هنالك فاستحيت الفتاتان ونكستا رأسيهما فأفلت ذو العقال حتى نزى على جلوى وقيل ذلك لحوط فاقبل مغضبا وهو يسعى حتى ضرب بيده في التراب ثم دحسها في رحم الفرس فسطا عليها فأخرج ماء الفحل منها واشتملت الرحم على بقية الماء وحملت بمهر فسموه داحسا وأظهر ما فيه ان يكون مثل لابن وتامر وأن لا يكون فاعلا بمعنى مفعول فهو داحس بن ذي العقال بن أعوج الذي تنسب اليه الخيل الاعوجية في قول بعضهم وقد تقدم غير هذا القول ابن سبل وكان لغنى بن يعصر وفيه يقال

ان الجواد ابن الجواد ابن سبل * ان ديوا جاد وان جادو بل

وفي ذي العقال يقول جرير

تمسى جياد الخيل حول بيوتنا * من آل أعوج أو لذي العقال

وأنشد

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجوا النساء عواقب الاطهار

وفيه اقواء وهو حذف نصف سبب من القسم الاول وقد تكلمنا على معنى الاقواء قبل وأما اختلاف القوافي فيسمى اكتفاء واقواء أيضا لانه من الكفء فكأنه جعل الرفع كفئا للخفض فسوى بينهما وفيها قوله * ترجوا النساء عواقب الاطهار * كقول الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال ان حرب داحس دامت أربعين سنة لم تحمل فيها أنثى لانهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين وذكر الاصبهاني ان حرب داحس كانت بعد يوم جبلة بأربعين سنة وقد تقدم يوم جبلة وأن رسول الله صلى

وهذا البيت في قصيدة له فوقعت الحرب بين عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر فقال قيس بن زهير بن جذيمة يرثي حذيفة وجزع عليه

كم فارس يدعى وليس بفارس * وعلى الهباءة فارس ذو مصدق
فابكوا حذيفة لن ترثوا مثله * حتى تبيد قبائل لم تخلق

وهذان البيتان في أبيات له وقال قيس بن زهير

على ان الفتى حمل بن بدر * بغى والظلم مرتعه وخيم

وهذا البيت في أبيات له وقال الحرث بن زهير اخو قيس بن زهير

تركت على الهباءة غير فخر * حذيفة عنده قصد العوالي

وهذا البيت في أبيات له « قال ابن هشام » ويقال ارسل قيس داحسا والغبراء وارسل حذيفة الخطار والحنفاء والاول أصح الحديثين وهو حديث طويل منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال ابن هشام » واما قوله حرب حاطب فيعني حاطب ابن الحرث بن قيس بن هيشة بن الحرث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس كان قتل يهوديا جارا للخزرج فخرج اليه زيد بن الحرث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج وهو الذي يقال له قسحم وقسحم أمه وهي امرأة من القين بن جسر ليلا في نفر من بني الحرث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الاوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا فكان الظفر للخزرج على الاوس وقتل يومئذ سويد بن صامت بن خالد بن عطية ابن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الاوس قتله المجذر بن ذياد البلوي واسمه عبد الله بن ذياد البلوي حلف بني عوف بن الخزرج فلما كان يوم أحد خرج المجذر بن ذياد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه الحرث بن سويد بن صامت فوجد الحرث بن سويد غرة من المجذر فقتله بابيه وسأذكر حديثه في موضعه ان شاء الله تعالى ثم كانت بينهم حروب منعني من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حرب داحس * قال ابن اسحق وقال حكيم بن أمية بن حارثة بن الاوقص السلمي حليف بني أمية وقد أسلم يورع قومه عما اجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيهم شريفا مطاعا

أهل قائل قولا من الحق قاعد * عليه وهل غضبان للرشد سامع
وهل سيد ترجو العشيرة نفعه * لاقصى الموالي والاقارب جامع
تبرأت الا وجه من يملك الصبا * واهجركم مادام مدل ونازع
وأسلم وجهي للاله ومنطقي * ولو راعني من الصديق روائع

* قال ابن اسحق ثم ان قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي اصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم فاغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لامر الله لا يستخفي به مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال اوثانهم وفراقه اياهم على كفرهم * قال ابن اسحق فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلت له ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته

الله عليه وسلم ولد في تلك الايام وقال لبيد

وغنيت حرسا قبل مجراء داحس * لو كان للنفس اللجوج خلود

وكان لبيد في حرب جبلة ابن عشر سنين وقوله حرسا أي وقتا من الدهر ويروى سبتا والمعنى واحد وكان اجراء داحس والغبراء على ذات الاصاد موضع في بلاد فزارة وكان آخر أيام حرب داحس بقلهى من أرض قيس وهناك اصطلحت عبس ومنولة وهي أم بني فزارة شمخ وعدي ومازن فيقال لهذا الموضع قلهى وأما قلهيا فوضع بالحجاز وفيه اعتزل سعد بن أبي وقاص حين قتل عثمان وأمر ألا يحدث بشيء من أخبار الناس والا يسمع منها شيئا حتى يصطلحوا ويقال ان الحنفاء كانت فرس حذيفة وانها أجريت مع الغبراء ذلك اليوم قال الشاعر

اذا كان غير الله للمرء عدة * أتته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة * وكان يراها عدة للشدائد

وأما حرب حاطب الذي ذكرها فهي حرب كانت على يد حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الأوس فنسبت اليه وكانت بين الأوس والخزرج

﴿ فصل ﴾ فيما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه ذكر ابن اسحق والواقدي والتيمي وابن عقبة

قال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فبينا هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح قال فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه باحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينا هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه قال فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه وهو يبكي ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه فان ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط * قال ابن اسحق وحدثني بعض آل أم كلثوم ابنة أبي بكر انها قالت رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جبذوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر «قال ابن هشام» حدثني بعض أهل العلم ان أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش انه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس الا كذبه وآذاه لا حر ولا عبد فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله فتدثر من شدة ما أصابه فأنزل الله تعالى عليه «يا أيها المدثر قم فانذر»

(فصل)

وغيرهم في هذا الباب أمورا كثيرة تتقارب ألفاظها ومعانيها وبعضهم يزيد على بعض فمنها حثو سفهائهم التراب على رأسه ومنها انهم كانوا ينضدون الفرث والاخثاث والدماء على بابه ويطرحون رحم الشاة في برمته ومنها صق أمية بن خلف في وجهه ومنها وطء عقبة بن أبي معيط على رقبته وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان ومنها أخذهم بمخنقه حين اجتمعوا له عند الحجر وقد ذكره ابن اسحق وزاد غيره في الخبر انهم خنقوه خنقا شديدا وقام أبو بكر دونه فجبذوا رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره وأما السب والهجو والتلقيب وتعذيب أصحابه وأحبائه وهو ينظر فقد ذكر من ذلك ابن اسحق ما في الكتاب وقد قال ابو جهل لسمية أم عمار بن ياسر ما آمنت بمحمد الا لانك عشقته لجماله ثم طعنها بالحربة في قبلها حتى قتلها والاخبار في هذا المعنى كثيرة وذكر ابن اسحق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم دثروني دثروني فانزل الله تعالى «يا أيها المدثر قم فانذر» قال بعض أهل العلم في تسميته اياه بالمدثر في هذا المقام ملاطفة وتأنيس ومن عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها كقوله عليه السلام لحذيفة قم يا نومان * وقوله لعلي بن أبي طالب وقد ترب جنبه قم أبا تراب فلو ناداه سبحانه وهو في تلك الحال من الكرب باسمه أو بالامر المجرد من هذه الملاطفة لهاله ذلك ولكن لما بدئ بيا أيها المدثر انس وعلم ان ربه راض عنه ألا تراه كيف قال عند ما لقي من أهل الطائف من شدة البلاء والكرب ما لقي رب ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي الى آخر الدعاء فكان مطلوبه رضا ربه وبه كانت تهون عليه الشدائد «فان قيل» كيف ينتظم يا أيها المدثر مع قوله قم فانذر وما الرابط بين المعنيين حتى يلتئما في قانون البلاغة ويتشاكلا في حكم الفصاحة «قلنا» من صفته عليه السلام ما وصف به نفسه حين قال أنا النذير العريان وهو مثل معروف عند العرب يقال لمن أنذر بقرب العدو وبالغ في الانذار وهو النذير العريان وذلك ان النذير الجاد يجرد ثوبه ويشير به اذا خاف أن يسبق العدو صوته وقد قيل ان أصل المثل لرجل من خثعم سلبه العدو ثوبه وقطعوا يده فانطلق الى قومه نذيرا على تلك الحال فقوله عليه السلام أنا النذير العريان أي مثلي مثل ذلك والتدثر بالثياب مضاد للتعري فكان في قوله «يا أيها المدثر» مع قوله «قم فانذر» والنذير الجاد يسمى العريان تشاكل بين والتئام بديع وسماقة في المعنى وجزالة في اللفظ * وقوله بعد هذا «وربك فكبر» أي ربك كبر لا غيره لا يكبر عليك شيء من أمر الخلق وفي تقديم المفعول على فعل الامر اخلاص ومثله قوله اياك نعبد أي لا نعبد غيرك ولم يقل نعبدك ونستعينك وفي الحديث اذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله تعالى أخلص لي عبدي العبادة واستعانني عليها فهذه بيني وبين عبدي

﴿ اسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

* قال ابن اسحق حدثنى رجل من أسلم كان واعية أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لامره فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فى مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه فعمد الى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له وكان اذا رجع من قنصه لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان اذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش الا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعز فتى فى قريش وأشد شكيمة فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فقالت له يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام وجده ههنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى لم يقف على أحد معدا لابى جهل اذا لقيه أن يوقع به فلما دخل المسجد نظر اليه جالسا فى القوم فاقبل نحوه حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه فانا على دينه أقول ما يقول فرد ذلك على ان استطعت فقامت رجال من بنى مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة فانى والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا وتم حمزة رضى الله عنه على اسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه

* قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فاكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا بلى يا أبا الوليد قم اليه فكلمه فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من البسطة فى العشيرة والمكان فى النسب وانك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن اخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاستمع منى قال أفعل فقال « بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه » ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائى أنى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم

﴿ فصل ﴾ وذكر قول عتبة ان كان هذا رئيا تراه ولغة بنى تميم رئي بكسر الراء وكذلك يقولون فى كل فعيل عين الفعل منه همزة أو غيرها من حروف الحلق يكسرون أوله مثل رحيم وشهيد والرئي فعيل بمعنى مفعول ولا يكون الا من الجن ولا يكون فعيل بمعنى مفعول فى غير الجن الا ان يؤثر فيه الفعل نحو جريح وقتيل وذبيح وطحين ولا يقال من الشكر شكير ولا ذكرته فهو ذكير ولا فيمن لطم لطيم الا ان تغير منه اللطمة كما قالوا لطيم الشيطان قال ابن الزبير حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق الا ان أبا ذبان قتل لطيم الشيطان « كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون » وقالوا من الحمد حميد ذهبوا به مذهب كريم وكذلك قالوا فى الجن رئي وان كانت الرؤيا لا تؤثر فى المرئى لانهم ذهبوا به مذهب قرين ونجى

﴿ فصل ﴾ وذكر اسلام حمزة وأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة وأهيب عم آمنة بنت وهب تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله آمنة فى ساعة واحدة فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة

أسعد الناس به قالوا اسحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم * قال ابن اسحق ثم ان الاسلام جعل يفشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم ان اشراف قريش من كل قبيلة كما حدثنى بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحرث أخو بنى عبد الدار وأبو البخترى بن هشام والاسود بن المطلب بن أسد و زمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام لعنه الله وعبد الله بن أبى أمية والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وأمية بن خلف أو من اجتمع منهم قال اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتاهم فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم و يعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا له يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة فما بقى أمر قبيح الا قد جئته فيما بيننا و بينك أو كما قالوا له فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مابى ما تقولون ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى و بينكم أو كما قال صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك وصنعت ماسألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثنى به وقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بينى و بينكم قالوا فاذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول و يراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق كما نقوم وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما

لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أرضعتهما ثويبة كما تقدم و زاد غير ابن اسحق فى اسلام حمزة انه قال لما احتملنى الغضب وقلت أنا على قوله أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى و بت من الشك فى أمر عظيم لا أكتحل بنوم ثم أتيت الكعبة وتضرعت الى الله سبحانه ان يشرح صدرى للحق و يذهب عنى الريب فما استتممت دعائى حتى زاح عنى الباطل وامتلأ قلبى يقينا أو كما قال فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما كان من أمرى فدعا لى بان يثبتنى الله وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادى * الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذى اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها * بآيات مبينة الحروف
وأحمد فينا مصطفى مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ماصنعت ثقيف * به فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس شر جزاء قوم * ولا أسقاهم صوب الخريف

﴿ فصل ﴾ وذكر ماسأله قومه من الآيات وازالة الجبال عنهم وانزال الملائكة عليه وغير ذلك جهلا منهم

تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل وما أنا بالذى يسال ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا أو كما قال فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا فاسقط علينا كسفا كما زعمت ان ربك لو شاء فعل فانا لا نؤمن لك الا أن تفعل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله ان شاء أن يفعله بكم فعل قالوا يا محمد أفما علم ربك انا سنجلس معك ونسالك عما سالناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا اذلم نقبل منك ما جئتنا به انه قد بلغنا انك انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمن ابدا فقد أعذرنا اليك يا محمد وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تاتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته فهو لعاتكة بنت عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سالوك ان تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل أو كما قال له فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تاتيها ثم تاتى معك بصك أربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وايم الله ان لو فعلت ذلك ما ظننت انى أصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا آسفا مما فاته لما كان به من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم اياه فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل لعنه الله يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم.

منهم بحكمة الله تعالى فى امتحانه الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل وأن يكون ايمانهم عن نظر وفكر فى الادلة فيقع الثواب على حسب ذلك ولو كشف الغطاء وحصل لهم العلم الضرورى بطلت الحكمة التى من أجلها يكون الثواب والعقاب اذ لا يؤجر الانسان على ما ليس من كسبه كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك وانما أعطاهم من الدليل ما يقتضى النظر فيه العلم الكسبى وذلك لا يحصل الا بفعل من أفعال القلب وهو النظر فى الدليل وفى وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول والا فقد كان قادرا سبحانه ان يأمرهم بكلام يسمعونه ويغنيهم عن ارسال الرسل اليهم ولكنه سبحانه قسم الامر بين الدارين فجعل الامر يعلم فى الدنيا بنظر واستدلال وتفكر واعتبار لانها دار تعبد واختبار وجعل الامر يعلم فى الآخرة بمعاينة واضطرار لا يستحق به ثواب ولا جزاء وانما يكون الجزاء فيها على ما سبق فى الدار الاولى حكمة دبرها وقضية أحكمها وقد قال الله تعالى «وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون» يريد فيما قال أهل التأويل ان التكذيب بالآيات نحو ما سألوه من ازالة الجبال عنهم وانزال الملائكة يوجب فى حكم الله الا يلبث الكافرين بها وان يعاجلهم بالنقمة كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون فلو أعطيت قريش ما سألوه من الآيات وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يلبثوا ولكن الله أكرم محمدا فى الامة التى أرسله اليهم اذ قد سبق فى علمه أن يكذب به من يكذب ويصدق به من يصدق وابتعثه رحمة للعالمين بر وفاجر أما البر فرحمته اياهم فى الدنيا والآخرة وأما الفاجر فانهم أمنوا من الخسف والغرق وارسال حاصب عليهم من السماء كذلك قال بعض اهل التفسير فى قوله «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» مع انهم لم يسئلوا ما سألوا من الآيات الا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك فقد كان أوار أوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف قال الله سبحانه «أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب» الآية وفى هذا المعنى قيل

لولم تكن فيه آيات مبينة * كانت بداهته تنبيك بالخبر

وقد ذكر ابن اسحق فى غير هذه الرواية انهم سالوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله لهم فنزل جبريل فقال لهم ما شئتم ان شئتم فعلت ما سألتم ثم لا نلبثكم ان كذبتم بعد معاينة الآية فقالوا لا حاجة لنا بها

﴿ فصل ﴾ وذكر قول عبد الله بن ابى أمية له واسم ابى أمية حذيفة والله لا أومن بك حتى تتخذ سلما الى آخر الكلام وقد أسلم عبد الله بن أبى امية قبل فتح مكة وسيأتى ذكر اسلامه وذكر خبر أبى جهل وما هم به من القاء الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد وقد رواه النسوى باسناد الى أبى هريرة قال قال أبو جهل وذكر الحديث الى قوله فنكص ابو جهل على عقبيه فقالوا ما لك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وخرجه أيضا مسلم وذكر النسوى ايضاً باسناده الى ابن عباس ان أبا جهل قال له ألم أنهك فوالله ما بمكة ناد أعز من

آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا وانى أعاهد الله لاجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله أو كما قال فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه فاسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشىء أبدا فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته الى الشام فكان اذا صلى بين الركنين اليمانى والاسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت اليه رجال قريش فقالوا له مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا انيابه لفحل قط فهم بى ان يأكلنى * قال ابن اسحق فذكر لى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لاخذه فلما قال لهم ذلك ابو جهل قام النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى (قال ابن هشام) ويقال النضر ابن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف * قال ابن اسحق فقال يامعشر قريش انه والله قد نزل بكم امر ما اتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم وأصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما ما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم كاهن لا والله ماهو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ماهو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه يامعشر قريش فانظروا فى شانكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم وكان النضر بن الحرث من شياطين قريش وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار فكان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله خلفه فى مجلسه اذا قام ثم قال أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه فهلم الىّ فانا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار

نادىّ فانزل الله تعالى «أرأيت الذى ينهى عبداً» الى قوله «فليدع ناديه سندع الزبانية» قال محمد بن يزيد فى الكلام حذف تقديره أرأيت الذى ينهى عبداً اذا صلى أمصيب هو أو مخطىء وكذلك فى قوله «أرأيت ان كان على الهدى» كانه قال أليس من ينهاه بضال وقوله «لنسفعاً بالناصية» أى لنأخذن بها الى النار وقيل معنى السفع ههنا إذلاله وقهره والنادى والندى والمنتدى بمعنى واحد وهو مجلس القوم الذين يتنادون اليه وقال اهل التفسير فيه اقوالا متقاربة قال بعضهم فليدع حيه وقال بعضهم عشيرته وقال بعضهم مجلسه وفى أرأيت معنى اخبرنى ولذلك قال سيبويه لم يجز الغاؤها كما تلغى علمت اذا قلت علمت أزيد عندك أم عمرو ولا يجوز هذا فى أرأيت ولا بد من النصب اذا قلت أرأيت زيدا أبو من هو قال سيبويه لان دخول معنى أخبرنى فيها لا يجعلها بمنزلة اخبرنى فى جميع احوالها (قال المؤلف) وظاهر القرآن يقضى بخلاف ما قال سيبويه الا بعد البيان وذلك انها فى القرآن ملغاة لان الاستفهام هو مطلوبها وعليه وقعت فى قوله «أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم» فقوله ألم يعلم استفهام وعليه وقعت أرأيت وكذلك أرأيتم وأرأيتكم فى الانعام فان الاستفهام واقع بعدها نحو «هل يهلك الا القوم الظالمين» وهذا هو الذى منع سيبويه فى أرأيت وأرأيتك أبو من أنت واما البيان فالذى قاله سيبويه صحيح ولكن اذا ولى الاستفهام أرأيت ولم يكن لها مفعول سوى الجملة واما فى هذه المواضع التى فى التنزيل فليست الجملة المستفهم عنها هى مفعول أرأيت انما مفعولها محذوف يدل عليه الشرط ولا بد من الشرط بعدها فى هذه الصور لان المعنى أرأيتم صنيعكم ان كان كذا وكذا كما يقول القائل أرأيت ان لقيت العدو أتقاتله أم لا تقدير الكلام أرأيت رأيك أو صنيعك ان لقيت العدو فحرف الشرط وهو ان دال على ذلك المحذوف ومرتبط به والجملة المستفهم عنها كلام مستأنف منقطع الا ان فيه زيادة بيان لما يستفهم عنه ولو زال الشرط ووليها الاستفهام لقبح كما قال سيبويه ويحسن فى علمت وهل علمت وهل رأيت وانما قبحه مع أرأيت خاصة وهى التى دخلها معنى أخبرنى فتدبره

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث النضر بن الحارث وما نزل فيه من قول الله تعالى «قالوا أساطير الاولين» واحد الاساطير أسطورة كاحدوثة وأحاديث وهو ما سطره الاولون وقيل اساطير جمع اسطار واسطار جمع سطر بفتح الطاء واما سطر بسكون الطاء فجمعه اسطر وجمع الجمع اساطر بغير ياء * وذكر أن النضر ابن الحارث كان يحدث قريشا باحاديث رستم واسفنديار وما تعلم فى بلاد الفرس من أخبارهم * وذكر

ما انزل الله فى ذلك من قوله وقد قيل فيه نزلت «ومن قال سانزل مثل ما انزل الله» واما احاديث رستم ففى تاريخ الطبرى ان رستم من ريسان كان يحارب كى يستاسب بن كى لهراسب بعد ما قتل اباه لطراسب ابن كى اجو وكى فى اوائل هذه الاسماء عبارة عن البهاء و يقال عبارة عن ادراك الثار و يقال لهؤلاء الملوك الكينية من اجل هذا وكان رستم الذى يقال له رستم سيد بنى ريسان من ملوك الترك وكان كى يستاسب قد غضب على ابنه فسجنه حسداً له على ما ظهر من وقائعه فى الترك حتى صار الذكر له فعندها ظهرت الترك على بلاد فارس وسبوا بنتين ليستاسب اسم احداهما خمانة او نحو هذا فلما رأى يستاسب الايدين له بقتالهم أطاق ابنه من السجن وهو اسفنديار رضى عنه وولاه امر الجيوش فنهد الى رستم وكانت بينهما ملاحم يطول ذكرها لكنه قتل رستم واستباح عساكره ودوخ فى بلاد الترك واستخرج اختيه من ايديهم ثم مات اسفنديار قبل ابيه وكان ملك ابيه نحواً من مائة عام ثم عهد الى بهمن بن اسفنديار فولاه الامر بعد موته و بهمن بلغتهم الحسن النية ودام ملكه نيفا على مائة عام وكان له ابنان ساسان ودارا وقد أملينا فى اول الكتاب طرفا من حديث ساسان و بنيه وهم الساسانية الذين قام عليهم الاسلام ورستم آخر مذكور ايضا قبل هذا فى احاديث كى قباذ وكان قبل عهد سليمان ثم كان رستم وزيرا بعد كى قباذ لابنه كى قاووس وكانت الجن قد سخرت له يقال ان سليمان امرهم بذلك فبلغ ملكه من العجائب ما لا يكاد ان يصدقه ذوو العقول لخروجها عن المعتاد لكن محمد بن جرير الطبرى ذكر منها أخباراً عجيبة * وذكر انه هم بما هم به نمروذ من الصعود الى السماء فطرحته الريح وضعضعت اركانه وهدمت بنيانه ثم ثاب اليه بعض جنوده فصار كسائر الملوك يغلب تارة و يغلب بخلاف ما كان قبل ذلك وسار بجنوده الى اليمن فنهد اليه عمرو ذو الاذعار فهزمه عمرو وأخذه اسيرا وحبسه فى محبس حتى جاء رستم وكان صاحب امره فاستنقذه من عمرو إما بطوع و إما باكراه ورده الى بلاد فارس ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب وكان رستم هو القيم على شاوخش والكافل له فى صغره وكان آخر امر شاوخش بعد عجائب ان قتله قراسيات وقام ابنه كى خسرو يطلب بثأره فدارت بينه و بين الترك وقائع لم يسمع بمثلها وكان الظفر له فلما ظفروا رأى امله فى اعدائه ما ملأ عينه قرة وقلبه سرورا زهد فى الدنيا واراد السياحة فى الارض فتعلت به ابناء فارس وحذرته من شتات الشمل بعده وشماتة العدو فاستخلف عليهم كى لهراسب بن كى اجو بن كى كينة بن كى قاووس المتقدم ذكره ولا ادرى هل رستم الذى قتله اسفنديار هو رستم صاحب كى قاووس ام غيره والظاهر انه ليس به لان مدة ما بين كى قاووس وكى يستاسب بعيدة جدا واحسبه كما قدمنا انه كان من الترك وهذا كله كان فى مدة الكينية وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بخت نصر البابلى على العراق فكان من اموره مع بنى اسرائيل واثخانه فيهم وهدمه لبيت المقدس واحراقه للتوراة وقتله لاولاد الانبياء واسترقاقه لنساء ملوكهم ولذراريهم مع عيثه فى بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم ما هو مشهور فى كتب التفاسير ومعلوم عند اصحاب التواريخ * فهذه جملة مختصرة نشرح لك ما وقع فى كتاب ابن اسحق من ذكر رستم واسفنديار وكانت الكينية قبل مدة عيسى بن مريم اولهم فى عهد افريدون قبل موسى عليه السلام بمئين من السنين وآخرهم فى مدة الاسكندر بن فليس والاسكندر هو الذى سلب ملكهم وقتل دارا بن دارا وهو آخرهم ثم كانت الاشغانية مع ملوك الطوائف اربعمائة وثمانين عاما وقيل اقل من ذلك فى قول الطبرى وقول المسعودى خمسمائة وعشر سنين فى خلال امرهم بعث عيسى ابن مريم ثم كانت الساسانية نحوا من ثلاثين ملكا حتى قام الاسلام ففض خدمتهم وخضد شوكتهم وهدم هياكلهم وأطفأ نيرانهم التى كانوا يعبدون وذلك كله فى خلافة عمر

ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثا منى «قال ابن هشام» وهو الذى قال فيما بلغنى سانزل مثل ما أنزل الله

* قال ابن اسحق وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول فيما بلغنى نزل فيه ثمان آيات من القرآن قول الله عز وجل اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وكل ماذكر فيه من الاساطير من القرآن فلما قال لهم ذلك النضر بن الحرث بعثوه و بعثوا معه عقبة بن أبى معيط الى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسالا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم امره واخبراهم ببعض قوله وقالا لهم انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهما أحبار يهود سلوه عن ثلاث نامركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ماهى فان اخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبى وان لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا فى امره مابدا لكم فاقبل النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط بن ابى عمرو بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى حتى قدم مكة على قريش فقالا يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم و بين محمد صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا أحبار يهود ان نساله عن أشياء أمرونا بها فان أخبركم عنها فهو نبى وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول قد كانت لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وأخبرنا عن الروح ماهى قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه فى ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل حتى أرجفه أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشئ مما سالناه عنه وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحى عنه وشق عليه مايتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ماسألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح * قال ابن اسحق فذكرلى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه لقد احتبست عنى ياجبريل حتى سؤت ظنا فقال له جبريل وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله لما أنكروا عليه من ذلك فقال الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم انك رسول منى أى تحقيق لما سألوا عنه من نبوتك ولم يجعل له عوجا قيما اى معتدلا لا اختلاف فيه لينذر بأسا شديدا من لدنه عاجل عقوبته فى الدنيا وعذابا أليما فى الآخرة أى من عند ربك الذى بعثك رسولا و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا أى دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذب به غيرهم وعملوا بما أمرتهم به من الاعمال و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعنى قريشا فى قولهم انا نعبد الملائكة وهى بنات الله مالهم به من علم ولا لآبائهم الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم أى لقولهم ان الملائكة بنات الله ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك يامحمد على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أى لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم أى لا تفعل «قال ابن هشام» باخع نفسك أى مهلك نفسك فيما حدثنى أبو عبيدة قال ذو الرمة

الا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشئ نحته عن يديه المقادر

وهذا البيت فى قصيدة له وجمعه باخعون و بخعة وتقول العرب قد بخعت له نصحى ونفسى أى جهدت له انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق ارسال قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط الى يهود ومارجعا به من عندهم من الفصل بينهم و بين النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه عن الامور الثلاثة التى قالت اليهود ان أخبركم بها فهو نبى والا فهو متقول فقال لهم سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فأبطأ عنه الوحى فى قول ابن اسحق خمسة عشر يوما وفى سير التيمى وموسى بن عقبة ان الوحى انما أبطأ عنه ثلاثة أيام ثم جاء جبريل بسورة الكهف * وذكر افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه وذكر نبوة نبيه وحمده لنفسه تعالى خبر باطنه الأمر والتعليم لعبده كيف يحمده اذ لولا ذلك لاقتضت الحال الوقوف عن تسميته والعبارات عن جلاله لقصور كل عبارة عما هنالك من الجلال وأوصاف الكمال ولما كان الحمد واجبا على العبد قدم فى هذه الآية ليقترن فى اللفظ بالحمد الذى هو واجب عليه وليستشعر العبد وجوب الحمد عليه وفى سورة الفرقان قال «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده» وبدأ بذكر الفرقان الذى هو الكتاب المبارك قال الله سبحانه «وهذا كتاب أنزلناه مبارك» فلما افتتح السورة بتبارك الذى بدأ بذكر الفرقان وهو الكتاب المبارك ثم قال على عبده فانظر الى تقديم ذكر عبده على الكتاب وتقديم ذكر الكتاب عليه فى سورة الفرقان وما فى ذلك من تشاكل اللفظ والتئام الكلام ترى الاعجاز ظاهرا والحكمة باهرة والبرهان واضحا وأنشد لذى الرمة

كانه

قال بن اسحق أى أيهم أتبع لامرى وأعمل بطاعتى وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا أى الارض وان ماعليها لفان و زائل وان المرجع الى فأجزى كلا بعمله فلا تاس ولا يحزنك ماتسمع وترى فيها (قال ابن هشام) الصعيد الارض وجمعه صعد قال ذو الرمة يصف ظبيا صغيرا

كانه بالضحى ترمى الصعيد به * ذبابة فى عظام الرأس خرطوم

وهذا البيت فى قصيدة له والصعيد أيضا الطريق وقد جاء فى الحديث اياكم والقعود على الصعدات يريد الطريق والجرز التى لاتنبت شيا وجمعها أجراز و يقال سنة جرز وسنون أجراز وهى التى لا يكون فيها مطر وتكون فيها جدوبة و يبس وشدة قال ذو الرمة يصف ابلا

طوى النحز والاجراز مافى بطونها * فما بقيت الا الضلوع الجراشع

وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق ثم استقبل قصة الخبر فيما سالوه عنه من شان الفتية فقال أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أى قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حججى ماهو أعجب من ذلك (قال ابن هشام) والرقيم الكتاب الذى رقم فيه بخبرهم وجمعه رقم قال العجاج * ومستقر المصحف المرقم * وهذا البيت فى ارجوزة له * قال ابن اسحق ثم قال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ثم قال تعالى نحن نقص عليك نبأهم بالحق أى بصدق الخبر انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ماليس لكم به علم (قال ابن هشام) والشطط الغلو ومجاوزة الحق قال أعشى بن قيس بن ثعلبة

لا ينتهون ولا ينهى ذوى شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وهذا البيت فى قصيدة له هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين * قال ابن اسحق أى بحجة بالغة فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه (قال ابن هشام) تزاور تميل وهو من الزور وقال امرؤ القيس

كانه بالضحى ترمى الصعيد به * ذبابة فى عظام الرأس خرطوم

يصف ولد الظبية والخرطوم من أسماء الخمر أى كانه من نشاطه دبت الخمر فى رأسه وأنشد له ايضا

* طوى النحز والاحراز * البيت والنحز النخس والنحاز داء يأخذ الابل والنحيزة الغريرة والنحيزة نسيجة كالحزام والضلوع الجراشع هو جمع جرشع قال صاحب العين الجرشع العظيم الصدر فمعناه اذا فى البيت على هذا الضلوع من الهزال قد نتأت وبرزت كالصدر البارز

﴿ فصل ﴾ وذكر الرقيم وفيه سوى ماقاله أقوال روى عن أنس انه قال الرقيم الكلب وعن كعب انه قال هو اسم القرية التى خرجوا منها وقيل هو اسم الوادى وقيل هو صخرة و يقال لوح كتب فيه أسماؤهم ودينهم وقصتهم وقال ابن عباس كل القرآن أعلم الا الرقيم والغسلين وحنانا والاواه وقد ذكرت أسماؤهم على الاختلاف فى بعض ألفاظها وهى مليخا كسلمينا مرطوش بن أنس اريطانس ايونس شاطيطوش وقيل فى اسم مدينتهم افوس واختلف فى بقائهم الى الآن فروى عن ابن عباس انه أنكر ان يكون بقى شئ منهم بل صاروا ترابا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعض أصحاب الاخبار غير هذا وان الارض لم تأكلهم ولم تغيرهم وانهم على مقربة من القسطنطينية فالله اعلم وروى انهم سيحجون البيت اذا نزل عيسى ابن مريم ألفيت هذا الخبر فى كتاب البدء لابن أبى خيثمة وذكر قول الله تعالى «لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً» قد أملينا فى اعراب هذه الآية نحوا من كراسة وذكرنا ماوهم فيه الزجاج من اعرابها حيث جعل أحصى اسما فى موضع رفع على خبر المبتدا وأمدا تمييز وهذا لا يصح لان التمييز هو الفاعل فى المعنى فاذا قلت أيهم أعلم أبا فالاب هو العالم وكذلك اذا قلت أيهم افره عبدا فالعبد هو الفاره فيلزم على قوله اذا ان يكون الامد فاعلا بالاحصاء وهذا محال بل هو مفعول وأحصى فعل ماض وهو الناصب له وذكرنا فى ذلك الاملاء أن أيهم قد يجوز فيه النصب بما قبله اذا جعلته خبرا وذلك على شروط بيناها هنالك لمن أراد الوقوف على حقيقتها اى ومواضعها وكشفنا أسرارها وقوله سبحانه «فضربنا على آذانهم» أى أنمناهم وانما قيل فى النائم ضرب على اذنه لان النائم تنتبه من جهة السمع والضرب هنا مستعار من ضربت القفل على الباب وذكر قوله تعالى «تزاور عن كهفهم ذات اليمين» الآية وقيل فى تقرضهم تحاذيهم وقيل تتجاوزهم شيئا شيئاً من القرض وهو القطع اى تقطع ماهنالك من الارض وهذا كله شرح اللفظ. وأما فائدة المعنى فانه بين انهم فى مقنوة من الارض لاتدخل عليهم الشمس فتحرقهم وتبلى ثيابهم و يقلبون ذات اليمين وذات الشمال

وانى زعيم ان رجعت مملكا * بسير ترى منه الغرانق ازورا وهذا البيت فى قصيدة له وقال أبو الزحف الكلبى يصف بلدا

جاب المندى عن هوانا أزور * ينضى المطايا خمسة العشنزر وهـذان البيتان فى أرجوزة له وتقرضهم ذات الشمال تجاوزهم وتتركهم عن شمالها قال ذا الرمة

الى ظعن يقرضن أفواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس وهذا البيت فى قصيدة له والفجوة السعة وجمعها الفجاء قال الشاعر

ألبست قومك مخزاة ومنقصة
حتى أبيحوا وخلوا فجوة الدار

ذلك من آيات الله أى فى الحجة على من عرف ذلك من أمور هم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسئلتك فى صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد «قال ابن هشام» الوصيد الباب قال العبسى واسمه عبيد ابن وهب

بارض فلاة لا يسد وصيدها
على ومعروفى بها غير منكر

وهذا البيت فى أبيات له والوصيد أيضاً الفناء وجمعه وصائد ووصد ووصدان لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا الى قوله قال الذين غلبوا على أمرهم أهل السلطان والملك منهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون يعنى أحبار يهود الذين أمروهم بالمسئلة عنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب أى لا علم لهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا أى لا تكابرهم

لئلا تأكلهم الارض والفائدة العظمى فى هذه الصفة بيان كيفية حالهم فى الكهف وحال كلبهم وأين هو من الكهف وانه بالوصيد منه وان باب الكهف الى جهة الشمال للحكمة التى تقدمت وان هذا البيان لا يكاد يعرفه من رآهم فان المطلع عليهم يملأ منهم رعبا فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق من أحوالهم والنبى عليه السلام لم يرهم قط ولا سمع بهم ولا قرأ كتابا فيه صفتهم لانه أمى فى أمة أمية وقد جاءكم ببيان لا يأتى به من وصل اليهم حتى ان كلبهم قد ذكر وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوصيد وهم فى الفجوة وفى هذا كله برهان عظيم على نبوته ودليل واضح على صدقه وانه غير متقول كما زعموا فقف بقلبك على مضمون هذه الاوصاف والمراد بها تعصم ان شاء الله مما وقعت فيه الملحدة من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله وقولهم أى فائدة فى ان تكون الشمس تزاور عن كهفهم وهكذا هو كل بيت يكون فى مقنوة أى بابه لجهة الشمال فنبه أهل المعانى على الفائدة الاولى المنبئة عن لطف الله بهم حيث جعلهم فى مقنوة تزاور عنهم الشمس فلا تؤذيهم فيقال لمن اقتصر من أهل التاويل على هذا فما فى ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة وما فيه من معنى اللطف بهم فالجواب ما قدمناه من ان الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئا حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب فكيف من لم يرهم ولا سمع بهم لولا الوحى الذى جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافى والبرهان الكافى والرعب الذى كان يلحق المطلع عليهم قيل كان مما طالت شعورهم وأظفارهم ومن الآيات فى هذه القصة قوله سبحانه «فى فجوة منه» أى فى فضاء ومع انهم فى فضاء منه فلا تصيبهم الشمس قال ابن سلام فهذه آية قال وكانوا يقلبون فى السنة مرتين ومن فوائد الآية انه أخرج الكلب عن التقليب فقال باسط ذراعيه ومع انه كان لا يقلب لم تأكله الارض لان التقليب كان من فعل الملائكة بهم والملائكة أولياء المؤمنين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة والكلب خارج من هذه الآية ألا تراه كيف قال بالوصيد أى بفناء الغار لا داخلا معهم لان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليها هذا الكلام قال ابن سلام وانما كانوا يقلبون فى الرقدة الاولى قبل أن يبعثوا

﴿ فصل ﴾ وذكر قول الله سبحانه «قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا» وقال يعنى أصحاب السلطان فاستدل بعض أهل العلم على انهم كانوا مسلمين بقوله لنتخذن عليهم مسجدا وذكر الطبرى ان أهل تلك المدينة تنازعوا قبل مبعثهم فى الاجساد والارواح كيف تكون اعادتها يوم القيامة فقال قوم تعاد الاجساد كما كانت بارواحها كما يقوله أهل الاسلام وخالفهم آخرون وقالوا تبعث الارواح دون الاجساد كما يقوله النصارى وشرى بينهم الشر واشتد الخلاف واشتد على ملكهم ما نزل بقومه من ذلك فلبس المسوح وافترش الرماد وأقبل على البكاء والتضرع الى الله ان يريه الفصل فيما اختلفوا فيه فاحيا الله أصحاب الكهف عند ذلك فكان من حديثهم ما عرف وشهر فقال الملك لقومه هذه آية أظهرها الله لكم لتتفقوا وتعلموا ان الله عز وجل كما أحيا هؤلاء وأعاد أرواحهم الى أجسادهم فكذلك يعيد الخلق يوم القيامة كما بدأهم فرجع الكل الى ما قاله الملك وعلموا انه الحق

﴿ فصل ﴾ وذكر قول الله سبحانه «ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم» قد أفردنا الكلام على هذه الواو التى

يسميها

يسميها بعض الناس واو الثمانية بابا طويلا والذى يليق بهذا الموضع أن تعلم أن هذا الواو تدل على تصديق القائلين لانها عاطفة على كلام مضمر تقديره نعم وثامنهم كلبهم وذلك ان قائلا لو قال ان زيدا شاعر فقلت له وفقيه كنت قد صدقته كانك قلت نعم هو كذلك وفقيه أيضا وفى الحديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيتوضأ بما أفضلت الحمر فقال وبما أفضلت السباع يريد نعم وبما أفضلت السباع خرجه الدارقطنى وفى التنزيل «وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر» هو من هذا الباب فكذلك ما أخبر به عنهم من قولهم ويقولون سبعة فقال سبحانه وثامنهم كلبهم وليس كذلك سادسهم كلبهم ورابعهم كلبهم لانه فى موضع النعت لما قبله فهو داخل تحت قولهم مع قوله سبحانه «رجما بالغيب» ولم يقل ذلك فى آخر القصة

﴿ فصل ﴾ وذكر قول الله تعالى «ولا تقولن لشئ» وفسره فقال أى استثن شيئة الله الشيئة مصدر شاء يشاء كما أن الخيفة مصدر خاف يخاف ولكن هذا التفسير وان كان صحيح المعنى فلفظ الآية مشكل جدا لان قوله «لا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا» نهى عن أن يقول هذا الكلام ولم ينهه عن أن يصله بالا أن يشاء الله فيكون العبد المنهى عن هذا القول منهيا أيضا عن أن يصله بقوله الا أن يشاء الله هذا محال فقوله اذاً الا أن يشاء الله استثناء من الله راجع الى أول الكلام وهذا أيضا اذا تأملته نقض لعزمة النهى وابطال لحكمه فان السيد اذا قال لعبده لا تقم الا ان يشاء الله ان تقوم فقد حل عقدة النهى لان مشيئة الله للفعل لا تعلم الا بالفعل فللعبد اذا أن يقوم ويقول قد شاء الله أن نقوم فلا يكون للنهى معنى على هذا فاذا لم يكن رد حرف الاستثناء الى النهى ولا هو من الكلام الذى نهى العبد عنه فقد تبين اشكاله ﴿ والجواب ﴾ ان فى الكلام حذفا واضمارا تقديره ولا تقولن انى فاعل ذلك غدا الا ذاكرا الا أن يشاء الله أو ناطقا بان يشاء الله ومعناه الا ذاكرا شيئة الله كما قال ابن اسحق لان الشيئة مصدر وان مع الفعل فى تأويل المصدر واعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر والعرب تحذف القول وتكتفى بالمقول ففى التنزيل «فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم» أى يقال لهم أكفرتم فحذف القول وبقى الكلام المقول وكذلك قوله تعالى «يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم» أى يقولون سلام عليكم وهو كثير وكذلك اذاً قوله «الا أن يشاء الله» هى من كلام الناهى له سبحانه ثم أضمر القول وهو الذكر الذى قدمناه وبقى المقول وهو أن يشاء الله وهذا القدر يكفى فى هذا المقام وان كان فى الآية من البسط والتفتيش ما هو أكثر من هذا

﴿ فصل ﴾ وقد فسر قوله تعالى «ولبثوا فى كهفهم» فقال معناه أى سيقولون ذلك وهو أحد التأويلات فيها وعلى هذا القول قرأه ابن مسعود وقالوا لبثوا بزيادة قالوا ثم قال ابن اسحق قل ربى أعلم بما لبثوا وهو وهم من المؤلف أو غيره وانما التلاوة «قل الله أعلم بما لبثوا» وقد قيل انه اخبار من الله تعالى عن مقدار لبثهم ولكن لما علم استبعاد قريش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار وعلم أن فيه تنازعا بين الناس فمن ثم قال «قل الله أعلم بما لبثوا» وقوله «ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا» أى انها ثلاثمائة بحساب العجم وان حسبت الاهلة فقد زاد العدد تسعا لان ثلاثمائة سنة بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر (فان قيل) فكيف قال ثلاثمائة سنين ولم يقل سنة وهو قياس العدد فى العربية لان المائة تضاف الى لفظ الواحد ﴿ فالجواب ﴾ أن سنين فى الآية بدل مما قبله ليس على حد الاضافة ولا التمييز ولحكمة عظيمة عدل باللفظ عن الاضافة الى البدل وذلك انه لو قال ثلاثمائة سنة لكان الكلام كانه جواب لطائفة واحدة من الناس والناس فيهم طائفتان طائفة عرفوا طول لبثهم ولم يعلموا كمية السنين فعرفهم انها ثلاثمائة وطائفة لم يعرفوا طول لبثهم ولا

ولا تستفت فيهم منهم أحدا فانهم لا علم لهم بهم ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لاقرب من هذا رشدا أى ولا تقولن لشىء سألوك عنه كما قلت فى هذا انى مخبركم غدا واستثن مشيئة الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدينى ربى لخير مما سألتمونى عنه رشدا فانك لا تدرى ما أنا صانع فى ذلك ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا أى سيقولون ذلك قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا أى لم يخف عليه شىء مما سألوك عنه

شيئا من خبرهم فلما قال ثلاثمائة عرف الأولين بالكمية التى شكوا فيها مبينا للآخرين ان هذه الثلاثمائة سنون وليست أياما ولا شهورا فانتظم البيان للطائفتين من ذكر العدد وجمع المعدود وتبين انه بدل اذ البدل يراد به تبيين ماقبله ألا ترى ان اليهود قد كانوا عرفوا ان لأصحاب الكهف نبأ عجيبا ولم يكن العجب الا من طول لبثهم غير انهم لم يكونوا على يقين من انها ثلاثمائة أو أقل فاخبر ان تلك السنين ثلاثمائة ثم لو وقف الكلام ههنا لقالت العرب ومن لم يسمع بخبرهم ماهذه الثلاثمائة فقال كالمبين لهم سنين وقد روى معنى هذا التفسير عن الضحاك ذكره النحاس

﴿ فصل ﴾ وقال سنين ولم يقل أعواما والسنة والعام وان اتسعت العرب فيهما واستعملت كل واحد منهما مكان الآخر اتساعا ولكن بينهما فى حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فرقا فخذه أولا من الاشتقاق فان السنة من سنا يسنو اذا دار حول البئر والدابة هى السانية فكذلك السنة دورة من دورات الشمس وقد تسمى السنة دارا ففى الخبر ان بين آدم ونوح الف دار أى الف سنة هذا أصل هذا الاسم ومن ثم قالوا أكلتهم السنة فسموا شدة القحط سنة قال الله سبحانه « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين » ومن ثم قيل أسنت القوم اذا أقحطوا وكأن وزنه افعتوا لا افعلوا كذلك قال بعضهم وجعل سيبويه التاء بدلا من الواو فهى عنده افعلوا لان الجدوبة والخصب معتبر بالشتاء والصيف وحساب العجم انما هو بالسنين الشمسية بها يؤرخون وأصحاب الكهف من أمة عجمية والنصارى يعرفون حديثهم ويؤرخون به فجاء اللفظ فى القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم وتمموا الفائدة بقوله وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب فان حسابهم بالشهور القمرية كالمحرم وصفر ونحوهما وانظر بعد هذا الى قوله « تزرعون سبع سنين دأبا » الآية ولم يقل أعواما ففيه شاهد لما تقدم غير انه قال ثم ياتى من بعد ذلك عام ولم يقل سنة عدولا عن اللفظ المشترك فان السنة قد يعبر بها عن الشدة والأزمة كما تقدم فلو قال سنة لذهب الوهم اليها لان العام أقل أياما من السنة وانما دلت الرؤيا على سبع سنين شداد واذا انقضى العدد فليس بعد الشدة الا رخاء وليس فى الرؤيا مايدل على مدة ذلك الرخاء ولا يمكن ان يكون أقل من عام والزيادة على العام مشكوك فيها لا تقتضيه الرؤيا فحكم بالاقل وترك مايقع فيه الشك من الزيادة على العام فهاتان فائدتان فى اللفظ بالعام فى هذا الموطن وأما قوله « وبلغ أربعين سنة » فانما ذكر السنين وهى أطول من الاعوام لانه مخبر عن اكتهال الانسان وتمام قوته واستوائه فلفظ السنين أولى بهذا الموطن لانها أكمل من الاعوام وفائدة أخرى انه خبر عن السن والسن معتبر بالسنين لان أصل السن فى الحيوان لا يعتبر الا بالسنة الشمسية لان النتاج والحمل يكون بالربيع والصيف حتى قيل ربعى للبكير وصيفى للمؤخر قال الراجز

ان بنى صبية صيفيون * أفلح من كان له ربعيون

فاستعمله فى الآدميين فلما قيل فى الفصيل ونحوه ابن سنة وابن سنتين قيل ذلك فى الآدميين وان كان أصله فى الماشية لما قدمنا وأما قوله « وحمله وفصاله فى عامين » فلانه قال سبحانه « يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس » فالرضاع من الاحكام الشرعية وقد قصرنا فيها على الحساب بالأهلة وكذلك قوله « يحلونه عاما ويحرمونه عاما » ولم يقل سنة لانه يعنى شهر المحرم وربيع الى آخر العام ولم يكونوا يحسبون بايلول ولا بتشرين ولا بينير وهى الشهور الشمسية وقوله سبحانه « فاماته الله مائة عام » أخبار منه لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته وحسابهم بالاعوام والأهلة كما وقت لهم سبحانه وقوله سبحانه فى قصة نوح « فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما » قيل انما ذكر أولا السنين لانه كان فى شدائد مدته كلها الا خمسين عاما منذ جاءه الفرج وأتاه

الغوث ويجوز ان يكون الله سبحانه علم ان عمره كان ألفا الا ان الخمسين منها كانت أعواما فيكون عمره ألف سنة تنقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية فى الخمسين خاصة لان خمسين عاماً بحساب الاهلة أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف فان كان الله سبحانه قد علم هذا من عمره فاللفظ موافق لهذا المعنى والا ففى القول الاول مقنع والله أعلم بما أراد فتامل هذا فان العلم بتنزيل الكلام ووضع الالفاظ فى مواضعها اللائقة بها يفتح لك بابا من العلم باعجاز القرآن وابن هذا الاصل تعرف المعنى فى قوله تعالى « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » وقوله تعالى « ألف سنة مما تعدون » وانه كلام ورد فى معرض التكثير والتفخيم لطول ذلك اليوم والسنة أطول من العام كما تقدم فلفظها أليق بهذا المقام

﴿ فصل ﴾ وذكر قصة الرجل الطواف والحديث الذى جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان ملكا مسح الارض بالاسباب ولم يشرح معنى الاسباب ولاهل التفسير فيه أقوال متقاربة قالوا فى قوله تعالى « وآتيناه من كل شىء سبباً » أى علماً يتبعه وفى قوله تعالى « فاتبع سبباً » أى طريقاً موصلة وقال ابن هشام فى غير هذا الكتاب السبب حبل من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه وقد قيل فى اسم ذلك الملك زياقيل وهذا يقرب من قول من قال سبباً أى طريقاً ويقرب أن يكون تفسيراً لقول النبى صلى الله عليه وسلم مسح الارض بالاسباب واختلف فى تسميته بذى القرنين كما اختلف فى اسمه واسم ابيه فاصح ما جاء فى ذلك ما روى عن أبى الطفيل عامر بن واثلة قال سأل ابن الكواء على بن أبى طالب فقال أرأيت ذا القرنين أنبيا كان أم ملكا فقال لا نبيا كان ولا ملكا ولكن كان عبداً صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه ضربتين وفيكم مثله يعنى نفسه وقيل كانت له ضفيرتان من شعر والعرب تسمى الخصلة من الشعر قرنا وقيل انه رأى فى المنام رؤيا طويلة انه أخذ بقرنى الشمس فكان التأويل انه المشرق والمغرب وذكر هذا الخبر على بن أبى طالب القير وانى العابد فى كتاب البستان له قال وبهذا سمى ذا القرنين وأما اسمه فقال ابن هشام فى هذا الكتاب اسمه مرزبى بن مرذبه بذال مفتوحة فى اسم أبيه وزاى فى اسمه وقيل فيه هرمس وقيل هرديس وقال ابن هشام فى غير هذا الكتاب اسمه الصعب بن ذى مراثد وهو أول التبابعة وهو الذى حكم لابراهيم عليه السلام فى بئر السبع حين حاكم اليه فيها وقيل انه افريدون بن اثفيان الذى قتل الضحاك ويروى فى خطبة قيس بن ساعدة التى خطبها بسوق عكاظ انه قال فيها يامعشر إياد أين الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان ذلك كلحظة عين وأنشد ابن هشام للاعشى

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا * بالحنو فى جدث أميم مقيم

وقوله بالحنو يريد حنو قراقر الذى مات فيه ذو القرنين بالعراق وقول ابن هشام فى السيرة انه من أهل مصر وانه الاسكندر الذى بنى الاسكندرية فعرفت به قول بعيد مما تقدم ويحتمل أن يكون الاسكندر سمى ذا القرنين أيضاً تشبيها له بالاول لانه ملك ما بين المشرق والمغرب فيما ذكروا أيضاً وأذل ملوك فارس وقتل دارا بن دارا وأذل ملوك الروم وغيرهم وقال الطبرى فى الاسكندر هو اسكندروس بن فيلقوس ويقال فيه ابن قليس وكانت أمه زنجية وكانت أهديت لدارا الاكبر أوسباها فوجد منها نكهة استثقلها فعولجت ببقلة يقال لها اندروس فحملت منه بدارا الاصغر فلما وضعته ردها فتزوجها والد الاسكندر فحملت منه بالاسكندروس فاسمه عندهم مشتق من تلك البقلة التى طهرت أمه بها فيما ذكروا وذكر عن الزبير انه قال ذو القرنين هو عبد الله بن الضحاك بن معد المحبر فى ذكر ملوك الحيرة قال الصعب بن قرين هو ذو القرنين

* وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شىء سببا فاتبع سبباً حتى انتهى الى آخر قصة خبره * وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى مالم يؤت أحد غيره فمدت له الاسباب حتى انتهى من البلاد الى مشارق الارض ومغاربها لا يطأ أرضاً الا سلط على أهلها حتى انتهى من المشرق والمغرب الى ما ليس وراءه شىء من الخلق * قال ابن اسحق فحدثنى من يسوق الاحاديث عن الاعاجم فيما توارثوا من علمه ان ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرذبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح « قال ابن هشام » واسمه الاسكندر هو الذى بنى الاسكندرية فنسبت اليه * قال ابن اسحق وقد حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى وكان رجلا قد أدرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب

ويحتمل أن يكونوا ملوكا فى أوقات شتى يسمى كل واحد منهم ذا القرنين والله أعلم والاول كان على عهد ابراهيم عليه السلام وهو صاحب الخضر حين طلب عين الحياة فوجدها الخضر ولم يجدها ذو القرنين حالت بينه و بينها الظلمات التى وقع فيها هو وأجناده فى خبر طويل مذكور فى بعض التفاسير مشهور عند الاخباريين وأما قول عمر لرجل سمعه يقول ياذا القرنين لم يكفكم أن تتسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة ان كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام فهو ملك لا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الحق وان كان قاله بتأويل تاوله خالفه على فى الخبر المتقدم والله أعلم أى الخبرين أصح نقلا غير ان الرواية المتقدمة عن على يقويها ما نقله أهل الاخبار عن ذى القرنين والله أعلم وكان من مذهب عمر رحمه الله كراهية التسمى باسماء الانبياء فقد أنكر على المغيرة تكنيته بابى عيسى وأنكر على صهيب تكنيته بابى يحيي فاخبره كل واحد منهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بذلك فسكت وكان عمر انما كره من ذلك الاكثار وأن يظن أن للمسلمين شرفا فى الاسم اذا سمى باسم نبي أوانه ينفعه ذلك فى الآخرة فكانه استشعر من رعيته هذا الغرض أونحوه هو أعلم بما كره من ذلك والا فقد سمى بمحمد طائفة من الصحابة منهم أبو بكر وعلى وطلحة وأبو حذيفة وأبو جهم بن حذيفة وخاطب وخطاب ابنا الحارث كل هؤلاء المحمدين كانوا يكنون بابى القاسم الا محمد بن خطاب وسمى أبو موسى ابناله بموسى فكان يكنى به وأسيد بن حضير سمى ابنه بيحيي وعلم به النبى عليه السلام فلم ينكر عليه وكان لطلحة عشرة من الولد كلهم يسمى باسم نبى منهم موسى بن طلحة وعيسى واسحق ويعقوب وابراهيم ومحمد وكان للزبير عشرة كلهم يسمى باسم شهيد فقال له طلحة أنا أسميهم باسماء الانبياء وأنت تسميهم باسماء الشهداء فقال له الزبير فانى أطمع أن يكون بنى شهداء ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء ذكره ابن أبى خيثمة وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم والآثار فى هذا المعنى كثيرة وفى السنن لابى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سموا باسماء الانبياء وهذا محمول على الاباحة لا على الوجوب وأما التسمى بمحمد ففى مسند الحارث عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم قال من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم أحدهم بمحمد فقد جهل وفى المعيطى عن مالك أنه سئل عمن اسمه محمد و يكنى أبا القاسم فلم ير به باساً فقيل له أكنيت ابنك أبا القاسم واسمه محمد فقال ما كنيته بها ولكن أهله يكنونه بها ولم أسمع فى ذلك نهياً ولا أرى بذلك بأسا وهذا يدل على أن مالكا لم يبلغه أولم يصح عنده حديث النهى عن ذلك وقد رواه أهل الصحيح فالله أعلم ولعله بلغه حديث عائشة أنه عليه السلام قال ما الذى أحل اسمى وحرم كنيتى وهذا هو الناسخ لحديث النهى والله أعلم وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يتكنى بابى القاسم كان اسمه محمداً أولم يكن وطائفة انما يكرهونه لمن اسمه محمد وفى المعيطى أيضاً أنه سئل عن التسمية بمهدى فكرهه وقال وما علمه بانه مهدى وأباح التسمية بالهادى وقال لان الهادى هو الذى يهدى الى الطريق وقد قدمنا كراهية مالك للتسمى بجبريل ❊ وقد ذكر ابن اسحق كراهية عمر للتسمى باسماء الملائكة وكره مالك التسمى بياسين

﴿ فصل ﴾ وذكر سؤالهم عن الروح وما أنزل الله فيه من قوله تعالى « ويسئلونك عن الروح » الآية وروى عن ابن اسحق من غير طريق البكائى انه قال فى هذا الخبر فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو جبريل وهذه الرواية عن ابن اسحق تدل على خلاف ما روى غيره أن يهود قالت لقريش اسئلوه عن الروح فان أخبركم به فليس بنبي وان لم يخبركم فهو نبي وقال ابن اسحق فيما تقدم من الحديث اسئلوه عن الرجل الطواف وعن الفتية وعن الروح فان أخبركم والا فالرجل متقول فسوى فى الخبر بين الروح وغيره

❊ وقال خالد سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال عمر اللهم غفراً ما رضيتم أن تسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة ❊ قال ابن اسحق والله أعلم أى ذلك كان أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا الحق ما قال ❊ وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح ويسألونك عن الروح

واختلف أهل التاويل فى الروح المسؤل عنه فقال بعضهم هو جبريل لانه الروح الامين وروح القدس وعلى هذا رواية ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش حين سألوه هو جبريل وقالت طائفة الروح خلق من الملائكة على صور بنى آدم وقالت طائفة الروح خلق يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالملائكة لبنى آدم وروى عن على أنه قال الروح ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه فى كل وجه مائة ألف فم فى كل فم مائة ألف لسان يسبح الله بلغات مختلفة وقالت طائفة الروح الذى سالت عنه يهود هو روح الانسان ثم اختلف أصحاب هذا القول فمنهم من قال لم يجبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سؤالهم لانهم سالوه تعنتاً واستهزاء فقال الله له قل الروح من أمر ربى ولم يأمره أن يبينه لهم وقالت طائفة بل قد أخبرهم الله به وأجابهم عما سالوا لانه قال لنبيه قل الروح من أمر ربى وأمر الرب هو الشرع والكتاب الذى جاء به فمن دخل فى الشرع وتفقه فى الكتاب والسنة عرف الروح فكان معنى الكلام ادخلوا فى الدين تعرفوا ما سالتم عنه فانه من أمر ربى اى من الامر الذى جئت به مبلغا عن ربى وذلك ان الروح لا سبيل الى معرفته من جهة الطبيعة ولا من جهة الفلسفة ولا من جهة الرأى والقياس وانما يعرف من جهة الشرع فاذا نظرت الى ما فى الكتاب والسنة من ذكره نحو قوله سبحانه «ثم سواه ونفخ فيه من روحه» أى من روح الحياة والحياة من صفات الله سبحانه والنفخ فى الحقيقة مضاف الى ملك ينفخ فيه بامر ربه وتنظر الى ما أخبر به الرسول عليه السلام ان الارواح جنود مجندة وانها تتعارف وتتشامّ فى الهواء وانها تقبض من الاجساد بعد الموت وانها تسئل فى القبر فتفهم السؤال وتسمع وترى وتنعم وتعذب وتلتذ وتألم وهذه كلها من صفات الاجسام فتعرف انها أجسام بهذه الدلائل لكنها ليست كالاجساد فى كثافتها وثقلها واظلامها اذ الاجساد خلقت من ماء وطين وحمإٍ مسنون فهو أصلها والارواح خلقت مما قال الله تعالى وهو النفخ المتقدم المضاف الى الملك والملائكة خلقت من نور كما جاء فى الصحيح وان كان قد أضاف النفخ الى نفسه فكذلك أضاف قبض الارواح الى نفسه فقال «الله يتوفى الانفس حين موتها» وأضاف ذلك الى الملك أيضا فقال «قل يتوفاكم ملك الموت» والفعل مضاف الى الملك مجازاً والى الرب حقيقة فهو أيضاً جسم ولكنه من جنس الريح ولذلك سمى روحا من لفظ الريح ونفخ الملك فى معنى الريح غير انه ضم أوله لانه نورانى والريح هواء متحرك واذا كان الشرع قد عرفنا من معانى الروح وصفاته بهذا القدر فقد عرف من جهة أمره كما قال سبحانه «قل الروح من أمر ربى» وقوله من أمر ربى أيضاً ولم يقل من أمر الله ولا من أمر ربكم يدل على خصوص وعلى ما قدمناه من أنه لا يعلمه الا من أخذ معناه من قول الله سبحانه وقول رسوله بعد الايمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقه فى الدين فان كان لم يخبر اليهود حين سالوه عنه فقد أحالهم على موضع العلم به

﴿ فصل ﴾ ومما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف هل هى النفس أو غيرها وقد كثرت فى ذلك الاقوال واضطربت المذاهب فتعلق قوم بظواهر من الاحاديث لا توجب القطع لانها نقل آحاد وأيضا فان ألفاظها محتملة للتاويل ومجازات العرف واتساعاتها فى الكلام كثيرة فمما تعلقوا به فى أن الروح هى النفس قول بلال أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك مع قول النبى عليه السلام ان الله قبض أرواحنا وقوله عز وجل «الله يتوفى الانفس» والمقبوضة هى الارواح ولم يفرقوا بين القبض والتوفى ولا بين الاخذ فى قول بلال أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك وبين قول النبى عليه السلام قبض أرواحنا وتنقيح الاقوال وترجيحها يطول وقد روى أبو عمر فى التمهيد حديثا يدل على خلاف مذهبه فى أن النفس هى الروح لكن علله فيه

ان الله خلق آدم وجعل فيه نفسا و روحا فمن الروح عفافه وفهمه وحلمه وسخاؤه و وفاؤه ومن النفس شهوته وطيشه وسفهه وغضبه ونحو هذا وهذا الحديث معناه صحيح اذا تؤمل صح نقله أو لم يصح وسبيلك أن تنظر فى كتاب الله أولى لا الى الاحاديث التى تنقل مرة على اللفظ ومرة على المعنى وتختلف فيها ألفاظ المحدثين فنقول قال الله تعالى « فاذا سويته و نفخت فيه من روحى » ولم يقل من نفسى وكذلك قال « ثم سواه و نفخ فيه من روحه » ولم يقل من نفسه ولا يجوز أيضاً أن يقال هذا ولا خفاء فيما بينهما من الفرق فى الكلام وذلك يدل على أن بينهما فرقا فى المعنى و بعكس هذا قوله سبحانه « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك » ولم يقل تعلم ما فى روحى ولا أعلم ما فى روحك ولا يحسن هذا القول أيضا أن يقوله غير عيسى ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد كالليث والاسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه وكذلك قوله تعالى « يقولون فى أنفسهم » ولا يحسن فى الكلام يقولون فى أرواحهم وقال تعالى « أن تقول نفس » ولم يقل أن تقول روح ولا يقوله أعرابى فاين اذاً كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى ولكن بقيت دقيقة يعرف منها السر والحقيقة ولا يكون بين القولين اختلاف متباين ان شاء الله فنقول و بالله التوفيق الروح مشتق من الريح وهو جسم هوائى لطيف به تكون حياة الجسد عادة أجراها الله تعالى لان العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذى هو فى تجاويف الجسد كما قال ابن فورك وأبو المعالى وأبو بكر المرادى وسبقهم الى نحو منه أبو الحسن الاشعرى ومعنى كلامهم واحد أو متقارب

﴿ فصل ﴾ فاذا ثبت ان الروح سبب الحياة عادة أجراها الله تعالى فهو كالماء الجارى فى عروق الشجرة صعدا حتى تحيا به عادة فنسميه ماء باعتبار أوليته ونسمى أيضا هذا روحا باعتبار أوليته واعتبار النفخة التى هى ريح فما دام الجنين فى بطن أمه حيا فهو ذو روح فاذا نشأ واكتسب ذلك الروح أخلاقا وأوصافا فالم تكن فيه وأقبل على مصالح الجسم كلفا به وعشق مصالح الجسد ولذاته ودفع المضار عنه سمى نفسا كما يكتسب الماء الصاعد فى الشجرة من الشجرة أوصافا فالم تكن فيه فالماء فى العنبة مثلا هو ماء باعتبار الاصل والبدأة ففيه من الماء الميوعة والرطوبة وفيه من العنبة الحلاوة وأوصاف أخر فتسميه مصطارا ان شئت أو خمرا ان شئت أو غير ذلك مما أوجبه الاكتساب لهذه الاوصاف فمن قال ان النفس هى الروح على الاطلاق من غير تقييد فلم يحسن العبارة وانما فيها من الروح الاوصاف التى تقتضيها نفخة الملك والملك موصوف بكل خلق كريم ولذلك قال فى الحديث فمن الروح عفافه وحلمه و باؤه وفهمه ومن النفس شهوته وغضبه وطيشه وذلك ان الروح كما قدمنا مازج الجسد الذى فيه الدم و يسمى الدم نفسا وهو مجرى الشيطان وقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسر لعله ان يفهم مما نحن بسبيله فمن يعرف جوهر الكلام و ينزل الالفاظ منازلها لا يسمى روحا الا ما وقع به الفرق بين الجماد والحى والذى كان سببا للحياة كما فى الكتاب العزيز عند ذكر احياء النطفة ونفخ الروح فيها ولا يقال نفخ النفس فيها الا عند الاتساع فى الكلام وتسمية الشىء بما يؤول اليه ومن ههنا سمى جبريل عليه السلام روحا والوحى روحا لان به تكون حياة القلوب قال الله سبحانه « أو من كان ميتا فأحييناه » وقال فى الكفار « أموات غير أحياء » وقال فى النفس ما تقدم وقال « ان النفس لامارة بالسوء » ولم يقل ان الروح لامارة لان الروح الذى هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ولا يسمى أيضا نفسا كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الاوصاف المذكورة وما كان نحوها والماء النازل من السماء جنس واحد فاذا مازج أجساد الشجر كالتفاح والفرسك والحنظل والعشر وغير ذلك اختلفت أنواعه كذلك الروح الباطنة التى هى من عند الله هى جنس واحد وقد أضافها الى نفسه تشريفا لها حين قال و نفخ فيه من روحه ثم يخالط

قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا * قال ابن اسحق وحدثت عن ابن عباس انه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قالت أحبار يهود يا محمد أرأيت قولك وما أوتيتم من العلم الا قليلا ايانا تريد أم قومك قال كلا قالوا فانك تتلو فيما جاءك انا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شىء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها فى علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه قال فانزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك ولو ان ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم أى ان التوراة فى هذا من علم الله قليل * قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لانفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الارض و بعث من مضى من آبائهم من الموتى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا أى لا أصنع من ذلك الا ما شئت

وأنزل عليه فى قولهم * خذ لنفسك ماسألوه أن يأخذ لنفسه أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا و يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول و يردعنه وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك أى من أن تمشى فى الاسواق وتلتمس المعاش جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصوراً وأنزل عليه فى ذلك من قولهم وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام و يمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ولو شئت ان أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفوا لفعلت * وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبى أمية وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا «قال ابن هشام» والينبوع ما نبع من الماء من الارض وغيرها وجمعه ينابيع قال ابن هرمة واسمه ابراهيم بن عبد الله الفهرى

الاجساد التى خلقت من طين وقد كان فى ذلك الطين طيب وخبيث فينزع كل فرع الى أصله و ينزع ذلك الاصل الى ماسبق فى أم الكتاب والى مادبره وأحكمه الحكيم الخبير فعند ذلك تتنافر النفوس او تتقارب وتتحاب أو تتباغض على حسب التشاكل فى أصل الخلقة وهى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقد كتب بعض الحكماء الى صديق له ان نفسى غير مشكورة على الانقياد اليك بغير زمام فانها صادفت عندك بعض جواهرها والشئ يتبع بعضه بعضا

﴿ فصل ﴾ وقد يعبر بالنفس عن جملة الانسان روحه وجسده فتقول عندى ثلاثة انفس ولا تقول عندى ثلاثة أرواح لا يعبر بالروح الا عن المعنى المتقدم ذكره وانما اتسع فى النفس وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح حتى صار يسمى نفسا وطرأ هذا الاسم بسبب الجسد كما يطرأ على الماء فى الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومر وحريف وغير ذلك فتحصل من مضمون ماذكرنا الا يقال فى النفس هى الروح على الاطلاق حتى تقيد بما تقدم ولا يقال فى الروح هو النفس الا كما يقال فى المنى هو الانسان أو كما يقال للماء المغذى للكرمة هو الخمر او الخل على معنى انه ستنضاف اليه أوصاف يسمى بها خمرا أو خلا فتقييد الالفاظ هو معنى الكلام وتنزيل كل لفظ فى موضعه هو معنى البلاغة فافهمه

﴿ فصل ﴾ واذا ثبت هذا فلم يبق الا قول بلال أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك فذكر النفس لانه معتذر من ترك عمل أمر به والاعمال مضافة الى النفس لان الاعمال جسدانية وقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قبض أرواحنا فذكر الروح الذى هو الاصل لانه انسهم من فزعهم فاعلمهم ان خالق الارواح يقبضها اذا شاء فلا تنبسط انبساطها فى اليقظة وروح النائم وان وصف بالقبض فلا يدل لفظ القبض على انتزاعه بالكلية كما لا يدل قوله سبحانه فى الظل «ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا» على اعدام الظل بالكلية وقوله تعالى «الله يتوفى الانفس» فلم يقل الارواح لانه وعظ العباد الغافلين عنه فاخبر أنه يتوفى أنفسهم ثم يعيدها حتى يتوفاها فلا يعيدها الى الحشر لتزدجر النفوس بهذه العظة عن سوء أعمالها اذ الآية مكية والخطاب للكفار وقد تنزلت الالفاظ منازلها فى الحديث والقرآن وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة

﴿ فصل ﴾ واستشهد ابن هشام بقول ابن هرمة ونسبه فقال فهرى وانما هو خلجى والخلج اسمه قيس ابن الحارث بن فهر واختلف فى تسمية بنى قيس بن الحارث الخلج فقيل لانهم اختلجوا من قريش وسكان مكة وقيل لانهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء ونسبوا اليه وابن هرمة واسمه ابراهيم بن على بن هرمة وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية وبيته

واذاهرقت بكل دار عبرة * نزف الشؤون ودمعك الينبوع

والشؤون مجارى الدمع وهى اطباق الرأس وهى أربعة للرجل وثلاثة للمرأة كذلك ذكروا عن أهل التشريح وكذلك ذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل فالله أعلم وكل ماشرح ابن هشام من الآيات التى تلاها ابن اسحق فقد

واذهرقت بكل وادعبرة * نزف الشؤن ودمعك الينبوع وهذا البيت فى قصيدة له والكسف القطع من العذاب و واحدته كسفة مثل سدرة وسدر وهى أيضاً واحدة الكسف والقبيل يكون مقابلة ومعاينة وهو كقوله تعالى أو يأتيهم العذاب قبلا أى عيانا وأنشدنى أبو عبيدة لاعشى بن قيس بن ثعلبة

أصالحكم حتى تبوؤا بمثلها * كصرخة حبلى يسرتها قبيلها

يعنى القابلة لانها تقابلها وتقبل ولدها وهذا البيت فى قصيدة له ويقال القبيل وجمعه قبل وهى الجماعات وفى كتاب الله تعالى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا فقبل جمع قبيل مثل سبل

جمع سبيل وسرر جمع سرير وقمص جمع قميص والقبيل أيضاً فى مثل من الامثال وهو قولهم ما نعرف قبيلا من دبير أى لا نعرف ما أقبل مما أدبر قال الكميت بن زيد

تفرقت الامور بوجهتيهم * فما عرفوا الدبير من القبيل

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال انما أريد بهذا الفتل فما فتل الى الزراع فهو القبيل وما فتل الى أطراف الاصابع فهو الدبير وهو من الاقبال والادبار الذى ذكرت ويقال فتل المغزل فاذا فتل الى الركبة فهو القبيل واذا فتل الى الورك فهو الدبير والقبيل أيضاً قوم الرجل والزخرف الذهب والمزخرف المزين بالذهب قال العجاج

من طلل أمسى يخال المصحفا * رسومه والمذهب المزخرفا

وهذان البيتان فى أرجوزة له ويقال أيضا لكل مزين مزخرف * قال ابن اسحق وأنزل عليه فى قولهم انا قد بلغنا أنك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن ولن نؤمن به أبدا كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب * وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام لعنه الله وما هم به أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة « قال ابن هشام » لنسفعا لنجذبن ولنأخذن قال الشاعر

قوم اذا سمعوا الصراخ رأيتهم * من بين ملجم مهره أو سافع

والنادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم ويقصون فيه أمورهم وفى كتاب الله تعالى وتأتون فى ناديكم المنكر وهو الندى وفى كتاب الله تعالى وأحسن نديا وجمعه أندية يقول فليدع أهل ناديه كما قال تعالى واسئل القرية يريد أهل القرية * قال سلامة بن جندل أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم الشاعر

يومان يوم مقامات وانديه * ويوم سير الى الاعداء تأويب

وهذا البيت فى قصيدة له وقال الكميت بن زيد

لامهاذير فى الندى مكاثير ولا مصمتين بالافحام

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال النادى الجلساء والزبانية الغلاظ الشداد وهم فى هذا الموضع خزنة النار والزبانية أيضا فى الدنيا أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه والواحد زبنية قال ابن الزبعرى فى ذلك

مطاعيم فى المقرى مطاعين فى الوغى * زبانية غلب عظام حلومها

يقول شداد وهذا البيت فى أبيات له * وقال صخر بن عبد الله الهذلى وهو صخر الغى

* ومن كبير نفر زبانيه *

وهذا البيت فى أبيات له * قال ابن اسحق وانزل الله تعالى عليه فيما عرضوا من أموالهم قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شىء شهيد * فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوا عنه حال الحسد منهم له بينهم و بين اتباعه وتصديقه فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ولجوا فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون أى اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزؤا لعلكم تغلبونه بذلك فانكم ان ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم فقال أبو جهل يوما وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاءبه من الحق يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا وكثرة فيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم فانزل الله تعالى عليه فى ذلك من قوله وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما

تقدم ما يحتاج بيانه منه وفى قوله سبحانه « بيت من زخرف » دليل على ان البيت يراد به القصر والمنزل وان كان عظيما فانه يسمى بيتا كما قدمنا فى شرح بيت القصب فى حديث خديجة

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق قول أبى جهل مستهزئا يزعم محمد ان جنود ربه التى يخوفكم بها تسعة عشر وأنتم الناس الى آخر القصة واهل التفسير يعزون هذه المقالة الى أبى الاشدين الجمحى واسمه كلدة بن أسيد بن خلف وأبو دهبل الشاعر هو ابن اخيه واسمه وهب بن زمعة بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكانت عند أبى دهبل التوأمة التى يعرف بها صالح مولى التوأمة وهى اخت عبد الله بن صفوان بن أمية ولدت له عبد الرحمن قتل يوم الجمل وانه قال اكفونى منهم اثنين وأنا أكفيكم سبعة عشر اعجابا منه بنفسه وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وقد نسب ابن اسحق خبر المصارعة الى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب وسيأتى فى الكتاب والله أعلم وأما ما قال اهل التأويل فى خزنة جهنم التسعة عشر فروى عن كعب انه قال بيد كل واحد منهم عمود له شعبتان وانه ليدفع بالشعبة تسعين ألفا الى النار وقد أملينا فى معنى أبواب الجنة وأبواب النار فائدة عددها وتسميتها وذكر الزبانية والحكمة فى كونهم عددا قليلا مسئلة فى قريب من جزء فلتنظر هناك

﴿ فصل ﴾ وذكر قول قريش انما يعلمه رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا لا نؤمن بالرحمن فانزل الله سبحانه « وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى » كان مسيلمة بن حبيب الحنفى ثم أحد بنى الدول قد تسمى بالرحمن فى الجاهلية وكان من المعمرين ذكر وثيمة بن موسى ان مسيلمة تسمى بالرحمن قبل ان يولد عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد فى تفسير الزبانية * ومن كبير نفر زبانيه * وجدت فى حاشية

جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الى آخر القصة فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا اذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو يصلى يتفرقون عنه و يأبون أن يستمعوا له وكان الرجل منهم اذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلى استرق السمع دونهم فرقا منهم فان رأى انهم قد عرفوا انه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع وان خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذى يستمع أنهم لا يستمعون شيئا من قراءته وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له يسمع منه * قال ابن اسحق وحدثنى داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم انما أنزلت هذه الآية ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا من أجل أولئك النفر يقول لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى الى بعض ما يستمع فينتفع به * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعوه فقال عبد الله بن مسعود أنا قالوا انا نخشاهم عليك انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان أرادوه قال دعونى فان الله سيمنعنى قال فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى وقريش فى أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا بها صوته الرحمن علم القرآن قال ثم استقبلها يقرؤها قال وتأملوه فجعلوا يقولون ماذا قال ابن أم عبد قال ثم قالوا انه ليتلو بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فجعلوا يضربون فى وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف الى أصحابه وقد أثروا فى وجهه فقالوا له هذا الذى خشينا عليك قال ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن والئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا قالوا لا حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى انه حدث ان أبا سفيان بن حرب وأبا جهل ابن هشام والاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى حليف بنى زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل فى بيته فاخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الاخنس وأنا والذى حلفت به قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد فقال ماذا سمعت تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف اطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فاعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه قال فقام عنه الاخنس وتركه * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا عليهم القرآن ودعاهم الى الله قالوا يهزؤن به قلوبنا فى أكنة لا نفقه ما تقول وفى آذاننا وقر لا نسمع ما تقول ومن بيننا و بينك حجاب قد حال بيننا و بينك فاعمل بما أنت عليه انا عاملون بما نحن عليه انا لا نفقه عنك شيئا فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا الى قوله واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا أى كيف فهموا توحيدك ربك ان كنت جعلت على قلوبهم أكنة وفى آذانهم وقرا و بينك و بينهم حجابا بزعمهم أى انى لم أفعل ذلك نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذهم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا أى ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثتك به اليهم انظر كيف ضربوا لك الامثال

كتاب الشيخ على هذا البيت كبير حى من هذيل ﴿قال المؤلف﴾ وفى أسد أيضا كبير بن غنم بن دودان بن أسد ومن ذريته بنو جحش بن رياب بن يعمر بن صبوة بن مرة بن كبير ولعل الراجز أن يكون أراد هؤلاء فانهم أشهر والله أعلم و بنو كبير أيضا بطن من بنى غامد وهم من الازد والذى تقدم ذكره من هذيل هو كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل

﴿فصل﴾ وذكر استماع أبى جهل وأبى سفيان والاخنس الى قول أبى جهل فلما تحاذينا على الركب وقع فى الجمهرة الجاذى المقعى على قدميه قال و ربما جعلوا الجاذى والجاثى سواء * وذكر قول الله سبحانه خبراً عنهم «جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً» قال بعضهم مستور بمعنى ساتر

فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أى أخطؤا المثل الذى ضربوا لك فلا يصيبون به هدى ولا يعتدل لهم فيه قول وقالوا ائذا كنا عظاما و رفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أى قد جئت تخبرنا انا سنبعث بعد موتنا اذا كنا عظاما و رفاتا وذلك مالا يكون قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة أى الذى خلقكم مما تعرفون فليس خلقكم من تراب باعز من ذلك عليه

* قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سألته عن قول الله تعالى أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ما الذى أراد الله به فقال الموت

﴿ ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالاذى والفتنة ﴾

* قال ابن اسحق انهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم و يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه ومنهم من يصلب لهم و يعصمه الله منهم وكان بلال مولى أبى بكر رضى الله عنهما لبعض بنى جمح مولدا من مولديهم وهو بلال بن رباح وكان اسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزل هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو فى ذلك البلاء أحد أحد * قال ابن فقالت اسحق وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك وهو يقول أحد أحد فيقول أحد أحد والله يا بلال ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بنى جمح فيقول أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا حتى مر به أبو بكر الصديق رضى الله عنه يوما وهم يصنعون ذلك به وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال لامية بن خلف ألا تتقى الله فى هذا المسكين حتى متى قال أنت الذى أفسدته فانقذه مما ترى فقال أبو بكر أفعل عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال قد قبلت قال هولك فاعطاه أبو بكر

كما قال وكان وعده مأتيا أى آتيا والصحيح أن مستورا هنا على بابه لانه حجاب على القلب فهو لا يرى

* وذكر حديث ابن عباس حين سئل عن قوله «أو خلقا مما يكبر فى صدوركم» فقال الموت وهو تفسير يحتاج الى تفسير ورأيت لبعض المتأخرين فيه قال أراد ابن عباس ان الموت سيفنى كما يفنى كل شىء كما جاء انه يذبح على الصراط فكان المعنى ان لو كنتم حجارة أو حديدا لادرككم الفناء والموت ولو كنتم الموت الذى هو كبير فى صدوركم فلابد لكم من الفناء والله أعلم بتأويل ذلك وقد بقى فى نفسى من تأويل هذه الآية شىء حتى يكمل الله نعمته بفهمها ان شاء الله تعالى وقوله سبحانه «ولوا على أدبارهم نفورا» يجوز أن يكون نفورا جمع نافر فيكون نصبا على الحال و يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا لولوا ومما أنزل الله فى استماعهم «ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم» ألا ترى كيف جمع يستمعون والحمل على اللفظ اذا قرب منه أحسن ألا ترى الى قوله سبحانه «ومن يسلم وجهه الى الله» فافرد حملا على لفظ من وقال فى آخر الآية ولا خوف عليهم فجمع حملا على المعنى لما بعد عن اللفظ وهكذا كان القياس فى قوله «ومنهم من يستمعون» ولكن لما كانوا جماعة ونزلت الآية فيهم باعيانهم صار المعنى ومنهم نفر يستمعون يعنى أولئك النفر وهم أبو جهل وأبو سفيان والاخنس بن شريق ألا ترى كيف قال بعد «ومنهم من ينظر اليك» فافرد حملا على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر تعذيب من أسلم وطرحهم فى الرمضاء وكانوا يلبسونهم أدراع الحديد حتى أعطوهم بالسنتهم ماسألوا من كلمة الكفر الا بلالا رحمه الله وأنزل الله فيهم الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ونزل فى عمار وأبيه الا أن تتقوا منهم تقاة ولما كان الايمان أصله فى القلب رخص للمؤمن فى حال الاكراه أن يقول بلسانه اذا خاف على نفسه حتى يأمن قال ابن مسعود ما من كلمة تدفع عنى سوطين الا قلتها هذا فى القول فاما الفعل فتنقسم فيه الحال فمنه مالا خلاف فى جوازه كشرب الخمر اذا خاف على نفسه القتل وان لم يخف الا مادون القتل فالصبر له أفضل وان لم يخف فى ذلك الا كسجن يوم أو طرف من الهوان خفيف فلا تحل له المعصية من أجل ذلك وأما الاكراه على القتل فلا خلاف فى حظره لانه انما رخص له فيما دون القتل ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة وهى نفسه فاما اذا دفع عن نفسه بنفس أخرى فلا رخصة واختلف فى الاكراه على الزنى فذكر عن ابن الماجشون انه قال لا رخصة فيه لانه لا ينتشر له الا عن ارادة فى القلب أو شهوة وأفعال القلب لا تباح مع الاكراه وقال غيره بل يرخص فى ذلك لمن خاف القتل لان انبعاث الشهوة عند المماسة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مضغ الطعام وقد يجوز أكل الحرام اذا أكره عليه

﴿ فصل ﴾ واختلف الاصوليون فى مسئلة من الاكراه وهى هل المكره على الفعل مخاطب بالفعل أم لا

الصديق رضى الله عنه غلامه ذلك وأخذه فاعتقه ثم أعتق معه على الاسلام قبل أن يهاجر الى المدينة ست رقاب بلال سابعهم * عامر ابن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا * وأم عميس * و زنيرة فاصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا و بيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان فرد الله بصرها * وأعتق النهدية و بنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهى تقول والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر رضى الله عنه حل يا أم فلان فقالت حل أنت أفسدتهما فاعتقهما قال فبكم هما قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ارجعا اليها طحينها قالت أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده اليها قال ذلك ان شئتما * ومر بجارية بنى مؤمل حى من بنى عدى بن كعب وكانت مسلمة وكان عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام وهو يومئذ مشرك وهو يضربها حتى اذا مل قال انى أعتذر اليك انى لم أتركك الا ملالة فتقول كذلك فعل الله بك فابتاعها أبو بكر فاعتقها * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله قال قال أبو قحافة لابى بكر يا بنى انى أراك تعتق رقابا ضعافا فلو انك اذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعوك و يقومون دونك قال فقال أبو بكر رضى الله عنه يا أبت انى انما أريد ما أريد يعنى لله قال فيتحدث انه ما نزل هؤلاء الآيات الا فيه وفيما قال له أبوه فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الى قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى * قال ابن اسحق وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر و بابيه وأمه وكانوا أهل بيت اسلام اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فيما بلغنى صبرا آل ياسر موعدكم الجنة فاما أمه فقتلوها وهى تأبى الا الاسلام وكان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم فى رجال من قريش اذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنفيلن رأيك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضربه وأغرى به * قال ابن اسحق حدثنى حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم قال نعم والله ان كانوا ليضربون أحدهم و يجيعونه و يعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوى جالسا من شدة الضر الذى نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له اللات والعزى الهك من دون الله

فقالت المعتزلة لا يصح الامر بالفعل مع الاكراه عليه وقالت الاشعرية ذلك جائز لان العزم انما هو فعل القلب وقد يتصور منه فى ذلك الحين العزم والنية وهى القصد الى امتثال أمر الله تعالى وان كان ظاهره انه يفعله خوفا من الناس وذلك اذا أكره على فرض كالصلاة مثلا اذا قيل صل والا قتلت وأما اذا قيل له ان صليت قتلت فظن القاضى أن الخلاف بيننا و بين المعتزلة فى ذلك وغلطه بعض أصحابه وقالوا لا خلاف فى هذه المسئلة انه مخاطب بالصلاة مامور بها وان رخص له فى تركها فليس الترخيص مما يخرجه عن حكم الخطاب وانما يرفع عنه الاكراه المأثم ولا يخرجه عن أن يكون مخاطبا بها وهذا الغلط المنسوب الى القاضى فى هذه المسئلة ليس بقول له وانما حكاه فى كتاب التقريب والارشاد عن طائفة من الفقهاء قالوا لا يتصور القصد والارادة للفعل مع الاكراه عليه قال القاضى وهذا باطل لانه يتصور انكفافه عنه مع الاكراه فكذلك يتصور منه القصد الى الامتثال له و به يتعلق التكليف فانما غلط من نسب اليه من الاصوليين هذا القول الذى أبطله و بين بطلانه وانما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه فى المسئلة وأقف على حقيقة مذهبه وهو برىء من الغلط فيها

﴿ فصل ﴾ وذكر فيمن عذب فى الله سمية أم عمار وقد ذكرنا قتل أبى جهل لها وهى أول شهيد فى الاسلام وروى أن عمارا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صبرا أبا اليقظان ثم قال اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار وسمية أمه وهى بنت خياط كانت مولاة لابى حذيفة بن المغيرة واسمه مهشم وهو عم أبى جهل وغلط ابن قتيبة فيها فزعم ان الازرق مولى الحارث بن كلدة خلف عليها بعد ياسر فولدت له سلمة بن الازرق وقال أهل العلم بالنساء انما سمية أم سلمة بن الازرق سمية أخرى وهى أم زياد بن أبى سفيان لا أم عمار وعمار والحويرث وعبود بنو ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذين و يقال لوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة ابن عامر بن زيام بن عنس بن مالك بن أدد بن زيد العنسى المذحجى حليف لبنى مخزوم ومن ولد عمار عبد الله بن سعد بن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر وهو المقتول بالاندلس قتله عبد الرحمن بن معاوية

﴿ فصل ﴾ وذكر زنيرة التى أعتقها أبو بكر وأول اسمها زاى مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على

فيقول نعم حتى ان الجعل ليمر بهم فيقولون له هذا الجعل الهك من دون الله فيقول نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده * قال ابن اسحق وحدثني الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد انه حدث ان رجال بني مخزوم مشوا الى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا منهم سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة قال فقالوا له وخشوا شرا انا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا فانا لا نامن بذلك في غيره قال هذا فعليكم به فعاتبوه واياكم ونفسه فقال

ألا لا يقتلن أخي عييش * فيبقى بيننا أبدا تلاحي

احذروا على نفسه فاقسم بالله لئن قتلتموه لاقتلن أشرفكم رجلا قال فقالوا اللهم العنه من يغرر بهذا الخبيث فوالله لو أصيب في أيدينا القتل أشرف رجلا فتركوه ونزعوا عنه قال وكان ذلك مما دفع الله به عنهم

﴿ذكر الهجرة الاولى الى أرض الحبشة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله وابن عمه أبي طالب وانه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت اول هجرة كانت في الاسلام * وكان أول من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن بني عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو أخي بني عامر بن ولدت لؤي ولدت له بارض الحبشة محمد بن أبي حذيفة * ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد * ومن بني عبد الدار ابن قصي مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة * ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم معه امرأته ام سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن بني جمح بن عمر بن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جمح * ومن بني عدي بن كعب عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل مع امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب * ومن بني عامر بن لؤي ابو سبرة بن ابي رهم بن عبد العزى بن ابي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ويقال بل ابو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ويقال هو كان اول من قدمها * ومن بني الحرث بن فهر سهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحرث فكان هؤلاء العشرة اول من خرج من المسلمين الى ارض الحبشة فيما بلغني «قال ابن هشام» وكان عليهم عثمان بن مظعون فيما ذكر لي بعض أهل العلم

وزن فعيلة هكذا صحت الرواية في الكتاب والزنيرة واحدة الزنانير وهي الحصا الصغار قاله أبو عبيدة وبعضهم يقول فيها زنبرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها ولا تعرف زنبرة في النساء وأما في الرجال فزنبرة بن زبير بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وابنه خالد بن زنبرة وهو الغرق قاله الدارقطني

﴿فصل﴾ وذكر أم عميس وكانت لبني تيم بن مرة أعتقها أبو بكر وذكر غير ابن اسحق هؤلاء الذين عذبوا في الله لما أعطوا بالسنتهم ما سئلوا من الكفر جاءت قبيلة كل رجل منهم بانطاع الادم فيها الماء فوضعوهم فيها وأخذوهم باطراف الانطاع واحتملوهم الا بلالا * وقول ورقة بن نوفل لئن قتلتموه يعني بلالا وهو على هذا الحال لاتخذنه حنانا أي لاتخذن قبره منسكا ومسترحما والحنان الرحمة وكان بلال رحمه الله يكنى أبا عبد الكريم وقيل ابا عبد الله واخته غفرة وقد تقدم في اول الكتاب ذكر عمر مولى غفرة وهي هذه والغفرة الانثى من أولاد الاراوي والذكر غفر

﴿باب الهجرة الى ارض الحبشة﴾

وقد ذكرنا نسب الحبشة في أول الكتاب واما النجاشي فاسم لكل ملك يلي الحبشة كما أن كسرى اسم لمن ملك الفرس وخاقان اسم لملك الترك كائنا من كان وبطليموس اسم لمن ملك يونان وقد ذكرنا هذا المعنى قبل واسم هذا النجاشي أصحمة بن أبجر وتفسيره عطية وذكر في أول من خرج الى الحبشة عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حين تزوجها يغنيها النساء

أحسن شخصين رأى انسان * رقية وبعلها عثمان

قال ابن اسحق ثم خرج جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بارض الحبشة فكانوا بها منهم من خرج باهله معه ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه * من بنى هاشم ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر جعفر ابن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم معه امرأته أسماء بنت عميس ابن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ولدت له بارض الحبشة عبد الله بن جعفر رجل * ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عثمان ابن عفان بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس معه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعمرو بن سعيد بن العاص بن امية معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرق بن شق بن رقية بن مخدج الكنانى * وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية معه امرأته أمينة بنت خلف ابن أسعد بن عامر ابن بياضة بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو من حزاعة «قال ابن هشام» ويقال همينة بنت خلف * قال ابن اسحق ولدت له بارض الحبشة سعيد بن خالد وأمة بنت خالد وتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام فولدت له عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير * ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمة عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد * وأخوه عبيد الله بن جحش معه امرأته أم حبيبة بنت أبى

ولدت رقية لعثمان ابنه عبد الله وبه كان يكنى ومات عبد الله وهو ابن ست سنين وكان سبب موته أن ديكا نقره فى عينه فتورم وجهه فمرض فمات وذلك فى جمادى الاولى سنة أربع من الهجرة ثم كنى بعد ذلك أبا عمرو وهذا هو عبد الله الاصغر وعبد الله الاكبر هو ابنه من فاختة بنت غزوان وأكبر بنيه بعد هذين عمرو ومن بنيه عمر وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأبان وفى السيرة من غير هذه الرواية ان رقية كانت من أحسن البشر وأن رجالا من الحبشة رأوها بارضهم فكانوا يدركاون اذا رأوها اعجابا منهم بحسنها فكانت تتأذى بذلك وكانوا لا يستطيعون لغربتهم أن يقولوا لهم شيئاً حتى خرج أولئك النفر مع النجاشى الى عدوه الذى كان ثار عليه فقتلوا جميعاً فاستراحت منهم وظهر النجاشى على عدوه وروى الزبير فى حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا بلطف الى عثمان ورقية فاحتبس عليه الرسول فقال له عليه السلام ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية تعجب من حسنهما * وذكر ابن اسحق تسمية المهاجرين الى أرض الحبشة وقد تقدم التعريف ببعضهم وذكرنا سبب اسلام عمرو بن سعيد بن العاصى وانه رأى نوراً أخرج من زمزم أضاءت له منه نخل المدينة حتى رأوا البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بنى عبد المطلب وهذا النور فيهم يكون فكان سبباً لبداره للاسلام وقد ذكرنا فيما تقدم ان هذه الرؤيا انما كانت لاخيه وان عمراً هو الذى عبرها له وهذا هو الصحيح فيها والله اعلم وأما أخوه خالد بن سعيد فكان يرى قبل ان يسلم نفسه قد أشفى على نار تاجج وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ بحجزته يصرفه عنها فلما استيقظ علم ان نجاته من النار على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اظهر ايمانه ضربه ابوه بمقرعة حتى كسرها على رأسه وحلف الا ينفق عليه وأغرى به اخوته فطردوه وآذوه فانقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هاجر الى ارض الحبشة كما ذكر ابن اسحق وابوه سعيد بن العاصى أبو احيحة الذى يقول فيه القائل

ابو أحيحة من يعتم عمته * يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

وكان اذا اعتم لم يعتم قرشى اعظاما له وقد قيل فى عمته أيضا ما أنشده عمرو بن بحر الجاحظ

وكان أبو أحيحة قد علمتم * بمكة غير مهتضم ذميم
اذا ما شد العصابة ذات يوم * وقام الى المجالس والخصوم
لقد حرمت على من كان يمشى * بمكة غير محتقر لئيم

مات أحيحة الذى كان يكنى به فى حرب الفجار وأسلم من بنيه أربعة أبان وخالد وعمرو والحكم الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ومات أحيحة بن سعيد والعاصى بن سعيد وغيرهما من بنيه على الكفر قتل العاصى منهم يوم بدر كافرا * وذكر أمة بنت خالد بن سعيد التى ولدت بارض الحبشة قال وتزوجها الزبير بن العوام وهى التى كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى صغيرة وجعل يقول سناه . سناه . يا أم خالد أى حسن حسن بلغة الحبشة وكانت قد تعلمت لسان الحبشة لانها ولدت بارضهم وولدت للزبير عمراً وخالداً يقال ان أباها خالد بن سعيد أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم مات باجنادين شهيدا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمله على صنعاء واليمن فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أبو بكر أن يستعمله فقال لا أعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا ويروى ان أباه سعيد بن العاصى مرض فقال ان رفعنى الله من مرضى لا يعبد اله ابن أبى كبشة بمكة أبداً فقال ابنه خالد اللهم لا ترفعه فهلك مكانه فهؤلاء بنو سعيد بن العاصى بن أمية وعثمان هو ابن عفان بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس

سفيان بن حرب بن أمية * وقيس بن عبد الله رجل من بنى أسد بن خزيمة معه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب بن أمية * ومعيقيب بن أبى فاطمة وهؤلاء آل سعيد بن العاص سبعة نفر «قال ابن هشام» معيقيب من دوس * قال ابن اسحق ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف * أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس * وأبو موسى الاشعرى واسمه عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة رجلان * ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان حليف لهم رجل * ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد * والاسود بن نوفل بن خويلد بن أسد * ويزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد * وعمرو بن أمية بن الحرث بن أسد أربعة نفر * ومن بنى عبد بن قصى طليب بن عمير بن وهب بن أبى كثير بن عبد رجل * ومن بنى عبد الدار بن قصى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * وسويط بن سعد بن حريملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار * وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار معه امرأته أم حرملة بنت عبد الاسود بن جزيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة * وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بنت جهم * وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * وفراس بن النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار خمسة نفر * ومن بنى ظهرة بن كلاب * عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة * وعامر بن أبى وقاص وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة * والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ولدت له بارض الحبشة عبد الله بن المطلب * ومن حلفائهم من هذيل * عبد الله بن مسعود بن الحرث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل * وأخوه عتبة بن مسعود * ومن بهراء المقداد بن عمرو بن ثعلبة ابن مالك بن ربيعة بن ثمامة ابن مطرود بن عمرو بن سعيد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هزل بن فائش بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة «قال ابن هشام» ويقال هزل بن قاش بن ذر ودهير بن ثور * قال ابن اسحق وكان يقال له المقداد بن الاسود بن عبد يغوث بن عبد مناف بن زهرة وذلك أنه كان تبناه فى الجاهلية وخالفه ستة نفر * ومن بنى تيم بن مرة الحرث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم معه امرأته ريطة بنت الحرث بن جبيلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ولدت له بارض الحبشة موسى بن الحرث وعائشة بنت الحرث وزينب بنت الحرث وفاطمة بنت الحرث * وعمرو بن عثمان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم رجلان * ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ولدت له بارض الحبشة زينب بنت أبى سلمة واسم أبى سلمة عبد الله واسم أم سلمة هند * وشماس عثمان بن عبد بن الشريد بن سويد بن هرمى بن عامر بن مخزوم «قال ابن هشام» اسم شماس عثمان وانما سمى شماسا لان شماسا من الشمامسة قدم مكة فى الجاهلية وكان جميلا فعجب الناس من جماله فقال عتبة بن ربيعة وكان خال شماس فانا آتيكم بشماس أحسن منه فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان فسمى شماسا فيما ذكر ابن شهاب وغيره * قال ابن اسحق وهبار بن سفيان بن عبد الاسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وأخوه عبد الله بن سفيان * وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن حلفائهم معتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو من خزاعة وهو الذى يقال له عيهامة ثمانية نفر «قال ابن هشام» ويقال حبشية بن سلول وهو الذى يقال له معتب بن حمراء * ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن

ولا يختلف فى عبد شمس انه بالدال وأما عب شمس بن سعيد بن زيد مناة بن تميم فقال فيه أبو عبيد والقتبى عبد شمس كما فى الاول وقال أكثر الناس فيه عب شمس ثم اختلفوا فى معناه فقيل معناه عبد شمس لكن أدغمت الدال وقيل بل عب الشمس هو ضوءها وصفاؤها وقيل فى المثل هو أبرد من عبقر أى البرد وبعضهم يقول وهو المبرد من عب قر أى بياض قر ومن حب قر أيضا وفيه قول ثالث أعنى عب شمس وهو مروى عن ابن عمر وقال معناه عبء شمس بالهمز ثم حذفت الهمزة تسهيلا وعبء الشمس وعبؤه مثله وشك ابن اسحق فى عمار بن ياسر هل هاجر الى أرض الحبشة أم لا والاصح عند أهل السير كالواقدى وابن عقبة وغيرهما انه لم يكن فيهم * وذكر ابن اسحق من بنى الحارث بن قيس من هاجر الى أرض الحبشة ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث * وذكره الواقدى وغيره والحارث بن قيس كان أبوه من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم «انا كفيناك المستهزئين» * وذكر من بنى زهرة من هاجر الى أرض الحبشة وهم ستة نفر ولم

مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح * وابنه السائب بن عثمان * واخواه قدامة بن مظعون وعبدالله بن مظعون * وحاطب بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح معه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبدالله بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر * وابناه محمد بن حاطب والحرث بن حاطب وهما لبنت المجلل * وأخوه خطاب بن الحرث معه امرأته فكيهة بنت يسارة * وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح معه ابناه جابر بن سفيان وجنادة بن سفيان ومعه امرأته حسنة وهي أمهما * وأخوهما من أمهما شرحبيل بن حسنة أحد الغوث «قال ابن هشام» شرحبيل بن عبدالله أحد الغوث بن مر أخي تميم بن مر * قال ابن اسحق وعثمان بن ربيعة بن اهبان بن وهب بن حذافة بن جمح أحد عشر رجلا * ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب خنيس ابن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وعبدالله بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد بن سهم «قال ابن هشام» العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم * قال ابن اسحق وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وأبو قيس بن الحرث بن قيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وعبدالله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * والحرث بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * ومعمر بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * و بشر بن الحرث بن قيس بن عدى ابن سعيد بن سهم * وأخ له من أمه من بني تميم يقال له سعيد بن عمرو * وسعيد بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * والسائب بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم * ومحمية بن الجزء حليف لهم من بني زبيد أربعة عشر رجلا * ومن بني عدى بن كعب معمر بن عبدالله بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى * وعروة بن عبدالعزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى * وعدى بن نضلة بن عبدالعزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى * وابنه النعمان بن عدى * وعامر ابن ربيعة حليف لآل الخطاب من عنز بن وائل معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم خمسة نفر * ومن بني عامر بن لؤي أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدون بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبدشمس بن عبدود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر * وعبد الله بن مخرمة بن عبدالعزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وعبدالله بن سهيل بن عمرو بن عبدشمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وسليط بن عمرو بن عبدشمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر وأخوه السكران بن عمرو ومعه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس بن عبدشمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر * ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبدشمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ومعه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان بن عبدشمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وأبو حاطب بن عمرو بن عبدشمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وسعد بن خولة حليف لهم ثمانية نفر «قال ابن هشام» سعد بن خولة من اليمن * قال ابن اسحق * ومن بني الحرث ابن فهر * أبو عبيدة بن الجراح وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث * وسهيل بن بيضاء وهو سهيل ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحرث ولكن امه غلبت على نسبه فهو ينسب اليها وهي دعد بنت جحدم بن امية بن ظرب بن الحرث بن فهر وكانت تدعى بيضاء * وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحرث * وعياض بن زهير بن ابي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث و يقال بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة * وعمرو بن الحرث بن زهير بن ابي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحرث * وعمرو بن عبدغنم بن زهير بن ابي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك ابن ضبة بن الحرث * وسعد بن عبدقيس بن لقيط بن عامر بن امية بن ظرب بن الحرث * والحرث بن عبدقيس بن فهر بن لقيط بن عامر ابن امية بن ظرب بن الحرث بن فهر ثمانية نفر * فكان جميع من لحق بارض الحبشة وهاجر اليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارا او ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه فكان مما قيل من الشعر في الحبشة ان عبدالله بن

ولم يذكر السابع وهو عبدالله بن شهاب جد محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري وكان اسمه عبد الجان فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله مات بمكة بعد الفتح وأخوه عبدالله الاصغر شهد احداً معَ المشركين ثم اسلم * وذكر المطلب بن عبدعوف ولم يذكر أخاه طليبا وكلاهما هاجر الى ارض الحبشة ومات بها وهما اخوا ازهر بن عبدعوف

﴿فصل﴾ وانشد لعبد الله بن الحارث ما قاله في ارض الحبشة وفيه قوله

الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم حين امنوا بارض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون على ذلك احدا وقد احسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به فقال

يارا كبا بلغن عنى مغلغلة * من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد * ببطن مكة مقهور ومفتون
انا وجدنا بلاد الله واسعة * تنجى من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخز * ى فى الممات وعيب غير مأمون
انا تبعنا رسول الله واطرحوا * قول النبى وعالوا فى الموازين
فاجعل عذابك فى القوم الذين بغوا * وعائذ بك أن يعلوا فيطغونى

وقال عبد الله بن الحرث أيضا يذكر نفى قريش اياهم من بلادهم و يعاتب بعض قومه فى ذلك

أبت كبدى لا أكذبنك قتالهم * على وتأباه على أناملى
وكيف قتالى معشرا أدبوكم * على الحق أن لا تأشبوه بباطل
نفتهم عباد الجن من حر أرضهم * فاضحوا على أمر رشيد البلابل
فان تك كانت فى عدى أمانة * عدى بن سعد عن تقى أو تواصل
فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم * بحمد الذى لا يطبى بالجعائل
وبدلت شبلا شبل كل خبيثة * بذى فجر مأوى الضعاف الارامل

فصل

أحق عذابك بالقوم الذين طغوا * وعائذا بك ان يعلو فيطغونى

انشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك اظهاره وذلك لحكمة وهى ان الفعل لو ظهر لم يخل ان يكون ماضيا او مستقبلا فالماضى يوهم الانقطاع والمتكلم انما يريد انه فى مقام العائذ وفى حال عوذ والفعل المستقبل ايضا يؤذن بالانتظار وفعل الحال مشترك مع المستقبل فى لفظ واحد وذلك يوهم انه غير عائذ فكان مجيئه بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدل على ما يريد فان عائذا كقائم وقاعد وهو الذى يسمى عند الكوفيين الدائم فالقائل عائذا بك يارب انما يريد أنا فى حال عياذ بك والعامل فى هذه الحال تكلمه ونداؤه أى اقول قولى هذا عائذا وليس تقديره عذت ولا أعوذ انما يريد أن يسمعه ربه أو يراه عائذا به * وقوله أن يعلو يجوز أن تكون ان مع ما بعدها فى موضع نصب وفى موضع خفض عند النحويين أما النصب فعلى اضمار الفعل لانه قال عائذا أعلم انه خائف فكانه قال أخاف أن يعلو فيطغونى وأما الخفض فعلى اضمار حرف الجر فكانه قال من ان يعلو وهو مذهب الخليل وسيبويه فى ان المخففة وان المشددة نحو قوله تعالى «ان هذه أمتكم أمة واحدة» تقديره لان هذه وجاز اضمار حرف الجر فى هذين الموضعين وان كانت حروف الجر لا تضمر لانهما موصولتان بما بعدهما فطال الاسم بالصلة فجاز حذف حرف الجر تخفيفا ولقائل أن يقول هذه دعوى ادعيتم ان أن وما بعدها اسم مخفوض وهو لا يظهر فيه الخفض ثم بنيتم التعليل على غير أصل لان الخفض لم يثبت بعد فنقول انما علمنا انه فى موضع خفض لوقوعه فى موضع لا يقع فيه الا المخفوض بحرف الجر نحو قوله سبحانه «وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله» ونحو قوله تعالى «أحق أن تقوم فيه» ونحو قوله «أن تضل احداهما» فقوله تعالى أجدر ألا يعلموا معناه بأن لا يعلموا فلو كان قبل أن فعل لقلنا حذف حرف الجر فتعدى الفعل فنصب ولكن أجدر وأحق اسمان لا يعملان فمن ههنا عرف النحويون انه فى موضع خفض اذ لا ناصب له وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة وان ذلك هو الذى سوغ لهم اضمار حرف الجر فتعليل مدخول ينتقض عليهم بالاسماء الموصولة كالذى ومن وما فانها قد طالت بالصلة ومع ذلك لا يجوز اضمار حرف الجر فيها لا تقول خرجت ما عندك ولا هربت الذى عندك أى من الذى عندك وتقول خرجت أن يرانى زيد وفررت أن يرانى عمرو أى من ان يرانى ولان يرانى بدل على ان العلة غير ما قالوا وهى ان ان مع الفعل ليس باسم محض وانما هو فى تأويل اسم والاسم المحض ما دل عليه حرف الجر فلا بد اذا من اظهار حرف الجر اذا جئت به لانه اسم قابل لدخول الخوافض عليه وأما ان فحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ولا على الفعل المتصل به فلا تقول هو اسم مخفوض انما هو فى تأويل اسم مخفوض فمن ههنا فرقت العرب بينه و بين غيره من الاسماء فاذا أدخلت عليه حرف الجر مظهرا جاز لانه فى تأويل اسم واذا أضمرت حرف الجر جاز أيضا التفاتا الى ان الحرف الجار لا يدخل عن الحرف ولا على الفعل فحسن اسقاطه مراعاة للفظ ان وللفظ الفعل وقلنا هو فى موضع خفض على معنى أن الكلام يؤول الى الاسم المخفوض لا انه يظهر فيه خفض أو يقدر تقدير المبنى الذى منعه البناء من ظهور الخفض فيه حتى يشبه ان فنقول هو اسم مبنى على السكون لا بل نقول هى حرف والحرف لا يدخل عليه حرف الجر لا مضمرا ولا مظهرا وانما هو تقدير فى المعنى لا فى اللفظ فافهمه

﴿ فصل ﴾ واعلم أن التى فى تاويل المصدر لا يضاف اليها اسم تقول هذا موضع ان تقعد ويوم خروجك ولا تقول يوم ان تخرج لانها ليست باسم كما قدمنا وانما تضاف الى الاسماء المحضة لا الى التاويل ولا يضاف اليها أيضاً اسم الفاعل لا بمعنى المضى ولا بمعنى الاستقبال ولا المصدر الا على وجه واحد نحو مخافة ان تقوم وذلك اذا أردت معنى المفعول بان وما بعدها وأما على نحو اضافة المصدر الى الفاعل فلا يجوز ذلك وانما تكون فاعلة مع الفعل اذا ذكرته قبلها نحو يسرنى أن تقوم وأما مع المصدر مضافا اليها فلا وتكون مفعولة مع المصدر ومع الفعل معا وكل هذا الاسرار بديعة موضعها غير هذا لكنى أقول ههنا قولا لائقا بهذا الموضع فانى لم أذكر الخفض باضمار حرف الجر فى ان وان الا مساعدة لمن تقدم فعليه بنيت التعليل والتأصيل واذا أبيت من التقليد فلا اضمار لحروف الجر فيها انما هو النصب بفعل مضمر أو مظهر أما قوله تعالى «أحق ان تقوم فيه» فانما لما قال أحق علم انه يوجب عليه ان يقوم فيه وكذلك أجدر الا يعلموا ومعنى اجدر أخلق وأقرب ولما ثبتت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك الا يعلموا فصار منصوبا فى المعنى ولو جئت بالمصدر الذى هو اسم محض نحو القيام والعلم لم يصح اضمار هذا الفعل لانه أجدر وأحق ونحوهما اسمان يضافان الى ما بعدهما فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق فقلت أحق قيامك لا نقلب المعنى ولو نصبته باضمار الفعل الذى أضمرت مع ان لم يكن دليل عليه لان الاسم يطلب الاضافة فيمنع من الاضمار والنصب واذا وقعت بعده لم يطلب الاضافة لما قدمناه من امتناع اضافة الاسماء اليها وانما اخترنا هذا المذهب وآثرناه على ما تقدم من اضمار الخافض لانا قد نجدها فى مواضع مجرورة ولا يجوز اضمار حرف الجر كقولك سر الى ان تطلع الشمس ولا يجوز اضمار الى ههنا وكذلك تقول هذا خير من أن تفعل كذا ولا يجوز أيضا اضمار من ولو كان حرف الجر معها للعلتين المتقدمتين لاطرد جواز ذلك فيها على الاطلاق وانما هى أبدا اذا لم يكن معها حرف الجر ظاهرا مفعولة بفعل مضمر وقد تكون فاعلة ولكن بفعل ظاهر نحو يعجبنى ان تقوم واما خرجت ان أرى زيدا فعلى اضمار الارادة والقصد كانك أردت ان أراه أو ان لا أراه لان كل من فعل فعلا فقد أراد به أمرا ما لكنك ان جعلت مكانها المصدر لم يجز الاضمار أو قبح لان المصدر تعمل فيه الافعال الظاهرة اذا كانت متعدية وتصل اليه بحرف جر اذا لم تكن متعدية وان مع الفعل لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة تقول رأيت قيام زيد ولا تقول ان يقوم وسمعت كلامك ولا تقول سمعت ان تتكلم وانما يتعلق بها وتعمل فيها الافعال الباطنة نحو خفت واشتهيت وكرهت وما كان فى معنى هذا أو قريبا منه فاذا سمع المخاطب ان مع الفعل لم يذهب وهمه بحكم العادة الا الى هذه المعانى فان كانت ظاهرة فذاك والا اعتقدنا انها مضمرة وان الفعل الظاهر دال عليها وغيرها من الاسماء ليس كذلك اذا وقع قبلها فعل من أفعال الجوارح الظاهرة وقع عليها ان كان متعديا أو وصل بحرف ان كان غير متعد ومنع من الاضمار انه لفظى والاضمار معنوى الا فى باب المفعول من أجله وقد قدمنا فيه سراً بديعا فيما سبق من هذا الكتاب

﴿ فصل ﴾ وأنشد لعبد الله بن الحرث شعرا فيه * كما جحدت عاد ومدين والحجر * أما عاد فقد تقدم نسبها وأما الحجر فليست بامة ولكنها ديار ثمود أراد أهل الحجر وأما مدين فامة شعيب وهم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام وأمهم قطورا بنت يقطان الكنعانية ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أمم وقد سميناهم فى كتاب التعريف والاعلام وفى أول هذا الكتاب * وفيه أيضاً قوله * فان أنا لم أبرق فلا يسعنى * البيت قال وبه سمى المبرق ﴿قال المؤلف﴾ وفى هذا حجة على الاصمعى حين منع ان يقال

وقال عبد الله بن الحرث أيضاً

تلك قريش تجحد الله حقه * كما جحدت عاد ومدين والحجر
فان أنا لم أبرق فلا يسعنى * من الارض بر ذو فضاء ولا بحر

أرعد وأبرق وذكر له قول الكميت * أرعد وأبرق يا يزيد * فلم يره حجة وألحقه بالمحدثين لتأخر زمانه كما فعل بذى الرمة حين احتج عليه بقوله * ذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة * فأبى ان يقول زوجة بهاء التأنيث وقال طال ما أكل ذو الرمة الزيت فى حوانيت البقالين و بيت المبرق فى هذا حجة بلا خلاف وقد وجد أرعد وأبرق فى غير هذا البيت مما تقوم به الحجة أيضاً و بيت المبرق هذا يحتمل وجها آخر وهو ان يكون من أبرق فى الارض اذا ذهب بها لا من أرعد وأبرق وكذلك وجدته فى حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت منسوبا للمصعب قال الابراق الذهاب و فى العين أبرقت الناقة بذنبها اذا ضربت به يمينا وشمالا وهو فى معنى الذهاب فى الارض لانه جولان فيها وهى البروق قال نهشل بن دارم لاخيه سليط وقد لامه على ترك الكلام فى بعض المواطن لا أحسن تأثامك ولا تكذابك تشول بلسانك شولان البروق * وذكر فى الشعر * يلين ما فى النفس اذ بلغ النقر * و يروى يلين ما فى الصدر والنقر البحث عن الشىء وأكثر ما يقال فيه التنقير واستشهد عبد الله المبرق فى غزوة الطائف وكان أبوه الحرث من المستهزئين وكان جده قيس أعز قريش فى زمانه يروى أن عبد المطلب كان ينقز ابنه عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طفل فيقول

كانه فى العز قيس بن عدى * فى دار قيس الندى ينتدى

قاله الزبير بن أبى بكر

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر عثمان بن مظعون * أتيم بن عمرو للذى جاء بغضة * أراه عجبا للذى جاء والعرب تكتفى بهذه اللام فى التعجب كقوله عليه السلام لهذا العبد الحبشى جاء من أرضه وسمائه الى الارض التى خلق منها قاله فى عبد حبشى دفن بالمدينة وقال فى جنازة سعد بن معاذ وهو واقف على قبره وتقهقر ثم قال سبحان الله لهذا العبد الصالح ضم عليه القبر ثم فرج عنه وقيل فى قوله سبحانه «لايلاف قريش» أقوال منها انها متعلقة بمعنى التعجب كانه قال اعجبوا لايلاف قريش و بغضة نصب على التمييز كانه قال يا عجبا لما جاء به من بغضة و يجوز أن يكون مفعولا من أجله وروى الزبير هذا البيت

* أتيم بن عمرو للذى فار ضغنه * وكذلك روى فى هذا الشعر فى صرح بيطاء تقدع بالطاء وفتح الباء وكسرها وقال بيطاء اسم سفينة وتقدع بالدال أى تدفع وزعم أن تيم بن عمرو وهو جمح سمى جمحا لان أخاه سهم بن عمرو وكان اسمه زيدا سابقه الى غاية فجمح عنها تيم فسمى جمحا ووقف عليها زيد فقيل قد سهم زيد فسمى سهما * وقوله ومن دوننا الشرمان الشرم البحر وقال الشرمان بالتثنية لانه أراد البحر الملح والبحر العذب وفى التنزيل «مرج البحرين» والشرم من شرمت الشىء اذا خرقته وكذلك البحر من بحرت الارض اذا خرقتها ومنه سميت البحيرة لخرق اذنها والبرك ما اطمأن من الارض واتسع ولم يكن منتصبا كالجبال * وقوله فى صرح بيضاء يريد مدينة الحبشة وأصل الصرح القصر يريد انه ساكن عند صرح النجاشى * وقوله تقذع أى تكره كانه من أقذعت الشىء اذا صادفته قذعا و يقال أيضاً أقذعت الرجل اذا رميته بالفحش يريد ان أرض الحبشة مقذوعة وأحسب هذه الرواية تصحيفا والصحيح ما قدمناه من قول الزبير وروايته وانه بيطاء بالطاء وتقدع بالدال * وقوله وأسلمك الاوباش يريد اخلاطا من الناس يقال أوشاب وأوباش والاوباش أيضاً شجر متفرق والوبش بياض فى أظفار الاحداث

﴿ فصل ﴾ وذكر فيمن هاجر الى أرض الحبشة من بنى عدى معمر بن عبد الله بن نضلة وقال فيه على بن المدينى انما هو معمر بن عبد الله بن نافع بن نضلة * وقال ابن اسحق نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف

بارض بها عبد الاله محمد * أبين ما فى النفس اذ بلغ النقر فسمى عبد الله بن الحرث يرحمه الله ببيته الذى قال المبرق * وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح وهو ابن عمه وكان يؤذيه فى اسلامه وكان أمية شريفا فى قومه فى زمانه ذلك

أتيم بن عمرو للذى جاء بغضه * ومن دونه الشرمان والبرك اكتع

أأخرجتنى من بطن مكة آمنا * وأسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع

تريش نبالا لا يواتيك ريشها * وتبرى نبالا ريشها لك أجمع

وحاربت أقواما كراما أعزة * وأهلكت أقواما بهم كنت تفزع

ستعلم ان نابتك يوما ملمة * وأسلمك الاوباش ما كنت تصنع

وتيم بن عمرو الذى كان يدعى عثمان بن جمح كان اسمه تيما * قال ابن اسحق فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بارض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين الى

النجاشى فيردهم عليهم ليفتنوهم فى دينهم ويخرجوهم من دارهم التى اطمانوا بها وأمنوا فيها فبعثوا عبد الله بن ابى ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته ثم بعثوهما اليه فيهم فقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه أبياتا للنجاشى يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم

ألا ليت شعرى كيف فى الناى جعفر * وعمرو وأعداء العدو الاقارب
فهل نال أفعال النجاشى جعفرا * وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد * كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بان الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب
وانك فيض ذو سجال غزيرة * ينال الاعادى نفعها والاقارب *

قال ابن اسحق قال حدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى عن أم سلمة بنت أبى أمية ابن المغيرة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم ان يبعثوا الى النجاشى فينا رجلين منهم جلدين وأن يهدوا للنجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له أدما

ابن عبيد وفى حاشية كتاب الشيخ قال انما هو نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج وذكر أنه قول مصعب فى كتاب النسب * وذكر فى بنى عدى عروة بن عبد العزى بن حرثان كذا فى كتاب المصعب الا انه قال عمرو بن أبى اثاثة أو عروة بن أبى اثاثة على الشك وذكره ابو عمر فى كتاب الاستيعاب فقال فيه عروة بن أبى اثاثة ويقال ابن اثاثة بن عبد العزى بن حرثان قال وأمه أم عمرو بن العاصى فهو أخوه لام ﴿قال المؤلف﴾ وأمهما اسمها ليلى وتلقب بالنابغة وهى من بنى ربيعة ثم من بنى جلان قال أبو عمر ويقال فيه ابن أبى اثاثة ﴿قال المؤلف﴾ وقد قدمنا أن المصعب الزبيرى شك فيه فقال عروة أو عمرو وأما الزبير فقال عمرو بن ابى اثاثة ولم يشك ثم قال أبو عمر لم يذكره ابن اسحق فيمن هاجر الى ارض الحبشة وذكره الواقدى وأبو معشر وموسى بن عقبة ﴿قال المؤلف﴾ وهذا وهم من أبى عمر رحمه الله فان ابن اسحق ذكره فيهم غير أنه نسبه الى جده عبد العزى وأسقط اسم أبيه أبى اثاثة وقال حين ذكر من هاجر من بنى عدى بعد ما عددهم خمسة قال أربعة نفر وهو وهم من ابن اسحق وذكر فيهم مع الخمسة ليلى بنت ابى حثمة امرأة عامر بن ربيعة فهم على هذا ستة غير انه يحتمل ان يريد اربعة نفر دون حليفهم عامر وما أظنه قصد هذا الان من عادته ان يعد الحلفاء مع الصميم لان الدعوة تجمعهم * وذكر أم سلمة وبعلها أبا سلمة توفى عنها بالمدينة وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر اسمها هذا وقيل فى اسمها رملة وأبوها ابو أمية اسمه حذيفة يعرف بزاد الراكب * وذكر انها ولدت بارض الحبشة زينب بنت أبى سلمة وكان اسم زينب برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب كانت زينب هذه عند عبد الله بن زمعة وكانت قد دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل وهى اذ ذاك طفلة فنضح فى وجهها من الماء فلم يزل ماء الشباب فى وجهها حتى عجزت وقاربت المائة وكانت من أفقه اهل زمانها وأدركت وقعة الحرة بالمدينة وقتل لها فى ذلك اليوم ولدان اسم احدهما كبير والآخر يزيد من عبد الله بن زمعة فكانت تبكى على احدهما ولا تبكى على الآخر فسئلت عن ذلك فقالت أبكيه لانه جرد سيفه وقاتل والآخر لا أبكيه لانه لزم بيته وكف يده حتى قتل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بام سلمة دخل عليها بيتها فى ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل فى ظلمة أيضا فقال انظروا زنابكم ان لا أطأ عليها أو قال أخروا ذكره الزبير وفى هذا الحديث توهين لرواية من روى انه كان يرى بالليل كما يرى بالنهار

﴿فصل﴾ وذكر حديث عائشة كنا نتحدث انه لا يزال يرى على قبر النجاشى نور وقد خرجه أبو داود من طريق سلمة بن الفضل وعن ابن اسحق عن يزيد بن رومان عن عائشة وأورده فى باب النور يرى عند الشهيد وليس فى هذا الحديث ولا غيره ما يدل على أن النجاشى مات شهيدا وأحسبه أراد ان يشهد بهذا الحديث ما وقع فى كتب التاريخ من ان عبد الرحمن بن ربيعة أخا سلمان بن ربيعة الذى يقال له ذو النور وكان على باب الابواب فقتله الترك زمان عمر فهو لا يزال يرى على قبره نور ويعضد هذا حديث النجاشى يقول فاذا كان النجاشى وليس بشهيد يرى عنده نور فالشهيد أحرى بذلك لقول الله سبحانه «والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم»

﴿ارسال قريش الى النجاشى فى أمر اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم﴾

ذكر ابن اسحق انهم أرسلوا عمرو بن العاصى وعبد الله بن ابى ربيعة بن المغيرة وأهدوا معهما هدايا الى النجاشى وعبد الله بن أبى ربيعة هذا كان اسمه بحيرا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم عبد الله

كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا اله هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص فامروهما بامرهم وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشى فيهم ثم قدما الى النجاشى هداياه ثم سلاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم قالت فخرجا حتى قدما على النجاشى ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشى وقالا لكل بطريق منهم انه قد ضوى الى بلد الملك مناغلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم ثم انهما قدما هداياهما الى النجاشى فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له ايها الملك انه قد ضوى الى بلدك مناغلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاؤا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه قالت ولم يكن شىء ابغض الى عبد الله بن ابى ربيعة وعمرو ابن العاص من ان يسمع كلامهم النجاشى قالت فقالت بطارقته حوله صدقا ايها الملك قومهم اعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم فاسلمهم اليهما فليرداهم الى بلادهم وقومهم قالت فغضب النجاشى ثم قال لا ها الله اذا لا أسلمهم اليهما ولا يكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان فى امرهم فان كانوا كما يقولان اسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهم واحسنت جوارهم ماجاورونى قالت ثم ارسل الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم

وأبوه ابو ربيعة ذو الرمحين وفيه يقول ابن الزبعرى

بحير ابن ذى الرمحين قرب مجلسى * وراح علينا فضله وهو عاتم

واسم أبى ربيعة عمرو وقيل حذيفة وام عبد الله بن أبى ربيعة أسماء بنت مخربة التميمية وهى ام أبى جهل بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة هذا هو والد عمر بن عبد الله بن ابى ربيعة الشاعر ووالد الحارث أمير البصرة المعروف بالقباع وكان فى أيام عمر واليا على الجند وفى ايام عثمان فلما سمع بحصر عثمان جاء لينصره فسقط عن دابته فمات

﴿ فصل ﴾ وكان معهما فى ذلك السفر عمارة بن الوليد بن المغيرة الذى تقدم ذكره حين قالت قريش لابى طالب خذ عمارة بدلا من محمد وادفع الينا محمدا نقتله وكان عمارة من أجمل الناس فذكر أصحاب الاخبار انهم أرسلوه مع عمرو بن العاصى الى النجاشى ولم يذكره ابن اسحق فى رواية ابن هشام وذكر حديثه مع عمرو فى رواية يونس ولكن فى غير هذه القصة المذكورة ههنا ولعل ارسالهم اياه مع عمرو كان فى المرة الاخرى التى سيأتى ذكرها فى السيرة عند حديث اسلام عمرو وممن ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج الاصبهانى وذكر أن عمرا سافر بامرأته فلما ركبوا البحر وكان عمارة قد هوى امرأة عمرو وهويته فعزما على دفع عمرو أو كان ذلك من عمارة على غير قصد فدفع عمرا فسقط فى البحر فسبح عمرو ونادى أصحاب السفينة فأخذوه ورفعوه الى السفينة فاضطرها عمرو فى نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته فيما ذكرا بو الفرج قبلى ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو وقال انى قد كتبت الى بنى سهم ليبرؤا من دمى لك فاكتب أنت لبنى مخزوم ليبرؤا من دمك لى حتى تعلم قريش انا قد تصافينا فلما كتب عمارة الى بنى مخزوم وتبرؤا من دمه لبنى سهم قال شيخ من قريش قتل عمارة والله وعلم انه مكر من عمرو ثم أخذ عمرو يحرض عمارة على التعرض لامرأة النجاشى وقال له أنت امرؤ جميل وهن النساء يحببن الجمال من الرجال فلعلها أن تشفع لنا عند الملك فى قضاء حاجتنا ففعل عمارة فلما رأى عمرو ذلك وتكرر عمارة على امرأة الملك ورأى انابتها اليه أتى الملك متنصحا وجاءه بامارة عرفها الملك قد كان عمارة أطلع عمرا عليها فادركته غيرة الملك وقال لولا انه جارى لقتلته ولكن سافعل به ماهو شر من القتل فدعا بالسواحر فامرهن أن يسحرنه فنفخن فى احليله نفخة طار منها هائما على وجهه حتى لحق بالوحوش فى الجبال وكان يرى آدميا فيفر منه وكان ذلك آخر العهد به الى زمن عمر بن الخطاب فجاء ابن عمه عبد الله بن أبى ربيعة الى عمر واستاذنه فى المسير اليه لعله يجده فاذن له عمر فسار عبد الله الى أرض الحبشة فاكثر النشدة عنه والفحص عن أمره حتى أخبرانه بجبل يردمع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فسار اليه حتى كمن له فى الطريق الى الماء فاذا هو قد غطاه شعره وطالت أظفاره وتمزقت عليه ثيابه حتى كانه شيطان فقبض عليه عبد الله وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه وهو ينتفض منه ويقول أرسلنى يابحير أرسلنى يابحير وأبى عبد الله أن

يرسله

لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن فلما جاؤا وقد دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من هذه الملل قالت فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قالت فعدد عليه أمور الاسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيأ وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك قالت فقال له النجاشى هل معك مما جاء به عن الله من شىء قالت فقال له جعفر نعم فقال له النجاشى فاقرأه على قالت فقرأ عليه صدرا من كهيعص قالت فبكى والله النجاشى حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشى ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا أسلمهم اليكما ولا يكادون قالت فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينه غدا عنهم بما استأصل به خضراءهم قالت فقال له عبد الله ابن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا تفعل فان لهم أرحاما وان كانوا قد خالفونا قال والله لاخبرنه انهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد قالت ثم غدا عليه الغد فقال أيها الملك انهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما فارسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه قالت فارسل اليهم ليسألهم عنه قالت ولم ينزل بنا مثلها قط فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون فى عيسى بن مريم اذا سألكم عنه قالوا نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن قالت فلما دخلوا عليه قال لهم ماذا تقولون فى عيسى بن مريم قالت فقال جعفر بن أبى طالب نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول قالت فضرب النجاشى بيده الى الارض فاخذ منها عودا ثم قال والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود قالت فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال فقال وان نخرتم والله اذهبوا فانتم شيوم بارضى والشيوم الآمنون من سبكم غرم ثم قال من سبكم غرم ما أحب ان لى دبرا من ذهب «قال ابن هشام» ويقال دبرا من ذهب ويقال فانتم سيوم وانى آذيت رجلا منكم والدبر بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فى فاطيعهم فيه قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاآ به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار قالت فوالله انا لعلى ذلك اذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه قالت فوالله ما علمتنا حزنا حزنا قط كان أشد من حزن حزناه

يرسله حتى مات بين يديه وهو خبر مشهور اختصره بعض من ألف فى السير وطوله أبو الفرج وأوردته على معنى كلامه متحريا لبعض ألفاظه

﴿فصل﴾ وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشى وما قال له جعفر الى آخر القصة وليس فيها اشكال وفيه من الفقه الخروج عن الوطن وان كان الوطن مكة على فضلها اذا كان الخروج فرارا بالدين وان لم يكن الى اسلام فان الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ولا يقولون هو عبد الله وقد تبين ذلك فى هذا الحديث وسموا بهذه مهاجرين وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق فقال «والسابقون الاولون» وجاء فى التفسير انهم الذين صلوا القبلتين وهاجروا الهجرتين وقد قيل أيضا هم الذين شهدوا بيعة الرضوان فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام الى دار كفر لما كان فعلهم ذلك احتياطا على دينهم ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم يذكرونه آمنين مطمئنين وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر فى بلد وأوذى على الحق مؤمن ورأى الباطل قاهرا للحق ورجى أن يكون فى بلد آخر أى بلد كان يخلى بينه وبين دينه ويظهر فيه عبادة ربه فان الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن وهذه الهجرة التى لا تنقطع الى يوم القيامة «ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله»

﴿فصل﴾ وليس فى باقى حديثهم شىء يشرح قد شرح ابن هشام الشيوم وهم الآمنون فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ويحتمل أن يكون لها أصل فى العربية وأن تكون من شمت السيف اذا أغمدته لان الآمن مغمد عنه السيف أو لانه مصون فى صور وحرز كالسيف فى غمده * وقوله ضوى اليك فتية

عند ذلك تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه قالت وسار اليه النجاشي و بينهما عرض النيل قالت فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر قالت فقال الزبير بن العوام انا فقالوا فانت وكان من أحدث القوم سنا قالت فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له فى بلاده قالت فوالله انا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن اذ طلع الزبير وهو يسعى فلمع بثوبه وهو يقول الا أبشروا فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوه ومكن له فى بلاده قالت فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها قالت ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له فى بلاده واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده فى خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة * قال ابن اسحق قال الزهرى فحدثت عروة بن الزبير حديث أبى بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال هل تدرى ما قوله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فى فاطيع الناس فيه قال قلت لا قال فان عائشة أم المؤمنين حدثتنى ان أباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد الا النجاشي وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلا وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة فقالت الحبشة بينها لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام وان لاخيه من صلبه اثنى عشر رجلا فتوارثوا ملكه من بعده بقيت الحبشة بعده دهرا فعدوا على أبى النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه فمكثوا على ذلك حينا ونشأ النجاشي مع عمه وكان لبيبا حازما من الرجال فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة فلما رأت الحبشة مكانه قالت بينها والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه وانا لنتخوف أن يملكه علينا وان ملكه علينا ليقتلنا أجمعين لقد عرف انا نحن قتلنا أباه فمشوا الى عمه فقالوا اما أن تقتل هذا الفتى واما أن تخرجه من بين أظهرنا فانا قد خفناه على أنفسنا قال ويلكم قتلت أباه بالامس وأقتله اليوم بل أخرجه من بلادكم قالت فخرجوا به الى السوق فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم فقذفه فى سفينة فانطلق به حتى اذا كان العشى من ذلك اليوم هاجت سحابة من

أى أووا اليك ولاذوا بك وأما ضوى بكسر الواو فهو من الضوى مقصور وهو الهزال وقال الشاعر

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى رديد الغرائب

ومنه الحديث اغتربوا لا تضووا يقول أن تزويج القرائب يورث الضوى فى الولد والضعف فى القلب قال الراجز

ان بلالا لم تشنه أمه * لم يتناسب خاله وعمه

وفيه قومهم أعلى بهم عينا أى أبصر بهم أى عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم فى أمرهم فالعين ها هنا بمعنى الرؤية والابصار لا بمعنى العين التى هى الجارحة وما سميت الجارحة عيناً الا مجازا لانها موضع العيان وقد قالوا عانه يعينه عينا اذا رآه وان كان الاشهر فى هذا أن يقال عاينه معاينة والاشهر فى عنت أن يكون بمعنى الاصابة بالعين وانما أوردنا هذا الكلام لتعلم أن العين فى أصل وضع اللغة صفة لا جارحة وانها اذا أضيفت الى البارى سبحانه فانها حقيقة نحو قول أم سلمة لعائشة بعين الله مهواك وعلى رسول الله تردين وفى التنزيل « ولتصنع على عينى » وقد أملينا فى المسائل المفردات مسئلة فى هذا المعنى وفيها الرد على من أجاز التثنية فى العين مع اضافتها الى الله تعالى وقاسها على اليدين وفيها الرد على من احتج بقول النبى عليه السلام ان ربكم ليس باعور وأوردنا فى ذلك ما فيه شفاء وأتبعناه بمعان بديعة فى معنى عور الرجال فلينظر هنالك *وقول جعفر فى عيسى هو روح الله وكلمته ومعنى وكلمته اى قال له كما قال لآدم حين خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ولم يقل فكان لئلا يتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير وانما هو واقع للحال فقوله فيكون مشعر بوقوع الفعل فى حال القول وتوجه الفعل بيسير على القول لا يمكن مستقدم ولا مستأخر فهذا معنى الكلمة واما روح الله فلانه نفخه روح القدس فى جيب الطاهرة المقدسة والقدس الطهارة من كل ما يشين أو يعيب او تقذره نفس او يكرهه شرع وجبريل روح القدس لانه روح لم يخلق من منى ولا صدر عن شهوة فهو مضاف الى الله سبحانه اضافة تشريف وتكريم لانه صادر عن الحضرة المقدسة وعيسى عليه السلام صادر عنه فهو روح الله على هذا المعنى اذ النفخ قد يسمى روحا ايضا كما قال غيلان يصف النار

فقلت له ارفعها اليك وأحيها * بروحك واقدرها لها قيتة بدراً

وأضف هذا الكلام فى روح القدس وفى تسمية النفخ روحا الى ما ذكرناه قبل فى حقيقة الروح وشرح معناه فانه تكملة له

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث عائشة عن النجاشي حين رد الله عليه ملكه وأن قومه كانوا باعوه فلما مرج أمر

الحبشة

سحاب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها فاصابته صاعقة فقتلته قالت ففزعت الحبشة الى ولده فاذا هو محمق ليس فى ولده خير فمرج على الحبشة أمرهم فلما ضاق عليهم ماهم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض تعلموا والله ان ملككم الذى لا يقيم أمركم غيره للذى بعتم غدوة فان كان لكم بامر الحبشة حاجة فادركوه قالت فخرجوا فى طلبه وطلب الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه فاخذوه منه ثم جاؤا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه على سرير الملك فملكوه فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه فقال اما أن تعطونى مالى واما أن أكلمه فى ذلك قالوا لا نعطيك شيأ قال اذا والله أكلمه قالوا فدونك واياه قالت فجاءه فجلس بين يديه فقال أيها الملك ابتعت غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم فاسلموا الى غلامى وأخذوا دراهمى حتى اذا سرت بغلامى أدركونى فاخذوا غلامى ومنعونى دراهمى قالت فقال لهم النجاشى لتعطنه دراهمه أو ليضعن غلامه يده فى يده فليذهبن به حيث شاء قالوا بل نعطيه دراهمه قالت فلذلك يقول ما أخذ الله منى رشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فى فاطيع الناس فيه قالت وكان ذلك أول ماخبر من صلابته فى دينه وعدله فى حكمه * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت لما مات النجاشى كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور * قال ابن اسحق وحدثنى جعفر بن محمد عن أبيه قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى انك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه قال فارسل الى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا ثم عمد الى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ثم جعله فى قبائه عند المنكب الايمن وخرج الى الحبشة وصفوا له فقال يامعشر الحبشة ألست أحق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتى فيكم قالوا خير سيرة قال فما لكم قالوا فارقت ديننا وزعمت ان عيسى عبد قال فما تقولون أنتم فى عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال النجاشى ووضع يده على صدره على قبائه هو يشهد ان عيسى بن مريم لم يزد على هذا شيأ وانما يعنى ما كتب فرضوا وانصرفوا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فلما مات النجاشى صلى عليه واستغفر له * قال ابن اسحق ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وردهم النجاشى بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام من وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عازوا قريشا وكان عبد الله بن مسعود يقول ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما اسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه وكان اسلام عمر بعد خروج من خرج من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة * حدثنا ابن هشام قال حدثنى مسعر بن كدام عن سعد بن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود ان اسلام عمر كان فتحا وان هجرته كانت نصرا وان امارته كانت رحمة ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى اسلم عمر فلما اسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن ابى ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن امه ام عبد الله بنت ابى حثمة قالت والله انا لنترحل الى ارض الحبشة وقد ذهب عامر فى بعض حاجاتنا اذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وهو على شركه قالت وكنا نلقى منه

الحبشة أخذوه من سيده واستردوه وظاهر الحديث يدل على انهم أخذوه منه قبل أن يأتى به بلاده لقوله خرجوا فى طلبه فأدركوه وقد بين فى حديث آخر أن سيده كان من العرب وانه استعبده طويلا وهو الذى يقتضيه قوله فلما مرج على الحبشة أمرهم وضاق عليهم ماهم فيه وهذا يدل على طول المدة فى مغيبه عنهم وقد روى أن وقعة بدر حين انتهى خبرها الى النجاشى علم بها قبل من عنده من المسلمين فأرسل اليهم فلما دخلوا عليه اذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ماهذا أيها الملك فقال انا نجد فى الانجيل أن الله سبحانه اذا أحدث بعبده وجب على العبد أن يحدث لله تواضعاً وان الله قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهى ان النبى محمداً صلى الله عليه وسلم بلغنى انه التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه الغنم على سيدى وهو من بنى ضمرة وان الله قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه فدل هذا الخبر على طول مكثه فى بلاد العرب فمن هنا والله أعلم تعلم من لسان العرب مافهم به سورة مريم حين تليت عليه حتى بكى وأخضل لحيته وروى عنه أنه قال انا نجد فى الانجيل ان اللعنة تقع فى الارض اذا كانت امارة الصبيان

﴿ فصل ﴾ ومما فى حديث الهجرة الى الحبشة من الفقه أن جعفر بن أبى طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلى فى السفينة اذا ركبنا فى البحر فقال صلى الله عليه وسلم صل قائما الا أن تخاف الغرق خرّجه الدارقطنى ولكن فى اسناده مقال وفى مسند ابن أبى شيبة وصلى أنس فى السفينة جالسا وذكر البخارى عن الحسن يصلى قائما الا ان يضر بأهلها

﴿ فصل ﴾ وذكر الكتاب الذى كتبه النجاشى وجعله بين صدره وقبائه وقال للقوم أشهد ان عيسى لم

البلاء أذى لنا وشدة علينا قالت فقال انه الا نطلاق ياام عبد الله قالت فقلت نعم والله لنخرجن فى ارض الله آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا قالت فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم اكن اراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجته تلك فقلت له يا ابا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا قال أطمعت فى اسلامه قالت قلت نعم قال فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الاسلام

﴿ ذكر اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾

* قال ابن اسحق وكان اسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان باسلامهما من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة رجل من قومه من بنى عدى بن كعب قد أسلم وكان أيضا يستخفى باسلامه فرقا من قومه وكان خباب بن الارت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له انهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق وعلى ابن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له أين تريد ياعمر فقال أريد محمدا هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك ياعمر أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الارض

بنى

وقد قتلت محمدا أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال وأى أهل بيتى قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما قال فرجع عمر عامدا الى أخته وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئهما اياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم أو فى بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينمة التى سمعت قالا له ما سمعت شيا قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك فلما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال

يزد على هذا وفيه من الفقه انه لا ينبغى للؤمن أن يكذب كذبا صراحا ولا أن يعطى بلسانه الكفر وان أكره ما أمكنه الحيلة وفى المعاريض مندوحة عن الكذب وكذلك قال أهل العلم فى قول النبى عليه السلام ليس بالكاذب من أصلح بين اثنين فقال خيرا روته أم كلثوم بنت عقبة قالوا معناه أن يعرض ولا يفصح بالكذب مثل أن يقول سمعته يستغفر لك ويدعو لك وهو يعنى انه سمعه يستغفر للمسلمين ويدعولهم لان الآخر من جملة المسلمين ويحتال فى التعريض ما استطاع ولا يختلق الكذب اختلاقا وكذلك فى خدعة الحرب يورى ويكنى ولا يختلق الكذب يستحله بما جاء من اباحة الكذب فى خدع الحرب هذا كله ما وجد الى الكناية سبيلا *وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشى واستغفر له وكان موت النجاشى فى رجب من سنة تسع ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس فى اليوم الذى مات فيه وصلى عليه بالبقيع رفع اليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة فصلى عليه وتكلم المنافقون فقالوا أيصلى على هذا العلج فأنزل الله تعالى « وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم » ومن رواية يونس عن ابن اسحق ان أبا نيزر مولى علىّ بن أبى طالب كان ابنا للنجاشى نفسه وان عليا وجده عند تاجر بمكة فاشتراه منه وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين *وذكر أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشى وانهم أرسلوا وفدا منهم الى أبى نيزر وهو مع على ليملكوه ويتوجوه ولم يختلفوا عليه فابى وقال ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ الله علىّ بالاسلام قال وكان ابو نيزر من أطول الناس قامة واحسنهم وجها قال ولم يكن لونه كألوان الحبشة ولكن اذا رأيته قلت هذا رجل من العرب

﴿ فصل ﴾ فى حديث اسلام عمر ذكره الى آخره وليس فيه اشكال وكان اسلام عمر والمسلمون اذاك بضعة وأربعون رجلا واحدى عشرة امراة وفيه ان خبابا وهو ابن الارت كان يقرئ فاطمة بنت الخطاب القرآن وخباب تميمىّ بالنسب وهو خزاعى بالولاء لام انمار بنت سباع الخزاعى وكان قد وقع عليه سباء فاشترته وأعتقته فولاؤه لها وكان ابوها حليفا لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة فهو زهرىّ بالحلف وهو ابن الارت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم كان قينا يعمل السيوف فى الجاهلية وقد قيل ان امه كانت ام سباع الخزاعية ولم يلحقه سباء ولكنه انتمى الى حلفاء امه

لاخته اعطنى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرؤن آنفا أنظر ماهذا الذى جاء به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له اخته انا نخشاك عليها قال لاتخافى وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها اليها فلما قال ذلك طمعت فى اسلامه فقالت له يا أخى انك نجس على شركك وانه لايمسها الا الطاهر فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له ياعمر والله انى لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس وهو يقول اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله ياعمر فقال له عند ذلك عمر فدلنى ياخباب على محمد حتى آتيه فأسلم فقال له خباب هو فى بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يارسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف فقال حمزة ابن عبد المطلب فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فأذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة وقال ماجاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة فقال عمر يارسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله

بنى زهرة يكنى اباعبد الله وقيل ابايحيى وقيل ابامحمد مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ماشهد مع على صفين والنهروان وقيل بل مات سنة سبع وثلاثين ذكر ان عمر بن الخطاب ساله عما لقى فى ذات الله فكشف ظهره فقال عمر مارأيت كاليوم فقال ياامير المؤمنين لقد أوقدت لى نار فما اطفاها الا شحمى

﴿ فصل ﴾ وفيه ذكر تطهير عمر لمس القرآن وقول اخته لايمسه الا المطهرون والمطهرون فى هذه الآية هم الملائكة وهو قول مالك فى الموطا واحتج بالآية الاخرى التى فى سورة عبس ولكنهم وان كانوا الملائكة ففى وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس مايقتضى ألا يمسه الا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين فقد تعلق الحكم بصفة التطهير ولكنه حكم مندوب اليه وليس محمولا على الفرض وكذلك ما كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم وألا يمس القرآن الا طاهر ليس على الفرض وان كان الفرض فيه أبين منه فى الآية لانه جاء بلفظ النهى عن مسه على غير طهارة ولكن فى كتابه الى هرقل بهذه الآية «ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة» دليل على ماقلناه وقد ذهب داود وأبوثور وطائفة ممن سلف منهم الحكم بن عتيبة وحماد بن ابى سليمان الى اباحة مس المصحف على غير طهارة واحتجوا بما ذكرنا من كتابه الى هرقل وقالوا حديث عمرو بن حزم مرسل فلم يروه حجة والدارقطنى قد أسنده من طرق حسان اقواها رواية ابى داود الطيالسى عن الزهرى عن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده ومما يقوى ان المطهرين فى الآية هم الملائكة انه لم يقل المتطهرون وانما قال المطهرون وفرق ما بين المتطهر والمطهر ان المتطهر من فعل الطهور وأدخل نفسه فيه كالمتفقه من يدخل نفسه فى الفقه وكذلك المتفعل فى أكثر الكلام وأنشد سيبويه * وقيس عيلان ومن تقيسا * فالآدميون متطهرون اذا تطهروا والملائكة مطهرون خلقة والآدميات اذا تطهرن متطهرات وفى التنزيل «فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله» والحور العين مطهرات وفى التنزيل «لهم فيها أزواج مطهرة» وهذا فرق بين وقوة لتأويل مالك رحمه الله والقول عندى فى الرسول عليه السلام انه متطهر ومطهر أما متطهر فلانه بشر آدمى يغتسل من الجنابة ويتوضأ من الحدث وأما مطهر فلانه قد غسل باطنه وشق عن قلبه وملئ حكمة وايمانا فهو مطهر ومتطهر واضمم هذا الفصل الى ماتقدم فى ذكر مولده من هذا المعنى فانه تكملة والحمد لله وفى تطهر عمر قبل أن يظهر الاسلام قوة لقول ابن القاسم ان الكافر اذا تطهر قبل أن يظهر اسلامه ويشهد الشهادتين انه مجزئ له وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثير من الفقهاء وكذلك فى خبر اسلام سعد بن معاذ على يدى مصعب بن عمير وقد سأله كيف يصنع من يريد الدخول فى هذا الدين فقال يتطهر ثم يشهد بشهادة الحق ففعل ذلك هو وأسيد بن حصين وحديث اسلام عمر وان كان من أحاديث السير فقد خرجه الدار قطنى فى سننه غير انه خرج أيضا من طريق أنس ان أخت عمر قالت له انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الصحيفة وفيها سورة طه ففى هذه الرواية انه كان وضوءا ولم يكن اغتسالا وفى رواية يونس ان عمر حين قرأ فى الصحيفة سورة طه انتهى منها الى قوله «لتجزى كل نفس بما تسعى» فقال ما أطيب هذا الكلام وأحسنه وذكر هذا الحديث بطوله وفيه ان الصحيفة كان فيها مع سورة طه «اذا

عليه وسلم ان عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعرفوا انهم سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن اسلام عمر بن الخطاب حين أسلم * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى عن أصحابه عطاء ومجاهد أو عمن روى ذلك ان اسلام عمر فيما تحدثوا به عنه انه كان يقول كنت للاسلام مباعدا وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أحبها وأشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومى قال فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فى مجلسهم ذلك قال فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحدا قال فقلت لو انى جئت فلانا الخمار وكان بمكة يبيع الخمر لعلى أجد عنده خمرا فاشرب منها قال فخرجت فجئته فلم أجده قال فقلت لو أنى جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين قال فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى وكان اذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الركن الاسود والركن اليمانى قال فقلت حين رأيته والله لو أنى استمعت من محمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه أسمع منه لأروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشى رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى وبينه الا ثياب الكعبة قال فلما سمعت القرآن رق له قلبى فبكيت ودخلنى الاسلام فلم أزل قائما فى مكانى ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف وكان اذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسين وكانت طريقه حتى يجيز على المسعى ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهرى ثم على دار الاخنس بن شريق حتى يدخل بيته وكان مسكنه صلى الله عليه وسلم فى الدار الرقطاء التى كانت بيد معاوية بن أبى سفيان قال عمر رضى

الشمس كورت» وان عمر انتهى فى قراءتها الى قوله «علمت نفس ما أحضرت»

«فصل» وذكر ابن سنجر زيادة فى اسلام عمر قال حدثنا أبو المغيرة قال نا صفوان بن عمرو قال حدثنى شريح بن عبيد قال قال عمر بن الخطاب خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال قلت هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ «انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون» قال قلت كاهن علم ما فى نفسى فقال «ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون» الى آخر السورة قال فوقع الاسلام فى قلبى كل موقع وقال عمر حين أسلم

الحمد لله ذى المن الذى وجبت * له علينا أياد ما لها غير
وقد بدانا فكذبنا فقال لنا * صدق الحديث نبى عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى * ربى عشية قالوا قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زلل * بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة * والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت ان الذى تدعوه خالقها * فكاد تسبقنى من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالقنا * وان أحمد فينا اليوم مشتهر
نبى صدق أتى بالحق من ثقة * وافى الامانة ما فى عوده خور

رواه يونس عن ابن اسحق * وذكر البزار فى اسلام عمر انه قال فلما أخذت الصحيفة فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم فجعلت أفكر فى اى شىء اشتق ثم قرأت فيها «سبح لله ما فى السموات والارض» وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت «فآمنوا بالله ورسوله» فقلت أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

«فصل» وفى حديث اسلام عمر قال ما هذه الهينمة والهينمة كلام لا يفهم واسم الفاعل منه مهينم كأنه تصغير وليس بتصغير ومثله المبيطر والمهيمن والمبيقر بالقاف وهو المهاجر من بلد الى بلد والمسيطر ولو صغرت واحدا من هذه الاسماء لحذفت الياء الزائدة كما تحذف الالف من مفاعل وتلحق ياء التصغير فى موضعها فيعود اللفظ الى ما كان فيقال فى تصغير مهينم ومبيطر مهينم ومبيطر «فان قيل» فهلا قلتم انه لا يصغر اذ لا يعقل تصغير على لفظ التكبير والا فما الفرق «فالجواب» انه قد يظهر الفرق بينهما فى مواضع منها الجمع فانك تجمع مبيطر امباطر بحذف الياء واذا كان مصغرا لا يجمع الا بالواو والنون فتقول مبيطرون وذلك ان التصغير لا يكسر لان تكسيره يؤدى الى حذف الياء فى الخماسى لانها زائدة كالالف فيذهب معنى التصغير وأما الثلاثى المصغر فيؤدى تكسيره الى تحريك ياء التصغير أو همزها وذلك أن يقال فى فليس فلائس فيذهب أيضا معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التى هى دالة عليه ولو بنيت اسم فاعل من بيأس لقلت

الله عنه فتبعته حتى اذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم انى انما اتبعته لاوذيه فنهمنى ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قال قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قد هداك الله يا عمر ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته * قال ابن اسحق والله أعلم اى ذلك كان * قال ابن اسحق وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال لما أسلم أبى عمر قال اى قريش انقل للحديث قال قيل له جميل بن معمر الجمحى قال فغدا عليه قال عبد الله بن عمر وغدوت اتبع اثره وانظر ما يفعل وانا غلام اعقل كل ما رايت حتى جاءه فقال له أعلمت يا جميل انى قد اسلمت ودخلت فى دين محمد قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت ابى حتى اذا قام على باب المسجد صرخ باعلى صوته يا معشر قريش وهم فى انديتهم حول باب الكعبة الا ان عمر بن الخطاب قد صبا قال يقول عمر من خلفه كذب ولكنى قد اسلمت وشهدت ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وثاروا اليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم قال وطلح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله ان لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم او لتركتموها لنا قال فبينما هم على ذلك اذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم قالوا صبا عمر فقال فمه رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل قال فوالله لكانما كانوا ثوبا كشط عنه قال فقلت لابى بعد ان هاجر الى المدينة يا ابت من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم اسلمت وهم يقاتلونك فقال ذلك اى بنى العاص بن وائل السهمى «قال ابن هشام» حدثنى بعض اهل العلم انه قال يا ابت من الرجل الذى زجر القوم عنك يوم اسلمت وهم يقاتلونك جزاه الله خيرا قال يا بنى ذاك العاص بن وائل لا جزاه الله خيرا * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الرحمن بن الحرث عن بعض آل عمر او بعض اهله قال قال عمر لما اسلمت تلك الليلة تذكرت اى اهل مكة اشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فاخبره أنى قد أسلمت قال قلت ابو جهل وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة قال فاقبلت حين اصبحت حتى ضربت عليه بابه قال فخرج الى أبو جهل فقال مرحبا وأهلا بابن أختى ما جاء بك قال قلت جئت لاخبرك انى قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به قال فضرب الباب فى وجهى وقال قبحك الله وقبح ما جئت به

﴿خبر الصحيفة﴾

* قال ابن اسحق فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا وان النجاشى قد منع من لجا اليه منهم وان عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجعل الاسلام يفشو فى القبائل اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد

فيه مبيئس ولو سهلت الهمزة لحركت الياء فقلت فيه مبيس وتقول فى تصغيره اذا صغرته مبيس بالادغام كما تقول أبوس أبيس ولا تنقل حركة الهمزة الى الياء اذا سهلت كما تنقلها فى اسم الفاعل من بيأس ونحوه اذا سهلت الهمزة وهذه مسئلة من التصغير بديعة يقوم على تصحيحها البرهان

﴿فصل﴾ وفى حديث اسلام عمر فنهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أى زجره والنهيم زجر الاسد والنهامى الحداد والنهام طائر وفيه قول العاصى بن وائل قال هكذا عن الرجل وهى كلمة معناها الامر بالتنحى فليس يعمل فيها ما قبلها كما يعمل اذا قلت جلس هكذا أى على هذه الحال وان كان لا بد من عامل فيها اذا جعلتها للامر لانها كاف التشبيه دخلت على ذا وها تنبيه فيقدر العامل اذا مضمرا كانك قلت ارجعوا هكذا وتأخروا هكذا واستغنى بقولك هكذا عن الفعل كما استغنى برويدا عن ارفق

﴿فصل﴾ وذكر قول عمر لجميل بن معمر الجمحى انى قد أسلمت وبايعت محمدا فصرخ جميل بأعلى صوته الا ان عمر قد صبا جميل هذا هو الذى كان يقال له ذو القلبين وفيه نزلت فى أحد الاقوال «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» وفيه قيل

وكيف ثوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وهو البيت الذى تغنى به عبد الرحمن بن عوف فى منزله واستاذن عمر فسمعه وهو يتغنى وينشد بالركبانية وهو غناء يحدى به الركاب فلما دخل عمر قال له عبد الرحمن انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم وقلب المبرد هذا الحديث وجعل المنشد عمر والمستاذن عبد الرحمن ورواه الزبير كما تقدم وهو أعلم بهذا الشان

﴿حديث الصحيفة التى كتبتها قريش﴾

الدار بن قصى « قال ابن هشام » و يقال النضر بن الحرث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشل بعض أصابعه

* قال ابن اسحق فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم و بنو المطلب الى أبى طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه فى شعبه فاجتمعوا اليه وخرج من بنى هاشم أبولهب عبد العزى بن عبد المطلب الى قريش فظاهرهم * قال ابن اسحق حدثنى حسين بن عبد الله ان أبالهب لقى هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا فقال يابنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما قالت نعم فجزاك الله خيرا ياأباعتبة * قال ابن اسحق وحدثت انه كان يقول فى بعض مايقول يعدنى محمد أشياء لا أراها يزعم انها كائنة بعد الموت فماذا وضع فى يدى بعد ذلك ثم ينفخ فى يديه و يقول تبا لكما ما أرى فيكما شيأ مما يقول محمد فانزل الله تعالى فيه تبت يدا أبى لهب وتب « قال ابن هشام » تبت خسرت والتباب الخسار وقال حبيب بن خدرة الخارجى أحد بنى هلال ابن عامر بن صعصعة

ياطيب إنا فى معشر ذهبت * مسعاتهم فى التبار والتبب

وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذى صنعوا قال أبو طالب

الا أبلغا عنى على ذات بيننا * لؤيا وخصا من لؤى بنى كعب
ألم تعلموا انا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خط فى أول الكتب

ذكر فيه قول أبى لهب ليديه تبا لكما لا أرى فيكما شيأ مما يقول محمد فانزل الله تعالى تبت يدا أبى لهب وتب هذا الذى ذكره ابن اسحق يشبه ان يكون سبب الذكر الله سبحانه يديه حيث يقول « تبت يدا أبى لهب » وأما قوله وتب فتفسيره ماجاء فى الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الصفا فصعد عليه فهتف ياصباحاه فلما اجتمعوا اليه قال أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى قالوا ماجربنا عليك كذبا قال « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبولهب تبا لك ألهذا جمعتنا فانزل الله تعالى « تبت يدا أبى لهب » وقد تب هكذا قرأ مجاهد والاعمش وهى والله أعلم قراءة مأخوذة عن ابن مسعود لان فى قراءة ابن مسعود ألفاظا كثيرة تعين على التفسير قال مجاهد لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل ان أسئل ابن عباس ما احتجت ان أسئله عن كثير مما سألته وكذلك زيادة قد فى هذه الآية فسرت انه خبر من الله تعالى وان الكلام ليس على جهة الدعاء كما قال تعالى « قاتلهم الله أنى يؤفكون » أى انهم أهل ان يقال لهم هذا فتبت يدا أبى لهب ليس من باب قاتلهم الله ولكنه خبر محض بان قد خسر أهله وماله واليدان آلة الكسب وأهله وماله مما كسب فقوله « تبت يدا أبى لهب » يفسيره قوله ما أغنى عنه ماله وما كسب وولد الرجل من كسبه كما جاء فى الحديث أى خسرت يداه هذا الذى كسبت وقوله وتب تفسيره « سيصلى نارا ذات لهب » أى قد خسر نفسه بدخوله النار وقول أبى لهب تبا لكما ما أرى فيكما شيأ يعنى يديه سبب لنزول تبت يدا كما تقدم * وقوله فى الحديث الآخر تبا لك يا محمد سبب لنزول قوله سبحانه وتب فالكلمتان فى التنزيل مبنيتان على السببين والآيتان بعدهما تفسير للتبيين تباب يديه وتبابه هو فى نفسه والتبب على وزن التلف لانه فى معناه والتباب كالهلاك والخسار وزنا ومعنى ولذلك قيل فيه تبب وتباب

﴿فصل﴾ ذكر شعر أبى طالب *ألا أبلغا عنى على ذات بيننا* قال قاسم بن ثابت ذات بيننا وذات يده وما كان نحوه صفة لمحذوف مؤنث كانه يريد الحال التى هى ذات بينهم كما قال الله سبحانه « وأصلحوا ذات بينكم » فكذلك اذا قلت ذات يده يريد أمواله أو مكتسباته كما قال عليه السلام أرعاه على زوج فى ذات يده وكذلك اذا قلت لقيته ذات يوم أى لقاءة او مرة ذات يوم فلما حذف الموصوف و بقيت الصفة صارت كالحال لا تتمكن ولا ترفع فى باب مالم يسم فاعله كما ترفع الظروف المتمكنة وانما هو كقولك سير عليه شديدا وطويلا وقول الخثعمى واسمه أنس بن مالك [مدرك] عزمت على اقامة ذات صباح ليس هو عندى من هذا الباب وان كان سيبويه قد جعلها لغة لخثعم ولكنه على معنى اقامة يوم وكل يوم هو ذو صباح كما تقول ما كلمنى ذو شفة أى متكلم وما مررت بذى نفس فلا يكون من باب ذات مرة الذى لا يتمكن فى الكلام وقد وجدت فى حديث قيلة بنت مخرمة وهو حديث طويل وقع فى مسند ابن أبى شيبة أن أختها قالت لبعلها ان أختى تريد المسير مع زوجها حريث بن حسان ذا صباح بين سمع الارض و بصرها فهذا يكون من باب ذات مرة وذات يوم غيرانه ورد مذكرا لانه تشتغل تاء التأنيث مع الصاد وتوالى الحركات فحذفوها فقالوا لقيته ذا صباح وهذا لا يتمكن كما لا يتمكن ذات يوم وذات حين ولا يضاف اليه مصدر ولا غيره وقول الخثعمى عزمت على اقامة ذى صباح قد أضاف اليه فكيف يضيف اليه ثم ينصبه أو كيف يضارع الحال مع اضافة المصدر اليه فكذلك خفضه وأخرجه عن نظائره الا أن يكون سيبويه سمع خثعم يقولون سرت فى ذات

وان عليه فى العباد محبة * ولا خير ممن خصه الله بالحب
وان الذى ألصقتم من كتابكم * لكم كائن نحسا كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل ان يحفر الثرى * ويصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا * اواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما * أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم احمدا . * لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبن منا ومنكم سوالف * وأيد أترت بالقساسية الشهب
بمعترك ضيق ترى كسر القنا * به والنسور الطخم يعكفن كالشرب
كان مجال الخيل فى حجراته * ومعمعة الابطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره * وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا * ولا نشتكى ماقد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى * اذا طار أرواح الكماة من الرعب

فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا الا يصل اليهم شىء الا سرا مستخفيا من أراد صلتهم من قريش وقد كان أبوجهل بن هشام فيما يذكرون لقى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه فى الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام الى بنى هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فجاءه أبوالبخترى بن هشام بن الحرث بن أسد فقال مالك وله فقال يحمل الطعام الى بنى هاشم فقال أبوالبخترى طعام كان لعمته عنده بعثت اليه أفتمنعه ان يأتيها بطعامها خل سبيل الرجل قال فابى أبوجهل حتى نال احدهما من صاحبه فأخذ أبوالبخترى لحى بعير فضربه به فشجه ووطئه وطأ شديدا وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون ان يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشمتوا بهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مناديا بامر الله لا يتقى فيه أحدا من الناس فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بنى هاشم وبنى المطلب دونه وحالوا بينه وبين ما أرادوا من البطش به يهمزونه ويستهزؤن به ويخاصمونه وجعل القرآن ينزل فى قريش باحداثهم

يوم أوسير عليه ذات يوم برفع التاء فحينئذ يسوغ له ان يقول لغة خثعم وأما البيت الذى تقدم فالشاهد له فيه وما أظن خثعم ولا أحدا من العرب يجيز التمكن فى نحو هذا واخراجه عن النصب والله اعلم

﴿ فصل ﴾ وفيه * ولا خير ممن خصه الله بالحب * وهو مشكل جدا لان لا فى باب التبرئة لا تنصب مثل هذا الامنونا تقول لا خيرا من زيد فى الدار ولا شرا من فلان وانما تنصب بغير تنوين اذا كان الاسم غير موصول بما بعده كقوله تعالى «لا تثريب عليكم اليوم» لان عليكم ليس من صلة التثريب لانه فى موضع الخبر وأشبه ما يقال فى بيت أبى طالب أن خيرا المخفف من خير كهين وميت وفى التنزيل «خيرات حسان» هو مخفف من خيرات * وقوله ممن من متعلقة بمحذوف كانه قال لا خير أخير ممن خصه الله وخير وأخير لفظان من جنس واحد فحسن الحذف استثقالا لتكرار اللفظ كما حسن «ولكن البر من آمن بالله . والحج أشهر معلومات» لما فى تكرار الكلمة مرتين من الثقل على اللسان وأغرب من هذا قول الله تعالى «ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير» أى لو عجله لهم اذا استعجلوا به استعجالا مثل استعجالهم بالخير فحسن هذا الكلام لما فى الكلام من ثقل التكرار واذا اخذ فواحر فا واحدا لهذه العلة كقولهم بلحرث(١) بنو فلان وظلت وأحشت فاحرى أن يحذفوا كلمة من حروف فهذا أصل مطرد ويجوز فيه وجه آخر وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لاصل الكلمة لان خيرا من زيد انما معناه أخير من زيد وكذلك شر من فلان انما أصله أشر على وزن افعل وحذفت الهمزة تخفيفا وأفعل لا ينصرف فاذا انحذفت الهمزة انصرف ونون فاذا توهمتها غير ساقطة التفاتا الى أصل الكلمة لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر * وقوله بالقساسية الشهب يعنى السيوف نسبها الى قساس وهو معدن حديد لبنى أسد وقيل اسم للجبل الذى فيه المعدن قال الراجز يصف فاسا

أخضر من معدن ذى قساس * كانه فى الجيد ذى الاضراس
* يرمى به فى البلد الدهاس *

وقال أبو عبيد فى القساسية لا أدرى الى أى شىء نسب والذى ذكرناه قاله المبرد وقوله ذى قساس كما حكى ذو زيد أى صاحب هذا الاسم وفى أقيال حمير ذو كلاع وذو عمرو أضيف المسمى الى اسمه كما قالوا زيد بطة اضافوه الى لقبه * وذكر فيه النسور الطخمة قيل هى السود الرؤس قاله صاحب العين وقال أيضا الطخمة سواد فى مقدم الانف * وقوله كراغية السقب يريد ولد الناقة التى عقرها قدار فرغا ولدها فصاح برغائه كل شىء له صوت فهلكت ثمود عند ذلك فضربت العرب ذلك مثلا فى كل هلكة كما قال علقمة

---

(١) بياض بالاصل

* رغى فوقهم سقب السماء فداحض * وقال آخر

لعمرى لقد لاقت سليم وعامر * على جانب الثرثار راغية البكر

﴿فصل﴾ وذكر أم جميل بنت حرب عمة معاوية وذكر انها كانت تحمل الشوك وتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيها «وامرأته حمالة الحطب» ﴿قال المؤلف﴾ فلما كنى عن ذلك الشوك بالحطب والحطب لا يكون الا فى حبل من ثم جعل الحبل فى عنقها ليقابل الجزاء الفعل * وقوله من مسد هو من مسدت الحبل اذا أحكمت فتله الا انه قال من مسد ولم يقل حبل مسد ولا ممسود لمعنى لطيف ذكره بعض أهل التفسير قال المسد يعبر به فى العرف عن حبل الدلو وقد روى أنه يصنع بها فى النار ما يصنع بالدلو ترفع بالمسد فى عنقها الى شفير جهنم ثم يرمى بها الى قعرها هكذا أبدا وقولهم ان المسد هو حبل الدلو فى العرف صحيح فانا لم نجده فى كلام العرب الا كذلك كقول الذبيانى * له صريف صريف القعو بالمسد * وقال الآخر وهو يستقى على ابله

يا مسد الحوض تعوذمنى * ان تك لدنا لينا فانى

* ماشئت من أشمط مكسين *

وقال آخر

يارب عبس لاتبارك فى أحد * فى قائم منهم ولا فيمن قعد

* غير الاولى شدوا باطراف المسد *

أى استقوا وقال آخر وهو يستقى

ومسد أمر من أيانق * ليس بانياب ولا حقائق

يريد جمع أينق وأينق جمع ناقة مقلوب وأصله انوق فقلب وأبدلت الواو ياء لانها قد أبدلت ياء للكسرة اذا قالوا نياق وقلبوه فرارا من اجتماع همزتين لو قالوا أنوق على الاصل يريد أن المسد من جلودها وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى المدينة قد حرمتها الا لعصفور قتب أو مسد محالة والمحالة البكرة وفى حديث آخر انه حرمها بريدا فى بريد الا المنجدة أو مسد والمنجدة عصى الراعى وقال أبو حنيفة فى النبات كل مسد رشاء وأنشد

وبكرة ومحوراً صراراً * ومسدا من أبق مغاراً

والابق القنب والزير الكتان وأنشد أيضا

أنزعها عطيا ومثا * بالمسد المثلوث أو يرمثا

فقد بان لك بهذا أن المسد حبل البئر وقد جاء فى صفة جهنم أعاذنا الله منها انها كطى البئر لها قرنان والقرنان من البئر كالدعامتين للبكرة فقد بان لك بهذا كله ماذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعاذنا الله من عذابه وأليم عقابه وبهذا تناسب الكلام وكثرت معانيه وتنزه عن أن يكون فيه حشو أو لغو تعالى الله منزله فانه كتاب عزيز وقول مجاهد انها السلسلة التى ذرعها سبعون ذراعا لا ينفى ما تقدم اذ يجوز أن يريق فى تلك السلسلة أم جميل وغيرها فقد قال أبو الدرداء لامرأته يا أم الدرداء ان لله سلسلة تغلى بها مراجل جهنم منذ خلق الله النار الى يوم القيامة وقد نجاك الله من نصفها بالايمان بالله فاجتهد فى النجاة من النصف الآخر بالحض على طعام المساكين وكذلك قول مجاهد انها كانت تمشى بالنمائم لا ينفى حملها للشرك وهو فى كلام العرب سائغ أيضاً فقد قال ابن الاسلت لقريش حين اختلفوا

وفيمن نصب لعداوته منهم فمنهم من سمى لنا ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامة من ذكر الله من الكفار فكان ممن سمى لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب وانما سماها الله تعالى حمالة الحطب لانها كانت فيما بلغنى تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر فانزل الله تعالى فيهما تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد

ونبئتكم شرجين كل قبيلة * لها زمل من بين مذك وحاطب

فالمذكى الذى يذكى نار العداوة والحاطب الذى ينم ويغرى كالمحتطب للنار ومن هذا المعنى وكانه منتزع منه قول النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات والقتات هو الذى يجمع القت وهو ما يوقد به النار من حشيش وحطب صغار * وقوله فى جيدها ولم يقل فى عنقها والمعروف أن يذكر العنق اذا ذكر الغل أو الصفع كما قال تعالى « انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا » ويذكر الجيد اذا ذكر الحلى أو الحسن فانما احسن ههنا ذكر الجيد فى حكم البلاغة لانها امرأة والنساء تحلى أجيادهن وأم جميل لا حلى لها فى الآخرة الا الحبل المجعول فى عنقها فلما أقيم لها ذلك مقام الحلى ذكر الجيد معه فتأمله فانه معنى لطيف ألا ترى الى قول الاعشى

* يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد * ولم يقل عن عنق وقول الآخر * وأحسن من عقد المليحة جيدها * ولم يقل عنقها ولو قاله لكان غثا من الكلام فانما يحسن ذكر الجيد حيث قلنا وينظر الى هذا المعنى قوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » أى لا بشرى لهم الا ذلك وقول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع * أى لا تحية لهم كذلك قوله فى جيدها حبل من مسد أى ليس ثم جيد يحلى انما هو حبل المسد وانظر كيف قال وامرأته ولم يقل وزوجه لانها ليست بزوج له فى الآخرة ولان التزويج حلية شرعية وهو من أمر الدين يجردها من هذه الصفة كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط فلم يقال زوج نوح وقد قال لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وقال لنبيه عليه السلام قل لازواجك وقال وأزواجه أمهاتهم الا أن يكون مساق الكلام فى ذكر الولادة والحمل ونحو ذلك فيكون حينئذ لفظ المرأة لائقا بذلك الموطن كقوله تعالى « وكانت امرأتى عاقرا . فاقبلت امرأته فى صرة » لان الصفة التى هى الانوثة هى المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجا

﴿ فصل ﴾ وأنشدنا هذا على الجيد قول الاعشى

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد أسيل تزينه الاطواق

وقوله تزينه أى تزيده حسنا وهذا من القصد فى الكلام وقد أبى المولدون الا الغلو فى هذا المعنى وأن يغلبوه فقال فى الحماسة حسين بن مطير

مبتلة الاطراف زانت عقودها * باحسن مما زينتها عقودها

وقال خالد القسرى لعمر بن عبد العزيز من تكن الخلافة زينته فانت زينتها ومن تكن شرفته فانت شرفتها وأنت كما قال

وتزيدين أطيب الطيب طيبا * ان تمسيه أين مثلك أينا

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر ان صاحبكم اعطى مقولا ولم يعط معقولا ﴿ قال المؤلف ﴾ وانما لم يحسن هذا من خالد لما قصد به التملق والا فقد صدر مثل هذا المعنى عن الصديق فحسن لما عضده من التحقيق والتحرى للحق والبعد عن الملق والخلابة وذلك حين عهد الى عمر بالخلافة ودفع اليه عهده مختوما وهو لا يعرف ما فيه فلما عرف ما فيه رجع اليه حزينا كهيئة الثكلى يقول حملتنى عبئا لا اضطلع به وأوردتنى موردا لا أدرى كيف الصدر عنه فقال له الصديق ما آثرتك بها ولكنى آثرتها بك وما قصدت مساءتك ولكن رجوت ادخال السرور على المؤمنين بك ومن ههنا أخذ الحطيئة قوله

ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم كانت بها الاثر

«قال ابن هشام» الجيد العنق قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة

يوم تبدى لنا قتيلة عن جـ* ـيد أسيل تزينه الاطواق

وهذا البيت فى قصيدة له وجمعه أجياد والمسد شجر يدق كما يدق الكتان فيفتل منه حبال قال النابغة الذبيانى واسمه زياد بن عمرو بن معاوية

مقذوفة بدخيس النحض بازلها * له صريف صريف القعو بالمسد

وهذا البيت فى قصيدة له وواحدته مسدة

* قال ابن اسحق فذكر لى ان أم جميل حمالة الحطب حين سمعت مانزل فيها وفى زوجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا أبا بكر فقالت يا أبا بكر أين صاحبك قد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه أما والله انى لشاعرة فقالت

مذمما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا

ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك فقال ما رأتنى لقد أخذ الله ببصرها عنى « قال ابن هشام » قولها ودينه قلينا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وكانت قريش انما تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون لما صرف الله عنى من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد * وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح كان اذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه فأنزل الله تعالى فيه ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده الى آخر السورة كلها « قال ابن هشام » والهمزة الذى يشتم الرجل علانية ويكسر عينه عليه ويغمز به قال حسان ابن ثابت

همزتك فاختضعت لذل نفس * بقافيه تأجج كالشواظ

وهذا البيت فى قصيدة له وجمعه همزات واللمزة الذى يعيب الناس سرا ويؤذيهم قال رؤبة بن العجاج *فى ظل عصرى باطلى ولمزى* وهذا البيت فى ارجوزة له وجمعه لمزات * قال بن اسحق والعاص بن وائل السهمى كان خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قينا بمكة يعمل السيوف وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له حتى اذا كان له عليه مال فجاء يتقاضاه فقال له يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذى أنت على دينه ان فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم قال خباب بلى قال فانظرنى الى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فاقضيك هنالك حقك فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله منى ولا أعظم حظا فى ذلك فانزل الله تعالى فيه أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الى قوله تعالى ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ولقى أبو جهل بن هشام لعنه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى فقال له والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذى تعبد فانزل الله تعالى عليه فيه ولا تسبوا الذين يدعون

وقد سبك هذا المعنى فى النسيب عبد الله بن عباس الرومى فقال

وأحسن من عقد المليحة جيدها * وأحسن من سربالها المتجرد

ومما هو دون الغلو وفوق التقصير قول الرضى

حليه جيده لا ما يقلده * وكحله ما بعينيه من الكحل

ونحو منه ما أنشده الثعالبى

وما الحلى الا حيلة من نقيصة * يتمم من حسن اذا الحسن قصرا
فاما اذا كان الجمال موفرا * فحسبك لم يحتج الى أن يزورا

وسمعت القاضى أبا بكر محمد بن العربى يقول حج أبو الفضل الجوهرى الزاهد ذات مرة فلما أشرف على الكعبة ورأى ما عليها من الديباج تمثل وقال

ماعلق الحلى على صدرها * الا لما يخشى من العين
تقول والدر على نحرها * من علق الشين على الزين

وبيت الاعشى المتقدم بعده

وشنيب كالاقحوان جلاه الطل فيه عذوبة واتساق
وأثيث جثل النبات ترويه لعوب غريرة مفتاق
حرة طفلة الانامل كالدمية لا عانس ولا مهراق

وذكر قول أم جميل لابى بكر لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا الفهر المعروف فى الفهر التأنيث وتصغيره فهيرة ووقع ههنا مذكرا * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم ألا ترون الى ما يدفع الله عنى من أذى قريش يشتمون ويهجون مذمما وأنا محمد وأدخل النسوى هذا الحديث فى كتاب الطلاق فى باب من طلق بكلام لا يشبه الطلاق فانه غير لازم وهو فقه حسن لقول النبى صلى الله عليه وسلم ألا ترون الى ما يدفع الله عنى فجعل أذاهم مصروفا عنه لما سبوا مذمما ومذمما لا يشبه أن يكون اسما له فكذلك اذا قال لها كلى واشربى وأراد به الطلاق لم يلزمه وكان مصروفا عنه لان مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث خباب مع العاصى بن وائل وما أنزل الله فيه من قوله « أرأيت الذى كفر بآياتنا » وقد تقدم الكلام على أرأيت وانه لا يجوز أن يليها الاستفهام كما يلى علمت ونحوها وهى ههنا عاملة فى الذى كفر وقد قدمنا من القول فيها ما يغنى عن اعادته ههنا فلينظر فى سورة اقرأ وحديث نزولها

﴿ فصل ﴾ وذكر قول أبى جهل لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك فانزل الله تعالى « ولا تسبوا الذين

يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله * والنضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فدعا فيه الى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر قريشا ما أصاب الامم الخالية خلفه فى مجلسه اذا قام فحدثهم عن رستم الشديد وعن اسفنديار وملوك فارس ثم يقول والله ما محمد باحسن حديثا منى وما حديثه الا أساطير الاولين اكتتبها كما اكتتبتها فأنزل الله فيه وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما ونزل فيه (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) ونزل فيه ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم «قال ابن هشام» الافاك الكذاب وفى كتاب الله تعالى ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقال رؤبة

* مالامرىء أفك قولا أفكا *

وهذا البيت فى ارجوزة له * قال ابن اسحق وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فيما بلغنى مع الوليد بن المغيرة فى المسجد فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم فى المجلس وفى المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون «قال ابن هشام» حصب جهنم كل ما أوقدت به قال أبو ذؤيب الهذلى واسمه خويلد بن خالد

فاطفئ ولا توقد ولا تك محصبا * لنا العداة أن تطير شكاتها

وهذا البيت فى أبيات له ويروى ولا تك محضأ قال الشاعر

حضأت له نارى فأبصرت ضوءها * وما كان لولا حضأت النار يهتدى

* قال ابن اسحق ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد وقد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى ابن مريم فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من احب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده انهم انما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك

يدعون من دون الله» الآية وهذه الآية أصل عند المالكية فى اثبات الذرائع ومراعاتها فى البيوع وكثير من الاحكام وذلك أن سب آلهتهم كان من الدين فلما كان سببا الى سبهم البارى سبحانه نهى عن سب آلهتهم فكذلك ما يخاف منه الذريعة الى الربا ينبغى الزجر عنه ومن الذرائع ما يقرب من الحرام ومنها ما يبعد فتقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك ولم يجعل الشافعى الذريعة الى الحرام أصلا ولا كره شيئا من البيوع التى تتقى فيها الذريعة الى الربا وقال تهمة المسلم وسوء الظن به حرام ومن حجتهم قول عمر بن الخطاب انما الربا على من قصد الربا وقول النبى عليه السلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى فيه أيضا متعلق لهم وقالوا ونهيه تعالى عن سب آلهتهم لئلا يسب الله تعالى ليس من هذا الباب لانه لا تهمة فيه لمؤمن ولا تضييق عليه وكما تتقى الذريعة الى تحليل ما حرم الله فكذلك ينبغى أن يتقى تحريم ما أحل الله فكلا الطرفين ذميم وأحل الله البيع وحرم الربا والربا معلوم فما ليس من الربا فهو من البيع والكلام فى هذه المسئلة للطائفتين والاحتجاج للفريقين يتسع مجاله ويصدنا عن مقصودنا من الكتاب

﴿فصل﴾ حديث النضر بن الحارث وقال فى نسبه كلدة بن علقمة وغيره من النساب يقول علقمة بن كلدة وكذلك ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر عن أبى الوليد وحديث النضر انه تعلم أخبار رستم واسبنديار وكان يقول اكتتبها كما اكتتبها محمد ووقع فى الاصل اكتتبها كما اكتتبها محمد وفى الرواية الاخرى عن أبى الوليد اكتتبها كما اكتتبها ورستم الشيد بالفارسية معناه ذو الضياء والياء فى الشيد والالف سواء ومنه ارفخشاذ وقد تقدم شرحه ومنه جمشاذ وهو من أول ملوك الارض وهو الذى قتله الضحاك بيوراسب ثم عاش الى مدة أفريذون وابيه جم وبين افريذون وبين جم تسعة آباء وقال له حين قتله ماقتلتك بجم وما أنت له بكفء ولكن قتلتك بثور كان فى داره وقد تقدم طرف من أخبار رستم واسبنديار فى الجزء قبل هذا * وذكر حديث ابن الزبعرى وقوله انا نعبد الملائكة وان النصارى تعبد المسيح الى آخر كلامه وما أنزل الله فى ذلك من قوله تعالى «ان الذين سبقت لهم منا الحسنى» الآية ﴿قال المؤلف﴾ ولو تامل ابن الزبعرى وغيره من كفار قريش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين (أحدهما) انه خطاب متوجه على الخصوص لقريش وعبدة الاصنام وقوله انا نعبد الملائكة حيدة وانما وقع الكلام

ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون أى عيسى بن مريم وعزير ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكرون انهم يعبدون الملائكة وانها بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون الى قوله ومن يقل منهم انى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم انه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون أى يصدون عن أمرك بذلك من قوله ثم ذكر عيسى ابن مريم فقال ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترون بها أى ما وضعت على يديه من الآيات من احياء الموتى وابراء الاسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول فلا تمترون بها واتبعون هذا صراط مستقيم

* والاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى حليف بنى زهرة وكان من أشراف القوم وممن يسمع منه فكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد عليه فانزل الله تعالى فيه ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الى قوله تعالى زنيم ولم يقل زنيم لعيب فى نسبه لان الله لا يعيب أحدا بنسب ولكنه حقق بذلك نعته ليعرف والزنيم العديد للقوم وقد قال الخطيم التميمى فى الجاهلية

زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد فى عرض الاديم الاكارع

والوليد بن المغيرة فقال أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف فنحن عظيما القريتين فأنزل الله تعالى فيه فيما بلغنى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الى قوله تعالى مما يجمعون * وأبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وعقبة بن أبى معيط وكانا متصافيين حسنا ما بينهما فكان عقبة قد جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه فبلغ ذلك ابيا فأتى عقبة فقال ألم يبلغنى انك جالست محمدا وسمعت منه ثم قال وجهى من وجهك حرام أن أكلمك واستغلظ له من اليمين ان انت جلست اليه أو سمعت منه أو لم تأته فتتفل فى وجهه ففعل من ذلك عدو الله عقبة بن أبى معيط لعنه الله فأنزل الله تعالى فيهما ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا الى قوله تعالى للانسان خذولا ومشى أبى بن خلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم بال قد ارفت فقال يا محمد أنت تزعم ان الله يبعث هذا بعد ما أرم ثم فته بيده ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله واياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك الله النار فانزل الله تعالى فيه وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق

والمحاجة فى اللات والعزى وهبل وغير ذلك من أصنامهم (والثانى) أن لفظ التلاوة «انكم وما تعبدون» ولم يقل ومن تعبدون فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعزير والملائكة وهم يعقلون والاصنام لا تعقل ومن ثم جاءت الآية بلفظ ما الواقعة على مالا يعقل وانما تقع ما على ما يعقل وتعلم بقرينة من التعظيم والابهام ولعلنا نشرحها ونبينها فيما بعد ان قدر لنا ذلك وسبب عبادة النصارى للمسيح معروف وأما عبادة اليهود عزيرا وقولهم فيه انه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم وسببه فيما ذكر عبد بن حميد الكشى ان التوراة لما احترقت أيام بخت نصر وذهب بذهابها دين اليهود فلما ثاب اليهم أمرهم وجدوا لفقدها أعظم الكرب فبينما عزير يبكى لفقد التوراة اذ مر بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعرها فقال لها عزير من أنت قالت انا ايليا ام القرى أبكى على ولدى وأنت تبكى على كتابك وقالت له اذا كان غدا فات هذا المكان فلما ان جاء من الغد للساعة التى وعدته اذا هو بانسان خارج من الارض فى يده كهيئة القارورة فيها نور فقال له افتح فاك فألقاها فى جوفه فكتب عزير التوراة كما أنزلها الله ثم قدر على التوراة بعدما كانت دفنت ان ظهرت فعرضت التوراة وما كان عزير كتب فوجدوه سواء فنها قالوا انه ولد الله تعالى عن ذلك * وقوله حصب جهنم هو من باب القبض والنفض والحصب بسكون الصاد كالقبض والنفض ومنه الحاصب فى قوله سبحانه «ان يرسل عليكم حاصبا» ويروى حضب جهنم بضاد معجمة فى شواذ القراآت وهو من حضبت النار بمنزلة حضأتها ويقال ارثتها واثقبتها وحششتها وأذكيتها وفسر ابن اسحق قوله يصدون ومن قرأ يصدون فمعناه يعجبون

﴿ فصل ﴾ وذكر ما انزل الله تعالى فى الاخنس بن شريق واسمه ابى من قوله تعالى «عتل بعد ذلك زنيم» وقد قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقد قيل فى الاسود بن عبد يغوث الزهرى وقال ابن عباس نزلت فى رجل من قريش له زنمتان كزنمتى الشاة رواه البخارى باسناده عنه وفى رواية اخرى انه قال الزنيم الذى له زنمتان من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها وروى عن ابن عباس ايضا مثل ما قال ابن اسحق ان الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم قال ذلك لنافع بن الازرق الحرورى وقال اما سمعت قول حسان زنيم تراعاه الرجال البيت وقد انشد ابن هشام هذا البيت مستشهدا به ونسبه للخطيم التميمى والاعرف انه لحسان

لحسان كما قال ابن عباس واما العتل فهو الغليظ الجافى من قوله تعالى «خذوه فاعتلوه» وقال عليه السلام انا انبئكم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر جماع مناع

﴿ فصل ﴾ وذكر قولهم الذى انزل الله فيه «قل ياايها الكافرون» الى آخرها فقال «لا اعبد ما تعبدون» أى فى الحال ولا أنا عابد ما عبدتم أى فى المستقبل وكذلك ولا أنتم عابدون ما أعبد (فان قيل) كيف يقول لهم ولا أنتم عابدون ما أعبد وهم قد قالوا هلم فلنعبد ربك وتعبد ربنا كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا عليه (فالجواب) من وجهين أحدهما انه علم انهم لا يفعلون فاخبر بما علم الثانى انهم لو عبدوه على الوجه الذى قالوه ما كانت عبادة ولا يسمى عابد الله من عبده سنة وعبد غيره أخرى (فان قيل) كيف قال ولا أنتم عابدون ما أعبد ولم يقل من أعبد وقد قال أهل العربية ان ما تقع على ما لا يعقل فكيف عبر بها عن البارى تعالى (فالجواب) انا قد ذكرنا فيما قبل ان ما قد تقع على من يعقل بقرينة فهذا أوان ذكرها وتلك القرينة الابهام والمبالغة فى التعظيم والتفخيم وهى فى معنى الابهام لان من جلت عظمته حتى خرجت عن الحصر وعجزت الافهام عن كنه ذاته وجب أن يقال فيه هو ماهو كقول العرب سبحان ما سبح الرعد بحمده ومنه قوله «والسماء وما بناها» فليس كونه عالما مما يوجب له من التعظيم ما يوجب له انه بنى السموات ودحى الارض فكان المعنى ان شيئاً بناها لعظيم أو ما أعظمه من شىء فلفظ ما فى هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمته كائنا ما كان هذا الفاعل لهذا فما أعظمه وكذلك قوله تعالى فى قصة آدم «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى» ولم يقل لمن خلقت وهو يعقل لان السجود لم يجب له من حيث كان يعقل ولا من حيث كان لا يعقل ولكن من حيث أمروا بالسجود له فكائناً ما كان ذلك المخلوق فقد وجب عليهم ما أمروا به فمن هاهنا حسنت ما فى هذا الموضع لا من جهة التعظيم له ولكن من جهة ما يقتضيه الامر من السجود له فكائنا من كان وأما قوله تعالى «لا أعبد ما تعبدون» فواقعة على ما لا يعقل لانهم كانوا يعبدون الاصنام وقوله «ولا أنتم عابدون ما أعبد» اقتضاها الابهام وتعظيم المعبود مع أن الحسن منهم مانع لهم أن يعبدوا معبوده كائنا ما كان فحسنت ما فى هذا الموضع لهذه الوجوه فبهذه القرائن يحسن وقوع ما على أولى العلم وبقيت نكتة بديعة يتعين التنبيه عليها وهو قوله تعالى «ولا أنا عابد ما عبدتم» بلفظ الماضى ثم قال «ولا أنتم عابدون ما أعبد» بلفظ المضارع فى الآيتين جميعاً اذا أخبر عن نفسه قال ما أعبد ولم يقل ما عبدت والنكتة فى ذلك ان ما المافيها من الابهام وان كانت خبرية تعطى معنى الشرط فكانه قال مهما عبدتم شيئا فانى لا أعبده والشرط يحول المستقبل الى لفظ الماضى تقول اذا قام زيد غداً فعلت كذا وان خرج زيد غداً خرجت فما فيها رائحة الشرط من أجل ابهامها فلذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضى ولا يدخل الشرط على فعل الحال ولذلك قال فى أول السورة ما تعبدون لانه حال لان رائحة الشرط معدومة فيها مع الحال وكذلك رائحة الشرط معدومة فى قوله عابدون ما أعبد لانه عليه السلام يستحيل أن يتحول عن عبادة ربه لانه معصوم فلم يستقم تقديره بهما كما استقام ذلك فى حقهم لانهم فى قبضة الشيطان يقودهم باهوائهم فجائز ان يعبدوا اليوم شيئا ويعبدوا غداً غيره ولكن مهما عبدوا شيئا فالرسول عليه السلام لا يعبده فلذلك قال ولا أنتم عابدون ما أعبد فى الحال وفى المآل لما علم من عصمة الله له ولما علم الله من ثباته على توحيده فلا مدخل لمعنى الشرط فى حقه عليه السلام واذا لم يدخل الشرط فى الكلام بقى الفعل المستقبل على لفظه كما تراه ونظير هذه المسئلة قوله تعالى «كيف نكلم من كان فى المهد صبيا» اضطرب بوافى اعرابها وتقديرها لما كانت من بمعنى الذى وجاء بكان على لفظ الماضى وفهمها الزجاج فاشار الى أن من فيها طرف من معنى الشرط ولذلك جاءت كان بلفظ

عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون * واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة فيما بلغنى الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص ابن وائل السهمى وكانوا ذوى أسنان فى قومهم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت فى الأمر فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فانزل الله تعالى فيهم قل ياايها الكافرون لا أعبد ما تعبدون السورة كلها أى ان كنتم لا تعبدون الا الله الا أن أعبد ما تعبدون فلا حاجة لى بذلك منكم لكم دينكم جميعا ولى دين

وأبو جهل بن هشام لما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفا بها لهم قال يامعشر قريش هل تدرون ماشجرة الزقوم التى يخوفكم بها محمد قالوا لا قال عجوة يثرب بالزبد والله لئن استمكننا منها لنتزقمنها تزقما فانزل الله تعالى فيه ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل تغلى فى البطون كغلى الحميم أى ليس كما يقول «قال ابن هشام» المهل كل شئ أذبته من نحاس أو رصاص أوما أشبه ذلك فيما أخبرنى أبو عبيدة و بلغنا عن الحسن ابن ابى الحسن انه قال كان عبد الله بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة وانه أمر يوما بفضة فاذيبت فجعلت تلون ألوانا فقال هل بالباب من أحد قالوا نعم قال فادخلوهم فادخلوا فقال ان أدنى ما أنتم راؤون شبها بالمهل لهذا وقال الشاعر

يسقيه ربى حميم المهل يجرعه * يشوى الوجوه فهو فى بطنه صهر

وقال عبد الله بن الزبير الاسدى

فمن عاش منهم عاش عبدا وان يمت * ففى النار يسقى مهلها وصديدها

وهذا البيت فى قصيدة له و يقال ان المهل صديد الجسد بلغنا ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما حضر أمر بثوبين لبيسين يغسلان فيكفن فيهما فقالت له عائشة قد أغناك الله ياأبت عنهما فاشتر كفنا فقال انما هى ساعة حتى يصير الى المهل قال الشاعر

شاب بالماء منه مهلا كريها * ثم علّ المتون بعد النهال

* قال ابن اسحق فانزل الله تعالى فيه والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه وقد طمع فى اسلامه فبينا هو فى ذلك اذ مر به ابن أم مكتوم الاعمى فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن فشق ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضجره وذلك انه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من اسلامه فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا وتركه فانزل الله تعالى فيه عبس وتولى أن جاءه الاعمى الى قوله تعالى فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة أى انما بعثتك بشيرا ونذيرا لم أخص بك أحدا دون أحد فلا تمنعه ممن ابتغاه ولا تتصدق به لمن لا يريده «قال ابن هشام» ابن أم مكتوم أحد بنى عامر بن لؤى واسمه عبد الله و يقال عمرو *

فصل

المضى بعده فصار معنى الكلام من يكن صبيا فكيف يكلم لما أشارت الى الصبى أن كلموه ولو قالوا كيف نكلم من هو فى المهد الآن لكان الانكار والتعجب مخصوصا به فلما قالوا كيف نكلم من كان صار الكلام أبلغ فى الاحتجاج للعموم الداخل فيه الى هذا الغرض أشار أبو اسحاق وهو الذى أراد وان لم يكن هذا لفظه فليس المقصود العبارات وانما المقصود تصحيح المعانى المتلقاة من الالفاظ والاشارات

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث أبى جهل حين ذكر شجرة الزقوم يقال ان هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش وان رجلا أخبره ان أهل يثرب يقولون تزقمت اذا أكلت التمر بالزبد فجعل بجهله اسم الزقوم من ذلك استهزاء وقيل ان لهذا الاسم أصلا فى لغة اليمن وان الزقوم عندهم كل ما يتقيأ منه وذكر أبو حنيفة فى النبات أن شجرة باليمن يقال لها الزقوم لا ورق لها وفروعها أشبه شئ برؤس الحيات فهى كريهة المنظر وفى تفسير ابن سلام والماوردى أن شجرة الزقوم فى الباب السادس من جهنم اعاذنا الله منها وان أهل النار ينحدرون اليها قال ابن سلام وهى تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر * وقوله الملعونة فى القرآن أى الملعون آكلها وقيل بل هو وصف لها كما يقال يوم ملعون أى مشؤم

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ابن أم مكتوم وذكر اسمه ونسبه وأم مكتوم اسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم * وذكر الرجل الذى كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الوليد بن المغيرة وقد قيل كان أمية بن خلف وفى حديث الموطأ عظيم من عظماء المشركين ولم يسمه وفى قوله سبحانه «أن جاءه الاعمى» من الفقه أن لا غيبة فى ذكر الانسان بما ظهر فى خلقته من عمى أو عرج الا أن يقصد به الازدراء فيلحق المأثم به لانه من أفعال الجاهلين قال الله تعالى «أتتخذنا هزؤا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» وفى ذكره اياه بالعمى من الحكمة والاشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب لانه قال «أن جاءه الاعمى» فذكر المجىء مع العمى وذلك ينبئ عن تجشم كلفة ومن تجشم القصد اليك على ضعفه فحقك الاقبال عليه لا الاعراض عنه فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم معتوبا على توليه عن الاعمى فغيره أحق بالعتب مع أنه لم يكن آمن بعد الا تراه يقول «وما يدريك لعله يزكى» الآية ولو كان قد صح ايمانه وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أعرض لكان العتب أشد والله أعلم وكذلك لم يكن ليخبر عنه و يسميه بالاسم المشتق من العمى دون الاسم المشتق من الايمان والاسلام لو كان دخل فى الايمان قبل ذلك والله أعلم وانما دخل فيه بعد نزول الآية و يدل على ذلك قوله للنبى صلى الله عليه وسلم استدننى يا محمد ولم يقل استدننى يارسول الله مع أن ظاهر الكلام يدل على ان الهاء فى لعله يزكى عائدة على الاعمى لا على الكافر لانه لم يتقدم له ذكر بعد ولعل تعطى الترجى والانتظار ولو كان ايمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجى والانتظار للتزكى والله أعلم

قال ابن اسحق وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا الى أرض الحبشة اسلام أهل مكة فاقبلوا لما بلغهم من ذلك حتى اذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل منهم أحد الا بجوار أو مستخفيا فكان ممن قدم عليه مكة منهم فاقام بها حتى هاجر الى المدينة فشهد معه بدرا ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ومن مات بمكة * منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصى عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل * ومن حلفائهم عبد الله بن جحش بن رئاب ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان حليف لهم من قيس غيلان * ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد * ومن بنى عبد الدار بن قصى مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف * وسويبط بن سعد بن حريملة * ومن بنى عبد بن قصى طليب بن عمير بن وهب بن أبى كبير بن عبد ومن بنى زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة * والمقداد بن عمرو حليف لهم * وعبد الله بن مسعود حليف لهم * ومن بنى مخزوم بن يقظة أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت ابى أمية بن المغيرة * وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمى بن عامر بن مخزوم * وسلمة بن هشام بن المغيرة حبسه عمه بمكة فلم يقدم الا بعد بدر واحد والخندق * وعياش بن ابى ربيعة بن المغيرة هاجر معه الى المدينة ولحق به أخواه لامه ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام فرجعا به الى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق * ومن حلفائهم عمار بن ياسر يشك فيه أكان خرج الى الحبشة أم لا * ومعتب ابن عوف بن عامر من خزاعة * ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح * وابنه السائب بن عثمان وقدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون * ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى * وهشام بن العاص بن وائل حبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق * ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى عامر بن ربيعة حليف لهم معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن غانم * ومن نى عامر بن لؤى عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبى قيس * وعبد الله بن سهيل ابن عمرو وكان حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر الى المدينة حتى كان يوم بدر فانحاز من المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معه بدرا * وأبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو * والسكران بن عمرو بن عبد شمس معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس مات بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سودة بنت زمعة * ومن حلفائهم سعد بن خولة * ومن بنى الحرث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح وهو عامر بن عبد الله بن الجراح * وعمرو بن الحرث بن زهير بن أبى شداد * وسهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال * وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا وكان من دخل منهم بجوار فيمن سمى لنا عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحى دخل بجوار من الوليد بن المغيرة * وأبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال المخزومى دخل بجوار من أبى طالب بن عبد المطلب وكان خاله وأم أبى سلمة برة بنت عبد المطلب * قال ابن اسحق فاما عثمان بن مظعون فان صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف

﴿ فصل ﴾ وذكر ما بلغ أهل الحبشة من اسلام أهل مكة وكان باطلا وسببه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فالقى الشيطان فى أمنيته أى فى تلاوته عند ذكر اللات والعزى وانهم لهم الغرانقة العلى وان شفاعتهم لترتجى فطار ذلك بمكة فسر المشركون وقالوا قد ذكر آلهتنا بخير فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخرها وسجد المشركون والمسلمون ثم أنزل الله تعالى « فينسخ الله ما يلقى الشيطان » الآية فمن هاهنا اتصل بهم فى أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا اذكره موسى بن عقبة وابن اسحق من غير رواية البكائى وأهل الاصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ومن صححه قال فيه أقوالا * منها ان الشيطان قال ذلك وأشاعه والرسول عليه السلام لم ينطق به وهذا جيد لولا أن فى حديثهم أن جبريل قال لمحمد ما أتيتك بهذا * ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قالها من قبل نفسه وعنى بها الملائكة ان شفاعتهم لترتجى * ومنها ان النبى عليه السلام قاله حاكيا عن الكفرة وانهم يقولون ذلك فقالها متعجبا من كفرهم والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته والله اعلم وسمى الذين قدموا منهم من أجل ذلك الخبر وذكر فيهم طليبا وقال فى نسبه ابن أبى كبير بن عبد بن قصى وزيادة أبى كبير فى هذا الموضع لا يوافق عليه وكذلك وجدت فى حاشية كتاب الشيخ التنبيه على هذا وذكره أبو عمر ونسبه كما نسبه ابن اسحق بزيادة أبى كبير وكان بدريا فى احدى الروايتين عن ابن اسحق وكذلك قال الواقدى وابن عقبة ومات باجنادين شهيدا لا عقب له

﴿ فصل ﴾ وذكر قول لبيد * ألا كل شىء ما خلا الله باطل * وقصة ابن مظعون الى آخرها وليس

حدثني عمن حدثه عن عثمان قال لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة قال والله ان غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والاذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي فمشى الى الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال له يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي قال لا ولكني أرضى بجوار الله ولا أريد ان أستجير بغيره قال فانطلق الى المسجد فاردد على جواري علانية كما أجرتك علانية قال فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد على جواري قال صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره ثم انصرف وعثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشدهم فجلس معهم عثمان فقال لبيد * الا كل شيء ما خلا الله باطل * قال عثمان صدقت قال * وكل نعيم لا محالة زائل * قال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول قال لبيد بن ربيعة يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما فقام اليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال أما والله يا ابن أخي ان كانت عينك عما أصابها الغنية لقد كنت في ذمة منيعة قال يقول عثمان بل والله ان عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله واني والله لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس فقال له الوليد هلم يا ابن أخي ان شئت الى جوارك فعد فقال لا * قال ابن اسحق وأما أبو سلمة بن عبد الاسد فحدثني أبي اسحق بن يسار عن سلمة بن عبد الله ابن عمر بن أبي سلمة انه حدثه ان ابا سلمة لما استجار بابي طالب مشى اليه رجال بني مخزوم فقالوا يا اباطالب هذا منعت منا ابن أخيك محمدا فمالك ولصاحبنا تمنعه منا قال انه استجار بي وهو ابن أختي وان أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي فقام أبو لهب فقال يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما اراد قال فقالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة وكان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فابقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب يحرض أبو لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان امرأ أبو عتيبة عمه * لفي روضة ما ان يسام المظالما أقول له وأين منه نصيحتي * أبا معتب ثبت سوادك قائما
فلا تقبلن الدهر ما عشت خطة * تسب بها اما هبطت المواسما وول سبيل العجز غيرك منهم * فانك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فان الحرب نصف ماترى * أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما * وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة *
ولم يخذلوك غانما أو مغارما * جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما
بتفريقهم من بعد ود والفة * جماعتنا كيما ينال المحارما كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما تروا يوما لدى الشعب قائما

فهاما يشكل غير سؤال واحد وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد * الا كل شيء ما خلا الله باطل * فصدقه في هذا القول وهو عليه السلام يقول في مناجاته أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق والجنة حق والنار حق ولقاؤك حق فكيف يجتمع هذا مع قوله * الا كل شيء ما خلا الله باطل * فالجواب من وجهين أحدهما أن يريد بقوله ما خلا الله ما عداه وعدى رحمته التي وعد بها من رحمه والنار وما توعد به من عقابه وما سوى هذا فباطل أى مضمحل ﴿والجواب الثاني﴾ أن الجنة والنار وان كانتا حقا فان الزوال عليهما جائز لذاتهما وانما يبقيان بابقاء الله لهما وانه يخلق الدوام لاهلهما على قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائداً على الذات وهو قول الاشعري وانما الحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال وهو القديم الذي انعدامه محال ولذلك قال عليه السلام أنت الحق بالالف واللام أى المستحق لهذا الاسم على الحقيقة وقولك الحق لان قوله قديم وليس بمخلوق فيبيد ووعدك الحق كذلك لان وعده كلامه هذا مقتضى الالف واللام ثم قال والجنة حق والنار حق بغير ألف ولام ولقاؤك حق كذلك لان هذه أمور محدثات والمحدث لا يجب له البقاء من جهة ذاته وانما علمنا بقاءها من جهة الخبر الصادق الذي لا يجوز عليه الخلف لا من جهة استحالة البقاء عليها كما يستحيل على القديم سبحانه الذي هو الحق وما خلاه باطل فاما جوهر واما عرض وليس في الاعراض الا ما يجب له الفناء ولا في الجواهر الا ما يجوز عليه الفناء والبطول وان بقي ولم يبطل فجائز أن يبطل واما الحق سبحانه فليس من قبيل الجواهر والاعراض فاستحال عليه ما يجب لهما أو يجوز عليهما

فصل

«قال ابن هشام» نبزى نسلاب «قال ابن هشام» بقى منها بيت تركناه * قال ابن اسحق وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الاذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فاذن له فخرج أبو بكر مهاجرا حتى اذا سار من مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة أخو بنى الحرث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الاحابيش * قال ابن اسحق والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناة بن كنانة والهون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة «قال ابن هشام» تحالفوا جميعا فسموا الاحابيش للحلف ويقال ابن الدغينة * قال ابن اسحق وحدثنى الزهرى عن عروة عن عائشة قالت فقال ابن الدغنة أين يا أبا بكر قال اخرجنى قومى وآذونى وضيقوا على قال ولم فوالله انك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدم ارجع وأنت فى جوارى فرجع معه حتى اذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال يامعشر قريش انى قد أجرت ابن أبى قحافة فلا يعرضن له أحد الا بخير قالت فكفوا عنه قالت وكان لابى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جمح فكان يصلى فيه وكان رجلا رقيقا اذا قرأ القرآن استبكى قالت فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته قالت فمشى رجال من قريش الى ابن الدغنة فقالوا يا ابن الدغنة انك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا انه رجل اذا صلى وقرأ ماجاء به محمد يرق ويبكى وكانت له هيئة ونحو فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا ان يفتنهم فأته فمره ان يدخل بيته فليصنع فيه ماشاء قالت فمشى ابن الدغنة اليه فقال له يا أبا بكر انى لم أجرك لتؤذى قومك انهم قد كرهوا مكانك الذى أنت به وتأذوا بذلك منك فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت قال أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله قال فاردد على جوارى قال قد رددته عليك قال فقام ابن الدغنة فقال يامعشر قريش ان ابن أبى قحافة قد رد على جوارى فشأنكم بصاحبكم * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد قال لقيه سفيه من سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثا على رأسه ترابا قال فمر بابى بكر الوليد بن المغيرة أو العاص ابن وائل قال فقال أبو بكر ألا ترى الى ما يصنع هذا السفيه قال أنت فعلت ذلك بنفسك قال وهو يقول أى رب ما أحلمك أى رب ما أحلمك أى رب ما أحلمك

«فصل» وذكر حديث أبى بكر حين لقى ابن الدغنة واسمه مالك وهو سيد الاحابيش وقد سماهم ابن اسحق وهم بنو الحارث وبنو الهون من كنانة وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا أى تجمعوا فسموا الاحابيش وقيل انهم تحالفوا عند جبيل يقال له حبشى فاشتق لهم منه هذا الاسم * وقوله لابى بكر انك لتكسب المعدوم يقال كسبت الرجل مالا فتعديه الى مفعولين هذا قول الاصمعى وحكى غيره أكسبته مالا فمعنى تكسب المعدوم أى تكسب غيرك ما هو معدوم عنده والدغنة اسم امرأة عرف بها الرجل والدغن الغيم يبقى بعد المطر

«فصل» وذكر نقض الصحيفة وقيام هشام فيها ونسبه فقال هشام بن الحارث بن حبيب وفى الحاشية عن أبى الوليد انما هو هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث وهكذا وقع نسبه فى رواية يونس عن ابن اسحق وكان أبوه عمرو أخا نضلة بن هاشم لامه * وذكر أنه كان يأتى بالبعير قد أوقره

«حديث نقض الصحيفة»

* قال ابن اسحق وبنو هاشم وبنو المطلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوا ثم انه قام فى نقض تلك الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب نفر من قريش ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هاشم بن عمرو بن ربيعة بن الحرث بن خبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى وذلك انه كان ابن أخى نضلة بن هاشم بن عبد مناف لامه وكان هاشم لبنى هشام واصلا وكان ذا شرف فى قومه فكان فيما بلغنى يأتى بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب ليلا قد أوقره طعاما حتى اذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ثم يأتى به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك * قال ابن اسحق ثم انه مشى الى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يازهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء واخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح اليهم أما انى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته الى مادعاك اليه منهم ما أجابك اليك أبدا قال ويحك ياهشام فماذا أصنع انما أنا رجل واحد والله أن لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها حتى أنقضها قال قد وجدت رجلا قال من هو قال انا قال له زهير أبغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدى فقال له يامطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنها اليها منكم سراعا قال ويحك فما أصنع انما أنا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قال أنا قال أبغنا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قال زهير بن أبى أمية قال أبغنا رابعا فذهب الى ابى البخترى بن هشام فقال له نحوا مما قال لمطعم بن عدى فقال

وهل من أحد يعين على هذا قال نعم قال من هو قال زهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى وأنا معك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال له وهل على هذا الامر الذى تدعونى اليه من أحد قال نعم ثم سمى له القوم فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك فاجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير بن أبى أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة قال أبو جهل وكان فى ناحية المسجد كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الاسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابها حيث كتبت قال أبو البخترى صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به قال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك قال أبو جهل هذا أمر قضى بليل تشور فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا باسمك اللهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون « قال ابن هشام » وقد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى طالب يا عم ان الله قد سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته فيها ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج الى قريش فقال يا معشر قريش ان ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا فهلم صحيفتكم فان كانت كما قال ابن أخى فقال القوم رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادهم ذلك شرا فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا * قال ابن اسحق فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا فى نقضها يمدحهم

بزا بالزاى المعجمة وفى غير نسخة الشيخ أبى بحر برا وفى رواية يونس بزا أو برا على الشك من الراوى *وذكر أن منصور بن عكرمة كان كاتب الصحيفة فشلت يده وللنساب من قريش فى كاتب الصحيفة قولان أحدهما ان كاتب الصحيفة هو بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار والقول الثانى انه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بنى عبد الدار أيضا وهو خلاف قول ابن اسحق ولم يذكر الزبير فى كاتب الصحيفة غير هذين القولين والزبيريون أعلم بانساب قومهم * وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب من ضيق الحصار لا يبايعون ولا يناكحون وفى الصحيح انهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر حتى ان أحدهم ليضع كما تضع الشاة وكان فيهم سعد بن أبى وقاص روى انه قال لقد جعت حتى انى وطئت ذات ليلة على شىء رطب فوضعته فى فمى وبلعته وما أدرى ما هو الى الآن وفى رواية يونس ان سعدا قال خرجت ذات ليلة لابول فسمعت قعقعة تحت البول فاذا قطعة من جلد بعير يابسة فاخذتها وغسلتها ثم أحرقتها ثم رضضتها وسففتها بالماء فقويت بها ثلاثا وكانوا اذا قدمت العير مكة يأتى أحدهم السوق ليشترى شيئا من الطعام لعياله فيقوم أبو لهب عدو الله فيقول يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فانا ضامن ان لا خسار عليكم فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يديه شىء يطعمهم به ويغدوا التجار على أبى لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعا وعريا وهذه احدى الشدائد الثلاث التى دل عليها تأويل الغطات الثلاث التى غطه جبريل حين قال له اقرأ قال ما أنا بقارىء وان كان ذلك كان فى اليقظة ولكن مع ذلك له فى مقتضى الحكمة تأويل وايماء وقد تقدمت الاشارة الى هذا قبل والى آخر حديث الصحيفة ليس فيها ما يشكل * وقول أبى طالب الا قد أتى بحرينا يعنى الذين بارض الحبشة نسبهم الى البحر لركوبهم اياه وهكذا وجه النسب اليه وقد قال عليه السلام اذا نشأت بحرية وزعم ابن سيدة فى كتاب المحكم له ان العرب تنسب الى البحر بحرانى على غير قياس وانه من شواذ النسب ونسب هذا القول الى سيبويه والخليل ولم يقله سيبويه قط وانما قال فى شواذ النسب تقول فى بهراء بهرانى وفى صنعاء صنعانى كما تقول بحرانى فى النسب الى البحرين التى هى مدينة وعلى هذا تلقاه جميع النحاة وتأولوه من كلام سيبويه وانما اشتبه على ابن سيدة لقول الخليل فى هذه المسئلة أعنى مسئلة النسب الى البحرين كانهم بنوا البحر على بحران وانما أراد لفظ البحرين الا تراه يقول فى كتاب العين تقول بحرانى فى النسب الى البحرين ولم يذكر النسب الى البحر أصلا للعلم به وانه على القياس جار وفى الغريب المصنف عن اليزيدى انه قال اذا قالوا بحرانى فى النسب الى البحرين ولم يقولوا بحرى ليفرقوا بينه وبين النسب الى البحر وما زال ابن سيدة يعثر فى هذا الكتاب وغيره

يدمى

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا * على نايهم والله بالناس أرود
فيخبرهم ان الصحيفة مزقت * وان كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها افك وسحر مجمع * ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر * فطائرها فى رأسها يتردد
وكانت كفاء وقعة بأثيمة * ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظعن أهل المكتين فيهربوا * فرائصهم من خشية الشر ترعد
ويترك حراث يقلب أمره * أيتهم فيها عند ذاك وينجد
وتصعد بين الاخشبين كتيبة * لها حرج سهم وقوس ومزهد
فمن ينس من حضار مكة عزه * فعزتنا فى بطن مكة أتلد
نشأنا بها والناس فيها قليل * فلم ننفكك نزداد خيرا ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم * اذا جعلت أيدى المفيضين ترعد
جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا * على ملا يهدى لحزم ويرشد
قعودا لذى حطم الحجون كانهم * مقاولة بل هم أعز وأمجد
أعان عليها كل صقر كانه * اذا ما مشى فى رفرف الدرع أحرد
جرىء على جل الخطوب كانه * شهاب بكفى قابس يتوقد
من الاكرمين من لؤى بن غالب * اذا سيم خسفا وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه * على وجهه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد سيد وابن سيد * يحض على مقرى الضيوف ويحشد
ويبنى لابناء العشيرة صالحا * اذا نحن طفنا فى البلاد ويمهد
الظ بهذا الصلح كل مبرأ * عظيم اللواء أمره ثم يحمد
قضوا ما قضوا فى ليلهم ثم أصبحوا * على مهل وسائر الناس رقد
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا * وسر أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الاقوام فى جل أمرنا * وكنا قديما قبلها نتودد
وكنا قديما لا نقر ظلامة * وندرك ما شئنا ولا نتشدد
فيال قصى هل لكم فى نفوسكم * وهل لكم فيما يجىء به غد

يدمى منها الاظل ويدحض دحضات تخرجه الى سبيل من ضل ألا تراه قال فى هذا الباب وذكر بحيرة طبرية فقال هى من أعلام خروج الدجال وان ماءها ييبس عند خروجه والحديث انما جاء فى عين زغر وانما ذكرت بحيرة طبرية فى حديث يأجوج ومأجوج وانهم يشربون ماءها وقال فى الجمار فى غير هذا الكتاب هى التى ترمى بعرفة وهذه هفوة لا تقال وعثرة لعا لها وكم له من هذا اذا تكلم فى النسب وغيره ومن النسب الى البحر قوله عليه السلام لاسماء بنت عميس حين قدمت من أرض الحبشة البحرية الحبشية فهذا مثل قول أبى طالب الا هل اتى بحرينا * وقوله والله بالناس أرود أى ارفق ومنه رويدك أى رفقا جاء بلفظ التصغير لانهم يريدون به تقليلا أى ارفق قليلا وليس له مكبر من لفظه لان المصدر أرواد إلا ان يكون من باب تصغير الترخيم وهو ان تصغير الاسم الذى فيه الزوائد فتحذفها فى التصغير فتقول فى اسود سويد وفى مثل أرواد رويد * وقوله من ليس فيها بقرقر أى ليس بذليل لان القرقر الارض الموطوءة التى لا تمنع سالكها ويجوز ان يريد به ليس بذى هزل لان القرقرة الضحك * وقوله وطائرها فى رأسها يتردد أى حظها من الشؤم والشر وفى التنزيل «ألزمناه طائره فى عنقه» * وقوله لها حدج سهم وقوس ومرهد وجدت فى حاشية كتاب الشيخ مما كتبه عن أبى الوليد الكنانى على هذا البيت لعله حدج بضم الحاء والدال جمع حدج على ما حكى الفارسى وأنشد شاهدا عليه عن ثعلب

* قمنا فانسنا الحمول والحدج *

ونظيره ستر وستر ذكر ذلك عنه ابن سيدة فى محكمه فيكون المعنى ان الذى يقوم لها مقام الحدج سهم وقوس ومرهد الى هنا انتهى ما فى حاشية كتاب الشيخ ﴿قال المؤلف﴾ وفى العين الحدج حسك العبط فيكون الحدج فى البيت مستعارا من هذا أى لها حسك ثم فسره فقال سهم وقوس ومرهد هكذا فى الاصل بالراء وكسر الميم فيحتمل ان يكون مقلوبا من مرهد مفعل من رهد الثوب اذا مزقه ويعنى به رمحا أو سيفا ويحتمل ان يكون غير مقلوب ويكون من الرهيد وهو الناعم أى ينعم صاحبه بالظفر أو ينعم هو بالرى من الدم وفى بعض النسخ مزهد بفتح الميم والزاى فان صحت الرواية به فمعناه مزهد فى الحياة وحرص على الممات والله أعلم * وقوله فيها اذا جعلت ايدى المفيضين ترعد يعنى أيدى المفيضين بالقداح فى الميسر وكان لا يفيض معهم فى الميسر الا سخى ويسمون من لا يدخل معهم فى ذلك البرم وقالت امرأة لبعلها وكان برما بخيلا ورأته يقرن بضعتين فى الاكل أبرما قرونا ويسمونه أيضا الحصور يريد أبو طالب انهم يطعمون اذا بخل الناس والميسر هى الجزور التى تقسم يقال يسرت اذا قسمت هكذا فسره القتبى وأنشد

أقول لهم بالشعب اذ ييسروننى * ألم يأسوا انى ابن فارس زهدم

قال ييسروننى أى يقتسمون مالى ويروى ياسروننى من الاسر * وقوله رفرف الدرع أحرد رفرف الدرع فضولها وقيل فى معنى رفرف خضر فضول الفرش والبسط وهو قول ابن عباس وعن على انها المرافق وعن سعيد بن جبير الرفارف رياض الجنة والاحرد الذى فى مشيه تثاقل وهو من الحرد وهو عيب فى الرجل وفيه * هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا * سهل هذا هو ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة

فانى وايا كم كما قال قائل * لديك البيان لو تكلمت أسود

وقال حسان بن ثابت يبكى لمطعم بن عدى حين مات و يذكر قيامه فى نقض الصحيفة

أيا عين فابكى سيد القوم واسفحى * بدمع وان أنزفته فاسكبى الدما
و بكى عظيم المشعرين كليهما * على الناس معروفا له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم فاصبحوا * عبيدك مالبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد باسرها * وقحطان أو باقى بقية جرهما
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره * وذمته يوما اذا ماتذمما
فما تطلع الشمس المنيره فوقهم * على مثله فيهم أعز وأعظما
وآبى اذا يأبى وأعظم شيمة * وأنوم عن جار اذا الليل أظلما

«قال ابن هشام» قوله كليهما عن غير ابن اسحق «قال ابن هشام» وأما قوله أجرت رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه الى مادعاهم اليه من تصديقه ونصرته صار الى حراء ثم بعث الى الاخنس بن شريق ليجيره فقال أنا حليف والحليف لا يجير فبعث الى سهيل بن عمرو فقال ان بنى عامر لا تجير على بنى كعب فبعث الى المطعم بن عدى فاجابه الى ذلك ثم تسلح المطعم وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله فذلك الذى يعنى حسان بن ثابت * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا يمدح هشام بن عمرو لقيامه فى الصحيفة

هل يوفين بنو أمية ذمة * عقدا كما أوفى جوار هشام سليم
من معشر لا يغدرون بجارهم * للحارث بن حبيب بن سخام
واذا بنو حسل أجاروا ذمة * أوفوا وادوا جارهم بسلام

وكان هشام أخا سخام «قال ابن هشام» و يقال شحام * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على مايرى من قومه يبذل لهم النصيحة و يدعوهم الى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب وكان الطفيل أبى عمرو الدوسى يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا

ابن الحارث بن فهر يعرف بابن البيضاء وهى أمه واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ضرب بن الحارث بن فهر وهم ثلاثة اخوة سهل وسهيل وصفوان بنو البيضاء * وقوله

وانى واياهم كما قال قائل * لديك البيان لو تكلمت أسود

أسود اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلا

«فصل» وذكر قول حسان فى مطعم بن عدى و يذكر جواره للنبى عليه السلام وذلك حين رجع من الطائف وقيامه فى أمر الصحيفة

.فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده اليوم مطعما

وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة لانه قدم الفاعل وهو مضاف الى ضمير المفعول فصار فى الضرورة مثل قوله * جزى ربه عنى عدى بن حاتم * غير انه فى هذا البيت أشبه قليلا لتقدم ذكر مطعم فكأنه قال أبقى مجد هذا المذكور المتقدم ذكره مطعما ووضع الظاهر موضع المضمر كما لو قلت ان زيدا ضربت جاريته زيدا أى ضربت جاريته اياه ولا بأس بمثل هذا ولا سيما اذا قصدت قصد التعظيم وتفخيم ذكر الممدوح كما قال الشاعر

ومالى ان أكون أعيب يحيى * ويحيى طاهر الأثواب بر

و يجوز نصبه عندى على البدل من قوله و بكى عظيم المشعرين و يكون المفعول من قوله أبقى مجده محذوفا فكأنه قال أبقاه مجده أبدا والمفعول لا قبح فى حذفه اذا دل عليه الكلام كما فى هذا البيت * وذكر قول حسان فى هشام بن عمرو وقال فيه للحارث بن حبيب بن شخام وقد تقدم نسبه وهو حبيب بالتخفيف تصغير حب وجعله حسان تصغير حبيب فشدده وليس هذا من باب الضرورة اذ لا يصوغ أن يقال فى فليس فليس ولا فى كليب كليب فى شعر ولا غيره ولكن لما كان الحب والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر وهو حسن فى الشعر وسائغ فى الكلام وهشام بن عمرو هذا أسلم وهو معدود فى المؤلفة قلوبهم وكانوا أربعين رجلا فيما ذكروا * وقوله ابن سخام هو اسم أمه وأكثر أهل النسب يقولون فيه شحام بشين معجمة وألفيت فى حاشية كتاب الشيخ ان أبا عبيدة النسابة وعوانة يقولون فيه سحام بسين وحاء مهملتين والذى فى الاصل من قول ابن هشام سخام بسين مهملة وخاء معجمة ولفظ شخام من شخم الطعام وخشم اذا تغيرت رائحته قاله أبو حنيفة

«فصل» وذكر حديث طفيل بن عمرو الدوسى وهو طفيل بن عمرو بن طريف بن العاصى بن ثعلبة بن

فقالوا له يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئاً قال فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغنى شىء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة قال فقمت منه قريبا فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله قال فسمعت كلاما حسنا قال فقلت فى نفسى واثكل أمى والله انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى ان أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته قال فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد ان قومك قد قالوا لى كذا وكذا للذى قالوا فوالله ما برحوا يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك ثم أبى الله الا أن يسمعنى قولك فسمعته قولا حسنا فاعرض على أمرك قال فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا على القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه قال فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا نبى الله انى امرؤ مطاع فى قومى وأنا راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم اليه قال اللهم اجعل له آية قال فخرجت الى قومى حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر وقع نور بين عينى مثل المصباح قال قلت اللهم فى غير وجهى انى أخشى أن يظنوا انها مثلة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم قال فتحول فوقع فى رأس سوطى قال فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق وأنا أهبط اليهم من الثنية قال حتى جئتهم فاصبحت فيهم قال فلما نزلت أتانى أبى وكان شيخا كبيرا قال فقلت اليك عنى يا أبت فلست منك ولست منى قال لم يا بنى قال قلت أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أى بنى فدينى دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه قال ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ثم أتتنى صاحبتى فقلت اليك عنى فلست منك ولست منى قالت لم بأبى أنت وأمى قال فرق بينى وبينك الاسلام وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فدينى دينك قال قلت فاذهبى الى حنى ذى الشرى «قال ابن هشام» ويقال حمى ذى الشرى فتطهرى منه وكان ذو الشرى صنما لدوس وكان الحمى حمى حموه له به وشل من ماء يهبط من جبل قال قالت بأبى أنت وأمى أتخشى على الصبية من ذى الشرى شيئا قال قلت لا أنا ضامن لذلك قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطؤا على ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت له يا نبى الله انه قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم قال فلم أزل بارض دوس أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معى من قومى ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فاسهم لنا مع المسلمين ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا فتح الله عليه مكة قال قلت يا رسول الله ابعثنى الى ذى الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه * قال ابن اسحق فخرج اليه فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول يا ذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا * انى حشوت النار فى فؤادكا قال ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ثم سار مع المسلمين الى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل فرأى رؤيا وهو متوجه الى اليمامة فقال لاصحابه انى قد رأيت رؤيا فاعبروها لى رأيت ان رأسى حلق وانه خرج من فمى طائر وانه لقيتنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها وأرى ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عنى قالوا خيرا قال أما أنا والله فقد أولتها قالوا ماذا قال أما حلق رأسى فوضعه وأما الطائر الذى خرج من فمى فروحى واما المرأة التى ادخلتنى فرجها فالارض تحفر لى فأغيب فيها واما طلب ابنى اياى ثم حبسه عنى فانى اراه سيجهد ان يصيبه ما اصابنى فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة

سليم بن جهم بن غنم بن دوس الى آخره وليس فيه اشكال الا قوله حنى ذى الشرى وقد قال ابن هشام هو حمى وهو موضع حموه لصنمهم ذى الشرى فان صحت رواية ابن اسحق فالنون قد تبدل من الميم كما قالوا حلان وحلام للجدى ويجوز أن يكون من حنوت العود ومن محنية الوادى وهو ما انحنى منه * وقوله يا ذا الكفين لست من عبادكا أراد الكفين بالتشديد فخفف للضرورة غير أن فى نسخة الشيخ ان الصنم كان يسمى ذا الكفين وخفف الفاء بخطه بعد ان كانت مشددة فدل انه عنده مخفف فى غير الشعر فان صح هذا فهو محذوف اللام كأنه تثنية كفء من كفأت الاناء أو اذا كفء بمعنى كفء ثم سهلت الهمزة وألقيت حركتها

وجرح ابنه جراحة شديدة ثم استبيل منها ثم قتل عام اليرموك فى زمن عمر رضى الله عنه شهيدا «قال ابن هشام» حدثنى خلاد بن قرة بن خالد السدوسى وغيره من مشايخ بكر بن وائل من اهل العلم ان اعشى بنى قيس بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * وبت كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وانما * تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
ولكن أرى الدهر الذى هو خائن * اذا أصلحت كفاى عاد فأفسدا
كهولا وشبانا فقدت وثروة * فلله هذا الدهر كيف ترددا
ومازلت ابغى المال مذ انا يافع * وليدا وكهلا حين شبت وامردا
وابتذل العيس المراقيل تعتلى * مسافة ما بين النجير فصرخدا
الا ايهذا السائلى اين يممت * فان لها فى اهل يثرب موعدا
فان تسألى عنى فيارب سائل * حفى عن الاعشى به حيث اصعدا
أهل
اجدت برجليها النجاء وراجعت * يداها خنافا لينا غير احردا
وفيها اذا ماهجرت عجرفية * اذا خلت حرباء الظهيرة اصيدا

على القفاء كما يقال الخبء والخب وفى الحديث ان أهل الحاضر من دوس كانوا يتراءونه فى الثنية وفى سوطه كالقنديل المعلق وذكره المبرد فقال فى لفظ الحديث جعلوا ينظرون الى الجبل وهو يهتف من شدة الضياء والنور وروى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال لما قال طفيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان دوسا غلب عليها الزنى والربا فادع الله عليهم قلنا هلكت دوس حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد دوسا

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن هشام حديث الاعشى وقصيدته الى آخرها فلما كان قريبا من مكة لقيه بعض المشركين فقال الى أين يا أبا بصير الحديث وذكر تحريمه الخمر وتحريمه الزنى وقول الاعشى أما الخمر ففى النفس منها علالات وقال غير ابن هشام كان القائل للأعشى هذه المقالة أبو جهل قالها فى دار عتبة بن ربيعة وكان نازلا عنده «قال المؤلف» وهذه غفلة من ابن هشام ومن قال بقوله فان الناس مجمعون على ان الخمر لم ينزل تحريمها الا بالمدينة بعد ان مضت بدر وأحد وحرمت فى سورة المائدة وهى من آخر ما نزل وفى الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها وغنته القينتان الا يا حمز للشرف النواء فبقر خواصر الشارفين واجتب اسنمتهما وقوله للنبى عليه السلام هل أنتم الا عبيد لآبائى وهو مثل الحديث بطوله فان صح خبر الاعشى وما ذكر له فى الخمر فلم يكن هذا بمكة وانما كان بالمدينة ويكون القائل له اما علمت انه يحرم الخمر من المنافقين أو من اليهود فالله أعلم وفى القصيدة ما يدل على هذا قوله فان لها فى أهل يثرب موعدا وقد ألفيت للقالى رواية عن أبى حاتم عن أبى عبيدة قال لقى الاعشى عامر بن الطفيل فى بلاد قيس وهو مقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له انه يحرم الخمر فرجع فهذا أولى بالصواب وقول الاعشى أتروى منها هذا العام ثم أعود فاسلم لا يخرجه عن الكفر باجماع قال الاسفراينى فى عقيدته اذا قال المؤمن سأكفر غدا أو بعد غد فهو كافر لحينه باجماع واذا قال الكافر سأومن غدا أو بعد غد فهو على كفره لا يخرجه عن حكم الكفر الا ايمانه اذا آمن ولا خلاف فى هذا والله المستعان * وقوله ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * لم ينصب ليلة على الظرف لان ذلك يفسد معنى البيت ولكن أراد المصدر فحذفه والمعنى اغتماض ليلة أرمد فحذف المضاف الى الليلة وأقامها مقامه فصار اعرابها كاعرابه وقد روى هذا البيت ليلك بالكاف ومعناه غمض أرمد وقيل بل أرمد على هذه الرواية من صفة الليل أى حال منه على المجاز كما تقول ليلك ساهر * وقوله تناسيت قبل اليوم خلة مهددا * مهدد مفعل من المهد ولولا قيام الدليل على ان الميم أصلية لحكمنا بانه مفعل لان الكلمة الرباعية اذا كان أولها ميما أو همزة فحملها على الزيادة الا أن يقوم دليل على أنها أصلية والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف فى الدال اذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف ولقلت فيه مهد كما تقول مرد ومكر ومفر فى كل ما وزنه مفعل من المضاعف وانما الدال فى مهدد ضوعفت ليلحق ببناء جعفر * وقوله اذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا * والاصيد المائل العنق ولما كانت الحرباء تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت كانت فى وسط السماء فى أول الزوال كالأصيد وذلك أحر ما تكون الرمضاء يصف ناقته بالنشاط وقوة المشى فى ذلك الوقت * وقوله خنافا لينا * فى العين خنفت الناقة تخنف بيديها فى السير اذا مالت بهما نشاطا وناقة خنوف قال الراجز

ان السواء والنسيل والرغف * والقينة الحسناء والكأس الأنف
* للطاعنين الخيل والخيل خنف *

* وقوله لينا غير أحردا أى تفعل ذلك من غير حرد فى يديها أى اعوجاج والنجير وصرخد بلدان وأهل النجير أول من ارتد فى خلافة أبى بكر بعد أهل دبا وكان أهل دبا قد حاصرهم حذيفة بن أسيد وحاصر

وآليت لا آوى لها من كلالة * ولا من حفى حتى تلاقى محمد * متى ما تناخى عند باب ابن هاشم * تراحى وتلقى من فواضله ندى نبي يرى مالا ترون وذكره * اغار لعمرى فى البلاد وانجدا * له صدقات ماتغب ونائل * وليس عطاء اليوم مانعه غدا اجدك لم تسمع وصاة محمد * نبي الاله حيث أوصى وأشهدا * اذا انت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ندمت على ان لا تكون كمثله * فترصد للموت الذى كان ارصدا فاياك والميتات لاتقربنها * ولا تأخذن سهما حديدا لتقصدا ولا النصب المنصوب لا تنسكنه * ولا تعبد الاوثان والله فاعبدا ولا تقربن حرة كان سرها* عليك حراما فانكحن أو تأبدا وذا الرحم القربى فلا تقطعنه* لعاقبة ولا الاسير المقيدا وسبح على حين العشيات والضحى* ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا ولا تسخرا من بائس ذى ضرارة* ولا تحسبن المال للمرء مخلدا فلما كان بمكة اوقريبا منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن امره فاخبره انه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم فقال له يا ابا بصير انه يحرم الزنا فقال الاعشى والله ان ذلك لامر مالى فيه من ارب فقال له يا ابا بصير فانه يحرم الخمر فقال الاعشى اما هذه فوالله ان فى النفس منها لعلالات ولكنى منصرف فاتروى منها عامى هذا ثم آتيه فاسلم فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم*

قال ابن اسحق وقد كان عدو الله ابوجهل بن هشام لعنه الله مع عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبغضه اياه وشدته عليه يذله الله له اذا رآه * قال ابن اسحق حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن ابى سفيان الثقفى وكان واعية قال قدم رجل من اراش «قال ابن هشام» ويقال اراشة بابل له بمكة فابتاعها منه ابوجهل فمطله باثمانها فاقبل الاراشى حتى وقف على ناد من قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية

أهل النجير زياد بن لبيد بأمر أبى بكر حتى نزلوا على حكمه وأما صرخد فبلد طيب الاعناب واليه تنسب الخمر الصرخدية وفى الامالى * ولذ كطعم الصرخدى تركته * وقوله وآليت لا آوى لها من كلالة * ولا من وجئ أى لا أرق لها يقال آويت للضعيف أية ومأوية اذا رقت له كبدك * وقوله أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا المعروف فى اللغة غار وأنجد وقد أنشدوا هذا البيت لعمرى غار فى البلاد وأنجدا والغور ما انخفض من الارض والنجد ما ارتفع منها وانما تركوا القياس فى الغور ولم يأت على افعل الا قليلا وكان قياسه أن يكون مثل أنجد وأتهم لانه من أم الغور فقد هبط ونزل فصار من باب غارت عينه تغور أو غار الماء ونحو ذلك فان أردت أشرف على الغور قلت أغار ولا يكون خارجا عن القياس * وقوله وليس عطاء اليوم مانعه غدا معناه على رفع العطاء ونصب مانع أى ليس العطاء الذى يعطيه اليوم ما نعاله غدا من أن يعطيه فالهاء عائدة على الممدوح فلو كانت عائدة على العطاء لقال وليس عطاء اليوم مانعه هو بابراز الضمير الفاعل لان الصفة اذا جرت على غير من هى له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل وذلك لسر بيناه فى غير هذا الموضع لم يذكره الناس ولو نصب العطاء لجاز على اضمار الفعل المتروك اظهاره لانه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ويكون اسم ليس على هذا مضمرا فيها عائدا على النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله فانكحن أو تأبدا يريد أو ترهب لان الراهب أبدا عزب فقيل له متأبد اشتق من لفظ الابد * وقوله فالله فاعبدا وقف على النون الخفيفة بالالف وكذلك فانكحن أو تأبدا ولذلك كتبت فى الخط بالف لان الوقف عليها بالالف وقد قيل فى مثل هذا انه لم يرد النون الخفيفة وانما خاطب الواحد بخطاب الاثنين وزعموا انه معروف فى كلام العرب وأنشدوا فى ذلك

فان تزجرانى يا ابن عفان ازدجر * وان تدعانى أحم عرضا ممنعا

وأنشدوا أيضا فى هذا المعنى

وقلت لصاحبي لاتحبسانا * بنزع أصولها واجتث شيحا

ولا يمكن ارادة النون الخفيفة فى هذين البيتين لانها لا تكون ألفا الا فى الوقف وهذا الفعل قد اتصل به الضمير فلا يصح اعتقاد الوقف عليه دون الضمير وحكى أن الحجاج قال يا حرسى اضربا عنقه وقد يمكن فيه حمل الوصل على الوقف ويحتمل أن يريد اضرب أنت وصاحبك وقد قيل فى قوله سبحانه القيا فى جهنم ان الخطاب للملك وحده حملا على هذا الباب وقيل بل هو راجع الى قوله تعالى سائق وشهيد وفى القصيدة زيادة لم تقع فى رواية ابن هشام وهى قوله فى وصف الناقة

فاما اذا ما أدلجت فترى لها * رقيبين نجما لا يغيب وفرقدا

وقع هذا البيت بعد قوله لينا غير أحردا * وقوله فى صفة النبي صلى الله عليه وسلم أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا وبعده

به أنقذ الله الانام من العمى * وما كان فيهم من يريع الى هدى

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث الاراشى الذى قدم مكة واستعدى على أبى جهل * قال ابن اسحق هو من

المسجد جالس فقال يامعشر قريش من رجل يؤدينى على ابا الحكم بن هشام فانى رجل غريب ابن سبيل وقد غلبنى على حق قال فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل الجالس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزؤن به لما يعلمون بينه و بين أبى جهل من العداوة اذهب اليه فانه يؤديك عليه قال فاقبل الاراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعبد الله ان أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قبله وأنا غريب ابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه يأخذ لى حقى منه فاشاروا الى اليك فخذ لى حقى منه يرحمك الله قال انطلق اليه فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه انظر ماذا يصنع قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال من هذا فقال محمد فاخرج الى فخرج اليه ومافى وجهه من رائحة قد انتقع لونه فقال أعط هذا الرجل حقه فقال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذى له قال فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للاراشى الحق بشأنك فاقبل الاراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا فقد والله أخذ لى حقى قال وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت قال عجبا من العجب والله ماهو الا أن ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه روحه فقال له أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه اياه قال ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا ويلك مالك والله ما رأينا مثل ماصنعت قط قال ويحكم والله ماهو الا أن ضرب على بابى وسمعت صوته فملئت منه رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل مارأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط والله لو أبيت لأكلنى * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار قال كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريش فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شعاب مكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك اليه قال انى لو أعلم ان الذى تقول حق لاتبعتك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيت ان صرعتك أتعلم ان ما أقول حق قال نعم قال فقم حتى أصارعك قال فقام ركانة اليه فصارعه فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه ثم قال يا محمد والله ان هذا للعجب أتصرعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعجب من ذلك ان شئت ان أريكه ان اتقيت الله واتبعت أمرى قال ماهو قال أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى قال ادعها فدعاها فاقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال لها ارجعى الى مكانك قال فرجعت الى مكانها قال فذهب ركانة الى قومه فقال يا بنى عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الارض فوالله مارأيت أسحر منه قط ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع

أراش وهو ابن الغوث أو ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ وهو والد أنمار الذى ولد بجيلة وخثعم واراشة الذى ذكر ابن هشام بطن من خثعم واراشة مذكورة فى العماليق فى نسب فرعون صاحب مصر وفى بلى أيضا بنو اراشة * وقوله من يؤدينى على أبى الحكم أى يعيننى على أخذ حقى منه وهو من الاداة التى يتوصل الانسان الى مايريد كاداة الحرب وأداة الصانع فالحاكم يؤدى الخصم أى يوصله الى مطلبه وقد قيل ان الهمزة بدل من عين ويؤدى ويعدى بمعنى واحد أى يزيل العدوان والعداء وهو الظلم كما تقول هو يشكيك أى يزيل شكواك وفى حديث خباب شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكنا معناه على أحد القولين لم يرفع شكوانا ولم يزلها * وقوله فخرج اليه ومافى وجهه رائحة أى بقية روح فكان معناه روح باقية فلذلك جاء به على وزن فاعلة والدليل على انه أراد معنى الروح وان جاء به على بناء فاعلة قول الاراشى فى آخر الحديث خرج الى وماعنده روحه

﴿فصل﴾ وذكر حديث ركانة ومصارعته للنبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم مثل هذا الحديث عن أبى الاشدين الجمحى ولعلهما ان يكونا جميعا صارعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم التعريف بأبى الاشدين وباسمه ونسبه وركانة هذا هو ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب من مسلمة الفتح وتوفى فى خلافة معاوية وهو الذى طلق امرأته البتة فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نيته فقال انما أردت واحدة فردها عليه ومن حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء ولابنه يزيد بن ركانة صحبة أيضا ويروى عن يزيد بن ركانة ابنه على وكان على قد أعطى من الايد والقوة مالم يعط أحد نزع فى ذلك الى جده ركانة وله فى ذلك أخبار ذكرها الفاكهى منها خبره مع يزيد بن معاوية وكان يزيد بن معاوية من أشد العرب فصارعه يوما فصرعه على صرعة لم يسمع بمثلها ثم حمله بعد ذلك على فرس جموح لا يطاق فعلم على مايراد به فلما جمح به الفرس ضم عليه فخذيه ضمة تفق منها الفرس وذكر عنه أيضا انه تأبط رجلين أيدين ثم جرى بهما وهما تحت أبطيه حتى صاحا الموت الموت فاطلقهما

(فصل)

* قال ابن إسحق ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه فى المسجد فجلسوا اليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش فى انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ما نعلم ركبا أحمق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليه لم نأل انفسنا خيرا ويقال ان النفر من النصارى من اهل نجران فالله اعلم اى ذلك كان فيقال والله اعلم فيهم نزلت هؤلاء الآيات الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين الى قوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين * قال ابن اسحق وقد سألت ابن شهاب الزهرى عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت فقال لى ما زلت اسمع من علمائنا انهن انزلن فى النجاشى واصحابه والآيات من المائدة من قوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى قوله فاكتبنا مع الشاهدين * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس فى المسجد فجلس اليه المستضعفون من اصحابه خباب وعمار وابو فكيهة يسار مولى صفوان بن امية ابن محرث وصهيب واشباههم من المسلمين هزأت بهم قريش فقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء اليه وما خصهم الله به دوننا فانزل الله تعالى فيهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا ما يجلس عند المروة الى مبيعة غلام نصرانى يقال له جبر عبد لابن الحضرمى وكانوا يقولون والله ما يعلم محمد كثيرا مما يأتى به الا جبر النصرانى غلام ابن الحضرمى فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم انما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين «قال ابن هشام» يلحدون اليه يميلون اليه والالحاد الميل عن الحق قال رؤبة بن العجاج اذا تبع الضحاك كل ملحد «قال ابن هشام» يعنى الضحاك الخارجى وهذا البيت فى ارجوزة له * قال ابن اسحق وكان العاص بن وائل السهمى فيما بلغنى اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانما هو رجل ابتر لا عقب له لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحتم منه فانزل الله فى ذلك من قوله انا اعطيناك الكوثر

﴿ فصل ﴾ وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وايمانهم وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى «الذين قالوا انا نصارى» ولم يقل من النصارى ولا سماهم هو سبحانه بهذا الاسم وانما حكى قولهم الذى قالوه حين عرفوا بانفسهم ثم شهد لهم بالايمان وذكر انه أثابهم الجنة واذا كانوا هكذا فليسوا بنصارى هم من أمة محمد عليه السلام وانما عرف النصارى بهذا الاسم لان مبدأ دينهم كان من ناصرة قرية بالشام فاشتق اسمهم منها كما اشتق اسم اليهود من يهود بن يعقوب ثم لا يقال لمن أسلم منهم يهودى اسم الاسلام أولى بهم جميعا من ذلك النسب

﴿ فصل ﴾ ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس الى مبيعة غلام المبيعة مفعلة مثل المعيشة وقد يجوز ان يكون مفعلة بضم العين وهو قول الاخفش واما قولهم سلعة مبيعة فمفعولة حذفت الواو منها فى قول سيبويه حين سكنوا الياء اشتغالا للضمة وفى قول أبى الحسن الاخفش ان الياء بدل من الواو الزائدة فى مبيوعة ووزنها عنده مفولة بحذف العين وللكلام على هذين المذهبين موضع غير هذا * وذكر صهيبا وأبا فكيهة وسنذكر اسم أبى فكيهة والتعريف به فيما بعد لانه بدرى وكذلك صهيب بن سنان ونقتصر فى هذا الموضع على ذكر اسمه وهو يسار مولى عبد الدار

﴿ فصل ﴾ وذكر قول العاصى بن وائل ان محمدا أبتر اذا مات انقطع ذكره وأنزل الله تعالى فى قوله من سورة الكوثر على قول ابن اسحق وأكثر المفسرين وقيل ان أبا جهل هو الذى قال ذلك وقد قيل كعب بن الاشرف ويلزم على هذا القول الاخير ان تكون سورة الكوثر مدنية وقد روى يونس عن أبى عبد الله الجعفى عن جابر الجعفى عن محمد بن على قال كان القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ ان يركب الدابة ويسير على النجيبة فلما قبضه الله قال العاصى أصبح محمد أبتر من ابنه فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم انا أعطيناك الكوثر عوضا يا محمد من مصيبتك بالقاسم فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ولم يقل ان شانئك ابتر يتضمن اختصاصه بهذا الوصف لان هو فى مثل هذا الموضع تعطى الاختصاص

مثل أن يقول قائل ان زيدا فاسق فلا يكون مخصوصا بهذا الوصف دون غيره فاذا قلت أن زيدا هو الفاسق فمعناه هو الفاسق التى زعمت فدل على ان بالحضرة من يزعم غير ذلك وهكذا قال الجرجانى وغيره فى تفسير هذه الآية أن هو تعطى الاختصاص وكذلك قالوا فى قوله سبحانه «انه هو أغنى وأقنى» لما كان العباد يتوهمون ان غير الله قد يغنى قال هو أغنى وأقنى أى لا غيره وكذلك قوله تعالى «وانه هو أمات وأحيا» اذ كانوا قد يتوهمون فى الاحياء والاماتة ما توهمه النمرود حين قال انا أحيي وأميت أى انا أقتل من شئت واستحيي من شئت فقال عز وجل وانه هو أمات وأحيا أى لا غيره وكذلك قوله تعالى «وأنه هو رب الشعرى» أى هو الرب لا غيره اذ كانوا قد اتخذوا أربابا من دونه منهما الشعرى فلما قال وانه خلق الزوجين وانه أهلك عادا استغنى الكلام عن هو التى تعطى معنى الاختصاص لانه فعل لم يدعه أحد واذا ثبت هذا فكذلك قوله ان شانئك هو الابتر أى لا انت والابتر الذى لا عقب له يتبعه فعدمه كالبتر الذى هو عدم الذنب فاذا ما قلت هذا ونظرت الى العاصى وكان ذا ولد وعقب وولده عمرو وهشام ابنا العاصى بن وائل فكيف يثبت له البتر وانقطاع الولد وهو ذو ولد ونسل وتنفيه عن نبيه وهو يقول «ما كان محمد ابا احد من رجالكم» الآية . فالجواب ان العاصى وان كان ذا ولد فقد انقطعت العصمة بينه وبينهم فليسوا باتباع له لان الاسلام قد حجزهم عنه فلا يرثهم ولا يرثونه وهم من اتباع محمد عليه السلام وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم كما قرأ أبىّ بن كعب وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم والنبي أولى بهم كما قال الله سبحانه فهم وجميع المؤمنين اتباع النبى فى الدنيا واتباعه فى الآخرة الى حوضه وهذا معنى الكوثر وهو موجود فى الدنيا الكثرة اتباعه فيها يغذى أرواحهم بما فيه حياتهم من العلم وكثرة اتباعه فى الآخرة ليسقيهم من حوضه ما فيه الحياة الباقية وعدو الله العاصى على هذا هو الابتر على الحقيقة اذ قد انقطع ذنبه واتباعه وصاروا اتباعا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قوبل تعييره للنبى صلى الله عليه وسلم بالبتر بما هو ضده من الكوثر فان الكثرة تضاد معنى القلة ولو قال فى جواب اللعين انا أعطيناك الحوض الذى من صفته كذا وكذا لم يكن ردا عليه ولا مشاكلا لجوابه ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير والعدد الجم الغفير المضاد لمعنى البتر وان ذلك فى الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذى أعطاه فلا يختص لفظ الكوثر بالحوض بل يجمع هذا المعنى كله ويشتمل عليه ولذلك كانت آنيته كعدد النجوم ويقابل هذه الصفة فى الدنيا علماء الامة من أصحابه ومن بعدهم فقد قال أصحابى كالنجوم وهم يروون العلم عنه ويؤدونه الى من بعدهم كما تروى الآنية فى الحوض وتسقى الواردة عليه تقول رويت الماء أى استقيته كما تقول رويت العلم وكلاهما فيه حياة ومنه قيل لمن روى علما أو شعرا راوية تشبيها بالمزادة أو الدابة التى يحمل عليها الماء وليس من باب علامة ونسابة وفى حديث أبى برزة فى صفة الحوض انها تنزو فى أكف المؤمنين يعنى الآنية وحصباء الحوض اللؤلؤ والياقوت ويقابلهما فى الدنيا الحكم المأثورة عنه ألا ترى ان اللؤلؤ فى علم التعبير حكم وفوائد علم وفى صفة الحوض له المسك أى حمأته ويقابله فى الدنيا طيب الثناء على العلماء واتباع النبى الاتقياء كما ان المسك فى علم التعبير ثناء حسن وعلم التعبير من علم النبوءة مقتبس وذكر فى صفة الحوض الطير التى ترده كاعناق البخت ويقابله من صفة العلم فى الدنيا ورود الطالبين من كل صقع وقطر على حضرة العلم وانتيابهم اياها فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وبعده فتأمل صفة الكوثر معقولة فى الدنيا محسوسة فى الآخرة مدركة بالعيان هنالك يبين لك اعجاز التنزيل ومطابقة السورة لسبب نزولها ولذلك قال فضيل فصل لربك وانحر أى تواضع لمن أعطاك الكوثر بالصلاة له فان الكثرة فى الدنيا تقتضى فى أكثر الخلق الكبر وتحدو الى الفخر والخيرية فلذلك كان عليه السلام طأطأ

ماهو خير لك من الدنيا وما فيها والكوثر العظيم

قال ابن اسحق قال لبيد بن ربيعة الكلابى

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه * وعند الرداع بيت آخر كوثر

يقول عظيم «قال ابن هشام» وهذا البيت فى قصيدة له «قال ابن هشام» وصاحب ملحوب عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب مات بملحوب وقوله وعند الرداع بيت آخر كوثر يعنى شريح بن الاحوص بن جعفر بن كلاب مات بالرداع والكوثر أراد الكثير ولفظه مشتق من لفظ الكثير «قال ابن هشام» قال الكميت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وهذا البيت فى قصيدة له «قال ابن هشام» وقال أمية بن أبى عائذ الهذلى يصف حمار وحش

يحمى الحقيق اذا ما احتدمن * حمحم فى كوثر كالجلال

يعنى بالكوثر الغبار الكثير شبهه لكثرته عليه بالجلال وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق حدثنى جعفر ابن عمرو «قال ابن هشام» هو جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن امية الضمرى عن عبد الله بن مسلم أخى محمد بن شهاب الزهرى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له يا رسول الله ما الكوثر الذى أعطاك الله قال نهر كما بين صنعاء الى أيلة آنيته كعدد نجوم السماء ترده طير لها أعناق كاعناق الابل قال يقول عمر ابن الخطاب انها يا رسول الله لناعمة قال آكلها أنعم منها *قال ابن اسحق سمعنا فى هذا الحديث أو غيره انه قال صلى الله عليه وسلم من شرب منه لا يظمأ أبدا * قال ابن اسحق فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه الى الاسلام وكلمهم فابلغ اليهم فقال زمعة بن الاسود والنضر بن الحرث والاسود بن عبد يغوث وأبى بن خلف والعاص بن وائل لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون *

رأسه عام الفتح حين رأى كثرة اتباعه وهو على الراحلة حتى ألصق عثنونه بالرحل امتثالا لامر ربه وكذلك أمره بالنحر شكرا له و رفع اليدين الى النحر فى الصلاة عند استقبال القبلة التى عندها ينحر والبها يهدى معناه الجمع بين الفعلين النحر المأمور به يوم الاضحى والاشارة اليه فى الصلاة برفع اليدين الى النحر كما ان القبلة محجوجة مصلى اليها فكذلك ينحر عندها و يشار الى النحر عند استقبالها والى هذا التفت عليه السلام حين قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ونسك نسكنا فهو مسلم وقد قال الله سبحانه قل ان صلاتى ونسكى فقرن بين الصلاة الى الكعبة والنسك اليها كما قرن بينهما حين قال فصل لربك وانحر * وذكر فى صفة الحوض كما بين صنعاء وأيلة وقد جاء فيه أيضاً فى الصحيح كما بين جرباء واذرح و بينهما مسافة بعيدة وفى الصحيح أيضاً فى صفته كما بين عدن أبين الى عمان وقد تقدم ذكر أبين وانه ابن زهير بن أيمن بن حمير وان عدن سميت برجل من حمير عدن بها أى أقام وتقدم أيضاً ما قاله الطبرى ان عدن وأبين هما ابنا عدنان أخوا معد وأما عمان بتشديد الميم وفتح العين فهى بالشام قرب دمشق سميت بعمان بن لوط بن هاران كان سكنها فيما ذكروا وأما عمان بضم العين وتخفيف الميم فهو باليمن سميت بعمان بن سنان وهو من ولد ابراهيم فيما ذكروا وفيه نظر اذ لا يعرف فى ولد ابراهيم لصلبه من اسمه سنان وفى صفة الحوض أيضاً كما بين الكوفة ومكة وكما بين بيت المقدس والكعبة وهذه كلها روايات متقاربة المعانى وان كانت المسافات بعضها أبعد من بعض فكذلك الحوض أيضاً له طول وعرض وزوايا واركان فيكون اختلاف هذه المسافات التى فى الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه ولا أظمأ أكبادنا فى الآخرة اليه ومما جاء فى معنى الكوثر ما رواه ابن أبى نجيح عن عائشة قالت الكوثر نهر فى الجنة لا يدخل أحد اصبعيه فى أذنيه الا سمع خرير ذلك النهر وقع هذا الحديث فى السيرة من رواية يونس ورواه الدارقطنى من طريق مالك بن مغول عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أعطانى نهرا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتى أن يسمع خرير ذلك الكوثر الا سمعه فقلت يا رسول الله وكيف ذلك قال أدخلى أصبعيك فى أذنيك وشدى فالذى تسمعين فيهما من خرير الكوثر وروى الدارقطنى من طريق جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى والذى نفسى بيده انك لذائد عن حوضى يوم القيامة تذود عنه كفار الامم كما تذاد الابل الضالة عن الماء بعصى من عوسج الا ان هذا الحديث يرويه حرام بن عثمان عن ابنى جابر وقد سئل مالك عنه فقال ليس بثقة واغلظ فيه الشافعى القول وأما قوله عليه السلام ومنبرى على حوضى فقد قيل فى معناه أقوال و يفسره عندى الحديث الآخر وهو قوله عليه السلام وهو على المنبر انى لانظر الى حوضى الآن من مقامى هذا فتأمله

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن هشام فى الاستشهاد على معنى الكوثر قول لبيد بن ربيعة

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه * وعند الرداع بيت آخر كوثر

وبالفورة الحراب ذو الفضل عامر * فنعم ضياء الطارق المتنور

قال ابن اسحق ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى بالوليد بن المغيرة وأمية ابن خلف وبابى جهل بن هشام فغمزوه وهمزوه واستهزؤا به فغاظه ذلك فانزل الله تعالى عليه فى ذلك من أمرهم ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن

ذكر الاسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم

* قال حدثنا ابو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ثم اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس من ايلياء وقد فشا الاسلام بمكة فى قريش وفى القبائل كلها

يعنى عامر بن مالك ملاعب الاسنة وهو عم لبيد وسنذكر لم سمى ملاعب الاسنة اذا جاء ذكره ان شاء الله تعالى وصاحب ملحوب عوف بن الاحوص وقد ذكره ابن هشام والذى عند الرداع شريح بن الاحوص فى قوله وقال غيره هو حبان بن عتبة بن مالك بن جعفر بن كلاب والرداع من أرض اليمامة وملحوب مفعول من لحبت العود اذا قشرته فكان هذا الموضع سمى ملحوبا لانه لا أكم فيه ولا شجر وذكر حديث المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية فقال فيها استهزئ برسل ثم قال فحاق بالذين سخروا منهم ولم يقل استهزؤا ثم قال ما كانوا به يستهزؤن ولم يقل يسخرون ولا بد فى حكمة فى هذا من جهة البلاغة وتنزيل الكلام منازله فقوله استهزئ برسل أى اسمعوا من الكلام الذى يسمى استهزاء ما ساءهم تأنيسا له ليتأسى بمن قبله من الرسل وانما سمى استهزاء اذا كان مسموعا وهو من فعل الجاهلين قال الله تعالى «أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» وأما السخر والسخرى فقد يكون فى النفس غير مسموع ولذلك تقول سخرت منه كما تقول عجبت منه الا أن العجب لا يختص بالمعنى المذموم كما يختص السخر وفى التنزيل خبرا عن نوح «ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون» ولم يقل نستهزئ بكم كما تستهزؤن لان الاستهزاء ليس من فعل الانبياء انما هو من فعل الجاهلين كما قدمنا من قول موسى عليه السلام فالنبى يسخر أى يعجب من كفر من يسخر به ومن سخر عقولهم * فان قلت فقد قال الله تعالى الله يستهزئ بهم * قلنا العرب تسمى الجزاء على الفعل باسم الفعل كما قال تعالى «نسوا الله فنسيهم» وهو مجاز حسن وأما الاستهزاء الذى كنا بصدده فهو المسمى استهزاء حقيقة ولا يرضى به الا جهول ثم قال سبحانه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن أى حاق بهم من الوعيد المبلغ لهم على ألسنة الرسل ما كانوا يستهزؤن به بألسنتهم فنزلت كل كلمة منزلها ولم يحسن فى حكم البلاغة وضع واحدة مكان الاخرى وذكر أيضا قوله سبحانه «ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا» أى لو جعلنا الرسول اليهم من الملائكة لم يكن الا على صورة رجل ولدخل عليهم من اللبس فيه ما دخل فى أمر محمد وقوله لبسنا يدل على ان الامر كله منه سبحانه فهو يعمى من شاء عن الحق ويفتح بصيرة من شاء وقوله ما يلبسون معناه يلبسون على غيرهم لان أكثرهم قد عرفوا انه الحق ولكن جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم فجعلوا يلبسون أى يلبس بعضهم على بعض ويلبسون على أهليهم واتباعهم أى يخلطون عليهم بالباطل تقول العرب لبست عليهم الأمر ألبسه أى سترته وخلطته ومن لبس الثياب لبست ألبس لانه فى معنى كسيت وفى مقابلة عريت فجاء على وزنه والآخر فى معنى خلطت أو سترت فجاء على وزنه

شرح مافى حديث الاسراء من المشكل

اتفقت الرواة على تسميته اسراء ولم يسمه أحد منهم سرى وان كان أهل اللغة قد قالوا سرى وأسرى بمعنى واحد فدل على ان أهل اللغة لم يحققوا العبارة وذلك ان القراء لم يختلفوا فى التلاوة من قوله «سبحان الذى أسرى بعبده» ولم يقل سرى وقال والليل اذا يسرى ولم يقل يسرى فدل على ان السرى من سريت اذا سرت ليلا وهى مؤنثة تقول طالت سراك الليلة والاسراء متعد فى المعنى ولكن حذف مفعوله كثيرا حتى ظن أهل اللغة انهما بمعنى واحد لما رأوهما غير متعديين الى مفعول فى اللفظ وانما أسرى بعبده أى جعل البراق يسرى كما تقول أمضيته اى جعلته يمضى لكن كثر حذف المفعول لقوة الدلالة عليه أو للاستغناء عن ذكره اذ المقصود بالخبر ذكر محمد لا ذكر الدابة التى سارت به وجاز فى قصة لوط عليه السلام ان يقال له فأسر بأهلك أى سر بهم وان يقرأ فاسر باهلك بالقطع أى فاسر بهم ما يتحملون عليه من دابة أو نحوها ولم يتصور

ذلك

ذلك فى السرى بالنبى صلى الله عليه وسلم اذلا يجوز ان يقال سرى بعبده بوجه من الوجوه فلذلك لم تات التلاوة الا بوجه واحد فى هذه القصة فتدبره وكذلك تسامح النحويون أيضا فى الباء والهمزة وجعلوهما بمعنى واحد فى حكم التعدية ولو كان ماقالوه أصلا لجاز فى أمرضته ان تقول مرضت به و فى أسقمته ان تقول سقمت به و فى أعميته ان تقول عميت به قياسا على أذهبته وذهبت به و يابى الله ذلك والعالمون فانما الباء تعطى مع التعدية طرفا من المشاركة فى الفعل ولا تعطيه الهمزة فاذاقلت أقعدته فمعناه جعلته يقعد ولكنك شاركته فى القعود فجذبته بيدك الى الارض أونحو ذلك فلابد من طرف من المشاركة اذاقعدت به ودخلت به وذهبت به بخلاف أدخلته واذهبته ﴿فان قلت﴾ فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم وذهب بسمعهم وأبصارهم و يتعالى سبحانه عن ان يوصف بالذهاب أو يضاف اليه طرف منه وانما معناه اذهب نورهم وسمعهم (قلنا) فى الجواب عن هذا ان النور والسمع والبصر كان بيده سبحانه وقد قال بيده الخير وهذا من الخير الذى بيده واذا كان بيده فجائز ان يقال ذهب به على المعنى الذى يقتضيه قوله سبحانه بيده الخير كائناما كان ذلك المعنى فعليه ينبنى ذلك المعنى الآخر الذى فى قوله ذهب الله بنورهم مجازاً كان أوحقيقة ألا ترى انه لماذكر الرجس كيف قال ليذهب عنكم الرجس ولم يقل يذهب به وكذلك قال و يذهب عنكم رجز الشيطان تعليما للعباد حسن الادب معه حتى لا يضاف الى القدوس سبحانه لفظا ومعنى شئ من الارجاس وأن كانت خلقاله وملكا فلا يقال هى بيده على الخصوص تحسينا للعبارة وتنزيها له وفى مثل النور والسمع والبصر يحسن ان يقال هى بيده فحسن على هذا ان يقال ذهب به واما أسرى بعبده فان دخول الباء فيه ليس من هذا القبيل فانه فعل يتعدى الى مفعول وذلك المفعول المسرى هو الذى سرى بالعبد فشاركه بالسرى كما قدمنا فى قعدت به انه يعطى المشاركة فى الفعل أو فى طرف منه فتأمله

﴿فصل﴾ وتقدم بين يدى الكلام فى هذا الباب هل كان الاسراء فى يقظة بجسده أوكان فى نومه بروحه كما قال سبحانه «والتى لم تمت فى منامها» وقد ذكر ابن اسحق عن عائشة ومعاوية انها كانت رؤيا حق وان عائشة قالت لم نفقد بدنه وانما عرج بروحه تلك الليلة و يحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه «وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس» ولم يقل الرؤية وانما يسمى رؤيا ما كان فى النوم فى عرف اللغة و يحتجون أيضا بحديث البخارى عن أنس بن مالك قال ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهونائم فى المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو هذا وهو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكان تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل الحديث بطوله وقال فى آخره واستيقظ وهو فى المسجد الحرام وهذا نص لا اشكال فيه انها كانت رؤيا صادقة وقال أصحاب القول الثانى قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية فى اليقظة وأنشد واللراعى يصف صائدا

وكبر للرؤيا وهش فؤاده * وبشر قلبا كان جما بلابله

قالوا وفى الآية بيان انها كانت فى اليقظة لانه قال وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس ولو كانت رؤيا نوم ماافتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممن أسلم وقال الكفار يزعم محمد انه أتى بيت المقدس ورجع الى مكة ليلته والعير تطرد اليها شهرا مقبلة وشهرا مدبرة ولو كانت رؤيا نوم لم يستبعد أحد منهم هذا فمعلوم ان النائم قد يرى نفسه فى السماء وفى المشرق والمغرب فلا يستبعد منه ذلك احتج هؤلاء أيضا بشربه الماء من الاناء

*قال ابن اسحق كان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود وأبى سعيد الخدرى وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ومعاوية ابن أبى سفيان والحسن بن أبى الحسن وابن شهاب الزهرى وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأم هانى بنت أبى طالب ما اجتمع فى هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ماذكر من أمره حين أسرى به صلى الله عليه وسلم وكان فى مسراه وما ذكر منه بلاء وتمحيص وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه فيه عبرة لاولى الالباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق وكان من أمر الله على يقين فاسرى به كيف شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التى يصنع بها مايريد فكان عبد الله بن مسعود فيما بلغنى عنه يقول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الانبياء قبله تضع حافرها فى منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والارض حتى انتهى الى بيت المقدس

الذى كان مغطى عند القوم ووجدوه حين أصبح لا ماء فيه و بارشاده للذين ند بعيرهم حين أنفرهم حس الدابة وهو البراق حتى دلهم عليه فاخبر أهل مكة بامارة ذلك حتى ذكر الغرارتين السوداء والبرقاء كما فى هذا الكتاب وفى رواية يونس انه وعد قريشا بقدوم العيراتى أرشدهم الى البعير وشرب إناءهم وانهم سيقدمون و يخبرون بذلك فقالوا يامحمد متى يقدمون فقال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم ولم يقدموا حتى كربت الشمس أن تغرب فدعا الله فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف قال ولم يحبس الشمس الاله ذلك اليوم وليوشع بن نون وهذا كله لا يكون الا يقظة وذهبت طائفة ثالثة منهم شيخنا القاضى أبو بكر رحمه الله الى تصديق المقالتين وتصحيح الحديثين وان الاسراء كان مرتين احداهما كان فى نومه وتوطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة فانه عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الاسراء سهله عليه بالرؤيا لان هوله عظيم فجاء فى اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه ورأيت المهلب فى شرح البخارى قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء وانهم قالوا كان الاسراء مرتين مرة فى نومه ومرة فى يقظته ببدنه صلى الله عليه وسلم « قال المؤلف » وهذا القول هو الذى يصح وبه تتفق معانى الاخبار ألا ترى انه قال فى حديث أنس الذى قدمنا ذكره أتاه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه ومعلوم ان الاسراء كان بعد النبوة وحين فرضت الصلاة كما قدمنا فى الجزء قبل هذا وقيل كان قبل الهجرة بعام ولذلك قال فى الحديث فارتد كثير ممن كان قد أسلم ورواة الحديثين حفاظ فلا يستقيم الجمع بين الروايتين الا أن يكون الاسراء مرتين وكذلك ذكر فى حديث أنس انه اتى ابراهيم فى السماء السادسة وموسى فى السابعة وفى أكثر الروايات الصحيحة انه رأى ابراهيم عند البيت المعمور فى السماء السابعة ولقى موسى فى السادسة وفى رواية ابن اسحق أتى بثلاثة آنية أحدها ماء فقال قائل ان أخذ الماء غرق وغرقت أمته وفى احدى روايات البخارى فى الجامع الصحيح انه أتى باناء فيه عسل ولم يذكر الماء والرواة اثبات ولا سبيل الى تكذيب بعضهم ولا توهينهم فدل على صحة القول بانه كان مرتين وعاد الاختلاف الى انه كان كله حقا ولكن فى حالتين ووقتين مع ما يشهد له من ظاهر القرآن فان الله سبحانه يقول « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى » ثم قال « ما كذب الفؤاد ما رأى » فهذا نحو ما وقع فى حديث أنس من قوله فيما يراه قلبه وعينه نائمة والفؤاد هو القلب ثم قال « افتمارونه على ما يرى » ولم يقل ما قد رأى فدل على ان ثم رؤية اخرى بعد هذه ثم قال « ولقد رآه نزلة اخرى » اى فى نزلة نزلها جبريل اليه مرة فرآه فى صورته التى هو عليها « عند سدرة المنتهى اذ يغشى السدرة ما يغشى » قال يغشاها فراش من ذهب وفى رواية ينتثر منها الياقوت وثمرها مثل قلال هجر ثم قال « ما زاغ البصر » ولم يقل الفؤاد كما قال فى التى قبل هذه فدل على انها رؤية عين و بصر فى النزلة الاخرى ثم قال « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » واذا كانت رؤية عين فهى من الآيات الكبرى ومن أعظم البراهين والعبر وصارت الرؤيا الاولى بالاضافة الى الاخرى ليست من الكبر لان ما يراه العبد فى منامه دون ما يراه فى يقظته لا محالة وكذلك قال فى أكثر الاحاديث انه رأى عند سدرة المنتهى نهرين ظاهرين ونهرين باطنين واخبره جبريل ان الظاهرين النيل والفرات وذكر فى حديث انس انه رأى هذين النهرين فى السماء الدنيا وقال له الملك هما النيل والفرات أصلهما وعنصرهما فيحتمل أن يكون رأى فى حال اليقظة منبعهما ورأى فى المرة الاولى النهرين دون أن يرى أصلهما والله أعلم فقد جاء فى تفسير قوله تعالى « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض » انهما النيل والفرات أنزلا من الجنة من اسفل درجة منها على جناح جبريل فاودعهما بطون الجبال ثم ان الله سبحانه سيرفعهما و يذهب بهما عند رفع

فوجد فيه ابراهيم الخليل وموسى وعيسى فى نفر من الانبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية اناء فيه لبن واناء فيه خمر واناء فيه ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلا يقول حين عرضت على ان أخذ الماء غرق وغرقت أمته وان أخذ الخمر غوى وغوت أمته وان أخذ اللبن هدى وهديت أمته قال فاخذت اناء اللبن فشربت منه فقال لى جبريل عليه السلام هديت وهديت أمتك يا محمد ❊ قال ابن اسحق وحدثت عن الحسن انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم فى الحجر اذ جاءنى جبريل فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت الى مضجعى فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت الى مضجعى فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فاخذ بعضدى فقمت معه فخرج الى باب المسجد فاذا دابة أبيض بين البغل والحمار فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع يده فى منتهى طرفه فحملنى عليه ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته

القرآن وذهاب الايمان فلا يبقى على الارض خير وذلك قوله تعالى « وانا على ذهاب به لقادرون » وفى حديث مسند ذكره النحاس فى المعانى باتم من هذا فاختصرته ووقع فى كتاب المعلم للمازرى قول رابع فى الجمع بين الاقوال قال كان الاسراء بجسده فى اليقظة الى بيت المقدس فكانت رؤ ياعين ثم اسرى بروحه الى فوق سبع سموات ولذلك شنع الكفار قوله واتيت بيت المقدس فى ليلتى هذه ولم يشنعوا قوله فيما سوى ذلك

﴿ فصل ﴾ ومما يسئل عنه فى هذا الحديث شماس البراق حين ركبه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل اما تستحيي يابراق فما ركبك عبد الله قبل محمد هوأكرم عليه منه فقد قيل فى نفرته ماقاله ابن بطال فى شرح الجامع الصحيح قال كان ذلك لبعد عهد البراق بالانبياء وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وروى غيره فى ذلك سبباً آخر قال فى روايته فى حديث الاسراء قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شمس به البراق لعلك يامحمد مسست الصفراء اليوم فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم انه مامسها إلا أنه مر بها فقال تبا لمن يعبدك من دون الله ومامسها الالذلك وذكر هذه الرواية أبوسعيد النيسابورى فى شرف المصطفى فالله أعلم وقد جاءذكر الصفراء فى مسند البزار وانها كانت صنما بعضه من ذهب فكسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفى الحديث الذى خرجه الترمذى من طريق بريدة الاسلمى انه عليه السلام حين انتهى الى بيت المقدس قال جبريل باصبعه الى الصخرة فخرقها فشد بها البراق وصلى وان حذيفة أنكر هذه الرواية وقال لم أيفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة وفى هذا من الفقه على رواية بريدة التنبيه على الاخذ بالحزم مع صحة التوكل وان الايمان بالقدر كما روى عن وهب بن منبه لا يمنع الحازم من توقى المهالك قال وهب وجدته فى سبعين كتابا من كتب الله القديمة وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم قيدها وتوكل فايمانه صلى الله عليه وسلم بانه قد سخرله كايمانه بقدر الله وعلمه بانه سبق فى علم الكتاب ماسبق ومع ذلك كان يتزود فى اسفاره ويعد السلاح فى حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين فى غزوة أحد وربطه للبراق فى حلقة الباب من هذا الفن وهو حديث صحيح وقد رواه غير بريدة ووقع فى حديث الحارث بن أبى أسامة من طريق أنس ومن طريق أبى سعيد وغيرهما أعنى ربطه للبراق فى الحلقة التى كانت تربطه فيها الانبياء غيرأن الحديث يرويه داود بن المحبر وهو ضعيف ومما يسئل عنه قول الملائكة فى كل سماء لجبريل من معك فيقول محمد فيقولون أوقد بعث اليه فيقول نعم هكذا لفظ الحديث فى الصحاح ومعنى سؤالهم عن البعث اليه فيما قال بعض أهل العلم أى قد بعث اليه ليعرج به الى السماء كما قد وجدوا فى العلم انه سيعرج به ولوأرادوا بعثه الى الخلق لقالوا أوقد بعث ولم يقولوا اليه مع أنه يبعد ان يخفى عن الملائكة بعثه الى الخلق فلا يعلمون به الى ليلة الاسراء وفى الحديث الذى تقدم فى هذا الكتاب بيان أيضا حين ذكر تسبيح ملائكة السماء السابعة ثم تسبيح ملائكة كل سماء ثم يسئل بعضهم بعضا م سبحتم حتى ينتهى السؤال الى ملائكة السماء السابعة فيقولون قضى ربنا فى خلقه كذا ثم ينتهى الخبر الى سماء الدنيا الحديث بطوله وفى هذا مايدل على ان الملائكة قد علمت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين نبيء وانما قالت أوقد بعث اليه أى قد بعث اليه بالبراق كما تقدم على أن فى حديث أنس ان ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل أوقد بعث كما وقع فى السيرة وليس فى أول الحديث اليه هذا انما جاء فى حديث الرؤيا التى رآها بقلبه كما قدمنا وان ذلك قبل أن يوحى اليه كما جاء فى الحديث بعينه وفى هذا قوة لما تقدم من ان الاسراء كان رؤيا ثم كان رؤية ولذلك لم نجد فى رواية من الروايات ان الملائكة قالوا أوقد بعث اليه إلا فى ذلك الحديث فالله أعلم

قال ابن اسحق وحدثت عن قتادة انه قال حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دنوت منه لاركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحى يابراق مما تصنع فوالله يابراق ماركبك عبد الله قبل محمد أكرم على الله منه قال فاستحيا حتى ارفض عرقا ثم قرحتى ركبته

﴿ فصل ﴾ وذكر باب الحفظة وان عليه ملكا يقال له اسمعيل وقد جاء ذكره فى مسند الحارث وفيه ان تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك هكذا لفظ الحديث فى رواية الحارث وفى رواية ابن اسحق اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظ الحديث وفى مسند الحارث أيضاً وذكر سدرة المنتهى فقال لو غطيت بورقة من ورقها هذه الامة لغطتهم وفى صفتها من رواية الجميع فاذا ثمرها كقلال هجر وفى حديث القلتين من كتاب الطهارة من رواية ابن جريج اذا كان الماء قلتين من قلال هجر لم يحمل الخبث قالوا والقلتان منها تسعان خمسمائة رطل قال الترمذى وذلك نحو من خمس قرب وفى تفسير ابن سلام قال عن بعض السلف انها سميت سدرة المنتهى لان روح المؤمن ينتهى به اليها فتصلى عليه هنالك الملائكة المقربون قال ذلك فى تفسير عليين ﴿ فصل ﴾ وفيه انه رأى آدم فى سماء الدنيا وعن يمينه أسودة وعن شماله أسودة وان جبريل أعلمه ان الاسودة التى عن يمينه هم أصحاب اليمين وفى رواية ابن اسحق تعرض عليه أرواح ذريته فاذا نظر الى الذين عن يمينه ضحك وقد سئل عن هذا فقيل كيف رأى عن يمينه أرواح أصحاب اليمين ولم يكن اذ ذاك من أصحاب اليمين الا نفر قليل ولعله لم يكن مات تلك الليلة منهم احد وظاهر الحديث يقضى انهم كانوا جماعة فالجواب ان يقال ان كان الاسراء رؤيا بقلبه فتاويلها ان ذلك سيكون وان كانت رؤيا عين كما قال ابن عباس وغيره بمعناه ان ذلك أرواح المؤمنين رآها هنالك لأن الله تعالى يتوفى الخلق فى منامهم كما قال فى التنزيل « الله يتوفى الانفس حين موتها » فصعد بالارواح الى هنالك فرآها ثم أعيدت الى أجسادها وجواب آخر وهو ان أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله تعالى فى سورة المدثر فى قوله تعالى « الا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين » قال ابن عباس هم الاطفال الذين ماتوا صغاراً ولذلك سألوا المجرمين ماسلككم فى سقر لانهم ماتوا قبل ان يعلموا بكفر الكافرين وقد ثبت فى الصحيح ان اطفال المؤمنين والكافرين فى كفالة ابراهيم عليه السلام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين رآهم فى الروضة مع ابراهيم من هؤلاء يا جبريل فقال أولاد المؤمنين الذين يموتون صغاراً فقال له وأولاد الكافرين قال وأولاد الكافرين خرجه البخارى فى الحديث الطويل من كتاب الجنائز وخرجه فى موضع آخر فقال فيه أولاد الناس فهو فى الحديث الاول نص وفى الثانى عموم وقد روى فى أطفال الكافرين انهم خدم لاهل الجنة فعلى هذا لا يبعد ان يكون الذى رآه عن يمين آدم من نسم ذريته ارواح هؤلاء وفى هذا ما يدفع تشعيب هذا السؤال والاعتراض منه

﴿ فصل ﴾ وفيه شربه من اناء القوم وهو مغطى والماء وان كان لا يملك والناس شركاء فيه وفى النار والكلأ كما جاء فى الحديث لكن المستقى اذا أحرزه فى وعائه فقد ملكه فكيف استباح النبى صلى الله عليه وسلم شربه وهو ملك لغيره وأملاك الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ولا دماؤهم ﴿ فالجواب ﴾ ان العرب فى الجاهلية كان فى عرف العادة عندهم اباحة الرسل لابن السبيل فضلا عن الماء وكانوا يعهدون بذلك الى رعائهم ويشترطونه عليهم عند عقد اجارتهم الا يمنعوا الرسل وهو اللبن من أحد مر بهم وللحكم فى العرف فى الشريعة أصول تشهد له وقد ترجم البخارى عليه فى كتاب البيوع وخرج حديث هند بنت عتبة وفيه خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف

﴿ فصل ﴾ وذكر فيه انه دخل بيت المقدس ووجد فيه نفرا من الانبياء فصلى بهم وفى حديث الترمذى الذى قدمناه عن حذيفة انه أنكر ان يكون صلى بهم وقال ما زال من ظهر البراق حتى رأى الجنة والنار وما

وعده

قال الحسن فى حديثه فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى جبريل عليه السلام معه حتى انتهى به الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الانبياء فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ثم أتى باناءين فى أحدهما خمر والآخر لبن قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اناء اللبن فشرب منه وترك اناء الخمر قال فقال له جبريل هديت للفطرة وهديت أمتك يا محمد وحرمت عليكم الخمر ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فلما أصبح غدا على قريش فاخبرهم الخبر فقال أكثر الناس وهذا والله الأمر البين والله ان العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة قال فارتد كثير ممن كان أسلم وذهب الناس الى أبى بكر فقالوا له هل لك يا أبا بكر فى صاحبك يزعم انه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة قال فقال لهم أبو بكر انكم تكذبون عليه فقالوا بلى ها هو ذاك فى المسجد يحدث به الناس فقال أبو بكر والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرنى ان الخبر ليأتيه من السماء الى الارض فى ساعة من ليل أو نهار فاصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله احدثت هؤلاء القوم انك اتيت المقدس

هذه الليلة قال نعم قال يانبى الله فصفه لى فانى قد جئته قال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لى حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابى بكر و يقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف له منه شيئا قال صدقت اشهد انك رسول الله قال حتى انتهى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وانت ياابا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق * قال ابن اسحق قال الحسن وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن اسلامه لذلك وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فمايزيدهم الاطغيانا كبيرا فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومادخل فيه من حديث قتادة * قال ابن اسحق وحدثنى بعض آل أبى بكر ان عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تقول مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس ان معاوية بن أبى سفيان كان اذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت رؤيا من الله تعالى صادقة فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن ان هذه الآية أنزلت فى ذلك قول الله تبارك وتعالى وما جعلنا الرؤية التى أريناك الافتنة للناس ولقول الله تعالى فى الخبر عن ابراهيم ان قال لابنه يابنى انى أرى فى المنام انى أذبحك ثم مضى على ذلك فعرفت ان الوحى من الله ياتى الانبياء ايقاظا ونياما * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنى تنام عينى وقلبى يقظان والله أعلم اى ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ماعاين من أمر الله على أى حاليه كان نائما أو يقظان كل ذلك حق وصدق * قال ابن اسحق وزعم الزهرى عن سعيد بن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لاصحابه ابراهيم وموسى وعيسى حين رآهم فى تلك الليلة فقال أما ابراهيم فلم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى كأنه من رجال شنوءة وأما عيسى بن مريم فرجل أحمر بين القصير والطويل سبط الوجه كثير خيلان الوجه كانه خرج من ديماس تخال رأسه يقطر ماء وليس به ماء أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفى «قال ابن هشام» وكانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عمر مولى غفرة عن ابراهيم بن محمد بن على بن أبى طالب قال كان على بن أبى طالب عليه السلام اذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن بالطويل الممغط ولا القصير المتردد كان ربعة من القوم ولم يكن بالجعد القطط ولا السبط كان جعدا رجلا ولم يكن

وعده الله تعالى ثم عاد الى الارض وزيادة العدل مقبولة ورواية من أثبت مقدمة على رواية من نفى وذكر فيه صفة الانبياء وقال فى عيسى كأن رأسه يقطر ماء وليس به ماء وكأنه خرج من ديماس والديماس الحمام وأصله دماس ويجمع على دماميس وقد قيل فى جمعه دياميس ومثله قيراط ودينار وديباج الاصل فيها كلها التضعيف ثم قلب الحرف المدغم ياء فلما جمعوا وصغروا ردوه الى أصله فقالوا قراريط ودنانير غير انهم لم يقولوا ديانير ولا قياريط كما قالوا دياميس وقالوا دبابيج وديابيج وأصل الدمس التغطية ومنه ليل دامس وفى هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام اشارة الى الرى والخصب الذى يكون فى أيامه اذا أهبط الى الارض والله أعلم * وذكر فى صفة موسى انه آدم طوال ولوصفه اياه بالأدمة أصل فى كتاب الله تعالى قاله الطبرى عند تفسير قوله «تخرج بيضاء من غير سوء» قال فى خروج يده بيضاء آية فى ان خرجت بيضاء مخالفا لونها سائر لون جسده وذلك دليل بين على الادمة التى هى خلاف البياض * وذكر ابراهيم فقال لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعنى نفسه وفى آخر هذا الكلام اشكال من اجل ان أشبه منصوب فى الموضعين ولكن اذا فهمت معناه عرفت اعرابه ومعناه لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم به منه ثم كرر أشبه توكيدا فصارت لغوا كالمقحم وصاحبكم معطوف على الضمير الذى فى أشبه الاول الذى هو نعت لرجل وحسن العطف عليه وان لم يؤكد به كما حسن فى قوله تعالى «ما أشركنا ولا آباؤنا» من أجل الفصل بلا النافية ولو أسقط من الكلام أشبه الثانى لكان حسنا جدا ولو أخر صاحبكم فقال ولا أشبه به صاحبكم منه لجاز ويكون فاعلا باشبه الثانية ويكون من باب قولهم مارأيت رجلا أحسن فى عينه الكحل من زيد وهى مسئلة عذراء لم تفترعها أيدى النحاة بعد ولم يشف منها متقدم منهم ولا متأخر ممن رأينا كلامه فيها وقد أملينا فى غير هذا الكتاب فيها تحقيقا شافيا

﴿ فصل ﴾ وذكر فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم مما نعته به على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال لم يكن بالطويل الممغط بالغين المعجمة وفى غير هذه الرواية بالعين المهملة وذكر الاوصاف الى آخرها وقد شرحها أبو عبيد فقال عن الاصمعى والكسائى وابى عمرو وغير واحد * قوله ليس بالطويل الممغط أى ليس بالبائن الطويل ولا القصير المتردد يعنى الذى تردد خلقه بعضه على بعض وهو مجتمع ليس بسبط الخلق يقول فليس هو كذلك ولكن ربعة بين الرجلين وهكذا صفته صلى الله عليه وسلم وفى حديث آخر ضرب

بالمطهم ولا المكلثم وكان أبيض مشربا أدعج العينين أهدب الاشفار جليل المشاش والكتد دقيق المسربة أجرد شثن الكفين والقدمين اذامشى تقلع كانما يمشى فى صبب واذا التفت التفت معا بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفى الناس ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم * قال محمد بن اسحق وكان فيما بلغنى عن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها واسمها هند فى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها كانت تقول ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة فى بيتى فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ثم قام ليخرج فاخذت بطرف ردائه فتكشف عن بطنه وكانه قبطية مطوية فقلت له يا نبى الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبوك ويؤذوك قال والله لاحدثنهموه قالت فقلت لجارية لى حبشية ويحك اتبعى محمدا رسول الله حتى تسمعى ما يقول للناس وما يقولون له فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس أخبرهم فعجبوا وقالوا ما آية ذلك يا محمد فانا لم نسمع بمثل هذا قط قال آية ذلك انى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا فانفرهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا موجه الى الشام ثم أقبلت حتى اذا كنت بضجنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء وقد غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وآية ذلك ان عيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء قالت فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم وسألوهم عن الاناء فاخبروهم انهم وضعوه مملوأ ماء ثم غطوه وانهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا الآخرين وهم بمكة فقالوا صدق والله لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكره وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه حتى أخذناه * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئا قط أحسن منه وهو الذى يمد اليه ميتكم عينيه اذا حضر فاصعدنى صاحبى فيه حتى انتهى بى الى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه ملك من الملائكة يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك تحت يدى كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا الحديث وما يعلم جنود ربك الا هو قال فلما دخل بى قال من هذا يا جبريل قال محمد قال أوقد بعث قال نعم قال فدعا لى بخير

اللحم بين الرجلين * وقوله ليس بالمطهم قال الاصمعى هو التام كل شئ منه على حدته فهو بارع الجمال وقال غير الاصمعى المكلثم المدور الوجه يقول ليس كذلك ولكنه مسنون * وقوله مشرب يعنى الذى أشرب حمرة والادعج العين الشديد سواد العين قال الاصمعى الدعجة هى السواد والجليل المشاش العظيم رؤس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين * وقوله الكتد هو الكاهل وما يليه من جسده وقوله شثن الكفين والقدمين يعنى انهما الى الغلظ وقوله ليس بالسبط ولا الجعد القطط فالقطط الشديد الجعودة مثل شعور الحبشة ووقع فى غريب الحديث لابى عبيد التام كل شئ منه على حدته يقول ليس كذلك ولكنه بارع الجمال فهذه الكلمة أعنى ليس كذلك مخلة بالشرح وقد وجدته فى رواية أخرى عن ابى عبيد باسقاط يقول ليس كذلك ولكن على نص ما ذكرناه آنفا عنه عن الاصمعى والذى فى غريب الحديث من تلك الزيادة وهم وقع فى الكتاب والله أعلم واما ما رواه الترمذى عن الاصمعى فى شرح المطهم قال هو البادن الكثير اللحم ذكره عن أبى جعفر عن الاصمعى وذكر عنه فى الممغط نحو ما قدمناه قال وسمعت اعرابيا يقول تمغط فى نشابة أى مدها وفى كتاب العين مغطت الشئ اذا مددته وقال فى باب العين المهملة معطت الشئ اذا مددته كما قال فى الغين المعجمة فعلى هذا يقال فيه ممغط وممعط ووزنه منفعل وادغمت النون فى الميم كما ادغمت فى محوته فامحى لما أمن التباسه بالمضاعف ولم يدغموا النون فى الميم فى شاة زنماء ولا فى غنم لئلا يلتبس بالمضاعف لو قالوا زماء وغما وقد ذكرنا قبل ما وهم فيه الترمذى من تفسير زر الحجلة حيث قال يقال انه بيض له حيث تكلمنا على خاتم النبوة وصفته واختلاف الرواية فيه والحمد لله

﴿ فصل ﴾ وقد تكلم العلماء فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الاسراء فروى مسروق عن عائشة انها أنكرت ان يكون رآه وقالت من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية واحتجت بقوله سبحانه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وفى مصنف الترمذى عن ابن عباس وكعب الاحبار انه رآه قال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال رأيت نورا وفى حديث آخر من كتاب مسلم انه قال نوراً انى أراه وليس فى هذا الحديث

بيان

وقاله * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تلقتنى الملائكة حين دخلت السماء الدنيا فلم يلقنى ملك الا ضاحكا مستبشرا يقول خيرا ويدعو به حتى لقينى ملك من الملائكة فقال مثل ما قالوا ودعا بمثل ما دعوا به الا انه لم يضحك ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره فقلت لجبريل يا جبريل من هذا الملك الذى قال لى كما قالت الملائكة ولم يضحك ولم أر منه من البشر مثل الذى رأيت منهم قال فقال لى جبريل اما انه لو كان ضحك الى أحد كان قبلك او كان ضاحكا الى أحد بعدك لضحك اليك ولكنه لا يضحك هذا مالك خازن النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لجبريل وهو من الله تعالى بالمكان الذى وصف لكم مطاع ثم أمين الا تامره ان يرينى النار فقال بلى يا مالك أر محمدا النار قال فكشف عنها غطاءها ففارت وارتفعت حتى ظننت لتاخذن ما أرى قال فقلت لجبريل يا جبريل مره ليردها الى مكانها قال فامره فقال لها اخبئ فرجعت الى مكانها الذى خرجت منه فما شبهت رجوعها الا وقوع الظل حتى اذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها قال أبو سعيد الخدرى فى حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم فيقول لبعضها اذا عرضت عليه خيرا ويسر به ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ويقول لبعضها اذا عرضت عليه أف ويعبس بوجهه ويقول روح خبيثة خرجت من جسد خبيث قال قلت من هذا ياجبريل قال هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته فاذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وقال روح طيبة خرجت من جسد

بيان شاف انه رآه وحكى عن أبى الحسن الاشعرى انه قال رآه بعينى رأسه وفى تفسير النقاش عن ابن حنبل انه سئل هل رأى محمد ربه فقال رآه رآه رآه حتى انقطع صوته * وفى تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى وذكر انكار عائشة انه رآه فقال الزهرى ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس وفى تفسير ابن سلام عن عروة انه كان اذا ذكر انكار عائشة ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه يشتد ذلك عليه وقول أبى هريرة فى هذه المسئلة كقول ابن عباس انه رآه روى يونس عن ابن اسحق عن داود بن الحصين قال سأل مروان أبا هريرة هل رأى محمد ربه قال نعم وفى رواية يونس ان ابن عمر أرسل الى ابن عباس يسئله هل رأى محمد ربه فقال نعم رآه فقال ابن عمر وكيف رآه فقال ابن عباس كلاما كرهت ان أورده بلفظه لما يوهم من التشبيه ولو صح لكان له تأويل والله اعلم والمتحصل من هذه الاقوال والله أعلم انه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه فى حظيرة القدس عند الكرامة العظمى والنعيم الاكبر ولكن دون ذلك والى هذا يومئ قوله رأيت نوراً ونوراً انى أراه فى الرؤية الاخرى والله اعلم * وأما الدنو والتدلى فهما خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم عن بعض المفسرين وقيل ان الذى تدلى هو جبريل عليه السلام تدلى الى محمد حتى دنا منه وهذا قول طائفة أيضا وفى الجامع الصحيح فى احدى الروايات منه فتدلى الجبار وهذا مع صحة نقله لا يكاد احد من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره أو للغفلة عن موضعه ولا استحالة فيه لان حديث الاسراء ان كان رؤيا رآها بقلبه وعينه نائمة كما فى حديث أنس فلا اشكال فيما يراه فى نومه عليه السلام فقد رآه فى أحسن صورة ووضع كفه بين كتفيه حتى وجد بردها بين ثدييه رواه الترمذى من طريق معاذ فى حديث طويل ولما كانت هذه رؤيا لم ينكرها أحد من اهل العلم ولا استبشعها وقد بينا آنفا ان حديث الاسراء كان رؤيا ثم كان يقظة فان كان قوله فتدلى الجبار فى المرة التى كان فيها غير نائم وكان الاسراء بجسده فيقال فيه من التأويل ما يقال فى قوله ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فليس بابعد منه فى باب التأويل فلا نكارة فيه كان فى نوم أو يقظة وقد اشرنا الى تمام هذا المعنى فى شرح ما تضمنه لفظ القوسين من قوله قاب قوسين فى جزء أمليناه فى شرح سبحان الله وبحمده تضمن لطائف من معنى التقديس والتسبيح فلينظر هناك وأملينا أيضاً فى معنى رؤية الرب سبحانه فى المنام وفى عرصات القيامة مسئلة لقناع الحقيقة فى ذلك كاشفة فمن أراد فهم الرؤية والرؤيا فلينظرها هنالك ويقوى ما ذكرناه من معنى اضافة التدلى الى الرب سبحانه كما فى حديث البخارى ما رواه ابن سنجر مسندا الى شريح بن عبيد قال لما صعد النبى صلى الله عليه وسلم الى السماء فأوحى الى عبده ما أوحى فلما احس جبريل بدنو الرب خرّ ساجدا فلم يزل يسبح سبحان رب الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة حتى قضى الله الى عبده ما قضى قال ثم رفع رأسه فرأيته فى خلقه الذى خلق عليه منظوما أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت نخيل الى ان ما بين عينيه قد سد الافقين وكنت لا أراه قبل ذلك الا على صور مختلفة وكنت أكثر ما أراه على صورة دحية بن خليفة الكلبى وكان أحيانا لا يراه قبل ذلك الا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال

﴿ فصل ﴾ ومما سئل عنه من حديث الاسراء وتكلم فيه لقاؤه لآدم فى السماء الدنيا ولابراهيم فى السماء

طيب واذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها وساءه ذلك وقال روح خبيثة خرجت من جسد خبيث قال ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل فى أيديهم قطع من نار كالافهار يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما قال ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون على النار يطؤونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك قال قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء أكلة الربا قال ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب الى جنبه لحم غث منتن يا كلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب قال قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن قال ثم رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم * قال ابن اسحق وحدثنى جعفر بن عمرو عن القاسم بن محمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فا كل حرائبهم واطلع على عوراتهم * قال ابن اسحق ثم رجع الى حديث أبى سعيد الخدرى قال ثم أصعدنى الى السماء الثانية فاذا فيها ابنا الخالة عيسى بن مريم ويحيي بن زكريا قال ثم اصعدنى الى السماء الثالثة فاذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر قال قلت من هو ياجبريل قال هذا أخوك يوسف بن يعقوب قال ثم اصعدنى الى السماء الرابعة فاذا فيها رجل فسألته من هو فقال هذا ادريس قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعناه مكانا عليا قال ثم اصعدنى الى السماء الخامسة فاذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية عظيم العثنون لم أر كهلا أجمل منه قال قلت من هذا ياجبريل قال هذا المحبب فى قومه هرون بن عمران قال ثم اصعدنى الى السماء السادسة فاذا فيها رجل آدم طويل أقنى كانه من رجال شنوءة فقلت له من هذا ياجبريل قال هذا أخوك موسى بن عمران

السابعة وغيرهما من الانبياء الذين لقيهم فى غيرها تين السماءين والحكمة فى اختصاص كل واحد منهم بالسماء التى رآه فيها وسؤال آخر فى اختصاص هؤلاء الانبياء باللقاء دون غيرهم وان كان رأى الانبياء كلهم فما الحكمة فى اختصاص هؤلاء الانبياء بالذكر وقد تكلم أبو الحسن بن بطال فى شرح البخارى على هذا السؤال فلم يصنع شيئا ومغزى كلامه الذى أشار اليه ان الانبياء لما علموا بقدومه عليهم ابتدروا الى لقائه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم فمنهم من أسرع ومنهم من أبطأ الى هذا المعنى أشار فلم يزد عليه والذى أقول فى هذا ان ما خذ فهمه من علم التعبير فانه من علم النبوءة وأهل التعبير يقولون من رأى نبيا بعينه فى المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه حال ذلك النبي من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الامور التى أخبر بها عن الانبياء فى القرآن والحديث وحديث الاسراء كان بمكة وهى حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله لان فيها بيته فأول ما رأى عليه من الانبياء آدم الذى كان فى أمن الله وجواره فاخرجه عدوه ابليس منها وهذه القصة تشبهها الحالة الاولى من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته فكربه ذلك وغمه وأشبهت قصته فى هذا قصة آدم مع ان آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر والفاجر منهم فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لان أرواح أهل الشقاء لا تلج فى السماء ولا تفتح لهم أبوابها كما قال الله تعالى ثم رأى فى الثانية عيسى ويحيي وهما الممتحنان باليهود أما عيسى فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيي فقتلوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله الى المدينة صار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله تعالى كما نجى عيسى منهم ثم سموه فى الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت وهكذا فعلوا بابنى الخالة عيسى ويحيي لان أم يحيي أشياع بنت عمران أخت مريم أمهما حنة وأما لقاؤه ليوسف فى السماء الثالثة فانه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف وذلك ان يوسف ظفر باخوته بعد ما أخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم الآية وكذلك نبينا عليه السلام أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق ومنهم من قبل افداءه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم أقول ما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم ثم لقاؤه لادريس فى السماء الرابعة وهو المكان الذى سماه الله مكانا عليا وادريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مؤذنا بحالة رابعة وهى علو شأنه عليه السلام حتى أخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي عليه السلام ورأى ما رأى من خوف هرقل لقد أمر أمر ابن أبى كبشة حتى أصبح يخافه ملك بنى الاصفر وكتب عنه بالقلم الى جميع ملوك الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشى وملك عمان ومنهم من هادنه وأهدى اليه وأتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه فاظهره الله عليه فهذا مقام علي وخط بالقلم كنحو ما أوتى ادريس عليه السلام ولقاؤه فى السماء الخامسة لهارون المحبب فى قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه ولقاؤه فى السماء السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة

الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بنى اسرائيل البلد الذى خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا وافتتح مكة ودخل أصحابه البلد الذى خرجوا منه ثم لقاؤه فى السماء السابعة لابراهيم عليه السلام لحكمتين احداهما انه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره اليه والبيت المعمور حيال مكة واليه تحج الملائكة كما ان ابراهيم هو الذى بنى الكعبة وأذن فى الناس بالحج اليها والحكمة الثانية ان آخر أحوال النبى صلى الله عليه وسلم حجه الى البيت الحرام وحج معه نحو من سبعين ألفا من المسلمين ورؤية ابراهيم عند أهل التاويل تؤذن بالحج لانه الداعى اليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة فقد انتظم فى هذا الكلام الجواب عن السؤالين المتقدمين أحدهما السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر والآخر السؤال عن تخصيصهم بهذه الاماكن من السماء الدنيا الى السابعة وكان الحزم ترك التكلف لتاويل مالم يرد فيه نص عن السلف ولكن عارض هذا الغرض ما يجب من التفكر فى حكمة الله والتدبر لآيات الله وقول الله تعالى «ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» وقد روى ان تفكر ساعة خير من عبادة سنة مالم يكن النظر والتفكر مجردا من ملاحظة الكتاب والسنة ومقتضى كلام العرب فعند ذلك يكون القول فى الكتاب والسنة بغير علم عصمنا الله تعالى من ذلك وجعلنا من الممتثلين لامره حيث يقول فاعتبروا يا أولى الابصار وليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب ولولا اسراع الناس الى انكار ما جهلوه وغلظ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لابدينا من سر هذا السؤال وكشفنا عن الحكمة فى هؤلاء الانبياء المسمين فى هذه المراتب أكثر مما كشفنا

﴿فصل﴾ وذكر البيت المعمور وانه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك روى ابن سنجر عن على رحمه الله قال البيت المعمور بيت فى السماء السابعة يقال له الضراح واسم السماء السابعة عريباء وروى أبو بكر الخطيب باسناد صحيح الى وهب بن منبه قال من قرأ البقرة وآل عمران يوم جمعة كان له نور يملأ ما بين عريباء وجريباء وجريباء هى الارض السابعة وذكر عن عبد الله بن أبى الهذيل قال البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دحية عند كل دحية سبعون ألف ملك رواه عنه أبو التياح قال أبو سلمة قلت ما الدحية قال الرئيس وروى ابن سنجر أيضاً من طريق أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال مكة وفى السماء السابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن ياتوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون اليه أبدا يولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف لهم من السماء موقفا يسبحون الله الى أن تقوم الساعة

﴿فصل﴾ وأما فرض الصلاة عليه هنالك ففيه التنبيه على فضلها حيث لم تفرض الا فى الحضرة المقدسة ولذلك كانت الطهارة من شأنها ومن شرائط أدائها والتنبيه على انها مناجاة الرب وان الرب تعالى مقبل بوجهه على المصلى يناجيه يقول حمدنى عبدى أثنى على عبدى الى آخر السورة وهذا مشاكل لفرضها عليه فى السماء السابعة حيث سمع كلام الرب وناجاه ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلى للصلاة واخرج عن الدنيا بجسمه كما يخرج المصلى عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شىء الا مناجاة ربه وتوجهه الى قبلته فى ذلك الحين وهو بيت المقدس ورفع الى السماء كما يرفع المصلى يديه الى جهة السماء اشارة الى القبلة العليا وهى البيت المعمور والى جهة عرش من يناجيه ويصلى له سبحانه

﴿فصل﴾ وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر الى خمس صلوات وقد روى أيضاً

ثم أصعدنى الى السماء السابعة فاذا فيها كهل جالس على كرسى الى باب البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون فيه الى يوم القيامة لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم اشبه به منه قال قلت من هذا ياجبريل قال هذا أبوك ابراهيم قال ثم دخل بى الى الجنة فرأيت فيها جارية لعساء فسألتها لمن أنت وقد أعجبتنى حين رأيتها فقالت لزيد بن حارثة فبشر بها رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة ❊ قال ابن اسحق ومن حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى ان جبريل لم يصعد به الى سماء من السموات الا قال له حين يستأذن دخولها من هذا ياجبريل فيقول محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون أوقد بعث اليه فيقول نعم فيقولون حياه الله من أخ وصاحب حتى انتهى به الى السماء السابعة ثم انتهى به الى ربه ففرض عليه خمسين صلاة كل يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت راجعا فلما مررت بموسى بن عمران ونعم الصاحب كان لكم سألنى كم فرض عليك من الصلاة فقلت خمسين صلاة كل يوم فقال ان الصلاة ثقيلة وان أمتك ضعيفة فارجع الى ربك فاسأله ان يخفف عنك وعن أمتك فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى فوضع عنى عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى فوضع عنى عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت فسألت ربى

انها حطت خمسا بعد خمس وقد يمكن الجمع بين الروايتين لدخول الخمس فى العشر فقد تكلم فى هذا النقص من الفريضة أهو نسخ أم لا على قولين فقال قوم هو من باب نسخ العبادة قبل العمل بها وأنكر ابو جعفر النحاس هذا القول من وجهين أحدهما البناء على أصله ومذهبه فى ان العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها لان ذلك عنده من البداء والبداء محال على الله سبحانه الثانى ان العبادة ان جاز نسخها قبل العمل بها عند من يرى ذلك فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها الى الارض ووصولها الى المخاطبين قال وانما ادعى النسخ فى هذه الصلوات الموضوعة عن محمد وأمته القاشانى ليصحح بذلك مذهبه فى أن البيان لا يتأخر ثم قال أبو جعفر انما هى شفاعة شفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته ومراجعة راجعها ربه ليخفف عن أمته ولا يسمى مثل هذا نسخا (قال المؤلف) اما مذهبه فى ان العبادة لا تنسخ قبل العمل بها وان ذلك بداء فليس بصحيح لان حقيقة البداء ان يبدو للآمر رأى يتبين له الصواب فيه بعد أن لم يكن تبينه وهذا محال فى حق من يعلم الاشياء بعلم قديم وليس النسخ من هذا فى شىء انما النسخ تبديل حكم بحكم والكل فى سابق علمه ومقتضى حكمته كنسخه المرض بالصحة والصحة بالمرض ونحو ذلك وأيضا بان العبد المأمور يجب عليه عند توجه الامر اليه ثلاث عبادات الفعل الذى أمر به والعزم على الامتثال عند سماع الامر واعتقاد الوجوب ان كان واجبا فان نسخ الحكم قبل الفعل فقد حصلت فائدتان العزم واعتقاد الوجوب وعلم الله ذلك منه فصح امتحانه له واختباره اياه وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته وانما الذى لا يجوز نسخ الامر قبل نزوله وقبل علم المخاطب به والذى ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها فليس هو حقيقة النسخ لان العبادة المأمور بها قد مضت وانما جاء الخطاب بالنهى عن مثلها الا عنها * وقولنا فى الخمس والاربعين صلاة الموضوعة عن محمد وأمته أحد وجهين اما أن يكون نسخ ما وجب على النبى صلى الله عليه وسلم من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب وهذا قد قدمنا انه نسخ على الحقيقة ونسخ عنه ما وجب عليه من التبليغ فقد كان فى كل مرة عازما على تبليغ ما أمر به وقول أبى جعفر انما كان شافعا ومراجعا ينفى النسخ فان النسخ قد يكون عن سبب معلوم فشفاعته عليه السلام لامته كانت سببا للنسخ لا مبطلة لحقيقته ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس فى خاصته وأما امته فلم ينسخ عنهم حكم اذ لا يتصور نسخ الحكم قبل بلوغه الى المأمور كما قدمنا وهذا كله أحد الوجهين فى الحديث والوجه الثانى أن يكون هذا خبرا لا تعبدا واذا كان خبرا لم يدخله النسخ ومعنى الخبر انه عليه السلام أخبره ربه ان على أمته خمسين صلاة ومعناه انها خمسون فى اللوح المحفوظ وكذلك قال فى آخر الحديث هى خمس وهى خمسون والحسنة بعشر أمثالها فتأوله رسول الله صلى الله عليه وسلم على انها خمسون بالفعل فلم يزل يراجع ربه حتى بين له انها خمسون فى الثواب لا بالعمل (فان قيل) فما معنى نقصها عشرا بعد عشر (قلنا) ليس كل الخلق يحضر قلبه فى الصلاة من أولها الى آخرها وقد جاء فى الحديث انه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها وان العبد يصلى الصلاة فيكتب له نصفها ربعها حتى انتهى الى عشرها ووقف فهى خمس فى حق من كتب له عشرها وعشر فى حق من كتب له أكثر من ذلك وخمسون فى حق من كملت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها

﴿فصل﴾ وذكر انه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة الا ضاحكا مستبشرا الا مالكا خازن جهنم وذلك انه لم يضحك لاحد قبله ولا هو ضاحك لاحد ومصداق هذا فى كتاب الله تعالى قال الله سبحانه «عليها ملائكة غلاظ شداد» وهم موكلون بغضب الله تعالى فالغضب لا يزايلهم أبدا وفى هذا الحديث معارضة

فوضع عنى عشرا ثم رجعت
فمررت على موسى فقال
لى مثل ذلك فرجعت فسألته
فوضع عنى عشرا فمررت
على موسى ثم لم يزل يقول لى
مثل ذلك كلما رجعت
اليه قال فارجع فاسأل
حتى انتهيت الى ان وضع
ذلك عنى الا خمس صلوات
فى كل يوم وليلة ثم رجعت
الى موسى فقال لى مثل ذلك
فقلت قد راجعت ربى
وسألته حتى استحييت منه
فما انا بفاعل فمن أداهن منكم
ايمانا بهن واحتسابا لهن كان
له أجر خمسين صلاة
صلوات الله على محمد صلى
الله عليه وسلم

للحديث الذى فى صفة ميكائيل انه ماضحك منذ خلق الله جهنم وكذلك يعارضه ماخرج الدارقطنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم فى الصلاة فلما انصرف سئل عن ذلك فقال رأيت ميكائيل راجعا من طلب القوم وعلى جناحيه الغبار فضحك الىّ فتبسمت اليه واذا اصح الحديثان فوجه الجمع بينهما أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار الى هذه المدة التى ضحك فيها الرسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الحديث عاما يراد به الخصوص أو يكون الحديث الاول حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هذا الحديث الاخير ثم حدث بعد بما حدث به من ضحكه اليه والله أعلم ولم ير مالكا على الصورة التى يراه عليها المعذبون فى الآخرة ولو رآه على تلك الصورة مااستطاع ان ينظر اليه وذكر أكلة الربا وأنهم بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة وهى العطاش والهيام شدة العطش وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مهيومة كما لا يقال معطوشة انما يقال هائم وهيمان وقد يقال هيوم ويجمع على هيم ووزنه فعل بالضم لكن كسر من اجل الياء كما قال تعالى «فشاربون شرب الهيم» ولكن جاء فى الحديث مهيومة كانه شىء فعل بها كالمحمومة والمجنونة وكالمنهوم وهو الذى لا يشبع وكان قياس الياء أن تعتل فيقال مهيمة كما يقال مبيعة فى معنى مبيوعة ولكن صحت الياء لانها فى معنى الهيومة كما صحت الواو فى عور لانه فى معنى أعور وكما صحت فى جتوروا لانه فى معنى تجاوروا وانما رآهم منتفخة بطونهم لان العقوبة مشاكلة للذنب فآكل الربا يربو بطنه كما أراد ان يربو ماله بأكل ماحرم عليه فمحقت البركة من ماله وجعلت نفخا فى بطنه حتى يقوم كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس وانما جعلوا بطريق آل فرعون يمرون عليهم غدوّا وعشيا لان آل فرعون هم أشد الناس عذابا يوم القيامة كما قال سبحانه «أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» فخصوا بسبيلهم ليعلم أن الذين هم أشد الناس عذابا يطؤونهم فضلا عن غيرهم من الكفار وهم لا يستطيعون القيام ومعنى كونهم فى طريق جهنم بحيث يمر بالكفار عليهم ان الله سبحانه قد أوقف امرهم بين ان ينتهوا فيكون خيرا لهم وبين ان يعودوا ويصروا فيدخلهم النار وهذه صفة من هو فى طريق النار قال الله تعالى «فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى» الى آخر الآية وفى بعض المسندات انه رأى بطونهم كالبيوت يعنى أكلة الربا وفيها حيات ترى من خارج البطون (فان قيل) هذه الاحوال التى وصفها عن أكلة الربا ان كانت عبارة عن حالهم فى الآخرة فآل فرعون فى الآخرة قد أدخلوا أشد العذاب وانما يعرضون على النار غدوّا وعشياً فى البرزخ وان كانت هذه الحال التى رآهم عليها فى البرزخ فاى بطون لهم وقد صاروا عظاما ورفاتا ومزقوا كل ممزق (فالجواب) انه انما رآهم فى البرزخ لانه حديث عما رأى وهذه الحال هى حال أرواحهم بعد الموت وفيها تصحيح لمن قال الارواح أجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب فيخلق الله فى تلك الارواح من الآلام ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطىء بالاقدام ولا يستطيع من قيام وليس فى هذا الحديث دليل على انهم أشد عذابا من آل فرعون ولكن فيه دليل على انهم يطؤوهم آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم ياكلوا الربا ماداموا فى البرزخ الى ان يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ثم ينادى منادى الله «ادخلوا آل فرعون أشد العذاب» وكذلك ما رأى من النساء المعلقات بثديين يجوز أن يكون رأى ارواحهن وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله ويحتمل أيضاً أن يكون مثلت له حالهن فى الآخرة وذكر الذين يدعون ما أحل الله من نسائهم ويأتون ماحرم عليهم وهذا نص على تحريم اتيان النساء فى اعجازهن وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والاجماع وقد ذكرنا المواضع التى يقوم منها التحريم على هذه المسئلة من كتاب الله ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا ماجاء فى ذلك

عن ابن عباس من قوله هو الكفر وقول ابن عمر هي اللوطية الصغرى وأما الاجماع فان المرأة ترد بداء الفرج ولو جاز وطؤها في المسلك الآخر ما أجمعوا على ردها بداء الفرج وقد مهدنا الادلة على هذه المسئلة مفردة في غير هذا الاملاء بما فيه شفاء والحمد لله * وقوله فاكل حرائبهم الحريبة المال وهو من الحرب وهو السلب يريد أن الولد اذا كان لغير رشدة نسب الى الذي ولد على فراشه فيأكل من ماله صغيرا وينظر الى بناته من غير أمه والى اخواته واسن بعمات له والى أمه وليست بجدة له وهذا فساد كبير وانما قدم ذكر الاكل من حريبته وماله قبل الاطلاع على عوراته وان كان الاطلاع على العورات أشنع لان نفقته عليه أول من حال صغره ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عوراته أولا يبلغ وأيضاً فان الام ان أرضعته بلبانها ولم تدفعه الى مرضعة كان الزوج أباله من الرضاعة وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة وفي ذلك نقصان من الشناعة فان بلغ الصبي وتابت الام وأعلمته انه لغير رشدة ليستعف عن ميراثهم ويكف عن الاطلاع على عوراتهم أو علم ذلك بقرينة حال وجب عليه ذلك وان كان شر الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزنى وقد تؤول حديث شر الثلاثة على وجوه هذا أقربها الى الصواب لقوله عليه السلام أكل حرائبهم واطلع على عوراتهم ومن فعل هذا عن عمد وقصد فهو شر الناس وان لم يعلم فاكله واطلاعه شر عمل وأبواه حين زنيا فارقا ذلك العمل الخبيث لحينهما والابن في عمل خبيث من منشئه الى وفاته فعمله شر عمل وفي هذا الحديث من الفقه أيضاً أن حكم الحاكم لا يحل حراما وذلك ان الولد في حكم الشريعة للفراش الا ان ينفى باللعان فاذا حكم الحاكم بهذا وعلم الولد عند بلوغه خلاف ما حكم به الحاكم لم يحل له بهذا الحكم ما حرم الله عليه من أكل الحرائب والاطلاع على العورات وفي هذا رد لمذهب أبي حنيفة من قوله ان حكم الحاكم قد يحل ما يعلم انه حرام مثل ان يشهد شاهدان على رجل انه طلق وهما يعلمان انه لم يطلق فيقبل القاضي شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل فاذا بانت منه كان لاحد الشاهدين ان ينكحها مع علمه بانه قد شهد زوراً ولم يقل أبو حنيفة بهذا القول في الاموال لقول النبي عليه السلام لعل أحدكم ان يكون ألحن بحجته من صاحبه فاقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار ففي هذا الحديث مع الذي تقدم رد لمذهبه ولا حجة له في ان يقول ذلك مخصوص بالاموال من وجهين * أحدهما ان القياس أصل من أصوله وقياس المسئلتين واحد * الثاني انه قال من حق اخيه ولم يقل من مال أخيه وهذا اللفظ يعم الحقوق كلها

﴿قال المؤلف﴾ وعندي ان أبا حنيفة رحمه الله انما بنى هذه المسئلة على أصله في طلاق المكره فانه عنده لازم فاذا أكره الرجل على الطلاق وقلنا بلزوم الطلاق له فقد حرمت المرأة عليه واذا حرمت عليه جاز ان ينكحها من شاء فالاثم انما تعلق في هذا المذهب بالشهادة دون النكاح وقد خالفه فقهاء الحجاز في طلاق المكره وقولهم يعضده الاثر وقول أبي حنيفة يعضده النظر والخوض في هذه المسئلة يصدنا عما نحن بسبيله

﴿فصل﴾ وذكره لادريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى «ورفعناه مكانا علياً» مع انه قد رأى موسى وابراهيم في مكان أعلى من مكان ادريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الاحبار ان ادريس خص من جميع الانبياء ان رفع قبل وفاته الى السماء الرابعة ورفعه ملك كان صديقاله وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر وكان ادريس سأله ان يريه الجنة فاذن له الله في ذلك فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت فعجب وقال أمرت ان أقبض روح ادريس الساعة في السماء الرابعة فقبضه هنالك فرفعه حياً الى ذلك المكان العلي خاص له دون الانبياء

﴿فصل﴾ وذكر من قول الانبياء له في كل سماء مرحباً بالاخ الصالح وقول آدم وابراهيم بالابن الصالح

* قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله تعالى صابرا محتسبا مؤديا الى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والاذى وكان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم * من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب الاسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به فقال اللهم أعم بصره واثكله ولده * ومن بنى زهرة بن كلاب الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب العاص بن وائل بن هشام « قال ابن هشام » العاص بن وائل بن هاشم ابن سعيد بن سهم ومن بنى خزاعة الحرث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحرث بن عبد عمرو بن ملكان فلما تمادوا فى الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون * قال ابن اسحق فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء ان جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الاسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى فمات منه حبنا ومر به الوليد بن المغيرة فاشار الى أثر جرح باسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سبله وذلك انه مر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش فى رجله ذلك الخدش وليس بشئ فانتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل فاشار الى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته ومر به الحرث بن الطلاطلة فاشار الى رأسه فامتحض قيحا فقتله * قال ابن اسحق فلما حضر الوليد الوفاة دعا بنيه وكانوا ثلاثة هشام بن الوليد والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد فقال لهم أى بنى أوصيكم بثلاث فلا تضيعوا فيهن دمى فى خزاعة فلا تطلنه والله انى لأعلم أنهم منه

وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب حجة لمن قال ان ادريس ليس بجد لنوح ولا هو من آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه قال مرحباً بالاخ الصالح ولم يقل بالابن الصالح وأما اعتناء موسى عليه السلام بهذه الامة والحاحه على نبيها ان يشفع لها ويسئل التخفيف عنها فلقوله والله أعلم حين قضى اليه الامر بجانب الغربى ورأى صفات أمة محمد عليه السلام فى الالواح وجعل يقول انى أجد فى الالواح أمة صفتهم كذا اللهم اجعلهم أمتى فيقال له تلك أمة احمد وهو حديث مشهور فكان اشفاقه عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلنى منهم والله أعلم * ومما جاء فى حديث الاسراء مما لم يذكره ابن اسحق فى مسند الحارث بن أبى اسامة انه عليه السلام ناداه مناد وهو على ظهر البراق يا محمد فلم يعرج عليه ثم ناداه آخر يا محمد يا محمد ثلاثا فلم يعرج عليه ثم لقيته امرأة عليها من كل زينة ناشرة يديها تقول يا محمد يا محمد حتى تغشته فلم يعرج عليها ثم سأل جبريل عما رأى فاخبره فقال أما المنادى الاول فداعى اليهود لو أجبته لتهودت أمتك وأما الآخر فداعى النصارى لو أجبته لتنصرت امتك واما المرأة التى كان عليها من كل زينة فانها الدنيا لو اجبتها لآثرت الدنيا على الآخرة

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث المستهزئين الذين أنزل الله فيهم « انا كفيناك المستهزئين » وذكر فيهم الحارث بن الطلاطلة والطلاطلة أمه قاله أبو الوليد الوقشى والطلاطلة فى اللغة الداهية * قال أبو عبيد كل داء عضال فهو طلاطلة وذكر فى نسبه عبد عمرو بن ملكان وملكان بالضبطين جميعا وفى حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبى بحر قال قد تقدم من قول ابن حبيب النحوى ان الناس ليس فيهم ملكان بفتح الميم واللام الا ملكان بن جرم بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وملكان بن عباد بن عياض بن عقبة بن السكون بن اشرس واخوة عدى هم تجيب عرفوا بامهم تجيب بنت دهم بن ثوبان وهم من كندة وكل من فى الناس وغيرهما ملكان مكسور الميم ساكن اللام وقال مشايخ خزاعة فى خزاعة ملكان بفتح الميم قال القاضى يعنى ابن حبيب ملكان بن أفصى بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وقال غير ابن حبيب كالذى يخرج من عبارته ان الذى فى خزاعة انما هو ملكان بن أفصى مثل ملكان بن عدى بن عبد مناة من الرباب الذين منهم ذو الرمة الشاعر ومثل ملكان بن عبد مناة من الرباب أيضاً رهط سفيان بن سعيد الثورى وذكر فى المستهزئين الاسود بن عبد يغوث الزهرى روى انه لما أنزل الله تعالى « انا كفيناك المستهزئين » نزل جبريل عليه السلام فحنا ظهر الاسود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالى خالى فقال له جبريل خل عنك ثم حناه حتى قتله ذكره الدارقطنى

﴿ فصل ﴾ وذكر وفاة الوليد بن المغيرة وقوله لبنيه وعقرى عند أبى ازيهر الدوسى لا تدعوه العقردية

برآء ولكنى أخشى أن تسبوا به بعد اليوم ورباى فى ثقيف فلا تدعوه حتى تاخذوه وعقرى عند أبى أزيهر الدوسى فلا يفوتنكم به وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتا ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات فلما هلك الوليد بن المغيرة وثبت بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد وقالوا انما قتله سهم صاحبكم وكان لبنى كعب حلف من بنى عبد المطلب بن هاشم فابت عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا أشعارا وغلظ بينهم الامر وكان الذى أصاب الوليد سهمه رجلا من بنى كعب بن عمرو من خزاعة فقال عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

انى زعيم أن تسيروا فتهربوا * وان تتركوا الظهران تعوى ثعالبه
وأن تتركوا ماء بجرعة أطرقا * وأن تسألوا أى الاراك أطايبه
فانا أناس لا تطل دماؤنا * ولا يتعاطى صاعدا من نحاربه

وكانت ظهران وارا كه منازل بنى كعب من خزاعة * فاجابه الجون بن أبى الجون أخو بنى كعب بن عمرو الخزاعى فقال

والله لا نؤتى الوليد ظلامة * ولما تروا يوما تزول كواكبه
ويصرع منكم مسمن عند مسمن * ويفتح بعد الموت قسرا مشاربه
اذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم * فكلكم باكى الوليد ونادبه

ثم ان الناس ترادوا وعرفوا انما يخشى القوم السبة فاعطتهم خزاعة بعض العقل وانصرفوا عن بعض فلما اصطلح القوم قال الجون بن أبى الجون

وقائلة لما اصطلحنا تعجبا * لما قد حملنا للوليد وقائل
ألم تقسموا تؤتوا الوليد ظلامة * ولما تروا يوما كثير البلابل
فنحن خلطنا الحرب بالسلم فاستوت * فأم هواه آمنا كل راحل

صحت

ثم لم ينته الجون بن أبى الجون حتى افتخر بقتل الوليد وذكر انهم أصابوه وكان ذلك باطلا فلحق الوليد بولده وقومه من ذلك ما حذر فقال الجون بن أبى الجون

ألا زعم المغيرة ان كعبا * بمكة منهم قدر كبير
فلا تفخر مغيرة أن تراها * بها يمشى المعلهج والمهير
بها آباؤنا وبها ولدنا * كما أرسى بمثبته ثبير
وما قال المغيرة ذاك الا * ليعلم شأننا أو يستثير
فان دم الوليد يطل أنا * نطل دماء أنت بها خبير
كساه الفاتك الميمون سهما * زعافا وهو ممتلىء بهير
فخر ببطن مكة مسلحبا * كأنه عند وجبته بعير

الفرج المغصوب وأصله فى البكر من اجل التدمية ومنه عقر السرج الفرس اذا أدماه وبيضة العقر منه لانهم كانوا يقيسون البكر بالبيضة ليعرفوا بكورتها وقيل عقر بضم العين لانه بمعنى بضع وذكر قتل هشام بن الوليد لابى أزيهر وخبر أم غيلان مع ضرار حين أجارته ومن تمام الخبران دوسا لما بلغها مقتل أبى أزيهر الدوسى وثبت على رجال من قريش كانوا عندهم فقتلوا منهم بجير بن العوام أخا الزبير وأرادوا قتل ضرار بن الخطاب فاجارته أم غيلان وابنها عوف قال ضرار لقد أدخلتنى بين درعها وبدنها حتى انى لاجد تسبيد ركبها والتسبيد موضع الحلق من الشعر وكان الذى قتل بجيرا صبيح بن سعد أو مليح بن سعد جد أبى هريرة لامه لان امه أميمة بنت مليح أو صبيح

﴿فصل﴾ وذكر شعر عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة وفيه * وان تتركوا ماء بجزعة أطرقا * والجزعة والجزع بمعنى واحد وهو معظم الوادى * وقال ابن الاعرابى هو ما انثنى منه وأطرقا اسم علم لموضع سمى بفعل الأمر للاثنين فهو محكى لا يعرب وقيل ان أصل تسميته بذلك ان ثلاثة نفر مروا بها خائفين فسمع أحدهم صوتا فقال لصاحبيه أطرقا اى انصتا حتى نرى ماهذا الصوت فسمى المكان باطرقا والله أعلم وذكر شعر الجون بن أبى الجون * وفيه ألم تقسموا تؤتوا الوليد ظلامة أراد ان تؤتوا ومعناه ان لا تؤتوا كما جاء فى التنزيل «يبين الله لكم ان تضلوا» فى قول طائفة ومعناه عندى كره لكم ان تضلوا وقد قدمنا فى الجزء قبل هذا كلاما على ان ومقتضاها وشيئا من أسرارها فيه غنية واذا كان الكلام محمولا على معناها فالنصب جائز والرفع جائز أيضاً كما أنشدوا * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغا * بنصب احضر ورفعه وأنشد سيبويه * ونهنهت نفسى بعدما كدت أفعله * يريد ان أفعله واذا رفعت فى هذا الموضع لم يذهب الرفع معنى ان فقد حكى سيبويه مره يحفرها وقدره تقديرين أحدهما ان يريد الحال أى مره حافرا لها والثانى ان يريد مره ان يحفرها وارتفع الفعل لما ذهبت ان من اللفظ وبين ابن جنى الفرق بين التقديرين وقال اذا نويت ان فالفعل مستقبل واذا لم تنوها فالفعل حاضر وههنا مسئلة من العرب ذكرها الطبرى قال العرب تقول لمن توجه فى أمر تصنع ماذا وتفعل ماذا على تقدير تريد ان تصنع ماذا فاذا قالوا تريد ماذا لم يكن الا رفعا لان المعنى الذى يجلب معنى ان الناصبة ليس فى قوله تريد اذ لا يستقيم ان تقول تريد ان تريد ماذا يعنى أن الارادة لا ترادوذكر شعر الجون أيضا وفيه *بها يمشى المعلهج والمهير* المهير ابن المهورة الحرة والمعلهج المتردد فى الاماء كانه منحوت من أصلين من العلج لان الامة علجة ومن اللهج كان واطئ الامة قد لهج بها فنحت لفظ المعلهج من هذين اللفظين وفيه * كما ارسى بمثبته ثبير * كذا

سيكفيني مطال أبى هشام * صغار جعدة الاوبار خور «قال ابن هشام» تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه * قال ابن اسحق ثم عدا هشام بن الوليد على أبى أزيهر وهو بسوق ذى المجاز وكانت عند أبى سفيان بن حرب بنت أبى أزيهر وكان أبو أزيهر رجلا شريفا فى قومه فقتله بعقر الوليد الذى كان عنده لوصية أبيه اياه وذلك بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين فخرج يزيد بن أبى سفيان فجمع بنى عبد مناف وأبو سفيان بذى المجاز فقال الناس اخفر ابو سفيان فى صهره فهو ثائر به فلما سمع ابو سفيان بالذى صنع ابنه يزيد وكان ابو سفيان رجلا حليما منكرا يحب قومه حبا شديدا انحط سريعا الى مكة وخشى أن يكون بين قريش حدث فى ابى ازيهر فاتى ابنه وهو فى الحديد فى قومه من بنى عبد مناف والمطيبين فاخذ الرمح من يده ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها ثم قال قبحك الله أتريد ان تضرب قريشا بعضها ببعض فى رجل من دوس سنؤتيهم العقل ان قبلوه واطفا ذلك الامر فانبعث حسان بن ثابت يحرض فى دم أبى أزيهر ويعير أبا سفيان خفرته ويجبنه فقال

غدا أهل ضوجى ذى المجاز كليهما * وجار ابن حرب بالمغمس ما يغد
كساك هشام بن الوليد ثيابه * فابلى وأخلف مثلها جددا بعد
قضى وطرا منه فاصبح ماجدا * واصبحت رخوا الخب وما تعدوا
فلو ان أشياخا ببدر يشاهدوا * لبل نعال القوم معتبط ورد
ولم يمنع العير الضروط ذماره * وما منعت مخزاة والدها هند

فلما بلغ ابا سفيان قول حسان قال يريد حسان ان يضرب بعضنا ببعض فى رجل من دوس بئس والله ماظن * ولما اسلم اهل الطائف كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى ربا الوليد الذى كان فى ثقيف لما كان ابوه اوصاه به * قال ابن اسحق فذكر لى بعض اهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقى من الربا بايدى الناس نزلن فى ذلك من طلب خالد ذلك الربا يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين الى آخر القصة فيها ولم يكن فى ابى ازيهر ثار نعلمه حتى حجز الاسلام بين الناس الا ان ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهرى خرج فى نفر من قريش الى ارض دوس فنزلوا على امراة يقال لها ام غيلان مولاة لدوس وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس فارادت دوس قتلهم بابى ازيهر فقامت دونهم ام غيلان ونسوة كن معها حتى منعتهم فقال ضرار بن الخطاب فى ذلك

جزى الله عنا ام غيلان صالحا * ونسوتها اذهن شعث عواطل
فهن دفعن الموت بعد اقترابه * وقد برزت للثائرين المقاتل
دعت دعوة دوسا فسالت شعابها * بعز وادتها الشراج القوابل
وعمرا جزاه الله خيرا فما ونى * وما بردت منه لدى المفاصل
فجردت سيفى ثم قمت بنصله * وعن اى نفس بعد نفسى اقاتل

«قال ابن هشام» وحدثنى ابو عبيدة ان التى قامت دون ضرار ام جميل ويقال ام غيلان قال ويجوز ان تكون ام غيلان قامت مع ام جميل فيمن قام دونه فلما قام عمر بن الخطاب أتته ام جميل وهى ترى انه اخوه فلما انتسبت له عرف القصة فقال انى لست باخيه الا فى الاسلام وهو غاز وقد عرفت منتك عليه فاعطاها على انها ابنة سبيل قال الراوى «قال ابن هشام» وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم احد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول انج يا ابن الخطاب لا اقتلك فكان عمر يعرفها له بعد اسلامه * قال ابن اسحق وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ابو لهب * والحكم بن العاص بن امية * وعقبة بن ابى معيط * وعدى بن حمراء الثقفى * وابن الاصداء الهذلى وكانوا جيرانه لم يسلم منهم احد الا الحكم بن أبى العاص وكان احدهم فيما ذكر لى يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلى وكان احدهم يطرحها فى برمته اذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا يستتر به منهم اذا صلى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا

صحت الرواية فى رسى بالتخفيف وهو زحاف داخل على زحاف لان تسكين اللام من مفاعلتن فى الوافر زحاف ولكنه حسن كثير فلما كثر شبهه هذا الشاعر بمفاعيل لانه على وزنه ومفاعيلن يحسن حذف الياء منها فى الطويل فيصير فعولن مفاعيل فلذلك أدخل هذا الشاعر الزحاف على مفاعلتن لانه بعد السكون فى وزن مفاعيلن التى تحذف ياؤها حذفا فاستحسنا فتدبره فانه مليح فى علم العروض

﴿ فصل ﴾ وأنشد لحسان بن ثابت * غدا أهل ضوجى ذى المجاز بسحرة * ضوج الوادى جانبه وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب اذا حجت أقامت بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل الى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوما من ذى القعدة ثم تنتقل الى سوق ذى المجاز فتقيم فيه الى أيام الحج وكانوا يتفاخرون فى سوق عكاظ شهر شوال اذا اجتمعوا ويقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه بالمفاخرة فسميت عكاظ لذلك * وذكر * لبل نعال القوم معتبط ورد * يعنى الدم العبيط

﴿ فصل ﴾ وذكر ما أنزل الله فى الربا الآيات من سورة البقرة وقد قدمنا فى حديث بنيان الكعبة من قولهم لا تنفقوا فيها ربى ولا مهر بغى وان فى ذلك دليلا على قدم تحريمه عليهم فى شرع ابراهيم عليه السلام او فى غيره

من الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك أنه من أقبح الاعمال لما فيه من هدم جانب المروءة وايثار الحرص مع بعد الامل ونسيان بغتة الاجل وترك التوسعة وحسن المعاملة ومن تأمل أبواب الربا لاح له شر التحريم من جهة الجشع المانع من حسن المعاشرة والذريعة الى ترك القرض ومافيه وفي التوسعة من مكارم الاخلاق ولذلك قال سبحانه «فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله» غضبا منه على أهله ولهذه النكتة قالت عائشة لام محبة مولاة زيد بن أرقم ابلغي زيدا تعني زيد بن أرقم ان قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكرت لها عنه مسئلة من البيوع تشبه الربا فقالت أبطل جهاده ولم تقل صلاته ولا صيامه لان السيئات لا تحبط الحسنات ولكن خصت الجهاد بالابطال لانه حرب لاعداء الله وآكل الربا قد أذن بحرب من الله فهو ضده ولا يجتمع الضدان وهذا معنى ذكره أبو الحسن بن بطال في شرح الجامع وتلك المسئلة مذكورة في المدونة لكن اسنادها الى عائشة ضعيف

وفاة أبي طالب

ذكر ابن اسحق وفاة أبي طالب الى آخر القصة وفيها قال العباس والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع (قال المؤلف) شهادة العباس لابي طالب لو أداها بعد ما أسلم لكانت مقبولة ولم يرد بقوله لم أسمع لان الشاهد العدل اذا قال سمعت وقال من هو أعدل منه لم أسمع أخذ بقول من أثبت السماع لان عدم السماع يحتمل أسبابا منعت الشاهد من السمع ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم مع أن الصحيح من الاثر قد أثبت لابي طالب الوفاة على الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» وثبت في الصحيح أيضا ان العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح أيضا من طريق أبي سعيد انه عليه السلام قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وفي رواية أخرى كما يغلي المرجل بالقمقم وهي مشكلة وقال بعض أهل العلم القمقم هو البسر الاخضر يطبخ في المرجل استعجالا لنضجه يفعل ذلك أهل الحاجة وفي رواية يونس عن ابن اسحق زيادة وهي انه قال يغلي منها دماغه حتى يسيل على قدميه ومن باب النظر في حكمة الله ومشاكلة الجزاء للعمل ان أبا طالب كان مع رسول الله بجملته متحز باله الا انه مثبت لقدميه على ملة عبد المطلب حتى قال عند الموت أنا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على ملة آبائه ثبتنا الله على الصراط المستقيم وذكر قول الله تعالى «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» وقد استغفر عليه السلام يوم أحد فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وذلك حين جرح المشركون وجهه وقتلوا عمه وكثيرا من أصحابه ولا يصح أن تكون الآية نزلت في عمه ناسخة لاستغفاره يوم أحد لان وفاة عمه كانت قبل ذلك بمكة ولا ينسخ المتقدم المتأخر وقد أجيب عن هذا السؤال بأجوبة ان قيل استغفاره لقومه مشروط بتوبتهم من الشرك كأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة حتى يغفر لهم ويقوي هذا القول رواية من روى اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وقد ذكرها ابن اسحق رواها عنه بعض رواة الكتاب بهذا اللفظ وقيل مغفرة تصرف عنهم عقوبة الدنيا من المسخ والخسف ونحو ذلك ووجه ثالث وهو أن تكون الآية تأخر نزولها فنزلت بالمدينة ناسخة للاستغفار للمشركين فيكون سبب نزولها متقدما ونزولها متأخرا لا سيما وهي في سورة براءة وبراءة من آخر ما نزل فتكون على

طرحوا عليه ذلك الاذى كما حدثني عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن الزبير يخرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم على العود فيقف به على بابه ثم يقول يا بني عبد مناف اي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق * قال ابن اسحق ثم ان خديجة بنت خويلد وابا طالب هلكا في عام واحد فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة وكانت له وزير صدق على الاسلام يشكو اليها وبهلك عمه ابي طالب وكان له عضدا وحرزا في امره ومنعة وناصرا على قومه وذلك قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين فلما هلك ابو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة ابي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا * قال ابن اسحق فحدثني هشام بن عروة عن ابيه عروة بن الزبير قال لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على راسه فقامت اليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع اباك قال ويقول بين ذلك ما نالت مني قريش شيئا اكرهه حتى مات ابو طالب * قال ابن اسحق ولما اشتكى ابو طالب وبلغ قريش ثقله قالت قريش بعضها لبعض ان حمزة وعمر قد اسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا

هذا

الى ابى طالب فليأخذ لنا على ابن اخيه وليعطه منا والله ما نأمن ان يبتزونا امرنا * قال ابن اسحق فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض اهله عن ابن عباس قال فمشوا الى ابى طالب فكلموه وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو جهل بن هشام وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب فى رجال من اشرافهم فقالوا يا ابا طالب انك منا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا و بين ابن أخيك فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه أبو طالب فجاءه فقال يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم كلمة واحدة يعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قال فقال أبو جهل نعم وأبيك وعشر كلمات قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه قال فصفقوا بايديهم ثم قالوا أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة الها واحدا ان أمرك لعجب ثم قال بعضهم لبعض انه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم و بينه قال ثم تفرقوا قال فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا قال فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسلامه فجعل يقول له أى عم فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة قال فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قال يا ابن أخى والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى وان تظن قريش أنى انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا أقولها الا لاسرك بها قال فلما تقارب من أبى طالب

هذا ناسخة للاستغفارين جميعا وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أبى طالب عند موته وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال له أبو جهل وابن أبى أمية أترغب عن ملة عبد المطلب فقال أنا على ملة عبد المطلب وظاهر الحديث يقتضى ان عبد المطلب مات على الشرك و وجدت فى بعض كتب المسعودى اختلافا فى عبد المطلب وانه قد قال فيه مات مسلما لما رأى من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلم انه لا يبعث الا بالتوحيد فالله أعلم غير أن فى مسند البزار وفى كتاب النسوى من حديث عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة وقد عزت قوما من الانصار عن ميتهم لعلك بلغت معهم الكدى و يروى الكرى بالراء يعنى القبور فقالت لا فقال لو كنت معهم الكدى أو كما قال ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك وقد خرجه أبو داود ولم يذكر فيه حتى يدخلها جد أبيك وكذلك لم يذكر فيه ما دخلت الجنة وفى قوله جد أبيك ولم يقل جدك يعنى أباه توطئة للحديث الضعيف الذى قدمنا ذكره ان الله أحيا أمه وأباه وآمنا به فالله أعلم ويحتمل أن يكون أراد تخويفها بقوله حتى يدخلها جد أبيك فتتوهم انه الجد الكافر ومن جدوده عليه السلام اسمعيل وابراهيم لان قوله عليه السلام حق و بلوغها معهم الكدى لا يوجب خلودا فى النار فهذا من لطيف الكناية فافهمه وحكى عن هشام بن السائب أو ابنه انه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش فأوصاهم فقال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حزب وعلى حربكم الب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان فى صلة الرحم منسأة فى الاجل وسعة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعى واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات عليكم بصدق الحديث وأداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وانى أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كأنى انظر الى صعاليك العرب وأهل البر فى الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحربه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهى ثم هلك

« فصل » وذكر ما أنزل الله تعالى فى قولهم « ان امشوا واصبروا على آلهتكم » وذكر بعض أهل التفسير ان قولهم امشوا من المشاء ولا من المشى والمشاء نماء المال و زيادته يقال مشى الرجل وأمشى اذا نما ماله قال الشاعر

وكل فتى وان أمشى وأثرى * ستخلجه عن الدنيا منون

الموت قال نظر العباس اليه يحرك شفتيه قال فاصغى اليه باذنه قال فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع قال وأنزل الله تعالى في الرهط الذين كانوا اجتمعوا اليه وقال لهم ما قال وردوا عليه ما ردوا ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق الى قوله تعالى أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يعنون النصارى لقولهم ان الله ثالث ثلاثة ان هذا الا اختلاق ثم هلك أبو طالب * قال ابن اسحق ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل فخرج اليهم وحده * قال ابن اسحق فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومسعود بن عمرو بن عمير وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر اما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقد قال لهم فيما ذكر لي اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه «قال ابن هشام» وقوله فيذئرهم يعني يحرش بينهم قال عبيد بن الابرص

ولقد اتاني عن تميم انهم * ذئروا لقتلى عامر وتعصبوا

فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجؤه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء اهل الطائف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال الراجز * والشاة لا تمشي على الهملع * أي لا تكثر والهملع الذئب وقاله الخطابي في معنى الآية كأنهم أرادوا أن المشاء والبركة في صبرهم على آلهتهم وحملها على المشي أظهر في اللغة والله أعلم * وذكر تتابع المصائب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموت خديجة ثم بموت عمه وذكر الزبير في حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي في الموت فقال تكرهين ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكره خيرا أشعرت ان الله قد أعلمني انه سيزوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون فقالت آلله أعلمك بهذا يا رسول الله فقال نعم فقالت بالرفاء والبنين * وذكر أيضا في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم خديجة من عنب الجنة

﴿ خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف ﴾

وسنذكر السبب في تسميتها بالطائف وان الدمون رجل من الصدف من حضرموت نزلها فقال لاهلها ألا أبني لكم حائطا يطيف ببلدكم ميناه فسميت الطائف وقيل غير ذلك مما سنذكره * وقوله فيذئرهم عليه قد فسره ابن هشام وأنشد * ذئروا لقتلى عامر وتعصبوا * وفي الحديث لما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء قال ذئر النساء على أزواجهن وفسره أبو عبيد بالنشوز على الازواج وأنشد البيت الذي أنشده ابن هشام ومعنى كلامهما واحد وذكر ما لقي من أشراف ثقيف وذكر موسى ابن عقبة زيادة في الحديث حين أغروا به سفهاءهم قال وكان يمشي بين سماطين منهم فكلما نقلوا قدما رجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء وذكر التيمي كما ذكر ابن عقبة وزاد قال كان اذا أذلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون حتى انتهى الى الموضع الذي ذكره ابن اسحق من حائط عتبة وشيبة * قال ابن اسحق فجلس الى ظل حبلة والحبلة الكرمة اشتق اسمها من الحبل لانها تحمل بالعنب ولذلك فتح حمل الشجرة والنخلة فقيل حمل بفتح الحاء تشبيها بحمل المرآة وقد يقال فيه حمل بالكسر تشبيها بالحمل الذي على الظهر ومن قال في الكرمة حبلة بسكون الباء فليس بالمعروف وقد قال أبو الحسن بن كيسان في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع حبل الحبلة أنه بيع العنب قبل أن يطيب كما جاء في الحديث الآخر من نهيه عن بيع التمر قبل أن يبدو صلاحه وهو قول غريب لم

يذهب

يذهب اليه احد فى تأويل الحديث وقد قال عمر بن الخطاب فى الارضين التى افتتحت فى زمانه وقد قيل له اقسمها على الذين افتتحوها فقال والله لا دعنّها حتى يجاهد بها حبل الحبلة يريد أولادها فى البطون ذكره ابو عبيد فى كتاب الاموال والقول الذى ذكره أبو الحسن فى حبل الحبلة وقع فى كتاب الالفاظ ليعقوب وانما أشكل عليه وعلى غيره دخول الهاء فى الحبلة حتى قالوا فيه أقوالا كلها هباء فمنهم من قال انما قال الحبلة لانها بهيمة أو جنينة ومنهم من قال دخلت للجماعة ومنهم من قال للمبالغة وهذا كله ينعكس عليهم بقوله حبل الحبلة فانه لم تدخل التاء الا فى أحد اللفظين دون الثانى وتبطل أيضاً على من قال أراد معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم وانما النكتة فى ذلك ان الحبل مادام حبلا لا يدرى أذكر هو أم أنثى لم يسم حبلا فاذا كانت أنثى و بلغت حد الحمل فحبلت فذاك الحبل هو الذى نهى عن بيعه والاول قد علمت أنوثته بعد الولادة فعبر عنه بالحبلة وصار معنى الكلام انه نهى عن بيع حبل الجنينة التى كانت حبلا لا يعرف ماهى ثم عرف بعد الوضع وكذلك فى الآدميين فاذاً لا يقال لها حبلة الا بعد المعرفة بانها أنثى وعند ذكر الحبل الثانى لان هذه الانثى قبل أن تحبل وهى صغيرة رخلى وتسمى أيضا حائلا وأشباه ذلك وقد زال عنها اسم الحبل فاذا حبلت وذكر حبلها وازدوج ذكره مع الحالة الاولى التى كانت فيها حبلا فرق بين اللفظين بتاء التأنيث وخص اللفظ الذى هو عبارة عن الانثى بالتاء دون اللفظ الذى لا يدرى ماهو أذكر أم أنثى وقد كان المعنى قريبا والمأخذ سهلا لا يحتاج الى هذه الاطالة لولا ماقدمناه من تخليطهم فى تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذى لا يقدر قدره فى البلاغة الا عالم بجوهر الكلام

﴿ فصل ﴾ وذكر دعاءه عليه السلام عند الشدة وقوله اللهم انى أشكوا اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى الى آخر الدعاء وفيه أعوذ بنور وجهك الكريم الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ويسئل عن النور هنا ومعنى الوجه واشراق الظلمات أما الوجه اذا جاء ذكره فى الكتاب والسنة فهو ينقسم فى الذكر الى موطنين موطن تقرب واسترضاء بعمل كقوله تعالى « يريدون وجهه » وكقوله « الا ابتغاء وجه ربه » فالمطلوب فى هذا الموطن رضاه وقبوله للعمل واقباله على العبد العامل وأصله ان من رضى عنك أقبل عليك ومن غضب عليك أعرض عنك ولم يرك وجهه فافاد قوله بوجهك ههنا معنى الرضى والقبول والاقبال وليس بصلة فى الكلام كما قال أبو عبيدة لان قوله ذلك هراء من القول ومعنى الصلة عنده انها كلمة لا تفيد الا تأكيداً للكلام وهذا قول من غلظ طبعه و بعد بالعجمة عن فهم البلاغة قلبه وكذلك قال هو ومن قلده فى قوله تعالى « و يبقى وجه ربك » أى يبقى ربك وكل شىء هالك الا وجهه أى الا اياه فعلى هذا قد خلا ذكر الوجه من حكمة وكيف تخلو كلمة منه من الحكمة وهو الكتاب الحكيم ولكن هذا هو الموطن الثانى من مواطن ذكر الوجه والمعنى به ماظهر الى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده والوجه لغة ماظهر من الشىء معقولا كان أو محسوسا تقول هذا وجه المسئلة و وجه الحديث أى الظاهر الى رأيك منه وكذلك الثوب ماظهر الى بصرك منه والبصائر لا تحيط باوصاف جلاله وما يظهر لها من ذلك أقل مما يغيب عنها وهو الظاهر والباطن تعالى وجل وكذلك فى الجنة نظر أهلها الى وجهه سبحانه انما هو نظر الى مايرون من ظاهر جلاله اليهم عند تجليه و رفع الحجاب دونهم ومالا يدركون من ذلك الجلال أكثر مما أدركوا * وقوله سبحانه « كل من عليها فان و يبقى وجه ربك » لما كانت السموات والارض قد أظهرت من قدرته وسلطانه ما أظهرت أخبر تعالى ان فناءها لا يغير ما علم من سلطانه وظهر الى البصائر من جلاله فقد كان ذلك الجلال قبل أن يخلقها وهو باق بعد فنائها

قال فيما ذكر لى اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهو انى على الناس ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك

كما كان فى القدم فهو ذو الجلال والاكرام قال الحسن معناه تجلل بالبهاء وأكرم من شاء بالنظر الى وجهه أما الاشعرى فذهب فى معنى الوجه الى ماذهب فيه من معنى العين واليد وانها صفات لله تعالى لم تعلم من جهة العقول ولا من جهة الشرع المنقول وهذه عجمة أيضاً فانه نزل بلسان عربى مبين فقد فهمته العرب لما نزل بلسانها وليس فى لغتها ان الوجه صفة ولا اشكال على المؤمن منهم ولا على الكافر فى معنى هذه الآى التى احتيج آخر الزمان الى الكلام فيها مع العجمان لان المؤمن لم يخش على عقيدته شكا ولا تشبيها فلم يستفسر أحد منهم رسول الله عليه السلام ولا ساله عن هذه الآية التى هى اليوم مشكلة عند عوام الناس ولا الكافر فى ذلك الزمان لم يتعلق بها فى معرض المناقضة والمجادلة كما فعلوا فى قوله تعالى انكم «وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» ولا قال أحد منهم يزعم محمد ان الله لا يشبهه شىء من خلقه ثم يثبت له وجها ويدين الى غير ذلك فدل على انهم لم يروا فى الآية اشكالا وتلقوا معانيها على غير التشبيه وعرفوا من سمانة الكلام وملاحة الاستعارة أنه معجز فلم يتعاطوا له معارضة ولا توهموا فيه مناقضة وقد أملينا فى معنى اليدين والعين مسئلة بديعة جدا فلتنظر هنالك وأما النور فعبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الالهية وبه أشرقت الظلمات أى أشرقت محالها وهى القلوب التى كانت فيها ظلمات الجهالة والشكوك فاستنارت القلوب بنور الله وقد قال المفسرون فى قوله تعالى «مثل نوره» أى مثل نوره فى قلب فى المؤمن كمشكاة فهو اذا نور الايمان والمعرفة المجلى لكل ظلمة وشك قال كعب المشكاة مثل لفهمه والمصباح مثل للسانه والزجاجة مثل لصدره أو لقلبه أى قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال أعوذ بنور وجهك ولو قال بنورك لحسن ولكن توسل اليه بما أودع قلبه من نوره فتوسل الى نعمته بنعمته والى فضله ورحمته بفضله ورحمته وقد تكون الظلمات هاهنا أيضاً الظلمات المحسوسة واشراقها جلالتها على خالقها وكذلك الانوار المحسوسة الكل دال عليه فهو نور النور أى مظهره ومنور الظلمات أى جاعلها نوراً فى حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر عداس غلام عتبة وشيبة ابنى ربيعة حين جاء بالقطف من عندهما الى آخر القصة وفيه قبول هدية المشرك وان لا يتورع عن طعامه وسيأتى استقصاء ذلك ان شاء الله تعالى وزاد التيمى فيها ان عداسا حين سمعه يذكر يونس بن متى قال والله لقد خرجت منها يعنى نينوا وما فيها عشرة يعرفون مامتى فمن أين عرفت أنت متى وأنت أمى وفى أمة أمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أخى كان نبيا وانا نبى وذكروا أيضاً ان عداسا لما أراد سيداه الخروج الى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما أقتال ذلك الرجل الذى رأيته بحائطكما تريدان والله ما تقوم له الجبال فقالا له ويحك ياعداس قد سحرك بلسانه وعند مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف مالقى ودعا بالدعاء المتقدم نزل عليه جبريل ومعه ملك الجبال كما روى البخارى عن عبد الله بن يوسف عن يونس عن ابن شهاب قال حدثنى عروة ان عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حدثته انها قالت للنبى عليه السلام هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما أردت فانطلقت على وجهى وأنا مهموم فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم على فقال يا محمد ذلك لك ان شئت أطبق عليهم الاخشبين فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل أرجو ان يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً هكذا

قال فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ومالقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس فى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل أى البلاد أنت ياعداس وما دينك قال نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى مافى الارض شىء خير من هذا لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه الا نبى قالا له ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه

* قال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلى فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى وهم فيما ذكر لى سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا الى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ويجركم من عذاب أليم وقال تبارك وتعالى قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن الى آخر القصة من خبرهم فى هذه السورة

﴿عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل﴾

* قال ابن اسحق ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه الا قليلا مستضعفين ممن آمن به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه فى المواسم اذا كانت على قبائل العرب يدعوهم الى الله ويخبرهم انه نبى مرسل ويسالهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به * قال ابن اسحق فحدثنى من أصحابنا من لا أتهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدولى ومن حدثه أبو الزناد عنه «قال ابن هشام» ربيعة بن عباد * قال ابن اسحق وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبى فقال انى لغلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم يامركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به قال وخلفه رجل أحول وضئ له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا اليه قال ذلك الرجل يا بنى فلان ان هذا انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بنى مالك ابن أقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه قال فقلت لابى يا أبت من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى ابن عبد المطلب أبو لهب «قال ابن هشام» قال النابغة

كانك من جمال بنى أقيش * يقعقع خلف رجليه بشن

قال فى الحديث ابن عبد كلال وهو خلاف ما نسبه ابن اسحق

﴿فصل﴾ وذكر حديث وفد جن نصيبين وما أنزل الله فيهم وقد أملينا أول المبعثين من هذا الكتاب طرفا من أخبارهم وبينا هنالك أسماءهم ونصيبين مدينة بالشام أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم روى انه قال رفعت الىّ نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله أن يعذب نهرها وينضر شجرها ويطيب ثمرها أو قال ويكثر ثمرها وتقدم فى أسمائهم ما ذكره ابن دريد قال هم منشى وماشى وشاصر وماصر والاحقب ولم يزد على تسمية هؤلاء وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم وفى الصحيح أن الذى أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدهم أوفر ما يكون لحماً وكل بعر علف لدوابهم زاد ابن سلام فى تفسيره ان البعر يعود خضرا لدوابهم ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث وقال انه زاد اخوانكم من الجن ولفظ الحديث فى كتاب مسلم كما قدمناه كل عظم ذكر اسم الله عليه ولفظه فى كتاب أبى داود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه وأكثر الاحاديث تدل على معنى رواية أبى داود وقال بعض العلماء رواية مسلم فى الجن المؤمنين والرواية الاخرى فى حق الشياطين منهم وهذا قول صحيح تعضده الاحاديث الا انا نكره الاطالة وفى هذا رد على من زعم ان الجن لا ياكل ولا يشرب وتأولوا قوله عليه السلام ان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله على غير ظاهره وهم ثلاثة أصناف كما جاء فى حديث آخر صنف على صور الحيات وصنف على صور الكلاب سود وصنف ريح طيارة أو قال هفافة ذووا أجنحة وزاد بعض الرواة فى الحديث وصنف يحلون ويظعنون وهم السعالى ولعل هذا الصنف الطيار هو الذى لا ياكل ولا يشرب ان صح القول المتقدم والله أعلم وروينا فى حديث سمعته يقرأ على الشيخ الحافظ أبى بكر بن العربى باسناده الى جابر بن عبد الله قال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشى اذ جاءت حية فقامت الى جنبه وأدنت فاها من أذنه وكانت تناجيه أو نحو هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت قال جابر فسالته فاخبرنى انه رجل من الجن وانه قال له مر أمتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة فان الله جعل لنا فى ذلك رزقا

﴿فصل﴾ وذكر عرضه نفسه صلى الله عليه وسلم على القبائل ليؤمنوا به ولينصروه قبيلة قبيلة فذكر بنى حنيفة واسم حنيفة أثال بن لجيم ولجيم تصغير اللجم وهى دويبة قال قطرب وأنشد

لها ذنب مثل ذيل العرو * س الى سبة مثل جحر اللجم

ابن صعب بن على بن بكر بن وائل وسمى حنيفة لحنف كان فى رجليه وقيل بل حنيفة أمهم وهى بنت كاهل

* قال ابن اسحق حدثنا ابن شهاب الزهرى انه أتى كندة فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال لهم مليح فدعاهم الى الله عزوجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن حصين انه أتى كلبا فى منازلهم الى بطن منهم يقال لهم بنو عبدالله فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه حتى انه ليقول لهم يابنى عبدالله ان الله عزوجل قد أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه ماعرض عليهم * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أصحابنا عن عبدالله بن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حنيفة فى منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم * قال ابن اسحق وحدثنى الزهرى انه أتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عزوجل وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس «قال ابن هشام» فراس بن عبدالله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ثم قال له أرأيت ان نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك قال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له أفنهدف نحورنا للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه فلما صدر الناس رجعت بنو عامر الى شيخ لهم قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافى معهم المواسم فكانوا اذا رجعوا اليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم انه نبى يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا قال فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال يا بنى عامر هل لها

ابن أسد عرفوا بها وهم أهل اليمامة وأصحاب مسيلمة الكذاب وقد أملينا فى أول الكتاب سبب نزولهم اليمامة وأول من نزلها منهم * وذكر بيحرة بن فراس العامرى وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفنهدف نحورنا للعرب دونك نهدف أى نجعلها هدفا لسهامهم والهدف الغرض * وذكر قول الشيخ هل لها من تلاف أى تدارك وهو تفاعل من تلافيتهم وهل لذناباها من مطلب مثل ضرب لما فاته منها وأصله من ذنابا الطائر اذا أفلت من الحبالة فطلبت الاخذ بذناباه وقال ما تقولها اسماعيلى قط أى ما ادعى النبوة كاذبا أحد من بنى اسمعيل

﴿ فصل ﴾ وذكر عرضه نفسه على كندة وهم بنو ثور بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا على أحد الاقوال بين النسابين فى كندة وسمى كندة لانه كند أباه أى عقه وسمى ابنه مرتعا لانه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعا فهم بنو مرتع بن ثور وقد قيل ان ثورا هو مرتع وكندة أبوه

﴿ فصل ﴾ وذكر غير ابن اسحق ما لم يذكر ابن اسحق مما رأيت املاء بعضه فى هذا الكتاب تتمة لفائدته ذكر قاسم ابن ثابت والخطابى عرضه نفسه على بنى ذهل بن ثعلبة ثم على بنى شيبان بن ثعلبة فذكر الخطابى وقاسم جميعا ما كان من كلام أبى بكر مع دغفل بن حنظلة الذهلى زاد قاسم تكملة الحديث فرأينا أن نذكر زيادة قاسم فانها مما تليق بهذا الكتاب قال ثم دفعنا الى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلم قال على وكان أبو بكر مقدما فى كل خير فقال ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت وأمى هؤلاء غرر فى قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وكانت له غديرتان تسقطان على تريبتيه وكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم قال له مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الف من قلة فقال أبو بكر كيف المنعة فيكم فقال مفروق علينا الجهد ولكل قوم جد فقال أبو بكر كيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما نكون غضبا لحين نلقى وانا لاشد ما نكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد على الاولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا لعلك أخو قريش فقال أبو بكر أوقد بلغكم انه رسول الله فها هو ذا فقال مفروق قد بلغنا انه يذكر ذلك فالى من تدعوا اليه يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدعوا الى شهادة أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله والى ان تؤوونى وتنصرونى فان قريشا قد ظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل على الحق والله هو الغنى الحميد فقال مفروق والى من تدعوا أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون» فقال مفروق والى من تدعوا أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فقال مفروق دعوت والله يا أخا قريش الى مكارم الاخلاق ومحاسن

من تلاف هل لذناباها من مطلب والذى نفس فلان بيده ما تقولها اسماعيلى قط وانها لحق فأين رأيكم كان عنكم * قال ابن اسحق فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل الى الله والى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاءبه من الله من الهدى والرحمة وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الله وعرض عليه ما عنده * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة الانصارى ثم الظفرى من أشياخ من قومه قالوا قدم سويد بن صامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا وكان سويد انما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشرفه ونسبه وهو الذى يقول

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى * مقالته بالغيب ساءك ما يفرى
مقالته كالشهد ما كان شاهدا * وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه * نميمة غش تبترى عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم * من الغل والبغضاء بالنظر الشزر
فرشنى بخير طالما قد بريتنى * وخير الموالى من يريش ولا يبرى

وهو الذى يقول ونافر رجلا من بنى سليم ثم احد بنى زعب بن مالك مائة ناقة الى كاهنة من كهان العرب فقضت له فانصرف عنها هو والسلمى ليس معهما غيرهما فلما فرقت بينهما الطريق قال مالى يا أخا بنى سليم قال أبعث اليك به قال فمن لى بذلك اذا فتنى به قال أنا قال كلا والذى نفس سويد بيده لا تفارقنى حتى أوتى بمالى فاتحدا فضرب به الارض ثم أوثقه رباطا ثم انطلق به الى دار بنى عمرو بن عوف فلم يزل عنده حتى بعثت اليه سليم بالذى له فقال فى ذلك

لا تحسبنى يا ابن زعب بن مالك * كمن كنت تردى بالغيوب وتختل
تحولت قرنا اذ صرعت بعزة * كذلك ان الحازم المتحول
ضربت به ابط الشمال فلم يزل * على كل حال خده هو أسفل

فى أشعار كثيرة كان يقولها قال فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه الى الله والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى

ومحاسن الاعمال والله لقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك وكأنه أراد أن يشركه فى الكلام هانىء بن قبيصة فقال وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانىء قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وانى أرى ان تركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر زلة فى الرأى وقلة نظر فى العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى فقال وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة فى تركنا ديننا واتباعنا اياك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر وانا انما نزلنا بين صريان اليمامة والسماوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذان الصريان فقال أنهار كسرى ومياه العرب فاما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وأما ما كان من مياه العرب فذنبه مغفور وعذره مقبول وانما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا ولا نؤوى محدثا وانى أرى هذا الامر الذى تدعونا اليه هو مما تكرهه الملوك فان أحببت ان نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم فى الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله لن ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا» ثم نهض النبى صلى الله عليه وسلم فاخذ بيدى فقال يا أبا بكر يا أبا حسن أية اخلاق فى الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم قال ثم دفعنا الى مجلس الاوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا صدقاء صبراء وروى فى حديث مسند الى طارق قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين رأيته بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على القبائل يقول يا أيها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبيه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عنه فقيل هو غلام عبد المطلب قلت ومن الرجل يرجمه فقيل لى هو عمه عبد العزى أبو لهب وذكر الحديث بطوله خرجه الدارقطنى ووقع أيضاً فى السيرة من رواية يونس

﴿ فصل ﴾ ذكر حديث سويد بن صامت وشعره وفى الشعر * وبالغيب مأثور على ثغرة النحر * يعنى

معك قال مجلة لقمان يعنى حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال له ان هذا الكلام حسن والذى معى أفضل من هذا قرآن أنزله الله تعالى على هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلته الخزرج فان كان رجال من قومه ليقولون انا لنراه قد قتل وهو مسلم وكان قتله قبل يوم بعاث * قال ابن اسحق وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد قال لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس اليهم فقال لهم هل لكم فى خير مما جئتم له قال فقالوا له وما ذاك قال أنا رسول الله بعثنى الى العباد أدعوهم الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وأنزل على الكتاب قال ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أى قوم هذا والله خير مما جئتم له قال فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا قال فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك قال محمود بن لبيد فاخبرنى من حضره من قومى عند موته انهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما لقد كان استشعر الاسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع * قال ابن اسحق فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال من موالى يهود قالوا نعم قال أفلا

السيف ومأثور من الاثر وهو فرند السيف يقال فيه أثر وأثر قال الشاعر * خفافا كلها يتقى باثر * أراد يتقى وسويد هو الكامل وهو ابن الصامت بن حوط بن حبيب بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب وبنت سويد هى أم عاتكة أخت سعيد بن زيد امرأة عمر بن الخطاب فهو جدها لامها واسم أمها زينب وقيل جليسة بنت سويد هكذا ذكره الزبير بن أبى بكر

﴿ فصل ﴾ وذكر مجلة لقمان وهى الصحيفة وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة أما الجلالة فمن صفة المخلوق والجلال من صفة الله تعالى وقد أجاز بعضهم أن يقال فى المخلوق جلال وجلالة وأنشد

فلا ذا جلال هبنه لجلالة * ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

ولقمان كان نوبيا من أهل ايلة وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا وابنه الذى ذكر فى القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج وغيره وقد قيل فى اسمه غير ذلك وليس بلقمان بن عاد الحميرى

﴿ فصل ﴾ وذكر قدوم أبى الحيسر أنس بن رافع يطلب الحلف وذلك بسبب الحرب التى كانت بين الاوس والخزرج وهى حرب بعاث المذكورة ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثير من صناديدهم وأشرافهم وبعاث اسم أرض بها عرفت

﴿ بدؤ إسلام الانصار ﴾

ولم يكن الانصار اسمالهم فى الجاهلية حتى سماهم الله به فى الاسلام وهم بنو الاوس والخزرج الريح الباردة وقال بعضهم هى الجنوب خاصة ودخول الالف واللام فى الاوس على حد دخولها فى التيم جمع تيمى وهو من باب رومى وروم لان الاوس هى العطية أو العوض ومثل هذا اذا كان علما لا يدخله الالف واللام ألا ترى ان كل أوس فى العرب غير هذا فانه بغير ألف ولام كأوس بن حارثة الطائى وغيره وكذلك أوس وأويس الذئب قال الراجز

ياليت شعرى عنه والامر عمم * ما فعل اليوم أويس بالغنم

وأبوهم حارثة بن ثعلبة وهو أيضاً والد خزاعة على أحد القولين وأمهم قيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية ويقال هى بنت جفنة واسمه علبة بن عمرو بن عامر وقيل بنت سيع بن الهون بن خزيمة بن مدركة قاله الزبير بن أبى بكر فى كتاب أخبار المدينة له والانصار جمع ناصر على غير قياس فى جمع فاعل ولكن على تقدير حذف الالف من ناصر لانها زائدة فالاسم على تقدير حذفها ثلاثى والثلاثى يجمع على أفعال وقد قالوا فى نحوه صاحب وأصحاب وشاهد واشهاد * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم للنفر من الانصار أمن موالى يهود

أنتم

تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام ان يهود كانوا معهم فى بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانواهم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شىء قالوا لهم ان نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض ياقوم تعلموا والله انه للنبى الذى توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه فاجابوه فيما دعا اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الاسلام وقالوا له انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا * قال ابن اسحق وهم فيما ذكر لى ستة نفر من الخزرج * منهم من بنى النجار وهو تيم الله ثم من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو أبو امامة * وعوف بن الحرث ابن رفاعه بن سواد بن مالك ابن غنم بن مالك بن النجار وهو ابن عفراء «قال ابن هشام» وعفراء بنت عبيد ابن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة غنم بن مالك بن النجار * ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رافع بن مالك ابن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق «قال ابن هشام» ويقال عامر بن الازرق * قال ابن اسحق ومن بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة * قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد «قال ابن هشام» وعمرو بن سواد ليس لسواد ابن يقال له غنم * قال ابن اسحق ومن بنى حرام ابن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام * ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب * منهم من بنى النجار ثم بنى مالك بن النجار أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو أبو امامة * وعوف ومعاذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار

أنتم أى من حلفائهم والمولى يجمع الحليف وابن العم والمعتق والمعتق لانه مفعل من الولاية وجاء على وزن مفعل لانه مفزع وملجأ لوليه فجاء على وزن ماهو فى معناه * وذكر النفر القادمين فى العام الثانى الذين بايعوه بيعة النساء وقد ذكر الله تعالى بيعة النساء فى القرآن فقال «يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا» الآية فاراد ببيعة النساء انهم لم يبايعوه على القتال وكانت مبايعته للنساء أن يأخذ عليهن العهد والميثاق فاذا أقررن بالسنتهن قال قد بايعتكن وما مست يده يد امرأة فى مبايعة كذلك قالت عائشة وقد روى انهن كن يأخذن بيده فى البيعة من فوق ثوب وهو قول عامر الشعبى ذكره عنه ابن سلام فى تفسيره والاول أصح وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن المقرى النقاش فى صفة بيعة النساء وجها ثالثا أورد فيه آثارا وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغمس يده فى اناء وتغمس المراة يدها فيه عند المبايعة فيكون ذلك عقدا للبيعة وليس هذا بالمشهور ولا هو عند أهل الحديث بالثبت غير ان ابن اسحاق أيضاً قد ذكره فى رواية عن يونس عن أبان ابن أبى صالح وذكر أنساب الذين بايعوه وسنعيده فى بيعة العقبة وغزاة بدر وهناك يقع التنبيه على ما يحتاج اليه بعون الله * وذكر فى أنساب المبايعين له فى العقبة الاولى فى بنى سلمة منهم سادرة بن تزيد بن جشم وتزيد بتاء منقوطة باثنتين من فوق ولا يعرف فى العرب تزيد الا هذا وتزيد بن الحاف بن قضاعة وهم الذين تنسب اليهم الثياب التزيدية واما سلمة بكسر اللام فهم من الانصار سمى بالسلمة واحدة السلام وهى الحجارة قال الشاعر

ذاك خليلى وذو يعاتبنى * يرمى ورائى بالسهم والسلمة

وفى جعفى سلمة بن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفى وفى جهينة سلمة بن نصر بن غطفان قاله ابن حبيب النسابة وفى الصحابة عمرو بن سلمة أبو بريدة الجرمى الذى أم قومه وهو ابن ست سنين أو سبع وفى الرواة عبد الله بن سلمة وينسب الى بنى سلمة هؤلاء سلمى بالفتح كما ينسب الى بنى سلمة وهم بطنان من بنى عامر يقال لهم السلمات يقال لاحدهم سلمة الخير وللآخر سلمة الشر ابنا قصير بن كعب بن ربيعة بن عامر واما بنو سليمة بياء ففى دوس وهم بنو سليمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس وسليمة هذا هو أخو جذيمة الابرش وهو الذى قتل أخاه مالكا بسهم قتل خطأ ويقال فى النسب اليه سلمى أيضا وهو القياس وقد قيل سليمى كما قيل فى عميرة عميرى * وذكر بنى جدارة من بنى النجار وجدارة وخدارة اخوان وغيره يقول فى

وهما ابناء عفراء * ومن بنى زريق بن عامر رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق * وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق «قال ابن هشام» ذكوان مهاجرى أنصارى قال *ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى غنم بن عوف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج وهم القواقل عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم * وأبو عبد الرحمن وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بنى غصينة من بلى حليف لهم «قال ابن هشام» وانما قيل لهم القواقل لانهم كانوا اذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما وقالوا له قوقل به بيثرب حيث شئت «قال ابن هشام» القوقلة ضرب من المشى * قال ابن اسحق ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ثم من بنى العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم *العباس ابن عبادة بن نضلة بن مالك ابن العجلان * قال ابن اسحق ومن بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة *عقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام* ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة قطبة بن عامر بن حديدة ابن عمرو بن غنم بن سواد * وشهدها من الاوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بنى عبد الاشهل ابن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس *أبو الهيثم ابن التيهان واسمه مالك «قال ابن هشام» التيهان يخفف ويثقل كقوله ميت وميت *ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس عويم بن ساعدة *قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى عن عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الاولى وكنا اثنى عشر فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل ان يفترض علينا الحرب على أن لا نشرك بالله شيا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيا فامركم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء عذب * قال ابن اسحق وذكر لى ابن شهاب الزهرى عن عائذ الله بن عبد الله الخولانى أبى ادريس أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الاولى على أن لا نشرك بالله شيا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا

جدارة خدارة بالخاء المضمومة وهكذا قيده أبو عمر وكذلك ذكره ابن دريد فى الاشتقاق وهو أشبه بالصواب لانه أخو خدرة وكثيرا ما يجعلون أسماء الاخوة مشتقة بعضها من بعض *وذكر القواقل وهم بنو عمرو بن غنم بن مالك وذكر تسميتهم القواقل وان ذلك لقولهم اذا أجاروا أحدا قوقل حيث شئت وفى الانصار القواقل والجعادر وهما بطنان من الاوس وسبب تسميتهما واحد فى المعنى اما الجعادر فكانوا اذا أجاروا أحدا أعطوه سهما وقالوا له جعدر به حيث شئت كما كانت القواقل تفعل وهم بنو زيد ابن عمرو بن زيد بن مالك بن ضبيعة يقال لهم كسر الذهب وهما جميعاً من الاوس قال الشاعر

فان لنا بين الجوارى وليدة * مقابلة بين الجعادر والكسر
متى تدع فى الزيدين زيد بن مالك * وزيد بن عمرو تاتها عزة الخفر

وذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم ينسبه ولا نسبه فى أهل العقبة الثانية ولا فى غزوة بدر وهو مالك بن التيهان واسم التيهان أيضاً مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصارى حليف بنى عبد الاشهل كان أحد النقباء ليلة العقبة ثم شهد بدرا واختلف فى وقت وفاته فأصح ما قيل فيه أنه شهد مع على صفين وقتل فيها رحمه الله وأحسب ابن اسحاق وابن هشام تركا نسبه على جلالته فى الانصار وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لاختلاف فيه فقد وجدت فى شعر عبد الله بن رواحة حين أضاف أبو الهيثم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزله ومعه أبو بكر وعمر فذبح لهم عناقا واتاهم بقنو من رطب الحديث بطوله فقال ابن رواحة فى ذلك

فلم أر كالاسلام عزا لاهله * ولا مثل اضياف الاراشى معشرا

فجعله اراشيا كما ترى والاراشى منسوب الى اراشة فى خزاعة أو الى اراش بن لحيان بن الغوث فالله أعلم أهو انصارى بالحلف أم بالنسب المذكور قبل هذا ونقلته من قول أبى عمر فى الاستيعاب وقد قيل انه بلوى من بنى اراشة بن فاران بن عمرو بن بلى والهيثم فى اللغة فرخ العقاب والهيثم أيضاً ضرب من العشب فيما ذكر أبو حنيفة وبه سمى الرجل هيثما أو بالمعنى الاول وأنشد

رعت بقران الحزن روضاً منوراً * عميما من الظلاع والهيثم الجعد

ذكر بيعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء الا يسرقوا ولا يزنوا الى آخر الآية وقيل فى قوله عز وجل خبرا عن بيعة النساء «ولا يأتين ببهتان» أنه الولد تنسبه الى بعلها وليس منه وقيل هو الاستمتاع بالمرأة

نعصيه فى معروف فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك فاخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له وان سترتم عليه الى يوم القيامة فامركم الى الله عز وجل ان شاء عذب وان شاء غفر * قال ابن اسحق فلما انصرف عنه صلى الله عليه وسلم القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى وأمره أن يقرئهم القرآن و يعلمهم الاسلام و يفقههم فى الدين فكان يسمى المقرىء بالمدينة مصعب وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس أبى أمامة * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلى بهم وذلك ان الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أبى أمامة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد أبى كعب بن مالك حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان بها صلى على أبى أمامة اسعد بن زرارة قال فمكث حينا على ذلك لا يسمع الاذان للجمعة الا صلى عليه واستغفر له قال فقلت فى نفسى والله ان هذا بى لعجز ألا أساله ماله اذا سمع الاذان بالجمعة صلى على أبى أمامة اسعد بن زرارة قال فخرجت به فى يوم جمعة كما كنت أخرج فلما

بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجسة ونحوها والاول يشبه أن يبايع عليه الرجال وكذلك قيل فى قوله تعالى «ولا يعصينك فى معروف» انه النوح وهذا أيضا ليس من شأن الرجال فدل على ضعف قول من خصه بالنوح وخص البهتان بالحاق الولد بالرجل وليس منه وقيل يفترينه بين أيديهن يعنى الكذب وعيب الناس بما ليس فيهم وأرجلهن يعنى المشى فى معصية ولا يعصينك فى معروف أى فى خير تأمرهن به والمعروف اسم جامع لمكارم الاخلاق وما عرف حسنه ولم تنكره القلوب وهذا معنى يعم الرجال والنساء وذكر ابن اسحق فى رواية يونس فيما أخذه عليه السلام عليهن ان قال ولا تغششن أزواجكن قالت احداهن وما غش أزواجنا فقال ان تاخذى من ماله فتحابى به غيره

﴿فصل﴾ وذكر هجرة مصعب بن عمير وهو المقرئ وهو أول من سمى بهذا أعنى المقرئ يكنى أبا عبد الله كان قبل اسلامه من أنعم قريش عيشا وأعطرهم وكانت أمه شديدة الكلف به وكان يبيت وقعب الحيس عند رأسه يستيقظ فيأكل فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه ونهكت جسمه حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه وعليه فروة قد رفعها فيبكى لما كان يعرف من نعمته وحلفت أمه حين أسلم وهاجر الا تاكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع اليها فكانت تقف للشمس حتى تسقط مغشيا عليها وكان بنوها يحشون فاها بشجار وهو عود فيصبون فيه الحساء لئلا تموت وسنذكر اسمها ونسبها عند ذكره فى البدريين ان شاء الله تعالى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره فيقول ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير ذكره الواقدى وذكر أيضا باسناد له قال كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا وجمالا وسنا وكان أبواه يحبانه وكانت امه تكسوه احسن ما يكون من الثياب وكان اعطر اهل مكة يلبس الحضرمى من النعال وذكر ان منزله كان على أسعد بن زرارة منزل بفتح الزاى وكذلك كل ما وقع فى هذا الباب من منزل فلان على فلان فهو بالفتح لانه أراد المصدر ولم يرد المكان وكذا قيده الشيخ أبو بحر بفتح الزاى وامام قيس بنت محصن المذكورة فى هجرة بنى أسد فاسمها آمنة وهى أخت عكاشة وهى التى ذكرت فى الموطا وانها أتت بابن لها صغير لم ياكل الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿فصل﴾ وذكر اول من جمع بالمدينة وهو ابو امامة وذكر غيره ان اول من جمع بهم مصعب بن عمير لانه أول من قدم المدينة من المهاجرين ثم قدم بعده ابن أم مكتوم وقد ذكرنا فى أول الكتاب من جمع فى الجاهلية بمكة فخطب وذكر و بشر بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وحض على اتباعه وهو كعب بن لؤى و يقال انه أول من سمى العروبة الجمعة ومعنى العروبة الرحمة فيما بلغنى عن بعض أهل العلم وكانت قريش تجتمع اليه فيها فيما حكى الزبير بن بكار فيخطبهم فيقول أما بعد فاعلموا وتعلموا انما الارض لله مهادا والجبال أوتادا والسماء بناء والنجوم سملا[1] ثم يأمرهم بصلة الرحم و يبشرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم و يقول حرمكم ياقوم عظموه فسيكون له نبأ عظيم و يخرج منه نبى كريم ثم يقول فى شعر ذكره

على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها
صروف رأيناها تقلب أهلها * لها عقد ما يستحيل مريرها

ثم يقول

يا ليتنى شاهد فحواء دعوته * اذا قريش تبغى الحق خذلانا

وأما أول من جمع فى الاسلام فهو من ذكرنا * وذكر ابن اسحق انه جمع بهم أبو امامة عند هزم النبيت فى بقيع قال له بقيع الخضمات بقيع بالباء وجدته فى نسخة الشيخ أبى بحر وكذلك وجدته فى رواية يونس عن ابن

---

(١) كذا بالاصل فليحرر

اسحق وذكره البكرى فى كتاب معجم مااستعجم من أسماء البقع انه نقيع بالنون ذكره فى باب النون والقاف وقال هزم النبيت جبل على بريد من المدينة وفى غريب الحديث انه عليه السلام حمى غرز النقيع قال الخطابى النقيع القاع والغرز شبه الثمام وسيأتى تفسيره فيما بعد ان شاء الله تعالى ومعنى الخضمات من الخضم وهو الا كل بالفم كله والقضم باطراف الاسنان ويقال هو أكل اليابس والخضم أكل الرطب فكانه جمع خضمة وهى الماشية التى تخضم فكانه سمى بذلك لخصب كان فيه وأما البقيع بالباء فهو أقرب الى المدينة منه بكثير وأما بقيع الخبجبه بخاء وجيم وباءين فجاء ذكره فى سنن أبى داود والخبجبة شجرة عرف بها

﴿ فصل ﴾ وتجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة وتسميتهم اياها بهذا الاسم وكانت تسمى العروبة كان عن هداية من الله تعالى لهم قبل ان يؤمروا بها ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاستقر فرضها واستمر حكمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى يوم الجمعة أضلته اليهود والنصارى وهدا كم الله اليه ذكر الكشى وهو عبد بن حميد قال نا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل ان يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة قال الانصار لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه ونذكر الله ونصلى ونشكر أو كما قالوا فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوا يوم العروبة كانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة فاجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين فذكرهم فسموا الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم شاة فتغدوا وتعشوا من شاة وذلك لقلتهم فانزل الله عز وجل فى ذلك «اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله» ﴿قال المؤلف﴾ ومع توفيق الله لهم اليه فيبعد ان يكون فعلهم ذلك عن غير اذن من النبى صلى الله عليه وسلم لهم فقد روى الدارقطنى عن عثمان بن أحمد بن السماك قال نا أحمد بن محمد بن غالب الباهلى قال نا محمد بن عبد الله أبو زيد المدنى قال نا المغيرة بن عبد الرحمن قال حدثنى مالك عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال اذن النبى صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ولم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بمكة ولا يبدى لهم فكتب الى مصعب ابن عمير أما بعد فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا الى الله بركعتين قال فأول من جمع مصعب بن عمير حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فجمع عند الزوال من الظهر وأظهر ذلك ومعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم أضلته اليهود والنصارى وهدا كم الله اليه فيما ذكر أهل العلم ان اليهود أمروا بيوم من الاسبوع يعظمون الله فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل أنفسهم السبت فالزموه فى شرعهم وكذلك النصارى أمروا على لسان عيسى بيوم من الاسبوع فاختاروا من قبل أنفسهم الاحد فألزموه شرعا لهم ﴿قال المؤلف﴾ وكان اليهود انما اختاروا السبت لانهم اعتقدوه اليوم السابع ثم زادوا الكفرهم ان الله استراح فيه تعالى الله عن قولهم لان بدء الخلق عندهم الاحد وآخر الستة الايام التى خلق الله فيها الخلق الجمعة وهو أيضا مذهب النصارى فاختاروا الاحد لانه أول الايام فى زعمهم وقد شهد الرسول صلى الله عليه وسلم للفريقين باضلال اليوم وقال فى صحيح مسلم ان الله خلق التربة يوم السبت فبين ان أول الايام التى خلق الله فيها الخلق السبت وآخر الايام الستة اذا الخميس وكذلك قال ابن اسحق فيما ذكر عنه الطبرى وفى الاثر ان يوم الجمعة سمى الجمعة لانه جمع فيه خلق آدم روى ذلك عن سلمان وغيره وقد قدمنا فى حديث الكشى ان الانصار سموه جمعة لاجتماعهم فيه فهداهم الله الى التسمية وهداهم الى اختيار اليوم وموافقة الحكمة ان الله تعالى لما بدأ فيه خلق أبينا آدم وجعل

سمع الاذان بالجمعة صلى عليه واستغفر قال فقلت له ياأبت مالك اذا سمعت الاذان بالجمعة صليت على أبى امامة قال اى بنى كان أول من جمع بنا بالمدينة فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة يقال له نقيع الخضمات قال قلت وكم أنتم يومئذ قال أربعون رجلا * قال ابن اسحق وحدثنى عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الاشهل ودار بنى ظفر وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الاشهل ابن خالة اسعد بن زرارة فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر

فيه بدء هذا الجنس وهو البشر وجعل فيه أيضا فناءهم وانقضاءهم اذ فيه تقوم الساعة وجب ان يكون يوم ذكر وعبادة لانه تذكرة بالمبدأ وتذكرة بالمعاد وانظر الى قوله تعالى « فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » وخص البيع لانه يوم يذكر باليوم الذى لا بيع فيه ولا خلة مع انه وتر للايام التى قبله فى الاصح من القول والله يحب الوتر لانه من أسمائه فكان من هدى الله لهذه الامة ان ألهموا اليه ثم أقروا عليه لما وافقوا الحكمة فيه فهم الآخرون السابقون يوم القيامة كما قال عليه السلام كما ان اليوم الذى اختاروه سابق لما اختارته اليهود والنصارى ومتقدم عليه ولذلك كان يقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة السجدة فى صبح يوم الجمعة رواه سعيد بن ابراهيم عن الاعرج عن أبى هريرة ورواه مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كلاهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه عن سعيد بن جبير أيضاً عروة بن عبد الرحمن ذكره البزار ورواه الترمذى فى كتاب العلل له عن الاحوص ورواه البزار أيضا عن أبى الاحوص وعن علقمة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه من ذكر الستة الايام واتباعها بذكر خلق آدم من طين وذلك فى يوم الجمعة تنبيها منه عليه السلام على الحكمة وتذكرة للقلوب بهذه الموعظة وأما قراءته « هل أتى على الانسان حين من الدهر » فى الركعة الثانية فلما فيهما من ذكر السعى وشكر الله لهم عليه يقول وكان سعيهم مشكورا مع ما فى أولها من ذكر بدء خلق الانسان وأنه لم يكن قبل شيأ مذكورا وقد قال فى يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله فنبه بقراءته اياها على التأهب للسعى المشكور عليه والله أعلم ألا ترى انه كان كثيراً ما يقرأ فى صلاة الجمعة أيضاً بهل أتاك حديث الغاشية وذلك ان فيها لسعيها راضية كما فى سورة الجمعة فاسعوا الى ذكر الله فاستحب عليه السلام ان يقرأ فى الثانية ما فيه رضاهم بسعيهم المأمور به فى السورة الاولى ولفظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع كما قدمنا وكان على وزن فعلة وفعلة لانه فى معنى قربة وقربة والعرب تأتى بلفظ الكلمة على وزن ما هو فى معناها وقالوا عمرة فاشتقوا اسمها من عمارة المسجد الحرام وبنوه على فعلة لانها وصلة وقربة الى الله ولهذا الاصل فروع فى كلام العرب ونظائر لهذين الاسمين يفيتنا تتبعه عما نحن بسبيله وفيما قدمناه ما هو أكثر من لمحة دالة وقالوا فى الجمعة جمع بتشديد الميم كما قالوا عيد اذا شهد العيد وعرف اذا شهد عرفة ولا يقال فى غير الجمعة الا جمع بالتخفيف وفى البخارى أول من عرف بالبصرة ابن عباس والتعريف انما هو بعرفات فكيف بالبصرة ولكن معناه انه رضى الله عنه اذا صلى العصر يوم عرفة أخذ فى الدعاء والذكر والضراعة الى الله تعالى الى غروب الشمس كما يفعل أهل عرفة وليس فى تسميته هذه الايام والاثنين الى الخميس ما يشد قول من قال ان أول الاسبوع الاحد وسابعها السبت كما قال أهل الكتاب لانها تسمية طارئة وانما كانت أسماؤها فى اللغة القديمة شيار واول واهون وجبار ودبار ومونس والعروبة وأسماؤها بالسريانية قبل هذا أبوجادهو زحطى الى آخرها ولو كان الله تعالى ذكرها فى القرآن بهذه الاسماء المشتقة من العدد لقلنا هى تسمية صادقة على المسمى بها ولكنه لم يذكر منها الا الجمعة والسبت وليسا من المشتقة من العدد ولم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحد والاثنين الى سائرها الا حاكيا للغة قومه لا مبتدئا لتسميتها ولعل قومه ان يكونوا أخذوا معانى هذه الاسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم فألقوا عليها هذه الاسماء اتباعا لهم والا فقد قدمنا ما ورد فى الصحيح من قوله عليه السلام ان الله خلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد الحديث والعجب من الطبرى على تبحره فى العلم كيف خالف مقتضى هذا الحديث وأعنق فى الرد على ابن اسحق وغيره ومال الى قول اليهود فى ان الاحد هو الاول ويوم الجمعة سادس لا وتر وانما الوتر فى قولهم يوم السبت مع ما ثبت من قوله عليه السلام أضلته اليهود والنصارى وهدانا الله اليه وما

*قال ابن اسحق واسم ظفر كعب بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس قالا على بئر يقال لها بئر مرق فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا أبالك انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا فانه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما قال فاخذ أسيد بن حضير حربته ثم اقبل اليهما فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه قال فوقف عليهما متشتما قال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما بانفسكما حاجة فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقالا فيما يذكر عنهما والله لعرفنا فى وجهه الاسلام قبل ان يتكلم به فى اشراقه وتسهله ثم قال ما احسن هذا الكلام وأجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا فى هذا الدين قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم اخذ حربته ثم انصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت ان بنى حارثة قد خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم قد عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك قال فقام سعد مغضبا مبادرا تخوفا للذى ذكر له من بنى حارثة فاخذ الحربة من يده ثم قال والله ما اراك اغنيت شيا ثم خرج اليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد ان اسيدا انما اراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا ابا امامة لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى أتغشانا فى دارينا بما نكره وقد قال اسعد بن زرارة لمصعب بن عمير اى مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان قال فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله فى وجهه الاسلام قبل أن يتكلم لاشراقه وتسهله ثم قال لهما كيف تصنعون اذا انتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم ركع

رفع

احتج به الطبرى من حديث آخر فليس فى الصحة كالذى قدمناه وقد يمكن فيه التأويل أيضا فقف بقلبك على حكمة الله تعالى فى تعبد الخلق به لما فيه من التذكرة بانشاء هذا الجنس ومبدئه كما قدمنا ولما فيه أيضا من التذكرة باحدية الله سبحانه وانفراده قبل الخلق بنفسه فانك اذا كنت فى الجمعة وتفكرت فى كل جمعة قبله حتى يترقى وهمك الى الجمعة التى خلق فيها أبوك آدم ثم فكرت فى الايام الستة التى قبل يوم الجمعة وجدت فى كل يوم منها جنسا من المخلوقات موجودا الى السبت ثم انقطع وهمك فلم تجد فى الجمعة التى تلى ذلك السبت وجودا الا للواحد الصمد الوتر فقد ذكرت الجمعة من تفكر بوحدانية الله وأوليته فوجب ان يؤكد فى هذا اليوم توحيد القلب للرب بالذكر له كما قال تعالى «فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع» وان يتأكد ذلك الذكر بالعمل وذلك بان يكون العمل مشاكلا لمعنى التوحيد فيكون الاجتماع فى مسجد واحد من المساجد والى امام واحد من الائمة ويخطب ذلك الامام فيذكر بوحدانية الله تعالى وبلقائه فيشاكل الفعل للقول والقول للمعتقد فتأمل هذه الاغراض بقلبك فانها تذكرة بالحق وقد زدنا على ما شرطنا فى أول الكتاب معانى لم تكن هنالك وعدناها ولكن الكلام يفتح بعضه باب بعض ويحدوا المتكلم قصد البيان الى الاطالة ولا بأس بالزيادة من الخير والله المستعان

﴿ اسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ﴾

وسمع أهل مكة هاتفا يهتف ويقول قبل اسلام سعد

فان يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فحسبوا انه يريد بالسعدين القبيلتين سعد هذيم من قضاعة وسعد بن زيد مناة بن تميم حتى سمعوه يقول

فيا سعد سعد الاوس كن أنت ناصرا * ويا سعد سعد الخزرجيين الغطارف
أجيبا الى داعى الهدى وتمنيا * على الله فى الفردوس منية عارف

فعلموا حينئذ أنه يريد سعد بن معاذ وسعد بن عبادة *وذكر فيه اغتسالهما حين أسلما بامر مصعب بن عمير لهما بذلك فذلك السنة فى كل كافر يسلم ثم اختلف فى نية الكافر اذا أسلم باغتساله فقال بعضهم ينوى به

ركعتين ثم أخذ حربته فاقبل عامدا الى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله و برسوله قالوا فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة ورجع أسعد ومصعب الى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعوان الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بنى أمية ابن زيد وخطمة ووائل وواقف وتلك أوس الله وهم من الاوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الاسلت وهو صيفى وكان شاعرا لهم قائدا يسمعون منه و يطيعونه فوقف بهم عن الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق وقال فيما رأى من الاسلام وما اختلف الناس فيه من أمره

أرب الناس أشياء ألمت * يلف الصعب منها بالذلول
أرب الناس اما أن ضللنا * فيسرنا لمعروف السبيل
فلولا ربنا كنا يهودا * ومادين اليهود بذى شكول
ولولا ربنا كنا نصارى * مع الرهبان فى جبل الجليل
ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل جيل
نسوق الهدى ترسف مذعنات * مكشفة المناكب فى الجلول

« قال ابن هشام » أنشدنى قوله فلولا ربنا وقوله ولولا ربنا وقوله مكشفة المناكب فى الجلول رجل من الانصار أو من خزاعة

رفع الجنابة عن نفسه وقال بعضهم ينوى التعبد ولا حكم للجنابة فى حقه لان معنى الامر به استباحة الصلاة والكافر لا يصلى وان كان مخاطبا فى أصح القولين ولكنه أمر مشروط بالايمان فاذا لم يكن الايمان وهو الشرط الاول فاجدر بان يكون الشرط الثانى وهو الغسل من الجنابة غير مفيد بشىء فاذا أسلم هدم الاسلام ما كان قبله فلم يجب عليه اعادة صلاة مضت واذا سقطت الصلوات سقطت عنه شروطها واستأنف الاحكام الشرعية فتجب عليه الصلوات من حين يسلم بشروط أدائها من وضوء وغسل من جنابة اذا أجنب بعد اسلامه وغير ذلك من شروط صحة الصلاة و رأيت لبعض المتأخرين ان اغتساله سنة لا فريضة وليس عندى بالبين لان الله سبحانه يقول « انما المشركون نجس » وحكم النجاسة انما يرفع بالطهارة و لم يحكم عليهم بالتنجيس لموضع الجنابة لانه قد علق الحكم بصفة الشرك والحكم المعلل بالصفة مرتبط بها فاذا ارتفع حكم الشرك بالايمان لم يبق للجنابة حكم كما اذا كان المسلم جنبا ثم بال فالطهور من الجنابة يرفع عنه حكم الحدث الاصغر وهو حدث الوضوء لان الطهارة الصغرى داخلة فى الكبرى وتطهره من تنجيس الشرك بايمانه هو أيضا بالاضافة الى الطهر من الجنابة الطهارة الكبرى فينبغى أن تكون مغنية عنها كما كانت الطهارة من الجنابة مغنية عن الطهارة من الحدث اذ ليست واحدة من هذه الطهارات مزيلة لعين نجاسة فيها فينبغى بعد هذا ان أمره بالاغتسال تعبد والحكم بانه غير فرض تحكم والله أعلم غير ان الترمذى خرج حديث قيس بن عاصم حين أسلم فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغتسل قال الترمذى وعلى هذا العمل عند أهل العلم يستحبون للكافر اذا أسلم أن يغتسل و يغسل ثيابه فقال يستحبون وجعلها مسئلة استحباب

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر أبى قيس بن الاسلت وفيه قوله

ولولا ربنا كنا يهودا * ومادين اليهود بذى شكول

أراد جمع شكل وشكل الشىء بالفتح هو مثله والشكل بالكسر الدل والحسن فكانه أراد أن دين اليهود بدع فليس له شكول أى ليس له نظير فى الحقائق ولا مثيل يعضده من الامر المعروف المقبول وقد قال الطائى

وقلت أخى قالوا أخ من قرابة * فقلت لهم ان الشكول أقارب
قريبى فى رأيى ودينى ومذهبى * وان باعدتنا فى الخطوب المناسب

وقال فيه مع الرهبان فى جبل الجليل بالجيم التام وهذا الجبل من جبال الشام معروف بهذا الاسم

﴿ ذكر البراء بن معرور وصلاته الى القبلة ﴾

﴿ البيعة الثانية الكبرى بالعقبة ﴾

* قال ابن اسحق ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج من خرج من الانصار المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله * قال ابن اسحق وحدثنى معبد بن كعب بن مالك بن أبى كعب ابن القين أخو بنى سلمة ان أخاه عبد الله بن كعب وكان من أعلم الانصار حدثه ان أباه كعبا حدثه وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما وجهنا لسفرنا

وخرجنا من المدينة قال البراء لنا يا هؤلاء انى قد رأيت رأيا والله ما أدرى أتوافقونى عليه أم لا قال قلنا وماذاك قال قد رأيت أن لا أدع هذه البنية منى بظهر يعنى الكعبة وأن أصلى اليها قال فقلنا والله ما بلغنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى الا الى الشام وما نريد أن نخالفه قال فقال انى لمصل اليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام وصلى الى الكعبة حتى قدمنا مكة قال وقد كنا عبنا عليه ماصنع وأبى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا الى مكة قال لى يا ابن أخى انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت فى سفرى هذا فانه والله لقد وقع فى نفسى منه شىء لما رأيت من خلافكم اياى فيه قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تعرفانه فقلنا لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه قال قلنا نعم قال وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس قال فدخلنا المسجد فاذا العباس رضى الله عنه جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه فسلمنا ثم جلسنا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل قال نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ألشاعر قال نعم فقال البراء بن معرور يا نبى الله انى خرجت فى سفرى هذا وقد هدانى الله للاسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر فصليت اليها وقد خالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها قال فرجع البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معنا الى الشام قال وأهله يزعمون انه صلى الى الكعبة حتى مات وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم « قال ابن هشام » وقال عون بن أيوب الانصارى

ومنا المصلى أول الناس مقبلا * على كعبة الرحمن بين المشاعر

يعنى البراء بن معرور وهذا البيت فى قصيدة له

ذكر حديث كعب بن مالك حين حج فى نفر من قومه مع البراء بن معرور فكانوا يصلون الى بيت المقدس وكان البراء يصلى الى الكعبة الحديث الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فقه قوله لو صبرت عليها انه لم يأمره باعادة ما قد صلى لانه كان متأولا وفى الحديث دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة الى بيت المقدس وهو قول ابن عباس وقالت طائفة ما صلى الى بيت المقدس الا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا فعلى هذا يكون فى القبلة نسخان نسخ سنة بسنة ونسخ سنة بقرآن وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف فى هذه المسألة فروى عنه من طرق صحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعا لم يبن توجهه الى بيت المقدس للناس حتى خرج من مكة والله أعلم قال الله تعالى له فى الآية الناسخة « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » أى من أى جهة جئت الى الصلاة وخرجت اليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبرا البيت المقدس أو لم تكن لانه كان بمكة يتحرى فى استقباله بيت المقدس ان تكون الكعبة بين يديه وتدبر قوله تعالى « ومن حيث خرجت فول وجهك » وقال لامته « وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ولم يقل حيثما خرجتم وذلك انه كان عليه السلام امام المسلمين فكان يخرج اليهم الى كل صلاة ليصلى بهم وكان ذلك واجبا عليه اذ كان الامام المقتدى به فافاد ذكر الخروج فى خاصته هذا المعنى ولم يكن حكم غيره هكذا يقتضى الخروج ولا سيما النساء ومن لا جماعة عليه وكرر البارى تعالى الامر بالتوجه الى البيت الحرام فى ثلاث آيات لان المنكرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس اليهود لانهم لا يقولون بالنسخ فى أصل مذهبهم وأهل الريب والنفاق اشتد انكارهم له انه كان أول نسخ نزل وكفار قريش قالوا ندم محمد على فراق ديننا فسيرجع اليه كما رجع الى قبلتنا وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه فيقولون يزعم محمد انه يدعونا الى ملة ابراهيم واسمعيل وقد فارق قبلة ابراهيم واسمعيل وآثر عليها قبلة اليهود فقال الله له حين أمره بالصلاة الى الكعبة « لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم » على الاستثناء المنقطع أى لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون وقال سبحانه « وانه للحق من ربك فلا تكونن من الممترين » أى من الذين شكوا وامتروا ومعنى هو الحق من ربك أى الذى أمرتك به من التوجه الى البيت الحرام هو الحق الذى كان عليه الانبياء قبلك فلا تمتر فى ذلك وقال « وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق » وقال « وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » أى يكتمون ما علموا من ان الكعبة هى قبلة الانبياء وروى أبو داود السنجرى فى كتاب الناسخ والمنسوخ له وهو فى روايتنا عنه بسند رفيع حدثنا به الامام الحافظ أبو بكر بن العربى قال أنا أبو الحسن على بن الحسين بن على بن أيوب

* قال ابن اسحق حدثنى معبد بن كعب ان أخاه عبد الله بن كعب حدثه ان أباه كعب بن مالك حدثه قال كعب ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ايانا العقبة قال فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة أحد نساء بنى مازن بن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدى ابن نابى احدى نساء بنى سلمة وهى أم منيع قال فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج قال وكانت العرب انما يسمون هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده قال فقلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله ورغب فى الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم قال فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال نعم والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا وانا قاطعوها يعنى اليهود فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان

البزار قال أنا أبو على بن شاذان قال أنا أبو بكر الفقيه النجار احمد بن سلمان عنه قال نا أحمد بن صالح قال نا عنبسة عن يونس عن ابن شهاب قال كان سليمان بن عبد الملك لا يعظم ايلياء كما يعظمها أهل بيته قال فسرت معه وهو ولى عهد قال ومعه خالد بن يزيد بن معاوية قال سليمان وهو جالس فيه والله ان فى هذه القبلة التى صلى اليها المسلمون والنصارى لعجبا قال خالد بن يزيد أما والله انى لاقرأ الكتاب الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم وأقرأ التوراة فلم يجدها اليهود فى الكتاب الذى أنزله الله عليهم ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما غضب الله تعالى على بنى اسرائيل رفعه فكانت صلاتهم الى الصخرة عن مشاورة منهم وروى أبو داود أيضاً ان يهوديا خاصم أبا العالية فى القبلة فقال أبو العالية ان موسى عليه السلام كان يصلى عند الصخرة ويستقبل البيت الحرام فكانت الكعبة قبلة وكانت الصخرة بين يديه وقال اليهودى بينى وبينك مسجد صالح النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو العالية فانى صليت فى مسجد صالح وقبلته الكعبة وأخبر أبو العالية انه رأى مسجد ذى القرنين وقبلته الكعبة وروى أيضاً ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول لجبريل وددت ان الله حولنى عن قبلة اليهود فيقول له جبريل انما أنا عبد مأمور وروى غيره انه كان يتبعه بصره اذا عرج الى السماء حرصاً على ان يأمره بالتوجه الى الكعبة فانزل الله تعالى «قد نرى تقلب وجهك فى السماء» الآية * وذكر بيعة العقبة وذكر عدة أصحاب بيعة العقبة وانهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين وهما أم عمارة وهى نسيبة بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان وشهدت يوم اليمامة وباشرت القتال بنفسها وشاركت ابنها عبد الله فى قتل مسيلمة فقطعت يدها وجرحت اثنا عشر جرحا ثم عاشت بعد ذلك دهراً وكان الناس يأتونها بمرضاهم لتستشفى لهم فتمسح بيدها الشلاء على العليل وتدعو له فقل ما مسحت بيدها ذا عاهة الا برئ والاخرى أسماء بنت عمرو أم منيع وقد رفع فى نسبها ونسب الاخرى ابن اسحق ويروى ان أم عمارة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرى كل شئ الا للرجال وما أرى للنساء شيأ فانزل الله تعالى «ان المسلمين والمسلمات» الآية * وذكر قول البراء بن معرور وهو أول من ضرب بيده على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيعة على اختلاف فى ذلك قد ذكره ابن اسحق فقال نبايعك على ان نمنعك مما نمنع منه أزرنا أراد نساءنا والعرب تكنى عن المرأة بالازار وتكنى أيضاً بالازار عن النفس وتجعل الثوب عبارة عن لابسه كما قال

رموها بأثواب خفاف فلا ترى * لها شبها الا النعام المنفرا

ترجع الى قومك وتدعنا قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم «قال ابن هشام» ويقال الهدم الهدم أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم قال كعب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم فاخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس

﴿أسماء النقباء الاثنى عشر وتمام خبر العقبة﴾

«قال ابن هشام» من الخزرج فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى * أبو امامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج * وسعد ابن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج * وعبدالله بن رواحة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحرث بن الخزرج * ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر ابن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم ابن الخزرج * والبراء ابن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج * وعبد الله ابن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج * وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ابن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج «قال ابن هشام» هو غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج * والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج «قال ابن هشام» ويقال ابن خنيس * ومن الاوس أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل ابن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * وسعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس * ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن

أى بابدان خفاف فقوله مما تمنع أزرنا يحتمل الوجهين جميعا وقد قال الفارسى فى قول الرجل الذى كتب الى عمر من الغزو يذكره باهله

ألا أبلغ أبا حفص رسولا * فدى لك من أخى ثقة ازارى

قال الازار كناية عن الاهل وهو فى موضع نصب بالاغراء أى احفظ ازارى وقال ابن قتيبة الازار فى هذا البيت كناية عن نفسه ومعناه فدا لك نفسى وهذا القول هو المرضى فى العربية والذى قاله الفارسى بعيد عن الصواب لانه أضمر المبتدا وأضمر الفعل الناصب للازار ولا دليل عليه لبعده عنه وبعد البيت ما يدل على صحة القول المختار وهو

قلائصنا هداك الله مهلا * شغلنا عنكم زمن الحصار

فنصب قلائصنا بالاضمار الذى جعله الفارسى ناصبا للازار والبراء بن معرور يكنى أبا بشر بابنه بشر بن البراء وهو الذى أكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة فمات ومعرور اسم أبيه معناه مقصود يقال عره واعتره اذا قصده والبراء هذا ممن صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره بعد موته وكبر أربعا وفى هذا الحديث الصلاة على القبر وقد رويت من ست طرق عن النبى صلى الله عليه وسلم قاله احمد بن حنبل وذكرها كلها أبو عمر فى التمهيد وزاد ثلاث طرق لم يذكرها ابن حنبل فهى اذا تروى من تسع طرق أعنى ان تسعة من الصحابة رووا صلاته عليه السلام على القبر فمنهم ابن عباس وأنس بن مالك وبريدة وابو هريرة وزيد بن ثابت وعامر بن فهيرة [ربيعة] وأبو قتادة الانصارى وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وحديثه مرسل وأصحها اسنادا حديث ابن عباس وأبى هريرة * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم للمبايعين له بل الدم الدم والهدم الهدم وقال ابن هشام الهدم بفتح الدال قال ابن قتيبة كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دمى دمك وهدمى هدمك أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا ويقال أيضا بل اللدم اللدم والهدم الهدم وأنشد * ثم الحقى بهدمى ولدمى * فاللدم جمع لادم وهم أهله الذين يلتدمون عليه اذا مات وهو من لدمت صدره اذا ضربته والهدم قال ابن هشام الحرمة وانما كنى عن حرمة الرجل وأهله بالهدم لانهم كانوا أهل نجعة وارتحال ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى ثم قال هدمى هدمك أى رحلتى مع رحلتك أى لا اظعن وأدعك وأنشد يعقوب * كانها هدم فى الجفر منقاض *

﴿فصل﴾ وذكر الاثنى عشر نقيبا وشعر كعب فيهم الى آخره وليس فيه ما يشكل وانما جعلهم عليه

السلام

عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس «قال ابن هشام» وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولا يعدون رفاعة * وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما أنشدنى أبو زيد الانصارى

* أبلغ أبيا أنه قال رأيه * وحان غداة الشعب والحين واقع
أبى الله ما منتك نفسك انه * بمرصاد أمر الناس راء وسامع
وأبلغ أبا سفيان ان قد بدا لنا * بأحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترغبن فى حشد أمر تريده * وألب وجمع كل ما أنت جامع
ودونك فاعلم ان نقض عهودنا * أباه عليك الرهط حين تبايعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما * وأسعد يأباه عليك ورافع
وسعد أباه الساعدى ومنذر * لانفك ان حاولت ذلك جادع
وما ابن ربيع ان تناولت عهده * بمسلمه لايطمعن ثم طامع
وأيضا فلا يعطكيه ابن رواحة * واخفاره من دونه السم ناقع
وفاء به والقوقلى ابن صامت * بمندوحة عما تحاول يافع
أبو هيثم أيضا وفى بمثلها * وفاء بما أعطى من العهد خانع
وما ابن حضير ان أردت بمطمع * فهل أنت عن أحموقة الغى نازع
وسعد أخو عمرو بن عوف فانه * ضروح لما حاولت ملأمر مانع
أولاك نجوم لا يغبك منهم * عليك بنحس فى دجى الليل طالع

فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى يعنى المسلمين قالوا نعم * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصارى أخو بنى سالم ابن عوف يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله ان فعلتم خزى الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه فأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال والله ما قال ذلك العباس الا ليشد العقل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم وأما عبد الله بن أبى بكر فقال ما قال ذلك العباس الا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبى ابن سلول فيكون أقوى لامر القوم فالله أعلم أى ذلك كان «قال ابن هشام» سلول امرأة من خزاعة وهى أم أبى بن مالك بن الحرث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق فبنو النجار يزعمون ان أبا امامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده وبنو عبد الاشهل يقولون بل أبو الهيثم بن التيهان * قال ابن اسحق قال الزهرى حدثنى معبد بن كعب بن مالك فحدثنى فى حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك قال كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ثم بايع بعد القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت سمعته قط يا أهل الجباجب والجباجب المنازل هل لكم فى مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة هذا ابن أزيب «قال ابن هشام» ويقال ابن أزيب اسمع أى عدو الله اما والله لافرغن لك قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا الى رحالكم قال فقال له العباس بن عبادة بن نضلة والله الذى بعثك بالحق ان شئت لتميلن على أهل منى غدا بأسيافنا قال فقال

السلام اثنى عشر نقيبا اقتداء بقوله تعالى فى قوم موسى وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقد سمينا أولئك النقباء باسمائهم فى كتاب التعريف والاعلام فلينظر هنالك وروى عن الزهرى أنه قال قال النبى عليه السلام للاوس والخزرج حين قدم عليهم النقباء لا يغضبن أحدكم فانى أفعل ما أومر وجبريل عليه السلام الى جنبه يشير اليهم واحدا بعد واحد وروى فى المعيطى عن مالك بن أنس انه روى حديث النقباء عن شيخ من الانصار قال مالك وكنت أعجب كيف جاء هذا رجلان من قبيلة ورجل من أخرى حتى حدثت بهذا الحديث وان جبريل هو الذى ولاهم وأشار على النبى صلى الله عليه وسلم بهم * وذكر ان الشيطان صرخ من رأس العقبه بانفذ صوت قال الشيخ أبو بحر هكذا وقع فى الامهات وأصلحناه عن القاضى أبى الوليد بابعد «قال المؤلف» ولا معنى لهذا الاصلاح لان وصف الصوت بالنفاذ صحيح هو أفصح من وصفه بالبعد وقد مضى فى حديث عمر مع الكاهن قال لقد سمعت من صوت العجل صوتا ما سمعت أنفذ منه وفى الصحيح ان الله تعالى يحشر الخلق يوم القيامة فى صردح واحد فينفذهم البصر ويسمعهم الداعى وكذلك وجدته فى رواية يونس بن بكير عن ابن اسحق بانفذ صوت كما كان فى الاصل * وقوله يا أهل الجباجب يعنى منازل منى وأصله ان الاوعية من الادم كالزبيل ونحوه يسمى جبجبة فجعل الخيام والمنازل لاهلها كالاوعية وقوله عليه السلام حين صرخ ابليس يا أهل الجباجب هذا أزب العقبة هذا ابن أزنب قال ابن هشام ويقال ابن أزيب كذا تقيد فى هذا الموضع أزب العقبة وقال ابن ماكولا أم كرز بنت الازب بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم قال فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا يامعشر الخزرج انه قد بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله مامن حى من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء وماعلمناه قال وقد صدقوا لم يعلموه قال وبعضنا ينظر الى بعض قال ثم قام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان له جديدان قال فقلت له كلمة كانى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا ياأباجابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما الى فقال والله لتنتعلنهما قال يقول أبوجابر مه أحفظت والله الفتى فاردد اليه نعليه قال قلت لا والله لا أردهما فأل والله صالح والله لئن صدق الفأل لاسلبنه *قال ابن اسحق وحدثنى عبدالله بن أبى بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبى ابن سلول فقالوا له مثل ما قال كعب من القول فقال لهم ان هذا الامر جسيم ما كان قومى ليتفوتوا على بمثل هذا وما علمته كان قال فانصرفوا عنه قال ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان وخرجوا فى طلب القوم فادركوا سعد بن عبادة باذاخر والمنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيبا فاما المنذر فاعجز القوم وأما سعد فاخذوه فربطوا يديه الى عنقه بنسع رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته وكان ذا شعر كثير قال سعد فوالله انى لفى أيديهم اذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضىء أبيض شعشاع حلو من وذكر الرجال «قال ابن هشام» الشعشاع الطويل الحسن قال رؤبة * يمطوه من شعشاع غير مؤدن * يعنى عنق البعير غير قصير يقول مؤدن اليد أى ناقص اليد يمطوه من السير شعشاع حلو من الرجال قال قلت فى نفسى ان يك عند أحد من القوم خير فعند هذا قال فلما دنا منى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة قال قلت فى نفسى لا والله ماعندهم بعد هذا من خير قال فوالله انى لفى أيديهم يسحبوننى اذ أوى لى رجل ممن كان معهم فقال ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قال قلت بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف تجارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى وللحرث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف قال ويحك فاهتف باسم الرجلين

عمرو بن بكيل من همدان جدة العباس أم أمه سيلة وقال لا يعرف الازب فى الاسماء الا هذا وأزب العقبة وهو اسم شيطان ووقع فى هذه النسخة فى غزوة أحد ازب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاى وفى حديث ابن الزبير ما يشهد له حين رأى رجلا طوله شبران على بردعة رحله فقال ما أنت فقال ازب قال وما ازب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود السوط حتى باص أى هرب وقال يعقوب فى الالفاظ الازب القصير وحديث ابن الزبير ذكره العتبى فى الغريب فالله أعلم أى اللفظين أصح وابن أزيب فى رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعيلا من الازب أيضاً والازيب البخيل وأزيب اسم ريح من الرياح الاربع والازيب الفزع أيضاً والازيب الرجل المتقارب المشى وهو على وزن افعل قاله صاحب العين ويحتمل أن يكون ابن ازيب من هذا أيضاً وأما البخيل فازيب على وزن فعيل لان يعقوب حكى فى الالفاظ امرأة أزيبة ولو كان على وزن افعل فى المذكر لقيل فى المؤنث زيباء الا ان فعيلا فى أبنية الاسماء عزيز وقد قالوا فى ضهياء وهى التى لا تحيض من النساء فعلى جعلوا الهمزة زائدة وهى عندى فعيل لان الهمزة فى قراءة عاصم لام الفعل فى قوله تعالى يضاهون والضهياء من هذا لانها تضاهى الرجل أى تشبهه ويقال فيه ضهياء بالمد فلا اشكال فيها انها للتأنيث على لغة من قال ضاهيت بالياء وقد يجوز أن يكون أزيب وأزيبة مثل أرمل وأرملة فلا يكون فعيلا وروى أبو الاشهب عن الحسن قال لما بويع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى صرخ الشيطان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبو لبينى قد أنذر بكم فتفرقوا

﴿فصل﴾ وذكر الحارث بن هشام حين رمى بنعليه الى جابر قال وكان عليه نعلان جديدان والنعل مؤنثة ولكن لا يقال جديدة فى الفصيح من الكلام وانما يقال ملحفة جديد لانها فى معنى مجدودة أى مقطوعة فهى من باب كف خضيب وامرأة قتيل قال سيبويه ومن قال جديدة فانما أراد معنى حديثة أراد سيبويه أن حديثة بمعنى حادثة وكل فعيل بمعنى فاعل يدخله التاء فى المؤنث *وذكر قول سعد حين أسرته قريش فاتانى رجل وضىء شعشاع والشعشع والشعشعانى الطويل من الرجال وكذلك السلهب والصقعب والشرقب والشرجب والخبق والشوذب الطويل مع رقة فى أسماء كثيرة *وقوله أوى اليه رجل أى رق له يقال أوى أية ومأوية *وقوله فتنطس القوم الخبر أى أكثروا البحث عنه والتنطس تدقيق النظر قال الراجز

وقد أكون عندها نقريسا * طبا بادواء النسا نطيسا

واذكر ما بينك وبينهما قال ففعلت وخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما فى المسجد عند الكعبة فقال لهما ان رجلا من الخزرج الآن يضرب بالابطح ليهتف بكما ويذكران بينه وبينكما جوارا قالا ومن هو قال سعد بن عبادة قالا صدق والله ان كان ليجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده قال فجاءا فخلصا سعدا من أيديهم فانطلق وكان الذى لكم سعدا سهيل بن عمرو وأخو بنى عامر بن لؤى «قال ابن هشام» وكان الرجل الذى أوى له ابا البخترى بن هشام * قال ابن اسحق وكان أول شعر قيل فى الهجرة بيتين قالهما ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بنى محارب بن فهر

تداركت سعدا عنوة فاخذته * وكان شفاء لو تداركت منذرا
ولو نلته طلت هناك جراحه * وكانت حريا ان يهان ويهدرا

« قال ابن هشام » ويروى * وكان حقيقا ان يهان ويهدرا * قال ابن اسحق فاجابه حسان بن ثابت فيهما فقال

لست الى سعد ولا المرء منذر * اذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
فلولا أبو وهب لمرت قصائد * على شرف البرقاء يهوين حسرا
أتفخر بالكتان لما لبسته * وقد تلبس الانباط ريطا مقصرا
فلاتك كالوسنان يحلم انه * بقرية كسرى أو بقرية قيصرا
ولاتك كالثكلى وكانت بمعزل * عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا
ولاتك كالشاة التى كان حتفها * بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا
ولا تك كالعاوى فاقبل نحره * ولم يخشه سهم من النبل مضمرا
فانا ومن يهدى القصائد نحونا * كمستبضع تمرا الى أهل خيبرا

وذكر قول ضرار بن الخطاب * وكان شفاء لو تداركت منذرا * وضرار كان شاعر قريش وفارسها ولم يكن فى قريش أشعر منه ثم ابن الزبعرى وكان جده مرداس رئيس بنى محارب بن فهر فى الجاهلية يسير فيهم بالمرباع وهو ربع الغنيمة وكان أبوه أيام الفجار رئيس بنى محارب بن فهر أسلم ضرار عام الفتح *وذكر قول حسان يجيبه

لست الى عمرو ولا المرء منذر * اذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

يعنى بعمرو عمرو بن خنيس والد المنذر يقول لست اليه ولا الى ابنه المنذر أى أنت أقل من ذلك والمنذر بن عمرو هذا يقال له أعنق ليموت هو أحد النقباء كما ذكر ابن اسحق وذكر ابن اسحق فى المواخاة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين أبى ذر الغفارى وأنكر ذلك الواقدى محمد بن عمر وقال انما آخى بينه وبين طليب بن عمرو قال وكيف يواخى بينه وبين أبى ذر والمواخاة كانت قبل بدر وأبو ذر كان اذ ذاك غائبا عن المدينة ولم يقدم الا بعد بدر وقد قطعت بدر المواخاة ونسخها قوله سبحانه «وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض» وللمنذر بن عمرو حديث واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له غيره يرويه عبد المهيمن ابن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده عن المنذر أن رسول الله صلى الله عايه وسلم سجد عن السهو قبل التسليم وعبد المهيمن ضعيف وقول حسان

ولاتك كالشاة التى كان حتفها * بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

تقوله العرب فى مثل قديم فيمن أثار على نفسه شرا كالباحث عن المدية وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر

وكان يجير الناس من سيف مالك * فاصبح يبغى نفسه من يجيرها
وكان كعنز السوء قامت بظلفها * الى مدية تحت التراب تثيرها

❊فصل❊ فى اسلام عمرو بن الجموح وذكر صنمه الذى كان يعبده واسمه مناة وزنه فعلة من منيت الدم

فلما قدموا المدينه أظهروا الاسلام بها وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ابن غنم بن كعب بن سلمة وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وكان عمرو بن الجموح سيدا من سادات بنى سلمة وشريفا من أشرافهم وكان قد اتخذ فى داره صنما من خشب يقال له مناة كما كانت الاشراف يصنعون تتخذه إلها تعظمه وتطهره فلما أسلم فتيان بنى سلمة معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو فى فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة وفيها عذر الناس منكسا على رأسه فاذا أصبح عمرو قال ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لاخزينه فاذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الاذى فيغسله ويطهره ويطيبه ثم يعدون عليه اذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عايه ثم قال له انى والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو غدوا عليه فاخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من

آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فاسلم برحمه الله وحسن اسلامه فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة فقال

والله لو كنت الها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر فى قرن
أف لملقاك الها مستدن * الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلى ذى المنن * الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن * أكون فى ظلمة قبر مرتهن
بأحمد المهدى النبى المرتهن *

قال ابن اسحق وكان فى بيعة الحرب حين أذن الله لرسوله فى القتال شروطا سوى شرطه عليهم فى العقبة الاولى كانت الاولى على بيعة النساء وذلك ان الله تعالى لم يكن أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحرب فلما أذن له فيها وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الآخرة على حرب الاحمر والاسود أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة * قال ابن اسحق فحدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد عن جده عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوا فى العقبة الاولى على بيعة النساء على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الامر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم * قال ابن اسحق وهذه تسمية من شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها من الاوس والخزرج وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين * شهدها من الاوس بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر ثم من بنى عبد الاشهل بن جشم ابن الحرث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الاوس أسيد بن حضير ابن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الاشهل نقيب لم يشهد بدرا * وأبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك شهد بدرا * وسلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الاشهل شهد بدرا ثلاثة نفر «قال ابن هشام» ويقال ابن زعوراء بفتح العين * قال ابن اسحق ومن بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * ظهير بن رافع بن عدى بن زيد بن جشم بن حارثة * وأبو بردة بن دينار واسمه هانىء بن دينار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة حليف لهم شهد بدرا * ونهير بن الهيثم من بنى نابى بن مجدعة بن حارثة ثلاثة نفر * ومن بنى عمرو بن عوف ابن مالك بن الاوس سعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الاوس نقيب شهد بدرا فقتل به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً «قال ابن هشام» ونسبه ابن اسحق فى بنى عمرو بن عوف «قال ابن هشام» وهو من بنى غنم بن السلم لانه ربما كانت دعوة الرجل فى القوم أو يكون فيهم فينسب اليهم * قال ابن اسحق ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو نقيب شهد بدرا وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك واسم البرك امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا أمير الرسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة ويقال أمية بن البرك فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق ومعن بن عدى بن الجد بن العجلان بن ضبيعة حليف لهم من بلى شهد بدرا واحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها قتل يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه * وعويم بن ساعدة شهد بدرا واحدا والخندق

وغيره اذا صبيته لان الدماء كانت تمنى عنده تقربا اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وفى الحديث لا والدمى لا أرى بما تقول بأسا وكذلك مناة الطاغية التى كانوا يهلون اليها بقديد والحظ من هذا المطاع ما فى قوله تعالى «ومناة الثالثة الاخرى» من الفائدة جعلها ثالثة للات والعزى وأخرى بالاضافة الى مناة التى كان يعبدها عمرو بن الجموح وغيره من قومه فهما مناتان واحداهما عن الاخرى بالاضافة الى صاحبتها * وقوله * الآن فتشناك عن سوء الغبن * الغبن فى الرأى يقال غبن رأيه كما يقال سفه نفسه فنصبوا الآن المعنى خسر نفسه وأوبقها وأفسد رأيه ونحو هذا * وقوله الها مستدن من السدانة وهى خدمة البيت وتعظيمه * وقوله ديان الدين الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضا وقال ابن الطبرية واسمه يزيد

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم * له عند ليلى دينة يستدينها
فالقيت سهمى بينهم حين أوخشوا * فما صار لى فى القسم الا ثمينها

ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أى هو ديان أهل الاديان ولكن جمعها على الدين لانها ملل ونحلل كما قالوا فى جمع الحرة حرائر لانهن فى معنى الكرائم والعقائل وكذلك مرائر الشجر وان كانت الواحدة مرة ولكنها فى معنى فعيلة لانها عسيرة فى الذوق وشديدة على الآكل وكريهة اليه

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق تسمية من حضر العقبة وذكر أنسابهم الا أبا الهيثم بن التيهان وقد ذكرنا اسمه

خمسة نفر فجميع من شهد العقبة من الاوس أحد عشر رجلا * وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بنى النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج أبو أيوب وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مات بأرض الروم غازيا فى زمن معاوية بن أبى سفيان * ومعاذ بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك ابن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها وهو ابن العفراء وأخوه عوف بن الحرث شهد بدرا وقتل به شهيدا وهو الذى قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة وهو لعفراء ويقال رفاعة بن الحرث بن سواد فيما قال ابن هشام * وعمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها قتل يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه * وأسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار نقيب مات، قبل بدر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى وهو أبو أمامة ستة نفر * ومن بنى عمرو بن مبذول ومبذول عامر بن مالك بن النجار سهل بن عتيك بن النعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو شهد بدرا رجل * ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار وهو بنو جديلة «قال ابن هشام» جديلة بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج * أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك شهد بدرا * وأبو طلحة وهو زيد بن سهل بن الاسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك شهد بدرا رجلان * ومن بنى مازن بن النجار قيس بن أبى صعصعة واسم أبى صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن شهد بدرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على الساقة يومئذ * وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن رجلان فجميع من شهد العقبة من بنى النجار أحد عشر رجلا «قال ابن هشام» عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء هذا الذى ذكره ابن اسحق انما هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء * قال ابن اسحق ومن بلحرث بن الخزرج سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث نقيب شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * وخارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء (٢٨١) القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * وعبد الله ابن رواحة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث نقيب شهد بدرا وأحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها الا الفتح وما بعده قتل يوم موتة شهيدا أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وبشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث أبو النعمان بن بشير شهد بدرا * وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد بن الحرث بن الخزرج بن الحرث شهد بدرا وهو الذى أرى النداء للصلاة فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به * وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج شهد بدرا وأحدا والخندق وقتل يوم بنى قريظة شهيدا طرحت عليه رحا من آطامها فشدخته شدخا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون ان له لاجر شهيدين * وعقبة بن عمرو بن ثعلبة بن يسيرة بن عسيرة بن جدارة بن عوف بن الحرث وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سنا مات فى أيام معاوية لم يشهد بدرا سبعة نفر * ومن بنى بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة شهد بدرا * وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة شهد بدرا «قال ابن هشام» ويقال ودفة * قال ابن اسحق وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة شهد بدرا ثلاثة نفر * ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق نقيب * وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق وكان خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معه بمكة فهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فكان يقال له مهاجرى انصارى شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيد * وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق شهد بدرا * والحرث بن قيس بن خالد بن مخلدة بن عامر بن زريق وهو أبو خالد شهد بدرا أربعة نفر * ومن بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم نقيب وهو الذى تزعم بنو سلمة انه كان أول من ضرب على يد رسول الله

اسمه واسم أبيه وما قيل فى نسبه فى ذكر العقبة الاولى * وذكر قطبة بن عامر والقطبة فيما ذكر أبو حنيفة واحدة القطب وهى شوكة مدحرجة فيها ثلاث شويكات وهى تشبه حسك السعدان وقد بان بنعت أبى حنيفة له أنه الذى نسميه ببلادنا حمص الامير والقطبة طرف النصل * وذكر ذكوان بن عبد قيس ونسبه الى عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن رواحة بن غضب بن جشم والغضب فى اللغة الشديد الحمرة

صلى الله عليه وسلم وشرط له واشترط عليه ثم توفى قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وابنه بشر بن البراء بن معرور شهد بدرا وأحدا والخندق ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة التى سم فيها وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأل بنى سلمة من سيدكم يا بنى سلمة فقالوا الجد بن قيس على بخله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأى داء أكبر من البخل سيد بنى سلمة الابيض الجعد بشر بن البراء بن معرور * وسنان بن صيفى بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا * والطفيل بن النعمان ابن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا وقتل يوم الخندق شهيدا * ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عبد شهد بدرا * ويزيد ابن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عبيد شهد بدرا * ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد * والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد شهد بدرا * ويزيد بن خذام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد * وجبار بن صخرة بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا «قال ابن هشام» ويقال جبار بن صخر بن أمية بن خناس * قال ابن اسحق والطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا احدى عشر رجلا * ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ثم من بنى كعب بن سواد كعب بن مالك بن أبى كعب من القين بن كعب رجل * ومن بنى غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غنم شهد بدرا * وقطبة بن عامر بن حديدة بن غنم بن عمرو شهد بدرا * ويزيد بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم وهو أبو المنذر شهد بدرا وأبو اليسر واسمه كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم شهد بدرا * وصيفى بن سواد بن عباس بن عمرو بن غنم خمسة نفر «قال ابن هشام» صيفى بن أسود بن عباد بن عمرو بن سواد وليس لسواد ابن يقال له غنم * قال ابن اسحق ومن بنى نابى بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة * ثعلبة بن غنمة بن عدى بن نابى شهد بدرا وقتل بالخندق شهيدا * وعمرو بن غنمة بن عدى بن نابى وعبس بن عامر بن عدى بن نابى شهد بدرا * وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة * وخالد بن عمرو بن عدى بن نابى خمسة نفر * قال ابن اسحق ومن بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة * عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام نقيب شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا وابنه جابر بن عبد الله * ومعاذ بن عمرو بن الجموح ابن زيد بن حرام شهد بدرا * وثابت بن الجذع والجذع ثعلبة بن زيد بن الحرث بن حرام شهد بدرا وقتل بالطائف شهيدا * وعمير بن الحرث بن ثعلبة بن زيد بن الحرث بن حرام شهد بدرا «قال ابن هشام» عمير بن الحرث بن لبدة بن ثعلبة

وجشم معدول عن جاشم وهو من جشمت الامر كما عدلوا عمر عن عامر وقد أملينا جزءاً فى أسرار ماينصرف ومالا ينصرف شرحنا فيه فائدة العدل عن فاعل الى فعل وما حقيقة العدل والمقصود به ولم لم يعدل عن أسماء الاجناس ولم لم يكن الا فى الصفات ولم لم يكن من الصفات الا فى مثل عامر وزافر وقاثم ولم يكن فى مالك وصالح وسالم ولم خص فعل هذا البناء بالعدل اليه وهل عدل الى بناء غيره أم لا ولم منع الخفض والتنوين اذا كان معدولا الى هذا البناء فمن اشتاق الى معرفة هذه الاسرار فلينظرها هنالك فان ابن جنى قد حام فى كتاب الخصائص على بعضها فما ورد وصاف فما فقح * وذكر فى بنى بياضة عمرو بن وذفة بذال معجمة وقال ابن هشام ودفة بدال مهملة وهو الاصح والودفة الروضة الناعمة سميت بذلك لانها تقطر ماء من نعمتها والاداف الذكر وأصله وداف سمى بذلك الموضع قطر الماء والمنى منه ويقال للروضة الناعمة الدقرى وعمرو بن ودفة هذا هو البياضى الذى روى عنه مالك فى كتاب الصلاة ولم يسمه وفى الانصار بنو النجار وهم تيم الله بن ثعلبة سمى النجار فيما ذكروا لانه نجر وجه رجل بقدوم وقيل كان نجاراً وثعلبة فى العرب كثير فى الرجال وقل ما يسمون بثعلب وان كان ذلك هو القياس كما يسمون بنمر وسبع وذئب ولكن الثعلب اسم مشترك اذ يقال ثعلب الرمح وثعلب الحوض وهو مخرج الماء منه وفى الحديث حتى قام أبولبابة يشد ثعلب مربده بردائه فكانهم عدلوا عن التسمية بثعلب لهذا الاشتراك مع أن الثعلبة أحمى لادراصها وأغير على أجرائها من الثعلب * وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة من سيدكم فقالوا جد بن قيس على بخل فيه فقال وأى داء أكبر من البخل بل سيدكم الابيض الجعد بشر بن البراء وروى عن الزهرى وعامر الشعبى انهما قالا فى هذا الحديث عن النبى عليه السلام بل سيدكم عمرو بن الجموح وقال شاعر الانصار فى ذلك

وقال رسول الله والحق قوله * لمن قال منا من تعدون سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التى * نبخله فيها وما كان أسودا
فسود عمرو بن الجموح لجوده * وحق لعمرو وعندنا ان يسودا

(فصل)

* قال ابن اسحق وخديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن الفرافر حليف لهم من بلى ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أد بن سعد بن على بن أسد ويقال أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج وكان فى بنى سلمة شهد بدرا والمشاهد كلها ومات بعمواس عام الطاعون بالشام فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وانما ادعته بنو سلمة انه كان أخا سهل بن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة لامه سبعة نفر «قال ابن هشام» أوس بن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن ادى بن سعد * قال ابن اسحق ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج * عبادة ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف نقيب شهد بدرا والمشاهد كلها «قال ابن هشام» وهو غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف وكان ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له مهاجرى أنصارى وقتل يوم أحد شهيدا * وأبو عبد الرحمن بن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة حليف لهم من بنى غصينة من بلى * وعمرو بن الحرث بن لبدة بن عمرو ابن ثعلبة أربعة نفر وهم القواقل * ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج وهم بنو الحبلى «قال ابن هشام» الحبلى سالم ابن غنم بن عوف وانما سمى الحبلى لعظم بطنه * رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمر بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم شهد بدرا وهو أبو الوليد «قال ابن هشام» ويقال رفاعة بن مالك ومالك أبو الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم * قال ابن اسحق وعقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال بن الحرث بن عمرو بن عدى بن جشم بن عوف بن بهثة ابن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان حليف لهم شهد بدرا وكان ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة الى مكة فكان يقال له مهاجرى أنصارى «قال ابن هشام» رجلان * قال ابن اسحق ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج * سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة نقيب * والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن جشم بن الخزرج بن ساعدة نقيب شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى كان يقال له أعتق ليموت رجلان * قال ابن اسحق فجميع من شهد العقبة من الاوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم يزعمون انهما قد بايعا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أقررن قال اذهبن فقد بايعتكن * ومن بنى مازن بن النجار نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن وهى أم عمارة كانت شهدت الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب وابناها خبيب بن زيد وعبد الله ابن زيد وابنها خبيب الذى أخذه مسيلمة الكذاب الحنفى صاحب اليمامة فجعل يقول له أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم فيقول أفتشهد انى رسول الله فيقول لا أسمع وجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات فى يده لا يزيده على ذلك اذا ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه واذا ذكر له مسيلمة قال لا أسمع فخرجت الى اليمامة مع المسلمين فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها

«فصل» وذكر خديج بن سلامة البلوى وهو خديج بخاء منقوطة مفتوحة ودال مكسورة كذا ذكره الدارقطنى وغيره وذكره الطبرى وقال شهد العقبة ولم يشهد بدرا وقال يكنى أبا رشيد * وذكر معاذ بن جبل ونسبه الى أدى بن سعد بن على أخى سلمة وقد انقرض عقب أدى وآخر من مات منهم عبد الرحمن بن معاذ ابن جبل وقد يقال فى أدى أيضا أذن فى غير رواية ابن اسحق وابن هشام * وذكر ان معاذ بن جبل مات فى طاعون عمواس هكذا تقيد فى النسخة عمواس بسكون الميم وقال فيه البكرى فى كتاب المعجم من أسماء البقع عمواس بفتح الميم والعين وهى قرية بالشام عرف الطاعون بها لانه منها بدا وقيل انما سمى طاعون عمواس لانه عم وآسى أى جعل بعض الناس اسوة بعض * وذكر يزيد بن ثعلبة بن خزمة بسكون الزاى كذا قال فيه ابن اسحق وابن الكلبى وقال الطبرى فيه خزمة بتحريك الزاى وهو بلوى من بنى عمارة بفتح العين وتشديد الميم ولا يعرف عمارة فى العرب الا هذا كما لا يعرف عمارة بكسر العين الا أبى بن عمارة الذى يروى حديثا فى المسح على الخفين وقد قيل فيه عمارة بضم العين وأما سوى هذين فعمارة بالضم غير أن الدارقطنى ذكر عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبى فى نسب قضاعة قال مدرك بن عبد الله القمقام بن عمارة بن ذويد بن مالك وفى النساء عمارة بنت نافع وهى ام محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق وفى الانصار خزمة سوى هذا المذكور بفتح الزاى كثير * وذكر بنى الحبلى والنسب اليه حبلى بضم الحاء والباء قاله سيبويه على غير قياس النسب وتوهم بعض من ألف فى العربية أن سيبويه قال فيه حبلى بفتح الباء لما ذكره مع جذمى فى النسب الى جذيمة

اثنا عشر جرحا من بين طعنة وضربة * قال ابن اسحق حدثني هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة * ومن بني سلمة أم منيع واسمها أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء انما يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت على من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم فهم من بين مفتون في دينه ومن بين معذب في أيديهم وبين هارب في البلاد فرارا منهم منهم من بأرض الحبشة ومنهم من بالمدينة وفي كل وجه فلما عتت قريش على الله عزوجل وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه أذن الله عزوجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم فكانت أول آية أنزلت في أذنه له في الحرب واحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور أي اني انما أحللت لهم القتال لانهم ظلموا ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس الا أن يعبدوا الله وأنهم اذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين لله أي حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره * قال ابن اسحق فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب وتابعه هذا الحي من الانصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى اليهم من المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللحوق باخوانهم من الانصار وقال ان الله عزوجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا ارسالا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة فكان أول من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بني مخزوم * أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واسمه عبد الله هاجر الى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه اسلام من أسلم من الانصار خرج الى المدينة مهاجرا * قال ابن اسحق فحدثني أبي اسحق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ثم خرج بي يقود بي بعيره فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا اليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد قالت فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبي سلمة قالوا لا والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا قالت فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة الى المدينة قالت ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالابطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها قالت فقالوا لي الحقي بزوجك ان شئت قالت ورد بنو عبد الاسد الي عند ذلك ابني قالت فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة قالت وما معي أحد من خلق الله قالت فقلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال لي الى أين يا بنت أبي أمية قالت فقلت أريد زوجي بالمدينة قال أوما معك أحد قالت فقلت لا والله الا الله وبني هذا قال والله مالك من مترك فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي فوالله ما صحبت رجلا من

ولم يذكره سيبويه معه لانه على وزنه ولكن لانه شاذ مثله في القياس الذي ذكرناه عن سيبويه من تقييده بالضم ذكره أبو علي القالي في البارع وقال هكذا اتقيد في النسخ الصحيحة من سيبويه وحسبك من هذا أن جميع المحدثين يقولون أبو عبد الرحمن الحبلي بضمتين لا يختلفون في ذلك فدل هذا كله على غلط من نسب الى سيبويه انه فتح الباء

﴿فصل﴾ وذكر هجرة أم سلمة وصحبة عثمان بن طلحة لها وهو يومئذ على كفره وانما أسلم عثمان في هدنة الحديبية

العرب قط أرى انه كان أكرم منه كان اذا بلغ المنزل اناخ بى ثم استأخر عنى حتى اذا نزلت عنه استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجر ثم تنحى الى الشجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى فقال اركبى فاذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة فلما نظر الى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال زوجك فى هذه القرية وكان أبو سلمة بها نازلا فادخليها على بركة الله ثم انصرف راجعا الى مكة قال فكانت تقول والله ما أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة وما رأيت صاحبا قط أكرم من عثمان بن طلحة * قال ابن اسحق ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب * ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بنى أمية بن عبد شمس احتمل باهله وباخيه عبد بن جحش وهو ابو احمد وكان ابو أحمد رجلا ضرير البصر وكان يطوف مكة اعلاها واسفلها بغير قائد وكان شاعرا وكانت عنده الفرعة ابنة أبى سفيان بن حرب وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فغلقت دار بنى جحش هجرة فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام بن المغيرة وهى دار أبان بن عثمان اليوم التى بالردم وهم مصعدون الى أعلى مكة فنظر اليها عتبة بن ربيعة تخفق ابوابها يبابا ليس فيها ساكن فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ثم قال

وكل دار وان طالت سلامتها * يوما ستدركها النكباء والحوب

«قال ابن هشام» وهذا البيت لابى دؤاد الايادى فى قصيدة له والحوب التوجع * قال ابن اسحق ثم قال عتبة اصبحت دار بنى جحش خلاء من أهلها فقال أبو جهل وما تبكى عليه من فل ابن فل «قال ابن هشام» الفل الواحد قال لبيد بن ربيعة

كل بنى حرة مصيرهم * فل وان اكثرت من العدد

* قال ابن اسحق ثم قال هذا عمل ابن أخى هذا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وقطع بيننا فكان منزل أبى سلمة بن عبد الاسد وعامر بن ربيعة وعبد الله بن جحش وأخيه أبى احمد بن جحش على مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بقباء فى بنى عمرو بن عوف * ثم قدم المهاجرون ارسالا وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام قد أوعبوا الى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة رجالهم ونساءهم عبد الله بن جحش وأخوه ابو احمد بن جحش وعكاشة بن محصن وشجاع وعقبة ابنا وهب واربد بن جميرة «قال ابن هشام» و يقال ابن حميرة

الحديبية وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد وقتل يوم أحد اخوته مسافع وكلاب والحارث وأبوهم وعمه عثمان بن أبى طلحة قتل أيضا يوم أحد كافرا وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح الى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة والى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وهو جد بنى شيبة حجبة الكعبة واسم أبى طلحة جدهم عبد الله بن عبد العزى وقتل عثمان رحمه الله شهيدا باجنادين فى أول خلافة عمر

﴿ فصل ﴾ وذكر هجرة بنى جحش وهم عبد الله وأبو أحمد واسمه عبد وقد كان أخوهم عبيد الله أسلم ثم تنصر بارض الحبشة وزينب بنت جحش أم المؤمنين التى كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها «فلما اقضى زيد منها وطراً زوجناكها» وأم حبيب بنت جحش التى كانت تستحاض وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف وحمنة بنت جحش التى كانت تحت مصعب بن عمير وكانت تستحاض أيضا وقد روى ان زينب استحيضت أيضاً ووقع فى الموطا ان زينب بنت جحش التى كانت تحت عبد الرحمن بن عوف وكانت تستحاض ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن بن عوف ولا قاله أحد والغلط لا يسلم منه بشر وانما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ويقال فيها أم حبيبة غير ان شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح أخبرنى ان أم حبيب كان اسمها زينب فهما زينبان غلبت على احداهما الكنية فعلى هذا لا يكون فى حديث الموطا وهم ولا غلط والله أعلم وكان اسم زينب بنت جحش برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيبته عليه السلام كان اسمها برة فسماها زينب كانه كره ان تزكى المرأة نفسها بهذا الاسم وكان اسم جحش بن رئاب برة بضم الباء فقالت زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لو غيرت اسم ابى فان البرة صغيرة فقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لو أبوك مسلما لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت ولكنى قد سميته جحشا والجحش أكبر من البرة ذكر هذا الحديث مسندا فى كتاب المؤتلف والمختلف أبو الحسن الدارقطنى

﴿ فصل ﴾ ذكر البيت الذى تمثل به أبو سفيان حين مر بدار بنى جحش تخفق أبوابها وهو قوله

وكل بيت وان طالت سلامته * يوما ستدركه النكباء والحوب
كل امرىء بلقاء الموت مرتهن * كانه غرض للموت منصوب

والشعر لابى دؤاد الايادى واسمه حنظلة بن شرقى وقيل جارية بن الحجاج ذكر دار بنى جحش وانها عند دار أبان بن عثمان بالردم والردم حفر ردم بالقتلى فى الجاهلية فسمى الردم وذلك فى حرب كانت بين بنى جمح وبين بنى الحارث بن فهر وكانت الدبرة فيها على بنى الحارث ولذلك قل عددهم فهم أقل قريش عددا * وذكر ابن اسحق شعر أبى احمد بن جحش وفيه

الى الله وجهى والرسول ومن يقم * الى الله يوما وجهه لا يخيب

هكذا روى بكسر الباء على الاقواء ولو روى بالرفع لجاز على الضرورة ويكون تقديره فلا يخيب باضمار الفاء فى مذهب أبى العباس وفى مذهب سيبويه يجوز أيضاً لا على اضمار الفاء ولكن على نية التقديم للفعل على الشرط كما أنشدوا * انك ان يصرع أخوك تصرع * وهو مع ان أحسن لان التقدير انك تصرع ان يصرع أخوك وأنشدوا أيضاً * من يفعل الحسنات الله يشكره * على هذا التقدير وفى الشعر أيضاً * ولا قرب للارحام اذ لا تقرب * وتأول ابن هشام اذ هنا بمعنى اذا وهو خطأ من وجهين أحدهما ان الفعل المضارع لا يحسن بعد اذا مع حرف النفى وانما يحسن بعد اذ كقوله سبحانه « اذ يقول المنافقون » ولو قلت سآتيك اذا تقول كذا كان قبيحا اذا أخرتها أو قدمت الفعل لما فى اذا من معنى الشرط وانما يحسن هذا فى حروف الشرط مع لفظ الماضى تقول سآتيك ان قام زيد واذا قام زيد ويقبح سآتيك ان يقم زيد لان حرف الشرط اذا أخر ألغى واذا ألغى لم يقع الفعل المعرب بعده غير انه حسن فى كيف نحو قوله سبحانه « ينفق كيف يشاء ويبسطه فى السماء كيف يشاء » لسر بديع لعلنا نذكره ان وجدنا لشفرتنا محزا ويحسن الفعل المستقبل مع اذا بعد القسم كقوله تعالى « والليل اذا يسرى » لانعدام معنى الشرط فيه فهذا وجه والوجه الثانى ان اذ بمعنى اذا غير معروف فى الكلام ولا حكاه ثبت وما استشهد به من قول رؤبة ليس على ما ظن انما معناه ثم جزاه الله ربى ان جزى أى من أجل ان نفعنى وجزى عنى كما قال تعالى « يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » ففاعل جزى مضمر عائد على الرجل الممدوح واذ بمعنى ان المفتوحة كذا قال سيبويه فى سواد الكتاب ويشهد له قوله سبحانه « بعد اذ أنتم مسلمون » وعليه يحمل قوله سبحانه ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وغفل النسوى عما فى الكتاب من هذا وجعل الفعل المستقبل الذى بعد لن عاملا فى الظرف الماضى فصار بمنزلة من يقول سآتيك اليوم أمس وهذا هراء من القول وغفلة عما فى كتاب سيبويه وليت شعرى ما يقول فى قوله سبحانه « واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم » فان جوز وقوع المستقبل فى الظرف الماضى على أصله الفاسد فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لا سيما مع السين وهو قبيح ان تقول غدا سآتيك فكيف ان قلت غدا فسآتيك فكيف ان زدت على هذا وقلت أمس فسآتيك واذ على أصله بمنزلة أمس فهذه فضائح لا غطاء عليها ﴿فان قال قائل﴾ فكيف الوجه فى قوله سبحانه « ولو ترى اذ وقفوا » وكذلك « ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم » أليس هذا كما قال ابن هشام بمعنى اذا التى تعطى الاستقبال ﴿قيل له﴾ وكيف تكون بمعنى اذا واذا لا يقع بعدها الابتداء والخبر وقد قال سبحانه « اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم » وانما التقدير ولو ترى ندمهم وحزنهم فى ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار فاذ ظرف ماض على أصله ولكن بالاضافة الى حزنهم وندامتهم بالحزن والندامة واقعان بعد المعاينة والتوقيف فقد صار وقت التوقيف ماضيا بالاضافة الى ما بعده والذى بعده هو مفعول ترى وهذا نحو مما يتوهم فى قوله سبحانه « فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها » فيتوهم ان اذا ها هنا بمعنى اذ لانه حديث قد مضى وليس كما يتوهم هى على بابها والفعل بعدها مستقبل بالاضافة الى الانطلاق لانه بعده والانطلاق قبله

* قال ابن اسحق ومنقذ بن نباتة وسعيد بن رقيش ومحرز بن نضلة ويزيد بن رقيش بن جابر وعمرو بن محصن ومالك بن عمرو وصفوان بن عمرو وثقف بن عمرو وربيعة بن أكثم والزبير بن عبيدة وتمام بن عبيدة وسخبرة بن عبيدة ومحمد بن عبد الله بن جحش * ومن نسائهم زينب بنت جحش وأم حبيب بنت جحش وجذامة بنت جدل وأم قيس بنت محصن وأم حبيب بنت ثمامة وآمنة بنت رقيش وسخبرة بنت تميم وحمنة بنت جحش فقال أبو احمد بن جحش بن رئاب وهو يذكر هجرة بنى أسد بن خزيمة من قومه الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم وايعابهم فى ذلك حين دعوا الى الهجرة

ولو حلفت بين الصفا أم احمد * ومروتها بالله برت يمينها
لنحن الاولى كنا بها ثم لم نزل * بمكة حتى عاد غثا سمينها
بها خيمت غنم بن دودان وابتنت * وما ان غدت غنم وخف قطينها
الى الله تغدو بين مثنى وواحد * ودين رسول الله بالحق دينها

وقال أبو احمد بن جحش ايضا *

لما رأتنى أم أحمد غاديا * بذمة من أخشى بغيب وأرهب
تقول فاما كنت لا بد فاعلا * فيمم بنا البلدان ولتنأ يثرب
فقلت لها بل يثرب اليوم وجهنا * ومايشا الرحمن فالعبد يركب
الى الله وجهى والرسول ومن يقم * الى الله يوما وجهه لا يخيب
فكم قد تركنا من حميم مناصح * وناصحة تبكى بدمع وتندب
ترى ان وترا نائيا عن بلادنا * ونحن نرى أن الرغائب نطلب
دعوت بنى غنم لحقن دمائهم * وللحق لما لاح للناس ملحب
أجابوا بحمد الله لما دعاهم * الى الحق داع والنجاح فاوعبوا
وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى * أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين أما منهما فموفق * على الحق مهدى وفوج معذب
طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم * عن الحق ابليس فخابوا وخيبوا
ورعنا الى قول النبى محمد * فطاب ولاة الحق منا وطيبوا
نمت بارحام اليهم قريبة * ولا قرب بالارحام اذ لا تقرب
فاى ابن أخت بعدنا يأمننكم * وأية صهرى بعد صهرى يرقب
ستعلم يوما أينا اذ تزايلوا * وزيل أمر الناس للحق أصوب

«قال ابن هشام» قوله ولتنأ يثرب وقوله اذ لا تقرب عن غير ابن اسحق «قال ابن هشام» يريد بقوله باذا اذا كقول الله عز وجل اذ الظالمون موقوفون عند ربهم قال أبو النجم العجلى

ولولا حتى ما جاز أن يقال الا انطلقا اذ ركبا ولكن معنى الغاية فى حتى دل على ان الركوب كان بعد الانطلاق واذا كان بعده فهو مستقبل بالاضافة اليه وكذلك مسئلتنا الحزن وسوء الحال الذى هو مفعول لترى وان كان غير مذكور فى اللفظ فهو بعد وقت الوقوف فوقت الوقوف ماض بالاضافة اليه واذ لم يكن بد من حذف فكذلك نقدر حذفا فى قوله تعالى «واذ لم يهتدوا به» ونحوه لانها وان كانت بمعنى ان فلا بد لها من تعلق كانه قال جزيتم بهذا من أجل ان ظلمتم أو من أجل ان لم يهتدوا به ضلوا * وذكر فى نساء بنى جحش جدامة بنت جندل وأحسبه أراد جدامة بنت وهب بن محصن وهى المذكورة فى حديث الرضاع فى الموطا وقال فيها خلف بن هشام البزار جذامة بالذال المنقوطة هكذا ذكر عنه مسلم بن الحجاج والمعروف جدامة بالدال وقد يقال فيها جدّامة بالتشديد والجدامة قصب الزرع وأملى علينا أبو بكر الحافظ وكتبت عنه بخط يدى قال المبارك بن عبد الجبار عن أبى اسحق البرمكى عن محمد بن زكريا بن حبوية عن أبى عمر الزاهد المطرز قال الجدامة بتشديد الدال طرف السعفة وبه سميت المرأة وكانت جدامة بنت وهب تحت أنيس بن قتادة الانصارى وأما جدامة بنت جندل فلا تعرف فى آل جحش الاسديين ولا فى غيرهم ولعله وهم وقع فى الكتاب وانها بنت وهب بن محصن بنت أخى عكاشة بن محصن كما قدمنا والله أعلم * وذكر فى بنى أسد ثقف بن عمرو ويقال فيه ثقاف شهد هو وأخوه مدلاج بدرا وقتل يوم أحد شهيدا وقال موسى بن عقبة قتل يوم خيبر قتله أسير اليهودى * وذكر فيهم أم حبيب بنت ثمامة وهى مما أغفله أبو عمر فى كتابه وأغفل أيضاً ذكر تمام بن عبيدة وهو ممن ذكره ابن اسحق فى هذه الجملة المذكورين من بنى أسد * وذكر ابن اسحق فى هذه الجملة أربد بن جميرة الاسدى بالجيم وقاله ابن هشام حميرة بالحاء ورواه ابراهيم بن سعد عن ابن اسحق بخلاف ما رواه البكائى وابن هشام فقال فيه ابن حمير بتشديد الياء كانه تصغير حمار * وذكر فيهم محرز بن نضلة ولم يرفع نسبه وهو ابن نضلة بن عبد الله بن مرة بن غنم بن دودان بن أسد قتل فى غزوة ذى قرد شهيدا وكان قد شهد بدرا وكان يعرف بالاخرم ويلقب فهيرة وقال فيه موسى بن عقبة محرز بن وهب ولم يقل ابن نظلة * وذكر ابن اسحق أيضاً يزيد بن رقيش وبعضهم يقول فيه اربد ولا يصح وهو ابن رقيش بن رئاب بن يعمر بن كبير بن غنم بن دودان ذكر فيهم ربيعة بن أكثم ولم ينسبه وهو ابن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن نعير بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد يكنى أبا يزيد وكان قصيرا دحداحا قتل يوم خيبر بالنطاة قتله الحارث اليهودى

ثم جزاء الله عنا اذ جرى * جنات عدن فى العلالى والعلا قال ابن اسحق ثم خرج عمر بن الخطاب وعياش بن أبى ربيعة المخزومى حتى قدما المدينة فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن ابيه عمر بن الخطاب قال اتعدت لما أردنا الهجرة الى المدينة أنا وعياش ابن أبى ربيعة وهشام بن العاصى بن وائل السهمى التناضب من اضاءة بنى غفار فوق سرف وقلنا أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه قال فاصبحت أنا وعياش بن أبى ربيعة عند التناضب وحبس عنها هشام وفتن فافتتن فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقباء وخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام الى عياش بن أبى ربيعة وكان ابن عمهما واخاهما لامهما حتى قدما علينا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فكلماه وقالا ان أمك قد نذرت ان لا يمس رأسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك فرق لها فقلت له ياعياش انه والله ان يريدك القوم الا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لقد آذى أمك القمل لامتشطت ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت قال فقال أبر قسم أمى ولى هنالك مال فآخذه قال فقلت والله انك لتعلم انى لمن أكثر قريش مالا فلك نصف مالى ولا تذهب معهما قال فأبى على الا أن يخرج معهما فلما أبى الا ذلك قال قلت أما اذ قد فعلت مافعلت فخذ ناقتى هذه فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك من القوم ريب فانج عليها فخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل والله يا أخى لقد استغلظت بعيرى هذا أفلا تعقبنى على ناقتك هذه قال بلى قال فاناخ وأناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض غدوا عليه فاوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن * قال ابن اسحق فحدثنى به بعض آل عياش بن أبى ربيعة انهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا ثم قالا ان ياأهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا * قال ابن اسحق وحدثنى نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر فى حديثه قال فكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة قوم عرفوا الله ثم رجعوا الى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لانفسهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفى قولنا وقولهم لانفسهم ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن ياتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال عمر بن الخطاب فكتبتها بيدى فى صحيفة وبعثت بها الى هشام بن العاصى قال فقال هشام فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت اللهم فهمنيها قال فالقى الله تعالى فى قلبى انها أنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول لانفسنا ويقال فينا قال فرجعت الى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» فحدثنى من أثق به ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة من لى بعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاصى فقال الوليد بن الوليد بن

﴿ هجرة عمر وعياش ﴾

ذكر فيها تواعدهم التناضب بكسر الضاد كانه جمع تنضب وهو ضرب من الشجر تالفه الحرباء قال الشاعر

انى أتيح له حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

ويقال لثمره المتع وهو فنعلل أدغمت النون فى الميم وظاهر قول سيبويه أنه فعلل وانه مما لحقته الزيادة بالتضعيف والقول الاول يقويه ان مثله الهندلع وهو نبت وتتخذ من هذا الشجر القسى كما تتخذ من النبع والشوط والشريان والسراء والاشكل ودخان التنضب أبيض ذكره أبو حنيفة فى النبات وقال الجعدى

كأن الغبار الذى غادرت * ضحيا دواخن من تنضب

شبه الغبار بدخان التنضب لبياضه وقال آخر

وهل أشهدن خيلا كأن غبارها * باسفل علكد دواخن تنضب

وأضاة بنى غفار على عشرة أميال من مكة والاضاة الغدير كانها مقلوب من وضاءة على وزن فعلة واشتقاقه من الوضاءة بالمد وهى النظافة لان الماء ينظف وجمع الاضاة اضاء قال النابغة * وهن اضاء صافنات الغلابل * وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب فتكون الهمزة بدلا من الواو المكسورة فى وضاء وقياس الواو المكسورة تقتضى الهمز على أصل الاشتقاق ويكون الواحد مقلوبا لان الواو المفتوحة لاتهمز مع ان لام الفعل غير همزة وقد يجوز أن يكون الجمع محمولا على الواحد فيكون مقلوبا مثله ويقال اضاءة بالمد وقد يجمع اضاة على اضين قاله أبو حنيفة وأنشد * محافرها كأسرية الاضين * الاسرية جمع سرى وهو الجدول ويقال له أيضا السعيد

﴿ فصل ﴾ وذكر نزول الآية «قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » الآية فى المستضعفين بمكة وقول هشام بن العاص ففاجأتنى وأنا بذى طوى طوى مقصور موضع بأسفل مكة ذكر

المغيرة أنالك يارسول الله بهما فخرج الى مكة فقدمها مستخفياً فلقى امرأة تحمل طعاما فقال لها أين تريدين يا أمة الله قالت أريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكانا محبوسين فى بيت لا سقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة لذلك ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت أصبعه فقال

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * قال ابن اسحق ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة المعتمر وخنيس ابن خذافة السهمى وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبد الله التميمى حليف لهم وخولى بن أبى خولى ومالك بن أبى خولى حليفان لهم «قال ابن هشام» أبو خولى من بنى عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل * قال ابن اسحق وبنو البكير أربعتهم اياس ابن البكير وعاقل بن البكير وعامر بن البكير وخالد بن البكير وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر فى بنى عمرو بن عوف بقباء وقد كان منزل عياش بن أبى ربيعة معه عليه حين قدما المدينة ثم تتابع المهاجرون فنزل طلحة بن عبد الله بن عثمان وصهيب بن سنان على خبيب بن اساف أخى بلحرث بن الخزرج بالسنح «قال ابن هشام» ويقال ساف فيما أخبرنى عنه ابن اسحق ويقال بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زرارة أخى بنى النجار «قال ابن هشام» وذكر لى عن أبى عثمان النهدى انه قال بلغنى ان صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى قالوا نعم قال فانى جعلت لكم مالى قال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب ربح صهيب * قال ابن اسحق ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وابو مرثد كناز بن حصن «قال ابن هشام» ويقال هو ابن حصين * قال ابن اسحق وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة بن عبد المطلب وأنسة وابو كبشة موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن هدم أخى بنى عمرو بن عوف بقباء ويقال بل نزلوا على سعد بن خيثمة ويقال بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة أخى بنى النجار كل ذلك يقال * ونزل عبيدة بن الحرث بن المطلب وأخوا الطفيل ابن الحرث والحصين بن الحرث ومسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب وسويبط بن سعد بن حرمله اخو

ان آدم لما أهبط الى الهند ومشى الى مكة وجعل الملائكة تنتظره بذى طوى وانهم قالوا له يا آدم مازلنا ننتظرك ههنا منذ الفى سنة وروى ان آدم كان اذا أتى البيت خلع نعليه بذى طوى وأما ذو طواء بالمد فموضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكرى وأما طوى بضم الطاء والقصر المذكور فى التنزيل فهو بالشام اسم للوادى المقدس وقد قيل ليس باسم له وانما هو من صفة التقديس أى المقدس مرتين

﴿ فصل ﴾ وذكر نزول طلحة وصهيب على خبيب بن اسامة ويقال فيه يساف بياء مفتوحة فى غير رواية الكتاب وهو اساف بن عنبة ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما فى قول الواقدى بل تأخر اسلامه حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر قال خبيب فخرجت معه أنا ورجل من قومى وقلنا له نكره ان يشهد قومنا مشهدا لا نشهده معهم فقال أسلمتما فقلنا لا فقال ارجعا فانا لا نستعين بمشرك وخبيب هو الذى خلف على بنت خارجة بعد أبى بكر الصديق واسمها حبيبة وهى التى يقول فيها أبو بكر عند وفاته ذو بطن بنت خارجة أراها جارية وهى بنت خارجة بن أبى زهير والجارية أم كلثوم بنت أبى بكر مات خبيب فى خلافة عثمان وهو جد خبيب بن عبد الرحمن الذى يروى عنه مالك فى موطئه * وذكر أنسة وأبا كبشة فى الذين نزلوا على كلثوم بن الهدم فأما أنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من مولدى السراة ويكنى أبا مسروح وقيل أبا مشرح شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات فى خلافة أبى بكر وأبو كبشة اسمه سليم يقال انه من فارس ويقال من مولدى أرض دوس شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات فى خلافة عمر فى اليوم الذى ولد فيه عروة بن الزبير وأما الذى كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبى عليه السلام اليه وتقول قال ابن أبى كبشة وفعل ابن أبى كبشة فقيل فيه أقوال قيل انها كنية أبيه لامه وهب بن عبد مناف وقيل كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى وقيل ان سلمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لبيد وأشهر من هذه الاقوال كلها عند الناس انهم شبهوه برجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب فنسبوه اليه لخروجه عن دين قومه * وذكر الدارقطنى اسم أبى كبشة هذا فى المؤتلف والمختلف فقال اسمه وجز بن غالب وهو خزاعى وهو من بنى غمشان وذكر نزولهم بقباء وهو مسكن بنى عمرو بن عوف

بنى عبد الدار وطليب بن عمير اخو بنى عبد بن قصى وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله اخى بلحرث بن الخزرج فى دار بلحرث ابن الخزرج * ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى على منذر بن محمد بن عقبة بن احيحة بن الجلاح بالعصبة دار بنى جحجبى ونزل مصعب بن عمير بن هاشم أخو بنى عبد الدار على سعد بن معاذ بن النعمان أخى بنى عبد الاشهل فى دار بنى عبد الاشهل ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسالم مولى أبى حذيفة «قال ابن هشام» سالم مولى أبى حذيفة سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس سيبته فانقطع الى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتبناه فقيل سالم مولى أبى حذيفة ويقال كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبى حذيفة بن عتبة فأعتقت سالما سائبة فقيل سالم مولى أبى حذيفة * قال ابن اسحق ونزل عتبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر بن وقش أخى بنى عبد الاشهل فى دار عبد الاشهل * ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار فلذلك كان حسان يحب عثمان ويبكيه حين قتل وكان يقال نزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة وذلك انه كان عزبا فالله أعلم أى ذلك كان * وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين الا من حبس أو فتن الا على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق رضى الله عنهما وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكونه

ذكر ﴿خبر دار الندوة﴾

* قال ابن اسحق ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا انهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وعرفوا انه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له فى دار الندوة وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمراً الا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه

وهو على فرسخ من المدينة وهو يمد ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ولا يصرف وأنشد أبو حاتم فى صرفه

ولأبغينكم قبا عوارضاً * ولأقبلن الخيل لابة ضرغد

وكذلك أنشده قاسم بن ثابت فى الدلائل قبا بضم القاف والباء وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعاً وانما هو كما أنشده سيبويه قنا وعوارضا لان قنا جبل عند عوارض يقال له وللجبل آخر معه قنوان وبينهما وبين قباء مسافات وبلاد فلا يصح أن يقرن قباء الذى عند المدينة مع عوارض وقنوين وكذا قال البكرى فى معجم ما استعجم وأنشد

كأنها لما بدا عوارض * والليل بين قنوين رابض

وقباء مأخوذ من القبو وهو الضم والجمع قاله أبو حنيفة وقال القوابى هن اللواتى يجمعن العصفر واحدتهن قابية قال وأهل العربية يسمون الضمة من الحركات قبوا وأما قولهم لا والذى أخرج قوبا من قابية يعنون الفرخ من البيضة فمن قال فيه قابية بتقديم الباء فهو القبو الذى تقدم ومن قال فيه قايبة فهو من لفظ القوب لانها تتقوب عنه أى تتقشر قال الكميت يصف النساء

لهن وللمشيب ومن علاه * من الامثال قابية وقوب

وفى حديث عمر فكانت قابية قوب عامها يعنى العمرة فى أشهر الحج وقد ذكر أن قباء اسم بئر عرفت القرية بها

﴿فصل﴾ وذكر سالما مولى أبى حذيفة الذى كان أبو حذيفة قد تبناه كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا وكان سائبة أى لا ولاء عليه لاحد وذكر المرأة التى أعتقته سائبة وهى قتيبة بنت يعار وقد قيل فى اسمها بثينة ذكره أبو عمر وذكر عن الزهرى انه كان يقول فيها بنت تعار وقال ابن شيبة فى المعارف اسمها سلمى ويقال فى اسمها أيضاً عمرة وقد أبطل التسييب فى العتق كثير من العلماء وجعلوا الولاء لكل من أعتق أخذا بحديث النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وحملا له على العموم ولما روى أيضا عن ابن مسعود أنه قال لا سائبة فى الاسلام ورأى مالك ميراث السائبة لجماعة المسلمين ولم ير ولاءه لمن سيبه فكان التسييب والعتق عنده حكمان مختلفان وسالم هذا هو الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة بنت سهيل أن ترضعه ليحرم عليها فارضعته وهو ذو لحية (فان قيل) كيف جاز له ان ينظر الى ثديها فقد روى فى ذلك انها حلبت له فى مسعط وشرب اللبن ذكر ذلك محمد بن حبيب

﴿اجتماع قريش للتشاور فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم﴾

* قال ابن اسحق فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد بن جبر أبى الحجاج وغيره ممن لا اتهم عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال لما أجمعوا الذلك واتعدوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا فى اليوم الذى اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة فاعترضهم ابليس لعنه الله فى هيئة شيخ جليل عليه بتلة فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا منه ونصحا قالوا أجل فادخل فدخل معهم لعنه الله وقد اجتمع فيها أشراف قريش * ومن بنى عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب * ومن بنى نوفل بن عبد مناف طعيمة بن عدى وجبير بن مطعم والحرث بن عامر بن نوفل * ومن بنى عبد الدار بن قصى النضر بن الحرث بن كلدة * ومن بنى اسد بن عبد العزى ابو البخترى بن هشام وزمعة بن الاسود بن المطلب وحكيم بن حزام * ومن بنى مخزوم ابو جهل بن هشام * ومن بنى سهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج * ومن بنى جمح أمية بن خلف ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش فقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فانا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم فقال الشيخ النجدى لا والله ما هذا لكم برأى والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبونكم على أمركم ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره فتشاوروا عليه ثم قال قائل منهم نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا والفتنا كما كانت قال الشيخ النجدى لا والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما امنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم فى بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا غير هذا قال فقال أبو جهل بن هشام والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم قال يقول الشيخ النجدى القول ما قال الرجل هذا الرأى لا رأى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك اذا نام

ذكر فيه تمثل ابليس حين أتاهم فى صورة شيخ جليل وانتسابه الى أهل نجد * قوله فى صورة شيخ جليل يقال جل الرجل وجلت المرأة اذا أسنت قال الشاعر

* وما حظها أن قيل عزت وجلت *

ويقال منه جللت يا رجل بفتح اللام وقياسه جللت لان اسم الفاعل منه جليل ولكن تركوا الضم فى المضاعف كله استثقالا له مع التضعيف الا فى لببت فانت لبيب حكاه سيبويه بالضم على الاصل وانما قال لهم انى من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السيرة لانهم قالوا لا يدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل لهم فى صورة شيخ نجدى وقد ذكرنا فى خبر بنيان الكعبة انه تمثل فى صورة شيخ نجدى أيضاً حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر الركن من يرفعه فصاح الشيخ النجدى يا معشر قريش أقد رضيتم ان يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوى أسنانكم فان صح هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجديا وذلك ان نجدا منها يطلع قرن الشيطان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قيل له وفى نجدنا يا رسول الله قال هنالك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان فلم يبارك عليها كما بارك على اليمن والشام وغيرها وحديثه الآخر انه نظر الى المشرق فقال ان الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان وفى حديث ابن عمر انه حين قال هذا الكلام وقف عند باب عائشة ونظر الى المشرق فقاله وفى وقوفه عند باب عائشة ناظراً الى المشرق يحذر من الفتن وفكر فى خروجها الى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الاشارة واضمم الى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن أيقظوا صواحب الحجر والله أعلم * وذكر تشاورهم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وان بعضهم أشار بان يحبس فى بيت وبعضهم باخراجه عليه السلام من بين أظهرهم ونفيه ولم يسم قائل هذا القول وقال ابن سلام الذى أشار بحبسه هو ابو البخترى بن هشام والذى أشار باخراجه ونفيه هو أبو الاسود ربيعة بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى وقول أبى جهل نسيبا وسيطا هو

* قال ابن اسحق فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوه كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها قال وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ حفنة من تراب في يده ثم قال نعم أنا اقول ذلك أنت أحدهم وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذي حدثنا

* قال ابن اسحق وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقول الله عز وجل أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين «قال ابن هشام» المنون الموت وريب المنون ما يريب ويعرض منها قال أبو ذؤيب الهذلي

أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهذا البيت في قصيدة له

من السطة في العشيرة وقد تقدم في باب تزويجه خديجة معنى الوسيط وأين يكون مدحا * وأما قوله على بابه يتطلعون فيرون عليا وعليه برد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظنونه اياه فلم يزالوا قياما حتى أصبحوا فذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحم عليه في الدار مع قصر الجدار وانهم انما جاءوا لقتله فذكر في الخبر انهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله انها للسبة في العرب ان يتحدث عنا انا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج وفي قراءة الآيات الاول من سورة يس من الفقه التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء به عليه السلام فقد روى الحارث بن أبي اسامة في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر فضل يس انها ان قرأها خائف أمن او جائع شبع او عار كسي أو عاطش سقي حتى ذكر خلالا كثيرة * وذكر ابن اسحق ما أنزل الله في ذلك وشرح ابن هشام ريب المنون وأنشد قول أبي ذؤيب * أمن المنون وريبه تتفجع * والمنون يذكر ويؤنث فمن جعلها عبارة عن المنية او حوادث الدهر أنث ومن جعلها عبارة عن الدهر ذكر وريب المنون ما يريبك من تغير الاحوال فيه سميت المنون لنزعها منن الاشياء أي قواها وقيل بل سميت منونا لقطعها دون الآمال من قولهم حبل منين أي مقطوع وفي التنزيل قوله تعالى «فلهم أجر غير ممنون» أي غير مقطوع

تم الجزء الاول من كتاب الروض الانف
مع سيرة الامام ابن هشام
ويليه ان شاء الله تعالى الجزء الثاني وأوله
﴿ اذن الله لنبيه بالهجرة ﴾

الجزء الثاني

من

كتاب

الروض الأنف

« فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام »

للامام الفقيه المحدث أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن أبى الحسن الخثعمى
السهيلى المولود بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ والمتوفى بمراكش سنة ٥٨١

و بهامشه « السيرة النبوية » للامام أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى
الحميرى البصرى الاصل المتوفى بمصر ٢١٣ رحمهم الله أجمعين

طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى سابقا امام زمانه وفريد عصره
وأوانه قدوة الامراء وحجة العلماء العلامة المحقق والملاذ الاكبر المدقق فرع
الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية سيدنا ومولانا عبد الحفيظ
ابن السلطان مولاى الحسن بن السلطان سيدى محمد رفع
الله قدره وأدامه وأودع فى القلوب محبته واحترامه آمين

بتوكيل الحاج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالى بالله
الآن بثغر طنجة و وكيل دولة المغرب الاقصى سابقا بمصر
على يد نجله الحاج « عبد السلام بن شقرون »

(تنبيه) لايجوز لاحد أن يطبع هذا الكتاب وكل من يطبعه يكون مكلفا
بابراز أصل قديم يثبت انه طبع منه والا فيكون مسؤلا عن التعويض قانونا

طبع بمطبعة الجمالية - بمصر

سنة ١٣٣٢ هـ
١٩١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

اذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة

ذكر فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بيت أبى بكر فى الظهيرة قالت عائشة وفى البيت أنا وأختى أسماء فقال أخرج من معك فقال أبو بكر انما هما ابنتاى يا رسول الله * وقال فى جامع البخارى انما هم أهلك يا رسول الله وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه قبل ذلك وكذلك روى عن أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر ويقال فى اسم أبيها رومان بفتح الراء أيضا فقال ابن اسحق فى غير رواية ابن هشام فى حديث طويل ثابت اختصرته ان أبا بكر حين هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف بناته بمكة فلما قدموا المدينة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه وأرسل أبو بكر عبد الله بن أريقط وأرسل معهم خمسمائة درهم فاشتروا بها ظهرا بقديد ثم قدموا مكة فخرجوا بسودة بنت زمعة وبفاطمة وبأم كلثوم قالت عائشة وخرجت أمى معهم ومع طلحة بن عبيد الله مصطحبين فلما كنا بقديد نفر البعير الذى كنت عليه أنا وأمى ام رومان فى محفة فجعلت أمى تنادى وابنيتاه واعروساه وفى رواية يونس عن ابن اسحق وفيه قالت عائشة فسمعت قائلا يقول ولا أرى أحدا القى خطامه فالقيته من يدى فقام البعير يستدير به كان انسانا تحته يمسكه حتى هبط البعير من الثنية فسلم الله فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبنى المسجد وأبياتا له فنزلت مع أبى بكر ونزلت سودة بنت زمعة فى بيتها فقال أبو بكر ألا تبنى باهلك يا رسول الله فقال لولا الصداق قالت فدفع اليه ثنتى عشرة أوقية ونشا والنش عشرون درهما وذكرت الحديث ورواه ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وفى حديث ابن اسحق ان أبا بكر كان قد أعد راحلتين فقدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة وهى أفضلهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

* قال ابن اسحق وأُذنٌ الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك فى الهجرة

هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وصحبة أبى بكر رضى الله عنه

قال ابن اسحق وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا ذا مال فكان حين يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعنى نفسه حين قال له ذلك فابتاع راحلتين فاحتبسهما فى داره يعلفهما اعدادا لذلك

* قال ابن اسحق فحدثنى من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين انها قالت كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ياتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار اما بكرة واما عشية حتى اذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فى ساعة كان لا ياتى فيها قالت فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله

انى لا أركب بعيراً ليس لى فقال أبو بكر هو لك يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن فقال أبو بكر بالثمن يارسول الله فركبها ﴿ فسئل بعض اهل العلم ﴾ لم لم يقبلها الا بالثمن وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ماهو أكثر من هذا فقبل وقد قال عليه السلام ليس من أحد أمن علىّ فى اهل ومال من ابى بكر وقد دفع اليه حين بنى بعائشة ثنتى عشرة أوقية ونشاً فلم يأب من ذلك ﴿ فقال المسؤل ﴾ انما ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة وأن تكون الهجرة والجهاد على أتم احوالهما وهو قول حسن حدثنى بهذا بعض أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبى الحسن بن اللوان رحمه الله * وذكر ابن اسحق فى غير رواية ابن هشام ان الناقة التى ابتاعها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى بكر يومئذ هى ناقته التى تسمى بالجدعاء وهى غير العضباء التى جاء فيها الحديث حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة صالح وانها تحشر معه يوم القيامة فقال له رجل وأنت يومئذ على العضباء يارسول الله فقال لا ابنتى فاطمة تحشر على العضباء وأحشر أنا على البراق ويحشر هذا على ناقة من نوق الجنة وأشار الى بلال * وذكر أذانه فى الموقف فى حديث طويل يرويه عبد الحميد بن كيسان عن سويد بن عمير وعبد الحميد مجهول عندهم * وفى مسند البزار عن أنس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على العضباء وليست بالجدعاء فهذا من قول أنس انها غير الجدعاء وهو الصحيح لانها غنمت وأخذ صاحبها العقيلى بالمدينة فقال بم أخذتنى يامحمد وأخذت سابقة الحاج يعنى العضباء فقال اخذتك بجريرة حلفائك * وذكر ابن اسحق فى قول عائشة رضى الله عنها ما كنت أرى احداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى من الفرح قالت ذلك لصغر سنها وانها لم تكن علمت بذلك قبل وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى فاخذته استحساناً له فقال الطائى يصف السحاب

دهم اذا وكفت فى روضة طفقت * عيون أزهارها تبكى من الفرح

وقال ابو الطيب وزاد على هذا المعنى

فلا تنكرن لها صرعة * فمن فرح النفس مايقتل

وقال بعض المحدثين

ورد الكتاب من الحبيب بانه * سيزورنى فاستعبرت أجفانى
غلب السرور علىّ حتى انه * من فرط ماقد سرنى أبكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين فى فرح وفى أحزان

﴿ فصل ﴾ ومن قوله عليه السلام حين خرج من مكة ووقف على الحزورة ونظر الى البيت فقال والله انك لاحب أرض الله الىّ وانك لاحب أرض الله الى الله ولولا ان أهلك أخرجونى منك ماخرجت يرويه الزهرى عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى بن الحمراء يرفعه وبعضهم يقول فيه عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة وهو من أصح مايحتج به فى تفضيل مكة على المدينة وكذلك حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا ان صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه فاذا كانت الاعمال تبعا للصلاة فكل حسنة تعمل فى الحرم فهى بمائة ألف حسنة وقد جاء هذا منصوصا من طريق ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج ماشياً كتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة فيه بمائة ألف حسنة أسنده البزار

صلى الله عليه وسلم هذه الساعة الا لامر حدث قالت فلما دخل تاخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وليس عند أبى بكر الا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عنى من عندك فقال يارسول الله انما هما ابنتاى وما ذاك فداك أبى وأمى فقال ان الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة قالت فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال الصحبة قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم ان أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ثم قال يانبى الله ان هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا فاستأجرا عبد الله بن أريقط رجلا من بنى الديل بن بكر وكانت أمه امرأة من بنى سهم بن عمرو وكان مشركا يدلهما على الطريق فدفعا اليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما الميعادهما * قال ابن اسحق ولم يعلم فيما بلغنى بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج الا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر أما على فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شى يخشى عليه الا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم

* قال ابن اسحق فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج أتى أبا بكر بن أبى قحافة فخرجا من خوخة لابى بكر فى ظهر بيته ثم عمدا الى غار بثور جبل بأسفل مكة فدخلاه وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما يأتيهما اذا أمسى فى الغار وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام اذا أمست بما يصلحهما «قال ابن هشام» وحدثنى بعض أهل العلم ان الحسن بن أبى الحسن البصرى قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ليلا فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه * قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم وكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به وما يقولون فى شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ثم يأتيهما اذا أمسى فيخبرهما الخبر وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله عنه يرعى فى رعيان أهل مكة فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا فاذا عبد الله بن أبى بكر غدا من عندهما الى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفى عليه حتى اذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعير له وأتتهما أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس فيها عصام فتحل نطاقها فتجعله عصاما ثم علقتها به فكان يقال لاسماء بنت أبى بكر ذات النطاق لذلك «قال ابن هشام» وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول ذات النطاقين وتفسيره انها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر * قال ابن اسحق فلما قرب أبو بكر رضى الله عنه الراحلتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال اركب فداك أبى وأمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أركب بعيرا ليس لى فقال فهى لك يا رسول الله بابى أنت وأمى قال لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به قال كذا وكذا قال قد أخذتها به قال هى لك يا رسول الله فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر الصديق رضى الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما فى الطريق * قال ابن اسحق فحدثت عن أسماء بنت أبى بكر انها قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبى بكر فخرجت اليهم فقالوا أين أبوك يا بنت أبى بكر قالت قلت لا أدرى والله أين أبى قالت فرفع أبو جهل لعنه الله يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدى لطمة فطرح منها قرطى قالت ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال وما ندرى أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بابيات من شعر غناء العرب وان الناس

﴿ حديث الغار ﴾

وهو غار فى جبل ثور وهو الجبل الذى ذكره فى تحريم المدينة وانها حرام ما بين عير الى ثور وهو وهم فى الحديث لان ثورا من جبال مكة وانما لفظ الحديث عند أكثرهم ما بين عير الى كذا كان المحدث قد نسى اسم المكان فكنى عنه بكذا وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل فيما شرح من الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخله وابو بكر معه انبت الله على بابه الراءة قال قاسم وهى شجرة معروفة فحجبت عن الغار أعين الكفار * وقال أبو حنيفة الراءة من أغلاث الشجر وتكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض تحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن أنشد

ترى ودك الشريف على لحاهم * كمثل الراء لبده الصقيع

وفى مسند البزار ان الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين وروى ان أبا بكر رضى الله عنه حين دخله وتقدم الى دخوله قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه رأى فيه جحرا فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الصحيح عن أنس قال قال ابو بكر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهما فى الغار لو ان احدهم نظر الى قدمه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروى أيضا انهم لما عمى عليهم الاثر جاؤا بالقافة فجعلوا يقفون الاثر حتى انتهوا الى باب الغار وقد أنبت الله عليه ما ذكرنا فى الحديث قبل هذا فعند ما رأى ابو بكر رضى الله عنه القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ألا ترى كيف قال لا تحزن ولم يقل لا تخف لان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شغله عن خوفه على نفسه ولانه أيضا رأى ما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من النصب وكونه فى ضيقة الغار مع فرقة الاهل ووحشة الغربة

وكان

ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا * فافلح من امسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد

« قال ابن هشام » أم معبد بنت كعب امرأة من بنى كعب من خزاعة وقوله حلا خيمتى وهما نزلا بالبر ثم تروحا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق قالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن وجهه الى المدينة وكانوا أربعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر وعبد الله بن ارقط دليلهما « قال ابن هشام » ويقال عبد الله بن اريقط * قال ابن اسحق فحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ان اباه عباداً حدثه عن جدته اسماء بنت ابى بكر قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج ابو بكر معه احتمل ابو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف فانطلق بها معه قالت فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال والله انى لاراه قد فجعكم بماله مع نفسه قالت قلت كلا يا أبت انه قد ترك لنا خيرا كثيرا قالت فاخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت يا أبت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال لا باس اذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لكم ولا والله ماترك لنا شيا ولكنى اردت ان اسكن الشيخ بذلك

وكان أرق الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشفقهم عليه فحزن لذلك وقد روى انه قال نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وقد تفطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه عليه السلام لم يكن تعود الحفاء والجفوة وأما الخوف فقد كان عنده من اليقين بوعد الله بالنصر لنبيه ما يسكن خوفه وقول الله تعالى « فانزل الله سكينته عليه » قال اكثر اهل التفسير يريد على ابى بكر وأما الرسول فقد كانت السكينة عليه وقوله « وأيده بجنود لم تروها » الهاء فى أيده راجعة على النبي والجنود الملائكة أنزلهم عليه فى الغار فبشروه بالنصر على أعدائه فايده ذلك وقواه على الصبر وقيل أيده بجنود لم تروها يعنى يوم بدر وحنين وغيرهما من مشاهده وقد قيل الهاء راجعة على النبي عليه السلام فى الموضعين جميعاً وأبو بكر تبع له فدخل فى حكم السكينة بالمعنى وكان فى مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما وقيل ان حزن أبى بكر كان عند ما رأى بعض الكفار يبول عند الغار فاشفق ان يكونوا قد رأوهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تحزن فانهم لو رأونا لم يستقبلونا بفروجهم عند البول ولا تشاغلوا بشئ عن أخذنا والله أعلم

« فصل » وزعمت الرافضة أن فى قوله عليه السلام لابى بكر لا تحزن غضا من أبى بكر وذما له فان حزنه ذلك ان كان طاعة فالرسول عليه السلام لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا انه معصية فيقال لهم على جهة الجدل قد قال الله لمحمد عليه السلام « فلا يحزنك قولهم » وقال « ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » وقال لموسى « خذها ولا تخف » وقالت الملائكة للوط لا تخف ولا تحزن فان زعمتم أن الانبياء حين قيل لهم هذا كانوا فى حال معصية فقد كفرتم ونقضتم أصلكم فى وجوب العصمة للامام المعصوم فى زعمكم فان الانبياء هم الائمة المعصومون باجماع وانما قوله لا تحزن وقول الله لمحمد لا يحزنك وقوله لانبيائه مثل هذا تسكين لجأشهم وتبشير لهم وتأنيس على جهة النهى الذى زعموا ولكن كما قال سبحانه « تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا » وهذا القول انما يقال لهم عند المعاينة وليس اذ ذاك أمر بطاعة ولا نهى عن معصية * ووجه آخر من التحقيق وهو ان النهى عن الفعل لا يقتضى كون المنهى فيه فقد نهى الله نبيه عن أشياء ونهى عباده المؤمنين فلم يقتض ذلك انهم كانوا فاعلين لتلك الاشياء فى حال النهى لان فعل النهى فعل مستقبل فكذلك قوله لابى بكر لا تحزن لو كان الحزن كما زعموا لم يكن فيه على أبى بكر رضى الله عنه ما ادعوا من الغض وأما ما ذكرناه نحن من حزنه على النبي صلى الله عليه وسلم وان كان طاعة فلم ينهه عنه الرسول عليه السلام الا رفقاً به وتبشيراً له لا كراهية لعمله واذا نظرت المعانى بعين الانصاف لا بعين الشهوة والتعصب للمذاهب لاحت الحقائق واتضحت الطرائق والله الموفق للصواب وانتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله تعالى لقوله « اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » كيف كان معهما بالمعنى وباللفظ أما المعنى فكان معهما بالنصر والارفاد والهداية والارشاد وأما اللفظ فان اسم الله تعالى كان يذكر اذا ذكر رسوله واذا دعى فقيل يا رسول الله أو فعل رسول الله ثم كان لصاحبه كذلك يقال يا خليفة رسول الله وفعل خليفة رسول الله فكان يذكر معهما بالرسالة وبالخلافة ثم ارتفع ذلك فلم يكن لاحد من الخلفاء ولا يكون

* قال ابن اسحق وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقة بن مالك بن جعشم قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا الى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم قال فبينا أنا جالس في نادي قومي اذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علي آنفا اني لاراهم محمدا وأصحابه قال فاومأت اليه بعيني ان أسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم قال لعله ثم سكت قال ثم مكثت قليلا ثم قمت فدخلت بيتي ثم أمرت بفرسي فقيد لي الى بطن الوادي وأمرت بسلاحي فاخرج لي من دبر حجرتي ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها ثم انطلقت فلبست لامتي ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا يضره قال وكنت أرجو ان ارده على قريش فآخذ المائة الناقة قال فركبت على اثره فبينا فرسي يشتد بي عثر بي فسقطت عنه قال فقلت ماهذا قال ثم اخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي اكره لا يضره قال فابيت الا أن أتبعه قال فركبت في اثره فبينا فرسي يشتد به عثر بي فسقطت عنه قال فقلت ماهذا قال ثم اخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي اكره لا يضره قال فابيت الا ان اتبعه فركبت في اثره فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي فذهبت يداه في الارض وسقطت عنه ثم انتزع يديه من الارض وتبعهما دخان كالاعصار قال فعرفت حين رأيت ذلك انه قد منع مني وأنه ظاهر قال فناديت القوم فقلت انا سراقة ابن جعشم انظروني اكلمكم فوالله لا اريبكم ولا ياتيكم مني شيء تكرهونه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر قل له وما تبتغي منا قال فقال ذلك ابو بكر قال قلت تكتب لي كتابا يكون آية بيني و بينك قال اكتب له يابا بكر فكتب لي كتابا في عظم او في رقعة او في خرقة ثم القاه الي فاخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت فسكت فلم اذكر شيئا مما كان حتى اذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حنين والطائف خرجت ومعي الكتاب لالقاه فلقيته بالجعرانة قال فدخلت في كتيبة من خيل الانصار قال فجعلوا يقرعونني بالرماح و يقولون اليك اليك ماذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لكاني انظر الى ساقه في غرزه كانها جمارة قال فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يارسول الله هذا كتابك لي أنا سراقة ابن جعشم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء و بر ادنه قال فدنوت منه فأسلمت ثم تذكرت شيئا اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره الا اني قلت يارسول الله الضالة من الابل تغشى حياضي وقد ملأتها لابلي هل لي من أجر في أن أسقيها قال نعم في كل ذات كبد حرى أجر ثم رجعت الى قومي فسقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتي «قال ابن هشام» عبد الرحمن ابن الحرث بن مالك بن جعشم

﴿ حديث سراقة بن ملك بن جعشم الكناني ﴾

ثم المدلجي أحد بني مدلج بن مرة بن تميم بن عبد مناة بن كنانة وقد ذكر ابن اسحاق حديثه حين بذلت قريش مائة ناقة لمن رد عليهم محمدا عليه السلام وأن سراقة استقسم بالازلام فخرج السهم الذي يكره وهو الذي كان فيه مكتوبا لا تضره الى آخر القصة وان قوائم فرسه حين قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساخت في الارض وتبعها عثان وهو الدخان وجمعه عواثن وذكر غير ابن اسحاق ان أبا جهل لامه حين رجع بلا شيء فقال وكان شاعرا

أبا حكم والله لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فانني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم * بان جميع الناس طرا يسالمه

وقد قدمنا في هذا الكتاب عند ذكر كسرى ما فعله عمر بن الخطاب حين أتي بتاج كسرى وسواريه ومنطقته وانه دعا بسراقة وكان أزب الذراعين فحلاه حلية كسرى وقال له ارفع يديك وقل الحمد لله الذي سلب هذا كسرى الملك الذي كان يزعم انه رب الناس وكساها أعرابيا من بني مدلج فقال ذلك سراقة وانما فعلها عمر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد بشر بها سراقة حين أسلم وأخبره ان الله سيفتح عليه بلاد فارس و يغنمه ملك كسرى فاستبعد ذلك سراقة في نفسه وقال أكسرى ملك الملوك فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ان حليته ستجعل عليه تحقيقا للوعد وان كان اعرابيا بوالا على عقبيه ولكن الله يعز بالاسلام أهله و يسبغ على محمد وامته نعمته وفضله وفي السير من رواية يونس شعر لابي بكر رضي الله عنه في قصة الغار

قال النبي ولم يزل يوقرني * ونحن في سدف من ظلمة الغار

لا تخش

لاتخش شيئاً فان الله ثالثنا * وقد توكل لى منه باظهار
وانما كيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين كادته لكفار
والله مهلكهم طرا بما كسبوا * وجاعل المنتهى منهم الى النار
وأنت مرتحل عنهم وتاركهم * اما غدوا واما مدلج سارى
وهاجر أرضهم حتى يكون لنا * قوم عليهم ذووا عزوأنصار
حتى اذا الليل وارتنا جوانبه * وسدمن دون من تخشى باستار
سار الاريقط يهدينا وأينقه * ينعبن بالقوم نعباً تحت أكوار
يعسفن عرض الثنايا بعدأطولها * وكل سهب رقاق الترب موار
حتى اذاقلت قدأنجدن عارضها * من مدلج فارس فى منصب وار
يردى به مشرف الاقطار معترم * كالسيدذى اللبدةالمستاسدالضارى
فقال كروا فقلت ان كرتنا * من دونها لك نصر الخالق البارى
أن يخسف الارض بالاحوي وفارسه * فانظر الى أربع فى الارض غوار
فهيل لما رأى أرساغ مغربه * قدسخن فى الارض لم يحفر بحفار
فقال هل لكم أن تطلقوا فرسى * وتاخذوا موثقى فى نصح أسرار
وأصرف الحى عنكم ان لقيتهم * وأن أعور منهم عين عوار
فادعوا الذى هوعنكم كف عورتنا * يطلق جوادى وأنتم خيرأبرار
فقال قولا رسول الله مبتهلا * يارب ان كان منه غير اخفار
فنجه سالما من شر دعوتنا * ومهره مطلقا من كلم آثار
فاظهر الله اذ يدعو حوافره * وفاز فارسه من هول أخطار

﴿ حديث أم معبد ﴾

وذكر عن أسماء بنت أبى بكر حين خفى عليها وعلى من معها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدروا أين توجه حتى أتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه فمر على مكة والناس يتبعونه وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
فيال قصى مازوى الله عنكم * به من فعال لايجازى وسودد
سلوا أختكم عن شأنها وانائها * فانكم ان تسئلوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها بحالب * يرددها فى مصدر ثم مورد

ويروى ان حسان بن ثابت لما بلغه شعر الجنى وماهتف به فى مكة قال يجيبه

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم * وقدسر من يسرى اليهم و يغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد

وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا * عمايتهم هاد بها كل مهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبى يرى مالا يرى الناس حوله * و يتلوا كتاب الله فى كل مشهد
وان قال فى يوم مقالة غائب * فتصديقه فى اليوم أوفى ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

و زاد يونس فى روايته أن قريشا لما سمعت الهاتف من الجن أرسلوا الى أم معبد وهى بخيمتها فقالوا اهل مر بك محمد الذى من حليته كذا فقالت لا أدرى ما تقولون وانما ضافنى حالب الشاة الحائل وكانوا أربعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر وقد تقدم التعريف به وطرف من ذكر فضائله فى هجرة الحبشة والرابع عبد الله بن أريقط الليثى ولم يكن اذ ذاك مسلما ولا وجدنا من طريق صحيح انه أسلم بعد ذلك وجاء فى حديث انهم استأجروه وكان هاديا خريتا والخريت الماهر بالطريق الذى يهتدى بمثل خرت الابرة ويقال له الخوتع أيضاً قال الراجز * يضل فيها الخوتع المشهر * وأما أم معبد التى مر بخيمتها فاسمها عاتكة بنت خلد احدى بنى كعب من خزاعة وهى أخت حبيش بن خلد وله صحبة ورواية ويقال له الاشعر وأخوها حبيش بن خلد سيأتى ذكره والخلاف فى اسمه وخلد الاشعر أبوهما هو ابن خنيف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن عرم بن حبشية بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة * وزوجها أبو معبد يقال ان له رواية أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرف اسمه وكان منزل أم معبد بقديد وقد روى حديثها بالفاظ مختلفة متقاربة المعانى وقد رواه ابن قتيبة فى غريب الحديث وتقصى شرح ألفاظه وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لام معبد وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا لبنا أو لحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيأ فنظر الى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك فقال أتأذنين لى أن أحلبها فقالت بابى أنت وأمى ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فتفاجت ودرت واجترت ودعا باناء يربض الرهط أى يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب فيه حتى ملأه وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا فجاء أبو معبد وكان غائبا فلما رأى اللبن قال ماهذا يا أم معبد انى لك هذا والشاء عازب حيال ولا حلوبة بالبيت فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك فقال صفيه يا أم معبد فوصفته بما ذكر القتبى وغيره فى الحديث ومما ذكره القتبى فشربوا حتى أراضوا اجعله القتبى من استراض الوادى اذا استنقع ومن الروضة وهى بقية الماء فى الحوض وأنشد * وروضة سقيت فيها نضوى * ورواه الهروى حتى آرضوا على وزن آمنوا أى ضربوا بانفسهم الى الارض من الرى وفى حديث آخر ان آل أبى معبد كانوا يؤرخون بذلك اليوم ويسمونه يوم الرجل المبارك يقولون فعلنا كيت وكيت قبل أن ياتينا الرجل المبارك أو بعد ما جاء الرجل المبارك ثم انها أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله ومعها ابن صغير قد بلغ السعى فمر بالمدينة على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلم الناس على المنبر فانطلق الى أمه يشتد فقال لها يا امتاه انى رأيت اليوم الرجل المبارك فقالت له يابنى ويحك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما يسئل عنه فى هذا الحديث أن يقال هل استمرت تلك البركة فى شاة أم معبد بعد ذلك اليوم. أم عادت الى حالها وفى الخبر عن هشام بن حبيش الكعبى قال أنا رأيت تلك الشاة وانها لتادم أم معبد وجميع صرمها أى أهل ذلك الماء وفى الحديث أيضاً من الغريب

فى وصف الشاة قال ما كان فيها بصرة وهى النقط من اللبن تبصر بالعين

﴿ فصل ﴾ وذكر أن دليلهما سلك بهما عسفان (قال المؤلف رضى الله عنه) وقد روى عن كثير انه قال سمى عسفان لتعسف السيول فيه وسئل عن الابواء الذى فيه قبر آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم لم سمى الابواء فقال لان السيول تتبوأه أى تحل به وبعسفان فيما روى كان مسكن الجذماء ورأيت فى بعض المسندات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعسفان وبه الجذماء فاسرع المشى ولم ينظر اليهم وقال ان كان شىء من العلل يعدى فهو هذا وهذا الحديث هو من روايتى لانه فى مسند الحرث بن أبى اسامة وقد تقدم اتصال سندى به وكنت رأيته قبل فى مسند وكيع بن الجراح وليس لى فيه اسناد

﴿ فصل ﴾ وذكر أن دليلهم سلك بهم أمجاثم ثنية المرة كذا وجدته مخفف الراء مقيدا كانه مسهل الهمزة من المرأة * وذكر لقفا بفتح اللام مقيدا فى قول ابن اسحق وفى رواية ابن هشام لفتا واستشهد ابن هشام بقول معقل الهذلى

نزيعا محلبا من أهل لفت * لحى بين أثلة فالنجام

وألفيت فى حاشية الشيخ على هذا الموضع قال لفت بكسر اللام ألفيته فى شعر معقل هذا فى أشعار هذيل فى نسختى وهى نسخة صحيحة جدا وكذلك ألفاه من وثقته وكلفته أن ينظر فيه لى فى شعر معقل هذا فى أشعار هذيل مكسور اللام فى نسخة ابى على القالى المقروة على الزيادى ثم على الاحول ثم قرأتها على ابن دريد رحمه الله وفيها صريحا محلبا وكذلك كان الضبط فى هذا الكتاب قديما حتى ضبطته بالفتح عن القاضى وعلى ماوقع فى غيرها انتهى كلام أبى بحر وقد ذكر أبو عبيد البكرى لفتا فقيده بكسر اللام كما ذكر أبو بحر وأنشد قبله

لعمرك ماخشيت وقد بلغنا * جبال الجوز من بلد تهام

صريحا محلبا البيت * وذكر المواضع التى سلك عليها وذكر فيها مجاج بكسر الميم وجيمين وقال ابن هشام ويقال فيها مجاج بالفتح وقد ألفيت شاهداً لرواية ابن اسحق فى لقف وفيه ذكر مجاح بالحاء المهملة بعد الجيم وهو قول محمد بن عروة بن الزبير

لعن الله بطن لقف مسيلا * ومجاحا وما أحب مجاحا

لقيت ناقتى به وبلقف * بلدا مجدبا وأرضا شحاحا

هكذا ذكره الزبير بن أبى بكر ولقف آخر غير لفت فيما قال البكرى * وذكر مرجح بتقديم الجيم على الحاء وذكر مدلجة تعهن بكسر التاء والهاء والتاء فيه أصلية على قياس النحو فوزنه فعلل الا أن يقوم دليل من اشتقاق على زيادة التاء أو تصح رواية من رواه تعهن بضم التاء فان صحت فالتاء زائدة كسرت أو ضمت وبتعهن صخرة يقال لها أم عقى عرفت بامرأة كانت تسكن هناك فمر بها النبى صلى الله عليه وسلم واستسقاها فلم تسقه فدعا عليها فمسخت صخرة فهى تلك الصخرة فيما يذكرون * وذكر الجداجد بجيمين ودالين كانها جمع جدجد وأحسبها آبارا ففى الحديث أتينا على بئر جدجد قال أبو عبيد الصواب بئر جدأى قديمة وقال الهروى عن اليزيدى وقد يقال بئر جدجد قال وهو كما يقال فى الكم كمكم وفى الرف رفرف * وذكر العبابيد كانه جمع عباد وقال ابن هشام هى العبابيب كانها جمع عباب من عببت الماء عبا فكانها والله أعلم مياه تعب عبابا أو تعب عبا * وذكر الفاجة بفاء وجيم وقال ابن هشام هى القاحة بالقاف والحاء * وذكر قدومهم على أوس بن حجر وهو أوس بن عبد الله بن حجر الاسلمى وبعضهم يقول فيه ابن حَجَر وهو

---

* قال ابن اسحق فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ثم سلك بهما على أسفل أمج ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد ان أجاز قديد ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار ثم سلك بهما ثنية المرة ثم سلك بهما لقفا «قال ابن هشام» ويقال لفتا قال معقل بن خويلد الهذلى

نزيعا محلبا من أهل لفت *
لحى بين اثلة والنحام *

قال ابن اسحق ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ويقال مجاج فيما قال ابن هشام ثم سلك بهما مرجح من ذى العضوين «قال ابن هشام» ويقال العصوين ثم بطن ذى كشد ثم أخذ بهما على الجداجد ثم على الاجرد ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تعهن ثم على العبابيد «قال ابن هشام» ويقال العبابيب ويقال العيثانة يريد العبابيب * قال ابن اسحق ثم أجاز بهما الفاجة ويقال القاحة فيما قال ابن هشام

« قال ابن هشام » ثم هبط بهما العرج وقد أبطا عليهما بعض ظهرهما فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل له يقال ابن الرداء الى المدينة و بعث معه غلاما له يقال له مسعود ابن هنيدة ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة و يقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام حتى هبط بهما بطن ريم ثم قدم بهما قباء على بنى عمرو بن عوف لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال حدثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما سمعنا بخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وتوكفنا قدومه كنا نخرج اذا صلينا الصبح الى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله مانبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فاذا لم نجد ظلا دخلنا وذلك فى أيام حارة حتى اذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنا نجلس حتى اذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود وقد رأى ما كنا نصنع وانا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فصرخ باعلى صوته يابنى قيلة هذا جدكم قد جاء قال فخرجنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل نخلة ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثل سنه وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك وركبه الناس ومايعرفونه من أبى بكر حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفناه عند ذلك * قال ابن اسحق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون على كلثوم بن هدم أخى بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد و يقال بل نزل على سعد بن خيثمة و يقول من يذكر انه نزل على كلثوم بن هدم انما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة وذلك انه كان عزبا لا أهل له وكان منزل العزاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين فمن هنالك يقول نزل على سعد بن خيثمة وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة بيت العزاب فالله أعلم أى ذلك كان كلا قد سمعنا ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خبيب بن اساف أحد بنى الحرث بن الخزرج بالسنح و يقول قائل كان منزله على خارجة بن زيد بن أبى زهير أخى بنى الحرث بن الخزرج * وأقام على بن أبى طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس حتى اذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم بن هدم فكان على

قول الدارقطنى والمعروف ابن حجر بضم الحاء وقد تقدم فى المبعث ذكر من اسمه حجر فى أنساب قريش ومن يسمى حجرا من غيرهم بسكون الجيم ومن يسمى الحجر بكسر الحاء فانظره هنالك عند ذكر خديجة وأمها ولا يختلف فى أوس بن حجر انه بفتحتين * وذكر ان أوسا حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل له يقال له ابن الرداء وفى رواية يونس بن بكير عن ابن اسحق يقال له الرداح وفى الخطابى انه قال لغلامه مسعود وهو مسعود بن هنيدة اسلك بهم المخارق بالقاف قال والصحيح المخارم يعنى مخارم الطريق وفى النسوى أن مسعودا هذا قال فكنت آخذ بهم اخفاء الطريق وفقه هذا انهم كانوا خائفين فلذلك كان يأخذ بهم اخفاء الطريق ومخارقه وذكر النسوى فى حديث مسعود هذا ان أبا بكر قال له ائت أبا تميم فقل له يحملنى على بعير و يبعث الينا بزاد ودليل يدلنا ففى هذا ان أوسا كان يكنى أبا تميم وان مسعودا هذا قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ عنه حديثا فى الخمس وحديثا فى صلاة الامام بالواحد والاثنين ذكره النسوى فى هذا الحديث غير انه قال فى مسعود هذا غلام فروة الاسلمى وقال أبو عمر قد قيل فى أوس هذا ان اسمه تميم و يكنى أبا أوس فالله أعلم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمسعود حين انصرف الى سيده مر سيدك أن يسم الابل فى أعناقها قيد الفرس فلم تزل تلك سمتهم فى ابلهم وقد ذكرنا فى شرح قصيدة أبى طالب عند قوله موسمة الاعضاد أسماء السمات كالعراض والخباط والهلال وذكرنا قيد الفرس وانه سمة فى أعناقها وقول الراجز

كوم على أعناقها قيد الفرس * تنجوا اذا الليل تدانا والتبس

كان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة من ربيع الاول وفى شهر أيلول من شهور العجم وقال غير ابن اسحق قدمها لثمان خلون من ربيع الاول وقال ابن الكلبى خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة منه وكانت بيعة العقبة أوسط أيام التشريق

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم وكلثوم هذا كنيته أبو قيس وهو كلثوم بن الهدم بن امرىء القيس بن الحرث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك

ابن أبى طالب انما كانت اقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول كانت بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة قال فرأيت انسانا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه قال فاستربت بشأنه فقلت لها يا أمة الله من هـذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليـلة فتخرجين اليه فيعطيك شيئاً لا أدرى ما هو وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك قالت هذا سهل بن حنيف بن واهب قد عرف انى امرأة لا أحد لى فاذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها فقال احتطبى بهذا فكان على يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حتى هلك عنده بالعراق

* قال ابن اسحق وحدثنى هذا من حديث على رضى الله عنه هند بن سعد بن سهل بن حنيف رضى الله عنـه قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين و يوم الثلاثاء و يوم الاربعاء و يوم الخميس وأسس مسجده ثم أخرجـه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة و بنو عمرو بن عوف يزعمون انه مكث فيهم أكثر من ذلك فالله أعلم أى ذلك كان فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجـد الذى فى بطن الوادى وادى رانوناء فكانت اول جمعة صلاها بالمدينـة فاتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبـادة بن نضلة فى رجال من بنى سالم بن عوف فقال يارسول الله اقم عندنا فى العدد والعدة والمنعـة قال خـلوا سبيلها فانها مامورة لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حـتى اذا وازنت دار بنى بياضة تلقاه زياد بن لبيـد وفـروة بن عمرو فى رجال من بـنى بياضـة فقالوا يارسول الله هـلم الينا الى العدد والعدة والمنعـة قال خـلوا سبيلها فانها مأمورة فخـلوا سبيلها فانطلقت حـتى اذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فى رجال من بنى ساعدة فقالوا يارسول الله هلم الينا الى العدد والعدة والمنعـة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا وازنت دار بنى الحرث بن الخزرج اعترضه سعيد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله ابن رواحـة فى رجال من بنى الحرث بن الخزرج فقالوا يارسول الله هلم الينا الى العدد والعـدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا مرت بدار بنى عدى بن النجار وهم اخواله دنيا أم عبد المطلب سلمى ام عمرو احدى نسائهـم اعترضها سليط بن قيس وابو سليط اسيرة بن ابى خارجة فى رجال من بنى عدى ابن النجار فقالوا يارسول الله هلم الى اخوالك الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مسجده صـلى الله عليه وسلم وهو يومئـذ مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار ثم من بنى مالك بن النجار وهما فى حجر معاذ بن عفراء سهل وسهيل ابنى عمرو فلمـا بركت ورسول الله صـلى الله عليه وسـلم عليها لم ينزل وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به ثم التفتت الى خلفها فرجعت الى مبركها

مالك بن الاوس وكان شيخا كبيرا مات بعد قدوم رسول الله صـلى الله عليه وسـلم المدينة بيسير هو أول من مات من الانصار بعد قدوم النبى صـلى الله عليه وسلم ثم مات بعده أسعد بن زرارة بايام وسعد بن خيثمة وانه كان يقال لبيته بيت العزاب هكذا روى وصوابه الاعزاب لانه جمع عزب يقال رجـل عزب وامرأة عزب وقد قيل امرأة عزبة بالتاء

﴿ فصـل ﴾ وذكر تأسيس مسجد قباء وان رسول الله صـلى الله عليه وسلم أسسه لبنى عمرو بن عوف ثم انتقل الى المدينة وذكر ابن أبى خيثمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسسه كان هو أول من وضع حجرا فى قبلته ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه الى حجر أبى بكر ثم أخذ الناس فى البنيان فى الخطابى عن الشموس بنت النعمان قالت كان النبى صـلى الله عليه وسلم حـين بنى مسجد قباء يأتى بالحجر قد صهره الى بطنه فيضعه فيأتى الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يامره أن يدعه ويأخذ غـيره يقال صهره وأصهره اذا ألصقه بالشىء ومنه اشتقاق الصهر فى القرابة وهذا المسجد أول مسجد بنى فى الاسلام وفى أهله نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا فهو على هذا المسجد الذى أسس على التقوى وان كان قد روى أبو سعيد الخدرى ان رسول الله صـلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال هو مسجدى هذا وفى رواية اخرى قال وفى الآخر خير كثير وقد قال لبنى عمرو بن عوف حـين نزلت لمسجد أسس على التقوى ما الطهور الذى أثنى الله به عليكم فذكروا له الاستنجاء بالماء بعـد الاستجمار بالحجر فقال هو ذاكم فعليكموه وليس بين الحـديثين تعارض كلاهما أسس على التقوى غـير ان قوله سبحانه من أول يوم يقتضى مسجد قباء لان تاسيسه كان فى أول يوم من حلول رسول الله صلى الله عليه وسـلم دار معجزته والبلد الذى هو مهاجره وفى قوله سبحانه «من أول يوم» وقد علم انه ليس أول الايام كلها ولا أضافه الى شىء فى اللفظ الظاهر فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حـين شاورهم فى التاريخ فاتفق رأيهم أن يكون التاريخ من عام الهجرة لانه الوقت الذى عز فيـه الاسـلام والذى أمر فيه النبى صـلى الله عليه وسـلم وأسس المساجد وعبد الله آمنا كما يحب فوافق رأيهم هـذا ظاهر التنزيل وفهمنا الآن بفعلهم ان قوله سبحانه من أول يوم ان

ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذى يؤرخ به الآن فان كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا هذا من الآية فهو الظن بافهامهم فهم أعلم الناس بكتاب الله وتاويله وأفهمهم بما فى القرآن من اشارات وافصاح وان كان ذلك منهم عن رأى واجتهاد فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار الى صحته قبل أن يفعل اذ لا يعقل قول القائل فعلته أول يوم الا باضافة الى عام معلوم أو شهر معلوم أو تاريخ معلوم وليس ههنا اضافة فى المعنى الا الى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرائن الدالة على غيره من قرينة لفظ أو قرينة حال فتدبره ففيه معتبر لمن اذكر وعلم لمن رأى بعين فؤاده واستبصر والحمد لله وليس يحتاج فى قوله من أول يوم الى اضمار كما قرره بعض النحاة من تاسيس أول يوم فرارا من دخول من على الزمان ولو لفظ بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم فاضماره للتاسيس لا يفيد شيئاً ومن تدخل على الزمان وغيره ففى التنزيل «من قبل ومن بعد» والقبل والبعد زمان وفى الحديث مامن دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تطلع الشمس الى أن تغرب وفى شعر النابغة

تورثن من أزمان يوم حليمة * الى اليوم قد جربن كل التجارب

وبين من الداخلة على الزمان وبين منذ فرق بديع قد بيناه فى شرح آية الوصية

﴿ فصل ﴾ وذكر لقاء كل قبيلة من الانصار له يقولون هلم الينا يارسول الله الى العدد والعدة فيقول خلوا سبيلها فانها مامورة حتى بركت بموضع مسجده وقال تحلحلت ورزمت وألقت بجرانها أى بعنقها وفسره ابن قتيبة على تلحلح اى لزم مكانه ولم يبرح وأنشد

اناس اذا قيل انفروا قد اتيتم * اقاموا على أثقالهم وتلحلحوا

قال وأما تحلحل بتقديم الحاء على اللام فمعناه زال عن موضعه وهذا الذى قاله قوى من جهة الاشتقاق فان التلحلح يشبه ان يكون من لححت عينه اذا التصقت وهو ابن عمى لحا * وأما التحلحل فاشتقاقه من الحل والانحلال بين لانه انفكاك شئ من شئ ولكن الرواية فى سيرة ابن اسحق تحلحلت بتقديم الحاء على اللام وهو خلاف المعنى الا ان يكون مقلوبا من تلحلحت فيكون معناه لصقت بموضعها وأقامت على المعنى الذى فسره ابن قتيبة فى تلحلحت * وأما قوله ورزمت فيقال رزمت الناقة رزوما اذا أقامت من الكلال ونوق رزمى وأما أرزمت بالالف فمعناه رغت ورجعت فى رغائها ويقال منه أرزم الرعد وأرزمت الريح قاله صاحب العين وفى غير هذه السيرة انها لما ألقت بجرانها فى دار بنى النجار جعل رجل من بنى سلمة وهو جبار بن صخر ينخسها رجاء ان تقوم فتبرك فى دار بنى سلمة فلم تفعل * وقوله كان المسجد مربداً المربد والجرين والمسطح وهو بالفارسية مشطاح والجوخار والبيدر والاندر لغات بمعنى واحد للموضع الذى يجعل فيه الزرع والتمر للتيبيس وأنشد ابوحنيفة فى المسطح

ترى الامعز المحزو فيه كانه * من الحر فى نحر الظهيرة مسطح

قال والمحزو من حزوت الشىء اذا أظهرته والمسطح هو بالفارسية مشطح وأما المسطح الذى هو عود الخباء فعربية * وذكر أن ذلك المربد كان لسهل وسهيل ابنى عمرو يتيمين فى حجر معاذ بن عفراء ولم يعرفهما باكثر من هذا وقال موسى بن عقبة كانا يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة وهما ابنا رافع بن عمرو بن أبى عمرو ابن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار شهد سهيل منهما بدرا والمشاهد كلها ومات فى خلافة عمر ولم يشهد سهل بدراً وشهد غيرها ومات قبل أخيه سهيل

﴿ فصل ﴾ وذكر بنيان المسجد الى آخر القصة وفى الصحيح انه قال يابنى النجار ثامنونى بحائطكم

أول مرة فبركت فيه ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل عن المربد لمن هو فقال له معاذ بن عفراء هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو وهما يتيمان لى وسأرضيهما منه فاتخذه مسجدا فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبنى مسجدا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين فى العمل فيه فعمل فيه المهاجرون والانصار ودأبوا فيه فقال قائل من المسلمين

لئن قعدنا والنبى يعمل *
لذاك منا العمل المضلل

فارتجز المسلمون وهم يبنونه ويقولون لا عيش الا عيش الآخرة * اللهم فارحم الانصار والمهاجره «قال ابن هشام» هذا كلام وليس برجز

* قال ابن اسحق فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة * اللهم ارحم المهاجرين والانصار فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن فقال يارسول الله قتلوني يحملون على مالا يحملون قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض وفرته بيده وكان رجلا جعدا وهو يقول ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك انما يقتلك الفئة الباغية وارتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ

لا يستوى من يعمر المساجدا *
يدأب فيه قائما وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا *

«قال ابن هشام» سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا بلغنا ان علي بن أبي طالب ارتجز به فلا يدرى أهو قائله أم غيره * قال ابن اسحق فاخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها «قال ابن هشام» فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه انما يعرض به فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن ابن اسحق وقد سمى ابن اسحق الرجل قال ابن اسحق فقال قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية والله انى لاراني ساعرض هذه العصا لانفك قال وفي يده عصا قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ان عمارا جلدة ما بين عيني وأنفي فاذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه «قال ابن هشام» وذكر سفيان بن عيينة عن زكريا عن الشعبي قال ان أول من بنى مسجدا عمار بن ياسر

حين أراد ان يتخذه مسجداً وقد ترجم البخاري على هذه المسئلة لفقه وهو ان البائع أولى بتسمية الثمن الذي يطلبه قال أنس وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فامر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت * ويروى في هذا الحديث نخل وحرث مكان قوله وخرب وروى عن الشفاء بنت عبد الرحمن الانصارية قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى المسجد يؤمه جبريل الى الكعبة ويقيم له القبلة * وذكر فيه قول الرجل لعمار قد سمعت ما تقول يا ابن سمية «قال ابن هشام» وقد سمى ابن اسحق الرجل وكره ابن هشام أن يسميه كي لا يذكر أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكروه فلا ينبغي اذاً البحث على اسمه وسمية أم عمار وقد تقدم التعريف بها في الهجرة الاولى ونبهنا على غلط ابن قتيبة فيها فانه جعلها وسمية أم زياد واحدة وسمية أم زياد كانت للحرث بن كلدة المتطبب والاولى مولاة لبني مخزوم وهي سمية بنت خياط كما تقدم وكان أهدى سمية الى الحرث رجل من ملوك اليمن يقال له أبو جبر وذلك انه عالجه من داء كان به فبرئ فوهبها له وكانت قبل أبي جبر لملك من ملوك الفرس وفد عليه أبو جبر فاهداها اليه الملك ذكره ابن قتيبة وفي جامع معمر بن راشد أن عمارا كان ينقل في بنيان المسجد لبنتين لبنة عنه ولبنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ينقلون لبنة واحدة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم للناس أجر ولك أجران وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية فلما قتل يوم صفين دخل عمرو على معاوية فزعا فقال قتل عمار فقال معاوية فماذا فقال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتله الفئة الباغية فقال معاوية دحضت في بولك أنحن قتلناه انما قتله من أخرجه * وذكر ابن اسحق في هذا الموضع الحديث الوارد في عمار وهو أول من بنى لله مسجدا عمار بن ياسر فيقال كيف أضاف الى عمار بنيان المسجد وقد بناه معه الناس فيقول انما عنى بهذا الحديث مسجد قباء لان عمارا هو الذي أشار على النبي صلى الله عليه وسلم ببنيانه وهو جمع الحجارة له فلما أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم استتم بنيانه عمار كذلك ذكر ابن اسحق في رواية يونس بن بكير عنه وبنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسقف بالجريد وجعلت قبلته من اللبن ويقال بل من حجارة منضودة بعضها على بعض وجعلت عمده من جذوع النخل فنخرت في خلافة عمر فجددها فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالقصة وسقفه بالساج وجعل قبلته من الحجارة فلما كانت أيام بني العباس بناه محمد بن أبي جعفر المتسمى بالمهدي ووسعه وزاد فيه وذلك في سنة ستين ومائة ثم زاد فيه المأمون بن الرشيد في سنة ثنتين ومائتين وأتقن بنيانه ونقش فيه هذا ما أمر به عبد الله المأمون في كلام كثير كرهت الاطالة بذكره ثم لم يبلغنا ان أحداً غير منه شيأ ولا أحدث فيه عملا

﴿ وأما بيوته عليه السلام ﴾ فكانت تسعة بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد وبعضها من حجارة مرضومة بعضها فوق بعض مسقفة بالجريد أيضاً وقال الحسن بن أبي الحسن كنت أدخل بيوت النبي عليه السلام وأنا غلام مراهق فانال السقف بيدي وكانت حجره عليه السلام أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر وفي تاريخ البخاري أن بابه عليه السلام كان يقرع بالاظافر أي لاحلق له ولما توفي أزواجه عليه السلام خلطت البيوت والحجر بالمسجد وذلك في زمن عبد الملك فلما ورد كتابه

قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب حتى بنى له مسجده ومساكنه ثم انتقل الى مساكنه من بيت أبى أيوب رحمة الله عليه ورضوانه * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن أبى رهم السماعى قال حدثنى أبو أيوب قال لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السفل وأنا وأم أيوب فى العلو فقلت له يانبى الله بابى أنت وأمى انى لاكره وأعظم ان اكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل فقال ياأبا أيوب ان أرفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفله وكنا فوقه فى المسكن فلقد انكسر حب لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا ان يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء فيؤذيه قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم ايوب موضع يده فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة حتى بعثنا اليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا أو ثوما فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ار ليده فيه اثرا قال فجئته فزعا فقلت يارسول الله بابى انت وامى رددت عشاءك ولم ار فيه موضع يدك وكنت اذا رددته علينا تيممت انا وام ايوب موضع يدك نبتغى بذلك البركة قال انى وجدت فيه ريح هذه الشجرة وانا رجل اناجى فاما انتم فكلوه قال فاكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد * قال ابن اسحق وتلاحق المهاجرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق بمكة منهم احد الا مفتون او محبوس ولم يوعب اهل هجرة من مكة باهلهم واموالهم الى الله تبارك وتعالى والى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اهل دور مسمون بنو مظعون من بنى جمح و بنو جحش بن رئاب حلفاء بنى امية و بنو البكير من بنى سعد بن ليث حلفاء بنى عدى بن كعب فان دورهم غلقت بمكة هجرة ليس فيها ساكن ولما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم عدا عليها ابو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة اخى بنى عامر بن لؤى فلما بلغ بنى جحش ما صنع ابو سفيان بدارهم ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضى يا عبد الله ان يعطيك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة قال بلى قال فذلك لك فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلمه ابو احمد فى دارهم فابطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس لابى احمد يا ابا احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ان ترجعوا فى شىء من اموالكم اصيب منكم فى الله عز وجل فامسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لابى سفيان

ابلغ اباسفيان عن * امر عواقبه ندامه
دار ابن عمك بعتها * تقضى بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله رب * الناس مجتهد القسامه
اذهب بها اذهب بها * طوقتها طوق الحمامه

شبرا

بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء كيوم وفاته عليه السلام وكان سريره خشبات مشدودة بالليف بيعت زمن بنى أمية فاشتراها رجل باربعة آلاف درهم قاله ابن قتيبة وهذا يدل على أن بيوته عليه السلام اذا أضيفت اليه فهى اضافة ملك كقوله تعالى «لا تدخلوا بيوت النبىء» واذا أضيفت الى أزواجه كقوله «وقرن فى بيوتكن» فليست باضافة ملك وذلك ان ما كان ملكا له عليه السلام فليس بموروث عنه

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث أم أيوب وقولها انكسر حب لنا الحب جرة كبيرة وجمعه حببة مثل جحر وجحرة وكانه أخذ لفظه من حباب الماء أو من حببه وحبابه بالالف ترافعه قال الشاعر

كان صلا جهيزة حين تمشى * حباب الماء يتبع الحبابا

والحبب بغير الف نفاخات بيض صغار تكون على وجه الشراب قاله ابن ثابت * وذكر قوله عليه السلام لام أيوب حين رد عليها الثريد من أجل الثوم أنا رجل أناجى وروى غيره حديث أم أيوب وقال فيه ان الملائكة تتأذى بما يتأذى به الانس وروى ان خصيف بن الحرث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله الحديث الذى ترويه عنك أم أيوب ان الملائكة تتأذى بما يتأذى به الانس أصحيح هو قال نعم ومنزل أبى ايوب الذى نزل فيه النبى صلى الله عليه وسلم تصير بعده الى أفلح مولى أبى ايوب فاشتراه منه بعد ما خرب وتثلمت حيطانه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بالف دينار بعد حيلة احتالها عليه المغيرة ذكرها الزبير ثم أصلح المغيرة ما وهى منه وتصدق به على أهل بيت من فقراء المدينة فكان بعد ذلك ابن أفلح يقول للمغيرة خدعتنى فيقول له المغيرة لا أفلح من ندم هذا معنى ما ذكره الزبير بن أبى بكر * وذكر قول أبى احمد بن جحش لابى سفيان

دار ابن عمك بعتها * تقضى بها عنك الغرامه
اذهب بها اذهب بها * طوقتها طوق الحمامه

أبو أحمد هذا اسمه عبد وقيل ثمامة والاول أصح وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان وبهذا السبب تطرق أبو سفيان الى بيع دار بنى جحش اذ كانت بنته فيهم مات أبو احمد بعد اخته زينب أم المؤمنين فى خلافة عمر * وقوله لابى سفيان طوقتها طوق الحمامة منتزع من قول النبى صلى الله عليه وسلم من غصب

* قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذ قدمها شهر ربيع الاول الى صفر من السنة الداخلة حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له اسلام هذا الحى من الانصار فلم يبق دار من دور الانصار الا أسلم أهلها الا ما كان من خطمة وواقف ووائل وامية وتلك اوس الله وهم حى من الاوس فانهم اقاموا على شركهم * وكانت اول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى عن ابى سلمة ابن عبد الرحمن نعوذ بالله ان نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل انه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو اهله ثم قال اما بعد ايها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه الم ياتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وافضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع ان يقى وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته * قال ابن اسحق ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة اخرى فقال ان الحمد لله احمده وأستعينه نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ان احسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى قد افلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من احاديث الناس انه احسن الحديث وابلغه احبوا ما احب الله احبوا الله كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فانه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى قد سماه الله خيرته من الاعمال ومصطفاه من العباد الصالح الحديث ومن كل ما اوتى الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بافواهكم وتحابوا بروح الله بينكم ان الله يغضب ان ينكث عهده والسلام عليكم

شبراً من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين وقال طوق الحمامة لان طوقها لا يفارقها ولا تلقيه عن نفسها أبداً كما يفعل من لبس طوقا من الآدميين ففى هذا البيت من السمانة وحلاوة الاشارة وملاحة الاستعارة ما لا مزيد عليه وفى قوله طوق الحمامة رد على من تأول قوله عليه السلام طوقه من سبع أرضين انه من الطاقة لا من الطوق فى العنق وقاله الخطابى فى أحد قوليه مع ان البخارى قد رواه فقال فى بعض رواياته له خسف به الى سبع أرضين وفى مسند ابن أبى شيبة من غصب شبراً من أرض جاء به اسطاما فى عنقه والاسطام كالحلق من الحديد وسطام السيف حده

﴿ فصل ﴾ وذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها يقول الله عز وجل لعبده ألم أوتك مالا وأفضل عليك فماذا قدمت وفى غير هذا الكتاب زيادة وهى ألم أوتك مالا وجعلتك تربع وتدسع وفسره ابن الانبارى فقال هو مثل وأصله ان الرئيس من العرب كان يربع قومه أى يأخذ المرباع اذا غزا ويدسع أى يعطى ويدفع من المال لمن شاء ومنه قولهم فلان ضخم الدسيعة * وذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية وفيها أحبوا الله من كل قلوبكم يريد أن يستغرق حب الله جميع أجزاء القلب فيكون ذكره وعمله خارجا من قلبه خالصاً لله واضافة الحب الى الله تعالى من عبده مجاز حسن لان حقيقة المحبة ارادة يقارنها استدعاء للمحبوب اما بالطبع واما بالشرع وقد كشفنا معناها بغاية البيان فى شرح قوله عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال ونبهنا هنالك على تقصير أبى المعالى رحمه الله فى شرح المحبة فى كتاب الارادة من كتاب الشامل فلتنظر هنالك * وقوله عليه السلام لا تملوا كلام الله وذكره فانه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى الهاء فى قوله فانه لا يجوز أن تكون عائدة على كلام الله سبحانه ولكنها ضمير الامر والحديث فكأنه قال ان الحديث من كل ما يخلق الله يختار فالاعمال اذاً كلها من خلق الله قد اختار منها ما شاء قال سبحانه «يخلق ما يشاء ويختار» * وقوله قد سماه خيرته من الاعمال يعنى الذكر وتلاوة القرآن لقوله سبحانه ويختار فقد اختاره من الاعمال * وقوله والمصطفى من عباده أى وسمى المصطفى من عباده بقوله «الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس» ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده أى العمل الذى اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم فلا تكون من على هذا للتبعيض انما تكون لابتداء الغاية لانه عمل استخرجه منهم بتوفيقه اياهم والتأويل الاول أقرب مأخذاً والله أعلم بما أراد رسوله * وقوله فى أول الخطبة ان الحمد لله أحمده هكذا برفع الدال من قوله الحمد لله وجدته مقيداً مصححاً عليه واعرابه ليس على الحكاية ولكن على اضمار الامر كانه قال ان الامر الذى أذكره وحذف الهاء العائدة على الامر كى لا يقدم شيئاً فى اللفظ من الاسماء على قوله الحمد لله وليس تقديم ان فى اللفظ من باب تقديم الاسماء لانها حرف مؤكد لما بعده مع ما فى اللفظ من التحرى للفظ القرآن والتيمن به والله أعلم وكانت خطبته فى تلك الايام على جذع فلما صنع له المنبر من طرفاء الغابة وصنعه له عبد لامرأة من الانصار اسمه باقوم خار الجذع خوار الناقة الخلوج حتى نزل

عليه السلام فالتزمه وقال لو لم ألتزمه ما زال يخور الى يوم القيامة ثم دفنه وأعاد دفنه لانه قد صار حكمه حكم المؤمن لحبه وحنينه الى النبى صلى الله عليه وسلم وهذا ينظر الى قوله تعالى «كشجرة طيبة» الآية والى قوله عليه السلام فى النخلة مثلها كمثل المؤمن وحديث خوار الجذع وحنينه منقول نقل التواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلق وكلهم نقل ذلك أو سمعه من غيره فلم ينكره

﴿ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين اليهود ﴾

شرط لهم فيه وشرط عليهم وأمنهم فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وكانت أرض يثرب لهم قبل نزول الانصار بها فلما كان سيل العرم وتفرقت سبا نزلت الاوس والخزرج بأمر طريفة الكاهنة وأمر عمران ابن عامر فانه كان كاهنا أيضا وبما سجعت به لكل قبيلة من سبا فسجعت لبنى حارثة بن ثعلبة وهم الاوس والخزرج أن ينزلوا يثرب ذات النخل فنزلوها على يهود وحالفوهم وأقاموا معهم فكانت الدار واحدة والسبب فى كون اليهود بالمدينة وهى وسط أرض العرب مع ان اليهود أصلهم من أرض كنعان أن بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز وكانت منازلهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك الى موسى فوجه اليهم جيشا وأمرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحدا ففعلوا وتركوا منهم ابن ملك لهم كان غلاما حسنا فرقوا له ويقال للملك الارقم بن أبى الارقم فيما ذكر الزبير ثم رجعوا الى الشام وموسى قد مات فقالت بنو اسرائيل لهم قد عصيتم وخالفتم فلا نؤويكم فقالوا نرجع الى البلاد التى غلبنا عليها فنكون بها فرجعوا الى يثرب فاستوطنوها وتناسلوا بها الى أن نزلت عليهم الاوس والخزرج بعد سيل العرم هذا معنى ما ذكره أبو الفرج الاصبهانى فى كتابه الكبير المعروف بكتاب الاغانى وان كان الزبير قد ذكره أيضا فى أخبار المدينة ولا أحسب هذا صحيحا لبعد عمر موسى عليه السلام والذى قال غيره ان طائفة من بنى اسرائيل لحقت بأرض الحجاز حين دوخ بخت نصر البابلى فى بلادهم وجاس خلال ديارهم فحينئذ لحق من لحق منهم بالحجاز كقريظة والنضير وسكنوا خيبر والمدينة وهذا معنى ما ذكر الطبرى والله أعلم وأما يثرب فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فعرفت باسمه وهو يثرب بن قاين بن عبيل بن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لاود بن ارم وفى بعض هذه الاسماء اختلاف وبنو عبيل هم الذين سكنوا الجحفة فاجحفت بهم السيول وبذلك سميت الجحفة فلما احتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كره لها هذا الاسم أعنى يثرب لما فيه من لفظ التثريب وسماها طيبة والمدينة (فان قلت) وكيف كره اسما ذكرها الله فى القرآن به وهو المقتدى بكتاب الله وأهل أن لا يعدل عن تسمية الله (قلنا) ان الله سبحانه انما ذكرها بهذا الاسم حاكيا عن المنافقين اذ قالت طائفة منهم «يا أهل يثرب لا مقام لكم» فنبه بما حكى عنهم انهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله وأبوا الا ما كانوا عليه فى جاهليتهم والله سبحانه قد سماها المدينة فقال غير حاك عن أحد «ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب» الآية وفى الخبر عن كعب الاحبار قال انا نجد فى التوراة يقول الله للمدينة ياطابة ياطيبة يامسكينة لا تقبلى الكنوز أرفع أجاجيرك على أجاجير القرى وقد روى هذا الحديث عن على بن أبى طالب يرفعه وروى أيضا أن لها فى التوراة أحد عشر اسما المدينة وطابة وطيبة والمسكينة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة وروى فى معنى قوله «وقل رب أدخلنى مدخل صدق» انها المدينة وأن «مخرج صدق» مكة و«سلطانا نصيرا» الانصار وفى الكتاب بنو فلان على ربعاتهم هكذا رواه أبو عبيد عن ابن بكير عن عقيل بن خالد عن

الزهرى

* قال ابن اسحق وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم واموالهم وشرط عليهم واشترط لهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم امة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الاوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها

بالمعروف والقسط بين المؤمنين وان المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم ان يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل «قال ابن هشام» المفرح المثقل من الدين الكثير والعيال قال الشاعر اذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة * وتحمل أخرى أفرحتك الودائع ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وان أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ولا ينصر كافر على مؤمن وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم وان سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم وان كل غازية غزت معنا تعقب بعضها بعضا وان المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى واقومه وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن وانه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به الى ان يرضى ولى المقتول وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه وانه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر ان ينصر محدثا ولا يؤويه وانه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل وانكم مهما اختلفتم فيه من شىء فان مرده الى الله عز وجل والى محمد صلى الله عليه وسلم وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وان يهود بنى عوف امة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم الا من ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته وان ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى الحرث مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى الاوس مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف الا من ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته وان جفنة بطن من ثعلبة كانفسهم وان لبنى الشطنة مثل ما ليهود بنى عوف وان البر دون الاثم وان موالى ثعلبة كانفسهم وان بطانة يهود كانفسهم وانه لا يخرج منهم احد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينحجز على ثار جرح وانه من فتك فبنفسه فتك واهل بيته الا من ظلم وان الله على ابر هذا وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم وانه لم يأثم امرؤ بحليفة وان النصر للمظلوم وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وان يثرب حرام جوفها لاهل هذه النصيحة وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وانه لا تجار حرمة الا باذن أهلها وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره وانه لا تجار قريش ولا من نصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب فى الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم وان يهود الاوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لاهل هذه الصحيفة مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة «قال ابن هشام» ويقال مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة

الزهرى ورواه عن عبد الله بن صالح بهذا الاسناد فقال رباعتهم الالف بعد الباء ثم قال أبو عبيد يقال فلان على رباعة قومه اذا كان نقيبهم ووافدهم (قال المؤلف) وكسر الراء فيه القياس على هذا المعنى لانها ولاية وان جعل الرباعة مصدرا فالقياس فتح الراء أى على شأنهم وعادتهم من أحكام الديات والدماء يتعاقلون معاقلهم الاول جمع معقلة ومعقلة من العقل وهو الدية وقال فى الكتاب الا يترك مفرح وفسره ابن هشام كما فسره أبو عبيد انه الذى أثقله الدين وأنشد البيت الذى أنشده أبو عبيد

اذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة * وتحمل أخرى افرحتك الودائع

أى أثقلتك يجوز أن يكون من أفعال السلب أى سلبتك الفرح كما قيل أقسط الرجل اذا عدل أى أزال القسط وهو الاعوجاج ويجوز أن تكون الفاء مبدلة من باء فيكون من البرح وهو الشدة تقول لقيت من فلان برحا أى شدة وذكر أبو عبيد رواية أخرى مفرج بالجيم وذكر فى معناه أقوالا منها انه الذى لا ديوان له ومنها انه القتيل بين القريتين لا يدرى من قتله ومنها انه فى معنى المفرح بالحاء أى الذى لا شىء له وقد أثقله الدين أو نحوه فذا فيقضى عنه من بيت المال وفيه ولا يوتغ الا نفسه أى لا يوبق ويهلك الا نفسه يقال وتغ الرجل وأوتغه غيره قاله أبو عبيد ومعنى قوله يبىء هو من البواء أى المساواة ومنه قول مهلهل حين قتل ابنا للحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب * وقوله ان البر دون الاثم أى ان البر والوفاء ينبغى أن يكون حاجزا عن الاثم * وقوله وان الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره أى ان الله وحزبه للمؤمنين على الرضى به وقال أبو عبيد فى كتاب الاموال انما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية واذ كان الاسلام ضعيفا قال وكان لليهود اذ ذاك نصيب فى المغنم اذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحروب

قال ابن اسحق وان البر دون الاثم لا يكسب كاسب الا على نفسه وان الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وابره وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم وانه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم أو أثم وان الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم *

قال ابن اسحق وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والانصار فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله ان نقول عليه ما لم يقل تآخوا في الله أخوين أخوين ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال هذا أخي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين * وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين واليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال ان حدث به حادث الموت * وجعفر بن أبي طالب وذا الجناحين الطيار في الجنة ومعاذ بن جبل أخو بني سلمة أخوين «قال ابن هشام» وكان (١٨) جعفر بن أبي طالب يومئذ غائبا بارض الحبشة * قال ابن اسحق وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بن أبي قحافة وخارجة بن زهير أخو بلحرث بن الخزرج أخوين * وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعتبان بن مالك أخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين * وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله وسعد بن معاذ بن النعمان أخو بني عبد الاشهل أخوين * وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخو بلحرث بن الخزرج أخوين * والزبير بن العوام وسلامة بن سلامة بن وقش أخو بني عبد الاشهل أخوين ويقال بل الزبير وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة أخوين * وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخو بني النجار أخوين * وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخو بني سلمة أخوين * وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبي بن كعب أخو بني النجار أخوين * ومصعب بن عمير بن هاشم وأبو أيوب خالد بن زيد أخو بني النجار أخوين * وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة * وعباد بن بشر بن وقش أخو بني عبد الاشهل أخوين * وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم وحذيفة بن اليمان أخو بني عبد عبس حليف بني عبد الاشهل أخوين ويقال ثابت بن قيس بن الشماس أخو بلحرث ابن الخزرج خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار بن ياسر أخوين * وأبو ذر وهو بربر بن جنادة الغفاري والمنذر بن عمرو المعنق ليموت أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج أخوين «قال ابن هشام» وسمعت غير واحد من العلماء يقول أبو ذر جندب بن جنادة * قال ابن اسحق وكان حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة أخو بني عمرو بن عوف أخوين * وسلمان الفارسي وأبو الدرداء عويمر بن ثعلبة أخو بلحرث بن الخزرج أخوين «قال ابن هشام» عويمر بن عامر ويقال عويمر بن زيد * قال ابن اسحق وبلال مولى أبي بكر رضي الله عنهما مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفزع

﴾فصل المؤاخاة بين الصحابة﴿ آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه «وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» أعني في الميراث ثم جعل المؤمنين كلهم اخوة فقال «انما المؤمنون اخوة» يعني في التواد وشمول الدعوة * وذكر مؤاخاته بين أبي ذر والمنذر بن عمرو وقد ذكرنا انكار الواقدي لذلك في آخر حديث بيعة العقبة

﴾فصل﴿ وذكر مؤاخاة سلمان وأبي الدرداء وأبو الدرداء اسمه عويمر بن عامر وقيل عويمر بن زيد ابن ثعلبة وقيل عويمر بن مالك بن ثعلبة بن عمرو بن قيس بن أمية من بلحارث بن الخزرج أمه محبة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة وامرأته أم الدرداء اسمها خيرة بنت أبي حدرد وأم الدرداء الصغرى اسمها جمانة مات أبو الدرداء بدمشق سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة أربع وثلاثين

﴾فصل﴿ وذكر مؤاخاة أبي رويحة وبلال وسماه عبد الله بن عبد الرحمن وقال هو أحد الفزع لم يبينه بأكثر من هذا والفزع عند أهل النسب هو ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل وأفتل هو خثعم وقد تقدم في أول الكتاب لم سمي خثعم وهو ابن أنمار وقد تقدم خلاف النسابين فيما بعد أنمار والفزع هذا بفتح الزاي وأما الفزع بسكونها فهو الفزع بن عبد الله بن ربيعة وكذلك الفزع في خزاعة وفي كلب هما ساكنان أيضا قاله ابن حبيب وقال الدارقطني الفزع بفتح الزاي رجل يروي عن ابن عمر * وذكر آخر في الرواة أيضا بفتح الزاي يروي حديثا في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لابي رويحة الخثعمي لواء عام الفتح وأمره أن ينادي من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن

﴾فصل﴿ وذكر مؤاخاة حاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة وقال في حاطب حليف بني أسد وقال غيره

أخوين فهؤلاء من سمى لنا ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم من أصحابه فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام وكان بلال قد خرج الى الشام فأقام بها مجاهدا فقال عمر لبلال الى من تجعل ديوانك يا بلال قال مع أبى رويحة لا أفارقه أبدا للاخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبينى فضم اليه وضم ديوان الحبشة الى خثعم لمكان بلال منهم فهو فى خثعم الى هذا اليوم بالشام * قال ابن اسحق وهلك فى تلك الاشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى أخذته الذبحة أو الشهقة * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بئس الميت ابو أمامة ليهود ومنافقى العرب يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ولا أملك لنفسى ولا لصاحبي من الله شيا * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الانصارى انه لما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة اجتمعت بنو النجار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو امامة نقيبهم فقالوا له يا رسول الله ان هذا قد كان منا حيث قد علمت فاجعل منا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم أنتم اخوالى وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخص بها بعضهم دون بعض وكان من فضل بنى النجار الذى على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم

﴿ خبر الاذان ﴾

* قال ابن اسحق فلما أطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الانصار استحكم أمر الاسلام فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الاسلام بين أظهرهم وكان هذا الحى من الانصار هم الذين تبوؤا الدار والايمان وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها انما يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة فبينما هم على ذلك اذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحرث بن الخزرج النداء فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله انه طاف بى هذه الليلة طائف مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت له يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس قال وما تصنع به قال قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على خير من ذلك قال قلت وما هو قال

غيره كان عبدا لعبيد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى وقيل كان من مذحج والاشهر انه من لخم بن عدى واسم أبى بلتعة عمرو بن أشد بن معاذ والبلتعة من قولهم تبلتع الرجل اذا تظرف قاله أبو عبيد فى الغريب المصنف

﴿ بدؤ الآذان ﴾

ذكر حديث عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه هكذا ذكره وأكثر النساب يقولون زيد بن عبد ربه وثعلبة أخو زيد ذكر حديثه عندما شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى الاذان فقال بعضهم ناقوس كناقوس النصارى وقال بعضهم بوق كبوق اليهود وفى غير السيرة انهم ذكروا الشبور وهو البوق قال الاصمعى للمفضل وقد نازعه فى معنى بيت من الشعر فرفع المفضل صوته فقال الاصمعى لو نفخت فى الشبور ما نفعك تكلم كلام النمل وأصب وذكروا أيضا القنع وهو القرن وقال بعضهم هو تصحيف انما هو القبع والقنع أولى بالصواب لانه من أقنع صوته اذا رفعه وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة وقال بعضهم بل نبعث رجلا ينادى بالصلاة فبينما هم فى ذلك أرى عبد الله بن زيد الرؤيا التى ذكر ابن اسحق فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يلقيها على بلال قال يا رسول الله أنا رأيتها وأنا كنت أحبها لنفسى فقال ليؤذن بلال ولتقم أنت ففى هذا من الفقه جواز أن يؤذن الرجل ويقيم غيره وهو معارض لحديث زياد بن عبد الله الصدائى حين قال له النبى صلى الله عليه وسلم من أذن فهو أحق أن يقيم فى حديث طويل الا انه يدور على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقى وهو ضعيف والاول أصح منه قال أبو داوود وتزعم الانصار ان عبد الله بن زيد حين رأى النداء كان مريضا ولولا ذلك لامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان وقد تكلمت العلماء فى الحكمة التى خصت الاذان بان رآه رجل من المسلمين فى نومه ولم يكن عن وحى من الله لنبيه كسائر العبادات والاحكام الشرعية وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم له انها لرؤيا حق ثم بنى حكم الاذان عليها وهل كان ذلك عن وحى من الله له أم لا وليس فى الحديث دليل على أن قوله ذلك كان عن وحى وتكلموا لم يؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل أذن قط مرة من عمره دهره أم لا فاما الحكمة فى تخصيص الاذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحى فلان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أريه ليلة الاسراء واسمعه مشاهدة فوق سبع سموات وهذا أقوى من الوحى فلما تأخر فرض الاذان الى المدينة وأرادوا اعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحى حتى

تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها لرؤيا حق ان شاء الله فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فانه أندى صوتا منك فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو فى بيته فخرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول يا نبى الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد على ذلك * قال ابن اسحق حدثنى بهذا الحديث محمد ابن ابراهيم بن الحرث عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه عن أبيه «قال ابن هشام» وذكر ابن جريج قال قال لى عطاء سمعت عبيد بن عمير الليثى يقول ائتمر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس اذ رأى عمر بن الخطاب فى المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة فذهب عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذى رأى وقد جاء النبى صلى الله عليه وسلم الوحى بذلك فما راع عمر الا بلال يؤذن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك قد سبقك بذلك الوحى * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بنى النجار قالت كان بيتى من أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة فيأتى بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر فاذا رآه تمطى ثم قال اللهم انى أحمدك وأستعينك على قريش ان يقيموا على دينك قالت ثم يؤذن قالت والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة

رأى عبد الله الرؤيا فوافقت ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله وعلم حينئذ ان مراد الحق بما رآه فى السماء أن يكون سنة فى الارض وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للانصارى مع أن السكينة تنطق على لسان عمر واقتضت الحكمة الالهية أن يكون الاذان على لسان غير النبى صلى الله عليه وسلم من المؤمنين لما فيه من التنويه من الله لعبده والرفع لذكره فلان يكون ذلك على غير لسانه أنوه به وأفخم لشأنه وهذا معنى بين فان الله سبحانه يقول «ورفعنا لك ذكرك» فمن رفع ذكره ان أشاد به على لسان غيره (فان قيل) ومن روى انه أرى النداء من فوق سبع سموات (قلنا) هو فى مسند أبى بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار * حدثنا به أبو بكر محمد بن طاهر الاشبيلى سماعا واجازة عن أبى على الغسانى عن أبى عمر النمرى باسناده الى البزار قال البزار نا محمد بن عثمان بن مخلد نا أبى عن زياد بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما أراد الله أن يعلم رسوله الاذان أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت فقال لها جبريل اسكنى فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم قال فركبها حتى انتهى الى الحجاب الذى يلى الرحمن تبارك وتعالى قال فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا فقال والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر قال فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا اله الا الله قال فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا الله لا اله الا أنا قال فقال الملك اشهد ان محمدا رسول الله قال فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا ارسلت محمدا قال الملك حى على الصلاة حى على الفلاح ثم قال الملك الله اكبر الله اكبر قال فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر ثم قال لا اله الا الله قال فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا لا اله الا انا قال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن على يومئذ اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض (قال المؤلف) وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده ويشاكله من أحاديث الاسراء فبمجموعها يحصل أن معانى الصلاة كلها وأكثرها قد جمعها ذلك الحديث اعنى الاسراء لان الله سبحانه رفع الصلاة التى هى مناجاة عن أن تفرض فى الارض لكن بالحضرة المقدسة المطهرة وعند الكعبة العليا وهى البيت المعمور وقد ذكرنا طرفا من هذا الغرض ونبذا من هذا المقصد فى شرح حديث الاسراء وينضاف اليها فى هذا الحديث ذكر الاذان الذى تضمنه حديث البزار مع ما روى أيضا انه مر وهو على البراق بملائكة قيام وملائكة ركوع وملائكة سجود وملائكة جلوس والكل يصلون لله فجمعت له هذه الاحوال فى صلاته وحين مثل بالمقام الاعلى ودنا فتدلى الهم أن يقول التحيات لله الى قوله الصلوات لله فقالت الملائكة السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقالت الملائكة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فجمع ذلك له فى تشهده وانظر بقلبك كيف شرع له عليه السلام ولامته أن يقولوا تسع مرات فى اليوم والليلة فى تسع جلسات فى الصلوات الخمس بعد ذكر التحيات

السلام

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيحيون و يحيون تحية من عند الله مباركة طيبة ومن قوله السلام علينا كما قيل لهم فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله ومن ثم قال الطيبات المباركات كما فى رواية ابن عباس فى التشهد انظر الى هذا كله كيف حى وحى تسع مرات حيته ملائكة كل سماء وحياهم ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة العرش فهذه تسع فجعل التشهد فى الصلوات على عدد تلك المرات التى سلم فيها وسلم عليه وكلها تحيات لله أى من عند الله مباركة طيبة هذا الى نكت ذكرناها فى شرح سبحان الله و بحمده فاذا جمعت بعض ماذكرناه الى بعض عرفت جملة من أسرار الصلاة وفوائدها الجلية دون الخفية وأما بقية أسرارها وما تضمنته أحاديث الاسراء من أنوارها وما فى الاذان من لطائف المعانى والحكم فى افتتاحه بالتكبير وختمه بالتكبير مع التكرار وقول لا اله الا الله فى آخره وأشهد أن لا اله الا الله فى أوله وما تحت هذا كله من الحكم الالهية التى تملأ الصدو رهيبة وتنور القلوب بنور المحبة وكذلك ما تضمنته الصلاة فى شفعها و وترها والتكبير فى أركانها و رفع اليدين فى افتتاحها وتخصيص البقعة المكرمة بالتوجه اليها مع فوائد الوضوء من الاحداث لها فان فى ذلك كله من فوائد الحكمة ولطائف المعرفة ما يزيد فى ثلج الصدور و يكحل عين البصيرة بالضياء والنور ونعوذ بالله أن ننزع فى ذلك بمنزع فلسفى أو مقالة بدعى أو رأى مجرد من دليل شرعى ولكن بتلويحات من الشريعة واشارات من الكتاب والسنة يعضد بعضها بعضا و يتهدى بعضها بتصديق بعض «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» لكن أضربنا فى هذا الكتاب عن بث هذه الاسرار فان ذلك يخرج عن الغرض المقصود و يشغل عما صمدنا اليه فى أول الكتاب و وعدنا به الناظر فيه من شرح لغات وأنساب وآداب والله المستعان وقد عرفت رؤيا عبد الله بن زيد وكيفيتها برواية ابن اسحق وغيره ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين أرى النداء وقد قال قد رأيت مثل الذى رأى لكن فى مسند الحرث بيان لها روى الحرث فى مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول من أذن بالصلاة جبريل أذن بها فى سماء الدنيا فسمعه عمر و بلال فسبق عمر بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بها فقال عليه السلام لبلال سبقك بها عمر وذكر باقى الحديث وظاهر هذا الحديث ان عمر سمع ذلك فى اليقظة وكذلك رؤيا عبد الله ابن زيد فى الاذان رآها وهو بين النائم واليقظان قال ولو شئت لقلت كنت يقظانا

﴿فصل﴾ وأما قول السائل هل أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه قط فقد روى الترمذى من طريق يدور على عمر بن الرماح يرفعه الى أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى سفر وصلى باصحابه وهم على رواحلهم السماء من فوقهم والبلة من أسفلهم فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى انه أذن بنفسه وأسنده الدارقطنى باسناد الترمذى الا انه لم يذكر عمر بن الرماح و وافقه فيما بعده من اسناد ومتن لكنه قال فيه فقام المؤذن فاذن ولم يقل أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمفصل يقضى على المجمل المحتمل والله أعلم

﴿حديث صرمة بن أبى أنس﴾

واسم أبى انس قيس بن صرمه بن ملك بن عدى بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار الانصارى وهو الذى أنزل الله فيه وفى عمر رضى الله عنهما «أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم» الى قوله وعفا عنكم فهذه فى عمر ثم قال «وكلوا واشربوا» الى آخر الآية فهذه فى صرمة بن أبى أنس وذلك ان اتيان النساء ليلا فى رمضان كان محرما عليهم فى أول الاسلام بعد النوم وكذلك الاكل والشرب كان محرما عليهم بعد النوم فاما عمر فاراد امرأته ذات ليلة فقالت له انى قد نمت فقال كذبت ثم وقع عليها وأما صرمة فانه عمل فى

✻ قال ابن اسحق فلما اطمانت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره وأظهر الله بها دينه وسره بما جمع اليه من المهاجرين والانصار من أهل ولايته قال أبو قيس صرمة بن أبى أنس أخو بنى عدى بن النجار «قال ابن هشام» أبو قيس صرمة بن أبى أنس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ✻ قال ابن اسحق وكان رجلا قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا تدخل عليه فيه طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم حين فارق الاوثان وكرهها حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير وكان قوالا بالحق معظما الله عز وجل فى جاهليته يقول أشعارا فى ذلك حسانا وهو الدى يقول يقول ابو قيس وأصبح غاديا ✻

الا ما استطعتم من وصاتى فافعلوا

حائطه وهو صائم فجاء الليل وقد جهده الكلال فغلبته عينه قبل ان يفطر فجاءته امرأته بطعام كانت قد صنعته له فوجدته قد قام فقالت له الخيبة لك حرم عليك الطعام والشراب فبات صائما وأصبح الى حائطه يعمل فيه فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طليح قد جهده العطش مع مابه من الجوع والنصب فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بقصته فرق له عليه السلام ودمعت عيناه فانزل الله تعالى الرخصة وجاء بالفرج بدأ بقصة عمر لفضله فقال «فالآن باشروهن» ثم بصرمة فقال «وكلوا واشربوا» قال بعض أشياخ الصوفية هذه العناية من الله أخطأ عمر خطيئة فرحمت الامة بسببها * وذكر من شعر صرمة

فأوصيكم بالله والبر والتقى * وأعراضكم والبر بالله أول

برفع البر على الابتداء واول خبر له وقد يحتمل فى الظاهر ان يكون ظرفا فى موضع الخبر ولكن لا يجوز ذلك فى هذه الظروف المبنية على الضم ان تكون خبر المبتدا لا تقول الصلاة قبل الا ان تقول قبل كذا ولا الخروج بعد الا ان تقول بعد كذا وذلك لسر دقيق قد حوم عليهما ابن جنى فلم يصب المفصل والذى منع من ذلك ان هذه الغايات انما تعمل فيها الافعال الملفوظ بها لانها غايات لافعال متقدمة فاذا لم تأت بفعل يعمل فيها لم تكن غاية لشئ مذكور وصار العمل فيها معنويا وهو الاستقرار وهى مضافة فى المعنى الى شئ والشئ المضاف اليه معنوى لا لفظى فلا يدل العامل المعنوى على معنوى آخر انما يدل عليه الظاهر اللفظى فتامله فالضمة فى أول على هذا حركة اعراب لا حركة بناء ولو قال ابدأ بالبر اول لكانت حركة بناء لكن من رواه والبر بالله أول بخفض الراء من البر فاول حينئذ ظرف مبنى على الضم يعمل فيه أوصيكم * وفيه * وان أنتم امعرتم فتعففوا * الامعار الفقر * ومن شعره

سبحوا الله شرق كل صباح * طلعت شمسه وكل هلال

الشرق طلوع الشمس وهو من أسمائها أيضاً وكذلك الشرق بفتح الراء وكل هلال بالنصب على الظرف اى وقت كل هلال ولو قلت فى مثل هذا وكل قمر على الظرف لم يجز لان الهلال قد أجرى مجرى المصادر فى قولهم الليلة الهلال فلذلك صح ان يكون ظرفا لان المصادر قد تكون ظروفا لمعان وأسرار ليس هذا موضعا لذكرها ولو خفضت وكل هلال عطفا على صباح لم يجز لان الشرق لا يضاف الى الهلال كما يضاف الى الصباح * وفيه * وله شمس النصارى * يعنى دين الشمامسة وهم الرهبان لانهم يشمسون أنفسهم يريدون تعذيب النفوس بذلك فى زعمهم * وفيه * يا بنى الارحام لا تقطعوها * بنصب الارحام وهو أجود من الرفع فى هذا الموضع للنهى * وقوله * وصلوها قصيرة من طوال * وقد أملينا فيها فى غير هذا الكتاب ما نعيده ههنا بحول الله وأملينا ايضاً فى معنى الرحم واشتقاق الام لاضافة الرحم اليها وضعها فيه عند خلق آدم وحوّاء وكون الام اعظم حظا فى البر من الاب مع انها فى الميراث دونه اسرارا بديعة ومعانى لطيفة أودعناها كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية فلتنظر هنالك * وأما قوله قصيرة من طوال فيحتمل تاويلين احدهما ان يريد صلوا اقصرها من طولكم اى كونوا انتم طوالا بالصلة والبر ان قصرت هى وفى الحديث أسرعكن لحوقا بى اطولكن يداً أراد الطول بالصدقة والبر فكانت تلك صفة زينب بنت جحش والتأويل الآخر ان يريد مدحا لقومه بان ارحامهم قصيرة النسب ولكنها من قوم طوّال كما قال

أحب من النسوان كل طويلة * لها نسب فى الصالحين قصير

وقال الطائى

أنتم بنوا النسب القصير وطولكم * باد على الكبراء والاشراف

فأوصيكم بالله والبر والتقى * وأعراضكم والبر بالله اول
وان قومكم سادوا فلا تحسدنهم * وان كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وان نزلت احدى الدواهى بقومكم * فانفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وان ناب غرم فادح فارفقوهم * وما حملوكم فى الملمات فاحملوا
وان أنتم امعرتم فتعففوا * وان كان فضل الخير فيكم فافضلوا

«قال ابن هشام» ويروى * وان ناب امر فادح فارفدوهم * قال ابن اسحق وقال ابو قيس صرمة ايضا

سبحوا الله شرق كل صباح * طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا * ليس ما قال ربنا بضلال
وله الطير تستريد وتأوى * فى وكورهن آمنات الجبال
وله الوحش بالفلاة تراها * فى حقاف وفى ظلال الرمال
وله هودت يهود ودانت * كل دين اذا ذكرت عضال
وله شمس النصارى وقاموا * كل عيد لربهم واحتفال
وله الراهب الحبيس تراه * رهن بؤس وكان ناعم بال

والنسب

يابنى الارحام لا تقطعوها * وصلوها قصيرة من طوال   واتقوا الله فى ضعاف اليتامى * ربما يستحل غير الحلال
واعلموا ان لليتيم وليا * عالما يهتدى بغير السؤال   ثم مال اليتيم لا تاكلوه * ان مال اليتيم يرعاه والى
يابنى التخوم لا تخذلوها * ان خذل التخوم ذو عقال   يابنى الايام لا تأمنوها * واحذروا مكرها ومر الليالى
واعلموا ان مرها لنفاد الخلق ما كان من جديد وبالى   واجمعوا أمركم على البر والتقوى وترك الخنا وأخذ الحلال

وقال أبو قيس صرمة أيضا يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الاسلام وما خصهم الله به من نزول رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلاقى صديقا مواتيا   ويعرض فى (٢٣) اهل المواسم نفسه * فلم يرمن
يؤوى ولم يرداعيا
فلما أتانا اظهر الله دينه * فاصبح مسرورا بطيبة راضيا
وألفى صديقا واطمانت به النوى * وكان له عونا من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه * وما قال موسى اذ أجاب المناديا
فاصبح لا يخشى من الناس واحدا * قريبا ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الاموال من حل مالنا * وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم ان الله لا شئ غيره * ونعلم ان الله افضل هاديا
تعادى الذى عادى من الناس كلهم * جميعا وان كان الحبيب المصافيا   اقول اذا أدعوك فى كل بيعة * تباركت قد اكثرت لاسمك داعيا
أقول اذا جاوزت ارضا مخوفة * حنانيك لا تظهر على الاعاديا   فطأمعرضا ان الحتوف كثيرة * وانك لا تبقى لنفسك باقيا
فوالله مايدرى الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا   ولا تحفل النخل المقيمة ربها * اذا أصبحت ريا وأصبح ثاويا

«قال ابن هشام» البيت الذى اوله فطامعرضا ان الحتوف كثيرة والبيت الذى يليه فوالله مايدرى الفتى كيف يتقى لافنون التغلبى وهو صريم بن معشر فى ابيات له * قال ابن اسحق ونصبت عند ذلك احبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة بغيا وحسدا وضغنا لما خص الله تعالى به العرب من اخذه رسوله منهم وانضاف اليهم رجال من الاوس والخزرج ممن كان عسى على جاهليته فكانوا أهل نفاق على

والنسب القصيران يقول أنا ابن فلان فيعرف وتلك صفة الاشراف ومن ليس بشريف لا يعرف حتى يأتى بنسبة طويلة يبلغ بها رأس القبيلة وقد قال رؤبة قال لى النسابة من أنت انتسب فقلت رؤبة بن العجاج فقال قصرت وعرفت * وقوله * ان خذل التخوم ذو عقال * التخوم جمع تخومة ومن قال تخم فى الواحد وقال فى الجمع تخوم بضم التاء وأراد بها الارف وهى الحدود * وقال ابو حنيفة التخوم والتخوم حدود البلاد والقرى ولم يذكر فى حدود الاحقال الارف والعقال ما يمنع الرجل من المشى ويعقلها يريد ان الظلم يخلف صاحبه ويعقله عن السباق ويحبسه فى مضايق الاحتقاق * وذكر قصيدته اليائية وقال فيها فطا معرضاً البيت قال ابن هشام هو لافنون التغلبى واسمه صريم بن معشر ﴿قال المؤلف﴾ وسمى افنونا فى قول ابن دريد لبيت قاله فيه * منيتنا الوديا افنون مظنونا * أو نحو هذا اللفظ والافنون الغصن الناعم والافنون أيضاً العجوز الفانية وافنون هو الذى يقول

لواننى كنت من عاد ومن ارم * غذى بهم ولقمان وذى جدن
لما وقوا باخيهم من مهولة * أخا السكون ولا جاروا عن السنن
أنى جزوا عامراً سوأ بفعلهم * أم كيف يجزوننى السوأ من الحسن
أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به * ريان انف اذا ماضن باللبن

وقول ابن هشام فى البيتين فطا معرضاً والذى بعده انهما لافنون التغلبى مذكور عند أهل الاخبار ولها سبب ذكروا ان افنونا خرج فى ركب فمروا بربوة تعرف بالالهة وكان الكاهن قبل ذلك قد حدثه انه يموت بها فمر بها فى ذلك الركب فلما أشرفوا عليها واعلم باسمها كره المرور بها وأبوا أصحابه الا ان يمروا بها وقالوا له لا تنزل عندها ولكن نجوزها سعياً فلما دنا منها بركت به ناقته على حية فنزل لينظر فنهشته الحية فمات فقبره هنالك وقيل فى حديثه انه مر بها ليلا فلم يعرف بها حتى ربض به العير الذى كان عليه وعلم انه عند الالهة فجزع فقيل له لا بأس عليك فقال فلم ربض البعير فارسلها مثلا ذكره يعقوب وعند ما أحس بالموت قال هذين البيتين اللذين ذكر ابن اسحق وبعدهما

كفى حزنا ان يرحل الركب غدوة * وأترك فى جنب الالهة ثاويا

﴿ تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن ﴾

دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا ان الاسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه فظهروا بالاسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا فى السر وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم وجحودهم الاسلام وكانت احبار يهود هم الذين يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسئلون عنه الا قليلا من المسائل فى الحلال والحرام وكان المسلمون يسالون عنها منهم حيي بن اخطب وأخوه ابو ياسر بن اخطب وجد بن اخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع بن ابى الحقيق وسلام بن أبى الحقيق ابو رافع الاعور وهو الذى قتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر والربيع بن الربيع بن ابى الحقيق وعمرو بن جحاش وكعب بن الاشرف وهو من طيي ثم احد بنى نبهان وامه من بنى النضير والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الاشرف وكردم بن قيس حليف كعب بن الاشرف فهؤلاء من بنى النضير * ومن بنى ثعلبة بن الفطيون عبد الله بن صوريا الاعور ولم يكن بالحجاز فى زمانه احد أعلم بالتوراة منه وابن صلوبا ومخيريق وكان حبرهم * ومن بنى قينقاع زيد بن اللصيت ويقال ابن اللصيت فيما قال ابن هشام وسعد بن حنيف ومحمود بن سبحان وعزيز بن ابى عزيز وعبد الله بن صيف «قال ابن هشام» ويقال ابن ضيف * قال ابن اسحق وسويد بن الحرث ورفاعة بن قيس وفنحاص واشيع ونعمان ابن اضا وبحرى بن عمرو وشاش بن عدى وشاش بن قيس وزيد بن الحرث ونعمان بن عمرو وسكين بن ابى سكين وعدى بن زيد ونعمان بن ابى اوفى ابو انس ومحمود بن دحية ومالك بن الصيف «قال ابن هشام» ويقال ابن الضيف * قال ابن اسحق وكعب بن راشد وعازر ورافع بن ابى رافع وخالد وازار بن ابى ازار «قال ابن هشام» ويقال آزر بن آزر * قال ابن اسحق ورافع بن حارثة ورافع بن حريملة ورافع بن خارجة ومالك بن عوف ورفاعة بن زيد بن التابوت وعبد الله بن سلام بن الحرث وكان حبرهم وأعلمهم وكان اسمه الحصين فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله فهؤلاء من بنى قينقاع * ومن بنى قريظة الزبير بن باطا بن وهب وعزال بن سموال وكعب بن اسد وهو صاحب عقد بنى قريظة الذى نقض عام الاحزاب وشمويل بن زيد وجبل بن عمرو بن سكينة والنحام بن زيد وقردم بن كعب ووهب بن زيد ونافع بن ابى نافع وابو نافع وعدى بن زيد والحرث بن عوف وكردم بن زيد واسامة بن حبيب ورافع بن زميلة وجبل بن ابى قشير ووهب بن يهوذا فهؤلاء من بنى قريظة * ومن يهود بنى زريق لبيد بن اعصم وهو الذى اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه * ومن يهود بنى حارثة كنانة بن صوريا * ومن يهود بنى عمرو بن عوف قردم بن عمرو * ومن يهود بنى النجار سلسلة بن برهام فهؤلاء احبار اليهود وأهل العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأصحاب المسئلة والنصب لامر الاسلام الشرور ليطفؤه الا ما كان من عبد

ذكر فيهم جدى بن أخطب بالجيم وهو أخو حيي بن أخطب وأما حدى بالحاء فذكره الدارقطنى فى نسب عتيبة بن الحارث بن شهاب بن حدى التميمى فارس العرب * وذكر عزيز بن أبى عزيز وألفيت بخط الحافظ أبى بحر فى هذا الموضع يقول عزيز بن أبى عزيز بزايين قيدناه فى الجزء قبل * وذكر ثعلبة بن الفطيون والفطيون كلمة عبرانية وهى عبارة عن كل من ولى أمر اليهود وملكهم كما أن النجاشى عبارة عن كل من ملك الحبشة وخاقان ملك الترك وقد تقدم من هذا الباب جملة * وذكر فيهم عبد الله بن صوريى الاعور وكان أعلمهم بالتوراة ذكر النقاش أنه أسلم لما تحقق من صفات محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة وانه هو وليس فى سيرة ابن اسحاق ذكر اسلامه

﴿ فصل ﴾ وقوله ومن يهود بنى زريق ومن يهود بنى حارثة * وذكر قبائل من الانصار وانما اليهود بنو اسرائيل وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو اقينقاع غير أن فى الاوس والخزرج من قد تهود وكان من نسائهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها أن تهوده لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب وفى هؤلاء الابناء الذين تهودوا انزلت «لا اكراه فى الدين» حين أراد آباؤهم اكراههم على الاسلام فى أحد الاقوال وأما لبيد بن الاعصم الذى ذكره من يهود بنى زريق وقال هو الذى أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه يعنى من الاخذة وهى ضرب من السحر فى الخبر أن القاسم بن محمد بن الحنفية كان مؤخذاً عن مسجد النبى صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يدخله وكان لبيد هذا قد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل سحره فى مشط ومشاطة وروى مشاقة بالقاف وهى مشاقة الكتان وجف طلعة ذكر هى فحال النخل وهو ذكاره والجف غلاف للطلعة ويكون لغيرها ويقال للجف القيقاء وتصنع منه آنية يقال لها التلاتل قاله أبو حنيفة ودفنه فى بئر ذى أروان وأكثر أهل الحديث يقولون ذروان تحت راعوفة البئر وهى صخرة فى أسفله يقف عليها المائح وهذا الحديث مشهور عند الناس ثابت عند أهل الحديث غير انى لم أجد فى الكتب المشهورة كم لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك السحر حتى شفى منه ثم وقعت على البيان فى

جامع

جامع معمر بن راشد روى معمر عن الزهرى قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة يخيل اليه أنه يفعل الفعل وهو لا يفعله وقد طعنت المعتزلة فى هذا الحديث وطوائف من أهل البدع وقالوا لا يجوز على الانبياء أن يسحروا ولو جاز أن يسحروا لجاز أن يجنوا ونزع بعضهم بقوله عز وجل «والله يعصمك من الناس» والحديث ثابت خرجه أهل الصحيح ولا مطعن فيه من جهة النقل ولا من جهة العقل لان العصمة انما وجبت لهم فى عقولهم وأديانهم وأما أبدانهم فانهم يبتلون فيها ويخلص اليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل والاخذة التى أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفن انما كانت فى بعض جوارحه دون بعض * وأما قوله سبحانه «والله يعصمك من الناس» فانه قد روى انه كان يحرس فى الغزو حتى نزلت هذه الآية فأمر حراسه أن ينصرفوا عنه وقال لا حاجة لى بكم فقد عصمنى الله من الناس أو كما قال * وأما ما فيه من الفقه فان عائشة قالت له هلا تنشرت فقال أما أنا فقد شفانى الله وأكره أن أثير على الناس شرا وهو حديث مشكل فى ظاهره وانما جاء الاشكال فيه من قبل الرواة فانهم جعلوا جوابين لكلامين كلاما واحدا وذلك ان عائشة قالت له أيضا هلا استخرجته أى هلا استخرجت السحر من الجف والمشاطة حتى ينظر اليه فلذلك قال وأكره أن أثير على الناس شرا * قال ابن بطال كره أن يخرجه فيتعلم منه بعض الناس فذلك هو الشر الذى كرهه (قال المؤلف) ويجوز أن يكون الشر غير هذا وذلك ان الساحر كان من بنى زريق فلو أظهر سحره للناس وأراهم اياه لاوشك أن يريد طائفة من المسلمين قتله ويتعصب له آخرون من عشيرته فيثور شر كما ثار فى حديث الافك من الشر ما سيأتى بيانه وقول عائشة هلا استخرجته هو فى حديثين رواهما البخارى جميعا وأما جوابه لها فى حديث هلا تنشرت بقوله أما أنا فقد شفانى الله وجوابه لها حين قالت هلا استخرجته بان قال أكره أن أثير على الناس شرا فلما جمع الراوى بين الجوابين فى حديث واحد استغلق الكلام واذا نظرت الاحاديث متفرقة تبينت وعلى هذا النحو شرح هذا الحديث ابن بطال * وأما الفقه الذى أشرنا اليه فهو اباحة النشرة من قول عائشة هلا تنشرت ولم ينكر عليها قولها وذكر البخارى عن سعيد بن المسيب انه سئل عن النشرة للذى يؤخذ عن أهله فقال لا بأس لم ينه عن الصلاح انما نهى عن الفساد ومن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل ومن الناس من كره النشرة على العموم ونزع بحديث خرجه أبو داود مرفوعا ان النشرة من عمل الشيطان وهذا والله أعلم فى النشرة التى فيها الخواتم والعزائم وما لا يفهم من الاسماء العجمية ولولا الاطالة المخرجة لنا عن غرضنا لقدرنا الرخصة بالآثار وهذا القدر كاف والله المستعان وكانت عقد السحر أحد عشر عقدة فأنزل الله تعالى المعوذتين أحد عشر آية فانحلت بكل آية عقدة وقال تعالى «ومن شر النفاثات فى العقد» ولم يقل النفاثين وانما كان الذى سحره رجلا والجواب ان الحديث قد رواه اسماعيل القاضى وزاد فى روايته أن زينب اليهودية أعانت لبيد بن الاعصم على ذلك السحر مع ان الاخذة فى الغالب من عمل النساء وكيدهن

اسلام عبد الله بن سلام

سلام هو بتخفيف اللام ولا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف فى المسلمين لان السلام من أسماء الله فيقال عبد السلام ويقال سلام بالتشديد وهو كثير وانما سلام بالتخفيف فى اليهود وهو والد عبد الله بن سلام منهم * ذكر فيه قول عمته خالدة أهو النبى الذى كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة وهذا الكلام فى معنى قوله عليه السلام انى لاجد نفس الساعة بين كتفى وفى معنى قوله نذير لكم بين يدى عذاب شديد ومن كان بين يدى طالبه فنفس الطالب بين كتفيه وكان النفس فى هذا الحديث عبارة عن الفتن المؤذنة بقيام الساعة وكان

الله بن سلام ومخيريق

قال ابن اسحق وكان من حديث عبد الله بن سلام كما حدثنى بعض أهله عنه وعن اسلامه حين أسلم وكان حبرا عالما قال لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكف له فكنت مسرعا لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها وعمتى خالدة ابنة الحرث تحتى جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى خيبك الله والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت قال فقلت لها أى عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قال فقالت أى ابن أخى أهو النبى الذى كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة قال فقلت لها نعم قال فقالت فذاك اذا قال ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت ثم رجعت الى أهل بيتى فامرتهم فاسلموا قال وكتمت اسلامى من يهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله ان يهود قوم بهت وانى أحب ان تدخلنى فى بعض بيوتك وتغيبنى عنهم ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف انا فيهم قبل ان يعلموا اسلامى فانهم ان علموا به بهتونى وعابونى قال فادخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوته

ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ثم قال لهم أى رجل الحصين بن سلام فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم يامعشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته فانى أشهد انه رسول الله وأومن به وأصدقه واعرفه فقالوا كذبت ثم وقعوا بى فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور قال وأظهرت اسلامى واسلام أهل بيتى واسلمت عمتى خالدة بنت الحرث فحسن اسلامها

﴿ حديث مخيريق ﴾

قال ابن اسحق وكان من حديث مخيريق وكان حبرا عالما وكان رجلا غنيا كثير الاموال من النخل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجد فى علمه وغلب عليه الف دينه فلم يزل على ذلك حتى اذا كان يوم أحد وكان يوم أحد يوم السبت قال يامعشر يهود والله انكم لتعلمون ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان اليوم يوم السبت قال لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم باحد وعهد الى من وراءه من قومه ان قتلت هذا اليوم فاموالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما أراه الله فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يقول مخيريق خير يهود وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب انها قالت كنت أحب ولد أبى اليه والى عمى أبى ياسر لم ألقهما قط مع ولدهما الا أخذانى دونه قالت فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف غدا عليه أبى حيي بن أخطب وعمى أبو ياسر بن أخطب مغلسين قالت فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس قالت فاتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى قالت فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت الى واحد منهما مع ما بهما من الغم قالت وسمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لابى حيي بن أخطب أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما فى نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت * قال ابن اسحق وكان من انضاف الى يهود ممن سمى لنا من المنافقين من الاوس والخزرج والله أعلم * من الاوس ثم من بنى عمرو بن عوف بن

بدؤها حين ولى أمته ظهره خارجا من بين ظهرانيهم الى الله تعالى ألا تراه يقول فى حديث آخر وأنا أمان لامتى فاذا ذهبت أتى أمتى ما يوعدون فكانت بعده الفتنة ثم الهرج المتصل بيوم القيامة ونحو من هذا قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين يعنى السبابة والوسطى وهو حديث يرويه أنس بن مالك وابن بريدة عن أبيه وجبير بن مطعم وجابر بن سمرة وأبو هريرة وسهل بن سعد كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حديث سهل سبقتها بما سبقت هذه هذه يعنى الوسطى والسبابة وفى بعض ألفاظ الحديث ان كادت لتسبقنى ورواه أيضا أبو جبيرة فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئت أنا والساعة كهاتين سبقتها كما سبقت هذه هذه فى نفس من الساعة أو فى نفس الساعة خرجها الطبرى بجميع أسانيدها وبعضها فى الصحيحين وفى بعضها زيادة على بعض وخالدة بنت الحرث قد ذكر اسلامها وهى مما أغفله أبو عمر فى كتاب الصحابة وقد استدركناها عليه فى جملة الاستدراكات التى ألحقناها بكتابه * وذكر حديث مخيريق وقال فيه مخيريق خير يهود ومخيريق مسلم ولا يجوز أن يقال فى مسلم هو خير النصارى ولا خير اليهود لان أفعل من كذا اذا أضيف فهو بعض ما أضيف اليه (فان قيل) وكيف جاز هذا (قلنا) لانه قال خير يهود ولم يقل خير اليهود ويهود اسم علم كثمود يقال انهم نسبوا الى يهوذ بن يعقوب ثم عربت الذال دالا فاذا قلت اليهود بالالف واللام احتمل وجهين النسب والدين الذى هو اليهودية أما النسب فعلى حد قولهم التيم فى التيميين وأما الدين فعلى حد قولك النصارى والمجوس أعنى انها صفة لانها نسب الى أب وفى القرآن لفظ ثالث لا يتصور فيه الا معنى واحد وهو الدين دون النسب وهو قوله سبحانه «وقالوا كونوا هودا أو نصارى» بحذف الياء ولم يقل كونوا يهودا لانه اراد التهود وهو التدين بدينهم ولو قال كونوا يهودا بالتدين لجاز أيضا على أحد الوجهين المتقدمين ولو قيل لقوم من العرب كونوا يهود بغير تنوين لكان محالا لان تبديل النسب حقيقة محال وقد قيل فى هود جمع هائد وهو فى معنى ما قلناه فلتعرف الفرق بين قولك هودا بغير ياء ويهوديا بالياء والتنوين ويهود بغير تنوين فانها تفرقة حسنة صحيحة والله أعلم ولم يسلم من احبار يهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنان وقد جاء فى الحديث لو اتبعنى عشرة من اليهود لم يبق فى الارض يهودى الا اتبعنى رواه أبو هريرة وسمع كعب الاحبار أبا هريرة يحدث فقال له انما الحديث اثنا عشر من اليهود ومصداق ذلك فى القرآن وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا فسكت أبو هريرة قال ابن سيرين أبو هريرة أصدق من كعب قال يحيي بن سلام كلاهما صدق لان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أراد لو اتبعنى عشرة من اليهود بعد هذين اللذين قد أسلما

﴿ فصل ﴾ وذكر نبتلا من المنافقين قال وكان أدلم والادلم الاسود الطويل من كل شىء وقيل لجماعة النمل

ديلم

مالك بن الاوس ثم من بنى لوذان بن عمرو بن عوف زرى بن الحرث *ومن بنى حبيب بن عمرو بن عوف جلاس بن سويد بن الصامت وأخوه الحرث بن سويد وجلاس الذى قال وكان ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر فرفع ذلك من قوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن سعد أحدهم وكان فى حجر جلاس خلف على أمه بعد أبيه فقال له عمير بن سعد والله ياجلاس انك لاحب الناس الى وأحسنه عندى يدا وأعزه على ان يصيبه شىء يكرهه ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها ليهلكن دينى ولاحداهما أيسر على من الاخرى ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ماقال جلاس فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كذب على عمير وماقلت ماقال عمير بن سعد فانزل الله عز وجل فيه يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بمالم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة ومالهم فى الارض من ولى ولا نصير «قال ابن هشام» الاليم الموجع قال ذو الرمة يصف ابلا

وترفع من صدور شمردلات * يصك وجوهها وهج أليم

وهذا البيت فى قصيدة له *قال ابن اسحق فزعموا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الخير والاسلام وأخوه الحرث بن سويد الذى قتل المجذر بن ذياد البلوى وقيس بن زيد أحد بنى ضبيعة يوم أحد خرج مع المسلمين وكان منافقا فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش «قال ابن هشام» وكان المجذر بن ذياد قتل سويد ابن صامت فى بعض الحروب التى كانت بين الاوس والخزرج فلما كان يوم أحد طلب الحرث بن سويد غرة المجذر بن ذياد ليقتله بابيه فقتله وحده وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول والدليل على انه لم يقتل قيس بن زيد ان ابن اسحق لم يذكره فى قتلى أحد *قال ابن اسحق قتل سويد بن صامت معاذ بن عفراء غيلة فى غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به ففاته فكان بمكة ثم بعث الى أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع الى قومه فانزل الله تبارك وتعالى فيه فيما بلغنى عن ابن عباس كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين الى آخر القصة *ومن بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بجاد بن عثمان بن عامر *ونبتل بن الحرث وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان رجلا جسيما ادلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين وكان ياتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتحدث اليه فيسمع منه ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذى قال انما محمد أذن من حدثه شيا صدقه فأنزل الله عز وجل فيه ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم *قال ابن اسحق وحدثنى بعض رجال بلعجلان انه حدث أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انه يجلس اليك رجل أدلم ثائر شعر الرأس أسفع الخدين أحمر العينين كأنهما قدران من صفر كبده أغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك الى المنافقين فاحذره وكانت تلك صفة نبتل بن الحرث فيما يذكرون * ومن بنى ضبيعة ابو حبيبة بن الازعر وكان ممن بنى مسجد الضرار *وثعلبة بن حاطب *ومعتب بن قشير وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى آخر القصة ومعتب الذى قال يوم أحد لو كان لنا من الامر شىء ماقتلنا ههنا فأنزل الله فى ذلك من قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم الى آخر القصة وهو الذى قال يوم الاحزاب كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب الى الغائط فانزل الله عز وجل فيه واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا * والحرث بن حاطب «قال ابن هشام» معتب بن قشير وثعلبة والحرث ابنا حاطب وهما من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم وقد نسب ابن اسحق ثعلبة والحرث فى بنى أمية بن زيد فى أسماء أهل بدر *قال ابن اسحق وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف *وبحزج وهم ممن كان بنى مسجد الضرار* وعمرو بن خذام *وعبد الله بن نبتل *ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف جارية بن عامر بن العطاف وابناه زيد ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع من القرآن أكثره وكان يصلى بهم فيه ثم انه لما أخرب المسجد وذهب رجال من بنى عمرو

ديلم لسوادهم من كتاب العين * وذكر الحرث بن سويد وقتله للمجذر بن ذياد واسم المجذر عبد الله والمجذر الغليظ الخلق * وذكر ان الله تعالى أنزل فى الحرث بن سويد وارتداده «كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم» فقيل ان هذه الآية مقصورة على سببها مخصوصة بمن سبق فى علم الله انه لا يهديه من كفره ولا يتوب عليه من ظلمه والا فالتوبة مفروضة وقد تاب قوم بعد ارتدادهم فقبلت توبتهم وقيل ليس فيها نفى لقبول التوبة فانه قال كيف يهدى الله ولم يقل لا يهدى الله على انه قد قال فى آخرها والله لا يهدى القوم الظالمين

ابن عوف كانوا يصلون ببنى عمرو بن عوف فى مسجدهم وكان زمان عمر بن الخطاب كلم فى مجمع ليصلى بهم فقال لا أوليس بامام المنافقين فى مسجد الضرار فقال لعمر يا أمير المؤمنين والله الذى لا اله الا هو ما علمت بشئ من أمرهم ولكنى كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا لا قرآن معهم فقدمونى اصلى بهم وما أرى أمرهم الا على أحسن مما يذكرون فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه * ومن بنى أمية بن زيد بن مالك وديعة ابن ثابت وهو ممن بنى مسجد الضرار وهو الذى قال انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله تبارك وتعالى فيهم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن الى آخر القصة * ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك خذام بن خالد وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره « قال ابن هشام » و بشر ورافع ابنا زيد * ومن بنى النبيت قال ابن هشام النبيت عمرو بن مالك بن الاوس * قال ابن اسحق ثم من بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * مربع بن يقظى وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد الى أحد لا أحل لك يا محمد ان كنت نبيا ان تمر فى حائطى وأخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر فضربه سعد بن زيد أخو بنى عبد الاشهل بالقوس فشجه * وأخوه أوس بن قيظى وهو الذى يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ان بيوتنا عورة فاذن لنا فلنرجع اليها فانزل الله تبارك وتعالى فيه يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا « قال ابن هشام » عورة أى معورة للعدو وضائعة وجمعها عورات قال النابغة الذبيانى

متى تلقهم لا تلق للبيت عورة *
ولا الجار محروما ولا الامر ضائعا

وهذا البيت فى أبيات له وجمعها عورات والعورة أيضا عورة الرجل وهى حرمته والعورة أيضا السوأة * قال ابن اسحق ومن بنى ظفر واسم ظفر كعب بن الحرث بن الخزرج حاطب بن أمية بن رافع وكان شيخا جسيما قد عسى فى جاهليته وكان له ابن من أخيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات فحمل الى دار بنى ظفر * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة انه اجتمع اليه من بها من رجال المسلمين ونساؤهم وهو بالموت فجعلوا يقولون ابشر يا ابن حاطب بالجنة قال فنجم نفاقه قال يقول أبوه أجل جنة من حومل غررتم والله هذا المسكين من نفسه * قال ابن اسحق و بشير بن أبيرق وهو أبو طعمة سارق الدرعين الذى أنزل الله تعالى فيه ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما * وقزمان حليف لهم * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انه لمن أهل النار فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا حتى قتل بضعة نفر من المشركين فاثبتته الجراحات فحمل الى دار بنى ظفر فقال له رجال من المسلمين ابشر يا قزمان فقد أبليت اليوم وقد أصابك ما ترى فى الله قال بماذا أبشر فوالله ما قاتلت الا حمية عن قومى فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهما من كنانته فقطع به رواهش يده فقتل نفسه * قال ابن اسحق ولم يكن فى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة يعلم الا أن الضحاك بن ثابت أحد بنى كعب رهط سعد بن زيد قد كان يتهم بالنفاق وحب يهود وكان جلاس بن سويد بن صامت قبل توبته فيما بلغنى ومعتب بن قشير ورافع بن زيد و بشر كانوا يدعون بالاسلام فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين فى خصومة كانت بينهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعوهم الى الحكام حكام أهل الجاهلية فانزل الله عز وجل فيهم ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا الى آخر القصة * ومن الخزرج ثم من بنى النجار رافع بن وديعة وزيد بن عمرو وعمرو بن قيس وقيس بن عمرو بن سهل * ومن بنى جشم بن الخزرج ثم من بنى سلمة الجد بن قيس وهو الذى يقول يا محمد ائذن لى ولا تفتنى فانزل الله تعالى فيه ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين الى آخر القصة * ومن بنى عوف بن الخزرج عبد الله بن أبى ابن سلول وكان رأس المنافقين واليه يجتمعون وهو الذى قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فى غزوة بنى المصطلق وفى قوله ذلك نزلت سورة المنافقين باسرها وفيه وفى وديعة رجل من بنى عوف ومالك بن أبى قوقل وسويد وداعس وهم من رهط عبد الله بن أبى ابن سلول وعبد الله بن أبى بن سلول وهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسون الى بنى النضير حين حاصرهم رسول الله

وذلك يرجع الى الخصوص كما قدمنا أو الى معنى الهداية فى الظلمة التى عند الصراط بالنور التام يوم القيامة فان ذلك منتف عمن مات غير تائب من كفره وظلمه والله أعلم

﴿ ذكر حديث بشير بن أبيرق سارق الدرعين ﴾

وذكر « ان الله أنزل فيه ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم » الآية وكان من قصة الدرعين وقصة بشير ان بنى أبيرق وهم ثلاثة بشير ومبشر و بشير نقبوا مشربة أو نقبها بشير وحده على ما قال ابن اسحق وكانت المشربة لرفاعة بن زيد وسرقوا ادراعاله وطعاما فعثر على ذلك فجاء ابن أخيه قتادة بن النعمان يشكو بهم الى رسول
الله

صلى الله عليه وسلم ان اثبتوا فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون ثم القصة من السورة حتى انتهى الى قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين * بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى قال حدثنا محمد بن اسحق المطلبى قال وكان ممن تعوذ بالاسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود من بنى قينقاع * سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ونعمان ابن أوفى بن عمرو وعثمان بن أوفى * وزيد بن اللصيت الذى قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسوق بنى قينقاع وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم محمد انه ياتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه الخبر بما قال عدو الله فى رحله ودل الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته ان قائلا قال يزعم محمد أنه ياتيه خبر السماء ولا يدرى أين ناقته وانى والله ما أعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها فهى فى هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها فاذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف * ورافع ابن حريملة وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حين مات قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين * ورفاعة ابن زيد بن التابوت وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح وهو قافل من غزوة بنى المصطلق فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذى هبت فيه الريح * وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزؤن بدينهم فاجتمع يوما فى المسجد منهم ناس فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فامر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا فقام أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الى عمرو بن قيس أحد بنى غنم بن مالك بن النجار كان صاحب آلهتهم فى الجاهلية فاخذ برجله فسحبه حتى أخرجه من المسجد وهو يقول أتخرجنى يا أبا ايوب من مربد بنى ثعلبة ثم اقبل أبو أيوب أيضا الى رافع بن وديعة احد بنى النجار فلببه بردائه ثم نتره نترا شديدا ولطم وجهه ثم أخرجه من المسجد وأبو ايوب يقول له أف لك منافقا خبيثا ادراجك «قال ابن هشام» أى ارجع من الطريق التى جئت منها قال الشاعر فولى وأدبر ادراجه * وقد باء بالظلم من كان ثم يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقام عمارة بن حزم الى زيد بن عمرو وكان رجلا طويل اللحية فاخذ بلحيته فقاده بها قودا عنيفا حتى أخرجه من المسجد ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدمه بهما فى صدره لدمة خر منها قال يقول خدشتنى يا عمارة أبعدك الله يا منافق

الله صلى الله عليه وسلم فجاء أسيد بن عروة بن أبيرق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان هؤلاء عمدوا الى أهل بيت هم أهل صلاح ودين فابنوهم بالسرقة ورموهم بها من غير بينة وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتادة ورفاعة فانزل الله تعالى «ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم» الآية وأنزل الله عز وجل ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وكان البرىء الذى رموه بالسرقة لبيد بن سهل قالوا ما سرقناه وانما سرقه لبيد بن سهل فبرأه الله فلما أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل هرب ابن أبيرق السارق الى مكة ونزل على سلافة بنت سعد بن شهيد فقال فيها حسان بن ثابت بيتا يعرض فيه بها فقالت انما أهديت لى شعر حسان وأخذت رحله وطرحته خارج المنزل وقالت حلقت وسلقت وخرقت ان بت فى منزلى ليلة سوداء فهرب الى خيبر ثم انه نقب بيتا ذات ليلة فسقط الحائط عليه فمات ذكر هذا الحديث بكثير من ألفاظه الترمذى وذكره الكشى والطبرى بالفاظ مختلفة وذكر قصة موته يحيى بن سلام فى تفسيره ووقع اسمه فى أكثر التفاسير طعمة بن أبيرق وفى كتب الحديث بشير بن ابيرق وقال ابن اسحق فى رواية يونس بن بكير عنه بشير أبو طعمة فليس طعمة اذا اسماله وانما هو أبو طعمة كما ذكر ابن اسحق فى هذه الرواية والله أعلم وفى رواية يونس ايضا ان الحائط الذى سقط عليه كان بالطائف لا بخيبر كما قال ابن سلام وان اهل الطائف قالوا حينئذ ما فارق محمدا من اصحابه من فيه خير والابيات التى رمى بها حسان المراة وهى من بنى عمرو بن عوف وقد تقدم اسمها

وما سارق الدرعين اذ كنت ذاكرا * بذى كرم من الرجال اوادعه
وقد انزلته بنت سعد فاصبحت * ينازعها جار استها وتنازعه
ظننتم بان يخفى الذى قد صنعتم * وفيكم نبى عنده الوحى واضعه

وقع هذا البيت فى كتاب سيبويه * وذكر الشعر والخبر بطوله ابن اسحق فى رواية يونس عنه

فما اعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» واللدم الضرب ببطن الكف قال تميم بن أبي مقبل وللفؤاد وجيب تحت ابهره * لدم الوليد وراء الغيب بالحجر «قال ابن هشام» الغيب ما انخفض من الارض والابهر عرق القلب * قال ابن اسحق وقام ابو محمد رجل من بنى النجار كان بدريا وأبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الى قيس بن عمرو بن سهل وكان قيس غلاما شابا وكان لا يعلم فى المنافقين شاب غيره فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه من المسجد * وقام رجل من بلخدرة بن الخزرج رهط أبي سعيد الخدرى يقال له عبد الله بن الحرث حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخراج المنافقين من المسجد الى رجل يقال له الحرث بن عمرو وكان ذا جمة فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على مامر به من الارض حتى أخرجه من المسجد قال يقول المنافق لقد أغلظت يا ابن الحرث فقال له انك أهل لذلك أى عدو الله لما أنزل الله فيك فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك نجس * وقام رجل من بنى عمرو بن عوف الى أخيه زوى بن الحرث فاخرجه من المسجد اخراجا عنيفا وأفف منه وقال غلب (٣٠) عليك الشيطان وأمره فهؤلاء ممن حضر المسجد يومئذ من المنافقين وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخراجهم

ففى هؤلاء من أحبار يهود والمنافقين من الاوس والخزرج نزل صدر من سورة البقرة الى المائة منها فيما بلغنى والله أعلم يقول الله سبحانه وبحمده ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه أى لا شك فيه «قال ابن هشام» قال ساعدة بن جؤية الهذلى

فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به
فلا ريب أن قد كان ثم لحيم

وهذا البيت فى قصيدة له والريب أيضا الريبة قال خالد بن زهير الهذلى

* كانى أريبه بريب * «قال ابن هشام» ومنهم من يرويه * كانى أربته بريب * وهذا البيت فى أبيات له وهو بالغيب

ابن أخى أبى ذؤيب الهذلى هدى للمتقين أى الذين يحذرون من الله عقوبته فى ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أى يقيمون الصلاة بفرضها ويؤتون الزكاة احتسابا لها والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك اى يصدقونك بما جئت به من الله وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاءهم به من ربهم وبالآخرة هم يوقنون اى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان اى هؤلاء الذين يزعمون انهم آمنوا بما كان من قبلك وبما جاءك من ربك اولئك على هدى من ربهم اى على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم واولئك هم المفلحون اى الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا ان الذين كفروا اى بما انزل اليك وان قالوا انا قد آمنا بما جاءنا قبلك سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون اى انهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك وجحدوا ما اخذ عليهم من الميثاق لك فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يستمعون منك انذارا أو تحذيرا وقد كفروا بما عندهم من علمك ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة اى عن الهدى ان يصيبوه ابدا يعنى بما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به وان آمنوا بكل ما كان قبلك ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم

﴿ فصل ﴾ وانشد ابن هشام * لدم الوليد وراء الغيب بالحجر * والبيت لتميم بن ابى ابن مقبل واللدم الضرب والغيب الغائر من الارض * وذكر ابن اسحق فى باب اخراج المنافقين من المسجد ابا محمد وقال هو رجل من بنى النجار ولم يعرفه باكثر من هذا وهو ابو محمد مسعود بن اوس بن زيد بن اصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار يعد فى الشاميين وهو الذى زعم ان الوتر واجب فقال عبادة كذب ابو محمد وهو معدود فى البدريين عند الواقدى وطائفة ولم يذكره ابن اسحق فيهم

﴿ فصل ﴾ وذكر ما انزل الله فى المنافقين والاحبار من يهود من صدر سورة البقرة واستشهد ابن هشام على الريب بمعنى الريبة بقول خالد بن زهير بن اخت ابى ذؤيب واسم ابى ذؤيب خويلد بن خالد والرجز الذى استشهد ببيت منه

يا قوم مالى وابا ذؤيب * كنت اذا اتيته من غيب
يشم عطفى ويمس ثوبى * كانى اربته بريب

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته فلذلك قال هذا * وذكر ابن اسحق والذين يقيمون الصلاة وأغفل التلاوة وانما هو الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وكذلك وجدته منبها عليه فى حاشية الشيخ وفى الايمان بالغيب أقوال منها ان الغيب ههنا ما بعد الموت من أمور الآخرة ومنها ان الغيت القدر ومنها قول من قال ان الغيب القلب أى يؤمنون بقلوبهم وقيل يؤمنون بالغيب أى بالله عز وجل وأحسن ما فى هذه الاقوال قول الربيع بن أنس اى يؤمنون بظهر الغيب أى ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون اذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون اذا غابوا عنهم ويدل على صحة هذا التأويل بسياقة الكلام مع قوله عز وجل يخشون ربهم

فهذا فى الاحبار من يهود فيما كذبوا به من الحق بعد معرفته ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر وماهم بمؤمنين يعنى المنافقين من الاوس والخزرج ومن كان على امرهم يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون الا انفسهم ومايشعرون فى قلوبهم مرض اى شك فزادهم الله مرضا شكا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون اى انما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب يقول الله تعالى ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحق وخلاف ماجاء به الرسول قالوا انا معكم أى انا على مثل ماأنتم عليه انما نحن مستهزؤن أى انما نستهزئ بالقوم ونلعب بهم يقول الله عزوجل الله يستهزئ بهم و يمدهم فى طغيانهم يعمهون «قال ابن هشام» يعمهون يحارون تقول العرب رجل عمه وعامه أى حيران قال رؤبة بن العجاج يصف بلدا

أعمى الهدى بالجاهلين العمه *

وهذا البيت فى ارجوزة له والعمه جمع عامه وأما عمه فجمعه عمهون والمرأة عمهة وعمهاء أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أى الكفر بالايمان فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * قال ابن اسحق ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون أى يبصرون الحق و يقولون به حتى اذا خرجوا به من ظلمة الكفر اطفؤه بكفرهم به و نفاقهم فيه فتركهم الله فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق صم بكم عمى فهم لا يرجعون أى لا يرجعون الى هدى صم بكم عمى عن الخير لا يرجعون (٣١) الى خير ولا يصيبون تجارة ما كانوا على ماهم عليه أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين «قال ابن هشام» الصيب المطر وهو من صاب يصوب مثل قولهم السيد من ساد يسود والميت من مات يموت وجمعه صبايب قال علقمة بن عبدة احد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم

كانهم صابت عليهم سحابة * صواعقها لطيرهن دبيب
فلا تعدلى بينى و بين مغمر * سقيت روايا المزن حين تصوب

وهذان البيتان فى قصيدة له * قال ابن اسحق أى هم من ظلمة ماهم فيه من الكفر والحذر من القتل على الذى هم عليه من الخلاف والتخوف لكم على مثل ماوصف من الذى هو ظلمة الصيب يجعل أصابعه فى اذنيه من الصواعق حذر الموت يقول الله والله منزل ذلك بهم من النقمة أى محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم اى لشدة ضوء البرق كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا أى يعرفون الحق و يتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة فاذا ارتكسوا منه الى الكفر قاموا متحيرين ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم أى لما تركوا من الحق بعد معرفته ان الله على كل شئ قدير ثم قال ياايها الناس اعبدوا ربكم للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين اى وحدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون «قال ابن هشام» الانداد الامثال و واحدهم ند قال لبيد بن ربيعة

احمد الله فلا ندله * بيديه الخير ماشاء فعل

وهذا البيت فى قصيدة له قال ابن اسحق أى لا تشركوا بالله غيره من الانداد التى لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون انه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذى يدعوكم اليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا أى فى شك مما جاءكم به فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله أى من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد تبين لكم الحق فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين اى لمن كان على مثل ماانتم عليه من الكفر ثم رغبهم وحذرهم نقض الميثاق الذى أخذ عليهم لنبيه صلى

بالغيب فلا يحتمل قوله يخشون ربهم بالغيب الا تأويلا واحدا فاليه يرد مااختلف فيه وقوله سبحانه لا ريب فيه وقد ارتاب فيه كثير من الناس قيل هو على الخصوص فى المؤمنين أى لا ريب فيه عندهم «قال المؤلف» رضى الله عنه وهذا ضعيف لان التبرئة تعطى العموم وأصح منه ان الكلام ظاهره الخبر ومعناه النهى أى لا ترتابوا وهذا النهى عام لا يخصص وأدق من هذا ان يكون خبرا محضا عن القرآن أى ليس فيه مايريب تقول رابنى منك كذا وكذا اذا رأيت ماتنكر وليس فى القرآن ماتنكره العقول والريب وان كان مصدرا فقد يعبر به عن الشىء الذى يريب كما يعبر بالضيف عن الضائف و بالطيف عن الخيال الطائف و يشهد لهذا المعنى قوله تعالى «ليوم لا ريب فيه» فهذا خبر لان النهى لا يكون فى موضع الصفة * وقوله لا ريب فيه فى موضع الصفة ليوم والحياة بعد الموت ليس فيه مايريبك لان من قدر على البدءة فهو على الاعادة أقدر وليس الريب بمعنى الشك على الاطلاق لانك تقول رابنى منك رائب ولا تقول شكنى بل تقول ارتبت كما تقول شككت فالارتياب قريب من الشك * وذكر قول الله سبحانه فى قلوبهم مرض وأصل المرض

الله عليه وسلم اذا جاءهم وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم وشأن أبيهم آدم عليه السلام وأمره وكيف صنع به حين خالف عن طاعته ثم قال يابنى اسرائيل للاحبار من يهود اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم أى بلائى عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم به من فرعون وقومه وأوفوا بعهدى الذى اخذت فى اعناقكم لنبيى احمد اذا جاءكم أوف بعهدكم انجز لكم ما وعدتكم على تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والاغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من احداثكم واياى فارهبون اى ان انزل بكم ما انزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التى قد عرفتم من المسخ وغيره وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم واياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون اى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به وانتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون اى اتنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون انفسكم اى وانتم تكفرون بما فيها من عهدى اليكم فى تصديق رسولى وتنقضون ميثاقى وتجحدون ما تعلمون من كتابى ثم عدد عليهم أحداثهم فذكر لهم العجل وما صنعوا فيه وتوبته عليهم واقالته اياهم ثم قولهم أرنا الله جهرة «قال ابن هشام» جهرة اى ظاهرا لنا لا شىء يستره عنا قال ابو الاخزر الحمانى واسمه قتيبة * يجهر اجواف المياه السدم * وهذا البيت فى ارجوزة له يجهر يقول يظهر الماء ويكشف عنه ما يستره من الرمل وغيره * قال ابن اسحق وأخذ الصاعقة اياهم عند ذلك لغرتهم ثم احياءه اياهم بعد موتهم وتظليله عليهم الغمام وانزاله عليهم المن والسلوى وقوله لهم ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة اى قولوا ما امركم به احط به ذنوبكم عنكم وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بامره واقالته اياهم ذلك بعد هزئهم «قال ابن هشام» المن شىء كان يسقط فى السحر على شجرهم فيجتنونه حلوا مثل العسل يشربونه ويأكلونه * قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة

لوأطعموا المن والسلوى مكانهم * ماأبصر الناس طعما فيهم نجعا

وهذا البيت فى قصيدة له والسلوى طير واحدتها سلواة ويقال انها السمانى ويقال للعسل أيضا السلوى وقال خالد بن زهير الهذلى

وقاسمها بالله حقا لانتم * ألذ من السلوى اذا ما نشورها

وهذا البيت فى قصيدة له وحطة أى حط عنا ذنوبنا * قال ابن اسحق وكان من تبديلهم ذلك كما حدثنى صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة بنت أمية بن خلف عن أبى هريرة ومن لا أتهم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلوا الباب الذى أمروا أن يدخلوا منه سجدا يزحفون وهم يقولون حنطة فى شعير «قال ابن هشام» ويروى حنطة فى شعيرة * قال ابن اسحق واستسقاء موسى لقومه وأمره أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين يشربون منها قد علم كل سبط عينه التى منها يشرب وقولهم لموسى عليه السلام لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها «قال ابن هشام» الفوم الحنطة قال أمية بن أبى الصلت الثقفى

فوق شيزى مثل الجوابى عليها * قطع كالوذيل فى نقى فوم

«قال ابن هشام» الوذيل قطع الفضة وواحدتها وذيلة وهذا البيت فى قصيدة له وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم * قال ابن اسحق فلم يفعلوا ورفعه الطور فوقهم ليأخذوا ما أتوا والمسخ الذى كان فيهم اذ جعلهم قردة باحداثهم والبقرة التى أراهم الله عز وجل بها العبرة فى القتيل الذى اختلفوا فيه حتى بين الله لهم أمره بعد التردد على موسى عليه السلام فى صفة البقرة وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله أى وان من الحجارة لالين من قلوبكم عما تدعون اليه من الحق وما الله بغافل عما تعملون ثم قال لمحمد عليه السلام ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وليس قوله يسمعون التوراة كلهم قد سمعها ولكنه فريق منهم أى خاصة * قال ابن اسحق فيما بلغنى عن بعض أهل العلم قالوا لموسى يا موسى قد حيل بيننا وبين رؤية الله فاسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى من ربه فقال له نعم مرهم فليتطهروا وليطهروا ثيابهم وليصوموا ففعلوا ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سجدا وكلمه ربه فسمعوا كلامه تبارك وتعالى يأمرهم وينهاهم حتى عقلوا عنه ما سمعوا ثم انصرف بهم الى بنى اسرائيل فلما جاءهم حرف فريق منهم ما أمرهم به وقالوا حين قال موسى لبنى اسرائيل ان الله قد أمركم

الضعف وفتور الاعضاء وهو ههنا ضعف اليقين وفتور القلب عن كد النظر وعطف فزادهم الله وان كان الفعل لا يعطف على الاسم ولا على مثل هذه الجملة لو قلت فى الدار زيد فاعطيته درهما لم يجز ولكن لما كان فى معنى قوله فى قلوبهم مرض كمعنى مرضت قلوبهم صح عطف الفعل عليه * وذكر قوله سبحانه يابنى اسرائيل وهم فى التلاوة فقال يا أهل الكتاب كما هم فى أول السورة وبنو اسرائيل هم بنو يعقوب وكان يسمى اسرائيل أى سرى الله لكن لم يذكروا فى القراءة الا أضيفوا الى اسرائيل ولم يسموا فيه بنو يعقوب ومتى

بكذا وكذا قال ذلك الفريق الذى ذكر الله انما قال كذا وكذا خلا فلما قال الله لهم فهم الذين عنى الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أى ان صاحبكم رسول الله عليه السلام ولكنه اليكم خاصة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا لاتحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم وكان فيهم فانزل الله عز وجل فيهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أى تقرون بانه نبى وقد عرفتم انه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبركم انه النبى الذى كنا ننتظر ونجد فى كتابنا اجحدوه ولا تقروا لهم به يقول الله عز وجل أولا يعلمون ان الله يعلم مايسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى «قال ابن هشام» الأمانى الاقراءة لان الامى الذى يقرأ ولا يكتب يقول لا يعلمون الكتاب الا يقرؤنه «قال ابن هشام» حدثنى أبو عبيدة بذلك» قال ابن هشام» وحدثنى يونس بن حبيب النحوى وأبو عبيدة ان العرب تقول تمنى فى معنى قرأ وفى كتاب الله تبارك وتعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته وأنشدنى أبو عبيدة النحوى

تمنى كتاب أول ليله * وآخره وافى حمام المقادر

وأنشدنى أيضا

تمنى كتاب فى الليل خاليا * تمنى داود الزبور على رسل

والامانى أيضا أن يتمنى الرجل المال أو غيره * قال ابن اسحق وان هم الا يظنون أى لا يعلمون الكتاب ولا يدرون مافيه وهم يجحدون نبوتك بالظن وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون * قال ابن اسحق وحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول انما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب الله الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا فى النار من أيام الآخرة وانما هى سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فانزل الله جل ثناؤه فى ذلك من قولهم وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته أى من عمل بمثل اعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بماله عند الله من حسنة فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أى خلد أبدا والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اى من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها يخبرهم ان الثواب بالخير والشر مقيم على اهله ابدا لا انقطاع له * قال ابن اسحق ثم قال يؤنبهم واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل اى ميثاقكم لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون اى تركتم ذلك كله ليس بالتنقص واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم «قال ابن هشام» تسفكون تصبون تقول العرب سفك دمه اى صبه وسفك الزق اى هراقه قال الشاعر

وكنا اذا ما الضيف حل بارضنا * سفكنا دماء البدن فى تربة الحال

«قال ابن هشام» يعنى بالحال الطين يخالطه الرمل وهو الذى تقول له العرب السهلة وقد جاء فى الحديث ان جبريل لما قال فرعون آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل أخذ من حال الارض فضرب به وجه فرعون والحال مثل الحمأة ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون * قال ابن اسحق على ان هذا حق من ميثاقى عليكم ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان أى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم وتخرجون من ديارهم معهم وان يأتوكم أسارى تفادوهم فقد عرفتم ان ذلك عليكم فى دينكم وهو محرم عليكم فى كتابكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أتفادونهم مؤمنين بذلك وتخرجونهم كفارا بذلك فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون فأنبهم الله عز وجل بذلك من فعلهم وقد حرم الله عليهم فى التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء اسراهم فكانوا فريقين فريق منهم بنو قينقاع ولفهم حلفاء الخزرج والنضير وقريظة ولفهم حلفاء الاوس فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الاوس يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على اخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم والاوس والخزرج أهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ولا كتابا ولا حلالا ولا حراما فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لما فى التوراة وأخذ به بعضهم من بعض تفتدى بنو قينقاع ما كان من أسراهم فى أيدى الاوس وتفتدى النضير وقريظة ما فى أيدى الخزرج منهم ويطلون ما أصابوا من الدماء وقتلى من قتلوا

ومتى ذكر ابراهيم واسحق ويعقوب لم يسم اسرائيل وذلك لحكمة فرقانية وهى ان القوم لما خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتنبيها من غفلتهم سموا بالاسم الذى فيه تذكرة بالله فان اسرائيل اسم مضاف الى الله تعالى فى التأويل الا ترى كيف نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

منهم فيما بينهم مظاهرة لاهل الشرك عليهم يقول الله تعالى لهم حين انباهم بذلك أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أى تفادیه بحكم التوراة وتقتله وفى حكم التوراة أن لا تفعل وتخرجه من داره وتظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الاوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا ففى ذلك من فعلهم مع الاوس والخزرج فيما بلغنى نزلت هذه القصة * ثم قال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات أى الآيات التى وضع على يديه من احياء الموتى وخلقه من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابراء الاسقام والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون فى بيوتهم وما رد عليهم مع التوراة والانجيل الذى أحدث الله اليه ثم ذكر كفرهم بذلك كله فقال أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ثم قال تعالى وقالوا قلوبنا غلف أى فى أكنة يقول الله عز وجل بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * قال ابن اسحق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قال قالوا فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة كنا قد علوناهم فى الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا ان نبيا يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم من قريش فاتبعناه وكفروا به يقول الله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده أى أن جعله فى غيرهم فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين «قال ابن هشام» فباؤا بغضب أى اعترفوا به واحتملوه قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة

أصاب الحكم حتى تبوؤا بمثله * كصرخة حبلى يسرتها قبيلها

وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق فالغضب على الغضب بغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهى معهم وغضب بكفرهم بهذا النبى صلى الله عليه وسلم الذى أحدث الله اليهم * ثم أنبهم برفع الطور عليهم واتخاذهم العجل الهادون (٣٤) ربهم يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أكذب عند الله فابوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام ولن يتمنوه ابدا بما قدمت أيديهم أى لعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر فذلك فيقال لو تمنوه يوم قال ذلك بهم ما بقى على وجه الارض يهودى الامات ثم ذكر رغبتهم فى الحياة وطول العمر فقال تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة اليهود ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر أى ما هو بمنجيه من العذاب وذلك ان المشرك لا يرجو بعثا بعد الموت فهو يحب طول الحياة وان اليهودى قد عرف ماله فى الآخرة من الخزى بما ضيع مما عنده من العلم ثم قال الله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين المكى عن شهر بن حوشب الاشعرى أن نفرا من أحبار يهود جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا عن أربع نسئلك عنهن فان فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقننى قالوا نعم قال فاسئلوا عما بدا لكم قالوا فاخبرنا كيف يشبه الولد أمه وانما النطفة من الرجل قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله وبايامه عند بنى اسرائيل هل تعلمون ان نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فايتهما غلبت صاحبتها كان لها الشبه قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا كيف نومك فقال أنشدكم بالله وبايامه عند بنى اسرائيل هل تعلمون ان نوم الذى تزعمون أنى لست به تنام عينه وقلبه يقظان فقالوا اللهم نعم قال فكذلك نومى تنام عينى وقلبى يقظان قالوا فاخبرنا عما حرم اسرائيل على نفسه قال أنشدكم بالله وبايامه عند بنى اسرائيل هل تعلمون انه كان أحب الطعام والشراب اليه ألبان الابل ولحومها وانه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم نفسه على أحب الطعام والشراب اليه شكرا لله فحرم على نفسه لحوم الابل وألبانها قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا عن الروح قال أنشدكم بالله وبايامه عند بنى اسرائيل هل تعلمونه جبريل وهو الذى يأتينى قالوا اللهم نعم ولكنه يا محمد لنا عدو وهو ملك انما يأتى بالشدة وبسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك قال فانزل الله عز وجل فيهم قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين الى قوله تعالى أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله الى آخر الآية وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان اى السحر وما كفر سليمان ولكن

دعا الى الاسلام قوما يقال لهم بنو عبد الله فقال لهم يا بنى عبد الله ان الله قد حسن اسم أبيكم يحرضهم بذلك على ما يقتضيه اسمهم من العبودية لله فكذلك قوله سبحانه يا بنى اسرائيل انما ورد فى معرض التذكرة لهم بدين أبيهم وعبوديته لله فكان ذكرهم بهذا الاسم أليق بمقام التذكرة والتحريض من ان يقول لهم يا بنى يعقوب ولما ذكر موهبته لابراهيم وتبشيره باسحق ثم يعقوب كان لفظ يعقوب اولى بذلك المقام لانها موهبة بعقب أخرى وبشرى عقب بها بشرى وان كان اسم يعقوب عبرانيا ولكن لفظه موافق للعربى فى العقب

الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر * قال ابن اسحق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى لما ذكر سليمان بن داود فى المرسلين قال بعض أحبارهم ألا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان بن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا أى باتباعهم السحر وعملهم به وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت * قال ابن اسحق وحدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقول الذى حرم اسرائيل على نفسه زائدتا الكبد والكليتان والشحم الا ما على الظهر فان ذلك كان يقرب للقربان فتأكله النار * قال ابن اسحق وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود خيبر فيما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب موسى وأخيه والمصدق لما جاء به موسى ألا ان الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة وانكم لتجدون ذلك فى كتابكم محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما «قال ابن هشام» شطأه فراخه وواحدته شطأة تقول العرب قد أشطأ الزرع اذا أخرج فراخه وآزره عاونه فصار الذى قبله مثل الامهات قال امرؤ القيس بن حجر الكندى

بمحنية قد آزر الضال نبتها * بجر جيوش غانمين وخيب

وهذا البيت فى قصيدة له وقال حميد الارقط بن مالك أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة

* زرعا وقضبا مؤزر النبات *

وهذا البيت فى ارجوزة له وسوقه غير مهموز جمع ساق لساق الشجرة «قال ابن هشام» الى ههنا انتهى قولى وما بعده فمن حديث ابن اسحق الذى قبله * قال ابن اسحق وانى انشدكم بالله وانشدكم بما أنزل عليكم وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى وأنشدكم بالذى أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله الا أخبرتمونى هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد فان كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغى فادعوكم الى الله والى نبيه * قال ابن اسحق وكان ممن نزل فيه القرآن خاصة من الاحبار كفار يهود الذين كانوا يسالونه ويتعنتونه ليلبسوا الحق بالباطل فيما ذكر لى عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رئاب ان أبا ياسر بن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فاتى أخاه حيي بن أخطب فى رجال من يهود فقال تعلموا والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه الم ذلك الكتاب فقالوا أنت سمعته فقال نعم فمشى حيي بن أخطب فى أولئك النفر من يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا محمد الم يذكر لنا انك تتلو فيما أنزل اليك الم ذلك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى قالوا أجاءك بها جبريل من عند الله فقال نعم وقالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما تعلمه بين لنبى منهم ما مدة ملكه وما أكل أمته غيرك فقال حيي ابن أخطب وأقبل على من معه فقال لهم الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه احدى وسبعون سنة أفتدخلون فى دين انما مدة ملكه وأكل أمته احدى وسبعون سنة ثم اقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم قال ماذا قال المص قال والله هذه أثقل واطول الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه احدى وستون ومائة سنة هل مع هذا يا محمد غيره قال نعم الر قال هذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه احدى وثلاثون ومائتان هل مع هذا غيره يا محمد قال نعم المر قال هذه اثقل واطول الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان فهذه احدى وسبعون ومائتان سنة ثم قال لقد لبس علينا امرك يا محمد حتى ما ندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا ثم قاموا عنه فقال أبو ياسر لاخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الاحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد احدى وسبعون واحدى وستون ومائة واحدى وثلاثون ومائتان واحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة فقالوا لقد تشابه علينا امره فيزعمون ان هؤلاء الآيات نزلت فيهم منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات * قال ابن اسحق وقد سمعت من لا اتهم من اهل العلم يذكر ان هؤلاء الآيات انما انزلن فى اهل نجران حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه عن عيسى بن مريم عليه السلام * قال ابن اسحق وقد حدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف انه سمع ان هؤلاء الآيات انما أنزلن فى نفر من يهود ولم

العقب والتعقيب فانظر مشاكلة الاسمين للمقامين فانه من باب النظر فى اعجاز القرآن وبلاغة ألفاظه وتنزيل الكلام فى منازله اللائقة به

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق حديث أبى ياسر بن اخطب واخيه حيي بن اخطب حين سمعا المص ونحوها من الحروف وانهم اخذوا تاويلها من حروف أبجد الى قوله لعله قد جمع لمحمد وأمته هذا كله ﴿قال المؤلف﴾ وهذا القول من أحبار يهود وما تأولوه من معانى هذه الحروف محتمل حتى الآن ان يكون من بعض ما دلت عليه هذه الحروف المقطعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك ولا

يفسر ذلك لي فالله أعلم أي ذلك كان * قال ابن اسحق وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل و بشر بن البراء بن معرور اخو بني سلمة يامعشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير ماجاءنا بشيء نعرفه وماهو بالذي كنا نذكره لكم فانزل الله في ذلك من قولهم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * قال ابن اسحق وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما اخذ عليهم له من الميثاق وماعهد الله اليهم فيه والله ماعهد الينا في محمد عهد وما اخذ له علينا من ميثاق فانزل الله فيه اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لايؤمنون * وقال ابن صلوبا الفطيوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم يامحمد ماجئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك لها فانزل الله تعالى في ذلك من قوله ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون * وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يامحمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فانزل الله تعالى في ذلك من قولهما ام تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل «قال ابن هشام» سواء السبيل وسط السبيل قال حسان (٣٦) بن ثابت

ياويح أنصار النبي ورهطه * بعد المغيب في سواء الملحد

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق وكان حيي بن أخطب وأخوه ابو ياسر بن اخطب من أشد يهود للعرب حسدا اذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فانزل الله تعالى فيهما ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا فان حتى يأتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير * قال ابن اسحق ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حريملة ما أنتم على شيء وكفر بعيسى و بالانجيل فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به أي يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام وفي الانجيل ماجاء به عيسى عليه السلام من تصديق موسى عليه السلام وما جاء به من التوراة من عند الله وكل يكفر بما في يد صاحبه * قال ابن اسحق وقال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يامحمد ان كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه فانزل الله تعالى في ذلك من قوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون * وقال عبد الله بن صوريا الاعور الفطيوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فانزل الله تعالى في ذلك من قول عبد الله بن صوريا وما قالت النصارى وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم القصة الى قول الله تعالى تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون

صدقهم * وقال في حديث آخر لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله و برسوله واذا كان في حد الاحتمال وجب أن يفحص عنه في الشريعة هل يشير الى صحته كتاب اوسنة فوجدنا في التنزيل وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وو جدنا في حديث زمل الخزاعي حين قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤياو قال فيها رأيتك يارسول الله على منبرله سبع درجات والى جنبه ناقة عجفاء كانك تبعثها ففسر له النبي صلى الله عليه وسلم الناقة بقيام الساعة التي أنذر بها وقال في المنبر ودرجاته الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفا والحديث وان كان ضعيف الاسناد فقد روى موقوفا على ابن عباس من طرق صحاح انه قال الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنه و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم منها وقد مضت منه سنون أو قال مئون وصحح أبو جعفر الطبري هذا الاصل وعضده بآثار وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وانما سبقتها بما سبقت هذه هذه يعني الوسطى والسبابة وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة صححها وأوردمنها قوله عليه السلام لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة عام وقد خرج هذا الحديث الاخير أبو داود أيضاً قال الطبري وهذا في معنى ماقبله يشهد له و يبينه

فان الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع أصبع كما أن نصف يوم من سبعة نصف سبع ﴿قال المؤلف﴾ وقد مضت الخمسمائة من وفاته الى اليوم بنيف عليها وليس فى قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم ماينفى الزيادة على النصف ولا فى قوله بعثت أنا والساعة كهاتين مايقطع به على صحة تأويله فقد قيل فى تأويله غير هذا وهو ان ليس بينه وبين الساعة نبي غيره ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحينها كما قال سبحانه «اقتربت الساعة وانشق القمر وأتى أمر الله فلا تستعجلوه» ولكن اذا قلنا انه عليه السلام بعث فى الالف الآخر بعد مامضت منه سنون ونظرنا بعد الى الحروف المقطعة فى أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك * ألم يسطع نص حق كره * ثم نأخذ العدد على حساب أبى جاد فنجد ق مائة و ر مائتين و س ثلاثمائة فهذه ستمائة و ع سبعين و ص ستين فهذه سبعمائة وثلاثون و ن خمسين و ك عشرين فهذه ثمانمائة و م أربعين و ل ثلاثين فهاثمانمائة وسبعون و ى عشرة و ط تسعة و ا واحد فهذه ثمانمائة وتسعون و ح ثمانية و ه خمسة فهذه تسعمائة وثلاثة ولم يسم الله سبحانه فى أوائل السور الا هذه الحروف فليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الاشارة الى هذا العدد من السنين لما قدمناه فى حديث الالف السابع الذى بعث فيه عليه السلام غيران الحساب يحتمل ان يكون من مبعثه أو من وفاته أو من هجرته وكل قريب بعضه من بعض فقد جاء اشراطها ولكن لاتاتيكم الا بغتة وقد روى ان المتوكل العباسى سال جعفر بن عبد الواحد القاضى وهو عباسى أيضاً عما بقى من الدنيا فحدثه بحديث يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحسنت أمتى فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وذلك ألف سنة وان أساءت فنصف يوم ففى هذا الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له اذ قد انقضت الخمسمائة والامة باقية والحمد لله

﴿فصل﴾ ولهذه الحروف فى أوائل السور معان جمة وفوائد لطيفة وما كان الله تعالى لينزل فى الكتاب مالا فائدة فيه ولا ليخاطب نبيه وذوى ألباب من صحبه بما لا يفهمون وقد أنزله بيانا للناس وشفاء لما فى الصدور ففى تخصيصه هذه الحروف الاربعة عشر بالذكر دون غيرها حكمة بل حكم وفى انزالها مقطعة على هيئة التهجى فوائد علمية وفقهية وفى تخصيصه اياها باوائل السور وفى ان كانت فى بعض السور دون بعض فوائد أيضاً وفى اقتران الالف باللام وتقدمها عليها معان وفوائد وفى ارداف الالف واللام بالميم تارة وبالراء أخرى ولا توجد الالف واللام فى أوائل السور الا هكذا مع تكررها ثلاث عشرة مرة فوائد أيضاً وفى انزال الكاف قبل الهاء والهاء قبل الياء ثم العين ثم الصاد من كهيعص معان أكثرها تنبه عليها آيات من الكتاب وتبين المراد بها لمن تدبرها والتدبر والتذكر واجب على أولى الالباب والخوض فى ايراد هذه المعانى والقصد لايضاح مالاح لى عند الفكر والنظر فيها مع ايراد الشواهد على ذلك من كتاب وأثر وعربية ونظر يخرجنا عن مقصود الكتاب وينئا بنا عن موضوعه والمراد به ويقتضى افراد جزء اشرح ماأمكن من ذلك ولعله ان يكون ان ساعد القدر والله المستعان وهو ولى التوفيق لاشريك له

﴿فصل﴾ وذكر تحويل القبلة وما قالته جماعة يهود حين قالوا يامحمد ماولاك عن قبلتك وهم السفهاء من الناس فيهم نزلت هذه الآية وقال سيقول بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بانهم سيقولون ذلك أى لم آمركم بتحويلها الا وقد علمت أن سيقولون ماقالوه وقد ذكرنا فى حديث الهجرة وقصة البراء بن معرور فوائد فى معنى تحويل القبلة فلتنظر هنالك وانشد فى تفسير الشطر بيت ابن أحمر

قال ابن اسحق ولما صرفت القبلة الى الشام الى الكعبة وصرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الاشرف ورافع بن أبى رافع والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الاشرف والربيع ابن الربيع بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق فقالوا يامحمد ماولاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه ارجع الى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك وانما يريدون بذلك فتنته عن دينه فانزل الله تعالى فيهم سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا يقول عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وماجعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه أى ابتلاء واختبارا وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله أى من الفتن اى الذين ثبت الله وما كان الله ليضيع ايمانكم أى ايمانكم بالقبلة الاولى وتصديقكم نبيكم واتباعكم اياه الى القبلة الآخرة أى ليعطينكم أجرهما جميعا ان الله بالناس لرؤف رحيم * ثم قال تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره «قال ابن هشام» شطره نحوه وقصده قال عمرو بن أحمر الباهلى و باهلة بن يعصر بن

سعد بن قيس بن عيلان يصف ناقة له تعدو بنا شطر جمع وهى عاقدة * قد كارب العقد من ايفادها الحقبا وهذا البيت فى قصيدة له وقال قيس بن خويلد الهذلى يصف ناقته ان النعوس بها داء مخامرها * فشطرها نظر العينين محسور وهذا البيت فى أبيات له «قال ابن هشام» والنعوس ناقته وكان بها داء فنظر اليها نظر حسير من قوله وهو حسير وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين * قال ابن اسحق الى قوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين * وسال معاذ بن جبل أخو بنى سلمة وسعد بن معاذ أخو بنى عبد الاشهل وخارجة بن زيد أخو بلحرث بن الخزرج نفرا من احبار يهود عن بعض ما فى التوراة فكتموهم اياه وأبوا ان يخبروهم عنه فقال الله تعالى فيهم ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيرا منا فانزل الله فى ذلك من قولهما واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله (٣٨) قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون * ولما أصاب الله عز وجل قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فى سوق بنى قينقاع حين قدم المدينة فقال يا معشر يهود أسلموا قبل ان يصيبكم الله بمثل ما اصاب به قريشا فقالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك انك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال انك والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس وانك لم تلق مثلنا فانزل الله تعالى من قولهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار * ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله فقال له النعمان بن عمرو والحرث بن زيد وعلى أى دين أنت يا محمد قال على ملة ابراهيم ودينه قالا فان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلم الى التوراة فهى بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله تعالى فيهما ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون * وقال أحبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى من أهل نجران ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله عز وجل فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين * وقال عبد الله بن صيف وعدى بن زيد والحرث بن عوف بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد

تعدوا بنا شطر جمع وهى عاقدة * قد قارب العقد من ايفادها الحقبا

وألفيت فى حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه قال من ايفادها من اشرافها كذا قال محمد بن عبد الله البرقى وقال كارب موضع قارب ووقع فى شعر ابن أحمر

تعدوا بنا عرض جمع وهى موفدة * قد قارب الغرض من ايفادها الحقبا

تعدوا من العدو بنا وبرحلى يعنى غلامه عرض جمع يعنى مكة وعرض أحب الى وعرض كثرة الناس عن الاصمعى وموفدة أى مشرفة أوفد اذا اشرف وروى غيره وهى عاقدة يريد عنقها الاويتها والغرض البطان وهو حزام الرحل من ايفادها اى اشرافها قد اقتادت نصبت عنقها وعصرت بذنبها وتخامصت ببطنها فقرب كل واحد من الغرض والحقب من صاحبه بذلك هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأوردته وقبل البيت

انشأت اساله عن حال رفقته * فقال حى فان الركب قد نصبا

﴿ فصل ﴾ وذكر ما انزل الله سبحانه فى بنى قنيقاع وقولهم للنبى صلى الله عليه وسلم لو حاربتنا لعلمت أنا نحن الناس «قل للذين كفروا ستغلبون الى قوله ترونهم مثليهم رأى العين» فمن قرأه يرونهم بالياء فمعناه ان الكفار يرون المؤمنين مثليهم وان كانوا أقل منهم لما كثرهم بالملائكة (فان قيل) وكيف وهو يقول فى آية أخرى ويقللكم فى أعينهم (قيل) كان هذا قبل القتال عند ما حزر الكفار المؤمنين فرأوهم قليلا فتجاسروا عليهم ثم أمدهم الله بالملائكة فرأوهم كثيرا فانهزموا وقيل ان الهاء فى يرونهم عائدة على الكفار وان

المؤمنين

وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينه فانزل الله تعالى فيهم ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * وقال أبو رافع القرظى حين اجتمعت الاحبار من يهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد منا يا محمد ان نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم وقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الربيس ويروى الريس والرئيس أوذاك تريد منا يا محمد واليه تدعونا أو كما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره فما بذلك بعثنى الله ولا أمرنى أو كما قال صلى الله عليه وسلم قال فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهما ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون الى قوله تعالى بعد اذ أنتم مسلمون «قال ابن هشام» الربانيون العلماء الفقهاء السادة واحدهم ربانى قال الشاعر لو كنت مرتهنا فى القوس أفتننى * منها الكلام وربانى أحبار «قال ابن هشام» القوس صومعة الراهب وأفتننى لغة تميم وفتننى لغة قيس * قال ابن اسحق ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون * قال ابن اسحق ثم ذكر ما أخذ الله عليهم وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه اذ هو جاءهم واقرارهم على أنفسهم فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى يقول ميثاقى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين الى آخر القصة * قال ابن اسحق ومر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسى عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شابا من يهود كان معه فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه يومئذ للاوس على الخزرج وكان على الاوس يومئذ حضير بن سماك الاشهلى وأبو أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى فقتلا جميعا «قال ابن هشام» قال أبو قيس بن الاسلت

على ان قد فجعت بذى حفاظ * فعاودنى له حزن رصين
فاما تقتلوه فان عمرا * اعض برأسه عضب سنين

وهذان البيتان فى قصيدة له وحديث يوم بعاث أطول مما ذكرت وانما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القطع «قال ابن هشام» سنين مسنون من سنه شحذه * قال ابن اسحق ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب أوس ابن قيظى أحد بنى حارثة بن الحرث من الاوس وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئتم رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة السلاح السلاح فخرجوا اليها فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد ان هداكم الله للاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بين قلوبكم فعرف القوم انها نزعة من الشيطان وكيد

المؤمنين رأوهم مثليهم وكانوا ثلاثة أمثالهم فقللهم فى عيون المؤمنين وأما من قرأها بالتاء فيجوز أن يكون الخطاب لليهود أى ترون المشركين يوم بدر مثلى المؤمنين وذلك انهم كانوا ألفا فانخذل عنهم الاخنس بن شريق ببنى زهرة فصاروا سبعمائة أو نحوها ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين أى ترون أيها المشركون المؤمنين مثليهم حين أمدهم الله بالملائكة فيعود الكلام الى المعنى الاول الذى قدمناه فى قراءة من قرأ بالياء وفى الآية تخليط عن الفراء أضربنا عن ذكره وجل ما ذكرناه آنفا مذكور فى التفاسير بألفاظ مختلفة * وذكر ابن هشام فى الربانيين انهم العلماء الفقهاء السادة وفى البخارى عن بعض أهل العلم قال الربانيون الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل نسبوا الى علم الرب والفقه فيما أنزل وزيدت فيه الالف والنون لتفخيم الاسم وأنشد ابن هشام

لو كنت مرتهنا فى القوس افتننى * منها الكلام وربانى أحبار

وقال القوس الصومعة ومن كلام العرب أنا بالقوس وأنت بالقرقوس فكيف نجتمع وقال فى افتننى هى لغة تميم وفرق سيبويه بين فتنته وأفتنته وجعله من قول الخليل قال افتنته صيرته مفتتنا أو نحو هذا وفتنته جعلت

من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس فانزل الله تعالى فى شاس بن قيس وما صنع قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون وأنزل الله فى أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شاس من أمر الجاهلية يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون الى قوله تعالى وأولئك لهم عذاب عظيم * قال ابن اسحق ولما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا فى الاسلام ورسخوا فيه قالت أحبار يهود أهل الكفر منهم ما آمن بمحمد ولا اتبعه الا شرارنا ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا الى غيره فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون « قال ابن هشام » آناء الليل ساعات الليل وواحدها انى قال المتنخل الهذلى واسمه مالك بن عويمر يرثى أثيلة ابنه

حلو ومر كعطف القدح شيمته * فى كل انى قضاه الليل ينتعل

وهذا البيت فى قصيدة له وقال لبيد بن ربيعة يصف حمار وحش

يطرب آناء النهار كأنه * غوى سقاه فى التجار نديم

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال انى مقصور فيما أخبرنى يونس يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين * قال ابن اسحق وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف فى الجاهلية فانزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مباطنتهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم (٤٠) أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله أى تؤمنون بكتابكم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فانتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم الى آخر القصة * ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود فوجد منهم ناسا كثيراً قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم ومعه حبر من أحبارهم يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمد الرسول الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل فقال فنحاص لابى بكر والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا وانا عنه لاغنياء وما هو عنا بغنى ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا قال فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربا شديداً وقال والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت رأسك أى عدو الله قال فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك على ما صنعت فقال أبو بكر يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما انه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال ما قلت ذلك فانزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لابى بكر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ونزل فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وما بلغه فى ذلك من الغضب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور * ثم قال فيما قال فنحاص والاحبار من يهود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم يعنى فنحاص واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أن يقول الناس علماء وليسوا بأهل علم لم يحملوهم على هدى ولا حق ويحبون ان يقول الناس قد فعلوا * قال ابن اسحق وكان كردم بن قيس حليف كعب بن الاشرف واسامة بن حبيب ونافع بن أبى نافع وبحرى بن عمرو وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت يأتون رجالا من

فيه فتنة كما تقول كحلته جعلت فى عينيه كحلا ومآل هذا الفرق الى أن فتنته صرفته فجاء على وزنه لان المفتون مصروف عن حق وأفتنته بمعنى أضللته وأغويته فجاء على وزن ما هو فى معناه وأما فتنت الحديدة فى النار فعلى وزن فعلت لا غير لانها فى معنى خبرتها وبلوتها ونحو ذلك

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن هشام فى تفسير آناء الليل قال واحد الآناء انى واستشهد عليه بقول الهذلى ثم اغرب بما

حدثه

الانصار يخالطونهم كانوا ينتصحون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ولا تسارعوا فى النفقة فانكم لا تدرون علام يكون فانزل الله فيهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أى من التوراة التى فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر الى قوله وكان الله بهم عليما * قال ابن اسحق وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال ارعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ثم طعن فى الاسلام وعابه فانزل الله فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا أى راعنا سمعك ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا * وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود منهم عبد الله بن صوريا الاعور وكعب بن أسد فقال لهم يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذى جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك يا محمد فجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر فانزل الله تعالى فيهم يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا «قال ابن هشام» نطمس نمسحها فنسويها فلا يرى فيها عين ولا أنف ولا فم ولا شئ مما يرى فى الوجه وكذلك فطمسنا أعينهم المطموس العين الذى ليس بين جفنيه شق ويقال طمست الكتاب والاثر فلا يرى منه شئ قال الاخطل واسمه الغوث بن هبيرة بن الصلت التغلبى يصف ابلا كلفها ما ذكر

وتكليفناها كل طامسة الصوى * شطون ترى حرباءها يتململ

وهذا البيت فى قصيدة له «قال ابن هشام» واحدة الصوى صوة والصوى الاعلام التى تستدل بها على الطريق والمياه «قال ابن هشام» يقول مسحت فاستوت الارض فليس فيها شئ ناتئ * قال ابن اسحق وكان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبنى قريظة حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وأبو رافع والربيع بن الربيع ابن أبى الحقيق وأبو عمار ووحوح بن عامر وهوذة بن قيس فاما وحوح وأبو عمار وهوذة فمن بنى وائل وكان سائرهم من بنى النضير فلما قدموا على قريش قالوا هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتاب الاول فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد فسألوهم فقالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت «قال ابن هشام» الجبت عند العرب ما عبد من دون الله تبارك وتعالى والطاغوت كل ما أضل عن الحق وجمع الجبت جبوت والطاغوت طواغيت «قال ابن هشام» وبلغنا عن ابن أبى نجيح انه قال الجبت السحر والطاغوت الشيطان ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا * قال ابن اسحق الى قوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * وقال سكين وعدى بن زيد يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شئ بعد موسى فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهما انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما * ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم فقال لهم اما والله انكم لتعلمون انى رسول من الله قالوا ما نعلمه وما نشهد عليه فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا * وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير يستعينهم على دية العامريين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمرى فلما خلا بعضهم ببعض قالوا لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن رجل يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش بن كعب انا فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فانصرف عنهم فانزل الله تعالى فيه وفيما اراده هو وقومه يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضا وبحرى بن عمرو وشاس بن عدى فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل الله تعالى فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير * قال ابن اسحق ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم غير الله وعقوبته

حدثه به يونس فقال ويقال إنى فيما حدثنى يونس بن حبيب وهذا الذى قاله آخرا هو لغة القرآن قال الله تعالى غير ناظرين إناه

فأبوا عليه وكفروا بما جاءهم به فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يامعشر يهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون أنه رسول الله وقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ماقلنا لكم هذا قط وما أنزل من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير * ثم قص عليهم خبر موسى ومالقي منهم وانتقاضهم عليه ومار دوا عليه من أمر الله حتى تاهوا فى الارض أربعين سنة عقوبة * قال ابن اسحق وحدثني ابن شهاب الزهري انه سمع رجلا من مزينة من أهل العلم يحدث سعيد بن المسيب ان أباهريرة حدثهم ان أحبار يهود اجتمعوا فى بيت المدراس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد زنى رجل منهم بعد احصانه بامرأة من يهود قد أحصنت فقالوا ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة الى محمد فسلوه كيف الحكم فيهما وولوه الحكم عليهما فان عمل فيهما بعملكم من التجبية والتجبية الجلد بحبل من ليف مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين فاتبعوه فانما هو ملك وصدقوه وان هو حكم فيهما بالرجم فانه نبي فاحذروه على ما فى أيديكم ان يسلبكوه فأتوه فقالوا يا محمد هذا رجل قد زنى بعد احصانه بامرأة قد أحصنت فاحكم فيهما فقد وليناك الحكم فيهما فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم فى بيت المدراس فقال يامعشر يهود اخرجوا الى علماءكم فاخرجوا له عبد الله بن صوريا * قال ابن اسحق وقد حدثني بعض بني قريظة انهم قد أخرجوا اليه يومئذ مع ابن صوريا أبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهودا فقالوا هؤلاء علماؤنا فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حصل أمرهم الى أن قالوا العبد الله بن صوريا هذا من أعلم من بقي بالتوراة « قال ابن هشام » من قوله وحدثني بعض بني قريظة الى أعلم من بقي بالتوراة من قول ابن اسحق وما بعده من الحديث الذي قبله فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا فألظ به رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة يقول يا ابن صوريا أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بني اسرائيل هل تعلم ان الله حكم فيمن زنى بعد احصانه بالرجم فى التوراة قال اللهم نعم أما والله يا ابا القاسم انهم ليعرفون انك لنبي مرسل ولكنهم يحسدونك قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهما فرجما عند باب مسجده فى بني غنم بن مالك بن النجار ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا وجحد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فأنزل الله تعالى فيهم يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم أي الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلفوا وأمروهم بما أمروهم به من تحريف الحكم عن مواضعه ثم قال يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه أي الرجم فاحذروا الى آخر القصة * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن اسمعيل ابن ابراهيم عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما فرجما بباب مسجده فلما وجد اليهودي مس الحجارة قام الى صاحبته فجنا عليها يقيها مس الحجارة حتى قتلا جميعا قال وكان

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق جملا من الآيات المنزلة فى قصص الاحبار ومسائلهم كلها واضحة والتكلم عليها يخرج عن غرض الكتاب الى تفسير القرآن وفى جملتها قوله تعالى « ايان مرساها » وقال الفراء فى ايان هي كلمتان جعلت واحدة والاصل اى آن والآن والاوان بمعنى واحد كما يقال راح ورياح وانشد

* نشاوى تساقوا بالرياح المفلفل *

وقد ذكر الهروي فى ايان وجهاً آخر قال يجوز ان يكون أصله ايوان فادغمت الياء فى الواو ومثل قيام * وذكر آية التيه وحبس بني اسرائيل فيه اربعين سنة عقوبة من الله تعالى لمخالفتهم امره حين فزعوا من الجبارين لعظم اجسامهم وقال لهم رجلان وهم يوشع بن نون من سبط يوسف وكالب بن يوفيا من سبط يامين « ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون » فلما عصوهما دعا عليهم موسى فتاهوا أي تحيروا وكانوا ستمائة ألف مقاتل فتاهوا فى ستة فراسخ من الارض يمشون النهار كله ثم يمسون حيث أصبحوا ويصبحون حيث أمسوا وفى تلك السنين أنزل عليهم المن والسلوى لانهم شغلوا عن المعاش بالتيه فى الارض وأبقيت عليهم ثيابهم لا تخلق ولا تتسخ وتطول مع الصغير اذا طال وفيها استسقى لهم موسى فأمر أن يأخذ حجراً من الطور فيضرب به بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً وفيها ظلل عليهم الغمام لانهم كانوا فى البرية فظللوا من الشمس وذلك أن موسى كان ندم حين دعا عليهم لما رأى من جهدهم وحيرتهم فى التيه فكان يدعو الله لهم فى هذه الامور لئلا يهلكوا فى التيه جوعا أو عريا أو عطشا فلما آسى عليهم قال الله له « لا تأس على القوم الفاسقين » أي الذين فسقوا أي خرجوا عن أمرك ومات فى أيام التيه جميع كبارهم الا يوشع وكالب فما دخل الارض على الجبارين الا خلوفهم وأبناؤهم وقيل ان موسى مات فى تلك السنين أيضاً ولم يشهد الفتح مع يوشع وقيل بل كان مع يوشع حين افتتحها

﴿ فصل ﴾ وذكر المرجومة من اليهود وان صاحبها الذي رجم معها حنا عليها بنفسه ليقيها الحجارة حنا بالحاء

ذلك مما صنع الله به لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تحقيق الزنا منهما * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن كيسان عن نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال لما حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما دعاهم بالتوراة وجلس حبر منهم يتلوها وقد وضع يده على آية الرجم قال فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر ثم قال هذه يا نبى الله آية الرجم يأبى أن يتلوها عليك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكم يا معشر يهود ما دعاكم الى ترك حكم الله وهو بأيديكم قال فقالوا أما انه قد كان فينا يعمل به حتى زنى رجل منا بعد احصانه من بيوت الملوك وأهل الشرف فمنعه الملك من الرجم ثم زنى رجل بعده فاراد أن يرجمه فقالوا لا والله حتى ترجم فلانا فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فاصلحوا أمرهم على النجيبه وأماتوا ذكر الرجم والعمل به قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده قال عبد الله بن عمر فكنت فيمن رجمهما * قال ابن اسحق وحدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ان الآيات من المائدة التى قال الله فيها فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين انما أنزلت فى الدية بين بنى النضير وبين بنى قريظة وذلك ان قتلى بنى النضير وكان لهم شرف يؤدون الدية كاملة وان بنى قريظة يؤدون نصف الدية فتحاكموا فى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق فى ذلك فجعل الدية سواء * قال ابن اسحق فالله أعلم أى ذلك كان * قال ابن اسحق وقال كعب بن أسد وابن صلوبا وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فانما هو بشر فأتوه فقالوا له يا محمد انك قد عرفت انا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم وانا ان اتبعناك اتبعتك يهود ولم يخالفوا وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فانزل الله فيهم وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع (٤٣) أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون * قال ابن اسحق وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر منهم أبو ياسر بن أخطب ونافع ابن أبى نافع وعازر بن أبى عازر وخالد وزيد وازار بن أبى ازار وأشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال صلى الله عليه وسلم نؤمن بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نبوته وقالوا لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به فانزل الله تعالى فيهم قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وان أكثركم فاسقون * وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حريملة فقالوا يا محمد ألست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها من الله حق قال بلى ولكنكم حدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها وكتمتم منها ما أمرتم ان تبينوه للناس فبرئت من احداثكم قالوا فانا نأخذ بما فى أيدينا فانا على الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا نتبعك فانزل الله تعالى فيهم قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين * قال ابن اسحق وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم النحام بن زيد وقردم ابن كعب وبحرى بن عمرو فقالوا له يا محمد أما تعلم مع الله إلها غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو بذلك بعثت والى ذلك أدعو فانزل الله فيهم وفى قوله قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ أإنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد واننى برئ مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون وكان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ونافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله تعالى فيهما يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار

بالحاء تقيد فى احدى الروايتين عن أبى الوليد وكذلك فى الموطا من رواية يحيى فجعل يحنى عليها وفى الرواية الاخرى عن أبى الوليد جنأ بالجيم والهمز وعلى هذه الرواية فسره أبو عبيد والجناء الانحناء قال الشاعر عوف ابن محلم

وبدلتنى بالشطاط الجنا * وكنت كالصعدة تحت السنان

وفى حنوه عليها من الفقه انهما لم يكونا فى حفرتين كما ذهب اليه كثير من الفقهاء فى سنة الرجم وكذلك روى عن على رحمه الله انه حفر لشراحة بنت مالك الهمدانية حين رجمها وأما الاحاديث فاكثرها على ترك الحفر للمرجوم واسم هذه المرجومة بسرة فيما ذكر بعض أهل العلم وفى قصتهما أنزل الله « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة » الآية الى قوله « يحكم بها النبيون الذين أسلموا »

أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين الى قوله واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون وقال جبل ابن أبى قشير وشمويل بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبياً كما تقول فانزل الله تعالى فيهما يسالونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة يسألونك كانك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون «قال ابن هشام» أيان مرساها متى مرساها قال قيس بن الحداد الخزاعى

فجئت ومخفى السر بينى وبينها ✻ لأسالها أين من سار راجع

وهذا البيت فى قصيدة له ومرساها منتهاها وجمعه مراس قال الكميت بن زيد

والمصيبين باب ما أخطا النا ✻ س ومرسى قواعد الاسلام

وهذا البيت فى قصيدة له ومرسى السفينة حتى تنتهى وحفى عنها على التقديم والتاخير يقول يسئلونك عنها كانك حفى بهم فتخبرهم بما لا تخبر هم غيرهم والحفى البر المتعهد وفى كتاب الله انه كان بى حفيا وجمعه أحفياء وقال أعشى بن قيس بن ثعلبة

فان تسالى عنى فيا رب سائل ✻ حفى عن الاعشى به حيث أصعدا

وهذا البيت فى قصيدة له والحفى أيضا المستحفى عن علم الشىء المبالغ فى طلبه «قال ابن اسحق» وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام ابن مشكم ونعمان بن أوفى أبو أنس ومحمود بن دحية وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا له كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله عزوجل فى ذلك من قولهم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون الى آخر القصة «قال ابن هشام» يضاهون أى يشاكل قولهم قول الذين كفروا نحو ان تحدث بحديث فيحدث آخر بمثله فهو يضاهيك ✻ قال ابن اسحق وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سبحان ونعمان بن أضاو بحرى بن عمرو وعزيز بن أبى عزيز وسلام ابن مشكم فقالوا أحق يا محمد ان هذا الذى جئت به لحق من عند الله فانا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعرفون انه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة ولو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤا به فقالوا عند ذلك وهم جميع فنحاص وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وأشيع بن كعب بن أسد وشمويل بن زيد وجبل بن عمرو بن سكينة يا محمد ما يعلمك هذا انس ولا جن فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعلمون انه من عند الله وانى لرسول الله تجدون ذلك مكتوبا عندكم فى التوراة فقالوا يا محمد فان الله يصنع لرسوله اذا بعثه ما يشاء ويقدر منه على ما أراد فأنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه والا جئناك بمثل ما تأتى به فانزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً «قال ابن هشام» الظهير العون ومنه قول العرب تظاهروا عليه أى تعاونوا عليه قال الشاعر

ياسمى النبى أصبحت لله ✻ دين قواما وللامام ظهيرا

أى عونا وجمعه ظهراء ✻ قال ابن اسحق وقال حيى بن أخطب وكعب بن أسد وأبو رافع وأشيع وشمويل بن زيد لعبد الله بن سلام حين أسلم ما تكون النبوة فى العرب ولكن صاحبك ملك ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عن ذى القرنين فقص عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه مما كان قص على قريش وهم كانوا ممن أمر قريشاً أن يسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حين بعثوا اليهم النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط ✻ قال ابن اسحق وحدثت عن سعيد بن جبير انه قال أتى رهط من يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعنى محمدا ومن حكم بالرجم قبله لانه حكم بالرجم لأولئك اليهود الذين تحاكموا اليه والربانيون يعنى عبد الله ابن سلام وابن صورى من الاحبار بما استحفظوا من كتاب الله لانهم حفظوا ان الرجم فى التوراة لكنهم بدلوا وغيروا وكانوا عليه شهداء لانهم شهدوا بذلك على اليهود الى قوله «ومن لم يحكم بما أنزل الله» فحكم بالرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يبين لك ان الرجم فى القرآن وعلى هذا فسره مالك فيما بلغنى ولذلك قال عليه السلام للرجلين لاحكمن بينكما بكتاب الله فحكم بالرجم كما فى الكتاب المنزل على موسى وعلى محمد صلى الله عليهما وقد قيل فى معنى الحديث أقوال غير هذا والصحيح ما ذكرنا واستشهد ابن هشام فى تفسير الجهرة بقول أبى الاخزر الحمانى واسمه قتيبة وحمان هو ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فقال ✻ تجهر أفواه المياه السدم ✻ يقال ماء سدام اذا غطاه الرمل وجمعه سدم وجمعه على سدم غريب ويقال أيضاً سدم واسدام ونحو من قوله يجهر قول عائشة رضى الله عنها فى أبيها واجتهر لهم عين الرواء وأنشد فى تفسير الفوم وانه البر

فوق شيزى مثل الجوابى عليها ✻ قطع كالوذيل فى نقى فوم

الشيزى خشب أسود تصنع منه الجفان والوذيل جمع وذيلة وهى السبيكة من الفضة قال الشاعر

وتريك وجها كالوذيـ ✻ ـلة لا ريان ممتلئ ولا جهم

ومنه

فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه قال فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه فقال خفض عليك يا محمد وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد قال فلما تلاها عليهم قالوا فصف لنا يا محمد كيف خلقه كيف ذراعه كيف عضده فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الاول وساورهم فأتاه جبريل عليه السلام فقال له مثل ما قال له أول مرة وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه يقول الله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون * قال ابن اسحق وحدثني عتبة ابن مسلم مولى بني تيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد ثم ليتفل الرجل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم «قال ابن هشام» الصمد الذي يصمد ويفزع اليه قالت هندة بنت معبد بن نضلة تبكي عمرو بن مسعود وخالد بن نشلة عميها الاسديين وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر اللخمي وبنى الغريين اللذين بالكوفة عليهما

ألا بكر الناعي بخيري بني أسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

* قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم في الاربعة عشر منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدراسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له موجها والى جنبه أخ له يقال له كوز بن علقمة «قال ابن هشام» ويقال كرز فعثرت بغلة أبي حارثة فقال كوز تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو حارثة بل أنت تعست فقال ولم يا أخي قال والله انه للنبي الذي كنا ننتظر فقال له كوز وما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا وموّلونا وأكرمونا وقد أبوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني «قال ابن هشام» وبلغني ان رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة الى غيره ختم على تلك الكتب خاتما من الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي فعثر فقال ابنه تعس الابعد يريد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبوه لا تفعل فانه نبي واسمه في الوضائع يعني الكتب فلما مات لم تكن لابنه همة الا ان شد

ومنه قول عمرو بن العاصي لمعاوية أما والله لقد ألفيت أمرك وهو أشد انفضاحا من حق الكهول كذلك رواه الهروي وقال ابن قتيبة الكهدل فما زلت أرمه بوذائله وأصله بوصائله حتى تركته على مثل فلكة المدرحق الكهول بيت العنكبوت وكما قاله الهروي قاله أبو عمر الزاهد في كتاب الياقوت وكما وقع في غريب الحديث للقتبي قاله أبو عبد الله بن القزاز في الكتاب الكبير قال الكهدل العنكبوت وقيل في الكهول انه ثدي العجوز وفي العين الوذيلة المرآة وقيل في الفوم انه الثوم واختاره ابن قتيبة واحتج بأنه في مصحف عبد الله بن مسعود وثومها ولا حجة في هذا الماذكره أبو حنيفة في النبات ان الثوم هو البر وانه يقال بالفاء وبالثاء ومن الشاهد على الفوم وانه البر قول أبي أحيحة بن الجلاح وقيل هو لابي محجن الثقفي

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا * سكن المدينة عن زراعة فوم

وأنشد في بعض ما فسر بيت الاخطل قال وهو الغوث بن هبيرة بن الصلت يكنى ابا مالك والمعروف غياث ابن الغوث بن هبيرة بن الصلت وسمي الاخطل لقوله

لعمرك انني وابني جميل * وأمهما لاستار لئيم

كل أربعة استار قيل ان كعب بن جعيل قال له في خبر جرى بينهما والاخطل يومئذ غلام يقرزم أي كما يبتدىء بقول الشعر * قبح ذاك الوجه غب الحمه * فقال الاخطل ولم يكن * وفعل كعب بن جعيل أمه * فقال جعيل انك لاخطل

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

قد تقدم أن نجران عرفت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان وأما أهلها فهم بنو الحرث ابن كعب من مذحج * ذكر فيه قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم من أبواه يا محمد يعنون عيسى فأنزل الله تعالى

فكسر الخواتم فوجد فيها ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فاسلم فحسن اسلامه وحج وهو الذى يقول

اليها تعدو قلقا وضينها * معترضا فى بطنها جنينها * مخالفا دين النصارى دينها * «قال ابن هشام» و زاد فيه أهل العراق * معترضا فى بطنها جنينها * فاما أبو عبيدة فانشدها فيه « قال ابن هشام » الوضين حزام الناقة * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن جعفر ابن الزبير قال لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه فى مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فى جمال رجال بنى الحرث بن كعب قال يقول بعض من رآهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق * قال ابن اسحق وكان تسمية الاربعة عشر الذين يؤل اليهم أمرهم العاقب وهو عبد المسيح والسيد وهو الايهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل وأوس والحرث و زيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحنس فى ستين راكبا فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والايهم السيد وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة وكذلك قول النصرانية فهم يحتجون فى قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى و يبرىء الاسقام و يخبر بالغيوب و يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا وذلك كله بامر الله تبارك وتعالى ولنجعله آية للناس و يحتجون فى قولهم انه ولد بانهم يقولون لم يكن له أب يعلم وقد تكلم فى المهد وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله و يحتجون فى قولهم انه ثالث ثلاثة يقول الله فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحدا ما قال الا فعلت وقضيت وأمرت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قال انكما لم تسلما فاسلما قالا بلى قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا فمن أبوه يا محمد فصمت عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهما فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها فقال عز وجل الم الله لا اله الا

ان مثل عيسى عند الله الى قوله كن فيكون وفيها نكتة فان ظاهر الكلام أن يقول خلقه من تراب ثم قال له كن فكان فيعطف بلفظ الماضى على الماضى والجواب ان الفاء تعطى التعقيب والتسبيب فلو قال فكان لم تدل الفاء الا على التسبيب وان القول سبب للكون فلما جاء بلفظ الحال دل مع التسبيب على استعقاب الكون للامر من غير مهل وان الامر بين الكاف والنون قال له كن فاذا هو كائن واقتضى لفظ فعل الحال كونه فى الحال (فان قيل) وهى مسئلة أخرى ان آدم مكث دهرا طويلا وهو طين صلصال وقوله للشىء كن فيكون يقتضى التعقيب وقد خلق السموات والارض فى ستة أيام وهى ستة آلاف سنة فاين قوله كن فيكون من هذا (فالجواب) ما قاله أهل العلم فى هذه المسئلة وهو أن قول البارى سبحانه كن يتوجه الى المخلوق مطلقا ومقيدا فاذا كان مطلقا كان كما أراد لحينه واذا كان مقيدا بصفة أو بزمان كان كما أراد على حسب ذلك الزمان الذى تقيد الامر به فان قال له كن فى ألف سنة كان فى ألف سنة وان قال له كن فيما دون اللحظة كان كذلك

﴿ فصل ﴾ وذكر صدر سورة آل عمران وفسر منه كثيرا فمنه قوله سبحانه «منه آيات محكمات» وهو ما لا يحتمل الا تأويلا واحدا وهو عندى من أحكمت الفرس بحكمته أى منعته من العدول عن طريقه كما قال حسان * ونحكم بالقوافى من هجانا * أى نلجئه فنمنعه وكذلك الآية المحكمة لا تتصرف بقارئها التأويلات ولا تتعارض عليه الاحتمالات وليس من لفظ الحكمة لان القرآن كله حكمة وعلم والمتشابه يميل بالناظر فيه الى وجوه مختلفة وطرق متباينة وقوله سبحانه «كتاب أحكمت آياته» هذا من الحكمة ومن الاحكام الذى هو الاتقان فالقرآن كله محكم على هذا وهو كله من هذا الوجه متشابه أيضاً لان بعضه يشبه بعضا فى براعة اللفظ واعجاز النظم وجزالة المعنى و بدائع الحكمة فكله متشابه وكله محكم وعلى المعنى الاول منه آيات محكمات وأخر متشابهات فاهل الزيغ يعطفون المتشابه على أهوائهم و يجادلون به عن آرائهم والراسخون فى العلم يردون المتشابه الى المحكم أخذا بقول الله تعالى «فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول» وعلما بان الكل من عند الله فلا يخالف بعضه بعضا روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى «فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله» قال اذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم أولئك فاحذروهم وللسلف فى معنى المحكم ومعنى المتشابه أقوال متقاربة الا ان منهم من يرى الوقف على قوله «وما يعلم تأويله الا الله» و يرونه تمام الكلام و يحتجون بقراءة ابن عباس و يقول

هو الحى القيوم فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا وتوحيده اياها بالخلق والامر لا شريك له فيه ردا عليهم ما ابتدعوا من الكفر وجعلوا معه من الانداد واحتجاجا بقولهم عليهم فى صاحبهم ليعرفهم بذلك ضلالتهم فقال الم الله لا اله الا هو الحى القيوم ليس معه غيره شريك فى أمره الحى القيوم الحى الذى لا يموت وقد مات عيسى وصلب فى قولهم والقيوم القائم على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول وقد زال عيسى فى قولهم عن مكانه الذى كان به وذهب عنه الى غيره نزل عليك الكتاب بالحق أى بالصدق فيما اختلفوا فيه وأنزل التوراة والانجيل التوراة على موسى والانجيل على عيسى كما نزل على من كان قبله وأنزل الفرقان أى الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الاحزاب من أمر عيسى وغيره ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام أى ان الله منتقم ممن كفر بآيات الله بعد علمه بها ومعرفته بما جاء منه فيها ان الله لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء أى قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم فى عيسى اذ جعلوه الها وربا وعندهم من علمهم غير ذلك غرة بالله وكفرا به هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء أى قد كان عيسى ممن صور فى الارحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من ولد آدم فكيف يكون الها وقد كان بذلك المنزل ثم قال تعالى انزاها لنفسه وتوحيدا لها مما جعلوا معه لا اله الا هو العزيز الحكيم العزيز فى انتصاره ممن كفر به اذا شاء الحكيم فى حجته وعذره الى عباده هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه وأخر متشابهات لهن تصريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام أن لا يصرفن الى الباطل ولا يحرفن عن الحق يقول الله عز وجل فأما الذين فى قلوبهم زيغ أى ميل عن الهدى فيتبعون ما تشابه منه أى ما تصرف منه ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ليكون لهم حجة ولهم على ما قالوا شبهة ابتغاء الفتنة أى اللبس وابتغاء تأويله ذلك على ما ركبوا من الضلالة فى قولهم خلقنا وقضينا يقول وما يعلم تأويله الذى به أرادوا ما أرادوا الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فكيف يختلف فيه وهو قول واحد من رب واحد ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التى لا تأويل لاحد فيها الا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فنفذت به الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودمغ به الكفر يقول الله تعالى فى مثل هذا وما يذكر الا أولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا أى لا تمل قلوبنا وان ملنا باحداثنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ✻ ثم قال شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم بخلاف ما قالوا قائما بالقسط أى بالعدل فيما يريد لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام أى ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسل وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم الذى جاءك اى ان الله الواحد الذى ليس له شريك بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك أى بما يأتون به من الباطل من قولهم خلقنا وفعلنا وأمرنا فانما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق فقل أسلمت وجهى لله أى وحده ومن اتبعن

ويقول الراسخون فى العلم وهو قول عمر بن عبد العزيز ان الراسخين فى العلم لا يعلمون التأويل وان علموا التفسير والتأويل عند هؤلاء غير التفسير انما هو عندهم فى معنى قوله سبحانه «يوم يأتى تأويله» وطائفة يرون أن قوله والراسخون معطوف على ما قبله وانهم عالمون بالتأويل ويحتجون بما يطول ذكره من أثر ونظر والذى أرتضيه من ذلك مذهب ثالث وهو الذى قاله ابن اسحق فى هذا الكتاب ومعناه كله أن الكلام قد تم فى قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم مبتدأ لكن لا نقول انهم لا يعلمون تأويله كما قالت الطائفة الاولى ولكن نقول انهم يعلمونه برد المتشابه الى المحكم وبالاستدلال على الخفى بالجلى وعلى المختلف فيه بالمتفق عليه فتنفذ بذلك الحجة ويزاح الباطل وتعظم درجة العالم عند الله تعالى لانه يقول آمنت به كل من عند ربى فكيف يختلف ولما كان العلمان مختلفين علم الله وعلم الراسخين فى العلم لم يجز عطف الراسخون على ما قبله فالله يعلم تأويله بالعلم القديم لا بتذكر ولا بتفكر ولا بتدقيق نظر ولا بفحص عن دليل فلا يعلم تأويله هكذا الا الله والراسخون فى العلم يعلمون تأويله بالفحص عن الدليل وبتدقيق النظر وتسديد العبر فهم كما قال الله تعالى «وما يتذكر الا أولوا الالباب» وهذا معنى كلام ابن اسحق فى الآية

﴿فصل﴾ وذكر احتجاج الاحبار والقسيسين من أهل نجران بقوله عز وجل خلقنا وأمرنا وأشباه ذلك وقالوا هذا يدل على انه ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم وهذا من الزيغ بالمتشابه دون رده الى المحكم نحو قوله «وإلهكم إله واحد» و «قل هو الله أحد» والعجب من ضعف عقولهم كيف احتجوا على محمد بما أنزل على محمد وهو أعلم بمعنى ما أنزل عليه لان هذا اللفظ الذى احتجوا به مجاز عربى وليس هو لفظ التوراة والانجيل وأصل هذا المجاز فى العربية ان الكتاب اذا صدر عن حضرة ملك كانت العبارة فيه عن الملك بلفظ الجمع دلالة على انه كلام ملك متبوع على أمره وقوله فلما خاطبهم الله تعالى بهذا الكتاب

وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ثم جمع أهل الكتابين جميعا وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا من اليهود والنصارى فقال ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى قوله (٤٨) قل اللهم مالك الملك أى رب العباد والملك الذى لا يقضى فيهم غيره تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير أى لا الى غيرك انك على كل شىء قدير أى لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى بتلك القدرة وترزق من تشاء بغير حساب لا يقدر على ذلك غيرك ولا يصنعه الا أنت أى فان كنت سلطت عيسى على الاشياء التى بها يزعمون أنه اله من احياء الموتى وابراء الاسقام والخلق للطير من الطين والاخبار عن الغيوب لاجعله به آية للناس وتصديقا له فى نبوته التى بعثته بها الى قومه فان من سلطانى وقدرتى مالم اعطه تمليك الملوك بامر النبوة ووضعها حيث شئت وايلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل واخراج الحى من الميت واخراج الميت من الحى ورزق من شئت من بر او فاجر بغير حساب فكل ذلك لم اسلط عيسى عليه ولم املكه اياه أفلم تكن لهم فى ذلك عبرة و بينة أن لو كان إلها كان ذلك كله اليه وهو فى وخصائص علمهم يهرب من الملوك و ينتقل منهم فى البلاد من بلد الى بلد ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ثم قال قل ان كنتم تحبون الله اى ان كان هذا من قولكم حقا حبا لله وتعظيما له فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم أى ما مضى من كفركم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فانم

العزيز أنزله على مذاهبهم فى الكلام وجاء اللفظ فيه على أسلوب الكلام الصادر عن حضرة الملك وليس هذا فى غير اللسان العربى ولا يتطرق هذا المجاز فى حكم العقل الى الكلام القديم انما هو فى اللفظ المنزل ولذلك نجده اذا أخبر عن قول قاله لنبى قبلنا أو خاطب به غيرنا نحو قوله «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى» ولم يقل خلقنا بايدينا كما قال مما عملته أيدينا وقال حكاية عن وحيه لموسى «ولتصنع على عينى» ولم يقل كما قال فى الآية الاخرى «تجرى باعيننا» لانه أخبر عن قول قاله لم ينزله بهذا اللسان العربى ولم يحك لفظا أنزله وانما أخبر عن المعنى وليس المجاز فى المعنى وكذلك لا يجوز لعبد أن يقول رب اغفروا ولا ارحمونى ولا عليكم توكلت ولا اليكم أنبت ولا قالها نبى قط فى مناجاته ولا نبى فى دعائه لوجهين أحدهما انه واجب على العبد أن يشعر قلبه التوحيد حتى يشاكل لفظه عقده الثانى ما قدمناه من سير هذا المجاز وان سببه صدور الكلام عن حضرة الملك موافقة للعرب فى هذا الاسلوب من كلامها واختصاصه بعادة ملوكها وأشرافها ولا تنظر لقول من قال فى هذه المسئلة و بذلك روجعوا يعنى بلفظ الجمع واحتج بقوله سبحانه خبرا عمن حضره الموت من الكفار اذ يقول رب ارجعون فيقال له هذا خبرا عمن حضرته الشياطين ألا ترى قبله وأعوذ بك رب ان يحضرون فانما جاء هذا حكاية عمن حضرته الشياطين وحضرته زبانية العذاب وجرى على لسانه فى الموت ما كان يعتاده فى الحياة من رد الامر الى المخلوقين فلذلك خلط فقال رب ثم قال ارجعون والا فانت أيها الرجل المجيز لهذا اللفظ فى مخاطبة الرب سبحانه هل قلت قط فى دعائك ارحمون يارب وارزقون بل لو سمعت غيرك يقولها لسطوت به وأما قول مالك وغيره من الفقهاء الامر عندنا أو رأينا كذا أو نرى كذا فانما ذلك لانه قول لم ينفرد به ولو انفرد به لكان بدعة ولم يقصد به تعظيما لنفسه لا هو ولا غيره من أهل الدين والدعة * وأما احتجاج القسيسين بانه كان يحيي الموتى و يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فلو تفكروا و أبصروا انها حجة عليهم لان الله تعالى خصه دون الانبياء بمعجزات تبطل مقالة من كذبه وتبطل أيضا مقالة من زعم انه اله او ابن الاله واستحال عنده أن يكون مخلوقا من غير أب فكان نفخه فى الطين فيكون طائرا حيا تنبيها لهم لو عقلوه على أن مثله كمثل آدم خلق من طين ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا حيا فنفخ الروح فى الطائر الذى خلقه عيسى من طين ليس باعجب من ذلك الكل فعل الله وكذلك احياؤه للموتى وكلامه فى المهد كل ذلك يدل على انه مخلوق من نفخة روح القدس فى جيب أمه ولم يخلق من منى الرجال فكان معنى الروح فيه عليه السلام أقوى منه فى غيره فكانت معجزاته روحانية دالة على قوة المناسبة بينه و بين روح الحياة ومن ذلك بقاؤه حياً الى قرب الساعة وروى عن أبى بن كعب أن الروح الذى تمثل لها بشرا هو الروح الذى حملت به وهو عيسى عليه السلام دخل من فيها الى جوفها رواه الكشى باسناد حسن يرفعه الى أبى وخص بابراء الاكمه والابرص وفى تخصيصه بابراء هاتين الآفتين مشاكلة لمعناه عليه السلام وذلك أن فرقة عميت بصائرهم فكذبوا نبوته وهم اليهود وطائفة غلوا فى تعظيمه بعد ما ابيضت قلوبهم بالايمان ثم أفسدوا ايمانهم بالغلو فمثلهم كمثل الابرص أبيض بياضا فاسدا ومثل الآخرين مثل الاكمه الاعمى وقد أعطاه الله من الدلائل على الفريقين ما يبطل المقالتين ودلائل الحدوث تثبت له العبودية وتنفى عنه الربوبية

تعرفونه وتجدونه فى كتابكم فان تولوا أى على كفرهم فان الله لا يحب الكافرين * ثم استقبل لهم امر عيسى وكيف كان بدؤ ما أراد الله به فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ثم ذكر أمر امرأة عمران فى قولها رب انى نذرت لك ما فى بطنى محرراً اى نذرته جعلته عتيقا تعبده لله لا ينتفع به لشىء من الدنيا فتقبل منى انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى اى ليس الذكر كالانثى لما جعلتها له محررة لك نذيرة وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم يقول الله تبارك وتعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا بعد ابيها وأمها قال ابن اسحق فذكرها باليتم «قال ابن هشام» كفلها ضمنها * قال ابن اسحق ثم قص خبرها وخبر زكريا وما دعا به وما اعطاه اذ وهب له يحيي ثم ذكر مريم وقول الملائكة لها يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين يقول الله عز وجل ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم أى ما كنت معهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم «قال ابن هشام» اقلامهم سهامهم يعنى قداحهم التى استهموا بها عليها فخرج قدح زكريا فضمها فيما قال الحسن بن أبى الحسن البصرى * قال ابن اسحق كفلها ههنا جريج الراهب رجل من بنى اسرائيل نجار خرج السهم عليه بحملها فحملها وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك فاصابت بنى اسرائيل أزمة شديدة فعجز زكريا عن حملها فاستهموا عليها أيهم يكفلها فخرج السهم على جريج الراهب بكفولها فكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون أى ما كنت معهم اذ يختصمون فيها يخبره بخفى ما كتموا منه من العلم عندهم لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه ثم قال اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم أى هكذا كان أمره لا ما يقولون فيه وجيهاً فى الدنيا والآخرة أى عند الله ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين يخبرهم أى بحالاته التى يتقلب فيها فى عمره كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغاراً أو كباراً الا ان الله خصه بالكلام فى مهده آية لنبوته وتعريفاً للعباد بمواقع قدرته قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء أى يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون مما يشاء وكيف شاء فيكون كما أراد ثم أخبرها بما يريد به فقال ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة التى كانت فيهم من عهد موسى قبله والانجيل كتابا آخر أحدثه الله عز وجل اليه لم يكن عندهم الا ذكره انه كائن من الانبياء بعده ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أى يحقق بها نبوتى أنى رسول منه اليكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله الذى بعثنى اليكم وهو ربى وربكم وأبرئ الاكمه والابرص «قال ابن هشام» والاكمه الذى يولد أعمى قال رؤبة بن العجاج

* هرجت فارتد ارتداد الاكمه *

«قال ابن هشام» هرجت صحت بالاسد وجلبت عليه وهذا البيت فى قصيدة له وجمعه كمه وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم أنى رسول من الله اليكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة أى لما سبقنى منها ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم أى أخبركم به انه كان عليكم حراما فتركتموه ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم فتصيبون يسره وتخرجون من تباعته وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم أى تبريا من الذى يقولون فيه واحتجاجا لربه عليهم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أى هذا الذى قد حملتكم عليه وجئتكم به فلما أحس عيسى منهم الكفر والعدوان عليه قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وهذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم واشهد بانا مسلمون لا ما يقول

وخصائص معجزاته تنفى عن أمه الريبة وتثبت له ولها النبوة والصديقية فكان فى مسيح الهدى من الآيات ما يشاكل حاله ومعناه حكمة من الله كما جعل فى الصورة الظاهرة من مسيح الضلالة وهو الاعور الدجال ما يشاكل حاله ويناسب صورته الباطنة على نحو ما شرحنا وبينا فى املاء أمليناه على هذه النكتة فى غير هذا الكتاب والحمد لله

﴿ فصل ﴾ وذكر فى تفسير ما نزل فيهم قول حنة أم مريم وهى بنت ماثان «رب انى وضعتها أنثى» قال بعض أهل التأويل أشارت الى معنى الحيض ان الانثى تحيض فلا تخدم المسجد ولذلك قال وليس الذكر كالانثى لان الذكر لا يحيض فهو أبدا فى خدمة المسجد وهذه اشارة حسنة (فان قيل) كان القياس فى الكلام ان يقال وليس الانثى كالذكر لانها دونه فما باله بدأ بالذكر (والجواب) ان الانثى انما هى دون الذكر فى نظر العبد لنفسه لانه يهوى ذكران البنين وهم مع الاموال زينة الحياة الدنيا وأقرب الى فتنة العبد ونظر الرب للعبد خير من نظره لنفسه فليس الذكر كالانثى على هذا بل الانثى أفضل فى الموهبة ألا تراه يقول سبحانه «يهب لمن يشاء اناثا» فبدأ بذكرهن قبل الذكور وفى الحديث ابدؤا بالاناث يعنى فى الرحمة وادخال السرور على البنين وفى

هؤلاء الذين يحاجونك فيه ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أى هكذا كان قولهم وايمانهم ثم ذكر رفعه عيسى اليه حين اجتمعوا لقتله فقال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه كيف رفعه وطهره منهم فقال اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا اذ هموا منك بما هموا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم القصة حتى انتهى الى قوله ذلك نتلوه عليك يامحمد من الآيات والذكر الحكيم القاطع الفاصل الحق الذى لا يخالطه الباطل من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره فلا تقبلن خبرا غيره ان مثل عيسى عند الله فاستمع كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك أى ماجاءك من الخبر عن عيسى فلا تكن من الممترين أى قد جاءك الحق من ربك فلا تمترين فيه وان قالوا خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر فكان كما كان عيسى لحما ودما وشعرا وبشرا فليس خلق عيسى من غير ذكر باعجب من هذا فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم أى من بعد ماقصصت عليك من خبره وكيف كان أمره فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين «قال ابن هشام» قال أبو عبيدة نبتهل ندعو باللعنة قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة

لا تقعدن وقد أكلتها حطبا * تعوذ من شرها يوما وتبتهل

وهذا البيت فى قصيدة له يقول ندعو باللعنة وتقول العرب بهل الله فلانا أى لعنه الله وعليه بهلة الله أى لعنة الله «قال ابن هشام» ويقال بهله الله أى لعنه الله ونبتهل أيضا نجتهد فى الدعاء * قال ابن اسحق ان هذا الذى جئت به من الخبر عن عيسى لهو القصص الحق من أمره وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فدعاهم الى النصف وقطع عنهم الحجة فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عز وجل والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعنتهم ان ردوا ذلك عليه دعاهم الى ذلك فقالوا ياأبا القاسم دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا ياعبد المسيح ماذا ترى فقال والله يامعشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا النبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم مالاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد أبيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ياأبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فانكم عندنا رضا قال محمد بن جعفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى العشية ابعث معكم القوى الامين قال فكان عمر بن الخطاب يقول ما احببت الامارة قط حبى اياها يومئذ رجاء أن اكون صاحبها فرحت الى الظهر مهجرا فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ثم نظر عن يمينه وعن يساره فجعلت اتطاول ليرانى فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه قال عمر فذهب بها أبو عبيدة * قال ابن اسحق وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وسيد أهلها عبد الله بن أبى ابن سلول العوفى ثم أحد بنى الحبلى لا يختلف عليه فى شرفه اثنان لم تجتمع الاوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء

الحديث أيضا من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين فترتب الكلام فى التنزيل على حسب الافضل فى نظر الله للعبد والله أعلم بما أراد

﴿ فصل ﴾ وذكر دعاءه عليه السلام أهل نجران الى المباهلة وانهم رضوا ببذل الجزية والصغار وأن لا يلاعنوه وكذلك روى ان بعضهم قال لبعض ان لاعنتموه ودعوتم باللعنة على الكاذب اضطرم الوادى عليكم نارا وفى تفسير الكشى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد تدلى اليهم العذاب والذى نفسى بيده لو باهلونى لاستؤصلوا من على جديد الارض ﴿ نكتة ﴾ فى قوله ندع أبناءنا وأبناءكم وبدأ بالابناء والنساء قبل الانفس (والجواب) ان أهل التفسير قالوا أنفسنا وأنفسكم أى ليدع بعضنا بعضا وهذا نحو قوله فسلموا على أنفسكم فى أحد القولين أى يسلم بعضكم على بعض فبدأ بذكر الاولاد الذين هم فلذ الاكباد ثم بالنساء التى جعل بيننا وبينهم مودة ورحمة ثم من وراءهم من دعاء بعضهم بعضا لان الانسان لا يدع نفسه وانتظم الكلام على الاسلوب المعتاد فى اعجاز القرآن وفى حديث أهل نجران زيادة كثيرة عن ابن اسحق من غير رواية ابن هشام منها ان راهب نجران حين رجع الوفد وأخبروه الخبر رحل الى النبى صلى الله عليه وسلم فسمع منه وأهدى اليه القضيب والقعب والبرد الذى هو الآن عند خلفاء بنى العباس يتوارثونه

﴿ فصل ﴾ وذكر قصة عبد الله بن أبى ابن سلول وسلول هى أم أبى وهى خزاعية وهو أبى بن مالك من بنى الحبلى واسم الحبلى سالم والنسب اليه حبلى بضمتين كرهوا أن يقولوا حبلوى أو حبلى أو حبلاوى على قياس النسب

الاسلام غيره ومعه فى الاوس رجل هوفى قومه من الاوس شريف مطاع أبوعامر عبد عمرو بن صيفى بن النعمان أحد بنى ضبيعة بن زيد وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح وكان يقال له الراهب فشقيا بشرفهما وضرهما قال فأما عبد الله بن أبى فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك فلما انصرف قومه عنه الى الاسلام ضغن ورأى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا فلما ان رأى قومه قد أبوا الا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضغن * وأما أبو عامر فابى الا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الاسلام فخرج منهم الى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقا للاسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى محمد بن أبى أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبى عامر لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق * قال ابن اسحق وحدثنى جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم وكان قد أدرك وسمع وكان راوية ان أبا عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة قبل أن يخرج الى مكة فقال ما هذا الدين الذى جئت به فقال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال بلى قال انك أدخلت يا محمد فى الحنيفية ما ليس منها قال ما فعلت ولكنى جئت بها بيضاء نقية قال الكاذب أماته الله طريدا غريبا وحيدا يعرض برسول الله صلى الله عليه وسلم أى انك ما جئت بها كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فمن كذب ففعل الله تعالى ذلك به فكان هو ذلك عدو الله خرج الى مكة فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج الى الطائف فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريدا غريبا وحيدا وكان قد خرج معه علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفى فلما مات اختصما فى ميراثه الى قيصر صاحب الروم فقال قيصر يرث أهل المدر أهل المدر ويرث اهل الوبر اهل الوبر فورثه كنانة بن عبد ياليل بالمدر دون علقمة فقال كعب بن مالك لابى عامر فيما صنع

معاذالله من عمل خبيث * كسعيك فى العشيرة عبد عمرو
فاما قلت لى شرف ونخل * فقد ما بعت ايمانا بكفر

«قال ابن هشام» ويروى * فاما قلت لى شرف ومال * قال ابن اسحق وأما عبد الله بن أبى فأقام على شرفه فى قومه مترددا حتى غلبه الاسلام فدخل فيه كارها * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن عروة بن الزبير عن أسامة بن زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن عبادة يعوده من شكوى اصابة على حمار عليه اكاف فوقه قطيفة فدكية مختطمة بحبل من ليف وأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه قال فمر بعبد الله بن أبى وهو فى ظل مزاحم اطمة «قال ابن هشام» مزاحم اسم لاطمة

النسب لان حبلى وسكرى ونحوهما اذا كانا اسما لرجل لم يجر فى الجمع على حكم التانيث وكذلك فعلاء بالمد تقول فى جمع رجل اسمه سلمى أو ورقاء الورقاوون والسلمون وهذا بخلاف تاء التانيث فانك تقول فى طلحة اسم رجل طلحات كما كنت تقول فى غير العلمية لان التاء لا تكون الا للتانيث والالف تكون للتانيث وغيره فلما كانت ألف التانيث بخلاف تاء التانيث فى الاسماء الاعلام كان النسب اليها مخالفا للنسب الى ما فيه الف التانيث فى غير الاعلام غير ان هذا فى باب النسب لا يطرد وان اطرد الجمع كما قدمنا وكانت النكتة التى خص بها النسب فى بنى الحبلى بمخالفة القياس كراهيتهم لحكم التانيث فيه لان الحبلى وصف للمرأة بالحبل فليس كراهيتهم لبقاء حكم التانيث فيمن اسمه سلمى من الرجال ككراهيتهم لبقاء حكم التانيث فيمن اسمه حبلى فلذلك غيروا النسب حتى كانهم نسبوا الى حبل والله أعلم وأما سلول فى خزاعة وقد تقدم عند ذكر حبشية ابن سلول فاسم رجل مصروف وأما بنو سلول بن صعصعة اخوة بنى عامر فهم بنو مرة بن صعصعة وسلول أمهم وهى بنت ذهل بن شيبان فجميع ما وقع لابن اسحق فى السير من سلول ثلاثة واحد اسم رجل مصروف وثنتيان غير مصروفتين وهما اللتان ذكرنا * وذكر ان الانصار كانوا قد نظموا الخرز لعبد الله بن أبى ليتوجوه ويملكوه عليهم وذلك أن الانصار يمن وقد كانت الملوك المتوجون من اليمن فى آل قحطان وكان أول من تتوج منهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولم يتوج من العرب الا قحطانى كذلك قال أبو عبيدة فقيل له قد تتوج هودة بن على الحنفى صاحب اليمامة وقال فيه الاعشى

من يرى هودة يسجد غير متئب * اذا تعمم فوق التاج أو وضعا

وفى الخرزات التى بمعنى التاج يقول الشاعر

رعى خرزات الملك عشرين حجة * وعشرين حتى فاد والشيب شامل

وقال أبو عبيدة لم يكن تاجا وانما كانت خرزات تنظم وكان سبب تتوج هودة انه أجار لطيمة لكسرى منعما ممن أرادها من العرب فلما وفد عليه توجه لذلك وملكه

﴿ فصل ﴾ وذكر فى حديث عبد الله بن أبى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو فى ظل مزاحم أطمة وآطام المدينة سطوح ولها اسماء فمنها مزاحم * ومنها الزوراء اطم بنى الجلاح * ومنها معرض اطم بنى

*قال ابن اسحق وحوله رجال من قومه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تذمم من ان يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلا فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل وذكر بالله وحذر وبشر وأنذر قال وهو زام لا يتكلم حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته قال يا هذا انه لا أحسن من حديثك هذا ان كان حقا فاجلس فى بيتك فمن جاءك له فحدثه اياه ومن لم يأتك فلا تغته به ولا تأته فى مجلسه بما يكره منه قال فقال عبد الله بن رواحة فى رجال كانوا عنده من المسلمين بلى فاغشنا به وائتنا فى مجالسنا ودورنا وبيوتنا فهو والله مما نحب ومما أكرمنا الله به وهدانا له فقال عبد الله بن أبى حين رأى من خلاف قومه ما رأى

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل * تذل ويصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازى بغير جناحه * وان جذ يوما ريشه فهو واقع

«قال ابن هشام» البيت الثانى عن غير ابن اسحق

*قال ابن اسحق وحدثنى الزهرى عن عروة بن الزبير عن اسامة قال وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على سعد بن عبادة وفى وجهه ما قال عدو الله بن أبى فقال والله يا رسول الله انى لارى فى وجهك شيئا لكانك سمعت شيئا تكرهه فقال أجل ثم أخبره بما قال ابن أبى فقال سعد يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك وانا لننظم له الخرز لنتوجه وانه ليرى ان قد سلبته ملكا

﴿ ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال ابن اسحق وحدثنى هشام بن عروة وعمرو بن عبد الله بن عروة عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى فاصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم قالت فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبى بكر مع أبى بكر فى بيت واحد فاصابتهم الحمى فدخلت عليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم ما لا يعلمه الا الله من شدة الوعك فدنوت من أبى بكر فقلت له كيف تجدك يا أبت فقال

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت والله ما يدرى أبى ما يقول قالت ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت له كيف تجدك يا عامر فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه * كالثور يحمى جلده بروقه

تريد طاقته فيما قال ابن هشام قالت فقلت والله ما يدرى عامر ما يقول قالت وكان بلال اذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال

ساعدة ومنها فارع اطم بنى حديلة ومنها مسعط ومنها واقم وفى معرض يقول الشاعر

ونحن دفعنا عن بضاعة كلها * ونحن بنينا معرضا فهو مشرف
فاصبح معمورا طويلا قذاله * وتخرب آطام بها وتقصف

وبضاعة أرض بنى ساعدة واليها تنسب بئر بنى بضاعة والاجش وكان بقباء والجميم والنواحان وهما اطمان لبنى انيف وصرار وكان بالجوانية والريان والشبعان وهو فى ثمغ وراتج والابيض ومنها عاصم والرعل وكان لحضير بن سماك ومنها خيط وواسط وحبيش والاغلب ومنيع فهذه آطام المدينة ذكرا كثرها الزبير والاطم اسم مأخوذ من ائتطم اذا ارتفع وعلا يقال ائتطم على فلان اذا غضب وانتفخ والاطمات نيران معروفة فى جبال لا تخمد فيها تأخذ باعنان السماء فهى أبدا باقية لانها فى معادن الكبريت وقد ذكر المسعودى منها جملة وذكر مواضعها وقول عبد الله بن أبى

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل * تذل ويصرعك الذين تصارع

يقال ان ابن أبى تمثل بها ويقال انهما لخفاف بن ندبة وخفاف هو ابن عمرو بن الشريد أحد غربان العرب وأمه ندبة ويقال فيها ندبة وندبة وهو سلمى *وذكر فى حديث عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على سعد بن عبادة يعوده وفى رواية يونس زيادة فيها فقه قال كان سعد قد دعاه رجل من الليل فخرج اليه فضربه الرجل بسيف فاشواه فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم يعوده من تلك الضربة ولامه على خروجه ليلا وهذا هو موضع الفقه

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث عائشة حين وعك أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة وما أجابوها به من الرجز فيذكر أن قول عامر * لقد وجدت الموت قبل ذوقه * انه لعمرو بن مامة وفى هذا الخبر وما ذكر فيه من حنينهم الى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه وقد جاء فى حديث أصيل الغفارى ويقال فيه الهذلى انه قدم من مكة فسألته عائشة كيف تركت مكة يا أصيل فقال تركتها حين ابيضت أباطحها وأحجن ثمامها وأعدق اذخرها وامشر سلمها فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا أصيل ويروى انه قال له دع القلوب تقر وقد قال الاول

الا

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بوادى الخزامى حيث ربتنى أهلى
بلاد بها نيطت على تمائمى * وقطعن عنى حين أدركنى عقلى

وأما قول بلال * بفج وحولى اذخر وجليل * ففج موضع خارج مكة به مويه يقول فيه الشاعر

ماذا بفج من الاشراق والطيب * ومن جوار نقيات رعابيب

و بفج اغتسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم والاذخر من نبات مكة قال أحمد بن داود وهو أبو حنيفة الدينورى صاحب كتاب النبات الاذخر فيما حكى عن الاعراب الاول له أصل مندفق وقضبان دقاق وهو ذفر الريح وهو مثل الاصل أصل الكولان الا أنه أعرض كعوبا وله ثمرة كأنها مكاسح القصب الا أنها أرق وأصغر قال أبو زياد الاذخر يشبه فى نباته بنبات الاسل الذى تعمل منه الحصر و يشبه نباته الغرز والغرز ضرب من الثمام واحدته غرزة و يتخذ من الغرز الغرابيل والاذخر أرق منه والاذخر يطحن فيدخل فى الطيب وقال أبو عمرو وهو من الجنبة وقلما تنبت الاذخرة منفردة وقال فى الجليل عن أبى نصر ان أهل الحجاز يسمون الثمام الجليل ومعنى الجنبة التى ذكر أبو عمرو وهو كل نبات له أصول ثابتة لا تذهب بذهاب فرعه فى الغيط وتلقح فى الخريف وليست كالشجر الذى يبقى أصله وفرعه فى الغيط ولا كالنجم الذى يذهب فرعه وأصله فلا يعود الا زريعته جانب النجم والشجر فسمى جنبة و يقال للجنبة أيضاً الطريفة قاله أبو حنيفة ومجنة سوق من أسواق العرب بين عكاظ وذى المجاز وكلها أسواق قد تقدم ذكرها ومجنة يجوز أن تكون مفعلة وفعلة فقد قال سيبويه فى الجن ان ميمه أصلية وانه فعل وخالفه فى ذلك الناس وجعلوه مفعلا من جن اذا استتر ومن أسواقهم أيضاً حباشة وهى أبعد من هذه وأما شامة وطفيل فقال الخطابى فى كتاب الاعلام فى شرح البخارى كنت أحسبهما جبلين حتى مررت بهما ووقفت عليهما فاذا هما عينان من ماء و يقوى قول الخطابى انهما عينان قول كثير

وما أنس م الاشياء لا أنس موقفا * لنا ولها بالخبت خبت طفيل

والخبت منخفض الارض * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم حبب لنا المدينة كما حببت الينا مكة و بارك لنا فى مدها وصاعها يعنى الطعام الذى يكال بالصاع ولذلك قال فى حديث آخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه وشكا اليه قوم سرعة فناء طعامهم فقال أتهيلون أم تكيلون فقالوا بل نهيل فقال كيلوا ولا تهيلوا ومن رواه قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه فمعناه عندهم تصغير الارغفة وهكذا رواه البزار من طريق أبى الدرداء وذكر فى تفسيره ما قلناه وذكر أبو عبيد المد فى كتاب الاموال أعنى مد المدينة فقال هو رطل وثلث والرطل مائة وثمانية وعشرون درهما والدرهم خمسون حبة وخمسان * وقوله صلى الله عليه وسلم وانقل حماها واجعلها بمهيعة وهى الجحفة كأنه عليه السلام لم يرد ابعاد الحمى عن جميع أرض الاسلام ولو أراد ذلك لقال انقل حماها ولم يخص موضعا أو كان يخص بلاد الكفر وذلك والله أعلم لأنه قد نهى عن سب الحمى ولعنها فى حديث أم المسيب وأخبر أنها طهور وأنها حظ كل مؤمن من النار فجمع بين الرفق بأصحابه فدعا لهم بالشفاء منها و بين أن لا يحرموا أيضاً الاجر فيما يصيبوا منها فلم يبعدها كل البعد وأما مهيعة فقد اشتد الوباء فيها بسبب هذه الدعوة حتى قيل ان الطائر يمر بغدير خم فيسقم وغدير خم فيها و يقال انها ما ولد فيها مولود فبلغ الحلم وهى أرض نجعة لا تسكن ولا يقام فيها اقامة دائمة فيما بلغنى والله أعلم * وذكر تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفى غير هذه الرواية عن ابن اسحق عن شرحبيل بن سعد قال كنت أصطاد فى حرم المدينة بالوقاقيص وهى شباك الطير فاصطدت نهسا فأخذه زيد بن ثابت وصك فى قفاى ثم أرسله

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بفج وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

« قال ابن هشام » شامة وطفيل جبلان بمكة قالت عائشة رضى الله عنها فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم فقلت انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد وبارك لنا فى مدها وصاعها وانقل وباءها الى مهيعة ومهيعة الجحفة * قال ابن اسحق وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبد الله بن عمرو بن العاصى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضا وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم حتى كانوا ما يصلون الا وهم قعود قال فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك

فقال لهم اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم قال فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من امره الله به ممن يليه من المشركين مشركى العرب وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة

﴿تاريخ الهجرة﴾

بالاسناد المتقدم عن عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل لثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول وهو التاريخ قال ابن هشام * قال ابن اسحق ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة فاقام بها بقية شهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر وجمادين ورجب وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة وولى تلك الحجة المشركون والمحرم ثم خرج غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة سعد ابن عبادة

﴿غزوة ودان﴾

وهى أول غزواته عليه السلام * قال ابن اسحق حتى بلغ ودان وهى غزوة الابواء يريد قريشا وبنى ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذى وادعه منهم عليهم مخشى بن عمرو الضمرى وكان سيدهم فى زمانه ذلك ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا فاقام بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الاول «قال ابن هشام» وهى أول غزوة غزاها

﴿سرية عبيدة بن الحرث﴾

وهى أول راية عقدها عليه السلام * قال ابن اسحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين وليس فيهم من الانصار

---

* وذكر حديث عبد الله بن عمرو وقوله عليه السلام صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم حين رآهم يصلون قعودا من الوعك قال فتجشم الناس القيام على ما بهم من السقم وهذا الحديث بهذا اللفظ يقوى ما تأوله الخطابى فى صلاة القاعد انها على النصف من صلاة القائم ثم قال الخطابى انما ذلك للضعيف الذى يستطيع القيام بكلفة وان كان عاجزا على القيام البتة فصلاته مثل صلاة القائم وهذا كله فى الفريضة والنافلة وخالف أبو عبيد فى تخصيصه هذا الحديث بصلاة النافلة فى حال الصحة واحتج الخطابى بحديث عمران بن حصين وفيه وصلاته قائما على النصف من صلاته قاعدا قال وقد أجمعت الامة ان لا يصلى أحد مضطجعا الا من مرض فدل على انه لم يرد بهذا الحديث كله الا المريض الذى يقدر على القيام بكلفة أو على القعود بمشقة ونسب بعض الناس النسوى الى التصحيف فى هذا الحديث وقالوا انما هو وصلاته نائما على النصف من صلاته قاعدا فتوهمه النسوى قائما أى مضطجعا فترجم عليه فى كتابه باب صلاة النائم وليس كما قالوا فان فى الرواية الثانية وصلاة النائم على النصف من صلاة القاعد ومثل هذا لا يتصحف وقول الخطابى أجمعت الامة على أن المضطجع لا يصلى فى حال الصحة نافلة ولا غيرها وافقه أبو عمر على ادعاء الاجماع فى هذه المسئلة وليست بمسئلة اجماع كما زعما بل كان من السلف من يجيز للصحيح أن يتنفل مضطجعا منهم الحسن البصرى ذكر ذلك أبو عيسى الترمذى فى مصنفه

﴿غزوة ودان﴾

ذكر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين فى شهر ربيع وقد قدمنا فى باب الهجرة ما قاله ابن الكلبى وغيره فى ذلك وفى أى شهر كان قدومه من شهور العجم * وذكر انه أقام بالمدينة بقية شهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر وجمادين وكان القياس أن يقول وشهرى جمادى أو يقول وبقية ربيع وربيعا الآخر كما قال فى سائر الشهور ولكن الشهر اذا سميته بالاسم العلم لم يكن ظرفا وكانت الاقامة أو العمل فيه كله الان تقول شهر كذا كما تقدم من كلامنا على شهر رمضان فى حديث المبعث وكذلك قال سيبويه فقول ابن اسحق جمادين ورجبا مستقيم على هذا الاصل * وقوله بقية شهر ربيع فلان العمل والاقامة كان فى بعضه فلذلك لم يقل بقية ربيع الاول لكنه قال وشهر ربيع الآخر ليزدوج الكلام ويشاكل ماقبله وهذا كله من فصاحته رحمه الله أو من فصاحة من كان قبله ان كان رواه على اللفظ * وقوله وجمادين وربما كان القياس ان يقول والجمادين بالالف واللام لانه اسم علم ولا يثنى العلم فيكون معرفة الا ان تدخل عليه الالف واللام فتقول الزيدان والعمران لكنه أجراه بفصاحته مجرى ابانين وقنوين وكل واحد من هذين اسم لجبلين ولا تدخله الالف واللام لان تعريفه لم يزل بالتثنية لانهما أبدا متلازمان فالتثنية لازمة لهما مع العلمية بخلاف الآدميين ولما كان جماديان شهرين متكارهين جعلهما فى الزمان كابانين فى المكان ولم يجعلهما كالزيدين والعمرين اللذين لا تلازم بينهما وهذا كلام العرب قال الحطيئة

أحد فسار حتى بلغ ماء بالحجاز باسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمى به فى الاسلام ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى حليف بنى زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر المازنى حليف بنى نوفل بن عبد مناف وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار وكان على القوم عكرمة بن أبى جهل «قال ابن هشام» حدثنى ابن أبى عمرو بن العلاء عن أبى عمرو المدنى انه كان عليهم مكرز بن حفص بن الاخيف أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر * قال ابن اسحق فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى غزوة عبيدة بن الحرث «قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابى بكر رضى الله عنه

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث * أرقت وأمر فى العشيرة حادث
ترى من لؤى فرقة لا يصدها * عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا * عليه وقالوا لست فينا بماكث
اذا ما دعوناهم الى الحق أدبروا * وهروا هرير المجحرات اللواهث
فكم قد منينا فيهم بقرابة * وترك التقى شىء لهم غير كارث
فان يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم * فما طيبات الحل مثل الخبائث
وان يركبوا طغيانهم وضلالهم * فليس عذاب الله عنهم بلابث
ونحن اناس من ذؤابة غالب * لنا العز منها فى الفروع الانائث
فاولى برب الراقصات عشية * حراجيج تخدى فى السريح الرثائث
كأدم ظباء حول مكة عكف * يردن حياض البئر ذات النبائث
لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهم * ولست اذا آليت قولا بحانث
لتبتدرنهم غارة ذات مصدق * تحرم أطهار النساء الطوامث
تغادر قتلى تعصب الطير حولهم * ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث
فابلغ بنى سهم لديك رسالة * وكل كفور يبتغى الشر باحث
فان تشعثوا عرضى على سوء رأيكم * فانى من اعراضكم غير شاعث

فاجابه عبد الله بن الزبعرى السهمى فقال

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث * بكيت بعين دمعها غير لابث
ومن عجب الايام والدهر كله * له عجب من سابقات وحادث
لجيش أتانا ذى عرام يقوده * عبيدة يدعى فى الهياج ابن حارث
لنترك اصناما بمكة عكفا * مواريث موروث كريم لوارث
فلما لقيناهم بسمر ردينة * وجرد عتاق فى العجاج لواهث
وبيض كأن الملح فوق متونها * بايدى كماة كالليوث العوائث
نقيم بها اصعار من كان مائلا * ونشفى الذحول عاجلا غير لابث
فكفوا على خوف شديد وهيبة * وأعجبهم امر لهم امر رائث
ولو أنهم لم يفعلوا ناح نسوة * أيامى لهم من بين نسء وطامث
وقد غودرت قتلى يخبر عنهم * حفى بهم اوغافل غير باحث
فابلغ أبا بكر لديك رسالة * فما انت عن اعراض فهر بماكث
ولما تجب منى يمين غليظة * تجدد حربا حلفه غير حانث

«قال ابن هشام» تركنا منها بيتا واحدا واكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعرى * قال ابن اسحق وقال سعد بن أبى

باتت له بكثيب حربة ليلة * وطفاء بين جمادين درور

(فان قلت) فقد قالوا السماكين فى النجوم وهما متلازمان وكذلك السرطان (قلنا) انما كان ذلك لوجود معنى الصفة فيهما وهو عنده من باب الحرث والعباس فى الآدميين وأكشف سر العلمية فى الشهور والايام وتقسيم أنواع العلمية والمراد بها فى موضع غير هذا وانما أعجبتنى فصاحة ابن اسحق فى قوله بقية شهر كذا وشهر كذا وجمادين ورجبا وشعبان ونزل الالفاظ عند منازلها عند أرباب اللغة الفاهمين لحقائقها يرحمه الله * وذكر فى غزوة عبيدة ولقائه المشركين وعلى المشركين مكرز بن حفص بن الاخيف هكذا الرواية حيث وقع بكسر الميم وذكر ابن ماكولا فى المؤتلف والمختلف عن أبى عبيدة النسابة انه كان يقول فيه مكرز بفتح الميم وكانه مفعل أو مفعل من الكريز وهو الاقط وكذلك ذكر هو وغيره فى الاخيف ههنا انه بفتح الهمزة وسكون الخاء وكان ابن ماكولا وحده يقول فى الاخيف من بنى أسيد بن عمرو بن تميم وهو جد الخشخاش التميمى أخيف بضم الهمزة وفتح الخاء وقال الدارقطنى أخيف كما قالوا فى الاول

«فصل» وذكر ابن اسحق القصيدة التى تعزى الى أبى بكر ونقيضتها لابن الزبعرى والزبعرى فى اللغة السيء الخلق يقال رجل زبعرى وامرأة زبعراة والزبعرى أيضا البعير الازب الكثير شعر الاذنين مع قصر قاله الزبير وفى هذا الشعر أو الذى بعده ذكر الدبة وهو الكثيب من الرمل وأما الدبة بضم الدال فانه يقال جرى فلان على دبة فلان أى على سنته وطريقته والدبة أيضا ظرف للزيت قال الراجز

* ليك بالعنف عفاص الدبة * والدبة بكسر الدال هيئة الذبيب وليس فيها ما يشكل معناه * وقوله * تخدى فى السريح الدثائث * السريح شبه النعل تلبسه أخفاف الابل يريد ان هذه الابل الحراجيج وهى الطوال تخدى أى تسرع فى سريح قد رث من طول السير قال الشاعر * دوامى الايد يخبطن السريحا * وذكر العثاعث واحدها عثعث وهو من أكرم منابت العشب قاله أبو حنيفة وفى العين العثعث

وقاص فى رميته تلك فيما يذكرون ألا هل أتى رسول الله انى * حميت صحابتى بصدور نبلى
أذود بها أوائلهم ذيادا * بكل حزونة وبكل سهل فما يعتد رام فى عدو * بسهم يارسول الله قبلى
وذلك أن دينك دين صدق * وذو حق أتيت به وعدل ينجى المؤمنون به ويجزى * به الكفار عند مقام مهل
فمهلا قد غويت فلا تعبنى * غوى الحى ويحك يا ابن جهل «قال ابن هشام» واكثر أهل العلم بالشعر ينكرها السعد * قال ابن اسحق وكانت راية عبيدة بن الحرث فيما بلغنى أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام لاحد من المسلمين

﴿سرية حمزة رضى الله عنه الى سيف البحر﴾

* قال ابن اسحق وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الابواء قبل أن يصل الى المدينة وبعث فى مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم الى سيف البحر من ناحية العيص فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان موادعا للفريقين جميعا فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من المسلمين وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معا فشبه ذلك على الناس وقد زعموا أن حمزة قد قال فى ذلك شعرا يذكر فيه ان رايته أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان حمزة قد قال ذلك فقد صدق ان شاء الله لم يكن يقول الا حقا فالله أعلم أى ذلك كان فاما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة بن الحرث أول من عقد له فقال حمزة فى ذلك فيما يزعمون قال ابن هشام وأكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضى الله عنه

ألا يالقومى للتحلم والجهل * وللنقص من رأى الرجال وللعقل
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ * لهم حرمات من سوام ولا أهل
كانا نبلناهم ولا نبل عندنا * لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل
وأمر باسلام فلا يقبلونه * وينزل منهم مثل منزلة الهزل
فما برحوا حتى انتدبت لغارة * لهم حيث حلوا أبتغى راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافق * عليه لواء لم يكن لاح من قبل اعما
لواء لديه النصر من ذى كرامة * إله عزيز فعله أفضل الفعل
عشية ساروا حاشدين وكلنا * مراجله من غيظ أصحابه تغلى
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا * مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
فقلنا لهم حبل الاله نصيرنا * ومالكم الا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغيا * فخاب ورد الله كيد أبى جهل
ومانحن الا فى ثلاثين راكبا * وهم مائتان بعد واحدة فضل
فيا آل لؤى لا تطيعوا غواتكم * وفيؤا الى الاسلام والمنهج السهل
فانى أخاف أن يصب عليكم * عذاب فتدعوا بالندامة والثكل *

ظهر الكثيب الذى لا نبات فيه * وذكر ابن هشام ان قوما من أهل العلم بالشعر أنكروا أن تكون هذه القصيدة لابى بكر ويشهد لصحة من أنكر أن تكون له ماروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت كذب من أخبركم ان أبا بكر قال بيت شعر فى الاسلام رواه محمد البخارى عن أبى المتوكل عن عبد الرزاق وقول ابن الزبعرى بين نسء وطامث والنسء حمل المرأة فى أوله والطامث معروف يقال نسئت المرأة اذا تأخر حيضها من أجل الحمل من كتاب العين * وقول أبى بكر رأب ابن حارث يعنى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وقول أبى جهل * وورعنى مجدى عنهم وصحبتى * ترك صرف مجدى لانه علم وترك التنوين فى المعارف كلها أصل لا ينون مضمر ولا مبهم ولا ما فيه الالف واللام ولا مضاف وكذلك كان القياس فى العلم فاذا لم ينون فى الشعر فهو الاصل فيه لان دخول التنوين فى الاسماء

﴿فاجابه أبو جهل بن هشام فقال﴾

عجبت لاسباب الحفيظة والجهل * وللشاغبين بالخلاف وبالبطل
وللتاركين ما وجدنا جدودنا * عليه ذوى الاحساب والسودد الجزل
أتونا بافك كى يضلوا عقولنا * وليس مضلا افكهم عقل ذى عقل
فقلنا لهم ياقومنا لا تخالفوا * على قومكم ان الخلاف مدى الجهل
فانكم ان تفعلوا تدع نسوة * لهن بواك بالرزية والثكل
وان ترجعوا عما فعلتم فاننا * بنو عمكم أهل الحفائظ والفضل
فقالوا لنا انا وجدنا محمدا * رضا لذوى الاحلام منا وذى العقل
فلما أبوا الا الخلاف وزينوا * جماع الامور بالقبيح من الفعل
تيممتهم بالساحلين بغارة * لاتركهم كالعصف ليس بذى اصل
فورعنى مجدى عنهم وصحبتى * وقد وازرونى بالسيوف وبالنبل
لآل علينا واجب لا نضيعه * أمين قواه غير منتكث الحبل
فلولا ابن عمرو كنت غادرت منهم * ملاحم للطير العكوف بلا تبل
ولكنه آلى بال فقلصت * بايماننا حد السيوف عن القتل
فان تبقنى الايام أرجع عليهم * ببيض رقاق الحد محدثة الصقل

انما هو علامة لانفصالها عن الاضافة فما لا يضاف لا يحتاج الى تنوين وقد كشفنا سر التنوين وامتناع التنوين والخفض مما لا ينصرف فى مسئلة أفردناها فى هذا الباب وأتينا فيها بالعجب العجاب والشواهد على حذف التنوين فى الشعر من الاسم العلم كثيرة جدا فتأمله فى أشعار السير والمغازى تجدها وغرضنا فى شرح هذه الاشعار الواردة فى كتاب السيرة أن نشرح منها ما استغلق لفظه جداً أو غمض اعرابه على شرطنا فى أول الكتاب لكنى لا أعرض لشئ من أشعار الكفرة التى نالوا فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شعر من أسلم وتاب كضرار وابن الزبعرى وقد كره كثير من أهل العلم فعل ابن اسحق فى ادخاله الشعر الذى نيل فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الناس من اعتذر عنه قال حكاية الكفر ليس بكفر والشعر كلام ولا فرق ان يروى كلام الكفرة ومحاجتهم للنبى صلى الله عليه وسلم وردهم عليه منثوراً وبين أن يروى منظوما وقد حكى ربنا سبحانه فى كتابه العزيز مقالات الامم لانبيائها وما طعنوا به عليهم فما ذكر من هذا على جهة الحكاية نظماً أو نثراً فانما يقصد به الاعتبار بما مضى وتذكر نعمة الله تعالى على الهدى والانقاذ من العمى وقد قال عليه السلام لان يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً وتأولته عائشة رضى الله عنها فى الاشعار التى هجى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكرت قول من حمله على العموم فى جميع الشعر واذا قلنا بما روى عن عائشة فى ذلك فليس فى الحديث الا عيب امتلاء الجوف منه وأما رواية اليسير منه على جهة الحكاية أو الاستشهاد على اللغة فلم يدخل فى النهى وقد رد أبو عبيد على من تأول الحديث فى الشعر الذى هجى به الاسلام وقال رواية نصف بيت من ذلك الشعر حرام فكيف يخص امتلاء الجوف منه بالذم وعائشة أعلم فان البيت والبيتين والابيات من تلك الاشعار على جهة الحكاية بمنزلة الكلام المنثور الذى ذموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فرق وقول عائشة الذى قدمناه ذكره ابن وهب فى جامعه وعلى القول بالاباحة فان النفس تقذر تلك الاشعار وتبغضها وقائليها فى الله فالاعراض عنها خير من الخوض فيها والتتبع لمعانيها

﴿ غزوة بواط ﴾

وبواط جبلان فرعان لاصل واحد احدهما جلسى والآخر غورى وفى الجلسى بنو دينار ينسبون الى دينار مولى عبد الملك بن مروان * ذكر فيه استخلاف رسول الله صلى الله عليه على المدينة السائب بن مظعون وهو أخو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح شهد بدراً فى قول ابن اسحق ولم يذكره موسى بن عقبة فى البدريين وأما السائب بن عثمان وهو ابن أخى هذا فشهد بدراً فى قول جميعهم الا ابن الكلبي وقتل يوم اليمامة شهيداً

﴿ غزوة العشيرة ﴾

يقال فيها العشيرة والعشيراء وبالسين المهملة أيضاً العسيرة والعسيراء أخبرنى بذلك الامام الحافظ أبو بكر رحمه الله وفى البخارى أن قتادة سئل عنها فقال العشير ومعنى العسيرة والعسيراء انه اسم مصغر من العسراء والعسرى واذا صغر تصغير الترخيم قيل عسيرة وهى بقلة تكون أذنة أى عصيفة ثم تكون سحاء ثم يقال لها العسرى قال الشاعر

وما منعناها الماء الا ضنانة * باطراف عسرى شوكها قد تحددا

ومعنى هذا البيت كمعنى الحديث لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلا وأما العشيرة بالشين المنقوطة فواحدة

بايدى حماة من لؤى بن غالب * كرام المساعى فى الجدوبة والمحل

« قال ابن هشام » وأكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لابى جهل لعنه الله

﴿ غزوة بواط ﴾

* قال ابن اسحق ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول يريد قريشا * « قال ابن هشام » واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون * قال ابن اسحق حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الاولى

﴿ غزوة العشيرة ﴾

ثم غزا قريشا واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد فيما قال ابن هشام

قال ابن اسحق فسلك على نقب بنى دينار ثم على فيفاء الخيار فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن ازهر يقال لها ذات الساق فصلى عندها فثم مسجده صلى الله عليه وسلم وصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه فموضع اثافى البرمة معلوم هنالك واستقى له من ماء يقال له المشيرب ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك الخلائق بيسار وسلك شعبة يقال لها شعبة عبد الله وذلك اسمها اليوم ثم صب للشاد حتى هبط بليل فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة واستقى من بئر بالضبوعة ثم سلك الفرش فرش ملل حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الاولى وليالى من جمادى الآخرة ووادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا وفى تلك الغزوة قال لعلى بن أبى طالب ما قال عليه السلام * قال ابن اسحق فحدثنى يزيد بن محمد بن خثيم المحاربى عن محمد بن كعب القرظى عن محمد بن خثيم أبى يزيد عن عمار بن ياسر قال كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العشيرة فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها رأينا بها أناسا من بنى مدلج يعملون فى عين لهم وفى نخل فقال لى على بن أبى طالب يا أبا اليقظان هل لك فى ان نأتى هؤلاء القوم فننظر كيف يعملون قال قلت ان شئت قال فجئناهم فنظرنا الى عملهم ساعة ثم غشينا النوم فانطلقت أنا وعلى حتى اضطجعنا فى صور من النخل وفى دقعاء من التراب فنمنا فوالله ما أهبنا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء التى نمنا فيها فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب ثم قال ألا أحدثكما باشقى الناس رجلين قلنا بلى يا رسول الله قال أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك يا على على هذه ووضع يده على قرنه حتى يبل منها هذه وأخذ بلحيته * قال ابن اسحق وقد حدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى عليا أبا تراب انه كان اذا عتب على فاطمة الا فى شىء لم يكلمهما ولم يقل لها شيئا تكرهه الا انه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى عليه التراب عرف انه عاتب على فاطمة فيقول مالك يا أبا تراب فالله أعلم أى ذلك كان

العشر مصغرة * وذكر فيها الضبوعة وهو اسم موضع وهو فعولة من ضبعت الابل اذا مرت أضباعها فى السير وفى الضبوعة نزل عند شجرة يقال لها ذات الساق وابتنى ثم مسجداً واستسقى من ماء هنالك يقال له المشيرب كذلك جاء فى رواية البكائى وغيره عن ابن اسحاق * وذكر فيه مللا وهو اسم موضع يقال انه انما سمى مللا لان الماشى اليه من المدينة لا يبلغه الا بعد جهد وملل وهو على عشرين ميلا من المدينة أو أكثر قليلا وذكر الحلائق وهى آبار معلومة * ورواها غير أبى الوليد الخلائق بخاء منقوطة وفسرها بعضهم جمع خليقة وهى البئر التى لا ماء فيها وأكثر روايات الكتاب على هذا فالله أعلم * وذكر فرش ملل والفرش فيما ذكر أبو حنيفة مكان مستو نبته العرفط والسيال والسمر يكون نحوا من ميل أو فرسخ فان أنبت العرفط وحده فهو وهط وان أنبت الطلح وحده فهو غول وجمعه غلان على غير قياس وان أنبت النصى والصليان وكان نحوا من ميلين قيل له لمعة * وذكر حديثين فى تكنية على بابى تراب وأصح من ذلك ما رواه البخارى فى جامعه وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده فى المسجد نائما وقد ترب جنبه فجعل يحث التراب عن جنبه ويقول قم أبا تراب وكان قد خرج الى المسجد مغاضبا لفاطمة وهذا معنى الحديث وما ذكره ابن اسحق من حديث عمار مخالف له الا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين مرة فى المسجد ومرة فى هذه الغزوة فالله أعلم * وذكر أشقى الناس قال وهو أحيمر ثمود الذى عقر ناقة صالح واسمه قذار بن سالف وأمه قذيرة وهو من التسعة رهط المذكورين فى سورة النمل وقد ذكرت أسماءهم فى كتاب التعريف والاعلام * وذكر موادعته لبنى ضمرة وهم بطن من كنانة ثم من بنى ليث وهم بنو غفار وبنو نعيلة بنى مليل بن ضمرة وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غير ابن اسحق بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة فانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وان لهم النصر على من رامهم

﴿ سرية سعد بن ابى وقاص ﴾

(قال ابن اسحق) وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبى وقاص فى ثمانية رهط من المهاجرين فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز ثم رجع ولم يلق كيداً «قال ابن هشام» ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة

﴿ ذكر غزوة سفوان ﴾

وهى غزوة بدر الاولى * قال ابن اسحق ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة الا ليالى قلائل لا تبلغ العشرة حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز بن جابر فلم يدركه وهى غزوة بدر الاولى ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجب وشعبان

سرية عبد الله بن جحش ونزول يسئلونك عن الشهر الحرام

و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدى فى رجب مقفله من بدر الاولى و بعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحداً وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ومن حلفائهم عبد الله بن جحش وهو أمير القوم وعكاشة بن محصن بن حرثان أحد بنى أسد بن خزيمة حليف لهم ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر حليف لهم ومن بنى زهرة بن كلاب سعد بن أبى وقاص ومن بنى عدى بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم من عنز بن وائل وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عر بن بن ثعلبة بن يربوع أحد بنى تميم حليف لهم وخالد بن البكير أحد بنى سعد بن ليث حليف لهم ومن بنى الحرث بن فهر سهيل بن بيضاء * فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه فاذا فيه اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب قال سمعاً وطاعة ثم قال لاصحابه قد أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمضى الى نخلة أرصد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر وقد نهانى أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة و يرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فاما أنا فماض لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا عليه فى طلبه ومضى عبد الله بن جحش و بقية أصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمى «قال ابن هشام» واسم الحضرمى عبد الله بن عباد أحد الصدف واسم الصدف عمرو بن مالك أحد السكون بن المغيرة بن أشرس بن كندة و يقال كندى * قال ابن اسحق وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فاشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا وقال عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك فى آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قدر من قدروا عليه منهم وأخذ مامعهم فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل ابن عبد الله فاعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير و بالاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش ان عبد الله قال لاصحابه ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا الخمس وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير وقسم سائرها بين أصحابه «قال ابن هشام» فلما قدموا على

الا أن يحاربوا فى دين الله مابل بحر صوفة وان النبى اذا دعاهم لنصره أجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ولهم النصر على من بر منهم واتقى

سرية عبد الله بن جحش

وهو المجدع فى الله وسيأتى حديثه فى غزوة أحد وترجم البخارى على هذا الحديث فى كتاب العلم احتجاجا به على صحة الرواية بالمناولة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ناول عبد الله بن جحش كتابه ففتحه بعد يومين فعمل على مافيه وكذلك العالم اذا ناول التلميذ كتابا جاز له أن يروى عنه مافيه وهو فقه صحيح غير ان الناس جعلوا المناولة اليوم على غير هذه الصورة يأتى الطالب الشيخ فيقول ناولنى كتبك فيناوله ثم يمسك متاعه عنده ثم ينصرف الطالب فيقول حدثنى فلان مناولة وهذه رواية لا تصح على هذا الوجه حتى يذهب بالكتاب معه وقد أذن له أن يحدث بما فيه عنه وممن قال بصحة المناولة على الوجه الذى ذكرناه مالك بن أنس روى اسماعيل بن صالح عنه انه أخرج لهم كتبا مشدودة فقال هذه كتبى صححتها ورويتها فارووها عنى فقال له اسماعيل بن صالح فنقول حدثنا مالك قال نعم روى قصة اسماعيل هذه الدارقطنى فى كتاب رواة مالك رحمه الله * وذكر عمرو بن الحضرمى وكانوا ثلاثة عمرا وعامرا والعلاء فاما العلاء فمن أفاضل الصحابة واختهم الصعبة أم طلحة بن عبيد الله وكانت قبل أبيه عند أبى سفيان بن حرب وفيها يقول حين فارقها

وانى وصعبة فيما نرى * بعيدان والود ود قريب
فان لا يكن نسب ثاقب * فعند الفتاة جمال وطيب
فيال قصى ألا تعجبون * الى الوبر صار الغزال الربيب

رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فوقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيا فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة انما أصابوا ما أصابوا فى شعبان وقالت يهود تفائل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله عليهم ذلك لا لهم فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل أى ان كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام واخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منه والفتنة أكبر من القتل أى قد كانوا يفتنون المسلم فى دينه حتى يردوه الى الكفر بعد ايمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا أى ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين فلما نزل القرآن بهذا من الامر وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت اليه قريش فى فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان فانا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة فقداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فاما الحكم بن كيسان فاسلم فحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافرا فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن لم طمعوا فى الاجر فقالوا يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين فانزل الله عز وجل فيهم ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء والحديث فى هذا عن الزهرى ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير * قال ابن اسحق وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش ان الله عز وجل قسم الفىء حين أحله فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه الله وخمسه الى الله ورسوله فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع فى تلك العير «قال ابن هشام» وهى أول غنيمة غنمها المسلمون وعمرو بن الحضرمى أول من قتله المسلمون وعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون * قال ابن اسحق فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى غزوة عبد الله بن جحش ويقال بل عبد الله بن جحش قالها حين قالت قريش قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال وأسروا فيه الرجال «قال ابن هشام» هى لعبد الله بن جحش

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة * وأعظم منه لو يرى الرشد راشد صدودكم عما يقول محمد * وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله * لئلا يرى لله فى البيت ساجد فانا وان عيرتمونا بقتله * وأرجف بالاسلام باغ وحاسد

وفى نسب بنى الحضرمى اضطراب فقد قيل ما قاله ابن اسحق وقيل هو عبد الله بن عماد بن ربيعة وقيل ابن عياد وابن عباد بالباء والذى ذكره ابن اسحق أصح وهم من الصدف ويقال فيه الصدف بكسر الدال قاله ابن دريد والصدف مالك بن مرتع بن ثور وهو كندة وقد قدمنا ما قيل فى اسم كندة وفى معناه فى المبعث وقد قيل فى الصدف هو ابن سمال بن دعمى بن زياد بن حضرموت وقيل فى حضرموت انه من ولد حمير بن سبا وقيل هو ابن قحطان بن عابر والله أعلم * وذكر الشهر الحرام وما كان من أهل السرية فيه وانه سقط فى أيديهم لما أصابوا فيه من الدم وذلك ان تحريم القتال فى الاشهر الحرم كان حكما معمولا به من عهد ابراهيم واسماعيل وكان من حرمات الله ومما جعله مصلحة لاهل مكة قال الله تعالى «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام» وذلك لما دعا ابراهيم لذريته بمكة اذ كانوا بواد غير ذى زرع أن يجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم فكان فيما فرض على الناس من حج البيت قواما لمصلحتهم ومعاشهم ثم جعل الاشهر الحرم أربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج واردين الى مكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة من الله وأما رجب فللعمار يامنون فيه مقبلين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه للاياب اذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج ألا ترى انا لا نعتمر من بلاد المغرب فاذا أردنا عمرة فانما تكون مع الحج واقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوما فكانت الاقوات تأتيهم فى المواسم وفى سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان العرب وقطاع السبل فكان فى رجب أمان للسالكين اليها مصلحة لاهلها ونظرا من الله لهم دبره وأبقاه من ملة ابراهيم

سقينا من ابن الحضرمى رماحنا * بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا * ينازعه غل من القد عاند

﴿تاريخ القبلة﴾ * قال ابن اسحق ويقال صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

﴿غزوة بدر الكبرى﴾ * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بابى سفيان بن حرب مقبلا من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون منهم مخرمة ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام «قال ابن هشام» ويقال عمرو بن العاص بن وائل ابن هاشم * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن مسلم الزهرى وعاصم عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ويزيد بن رومان عن عروة ابن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس رضى الله عنهما كل قد حدثنى بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الاخبار ويسأل من لقى من الركبان تخوفا عن أمر الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وأمره ان يأتى قريشا فيستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لنا فى أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة

لم يغير حتى جاء الاسلام فكان القتال فيه محرما كذلك صدرا من الاسلام ثم أباحته آية السيف وبقيت حرمة الاشهر الحرم لم تنسخ قال الله سبحانه «منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم» فتعظيم حرمتها باق وان أبيح القتال وقد روى عن عطاء أن تحريم القتال فيها حكم ثابتة لم ينسخ وقد تقدم فى باب نسب النبى صلى الله عليه وسلم ذكر سعد رجب وهو أول من سنه للعرب فيما زعموا

﴿غزوة بدر﴾

وبدر اسم بئر حفرها رجل من غفار ثم من بنى النار منهم اسمه بدر وقد ذكرنا فى هذا الكتاب قول من قال هو بدر بن قريش بن يخلد الذى سميت قريش به وروى يونس عن ابن أبى زكريا عن الشعبى قال بدر اسم رجل كانت له بدر

﴿فصل﴾ وذكر أبا سفيان وانه حين دنا من الحجاز كان يتحسس الاخبار التحسس بالحاء أن تتسمع الاخبار بنفسك والتجسس بالجيم هو أن تفحص عنها بغيرك وفى الحديث لا تجسسوا ولا تحسسوا * وذكر رؤيا عاتكة والصارخ الذى رأته يصرخ باعلا صوته يا لغدر هاكذا هو بضم الغين والدال جمع غدور ولا تصح رواية من رواه يا لغدر بفتح الدال مع كسر الراء ولا فتحها لانه لا ينادى واحدا ولان لام الاستغاثة لا تدخل على مثل هذا البناء فى النداء وانما يقول يا لغدر انفروا وتحريضا لهم أى ان تخلفتم فانتم غدر لقومكم وفتحت لام الاستغاثة لان المنادى قد وقع موقع الاسم المضمر ولذلك بنى فلما دخلت عليه لام الاستغاثة وهى لام جر فتحت كما تفتح لام الجر اذا دخلت على المضمرات هذا قول ابن السراج ولابى سعيد السيرافى فيها تعليل غير هذا كرهنا الاطالة بذكره وهذا القول مبنى فى شرح يا لغدر انما هو على رواية الشيخ وما وقع فى أصله وأما أبو عبيد فقال فى المصنف تقول يا غدر أى يا غادر فاذا جمعت قلت يا آل غدر وهكذا والله أعلم كان الاصل فى هذا الخبر والذى تقدم تغيير * وقوله ثم مثل به بعيره على أبى قبيس سمى هذا الجبل أبا قبيس برجل هلك فيه من جرهم اسمه قبيس بن شالخ وقع ذكره فى حديث عمرو بن مضاض كما سمى حنين الذى

﴿ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب﴾

* قال ابن اسحق فاخبرنى من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قالا وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتنى وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عنى ما أحدثك به قل لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث فارى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها منها فلقة قال العباس والله ان هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه اياها

فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش فى أنديتها قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآنى أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال لى أبو جهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وما ذاك قال تلك الرؤيا التى رأت عاتكة قال فقلت وما رأت قال يا بنى عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتابا انكم أكذب أهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه كبير الا انى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئا قال ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشىء مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان منى اليه من كبير وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينكنه قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى انى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لامشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر قال اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت فى نفسى ماله لعنه الله كل هذا فرق منى أن أشاتمه قال واذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا وقالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى كلا والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد الا ان أبا لهب بن عبد المطلب تخلف وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه أفلس بها فاستأجره بها على ان يجزئ عنه بعثه فخرج عنه وتخلف أبو لهب * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ان أمية بن خلف كان أجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا فأتاه عقبة بن أبى معيط وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه ثم قال يا أبا على استجمر فانما أنت من النساء قال قبحك الله وقبح ما جئت به قال ثم تجهز فخرج مع الناس

كانت فيه حنين بحنين بن قالية بن مهلايل أظنه كان من العماليق وقد ذكره البكرى فى كتاب معجم ما استعجم * وذكر حديث أبى لهب وبعثه العاصى بن هشام وكان لاط له بأربعة آلاف درهم لاط له أى أربى له وكذلك جاء اللياط مفسرا فى غريب الحديث للخطابى وهو قوله عليه السلام فى الكتاب الذى كتبه لثقيف وما كان لهم من دين لا رهن فيه فهو لياط مبرأ من الله وقال أبو عبيد وسمى الربا لياطا لانه ملصق بالبيع وليس ببيع وقيل للربا لياط لانه لاصق بصاحبه لا يقضيه ولا يوضع عنه وأصل هذا اللفظ من اللصوق وعزم أمية بن خلف على القعود وان عقبة بن أبى معيط جاءه بمجمرة فيها نار ومجمر وقال استجمر فانما أنت من النساء المجمرة هى الاداة التى يجعل فيها البخور والمجمر هو البخور نفسه وفى الحديث فى صفة أهل الجنة مجامرهم الالوة فهذا جمع مجمر لا مجمرة والالوة هى العود الرطب وفيها أربع لغات ألوة وألوة

﴿ ذكر أمر الحرب بين كنانة وقريش وتحاجزهم عند وقعة بدر ﴾

* قال ابن اسحق ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا انا نخشى أن يأتونا من خلفنا وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر كما حدثنى بعض بنى عامر بن لؤى عن محمد بن سعيد بن المسيب فى ابن الحفص ابن الاخيف أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى خرج يبتغى ضالة له بضجنان وهو غلام حدث فى رأسه ذؤابة وعليه حلة له وكان غلاما وضيئا نظيفا فمر بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوح أحد بنى يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو بضجنان وهو سيد بنى بكر يومئذ فرآه فاعجبه فقال من أنت يا غلام قال أنا ابن الحفص بن الاخيف القرشى فلما ولى الغلام قال عامر بن يزيد يا بنى بكر ما لكم فى قريش من دم قالوا بلى والله ان لنا فيهم لدما قال ما كان رجل ليقتل هذا الغلام برجله الا كان قد استوفى دمه قال فتبعه رجل من بنى بكر فقتله بدم كان له فى قريش فتكلمت فيه قريش فقال عامر بن يزيد يا معشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء فما شئتم ان شئتم فادوا علينا ما لنا قبلكم ونؤدى ما لكم قبلنا وان شئتم فانما هى الدماء رجل برجل فتجافوا عما لكم قبلنا ونتجافى عما قبلكم فهان ذلك الغلام على هذا الحى من قريش وقالوا اصدق رجل برجل فلهوا عنه فلم يطلبوا به قال فبينما أخوه مكرز بن حفص بن الاخيف يسير بمر الظهران اذ نظر الى عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح على جمل له فلما رآه أقبل

اليه حتى أناخ به وعامر متوشح بسيفه فعلاه مكرز بسيفه حتى قتله ثم خاض بطنه بسيفه ثم أتى به مكة فعلقه من الليل باستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد بن عامر معلقا باستار الكعبة فعرفوه فقالوا ان هذا لسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله فكان ذلك من أمرهم فبينما هم فى ذلك من حربهم حجز الاسلام بين الناس فتشاغلوا به حتى أجمعت قريش المسير الى بدر فذكروا الذى بينهم وبين بنى بكر فخافوهم وقال مكرز بن حفص فى قتله عامرا

لما رأيت انه هو عامر * تذكرت اشلاء الحبيب الملحب
* وقلت لنفسى انه هو عامر * فلا ترهبيه وانظرى أى مركب وأيقنت انى ان أجلله ضربة * متى ما أصبه بالفرافر يعطب
خفضت له جاشى وألقيت كلكلى * على بطل شاكى السلاح مجرب ولم أك لما التف روعى وروعه * عصارة هجن من نساء ولا أب
حللت به وترى ولم أنس ذحله * اذا ما تناسى ذحله كل عيهب

«قال ابن هشام» الفرافر فى غير هذا الموضع الرجل الاضبط وفى هذا الموضع السيف وقال ابن هشام العيهب الذى لا عقل له ويقال تيس الظباء وفحل النعام قال الخليل العيهب الرجل الضعيف عن ادراك وتره * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر فكاد ذلك يثنيهم فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة فقال لهم انا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه فخرجوا سراعا * قال ابن اسحق وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليال مضت من شهر رمضان فى أصحابه «قال ابن هشام» خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان واستعمل عمرو بن أم مكتوم ويقال اسمه عبد الله بن أم مكتوم أخا بنى عامر بن لؤى على الصلاة بالناس ثم رد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة * قال ابن اسحق ودفع اللواء الى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار «قال ابن هشام» وكان أبيض * قال ابن اسحق وكان امام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع على بن أبى طالب يقال لها العقاب والاخرى مع بعض الانصار * قال ابن اسحق وكانت ابل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب ومرثد ابن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا * قال ابن اسحق وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة أخا بنى مازن ابن النجار وكانت راية الانصار مع سعد بن معاذ فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فسلك طريقه من المدينة الى مكة على نقب المدينة ثم على العقيق ثم على ذى الحليفة ثم على أولات الجيش «قال ابن هشام» ذات الجيش * قال ابن اسحق ثم مر على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام من مريين ثم على صخيرات اليمام ثم على السيالة ثم على فج الروحاء ثم على شنوكة وهى الطريق المعتدلة حتى اذا كان بعرق الظبية «قال ابن هشام» الظبية عن غير ابن اسحق لقوا رجلا من الاعراب فسالوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقال له الناس سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وفيكم رسول الله قالوا نعم فسلم عليه ثم قال ان كنت رسول الله فاخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه قال له سلمة بن سلامة بن وقش لا تسال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على فانا أخبرك عن ذلك نزوت عليها ففى بطنها منك سخلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه أفحشت على الرجل ثم أعرض عن سلمة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سجسج وهى بئر الروحاء ثم ارتحل منها حتى اذا كان بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا فسلك فى ناحية منها حتى جزع واديا يقال له وحقان بين النازية

وألوة ولوة بغير ألف ولية قاله أبو حنيفة * وذكر فى شعر مكرز * تذكرت أشلاء الحبيب الملحب * الاشلاء أعضاء مقطعة والملحب من قولهم لحبت اللحم اذا قطعته طولا ذكره صاحب العين * وذكر فى شعر مكرز * متى ما أحلله الفرافر يعطب * وقد فسر ابن هشام الفرافر وقال هو اسم سيف وهو عندى من فرفر اللحم اذا قطعه أنشد أبو عبيد

ككلب طسم وقد تربيه * يعله بالحليب فى الغلس
أنحى عليه يوما يفرفره * ان لا يلغ فى الدماء ينتهس

ويروى يشرشره والعيهب الذى لا عقل له ويقال لذكر النعم عيهب * وذكر عرق الظبية والظبية شجرة شبه القتادة يستظل بها وجمعها ظبيان وكذلك ذكر السيالة فى طريق بدر والسيال شجر ويقال هو عظام السلم قاله أبو حنيفة * وذكر النازية وهى رحبة واسعة فيها عضاه ومروج * وذكر سجسجا وهى بالروحاء وسميت سجسجا لانها بين جبلين وكل شئ بين شيئين فهو سجسج وفى الحديث ان هواء الجنة سجسج أى لا حر ولا برد وهو عندى من لفظ السجاج وهو لبن غير خالص وذلك اذا أكثر مزجه بالماء قال الشاعر

ويشربه مزجا ويسقى عياله * سجاجا كاقراب الثعالب أورقا

و بين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم انصب منه حتى اذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة وعدى بن أبى الزغباء الجهنى حليف بنى النجار الى بدر يتحسسان له الاخبار عن أبى سفيان بن حرب وغيره ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمهما فلما استقبل الصفراء وهى قرية بين جبلين سال عن جبليهما ما أسماؤهما فقالوا يقال لاحدهما هذا مسلح وقالوا للاخر هذا مخرىء وسال عن أهلهما فقيل بنو النار و بنو حراق بطنان من بنى غفار فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما وتفاءل باسمائهما واسماء أهلهما فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والصفراء بيسار وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت و ربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت و ربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له به ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى دورنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله كأنك تريدنا يارسول الله قال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا وأبشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها الاصافر ثم انحط منها الى بلد يقال له الدية وترك الحنان بيمين وهو كثيب عظيم كالجبل ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه « قال ابن هشام » الرجل هو أبو بكر الصديق * قال ابن اسحق كما حدثنى محمد

وهذا القول جار على قياس من يقول ان الثرثارة من لفظ الثرة و رقرقت من لفظ رققت الى آخر الباب * وذكر الصفراء وهى واد كبير * وذكر بسبس بن عمرو الجهنى وعدى بن أبى الزغباء حين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحسسان الاخبار عن عير قريش و فى مصنف أبى داود بسيسة مكان بسبس و بعض رواة أبى داود يقول بسيسة بضم الباء وكذلك وقع فى كتاب مسلم ونسبه ابن اسحق الى جهينة ونسبه غيره الى ذبيان وقال هو بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان * وأما عدى ابن أبى الزغباء واسم أبى الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة بن بذيل وليس فى العرب بذيل بالذال المنقوطة غير هذا قاله الدارقطنى وهو بذيل بن سعد بن عدى بن كاهل بن نصر بن ملك بن غطفان بن قيس ابن جهينة وجهينة هو ابن سود بن أسلم بضم اللام ابن الحاف بن قضاعة قال موسى بن عقبة عدى بن أبى الزغباء حليف بنى مالك بن النجار مات فى خلافة عمر وكان قد شهد بدرا وأحدا والخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر انه عليه السلام مر بجبلين فسأل على اسميهما فقيل له أحدهما مسلح والآخر مخرىء فعدل عن طريقهما وليس هذا من باب الطيرة التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن من باب كراهية الاسم القبيح فقد كان عليه السلام يكتب الى أمرائه اذا أبردتم الى بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم ذكره البزار من طريق بريدة وقد قال فى لقحة من يحلب هذه فقام رجل فقال أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك فقال مرة فقال اقعد حتى قال آخرهم اسمى يعيش قال احلب اختصرت الحديث وفيه زيادة رواها ابن وهب قال فقام عمر فقال لا أدرى أقول ام أسكت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل فقال له قد كنت نهيتنا عن التطير فقال عليه السلام ما تطيرت ولكنى أثرت الاسم الحسن او كما قال عليه السلام وقد أمليت فى شرح حديث الموطأ فى الشؤم وانه ان كان ففى المرأة والفرس والدار تحقيقا وبيانا شافيا لمعناه وكشفا عن فقهه لم أر أحدا والحمد لله سبقنى الى مثله وهذان الجبلان لتسميتهما بهذين الاسمين سبب وهو أن عبد البنى غفار كان يرعى بهما غنما لسيده فرجع ذات يوم عن المرعى فقال له سيده لم رجعت فقال ان هذا الجبل مسلح للغنم وان هذا الآخر مخرىء فسميا بذلك وجدت ذلك بخط الشيخ الحافظ فيما نقل عن الوقشى * وذكر قول المقداد ولو بلغت بنا برك الغماد

وجدت

ابن يحيي بن حبان حتى وقف على شيخ من العرب فساله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتنا أخبرناك قال أذاك بذاك قال نعم قال الشيخ فانه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم و بلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى فيه قريش فلما فرغ من خبره قال ممن أنتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء ثم انصرف عنه قال يقول الشيخ ما من ماء أمن ماء العراق «قال ابن هشام» و يقال الشيخ سفيان الضمرى * قال ابن اسحق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه فلما أمسى بعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه الى ماء بدر يلتمسون الخبرله عليه كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فاصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد فاتوا بهما وسالوهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لابى سفيان فضربوهما فلما أذلقوهما قالا نحن لابى سفيان فتركوهما وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ثم سلم وقال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش أخبرانى عن قريش قالا هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا ندرى قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما تسعا و يوما عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم فيما بين التسعمائة والالف قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحرث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحرث وزمعة بن الاسود وأبوجهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبدود فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها * قال ابن اسحق وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرا فانا خالى تل قريب من الماء ثم أخذا شنا لهما يستقيان فيه ومجدى بن عمرو الجهنى على الماء فسمع عدى و بسبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان على الماء والملزومة لصاحبتها انما تاتى العيرغدا أو بعدغد فاعمل لهم ثم أقضيك الذى لك فقال مجدى صدقت ثم خلص بينهما وسمع ذلك عدى و بسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بما سمعا وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فقال لمجدى بن عمرو هل أحسست أحدا فقال ما رأيت أحدا أنكره الا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التل ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا فاتى أبو سفيان مناخهما فاخذ من أبعار بعيريهما ففته فاذا فيه النوى فقال والله هذه علائف يثرب فرجع الى أصحابه سريعا فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدرا بيسار وانطلق حتى أسرع وأقبلت قريش فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا فقال انى رأيت فيما يرى النائم وانى لبين النائم واليقظان اذ نظرت الى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعيرله ثم قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ثم رأيته ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما بقى خباء من أخبية العسكر الا أصابه نضح من دمه قال فبلغت أباجهل فقال وهذا أيضا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من المقتول ان نحن التقينا * قال ابن اسحق ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبوجهل بن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب و بمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها فامضوا وقال الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى وكان حليفا لبنى زهرة وهم بالجحفة يا بنى زهرة قد نجى الله لكم أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بى جبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بان تخرجوا فى غير ضيعة لا ما يقول هذا يعنى أباجهل فرجعوا فلم يشهدها زهرى واحد أطاعوه وكان فيهم مطاعا ولم يكن بقى من قريش بطن الا وقد نفر منهم ناس الا بنى عدى بن كعب لم يخرج منهم رجل واحد فرجعت بنو زهرة مع الاخنس بن شريق فلم يشهد بدرا من هاتين القبيلتين أحد ومضى القوم وكان بين طالب بن أبى طالب وكان فى القوم و بين بعض قريش محاورة فقالوا والله لقد عرفنا يا بنى هاشم وان خرجتم معنا ان هواكم لمع محمد فرجع طالب الى مكة مع من رجع وقال طالب بن أبى طالب

لاهم اما يغزون طالب * فى عصبة محالف محارب
فى مقنب من هذه المقانب * فليكن المسلوب غير السالب
وليكن المغلوب غير الغالب *

«قال ابن هشام» قوله فليكن المسلوب وقوله وليكن المغلوب عن غير واحد من الرواة للشعر * قال ابن اسحق ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من

وجدت فى بعض كتب التفسير انها مدينة الحبشة

الوادى خلف العقنقل و بطن الوادى وهو يليل بين بدر و بين العقنقل الكثيب الذى خلفه قريش والقلب ببدر فى العدوة الدنيا من بطن يليل الى المدينة و بعث الله السماء وكان الوادى دهسا فاصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماء لبد لهم الارض ولم يمنعهم عن السير وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى اذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به * قال ابن اسحق فحدثت عن رجال من بنى سلمة أنهم ذكروا ان الحباب بن المنذر بن الجموح قال يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة قال يارسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى اذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت و بنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر انه حدث أن سعد بن معاذ رضى الله عنه قال يانبى الله ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يانبى الله ما نحن باشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك و يجاهدون معك فاثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه * قال ابن اسحق وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فقبلت فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذى جاؤا منه الى الوادى قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها و فخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم سيعلم أحنهم الغداة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و رأى عتبة بن ربيعة فى القوم على جمل له أحمر فقال ان يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وقد كان خفاف بين ايماء بن رحضة الغفارى أو أبوه ايماء بن رحضة الغفارى بعث الى قريش حين مروا به ابناله بجزائر أهداها لهم وقال ان أحببتم ان نمدكم بسلاح و رجال فعلنا قال فارسلوا اليه مع ابنه ان وصلتك رحم قد قضيت الذى عليك فلعمرى لئن كنا انما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ولئن كنا انما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لاحد بالله من طاقة فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل الا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن اسلامه فكان اذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى من يوم بدر * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الانصار قالوا لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحى فقالوا احزر لنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ولكن امهلونى حتى انظر أللقوم كمين أو مدد قال فضرب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيأ فرجع اليهم فقال ما وجدت

* وذكر القلب التى احتفرها المشركون ليشربوا منها قال فامر بتلك القلب فعورت وهى كلمة نبيلة وذلك ان القلب لما كان عينا جعلها كعين الانسان و يقال فى عين الانسان غرتها فغارت ولا يقال غورتها وكذلك قال فى القلب عورت بسكون الواو ولكن لما رد الفعل لما لم يسم فاعله ضمت العين فجاء على لغة من يقول قول القول و بوع المتاع وهى لغة هذيل و بنى دبير من بنى أسد و بنى فقعس و بنو دبير هو تصغير أدبر على الترخيم وان كانت لغة رديئة فقد حسنت هنا للمحافظة على لفظ الواو اذ لو قالوا عيرت فاميتت الواو ولم يعرف انه من العور الا بعد نظر كما حافظوا فى جمع عيد على لفظ الياء فى عيد فقالوا اعياد وتركوا القياس الذى فى ريح وارواح على ان أرباح لغة بنى أسد كى لا تذهب من اللفظ الدلالة على معنى العين وان كان من العودة وقس على هذا القول وصحة الواو فيه وكما حافظوا على الضمة فى سبوح وقدوس وقياسه ان يكون على فعول بفتح الفاء كتنوم وشبوط و بابه ولكن حافظوا على الضمتين ليسلم لفظ القدس والسبحات وسبحان الله يستشعر المتكلم بهذين الاسمين معنى القدس ومعنى سبحان من أول وهلة ولما ذكرناه نظائر كثيرة يخرجنا ايرادها عن الغرض * وذكر قول ابى جهل قم فانشد خفرتك اى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك لانه كان حليفا لهم وجارا يقال خفرت الرجل خفرة اذا أجرته والخفير المجير قال العبادى

من رأيت الايام خلدن ام من * ذا عليه من ان يضام خفير

وقوله حقبت الحرب يقال حقب الامر اذا اشتد وضاقت فيه المسالك وهو مستعار من حقب البعير اذا اشتد عليه الحقب وهو الحزام الاسفل و راغ حتى يبلغ ثيله فضاق عليه مسلك البول * وقول عتبة فى ابى جهل

شيئا ولكنى قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم والله ما أرى ان يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فاتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك الى ان لا تزال تذكر منها بخير الى آخر الدهر قال وماذاك يا حكيم قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى قال قد فعلت أنت على بذلك انما هو حليفى فعلى عقله وما أصيب من ماله فأت ابن الحنظلية «قال ابن هشام» والحنظلية أم ابى جهل وهى أسماء بنت مخربة احد بنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فانى لا اخشى ان يشجر أمر الناس غيره يعنى أبا جهل بن هشام ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبا فقال يامعشر قريش انكم والله ما تصنعون بان تلقوا محمدا واصحابه شيا والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه أو ابن خاله او رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فان اصابوه فذاك الذى أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا له من جرابها فهو يهنئها «قال ابن هشام» يهيئها فقلت له يا أبا الحكم ان عتبة ارسلنى اليك بكذا وكذا للذى قال فقال انتفخ والله سحره حين رأى محمدا واصحابه كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وما بعتبة ما قال ولكنه قد رأى ان محمدا واصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه ثم بعث الى عامر بن الحضرمى فقال هذا حليفك يريد ان يرجع بالناس وقد رأيت ثارك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل اخيك فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا على ماهم عليه من الشر فافسد على الناس الرأى الذى دعاهم اليه عتبة فلما بلغ عتبة قول ابى جهل انتفخ والله سحره قال سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو «قال ابن هشام» السحر الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرة وما كان تحت السرة فهو القصب ومنه قوله رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار «قال ابن هشام» حدثنى بذلك ابو عبيدة ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم هامته فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له * قال ابن اسحق وقد خرج الاسود بن عبد الاسد المخزومى وكان رجلا شرسا سيئ الخلق فقال أعاهد الله لاشربن من حوضهم اولاهدمنه اولاموتن دونه فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو اصحابه ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد زعم أن تبر يمينه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى اذا فصل من الصف دعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار ثلاثة وهم عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفراء ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم فقالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا علىّ فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم قال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال على على قالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز على الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل شيبة ان قتله وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا

سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره السحر والسحر الرئة والسحر ايضاً بفتح الحاء وهو قياس فى كل اسم على فعل اذا كان عين الفعل حرف حلق ان يجوز فيه الفتح فيقال فى الدهر الدهر وفى اللحم اللحم حتى قالوا فى النحو النحو ذكرها ابن جنى ولم يعتمدوا على هذا التحريك الذى من أجل حرف الحلق لما كان لعلة فلم يقلبوا الواو من أجله الفا حين قالوا النحو والزهد ولو اعتدوا بالفتحة لقلبوا الواو ألفا كما لم يعتدوا بها فى يهب ويضع اذ كان الفتح فيه من اجل حرف الحلق ولو اعتدوا به لردوا الواو فقالوا يوضع ويوهب كما قالوا يوجل

*وقوله مصفر استه كلمة لم يخترعها عتبة ولا هو بابى عذرها قد قيلت قبله لقابوس بن النعمان اولقابوس بن المنذر لانه كان مرفها لا يغزو فى الحروب فقيل له مصفر استه يريدون صفرة الخلوق والطيب وقد قال هذه الكلمة قيس بن زهير فى حذيفة يوم الهباءة ولم يقل احد ان حذيفة كان مستوها فاذا لا يصح قول من قال فى أبى جهل من قول عتبة فيه هذه الكلمة انه كان مستوها والله اعلم وسادة العرب لا تستعمل الخلوق والطيب الا فى الدعة والخفض وتعيبه فى الحرب أشد العيب واحسب ان أبا جهل لما سلمت العير واراد ان ينحر الجزور ويشرب الخمر ببدر وتعزف عليه القيان بها استعمل الطيب أو هم به فلذلك قال له عتبة هذه المقالة الا ترى الى قول الشاعر فى بنى مخزوم

ومن جهل ابو جهل اخوكم * غزا بدراً بمجمرة وتور

صاحبهما فجازاه الى أصحابه * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن عتبة بن ربيعة قال لفتية من الانصار حين انتسبوا أكفاء كرام انما نريد قومنا * قال ابن اسحق ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال ان اكتنفكم القوم فانضجوهم عنكم بالنبل ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش معه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان * قال ابن اسحق كما حدثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحسين * قال ابن اسحق وحدثنى حيان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفى يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بنى عدى بن النجار «قال ابن هشام» يقال سواد مثقلة وسواد فى الانصار غير هذا مخفف قال وهو مستنتل من الصف «قال ابن هشام» ويقال مستنصل من الصف فطعن فى بطنه بالقدح وقال استو ياسواد فقال يارسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدنى قال فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد قال فاعتنقه فقبل بطنه فقال ماحملك على هذا ياسواد قال يارسول الله حضر ماترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له * قال ابن اسحق ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع الى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ليس معه فيه غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ماوعده من النصر ويقول فيما يقول اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد وأبو بكر يقول يانبى الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ماوعدك وقد خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العريش ثم انتبه فقال ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله

يريدانه تبخر وتطيب فى الحرب * وقوله مصفر استه انما اراد مصفر بدنه ولكنه قصد المبالغة فى الذم فخص منه بالذكر مايسوءه أن يذكر

﴿ فصل ﴾ وذكر قصة سواد بن غزية حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستنتل امام الصف قال ابن هشام ويقال مستنصل * قوله مستنتل أمام الصف يقال استنتلت واستنصلت وابرنذعت وابرنتيت بالراء المهملة وبالزاى هكذا تقيد فى الغريب المصنف كل هذا اذا تقدمت سواد هذا بتخفيف الواو وكل سواد فى العرب فكذلك بتخفيف الواو وفتح السين الا عمرو بن سواد أحد بنى عامر بن لؤى من شيوخ الحديث وسواد بضم السين وتخفيف الواو وهو ابن مرى بن اراشة بن قضاعة ثم من بلى حلفاء الانصار ووقع فى الاصل من كلام ابن هشام سواد مثقلة ابن غزية وهو خطأ انما الصواب ماتقدم وسواد هذا هو عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر الذى جاءه بتمر جنيب ذكره مالك فى الموطا ولم يسمه * وقول ابن هشام مستنصل معناه خارج من الصف من قولك نصلت الرمح اذا أخرجت ثعلبه من السنان * وذكر قول أبى بكر بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ماوعدك رواه غير ابن اسحق كذلك مناشدتك وفسره قاسم فى الدلائل فقال كذلك قد يراد بها معنى الاغراء والامر بالكف عن الفعل وأنشد لجهير * كذاك القول ان عليك عينا * أى حسبك من القول فدعه وفى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأنجشة يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير وأورده مرة أخرى فقال فيه سوقك وانما دخله معنى النصب كما دخل عليك زيدا معنى النصب وفى دونك لانك اذا قلت دونك زيد وهو يطلبه فقد أعلمته بمكانه فكانك قلت خذه ومسئلة كذلك من هذا الباب لانك اذا قلت كذاك القول أو السير فكانك قلت كذاك أمرت فاكفف ودع فاصل البابين واحد وهو ظرف بعده ابتداء وهو خبر يتضمن مع الامر أو الاغراء بالشىء أو تركه فنصبوا بها فى ضمن الكلام وحسن ذلك حيث لم يعدلوا عن عامل لفظى الى معنوى وانما عدلوا عن معنوى الى معنوى ولو انهم حين قالوا دونك زيد يلفظون بالفعل فيقولون استقر دونك زيد وهم يريدون الاغراء به والامر بأخذه لما جاز النصب بوجه لان الفعل ظاهر لفظى فهو أقوى من المعنوى

﴿ فصل ﴾ وفى هذا الحديث من المعانى أن يقال كيف جعل أبو بكر يامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف عن الاجتهاد فى الدعاء ويقوى رجاءه ويثبته ومقام رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقام الاحمد ويقينه فوق يقين كل أحد فسمعت شيخنا الحافظ رحمه الله يقول فى هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام الخوف وكان صاحبه فى مقام الرجاء وكلا المقامين سواء فى الفضل لانريد أن النبى والصديق سواء ولكن الرجاء والخوف مقامان لابد للايمان منهما فابو بكر كان فى تلك الساعة فى مقام الرجاء لله والنبى عليه السلام كان فى مقام الخوف من الله لان لله أن يفعل ماشاء فخاف أن لا يعبد الله فى الارض بعدها فخوفه ذلك

هذا جبريل آخذا بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع * قال ابن اسحق وقد رمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان اول قتيل من المسلمين رحمه الله ثم رمى حارثة بن سراقة أحد بنى عدى بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتل رحمه الله ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس فحرضهم وقال والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام أخو بنى سلمة وفى يده تمرات يا كلهن بخ بخ أفما بينى و بين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفة فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله تعالى * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحرث وهو ابن عفراء قال يارسول الله ما يضحك الرب من عبده قال غمسه يده فى العدو حاسرا فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى حليف بنى زهرة انه حدثه انه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال أبو جهل بن هشام اللهم أقطعنا الرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها ثم قال شاهت الوجوه ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال شدوا فكانت الهزيمة فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش وأسر من أشرافهم فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحا السيف فى نفر من الانصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرة العدو ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لى فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يارسول الله كانت أول وقعة أوقعها باهل الشرك فكان الاثخان فى القتل باهل الشرك أحب الى من استبقاء الرجال * قال ابن اسحق وحدثنى العباس

عبادة وأما قاسم بن ثابت فذهب فى معنى الحديث الى غير هذا وقال انما قال ذلك الصديق مأوية للنبى عليه السلام و رقة عليه لما رأى من نصبه فى الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال له بعض هذا يارسول الله أى لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر وكان رقيق القلب شديد الاشفاق على النبى صلى الله عليه وسلم (قال المؤلف) وأما شدة اجتهاد النبى صلى الله عليه وسلم ونصبه فى الدعاء فانه رأى الملائكة تنصب فى القتال وجبريل على ثناياه الغبار وأنصار الله يخوضون غمار الموت والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء ومن سنة الامام أن يكون من وراء الجند لا يقاتل معهم فكان الكل فى اجتهاد وجد ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين والجهادين وأنصار الله وملائكته يجتهدون ولا ليؤثر الدعة وحزب الله مع أعدائه يجتلدون * وقوله بعض مناشدتك ربك والمفاعلة لا تكون الا من اثنين والرب لا ينشد عبده فانما ذلك لانها مناجاة للرب ومحاولة لامر يريده فلذلك جاءت على بناء المفاعلة ولابد فى هذا الباب من فعلين لفاعلين اما متفقين فى اللفظ واما متفقين فى المعنى وظن أكثر أهل اللغة انها قد تكون من واحد نحو عاقبت العبد وطارقت النعل وسافرت وعافاه الله فنقول اما عاقبت العبد فهى معاملة بينك و بينه عاملك بالذنب وعاملته بالعقوبة فأخذ لفظها من العقوبة ووزنها من المعاونة وأما طارقت النعل فمن الطرق وهو القوة فقد قويتها وقوتك على المشى فلفظها من الطرق و بناؤها على وزن المعاونة والمقاواة فهذا اتفاق فى المعنى وان لم يكن فى اللفظ وأما سافر الرجل فمن سفرت اذا كشفت عن وجهك فقد سفر لقوم وسفروا له فهذه موافقة فى اللفظ والمعنى وأما المعافاة فان السيد يعفى عبده من بلاء فيعفى العبد سيده من الشكوى والالحاح فهذه موافقة فى اللفظ ثم تضاف الى الله سبحانه اتساعا فى الكلام ومجازا حسنا

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم هذا جبريل على ثناياه النقع وهو الغبار وفى حديث آخر انه قال رأيته على فرس له شقراء وعليه عمامة حمراء وقد عصم بثنيته الغبار قال ابن قتيبة عصم وعصب بمعنى واحد يقال عصب الريق بفيه اذا يبس وأنشد * يعصب فاه الريق أى عصب * وخالفه قاسم بن ثابت وقال هو عصم من العصيم والعصم وهى كالبقية تبقى فى اليد وغيرها من لطخ حناء أو عرق أو شىء يلصق بالعضد كما قالت امرأة من العرب لاخرى اعطنى عصم حنائك أى ما سلتت من حنائها وقشرته من يدها

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام حين ألقى التمرات من يده وقال بخ بخ وهى كلمة معناها التعجب وفيها لغات بخ بسكون الخاء و بكسرها مع التنوين و بتشديدها منونة وغير منونة وفى حديث مسلم والبخارى ان هذه القصة كانت أيضا يوم أحد لكنه لم يسم فيها عميرا ولا غيره فالله أعلم * وقول عوف بن عفراء ما يضحك الرب من عبده يارسول الله قد قيل فى عوف عوذ بالذال المنقوطة

ابن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يومئذ انى قد عرفت ان رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله ومن لقى أبا البخترى بن هشام بن الحرث ابن أسد فلا يقتله ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله فانه انما أخرج مستكرها قال فقال أبو حذيفة أنقتل آباءنا وابناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس والله لئن لقيته لالحمنه السيف «قال ابن هشام» ويقال لالجمنه فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر بن الخطاب يا أبا حفص قال عمر والله انه لاول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى حفص أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عمر يارسول الله دعنى فلاضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا الا أن تكفرها عنى الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا «قال ابن هشام» وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البخترى لانه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شىء يكرهه وكان ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى عبد المطلب فلقيه المجذر بن ذياد البلوى حليف الانصار ثم من بنى سالم بن عوف فقال المجذر لابى البخترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك ومع أبى البخترى زميل له قد خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة بنت زهير بن الحرث بن أسد وجنادة رجل من بنى ليث واسم أبى البخترى العاص قال وزميلى فقال له المجذر لا والله مانحن بتاركى زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك فقال لا والله اذن لاموتن أنا وهو جميعاً لا تحدث عنى نساء مكة انى تركت زميلى حرصاً على الحياة فقال أبو البخترى حين نازله المجذر وأبى الا القتال يرتجز

لن يسلم ابن حرة زميله * حتى يموت أو يرى سبيله

فاقتتلا فقتله المجذر بن ذياد وقال المجذر بن ذياد فى قتله أبا البخترى

أما جهلت أو نسيت نسبى * فاثبت النسبة انى من بلى
الطاعنين برماح اليزنى * والضاربين الكبش حتى ينحنى
تمسح
بشر بيتم من أبوه البخترى * أو بشرن بمثلها منى بنى
أنا الذى يقال أصلى من بلى * أطعن بالصعدة حتى تنثنى
وأعبط القرن بعضب مشرفى * أرزم للموت كارزام المرى
فلا ترى مجذراً يفرى فرى

«قال ابن هشام» المرى عن غير ابن اسحق والمرى الناقة التى يستنزل لبنها على عسر * قال ابن اسحق ثم ان المجذر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فابى الا أن يقاتلنى فقاتلته فقتلته «قال ابن هشام» أبو البخترى العاص بن هشام بن الحرث بن أسد * قال ابن اسحق حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه * قال ابن اسحق وحدثنيه أيضا عبد الله بن أبى بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف قال كان أمية بن خلف لى صديقا بمكة وكان اسمى عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة فكان يلقانى اذ نحن بمكة فيقول يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبواك فاقول نعم فيقول فانى لا أعرف الرحمن فاجعل بينى وبينك شيئا أدعوك به أما أنت فلا تجيبنى باسمك الاول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف قال فكان اذا دعانى يا عبد عمرو لم أجبه قال فقلت له يا أبا على اجعل ماشئت قال فانت عبد الاله قال قلت نعم قال فكنت اذا مررت به قال يا عبد الاله فاجيبه فاتحدث معه حتى اذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه على بن أمية آخذ بيده ومعى أدراع لى قد استلبتها فانا أحملها فلما رآنى قال لى يا عبد عمرو فلم أجبه فقال يا عبد الاله فقلت نعم قال هل لك فى فأنا خير لك من هذه الادراع التى معك قال قلت نعم والله اذا قال فطرحت الادراع من يدى وأخذت بيده ويد ابنه وهو يقول ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجة فى اللبن ثم خرجت أمشى بهما «قال ابن هشام» يريد باللبن ان من أسرنى افتديت

و يقوى هذا القول ان أخو يه معاذ ومعوذ و يضحك الرب أى يرضيه غاية الرضى وحقيقته انه رضى معه تبشير واظهار كرامة وذلك أن الضحك مضاد للغضب وقد يغضب السيد ولكنه يعفو و يبقى العتب فاذا رضى فذلك أكثر من العفو فاذا ضحك فذلك غاية الرضى اذ قد يرضى ولا يظهر ما فى نفسه من الرضى فعبر عن الرضى واظهاره بالضحك فى حق الرب سبحانه مجازاً أو بلاغة وتضميناً لهذه المعانى فى لفظ وجيز ولذلك قال عليه السلام فى طلحة بن البراء اللهم الق طلحة يضحك اليك وتضحك اليه فمعنى هذا القه لقاء متحابين مظهرين لما فى أنفسهما من رضى ومحبة فاذا قيل ضحك الرب لفلان فهى كلمة وجيزة تتضمن رضى مع محبة واظهار بشر وكرامة لامزيد عليهما فهى من جوامع الكلم التى أوتيها عليه السلام

﴿فصل﴾ وقول أبى البخترى أنا وزميلى الزميل الرديف ومنه ازدمل الرجل بحمله اذا ألقاه على ظهره وفى مسند الحرث عن ابن مسعود قال كنا نتعاقب يوم بدر ثلاثة على بعير فكان على وأبو لبابة زميلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كانت عقبته عليه السلام قالا له اركب ولنمش عنك يارسول الله فيقول ما أنتما بأقوى على المشى منى ولا أنا بأغنى عن الاجر منكما * وقول المجذرى كارزام المرى المرى الناقة تمرى للحلب أى

منه بابل كثيرة اللبن * قال ابن اسحق حدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره قال قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذي فعل بنا الافاعيل قال عبد الرحمن فوالله اني لأقودهما اذ رآه بلال معي وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على ترك الاسلام فيخرجه الى رمضاء مكة اذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد فيقول بلال أحد أحد قال فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا قال قلت أي بلال أسيري قال لا نجوت ان نجا قال قلت أتسمع يا ابن السوداء قال لا نجوت ان نجا قال ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا قال فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه قال فاخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط قال فقلت انج بنفسك ولا نجاء بك فوالله ما أغني عنك شيأ قال فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما قال فكان عبد الرحمن يقول يرحم الله بلالا ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب قال فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا قال بعد ان ذهب بصره لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى * قال ابن اسحق وحدثني أبي اسحق بن يسار عن رجال من بني مازن بن النجار عن أبي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم ويوم حنين عمائم حمرا «قال ابن هشام» وحدثني بعض أهل العلم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال العمائم تيجان العرب وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كانت عليه عمامة صفراء * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عددا ومددا لا يضربون * قال ابن اسحق وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز وهو يقاتل ويقول

ما تنقم الحرب العوان مني   بازل عامين حديث سني
* لمثل هذا ولدتني أمي *

«قال ابن هشام» وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أحد أحد * قال ابن اسحق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضا قد حدثني ذلك قالا قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة «قال ابن هشام» الحرجة الشجر الملتف وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل أعرابيا عن الحرجة فقال هي شجرة من الاشجار لا يوصل اليها وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص اليه قال فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فوالله

تمسح أخلافها وارزامها صوتها وهدرها وقد تقدم الفرق بين أرزمت ورزمت * وقول عبد الرحمن بن عوف لامية ها الله ذا ها تنبيه وذا اشارة الى نفسه وقال بعضهم الى القسم أي هذا قسمي وأراها اشارة الى المقسم وخفض اسم الله بحرف القسم أضمره وقام التنبيه مقامه كما يقوم الاستفهام مقامه فكانه قال ها أنا ذا مقسم وفصل بالاسم المقسم به بين ها وذا فعلم انه هو المقسم فاستغنى عن أنا وكذلك قول أبي بكر لاها الله ذا وقول زهير تعلمن ها لعمر الله ذا قسما أكد بالمصدر قسمه الذي دل عليه لفظه المتقدم * وقوله هبروه بأسيافهم من الهبرة وهي القطعة العظيمة من اللحم أي قطعوه * وذكر قول الغفاري حين سمع حمحمة الخيل في السحابة وسمع قائلا يقول اقدم حيزوم اقدم بضم الدال أي اقدم الخيل وهو اسم فرس جبريل وهو فيعول من الحزم والحيزوم أيضا أعلا الصدر فيجوز أن يكون أيضا سمي به لانه صدر خيل الملائكة ومتقدم عليها والحياة أيضا فرس أخرى لجبريل لا تمس شيئا الا حيي وهي التي قبض من أثرها السامري فالقاها في العجل الذي صاغه من ذهب فكان له خوار ذكره الزجاج

«فصل» وذكر أبا داود المازني وقوله لقد اتبعت رجلا من المشركين فسقط رأسه قبل أن أصل اليه اسم أبي داود هذا عمرو وقيل عمير بن عامر وهو الذي قتل أبا البختري بن هشام وأخذ سيفه في قول طائفة من أهل السير غير ابن اسحق وقال ابن اسحق قتله المجذر كما تقدم * وقول معاذ بن عمرو في مقتل أبي جهل

ماشبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها قال وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهضنى القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها «قال ابن هشام» ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان ثم مر بابى جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركه وبه رمق وقاتل معوذ حتى قتل فمر عبد الله بن مسعود بابى جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس فى القتلى وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى انظروا ان خفى عليكم فى القتلى الى أثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت يوما أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحشته فى احداهما جحشا لم يزل أثره به قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فوجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه قال وقد كان ضبث بى مرة بمكة فآذانى ولكزنى ثم قلت له هل أخزاك الله ياعدو الله قال وبماذا أخزانى أعمد من رجل قتلتموه أخبرنى لمن الدائرة اليوم قال قلت لله ولرسوله «قال ابن هشام» ضبث قبض عليه ولزمه قال ضائى بن الحرث البرجمى قبيل من تميم

فاصبحت مما كان بينى وبينكم
من الود مثل الضامث الماء باليد

«قال ابن هشام» ويقال أعار على رجل قتلتموه أخبرنى لمن الدائرة اليوم * قال ابن اسحق وزعم رجال من بنى مخزوم ان ابن مسعود كان يقول قال لى لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم قال ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الذى لا اله غيره قال وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت نعم والله الذى لا اله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله «قال ابن هشام» وحدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لسعيد بن العاص ومر به انى أراك كان فى نفسك شيا أراك تظن انى قتلت أباك انى لو قتلته لم أعتذر اليك من قتله ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة فاما

وذكرنا

ماشبهت رجله حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت المرضحة طاحت ذهبت ولا يكون الاذهاب هلاك والمرضحة كالارزبة يدق بها النوى للعلف والرضح بالحاء مهملة كسر اليابس والرضخ كسر الرطب ووقع فى أصل الشيخ المرضحة بالحاء والخاء معاً ويدل على انه كسر لما صلب واشتد قول الطائى

أيرضحنى رضح النوى وهى مصمت * ويأكلنى أكل الذبا وهو جائع

وانما نحتجوا بقول الطائى وهو حبيب بن أوس لعلمه لا لانه عربى يحتج بلغته * وذكر الغلامين اللذين قتلا أبا جهل وانهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء وفى صحيح مسلم انهما معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح وعفراء هى بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار عرف بها بنوا عفراء وأبوهم الحرث بن رفاعة بن سواد على اختلاف فى ذلك ورواية ابن ادريس عن ابن اسحق كما فى كتاب مسلم قال أبو عمر وأصح من هذا كله حديث أنس حين قال النبى صلى الله عليه وسلم من ياتينى بخبر أبى جهل الحديث وفيه ان ابنى عفراء قتلاه وقول أبى جهل اعمد من رجل قتلتموه ويروى قتله قومه أى هل فوق رجل قتله قومه وهو معنى تفسير ابن هشام حيث قال أى ليس عليه عار والاول تفسير ابى عبيد فى غريب الحديث وقد شاهدا عليه

وأعمد من قوم كفاهم أخوهم * صدام الاعادى حين فلت نيوبها

﴿قال المؤلف رضى الله عنه﴾ وهو عندى من قولهم عمد البعير يعمد اذا تفسخ سنامه فهلك أى اهلك من رجل قتله قومه وماذكره ابن اسحق من قول أبى جهل هذا وماذكره أيضاً من قوله لابن مسعود لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم مرتقى صعباً يعارض ماوقع فى سير ابن شهاب وفى مغازى ابن عقبة ان ابن مسعود وجده جالسا لايتحرك ولا يتكلم فسلبه درعه فاذا فى بدنه نكت سود فحل تسبغة البيضة وهو لايتكلم واخترط سيفه يعنى سيف أبى جهل فضرب به عنقه ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين احتمل رأسه اليه عن تلك النكت السود التى رآها فى بدنه فاخبره عليه السلام ان الملائكة قتلته وان تلك آثار ضربات الملائكة وروى يونس عن أبى العميس قال أرانى القاسم بن عبد الرحمن سيف عبد الله بن مسعود قال هذا سيف ابى جهل حين قتله أخذه فاذا سيف قصير عريض فيه قبائع فضة وحلق فضة قال أبو عميس فضرب به القاسم عنق ثور فقطعه وثلم فيه ثلما فرأيت القاسم جزع من ثلمه جزعا شديداً * وقول النبى عليه السلام الله الذى لا اله الا هو بالخفض عند سيبويه وغيره لان الاستفهام عوض من الخافض عنده واذا كنت مخبراً قلت الله بالنصب لايجيز المبرد غيره وأجاز سيبويه الخفض أيضاً لانه قسم وقد عرف ان المقسم به مخفوض بالباء أو بالواو ولا يجوز اضمار حروف الجر الا فى مثل هذا الموضع اوما كثر استعماله جداً كما روى ان رؤبة كان يقول اذا قيل له كيف أصبحت خير عافاك الله * وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى أبى جهل حين ذكر مزاحمته له فى مادبة عبد الله بن جدعان وقد تقدم فى المولد التعريف بعبد الله بن جدعان

أبوك فانى مررت وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدت عنه وقصد له ابن عمه على فقتله * قال ابن اسحق وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدى حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه جذلا من حطب فقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما اخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد سيفا فى يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل فى الردة وهو عنده قتله طليحة بن خويلد الاسدى فقال طليحة فى ذلك

فما ظنكم بالقوم اذ تقتلونهم * أليسوا وان لم يسلموا برجال
فان تك اذواد اصبن ونسوة * فلن يذهبوا فرعا بقتل حبال
نصبت لهم صدر الحبالة انها * معاودة قتل الكماة نزال
فيوما تراها فى الجلال مصونة * ويوما تراها غير ذات جلال
عشية غادرت ابن اقرم ثاويا * وعكاشة الغنمى عند مجال

«قال ابن هشام» حبال بن طليحة بن خويلد وابن اقرم ثابت بن اقرم الانصارى * قال ابن اسحق وعكاشة بن محصن الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة سبعون الفا من امتى على صورة القمر ليلة البدر قال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال انك منهم أو اللهم اجعله منهم فقام رجل من الانصار فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا عن اهله منا خير فارس فى العرب قالوا ومن هو يارسول الله قال عكاشة بن محصن فقال ضرار بن الازور الاسدى ذاك رجل منا يارسول الله قال ليس منكم ولكنه منا للحلف «قال ابن هشام» ونادى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين فقال أين مالى ياخبيث فقال عبد الرحمن

لم يبق إلا غير شكة ويعبوب * وصارم يقتل ضلال الشيب

فيما ذكر لى عن عبد العزيز بن محمد الدراوردى

وذكرنا خبر جفنته وسبب غناه بعد ان كان صعلوكا بأتم بيان

﴿ خبر عكاشة بن محصن ﴾

يقال فيه عكاشة بالتشديد والتخفيف وهو من عكش على القوم اذا حمل عليهم قاله صاحب العين وقال غيره العكاشة العنكبوت وأما سيفه الذى كان جولا من حطب فقد قيل انه لم يزل متوارثا عند آل عكاشة وقد روى مثل قول عكاشة فى السيف عن عبد الله بن جحش وسيأتى ذكرها عند غزوة أحد * واما قوله * فلن يذهبوا فرعا بقتل حبال * فالفرع ان يطل الدم ولا يطلب بثاره وحبال هو ابن أخى طليحة لا ابنه وهو حبال بن مسلمة بن خويلد ومسلمة أبوه هو الذى قتل عكاشة اعتنقه مسلمة وضربه طليحة على فرس يقال لها اللزام وكان ثابت على فرس يقال لها المحبر وقصته مشهورة فى اخبار الردة * وذكر الواقدى فى الردة بعد قوله

فيوما تراها فى الجلال مصونة * ويوما تراها فى ظلال عوال

الى آخر الشعر * وذكر فى الخبر ان عكاشة وثابت بن أقرم البلوى حليفى الانصار كانا فى جيش خالد حين نهد الى طليحة فاستقدما امام جيش خالد للمسلمين فوقعا فى خيل لطليحة وهو فيهم فاستشهدا معاً وذلك فى يوم بزاخة كذلك قال كل من ألف فى السير الا سليمان التيمى فانه ذكر ان عكاشة قتل فى سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى اسد والاول هو المعروف * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لعكاشة حين قال ادع الله يارسول الله ان يجعلنى منهم فدعا له ثم قام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة هكذا الحديث فى الصحاح وزاد ابن اسحق وبردت الدعوة * وذكر أبو عمر النمرى عن بعض أهل العلم ولم يسمهم ان الرجل الذى قيل له سبقك بها عكاشة كان منافقا ولذلك لم يدع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قال المؤلف﴾ وهذا لا يصح لان فى مسند البزار من طريق أبى صالح عن أبى هريرة فى هذا الحديث قال فقام رجل من خيار المهاجرين فقال ادع الله ان يجعلنى منهم قال ابن بطال معنى قوله سبقك بها عكاشة أى سبقك بهذه الصفة التى هى صفة السبعين ألفا ترك التطير ونحوه ولم يقل لست منهم ولا على أخلاقهم بحسن ادبه عليه السلام وتلطفه فى الكلام لا سيما مع اصحابه الكرام ﴿قال المؤلف رضى الله عنه﴾ والذى عندى فى هذا انها كانت ساعة اجابة علمها عليه السلام فلما انقضت قال للرجل ما قال يبين هذا حديث ابى سعيد الخدرى فانه قال فيه بعد ذكر عكاشة فقام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم سكتوا ساعة يتحدثون ثم قام الثالث فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة وصاحبه ولو قلت لقلت ولو قلت لوجبت وهى فى مسند ابن ابى شيبة وفى مسند البزار أيضاً

* قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا فى القليب طرحوا فيه الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأها فذهبوا ليحركوه فتزايل لحمه فاقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة فلما ألقاهم فى القليب وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا قالت فقال له أصحابه يا رسول الله أتكلم قوما موتى فقال لهم لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق قالت عائشة والناس يقولون لقد سمعوا ما قلت لهم وانما قال (٧٤) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد علموا * قال ابن اسحق وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل وهو يقول يا اهل القليب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام فعدد من كان منهم فى القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا فقال المسلمون يا رسول الله أتنادى قوما قد جيفوا قال ما انتم باسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون ان يجيبونى * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول صلى الله عليه وسلم قال يوم هذه المقالة يا اهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس وأخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس ثم قال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا للمقالة التى قال * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه عليه

عرفت ديار زينب بالكثيب * كخط الوحى فى الورق القشيب
تداولها الرياح وكل جون * من الوسمى منهمر سكوب
فامسى رسمها خلقا وأمست * يبابا بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم * ورد حرارة الصدر الكئيب
وخبر بالذى لا عيب فيه * بصدق غير اخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر * لنا فى المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم حراء * بدت اركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع * كاسد الغاب مردان وشيب

ويقوى هذا المعنى ايضا رواية ابن اسحق فانه زاد فقال فيها سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة فقف على ماذكرته فى تفسير حديث عكاشة فانه من فوائد هذا الكتاب وممن لم يشهد بدراً العذر وهو من النقباء سعد ابن عبادة سيد الخزرج لانه نهشته حية فلم يستطع الخروج هذا قول القتبى ولذلك لم يذكره ابن اسحق ولا ابن عقبة فى البدريين وقد ذكره طائفة فيهم منهم ابن الكلبى وجماعة

﴿ نداء اصحاب القليب ﴾

وقوله عليه السلام يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة الحديث يجوز يا شيبة بن ربيعة بضم التاء ونصب النون وبنصبهما جميعا اما من يقول جاءنى زيد ابن فلان بالتنوين فهو الذى يقول يا زيد ابن بضم الدال ويكتب ابن بالالف على هذا ومن يقول جاءنى زيد بن بلا تنوين فهو الذى يقول فى النداء يا زيد بن بنصب الدال ويكتب ابنا بغير ألف لانه جعل الابن مع ما قبله اسما واحدا فعلى هذا تقول يا حار ابن عمرو فتكتبه بالف لانك أردت يا حارث بالضم لانك لو أردت يا حارث بن بالنصب لم ترخمه لانه قد صار وسط الاسم وقد جعله سيبويه بمنزلة قولك امرأ وكذلك قوله ويا أبا جهل بن هشام ان نونت اللام من أبى جهل كتبت الابن بالف وان لم تنونه كتبته بغير ألف * وذكر انكار عائشة أن يكون عليه السلام قال لقد سمعوا ما قلت قالت وانما قال لقد علموا ان الذى كنت أقول حق (قال المؤلف) وعائشة لم تحضر وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه السلام وقد قالوا له يا رسول الله أتخاطب قوما قد جيعوا أو جيفوا فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم واذا جاز أن يكونوا فى تلك الحال عالمين جاز أن يكونوا سامعين اما بآذان رؤسهم اذا قلنا ان الروح يعاد الى الجسد أو الى بعض الجسد عند المساءلة وهو قول الاكثرين من أهل السنة واما باذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال الى الروح من غير رجوع منه الى الجسد أو الى بعضه وقد روى ان عائشة احتجت بقول الله سبحانه «وما أنت بمسمع من فى القبور» وهذه الآية كقوله تعالى «أفانت تسمع الصم أو تهدى العمى» أى ان الله هو الذى يهدى ويوفق ويوصل الموعظة الى آذان القلوب لا أنت وجعل الكفار أمواتا وصما على جهة التشبيه بالاموات وبالصم فالله هو الذى يسمعهم على الحقيقة اذا شاء لا نبيه ولا أحد فاذا لا تعلق بالآية من وجهين أحدهما انها انما نزلت فى دعاء الكفار الى الايمان * الثانى انه انما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لا يسمعهم اذا شاء الا هو ويفعل ما شاء وهو على كل شىء قدير

﴿فصل﴾ وذكر شعر حسان وقال فيه * كخط الوحى فى الورق القشيب * القشيب فى اللغة الجديد ولا معنى له فى هذا البيت لانهم اذا وصفوا الرسوم وشبهوها بالكتب فى الورق فانما يصفون الخط حينئذ بالدروس والامحاء فان ذلك أدل على عفاء الديار وطموس الآثار وكثرة ذلك فى الشعر تغنى عن الاستشهاد

امام محمد قد وازروه * على الاعداء فى لفح الحروب
بايديهم صوارم مرهفات * وكل مجرب خاطى الكعوب
بنو الاوس الغطارف وازرتها * بنو النجار فى الدين الصليب
فغادرنا ابا جهل صريعا * وعتبة قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا فى رجال * ذوى حسب اذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لما * قذفناهم كباكب فى القليب
ألم تجدوا كلامى كان حقا * وأمر الله ياخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا * صدقت وكنت ذا رأى مصيب

* قال ابن اسحق ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم أن يلقوا فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب الى القليب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى فى وجه أبى حذيفة بن عتبة فاذا هو كئيب قد تغير فقال يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شان أبيك شىء أو كما قال صلى الله عليه وسلم فقال لا والله يا رسول الله ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ولكننى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك الى الاسلام فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له أحزننى ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا

﴿ذكر الفتية الذين أنزل الله فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾

وكان الفتية الذين قتلوا ببدر فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر لنا ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا فتية مسلمين * من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد * ومن بنى مخزوم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأبو قيس ابن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن بنى جمح على بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح * ومن بنى سهم

عليه ولكن منه قول النابغة * لأيا ما ابينه * وقول زهير * فلأيا عرفت الدار بعد توهم * وقال آخر

والا رسوم الدار قفرا كانها * سطور محاها الباهلى بن اصمعا

ولكن أراد حسان بالقشيب ههنا الذى خالطه ما يفسده أما من دنس واما من قدم يقال طعام مقشب اذا كان فيه السم وقال الشاعر * نخر تخاله نسرا قشيبا * معناه مسموم لان القشب هو السم قاله ابن قتيبة فى تفسير حديث آخر من يخرج من النار وفيه قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاها وقال أبو حنيفة فى القشب هو نبات رطب مسموم ينصب لسباع الطير فى لحم فاذا أكلته ماتت قال والعرب يجنبونه ماشيتهم فى المرعى كى لا تحطمه فيفوح من ريحه ما يقتلها فقوله فى البيت الذى استشهد به القتبى تخاله نسرا قشيبا أى نسرا أكل ذلك القشب فى اللحم والله أعلم قال والالب أيضا ضرب من القشب ان وجدت ريحه سباع الطير عميت وصمت وان أكلته ماتت قال والضجاج أيضا كل نبات مسموم

﴿فصل﴾ (فان قيل) ما معنى القائهم فى القليب وما فيه من الفقه (قلنا) كان من سنته عليه السلام فى مغازيه اذا مر بجيفة انسان أمر بدفنه لا يسئل عنه مؤمنا كان أو كافرا هكذا وقع فى السنن للدارقطنى فالقاؤهم فى القليب من هذا الباب غير انه كره ان يشق على اصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب ايسر عليهم ووافق ان القليب حفره رجل من بنى النار اسمه بدر فكان فالا مقدما لهم وهذا على احد القولين فى بدر والله اعلم * وفى شعر حسان ايضا * بنو الاوس الغطارف وازرتها * ولو قال آزرتها بالهمز لجاز وكان من الازر وفى التنزيل فآزره أى شد أزره وقواه ولكن أراد حسان معنى الوزير فانه سمى وزيرا من الوزر وهو الثقل لانه يحمل عن صاحبه ثقلا ويعينه وقيل هو من الوزر وهو الملجأ لان الوزير يلجأ الى رأيه وقد ألفيته فى نسخة الشيخ أبى بحر آزرتها مصلحا بغير واو والا ان وازرتها وزنه فاعلت وآزرت وزنه افعلت * وقوله * وعتبة قد تركنا بالجبوب * الجبوب اسم للارض لانها تجب أى تحفر وتجب من دفن فيها أى تقطعه وهذا القول أولى لانهم قالوا جبوب مثل صبور وشكور فى المؤنث ولم يقولوا جبوته فيكون من باب حلوبة وركوبة ويدخلون فيها الالف واللام تارة فيقولون الجبوب كما فى هذا البيت وتارة يجعلونه اسما علما فيقولون جبوب مثل شعوب قال الشاعر

بنى على قلبى وعينى مكانه * ثوى بين أحجار رهين جبوب

ومنه قيل جبان وجبانة للارض التى يدفن فيها الموتى فهو فعلان من الجب والجبوب وهو قول الخليل فى معنى الجبان وغيره يجعله فعالا من الجبن * وقوله * خاطى الكعوب * اى مكتنز الكعوب قويها وقول حسان الغطارف أراد الغطاريف كما تقدم فى شعر الجرهمى * تضل بها أمنا وفيها العصافر * أراد العصافير وحذف الياء ضرورة

﴿فصل﴾ وذكر قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لابنه يوم بدر أين مالى يا خبيث فقال * لم يبق الا شكة ويعبوب * الشكة السلاح واليعبوب من الخيل الشديد الجرى ويقال الطويل والاول

العاص بن منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم وذلك انهم كانوا أسلموا و رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا ثم ساروا مع قومهم الى بدر فاصيبوا به جميعا

﴿ ذكر الفيء ببدر والاسارى ﴾ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما فى العسكر مما جمع الناس فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وقال الذين كانوا يقاتلون العدو و يطلبونه والله لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله علية وسلم مخافة أن يخالف اليه العدو والله ما أنتم باحق به منا لقد رأينا أن نقتل العدو اذ منحنا الله تعالى أكتافهم ولقد رأينا أن ناخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو فقمنا دونه فما أنتم بأحق به منا * (٧٦) قال ابن اسحق وحدثنى عبد الرحمن بن الحرث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبى امامة الباهلى واسمه صدى بن عجلان فيما قال ابن هشام قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء يقول على السواء * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال حدثنى بعض بنى ساعدة عن أبى أسيد الساعدى مالك بن ربيعة قال أصبت سيف بنى عائذ المخزوميين الذى يسمى المرزبان يوم بدر فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما فى أيديهم من النفل أقبلت حتى ألقيته فى النفل قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيأ سئله فعرفه الارقم بن أبى الارقم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه اياه * قال ابن اسحق ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً الى أهل العالية بما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين و بعث زيد بن حارثة الى اهل السافلة قال اسامة بن زيد فاتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كانت عند عثمان بن عفان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفنى عليها مع عثمان أن زيد بن حارثة قدم قال فجئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل ابن هشام و زمعة بن الاسود وأبو البخترى العاص بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج قال قلت يا أبت أحق هذا قال نعم والله يا بنى ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة ومعه الاسارى من المشركين وفيهم عقبة بن ابى معيط والنضر بن الحرث

أصح لانه مأخوذ من عباب الماء وهو شدة جريه و يقال للجدول الكثير الماء يعبوب وقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم فرس اسمه السكب وهو من سكبت الماء فهذا يقوى معنى اليعبوب وذكر غير ابن اسحق ان عبد الرحمن بن ابى بكر قال لابيه بعد ما اسلم يا ابت لقد أهدفت لى يوم بدر مرارا فصدفت عنك فقال الله لو كنت أهدفت لى انت ما صدفت عنك

﴿ فصل ﴾ وذكر تنازعهم فى النفل وما احتجت به الطائفة الذين كانوا يحمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش والعريش كل ما أظلك وعلاك من فوقك فان علوته انت فهو عرش لك لا عريش والعريش ايضا فيما ذكر ابو حنيفة اربع نخلات او خمس فى أصل واحد * وذكر قول ابى اسيد وجدت يوم بدر سيف بنى عابد الذى يقال له المرزبان بنو عابد فى مخزوم وهم بنو عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واما بنو عائذ بالياء والذال المعجمة فهم بنو عائذ بن عمران بن مخزوم رهط آل المسيب والاولون رهط آل بنى السائب * واما قوله فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بواء يقول على سواء فقد رواه ابو عبيد فى الاموال فقال فيه فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فواق وفسره فقال جعل بعضهم فوق بعض اى فضل فى القسم من رأى تفضيله وفى غريب الحديث قولا آخر وهو ان معنى عن فواق السرعة فى القسم كفواق الناقة ورواية ابن اسحق اشهر واثبت عند اهل الحديث وفى الحديث الذى ذكره ابو عبيد أن سعد بن أبى وقاص قال قتلت يوم بدر العاصى بن سعيد بن العاصى وأخذت سيفه وكان يقال له ذو الكتيفة فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله نفلنيه فامرنى ان أجعله فى القبض فاخذنى ما لا يعلمه الا الله فقلت قتل أخى عمير وأخذ سلبى فانزل الله «يسئلونك عن الانفال» الآية فاعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف قال أبو عبيد وأهل السير يقولون قتل العاصى بن سعيد على بن أبى طالب رضى الله عنه

﴿ فصل ﴾ وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عقبة بن أبى معيط قال وكان الذى أسره عبد الله ابن سلمة وسلمة هذا بكسر اللام وهو سلمة بن مالك أحد بنى العجلان بلوى بالنسب أنصارى بالحلف قتل يوم أحد شهيداً وأما عقبة بن أبى معيط فاسم أبى معيط أبان بن أبى عمرو واسمه ذكوان بن أمية يقال

كان

واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه النفل الذى اصيب من المشركين وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار فقال راجز من المسلمين «قال ابن هشام» يقال انه عدى بن ابى الزغباء

اقم لها صدورها يا بسبس * ليس بذى الطلح لها معرس * ولا بصحراء عمير محبس
ان مطايا القوم لا تحبس * فحملها على الطريق اكيس * قد نصر الله وفر الاخنس

ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق و بين النازية و يقال له سير الى سرحة به فقسم هنالك النفل الذى افاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنؤنه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة و يزيد بن رومان ما الذى تهنؤننا به فوالله ان لقينا الا عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اى ابن اخى اولئك الملأ «قال ابن هشام» الملأ الاشراف والرؤساء * قال ابن اسحق حتى اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحرث قتله على بن ابى طالب كما أخبرنى بعض أهل العلم من اهل مكة * قال ابن اسحق ثم خرج حتى اذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبى معيط. «قال ابن هشام» عرق الظبية عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق والذى أسر عقبة عبد الله بن سلمة أحد بنى العجلان * قال ابن اسحق فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فمن للصبية يا محمد قال النار فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح الانصارى أخو بنى عمرو بن عوف كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر «قال ابن هشام» و يقال قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه فيما ذكر لى ابن شهاب الزهرى وغيره من أهل العلم * قال ابن اسحق ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضى بحميت مملوء حيسا «قال ابن هشام» الحميت الزق وكان قد تخلف عن بدر ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كان حجام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أبو هند امرؤ من الانصار فانكحوه وأنكحوا اليه ففعلوا * قال ابن اسحق ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ان يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال قدم بالاسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء فى مناحتهم على عوف ومعوذ ابنى عفراء وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب قال تقول سودة والله انى لعندهم اذ أتينا فقيل هؤلاء الاسارى قد أتى بهم قالت فرجعت الى بيتى و رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه واذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعة يداه الى عنقه

كان أمية قد ساعى أمة او بغت أمة له فحملت بابى عمرو فاستلحقه بحكم الجاهلية ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعقبة حين قال أأقتل من بين قريش صبرا فتمثل عمر حن قدح ليس منها يعرض بنسبه وذلك ان القداح فى الميسر ربما جعل معها قدح مستعار قد جرب منه الفلح واليمن فيستعار لذلك و يسمى المنيح فاذا حرك فى الربابة مع القداح تميز صوته لمخالفة جوهره جوهر القداح فيقال حينئذ حن قدح ليس منها فتمثل عمر بهذا المثل يريد أن عقبة ليس من قريش وكذلك روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حينئذ انما أنت يهودى من اهل صفورية لان الامة التى ولدت أباه كانت ليهودى من اهل صفورية واسمها ترنى قاله القتبى وكذلك قال دغفل بن حنظلة النسابة لمعاوية حين سأله هل أدركت عبد المطلب فقال نعم ادركته شيخا وسيما قسيما جسيما يحف به عشرة من بنيه كانهم النجوم قال فهل رأيت أمية بن عبد شمس قال نعم رأيته اخيفش ازرق دميما يقوده عبده ذكوان فقال ويحك ذاك ابنه أبو عمرو فقال دغفل أنتم تقولون ذلك ﴿قال المؤلف﴾ وهذا الطعن خاص بنسب عقبة من بنى أمية وفى نسب امية نفسه مقالة أخرى تعم جميع الفصيلة وهى ما روى عن سفينة مولى ام سلمة حين قيل له ان بنى أمية يزعمون ان الخلافة فيهم فقال كذبت استاه بنى الزرقاء بل هم ملوك ومن شر الملوك فيقال ان الزرقاء هذه هى أمية بن عبد شمس واسمها ارنب قاله الاصبهانى فى كتاب الامثال قال وكانت فى الجاهلية من صواحب الرايات ﴿قال المؤلف رضى الله عنه﴾ وقد عفا الله عن أمر الجاهلية ونهى عن الطعن فى الانساب ولو لم يجب الكف عن نسب بنى أمية الا لموضع عثمان بن عفان رضى الله عنه لكان حرى بذلك

﴿فصل﴾ وذكر أبا هند الحجام وانه لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر ابو هند اسمه عبد الله وهو مولى فروة بن عمرو البياضى وأما طيبة الحجام فهو مولى بنى حارثة واسمه نافع وقيل دنير وقيل ميسرة ولم يشهد بدرا

بجبل قالت فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك ان قلت أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم الا متم كراما فوالله ما انتهى الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين قالت قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه الى عنقه أن قلت ما قلت * قال ابن اسحق وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالاسارى فرقهم بين أصحابه وقال استوصوا بالاسارى خيرا قال فكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الاسارى قال فقال أبو عزيز مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الانصار يأسرني فقال شد يديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال وكنت في رهط من الانصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز الا نفحني بها قال فاستحيي فأردها على أحدهم فيردها على ما يمسها «قال ابن هشام» وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحرث فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليسر وهو الذي أسره ما قال قال له أبو عزيز يا أخي هذه وصاتك بي فقال له مصعب انه أخي دونك فسألت أمه عن أغلى ما فدي به قرشي فقيل لها أربعة آلاف درهم فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها * قال ابن اسحق وكان أول من قدم مكة من قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا ما وراءك قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية ابن خلف وزمعة بن الاسود ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر والله ان يعقل هذا فاسئلوه عني فقالوا ما فعل صفوان بن أمية قال ها هو ذاك جالسا في الحجر وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا * قال ابن اسحق وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول ام
الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت فاسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل الاقداح انحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس فيها انحت اقداحي وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ اقبل ابو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب «قال ابن هشام» واسم أبي سفيان المغيرة قد قدم قال فقال له أبو لهب هلم الي فعندك لعمري الخبر قال فجلس والناس قيام عليه فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس قال والله ما هو الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملائكة

﴿ أسارى بدر ﴾

ذكر فيهم أبا عزيز بن عمير حين مر به وهو أسير على اخيه مصعب فقال مصعب للذي أسره اشدد يديك به وذكر الحديث ﴿ قال المؤلف رحمه الله ﴾ وقد تقدم في باب الهجرة خبر اسلام مصعب وما كانت أمه تصنع به وأرجئت التعريف به وباخوته الى هذا الموضع فأما أبو عزيز فاسمه زرارة وأمه التي ارسلت في فدائه ام الخناس بنت مالك العامرية وهي ام اخيه مصعب واخته هند بنت عمير وهند هي أم شيبة بن عثمان حاجب الكعبة جد بني شيبة أسلم أبو عزيز وروى الحديث وأسلم اخوه ابو الروم وأبو يزيد ولا خفاء باسلام مصعب اخيه وغلط الزبير بن بكار فقال قتل أبو عزيز يوم أحد كافرا ولم يصح هذا عند احد من أهل الاخبار وقد روى عنه نبيه بن وهب وغيره ولعل المقتول باحد كافر أخ لهم غيره

﴿ خبر أبي رافع حين قدم فل قريش ﴾

اسم أبي رافع اسلم وقال ابن معين اسمه ابراهيم وقيل اسمه هرمز وكان عبداً قبطيا للعباس فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما أسلم العباس وبشر أبو رافع رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه فاعتقه فكان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان عبداً لبني سعيد بن العاصي وهم عشرة فاعتقوه الا خالد بن سعيد فانه وهب حصته فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه النبي صلى الله عليه وسلم والاول أصح توفي في قول الواقدي قبل مقتل عثمان بيسير * وذكر أبا لهب وضربه لأبي رافع حين ذكر الملائكة وانتصار أم الفضل له وضربها لأبي لهب وأم الفضل هي لبابة الكبرى بنت الحرث الهلالية أخت ميمونة واختها لبابة الصغرى

قال فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة قال وثاورته فاحتملنى فضرب بى الارض ثم برك على يضربنى وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته به ضربة فلعت فى رأسه شجة منكرة وقالت استضعفته أن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ماعاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لاتفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تبعثوا فى أسرائكم حتى تستأنسوا بهم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه فى الفداء قال وكان الاسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده زمعة بن الاسود وعقيل بن الاسود والحرث بن زمعة وكان يحب أن يبكى على بنيه فبينما هو كذلك اذ سمع نائحة من الليل فقال لغلام له وقد ذهب بصره انظر هل أحل النحب هل بكت قريش على قتلاها لعلى أبكى على أبى حكيمة يعنى زمعة فان جوفى قد احترق قال فلما رجع اليه الغلام قال انما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته فذاك حين يقول الاسود

أتبكى أن يضل لها بعير * و يمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن * على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بنى هصيص * ومخزوم ورهط أبى الوليد
و بكى ان بكيت على عقيل * و بكى حارثا أسد الاسود
و بكيهم ولا تسمى جميعا * ومالابى حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال * ولولا يوم بدر لم يسودوا

« قال ابن هشام » هذا اقواء وهى مشهورة من أشعارهم وهى عندنا اكفاء وقد أسقطنا من رواية ابن اسحق ماهو اشهر من هذا * قال ابن اسحق وكان فى الاسارى ابو وداعة بن ضبيرة السهمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاءكم فى طلب فداء ابيه فلما قالت قريش لاتعجلوا بفداء اسرائكم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه قال المطلب بن أبى وداعة وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى صدقتم لا تعجلوا وانسل من الليل فقدم المدينة فاخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به ثم بعثت قريش فى فداء الاسارى فقدم مكرز بن حفص بن الاخيف فى فداء سهيل بن عمرو وكان الذى أسره مالك بن الدخشم أخو بنى سالم بن عوف فقال

أسرت سهيلا فلا ابتغى * أسيرا به من جميع الامم

أم خالد بن الوليد ولدت أم الفضل من العباس سبعة نجباء قال الشاعر

ماولدت نجيبة من فحل * كسبعة من بطن أم الفضل

وهم عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن والفضل ومعبد وقثم ويقال فى السابع كثير بن العباس والاصح فى كثير ان أمه رومية ولم تلد أم الفضل من العباس الا من سمينا وأختاهم وهى ام حبيب وقد ذكرها ابن اسحق فى رواية يونس وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رآها وهى طفلة تدب بين يديه فقال ان بلغت هذه وأنا حى تزوجتها فقبض عليه السلام قبل ان تبلغ فتزوجها سفيان بن الاسود بن عبد الاسد المخزومى فولدت له رزقا ولبابة * وذكر ابن اسحق ان أبا لهب حين ضربته ام الفضل بالعمود على رأسه قام منكسرا ولم يلبث الا يسيرا حتى رماه الله بالعدسة فقتله وذكر الطبرى فى كتابه ان العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون انها تعد أشد العدوى فلما رمى بها أبو لهب تباعد عنه بنوه فبقى ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يدفن فلما خافوا السبة دفعوه بعود فى حفرته ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن اسحق فى رواية يونس لم يحفروا له ولكن اسند الى حائط وقذفت عليه الحجارة من خلف الحائط حتى ورى وذكر ان عائشة كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها وفى صحيح البخارى ان بعض أهله رآه فى المنام فى شر رحيبة وهى الحالة فقال مالقيت بعدكم يعنى راحة غير انى سقيت فى مثل هذه بعتقى ثويبة هكذا فى رواية الاصيلى عن أبى زيد وفى رواية غيره قال مالقيت بعدكم راحة غير انى سقيت فى مثل هذه وأشار الى النقرة بين السبابة والابهام بعتقى ثويبة وفى غير البخارى ان الذى رآه من اهله هو اخوه العباس قال مكثت حولا بعد موت أبى لهب لا اراه فى نوم ثم رأيته فى شر حال فقال مالقيت بعدكم راحة الا ان العذاب يخفف عنى كل يوم اثنين وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة قد بشرته بمولده فقالت له أشعرت ان آمنة ولدت غلاما لاخيك عبد الله فقال لها اذهبى فانت حرة فنفعه ذلك وهو فى النار كما نفع اخاه أبا طالب ذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أهون اهل النار عذابا وقد تقدم فى باب أبى طالب ان هذا النفع انما هو نقصان من العذاب والا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف أى لا يجده فى ميزانه ولا يدخل به جنة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل ثويبة من المدينة ويتحفها لانها كانت أرضعته وارضعت عمه حمزة ولما افتتح مكة سأل عنها وعن ابن لها اسمه مسروح فاخبر انهما قد ماتا * وذكر المطلب بن أبى وداعة بن صبيرة وقد ذكر الخطابى عن العنبرى انه يقال فيه ضبيرة بالضاد المعجمة واسم أبى ضبيرة عوف * وذكر ملك بن الدخشم ويقال فيه الدخيش ويقال فيه ابن الدخيش ويقال انه الذى سار رسول الله صلى

وخندف تعلم أن الفتى * فتاها سهيل اذا يظلم
ضربت بذى الشفر حتى انثنى * وأكرهت نفسى على ذى العلم

وكان سهيل رجلا أعلم من شفته السفلى «قال ابن هشام» وكان بعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء أخو بنى عامر بن لؤى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا * قال ابن اسحق وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر فى هذا الحديث انه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه «قال ابن هشام» وسأذكر حديث ذلك المقام فى موضعه ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى الى رضاهم قالوا هات الذى لنا قال اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا مكانه عندهم فقال مكرز

فديت باذواد ثمان سبا فتى * ينال الصميم عرها لا المواليا
رهنت يدى والمال أيسر من يدى * على ولكنى خشيت المخازيا
وقلت سهيل خيرنا فاذهبوا به * لابنائنا حتى نديرالأمانيا

«قال ابن هشام» وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لمكرز * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال كان عمرو بن أبى سفيان بن حرب وكان لبنت عقبة بن أبى معيط «قال ابن هشام» أم عمرو بن أبى سفيان ابنة عمرو وأخت أبى معيط بن أبى عمرو أسيرا فى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرى بدر «قال ابن هشام» أسره على بن أبى طالب رضى الله عنه * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى بكر قال فقيل لابى سفيان افد عمرا ابنك قال أيجتمع على دمى ومالى قتلوا حنظلة وأفدى عمرا دعوه فى أيديهم يمسكوه فى أيديهم مابدا لهم قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى معاوية معتمرا ومعه مرية له وكان شيخا مسلما فى غنم له بالبقيع فخرج من هنالك معتمرا ولا يخشى الذى صنع به لم يظن انه يحبس بمكة انما جاء معتمرا وقد كان عهد قريشا لا يعرضون لاحد جاء حاجا أو معتمرا الا بخير فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ثم قال أبو سفيان

أرهط ابن اكال أجيبوا دعاءه * تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فان بنى عمرو لئام أذلة * لئن لم يكفوا عن أسيرهم الكبلا

فاجابه حسان بن ثابت فقال

لو كان سعد يوم مكة مطلقا * لاكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلى
بعضب حسام أو بصفراء نبعة * تحن اذا ما أنبضت تحفز النبلا

ومشى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكوا به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى أبى سفيان فخلى سبيل سعد * قال ابن اسحق وقد كان فى الاسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب «قال ابن هشام» أسره خراش بن الصمة أحد بنى حرام * قال ابن اسحق وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة وكان لهالة بنت خويلد وكانت خديجة خالته فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها وذلك قبل أن ينزل عليه الوحى فزوجه وكانت تعده بمنزلة ولدها

الله عليه وسلم رجل من الانصار فلم يدر ماساره به حتى جهر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هو يستأذنه فى قتله وهو فى حديث الموطأ والذى ساره هو عتبان بن مالك وقد برأ النبى صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم من النفاق حيث قال أليس يشهد أن لا اله الا الله قالوا بلى قال أليس يصلى قالوا بلى فقال فى حديث الموطأ أولئك الذين نهانى الله عنهم وقال فى حديث مسلم فان الله قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بها وجه الله * وذكر مكرز وقد تقدم فى اسم مكرز انه يقال بكسر الميم وفتحها ولكن لا يروى فى السيرة الا بالكسر * وقول مكرز * فديت باذواد ثمان سبا فتى * بكسر الثاء من ثمان لانه جمع ثمين مثل سمين وسمان * وذكر أبا العاصى بن الربيع بن عبد العزى واسم أبى العاصى لقيط وقيل فيه هاشم وقيل مهشم وقيل هشيم وهو الذى يقول فى أهله زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بالشام تاجرا حين قالها

ذكرت زينب لما يممت اضما * فقلت سقيا لشخص يسكن الحرما
بنت الامين جزاها الله صالحة * وكل بعل سيثنى بالذى علما

ولدت له زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امامة وعليا مات على وهو صغير وتزوج امامة على بن أبى طالب وتزوجها بعده المغيرة بن نوفل وهى التى جاء فيها الحديث رواه عمرو بن سليم الزرقى عن أبى قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل امامة بنت زينب الحديث قال عمرو بن سليم كانت تلك الصلاة صلاة الصبح هكذا رواه ابن جريج عن ابن أبى عتاب عن عمرو بن سليم ورواه ابن اسحق فى غير السيرة عن المقبرى عن عمرو بن سليم فقال فيه فى احدى صلاتى الظهر أو العصر وكان الذى أسر أبا العاص

فلما أكرم الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبوته آمنت به خديجة و بناته فصدقنه وشهدن أن ماجاء به الحق ودن بدينه وثبت أبو العاص على شركه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبى لهب رقية أو أم كلثوم فلما بادى قريشا بأمر الله تعالى و بالعداوة قالوا انكم قد فرغتم محمدا من همه فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن فمشوا الى أبى العاص فقالوا له فارق صاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت قال لا هالله اذا لا أفارق صاحبتى وما أحب ان لى بامرأتى امرأة من قريش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صهره خيرا فيما بلغنى ثم مشوا الى عتبة بن أبى لهب فقالوا له طلق بنت محمد ونحن ننكحك أى امرأة من قريش شئت فقال ان زوجتمونى بنت أبان بن سعيد بن العاص أو بنت سعيد بن العاص فارقتها فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ولم يكن دخل بها فاخرجها الله من يده كرامة لها وهوانا له وخلف عليها عثمان بن عفان بعده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوبا على أمره وكان الاسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمت و بين أبى العاص بن الربيع الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرق بينهما فأقامت معه على اسلامها وهو على شركه حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سارت قريش الى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع فاصيب فى الاسارى يوم بدر فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عباد عن عائشة رضى الله عنها قالت لما بعث أهل مكة فى فداء اسرائهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء أبى العاص بن الربيع بمال و بعثت فيه بقلادة لها كانت أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها قالت فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا فقالوا نعم يارسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذى لها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه وأوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أن يخلى سبيل زينب اليه أوكان فيما شرط عليه فى اطلاقه ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ماهو الا أنه لما خرج أبو العاص الى مكة وخلى سبيله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة و رجلا من الانصار مكانه فقال كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيانى بها فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر أو شيعه فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بابيها فخرجت تجهز * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال حدثت عن زينب انها قالت بينا أنا أتجهز بمكة للحوق بأبى لقيتنى هند بنت عتبة فقالت يا بنت محمد ألم يبلغنى انك تريدين اللحوق بابيك قالت فقلت ما أردت ذلك فقالت أى ابنة عمى لا تفعلى ان كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بمال تتبلغين به الى ابيك فان عندى حاجتك فلا تضطنى منى فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال قالت والله ما اراها قالت ذلك الا لتفعل قالت ولكنى خفتها فانكرت أن اكون اريد ذلك وتجهزت فلما فرغت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع اخو زوجها بعيرا فركبته واخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقود بها وهى فى هودج لها وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى ادركوها بذى طوى فكان اول من سبق اليها هبار بن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى الفهرى فروعها هبار بالرمح وهى فى هودجها وكانت

العاصى من الانصار عبد الله بن جبير ذكره غير ابن اسحق وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتبة بن أبى لهب وأم كلثوم تحت عتيبة فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين نزلت تبت يدا أبى لهب فاما عتيبة فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم ان يسلط الله عليه كلبا من كلابه فافترسه الاسد من بين أصحابه وهم نيام حوله وأما عتبة ومعتب ابنا أبى لهب فاسلما ولهما عقب * وقوله فى خبر هند فلا تضطنى منى تضطنى أى لا تنقبضى عنى وشاهده

اذا ذكرت مسعاة والده اضطنى • ولا يضطنى من شتم أهل الفضائل

هكذا وجدته فى حاشية الشيخ وقد روى هذا البيت فى الحماسة يضنى بالضاد المعجمة وكانه يفتعل من الضنى وهو الضعف

﴿ فصل ﴾ وذكر خروج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة واتباع قريش لها قال وسبق اليها هبار بن الاسود والفهرى ولم يسم ابن اسحق الفهرى وقال ابن هشام هو نافع بن عبد قيس وفى غير السيرة انه خالد بن عبد قيس هكذا ذكره البزار فيما بلغنى * وذكر أن زينب حين روعها هبار بن الاسود ألقت ذا بطنها وزاد غير ابن اسحق انه نخس بها الراحلة فسقطت على صخرة وهى حامل فهلك جنينها ولم تزل تهريق الدماء حتى ماتت بالمدينة بعد اسلام بعلها أبى العاصى * وذكر الزبير أن هبار بن الاسود لما أسلم وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المسلمون يسبونه بما فعل حتى شكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك ياهبار فكف الناس عن سبه بعد ولدت زينب وهى التى جاء فيها الحديث رواه

المراة حاملا فيما يزعمون فلما ريعت طرحت ذا بطنها وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال والله لا يدنو منى رجل الا وضعت فيه سهما فتكركر الناس عنه واتى ابو سفيان فى جملة من قريش فقال ايها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف فاقبل ابو سفيان حتى وقف عليه فقال انك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس اذا اخرجت ابنته اليه علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا ان ذلك عن ذل اصابنا عن مصيبتنا التى كانت وان ذلك منا ضعف ووهن ولعمرى ما لنا بحبسها عن ابيها من حاجة وما لنا فى ذلك من ثورة ولكن ارجع بالمرأة حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس ان قد رددناها فسلها سرا والحقها بابيها قال ففعل فاقامت ليالى حتى اذا هدأت الاصوات خرج بها ليلا حتى اسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم

* قال ابن اسحق فقال عبد الله بن رواحة او ابو خيثمة اخو بنى سالم بن عوف فى الذى كان من امر زينب « قال ابن هشام » هى لابى خيثمة

اتانى الذى لا يقدر الناس قدره * لزينب فيهم من عقوق ومأثم واخراجها لم يخز فيها محمد * على مأقط وبيننا عطر منشم
وامسى ابو سفيان من حلف ضمضم * ومن حربنا فى رغم أنف ومندم قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه * بذى حلق جلد الصلاصل محكم
فاقسمت لا تنفك منا كتائب * سراة خميس من لهام مسوم نروع قريشا الكفر حتى نعلها * بخاطمة فوق الانوف بميسم
ننزلهم أكناف نجد ونخلة * وان يتهموا بالخيل والرجل نتهم بدا الدهر حتى لا يعوج سربنا * ونلحقهم آثار عاد وجرهم
ويندم قوم لم يطيعوا محمدا * على امرهم واى حين تندم فابلغ اباسفيان اما لقيته * لئن أنت لم تخلص سجودا وتسلم
فابشر بخزى فى الحياة معجل * وسربال قار خالدا فى جهنم

« قال ابن هشام » ويروى وسربال نار . قال ابن اسحق ومولى يمين ابى سفيان الذى يعنى عامر بن الحضرمى كان فى الاسارى وكان حلف الحضرمى الى حرب بن امية « قال ابن هشام » مولى يمين ابى سفيان الذى يعنى عقبة بن عبد الحرث بن الحضرمى فاما عامر فقتل يوم بدر ولما انصرف الذين خرجوا الى زينب لقيتهم هند بنت عتبة فقالت لهم

افى السلم اعيارا جفاء وغلظة * وفى الحرب أشباه النساء العوارك

وقال كنانة بن الربيع فى أمر زينب حين دفعها الى الرجلين

عجبت لهبار وأوباش قومه * يريدون اخفارى ببنت محمد
ولست أبالى ما حييت عديدهم * وما استجمعت قبضا يدى بالمهند

* قال ابن اسحق حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن بكير بن عبد الله بن الاشج عن سليمان بن يسار عن أبى اسحق الدوسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أنا فيها فقال لنا ان ظفرتم بهبار بن الاسود أو الرجل الذى سبق معه الى زينب « قال ابن هشام » وقد سمى ابن اسحق الرجل فى حديثه فحرقوهما بالنار قال فلما كان الغد بعث الينا فقال انى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين ان أخذتموهما ثم رأيت انه لا ينبغى لاحد أن يعذب بالنار الا الله فان ظفرتم بهما فاقتلوهما * قال ابن اسحق وأقام أبو العاص بمكة وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين فرق بينهما الاسلام حتى اذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرا الى الشأم وكان رجلا مأمونا بمال له وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا ما معه وأعجزهم هاربا فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها فاجارته وجاء فى طلب ماله فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصبح كما حدثنى يزيد بن رومان فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع قال فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل

عمرو بن السليم الزرقى عن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب الحديث قال عمرو بن سليم الى آخر ما تقدم قريبا * وذكر شعر ابن رواحة وقيل بل قالها أبو خيثمة وفيها * على مأقط وبيننا عطر منشم * المأقط معترك الحرب وعطر منشم كناية عن شدة الحرب وهو مثل وأصله فيما زعموا أن منشم كانت امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب فيشترى منها للموتى حتى تشاءموا بها لذلك وقيل ان قوما تحالفوا على الموت فغمسوا أيديهم فى طيب منشم المذكورة تأكيدا للحلف فضرب طيبها مثلا فى شدة الحرب وقيل منشم امرأة من غدانة وهو بطن من تميم ثم من بنى يربوع بن حنظلة وان هذه المرأة هى صاحبة يسار الذى يقال له يسار الكواعب وانه كان عبدا لها وانه راودها عن نفسها فقالت له امهل حتى أشمك طيب الحرائر فلما أمكنها من أنفه انحت عليه بالموسى حتى أوعبته جدعا فقيل فى المثل لاقى الذى لاقى يسار الكواعب فقيل عطر منشم * وفى الشعر بذى حلق جلد الصلاصل محكم يعنى الغل والصلاصل جمع صلصلة وهى صلصلة الحديد * وذكر قول هند بنت عتبة لفل قريش حين رجعوا من بدر

أفى السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفى الحرب أشباه النساء العوارك

على الناس فقال أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشىء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم انه يجير على المسلمين أدناهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته فقال أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص فقال ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم فانتم أحق به قالوا يا رسول الله بل نرده عليه قال فردوه عليه حتى ان الرجل ليأتى بالدلو ويأتى الرجل بالشنة والاداوة حتى ان أحدهم ليأتى بالشظاظ حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا ثم احتمل الى مكة فادى الى كل ذى مال من قريش ماله ومن كان أبضع معه ثم قال يا معشر قريش هل بقى لاحد منكم عندى مال لم يأخذه قالوا لا فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فانا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى من الاسلام عنده الا تخوف أن يظنوا أنى انما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الاول ولم يحدث شيئا بعد ست سنين «قال ابن هشام» وحدثنى أبو عبيدة ان أبا العاص ابن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين قيل له هل لك ان تسلم وتأخذ هذه الاموال فانها أموال المشركين فقال أبو العاص بئس ما أبدأ به اسلامى أن أخون أمانتى «قال ابن هشام» وحدثنى عبد الوارث بن سعيد التنورى عن داود بن أبى هند عن عامر الشعبى بنحو من حديث أبى عبيدة عن أبى العاص * قال ابن اسحق فكان ممن سمى لنا من الاسارى ممن من عليه بغير فداء من بنى عبد شمس بن عبد مناف أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه * ومن بنى مخزوم المطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عمر بن مخزوم وكان لبعض بنى الحرث بن الخزرج فترك فى أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه «قال ابن هشام» أسره خالد بن زيد أبو أيوب الانصارى أخو بنى النجار * قال ابن اسحق وصيفى بن ابى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك فى ايدى اصحابه فلما لم يأت احد فى فدائه اخذوا عليه ليبعثن اليهم بفدائه فخلوا سبيله فلم يف لهم بشىء فقال حسان بن ثابت فى ذلك وما كان صيفى ليوفى امانة * قفا ثعلب اعيا ببعض الموارد «قال ابن هشام» وهذا البيت فى ابيات له * قال ابن اسحق وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح وكان محتاجا ذا بنات فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لقد عرفت مالى من مال وانى لذو حاجة وذو عيال فامنن على فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا فقال أبو عزة فى ذلك يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فضله فى قومه

من مبلغ عنى الرسول محمدا * بانك حق والمليك حميد   وأنت امرؤ تدعو الى الحق والهدى * عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة * لها درجات سهلة وصعود   فانك من حاربته لمحارب * شقى ومن سالمته لسعيد
ولكن اذا ذكرت بدرا واهله * تأوب ما بى حسرة وقعود

«قال ابن هشام» وكان فداء المشركين يومئذ اربعة آلاف درهم بالرجل الى الف درهم الا من لا شىء له فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه

يقال عركت المرأة ودرست وطمثت اذا حاضت وقد قيل أيضا يقال ضحكت اذا حاضت وتأول عليه قوله تعالى « فضحكت فبشرناها باسحاق » وقد قيل أيضا يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحمل بعضهم عليه قوله تعالى « أكبرنه وقطعن أيديهن » والهاء على هذا القول من أكبرنه عائدة على المصدر وهو تأويل ضعيف ونصب أعيارا على الحال والعامل فيه فعل مختزل لانه أقام الاعيار مقام اسم مشتق فكأنه قال أفى السلم بلداء جفاة مثل الاعيار ونصب جفاء وغلظة نصب المصدر الموضوع موضع الحال كما تقول زيد الاسد شدة أى مماثله مماثلة شدة فالشدة صفة للمماثلة كما أن المشافهة صفة للمكالمة اذا قلت كلمته مشافهة فهذه حال من المصدر فى الحقيقة وتعلق حرف الجر من قولها أفى السلم بما أدته الاعيار من معنى الفعل فكأنها قالت أفى السلم تتبلدون وهذا الفعل المختزل الناصب للاعيار لا يجوز اظهاره للسر الذى نبهنا عليه فى قول المبرق * وعائذا بك أن يعلوا فيطغونى * انظره فى الهجرة الى الحبشة * وذكر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم رد زينب على أبى العاصى على النكاح الاول لم يحدث شيئا بعد ست سنين ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديد وهذا الحديث هو الذى عليه العمل وان كان حديث داود بن الحصين أصح اسنادا عند أهل الحديث ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت لان الاسلام قد كان فرق بينهما قال الله تعالى «لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن» ومن جمع بين الحديثين قال فى حديث ابن عباس معنى ردها عليه

*قال ابن اسحق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة وكان ابنه وهب بن عمير في اسارى بدر «قال ابن هشام» أسره رفاعة بن رافع أحد بني زريق * قال ابن اسحق حدثني محمد بن جعفر الزبير عن عروة بن الزبير قال فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ما ان في العيش بعدهم خير قال له عمير صدقت والله أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت الى محمد حتى أقتله فان لي قبلهم علة ابني أسير في أيديهم قال فاغتنمها صفوان وقال علي دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم فقال له عمير فاكتم شأني وشأنك قال افعل ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم به المدينة فبينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم اذ نظر عمر الى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحا السيف فقال هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء الا لشر وهو الذي حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال فادخله علي قال فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها وقال لرجال ممن كان معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مأمون ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال ارسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال انعموا صباحا وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية اهل الجنة فقال أما والله يا محمد ان كنت بها لحديث عهد قال فما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم فاحسنوا فيه قال فما بال السيف في عنقك قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا قال أصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت انت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له والله حائل بينك وبين ذلك قال عمير أشهد انك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا انا وصفوان فوالله اني لأعلم ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ثم تشهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له اسيره ففعلوا ثم قال يا رسول الله اني كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله عز وجل وانا احب ان تأذن لي فاقدم مكة فادعوهم الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم في دينهم كما كنت اوذي اصحابك في دينهم قال فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وكان صفوان بن امية حين خرج عمير بن وهب يقول أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فاخبره عن اسلامه فحلف أن لا يكلمه أبدا ولا ينفعه بنفع ابدا * قال ابن اسحق فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو الى الاسلام ويؤذي من خالفه أذى شديدا فاسلم على يديه ناس كثير

على النكاح الاول أي على مثل النكاح الاول في الصداق والحباء لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره * وذكر قتل بلال لامية بن خلف ولم يذكر شعره في ذلك وذكره ابن اسحق في غير هذه الرواية وهو

فلما التقينا لم نكذب بحملة * عليهم باسياف لنا كالعقائق
ومطروة حمر الظباة كأنها * اذا رفعت اشطان ذات الابارق
بني جمح قد حل قعص بشيخكم * على ماء بدر رأس كل منافق
هجمنا عليه الموت واشتجرت به * مصاليت للانصار غير زواهق
هوى حين لاقانا وفرق جمعه * على وجهه في النار من رأس حالق

وذكر الزبير في هذا الخبر عن ابن سلام عن حماد بن سلمة ان امية حين احاطت به الانصار قال يا احد رأى أما لكم باللبن حاجة قال وكان امية يذكر بفصاحة ومعنى هذا الكلام هل راى احد مثل هذا ثم قرن الزبير هذا الحديث بحديث اسنده عن مقاتل بن سليمان قال قال النضر بن الحرث حين نزلت «قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين» الآية وكان النضر قد قال الملائكة بنات الرحمن فلما سمع الآية قال الا تراه قد صدقني فقال له امية بن خلف وكان افصح منه لا والله بل كذبك فقال ما كان للرحمن من ولد وروى عن عن ثعلب انه قال في قول امية يا احد يا استفتاح ومعناه يا هؤلاء احد راء

(فصل)

* قال ابن اسحق وعمير بن وهب أو الحرث بن هشام وقد ذكر لى أحدهما الذى رأى ابليس حين نكص على عقبيه يوم بدر فقال أين أى سراق ومثل عدو الله فذهب فانزل الله تعالى فيه واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فذكر استدراج ابليس اياهم وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم لهم حين ذكروا ما بينهم و بين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم يقول الله تعالى فلما تراءت الفئتان ونظر عدو الله الى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوهم نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى أرى ما لا ترون وصدق عدو الله رأى ما لم يروا وقال انى برئ منكم انى أخاف الله والله شديد العقاب فذكر لى انهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص على عقبيه فاوردهم ثم أسلمهم «قال ابن هشام» نكص رجع قال أوس بن حجر أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم

نكصتم على أعقابكم يوم جئتم * تزجون أنفال الخميس العرمرم

وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت

قومى الذين هم آووا نبيهم * وصدقوه وأهل الارض كفار
الاخصائص أقوام هم سلف * للصالحين مع الانصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم * لما أتاهم كريم الاصل مختار
أهلا وسهلا ففى أمن وفى سعة * نعم النبى ونعم القسم والجار
فأنزلوه بدار لا يخاف بها * من كان جارهم دار اهى الدار
وقاسموهم بها الاموال اذ قدموا * مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا الى بدر لحينهم * لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم اسلمهم * ان الخبيث لمن والاه غرار
وقال انى لكم جار فاوردهم * شر الموارد فيه الخزى والعار
ثم التقينا فولوا عن سراتهم * من منجدين ومنهم فرقة غاروا

«قال ابن هشام» وأنشدنى قوله لما أتاهم كريم الاصل مختار أبو زيد الانصارى

﴿ المطعمون من قريش ﴾

* قال ابن اسحق وكان المطعمون من قريش ثم من بنى هاشم بن عبد مناف العباس بن عبد المطلب بن هاشم . ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . ومن بنى نوفل بن عبد مناف الحرث بن عمرو بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل يعتقبان ذلك . ومن بنى أسد بن عبد العزى أبو البخترى بن هشام بن الحرث بن أسد وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد يعتقبان ذلك . ومن بنى عبد الدار بن قصى النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار «قال ابن هشام» و يقال ابن النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار * قال ابن اسحق ومن بنى مخزوم بن يقظة أبو جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومن بنى جمح بن عمرو أمية بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جمح . ومن بنى سهم بن عمرو نبيها ومنبها ابنى الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم يعتقبان ذلك . ومن بنى عامر بن لؤى سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر

﴿ فصل ﴾ وذكر اسلام عمير بن وهب الى آخره وليس فيه ما يشكل * وذكر فى آخر الحديث ان عمير بن وهب هو الذى رأى ابليس يوم بدر حين نكص على عقبيه وذكر غيره ان الحرث بن هشام تشبث به وهو يرى انه سراقة بن مالك فقال الى اين سراق أين تفر فلكمه لكمة طرحه على قفاه ثم قال انى اخاف الله رب العالمين وانما كان تمثل فى صورة سراقة المدلجى لانهم خافوا من بنى مدلج ان يعرضوا لهم فيشغلوهم من اجل الدماء التى كانت بينهم فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة المدلجى وقال انى جار لكم من الناس اى من بنى مدلج و يروى انهم رأوا سراقة بمكة بعد ذلك فقالوا له ياسراقة أخرمت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشىء من امركم حتى كانت هزيمتكم وما شهدت وما علمت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما انزل الله فعلموا انه كان ابليس تمثل لهم * وقول اللعين انى اخاف الله رب العالمين لاهل التأويل فيه اقوال احدها انه كذب فى قوله انى اخاف الله لان الكافر لا يخاف الله الثانى انه رأى جنود الله تنزل من السماء نخاف أن يكون اليوم الموعود الذى قال الله فيه «يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين» وقيل أيضا انما خاف أن تدركه الملائكة لما رأى من فعلها بحزبه الكافرين وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل ان قريشا حين توجهت الى بدر مر هاتف من الجن على مكة فى اليوم الذى أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بانفذ صوت ولا يرى شخصه

ازار الحنيفيون بدرا وقيعة * سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالا من لؤى وأبرزت * خرائد يضربن الترائب حسرا
فياويح من أمسى عدو محمد * لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم من الحنيفيون فقالوا هم محمد وأصحابه يزعمون انهم على دين ابراهيم الحنيف ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين

﴿أسماء خيل المسلمين يوم بدر﴾

« قال ابن هشام » وحدثنى بعض أهل العلم انه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل فرس مرثد بن مرثد الغنوى وكان يقال له السيل وفرس المقداد بن عمرو البهرانى وكان يقال له بعزجة ويقال سبحة وفرس الزبير بن العوام وكان يقال له اليعسوب « قال ابن هشام » ومع المشركين مائة فرس

﴿ذكر نزول سورة الانفال﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قال (٨٦) حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال فلما انقضى أمر بدر أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الانفال بأسرها فكان مما نزل منها فى اختلافهم فى النفل حين اختلفوا فيه يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فكان عبادة بن الصامت فيما بلغنى اذا سئل عن الانفال قال فينا معشر أهل بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل يوم بدر فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا فرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمه بيننا عن بواء يقول على السواء وكان فى ذلك تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البين ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم ان قريشا قد ساروا اليهم وانما خرجوا يريدون العير طمعا فى الغنيمة فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون أى كراهية للقاء القوم وانكار المسير قريش حين ذكروا لهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم أى الغنيمة دون الحرب ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين أى بالوقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر اذ تستغيثون ربكم أى لدعائهم حين نظروا الى كثرة عدوهم وقلة عددهم

الانفال

﴿ذكر ما أنزل الله فى بدر﴾

أنزل سورة الانفال بأسرها والانفال هى الغنائم وقال أبو عبيد فى كتاب الاموال النفل احسان وتفضل من المنعم فسميت الغنائم أنفالا لان الله تعالى تفضل بها على هذه الامة ولم يحلها لاحد قبلهم « قال المؤلف » أما قوله ان الله تفضل بها فصحيح فقد قال عليه السلام ما أحلت الغنائم لاحد سود الرؤس قبلكم انما كانت نار تنزل من السماء فتأكلها وأما قوله فسميت الغنائم أنفالا لهذا فلا أحسبه صحيحا فقد كانت العرب فى الجاهلية الجهلاء تسميها أنفالا * وقد أنشد ابن هشام لاوس بن حجر الاسيدى وهو جاهلى قديم

نكصتم على أعقابكم يوم جئتم * تزجون أنفال الخميس العرمرم

ففى هذا البيت انها كانت تسمى أنفالا قبل أن يحلها الله لمحمد وأمته فاصل اشتقاقها اذا من النفل وهو الزيادة لانها زيادة فى أموال الغانمين وفى بيت أوس بن حجر أيضا شاهد آخر على ان الجيش كان يسمى خميسا فى الجاهلية لان قوما زعموا ان اسم الخميس من الخمس الذى يؤخذ من المغنم وهذا لم يكن حتى جاء الاسلام وانما كان لصاحب الجيش الربع وهو المرباع وسياتى القول فى اشتقاقه فيما بعد ان شاء الله قرأ ابن مسعود وعطاء يسئلونك الانفال وقرأت الجماعة يسئلونك عن الانفال والمعنى صحيح فى القراءتين لانهم سألوها وسألوا عنها لمن هى * وقول عبادة بن الصامت نزلت فينا أهل بدر يسئلونك عن الانفال لانا تنازعنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا كذلك جاء فى التفسير لعبد بن حميد وغيره ان عبادة بن الصامت مع الذين كانوا معه وأبا اليسر كعب بن عمرو فى طائفة معه وكان أبو اليسر قد قتل قتيلين وأسر أسيرين تنازعوا فقال الذين حووا المغنم نحن أحق به وقال الذين شغلوا بالقتال واتباع القوم نحن أحق به فانتزعه الله منهم ورده الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقد تقدم حديث سعد بن أبى وقاص حين جاء بالسيف فأمر أن يجعله فى القبض فشق ذلك عليه وكان السيف للعاصى بن سعيد يقال له ذو الكنيفة فلما نزلت الآية أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف لسعد وقسم الغنيمة عن بواء أى على سواء وقد قدمنا الحديث الذى ذكره أبو عبيد وفيه انه قسمها على فواق فانزل الله بعد « واعلموا انما غنمتم من شئ » الآية فنسخت « قل الانفال لله والرسول » وهو أصح الاقوال انها منسوخة وأما من زعم ان الانفال ما شذ من العدو الى المسلمين من دابة أو نحوها فليست منسوخة عنده وكذلك قول مجاهد ان الانفال هو الخمس نفسه وانما تكون منسوخة اذا قلنا انها جملة الغنائم وهو القول الذى تشهد له الآثار قال أبو عبيد والانفال تنقسم أربعة أقسام نفل لا يخمس ونفل من رأس الغنيمة ونفل من الخمس ونفل السرايا وهو بعد اخراج الخمس ونفل من خمس الخمس فاما الذى ليس فيه خمس ولا يخرج من رأس الغنيمة ولا من الخمس فهو سلب القتيل يقتل فى غير معمعة الحرب وفى غير الزحف فهو ملك للقاتل وهذا القول هو قول الاوزاعى وأهل الشام وقول طائفة من أهل الحديث وفيه قول ثان وهو ان السلب من جملة النفل يخمس مع الغنيمة وهو قول مالك وهو معنى قول ابن عباس الذى فى الموطأ حين سأله رجل عن

الانفال فقال الفرس من النفل والدرع من النفل وقال فى غير الموطا فى هذا الحديث الفرس من النفل وفى النفل الخمس ان الوليد بن مسلم روى هذا الحديث فقال فى آخره يريد ان السلب للقاتل ففسره على مذهب شيخه ومن حجتهم أيضاً ان عمر رضى الله عنه خمس سلب البراء بن مالك حين قتل مرزبان الزارة فسلبه سواريه ومنطقته وما كان عليه فبلغ ثمنه ثلاثين ألفا وقال أصحاب القول الاول لا حجة فى حديث عمر لانه انما خمس المرزبان لانه استكثره وقال قد كان السلب لا يخمس وان سلب البراء بلغ ثلاثين ألفا وأنا خامسه واحتجوا بحديث سلمة بن الاكوع اذ قتل قتيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له سلبه أجمع ومن حجة مالك ومن قال بقوله عموم آية الخمس فانه قال «واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول» وحديث خالد بن الوليد الذى رواه مسلم وأبو داود ان عوف بن ملك قال قتل رجل من حمير رجلا من العدو فاراد سلبه فمنعه ذلك وكان واليا عليهم فاخبر عوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لخالد ما منعك أن تعطيه سلبه فقال استكثرته يارسول الله قال ادفعه اليه فلقى عوف خالدا فجبذ بردائه وقال هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغضب فقال لا تعطه ياخالد هل أنتم تاركوا الى أمرائى ولو كان السلب حقاله من رأس الغنيمة لما رده رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو القسم الواحد من النفل والقسم الثانى هو من رأس الغنيمة قبل تخميسها وهو ما يعطى الادلاء الذين يدلون على عورة العدو ويدلون الطرق وما يعطى الدعاة وغيره مما ينتفع أهل الجيش به عامة والقسم الثالث ما تنفله السرايا فقد كانت تنفل فى البدأة الربع بعد الخمس وفى العودة الثلث مما غنموه كذلك جاء فى حديث رواه مكحول عن حبيب بن مسلمة وأخذت به طائفة والقسم الرابع من النفل ما ينفله الامام من الخمس لاهل الغناء والمنفعة لان ما كان للرسول عليه السلام من الغنيمة فهو للامام بعده يصرفه فيما كان النبى عليه السلام يصرفه وهو قول مالك وأكثر العلماء وقالت طائفة هو مقصور على الاصناف التى ذكرت فى القرآن وهم ذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقد أعطى المقداد حمارا من الخمس أعطاه له بعض الامراء فرده لما لم يكن من هؤلاء الاصناف المذكورين وأما أنس بن مالك فانه فعل خلاف هذا أعطاه معاوية ثلاثين رأسا من الغنيمة فأبى أن يقبلها الا أن تكون من الخمس وأصح القولين ان الامام له النظر فى ذلك فان رأى صرف الخمس الى منافع المسلمين ولم تكن بالاصناف الاربعة حاجة شديدة اليه صرفه والا بدأ بهم وصرف بقيته فيما يرى واختلف فى ذوى القربى من هم فقال ابن عباس كنا نرى انهم بنو هاشم فأبى ذلك علينا قومنا وقالوا هم قريش كلهم كذلك قال فى الكتاب الذى كتبه الى نجدة الحرورى واختلفوا أيضاً فى قرابة الامام بعد النبى صلى عليه وسلم أهم داخلون فى الآية أم لا والصحيح دخولهم فى ذوى القربى لقوله عليه السلام اذا أطعم الله نبيا طعمة فهى للخليفة بعده أو قال للقائم بعده ومما اختلفوا فيه من معنى آية الخمس قسم خمس الخمس فقال أبو العالية فى قوله «فان لله خمسه» أى للكعبة يخرج لها نصيب من الخمس وللرسول نصيب وباقى الخمس للاربعة الاصناف وقالت طائفة خمس الخمس للرسول وباقيه للاربعة الاصناف وقالت طائفة الخمس كله للرسول يصرفه فى تلك الاصناف وغيرها وانما قال الله وللرسول تنبيها على شرف المكسب وطيب المغنم وكذلك قال فى الفىء وهو ما أفاء الله على المسلمين من الارضين التى كانت لاهل الكفر فقال فيه «فلله وللرسول» الآية ولم يقل فى آيات الصدقات مثل ذلك ولا أضافها لنفسه ولا للرسول لان الصدقة أوساخ الناس فلا تطيب لمحمد ولا لآل محمد فقال فيها «انما الصدقات للفقراء والمساكين» الآية أى ليست لاحد الا لهؤلاء وهذا كله قول سفيان الثورى وتفسيره وسيأتى القول فى غزوة حنين

فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين اذ يغشاكم النعاس أمنة منه أى أنزلت عليكم الامنة حين نمتم لا تخافون وأنزلت عليكم من السماء ماء للمطر الذى أصابهم تلك الليلة فحبس المشركين أن يسبقوا الى الماء وخلى سبيل المسلمين اليه ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اى ليذهب عنكم شك الشيطان لتخويفه اياهم عدوهم واستجلاد الارض لهم حتى انتهوا الى منزلهم الذى سبقوا اليه عدوهم ثم قال تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا أى آزروا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ثم قال ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أومتحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير أى تحريضا لهم على عدوهم لئلا ينكلوا عنهم اذا لقوهم وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم ثم قال تعالى فى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالحصباء من يده حين رماهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أى لم يكن ذلك برميتك لولا الذى جعل الله فيها من نصرك وما ألقى فى صدور عدوك منها حين هزمهم الله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا أى ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم فى اظهارهم على عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا بذلك نعمته ثم قال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أى لقول أبى جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فاحنة الغداة والاستفتاح الانصاف فى الدعاء يقول الله جل ثناؤه وان تنتهوا أى لقريش فهو خير لكم وان تعودوا نعد أى بمثل الوقعة التى أصبناكم بها يوم بدر ولن تغنى عنكم الآية فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين أى ان عددكم وكثرتكم فى أنفسكم لن تغنى عنكم شيئا وانى مع المؤمنين أنصرهم على من خالفهم ثم قال تعالى ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله وتزعمون انكم منه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أى كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ويسرون له المعصية ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون أى المنافقون الذين نهيتكم ان تكونوا مثلهم بكم عن الخير صم عن الحق لا يعقلون لا يعرفون ما عليهم فى ذلك من النقمة والتباعة ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم أى لا نفذ لهم قولهم الذى قالوا بالسنتهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون ما وفوا لكم بشىء مما خرجوا عليه ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما

فيما أعطى النبى صلى الله عليه وسلم للمؤلفة قلوبهم هل كان من رأس الغنيمة أم من الخمس أم من خمس الخمس ان شاء الله

﴿ فصل ﴾ وذكر قوله سبحانه « بألف من الملائكة مردفين » وقد قال فى أخرى « بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » فقيل فى معناه ان الالف أردفهم بثلاثة آلاف فكان الاكثر مددا للاقل وكان الالف مردفين لمن وراءهم بكسر الدال من مردفين وكانوا أيضا مردفين بهم بفتح الدال والالف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين وهم الذين قال الله لهم « فثبتوا الذين آمنوا » وكانوا فى صور الرجال ويقولون للمؤمنين اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم ونحو هذا وقول الله سبحانه « واضربوا منهم كل بنان » جاء فى التفسير انه ما وقعت ضربة يوم بدر الا فى رأس او مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود فى الاعناق وفى البنان كذلك ذكر ابن اسحق فى غير هذه الرواية ويقال لمفاصل الاصابع وغيرها بنان واحدتها بنانة وهو من أبن بالمكان اذا اقام فيه وثبت قاله الزجاج * وقوله « وليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان » الآية كان العدو قد أحرزوا الماء دون المؤمنين وحفروا القلب لانفسهم وكان المسلمون قد أحدثوا وأجنب بعضهم وهم لا يصلون الى الماء فوسوس الشيطان لهم أو لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق وقد سبقكم أعداؤكم الى الماء وأنتم عطاش وتصلون بلا وضوء وما ينتظر أعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فارسل الله تعالى السماء فحلت عزاليها فتطهروا ورووا وتلبدت الارض لاقدامهم وكانت رمالا وسبخات فثبتت فيها أقدامهم وذهب عنهم رجز الشيطان ثم نهضوا الى اعدائهم فغلبوهم على الماء وعاروا القلب التى كانت تلى العدو فعطش الكفار وجاء النصر من عند الله وقبض النبى صلى الله عليه وسلم قبضة من البطحاء ورماهم بها فملأت عيون جميع العسكر وذلك قوله سبحانه « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » أى عم جميعهم ولم يكن فى قبضتك الا ما يبلغ بعضهم فالله هو الذى رمى سائرهم اذ رميت أنت القليل منهم فهذا قول وقال أحمد بن يحيى معناه وما رميت قلوبهم بالرعب حين رميت الحصباء ولكن الله رمى وقال هبة الله بن سلامة الرمى أخذ وارسال واصابة وتبليغ فالذى أثبت الله لنبيه هو الاخذ والارسال والذى نفى عنه هو الاصابة والتبليغ وأثبتهما لنفسه * وقوله « فلا تولوهم الادبار »

تحييكم أى للحرب التى اعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون أى لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه فى السر الى غيره فان ذلك هلاك لاماناتكم وخيانة لانفسكم يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم أى فصلا بين الحق والباطل ليظهر الله به حقكم ويطفىء به باطل من خالفكم ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمته عليه حين مكر به القوم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين أى فمكرت بهم بكيدى المتين حتى خلصتك منهم ثم ذكر غرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك أى ما جاء به محمد فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا بعذاب أليم أى بعض ما عذبت به الامم قبلنا وكانوا يقولون ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفره ولم تعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم حين نعى عليهم سوء أعمالهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أى لقولهم انا نستغفر ومحمد بين أظهرنا ثم قال وما لهم ان لا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون كما يقولون وهم يصدون عن المسجد الحرام اى من آمن بالله وعبده اى انت ومن اتبعك وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون الذين يحرمون حرمته ويقيمون الصلاة عنده اى انت ومن آمن بك ولكن اكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت التى يزعمون انه يدفع بها عنهم الا مكاء وتصدية «قال ابن هشام» المكاء الصفير والتصدية التصفيق قال عنترة بن عمرو العبسى

ولرب قرن قد تركت مجدلا * تمكو فريصته كشدق الاعلم

يعنى صوت خروج الدم من الطعنة كأنه الصفير وهذا البيت فى قصيدة له وقال الطرماح بن حكيم الطائى

لها كلما ريعت صداة وركدة * بمصدان اعلى ابنى شمام البوائن

وهذا البيت فى قصيدة له يعنى الاروية يقول اذا فزعت قرعت بيدها الصفاة ثم ركدت تسمع لقرعها بيدها الصفاة مثل التصفيق والمصدان الحزن وابنا شمام جبلان * قال ابن اسحق وذلك ما لا يرضى الله عز وجل ولا يحبه وما لا افترض عليهم ولا ما امرهم به فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اى لما وقع بهم يوم بدر من القتل * قال ابن اسحق وحدثنى يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عائشة رضى الله عنها قالت ما كان بين نزول يا أيها المزمل وقول الله تعالى فيها وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما الا يسير حتى أصاب الله قريشا بالوقعة يوم بدر «قال ابن هشام» الانكال القيود واحدها نكل قال رؤبة بن العجاج

* يكفيك نكلى بغى كل نكل *

وهذا البيت فى ارجوزة له * قال ابن اسحق ثم قال الله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون يعنى النفر الذين مشوا الى ابى سفيان والى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة فسألوهم أن يقووهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلوا ثم قال قل للذين

الآية قال الحسن ليس الفرار من الزحف من الكبائر الا يوم بدر وفى الملحمة الكبرى التى تأتى آخر الزمان وقال غيره هو من الكبائر اذا حضر الامام ولم يتحيز الى فئة فاما اذا كان الفرار الى الامام فهو متحيز الى فئة وقد قال عمر بن الخطاب حين بلغه قتل أبى عبيد بن مسعود وما أوقع الفرس بالمسلمين هلا تحيز الىّ أبو عبيد بن مسعود فانى فئة لكل مسلم وروى مثل هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه الذين رجعوا من غزوة موته وذلك انهم قالوا نحن الفرارون يا رسول الله فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وهو حديث مشهور اختصرته والقدر الذى يحرم معه الفرار الواحد مع الواحد والواحد مع الاثنين فاذا كان الواحد للثلاثة لم يعب على الفار فراره كان متحيزا الى فئة أو لم يكن وذكر أبو الوليد بن رشد فى مقدماته عن بعض الفقهاء قال اذا كان المسلمون اثنا عشر الفا لم يجز لهم الفرار من ثلاثة أمثالهم ولا من أكثر من ذلك لقوله عليه السلام لن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة وقد كان وقوف الواحد الى العشرة حتما فى أول الامر ثم خفف الله ذلك ونسخه بقوله « الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا » الآية كذلك روى عن ابن عباس وهو قول العلماء ولكن لا يتبين فيه النسخ لان قوله « ان يكن منكم عشرون صابرون » الى آخر الآية خبر والخبر لا يدخله النسخ وقوله الآن خفف الله عنكم يدل على أن ثم حكما منسوخا وهو الثبوت للعشرة فاذا للآية ظهر وبطن فظاهرها خبر ووعد من الله تعالى ان تغلب العشرة المائة وباطنها وجوب الثبوت للمائة ويدل على هذا الحكم قوله «حرض المؤمنين على القتال» فتعلق النسخ بهذا الحكم الباطن وبقى الخبر وعدا حقا قد أبصره المؤمنون عيانا فى زمن عمر بن الخطاب وفى بقية

كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا لحربك فقد مضت سنة الاولين اى من قتل منهم يوم بدر ثم قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله اى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس له فيه شريك ويخلع ما دونه من الانداد فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا عن امرك الى ما هم عليه من كفرهم فاعلموا ان الله مولاكم الذي أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر في كثرة عددهم وقلة عددكم نعم المولى ونعم النصير ثم أعلمهم مقاسم الفئ وحكمه فيه حين أحله لهم فقال واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير أى يوم فرقت فيه بين الحق والباطل بقدرتي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم اذ أنتم بالعدوة الدنيا من الوادي وهم بالعدوة القصوى من الوادي الى مكة والركب أسفل منكم أى عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد أى ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا أى ليقضي ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام وأهله واذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ثم قال ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة وان الله لسميع عليم أى ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبرة ويؤمن من آمن على مثل ذلك ثم ذكر لطفه به وكيده له ثم قال اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور فكان ما أراك الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم شجعهم بها على عدوهم وكف بها عنهم ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم «قال ابن هشام» تخوف مبدلة من كلمة ذكرها ابن اسحق ولم اذكرها واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا أى ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد اتمام النعمة عليه من أهل ولايته ثم وعظهم وفهمهم وأعلمهم الذي ينبغي لهم ان يسيروا به في حربهم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة تقاتلونهم في سبيل الله عز وجل فاثبتوا واذكروا الله الذي له بذلتم أنفسكم والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا أى لا تختلفوا فيتفرق أمركم وتذهب ريحكم أى وتذهب حدتكم واصبروا ان الله مع الصابرين أى اني معكم اذا فعلتم ذلك ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس أى لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه الذين قالوا لا نرجع حتى نأتي بدرا فننحر بها الجزر ونسقى بها الخمر وتعزف علينا فيه القيان وتسمع العرب أى لا يكون أمركم رياء ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة في نصر دينكم ومؤازرة نبيكم لا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره ثم قال تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم «قال ابن هشام» وقد مضى تفسير هذه الآية * قال ابن اسحق ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر وما يلقون عند موتهم ووصفهم بصفتهم وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عنهم حتى انتهى الى أن قال فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون أى فنكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الى قوله تعالى وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون أى لا يضيع لكم أجره في

خلافة أبي بكر في محاربة الروم وفارس بالعراق وبالشام ففي تلك الملاحم هزمت المئون الآلاف من المشركين وقد هزم خالد بن الوليد مائة ألف حين اقباله من العراق الى الشام ولم يبلغ عسكره خمسة آلاف بل قد رأيت في بعض فتوح الشام انه كان يومئذ في ألف فارس وكان قد أقبل من العراق مددا للمسلمين الذين بالشام وكان الروم في أربعمائة ألف فلقي منهم خالد مائة ألف ففض جمعهم وهزمهم وقد هزم اهل القادسية جيوش رستم وقتلوه وكان رستم في أكثر من مائتي ألف ولم يكن المسلمون في عشر ذلك العدد وجاؤا معهم بالفيلة أمثال الحصون عليها الرجال ففرت الفيلة وأطاحت ما عليها ولم يردها شئ دون البلد الذي خرجت منه وكذلك ما ظهر من فتح الله ونصره على يدي موسى بن نصير بافريقية والاندلس فقد كان في ذلك أعجب العجب فكان وعد الله مفعولا ونصره للمسلمين ناجزا والحمد لله وقال النقاش في معنى قوله تعالى «ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين» معناه ان يصبروا ويغلبوا وغلبتهم ليس بان يسلموا كلهم ولكن من سلم منهم رأى غلبة اهل دينه وظهورهم على الكفر ولا يقدح في وعد الله ان يستشهد جملة من الصابرين وانما هذا كقوله «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله» الى قوله «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» فقد نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا هذا معنى كلامه والذي قدمناه أبين وفي هذه السورة قوله «اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض» نزلت في قوم من أهل مكة آمنوا ولم يهاجروا ثم خرجوا مع المشركين الى بدر فلما رأوا قلة المسلمين شكوا وقالوا غر هؤلاء دينهم منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وقيس بن الفاكه وجماعة سماهم ابو بكر النقاش وهم الذين قتلوا فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم والخنس يومئذ أبي بن شريق بنحو من ثلاثمائة

من

الآخرة وعاجل خلفه فى الدنيا ثم قال تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها أى ان دعوك الى السلم على الاسلام فصالحهم عليه وتوكل على الله ان الله كافيك انه هو السميع العليم «قال ابن هشام» جنحوا للسلم مالوا اليك للسلم الجنوح الميل قال لبيد بن ربيعة

جنوح الهالكى على يديه * مكبا يجتلى نقب النصال

وهذا البيت فى قصيدة له والسلم أيضا الصلح وفى كتاب الله عز وجل فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون ويقرأ الى السلم وهو ذلك المعنى قال زهير بن أبى سلمى

وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا * بمال ومعروف من القول نسلم

وهذا البيت فى قصيدة له «قال ابن هشام» وبلغنى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى انه كان يقول وان جنحوا للسلم للاسلام وفى كتاب الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ويقرأ السلم وهو الاسلام قال أمية بن أبى الصلت

فما أنابوا لسلم حين تنذرهم * رسل الاله وما كانوا له عضدا

وهذا البيت فى قصيدة له وتقول العرب لدلو تعمل مستطيلة السلم قال طرفة بن العبد أحد بنى قيس بن ثعلبة يصف ناقة

لها مرفقان أفتلان كأنما * تمر بسلمى دالج متشدد

وهذا البيت فى قصيدة له وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو من وراء ذلك هو الذى أيدك بنصره بعد الضعف وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم على الهدى الذى بعثك الله به اليهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم بدينه الذى جمعهم عليه انه عزيز حكيم ثم قال تعالى يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مئة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون أى لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن ابى نجيح عن عطاء بن ابى رباح عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين وأعظموا ان يقاتل عشرون مائتين ومائة الفا فخفف الله عنهم فنسختها الآية الاخرى فقال الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين قال فكانوا اذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم ان يفروا منهم واذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم ان يتحوزوا عنهم * قال ابن اسحق ثم عاتبه الله تعالى فى الاسارى واخذوا المغانم ولم يكن احد قبله من الانبياء يأكل مغنما من عدوله * قال ابن اسحق حدثنى محمد ابو جعفر بن على بن الحسين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا واعطيت جوامع الكلم واحلت لى المغانم ولم تحلل لنبى كان قبلى واعطيت الشفاعة خمس لم يؤتهن نبى قبلى * قال ابن اسحق فقال ما كان لنبى اى قبلك ان تكون له اسرى من عدوه حتى يثخن فى الارض اى يثخن عدوه حتى ينفيه من الارض تريدون عرض الدنيا أى المتاع الفداء بأخذ الرجال والله يريد الآخرة أى قتلهم لظهور الدين الذى تريدون اظهاره اى والذى تدرك به الآخرة لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم اى من الاسارى والمغانم عذاب عظيم اى لولا انه سبق منى انى لا اعذب الا بعد النهى ولم يك نهاهم لعذبتكم فيما صنعتم ثم

من قريش فسمى الاخنس وذلك انه خلا بابى جهل حين تراءآ الجمعان فقال أترى ان محمدا يكذب فقال أبو جهل كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الامين لانه ما كذب قط ولكن اذا اجتمعت فى بنى عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوءة فاى شىء يبقى لنا فحينئذ انخنس الاخنس ببنى زهرة وحشد ابليس جميع جنوده وجاء بنفسه ونزل جبريل بالف من الملائكة فى صور الرجال فكان فى خمسمائة من الملائكة فى الميمنة وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة فى الميسرة ووراءهم مدد لم يقاتلوا وهم الآلاف المذكورون فى سورة آل عمران وكان اسرافيل وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة وكان الرجل يرى الملك على صورة رجل يعرفه وهو يثبته ويقول له ماهم بشىء فكر عليهم وهذا فى معنى قوله سبحانه «فثبتوا الذين آمنوا» ذكره ابن اسحق فى غير رواية ابن هشام وفى مثل هذا يقول حسان

ميكال معك وجبرئيل كلاهما * مدد لنصرك من عزيز قادر

ويقال كان مع المسلمين يومئذ سبعون من الجن كانوا قد أسلموا * وذكر قول الله تعالى «ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم» ولم يذكر الآخرين من هم وقيل فى ذلك أقوال قيل هم المنافقون وقيل هم اليهود وأصح ما فى ذلك انهم الجن لرواية ابن المليكى عن أبيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى آخرين من دونهم قال هم الجن ثم قال عليه السلام ان الشيطان لا يخبل أحدا فى دار فيها فرس عتيق ذكره الحارث فى مسنده * وأنشد

جنوح الهالكى على يديه * مكبا يجتلى نقب النصال

الهالكى الصيقل ونقب النصال جرب الحديد وصدؤه وهو فى معنى النقب واحدتها نقبة

﴿فصل﴾ وذكر فى السورة لولا كتاب من الله سبق يعنى باحلال الغنائم لمحمد وأمته لمسكم فيما أخذتم

عذاب عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة وقال لو نزل عذاب ما نجا منه الا عمر لان عمر كان قد أشار عليه بقتل الاسارى والاثخان فى القتل وأشار أبو بكر بالابقاء فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر ثم نزلت الآية «فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا» وروى أبو عبيد من طريق عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الاسارى فقال ماذا ترون فقال عمر يارسول الله كذبوك وأخرجوك اضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله أنت بواد كثير الحطب فاضرمه نارا ثم ألقهم فيها فقال العباس قطع الله رحمك فقال أبو بكر يارسول الله عترتك وأصلك وقومك تجاوز عنهم يستنقذهم الله بك من النار ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قائل يقول القول ماقال عمر ومن قائل يقول القول ماقال أبو بكر فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماقولكم فى هذين الرجلين ان مثلهما كمثل اخوة لكم كانوا قبلكم قال نوح «رب لا تذر على الارض» الآية وقال موسى «ربنا اطمس على أموالهم» الآية وقال عيسى «ان تعذبهم فانهم عبادك» الآية وقال ابراهيم «فمن تبعنى فانه منى» الآية وان الله يشد قلوب رجال حتى تكون كالحجر ويلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويروى من اللين وان بكم عيلة فلا يفلتن منهم أحد الا بفداء أو ضربة عنق قال عبد الله فقلت الا سهل بن بيضاء وقد كنت سمعته يذكر الاسلام قال فجعلت أنظر الى السماء متى تقع على الحجارة فقلت اقدم القول بين يدى رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا سهل بن بيضاء ففرحت بذلك قال أبو عبيد اما أهل المعرفة بالمغازى فانهم يقولون انما هو سهل بن بيضاء أخو سهيل فاما سهيل فكان من المهاجرين وقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفد بعدها بمال انما كان يمن أو يفادى أسيرا باسير كذلك قال أبو عبيد وذلك والله أعلم لقوله «تريدون عرض الدنيا» يعنى الفداء بالمال وان كان قد أحل ذلك وطيبه ولكن ما فعله الرسول بعد ذلك أفضل من المن أو المفاداة بالرجال ألا ترى الى قوله سبحانه «فاما منا بعد واما فداء» كيف قدم المن على الفداء فلذلك اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وقدمه وأما مذاهب الفقهاء فى هذا فالاوزاعى وسفيان ومالك يكرهون أخذ المال فى الاسير لما فى ذلك من تقوية العدو بالرجال واختلفوا فى الصغير اذا كان معه أمه فاجاز فداءه بالمال أهل العراق واختلف فيه عن مالك والصحيح منعه وكان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فى الاسرى ففدى نفسه وفدى ابنى أخيه فقال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد تركتنى أتكفف قريشا فقيرا معدما فقال النبي عليه السلام أين الذهب التى تركتها عند أم الفضل وعددها كذا وكذا وقلت لها كيت وكيت فقال من أعلمك بهذا يا ابن أخى فقال الله فقال حديث ما اطلع عليه الا عالم الاسرار أشهد انك رسول الله فحينئذ أسلم العباس وكان فى الاسرى من يكتب ولم يكن فى الانصار أحد يحسن الكتابة فكان منهم من لا مال له فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلى سبيله فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت فى جماعة من غلمة الانصار وهذه عيون أخبار وصلتها بما ذكره ابن اسحق فى يوم بدر جمعتها من كتب التفاسير والسير ولخصتها

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق الخيل التى كانت للمسلمين يوم بدر فذكر بعزجة فرس المقداد واليعبوب فرس الزبير وفرسا لمرشد الغنوى ولم يكن لهم يومئذ خيل الا هذه وفى فرس الزبير اختلاف وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم خيل بعد هذا اليوم منها السكب واللزاز والمرتجز واللحيف وقد ذكره البخارى من حديث عباس بن سهل عن أبيه قال ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة وقال القتبى كان المرتجز فرسا اشتراه عليه السلام من اعرابى ثم أنكر الاعرابى أن يكون باعه منه فشهد خزيمة بن ثابت على الاعرابى بالبيع فقال

احلها له ولهم رحمة منه وعائدة من الرحمن الرحيم فقال فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ثم قال ياأيها النبي قل لمن فى ايديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وحض المسلمين على التواصل وجعل المهاجرين والانصار أهل ولايته فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم اولياء بعض ثم قال ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ان لا يوالى المؤمن المؤمن دون الكافر وان كان ذا رحم به تكن فتنة فى الارض اى شبهة فى الحق والباطل وظهور الفساد فى الارض بتولى المؤمن الكافر دون المؤمن ثم رد المواريث الى الارحام ممن اسلم بعد الولاية من المهاجرين والانصار دونهم الى الارحام التى بينهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله اى بالميراث ان الله بكل شئ عليم

﴿جريدة من حضر بدرا من المسلمين من قريش ومن معهم﴾

له

* قال ابن اسحق وهذه تسمية من شهد بدرا من المسلمين ثم من بنى هاشم بن عبد مناف و بنى المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ﴿محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين﴾ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم * وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم اسد الله واسد رسوله عم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعلى بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم * وزيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس الكلبى انعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» زيد بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة * قال ابن اسحق وانسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وابو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» انسة حبشى وابو كبشة فارسى * قال ابن اسحق وابو مرثد كناز بن حصن بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف بن جلان بن غنم بن غنى بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان «قال ابن هشام» كناز بن حصين * قال ابن اسحق وابنه مرثد بن أبى مرثد حليفا حمزة بن عبد المطلب . وعبيد بن الحرث بن المطلب واخواه الطفيل ابن الحرث والحصين ابن الحرث . ومسطح واسمه عوف بن اثاثة بن عباد بن المطلب اثنا عشر رجلا . ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس تخلف على امراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه قال واجرى يارسول الله قال واجرك . وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . وسالم مولى ابى حذيفة «قال ابن هشام» واسم ابى حذيفة مهشم «قال ابن هشام» وسالم سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس سيبته فانقطع الى ابى حذيفة فتبناه و يقال كانت ثبيتة بنت يعار تحت ابى حذيفة بن عتبة فاعتقت سالما سائبة فقيل سالم مولى ابى حذيفة * قال ابن اسحق وزعموا أن صبيحا مولى ابى العاص بن امية بن عبد شمس تجهز للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مرض فحمل على بعيره اباسلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله

له النبي صلى الله عليه وسلم بم تشهد قال أشهد بصدقك يارسول الله فجعلت شهادته شهادة رجلين والحديث مشهور غير أن فى مسند الحارث زيادة فيه وهى انه عليه السلام رد الفرس على الاعرابى وقال لا بارك الله لك فيها فاصبحت من الغد شائلة برجلها أى قد ماتت قال الطبرى ومن خيله الضريس وملاوح والورد وهو الذى وهبه لعمر فحمل عليه عمر رجلا فى سبيل الله وحديثه فى الموطأ وكان له عليه السلام من الدروع ذات الفضول وأخرى يقال لها فضة وراية يقال لها العقاب وقوسان أحدهما الصفراء والاخرى الزوراء وسيفه ذو الفقار لفقرات كانت فى وسطه وكان لنبيه ومنبه ابنى الحجاج سلباه يوم بدر و يقال ان أصله كان من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة فصنع منها ذو الفقار وصمصامة عمرو بن معدى كرب التى وهبها لخالد ابن سعيد وكانت مشهورة عند العرب وكان له حربة يقال لها النبعة وذكر العقيلى فى كتاب الضعفاء جملة من آلاته عليه السلام فى حديث أسنده فمنها الجمع اسم كنانته والمدلة اسم لمرآة كان ينظر فيها وقضيب يسمى الممشوق وذكر الجلمين ونسيت ماقال فى اسمه وأما بغلته دلدل وحماره عفير فقد ذكرناهما فى كتاب الاعلام وذكرنا ما كان فى أمر الحمار من الآيات و زدناهنالك فى استقصاء هذا الباب و رأينا أن لا نخلى هذا الكتاب مما ذكرناه هنالك أو أكثره وأما دلدل فماتت فى زمن معاوية وهى التى أهداها اليه المقوقس وأما اليعفور فطرح نفسه فى بئر يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم فمات وذكر ابن فورك فى كتاب الفصول انه كان من مغانم خيبر وانه كلم النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يارسول الله أنا زياد بن شهاب وقد كان فى آبائى ستون حمارا كلهم ركبه نبي فاركبنى أنت وزاد الجوينى فى كتاب الشامل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أحدا من أصحابه أرسل اليه هذا الحمار فيذهب حتى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم انه قد أرسل اليه فيأتى النبي صلى الله عليه وسلم وكان له ترس فيما ذكر الطبرى فيه تمثال كرأس الكبش وكان يكرهه فيه فاصبح ذات يوم قد امحا ولم يبق منه أثر وأما رداؤه عليه السلام فكان يقال له الحضرمى و به كان يشهد العيدين وكان طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر وكان له جفنة عظيمة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال جرى ذكرها فى حديث خرجه أبو داود فهذه جملة تشرئب الى معرفتها أنفس الطالبين وترتاح بالمذاكرة بها قلوب المتأدبين وكل ما كان من باب المعرفة بنبينا عليه السلام ومتصلا باخبار سيرته مما يونق الاسماع و يهز باراواح المحبة الطباع والحمد لله على ما علم من ذلك

﴿تسمية من شهد بدراً﴾

قد تقدم التعريف بكثير منهم ومن غيرهم ممن جرى ذكره فى السيرة والتنبيه الى ماتتشوف اليه نفس الطالب

عليه وسلم * وشهد بدرا من حلفاء بنى عبد شمس ثم من بنى أسد بن خزيمة عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد * وعكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد * وشجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد * وأخوه عقبة بن وهب ويزيد بن رقيش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان ابن أسد . وأبو سنان بن محصن بن حرثان بن قيس أخو عكاشة بن محصن * وابنه سنان بن أبى سنان ومحرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد . وربيعة بن اكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد * ومن حلفاء بنى كبير بن غنم بن دودان بن أسد ثقف بن عمرو وأخواه مالك بن عمرو ومدلج بن عمرو «قال ابن هشام» مدلاج بن عمرو * قال ابن اسحق وهم من بنى حجر آل بنى سليم وأبو مخشى حليف لهم ستة عشر رجلا «قال ابن هشام» أبو مخشى طائى واسمه سويد بن مخشى * قال ابن اسحق ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وخباب مولى عتبة بن غزوان رجلان * ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد وحاطب بن أبى بلتعة وسعد مولى حاطب ثلاثة نفر «قال ابن هشام» حاطب بن أبى بلتعة واسم أبى بلتعة عمرو لخمى وسعد مولى حاطب كلبى * قال ابن اسحق ومن بنى عبد الدار بن قصى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى وسويبط بن سعد بن حريملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصى رجلان * ومن بنى زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة وسعد بن أبى وقاص وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وأخوه عمير بن أبى وقاص * ومن حلفائهم المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هزل بن فائس بن دريم بن القين بن أهوذ بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة «قال ابن هشام» ويقال هزل بن قاس بن ذودهير بن ثور * قال ابن اسحق وعبد الله بن مسعود بن الحرث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل . ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن سبيع بن الهون (٩٤) بن خزيمة من القارة «قال ابن هشام» القارة لقب ولهم يقال قد أنصف القارة من راماها وكانوا رماة * قال ابن اسحق وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة من غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة «قال ابن هشام» ابن وانما قيل له ذو الشمالين لانه كان أعسر واسمه عمير * قال ابن اسحق وخباب بن الارت ثمانية نفر «قال ابن هشام» خباب بن الارت من بنى تميم وله عقب وهم بالكوفة ويقال خباب من خزاعة * قال ابن اسحق ومن بنى تيم بن مرة أبو بكر الصديق واسمه عتيق بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم «قال ابن هشام» اسم أبى بكر عبد الله وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه * قال ابن اسحق وبلال مولى أبى بكر وبلال مولد من مولدى بنى جمح اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف وهو بلال بن رياح وعامر بن فهيرة «قال ابن هشام» عامر بن فهيرة مولد من مولدى الاسد أسود اشتراه أبو بكر منهم * قال ابن اسحق وصهيب بن سنان من النمر بن قاسط «قال ابن هشام» النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة ابن سد بن ربيعة بن نزار ويقال أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويقال صهيب مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ويقال انه رومى فقال بعض من ذكر انه من النمر بن قاسط انما كان أسيرا فى الروم فاشترى منهم وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم * قال ابن اسحق وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم كان بالشأم فقدم بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فكلمه فضرب له بسهمه فقال وأجرى يا رسول الله قال وأجرك خمسة نفر * قال ابن اسحق ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة أبو سلمة بن عبد الاسد واسم أبى سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمى بن عامر بن مخزوم «قال ابن هشام» واسم شماس عثمان وانما سمى شماسا لان شماسا من الشمامسة قدم مكة فى الجاهلية وكان جميلا فعجب الناس من جماله فقال عتبة بن ربيعة وكان خال شماس فانا آتيكم بشماس أحسن منه فاتى بابن أخته عثمان بن عثمان فسمى شماسا فيما ذكر ابن شهاب الزهرى وغيره * قال ابن اسحق والارقم بن أبى الارقم وأبو الارقم عبد مناف بن أسد وكان أسد يكنى أبا جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وعمار بن ياسر «قال ابن هشام» عمار بن ياسر عنسى من مذحج * قال ابن اسحق ومعتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو حليف لهم من خزاعة وهو الذى يدعى عيهامة خمسة نفر * ومن بنى عدى بن كعب عمر بن الخطاب بن

> من هذا الفن وسائرهم قد نسبه ابن اسحق وابن هشام فى هذا الباب ونسبنا نحن فيما تقدم طائفة لم ينسبهم ابن اسحق فى هذا الباب منهم أبو الهيثم بن التيهان تقدم التعريف به فى بيعة العقبة وانه من بنى اراش فى قول

نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى • واخوه زيد بن الخطاب • ومهجع مولى عمر بن الخطاب من أهل اليمن وكان أول قتيل من المسلمين بين الصفين يوم بدر رمى بسهم «قال ابن هشام» مهجع من عك بن عدنان * قال ابن اسحق وعمرو بن سراقة بن المعتمر بن انس بن اذاة بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب • واخوه عبد الله بن سراقة * وواقد بن عبد الله ابن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف لهم • وخولى بن ابى خولى • ومالك بن ابى خولى حليفان لهم «قال ابن هشام» ابو خولى من بنى عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل * قال ابن اسحق وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل «قال ابن هشام» عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار و يقال افصى بن دعمى بن جديلة * قال ابن اسحق وعامر بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث • وعاقل بن البكير • وخالد بن البكير • واياس بن البكير حلفاء بنى عدى بن كعب * وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب قدم من الشام بعد ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فكلمه فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه قال وأجرى يا رسول الله قال وأجرك أربعة عشر رجلا * ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح • وابنه السائب بن عثمان • وأخواه قدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون • ومعمر بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح خمسة نفر * ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب خنيش بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم رجل * قال ابن اسحق ومن بنى عامر بن لؤى ثم من بنى مالك بن حسل بن عامر أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل • وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك • وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك كان خرج مع أبيه سهيل بن عمرو فلما نزل الناس بدرا فر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدها معه • وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو • وسعد بن خولة حليف لهم خمسة نفر «قال ابن هشام» سعد بن خولة من اليمن * قال ابن اسحق ومن بنى الحرث بن فهر أبو عبيدة وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث * وعمرو بن الحرث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أبى أهيب بن ضبة بن الحرث • وسهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث وأخوه صفوان بن وهب وهما ابنا بيضاء • وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث خمسة نفر فجميع من شهد بدرا من المهاجرين ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ثلاثة وثمانون رجلا «قال ابن هشام» وكثير من أهل العلم غير ابن اسحق يذكرون فى المهاجرين ببدر فى بنى عامر بن لؤى وهب بن سعد بن أبى سرح وحاطب بن عمرو وفى بنى الحرث ابن فهر عياض بن أبى زهير ﴿ الانصار ومن معهم ﴾ * قال ابن اسحق وشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ثم من الانصار ثم من الاوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بنى عبد الاشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل • وعمرو بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الاشهل * والحرث بن أوس بن معاذ بن النعمان * والحرث بن أنس بن رافع بن امرىء القيس *ومن بنى عبيد بن

ابن اسحق وقال ابن هشام اراشة * وذكر فى بنى الحارث بن فهر عياض بن أبى زهير هكذا ألفيته فى نسخة الشيخ أبى بحر وغيرها من النسخ الصحاح وهو وهم والصواب عياض بن زهير وليس الوهم فيه من ابن اسحق لانه قد ذكره فى المهاجرين الى الحبشة فقال فيه ابن زهير على الصواب وكذلك قال فى ابن أخيه عمرو بن الحارث بن زهير وغنم بن زهير والد عياض بن غنم صاحب الفتوحات الذى يقول فيه ابن الرقيات

وعياض وما عياض بن غنم * كان من خير من تجن النساء

والحارث بن زهير والد عمرو بن الحارث بن زهير وقد ذكر ابن اسحق عمرو بن الحارث أيضاً فقال فيه ابن زهير لا ابن أبى زهير والحمد لله * وذكر ابن اسحق فى البدريين عاصم بن عدى لم يشهدها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم رده من الروحاء لسبب ذكره موسى بن عقبة وغيره وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه شىء عن أهل مسجد الضرار وكان قد استخلفه على قباء والعالية فرده لينظر فى ذلك وضرب له بسهمه مع أهل بدر وعاصم هو المذكور فى حديث اللعان الذى يقول له عويمر العجلانى وهو عويمر بن أبيض ويقال فيه ابن اشقر سل لى يا عاصم عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى سنة خمس وأربعين وهو ابن عشرين ومائة يكنى أبا عمرو وقيل ابا عبد الله * وذكر ابن اسحق فيمن رده النبى صلى الله عليه

كعب بن عبد الاشهل سعد بن زيد بن مالك بن عبيد * ومن بنى زعور بن عبد الاشهل «قال ابن هشام» ويقال زعورا * سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعورا وعباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعورا وسلمة بن ثابت بن وقش • ورافع بن يزيد بن كرز بن سكن بن زعورا • والحرث بن خزمة بن عدى بن أبى بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لهم من بنى عوف بن الخزرج • ومحمد بن مسلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحرث حليف لهم من بنى حارثة بن الحرث • وسلمة بن أسلم بن حريش بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحرث حليف لهم من بنى حارثة بن الحرث «قال ابن هشام» أسلم بن حريس بن عدى * قال ابن اسحق وأبو الهيثم بن التيهان وعبيد بن التيهان «قال ابن هشام» ويقال عتيك بن التيهان * قال ابن اسحق وعبد الله بن سهل خمسة عشر رجلا «قال ابن هشام» عبد الله بن سهل أخو بنى زعورا ويقال من غسان * قال ابن اسحق ومن بنى ظفر ثم من بنى سواد ابن كعب وكعب هو ظفر «قال ابن هشام» ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد • وعبيد بن أوس بن مالك بن سواد رجلان «قال ابن هشام» عبيد بن اوس الذى يقال له مقرن لانه قرن أربعة اسرى فى يوم بدر وهو الذى أسر عقيل بن أبى طالب يومئذ * قال ابن اسحق ومن بنى عبد بن رزاح بن كعب نصر بن الحرث بن عبد • ومعتب بن عبيد * ومن حلفائهم ثم من بلى عبد الله بن طارق ثلاثة نفر * ومن بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس مسعود بن سعد بن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة «قال ابن هشام» ويقال مسعود بن عبد سعد * قال ابن اسحق وأبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثة * ومن حلفائهم ثم من بلى أبو بردة بن نيار واسمه هانىء بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف (٩٦) ابن قضاعة ثلاثة نفر * قال ابن اسحق ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس ثم من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن عاصم بن ثابت بن قيس وقيس أبو الاقلح بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة * ومعتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة * وأبو مليل بن الازعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة * وعمرو بن معبد بن الازعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة «قال ابن هشام» عمير بن معبد * قال ابن اسحق وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحرث بن عمرو وهو الذى يقال له بحزج من حنش ابن عوف بن عمرو بن عوف خمسة نفر * ومن بنى أمية بن زيد بن مالك مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية • ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر • وسعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية • وعويم بن ساعدة • ورافع بن عنجدة وعنجدة أمه فيما قال ابن هشام وعبيد بن أبى عبيد • وثعلبة بن حاطب وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر والحرث بن حاطب خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعهما وأمر أبا لبابة على المدينة فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر تسعة نفر «قال ابن هشام» ردهما من الروحاء «قال ابن هشام» وحاطب بن عمرو ابن عبيد بن أمية واسم أبى لبابة بشير * قال ابن اسحق ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك أنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحرث بن عبيد * ومن حلفائهم من بلى معن بن عدى بن الجد بن العجلان بن ضبيعة وثابت بن أرقم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان وعبد الله بن سلمة بن مالك بن الحرث بن عدى بن العجلان وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان وربعى بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان وخرج عاصم ابن عدى بن الجد بن العجلان فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر سبعة نفر * ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك واسم البرك امرؤ القيس بن ثعلبة وعاصم بن قيس «قال ابن هشام» عاصم بن قيس بن ثابت بن النعمان ابن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة * قال ابن اسحق وأبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة وأبو حنة «قال ابن هشام وهو أخو أبى ضياح ويقال أبو حبة ويقال لامرىء القيس البرك بن ثعلبة * قال ابن اسحق وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة «قال ابن هشام» ويقال ثابت بن عمرو بن ثعلبة * قال ابن اسحق والحرث بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة وخوات بن جبير بن النعمان ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم مع أصحاب بدر سبعة نفر * ومن بنى جحجبى بن كلفة بن عوف بن

وسلم يوم بدر وضرب له بسهمه خوات بن جبير رده من الصفراء وسبب ذلك فيما ذكر ابن عقبة أن حجرا أصابه فى رجله فورمت عليه واعتلت فرده النبى صلى الله عليه وسلم لذلك وهو صاحب خولة ذات النحيين فى الجاهلية وهى امرأة من بنى تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سأله عنها وتبسم فقال يا رسول الله قد رزق الله خيراً وأعوذ بالله من الحور بعد الكور ويروى انه قال له ما فعل بعيرك الشارد فقال قيده الاسلام يا رسول الله وقيل معنى قوله بعيرك الشارد انه مر فى الجاهلية بنسوة أعجبه حسنهن فسألهن أن يفتلن له قيداً لبعير له زعم انه شارد وجلس اليهن بهذه العلة فمر به النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث اليهن فاعرض عنه وعنهن فلما أسلم سأله عن ذلك

عمرو بن عوف منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبي بن كلفة «قال ابن هشام» ويقال الحريس بن جحجبي * قال ابن اسحق ومن حلفائهم من بني أنيف أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن تيجان بن عامر بن مالك بن عامر بن أنيف بن جشم بن عبد الله بن تيم بن اراش بن عامر بن عميلة بن قسميل بن فران بن عمرو بن لحاف بن قضاعة رجلان «قال ابن هشام» ويقال تيم بن اراشة وقسميل بن فاران * قال ابن اسحق ومن بني غنم بن السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الاوس سعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم ومنذر بن قدامة بن عرفجة ومالك بن قدامة بن عرفجة «قال ابن هشام» عرفجة بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة ابن غنم * قال ابن اسحق والحرث بن عرفجة «قال ابن هشام» عرفجة بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم * قال ابن اسحق وتميم مولى بني غنم خمسة نفر «قال ابن هشام» تميم مولى سعد بن خيثمة * قال ابن اسحق ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف جبر بن عتيك بن الحرث بن قيس بن هيشة بن الحرث بن أمية بن معاوية * ومالك بن نميله حليف لهم من مزينة * والنعمان بن عصر حليف لهم من بلي ثلاثة نفر فجميع من شهد بدراً من الاوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضرب له بسهمه وأجره أحد وستون رجلا * وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ثم من الانصار ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني الحرث بن الخزرج ثم من بني امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس وعبد الله بن رواحة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرئ القيس وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس أربعة نفر * ومن بني زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحرث بن الخزرج بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد «قال ابن هشام» ويقال جلاس وهو عندنا خطأ * وأخوه سماك بن سعد رجلان ومن بني عدي بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج سبيع بن قيس بن عيشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي وعباد بن قيس بن عيشة أخوه «قال ابن هشام» ويقال انه قيس بن عبسة بن أمية * قال ابن اسحق وعبد الله بن عبس ثلاثة نفر * ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج يزيد بن الحرث بن قيس بن مالك بن أحمر وهو الذي يقال له ابن فسحم رجل «قال ابن هشام» فسحم أمه وهي امرأة من القين بن جسر * قال ابن اسحاق ومن بني جشم بن الحرث بن الخزرج وزيد بن الحرث بن الخزرج وهما التوأمان خبيب بن اساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم * وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد وأخوه حريث بن زيد بن ثعلبة زعموا وسفيان بن بشر أربعة نفر «قال ابن هشام» سفيان بن نسر بن عمرو بن الحرث بن كعب بن زيد * قال ابن اسحق ومن بني جدارة بن عوف بن الحرث بن الخزرج تميم بن يعار بن قيس بن عدي بن أمية بن جدارة * وعبد الله بن عمير من بني حارثة قال ابن هشام ويقال عبد الله بن عمير بن عدي بن أمية بن جدارة * قال ابن اسحق وزيد بن المزين بن قيس بن عدي بن أمية ابن جدارة «قال ابن هشام» زيد بن المري * قال ابن اسحق وعبد الله بن عرفطة بن عدي بن أمية بن جدارة أربعة نفر * قال ابن اسحق ومن بني الابجر وهم بنو حدرة بن عوف بن الحرث بن الخزرج عبد الله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عباد بن الابجر رجل * ومن بني عوف بن الخزرج ثم من بني عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج وهم بنو الحبلي «قال ابن هشام» الحبلي سالم بن غنم بن عوف وانما سمي الحبلي لعظم بطنه عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك بن الحرث بن عبيد وانما سلول امرأة وهي أم أبي وأوس بن خولي بن عبد الله بن الحرث ابن عبيد رجلان * ومن بني جزء بن عدي بن مالك بن سالم بن غنم زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء وعقبة بن وهب بن كلدة حليف لهم من بني عبد الله بن غطفان ورفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم وعامر بن سلمة بن عامر حليف لهم من اليمن «قال ابن هشام» ويقال عمرو بن سلمة وهو من بلي من قضاعة ٭

ذلك البعير الشارد وهو يتبسم له فقال خوات قيده الاسلام يارسول الله قال الواقدي يكنى أباصالح وروى النمري في حديث مسند الى خوات أن عمر بن الخطاب كناه أباعبد الله وذلك انه كان معه في ركب فقال له الركب غننا من شعر ضرار فقال عمر دعوا أباعبد الله يغنينا بنيات فؤاده قال فأنشدهم حتى السحر فقال عمر ارفع لسانك ياأباعبد الله فقد أسحرنا * وذكر النعمان بن عصر ولم ينسبه وهو ابن عصر بن الربيع بن الحارث بن أديم البلوي وقيل عصر بن عبيد بن وائلة بن حارثة البلوي قتل باليمامة * وذكر في نسب ريد بن وديعة جزء بن عدي * وذكر أبو بحر انه قيده عن أبي الوليد جزء بسكون الزاي وانه لم يجده عن غيره الا بكسر الزاي * وذكر رافع بن عنجدة وقال هي أمه ولم يذكر أباه واسمه عبد الحارث والعنجدة حب الزبيب ويقال هو الزبيب وأما عجم الزبيب فهو الفرصد قاله أبو حنيفة * وذكر كعب ابن جماز بالجيم والزاي كما قال ابن هشام لا كما قال ابن اسحق فان أهل النسب على ما قال ابن هشام غير أن

قال ابن اسحق وأبو خميصة معبد بن عباد بن قشير بن المقدم بن سالم بن غنم «قال ابن هشام» معبد بن عباد بن قشعر بن القدم و يقال عباد بن قيس بن القدم * قال ابن اسحق وعامر بن البكير حليف لهم ستة نفر «قال ابن هشام» عامر بن العكير و يقال عاصم بن العكير * قال ابن اسحق ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ثم من بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم نوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان رجل * ومن بنى أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف «قال ابن هشام» هذا غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج وغنم بن سالم الذى قبله على ما قال ابن اسحق عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم * وأخوه أوس بن الصامت رجلان * ومن بنى دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد والنعمان الذى يقال له قوقل رجل * ومن بنى قريوس بن غنم بن أمية بن لوذان بن سالم «قال ابن هشام» و يقال قريوس بن غنم ثابت بن هزال بن عمرو بن قريوس رجل * ومن بنى مرضخة بن غنم بن سالم مالك بن الدخشم بن مرضخة رجل «قال ابن هشام» و يقال ملك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة * قال ابن اسحق ومن بنى لوذان بن غنم بن سالم ربيع بن اياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لوذان * وأخوه ورقة بن اياس * وعمرو بن اياس حليف لهم من أهل اليمن ثلاثة نفر «قال ابن هشام» و يقال عمرو بن اياس أخو ربيع وورقة * قال ابن اسحق ومن حلفائهم من بلى ثم من بنى غصينة «قال ابن هشام» غصينة أمهم وابوهم عمرو عمارة بن المجذر بن ذياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة بن مالك ابن غصينة بن عمرو بن بثيرة بن مشنو بن قهر بن تيم بن أراش بن عامر بن عميلة بن قسميل بن فران بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة «قال ابن هشام» و يقال قشر بن تيم بن اراشة وقسميل بن فاران واسم المجذر عبد الله * قال ابن اسحق وعباد بن الخشخاش بن عمرو بن زمزمة * ونحاب بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو ابن عمارة «قال ابن هشام» و يقال نحاث بن ثعلبة * قال ابن اسحق وعبد الله بن ثعلبة ابن خزمة بن أصرم * وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية حليف لهم من بهراء قد شهد بدرا خمسة نفر «قال ابن هشام» عتبة بن بهز من بنى سليم * قال ابن اسحق ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ثم من بنى ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة أبو دجانة سماك بن خرشة «قال ابن هشام» أبو دجانة بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة * قال ابن اسحق والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة رجلان من «قال ابن هشام» و يقال المنذر بن عمرو بن لوذان بن خنيس * قال ابن اسحق ومن بنى البدى عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة أبو أسيد مالك بن ربيعة بن البدى ومالك بن مسعود وهو الى البدى رجلان «قال ابن هشام» مالك بن مسعود بن البدى فيما ذكر لى بعض أهل العلم * قال ابن اسحق ومن بنى طريف بن الخزرج بن ساعدة عبد ربه بن حق بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف رجل ومن حلفائهم من جهينة كعب بن حمار بن ثعلبة «قال ابن هشام» و يقال كعب بن جماز وهو من غبشان * قال ابن اسحق وضمرة وزياد و بسبس بنو عمرو «قال ابن هشام» و يقال ضمرة وزياد ابنا بشر * قال ابن اسحق وعبد الله بن عامر من بلى خمسة نفر * ومن بنى جشم بن الخزرج ثم من بنى سلمة بن سعد بن على بن اسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام والحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام وعمير بن الحمام بن الجموح ابن زيد بن حرام وتميم مولى خراش بن الصمة وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ومعاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عمرو ابن الجموح بن زيد بن حرام وخلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام وعقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام وحبيب بن اسود مولى لهم وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحرث بن حرام وثعلبة الذى يقال له الجذع وعمير بن الحرث بن ثعلبة بن الحرث بن حرام اثنا عشر رجلا «قال ابن هشام» وكل ما كان ههنا الجموح فهو الجموح بن زيد بن حرام الا ما كان من جد الصمة فانه الجموح بن حرام «قال ابن هشام» و يقال الصمة بن عمرو بن الجموح بن حرام «قال ابن هشام» عمير بن الحرث بن لبدة بن ثعلبة * قال ابن اسحق ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة ثم من بنى خنساء بن سنان بن عبيد بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء والطفيل بن مالك ابن خنساء والطفيل بن النعمان بن خنساء وسنان بن صيفى بن صخر بن خنساء وعبد الله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء

الدارقطنى قيد فيه رواية ثالثة ابن حمان بنون وحاء مكسورة * وذكر فيهم أبا حميضة واسمه معبد بن عباد قال أبو عمر كذا قيده ابراهيم بن سعد عن ابن اسحق وغيره يقول فيه عن ابن اسحق يقول فيه أبو خميصة بخاء منقوطة وصاد مهملة * وذكر فى البلويين أبا عقيل ولم يسمه وكان اسمه فى الجاهلية عبد العزى فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن عدو الاوثان ابن عبد الله بن ثعلبة قتل باليمامة * واما ابو عقيل صاحب الصاع الذى لمزه المنافقون فاسمه جثجاث وفيه أنزلت «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين» وذلك انه جاء بصاع

وعتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء وخارجة بن حمير وعبد الله بن حمير حليفان لهم من أشجع من بنى دهمان تسعة نفر «قال ابن هشام» و يقال جبار بن صخر بن أمية بن خناس * قال ابن اسحق ومن بنى خناس بن سنان بن عبيد يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس وعبد الله بن النعمان بن بلدمة «قال ابن هشام» و يقال بن بلذمة و بلدمة * قال ابن اسحق والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدى وسواد بن زريق بن ثعلبة بن عبيد بن عدى «قال ابن هشام» و يقال سواد بن رزن بن زيد بن ثعلبة * قال ابن اسحق ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة و يقال معبد بن قيس بن صيفى بن صخر بن حرام بن ربيعة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وعبد الله بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة ابن عدى بن غنم سبعة نفر * ومن بنى النعمان بن سنان بن عبيد عبد الله بن عبد مناف بن النعمان * وجابر بن عبد الله بن رياب بن النعمان وخليدة بن قيس بن النعمان والنعمان بن سنان مولى لهم أربعة نفر * ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ثم من بنى حديدة بن عمر ابن غنم بن سواد «قال ابن هشام» عمر بن سواد ليس لسواد ابن يقال له غنم وأبو المنذر وهو يزيد بن عامر بن حديدة وسليم ابن عمرو بن حديدة * وقطبة بن عامر بن حديدة وعنترة مولى سليم بن عمرو أربعة نفر «قال ابن هشام» عنترة من بنى سليم بن منصور ثم من بنى ذكوان * قال ابن اسحق ومن بنى عدى بن نابى بن عمرو بن سواد بن غنم عبس بن عامر بن عدى وثعلبة بن غنمة بن عدى وأبو اليسر وهو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد * وسهل بن قيس بن أبى كعب بن القين بن كعب بن سواد وعمرو ابن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم * ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عدى بن أذن بن سعد ابن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ستة نفر «قال ابن هشام» أوس بن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد «قال ابن هشام» وانما نسب ابن اسحق معاذ بن جبل فى بنى سواد وليس منهم لانه فيهم * قال ابن اسحق والذين كسروا آلهة بنى سلمة معاذ بن جبل وعبد الله بن أنيس وثعلبة بن غنمة وهم فى بنى سواد بن غنم * قال ابن اسحق ومن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ابن جشم بن الخزرج ثم من بنى مخلد بن عامر بن زريق «قال ابن هشام» و يقال عامر بن الازرق قيس بن محصن بن خالد بن مخلد «قال ابن هشام» و يقال قيس بن حصن * قال ابن اسحق وأبو خالد وهو الحرث بن قيس بن خالد بن مخلد وجبير بن اياس بن خالد بن مخلد وأبو عبادة وهو سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد وأخوه عقبة بن عثمان بن خلدة بن مخلد وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد ومسعود بن خلدة ابن عامر بن مخلد سبعة نفر * ومن بنى خلدة بن عامر بن زريق عباد بن قيس بن عامر بن خالد رجل * ومن بنى خلدة بن عامر بن زريق أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة والفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة «قال ابن هشام» يسر بن الفاكه * قال ابن اسحق ومعاذ بن ماعص ابن قيس بن خلدة وأخوه عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ومسعود بن سعد بن قيس بن خلدة خمسة نفر * ومن بنى العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان وأخوه خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان ثلاثة نفر * ومن بنى بياضة بن عامر بن زريق زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة وفروة بن عمرو بن ودفة بن عبيد بن عامر بن بياضة «قال ابن هشام» و يقال ودفة * قال ابن اسحق وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ورجيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بياضة «قال ابن هشام» و يقال رخيلة * قال ابن اسحق وعطية بن نويرة بن عامر بن عطية بن عامر ابن بياضة وخليفة بن عدى بن عمرو بن مالك بن عامر بن فهيرة بن بياضة ستة نفر «قال ابن هشام» و يقال علية * قال ابن اسحق * ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدى بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب رجل * ومن بنى النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ثم من بنى غنم بن مالك بن النجار ثم من بنى ثعلبة بن

من تمر فوضعه فى العرقة حين حث النبى صلى الله عليه وسلم على النفقة فى سبيل الله فضحك منه المنافقون وقالوا ان الله لغنى عن صاع أبى عقيل وقع فى أنساب البدريين ابن قريوش بكسر القاف والشين المنقوطة وقال ابن هشام قريوس بالسين المهملة كذا قيده أبو الوليد وفى أكثر الروايات قربوس بفتح القاف والباء المضمومة المنقوطة بواحدة فقريوش فعيول من التقرش وهو التكسب و بالسين فعيول من القرس وهو البرد وقريوش بالشين المنقوطه أصح فيه لا من التقرش وهو التكسب كما سميت قريش به قاله قطرب وممن لم يشهد بدراً لعذر وهو من النقباء سعد بن عبادة سيد الخزراج لانه نهشته حية فلم يستطع الخروج هذا قول القتبى ولذلك لم يذكره ابن اسحاق ولا ابن عقبة وقد ذكرته طائفة فيهم ابن الكلبى وجماعة * وذكر أبا الضياح واسمه النعمان وقيل عمير بن ثابت بن النعمان قتل يوم خيبر * وذكر فى بنى النجار من ينسب الى جدارة بن

عبد بن عوف بن غنم أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة رجل * ومن بنى عسيرة بن عبد بن عوف بن غنم بن ثابت بن خلد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة رجل «قال ابن هشام» ويقال عشيرة * قال ابن اسحق ومن بنى عمرو بن عبد بن عوف بن غنم عمارة ابن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو وسراقة بن كعب بن عبد العزى بن غزية بن عمرو رجلان * ومن بنى عبيد بن ثعلبة بن غنم بن حارثة بن النعمان بن زيد بن عبيد وسليم بن قيس بن قهد واسم قهد خالد بن قيس بن عبيد رجلان «قال ابن هشام» حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد * قال ابن اسحق ومن بنى عائذ بن ثعلبة بن غنم ويقال عائذ فيما قال ابن هشام سهيل بن رافع بن أبى عمرو بن عائذ وعدى ابن الزغبا حليف لهم من جهينة رجلان * ومن بنى زيد بن ثعلبه بن غنم مسعود بن أوس بن زيد وأبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد ورافع بن الحرث بن سواد بن زيد ثلاثة نفر * ومن بنى سواد بن مالك بن غنم عوف ومعوذ ومعاذ بنو الحرث بن رفاعة بن سواد وهم بنو عفراء «قال ابن هشام» عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ويقال رفاعة بن الحرث بن سواد فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق والنعمان بن عمرو بن رفاعة بن سواد ويقال نعيمان فيما قال ابن هشام قال ابن اسحق وعامر بن مخلد بن الحرث ابن سواد وعبد الله بن قيس بن خالد بن خلدة بن الحرث بن سواد وعصيمة حليف لهم من أشجع ووديعة بن عمرو حليف لهم من جهينة وثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد زعموا أن أبا الحمراء مولى الحرث عفراء قد شهد بدرا عشرة نفر «قال ابن هشام» أبو الحمراء مولى الحرث بن رفاعة قال ابن اسحق * ومن بنى عامر بن مالك بن النجار وعامر مبذول ثم من بنى عتيك بن عمرو بن مبذول) ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك * وسهل بن عتيك بن النعمان بن عمرو بن عتيك * والحرث بن الصمة بن عمرو بن عتيك كسر به بالروحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ثلاثة نفر ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار وهم بنو حذيلة ثم من بنى قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية ابن عمرو بن مالك بن النجار «قال ابن هشام» حذيلة بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج وهى ام معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار فبنو معاوية ينتسبون اليها * قال ابن اسحق أبىّ بن كعب بن قيس وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس رجلان ومن بنى عدى بن عمرو بن مالك بن النجار «قال ابن هشام» وهم بنو مغالة بنت عوف بن عبد مناة بن عمرو بن مالك بن كنانة بن خزيمة ويقال انها من بنى زريق وهى أم عدى بن عمرو بن مالك بن النجار فبنو عدى ينسبون اليها اوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو ابن زيد مناة بن عدى وأبو شيخ بن أبى بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى «قال ابن هشام» أبو شيخ أبى بن ثابت أخو حسان بن ثابت قال ابن اسحق وأبو طلحة وهو زيد بن سهل بن الاسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى ثلاثة نفر ومن بنى عدى ابن النجار ثم من عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار حارثة بن سراقة بن الحرث بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر وهو أبو حكيم وسليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك بن عدى بن عامر وأبو سليط وهو أسيرة ابن عمرو وعمرو أبو خارجة بن قيس بن مالك بن عدى بن عامر وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر وعامر بن أمية بن زيد ابن الحسحاس بن مالك بن عدى بن عامر ومحرز بن عامر بن مالك بن عدى بن عامر وسواد بن غزية بن أهيب حليف لهم من بلى ثمانية نفر «قال ابن هشام» ويقال سواد * قال ابن اسحق ومن بنى حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار أبو زيد قيس بن سكن بن قيس ابن زعور بن حرام وأبو الاعور بن الحرث بن ظالم بن عبس بن حرام «قال ابن هشام» ويقال ابو الاعور الحرث بن ظالم * قال ابن اسحق وسليم بن ملحان وحرام بن ملحان واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام أربعة نفر * ومن بنى مازن بن النجار ثم من بنى عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار قيس بن أبى صعصعة واسم أبى صعصعة عمرو بن زيد بن عوف وعبد الله بن كعب بن عمرو ابن عوف وعصيمة حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة ثلاثة نفر * ومن بنى خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود عمير بن عامر ابن مالك بن خنساء وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء رجلان * ومن بنى ثعلبة بن مازن بن النجار قيس بن مخلد بن ثعلبة

> الحارث وجدارة أخو خدرة رهط أبى سعيد الخدرى وغير ابن اسحاق يقول فى جدارة خدارة بالخاء المضمومة قاله ابن دريد وكذلك قيده النمرى فهما خدرة وخدارة ابنا الحارث بالخاء المنقوطة وقاله ابن هشام بالحاء المهملة كذلك قال أبو عمر وقيده الشيخ ابو بحر عن ابى الوليد فقال ابن هشام * وذكر رجيلة بن ثعلبة وقيد فى رواية موسى بن عقبة رخيلة بالخاء المنقوطة كما وقع فى رواية موسى بن عقبة * وذكر فيهم أبا شيخ بن ثابت واسمه أبى وهو اخو حسان وقيل بل هو ابن ابى بن ثابت وحسان عمه ووقع فى نسخة الشيخ ابى بحر غلط أصلحته وكان قبل الاصلاح ابو شيخ ابى بن ثابت بن المنذر

(فصل)

ابن صخر بن حبيب بن الحرث بن ثعلبة رجل * ومن بنى دينار بن النجار ثم من بنى مسعود بن عبد الاشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النعمان بن عبد عمرو بن مسعود والضحاك بن عبد عمرو بن مسعود وسليم بن الحرث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن دينار وهو أخو الضحاك والنعمان ابنى عبد عمرو لامهما وجابر بن خالد بن عبد الاشهل بن حارثة وسعد بن سهيل بن عبد الاشهل خمسة نفر * ومن بنى قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار كعب بن زيد بن قيس وبجير بن أبى بجير حليف لهم رجلان «قال ابن هشام» بجير من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ثم من بنى جذيمة بن رواحة * قال ابن اسحق فجميع من شهد بدرا من الخزرج مائة وسبعون رجلا «قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم يذكر فى الخزرج ببدر فى بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان ومليل بن وبرة بن خالد بن العجلان وعصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان * ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج وهم فى بنى زريق هلال بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدى بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مناة بن حبيب * قال ابن اسحق فجميع من شهد بدرا من المسلمين من المهاجرين والانصار من شهدها منهم ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلا من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ومن الاوس واحد وستون رجلا ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا

﴿ ذكر من استشهد من المسلمين يوم بدر ﴾

واستشهد من المسلمين يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ثم من بنى المطلب بن عبد مناف عبيدة بن الحرث بن المطلب قتله عتبة بن ربيعة قطع رجله فمات بالصفراء رجل * ومن بنى زهرة بن كلاب عمير بن أبى وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو أخو سعد بن أبى وقاص فيما قال ابن هشام وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة حليف لهم من خزاعة ثم من بنى غبشان رجلان * ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى عاقل بن البكير حليف لهم من بنى سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ومهجع مولى عمر بن الخطاب رجلان * ومن بنى الحرث بن فهر صفوان بن بيضاء رجل ستة نفر * ومن الانصار ثم من بنى عمرو بن عوف سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر بن زنبر رجلان * ومن بنى الحرث بن الخزرج يزيد بن الحرث وهو الذى يقال له ابن فسحم رجل * ومن بنى سلمة ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عمير بن الحمام رجل * ومن بنى حبيب بن عبد الحارثة بن مالك بن غضب بن جشم رافع بن المعلى رجل * قال ابن اسحق ومن بنى النجار حارثة بن سراقة بن الحرث رجل * ومن بنى غنم بن مالك بن النجار عوف ومعوذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء رجلان ثمانية نفر

﴿ فصل ﴾ وذكر فيمن استشهد يوم بدر عمير بن ابى وقاص وذكر الواقدى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان قدرده فى ذلك اليوم لانه استصغره فبكى عمير فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم بكاءه اذن له فى الخروج معه فقتل وهو ابن ست عشرة سنة قتله العاصى بن سعيد * وذكر ابن اسحاق حارثة بن سراقة فيمن قتل يوم بدر وهو اول قتيل من المسلمين فى ذلك اليوم رماه حبان بن العرقة بسهم فاصاب حنجرته فمات وجاءت امه وهى الربيع بنت النضر عمة انس فقالت يارسول الله قد علمت موضع حارثة منى فان يكن فى الجنة اصبر واحتسب وان يكن غير ذلك فسترى مااصنع فقال اوجنة واحدة هى انما هى جنات وان ابنك منها لفى الفردوس * وذكر فيهم عمير بن الحمام بن الجموح وقد قدمنا ذكره وقتله خالد بن الاعلم * وذكر ذا الشمالين الخزاعى الغبشانى حليف بنى زهرة وهو الذى ذكره الزهرى فى حديث التسليم من ركعتين قال فقام ذو الشمالين رجل من بنى زهرة فقال أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق ذو اليدين لم يروه احد هكذا بهذا اللفظ الا ابن شهاب الزهرى وهو غلط عند اهل الحديث وانما هو ذو اليدين السلمى واسمه خرباق وذو الشمالين قتل يوم بدر وحديث التسليم من ركعتين شهده أبو هريرة وكان اسلامه بعد بدر بسنتين ومات ذو اليدين السلمى فى خلافة معاوية وروى عنه حديثه فى التسليم ابنه مطير بن الخرباق يرويه عن مطير ابنه شعيث بن مطير ولما رأى المبرد حديث الزهرى فقام ذو الشمالين وفى آخره أصدق ذو اليدين قال هو ذو الشمالين وذو اليدين كان يسمى بهما جميعاً وجهل ماقاله أهل الحديث والسير فى ذى الشمالين ولم يعرف رواية الا الرواية التى فيها الغلط قال ذلك فى آخر كتاب الكامل فى باب الاذواء يوم بدر * ومن البدريين عليفة بن عدى البياضى أيضاً هكذا اسمه عند أهل السير وسماه ابن اسحق فقال خليفة بن عدى بالخاء وممن شهد بدراً ولم يذكره ابن هشام عن البكائى وذكره ابن سحق فى رواية ابراهيم عن سعد عنه عياض بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وهو ممن هاجر الى أرض الحبشة وقد ذكره فى البدريين موسى بن

﴿ذكر من قتل ببدر من المشركين﴾

وقتل من المشركين يوم بدر من قريش ثم من بنى عبدشمس بن عبدمناف . حنظلة ابن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس قتله زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ابن هشام ويقال اشترك فيه حمزة وعلى وزيد رضى الله عنهم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق والحرث بن الحضرمى وعامر بن الحضرمى حليفان لهم قتل عامرا عمار ابن ياسر وقتل الحرث النعمان بن عصر حليف الاوس فيما قال ابن هشام وعمير بن أبى عمير وابنه موليان لهم قتل عمير بن أبى عمير سالم مولى أبى حذيفة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وعبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس قتله الزبير بن العوام والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية قتله على بن أبى طالب وعقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبدشمس قتله عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح أخو بنى عمرو بن عوف صبراً «قال ابن هشام» ويقال قتله على بن أبى طالب * قال ابن اسحق وعتبة بن ربيعة بن عبدشمس قتله عبيدة بن الحرث بن المطلب «قال ابن هشام» اشترك فيه هو وحمزة وعلى * قال ابن اسحق وشيبة بن ربيعة بن عبدشمس قتله حمزة بن عبد المطلب والوليد بن عتبة بن ربيعة قتله على بن أبى طالب وعامر بن عبد الله حليف لهم من بنى انمار بن بغيض قتله على بن أبى طالب اثنا عشر رجلا (ومن بنى نوفل بن عبدمناف) الحرث بن عامر بن نوفل قتله فيما يذكرون خبيب بن أساف أخو بنى الحرث ابن الخزرج وطعيمة بن عدى بن نوفل قتله على بن أبى طالب ويقال حمزة بن عبد المطلب رجلان (ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى) زمعة بن الاسود ابن المطلب بن أسد «قال ابن هشام» قتله ثابت بن الجزع أخو بنى حرام فيما قال ابن هشام ويقال اشترك فيه حمزة وعلى بن أبى طالب وثابت . قال ابن اسحق والحرث بن زمعة قتله عمار بن ياسر فيما قال ابن هشام وعقيل بن الاسود بن المطلب قتله حمزة وعلى اشتركا فيه فيما قال ابن هشام وأبو البخترى وهو العاص بن هشام بن الحرث بن أسد قتله المجذر بن ذياد البلوى «قال ابن هشام» أبو البخترى العاص بن هاشم * قال ابن اسحق ونوفل بن خويلد بن أسد وهو ابن العدوية عدى خزاعة وهو الذى قرن أبا بكر الصديق وطلحة ابن عبيد الله حين اسلما فى حبل فكانا يسميان القرينين لذلك وكان من شياطين قريش قتله على بن أبى طالب خمسة نفر (ومن عبد الدار ابن قصى) النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبدمناف بن عبد الدار قتله على بن أبى طالب صبرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء فيما يذكرون «قال ابن هشام» بالاثيل ويقال النضر ابن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبدمناف بن عبد الدار * قال ابن اسحق وزيد بن مليص مولى عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار رجلان «قال ابن هشام» قتل زيد بن مليص بلال بن رباح مولى أبى بكر رضى الله عنهما وزيد حليف لبنى عبد الدار من بنى مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم ويقال قتله المقداد بن عمرو * قال ابن اسحق ومن بنى تيم بن مرة عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم «قال ابن هشام» قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه ويقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه * قال ابن اسحق وعثمان بن مالك بن عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب قتله صهيب بن سنان رجلان (ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة) أبو جهل بن هشام واسمه عمرو وابن هشام بن

عقبة وخليفة بن خياط وجماعة وممن ذكر فى البدريين ولم يذكره ابن اسحق يزيد بن الاخنس السلمى وابنه معن بن يزيد وأبوه الاخنس ولا يعرف من شهد بدراً ثلاثة أب وابن وجد الا هؤلاء وأكثر أهل العلم بالسير لا يصحح شهودهم بدراً لكن شهدوا بيعة الرضوان ويزيد بن الاخنس هذا هو ابن الاخنس بن جناب بن حبيب بن جرة بضم الجيم بن زغب من بنى بهثة بن سليم ﴿قال ابن ماكولا﴾ لا يعرف جرة بضم الجيم الا هذا ولا جرة بكسر الجيم الا السوم بنت عمرو بن جرة من بنى ضمرة أم الشداخ واسمه يعمر بن عوف وقد تقدم ذكره فى حديث قصى ولم سمى الشداخ وممن ذكره البخارى فى البدريين خديم بن فاتك وأخوه سبرة الاسديان وممن ذكره البخارى فى البدريين من بنى سلمة جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام وقال أبو عمر لا يصح شهوده بدراً وذكر اختلاف الناس فى ذلك وفى السنن لابى داود ان جابرا قال كنت أميح أصحابى الماء يوم بدر أى كان صغيرا فلم يسهم له وزعم بعضهم ان هذه الرواية تصحيف وان الصحيح كنت منيح أصحابى يوم بدر والمنيح السهم يريد انهم كانوا يرسلونه فى حوائجهم لصغر سنه وممن شهد بدرا وذكره ابن اسحق فى غير رواية ابن هشام طليب بن عمير من بنى عبد بن قصى وأمه أروى عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿فصل وذكر فيمن قتل من المشركين﴾ يوم بدر العاصى بن سعيد بن العاصى وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب الحديث الذى أسنده ابو عبيد الى سعد بن أبى وقاص قال قتلت يوم بدر العاصى بن سعيد وأخذت سيفه ذا الكتيفة وذكر الحديث قال أبو عبيد واهل السير يقولون قتله على رضى الله عنه

قال

المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته ثم تركه وبه رمق ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود فاحتز رأسه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به ان يلتمس فى القتلى والعاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويزيد بن عبد الله حليف لهم من بنى تميم «قال ابن هشام» ثم أحد بنى عمرو بن تميم وكان شجاعا قتله عمار بن ياسر* قال ابن اسحق وأبو مسافع الاشعرى حليف لهم قتله أبو دجانة الساعدى فيما قال ابن هشام وحرملة بن عمرو حليف لهم «قال ابن هشام» قتله خارجة بن زيد بن أبى زهير أخو بلحرث بن الخزرج ويقال بل على بن أبى طالب «قال ابن هشام» وحرملة بن الاسد* قال ابن اسحق ومسعود بن أبى أمية بن المغيرة قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة «قال ابن هشام» قتله حمزة ابن عبد المطلب ويقال على بن أبى طالب* قال ابن اسحق وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة قتله على بن ابى طالب ويقال قتله عمار بن ياسر فيما قال ابن هشام* قال ابن اسحق ورفاعة بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله سعد بن الربيع أخو بلحرث ابن الخزرج فيما قال ابن هشام والمنذر بن أبى رفاعة بن عائذ قتله معن بن عدى بن الجد بن العجلان حليف بنى عبيد بن زيد ابن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فيما قال ابن هشام وعبد الله بن المنذر ابن أبى رفاعة بن عائذ قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام* قال ابن اسحق والسائب بن أبى السائب ابن عائذ بن عبد الله بن عمر وبن مخزوم «قال ابن هشام» السائب ابن أبى السائب شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الشريك السائب لا يشارى ولا يمارى وكان أسلم فحسن اسلامه فيما بلغنا والله أعلم* وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ان السائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين «قال ابن هشام» وذكر غير ابن اسحق ان الذى قتله الزبير بن العوام* قال ابن اسحق والاسود بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله حمزة بن عبد المطلب وحاجب ابن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم «قال ابن هشام» ويقال عائذ بن عمران بن مخزوم ويقال حاجز بن

﴿قال المؤلف﴾ وبعض أهل التفسير يقولون قتله أبو اليسر كعب بن عمرو وقال أبو عبد الله الزبير بن أبى بكر القاضى فى أنساب قريش له والعاصى قتله على بن أبى طالب يوم بدر كافرا حدث ابراهيم بن حمزة عن ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال بينما عمر بن الخطاب جالس فى المسجد اذ مر به سعيد بن العاصى فسلم عليه فقال له عمر انى والله يا ابن أخى ما قتلت أباك يوم بدر ولكنى قتلت خالى العاصى ابن هشام ومابى ان أكون اعتذر من قتل مشرك قال فقال له سعيد بن العاصى لو قتلته كنت على الحق وكان على الباطل قال فعجب عمر من قوله ولوى كفيه وقال قريش أفضل الناس اسلاما وأعظم الناس أمانة ومن يرد بقريش سوأ يكبه الله لفيه وقال قال عمى مصعب بن عبد الله زعموا ان عمر قال رأيته يبحث التراب كانه ثور فصددت عنه وحمل له على فقتله* وذكر فيمن قتل من المشركين السائب بن أبى السائب واسم أبى السائب صيفى بن عابد وانكر ابن هشام ان يكون السائب قتل كافرا قال وقد أسلم وحسن اسلامه وذكر أبو عمر عن ابن الزبير ان السائب قتل كافرا يوم بدر قال وأحسبه اتبع فى ذلك قول ابن اسحق قال وقد نقض الزبير ذلك فى موضعين من كتابه بعد ذلك فقال حدثنى يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان عن جعفر ابن عكرمة عن يحيى بن كعب عن أبيه كعب مولى سعيد بن العاصى قال مر معاوية وهو يطوف بالبيت ومعه جنده فزحموا السائب بن صيفى بن عابد فسقط فوقف عليه معاوية وهو يومئذ خليفة فقال ارفعوا الشيخ فلما قام قال ماهذا يا معاوية تصرعوننا حول البيت أما والله لقد أردت ان اتزوج أمك فقال معاوية ليتك فعلت فجاءت بمثل أبى السائب يعنى عبد الله بن السائب وهذا واضح فى ادراكه الاسلام وفى طول عمره وقال فى موضع آخر حدثنى أبو ضمرة أنس بن عياض الليثى قال حدثنى أبو السائب يعنى المناجز وهو عبد الله بن السائب قال كان جدى أبو السائب شريك النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم الشريك كان أبو السائب لا يشارى ولا يمارى وهذا كله من الزبير مناقضة فيما ذكر ان السائب بن أبى السائب قتل يوم بدر كافراً وقال بن هشام السائب بن أبى السائب الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الشريك أبو السائب لا يشارى ولا يمارى كان قد أسلم فحسن اسلامه فيما بلغنا قال ابن هشام وذكر ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ان السائب بن أبى السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ممن هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين قال أبو عمر هذا أولى ما عول عليه فى هذا الباب

السائب والذى قتل حاجب بن السائب على بن أبى طالب * قال ابن اسحق وعويمر بن السائب بن عويمر قتله النعمان بن مالك القوقلى مبارزة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وعمرو بن سفيان وجابر بن سفيان حليفان لهم من طيء قتل عمرا يزيد بن رقيش وقتل جابرا أبو بردة بن نيار فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق سبعة عشر رجلا (ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى) منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم قتله أبو اليسر أخو بنى سلمة وابنه العاص بن منبه بن الحجاج قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام ونبيه بن الحجاج بن عامر قتله حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبى وقاص اشتركا فيه فيما قال ابن هشام وأبو العاص بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم «قال ابن هشام» قتله على بن أبى طالب ويقال النعمان بن مالك القوقلى ويقال أبو دجانة * قال ابن اسحق وعاصم بن أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم قتله أبو اليسر أخو بنى سلمة فيما قال ابن هشام خمسة نفر (ومن بنى جمح ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى) أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح قتله رجل من الانصار من بنى مازن «قال ابن هشام» ويقال بل قتله معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخبيب ابن أساف اشتركوا فى قتله * قال ابن اسحق وابنه على بن أمية بن خلف قتله عمار بن ياسر وأوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام ويقال قتله الحصين بن الحرث بن المطلب وعثمان ابن مظعون اشتركا فيه فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق ثلاثة نفر (ومن بنى عامر بن لؤى) معاوية بن عامر حليف لهم من عبد القيس قتله على بن أبى طالب ويقال قتله عكاشة بن محصن فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق ومعبد بن وهب حليف لهم من بنى كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث قتل معبدا خالد واياس ابنا البكير ويقال أبو دجانة فيما قال ابن هشام رجلان * قال ابن اسحق فجميع من أحصى لنا من قتلى قريش يوم بدر خمسون رجلا «قال ابن هشام» حدثنى أبو عبيدة عن أبى عمرو ان قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلا والاسرى كذلك وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب وفى كتاب الله تبارك وتعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها يقوله لاصحاب أحد وكان من استشهد منهم سبعين رجلا يقول قد أصبتم يوم بدر مثلى من استشهد منكم يوم أحد سبعين قتيلا وسبعين أسيرا وأنشدنى أبو زيد الانصارى لكعب بن مالك

فاقام بالعطن المعطن منهم * سبعون عتبة منهم والاسود

«قال ابن هشام» يعنى قتلى بدر وهذا البيت فى قصيدة له فى حديث يوم أحد سأذكرها ان شاء الله تعالى فى موضعها (قال ابن هشام) وممن لم يذكر ابن اسحق من هؤلاء السبعين القتلى من بنى عبد شمس بن عبد مناف وهب بن الحرث من بنى انمار بن بغيض حليف لهم وعامر بن زيد حليف لهم من اليمن رجلان (ومن بنى أسد بن عبد العزى) عقبة بن زيد حليف لهم من اليمن وعمير مولى لهم رجلان (ومن بنى عبد الدار بن قصى) نبيه بن زيد بن مليص وعبيد بن سليط حليف لهم من قيس رجلان (ومن بنى تيم بن مرة) مالك بن عبيد الله بن عثمان وهو أخو طلحة بن عبيد الله بن عثمان أسر فمات فى الاسارى فعد فى القتلى ويقال وعمرو بن عبد

وقد ذكرنا ان الحديث فيمن كان شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء مضطرب جدا منهم من يجعل الشركة للسائب ومنهم من يجعلها لابى السائب أبيه كما ذكرنا عن الزبير ههنا ومنهم من يجعلها لقيس بن السائب ومنهم من يجعلها لعبد بن أبى السائب وهذا اضطراب لا يثبت به شيء ولا تقوم به حجة والسائب بن أبى السائب من المؤلفة قلوبهم وممن حسن اسلامه هذا آخر كلام ابى عمر فى كتاب الاستيعاب حدثنى به ابو بكر بن طاهر الاشبيلى عن أبى على الغسانى عنه وكذلك اختلفت الرواية فى هذا الكلام كان خير شريك لا يشارى ولا يمارى فمنهم من يجعله من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أبى السائب ومنهم من يجعله من قول أبى السائب فى النبى صلى الله عليه وسلم * وذكر فيمن شهد بدرا من الانصار أوس ابن خولى احد بنى الحبلى يقال كان من الكملة وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين شجاع بن وهب والخولى فى اللغة هو الذى يقوم على الخيل ويخدمها وفى الخبر ان جميلا الكلبى كان خوليا لمعاوية وفى هذا ما يدل على ان الياء فى الخيل أصلها الواو * وذكر ابن هشام فيمن قتل من المشركين ممن لم يذكره ابن اسحق مالك بن عبيد الله بن عثمان وهو أخو طلحة بن عبيد الله * وذكر عمرو بن عبد الله بن جدعان التيمى وعبد الله بن جدعان هو الجواد المشهور صاحب الجفنة العظيمة التى كان يأكل منها الراكب على البعير وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستظل بظلها ووقع فيها انسان فغرق ومات وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب حديثه والسبب فى غناه بعد ان كان صعلوكا وسؤال عائشة عنه النبى صلى الله عليه وسلم هل ينتفع بجوده أم لا * وذكر ابن هشام فيهم أيضا حذيفة بن ابى حذيفة بن المغيرة واسم ابى حذيفة هذا مهشم وهو أخو هشام وهاشم ابنى المغيرة وهشام والد ابى جهل وهاشم جد عمر لامه ومهشم هو أبو حذيفة واما ابو حذيفة بن عتبة فاسمه قيس ولم يقل ذلك ابن اسحق ولا ابن هشام وانما قالوا فيه مهشم وهو عند أهل النسب غلط انما مهشم ابو حذيفة الذى ذكرناه لا ابو حذيفة بن عتبة

تسمية

الله بن جدعان رجلان (ومن بنى مخزوم بن يقظة) حذيفة بن أبى حذيفة بن المغيرة قتله سعد بن أبى وقاص وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة قتله صهيب بن سنان وزهير بن أبى رفاعة قتله أبو أسيد مالك بن ربيعة والسائب بن أبى رفاعة قتله عبد الرحمن بن عوف وعائذ بن السائب بن عويمر أسر ثم افتدى فمات فى الطريق من جراحة جرحه اياها حمزة بن عبد المطلب وعمير حليف لهم من طىء وخيار حليف لهم من القارة سبعة نفر (ومن جمح بن عمرو) سبرة بن مالك حليف لهم رجل (ومن بنى سهم بن عمرو) الحرث بن منبه بن الحجاج قتله صهيب بن سنان وعامر بن أبى عوف ابن صبيرة أخو عاصم بن صبيرة قتله عبد الله بن سلمة العجلانى ويقال أبو دجانة رجلان

﴿ ذكر أسرى قريش يوم بدر ﴾

قال ابن اسحق وأسر من المشركين من قريش يوم بدر ثم من بنى هاشم بن عبد مناف عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم (ومن بنى المطلب بن عبد مناف) السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ونعمان بن عمرو بن علقمة ابن المطلب رجلان * ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف عمرو بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس والحرث بن أبى وجرة بن أبى عمرو ابن أمية بن عبد شمس ويقال بن أبى وحرة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن شمس وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس * ومن حلفائهم أبو ريشة بن ابى عمرو وعمرو بن الازرق وعقبة بن عبد الحرث بن الحضرمى سبعة نفر * ومن بنى نوفل بن عبد مناف عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل وعثمان بن عبد شمس بن أخى غزوان بن جابر حليف لهم من بنى مازن بن منصور وأبو ثور حليف لهم ثلاثة نفر * ومن بنى عبد الدار بن قصى أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار والاسود بن عامر حليف لهم ويقولون نحن بنو الاسود بن عامر بن الحرث بن السباق رجلان * ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد والحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد «قال ابن هشام» هو الحرث ابن عائذ بن عثمان بن أسد * قال ابن اسحق وسالم ابن شماخ حليف لهم ثلاثة نفر * ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة خالد بن هشام ابن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمية ابن أبى حذيفة بن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وصيفى بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وأبو المنذر بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأبو عطاء عبد الله ابن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والمطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عمر بن مخزوم وخالد بن الاعلم حليف لهم وهو كان فيما يذكرون أول من ولى فارا منهزما وهو الذى يقول

ولسنا على الادبار تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا يقطر الدم

تسعة نفر «قال ابن هشام» ويروى لسنا على الاعقاب وخالد بن الاعلم من خزاعة ويقال عقيلى * قال ابن اسحق ومن بنى سهم بن عمرو ابن هصيص ابن كعب بن لؤى أبو وداعة بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم كان أول أسير افتدى من أسرى بدر افتداه ابنه المطلب بن أبى وداعة وفروة ابن قيس بن عدى بن حذافة بن سعيد بن سهم وحنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعد بن سهم والحجاج بن الحرث بن قيس بن عدى ابن سعيد بن سهم أربعة نفر * ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عبد الله بن أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وأبو عزة عمرو بن عبد بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح والفاكه مولى أمية بن خلف ادعاه بعد ذلك رياح بن المغترف وهو يزعم انه من بنى شماخ ابن محارب بن فهر ويقال ان الفاكه بن جرول بن حذيم بن عوف بن غضب بن شماخ بن محارب بن فهر ووهب بن عمير بن وهب بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جمح وربيعة بن دراج بن العنبس بن اهبان بن وهب بن حذافة بن جمح خمسة نفر * ومن بنى عامر بن لؤى سهيل ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر أسره مالك بن الدخشم أخو بنى سالم بن عوف وعبد ابن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر وعبد الرحمن بن مشنوء بن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن

﴿ تسمية من أسر من المشركين يوم بدر ﴾

لم يسم ابن اسحاق ولا ابن هشام من أسلم منهم والحاجة ماسة بقارىء السيرة الى معرفة ذلك فأولهم وأفضلهم العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خفاء باسلامه وفضله وقد ذكرنا سبب اسلامه فى فصل قبل هذا الفصل وان أبا اليسر كعب بن عمرو هو الذى أسره وكان قصيرا دميما وفى مسند البزار انه قيل للعباس كيف أسرك أبو اليسر ولو أخذته بكفك لوسعته كفك فقال ما هو الا ان لقيته فظهر فى عينى كالخندمة والخندمة جبل من جبال مكة وعقيل بن أبى طالب ممن أسلم وحسن اسلامه أسلم عام الحديبية وقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا يزيد انى أحبك حبين حبا لقرابتك منى وحبا لما أعلم من حب عمى اياك سكن عقيل البصرة ومات بالشام فى خلافة معاوية روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فى الوضوء بالمد والطهور بالصاع وحديثا آخر أيضا لا تقولوا بالرفاء والبنين وقولوا بارك الله لك وبارك عليك كان أسن من جعفر بعشر

حسل بن عامر ثلاثة نفر * ومن بنى الحرث بن فهر الطفيل بن أبى قنيع وعتبة بن عمرو بن جحدم رجلان * قال ابن اسحق فجميع من حفظ لنا من الاسارى ثلاثة وأربعون رجلا «قال ابن هشام» وقع من جملة العدد رجل لم أذكر اسمه * وممن لم يذكر ابن اسحق من الاسارى من بنى هاشم بن عبد مناف عتبة حليف لهم من بنى فهر رجل * ومن بنى المطلب بن عبد مناف عقيل ابن عمرو حليف لهم وأخوه تميم بن عمرو وابنه ثلاثة نفر * ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف خالد بن أسيد بن أبى العيص وأبو الغريض يسار مولى العاص بن أمية رجلان * ومن بنى نوفل بن عبد مناف نبهان مولى لهم رجل * ومن بنى أسد بن عبد العزى عبد الله بن حميد بن زهير بن الحرث رجل * ومن بنى عبد الدار بن قصى عقيل حليف لهم من اليمن رجل * ومن تيم بن مرة بن مسافع بن عياض ابن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم وجابر ابن الزبير حليف لهم رجلان * ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة قيس بن السائب رجل * ومن بنى جمح بن عمرو عمر ابن أبى خلف وأبو رهم بن عبد الله حليف لهم وحليف لهم ذهب عنى اسمه ومولیان لامية بن خلف احدهما نسطاس وأبو رافع غلام أمية بن خلف ستة نفر * ومن بنى سهم بن عمرو أسلم مولى نبيه بن الحجاج رجل * ومن بنى عامر بن لؤى حبيب بن جابر والسائب بن مالك رجلان * ومن بنى الحرث بن فهر شافع وشفيع حليفان لهم من اليمن رجلان * قال ابن اسحق وكان مما قيل من الشعر فى يوم بدر وترادبه القوم بينهم لما كان فيه قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله «قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضها

سنين وكان جعفر أسن من على بعشر سنين وكان طالب أسن من عقيل بمثل ذلك ومنهم نوفل بن الحرث بن عبد المطلب يقال أسلم عام الخندق وهاجر وقيل بل أسلم حين أسر وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له افد نفسك قال ليس لى مال أفتدى به قال أفد نفسك بأرماحك التى بجدة قال والله ما علم أحد ان لى بجدة أرماحا غير الله أشهد انك رسول الله وهو ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأعان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الخروج اليها بثلاثة آلاف رمح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر الى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين مات بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ومنهم أبو العاصى ابن الربيع صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا خبره مع ما ذكر ابن اسحاق من حديثه وذكرنا الاختلاف فى اسمه قبل هذا ومنهم أبو عزيز بن عمير العبدرى وقد ذكرنا اسمه واسم أمه واخوته فى أول خبر بدر ومنهم السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى وهو الذى قال فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذاك رجل لا أعلم فيه عيبا وما أحد الا وأنا أقدر أن أعيبه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان هذه المقالة قالها عمر فى ابنه عبد الله بن السائب والسائب هذا هو أخو فاطمة بنت أبى حبيش المستحاضة ومنهم خالد بن هشام ذكره بعضهم فى المؤلفة قلوبهم ومنهم عبد الله بن أبى السائب واسم أبى السائب صيفى وقد تقدم قول عمر فيه وفى أبيه وعنه أخذ أهل مكة القراءة وعليه قرأ مجاهد وغيره من قراء أهل مكة ومنهم المطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وبنو عمر بن مخزوم ثلاثة عبد الله وعبد العزى وعابد ومن أهل النسب من ذكر فيهم عثمان بن عمر وبنو مخزوم ثلاثة عمر والد هؤلاء الثلاثة وعمران وعامر هؤلاء فيهم العدد ويذكر فى بنى مخزوم أيضا عمير وعميرة ولم يعقب عميرة الا بنتا اسمها زينب ومن حديث المطلب هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس وفى اسناده ضعف ومن ولده الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب كان أكرم أهل زمانه وأسخاهم ثم تزهد فى آخر عمره ومات بمنبج وفيه يقول الراتجى يرثيه

سألوا عن الجود والمعروف ما فعلا * فقلت انهما ماتا مع الحكم
ماتا مع الرجل الموفى بذمته * قبل السؤال اذا لم يوف بالذمم

وذكر الدارقطنى عن حميد بن معروف قال حضرت وفاة الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب فأصابته من الموت شدة فقال قائل فى البيت اللهم هون عليه الموت فقد كان وقد كان يثنى عليه فأفاق الحكم فقال من المتكلم فقال الرجل أنا فقال الحكم يقول لك ملك الموت انا بكل سخى رفيق ثم كانما كانت فتيلة فطفئت وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن أبى بكر أيضا وحين سجن الحكم فى ولاية وليها قال فيه شاعر

خليلى ان الجود فى السجن فابكيا * على الجود اذ سدت عليه مرافقه

فى أبيات فأعطى قائل هذا الشعر ثلاثة آلاف درهم ومنهم أبو وداعة الحرث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم أسلم هو وابنه المطلب بن أبى وداعة يوم فتح مكة ومنهم الحجاج بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد ابن سهم ولم يوافق الواقدى ولا غيره لابن اسحق على قوله سعيد بن سهم وقالوا انما هو سعد وقد تقدم هذا

وأحسب

وأحسب ذكر الحجاج فى هذا الموضع وهما فانه من مهاجرة الحبشة وقدم المدينة بعد أحد فكيف يعد فى فى أسرى المشركين يوم بدر ومنهم عبد الله بن أبى بن خلف الجمحى أسلم يوم الفتح وقتل يوم الجمل ومنهم وهب ابن عمير الجمحى أسلم بعد ان جاء أبوه عمير فى فدائه فاسلما جميعا وقد ذكر خبر اسلامه ابن اسحق قبل هذا ومنهم سهيل بن عمرو أسلم ومات بالشام شهيداً وهو خطيب قريش وأخباره مشهورة فى السيرة وغيرها ومنهم عبد بن زمعة أخو سودة بنت زمعة أسلم وهو الذى خاصمه سعد فى ابن وليدة زمعة واسم الابن المخاصم فيه عبد الرحمن وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم هو لك يا عبد بن زمعة ومنهم قيس بن السائب المخزومى اليه كان ولاء مجاهد بن جبير القارى ويقال فيه مجاهد بن جبر وهو قول ابن اسحق وكان مجاهد يقول فى مولاى قيس بن السائب أنزل الله سبحانه «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» فأفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا وهو الذى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية شريكى فكان خير شريك لا يشارينى ولا يمارينى وقيل ان أباه قال هذه المقالة وقد تقدم الاضطراب فى ذلك والاختلاف وقوله يشارينى من شرى الامر بينهم اذا تغاضبوا ومنهم نسطاس مولى أمية بن خلف يقال انه أسلم بعد أحد وكان يحدث عن انهزام المشركين يومئذ ودخول المسلمين عليه فى القبة وهروب صفوان بخبر عجيب لم يذكره ابن اسحق فهذه جملة من أسلم من الاسارى الذين أسروا يوم بدر وذكر فيمن لم يسلم منهم عبد الله بن حميد بن زهير الاسدى والمعروف فيه عبيد الله بن حميد كذلك ذكره ابن قتيبة وأبو عمرو الكلاباذى أبو نصر وهو مولى حاطب بن أبى بلتعة وما ذكر ابن اسحق فى نسب بلى بن فاران بن عمرو فانه عند أكثر أهل النسب فران بغير الف غير ان منهم من يشدد الراء وهو ابن دريد وقال هو فعلان من الفرار

﴿ ذكر ما قيل من الشعر فى يوم بدر ﴾
ألم تر أمرا كان من عجب الدهر *
وللحين أسباب مبينة الامر

﴿ فصل ﴾ وذكر فى السيرة تخلف عثمان على امرأته رقية فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره وكان موتها يوم قدم زيد بن حارثة بشيرا بوقعة بدر وهذا هو الصحيح فى وفاة رقية وقد روى البخارى فى التاريخ حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد دفن بنته رقية وقعد على قبرها ودمعت عيناه فقال أيكم لم يقارف الليلة فقال أبو طلحة أنا فامره ان ينزل فى قبرها ثم أنكر البخارى هذه الرواية وخرّجه فى كتاب الجامع فقال فيه عن أنس شهدنا دفن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث ولم يسم رقية ولا غيرها ورواه الطبرى فقال فيه عن أنس شهدنا دفن أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين فى هذا الحديث وهو كله حديث واحد ومن قال كانت رقية فقد وهم بلا شك وقال فى الحديث أيكم لم يقارف الليلة فقال فليح بن سليمان وهو راوى الحديث يعنى الذنب هكذا وقع فى الجامع وهو خطأ لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذا وانما أراد أيكم لم يقارف أهله وكذا رواه غيره بهذا اللفظ قال ابن بطال أراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يحرم عثمان النزول فى قبرها وقد كان أحق الناس بذلك لانه كان بعلها وفقد منها علقا لا عوض منه لانه حين قال عليه السلام أيكم لم يقارف الليلة أهله سكت عثمان ولم يقل أنا لانه كان قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه ولم يشغله الهم بالمصيبة وانقطاع صهره من النبى صلى الله عليه وسلم عن المقارفة فحرم بذلك ما كان حقاله وكان أولى به من أبى طلحة وغيره وهذا بين فى معنى الحديث ولعل النبى صلى الله عليه وسلم قد كان علم ذلك بالوحى فلم يقل له شيئاً لانه فعل فعلا حلالا غير ان المصيبة لم تبلغ منه مبلغا يشغله حتى حرم ما حرم من ذلك بتعريض غير تصريح والله أعلم

(اشعار يوم بدر)

وقد قدمنا فى آخر حديث الهجرة انا لا نعرض لشرح شىء من الشعر الذى هجى به المسلمون ونال فيه من

وماذاك الا أن قوما أفادهم * فحانوا تواصوا بالعقوق وبالكفر
عشية راحوا نحو بدر بجمعهم * فكانوا رهونا للركية من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها * فساروا الينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية * لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختلي الهام حدها * مشهرة الالوان بينة الاثر
ونحن تركنا عتبة الغي ثاويا * وشيبة في قتلى تجرجم في الجفر
وعمرو ثوى من حماتهم * فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤي بن غالب * كرام تفرعن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم * وخلوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قادا بليس أهله * فخاس بهم ان الخبيث الى غدر
وقال لهم اذ عاين الامر واضحا * برئت اليكم ما بي اليوم من صبر
فاني أرى ما لا ترون وانى * أخاف عقاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحين حتى تورطوا * وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر
فكانوا غداة البئر ألفا وجمعنا * ثلاث مئين كالمسدمة الزهر
وفينا جنود الله حين يمدنا * بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا * لدى مأزق فيه مناياهم تجري

فاجابه الحرث بن هشام بن المغيرة فقال

ألا يالقومي للصبابة والهجر * وللحزن مني والحرارة في الصدر
وللدمع من عيني جودا كانه * فريد هوى من سلك ناظمه يجري
على البطل الحلو الشمائل اذ ثوى * رهين مقام للركية من بدر
فلا تبعدن يا عمرو من ذي قرابة * ومن ذي ندام كان ذا خلق عمرو
فان يك قد صاد فوا منك دولة * فلا بد للايام من دول الدهر
فقد كنت في صرف الزمان الذي مضى * تريهم هوانا منك ذا سبل وعر
فالا أمت يا عمرو وأتركك ثائرا * ولا ابق بقيا في اخاء ولا صهر
وأقطع ظهرا من رجال بمعشر * كرام عليهم مثل ما قطعوا ظهري

أغرهم ما جمعوا من وشيظة * ونحن الصميم في القبائل من فهر
فيال لؤي ذبوا عن حريمكم * وآلهة لا تتركوها لذي الفخر
توارثها آباؤكم وورثتم * أواسيها والبيت ذا السقف والستر
فما لحليم قد أراد هلاككم * فلا تعذروه آل غالب من عذر
وجدوا لمن عاديتم وتوازروا * وكونوا جميعا في التأسي وفي الصبر وانى
لعلكم أن تثأروا بأخيكم * ولا شيء ان لم تثأروا بذوي عمرو
بمطردات في الاكف كأنها * وميض تطير الهام بينة الاثر
كأن مداب الذر فوق متونها * اذا جردت يوما لاعدائها الخزر

رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركون الاشعرا أسلم صاحبه وتكلمنا هنالك على ما قيل في تلك الاشعار وذكرنا قول من طعن على ابن اسحق بسببها هنالك وبينا الحق والحمد لله * الشعر المنسوب الى حمزة فيه * وما ذاك الا ان قوما أفادهم * أفادهم أهلكهم يقال فاد الرجل وفاظ وفطس وفاز وفوّز اذا هلك ولا يقال فاض بالضاد ولا يقال فاظت نفسه الا في لغة بني ضبة بن أد * وقوله تواص هو تفاعل من الوصية وهو الفاعل بافادهم * وفيه يجرجم في الجفر الجفر كل بئر لم تطو ومثلها الجفرة ويجرجم يجعل بعضه على بعض * وقال في الشعر الذي يعزى الى علي * بايديهم بيض خفاف عصوا بها * يقال عصيت بالسيف وعصوت بالعصا فاذا أخبرت عن جماعة قلت عصوا بضم الصاد كما يقال عموا ومن العصا تقول عصوا كما تقول غزوا * وقوله مسلبة أي قد لبست السلاب وهي خرقة سوداء تلبسها الثكلى قال لبيد

«قال ابن هشام» أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابن اسحق وهما الفخر في آخر البيت وفالحليم في أول البيت لانه نال فيهما من النبي صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم بدر «قال ابن هشام» ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها وانما كتبناهما لانه يقال ان عمرو بن عبد الله بن جدعان قتل يوم بدر ولم يذكره ابن اسحق في القتلى وذكره في هذا الشعر

ألم تر أن الله أبلى رسوله * بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة * فلاقوا هوانا من أسار ومن قتل
فأمسى رسول الله قد عز نصره * وكان رسول الله أرسل بالعدل
فجاء بفرقان من الله منزل * مبينة آياته لذوي العقل
فآمن أقوام بذاك وأيقنوا * فامسوا بحمد الله مجتمعي الشمل
وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم * فزادهم ذو العرش خبلا على خبل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله * وقوما غضابا فعلهم أحسن الفعل
بأيديهم بيض خفاف عصوا بها * وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل
فكم تركوا من ناشيء ذي حمية * صريعا ومن ذي نجدة منهم كهل
تبيت عيون النائحات عليهم * تجود باسبال الرشاش وبالوبل
نوائح تنعى عتبة الغي وابنه * وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم * مسلبة حرى مبينة الثكل
ثوى منهم في بئر بدر عصابة * ذوي نجدات في الحروب وفي المحل
دعا الغي منهم من دعا فاجابه * وللغي أسباب مرمقة الوصل
فاضحوا لدى دار الجحيم بمعزل * عن الشغب والعدوان في أشغل الشغل

(فاجابه) الحرث بن هشام بن المغيرة فقال

عجبت لاقوام تغنى سفيههم ※ بامر سفاه ذى اعتراض وذى بطل
تغنى بقتلى يوم بدر تتابعوا ※ كرام المساعى من غلام ومن كهل
مصاليت بيض من لؤى بن غالب ※ مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى المحل
أصيبوا كراما لم يبيعوا عشيرة ※ بقوم سواهم نازحى الدار والاصل
كما أصبحت غسان فيكم بطانة ※ لكم بدلا منا فيالك من فعل
عقوقا واثما بينا وقطيعة ※ يرى جوركم فيها ذوو الرأى والعقل
فان يك قوم قد مضوا لسبيلهم ※ وخير المنايا ما يكون من القتل
فلا تفرحوا أن تقتلوهم فقتلهم ※ لكم كائن خبلا مقيما على خبل
فانكم لن تبرحوا بعد قتلهم ※ شتيتا هواكم غير مجتمع الشمل
بفقد ابن جدعان الحميد فعاله ※ وعتبة والمدعو فيكم أبا جهل
وشيبة فيهم والوليد وفيهم ※ أمية مأوى المعترين وذو الرجل
أولئك فابك ثم لا تبك غيرهم ※ نوائح تدعو بالرزية والثكل
وقولوا لاهل المكتين تحاشدوا ※ وسيروا الى آطام يثرب ذى النخل
جميعا وحاموا آل كعب وذببوا ※ بخالصة الالوان محدثة الصقل
والا فبيتوا خائفين وأصبحوا ※ أذل لوطء الواطئين من النعل
على انى واللات يا قوم فاعلموا ※ بكم واثق أن لا تقيموا على تبل
سوى جمعكم للسابغات وللقنا ※ وللبيض والبيض القواطع والنبل

(وقال) ضرار بن الخطيب بن مرداس أخو بنى محارب بن فهر فى يوم بدر

عجبت لفخر الاوس والحين دائر ※ عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بنى النجار ان كان معشر ※ أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فان يك قتلى غودرت من رجالنا ※ فانا رجالا بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم ※ بنى الاوس حتى يشفى النفس ثائر
ووسط بنى النجار سوف نكرها ※ لها بالقنا والدارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم ※ وليس لهم الا الامانى ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة ※ لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك انا لا تزال سيوفنا ※ بهن دم مما يحاربن مائر
فان تظفروا فى يوم بدر فانما ※ باحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الاخيار هم أولياؤه ※ يحامون فى اللاواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم ※ ويدعى على وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتجت فى ديارها ※ بنو الاوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤى بن غالب ※ اذا عدت الانساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل فى كل معرك ※ غداة الهياج الاطيبون الاكابر

(فأجابه) كعب بن مالك أخو بنى سلمة فقال

وانى ملاعب الرماح ※ ومدره الكتيبة الرداح
يضربن حر أوجه صحاح ※ فى السلب السود وفى الامساح

عجبت لامر الله والله قادر ※ على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشرا ※ بغوا وسبيل البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم ※ من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت الينا لا تحاول غيرنا ※ باجمعها كعب جميعا وعامر
وفينا رسول الله والاوس حوله ※ له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بنى النجار تحت لوائه ※ يمشون فى الماذى والنقع ثائر
فلما لقيناهم وكل مجاهد ※ لاصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بان الله لا رب غيره ※ وان رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كانها ※ مقاييس يزهيها لعينيك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا ※ وكان يلاقى الحين من هو فاجر
فكب أبو جهل صريعا لوجهه ※ وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والتيمى غادرن فى الوغى ※ وما منهم الا بذى العرش كافر
فامسوا وقود النار فى مستقرها ※ وكل كفور فى جهنم صائر
تلظى عليهم وهى قد شب حميها ※ بزبر الحديد والحجارة ساجر
وكان رسول الله قد قال اقبلوا ※ فولوا وقالوا انما أنت ساحر
لامر أراد الله أن يهلكوا به ※ وليس لامر حمه الله زاجر

(وقال) عبد الله بن الزبعرى السهمى يبكى قتلى بدر «قال ابن هشام» وتروى للاعشى بن زرار بن النباش أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم حليف بنى نوفل بن عبد مناف ※ قال ابن اسحق حليف بنى عبد الدار

ماذا على بدر وماذا حوله ※ من فتية بيض الوجوه كرام
تركوا نبيها خلفهم ومنبها ※ وابنى ربيعة خير خصم فئام
والحارث الفياض يبرق وجهه ※ كالبدر جلى ليلة الاظلام
والعاصى بن منبه ذا مرة ※ رمحا تميما غير ذى أوصام
فنمى به اعراقه وجدوده ※ ومآثر الاخوال والاعمام
واذا بكى باك فاعول شجوه ※ فعلى الرئيس الماجد بن هشام
حيا الاله أبا الوليد ورهطه ※ رب الانام وخصهم بسلام

(فاجابه) حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه فقال

ابك بكت عيناك ثم تبادرت ※ بدم تعل غروبها بسجام
ماذا بكيت به الذين تتابعوا ※ هلا ذكرت مكارم الاقوام
وذكرت منا ماجدا ذا همة ※ سمح الخلائق صادق الاقدام
أعنى النبى أخا المكارم والندى ※ وأبر من يولى على الاقسام
فلمثله ولمثل ما يدعو له ※ كان الممدح ثم غير كهام

(وقال) حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه أيضا

تبلت فؤادك فى المنام خريدة * تشفى الضجيج ببارد بسام كالمسك تخلطه بماء سحابة * أو عاتق كدم الذبيح مدام
نفج الحقيبة بوصها متنضد * بلهاء غير وشيكة الاقسام بنيت على قطن اجم كانه * فضلا اذا قعدت مداك رخام
وتكاد تكسل أن تجىء فراشها * فى جسم خرعبة وحسن قوام اما النهار فلا افتر ذكرها * والليل توزعنى بها أحلامى
أقسمت أنساها وأترك ذكرها * حتى تغيب فى الضريح عظامى
بل من لعاذلة تلوم سفاهة * ولقد عصيت على الهوى لوامى
بكرت علىّ بسحرة بعد الكرى * وتقارب من حادث الايام
زعمت بان المرء يكرب عمره * عدم لمعتكر من الاصرام
ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام
يذر العناجيج الجياد بقفرة * مر الدموك بمحصد ورجام
ملأت به الفرجين فارمدت به * وثوى أحبته بشر مقام وبنو أبيه ورهطه فى معرك * نصر الاله به ذوى الاسلام حوام
طحنتهم والله ينفذ أمره * حرب يشيب سعيرها بضرام لولا الاله وجريها لتركنه * جزر السباع ودسنه بحوام
من بين مأسور يشد وثاقة * صقرا اذا لاقى الاسنة حامى وبجدل لا يستجيب لدعوة * حتى تزول شوامخ الاعلام

فالسلاب جمع سلاب * وفى شعر حسان * تبلت فؤادك فى المنام خريدة * يجوز أن يكون أراد بالمنام النوم وموضع النوم ووقت النوم لان مفعلا يصلح فى هذا كله فى ذوات الواو وقد تسمى العين أيضاً مناما لانها موضع النوم وعليه تؤول قوله تعالى «اذ يريكهم الله فى منامك قليلا» اى فى عينك ويقويه قوله سبحانه «ويقللكم فى أعينهم» ولا فرق عند النحويين بين مفعل فى هذا الباب وفعل نحو مضرب وضرب ومنام ونوم وكذلك هما فى التعدية سواء نحو ضرب زيد عمرا ومضرب زيد عمرا وأما فى حكم البلاغة والعلم بجوهر الكلام فلا سواء فان المصدر اذا حددته قلت ضربة ونومة ولا يقال مضربة ولا منامة فهذا فرق وفرق آخر تقول ما أنت الا نوم والا سير اذا قصدت التوكيد ولا يجوز ما انت الا منام والا مسير ومن جهة النظر ان الميم لم تزد الا لمعنى زائدا كالزوائد الاربع فى المضارع وعلى ما قالوه تكون زائدة لغير معنى (فان قلت) فما ذاك المعنى الذى تعطيه الميم (قلنا) الحدث يتضمن زمانا ومكانا وحالا فالمذهب عبارة عن الزمان الذى فيه الذهاب وعن المكان ايضاً فهو يعطى معنى الحدث وشيئا زائدا عليه وكذلك اذا أردت الحدث مقرونا بالحالة والهيئة التى يقع عليها قال الله سبحانه «ومن آياته منامكم بالليل والنهار» فاحال على التفكر فى هذه الحالة المستمرة على البشر ثم قال فى آية اخرى «لا تأخذه سنة ولا نوم» ولم يقل منام لخلو هذا الموطن من تلك الحالة وتعريه من ذلك المعنى الزائد فى الآية الاخرى ومن لم يعرف جوهر الكلام لم يعرف اعجاز القرآن * وفى هذا الشعر * بنيت على قطن اجم كانه * قطنها ثبجها ووسطها واجم اى لا عظام فيه * وقوله كانه فضلا نصب فضلا على الحال اى كان قطنها اذا كانت فضلا فهو حال من الهاء فى كانه وان كان الفضل من صفة المرأة لا من صفة القطن ولكن لما كان القطن بعضها صار كانه حال منها ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير فى قعدت لاستحالة ان يعمل ما بعد اذا فيما قبلها والفضل من النساء والرجال المتوشح فى ثوب واحد والمداك صلاءة الطيب وهو مفعل من دكت أدوك اذا دققت ومنه الدوكة والدوكة * وقوله مر الدموك يقال دمكه دمكا اذا طحنه طحنا سريعا وبكرة دموك أى سريعة المر وكذلك أيضاً رحى دموك والمحصد الحبل المحكم الفتل والرجام واحد الرجامين وهما الخشبتان اللتان تلقى عليهما البكرة والرجام أيضاً جمع رجمة وهى حجارة مجتمعة وجمع رجم وهو القبر ومنه قول أبى الطيب

تمتع من رقاد أو سهاد * ولا تأمل كرى تحت الرجام
فان لثالث الحالين معنى * سوى معنى انتباهك والمنام

وأرقدت أسرعت ومصدره ارقادا وكذلك أرمدت وافعل فى غير الالوان والخلق عزيز وأما انقض فليس منه فى شىء لانك تقول فى معناه تقضض البناء فالقاف فاء الفعل وكذلك تقضى البازى لانه منه وغلط الفسوى فى الايضاح فجعل يريد ان ينقض من باب أحمر وانما هو من باب انقد وانجر والنون زائدة ووزنه انفعل وكذلك غلط القالى فى النوادر فقال فى قوله وجريها اثرار انه افعلال من النثر كما قال الفسوى فى الانقضاض وانما هو انفعال من عين ثرة أى كثيرة الماء * ودسنه بحوام يعنى الحوافر وما حول الحوافر يقال له الحامية وجمعه

بالعار والذل المبين اذا رأى * بيض السيوف تسوق كل همام
بيدى أغر اذا انتمى لم يخزه * نسب القصار سميدع مقدام
بيض اذا لاقت حديدا صممت * كالبرق تحت ظلال كل غمام

(فأجابه) الحرث بن هشام فيما ذكر ابن هشام فقال

الله أعلم ما تركت قتالهم * حتى حبوا مهرى باشقر مزبد
وعرفت انى ان أقاتل واحدا * أقتل ولا ينكى عدوى مشهدى
فصددت عنهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

* قال ابن اسحق قالها الحرث يعتذر من فراره يوم بدر «قال ابن هشام» تركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها لانه أقذع فيها * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا

لقد علمت قريش يوم بدر * غداة الاسر والقتل الشديد
بأنا حين تشتجر العوالى * حماة الحرب يوم أبى الوليد
قتلنا ابنى ربيعة يوم سارا * الينا فى مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت * بنو النجار تخطر كالاسود
وولت عند ذاك جموع فهر * وأسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيتم ذلا وقتلا * جهيزا نافذا تحت الوريد
وكل القوم قد ولوا جميعا * ولم يلووا على الحسب التليد

(وقال) حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا

يا حار قد عولت غير معول * عند الهياج وساعة الاحساب
اذ تمتطى سرح اليدين نجيبة * مرطى الجراء طويلة الاقراب
والقوم خلفك قد تركت قتالهم * ترجو النجاء وليس حين ذهاب
ألا عطفت على ابن أمك اذ ثوى * قعص الاسنة ضائع الاسلاب
عجل المليك له فاهلك جمعه * بشنار مخزية وسوء عذاب

«قال ابن هشام» تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا «قال ابن هشام» ويقال بل قالها عبد الله بن الحرث السهمى رضى الله عنه

مستشعرى حلق الماذى يقدمهم * جلد النحيزة ماض غير رعديد
أعنى رسول إله الحق فضله * على البرية بالتقوى وبالجود
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم * وماء بدر زعمتم غير مورود
ثم وردنا ولم نسمع لقولكم * حتى شربنا رواء غير تصريد
مستعصمين بحبل غير منجذم * مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه * حتى الممات ونصر غير محدود
واف وماض شهاب يستضاء به * بدر أنار على كل الأماجيد

«قال ابن هشام» بيته مستعصمين بحبل غير منجذم عن أبى زيد الانصارى * قال ابن اسحق (وقال) حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا

خابت بنو أسد وآب غزيهم * يوم القليب بسوءة وفضوح
منهم أبو العاصى تجدل مقصعا * عن ظهر صادقة النجاء سبوح
حينا له من مانع بسلاحه * لما ثوى بمقامه المذبوح
والمرء زمعة قد تركن ونحره * يدمى بعاند معبط مسفوح
متوسدا حر الجبين معفرا * قد عر مارن انفه بقبوح
ونجا ابن قيس فى بقية رهطه * بشفى الرماق موليا بجروح

(وقال) حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا

ألا ليت شعرى هل أتى أهل مكة * ابارتنا الكفار فى ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند مجالنا * فلم يرجعوا الا بقاصمة الظهر
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله * وشيبة يكبو لليدين وللنحر
قتلنا سويدا ثم عتبة بعده * وطعمة أيضا عند ثائرة القتر
فكم قد قتلنا من كريم مرزأ * له حسب فى قومه نابه الذكر
تركناهم للعاويات ينبنهم * ويصلون نارا بعد حامية القعر
لعمرك ما حامت فوارس مالك * وأشياعهم يوم التقينا على بدر

«قال ابن هشام» أنشدنى أبو زيد الانصارى بيته

قتلنا أبا جهل وعتبة قبله * وشيبة يكبو لليدين وللنحر

* قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا

نجى حكيما يوم بدر شده * كنجاء مهر من بنات الاعوج
لما رأى بدرا تسيل جلاهه * بكتيبة خضراء من بلخزرج
لا ينكلون اذا لقوا أعداءهم * يمشون عائدة الطريق المنهج
كم فيهم من ماجد ذى منعة * بطل بمهلكة الجبان المحرج
ومسود يعطى الجزيل بكفه * حمال أثقال الديات متوج
زين الندى معاود يوم الوغى * ضرب الكماة بكل أبيض سلجج

«قال ابن هشام» قوله سلجج عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال حسان أيضاً

فما نخشى بحول الله قوما * وان كثروا وأجمعت الزحوف
اذا ما ألبوا جمعا علينا * كفانا حدهم رب رؤف

حوام * وقول الحرث بن هشام * حتى علوا مهرى بأشقر مزبد * يعنى الدم ومزبد قد علاه الزبد * وقوله والاحبة فيهم يعنى من قتل أو أسر من رهطه واخوته * وقول حسان * بكتيبة خضراء من بلخزرج * العرب تجعل الاسود أخضر فتقول ليل أخضر كما قال * فى ظل أخضر يدعو هامة البوم * وتسمى الاخضر أسود اذا اشتدت خضرته وفى التنزيل مدهامتان قال أهل التأويل سوداوان من شدة الخضرة * وقوله بكل ابيض سلجج هو السيف الماضى الذى يقطع الضريبة بسهولة ومنه المثل الاخذ سلجان والقضاء ليان أى الاخذ

سمونا يوم بدر بالعوالى * سراعا ما تضعضعنا الحتوف   فلم تر عصبة فى الناس انكى * لمن عادوا اذا لقحت كشوف
ولكنا توكلنا وقلنا * ما ثرنا ومعقلنا السيوف   لقيناهم بها لما سمونا * ونحن عصابة وهم ألوف

«وقال» حسان بن ثابت أيضاً يهجو بنى جمح ومن أصيب منهم

جمحت بنو جمح بشقوة جدهم   ان الذليل موكل بذليل   قتلت بنو جمح ببدر عنوة   وتخاذلوا سعيا بكل سبيل
جحدوا الكتاب وكذبوا بمحمد   والله يظهر دين كل رسول   لعن الاله أبا خزيمة وابنه   والخالدين وصاعد بن عقيل

قال ابن اسحق وقال عبيدة بن الحرث بن المطلب فى يوم بدر وفى قطع رجله حين أصيب وفى مبارزته هو وحمزة وعلى حين بارزوا عدوهم

«قال ابن هشام» وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعبيدة

ستبلغ عنا أهل مكة وقعة   يهب لها من كان عن ذاك نائيا   بعتبة اذ ولى وشيبة بعده   وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فان تقطعوا رجلى فانى مسلم   أرجى بها عيشا من الله دانيا   مع الحور أمثال التماثيل اخلصت   مع الجنة العلياء من كان عاليا
وبعت بها عيشا تعرق صفوه   وعالجته حتى فقدت الادانيا   فاكرمنى الرحمن من فضل منه   بثوب من الاسلام غطى المساويا
وما كان مكروها الىّ قتالهم   غداة دعا الاكفاء من كان داعيا   ولم يبغ اذ سألوا النبى سواءنا   ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهم كالاسد تخطر بالقنا   نقاتل فى الرحمن من كان عاصيا   فما برحت أقدامنا من مقامنا   ثلاثتنا حين
أزيروا المنائيا

«قال ابن هشام» لما أصيبت رجل عبيدة قال أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم انى أحق منه بما قال حيث يقول

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله *
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

سهل يسوغ فى الحلق بلا عسر كما قالوا الاخذ سريط والقضاء ضريط فسريط من سرطت الشئ اذا بلعته سهلا فسلجج من هذا الا انهم ضاعفوا الجيم كما ضاعفوا الدال من مهدد ولم يدغموا الا انهم ألحقوه بجعفر * وقوله بلخزرج أراد بنى الخزرج فحذف النون لانها من مخرج اللام وهم يحذفون اللام فى مثل علماء وظلت كراهية اجتماع اللامين وكذلك أحست كراهية التضعيف وفى حديث عائشة رضى الله عنها تربت يمينك وألت أرادت أللت أى طعنت من قولهم ماله أل وغل ويروى آلت فتكون التاء علما للتأنيث أى آلت يدك وعند نافع رواية ثالثة فى كتاب مسلم وهى تربت يداك والت بكسر التاء وتشديد اللام وهى على لغة من يقول فى رددت ردت فيدغم مع ضمير الفاعل وهى لغة حكاها سيبويه * وذكر شعر كعب وفيه

لعمر أبيكما يابنى لؤى * على زهو لديكم وانتخاء

الانتخاء افتعال من النخوة يقال نخى الرجل وانتخى ومن الزهو زهى وازدهى ولا يكون الامن مثل هذا الا باللام لان الفعل فيه لغير المخاطب واذا أمر من ليس بمخاطب فانما يؤمر باللام كقولك لتزه يا فلان ولتعن بحاجتى وكان القياس أيضاً أن لا يقال من هذا الفعل ما أفعله ولا هو أفعل من كذا كما لا يقال فى المركوب

وهذان البيتان فى قصيدة لابى طالب قد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب * قال ابن اسحق فلما هلك عبيدة بن   ما
الحرث من مصاب رجله يوم بدر قال كعب بن مالك الانصارى يبكيه

أيا عين جودى ولا تبخلى   بدمعك حقا ولا تنزرى   على سيد هدنا هلكه   كريم المشاهد والعنصر
جرىء المقدم شاكى السلاح * كريم الثنا طيب المكسر   عبيدة أمسى ولا نرتجيه * لعرف عرانا ولا منكر
وقد كان يحمى غداة القتا * ل حامية الجيش بالمبتر   «وقال» كعب بن مالك رضى الله عنه أيضا فى يوم بدر
ألا هل أتى غسان فى نأى دارها * وأخبر شىء بالامور عليمها   بأن قد رمتنا عن قسى عداوة * معد معا جهالها وحليمها
لانا عبدنا الله لم نرج غيره * رجاء الجنان اذ أتانا زعيمها   نبى له فى قومه ارث عزة * وأعراق صدق هذبتها أرومها
فساروا وسرنا فالتقينا كاننا * أسود لقاء لا يرجى كليمها   ضربناهم حتى هوى فى مكرنا * لمنحر سوء من لؤى عظيمها
فولوا ودسناهم ببيض صوارم * سواء علينا حلفها وصميمها   (وقال كعب بن مالك أيضاً)
لعمر أبيكما يا ابنى لؤى * على زهو لديكم وانتخاء   لما حامت فوارسكم ببدر * ولا صبروا به عند اللقاء
وردناه بنور الله يجلو * دجى الظلماء عنا والغطاء   رسول الله يقدمنا بأمر * من امر الله أحكم بالقضاء
فما ظفرت فوارسكم ببدر * وما رجعوا اليكم بالسواء   فلا تعجل أبا سفيان وارقب * جياد الخيل تطلع من كداء

بنصر الله روح القدس فيها * وميكال فيا طيب الملاء

(وقال) طالب بن أبى طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم و يبكى أصحاب القليب من قريش يوم بدر

ألا ان عينى أنفذت دمعها سكبا * تبكى على كعب وما ان ترى كعبا
ألا ان كعبا فى الحروب تخاذلوا * وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكى للملمات غدوة * فياليت شعرى هل أرى لهما قربا
هما أخواى لم يعدا لغية * تعدولن يستام جارهما غصبا
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلا * فدالكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تصبحوا من بعد ود و إلفة * أحاديث فيها كلكم يشتكى النكبا
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس * وجيش أبى يكسوم اذ ملأ الشعبا
فلولا دفاع الله لا شىء غيره * لاصبحتم لا تمنعون لكم سربا
فما ان جنينا فى قريش عظيمة * سوى ان حمينا خير من وطئ التربا
أخا ثقة فى النائبات مرزأ * كريما ثناه لا بخيلا ولا ذربا
يطيف به العافون يغشون بابه * يؤمون بحرا لا نزورا ولا صربا
فوالله لا تنفك نفسى حزينة * تململ حتى تصدقوا الخزرج الضربا

(وقال ضرار بن الخطاب الفهرى يرثى أباجهل)

ألا من لعين باتت الليل لم تنم * تراقب نجما فى سواد مع الظلم
كأن قذى فيها وليس بها قذى * سوى عبرة من جائل الدمع تنسجم
فبلغ قريشا أن خير نديها * وأكرم من يمشى يساق على قدم
ثوى يوم بدر رهن خوصاء رهنها * كريم المساعى غير وغد ولا برم
فآليت لا تنفك عينى بعبرة * على هالك بعد الرئيس أبى الحكم
على هالك أشجى لؤى بن غالب * أتته المنايا يوم بدر فلم ترم
ترى كسر الخطى فى نحر مهره * لدى بائن من لحمه بينها خزم
وما كان ليث ساكن بطن بيشة * لدى غلل يجرى ببطحاء فى أجم
باجرأ منه حين تختلف القنا * وتدعى نزال فى القماقمة البهم
فلا تجزعوا آل المغيرة واصبروا * عليه ومن يجزع عليه فلم يلم
وجدّوا فان الموت مكرمة لكم * وما بعده فى آخر العيش من ندم
وقد قلت ان الريح طيبة لكم * وعز المقام غيرشك لذى فهم

ما أركبه ولا فى المضروب ما أضربه ولكنه قد جاء فى مثل هذه الافعال ما أزهاه وما أعناه بحاجتى وقالوا هو أشغل من ذات النحيين وهو أزهى من غراب والفعل فى هذا كله زهى وشغل فهو مشغول ومزهو وقيل فى المجنون ما أجنه حكاه أبو عمر الجرمى وقال سيبويه واعلم ان العرب تقدم فى كلامها ما هم به أهم وهم ببيانه أعنى وان كانا جميعا يهمانهم و يعنيانهم فقال أهم وأعنى وهو من همهم وعناهم فهم به معنيون مثل مضروبون فجاز فى هذه الافعال ما ترى وسبب جوازه ان المفعول فيها فاعل فى المعنى فالمزهو متكبر وكذا المنخو والمشغول مشتغل وفاعل لشغله والمعنى بالامر كذلك والمجنون كالاحمق فيقال ما أجنه كما يقال ما أحمقه وليس كذلك مضروب ولا مركوب ولا مشتوم ولا ممدوح فلا يقال فى شىء منه ما أفعله ولا هو أفعل من غيره (فان قلت) فكان ينبغى على هذا القياس أيضا أن يؤمر فيه بغير اللام كما يؤمر الفاعل اذ وقد قلتم انه فاعل فى المعنى (فالجواب) ان الامر انما هو بلفظ المستقبل وهو تضرب وتخرج فاذا أمرت حذفت حرف المضارعة و بقيت حروف الفعل على بنيتها وليس كذلك زهيت فأنت تزهى ولا شغلت فانت تشغل لانك لو حذفت منه حرف المضارعة لبقى لفظ الفعل على بنية ليست للغائب ولا للمخاطب لان بنية الامر للمخاطب افعل وبنيته للغائب فليفعل والبنية التى قدرناها لا تصلح لواحد منهما لانك كنت تقول ازهى من زهيت وكنت تقول من شغلت اشغل فتخرج من باب شغلت فانت مشغول الى باب شغلت غيرك فانت شاغل فلم يستقم فيه الامر الا باللام * وقوله وميكال فيا طيب الملاء أراد الملأ وليس من باب مد المقصور اذ لا يجوز فى

« قال ابن هشام » و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها الضرار * قال ابن اسحق وقال الحرث بن هشام يبكى أخاه أباجهل

ألا يالهف نفسى بعد عمرو * وهل يغنى التلهف من قتيل
يخبرنى المخبر أن عمراً * امام القوم فى جفر محيل
فقدما كنت أحسب ذاك حقا * وأنت لما تقدم غير فيل
وكنت بنعمة ما دمت حيا * فقد خلفت فى درج المسيل
كانى حين أمسى لا أراه * ضعيف العقد ذوهم طويل
على عمرو اذا أمسيت يوما * وطرف من تذكره كليل

« قال ابن هشام » و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحرث بن هشام وقوله فى جفر عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال أبو بكر بن الاسود بن شعوب الليثى وهو شداد بن الاسود

تحيى بالسلامة أم بكر * وهل لى بعد قومى من سلام
فماذا بالقليب قليب بدر * من القينات والشرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر * من الشيزى تكلل بالسنام
وكم لك بالطوى طوى بدر * من الحومات والنعم المسام
وكم لك بالطوى طوى بدر * من الغايات والدسع العظام
وأصحاب الكريم أبى على * أخى الكاس الكريمة والندام
وانك لو رأيت ابا عقيل * واصحاب الثنية من نعام
اذا الظلات من وجد عليهم * كام السقب جائلة المرام
يخبرنا الرسول لسوف نحيا * وكيف لقاء اصداء وهام

« قال ابن هشام » انشدنى ابو عبيدة النحوى

يخبرنا الرسول بان سنحيا * وكيف حياة اصداء وهام

قال وكان قد اسلم ثم ارتد * قال ابن اسحق وقال امية بن ابى الصلت يرثى من اصيب من قريش يوم بدر

الا بكيت على الكرا * م بنى الكرام اولى الممادح
كبكا الحمام على فرو * ع الايك فى الغصن الجوانح
يبكين حرى مستكيـ * ـنات يرحن من الروائح
أمثالهن الباكيا * ت المعولات من النوائح
من يبكهم يبكى على * حزن ويصدق كل مادح
ماذا ببدر فالعقنـ * ـقل من مرازبة جحاجح
فمدافع البرقين فالـ * ـحنان من طرف الاواشح
شمط وشبان بها * ليل مغاوير وحاوح
ألا ترون لما أرى * ولقد أبان لكل لامح
أن قد تغير بطن مكة * فهى موحشة الاباطح
من كل بطريق لبطـ * ـريق نقى اللون واضح
دعموص أبواب الملو * ك وجائب للخرق فاتح
من السراطمة الخلا * جمة الملاوثة المناجح
القائلين الفاعليـ * ـن الآمرين بكل صالح
المطعمين الشحم فو * ق الخبز شحما كالانافح
نقل الجفان مع الجفا * ن الى جفان كالمناضح
ليست باصفار لمن * يعفو ولا رح وحارح
للضيف ثم الضيف بعـ * ـد والبسط السلاطح
وهب المئين من المئيـ * ـن الى المئين من اللواقح
سوق المؤبل للمؤبـ * ـل صادرات عن بلادح
لكرامهم فوق الكرا * م مزية وزن الرواجح
كثاقل الارطال بالـ * ـقسطاس فى أيدى المواتح
خذلتهم فئة وهم * يحمون عورات الفضائح
الضاربين التقدميـ * ـة بالمهندة الصفائح
ولقد عنانى صوتهم * من بين مستسق وصائح
لله در بنى على * أيم منهم وناكح
ان لم يغيروا غارة * شعوا تجسر كل نابح
بالمقربات المبعـدا * ت الطامحات مع الطوامح
وقد مردا على جرد الى * أسد مكالبة كوالح
ويلاق قرن قرنه * مشى المصافح للمصافح
بزهاء الف ثم الـ * ـف بين ذى بدن ورامح

عصى عصاء ولا فى رحى رحاء فى الشعر ولا فى الكلام وان كانوا قد أشبعوا الحركات فى الضرورة فقالوا فى الكلكل الكلكال وفى الصيارف الصياريف ولكن مد المقصور أبعد من هذا لان زيادة الالف تغيير واحد ومد المقصور تغييران زيادة ألف وهمز ما ليس بمهموز غير أنه قد جاء فى شعر طرفة * وكشحان لم ينقص طواءهما الحبل * لكنه حسنه قليلا فى بيت طرفة فى أنه لم يرد الطوى الذى هو مصدر طوى يطوى اذا جاع وخوى بطنه وانما أراد رقة الخصر وذلك جمال فى المرأة وكمال فى الخلقة فجاء باللفظ على وزن جمال وكمال وظهر فى لفظه ما كان فى نفسه والعرب تنحو بالكلمة الى وزن ما هو فى معناها وقد مضى منه كثير وسيرد عليك ماهو أكثر وأما الملاء والخطأ والرشأ والفرأ وما كان من هذا الباب فان همزته تقلب ألفاً فى الوقف باجماع نعم وفى الوصل فى بعض اللغات فيكون الالف عوضاً من الهمزة وقد يجمعون بين العوض والمعوض منه كما قالوا اهراق الماء وانما كانت الهاء بدلا من الهمزة فجمعوا بينهما وقالوا فى النسب الى فم فموى وقالوا فى النسب الى اليمن يمنى ثم قالوا يمان فعوضوا الالف من احدى اليائين ثم قالوا يمانى بالتشديد فجمعوا بين العوض والمعوض منه فقوله فيا طيب الملاء من هذا الباب وكذلك قولهم الخطاء فى الخطأ قال الشاعر

فكلهم مستقبح لصواب من * يخالفه مستحسن لخطائه

« قال ابن هشام » تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأنشدنى واحد من أهل العلم بالشعر بيته

ويلاق قرن قرنه * مشى المصافح للمصافح

وأنشدنى أيضاً

وهب المئين من المئيـ * ـن الى المئين من اللواقح
سوق المؤبل للمؤبـ * ـل صادرات عن بلادح

« قال ابن اسحق » وقال أمية بن أبى الصلت أيضاً يبكى زمعة بن الاسود وقتلى بنى أسد

عين بكى بالمسبلات أبا الحا * رث لا تذخرى على زمعه
أبكى عقيل بن أسود أسد البا * س ليوم الهياج والدفعه
تلك بنو أسد اخوة الجو * زاء لا خانة ولا خدعه
هم الاسرة الوسيطة من كعـ * ـب وهم ذروة السنام والقمعه
وهم أنبتوا من معاشر شعر الرأ * س وهم ألحقوهم المنعه
أمسى بنو عمهم اذا حضر البا * س أكبادهم عليهم وجعه
وهم المطعمون اذا قحط القط * ـر وحالت فلا ترى قزعه

«قال ابن هشام» هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ليست بصحيحة البناء ولكن أنشدني أبو محرز خلف الاحمر وغيره روى بعض ما لم يرو بعض

عين بكى بالمسبلات أبا الحا * رث لا تذخري على زمعه
وعقيل بن أسود أسد البأ * س ليوم الهياج والدفعه
فعلى مثل هلكهم خوت الجو * زاء لا خانة ولا خدعه
وهم الاسرة الوسيطة من كعـ * ـب وفيهم كذروة القمعه
أنبتوا من معاشر شعر الرأ * س وهم ألحقوهم المنعه
فبنو عمهم اذا حضر البا * س عليهم أكبادهم وجعه
وهم المطعمون اذا قحط القطـ * ـر وحالت فلا ترى قزعه

قال ابن اسحق (وقال) أبو أسامة معاوية بن زهير بن قيس بن الحرث بن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عدى بن جشم بن معاوية حليف بني مخزوم «قال ابن هشام» وكان مشركا وكان مر بهبيرة بن أبي رهم وهم منهزمون يوم بدر وقد أعيا هبيرة فقام فالقى عنه درعه وحمله ومضى به «قال ابن هشام» وهذه أصح أشعار أهل بدر

ولما ان رأيت القوم خفوا * وقد شالت نعامتهم لنفر
وان تركت سراة القوم صرعى * كأن خيارهم اذ باح عتر
وكانت جمة وافت حماما * ولقينا المنايا يوم بدر
نصد عن الطريق وأدركونا * كأن زهاءهم غيطان بحر
وقال القائلون من ابن قيس * فقلت أبو أسامة غير نخر
أنا الجشمي كيما يعرفوني * أبين نسبتي نقرا بنقر
فان تك في الغلاصم من قريش * فاني من معاوية بن بكر
فأبلغ مالكا لما غشينا * وعندك مال ان نبأت خبري
وأبلغ ان بلغت المرء عنا * هبيرة وهو ذو علم وقدر
باني اذ دعيت الى أفيد * كررت ولم يضق بالكر صدري
عشية لا يكر على مضاف * ولا ذي نعمة منهم وصهر
فدونكم بني لأي أخاكم * ودونك مالكا يا أم عمرو
فلولا مشهدي قامت عليه * موقفة القوائم أم أجر
دفوع للقبور بمنكبيها * كأن بوجهها تحميم قدر
فأقسم بالذي قد كان ربي * وأنصاب لدى الجمرات مغري
لسوف ترون ما حسبي اذا ما * تبدلت الجلود جلود نمر
فما ان خادر من اسد ترج * مدل عنبس في الغيل مجري
فقد أحمي الاباءة من كلاف * فما يدنو له أحد بنفر
بخل تعجز الحلفاء عنه * يواثب كل هجهجة وزجر
باوشك سورة مني اذا ما * حبوت له بقرقرة وهدر
ببيض كالاسنة مرهفات * كأن ظباتهن جحيم جمر
وأكلف مجنأ من جلد ثور * وصفراء البراية ذات أزر
وأبيض كالغدير ثوى عليه * عمير بالمداوس نصف شهر
أرفل في حمائله وأمشي * كمشية خادر ليث سبطر
يقول لي الفتى سعد هديا * فقلت لعله تقريب غدر
وقلت أبا عدي لا تطرهم * وذلك ان أطعت اليوم امري
كدأبهم بفروة اذ أتاهم * فظل يقاد مكتوفا بضفر

«قال ابن هشام» وأنشدني أبو محرز خلف الاحمر

نعد عن الطريق وأدركونا * كأن سراعهم تيار بحر

وقوله مدل عنبس في الغيل مجري عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال أبو اسامة أيضا

ألا من مبلغ عني رسولا * مغلغلة يثبتها لطيف
ألم تعلم مردي يوم بدر * وقد برقت بجنبيك الكفوف

وقد قال ورقة الا ما غفرت خطائيا (فان قيل) فقد أنشد أبو علي في مد المقصود

يالك من تمر ومن شيشاء * ينشب في المسعل واللهاء

أراد جمع لهاة (قلنا) يحتمل ان يكون كلاما مولدا وان كان عربيا فلعل الرواية فيه اللها بكسر اللام فيكون من باب أكمة وإكام وقد ذكرها أبو عبيد في الغريب المصنف بالكسر والفتح * وذكر شعر أبي أسامة بن زهير الجشمي وفيه * وقد زالت نعامتهم لنفر * العرب تضرب زوال النعامه مثلا للفرار وتقول * شالت نعامة القوم * اذا فروا وهلكوا قال الشاعر

ياليت ما أمنا شالت نعامتها * اما الى جنة اما الى نار

وقال أمية * اشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم * والنعامة في اللغة باطن القدم ومن مات فقد شالت رجله أي ارتفعت وظهرت نعامته والنعامة أيضا الظلمة وابن النعامة عرق في باطن القدم فيجوز أن يكون قوله زالت نعامتهم كما يقال زال سواده وضحا ظله اذا مات وجائز ان يكون ضرب النعامة مثلا وهو الظاهر في بيت أبي اسامة لانه قال زالت نعامتهم لنفر والعرب تقول أشرد من نعامة وأنفر من نعامة قال الشاعر

هم تركوك أسلح من حبارى * رأت صقرا وأشرد من نعام

وقال آخر * وكنت نعاما عند ذاك منفرا * فاذا قلت زالت نعامته فمعناه نفرت نفسه التي هي كالنعامة في شرودها * وقوله * وان تركت سراة القوم صرعى * سراة كل شيء ما علا منه وسراة

وقد تركت سراة القوم صرعى * كأن رؤسهم حدج نقيف
وقد مالت عليك ببطن بدر * خلاف القوم داهية خصيف
فنجاه من الغمرات عزمى * وعون الله والامر الحصيف
ومنقلبى من الابواء وحدى * ودونك جمع أعداء وقوف
وأنت لمن أرادك مستكين * بجنب كراش مكلوم نزيف
وكنت اذا دعانى يوم كرب * من الاصحاب داع مستضيف
فاسمعنى ولو أحببت نفسى * أخ فى مثل ذلك أو حليف
اردّ فاكشف الغماء وارمى * اذا كلح المشافر والانوف
وقرن قد تركت على يديه * ينوء كأنه غصن قصيف
دلفت له اذا اختلطوا بحرى * مسحسحة لعاندها حفيف
فذلك كان صنعى يوم بدر * وقيل أخو مدارات عروف
أخوكم فى السنين كما علمتم * وحرب لا يزال لها صريف
ومقدام لكم لا يزدهينى * جنان الليل والانس اللفيف
أخوض الصرة الجماء خوضا * اذا ما الكلب الجأه الشقيف

« قال ابن هشام » تركت قصيدة لابى أسامة على اللام ليس فيها ذكر بدر الا فى أول بيت منها والثانى كراهية الاكثار * قال ابن اسحق وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة تبكى أباها يوم بدر

أعينىّ جودا بدمع سرب * على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة *
بنو هاشم و بنو المطلب
يذيقونه حد أسيافهم *
يعلونه بعدما قد عطب
يجرونه وعفير التراب *
على وجهه عاريا قد سلب
وكان لنا جبلا راسيا *
جميل المراة كثير العشب
فاما برى فلم أعنه *
فاوتى من خير ما يحتسب

(وقالت هند أيضاً)

يريب علينا دهرنا فيسوءنا *
و يأبى فما نأتى بشىء يغالبه
أبعد قتيل من لؤىّ
ابن غالب *
يراع امرؤ ان مات أو
مات صاحبه
ألا رب يوم قد رزئت مرزأ *
تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فابلغ أبا سفيان عنى مألكا * فان ألقه يوما فسوف أعاتبه
فقد كان حرب يسعر الحرب انه * لكل امرئ فى الناس مولى يطالبه

«قال ابن هشام» و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند * قال ابن اسحق وقالت هند أيضا

لله عينا من رأى * هلكا كهلك رجاليه
بل رب باك لى غدا * فى النائبات و باكيه
كم غادروا يوم القليـ * ـب غداة تلك الواعيه
من كل غيث فى السنيـ * ـن اذا الكواكب خاويه
قد كنت احذر ما أرى * فاليوم حق حذاريه
قد كنت احذر ما أرى * فانا الغداة مواميه
بل رب قائلة غدا * ياويح أم معاويه

«قال ابن هشام» و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند * قال ابن اسحق وقالت هند أيضاً

ياعين بكى عتبه * شيخا شديد الرقبه
يطعم يوم المسغبه * يدفع يوم المغلبه
انى عليه حربه * ملهوفة مستلبه
لنهبطن يثربه * بغارة منثعبه
فيها الخيول مقربه * كل جواد سلهبه

وقالت صفية بنت مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف تبكى أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش وتذكر مصابهم

الفرس ظهره لانه أعلاه قال الشاعر يصف حمارا * بسراته ندب لها وكلوم * وقولهم سراة القوم كما تقول كاهل القوم وذروة القوم قال معاوية ان مضر كاهل العرب وتميم كاهل مضر و بنو سعد كاهل تميم وقال بعض خطباء بنى تميم لنا العز الاقعس والعدد الهيضل ونحن فى الجاهلية القدام ونحن الذروة والسنام وهذا معنى صحيح بين فليس لاحد ان يقول فى الذروة ولا فى السنام ولا فى الكاهل انه جمع أى من أبنية الجمع ولا اسم للجمع فكذلك ينبغى أن لا يقال فى سراة القوم انه جمع سرى لا على القياس ولا على غير القياس كما لا يقال ذلك فى كاهل القوم وسنام القوم والعجب كيف خفى هذا على النحويين حتى قلد الخالف منهم السالف فقالوا سراة جمع سرى و ياسبحان الله كيف يكون جمعا له وهم يقولون فى جمع سراة سروات مثل قطاة وقطوات يقال هؤلاء من سروات الناس كما تقول من رؤوس الناس قال قيس بن الخطيم

وعمرة من سروات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

ولو كان السراة جمعا ما جمع لانه على وزن فعلة ومثل هذا البناء فى الجموع لا يجمع وانما سرى فعيل من السرو وهو الشرف فان جمع على لفظه قيل سرىّ وأسرياء مثل غنى وأغنياء ولكنه قليل وجوده وقلة وجوده لا يدفع القياس فيه وقد حكاه سيبويه * وقوله اذباح عتر جمع ذبح وعتر وعتر بكسر العين الصنم الذى كان يعترله فى الجاهلية أى تذبح له العتائر جمع عتيرة وهى الرجبية وقد ذكرنا فى نسب النبى صلى الله عليه وسلم أول من سن العتيرة وانه بور بن صحورا وان أباه سنّ رجبا للعرب فكان يقال له سعد رجب ولو قال اذباح عتر بفتح العين لجاز لانه مصدر * وقوله وكانت حمة الحمة السواد والحمة الفرقة فان كان أراد بالحمة سواد القوم وكثرتهم فله وجه وان كان أراد الفرقة منهم فهو أوجه وقد ذكره صاحب العين * وقوله عطيان بحر فيضانه

وقوله

يامن لعين قذاها عائر الرمد * حد النهار وقرن الشمس لم يقد
وفر بالقوم أصحاب الركاب ولم * تعطف غد انئذ أم على ولد
كانوا سقوف سماء البيت فانقصفت * فاصبح السمك منها غير ذي عمد

أخبرت ان سراة الأكرمين معا * قد احرزتهم مناياهم الى امد
قومي صفي ولا تنسي قرابتهم * وان بكيت فما تبكين من بعد

« قال ابن هشام » أنشدني بيتها كانوا سقوب بعض أهل العلم بالشعر * قال ابن اسحق وقالت صفية بنت مسافر أيضا

الا من لعين للتة * بكي دمعها فاني
كغرب داح يسقي * خلال الغيث الداني
وماليث غريف ذو * أظافير وأسنان
أبو شبلين وثاب * شديد البطش غرثان
كحبي اذ تولى و * وجوه القوم ألوان
وبالكف حسام صا * رم أبيض ذكران
وأنت الطاعن النجلا * ء منها مزبدان

« قال ابن هشام » ويروى قولها وماليث غريف الى آخرها مفصولا من البيتين اللذين قبله * قال ابن اسحق وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ترثي عبيدة بن الحرث بن المطلب

لقد ضمن الصفراء مجدا وسوددا * وحلما أصيلا وافر اللب والعقل
عبيدة فابكيه لأضياف غربة * وارملة تهوى لأشعث كالجذل
وبكيه للأقوام في كل شتوة * اذا احمر آفاق السماء من المحل
وبكيه للايتام والريح زفزف * وتشتيت قدر طالما أزبدت تغلي
فان تصبح النيران قد مات ضوءها * فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل أو لملتمس القرى * ومستنبح أضحى لديه على رسل

---

* وقوله أبين نسبتي نقرا بنقر النقر الطعن في النسب وغيره يقول ان طعنتم في نسبي وعبتموه بينت الحق ونقرت في أنسابكم اى عبتها وجازيت على النقر بالنقر وقالت جارية من العرب مروا بي على بني نظرا ونى الفتيان الذين ينظرون الى ولا تمروا بي على بنات نقرى يعني النساء اللواتي ينقرن أي يعبن * وقوله دعيت الى أفيد تصغير وفد وهم المتقدمون من كل شيء من ناس أو خيل او ابل وهو اسم للجمع مثل ركب ولذلك جاز تصغيره وقيل أفيد اسم موضع * وقوله على مضاف المضاف الخائف المضطر * وقوله * فدونكم بني لأي أخاكم * هذا شاهد لما ذكرناه في نسب النبي صلى الله عليه وسلم واشتقاق تلك الاسماء وقلنا في لؤي انه تصغير لأي واخترنا هذا القول على قول ابن الانباري وقطرب وحكينا قوله وشاهده وانما أراد ههنا ببني لأي بني لؤي فجاء به مكبرا على ما قلناه * وقوله

* موقفة القوائم أم أجر * يعني الضبع وموقفة من الوقف وهو الخلخال لان في قوائمها سوادا قال الشاعر

* كانه قاطم وقفين من عاج * وأم أجر جمع جرو كما تقول دلو وادل وهذا كقول الهذلي

وغودر ثاويا وتأوبته * موقفة أميم لها فليل

والفليل عرفها وكقول الآخر

يالهف من عرفاء ذات فليله * جاءت الى على ثلاث تخمع
وتظل تنشطني وتلحم أجريا * وسط العرين وليس حي يدفع
لو كان سيفي باليمين دفعتها * عني ولم أوكل وجنبي الاضيع

فوصفها انها تخمع كما قال ابن المهلب الضبعة العرجاء ولحن في قوله الضبعة وقال آخر

فلو مات منهم من جرحنا لاصبحت * ضباع باكناف الشريف عرائسا

وذلك أن الضبع يقلب القتيل على قفاه فيأذ كر وتستعمل كمرته لانها أشبق البهائم ولذلك يقال لها حين تصطاد ابشري أم عامر بجراد عضال وكمر رجال يخدعونها بذلك وهي تكنى أم عامر وأم عمرو وأم الهنبر وأم خنور وأم خنور معا وتسمى حضاجر وجعار وقثام وجيال وعيشوم وقثام أيضا اسم للغنيمة الكثيرة يقال أصاب القوم قثاما قاله الزبير وحيثل وعيثوم وأما الذكر منها فعيلام وعثيان وديخ * وقوله في وصف الاسد في الغيل مجرأي ذو أجراء والاباءة الاجمة التي هو فيها وكذلك الغيل والخدر والعرين والعريسة * وقوله احمى الاباءة أي حماها وأحمى لغة في حمى لكنها ضعيفة ولعله أراد احمى الاباءة أي جعلها كالنار الحامية يقال احميت الحديدة في النار يعني ان اباءته قد حميت به فلا تقرب * وقوله من كلاف لعله أراد من شدة كلف بما يحميه فجاء به على وزن فعال لان الكلف اذا اشتد كالهيام والعطاش وفي معنى الشعار ولعل كلافا اسم موضع وقال أبو حنيفة الكلاف اسم شجر والله أعلم * وقوله بخل هو الطريق في الرمل والهجهجة من قولك هجهجت بالذئب اذا زجرته قال الشاعر * لم ينجه منها صياح الهجهج * وقوله بقرقرة وهدر القرقرة صوت شديد منقطع وجاء في صفة عامر الحداء انه كان قراقرى الصوت فلما كبر وضعف صوته قال

أصبح صوت عامر صئيا * أبكم لا يكلم المطيا

وهو عامر بن ربيعة الحداء التغلبي واليه ينسب بنو الحداء وذكر أهل اللغة أن الكشيش أول رغاء الجمل ثم الكتيت ثم الهدر ثم القرقرة ثم الزغد يقال زغد يزغد ثم القلاخ اذا جل كانه يتقلع * وقوله واكنف مجناء يعنى الترس وهو من أجنأت الشيء اذا جنيته فهو مجناء ويعنى بصفر البراية القوس وبرايتها ما برى منها وجعلها صفراء لجدتها وقوتها وقوله وابيض كالغدير أراد السيف وعمير اسم صانع والمداوس جمع مدوس وهى الآلة التى يدوس بها الحداد والصيقل ما يصنعه ووصفه اياها بالمغراء المغر جمع امغر وهو الاحمر والخلادر الداخل فى الخدر ومسبطر غير منقبض * وقوله يقول لى الفتى سعد هديا الهدى ما يهدى الى البيت والهدى أيضاً العروس تهدى الى زوجها ونصب هديا هنا على اضمار فعل كانه أراد اهد هديا * وقوله فى الشعر الفاوى كأن رؤسهم حدج نقيف الحدج جمع حدجه وهى الحنظلة والنقيف المنقوف كما قال امرؤ القيس ناقف حنظل وهو المستخرج حب الحنظل * وقوله داهية خصيف أى متراكمة من خصفت النعل أو [من خصفت] الليف اذا نسجته وقد يقال كتيبة خصيف أى منتسجة بعضها ببعض متكاثفة وفى كتاب سيبويه كتيبة خصيف أى سوداء * وقوله ومنقلبى من الابواء هو الموضع الذى فيه قبر آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمى الابواء لان السيول تتبوأه وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه بالابواء فى ألف مقنع فبكى وأبكى ووجدت على البيت المتقدم الذى فيه حدج نقيف فى حاشية الشيخ قال أبو حنيفة الحنظل من الاعلاث وهو ينبت شريا كما ينبت شرى القثاء والشرى شجره ثم يخرج فيه زهر ثم يخرج فى الزهر جراء مثل جراء البطيخ فاذا ضخم وسمن حبه سموه الحدج واحدته حدجة فاذا وقعت فيه الصفرة سموه الخطبان وزاد أبو حنيفة أن الحنظلة اذا اسودت بعد الخضرة فهى قهقرة وذكر فى القثاء الحدج والجراء كما ذكر فى الحنظل وكذلك الشرية اسم لشجرتهما وفى القثاء قبل أن يكون بطيخا القح وقبل القح يكون خضفا وأصغر من ذلك القشعر والشعرور والضغبوس ونقيف معناه مكسور لانه يقال نقفت رأسه عن دماغه أى كسرته * وقوله أخوض الصرة الجماء الصرة الجماعة والصرة الصياح والصرة شدة البرد واياها عنى لانه ذكر الشفيف فى آخر البيت وهو برد وريح ويقال له الشفان أيضاً أنشد ابن الانبارى

قل للشمال التى هبت مزعزعة * تذرى مع الليل شفانا بصراد
اقرى السلام على نجد وساكنه * وحاضر باللوى ان كان أو باد
سلام مغترب فقدان منزله * ان انجد الناس لم يهمم بانجاد

* وفى شعر هند جميل المراة أرادت مرآة العين فنقلت حركة الهمزة الى الساكن فذهبت الهمزة وانما تذهب الهمزة اذا نقلت حركتها لانها تبقى فى تقدير ألف ساكنة والساكن الذى قبلها باق على حكم السكون لان الحركة المنقولة اليه عارضة فكانه قد اجتمع ساكنان فحذفت الالف لذلك هذا معنى كلام ابن جنى * وقول هند فما برى فلم أعنه فهو تصغير البراء اسم رجل وقولها

قد كنت احذر ما أرى * فانا الغداة موامية

قوله موامية أى ذليلة وهو مؤامية بهمزة ولكنها سهلت فصارت واوا وهى من لفظ الامة تقول تأميت أمة اى اتخذتها ويجوز أن يكون مقلوبا من المؤامة وهى الموافقة فيكون الاصل مواءمة ثم قلب فصار موامة على وزن مفاعلة تريد انها قد ذلت فلا تأبى بل توافق العدو على كره ومنه اشتقاق التوءم لان وزنه فوعل مثل التولج والتاء فيهما جميعا بدل من واو قاله صاحب العين * وقولها ملهوفة مستلبة الاجود فى مستلبة أن يكون بكسر اللام

من

« قال ابن هشام » وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لهند * قال ابن اسحق وقالت قتيلة بنت الحرث أخت النضر بن الحرث تبكيه

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بان تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليك وعبرة مسفوحة * جادت بوا كفها وأخرى تخنق
هل يسمعنى النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق

أمحمد ياخير ضيء كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لومننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * باعز مايغلو به ماينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

« قال ابن هشام » فيقال والله أعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه * قال ابن اسحق وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان أوفى شوال

غزوة بنى سليم بالكدر

* قال ابن اسحق فلما قدم المدينة لم يقم بها الا سبع ليال غزا بنفسه يريد بنى سليم « قال ابن هشام » واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم * قال ابن اسحق فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فاقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأفدى فى اقامته تلك جل الاسارى من قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة السويق

قال حدثنا أبومحمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ثم غزا أبوسفيان بن حرب غزوة السويق فى ذى الحجة وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة فكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك وكان من أعلم الانصار حين رجع الى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر أن لايمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وسلم فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة الى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل فاتى حيي بن اخطب فضرب عليه بابه فابى أن يفتح له بابه وخافه فانصرف عنه الى سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فاذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش الى المدينة فاتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا فى أصوار من نخل بها ووجدوا بها رجلا من الانصار وحليفا له فى حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ونذر بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر وهو أبو لبابة فيما قال ابن هشام حتى بلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا وقد فاته أبوسفيان وأصحابه وقد رأوا أزوادا من أزواد القوم قد طرحوها فى الحرث يتخففون منها للنجاء فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة قال نعم « قال ابن هشام » وانما سميت غزوة السويق فيما حدثنى أبوعبيدة ان اكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت بغزوة السويق

من السلاب وهى الخرقة السوداء التى تخمر بها الثكلى ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لاسماء بنت عميس حين مات عنها جعفر تسلبى ثلاثا ثم اصنعى ماشئت وهو حديث منسوخ بالاحداد ومتأول ذكره الطبرى *وذكر ابن هشام شعر قتيلة بنت الحرث ترثى أخاها النضر بن الحرث والصحيح انها بنت النضر لا اخته كذلك قال الزبير وغيره وكذلك وقع فى كتاب الدلائل وقتيلة هذه كانت تحت الحرث بن أبى أمية الاصغر فهى جدة الثريا بنت عبد الله بن الحرث التى يقول فيها عمر بن أبى ربيعة حين خطبها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

ورهط الثريا هذه يقال لهم العبلات لان أمهم عبلة بنت عبيد بن جاذب *وفى شعر قتيلة * أمحمدها أنت ضنئ نجيبة * قال قاسم أرادت يامحمداه على الندبة قال والضنئ الولد والضنئ الاصل يقال ضنئت المرأة واضنئنات وضنت تضنو اذا ولدت

غزوة قرقرة الكدر

القرقرة أرض ملساء والكدر طير فى ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يذكر مسيره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة فقال لعمران بن سوادة حين قال له ان رعيتك تشكو امنك عنف السياق وقهر الرعية فدقر على الدرة وجعل يمسح سيورها ثم قال قد كنت زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قرقرة الكدر فكنت أرتع فأشبع وأسقى فأروى وأكثر الزجر وأقل الضرب وأرد العنود وأزجر العروض وأضم اللفوت وأشهر بالعصا وأضرب باليد ولولا ذلك لاغدرت أى لضيعت فتركت يذكر حسن سياسته فيما ولى من ذلك والعنود الخارج عن الطريق والعروض المستصعب من الناس والدواب * وذكر ان أباسفيان كان نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً فى هذا

قال ابن اسحق وقال أبو سفيان بن حرب عند منصرفه لما صنع به سلام بن مشكم

وانى تخيرت المدينة واحدا * لحلف فلم أندم ولم أتلوم
سقانى فروانى كميتا مدامة * على عجل منى سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن * لافرحه ابشر بعزو ومغنم
تأمل فان القوم سر وانهم * صريح لؤى لا شماطيط جرهم
وما كان الا بعض ليلة راكب * أتى ساعيا من غير خلة معدم

غزوة ذى أمر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريبا منها ثم غزا نجدا يريد غطفان وهى غزوة ذى امر واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فاقام بنجد صفرا كله أو قريبا من ذلك ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فلبث بها شهر ربيع الاول كله أو الا قليلا منه

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا صلى الله عليه وسلم يريد قريشا واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق حتى بلغ بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الاولى ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا

أمر بنى قينقاع

وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى قينقاع وكان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق قينقاع ثم قال يامعشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة واسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم قالوا يا محمد انك ترى انا قومك لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت رسول منهم فرصة انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس * قال ابن اسحق فحدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس قال ما نزل هؤلاء الآيات الا فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم

الحديث ان الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسمعيل كما بقى فيهم الحج والنكاح ولذلك سموها جنابة وقالوا رجل جنب وقوم جنب لمجانبتهم فى تلك الحال البيت الحرام ومواضع قرباتهم ولذلك عرف معنى هذه الكلمة فى القرآن أعنى قوله « وان كنتم جنبا فاطهروا » فكان الحدث الاكبر معروفا بهذا الاسم فلم يحتاجوا الى تفسيره وأما الحدث الاصغر وهو الموجب للوضوء فلم يكن معروفا قبل الاسلام فلذلك لم يقل فيه وان كنتم محدثين فتوضؤوا كما قال « وان كنتم جنبا فاطهروا » بل قال « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق » الآية فبين الوضوء وأعضاءه وكيفيته والسبب الموجب له كالقيام من النوم والمجىء من الغائط وملامسة النساء ولم يحتج فى أمر الجنابة الى بيان أكثر من وجوب الطهارة منها للصلاة * وقوله أصوار نخل هى جمع صور والصور نخل مجتمعة * وذكر سلام بن مشكم ويقال فيه سلّام ويقال انه ولد شعثاء التى يقول فيها حسان

لشعثاء التى قد تيمته * فليس لعقله منها شفاء

وقول أبى سفيان شماطيط جرهم الشماطيط الخيل المتفرقة ويقال للاخلاط من الناس أيضا شماطيط وأصله من الشميط وهو اختلاط الظلام بالضوء ومنه الشمط فى الرأس * وقوله ولم أكن لافرحه والمفرح الذى قد أثقله الدين وقد تقدم شرحه * وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع فأقام به شهر ربيع الآخر وجمادى الاولى الفرع بضمتين يقال هى أول قرية مارت اسمعيل وأمه التمر بمكة وهى من ناحية المدينة وفيها عينان يقال لهما الربض والنجف يسقيان عشرين ألف نخلة كانت لحمزة بن عبد الله بن الزبير وتفسير الربض منابت الاراك فى الرمل والفرع بفتحتين موضع بين الكوفة والبصرة قال سويد بن أبى كاهل

حل أهلى حيث لا أطلبها * جانب الحضر وحلت بالفرع

ثم رجع الى المدينة وقول ابن اسحاق اقام شهر ربيع وجمادى لان الربيع مشترك بين اسم الشهر وزمن الربيع فكان فى لفظ الشهر بيان لما أراد وجمادى اسم علم ليس فيه اشتراك وقد قدمنا قول سيبويه ومما لا يكون العمل الا فيه كله المحرم وصفر يعنى هذه الاسماء كلها وكذلك أسماء الايام لا تقول سرت الخميس ولا مشيت الاربعاء الا والعمل فيه كله حتى تقول يوم الاربعاء أو يوم كذا وفى الشهر شهر كذا فحينئذ يكون ظرفا لا يدل على وقوع العمل فيه كله

خبر بنى قنيقاع

وقد تقدم منه طرف قبل غزوة بدر * وفيه ان عبد الله بن أبى قال للنبى صلى الله عليه وسلم أحسن فى موالى وأن

و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحار بوا فيما بين بدر وأحد «قال ابن هشام» وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبى عون قال كان من أمر بنى قينقاع ان امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست الى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ اهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم و بين بنى قينقاع * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبىّ بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال يا محمد أحسن فى موالى وكانوا حلفاء الخزرج قال فابطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن فى موالى قال فاعرض عنه فادخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» وكان يقال لها ذات الفضول قال ابن اسحق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا الوجهه ظللا قال و يحك أرسلنى قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوا من الاحمر والاسود تحصدهم فى غداة واحدة انى والله امرؤ أخشى الدوائر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم لك «قال ابن هشام» واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فى محاصرته اياهم بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته اياهم خمس عشرة ليلة * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار عن عبادة ابن الوليد بن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بامرهم عبد الله بن أبى بن سلول وقام دونهم قال ومشى عبادة بن الصامت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد بنى عوف لهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله بن أبى فخلعهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم وقال يا رسول الله أتولى الله و رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار و ولايتهم قال ففيه وفى عبد الله بن أبى نزلت القصة من المائدة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض أى كعبد الله بن أبى وقوله انى أخشى الدوائر يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين و يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ثم القصة الى قوله تعالى انما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون وذلك لتولى عبادة بن الصامت الله و رسوله والذين آمنوا وتبرئه من بنى قينقاع وحلفهم و ولايتهم ومن يتولى الله و رسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون

﴿ سرية زيد بن حارثة الى القردة من مياه نجد ﴾

قال ابن اسحق وسرية زيد بن حارثة التى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حين أصاب عير قريش وفيها أبو سفيان بن حرب على القردة ماء من مياه نجد وكان من حديثها ان قريشا خافوا طريقهم الذى كانوا يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة وهى أعظم تجارتهم واستأجروا رجلا من بنى بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان يدلهم فى ذلك على الطريق «قال ابن هشام» فرات بن حيان من بنى عجل حليف لبنى سهم * قال ابن اسحق و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير

رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حتى رأوا لوجهه ظللا هكذا فى نسخة الشيخ مصححا عليه وفى غيرها ظلالا جمع ظلة وقد تجمع فعلة على فعال نحو برمة وبرام وجفرة وجفار فمعنى الروايتين اذا واحد والظلة ما حجب عنك ضوء الشمس وصحو السماء وكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرقا بساما فاذا غضب تلون ألوانا فكانت تلك الالوان حائلة دون الاشراق والطلاقة والضياء المنتشر عند تبسمه وقد روى انه كان يسطع على الجدار نور من ثغره اذا تبسم أو قال تكلم ينظر فى الشمائل للترمذى * وذكر فيه الآية التى نزلت فيهم «قد كان لكم آية فى فئتين» الفئة على وزن فعة من فأوت رأسه بالعصا اذا شققته أو من الفأو وهى جبال مجتمعة و بينهما فسحة من الارض فحقيقة الفئة الفرقة التى كانت مجتمعة مع الاخرى فافترقت

﴿ سرية زيد ﴾

ذكر فيها فرات بن حيان العجلى منسوب الى عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل واللجيم تصغير لجم وهى دويبة تطير بها العرب وأنشدوا

لها ذنب مثل ذيل العرو * س الى سبة مثل جحر اللجم

وكان عين قريش ودليل أبى سفيان أسلم فرات وحسن اسلامه وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان منكم رجالا نكلهم الى اسلامهم منهم فرات وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثمامة بن اثال فى شأن

مسيلمة وردته ومر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مع أبى هريرة والرجال بن عنفوة فقال ضرس أحدكم فى النار مثل أحد فما زال فرات وابو هريرة خائفين حتى بلغتهما ردة الرجال وإيمانه بمسيلمة فخرا ساجدين واسم الرجال نهار بن عنفوة والعنفوة [ضرب من] النبت يقال له الصليان * وفيها يقول حسان * دعوا فلجات الشام قد حال دونها * الفلجات جمع فلج وهى العين الجارية يقال ماء فلج وعين فلج وذكره ابو حنيفة فلحات بالحاء المهملة وقال الفلحة المزرعة * وقوله جلاد كافواه المخاض الاوارك اى التى أكلت الاراك فدميت افواهها والمخاض واحدتها خلفة من غير لفظها وهى الحامل وقد قيل فى الواحد ماخض ومنه قول الطائى * واخرتها عن وقتها وهى ماخض * وعندى ان المخاض فى الحقيقة ليس بجمع انما هو مصدر ولذلك وصف به الجميع وفى التنزيل «فأجاءها المخاض» وقولهم ناقة ماخض كقولهم حامل اى ذات مخاض وذات حمل وقد يقول الرجل لنسائه انتن الطلاق فليس الطلاق بجمع وانما معناه ذوات طلاق وكذلك معنى المخاض اى ذوات مخاض غير انه قيل للواحدة ماخض ولم يقل ناقة مخاض اى ذات مخاض كما يقال امرأة زور وصوم لان المصدر اذا وصف به فانما يراد به الكثير ولا تكثير فى حمل الواحدة الا ترى انك تقول هى اصوم الناس وما اصومها ولا يقال اذا حبلت ما احبلها لانه شىء واحد كما لا يقال فى الموت ما اموتها فلما عدم قصد التكثير والمبالغة لم توصف به كما لا توصف بالسير اذا قلت ما هى الاسير فاذا كانت ابلا كثيرة حصل معنى الكثرة فوصفت بالمخاض وهو المصدر لذلك فان قلت فقد يقول الرجل انت الطلاق وانت الفراق قلنا فيه معنى التكثير والمبالغة ولذلك جاز لانه شىء يتمادى ويدوم لا سيما ان اراد بالطلاق الطلاق كله لا واحدة وليس كذلك المخاض والحمل فان مدته معلومة ومقداره موقت * وقوله بأيدى الملائك هو جمع ملك على غير لفظه ولو جمعوه على لفظه لقالوا املاك ولكن الميم من ملك زائدة فيما زعموا واصله مألك من الألوك وهى الرسالة قال لبيد

وغلام أرسلته أمه * بألوك فبذلنا ما سأل

وقال الطائى

من مبلغ الفتيان عنى مألكا * انى متى يتثلموا أتهدم

والطائى وان كان متولدا فانما يحتج به لتلقى أهل العربية له بالقبول واجماعهم على انه لم يلحن واذا كان الاصل فيه مألكا فانما قلبوه ارادة الغاء الهمزة اذا سهلوا ولو سهلوا مألكا والهمزة مقدمة لم تسقط وانما تسقط اذا سكن قبلها فقالوا املاك فاذا جمعوا اعادت الهمزة ولم تعد الى موضعها لئلا ترجع كجمع مألكة وهى الرسالة ولو قيل ان لفظ ملك مأخوذ من الملكوت فلذلك لم يهمز لان أكثر الملائكة ليسوا برسل ولو اريد معنى الرسالة لقالوا مؤلك كما تقول مرسل ولضمت الميم فى الواحد وتكون الهمزة على هذا زائدة فى الجميع كما زادوها فى شمئل وهى من شملت الريح لكان هذا وجها حسنا وسر زيادة الهمزة فى شمأل وهى من شملت الريح فاطلعت الهمزة رأسها لذلك اذ قد اجتمع فيها انها من عن شمال البيت وانها شامية وكذلك الملائكة هم من ملكوت الله وفيهم رسل والواحد منهم من ملكوت الله فقط لانه لا يتبعض كما تتبعض الجملة منهم فاما قول الشاعر

فلست لانسى ولكن لمألك * [تنزل من جو السماء يصوب]

فهمز مألكا وهو واحد والبيت مجهول قائله وقد نسبه ابن سيدة الى علقمة وانكر ذلك عليه ومع هذا فقد وصف مألكا بالرسالة لقوله تنزل من جو السماء يصوب فحسن الهمز لتضمنه معنى الالوك كما حسن فى جملة الملائكة اذ للجملة بعض هم ارسال والكل من ملكوت الله سبحانه وليس فى الواحد الا معنى الملكوتية

ومافيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسان بن ثابت بعد أحد فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا لأخذهم تلك الطريق

دعوا فلجات الشأم قد حال دونها
جلاد كافواه المخاض الاوارك
بايدى رجال هاجروا نحو ربهم
وأنصاره حقا وأيدى الملائك
اذا سلكت للفور من بطن عالج
فقولا لها ليس الطريق هنالك

«قال ابن هشام» وهذه الابيات فى أبيات لحسان ابن ثابت نقضها عليه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وسنذكرها ونقيضتها ان شاء الله فى موضعها

﴿ قتل كعب بن الاشرف ﴾

قال ابن اسحق وقتل كعب بن الاشرف وكان من حديث كعب بن الاشرف انه لما أصيب أصحاب بدر وقدم زيد بن حارثة الى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة الى أهل العالية بشيرين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه وقتل من قتل من المشركين كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بردة الظفرى وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة وصالح بن أبى أمامة بن سهل كل قد حدثنى بعض حديثه قالوا قال كعب بن الاشرف وكان رجلا من طيء ثم أحد بنى نبهان وكانت أمه من بنى النضير حين بلغه الخبر أحق هذا أترون محمدا قتل هؤلاء الذى يسمى هذان الرجلان يعنى زيدا وعبد الله بن رواحة فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبى وداعة بن صبيرة السهمى وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فانزلته وأكرمته وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار ويبكى أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر فقال

طحنت رحا بدر لمهلك أهله * ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم * لا تبعدوا ان الملوك تصرع
كم قد أصيب به من ابيض ماجد * ذى بهجة تأوى اليه الضيع
طلق اليدين اذا الكواكب أخلفت * حمّال أثقال يسود ويربع
ويقول أقوام أسر بسخطهم * ان ابن الاشرف ظل كعبا يجزع
صدقوا فليت الارض ساعة قتلوا * ظلت تسوخ بأهلها وتصدع
صار الذى أثر الحديث بطعنة * أو عاش أعمى مرعشا لا يسمع
نبئت أن بنى المغيرة كلهم * خشعوا لقتل ابى الحكيم وجدعوا
وابنا ربيعة عنده ومنبه * ما نال مثل المهلكين وتبع
نبئت ان الحارث بن هشامهم * فى الناس يبنى الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وانما * يحمى على الحسب الكريم الاورع

«قال ابن هشام» قوله تبع وأسر بسخطهم عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق فأجابه حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه فقال

ابكى لكعب ثم علّ بعبرة * منه وعاش مجدعا لا يسمع
ولقد رأيت ببطن بدر منهم * قتلى تسح لها العيون وتدمع
فابكى فقد أبكيت عبدا راضعا * شبه الكليب الى الكليبة يتبع
ولقد شفا الرحمن منا سيدا * وأهان قوما قاتلوه وصرعوا
ونجا وأفلت منهم من قلبه * شعف يظل لخوفه يتصدع

«قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وقوله أبكى لكعب عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقالت امرأة من المسلمين من بنى مريد بطن من بلى كانوا حلفاء فى بنى أمية بن زيد يقال لهم الجعادرة تجيب كعبا «قال ابن هشام» اسمها ميمونة بنت عبد الله وأكثر أهل العلم ينكر هذه الابيات لها وينكر نقيضتها لكعب بن الاشرف

تحنن هذا العبد كل تحنن * يبكى على قتلى وليس بناصب
بكت عين من يبكى لبدر وأهله * وعلت بمثليها لؤى بن غالب
فليت الذين ضرجوا بدمائهم * يرى ما بهم من كان بين الاخاشب
فيعلم حقا عن يقين ويبصروا * مجرهم فوق اللحى والحواجب

فأجابها كعب بن الاشرف فقال

ألا فازجروا منكم سفيها لتسلموا * عن القول يأتى منه غير مقارب
اتشتمنى ان كنت أبكى بعبرة * لقوم أتانى ودهم غير كاذب
فانى لباك ما بقيت وذاكر * مآثر قوم مجدهم بالجباجب
لعمرى لقد كانت مريد بمعزل * عن الشر فاحتالت وجوه الثعالب
فحق مريد ان تجذ أنوفهم * بشتمهم حيى لؤى بن غالب
وهبت نصيبى من مريد لجعدر * وفاء وبيت الله بين الاخاشب

ثم رجع كعب بن الاشرف الى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بردة من لى بابن الاشرف فقال له محمد بن مسلمة أخو بنى عبد

فقط حتى يتخصص بالرسالة كما فى هذا البيت المذكور فيتضمن حينئذ المعنيين فتطلع الهمزة فى اللفظ لما فى ضمنه من معنى الالوك وهى الرسالة

﴿ مقتل كعب بن الاشرف ﴾

ذكر فيه انه شبب بنساء المسلمين وآذاهم وكان قد شبب بام الفضل زوج العباس بن عبد المطلب فقال

أراحل أنت لم ترحل لمنقبة * وتارك أنت أم الفضل بالحرم

فى أبيات رواها يونس عن ابن اسحق * وذكر فيه قوله عليه السلام من لكعب فقد آذى الله ورسوله فيه من الفقه وجوب قتل من سب النبى صلى الله عليه وسلم وان كان ذا عهد خلافا لابى حنيفة رحمه الله فانه لا يرى قتل الذمى فى مثل هذا ووقع فى كتاب شرف المصطفى ان الذين قتلوا كعب بن الاشرف حملوا رأسه فى مخلاة الى المدينة فقيل انه أول رأس حمل فى الاسلام وقيل بل رأس أبى عزة الجمحى الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فقتله واحتمل راسه فى رمح الى المدينة فيما ذكر وأما أول مسلم حمل رأسه فى الاسلام فعمرو بن الحمق وله صحبة * وفيه من قول حسان فى كعب بكى كعب ثم علّ بعبرة فيه

الاشهل أنالك به يا رسول الله أنا أقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما يعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب فقال يا رسول الله قلت لك قولا لا أدرى هل أفين لك به أم لا فقال انما عليك الجهد فقال يا رسول الله انه لا بد لنا من أن نقول قال قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة أحد بنى عبد الاشهل وكان أخا كعب بن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش أحد بنى عبد الاشهل والحارث بن أوس بن معاذ أحد بنى عبد الاشهل وأبو عبس بن جبر أحد بنى حارثة ثم قدموا الى عدو الله كعب بن الاشرف قبل أن يأتوه سلكان بن سلامة أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدوا شعرا وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال ويحك يا ابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى قال أفعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الانفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب انا ابن الاشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى ما أقول فقال له سلكان انى قد أردت أن تبيعنا طعامك ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك فقال أترهنونى أبناءكم قال لقد أردت أن تفضحنا ان معى أصحابا لى على مثل رأيى وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن فى ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح اذا جاؤا بها قال ان فى الحلقة لوفاء قال فرجع سلكان الى أصحابه فاخبرهم خبره وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» ويقال أترهنونى نساءكم قال كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم قال أترهنونى أبناءكم * قال ابن اسحق فحدثنى ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته وهو فى ليلة مقمرة وأقبلوا حتى انتهوا الى حصنه فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب وعليه ملحفته فأخذت امرأة بناحيتها وقالت انك امرؤ محارب وان أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة قال انه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى فقالت والله انى لأعرف فى صوته الشر قال يقول لها كعب لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قال هل لك يا ابن الاشرف أن نتماشى الى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه قال ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم ان أبا نائلة شام يده فى فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه ثم قال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليهم أسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا فى سيفى حين رأيت أسيافنا لا تغنى شيئا فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أوقدت عليه نار قال فوضعته فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث ابن أوس بن معاذ فجرح فى رأسه او فى رجله أصابه بعض أسيافنا قال فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ثم على بنى قريظة ثم على بعاث حتى اسندنا فى حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحرث بن أوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا قال فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلى فسلمنا عليه فخرج الينا فاخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا فرجع ورجعنا الى أهلنا فاصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودى الا وهو يخاف على نفسه * قال ابن اسحق فقال كعب بن مالك

جمع

فغودر منهم كعب صريعا * فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته * بايدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد اذ دس ليلا * الى كعب أخا كعب يسير
فما كره فانزله بمكر * ومحمود أخو ثقة جسور

«قال ابن هشام» وهذه الابيات فى قصيدة له فى يوم بنى النضير سأذكرها ان شاء الله فى حديث ذلك اليوم * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الاشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق

لله در عصابة لاقيتهم * يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم * مرحا كاسد فى عرين مغرف
حتى أتوكم فى محل بلادكم * فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

«قال ابن هشام» وسأذكر قتل سلام بن أبى الحقيق فى موضعه ان شاء الله وقوله ذفف عن غير ابن اسحق

دخول زحاف على زحاف وذلك ان أول الجزء سبب ثقيل وسبب خفيف فاذا دخل فيه الزحاف الذى يسمى الاضمار صار سببين خفيفين فيعود متفاعلن الى وزن مستفعلن ومستفعلن يدخله الخبن والطى وهو حذف الرابع منه فشبه حسان متفاعلا فى الكامل بمستفعلن لما صار الى وزنه فحذف الحرف الساكن وهو الرابع من متفاعلن الى وزن مفتعلن وهو غريب فى الزحاف فانه زحاف سهل زحافا آخر ولولا الزحاف الذى هو الاضمار ما جاز البتة حذف الرابع من متفاعلن * وذكر فى الذين قتلوا كعبا أبا عبس بن جبر واسمه عبد الرحمن وذكر سلكان بن سلامة واسمه سعد * وذكر فى شعر حسان الفاوى وفيه ببيض ذفف الذفف

جمع ذفيف وهو الخفيف السريع وهو جمع على غير قياس وانما فعل جمع فاعل ولكن الذفيف من السيوف في معنى القاطع والصارم * وفيه فى عرين مغرف العرين اجمة الاسد وهو الغريف أيضاً والغريف أيضاً الكثير فيحتمل ان أراد بمغرف مكثراً من الاسد ويحتمل ان أراد توكيد معنى الغريف كما يقال خبيث مخبث * وذكر قول امرأة كعب والله انى لأعرف فى صوته الشر وفى كتاب البخارى انى لاسمع صوتا يقطر منه الدم * وفيه مارأيت عطرا كاليوم معناه عند سيبويه مارأيت كعطرٍ أراه اليوم عطراً كذلك قال فى قول العرب لم أر كاليوم رجلا أى كرجل أراه اليوم رجلا فحذف مادخلت عليه الكاف وحذف الفعل وهو أرى وفاعله ومفعوله وهذا حذف كثير لا سيما وقد يقال مارأيت كاليوم ولا تذكر بعده شيئ اذا تعجبت فدل على انهم لم يحذفوا هذا الحذف الكثير ولكنهم أوقعوا التعجب على اليوم لان الايام تأتى بالاعاجيب والعرب تذمها وتمدحها فى نظمها ونثرها ويعلم المخاطب ان اليوم لم يذم لنفسه ولا يعجب منه لنفسه فيلتمس منك البيان والتفسير لما تعجبت منه فتأتى بالتمييز لتبين فعطرا منصوب على التمييز والدليل على ذلك انه يحسن خفضه بمن لانه متعجب منه فتقول لم أر كاليوم من رجل ووقع فى رواية ابراهيم بن سعد عن ابن اسحق بعد قوله فمشوا ساعة قال فجعل كعب ينشد

رب خال لى لو أبصرته • سبط المشية اباء انف
لين الجانب فى أقربه • وعلى الاعداء كالسم الذعف
وكرام لم يشنهم حسب • أهل عز وحفاظ وشرف
يبذلون المال فيما نابهم • لحقوق تعتريهم وعرف
وليوث حين يشتد الوغى • غير انكاس ولا ميل كسف
فهم أهل سماح وقرى • وحفاظ لم يعابوا بصلف
سكنوا من يثرب كل ربى • وسهول حيث حلوا فى انف
وهم أهل مشاريب بها • وحصون ونخيل وغرف
ولها بئر رواء جمة • من يردها باناء يغترف
ونخيل فى تلاع جمة • تخرج التمر كأمثال الاكف
وصرير من محال خلته • آخر الليل مهاريج ندف
تدلج الجون على أكتافها • بدلاء ذات أركان صدف
كل حاجاتى قد قضيتها • غير حاجاتى فى بطن الجرف

﴿ قتل محيصة اليهودى ﴾

محيصة بن مسعود كان أصغر من اخيه حويصة لكن سبقه الى الاسلام كما ذكر ابن اسحق وشهد أحداً والخندق وأرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى أهل فدك يدعوهم الى الاسلام وهو الذى استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أجرة الحجام فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما ألح عليه فى المسألة اعلفه ناضحك واجعله فى كرشك وذلك ان أبا طيبة الحجام كان عبد اله وقد تقدم اسم أبى طيبة * وقوله ما بين بصرى ومأرب بصرى بالشام ومأرب باليمن حيث كان السد ومأرب اسم قصر كان لسبأ وقال المسعودى مأرب اسم كل ملك ولى أمر سبأ كخاقان فى الترك وكسرى فى الفرس وقيصر فى الروم والنجاشى فى الحبشة وحويصة تصغير حوصة من حصت الثوب اذا خطته وفى حديثهما ذكر سنينة المقتول كانه تصغير سن وقال ابن هشام

﴿ أمر محيصة وحويصة ﴾

* قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة ابن مسعود « قال ابن هشام » ويقال محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر ابن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الاوس على ابن سبينة

«قال ابن هشام» ويقال ابن شبينة رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود اذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول أى عدو الله أقتلته اما والله لرب شحم فى بطنك من ماله قال محيصة فقلت والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك قال فوالله ان كان لاول اسلام حويصة قال آلله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى قال نعم والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها قال والله ان دينا بلغ بك هذا لعجب فاسلم حويصة * قال ابن اسحق حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها محيصة فقال محيصة فى ذلك

يلوم ابن أمى لو أمرت بقتله * لطبقت ذفراه بابيض قاضب حسام كلون الملح أخلص صقله * متى ما اصوبه فليس بكاذب
وماسرنى أنى قتلتك طائعا * وأن لنا ما بين بصرى ومارب «قال ابن هشام» وحدثنى أبو عبيدة عن أبى عمرو المدنى قال لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة أخذ منهم نحوا من أربعمائة رجل من اليهود وكانوا احلفاء الاوس على الخزرج فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تضرب أعناقهم فجعلت الخزرج تضرب اعناقهم ويسرهم ذلك فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخزرج ووجوههم مستبشرة ونظر الى الاوس فلم ير ذلك فيهم فظن ان ذلك للحلف الذى بين الاوس وبين بنى قريظة ولم يكن بقى من بنى قريظة الا اثنا عشر رجلا فدفعهم الى الاوس فدفع الى كل رجلين من الاوس رجلا من بنى قريظة وقال ليضرب فلان وليذفف فلان فكان ممن دفع اليهم كعب ابن يهوذا وكان عظيما فى بنى قريظة فدفعه الى محيصة بن مسعود والى أبى بردة بن نيار وأبو بردة الذى رخص له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ان يذبح جذعا من المعز فى الاضحى وقال ليضربه محيصة وليذفف عليه أبو بردة فضربه محيصة ضربة لم تقطع وذفف أبو بردة فاجهز عليه فقال حويصة وكان كافرا لاخيه محيصة أقتلت كعب بن يهوذا قال نعم فقال حويصة اما والله لرب شحم قد نبت فى بطنك من ماله انك للئيم يا محيصة فقال له محيصة لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجبا فذكروا انه جعل يتيقظ من الليل وهو فيعجب من قول أخيه محيصة حتى اصبح وهو يقول والله ان هذا الدين ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال محيصة فى ذلك أبياتا قد كتبناها عن ابن اسحق وكانت اقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه من بحران جمادى الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان وغزته قريش غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث

﴿ غزوة أحد ﴾

وكان من حديث أحد كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا أو من قاله منهم لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن ابى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ففعلوا * قال ابن اسحق ففيهم كما ذكر لى بعض أهل العلم أنزل الله تعالى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير باحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى قد من عليه رسول الله صلى الله عليه

فى اسمه سبينة بالباء كانه مصغر تصغير الترخيم من سبينة قال صاحب العين السبنية ضرب من النبات وأما شنينة بالشين المنقوطة فوالد صقلاب بن شنينة قرأ على نافع بن أبى نعيم وقال قال لى نافع ياصقلاب بين النون عند الحاء والخاء والعين والغين والهاء والالف

﴿ غزوة أحد ﴾

وأحد الجبل المعروف بالمدينة سمى بهذا الاسم لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هنالك وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هذا جبل يحبنا ونحبه وللعلماء فى معنى هذا الحديث أقوال قيل أراد اهله وهم الانصار وقيل أراد انه كان يبشره اذا رآه عند القدوم من أسفاره بالقرب من أهله ولقائهم وذلك فعل المحب وقيل بل حبه حقيقة وضع الحب فيه كما وضع التسبيح فى الجبال المسبحة مع داود وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها «وان منها لما يهبط من خشية الله» وفى الآثار المسندة ان أحدا يوم القيامة عند باب الجنة من داخلها وفى بعضها انه ركن لباب الجنة ذكره ابن سلام فى تفسيره وفى المسند من طريق أبى عبس بن جبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة قال وعير يبغضنا ونبغضه

وسلم يوم بدر وكان فقيرا ذا عيال وحاجة وكان فى الاسارى فقال يارسول الله انى فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على صلى الله عليك وسلم فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صفوان بن أمية ياأبا عزة انك امرؤ شاعر فاعنا بلسانك فاخرج معنا فقال ان محمدا قد من على فلا أريد أن اظاهر عليه قال فاعنا بنفسك فلك الله على ان رجعت ان أغنيك وان أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فخرج أبو عزة يسير فى تهامة ويدعو بنى كنانة ويقول

أيابنى عبدمناة الرزام * أنتم حماة وأبوكم حام
لا يعدونى نصركم بعد العام * لا تسلمونى لا يحل اسلام

وخرج مسافع بن عبدمناف بن وهب بن حذافة بن جمح الى بنى مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يامال مال الحسب المقدم * أنشد ذا القربى وذا التذمم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم * الحلف وسط البلد المحرم
* عند حطيم الكعبة المعظم *

ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطى بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فانت عتيق فخرجت قريش بحدها وجدها وأحابيشها ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وأن لا يفروا فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس معه بهند ابنة عتبة وخرج عكرمة بن أبى جهل بام حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة وخرج الحرث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفيه وهى أم عبدالله بن صفوان بن أمية «قال ابن هشام» ويقال رقية * قال ابن اسحق وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم عبدالله بن عمرو وخرج طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن شهيد الانصارية وهى أم بنى طلحة مسافع والجلاس وكلاب قتلوا يومئذ هم وأبوهم وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب احدى نساء بنى مالك بن حسل مع ابنها أبى عزيز بن عمير وهى أم مصعب بن عمير وخرجت عمرة بنت علقمة احدى نساء بنى الحرث بن عبد مناة بن كنانة وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مر بها قالت ويها أبادسمة أشف واشتف وكان وحشى يكنى بأبى دسمة فاقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين انى قد رأيت والله خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ورأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة فاولتها بالمدينة «قال ابن هشام» وحدثنى بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت بقرا لى تذبح قال فاما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل * قال ابن اسحق فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبدالله بن أبى بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى رأيه فى ذلك وان لا يخرج اليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم احد وغيره ممن كان فاته بدر يارسول الله اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا فقال عبدالله بن أبى بن سلول يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه

وهو على باب من أبواب النار ويقويه قوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب مع قوله يحبنا ونحبه فتناسبت هذه الآثار وشد بعضها بعضا وقد كان عليه السلام يحب الاسم الحسن ولا أحسن من اسم مشتق من الاحدية وقد سمى الله هذا الجبل بهذا الاسم تقدمة لما أراده سبحانه من مشاكلة اسمه ومعناه اذ أهله وهم الانصار نصروا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد عنده استقر حيا وميتا وكان من عادته عليه السلام ان يستعمل الوتر ويحبه فى شأنه كله استشعارا للاحدية فقد وافق اسم هذا الجبل لاغراضه عليه السلام ومقاصده فى الاسماء فقد بدل كثيرا من الاسماء استقباحا لها من أسماء البقاع وأسماء الناس وذلك لا يحصى كثرة فاسم هذا الجبل من أوفق الاسماء له ومع انه مشتق من الاحدية فحركات حروفه الرفع وذلك يشعر بارتفاع دين الاحد وعلوه فتعلق الحب من النبى صلى الله عليه وسلم به اسما ومسمى فخص من بين الجبال بان يكون معه فى الجنة اذا بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا [وفى أحد قبر هرون أخى موسى عليهما السلام وفيه قبض وثم واراه موسى عليه السلام وكانا قد مرا باحد حاجين أو معتمرين روى هذا المعنى فى حديث أسنده الزبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتاب فضائل المدينة] * وذكر ابن اسحق مسير قريش بالظعن التماس الحفيظة والحفيظة الغضب للحرم ويقال أحفظ الرجل اذا أغضب

﴿ فصل ﴾ وذكر رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى بقرا تنحر حوله وثلمة فى سيفه وفى

فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار يقال له مالك بن عمرو أحد بني النجار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد صلى الله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماينبغي لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه «قال ابن هشام» واستعمل بالمدينة ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس * قال ابن اسحق حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس وقال أطاعهم وعصاني ماندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام اخو بني سلمة يقول ياقوم أذكركم الله أن لاتخذلوا قومكم ونبيكم عند ماحضر من عدوهم فقالوا لو نعلم انكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكن نرى انه لا يكون قتال قال فلما استعصوا عليه وابوا الا الانصراف قال ابعدكم الله اعداء الله فسيغني الله عز وجل عنكم نبيه صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» وذكر غير زياد عن محمد بن اسحق عن الزهري ان الانصار يوم احد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا نستعين بحلفائنا من يهود فقال لا حاجة لنا فيهم قال زياد وحدثني محمد بن اسحق قال ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرة بني حارثة فذب فرس بذنبه فاصاب كلاب سيف فاستله «قال ابن هشام» ويقال كلاب سيف * قال ابن اسحق فقال التوسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحب الفأل ولا يعتاف لصاحب السيف شم سيفك فاني أرى السيوف اليوم ستسل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه من رجل يخرج بنا على القوم من كثب أي من قرب من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث أنا يارسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك في مال لمربع بن قيظي وكان رجلا منافقا ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يحثي في وجوههم التراب ويقول ان كنت رسول الله فاني لا احل لك أن تدخل حائطي وقد ذكر لي انه أخذ حفنة من تراب في يده ثم قال والله لو اني أعلم اني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر وقد بدر اليه سعد بن زيد أخو بني عبد الاشهل قبل نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه بالقوس في رأسه فشجه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالسبخة من قناة للمسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال أترعى زروع بني قيلة ولما نضارب

غير السيرة قال رأيت بقرا تنحر والله خير فاولت الخير ماجاء الله به من الخير يوم بدر وقد كانت بدر قبل أحد ولكن نفع الله بذلك الخير الذي كان في يوم بدر وكان فيه تأسية وتعزية لهم فلذلك تضمنته الرؤيا بقول الله تعالى «أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها» وفي البخاري ماجاء الله به من الخير بعد بدر وفي مسلم واذا الخير ماجاء الله به بعد وثواب الصدق الذي أتانا الله به يوم بدر وهذه أقل الروايات اشكالا «قال المؤلف» أبو القسم أما البقر فعبارة عن رجال مسلحين يتناطحون وقد رأت عائشة رضي الله عنها مثل هذا فكان تأويله قتل من قتل معها يوم الجمل * وقوله والله خير أي رأيت بقرا تنحر ورأيت هذا الكلام لان الرائي قد يمثل له كلام في خلده فيراه بوهمه كما يرى صورة الاشياء ومن خبر أحوال الرؤيا عرف هذا من نفسه ومن غيره لكن الصور المرئية في النوم تكون في الغالب أمثالا مضروبة وقد تكون على ظاهرها وأما الكلام الذي يسمعه بسمع الوهم ممثلا في الخلد فلا يكون الا على ظاهره مثل ان يسمع انت سالم أو والله خير لك أو ما أشبه هذا من الكلام فليس له معنى سوى ظاهره * وذكر ان فرسا ذب بذيله فاصاب كلاب سيف فاستله «قال ابن هشام» كلاب السيف هي الحديدة العقفاء وهي التي تلي الغمد وفي كتاب العين الكلاب مسمار في قائم السيف قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال ولا يعتاف يفتال يفتعل من العيافة وظاهر كلامه ان العيافة في المكروه خاصة والفال في المحبوب وقد يكون في المكروه والطيرة تكون في المحبوب والمكروه وفي الحديث انه نهى عن الطيرة وقال خيرها الفال فدل على انها تكون على وجوه والفال خيرها ولفظها يعطي انها تكون في الخير والشر لانها من الطير تقول العرب جرى له الطائر بخير وجرى له بشر وفي التنزيل «وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه» * وقوله في هذا الحديث فاني أرى السيوف ستسل اليوم يقوي ماقدمناه من

وتعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو فى سبعمائة رجل وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلا فقال أنضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء الى مصعب بن عمير أخى بنى عبد الدار «قال ابن هشام» وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب الفزارى و رافع بن خديج أخا بنى حارثة وهما ابنا خمس عشرة سنة وكان قد ردهما فقيل له يا رسول الله ان رافعا رام فاجازه فلما أجاز رافعا قيل له يا رسول الله فان سمرة يصرع رافعا فاجازه ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت أحد بنى مالك بن النجار والبراء بن عازب أحد بنى حارثة وعمرو بن حزم أحد بنى النجار وأسيد بن ظهير أحد بنى حارثة ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة * قال ابن اسحق وتعبت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه ابو دجانة سماك بن خرشة اخو بنى ساعدة فقال وما حقه يا رسول الله قال ان تضرب به فى العدو حتى ينحنى قال انا آخذه يا رسول الله بحقه فاعطاه اياه وكان ابو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب اذا كانت وكان اذا اعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس انه سيقاتل فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين * قال ابن اسحق فحدثنى جعفر ابن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الانصار من بنى سلمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة يتبختر انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان أبا عامر عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان أحد بنى ضبيعة وقد كان خرج حين خرج الى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاما من الاوس و بعض الناس كان يقول كانوا خمسة عشر رجلا وكان يعد قريشا أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الاحابيش وعبدان أهل مكة فنادى يا معشر الاوس أنا أبو عامر قالوا فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم بالحجارة * قال ابن اسحق وقد قال ابو سفيان لاصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال يا بنى عبد الدار انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فاصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما ان تكفونا لواءنا واما ان تخلوا بيننا و بينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك أراد أبو سفيان فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول و يها بنى عبد الدار * و يها حماة الادبار * ضربا بكل بتار «وتقول» ان تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أمت أمت فيما قال ابن هشام

التوسم والزجر المصيب وانه غير مكروه لكنه غير مقطوع به [الا ان يكون من كلام النبى صلى الله عليه وسلم] وقد قدمنا فيه قولا مقنعا فى حديث زمزم ونقرة الغراب الاعصم ولله فى كل شىء حكمة وإعمال الفكر فى الوقوف على حكمة الله عبادة

﴿ فصل ﴾ وذكر المستصغرين يوم أحد الذين أرادوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّ أصغرهم منهم البراء بن عازب وأسيد بن ظهير و زيد بن ثابت الى آخرهم ولم يذكر فيهم عرابة بن أوس بن قيظى وقد ذكرته طائفة فيهم وممن ذكره فيهم القتبى فى كتاب المعارف وهو الذى يقول فيه الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

ولعرابة أخ اسمه كباثة له صحبة ومن المستصغرين يوم أحد سعد بن حبتة عرف بامه وهى حبتة بنت مالك انصارية وهو سعد بن بحير من بجيلة رده النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد لصغر سنه فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتالا شديدا فدعاه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة فى ولده ونسله فكان عما لاربعين وخالا لاربعين وأبا لعشرين ومن ولده أبو يوسف القاضى يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن حبتة * وذكر قول هند بن عتبة ويها بنى عبد الدار ويها كلمة معناها الاغراء * قال الراجز

* وهو اذا قيل له ويها فل * فانه مواشك مستعجل وأما واها فان معناها التعجب وإيها معناها الامر بالكف * وقولها ان تقبلوا نعانق فيقال انها تمثلت بهذا الرجز وانه لهند بنت طارق بن بياضه الايادية قالته فى حرب الفرس لاياد فعلى هذا يكون انشاده بنات طارق بالنصب على الاختصاص كما قال

* قال ابن اسحق فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس « قال ابن هشام » حدثنى غير واحد من اهل العلم أن الزبير بن العوام قال وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه وأعطاه ابا دجانة وقلت أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه فسألته اياه قبله فاعطاه اياه وتركنى والله لانظرن ما يصنع فاتبعته فاخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له اذا تعصب بها فخرج وهو يقول

أنا الذى عاهدنى خليلى * ونحن بالسفح لدى النخيل
ان لا أقوم الدهر فى الكيول * اضرب بسيف الله والرسول

« قال ابن هشام » ويروى فى الكبول يعنى آخر الصفوف * قال ابن اسحق فجعل لا يلقى أحدا الا قتله وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه فضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق راس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال الزبير فقلت الله ورسوله أعلم * قال ابن اسحق وقال أبو دجانة سماك بن خرشة رأيت انسانا يحمش الناس حمشا شديدا فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة فاكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أضرب به امرأة وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشانى وكان يكنى بابى نيار فقال له حمزة هلم الى يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه أم انمار مولاة شريق بن

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل

وان كانت أرادت النجم فبنات مرفوع لانه خبر مبتدأ أى نحن شريفات رفيعات كالنجوم وهذا التاويل عندى بعيد لان طارقا وصف للنجم لطروقه فلو أرادته لقالت بنات الطارق الا انى وجدت للزبير بن أبى بكر انه قال فى كتاب انساب قريش له أول هذا الرجز الذى قالته هند يوم أحد

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا النواتق

الى آخر الرجز قال وحدثنى يحيى بن عبد الملك الهديرى قال جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الجذامى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متقنع فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد نحن بنات طارق فقالوا ما طارق فقلت النجم فالتفت الضحاك فقال أبا زكريا وكيف بذلك فقلت قال الله تبارك وتعالى « والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب » فانها قالت نحن بنات النجم فقال أحسنت * وذكر أبا دجانة ولبسه المشهرة وأبو دجانة الساعدى ممن دافع عن النبى صلى الله عليه وسلم وحنا عليه يوم أحد وترس عليه بنفسه حتى كثرت النبل فى ظهره واستشهد يوم اليمامة بعد ان شارك فى قتل مسيلمة اشترك فى قتله هو ووحشى وعبد الله بن زيد وسنذكر ما قاله سيف بن عمر فى قاتل مسيلمة فى آخر الباب ان شاء الله * وذكر قول أبى دجانة * انى امرؤ عاهدنى خليلى * يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان أبو هريرة يقول حدثنى خليلى وأنكره عليه بعض الصحابة وقال له متى كان خليلك وانما أنكر عليه المنكر هذا لقوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام وليس فى هذا الحديث ما يدفع ان يقول الصحابى حدثنى خليلى لانهم يريدون به معنى الحبيب وانما فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يقولها لاحد من أصحابه ولا خص بها أحدا دون ان يمنع غيره من أصحابه ان يقولها له وما كان فى قلوبهم من المحبة له يقتضى هذا وأكثر منه ما لم يكن الغلو والقول المكروه فقد قال عليه السلام لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح فانما أنا عبد الله ورسوله وقال لرجل قال له أنت سيدنا وأطولنا طولا وأنت الجفنة الغراء فقال قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان أى قولوا بقول أهل دينكم وأهل ملتكم كذا فسره الخطابى ومعناه عندى قولوا بقولكم لا بقول الشيطان لانه قد جعلهم جريا له أى وكيلا ورسولا واذا كانوا جريا له وقالوا ما يرضيه من الغلو فى المنطق فقد قالوا بقوله ويستجرينكم من قولهم جريت جريا أى وكلت وكيلا وقال له رجل آخر أنت أشرفنا حسبا وأكرمنا أما وأبا فقال كم دون لسانك من طبق فقال أربعة اطباق فقال أما كان فيها ما يزع عنى غرب لسانك رواه ابن وهب فى جامعه * وقول أبى دجانة * الا أقوم الدهر فى الكيول * قال أبو عبيد الكيول آخر الصفوف قال ولم يسمع الا فى هذا الحديث وقال الهروى مثل ما قال ابو عبيد وزاد فى الشرح وقال سمى بكيول الزند وهى سواد ودخان يخرج منه آخرا بعد القدح اذا لم يور نارا وذلك شىء لا غناء فيه يقال منه كال الزند يكول فالكيول فيعول من هذا وكذلك كيول الصفوف لا يوقد نار الحرب ولا يزكيها هذا معنى كلامه لا لفظه وقال أبو حنيفة نحوا من هذا الا انه قال كال الزند يكيل بالياء لا غير * وقوله رأيت رجلا يحمش الناس حمشا شديدا يروى بالشين

عمرو بن وهب الثقفى « قال ابن هشام » شريق بن الاخنس بن شريق وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله قال وحشى غلام جبير بن مطعم والله انى لا نظر الى حمزة يهذ الناس بسيفه ما يليق به شيئا مثل الجمل الاورق اذ تقدمنى اليه سباع بن عبد العزى فقال حمزة هلم الى يا ابن مقطعة البظور فضربه ضربة فكانما أخطأ رأسه وهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه فاقبل نحوى فغلب فوقع وأمهلته حتى اذا مات جئت فاخذت حربتى ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لى بشئ حاجة غيره * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى قال خرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الخيار أخو بنى نوفل بن عبد مناف فى زمان معاوية بن أبى سفيان فادربنا مع الناس فلما قفلنا مررنا بحمص وكان وحشى مولى جبير بن مطعم قد سكنها وأقام بها فلما قدمناها قال لى عبيد الله بن عدى هل لك فى أن نأتى وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله قال قلت له ان شئت فخرجنا نسأل عنه بحمص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه انكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمرة فان تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا وتجدا عنده بعض ما تريدان وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه وان تجداه وبه بعض ما يكون به فانصرفا عنه ودعاه قال فخرجنا نمشى حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طنفسة له فاذا شيخ كبير مثل البغاث «قال ابن هشام» البغاث ضرب من الطير الى السواد فاذا هو صاح لا باس به قال فلما انتهينا اليه سلمنا عليه فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدى فقال لابن عدى ابن الخيار أنت قال نعم قال أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التى أرضعتك بذى طوى فانى ناولتكها وهى على بعيرها فاخذتك بعرضيك فلمعت لى قدماك حين رفعتك اليها فوالله ما هو الا أن وقفت على فعرفتهما قال فجلسنا اليه فقلنا له جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة كيف قتلته فقال اما انى سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألنى عن ذلك كنت غلاما لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر فلما سارت قريش الى أحد قال لى جبير ان قتلت حمزة عم محمد بعمى فانت عتيق قال فخرجت مع الناس وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطئ بها شيئا فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الاورق يهذ الناس بسيفه هذا ما يقوم له شئ فوالله انى لاتهيأ له أريده فاستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى اذ تقدمنى اليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال له حمزة هلم الى يا ابن مقطعة البظور قال فضربه ضربة كانما أخطأ رأسه قال وهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوى فغلب وتركته واياها حتى مات ثم أتيته فاخذت حربتى ثم رجعت الى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لى بغيره حاجة وانما قتلته لاعتق فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت حتى اذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت الى الطائف فمكثت بها فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا تعيت على المذاهب فقلت الحق بالشام أو اليمن او ببعض البلاد فوالله انى لفى ذلك من همى اذ قال لى رجل ويحك انه والله ما يقتل أحدا من الناس دخل فى دينه وتشهد شهادة الحق فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرعه الا بى قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق فلما رآنى قال أوحشى قلت نعم يا رسول

بالشين وبالسين فالمعنى بالسين غير معجمة فى هذا المكان الشدة كانه قال يشدهم ويشجعهم لانه يقال رجل احمس أى شجاع شديد والمعنى فيه بالشين معجمة الايقاد والاغضاب لانه يقال احمشت النار أوقدتها وحمشت الرجل وأحمشه اغضبته فيكون أفعلت من ذلك للايقاد والاغضاب وفعلت للاغضاب

﴿ حديث وحشى ﴾

قال فيه فاذا شيخ كبير كالبغاث قال أبو عبيد البغاث الطير الذى لا يصاد به مثل الرخم والحداء واحدتها بغاثة ويقال بغاثى وجمعه بغاث وبغثان وقال ابن اسحق فى رواية يونس عند ذكر البغاث البغاث هو ذكر الرخم اذا هرم اسود * وقول وحشى لعبيد الله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية ولم يذكر اسمها وأم عبيد الله بن عدى هى أم قتال بنت أبى العيص بن أمية ذكرها البخارى فى هذا الخبر ولم يقل السعدية فهى اذاً قرشية أموية لا سعدية الا ان يريد بها مرضعته ان كانت سعدية وأما عبيد الله بن عدى فولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات فى خلافة الوليد بن عبد الملك وله دار بالمدينة عند دار على بن أبى طالب رضى الله عنه يروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه وغيره وله حديث فى الموطأ فى كتاب الصلاة * وقوله بذى طوى موضع بمكة وقد قدمنا الفرق بينه وبين ذى طواء بالهمز والمد وبين طوى بالضم والقصر فاغنى عن اعادته ها هنا * وقول وحشى يهذ الناس بسيفه ما يليق شيئاً مثل الجمل الاورق يريد والله اعلم ورقة الغبار وانه قد نافع به اذ الاورق من الابل ليس باقواها ولكنه اطيبها لحما فيما ذكروا * وقوله يهذ الناس هو بالذال المنقوطة ذكره صاحب الدلائل وفسره من الهذ وهى السرعة وأما الهذم بالميم فسرعة القطع

الله قال اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة قال فحدثته كما حدثتكما فلما فرغت من حديثى قال ويحك غيب عنى وجهك فلا أرينك قال فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربتى التى قتلت بها حمزة فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائما فى يده السيف وما أعرفه فتهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده فهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشد عليه الانصارى فضربه بالسيف فربك أعلم أينا قتله فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قتلت شر الناس * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وكان قد شهد اليمامة قال سمعت يومئذ صارخا يقول قتله العبد الاسود «قال ابن هشام» فبلغنى ان وحشيا لم يزل يحد فى الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول قد علمت ان الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة رضى الله عنه * قال ابن اسحق وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وكان الذى قتله ابن قمئة الليثى وهو يظن انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا فلما قتل مصعب ابن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على ابن ابى طالب وقاتل على بن ابى طالب ورجال من المسلمين «قال ابن هشام» وحدثنى مسلمة بن علقمة المازنى قال لما اشتد القتال يوم احد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الانصار وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي بن ابى طالب رضوان الله عليه ان قدم الراية فتقدم على فقال انا ابو القصم ويقال ابو القصم فيما قال ابن هشام فناداه ابو سعد بن ابى طلحة وهو صاحب لواء المشركين ان هل لك يا ابا القصم فى البراز من حاجة قال نعم فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه فقال له أصحابه أفلا اجهزت عليه فقال انه استقبلنى بعورته فعطفتنى عنه الرحم وعرفت ان الله عز وجل قد قتله ويقال ان ابا سعد ابن ابى طلحة خرج بين الصفين فنادى اباقاسم من يبارز مرارا فلم يخرج اليه احد فقال يا اصحاب محمد زعمتم ان قتلاكم فى الجنة وان قتلانا فى النار كذبتم واللات لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم فخرج اليه على بن أبى طالب فاختلفا ضربتين فضربه على رضى الله عنه فقتله

يقال سيف مهذم والهيذام الكثير الاكل وهو الشجاع أيضا وفى الحديث أكثروا من ذكر هاذم اللذات يروى بالذال المنقوطة أى قاطعها ومما ذكر غير ابن اسحاق فى خبر وحشى قال فخرجت حين قال لى سيدى ما قال فنظرت فاذا رجل عبعب عليه درع قضاء واذا هو على فقلت ليس هذا من شأنى واذا رجل حلابس أيهم غشمشم يهد الناس كأنه جمل أورق فكمنت له الى صخرة كأنها فسطاط وقلت هذا الذى أريد وهززت حربة لى عراصة فرميته بها فاصبت ثنته وذكر باقى الحديث العبعب الشاب والدرع القضاء المحكمة النسج والايهم الذى لا يرده شىء وفى الحديث أعوذ بالله من شر الايهمين يعنى السيل والحريق والعراصة التى تضطرب من اللين * وقوله فى قتل مسيلمة سبقنى اليه رجل من الانصار وسيأتى ذكر مسيلمة ونسبه وطرف من حديثه فى آخر الكتاب وأما الرجل الذى من الانصار الذى ذكره وحشى ولم يسمه ابن اسحاق فذكر محمد بن عمر الواقدى رحمه الله فى كتاب الردة له ان الرجل الذى شارك وحشيا فى قتل مسيلمة هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازنى من الانصار وذكر سيف بن عمر فى كتاب الفتوح انه عدى بن سهل وأنشد له

ألم تر أنى ووحشيهم * قتلت مسيلمة المفتتن
ويسئلنى الناس عن قتله * فقلت ضربت وهذا طعن

فى أبيات له وقد ذكرنا قبيل هذا الحديث ان أبا دجانة أيضا شارك فى قتل مسيلمة وذكره أبو عمر النمرى والله أعلم أى هؤلاء الثلاثة أراد وحشى وفى رواية يونس عن ابن اسحاق زيادة فى اسلام وحشى قال لما قدم المدينة قال الناس يا رسول الله هذا وحشى فقال دعوه فلاسلام رجل واحد أحب الى من قتل ألف رجل كافر وذكر قول أبى سعد بن أبى طلحة أنا قاصم من يبارزنى فبرز اليه على فقال أبو القصم بالقاف قاله ابن هشام وهو أصح وانما قال على عليه السلام أنا أبو القصم لقول أبى سعد أنا قاصم من يبارزنى فالقصم جمع قصمة وهى العضلة المهلكة ويجوز أن يكون جمع اقصمى أى الداهية التى تقصم والدواهى القصم على وزن الكبر وهذا المعنى أصح لانه لا يعرف قصمة ولكنه لما قال أبو سعد أنا قاصم قال على أنا أقصم منك بل أنا أبو القصم أى أبو المعضلات القصم والدواهى العظم والقصم كسر ببينونة والفصم كسر بغير بينونة ككسر القضيب الرطب ونحوه وفى التنزيل «وكم قصمنا من قرية» وفيه لا انفصام لها

وقول

* قال ابن اسحق قتل أبا سعد بن أبى طلحة سعد بن أبى وقاص وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يشعره سهما فيأتى أمه سلافة فتضع رأسه فى حجرها فتقول يابنى من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمانى وهو يقول خذها وانا ابن أبى الاقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركا ابدا ولا يمسه مشرك وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ وهو يحمل لواء المشركين

ان على أهل اللواء حقا * أن يخضبوا الصعدة أو تندقا

فقتله حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه والتقى حنظلة بن أبى عامر الغسيل وأبو سفيان فلما استعلاه حنظلة بن أبى عامر رآه شداد بن الاسود وهو ابن شعوب قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعنى حنظلة لتغسله الملائكة فسألوا اهله ماشانه فسألت صاحبته عنه فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهائعة «قال ابن هشام» ويقال الهاتفة وجاء فى الحديث خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها «قال ابن هشام» قال الطرماح بن حكيم الطائى والطرماح الطويل من الرجال

انا ابن حماة المجد من آل مالك * اذا جعلت خور الرجال تهيع

والهيعة الصيحة التى فيها الفزع * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة * قال ابن اسحق وقال شداد بن الاسود فى قتله حنظلة

لأحمين صاحبى ونفسى * بطعنة مثل شعاع الشمس

وقال أبو سفيان بن حرب وهو يذكر صبره فى ذلك اليوم ومعاونة ابن شعوب اياه على حنظلة

ولو شئت نجتنى كميت طمرة * ولم أحمل النعماء لابن شعوب
وما زال مهرى مزجر الكلب منهم * لدن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم وأدعى يال غالب * وادفعهم عنى بركن صليب
فبكى ولا ترعى مقالة عاذل * ولا تسأمى من عبرة ونحيب
أباك واخوانا له قد تتابعوا * وحق لهم من عبرة بنصيب
وسلى الذى قد كان فى النفس اننى * قتلت من النجار كل نجيب
ومن هاشم قرما كريما ومصعبا * وكان لدى الهيجاء غير هيوب
ولو اننى لم أشف نفسى منهم * لكانت شجا فى القلب ذات ندوب
فآبوا وقد أودى الجلابيب منهم * بهم خدب من معبط وكئيب
أصابهم من لم يكن لدمائهم * كفاء ولا فى خطة بضريب

فأجابه حسان بن ثابت فيما ذكر ابن هشام فقال

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم * ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم * نجيبا وقد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه * وشيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصى عليا فراعه * بضربة عضب بله بخضيب

* قال ابن اسحق وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبى سفيان فيما دفع عنه فقال

ولولا دفاعى يا ابن حرب ومشهدى * لالفيت يوم النعف غير مجيب
ولولا مكرى المهر بالنعف قرقرت * ضباع عليه أو ضراء كليب

«قال ابن هشام» قوله عليه أو ضراء عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان

جزيتهم يوما ببدر كمثله * على سابح ذى ميعة وشبيب
لدى صحن بدر أو أقمت نوائحا * عليك ولم تحفل مصاب حبيب

وقول ابن اسحق قتل أبا سعد بن أبى طليحة سعد بن ابى وقاص كذلك رواه الكشى فى تفسيره عن سعد قال لما كف عنه على طعنته فى حنجرته فدلع لسانه الى كما يصنع الكلب ثم مات * وذكر ابن اسحق أيضا هذا فى غير رواية ابن هشام وقول على انه اتقانى بعورته فاذكرنى الرحم فعطفتنى عليه الرحم وقد فعلها على مرة أخرى يوم صفين حمل على بشر بن ارطاة فلما رأى انه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه ويروى أيضا مثل ذلك عن عمرو بن العاصى مع على رضى الله عنه يوم صفين وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى رواه ابن الكلبى وغيره

أفى كل يوم فارس غير منته * وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه على سنانه * ويضحك منه فى الخلاء معاويه

﴿ فصل ﴾ وذكر مقتل حنظلة بن أبى عامر الغسيل واسم أبى عامر عمرو وقيل عبد عمرو بن صيفى وذكر شداد بن الاسود بن شعوب حين قتله بعد ما كان علا حنظلة أبا سفيان ليقتله وذكر الحميدى فى التفسير مكان شداد جعونة بن شعوب الليثى وهو مولى نافع بن أبى نعيم القارى وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم لتغسله الملائكة يعنى حنظلة وفى غير السيرة قال رأيت الملائكة تغسله فى صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والارض قال ابن اسحاق فسئلت صاحبته فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة صاحبته يعنى امرأته وهى جميلة بنت أبى بن سلول أخت عبد الله بن أبى وكان ابتنى بها تلك الليلة فكانت عروسا عنده فرأت فى النوم تلك الليلة كأن بابا فى السماء قد فتح له فدخله ثم أغلق دونه فعلمت انه ميت من

وانك لو عاينت ما كان منهم * لابت بقلب ما بقيت نحيب «قال ابن هشام» وانما أجاب الحرث بن هشام أباسفيان لانه ظن انه عرض به فى قوله ومازال مهرى مزجر الكلب منهم لفرار الحرث يوم بدر * قال ابن اسحق ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير انه قال والله لقد رأيتنى انظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب مادون أخذهن قليل ولا كثير اذا مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم «قال ابن هشام» الصارخ أزب العقبة يعنى الشيطان * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل العلم ان اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به وكان اللواء مع صواب غلام لابى طلحة حبشى وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فاخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه

غده فدعت رجالا من قومها حين أصبحت فأشهدتهم على الدخول بها خشية أن يكون فى ذلك نزاع ذكره الواقدى فيما ذكر لى وذكر غيره انه التمس فى القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقا لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وفى هذا الخبر متعلق لمن قال من الفقهاء ان الشهيد يغسل اذا كان جنبا ومن الفقهاء من يقول لا يغسل كسائر الشهداء لان التكليف ساقط عنه بالموت * وقول أبى سفيان

ومازال مهرى مزجر الكلب منهم * لدن غدوة حتى دنت لغروب

يروى بخفض غدوة ونصبها فمن خفضه فاعرابه بين لان لدن بمنزلة عند لا يكون ما بعده الا مخفوضا وأما نصبه فغريب وشىء خصت العرب به غدوة ولا يقاس عليها وكثيرا ما يذكرها سيبويه ويمنع من القياس عليها وذلك ان لدن يقال فيها لدن ولد فلما كانت تارة تنون ولا تنون أخرى شبهوها اذا نونت باسم الفاعل فنصبوا غدوة بعدها تشبيها بالمفعول ولولا ان غدوة تنون اذا نكرت وتنون ضرورة اذا كانت معرفة ماعرف نصبها لانها اسم غير منصرف للعلمية والتأنيث نخفضها ونصبها سواء فاذا نونت للضرورة كما فى بيت أبى سفيان أو أردت غدوة من الغدوات تبين حينئذ انهم قصدوا النصب والتشبيه بالمفعول ووجه آخر من البيان وهو انهم قد رفعوها فقالوا لدن غدوة غير مصروفة كما يرفع الاسم بعد اسم الفاعل اذا كان فاعلا وينصب اذا كان مفعولا اذا نون اسم الفاعل كذلك غدوة بعد لدن لا يكون هذا فيها الا اذا نونت لدن فان قلت لدغدوة لم يكن الا الخفض ان نونتها وان تركت صرفها للتعريف فالفتحة علامة خفضها ولا تكون غدوة علما الا اذا أردتها ليوم بعينه وبكرة مثلها فى العلمية وليست مثلها مع لدن وضحوة وعشية مصر وفتان وان أردتهما اليوم بعينه وقد فرغنا من كشف أسرار هذا الباب فى نتائج الفكر وأوضحنا هنالك بدائع وعجائب لم يبينها أحد الا انها منتزعة من فحوى كلام سيبويه ومن قواعده التى أصّل والحمد لله * وقول أبى سفيان فى هذا الشعر بهم خدب الهوج وفى الجمهرة طعنة خدباء اذا هجمت على الجوف وهذا هو الذى أراد أبو سفيان بالخدب * وأما قول حسان

اذا عضل سيقت الينا كانها * جداية شرك معلمات الحواجب

شرك جمع شراك (والجداية جدانة السرج على ان المعروف جدية السرج لا جدايته فى أقرب من هذا المعنى ان يريد الجداية من الوحش وبالشرك الاشراك التى تنصب لها ولذلك قال داميات الحواجب وهذا أصح فى معناه فقد ذكر أبو عبيد ان الجداية يقال للواحد والجميع والذكر والانثى من أولاد الظباء ويبعد أن تكون الجداية جمع جدية وهى جدية السرج والرجل وان كان قد يقال فى الجمع فعال وفعالة نحو جمال وجمالة ولكنه ها هنا بعيد من طريق المعنى والله أعلم) (١ ويروى شرك بكسر الشين وأقرب ما يقال فى معنى هذا البيت انه أراد الجداية من الوحش وهى أولاد الظباء ونحوها وقد ذكر أبو عبيد انه يقال جداية للواحد والجمع والذكر والانثى فيكون الشرك على هذا فى معنى الاشراك التى يصاد بها وقد قيل ان شركا اسم موضع والله أعلم وعضل قبيلة من خزيمة غادرة وسيأتى ذكر غدر عضل والقارة وقوله معلمات الحواجب يعنى بالدماء ويجوز أن يريد سوادها ما بين أعينها كما أنشد سيبويه

وكانه لهق السراة كانه * ماحاجبيه معين بسواد

﴿فصل﴾ وذكر الصارخ يوم أحد بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول ابن هشام الصارخ ازب العقبة هكذا قيد فى هذا الموضع بكسر الهمزة وسكون الزاى وذكر نافى بيعة العقبة ماقاله ابن ما كولا

---

١) هذه الجملة التى بين الدائرتين لم تثبت فى النسخة الثانية فاثبتناها كما هى فليحرر

وهو يقول اللهم هل أعذرت يقول أعذرت فقال حسان بن ثابت فى ذلك

فخرتم باللواء وشر فخر * لواء حين رد الى صواب
جعلتم فخركم فيه بعبد * والأم من يطأ عفر التراب
ظننتم والسفيه له ظنون * وما ان ذاك من أمر الصواب
بان جلادكم يوم التقينا * بمكة بيعكم حمر العياب
أقر العين ان عصبت يداه * وما ان تعصبان على خضاب

« قال ابن هشام » آخرها بيتا يروى لابى خراش الهذلى وأنشدنيه له خلف الاحمر

أقر العين ان عصبت يداها * وما ان تعصبان على خضاب

فى أبيات له يعنى أمرأته فى غير حديث أحد وتروى الابيات أيضا لمعقل بن خويلد الهذلى * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت فى شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء

اذا عضل سيقت الينا كأنها * جداية شرك معلمات الحواجب
أقمنا لهم طعنا مبيرا منكلا * وحزناهم بالضرب من كل جانب
فلولا لواء الحارثية أصبحوا * يباعون فى الاسواق بيع الجلائب

« قال ابن هشام » وهذه الابيات فى أبيات له * قال ابن اسحق وانكشف المسلمون فاصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى وقع لشقه فاصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص * قال ابن اسحق فحدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج فى وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول كيف يفلحوا قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله عز وجل فى ذلك ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون « قال ابن هشام » وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى ان عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ على بن أبى طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخدرى الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمى لم تصبه النار « قال ابن هشام » وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وذكر يعنى عبد العزيز الدراوردى عن اسحق بن يحيى بن طلحة عن عيسى بن طلحة عن عائشة عن أبى بكر الصديق ان أبا عبيدة بن الجراح نزع احدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله

فى أم كرز بنت الازب بن عمرو بن نكيل وانه قال لا يعرف الازب فى العرب الا هذا وأزب العقبة وذكرنا حديث ابن الزبير الذى ذكره القتبي اذ رأى رجلا طوله شبران على برذعة رحله فنفضها منه ثم عاد اليه فقال ما أنت قال أنا أزب قال وما أزب قال رجل من الجن وذكر باقى الحديث فى هذا الحديث ما يدل على انه أزب مع قول يعقوب فى الالفاظ الازب الرجل القصير والله أعلم هل الازب والازب شيطان واحد أو اثنان ويقال الموضع الذى صرخ منه الشيطان جبل عينين ولذلك قيل لعثمان رضى الله عنه أفررت يوم عينين وعينان أيضا بلد عند الحيرة وبه عرف خليد عينين الشاعر

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن قمئة واسمه عبد الله وهو الذى قتل مصعب بن عمير وجرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتبة بن أبى وقاص أخو سعد هو الذى كسر رباعيته عليه السلام ثم لم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم الا وهو أبخر أو أهتم يعرف ذلك فى عقبه وممن رماه يومئذ عبد الله بن شهاب جد شيخ مالك محمد بن مسلم ابن عبد الله بن شهاب وقد قيل لابن شهاب أكان جدك عبد الله بن شهاب ممن شهد بدرا قال نعم ولكن من ذلك الجانب يعنى مع الكفار وعبد الله هذا هو عبد الله الاصغر وأما عبد الله بن شهاب وهو عبد الله الاكبر فهو من مهاجرة الحبشة توفى بمكة قبل الهجرة وقد اختلف فيهما أيهما كان المهاجر الى أرض الحبشة فقيل الاكبر وقيل الاصغر وكان أحدهما جد الزهرى لابيه والآخر لامه وقد أسلم الذى شهد أحداً مع الكفار وجرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله ينفعه باسلامه * وذكر مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى من بنى خدرة وهو الحارث بن الخزرج. والخدرة فى اللغة نحو من خمس الليل وبعده اليعفور وهو خمس آخر من الليل وبعده الجهمة والسدفة والذى قبل الخدرة يقال له الهزيع كل هذا من كتاب كراع * وذكر ان مالك بن سنان مص دم رسول الله صلى الله عليه وسلم وازدرده وقد فعل مثل ذلك ابن الزبير وهو غلام حزوّر حين أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دم محاجمه ليدفنه فشربه فقال له النبى صلى الله عليه

عليه وسلم فسقطت ثنيته ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى فكان ساقط الثنيتين * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبى وقاص

اذا الله جازى معشرا بفعالهم * ونصرهم الرحمن رب المشارق
فاخزاك ربى ياعتيب بن مالك * ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يمينا للنبى تعمدا * فادميت فاه قطعت بالبوارق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذى * تصير اليه عند احدى البوائق

«قال ابن هشام» تركنا منها بيتين أقذع فيهما * قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيته القوم من رجل يشرى لنا نفسه كما حدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن عمرو قال فقام زياد بن السكن فى خمسة نفر من الانصار وبعض الناس يقول انما هو عمارة بن يزيد بن السكن فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ثم رجلا يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى اثبتته الجراحة ثم فاءت فئة من المسلمين فاجهضوهم عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنوه منى فادنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد بن أبى زيد الانصارى ان أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها ياخالة أخبرينى خبرك فقالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى اصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وارمى عن القوس حتى خلصت الجراح الى فرأيت على عاتقها جرحا اجوف له غور فقلت من اصابك بهذا قالت ابن قمئة اقمأه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له انا ومصعب بن عمير واناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربنى هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان * قال ابن اسحق وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو دجانة بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيته يناولنى النبل وهو يقول ارم فداك أبى وأمى حتى انه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول ارم به * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فاخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما * قال ابن اسحق وحدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدى بن النجار قال انتهى انس بن النضر عم انس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والانصار وقد القوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماذا تصنعون بالحياة بعده فموتوا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمى انس بن مالك * قال ابن اسحق فحدثنى حميد الطويل عن انس بن مالك قال لقد وجدنا بانس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه الا اخته عرفته ببنانه «قال ابن هشام» حدثنى بعض اهل العلم ان عبد الرحمن بن عوف اصيب فوه يومئذ فهتم وجرح عشرين جراحة او اكثر اصابه بعضها فى رجله فعرج * قال ابن اسحق وكا اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى كعب ابن مالك قال عرفت عينيه الشريفتين تزهران من تحت المغفر فناديت باعلى صوتى يامعشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وس

وسلم كما قال لمالك حين ازدرد دم جرحه من مس دمه دمى لم تصبه النار لكنه قال لابن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك ذكره الدارقطنى فى السنن وفى هذا من الفقه ان دم رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف دم غيره فى التحريم وكذلك بوله قد شربته أم أيمن حين وجدته فى اناء من عيدان تحت سريره فلم ينكر ذلك عليها وذلك والله أعلم للمعنى الذى بيناه فى حديث نزول الملكين عليه حين غسلا جوفه بالثلج فى طست الذهب فصار بذلك من المتطهرين وبينا أيضاً هنالك انه من المتطهرين كامته لتطهره من الاحداث والحمد لله الا ان أبا عمر النمرى ذكر فى الاستيعاب ان رجلا من الصحابة اسمه سالم حجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرد دمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما علمت ان الدم كله حرام غير انه حديث لا يعرف له اسناد والله أعلم وحديث ابن الزبير الذى تقدم ذكره روى الزبير بن أبى بكر ما يشده ويتمم معناه قال فى حديث أسنده لما ولد عبد الله بن الزبير نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فلما سمعت بذلك أسماء أمه امسكت عن ارضاعه فقال لها عليه السلام ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه

فصل

فاشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انصت * قال ابن اسحق فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضوان الله عليهم والحارث ابن الصمة ورهط من المسلمين فلما اسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب ادركه ابى بن خلف وهو يقول أى محمد لا نجوت ان نجوت فقال القوم يارسول الله ايعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة يقول بعض القوم فيما ذكر لى فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض بها «قال ابن هشام» الشعراء ذباب له لذغ ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا «قال ابن هشام» تدأدأ يقول تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج * قال ابن اسحق وكان أبى بن خلف كما حدثنى صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول يا محمد ان عندى العود فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما رجع الى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم قال قتلنى والله محمد قالوا له ذهب والله فؤادك والله ان بك من بأس قال انه قد قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة

* قال ابن اسحق فقال حسان بن ثابت فى ذلك   لقد ورث الضلالة عن أبيه * أبى يوم بارزه الرسول
أتيت اليه تحمل رم عظم * وتوعده وأنت به جهول   وقد قتلت بنو النجار منكم * أمية اذ يغوث يا عقيل
وتب ابنا ربيعة اذ أطاعا * أبا جهل لامهما الهبول   وأفلت حارث لما شغلنا *
باسر القوم أسرته قليل

«قال ابن هشام» أسرته قبيلته * وقال حسان بن ثابت أيضاً فى ذلك

ألا من مبلغ عنى أبيا * فقد ألقيت فى سحق السعير
تمنى بالضلالة من بعيد * وتقسم أن قدرت على النذور
تمنيك الامانى من بعيد * وقول الكفر يرجع فى غرور
فقد لاقتك طعنة ذى حفاظ * كريم البيت ليس بذى فجور   له فضل على الاحياء طرا * اذا نابت ملمات الامور

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب خرج على بن أبى طالب حتى ملأ درقته ماء من المهراس فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه فلم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه * قال ابن اسحق فحدثنى صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقاص انه كان يقول والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصى على قتل عتبة بن أبى وقاص وان كان ما علمت لسيىء الخلق مبغضا فى قومه ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله * قال ابن اسحق فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب معه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل «قال ابن هشام» كان على تلك الخيل خالد بن الوليد * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه لا ينبغى لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى اهبطوهم من الجبل * قال ابن اسحق ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول أوجب طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع «قال ابن هشام» وبلغنى عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية فى الشعب «قال ابن هشام» وذكر عمر مولى عفرة ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التى أصابته وصلى

﴿ فصل ﴾ وذكر قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبىّ وفيه تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير الشعراء ذباب صغير له لذغ تقول العرب فى أمثالها قيل للذئب ما تقول فى غنيمة تحرسها جويرية قال شحمة فى حلقى قيل فما تقول فى غنيمة يحرسها غليم قال شعراء فى ابطى أخشى خطواته الخطوات سهام من قضبان لينة يتعلم بها الغلمان الرمى وهى الجماح أيضا قال الشاعر

أصابت حبة القلب * بسهم غير جمّاح

من كتاب أبى حنيفة ورواه القتبى تطاير الشعر وقال هى جمع شعراء وهى ذباب أصغر من القمع وفى الحديث من غير رواية ابن اسحاق فزجله بالحربة أى رماه بها *وذكر قتادة بن النعمان بن زيد وهو أخو أبى سعيد الخدرى لامه وهو الرجل الذى سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قل هو الله أحد ويرددها فقال وجبت وحديثه فى الموطأ وذكر ان عينه اصيبت يوم أحد روى عن جابر بن عبد الله قال أصيبت عين رجل منا يوم احد وهو قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته

المسلمون خلفه قعودا * قال ابن اسحق وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم الى المنقى دون الاعوص الى أحد * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رفع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان وثابت بن وقش فى الآطام مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران لا أبالك ما تنتظر فوالله ان بقى لواحد منا من عمره الا ظمء حمار انما نحن هامة اليوم أو غد أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس ولم يعلم بهما فاما ثابت بن وقش فقتله المشركون وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه فقال حذيفة أبى والله فقالوا والله ان عرفناه وصدقوا قال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان رجلا منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب أصابته جراحة يوم احد فاتى به الى دار قومه وهو بالموت فاجتمع اليه أهل الدار فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء أبشر يا ابن حاطب بالجنة قال وكان حاطب شيخا قد عسا فى الجاهلية فنجم يومئذ نفاقه فقال باى شىء تبشرونه بجنة من حرمل غررتم والله هذا الغلام من نفسه

﴿أمر قزمان﴾ * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال كان فينا من رجل أتىّ لا يدرى ممن هو يقال له قزمان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ذكر له انه لمن أهل النار قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا باس فاثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بنى ظفر قال فجعل رجال من المسلمين يقولون له والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فابشر قال بماذا أبشر فوالله ان قاتلت الا عن احساب قومى ولولا ذلك ما قاتلت قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه

﴿قتل مخيريق﴾ * قال ابن اسحق وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان أحد بنى ثعلبة بن الفيطون قال لما كان يوم أحد قال يا معشر يهود والله لقد علمتم ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان اليوم يوم السبت قال لا سبت لكم فاخذ سيفه وعدته وقال ان أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ما شاء ثم غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لى امرأة احبها واخشى ان رأتنى أن تقذرنى فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله رجل من ذريته فسأله عمر من أنت فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لاول أمرها * فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فوصله عمر واحسن جائزته وقد روى ان عينيه جميعا سقطتا فردهما النبى صلى الله عليه وسلم رواه محمد ابن أبى عثمان عن مالك بن أنس عن محمد بن عبد الله بن أبى صعصعة عن ابيه عن ابى سعيد عن اخيه قتادة ابن النعمان قال أصيبت عيناى يوم احد فسقطتا على وجنتى فاتيت بهما النبى صلى الله عليه وسلم فاعادهما النبى صلى الله عليه وسلم مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطنى هذا الحديث غريب عن مالك تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة ورواه الدارقطنى عن ابراهيم الحربى عن عمار بن نصر

﴿فصل﴾ وذكر ثابت بن وقش والوقش الحركة وحسيل بن جابر والد حذيفة بن اليمان وسمى حسيل بن جابر اليمانى لانه من ولد جروة بن مازن بن قطيعة بن عبس وكان جروة قد بعد عن أهله فى اليمن زمنا طويلا ثم رجع اليهم فسموه اليمانى وحذيفة بن اليمان يكنى أبا عبد الله حليف بنى عبد الاشهل امه الرباب بنت كعب قال ابن اسحاق فاختلفت عليه يعنى اليمانى اسياف المسلمين وفى تفسير ابن عباس ان الذى قتله منهم خطأ هو عتبة بن مسعود اخو عبد الله بن مسعود وجد عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه ذكره عبد بن حميد فى التفسير وعتبة هو اول من سمى المصحف مصحفا فيما روى ابن وهب فى الجامع وقول ثابت بن وقش وحسيل انما نحن هامة اليوم أو غد يريد الموت وكان من مذهب العرب فى الميت ان روحه تصير هامة ولذلك قال الآخر * وكيف حياة اصداء وهام * وقوله لم يبق من عمرنا الا ظمء حمار انما قال ذلك لان الحمار أقصر الدواب ظمأ والابل اطولها اظماء * وذكر قزمان وهو اسم مأخوذ

بلغنا محريق خير يهود

﴿ أمر الحرث بن سويد بن صامت ﴾

قال ابن اسحق وكان الحرث بن سويد بن صامت منافقا فخرج يوم أحد مع المسلمين فلما التقى الناس عدا على المجذر بن ذياد البلوى وقيس بن زيد أحد بنى ضبيعة فقتلهما ثم لحق بمكة بقريش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به ففاته فكان بمكة ثم بعث الى أخيه الجلاس بن سويد يطلب التوبة ليرجع الى قومه فانزل الله تعالى فيه فيما بلغنى عن ابن عباس كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين الى آخر القصة «قال ابن هشام» حدثنى من أثق به من أهل العلم ان الحرث بن سويد قتل المجذر ابن ذياد ولم يقتل قيس بن زيد والدليل على ذلك ان ابن اسحق لم يذكره فى قتلى أحد وانما قتل المجذر لان المجذر بن زياد كان قتل أباه سويدا فى بعض الحروب التى كانت بين الاوس والخزرج وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه اذ خرج الحارث بن سويد من بعض حوائط المدينة وعليه ثوبان مضرجان فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فضرب عنقه ويقال بعض الانصار * قال ابن اسحق قتل سويد بن الصامت معاذ بن عفراء غيلة فى غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث * قال ابن اسحق وحدثنى الحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبى سفيان مولى ابن أبى احمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان يقول حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فاذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول أصيرم بنى عبد الاشهل عمرو بن ثابت بن وقش قال الحصين فقلت لمحمود بن أسد كيف كان شأن الاصيرم قال كان يأبى الاسلام على قومه فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد بداله فى الاسلام فاسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل فى عرض الناس فقاتل حتى اثبتته الجراحة قال فبينا رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا للاصيرم ماجاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسألوه ماجاء به فقالوا ماجاء بك يا عمرو أحدب على قومك أم رغبة فى الاسلام قال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفى فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاتلت حتى أصابنى ثم لم يلبث ان مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة

من القزم وهو رذال المال ويقال القزمان الردى من كل شىء * وذكر الاصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش ويقال فيه وقش بتحريك القاف * وقول حاطب المنافق الجنة من حرمل يريد الارض التى دفن فيها وكانت تنبت الحرمل أى ليس له جنة الا ذاك

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر عمرو بن الجموح حين اراد بنوه ان يمنعوه من الخروج الى آخر القصة وزاد غير ابن اسحاق انه لما اخرج قال اللهم لا تردنى فاستشهد فجعلوه بنوه على بعير ليحملوه الى المدينة فاستصعب عليهم البعير فكان اذا وجهوه الى كل جهة سارع الا جهة المدينة فكان يأبى الرجوع اليها فاما لم يقدروا عليه ذكروا قوله اللهم لا تردنى اليها فدفنوه فى مصرعه

﴿ فصل ﴾ وقول هند بنت اثاثة * ملهاشميين الطوال الزهر * بحذف النون من حرف من لالتقاء

﴿ مقتل عمرو بن الجموح وخروجه ﴾

* قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار عن أشياخ من بنى سلمة ان عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له ان الله عز وجل قد عذرك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بنى يريدون ان يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله انى لارجو ان أطأ بعرجتى هذه فى الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يوم أحد

﴿ أمر هند والمثلة بحمزة رضى الله عنه ﴾

قال ابن اسحق ووقعت هند بنت عتبة كما حدثنى صالح بن كيسان والنسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجذعن الاذان والانف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وانفهم خدما وقلائد وأعطت هند خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا غلام جبير بن مطعم وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت باعلى صوتها فقالت

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لى من صبر * ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى * شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى علىّ عمرى * حتى ترم أعظمى فى قبرى

فاجابتها هند بنت اثاثة بن عباد بن المطلب فقالت

خزيت فى بدر وبعد بدر * يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر * ملهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى * حمزة ليثى وعلىّ صقرى
اذ رام شيب وأبوك غدرى * فخضبا منه ضواحى النحر

* وذلك السوء فشر نذر * «قال ابن هشام» تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها * قال ابن اسحق وقالت هند بنت عتبة أيضاً

شفيت من حمزة نفسي باحد * حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد * من لذعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تعلوكم بشؤبوب برد * تقدم أقداما عليكم كالاسد

* قال ابن اسحق فحدثني صالح بن كيسان انه حدث ان عمر ابن الخطاب قال لحسان بن ثابت يا ابن الفريعة «قال ابن هشام» الفريعة بنت خالد بن خنيس و يقال خنبس بن حارثة بن لوذان بن عبدود ابن زيد ابن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج لو سمعت ما تقول هند ورأيت اشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزة قال له حسان والله انى لا نظر الى الحربة تهوى وأنا على رأس فارع يعنى أطمه فقلت والله ان هذه لسلاح ما هى من سلاح العرب وكانها انما تهوى الى حمزة ولا أدرى ولكن أسمعنى بعض قولها اكفيكموها قال فانشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت فقال حسان بن ثابت

أشرت لكاع وكان عادتها • لؤما اذا أشرت مع الكفر

«قال ابن هشام» وهذا البيت فى أبيات له تركناها وأبياتا أيضا له على الدال وأبياتا أخر على الذال لانه أقذع فيها

﴿ لوم الحليس بن زبان الكنانى أبا سفيان على المثلة بحمزة رضى الله عنه ﴾

قال ابن اسحق وقد كان الحليس بن زبان أخو بنى الحرث بن عبد مناة وهو يومئذ سيد الاحابيش مر بابى سفيان وهو يضرب فى شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول ذق عقق فقال الحليس يا بنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما فقال ويحك اكتمها عنى فانها كانت زلة ثم ان ابا سفيان بن حرب حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ باعلى صوته فقال أنعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر أعل هبل أى أظهر دينك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عمر فاجبه فقل الله اعلى وأجل لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له أبو سفيان هلم الى يا عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ائته فانظر ما شانه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا قال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن قال أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر لقول ابن قمئة لهم انى قد قتلت محمدا * قال ابن هشام واسم ابن قمئة عبد الله * قال ابن اسحق ثم نادى أبو سفيان انه قد كان فى قتلاكم مثل والله ما رضيت وما سخطت وما نهيت وما أمرت * ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى ان موعدكم بدر للعام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم هو بيننا وبينك موعد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده لئن أرادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لا ناجزنهم قال على فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة وفرغ الناس لقتلاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى محمد بن

الساكنين ولا يجوز ذلك الا فى من وحدها الكثرة استعمالها كما خصت نونها بالفتح اذا التقت مع لام التعريف ولا يجوز ذلك فى نون ساكنة غيرها كرهوا توالى الكسرتين مع توالى الاستعمال فان التقت مع ساكن غير لام التعريف نحو من ابنك ومن اسمك كسرت على الاصل والقياس المستتب قال سيبويه وقد فتحها قوم فصحاء يعنى مع غير لام التعريف * وقول حسان فى هند أشرت لكاع جعل له اسمها فى غير النداء وذلك جائز وان كان فى النداء أكثر نحو يا غدار ويا فساق وكذلك لكع قد استعمل فى غير النداء نحو قوله عليه السلام أين لكع يعنى الحسن أو الحسين ممازحا لهما فان قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول الا حقا فكيف يقول أين لكع وقد سماه سيدا فى حديث آخر فالجواب انه أراد التشبيه باللكع الذى هو الفلو أو المهر لانه طفل كما ان الفلو والمهر كذلك واذا قصد بالكلام قصد التشبيه لم يكن كذبا ونحو قوله عليه السلام لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس فى الدنيا لكع بن لكع واللكع فى اللغة وسخ الغرلة وهو أيضاً الفلو الصغير فمن أجل هذا اجاز أن يستعمل فى غير النداء لانه على هذا الوجه غير معدول كما عدل خبث عن خبيث وفسق عن فاسق وقال ابن الانبارى فى الزاهر اشتقاقه من الملاكع وهو ما يخرج مع المولود من ماء الرحم ودمها وأنشد

رمت الفلاة بمعجل متسربل * غرس السلى وملاكع الامشاج

قال ويقال فى الواحد يا لكع وفى الاثنين يا ذوى لكيعة ولكاعة ولا تصرف لكيعة ولكن تصرف لكاعة لانه مصدر وفى الجميع يا ذوى لكيعة ولكاعة وفى المؤنث على هذا القياس «قال المؤلف» ولا يقال يا لكاعان ولا فسقان لسر شرحناه فى غير هذا الكتاب وتلخيص معناه ان العرب قصدت بهذا النباء فى النداء قصد العلم لان الاسم العلم ألزم للمسمى من الوصف المشتق من الفعل نحو فاسق وغادر كما قالوا عمر وعدلوا عن عامر الذى هو وصف فى الاصل تحقيقا منهم للعلمية ثم ان الاسم العلم لا يثنى [ولا يجمع] وهو علم فاذا ثنى زال عنه تعريف العلمية

عبدالله بن عبدالرحمن بن أبى صعصعة المازنى أخو بنى النجار من رجل ينظر لى مافعل سعد بن الربيع أفى الاحياء هو أم فى الاموات فقال رجل من الانصار أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سعد فنظر فوجده جريحا فى القتلى و به رمق قال فقلت له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى ان أنظر أفى الاحياء أنت أم فى الاموات قال أنا فى الاموات فابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيا عن أمته فابلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم انه لا عذر لكم عند الله ان خاص الى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف قال ثم لم أبرح حتى مات قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبره * قال ابن هشام وحدثنى أبو بكر الزبيرى ان رجلا دخل على أبى بكر الصديق و بنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها و يقبلها فقال له الرجل من هذه قال هذه بنت رجل خير منى سعد بن الربيع كان من النقباء يوم العقبة وشهد بدرا واستشهد يوم أحد * قال ابن اسحق وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى مارأى لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لامثلن بثلاثين رجلا منهم فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه مافعل قالوا والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب * قال ابن هشام ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال لن أصاب بمثلك أبدا ما وقفت موقفا قط أغيظ الى من هذا ثم قال جاءنى جبريل فاخبرنى ان حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سلمة بن عبد الاسد اخوة من الرضاعة أرضعتهم مولاة لابى لهب * قال ابن اسحق وحدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن محمد بن كعب القرظى وحدثنى من لا اتهم عن ابن عباس ان الله عز وجل انزل فى ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول اصحابه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثل * قال ابن اسحق وحدثنى حميد الطويل عن الحسن عن سمرة ابن جندب قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام قط ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة و ينهانا عن المثلة

العلمية فمن أجل ذلك لم يثنوا يافسق و ياغدر لان فى ذلك نقض المقصود ومن تنزيله منزلة الاسم العلم أى انه مستحق لان يسمى بهذا الاسم فهذا أبلغ من أن يقولوا يافاسق فيجيئوا بالاسم الذى يجرى مجرى الفعل والفعل غير لازم والعلم ألزم منه والتثنية والجمع تبطل العلمية كما ذكرنا فافهمه ووقع فى الموطأ من رواية يحيى فى حديث عبدالله بن عمر انه قال لمولاة له اقعدى لكع وقد عيبت هذه الرواية على يحيى لان المرأة انما يقال لها لكاع وقد وجدت الحديث كما رواه يحيى فى كتاب الدارقطنى و وجهه فى العربية انه منقول غير معدول فجائز أن يقال للامة يا لكع كما يقال لها اذا سبت يا زبل و ياوسخ اذ اللكع ضرب من الوسخ كما قدمناه وهو فى كتاب العين

﴿فصل﴾ وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم من رجل ينظر لى مافعل سعد بن الربيع فقال رجل من الانصار أنا وذكر الحديث الرجل هو محمد بن مسلمة ذكره الواقدى وذكر انه نادى فى القتلى ياسعد بن الربيع مرة بعد مرة فلم يجبه أحد حتى قال ياسعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى انظر ماصنعت فاجابه حينئذ بصوت ضعيف وذكر الحديث وهذا خلاف ماذكره أبو عمر فى كتاب الصحابة فانه ذكر فيه من طريق ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده ان الرجل الذى التمس سعدا فى القتلى هو أبى بن كعب * وذكر عن حميد الطويل عن الحسن عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى النهى عن المثلة وحميد الطويل هو حميد بن تيرويه و يقال ابن تيرى يكنى اباحميدة مولى طلحة الطلحات وهو حديث صحيح فى النهى عن المثلة «فان قيل» فقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم بالحرة «قلنا» فى ذلك جوابان أحدهما انه فعل ذلك قصاصا لانهم قطعوا أيدى الرعاء وأرجلهم وسملوا اعينهم روى ذلك فى حديث انس وقيل ان ذلك قبل تحريم المثلة فان قيل فقد تركهم يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا عطشا قلنا عطشهم لانهم عطشوا اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة روى فى حديث مرفوع انه عليه السلام لما بقى هو واهله تلك الليلة بلا لبن قال اللهم عطش من عطش اهل بيت نبيك وقع هذا فى شرح ابن بطال [وقد خرجه النسوى]

* قال ابن اسحق وحدثنى من لا اتهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجى ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم اتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة * قال ابن اسحق وقد اقبلت فيما بلغنى صفية بنت عبد المطلب لتنظر اليه وكان اخاها لابيها وامها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام القها فارجعها لا ترى ما باخيها فقال لها يا أمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان ترجعى قالت ولم وقد بلغنى ان قد مثل باخى وذلك فى الله فما أرضانا بما كان من ذلك لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله فلما جاء الزبير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك قال خل سبيلها فاتته فنظرت اليه فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن فزعم لى آل عبد الله بن جحش وكان لاميمة بنت عبد المطلب حمزة خاله وقد مثل به كما مثل بحمزة الا انه لم يبقر عن كبده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دفنه مع حمزة فى قبره ولم أسمع ذلك الا عن أهله * قال ابن اسحق وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم الى المدينة فدفنوهم بها ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال ادفنوهم حيث صرعوا * قال ابن اسحق وحدثنى محمد ابن مسلم الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى حليف بنى زهرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على القتلى يوم أحد قال أنا شهيد على هؤلاء انه ما من جريح يجرح فى الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك أنظروا أكثر هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد * وحدثنى عمى موسى بن يسار انه سمع أبا هريرة يقول قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ما من جريح يجرح فى الله الا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون دم والريح ريح مسك * قال ابن اسحق وحدثنى ابى اسحق بن يسار عن أشياخ من بنى سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ حين أمر بدفن القتلى انظروا الى عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام فانهما كانا متصافيين فى الدنيا فاجعلوهما فى قبر واحد * قال ابن اسحق ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش كما ذكر لى فلما لقيت الناس نعى اليها اخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها زوجها

﴿فصل﴾ وروى ابن اسحاق عمن لا يتهم عن مقسم عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى على حمزة وعلى شهداء يوم احد ولم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الاوزاعى لوجهين احدهما ضعف اسناد هذا الحديث فان ابن اسحق قال حدثنى من لا أتهم يعنى الحسن بن عمارة فيما ذكروا ولا خلاف فى ضعف الحسن بن عمارة عند اهل الحديث وأكثرهم لا يرونه شيئا وان كان الذى قال فيه ابن اسحاق حدثنى من لا أتهم غير الحسن فهو مجهول والجهل يوبقه والوجه الثانى انه حديث لم يصحبه العمل ولا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه الا هذه الرواية فى غزوة أحد وكذلك فى مدة الخليفتين الا أن يكون الشهيد مرتثا من المعركة وأما ترك غسله فقد أجمعوا عليه وان اختلفوا فى الصلاة الا رواية شاذة عند بعض التابعين والمعنى فى ذلك والله أعلم تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا» الآية مع ان فى ترك غسله معنى آخر وهو ان دمه أثر عبادة وهو يجىء يوم القيامة وجرحه يثعب دما وريحه ريح المسك فكيف يطهر منه وهو طيب وأثر عبادة ومن هذا الاصل انتزع بعض العلماء كراهية تجفيف الوجه من ماء الوضوء وهو قول الزهرى قال الزهرى وبلغنى انه يوزن ومن هذا الاصل انتزع كراهية السواك بالعشى للصائم لئلا يذهب خلوف فمه وهو أثر عبادة وجاء فيه ما جاء فى دم الشهداء انه أطيب عند الله من ريح المسك ويروى أطيب يوم القيامة من ريح المسك رواه مسلم باللفظين جميعا والمعنى واحد وجاءت الكراهية للسواك بالعشى للصائم عن على وأبى هريرة ذكر ذلك الدارقطنى * وذكر عبد الله بن جحش بن أخت حمزة وانه مثل به كما مثل بحمزة وعبد الله هذا يعرف بالمجدع فى الله لانه جدع انفه وأذناه يومئذ وكان سعد بن أبى وقاص يحدث انه لقيه يوم احد أول النهار فخلا به وقال له عبد الله يا سعد هلم فلندع الله وليذكر كل واحد منا حاجته فى دعائه وليؤمن الآخر قال سعد فدعوت الله أن ألقى فارسا شديدا بأسه شديدا حرده من المشركين فاقتله وآخذ سلبه فقال عبد الله آمين ثم استقبل عبد الله القبلة ورفع يديه الى السماء وقال اللهم لقنى اليوم فارسا شديدا بأسه شديدا حرده يقتلنى ويجدع أنفى وأذنى فاذا لقيتك غدا تقول لى يا عبدى فيم جدع انفك واذناك فاقول فيك يارب وفى رسولك فتقول لى صدقت قل يا سعد آمين قال فقلت آمين ثم مررت به آخر النهار قتيلا مجدوع الانف والاذنين وان اذنيه وانفه معلقان بخيط ولقيت أنا فلانا من المشركين فقتلته وأخذت سلبه وذكر الزبيران سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد فى يده سيفا فقاتل به فكان يسمى ذلك السيف العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغاء التركى بمائتى دينار وهذا

نحو

مصعب بن عمير فصاحت وولوات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة منها لبمكان لما رأى من تثبتها عند اخيها وخالها وصياحها على زوجها * قال ابن اسحق ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الانصار من بنى عبد الاشهل وظفر فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال لكن حمزة لا بواكى له فلما سمع سعد بن معاذ واسيد بن حضير الى دار بنى عبد الاشهل أمرا نساءهم ان يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق حدثنى حكيم بن حكيم ابن عباد بن حنيف عن بعض رجال بنى عبد الاشهل قال لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه فقال ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بانفسكن « قال ابن هشام » ونهى يومئذ عن النوح « قال ابن هشام » وحدثنى ابو عبيدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما سمع بكاءهن قال رحم الله الانصار فان المواساة منهم ما عمت لقديمة مروهن فلينصرفن * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الواحد ابن ابى عون عن اسماعيل بن محمد عن سعد بن ابى وقاص قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها واخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باحد فلما نعوا لها قالت فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا يا ام فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى انظر اليه قال فاشير لها اليه حتى اذا رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة « قال ابن هشام » الجلل يكون من القليل ومن الكثير وهو ههنا من القليل قال امرؤ القيس فى الجلل القليل

لقتل بنى اسد ربهم * الا كل شئ سواه جلل

أى صغير وقليل « قال ابن هشام » والجلل أيضا العظيم قال الشاعر وهو الحارث بن وعلة الجرمى

ولئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

* قال ابن اسحق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال اغسلى عن هذا دمه يا بنية فوالله لقد صدقنى اليوم وناولها على بن ابى طالب سيفه فقال وهذا أيضا فاغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وابو دجانة « قال ابن هشام » وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو الفقار « قال ابن هشام » وحدثنى بعض أهل العلم ان ابن ابى نجيح قال نادى مناد يوم أحد لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على « قال ابن هشام » وحدثنى بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن ابى طالب لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا * قال ابن اسحق وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال فلما كان الغد يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله

نحو من حديث عكاشة الذى تقدم الا أن سيف عكاشة كان يسمى العون وكانت قصة عكاشة يوم بدر وكان الذى قتل عبد الله بن جحش أبو الحكم بن الاخنس بن شريق وكان عبد الله حين قتل ابن بضع وأربعين سنة فيما ذكروا ودفن مع حمزة فى قبر واحد

﴿فصل﴾ ومما وقع فى هذه الغزوة من الكلم الذى يسئل عنه قول أبى سفيان حين قال اعل هبل أى زد علوا ثم قال أنعمت فعال قالوا معناه الازلام وكان استقسم بها حين خرج الى أحد فخرج الذى يحب وقوله فعال أمر أى عال عنها واقصر عن لومها تقول العرب اعل عنى وعال عنى بمعنى أى ارتفع عنى ودعنى ويروى ان الزبير قال لابى سفيان يوم الفتح أين قولك أنعمت فعال فقال قد صنع الله خيرا وذهب أمر الجاهلية وقول عمر لا سواء أى لا نحن سواء ولا يجوز دخول لا على اسم مبتدأ معرفة الا مع التكرار نحو لا زيد قائم ولا عمرو خارج ولكنه جاز فى هذا الموضع لان القصد فيه الى نفى الفعل أى لا يستوى كما جاز لا نولك أى لا ينبغى لك وقد بينا هذا فى أول الكتاب حيث تكلمنا على *قوله فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

﴿فصل﴾ ومما يليق ذكره بهذه الغزاة حديث مخيريق وهو أحد بنى النضير وقوله ان أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ما شاء فاصيب يوم أحد فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف ماله أوقافا وهو أول حبس حبس فى الاسلام روى ذلك عن محمد بن كعب القرظى وقال الزهرى كانت سبع حوائط وأسماؤها الاعراف والاعواف والصافية والدلال وبرقة وحسنى ومشربة أم ابراهيم وانما سميت مشربة أم ابراهيم لانها كانت تسكنها وقد ذكر ابن اسحق حديث مخيريق وهذا الذى ذكرناه تكملة له وزيادة فائدة فيه * وذكر لا سيف الا ذو الفقار بفتح الفاء جمع فقارة وان قيل ذو الفقار بالكسر فهو جمع فقرة وقد تقدم شرحه ووقع فى غير هذه الرواية ان ريحا هبت يوم احد فسمعوا قائلا يقول

لا سيف الا ذو الفقار * ولا فتى الا على

فى أبيات ذكرها وذكر ابن اسحق أيضا من غير رواية البكائى قول على لفاطمة حين غسلت سيفه من الدم

أفاطم هائى السيف غير ذميم * فلست برعديد ولا بلئيم

عليه وسلم فى الناس بطلب العدو واذن مؤذنه ان لا يخرج معنا أحد الا أحد حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يارسول الله ان أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع وقال يابنى انه لا ينبغى لى ولا لك ان نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة وان الذى اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابى السائب مولى عائشة بنت عثمان ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الاشهل كان شهد أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخ لى فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو قلت لاخى أو قال لى أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله مالنا من دابة نركبها ومامنا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسر جرحا منه فكان اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون * قال ابن اسحق فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فاقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة وقد مر به كما حدثنى عبد الله بن ابى بكر معبد بن ابى معبد الخزاعى وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يامحمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الاسد حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا أصبنا حد أصحابه واشرافهم وقادتهم ثم نرجع قبل ان نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ماوراءك يامعبد قال محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ما ضيعوا فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط. قال ويحك ما تقول قال والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى أنهاك عن ذلك قال والله لقد حملنى ما رأيت على ان قلت فيهم أبياتا من شعر قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتى * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
ترى باسد كرام لاتنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدوا أظن الارض مائلة * لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم * اذا تغطمطت البطحاء بالخيل
انى نذير لاهل البسل ضاحية * لكل ذى ربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش تنابلة * وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

فثنى ذلك أباسفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها اليه وأحمل لكم هذه غدا زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا وافيتموه فاخبروه أنا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذى قال أبو سفيان فقال حسبنا الله ونعم الوكيل «قال ابن هشام» حدثنا ابو عبيدة ان أباسفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع الى المدينة ليستأصلوا فيما زعموا بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف لا تفعلوا فان القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان فارجعوا فرجعوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد حين بلغه انهم هموا بالرجعة والذى نفسى بيده لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب قال أبو عبيدة وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه ذلك قبل رجوعه الى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وهو جد عبد الملك

﴿ غزوة حمراء الاسد ﴾

ذكر شعر معبد الخزاعى وفيه * اذا تغطمطت البطحاء بالخيل * لفظ مستعار من الغطمة وهو صوت غليان القدر قوله بالخيل جعل الردف حرف لين والابيات كلها مردفة الروى بحرف مد ولين وهذا هو السناد الذى بيناه فى أول الكتاب عند قول ابن اسحق فسوند بين القبائل ونظيره قول ابن كلثوم * الاهبى بصحنك فاصبحينا * ثم قال تصفقها الرياح اذا جرينا وتسمية هذا اسنادا عربية لا صناعية قال عدى بن الرقاع

وقصيدة قد بت أجمع بينها * حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناته * كيما يقيم ثقافه منآدها

وقوله

ابن لمروان أبو أمه عائشة بنت معاوية وأباعزة الجمحى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره ببدر ثم من عليه فقال يارسول الله أقلنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول خدعت محمدا مرتين اضرب عنقه يا زبير فضرب عنقه «قال ابن هشام» و بلغنى عن سعيد بن المسيب انه قال قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه ياعاصم بن ثابت فضرب عنقه «قال ابن هشام» و يقال ان زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الاسد كان لجا الى عثمان ابن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه على أنه ان وجد بعد ثلاث قتل فاقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبى صلى الله عليه وسلم وقال انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا فوجداه فقتلاه * قال ابن اسحق فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عبد الله بن أبى بن سلول كما حدثنى ابن شهاب الزهرى له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له فى نفسه وفى قومه وكان فيهم شريفا اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فاخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله لست لك باهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنما قلت بجرا أن قمت أشدد أمره فلقيه رجل من الانصار بباب المسجد فقال مالك ويلك قال قمت أشدد أمره فوثب على رجال من أصحابه يجبذوننى و يعنفوننى لكأنما قلت بجرا ان قمت أشدد أمره قال و يلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما أبتغى أن يستغفر لى * قال ابن اسحق وكان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص اختبر الله به المؤمنين ومحق به المنافقين ممن كان يظهر الايمان بلسانه وهو مستخف بالكفر فى قلبه و يوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من اهل ولايته والحمد لله كثيرا لاشريك له

وقوله لا تنابلة التنابلة القصار وأحدهم تنبال تفعال من النبل وهى صغار الحصى * وذكر أباعزة وكان الذى أسره عمير بن عبد الله كذا ذكر بعضهم واحسبه عبد الله بن عمير أحد بنى خدارة أو عبد الله بن عمير الخطمى ومن خبر أبى عزة ماذكر الزبير عن ابن جعدبة والضحاك بن عثمان والجعدبة فى اللغة واحدة الجعادب وهى النفاخات التى تكون فى الماء قالا برص أبو عزة الجمحى فكانت قريش لا تؤاكله ولا تجالسه فقال الموت خير من هذا فاخذ حديدة ودخل بعض شعاب مكة فطعن بها فى معده والمعد موضع عقب الراكب من الدابة وقال ابن جعدبة فمارت الحديدة وقال الضحاك بين الجلد والصفاق فسال منه أصفر فبرئ فقال

اللهم رب وائل ونهد * والتهمات والجبال الجرد
ورب من يرعى بارض نجد * اصبحت عبد الك وابن عبد
أبرأتنى من وضح بجلد * من بعد ماطعنت فى معدى

* وذكر ارسال أبى سفيان مع الركب بالوعيد وكان الموصل مقالته للمؤمنين نعيم بن مسعود فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل كذلك جاء فى التفسير * وذكر قول عبد الله بن أبى حين اخرج من المسجد لكأنما قلت بجرا البجر الامر العظيم والبجارى الدواهى وفى وصية أبى بكر ياهادى الطريق جرت انما هو الفجر والبجر قال الخطابى معناه الداهية وذكر ابن اسحق فى غير هذه الرواية قول النبى صلى الله عليه وسلم فى قتلى احد ياليتنى غودرت مع أصحاب نحض الجبل . نحض الجبل أسفله قاله صاحب العين

تفسير ما نزل من القرآن فى أحد

ذكر ما انزل الله عز وجل فى أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال حدثنا ابو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال فكان مما انزل الله تبارك وتعالى فى يوم احد من القرآن ستون آية من آل عمران فيها صفة ما كان فى يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم «قال ابن هشام» تبوئ المؤمنين تتخذ لهم مقاعد ومنازل * قال الكميت ابن زيد

ليتنى كنت قبله * قد تبوأت مضجعا

وهذا البيت فى ابيات له اى سميع بما تقولون عليم بما تخفون اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا أن تتخاذلا والطائفتان بنو سلمة بن جشم بن الخزرج و بنو حارثة بن النبيت من الاوس وهما الجناحان يقول الله تعالى والله وليهما اى المدافع عنهما ما همتا به من فشلهما وذلك انه انما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن اصابهما عن غير شك فى دينهما فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته حتى سلمتا من وهونهما وضعفهما ولحقتا نبيهما صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» حدثنى رجل من الاسد من اهل العلم قال قالت الطائفتان ما نحب انا لم نهم بما هممنا به لتولى الله ايانا فى ذلك * قال ابن اسحق يقول الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون

أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على وليستعن بى اعنه على امره وادافع عنه حتى ابلغ به وادفع عنه واقويه على نيته ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اى فاتقونى فانه شكر نعمتى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اقل عددا واضعف قوة اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين اى ان تصبروا لعدوى وتطيعوا امرى ويأتوكم من وجههم هذا أمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين «قال ابن هشام» مسومين معلمين بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى انه قال اعلموا على اذناب خيلهم ونواصيها بصوف ابيض فاما ابن اسحق فقال كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضاء وقد ذكرت ذلك فى حديث بدر والسيما العلامة وفى كتاب الله عز وجل سيماهم فى وجوههم من اثر السجود أى علامتهم وحجارة من سجيل منضود مسومة يقول معلمة بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى انه قال عليها علامة انها ليست من حجارة الدنيا وانها من حجارة العذاب قال رؤبة بن العجاج فالآن تبلى بى الجياد السهم * ولا تجارينى اذا ما سوموا * وشخصت أبصارهم وأجذموا * وهذه الابيات فى ارجوزة له والمسومة أيضا المرعية وفى كتاب الله تعالى والخيل المسومة ومنه شجر فيه تسميون تقول العرب سوم خيله وابله واسامها اذا رعاها قال الكميت بن زيد راعيا كان مسجحا ففقدنا * ه وفقد المسيم هلك السوام وهذا البيت فى قصيدة له وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم أى ما سميت لكم من وسمت من جنود ملائكتى الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به لما (١٤٦) أعرف من ضعفكم وما النصر الا من عندى لسلطانى وقوتى وذلك ان العز والحكم الى لا الى أحد من خلقى ثم قال ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين أى ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم أو يردهم خائبين أى ويرجع من بقى منهم فلاًّ خائبين لم ينالوا شيئا مما كانوا يأملون «قال ابن هشام» يكبتهم يغمهم أشد الغم ويمنعهم ما أرادوا قال ذو الرمة فيما

ما انس من شجن لا انس موقفنا * فى حيرة بين مسرور ومكبوت

ويكبتهم أيضا يصرعهم لوجوههم * قال ابن اسحق ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى الا ما أمرتك به فيهم او أتوب عليهم برحمتى فان شئت فعلت أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى فانهم ظالمون أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم اياى والله غفور رحيم أى يغفر الذنب ويرحم العباد على ما فيهم ثم قال يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة أى لا تأكلوا فى الاسلام اذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون اذ أنتم على غيره مما لا يحل لكم فى دينكم واتقوا الله لعلكم تفلحون أى وأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه وتدركون ما رغبكم الله فيه من ثوابه واتقوا النار التى أعدت للكافرين اى التى جعلت دارا لمن كفر بى ثم قال وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره ثم قال وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين أى دارا لمن أطاعنى وأطاع رسولى الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين أى وذلك هو الاحسان وأنا أحب من عمل به والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أى ان أتوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهى الله عنها وما حرم عليهم فاستغفروه لها وعرفوا انه لا يغفر الذنوب الا هو ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أى لم يقيموا على معصيتى كفعل من أشرك بى فيما غلوا به فى كفرهم وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيرى أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار

قد ذكر ابن اسحق ما يحتاج اليه قارىء السيرة من تفسير ذلك وذكر قوله سبحانه «ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم» الآية لم يزد على ما فى الكتاب منه وفى تفسير الترمذى حديث مرفوع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أبى سفيان والحارث بن هشام وعمرو بن العاصى حتى أنزل الله تعالى «ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم» قال فتابوا وأسلموا وحسن اسلامهم وهذا حديث ثابت فى حسن اسلام أبى سفيان خلافا لمن زعم غير ذلك واما الحارث بن هشام فلا خلاف فى حسن اسلامه وفى موته شهيدا بالشام وأما عمرو بن العاصى فقد قال فيه النبى عليه السلام أسلم الناس وآمن عمرو وقال فى حديث جرى ما كانت هجرتى للمال وانما كانت لله ورسوله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نعما بالمال الصالح للرجل الصالح فسماه رجلا صالحا والحديث الذى جرى انه كان قال له انى أريد أن أبعثك وجها يسلمك الله فيه ويغنمك وازعب لك زعبة من المال وستأتى نكت وعيون من أخبار الحارث وأبى سفيان

خالدين فيها ونعم أجر العاملين أى ثواب المطيعين * ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم والبلاء الذى أصابهم والتمحيص لما كان فيهم واتخاذه الشهداء منهم فقال تعزية لهم وتعريفا لهم فيما صنعوا وفيما هو صانع بهم قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أى قد مضت منى وقائع نقمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين فرأوا مثلات قد مضت منى فيهم ولمن هو على مثل ماهم عليه منى مثل ذلك فانى أمليت لهم أى لئلا يظنوا ان نقمتى انقطعت عن عدوكم وعدوى للدولة التى أدلتهم بها عليكم لنبتليكم بذلك لنعلم ما عندكم ثم قال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين أى هذا تفسير للناس ان قبلوا وهدى وموعظة أى نور وأدب للمتقين أى لمن أطاعنى وعرف أمرى ولا تهنوا ولا تحزنوا أى لا تضعفوا ولا تبتئسوا على ما أصابكم وانتم الاعلون اى لكم تكون العاقبة والظهور ان كنتم مؤمنين أى ان كنتم صدقتم نبى بما جاءكم به عنى أن يمسسكم قرح أى جراح فقد مس القوم قرح مثله أى جراح مثلها وتلك الايام نداولها بين الناس أى نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين اى ليميز بين المؤمنين والمنافقين وليكرم من اكرم من اهل الايمان بالشهادة والله لا يحب الظالمين اى المنافقين الذين يظهرون بالسنتهم الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية وليمحص الله الذين آمنوا اى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم وكيف صبرهم ويقينهم ويمحق الكافرين اى يبطل من المنافقين قولهم بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم حتى يظهر منهم كفرهم الذى يستترون به ثم قال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابى الكرامة ولم اختبركم بالشدة وابتليكم بالمكاره حتى اعلم صدق ذلك منكم بالايمان بى والصبر على ما اصابكم فى ولقد كنتم تمنون الشهادة على الذى انتم عليه من الحق قبل ان تلقوا عدوكم يعنى الذين استنهضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خروجه بهم الى عدوهم لما فاتهم من حضور اليوم الذى كان قبله ببدر ورغبة فى الشهادة التى فاتتهم بها فقال ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه يقول فقد رأيتموه وانتم تنظرون اى الموت بالسيوف فى ايدى الرجال قد خلى بينكم وبينهم وانتم تنظرون اليهم ثم صدهم عنكم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين اى لقول الناس قتل محمد صلى الله عليه وسلم وانهزامهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوهم افان مات او قتل رجعتم عن دينكم كفارا كما كنتم وتركتم جهاد عدوكم وكتاب الله وما خلف نبيه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى انه ميت ومفارقكم ومن ينقلب على عقبيه اى يرجع عن دينه فلن يضر الله شيئا اى لن ينقص ذلك عن الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته وسيجزى الله الشاكرين اى من اطاعه وعمل بامره ثم قال وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا اى ان لمحمد صلى الله عليه وسلم اجلا هو بالغه فاذا اذن الله عز وجل فى ذلك كان ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين اى من كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة فى الآخرة نؤته منها ما قسم له من رزق ولا يعدوه فيها وليس له فى الآخرة من حظ ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ما وعده به مع ما يجرى عليه من رزقه فى دنياه وذلك جزاء الشاكرين أى المتقين ثم قال وكاين من نبى قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين أى وكاين من نبى أصابه القتل ومعه ربيون كثير أى جماعة فما وهنوا لفقد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم وذلك الصبر والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين «قال ابن هشام» واحد الربيين

فيما بعد ان شاء الله * وذكر قوله سبحانه «ويتخذ منكم شهداء» وفيه فضل عظيم للشهداء وتنبيه على حب الله اياهم حيث قال ويتخذ منكم شهداء ولا يقال اتخذت ولا أتخذ الا فى مصطفى محبوب قال الله سبحانه «ما اتخذ الله من ولد. وقال ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا» فالاتخاذ انما هو اقتناء واجتباء وهو افتعال من الاخذ فاذا قلت اتخذت كذا فمعناه أخذته لنفسى واخترته لها فالتاء الاولى بدل من ياء وتلك الياء بدل من همزة أخذ فقلبت تاء اذ كانت الواو تنقلب تاء فى مثل هذا البناء نحو اتعد واتزر والياء أخت الواو فقلبت فى هذا الموضع تاء وكثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى قالوا اتخذت بحذف احدى التاءين اكتفاء باحديهما عن الاخرى ولا يكون هذا الحذف الا فى الماضى خاصة لا يقال تتخذ كما يقال تخذ لان المستقبل ليس فيه همزة وصل وانما فروا فى الماضى من ثقل الهمزة فى الابتداء واستغنوا بحركة التاء عنها وكسروا الخاء من تخذت لانه لا مستقبل له مع الحذف فحركوا عين الفعل بالحركة التى كانت له فى المستقبل وكلامنا هذا على اللغة المشهورة والا فقد حكى يتخذ فى لغة ضعيفة ذكرها أبو عبيد وذكرها النحاس فى اعراب القرآن * وذكر قوله سبحانه «أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الى قوله وسيجزى الله الشاكرين» ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب

رى وقولهم الرباب لولد عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس والضبة لأنهم تجمعوا وتحالفوا من هذا يريدون الجماعات وواحدة الرباب ربة وربابة وهى جماعات قداح أوعصى ونحوها فشبهوها بها قال أبو ذؤيب الهذلى

وكأنهن ربابة وكأنه * يسر يفيض على القداح ويصدع

وهذا البيت فى أبيات له وقال أمية بن أبى الصلت

حول شياطينهم ابابيل ربـيون شدوا اسنورا ومدسورا

وهذا البيت فى قصيدة له «قال ابن هشام» والربابة ايضا الخرقة التى تلف فيها القداح «قال ابن هشام» والسنور الدروع والدسر هى المسامير التى فى الحلق يقول الله عز وجل وحملناه على ذات الواح ودسر قال ابو الاخزر الحمانى من تيم

دسرا باطراف القنا المقوم *

قال ابن اسحق اى فقولوا مثل ما قالوا واعلموا انما ذلك بذنوب منكم واستغفروه كما استغفروه وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ولا ترتدوا على اعقابكم راجعين واسألوه كما سألوه ان يثبت اقدامكم واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين فكل هذا من قولهم قد كان وقد قتل نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوهم وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها والله يحب المحسنين يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين اى عن عدوكم بتذهب دنياكم وآخرتكم بل الله مولاكم وهو خير الناصرين فان كان ما تقولون بالسنتكم صدقا فى قلوبكم فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره ولا ترجعوا على اعقابكم مرتدين عن دينه سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب اى الذى به كنت انصركم عليهم بما اشركوا بى ما لم انزل لهم من حجة اى فلا تظنوا ان لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بى واتبعتم امرى للمصيبة التى اصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لانفسكم خالفتم بها امرى وعصيتم فيها نبى صلى الله عليه وسلم ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين أى لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم اذ تحسونهم بالسيوف أى القتل باذنى وتسليطى أيديكم عليهم وكفى أيديهم عنكم «قال ابن هشام» الحس الاستئصال يقال حسست الشئ أى أستأصلته بالسيف وغيره قال جرير

تحسهم السيوف كما تسامى * حريق النار فى الاجم الحصيد

وهذا البيت فى قصيدة له وقال رؤبة بن العجاج

اذا شكونا سنة حسوسا * تأكل بعد الاخضر اليبيسا

وهذان البيتان فى ارجوزة له * قال ابن اسحق حتى اذا فشلتم أى تخاذلتم وتنازعتم فى الامر أى اختلفتم فى أمرى أى تركتم أمر نبيكم وما عهد اليكم يعنى الرماة من بعد ما أراكم ما تحبون أى الفتح لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم منكم من يريد الدنيا أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة ومنكم من يريد الآخرة أى الذين جاهدوا فى الله ولم يخالفوا الى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة فيه رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا الى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا ليختبركم وذلك ببعض ذنوبكم ولقد عفا الله عن عظيم ذلك أن لا يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ولكنى عدت بفضلى عليكم وكذلك من الله على المؤمنين ان عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبا وموعظة فانه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم بما أصابوا من معصيته رحمة لهم وعائدة عليهم لما فيهم من الايمان ثم أنبهم بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهم يدعون ولا يعطفون عليه لدعائه اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم أى كربا بعد كرب بقتل من قتل من اخوانكم وعلو عدوكم عليكم وبما وقع فى أنفسكم من قول من قال قتل نبيكم فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوكم بعد أن رأيتموه باعينكم ولا ما أصابكم من قتل اخوانكم حتى فرجت ذلك الكرب عنكم والله خبير بما تعملون أى وكان الذى فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم ان الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم صلى الله عليه

أهل الردة على أعقابهم فلم يضر ذلك دين الله ولا امة نبيه وكان أبو بكر يسمى امير الشاكرين لذلك وفى هذه الآية دليل على صحة خلافته لانه الذى قاتل المنقلبين على أعقابهم حين ردهم الى الدين الذى خرجوا منه وكان فى قوله سبحانه «وسيجزى الله الشاكرين» دليل على انهم سيظفرون بمن ارتدوا وتكمل عليهم النعمة فيشكرون فتحرى يضمه اياهم على الشكر والشكر لا يكون الا على نعمة دليل على ان بلاء الردة لا يطول وان الظفر بهم سريع كما كان وكذلك قوله سبحانه «قل للمخلفين من الاعراب» فيه أيضاً التصحيح لخلافة أبى بكر لانه الذى دعى الاعراب الى جهاد حنيفة وكانوا أولى بأس شديد ولم يقاتلوا الجزية وانما قوتلوا ليسلموا وكان قتالهم بامر أبى بكر وفى سلطانه ثم قال «فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً» فاوجب عليهم الطاعة لابى بكر فكان فى الاية كالنص على خلافته وكذلك قوله «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» وقد بين فى سورة الحشر من الصادقون وهم المهاجرون بقوله «أولئك هم الصادقون» فامر الذين

وسلم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم والمصيبة التى أصابتهم فى اخوانهم حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور فانزل الله النعاس أمنة منه على أهل اليقين به فهم نيام لايخافون وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية تخوف القتل وذلك أنهم لا يرجون عاقبة فذكر الله عز وجل تلاومهم وحسرتهم على ما أصابهم ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لو كنتم فى بيوتكم لم تحضروا هذا الموطن الذى أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم لاخرج الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الى موطن غيره يصرعون فيه حتى يبتلى به ما فى صدورهم وليمحص به ما فى قلوبهم والله عليم بذات الصدور أى لا يخفى عليه ما فى صدورهم مما استخفوا به منكم ثم قال يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا (١٤٩) فى الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير أى لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون اخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله والضرب فى الارض فى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ويقولون اذا ماتوا أو قتلوا لو أطاعونا ماماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم لقلة اليقين بربهم والله يحيي ويميت أى يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته ثم قال تعالى ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون أى ان الموت لكائن لابد منه فموت فى سبيل الله أو قتل خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد تخوف الموت والقتل بما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة فى الآخرة ولئن متم أو قتلتم أى ذلك كان لالى الله تحشرون أى ان الى الله المرجع فلا تغرنكم الدنيا ولا تغتروا بها وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه من ثوابه آثر عندكم منها ثم قال تبارك وتعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك أى لتركوك فاعف عنهم أى فتجاوز عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم لينه لهم وصبره عليهم لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم فى كل ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم ثم قال تبارك وتعالى فاعف عنهم أى تجاوز عنهم واستغفر لهم ذنوبهم من قارف من أهل الايمان منهم وشاورهم فى الامر أى لتريهم انك تسمع منهم وتستعين بهم وان كنت غنيا عنهم تألفهم بذلك على دينهم فاذا عزمت أى على أمر جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم الا ذلك فامض على ما أمرت به على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك وتوكل على الله أى ارض به من العبادات ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم من

تبوّؤا الدار والايمان أن يكونوا معهم أى تبعا لهم فحصلت الخلافة فى الصادقين بهذه الآية فاستحقوها بهذا الاسم ولم يكن فى الصادقين من سماه الله الصديق الا أبو بكر فكانت له خاصة ثم للصادقين بعده * وذكر قوله تعالى «وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير» ارتفع ربيون على تفسير ابن اسحاق بالابتداء والجملة فى موضع الحال من الضمير فى قتل وهذا أصح التفسيرين لانه قال فما وهنوا لما أصابهم ولو كانوا هم المقتولون ما قال فيهم ما وهنوا لما أصابهم اى ماضعفوا وقد يخرج أيضا قول من قال ربيون مفعول لم يسم فاعله بقتل على ان يكون معنى قوله فما وهنوا أى ما وهن الباقين منهم لما أصيبوا به من قتل اخوانهم وهذا أوجه ولكن سبب نزول الآية يدل على صحة التفسير الاول * وقوله ربيون وهم الجماعات فى قول أهل اللغة وقال ابن مسعود ربيون ألوف وقال أبان بن تغلب الربى عشرة آلاف * وقوله تعالى «فاثابكم غما بغم» وعلى تفسير ابن اسحق غما بعد غم الباء متعلقة بمحذوف التقدير غم مقرون بغم وعلى تفسير آخر متعلقة باثابكم أى اثابكم غما بما غممتم نبيه حين خالفتم أمره * وقوله «ومنكم من يريد الآخرة» قال ابن عباس هو عبد الله بن جبير الذى كان أميرا على الرماة وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم والا يخالفوا أمر نبيهم فثبتت معه طائفة فاستشهد واستشهدوا وهم الذين أرادوا الآخرة وأقبلت طائفة على المغنم وأخذ السلب فكر عليهم العدو وكانت المصيبة وفى الخبر لقد رأيت خدم هند وصواحبها وهن مشمرات فى الحرب والخدم الخلاخيل وكذلك قوله حين ذكر هندا وانها اتخذت من آذان الشهداء وانفهم خدما وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا معناه الخلاخل أيضا * وقوله سبحانه «لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا» فى صحيح التفسير ان معتب بن قشير هو قائل هذه المقالة وكان منبوزا بالنفاق * وقوله «يظنون بالله غير الحق» اى يظنون ان الله خاذل دينه ونبيه * وقوله «ظن الجاهلية» اى اهل الجاهلية كابى سفيان واصحابه * وذكر قوله «وشاورهم فى الامر»

الناس وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده أي لئلا تترك أمري للناس وارفض أمر الناس الى أمري وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون ثم قال وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أي ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ثم يجزى بكسبه غير مظلوم ولا متعدى عليه أفمن اتبع رضوان الله على ما أحب الناس أو سخطوا كمن باء بسخط من الله لرضا الناس أو لسخطهم يقول أفمن كان على طاعتي فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه وكان مأواه جهنم وبئس المصير أسواء المثلان فاعرفوا هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لكل درجات مما عملوا في الجنة والنار أي ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته ثم قال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين أي لقد من الله عليكم يا أهل الايمان اذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم وفيما عملتم فيعلمكم الخير والشر لتعرفوا الخير فتعملوا به والشر فتتقوه ويخبركم برضاه عنكم اذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته لتتخلصوا بذلك من نقمته وتدركوا بذلك ثوابه من جنته وان كنتم من قبل لفي ضلال مبين أي في عمياء من الجاهلية أي لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة صم عن الخير بكم عن الحق عمي عن الهدى * ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شئ قدير أي ان تك قد أصابتكم مصيبة في اخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبل من عدوكم في اليوم الذي كان قبله ببدر قتلا وأسرا ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم ان الله على كل شئ قدير أي ان الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فباذني كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري وصدقتكم وعدي ليميز بين المؤمنين والمنافقين وليعلم الذين نافقوا منكم أي ليظهر ما فيهم وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا يعني عبد الله بن أبي وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى عدوه من المشركين باحد وقولهم لو نعلم انكم تقاتلون لسرنا معكم ولدفعنا عنكم ولكنا لا نظن أنه يكون قتال فاظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم يقول الله عز وجل هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم أي يظهرون لك الايمان وليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون اي ما يخفون الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين أي انه لا بد من الموت فان استطعتم ان تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك انهم انما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله حرصا على البقاء في الدنيا وفرارا من الموت * ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم يرغب المؤمنين في الجهاد ويهون عليهم القتل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون أي لا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا أي قد أحييتهم فهم عندي يرزقون في روح الجنة وفضلها مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أي ويسرون بلحوق من لحقهم من اخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن يقول الله تعالى يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب * قال ابن اسحق وحدثني اسمعيل بن أمية عن أبي الزبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل

وفسره وقد جاء عن ابن عباس انه قال نزلت في أبي بكر وعمر أمر بمشاورتهما * وذكر قوله «وما كان لنبي ان يغل» وفسره ان يكتم ما أنزل الله وأكثر المفسرين يقولون نزلت في الغلول وفي بعض الآثار انهم فقدوا قطيفة من المغنم فقال قائل لعل النبي صلى الله عليه وسلم أخذها فانزل الله الآية ومن قرأ يغل بضم الياء وفتح الغين فمعناه ان يلفى غالا تقول أجبنت الرجل اذا ألفيته جبانا وكذلك أغللته اذا وجدته غالا وقد قال عمرو بن معديكرب لبني سليم قاتلناكم فما أجبناكم وسألناكم فما أبخلناكم وتفسير ابن اسحق خارج عن مقتضى اللغة فمن كتم فقد غل أي ستر وكذلك من خان في شئ وأخذه خفية فقد ستره وكتمه وأصل الكلمة الستر والاخفاء ومنه الغلالة والغلل للماء الذي يغطيه الشجر والنبات وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المغازي باحراق متاع الغال وأخذت به طائفة من الفقهاء منهم احمد واسحاق

﴿فصل﴾ وذكر قوله سبحانه «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله» الآيات وهؤلاء هم الذين سماهم

الله

العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ماصنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تعالى فانا أبلغهم عنكم فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات ولا تحسبن * قال ابن اسحق وحدثنى الحرث ابن الفضيل عن محمود بن لبيد الانصارى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا * قال ابن اسحق وحدثنى من لا اتهم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه سئل عن هؤلاء الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سألنا عنها فقيل لنا انه لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول ياعبادى ماتشتهون فازيدكم قال فيقولون ربنا الافوق ماأعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا قال ثم يطلع الله عليهم اطلاعة فيقول ياعبادى ماتشتهون فازيدكم فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا قال ثم يطلع عليهم اطلاعة فيقول ياعبادى ماتشتهون فازيدكم فيقولون ربنا لافوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا الا أنا نحب أن ترد أرواحنا فى أجسادنا ثم نرد الى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أبشرك ياجابر قال قلت بلى يانبى الله قال ان أباك حيث أصيب باحد أحياه الله عز وجل ثم قال له ماتحب ياعبد الله بن عمرو ان أفعل بك قال أى رب أحب أن تردنى الى الدنيا فاقاتل فيك فاقتل مرة أخرى * قال ابن اسحق وحدثنى عمرو بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده مامن مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع اليها ساعة من نهار وأن له الدنيا ومافيها الا الشهيد فانه يحب أن يرد الى الدنيا فيقاتل فى سبيل الله فيقتل مرة أخرى * قال ابن اسحق ثم قال تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أى الجراح وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد الى حمراء الاسد على مابهم من ألم الجراح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الناس الذين قالوا لهم ماقالوا النفر من عبد قيس الذين قال لهم أبو سفيان ماقال قالوا ان أباسفيان ومن معه راجعون اليكم يقول الله عز وجل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم انما ذلكم الشيطان أى لاولئك الرهط وما ألقى

الله شهداء بقوله « ويتخذ منكم شهداء » وهذا الاسم مأخوذ من الشهادة أو من المشاهدة فان كان من الشهادة فهو شهيد بمعنى مشهود أى مشهود عليه ومشهود له بالجنة أما مشهود عليه فلان النبى صلى الله عليه وسلم حين وقف على قتلى أحد قال هؤلاء الذين أشهد عليهم أى أشهد عليهم بالوفاء وقال عليهم ولم يقل لهم لان المعنى أجىء يوم القيامة شهيدا عليهم وهى ولاية وقيادة فوصلت بحرف على ويجوز ان يكون من الشهادة وتكون فعيلا بمعنى فاعل لان الله تعالى يقول « وتكونوا شهداء على الناس » أى تشهدون عليهم وهذا وان كان عاما فى جميع أمة محمد عليه الصلاة والسلام فالشهداء أولى بهذا الاسم اذهم تبع للصديقين والنبيين قال الله سبحانه « فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء » فهذان وجهان فى معنى الشهيد اذا جعلته مشتقا من الشهادة وان كان من المشاهدة فهو فعيل بمعنى فاعل أيضا لانه يشاهد من ملكوت الله ويعاين من ملائكته مالا يشاهد غيره ويكون أيضا بمعنى مفعول وهو من المشاهدة أى ان الملائكة تشاهد قبضه والعروج بروحه ونحو ذلك فيكون فعيلا بمعنى مفعول وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون فعيلا بمعنى مفعول ويكون معناه مشهودا له بالجنة أو يشهد عليه النبى عليه السلام كما قال هؤلاء أنا شهيد عليهم أى قيم عليهم بالشهادة لهم واذا حشروا تحت لوائه فهو وال عليهم وان كان شاهدا لهم فمن ههنا اتصل الفعل بعلى فتقوى هذا الوجه من جهة الخبر ومن وجه آخر من العربية وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر الشهداء قال والمرأة تموت بجمع شهيد ولم يقل شهيدة وفى رواية أخرى قال والنفساء شهيد يجرها جنينها بسرره الى الجنة ولم يقل شهيدة وفعيل اذا كان صفة لمؤنث كان بغير هاء اذا كان بمعنى مفعول نحو امرأة قتيل وجريح وان كان بمعنى فاعل كان بالهاء كقولهم امرأة عليمة ورحيمة ونحو ذلك فدل على أن الشهيد مشهود له ومشهود عليه وهذا استقراء من اللغة صحيح واستنباط من الحديث بديع فقف عليه * وذكر ابن اسحق حديث ابن عباس المرفوع وفيه ان الله جعل أرواحهم فى أجواف طير خضر وعن قتادة قال ذكر لنا ان أرواح الشهداء تعارف عند السدرة فى أجواف طير بيض وقد أنكر هذه الرواية قوم وقالوا لايكون روحان فى جسد واحد وان ذلك محال وهذا

جهل بالحقائق فان معنى الكلام بين فان روح الشهيد الذى كان فى جسده فى الدنيا يجعل فى جسد آخر كانه صورة طائر فيكون فى هذا الجسد الآخر كما كان فى الاول الى أن يعيده الله يوم القيامة كما خلقه وهذه الرواية لا تعارض ماروه من قوله فى صور طير خضر والشهداء طير خضر وجميع الروايات كلها متفقة المعنى وانما الذى يستحيل فى العقل قيام حياتين بجوهر واحد فيحيا الجوهر بهما جميعا وأما روحان فى جسد فليس بمحال اذا لم نقل بتداخل الاجسام فهذا الجنين فى بطن أمه و روحه غير روحها وقد اشتمل عليهما جسد واحد وهذا أن لو قيل لهم ان الطائر له روح غير روح الشهيد وهما فى جسد واحد فكيف وانما قال فى أجواف طير خضر أى فى صورة طير خضر كما تقول رأيت ملكا فى صورة انسان وكذلك قوله عليه السلام انما نسمة المؤمن طائر يعلق فى ثمر الجنة تأوله بعضهم مخصوصاً بالشهيد وقال بعضهم انما الشهيد فى الجنة يأكل منها حيث شاء ثم يأوى الى قناديل معلقة فى العرش وغير الشهيد من المؤمنين نسمته أى روحه طائر لا ان روحه جعل فى جوف طائر ليأكل و يشرب كما فعل بالشهيد لا كن الروح نفسه طائر يعلق بشجر الجنة يعلق بفتح اللام ينشب بها و يرى مقعده منها ومن رواه يعلق فمعناه يصيب العلقة أى ينال منها ماهو دون نيل الشهيد فضرب العلقة مثلا لان من أصاب العلقة من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيره ممن أدرك الرغد فهو مثل مضروب يفهم منه هذا المعنى وان كان أراد بيعلق الاكل نفسه فهو مخصوص بالشهيد فتكون رواية من رواه بالضم للشهداء و رواية الفتح لمن دونهم فالله اعلم بما اراد رسوله من ذلك * وقوله ثم تأوى الى قناديل يصدقه قوله تعالى عز وجل « والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم » وانما تاوى الى تلك القناديل ليلا وتسرح نهاراً فتعلم بذلك الليل من النهار و بعد دخول الجنة فى الآخرة لا تأوى الى تلك القناديل والله اعلم وانما ذلك مدة البرزخ هذا ما يدل عليه ظاهر الحديث وقال مجاهد الشهداء يأكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها وقد أنكر ابو عمر قول مجاهد و رده وليس بمنكر عندى و يشهد له ماوقع فى مسند ابن ابى شيبة وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الشهداء بنهر أو على نهر يقال له بارق عند باب الجنة فى قباب خضر يأتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا فهذا يبين ما اراد مجاهد والله اعلم ومما وقع فى السيرة أيضاً ولم يذكره ابن هشام حديث رواه ابن اسحاق قال حدثنى اسحاق بن عبد الله بن أبى فروة قال حدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهداء ثلاثة فادنى الشهداء عند الله منزلة رجل خرج مسودا بنفسه و رحله لا يريد أن يقتل ولا يقتل (١) أتاه سهم غرب فاصابه قال فاول قطرة تقطر من دمه يغفر الله بها ما تقدم من ذنبه ثم يهبط الله اليه جسدا من السماء فيجعل فيه روحه ثم يصعد به الى الله فما يمر بسماء من السموات الا شيعته الملائكة حتى ينتهى به الى الله فاذا انتهى به اليه وقع ساجدا ثم يؤمر به فيكسى سبعين زوجا من الاستبرق ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كاحسن ما رأيتم من شقائق النعمان وحدث كعب الاحبار عن قول رسول الله عليه السلام فقال كعب الاحبار أجل كاحسن ما رأيتم من شقائق النعمان ثم يقول اذهبوا به الى اخوانه من الشهداء فاجعلوه معهم فيؤتى به اليهم فى قبة خضراء فى روضة خضراء عند باب الجنة يخرج عليهم حوت وثور من الجنة لغدائهم فيلعبانهم حتى اذا كثر عجبهم منها طعن الثور الحوت بقرنه فيقره لهم عما يدعون ثم يروحان عليهم لعشائهم فيلعبانهم حتى اذا كثر عجبهم منهما ضرب الحوت الثور بذنبه فيقره لهم عما يدعون فاذا انتهى الى اخوانه سالوه كما تسئلوا الراكب يقدم عليكم ببلاد كم فيقولون ما فعل فلان فيقول أفلس فيقولون فما أهلك ماله فوالله ان كان لكيسا جموعا

الشيطان على أفواههم يخوف أولياءه أى يرهبكم بأوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر أى المنافقون انهم لن يضروا الله شيأ يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أى المنافقين وما كان الله ليطلعكم على الغيب أى فيما يريد من يبتليكم به لتحذروا مايدخل عليكم فيه ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء أى يعلمه ذلك فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا أى ترجعوا وتتوبوا فلكم اجر عظيم

---

١) فى الثانية : يريد أن يقتل ولا يقتل • وكذا قوله فيلعبانهم بالنون فى الثانية فيلعبا بهم فليراجع

تاجرا

ذكر من استشهد باحد من المهاجرين * قال ابن اسحق واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ثم من بنى هاشم بن عبد مناف * حمزة بن عبد المطلب بن هاشم رضى الله عنه قتله وحشى غلام جبير بن مطعم * ومن بنى أمية بن عبد شمس عبد الله بن جحش حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة * ومن بنى عبد الدار بن قصى مصعب بن عمير قتله ابن قمئة الليثى * ومن بنى مخزوم بن يقظة شماس بن عثمان أربعة نفر * ومن الانصارى ثم من بنى عبد الاشهل عمرو بن معاذ بن النعمان * والحرث بن أنس ابن رافع * وعمارة بن زياد بن السكن « قال ابن هشام » السكن بن رافع بن امرىء القيس ويقال السكن * قال ابن اسحق وسلمة بن ثابت ابن وقش * وعمرو بن ثابت بن وقش رجلان * قال ابن اسحق وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة ان أباهما ثابتا قتل يومئذ * ورفاعة بن وقش * وحسيل بن جابر أبو حذيفة وهو اليمان أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون فتصدق حذيفة بديته على من أصابه * وصيفى بن قيظى * وحباب بن قيظى * وعباد بن سهل والحرس بن أوس بن معاذ اثنا عشر رجلا * ومن أهل راتج اياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن زعور بن جشم بن عبد الاشهل * وعبيد بن التيهان « قال ابن هشام » ويقال عتيك بن التيهان * وحبيب بن يزيد بن تيم ثلاثة نفر * ومن بنى ظفر يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع رجل * ومن بنى عمرو بن عوف ثم من بنى ضبيعة بن زيد أبو سفيان بن الحرث بن قيس بن زيد * وحنظلة بن أبى عامر بن صيفى بن نعمان بن مالك بن أمة وهو غسيل الملائكة قتله شداد بن الاسود بن شعوب الليثى رجلان « قال ابن هشام » قيس بن زيد بن ضبيعة * ومالك بن أمة بن ضبيعة * قال ابن اسحق ومن بنى عبيد بن زيد * انيس بن قتادة رجل * ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف أبو حية وهو أخو سعد بن خيثمة لامه « قال ابن هشام » أبو حنة بن عمرو بن ثابت * قال ابن اسحق وعبد الله ابن جبير بن النعمان وهو امير الرماة رجلان * ومن بنى السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الاوس خيثمة ابو سعد بن خيثمة رجل * ومن حلفائهم من بنى العجلان عبد الله بن سلمة رجل * ومن بنى معاوية بن مالك سبيع بن حاطب بن الحرث بن قيس بن هيشة رجل « قال ابن هشام » ويقال سويبق بن الحرث بن حاطب بن هيشة * قال ابن اسحق * ومن بنى النجار ثم من بنى سواد بن مالك بن غنم عمرو بن

تاجرا فيقال لهم انا لا نعد الفلس ما تعدون وانما نعد الفلس من الاعمال فما فعل فلان وامرأته فلانه فيقول طلقها فيقولون فما الذى نزل بينهما حتى طلقها فوالله ان كان بها لمعجبا فيقولون ما فعل فلان فيقولون مات أيهات قبل بزمان فيقولون هلك والله ما سمعنا له بذكر ان لله طريقين أحدهما علينا والآخر يخالف بها عنا فاذا أراد الله بعبد خيرا مر به علينا فعرفناه وعرفنا متى مات واذا أراد الله بعبد شرا خولف به عنا فلم اسمع له بذكر هلك والله فلان فان هذا لادنى الشهداء عند الله منزلة وان الآخر رجل خرج مسودا بنفسه ورحله يحب أن يقتل ولا يقتل أتاه سهم غرب فاصابه فذلك رفيق ابراهيم خليل الرحمن يوم القيامة يحك ركبتاه ركبتيه وأفضل الشهداء رجل خرج مسودا بنفسه ورحله يحب أن يقتل وأن يقتل وقاتل حتى قتل قعصا فذلك يبعثه الله يوم القيامة شاهرا سيفه يتمنى على الله لا يسئله شيئا الا أعطاه اياه وقع فى هذا الحديث ذكر الحوت ولعبه مع الثور وقد خرجه هناد بن السرى باسناد حسن فى كتاب الرقاق له باكثر مما وقع ها هنا وفى الصحيحين منه ذكر أكل أهل الجنة من كبد الحوت أول ما يأكلون ثم ينحر لهم ثور الجنة وفى هذا الحديث من باب التفكر والاعتبار ان الحوت لما كان عليه قرار هذه الارض وهو حيوان سابح ليستشعر أهل هذه الدار انهم فى منزل قلعة وليس بدار قرار فاذا نحر لهم قبل أن يدخلوا الجنة فاكلوا من كبده كان فى ذلك اشعارهم بالراحة من دار الزوال وانهم قد صاروا الى دار القرار كما يذبح لهم الكبش الاملح على الصراط وهو صورة الموت ليستشعروا أن لا موت واما الثور فهو آلة الحرث وأهل الدنيا لا يخلون من أحد الحرثين حرث لدنياهم وحرث لاخراهم ففى نحر الثور لهم هنالك اشعار بار احتهم من الكدين وترفيههم من نصب الحرثين فاعتبر والله المستعان

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحاق فيمن استشهد يوم أحد عبيد بن التيهان واسم التيهان مالك ولم يرفع نسبه وكذلك فعل فى هذا النسب حيث وقع فى هذا الكتاب وهو نسب مختلف فيه وقد رفعناه عند ذكر أبى الهيثم وذكرنا الخلاف فيه هنالك وقول كعب بن ملك * ولا مثل أضياف الاراشى معشرا * يعنى أبا الهيثم فجعله أراشيا وليست اراشة من الانصار ونسبه موسى بن عقبة فى جماعة معه الى بلى وقالوا هو حليف الانصار وليس من أنفسهم وقال ابن اسحق والواقدى فى المستشهد يوم أحد عبيد بن التيهان وقال ابن عقبة وأبو معشر وابن عمارة هو عتيك بن التيهان * وذكر فيهم اباحبة الانصار البدرى وقال ابن هشام أبو حنة بن ثابت بالنون وكذلك قال الواقدى قال ليس فيمن شهد يوم بدر امن اسمه أبو حبة بالباء وكذلك

قيس * وابنه قيس بن عمرو «قال ابن هشام» عمرو بن قيس بن زيد بن سواد * قال ابن اسحق وثابت بن عمرو بن زيد * وعامر بن مخلد اربعة نفر * ومن بنى مبذول ابو هبيرة بن الحرث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول * وعمرو بن مطرف بن علقمة بن عمرو رجلان * ومن بنى عمرو بن مالك اوس بن ثابت بن المنذر رجل «قال ابن هشام» اوس بن ثابت اخو حسان بن ثابت * قال ابن اسحق ومن بنى عدى بن النجار * انس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار رجل «قال ابن هشام» انس بن النضر عم انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن بنى مازن بن النجار قيس بن مخلد * وكيسان عبد لهم رجلان * ومن بنى دينار بن النجار * سليم بن الحرث * ونعمان بن عبد عمرو رجلان * ومن بنى الحرث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبى زهير * وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير دفنا فى قبر واحد * وأوس بن الارقم بن زيد بن قيس بن نعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب ثلاثة نفر * ومن بنى الابجر وهم بنو خدرة مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الابجر وهو أبو أبى سعيد الخدرى «قال ابن هشام» اسم أبى سعيد الخدرى سنان ويقال سعد * قال ابن اسحق وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الابجر * وعتبة بن ربيع بن رافع ابن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الابجر ثلاثة نفر * ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة ابن عمرو بن الخزرج بن ساعدة وثقف بن فروة بن البدى رجلان * ومن بنى طريف رهط سعد بن عبادة عبد الله بن عمرو بن وهب ابن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف * وضمرة حليف لهم من بنى جهينة رجلان * ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى سالم ثم من بنى مالك ابن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم نوفل بن عبد الله * وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان * ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر ابن غنم بن سالم * والمجذر بن ذياد حليف لهم من بلى * وعبادة بن الحسحاس دفن النعمان بن مالك والمجذر وعبادة فى قبر واحد خمسة نفر * ومن بنى الحبلى رفاعة بن عمرو رجل * ومن بنى سلمة ثم من بنى حرام بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام * وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام دفنا فى قبر واحد * وخلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام * وأبو أيمن مولى عمرو بن الجموح أربعة نفر * ومن بنى سواد بن غنم سليم بن عمرو بن حديدة ومولاه عنترة * وسهل بن قيس بن أبى كعب بن القين ثلاثة نفر * ومن بنى زريق بن عامر ذكوان بن عبد قيس * وعبيد بن المعلى بن لوذان رجلان «قال ابن هشام» عبيد بن المعلى من بنى حبيب * قال ابن اسحق فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار خمسة وستون رجلا «قال ابن هشام» وممن لم يذكر ابن اسحق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا من الاوس ثم من بنى معاوية بن مالك * مالك بن نميلة حليف لهم من مزينة * ومن بنى خطمة واسم خطمة عبد الله بن جشم بن مالك بن الاوس * الحرث بن عدى بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة * ومن الخزرج ثم من بنى سواد بن مالك مالك بن اياس * ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار اياس بن عدى * ومن بنى سالم بن عوف عمرو بن اياس

> روى موسى بن عقبة عن ابن شهاب ابو حنة بالنون شهد بدراً واستشهد يوم احد وهو من الاوس واسمه ثابت وقيل عمرو بن ثابت والاختلاف فى اسمه وفى كنيته كثير واما ابو حبة المستشهد يوم اليمامة فهو ابو حبة ابن غزية بالباء المنقوطة بواحدة من اسفل ولم يخالف فى ذلك الا من لا يؤبه بقوله واسمه زيد بن غزية بن عمرو وهو من الخزرج والاول من الاوس وقد قيل فى الاول ابو حية بياء معجمة باثنتين فالله اعلم وحنة بالنون دير حنة معروف بالشام وحنة ام مريم بنت عمران وخنة بخاء منقوطة بنت يحيى بن اكثم القاضى وهى ام محمد بن نصر المروزى الفقيه وجنة بالجيم لا يعرف الا ابو جنة خال ذى الرمة الشاعر قاله ابن ماكولا * وذكر فيمن استشهد يوم احد عبد الله بن سلمة العجلانى سلمة بفتح اللام تقيد فى الاصل وفى الاصول
>
> الصحاح

﴿ذكر من قتل من المشركين يوم أحد﴾

قال ابن اسحق وقتل من المشركين يوم أحد من قريش ثم من بنى عبد الدار بن قصى من أصحاب اللواء طلحة بن أبى طلحة واسم أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه وأبو سعد بن أبى طلحة قتله سعد بن أبى وقاص «قال ابن هشام» ويقال قتله على بن أبى طالب * قال ابن اسحق وعثمان بن أبى طلحة قتله حمزة بن عبد المطلب ومسافع بن طلحة وجلاس بن طلحة قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح وكلاب بن طلحة والحرث بن طلحة قتلهما قزمان حليف لبنى ظفر «قال ابن هشام» ويقال قتل كلابا عبد الرحمن بن عوف * قال ابن اسحق وارطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة بن عبد المطلب وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان وصواب غلام لهم حبشى قتله قزمان «قال ابن هشام» ويقال قتله على بن أبى طالب ويقال سعد بن أبى وقاص ويقال أبو دجانة * قال ابن اسحق والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف ابن

عبد الدار قتله قزمان أحد عشر رجلا * ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي عبد الله بن حميد بن زهير بن الحرث بن أسد قتله علي بن أبي طالب رجل * ومن بني زهرة بن كلاب أبو الحكم بن الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف لهم قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسباع بن عبد العزى واسم عبد العزى عمرو بن نضلة من غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى حليف لهم من خزاعة قتله حمزة بن عبد المطلب رجلان * ومن بني مخزوم بن يقظة هشام بن أبي أمية بن المغيرة قتله قزمان والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة قتله قزمان وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة قتله علي بن أبي طالب وخالد بن الاعلم حليف لهم قتله قزمان أربعة نفر * ومن بني جمح بن عمرو وعمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة ابن جمح وهو أبو عزة قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا وأبي ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده رجلان * ومن بني عامر بن لؤي عبيدة بن جابر وشيبة بن مالك بن المضرب قتلهما قزمان رجلان « قال ابن هشام » ويقال قتل عبيدة بن جابر عبد الله بن مسعود * قال ابن اسحق فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين اثنان وعشرون رجلا

﴿ ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد ﴾

* قال ابن اسحق وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد قول هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم « قال ابن هشام » عائذ بن عمران بن مخزوم

ما بال هم عميد بات يطرقني * بالود من هند اذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هند وتعذلني * والحرب قد شغلت عني مواليها
مهلا فلا تعذليني ان من خلقي * ما قد علمت وما ان لست أخفيها
مساعف لبني كعب بما كلفوا * حمال عبء وأثقال أعانيها
وقد حملت سلاحي فوق مشترف * ساط سبوح اذا يجري يباريها
كأنه اذ جرى عير بفدفدة * مكدم لاحق بالعون يحميها
من آل أعوج يرتاح الندى له * كجذع شعراء مستعل مراقيها
أعددته ورقاق الحد منتخلا * ومارنا لخطوب قد ألاقيها
هذا وبيضاء مثل النهي محكمة * لظت علي فما تبدو مساويها
سقنا كنانة من أطراف ذي يمن * عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة أنى تذهبون بنا * قلنا النخيل فأموها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الجر من أحد * هابت معد فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضرابا وطعنا صادقا خذما * مما يرون وقد ضمت قواصيها
ثمت رحنا كأنا عارض برد * وقام هام بني النجار يبكيها
كأن هامهم عند الوغى فلق * من قيض ربد نفته عن أداحيها
أو حنظل زعزعته الريح في غصن * بال تعاوره منها سوافيها
قد نبذل المال سحا لا حساب له * ونطعن الخيل شزرا في مآقيها
وليلة يصطلي بالفرث جازرها * يختص بالنقرى المثرين داعيها
وليلة من جمادى ذات أندية * جربا جمادية قد بت أسريها
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * من القريس ولا تسري أفاعيها
أوقدت فيها لذي الضراء حامية * كالبرق ذاكية الاركان أحميها
أورثني ذلكم عمرو ووالده * من قبله كان بالمثنى يغاليها

الصحاح من رواية ابن هشام وذكره الدارقطني في باب سلمة بكسر اللام واخبر أنها رواية ابراهيم بن سعد عن ابن اسحاق وكذلك ذكر ابو عمر ايضا انها رواية ابراهيم بن سعد والله اعلم

﴿ شرح ما وقع في هذه الغزوة من الاشعار ﴾

وقد شرطنا الاضراب عن شرح شعر الكفرة والمفاخرين بقتال النبي صلى الله عليه وسلم الا من آمن منهم لكنه ذكر في شعر هبيرة الذي بدأ به بيتين ليسا من شعره فلذلك ذكرتهما وهما

وليلة يصطلي بالفرث جازرها * يختص بالنفرى المثرين داعيها
في ليلة من جمادى ذات أندية * جربا جمادية قد بت أسريها

قوله يصطلي بالفرث أي يستدفئ به من شدة البرد * وقوله يختص بالنفرى المثرين يريد يختص الاغنياء طلباً لمكافأتهم وليأكل عندهم يصف شدة الزمان قاله يعقوب في الالفاظ ونسبهما للهذلي وكذلك قال ابن هشام في هذين البيتين انهما ليسا لهبيرة ونسبهما لجنوب أخت عمرو ذي الكلب الهذلي * وقوله ذات اندية جمع ندى على غير قياس وقد قيل انه جمع الجمع كأنه جمع ندى على نداء مثل جمل وجمال ثم جمع الجمع على أفعلة وهذا بعيد في القياس لان الجمع الكثير لا يجمع وفعال من أبنية الجمع الكثير وقد قيل هو جمع ندي والندي المجلس وهذا لا يشبه معنى البيت ولكنه جمع جاء على مثال أفعلة لانه في معنى الاهوية والاشتية ونحو ذلك وأقرب من ذلك انه في معنى الرذاذ والرشاش وهما يجمعان على أفعلة وأراد بجمادى الشهر وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر في زمن جمود الماء ثم انتقل بالاهلة وبقي الاسم عليه وان كان في الصيف والقيظ وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سميت باسماء ماخوذة من أحوال السنة الشمسية ثم لزمتها وان خرجت عن تلك

كانوا يبارون أنواء النجوم فما * دنت عن السورة العليا مساعيها

* قال ابن اسحق فاجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال   سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم * الى الرسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية * فالنار موعدها والقتل لاقيها   جمعتموهم أحابيشا بلا حسب * أئمة الكفر غرتكم طواغيها
الا اعتبرتم بخيل الله اذ قتلت * أهل القليب ومن ألقينه فيها   كم من أسير فككناه بلا ثمن * وجز ناصية كنا مواليها

« قال ابن هشام » أنشدنيها أبو زيد الانصارى لكعب بن مالك « قال ابن هشام » وبيت هبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه

وليلة يصطلى بالفرث جازرها * يختص بالنقرى المثرين داعيها

يروى لجنوب أخت عمرو ذى الكلب الهذلى فى أبيات لها فى غير يوم أحد * قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبى وهب أيضا

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم * من الارض خرق سيره متنعنع   صحار واعلام كان قتامها * من البعد نقع هامد متقطع
تظل به البزل العراميس رزحا * ويخلو به غيث السنين فيمرع   به جيف الحسرى يلوح صليبها * كما لاح كتان التجار الموضع
به العين والآرام يمشين خلفة * وبيض نعام قيضه يتقلع   مجالدنا عن ديننا كل فخمة * مذربة فيها القوانس تلمع
وكل صموت فى الصوان كانها * اذا لبست نهى من الماء مترع   ولكن ببدر سائلوا من لقيتم * من الناس

والانباء بالغيب تنفع
وانا بارض الخوف لو كان أهلها
* سوانا لقد أجلوا بليل فاقشعوا
اذا جاء منا راكب كان قوله *
أعدوا لما يزجى ابن حرب
ويجمع
فمهما يهم الناس مما يكيدنا *
فنحن له من سائر الناس
أوسع
فلو غيرنا كانت جميعا تكيده
الـ *
برية قد أعطوا يدا وتورعوا
نجالد لا تبقى علينا قبيلة *
من الناس الا أن يهابوا ويفظعوا   ولما ابتنوا بالعرض قال سراتنا * علام اذا لم تمنع العرض نزرع   يقول

وفينا رسول الله نتبع أمره * اذا قال فينا القول لا نتطلع   تدلى عليه الروح من عند ربه * ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصرنا * اذا ما اشتهى انا نطيع ونسمع   وقال رسول الله لما بدوا لنا * ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشرى الحياة تقربا * الى ملك يحيا لديه ويرجع   ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا * على الله ان الامر لله أجمع
فسرنا اليهم جهرة فى رحالهم * ضحيا علينا البيض لا نتخشع   بملمومة فيها السنور والقنا * اذا ضربوا أقدامها لا تورع
فجئنا الى موج من البحر وسطه * أحابيش منهم حاسر ومقنع   ثلاثة آلاف ونحن نصية * ثلاث مئين ان كثرنا فأربع
نغاورهم تجرى المنية بيننا * نشارعهم حوض المنايا ونشرع   تهادى قسى النبع فينا وفيهم * وما هو الا اليثربى المقطع
ومنجوفة حرمية صاعدية * يذر عليها السم ساعة تصنع   تصوب بابدان الرجال وتارة * تمر باعراض البصار تقعقع
وخيل تراها بالفضاء كانها * جراد صبا فى قرة يتربع   فلما تلاقينا ودارت بنا الرحا * وليس لامر حمه الله مدفع
ضربناهم حتى تركنا سراتهم * كانهم بالقاع خشب مصرع   لدن غدوة حتى استفقنا عشية * كان ذكانا حر نار تلفع
وراحوا سراعا موجعين كانهم * جهام هراقت ماءه الريح مقلع   ورحنا وأخرانا بطاء كاننا * أسود على لحم ببيشة ضلع
فنلنا ونال القوم منا وربما * فعلنا ولكن مالدى الله أوسع   ودارت رحانا واستدارت رحاهم * وقد جعلوا كل من الشر يشبع

الاوقات * وذكر شعر كعب بن مالك يجيب هبيرة وأوله ألا هل أتى غسان وقد افتتح قصيدة اخرى فى اشعار بدر بهذا اللفظ فقال * ألا هل أتى غسان فى ناى دارها * وانما ذكر غسان لانهم بنو عم الانصار والانصار بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر والذين بالشام بنو جفنة بن عمرو بن عامر والكل غسان لان غسان ماء شربوا منه حين ارتحالهم من اليمن فسموا به * وقوله سيره متنعنع أى مضطرب وقوله العراميس جمع عرمس وهى الناقة القوية على السير * وقوله قيضه يتقلع اى يتشقق والقيض قشور البيض والقوانس جمع قونس وهى بيضة السلاح * وقوله وكل صموت فى الصوان يعنى الدرع جعلها صموتا لشدة نسجها واحكام صنعتها والنهى والنهى الغدير سمى بذلك لان ماءه قد منع من الجريان بارتفاع الارض فغادره السيل فسمى غديرا ونهته الارض فسمى نهيا * وقوله ومنجوفة مفعولة من نجفت اذا حفرت ويكون أيضا من نجفت العنز اذا شددتها بالنجاف وهو الحبل فان كان أراد الرماح فمعنى قوله منجوفة أى مشدودة مثقفة وان كان اراد أسنتها فهى أيضا منجوفة من نجفت اذا حفرت لان ثعلب الرمح داخل فى الحديدة فهى منجوفة له وان كان أراد السيوف فمنجوفة أى كالمحفورة لان متونها مدوسة مضروبة بمطارق الحديد فهى كالمحفورة * وقوله تصوب بابدان الرجال وتارة * تمر باعراض البصار تقعقع

ونحن أناس من لا نرى القتل سبة * على كل من يحمى الذمار و يمنع
جلاد على ريب الحوادث لا نرى * على هالك عينا لنا الدهر تدمع
بنو الحرب لا نعيا بشىء نقوله * ولا نحن مما جرت الحرب نجزع
بنو الحرب ان نظفر فلسنا بفحش * ولا نحن من أظفارها نتوجع
وكنا شهابا يتقى الناس حره * و يفرج عنه من يليه و يسفع
فخرت على ابن الزبعرى وقد سرى * لكم طلب من آخر الليل متبع
فسل عنك فى عليا معد وغيرها * من الناس من أخزى مقاما وأشنع
ومن هو لم تترك له الحرب مفخرا * ومن خده يوم الكريهة أضرع
شددنا بحول الله والنصر شدة * عليكم وأطراف الاسنة شرع
نكر القنا فيكم كان فروعها * عزالى مزاد ماؤها يتهزع
عمدنا الى أهل اللواء ومن يطر * بذكر اللواء فهو فى الحمد أسرع
فخانوا وقد أعطوا يدا وتخاذلوا * أبى الله الا أمره وهو أصنع

« قال ابن هشام » وكان كعب بن مالك قد قال * مجالدنا عن جذمنا كل فخمة * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيصلح أن تقول مجالدنا عن ديننا فقال كعب نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أحسن فقال كعب مجالدنا عن ديننا * قال ابن اسحق وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد

يا غراب البين أسمعت فقل * انما تنطق شيئا قد فعل
ان للخير وللشر مدى * وكلا ذلك وجه وقبل
والعطيات خساس بينهم * وسواء قبر مثر ومقل
كل عيش ونعيم زائل * وبنات الدهر يلعبن بكل
أبلغا حسان عنى آية * فقريض الشعر يشفى ذا الغلل
كم ترى بالجر من جمجمة * وأكف قد أترت ورجل
وسرابيل حسان سريت * عن كماة أهلكوا فى المنتزل
كم قتلنا من كريم سيد * ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قرم بارع
غير ملتاث لدى وقع الاسل
فسل المهراس ماساكنه * بين أقحاف وهام كالحجل
ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل
حين حكت بقباء بركها * واستحر القتل فى عبد الاشل
ثم خفوا عند ذاكم رقصا * رقص الحفان يعلو فى الجبل
فقتلنا الضعف من أشرافهم * وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس الا اننا * لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم * عللا تعلوهم بعد نهل

فاجابه حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه فقال

ذهبت يا ابن الزبعرى وقعة * كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم * وكذاك الحرب أحيانا دول
نضع الاسياف فى أكتافكم * حيث نهوى عللا بعد نهل
نخرج الاصبح من استاهكم * كسلاح النيب يأكلن العصل
اذ تولون على أعقابكم * هربا فى الشعب أشباه الرسل
اذ شددنا شدة صادقة * فاجاناكم الى سفح الجبل
بخناطيل كاشراف الملا * من يلاقوه من الناس يهل

يقول تشق أبدان الرجال حتى تبلغ البصار فتقعقع فيها وهى جمع بصرة وهى حجارة لينة ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة مثل كريمة وكرام والبصيرة الدرع وقيل الترس والبصيرة أيضا طريقة الدم فى الارض فان كانت فى الجسد فهى جدية ولا معنى لها فى هذا البيت وقول ابن الزبعرى

يا غراب البين أسمعت فقل * انما تنطق شيا قد فعل

قوله قد فعل أى قد فرغ منه وقد كانوا فى الجاهلية يقرون بالقدر وقال لبيد فى الجاهلية

ان تقوى ربنا خير نفل * وباذن الله ريثى والعجل
من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال ومن شاء أضل

وقال راجزهم

يا أيها اللائم لمنى أو فذر * ان كنت أخطات فما أخطا القدر

وقوله غير ملتاث هو مفتعل من اللوثة كما قال الضبى * عند الحفيظة ان ذى لوثة لانا * والمهراس حجر منقور يمسك الماء فيتوضا منه شبه بالمهراس الذى هو الهاون ووهم المبرد فجعل المهراس اسما علما للمهراس الذى باحد خاصة وانما هو اسم لكل حجر نقر فامسك الماء وروى ابن عبدوس عن مالك انه سئل عن رجل يمر بمهراس فى أرض فلاة كيف يغتسل منه فقال مالك هلا قلت مر بغدير ومن يجعل له مهراسا فى أرض فلاة فهذا يبين لك ان المهراس ليس مخصوصا بالمهراس الذى كان باحد وكذلك وقع فى غريب الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بقوم يتجارون مهراسا أى يرفعونه * قول حسان يجيبه * هربا فى الشعب أشباه الرسل * يعنى الغنم اذا أرسلها الراعى يقال لها حينئذ رسل * وقوله كاشراف الملا الاشراف جمع شرف وهو الشخص والملا ما اتسع من الارض و يريد بالاشراف ههنا أشخاص الشجر

ضاق عنا الشعب اذ نجزعه * وملأنا الفرط منه والرجل
برجال لستم أمثالهم * أيدوا جبريل نصرا فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى * طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم * وقتلنا كل جحجاج رفل
وتركنا في قريش عورة * يوم بدر وأحاديث المثل
ورسول الله حقا شاهد * يوم بدر والتنابيل الهبل
في قريش من جموع جمعوا * مثل ما يجمع في الخصب الهمل
نحن لا أمثالكم ولداستها * نحضر الباس اذا الباس نزل

« قال ابن هشام » وانشدني أبو زيد الانصاري وأحاديث المثل والبيت الذي قبله وقوله في قريش من جموع جمعوا عن غير ابن اسحق . قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين رضي الله عنهم

نشجت وهل لك من منشج *
وكنت متى تذكره تلجج
تذكر قوم أتاني لهم *
أحاديث في الزمن الاعوج
فقلبك من ذكرهم خافق *
من الشوق والحزن المنضج
وقتلاهم في جنان النعيم *
كرام المداخل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء *
لواء الرسول بذي الاضوج
غداة أجابت باسيافها *
جميعا بنو الاوس والخزرج
وأشياع أحمد اذ شايعوا *
على الحق ذي النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكماة *
ويعضون في القسطل المرهج
كذلك حتى دعاهم مليك *
الى جنة دوحة المولج
فكلهم مات حر البلاء *
على ملة الله لم يحرج
كحمزة لما وفى صادقا *
بذي هبة صارم سلجج
فلاقاه عبد بني نوفل *
يبربر كالجمل الادعج
فاوجره حربة كالشهاب *
تلهب في اللهب الموهج

ونعمان أوفى بميثاقه * وحنظلة الخير لم يحنج
ومنه
عن الحق حتى غدت روحه * الى منزل فاخر الزبرج
أولئك لا من ثوى منكم * من النار في الدرك المرتج

فاجابه ضرار بن الخطاب الفهري فقال

أيجزع كعب لاشياعه * ويبكي من الزمن الاعوج
عجيج المذكى رأى ألفه * تروح في صادر محنج
فراح الروايا وغادرنه * يعجعج قسرا ولم يحدج
فقولا لكعب يثني البكا * وللنيء من لحمه ينضج
لمصرع اخوانه في مكر * من الخيل ذي قسطل مرهج

واصولها * وقوله يهل اراد فيهل ثم جزم للشرط فانحذفت الالف لالتقاء الساكنين وهو من الهول يقال هالني الامر يهولني هولا اذا أفزعك * وقوله وملأنا الفرط اراد الفرط بتحريك الراء وهي الاكمة وما ارتفع من الارض والرجل جمع رجلة وهو المطمس من الارض والرجلة ايضا في معنى الرجل من الجراد قال الشاعر * وتحت نحور الخيل حرشف رجلة * يريد بالحرشف جماعة الربا وهم صغار الجراد ضرب بهم مثلا للرجالة والرماة وجمع الفرط افراط * وقوله ولداستها كلمة تقولها العرب عند السب تقول يا بني استها والولد يعني الاولاد وكتب اهل دمشق الى اهل مزة وهي على فرسخ من دمشق وكانوا امسكوا عنهم الماء فكتبوا اليهم من اهل دمشق الى بني استها وبعد فاما ان يسينا الماء والا صبحتكم الخيل ذكره الجاحظ * وقوله في المؤمنين أيدوا جبريل أي أيدوا بجبريل وحذف الجار فتعدى الفعل فنصب ولا يضر هذا الحذف الا أن يكون الفعل المتعدي بحرف جر متضمنا لمعنى فعل آخر ناصب كقولهم أمرتك الخير أي كلفتك الخير وألزمتكه ولا يستقيم نهيتك الشر اذ ليس في معنى نهيتك فعل ناصب * وقوله أيدوا جبريل أي أصحبوه ونحو هذا فحسن حذف الباء لهذا * وقول حسان * تخرج الاصبح من أستاهكم * رواه أبو حنيفة تخرج الاضياح وهو اللبن الممزوج بالماء وهو في معنى الاصبح لان الصحبة بياض غير خالص فجعله وصفا اللبن الممذوق المخرج من بطونهم * وقوله * كسلاح النيب يأكلن العصل * العصل نبات كالرفلين يصلح الابل اذا أكلته ويكترشر بها اللماء وهو من الحمض وينبت في السباخ قاله أبو حنيفة . وقول كعب بن مالك * لواء الرسول بذي الاضوج * الاضوج جمع ضوج والضوج جانب الوادي * وقوله في القسطل المرهج القسطل الغبار وكذلك الرهج وقد شرحنا السلجج فيما مضى والجمل الادعج يعني الاسود ومنه الحديث في صفة النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه دعج وفي أشفاره وطف * وقوله وحنظلة الخير لم يحنج أي لم يمله شيء عن الطريق المستقيم يقال حنجت الشيء اذا أملته وعدلته عن وجهه ويقال أيضا أحنجته فهو محنج وسيأتي في الشعر بعد هذا ما يدل عليه * وقوله * عن الحق حتى غدت روحه * أنث الروح لانه في معنى النفس وهي لغة مشهورة معروفة أمر ذو الرمة عند موته أن يكتب على قبره

يا نازع الروح من جسمي اذا قبضت * وفارج الكرب أنقذني من النار

فكان ذلك مكتوبا على قبره * وقوله فاخر الزبرج أي فاخر الزينة أي ظاهرها * وقوله في الدرك المرتج أي المغلق يقال ارتجت الباب اذا أغلقته وهو من الرتاج قالت جارية من العرب ماتت أمها وتزوج أبوها

ولكن قد أتى من دون ودي * وبين فؤاده غلق الرتاج
ومن لم يؤذه ألم برأسي * وما الرئمان الا بالنتاج

فياليت عمرا وأشياعه * وعتبة فى جمعنا السورج
فيشفوا النفوس باوتارها * بقتلى أصيبت من الخزرج
وقتلى من الاوس فى معرك * أصيبوا جميعا بذى الاضوج
ومقتل حمزة تحت اللواء * بمطرد مارن مخلج
وحيث انثنى مصعب ثاويا * بضربة ذى هبة سلجج
باحد وأسيافنا فيهم * تلهب كاللهب الموهج
غداة لقيناكم فى الحديد * كأسد البراح فلم نعنج
بكل مجلحة كالعقا * ب وأجرد ذى ميعة مسرج
فدسناهم ثم حتى انثنوا * سوى زاهق النفس أو محرج

« قال ابن هشام » و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها الضرار وقول كعب ذى النور والمنهج عن أبى زيد الانصارى * قال ابن اسحق وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد يبكى القتلى

ألا ذرفت من مقلتيك دموع * وقد بان من حبل الشباب قطوع
وشط بمن تهوى المزار وفرقت * نوى الحى دار بالحبيب فجوع
وليس لما ولى على ذى حرارة * وان طال تذراف الدموع رجوع
فذر ذا ولكن هل أتى أم مالك * أحاديث قومى والحديث يشيع
ومجنبنا جردا الى أهل يثرب * عناجيج منها متلد ونزيع
عشية سرنا فى لهام يقودنا * ضرور الاعادى للصديق نفوع
نشد علينا كل زعف كانها * غدير بضوج الواديين نقيع
فلما رأونا خالطتهم مهابة * وعاينهم أمر هناك فظيع
وودوا لو أن الارض ينشق ظهرها * بهم وصبور القوم ثم جزوع
وقد عريت بيض كان وميضها * حريق ترقى فى الاباء سريع
بايماننا نعلو بها كل هامة * ومنها سمام للعدو ذريع
فغادرن قتلى الاوس عاصبة بهم * ضباع وطير يعتفين وقوع
وجمع بنى النجار فى كل تلعة * بابدانهم من وقعهن نجيع
ولولا علو الشعب غادرن أحمدا * ولكن علا والسمهرى شروع
كما غادرت فى الكر حمزة ثاويا * وفى صدره ماضى الشباة وقيع
ونعمان قد غادرن تحت لوائه * على لحمه طير يجفن وقوع
باحد وأرماح الكماة يردنهم * كما غال أشطان الدلاء نزوع

فاجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

أشاقك من أم الوليد ربوع * بلاقع ما من أهلهن جميع

عفاهن صيفى الرياح وواكف
من الدرجاف السحاب هموع

ومنه قيل ارتج على الخطيب اذا أغلق عليه باب القول * و فى شعر ضرار من جمعنا السورج وهو فوعل من السراج يريد المضى * وفى شعر حسان * وفوا اذا كفرتم ياسخين بربكم * أراد سخينة فرخم

فلم يبق الا موقد النار حوله * رواكد أمثال الحمام كنوع
فدع ذكر دار بددت بين أهلها * نوى لمتينات الحبال قطوع
وقل ان يكن يوم باحد يعده * سفيه فان الحق سوف يشيع
فقد صابرت فيه بنو الاوس كلهم * وكان لهم ذكر هناك رفيع
وحامى بنو النجار فيه وصابروا * وما كان منهم فى اللقاء جزوع
أمام رسول الله لا يخذلونه * لهم ناصر من ربهم وشفيع
وفوا اذ كفرتم ياسخين بربكم * ولا يستوى عبد وفى ومضيع
بايديهم بيض اذا حمس الوغى * فلا بد أن يردى لهن صريع
كما غادرت فى النقع عتبة ثاويا * وسعدا صريعا والوشيج شروع
وقد غادرت تحت العجاجة مسندا * أبيا وقد بل القميص نجيع
بكف رسول الله حيث تنصبت * على القوم مما قد يثرن نقوع
أولئك قوم سادة من فروعكم * وفى كل قوم سادة وفروع
بهن نعز الله حتى يعزنا * وان كان أمرا ياسخين فظيع
فلا تذكروا قتلى وحمزة فيهم * قتيل ثوى لله وهو مطيع
فان جنان الخلد منزلة له * وأمر الذى يقضى الامور سريع
وقتلاكم فى النار أفضل رزقهم * حميم معا فى جوفها وضريع

«قال ابن هشام» و بعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان وابن الزبعرى وقوله ماضى الشباة وطير يحفن عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال عمرو بن العاصى يوم أحد

خرجنا من الفيفا عليهم كاننا * مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق
تمنت بنو النجار جهلا لقاءنا * لدى جنب سلع والامانى تصدق
فما راعهم بالشر الا فجاءة * كراديس خيل فى الازقة تمرق
أرادوا لكيما يستبيحوا قبابنا * ودون القباب اليوم ضرب محرق
وكانت قبابا أومنت قبل ماترى * اذا رامها قوم أبيحوا واحنقوا
كان رؤس الخزرجيين غدوة * وأيمانهم بالمشرفية بروق

فاجابه كعب بن مالك فيما ذكر ابن هشام فقال

ألا أبلغا فهرا على نأى دارها * وعندهم من علمنا اليوم مصدق
بانا غداة السفح من بطن يثرب * صبرنا ورايات المنية تخفق
صبرنا لهم والصبر منا سجية * اذا طارت الابرام نسمو ونرتق
على عادة تلكم جرينا بصبرنا * وقدما لدى الغايات نجرى فنسبق
لنا حومة لا تستطاع يقودها * نبى أتى بالحق عف مصدق
ألا هل أتى أفناء فهر بن مالك * مقطع أطراف وهام مفلق

* قال ابن اسحق وقال ضرار بن الخطاب

انى وجدك لولا مقدمى فرسى * اذ جالت الخيل بين الجزع والقاع

مازال منكم بجنب الجزع من أحد * أصوات هام تزاقى أمرها شاعى
وفارس قد اصاب السيف مفرقة * أفلاق هامته كفروة الراعى
انى وجدك لا أنفك منتطقا * بصارم مثل لوح الملح قطاع
على رحالة ملواح مثابرة * نحو الصريخ اذا ماثوب الداعى
وما انتميت الى خور ولا كشف * ولا لئام غداة الباس أوراع
بل ضار بين حبيك البيض اذ لحقوا * شم العرانين عند الموت لذاع
شم بهاليل مسترخ حمائلهم * يسعون للموت سعيا غير دعداع

(وقال ضرار بن الخطاب أيضا)

لما أتت من بنى كعب مزينة * والخزرجية فيها البيض تأتلق
وجردوا مشرفيات مهندة * وراية كجناح النسر تختفق
فقلت يوما بايام ومعركة * تبنى لما خلفها ماهزهز الورق
قد عودوا كل يوم أن تكون لهم * ريح القتال وأسلاب الذين لقوا
خيرت نفسى على ما كان من وجل * منها وأيقنت ان المجد مستبق
أكرهت مهرى حتى خاض غمرتهم * وبله من نجيع عائك علق
فظل مهرى وسربالى جسيدهما * نفخ العروق رشاش الطعن والورق
أيقنت انى مقيم فى ديارهم * حتى يفارق ما فى جوفه الحدق
لا تجزعوا يا بنى مخزوم ان لكم * مثل المغيرة فيكم ما به زهق
صبرا فدى لكم أمى وما ولدت * تعاوروا الضرب حتى يدبر الشفق

(وقال عمرو بن العاصى)

لما رأيت الحرب ينـ * ـزو واشرها بالرضف نزوا
وتنازلت شهباء تلـ * ـحوا الناس بالضراء لحوا
أيقنت ان الموت حق * والحياة تكون لغوا
حملت أثوابى على * عتد يبذ الخيل رهوا
سلس اذا نكبن فى البيداء يعلو الطرف علوا
واذا تنزل ماؤه * من عطفه يزداد زهوا
ربذ كيعفور الصريمة راعه الرامون دحوا
شنج نساء ضابط * للخيل ارخاء وعدوا
ففدى لهم أمى غداة الروع اذ يمشون قطوا
سيرا الى كبش الكتيبة اذ جلته الشمس حلوا

«قال ابن هشام» وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو * قال ابن اسحق فاجابهم يقال كعب بن مالك رضى الله عنه فقال

أبلغ قريشا وخير القول أصدقه * والصدق عند ذوى الالباب مقبول
أن قد قتلنا بقتلانا سراتكم * أهل اللواء ففيما يكثر القيل
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد * فيه مع النصر ميكال وجبريل
ان تقتلونا فدين الحق فطرتنا * والقتل فى الحق عند الله تفضيل
وان تروا أمرنا فى رأيكم سفها * فرأى من خالف الاسلام تضليل
فلا تمنوا لقاح الحرب واقتعدوا * ان أخا الحرب أصدى اللون مشغول
ان لكم عندنا ضربا تراح له * عرج الضباع له خذم رعابيل
انا بنو الحرب نمريها وننتجها * وعندنا لذوى الاضغان تنكيل
ان ينج منها ابن حرب بعد ما بلغت * منه التراقى وأمر الله مفعول
فقد أفادت له حلما وموعظة * لمن يكون له لب ومعقول
ولو هبطتم ببطن السيل كافحكم * ضرب بشاكلة البطحاء ترعيل
تلقاكم عصب حول النبى لهم * مما يعدون للهيجا سرابيل
من جذم غسان مسترخ حمائلهم * لا جبناء ولا ميل معازيل
يمشون تحت عمايات القتال كما * تمشى المصاعبة الادم المراسيل
أو مثل مشى أسود الظل الثقها * يوم رذاذ من الجوزاء مشمول
فى كل سابغة كالنهى محكمة * فثامها فلج كالسيف بهلول
ترد حد قرام النبل خاسئة * ويرجع السيف عنها وهو مفلول
ولو قذفتم بسلع عن ظهوركم * وللحيات ودفع الموت تأجيل
مازال فى القوم وتر منكم أبدا * تعفو السلام عليه وهو مطلول
عبد وحر كريم موثق قنصا * شطر المدينة ماسور ومقتول
كنا نؤمل أخراكم فاعجلكم * منا فوارس لا عزل ولا ميل
اذا جنى فيهم الجانى فقد علموا * حقا بان الذى قد جر محمول
ما نحن لا نحن من اثم مجاهرة * ولا ملوم وفى الغرم مخذول

وعنى قريشا لانها كانت تلقب بذلك * وفى أشعار ضرار فى العينية منها أمرها شاع أراد شائع فقلبت كما قال الآخر * لاث به الاشاء والعبرى * أراد لائث وكما جاء فى الحديث لا يحتكر الطعام الا طاغ أو باغ أو زاغ أراد زائغ * وفى شعره القافى * رشاش الطعن والورق * الورق ما تعقد من الدم قاله ابن دريد وغيره وفيه ما به رهق أى عيب والمرهق من الرجال المعيب * وفى شعر عمرو بن العاصى يمشون قطوا القطو والاقطيطاء مشى القطا * وفى شعر كعب خذم رعابيل الخذم القطع بالاسنان ورعابيل قطع متمزقة يقال خباء مرعبل أى متمزق * وقوله * انا بنو الحرب نمريها وننتجها * مستعار من مريت الناقة اذا استدررت لبنها ونتجتها اذا استخرجت منها ولداً يقال نتجت الناقة ونتجها أهلها وأما أنتجت تنتج فاذا دنا نتاجها * وقوله * يوم رذاذ من الجوزاء مشمول * يريد من أيام انواء الجوزاء وهو نوء الهقعة أو الهقعة وذلك فى الشتاء فى شهر كانون الاول ومشمول من الريح الشمال * وقوله الثقها من اللثق وهو البلل والطين اليسير والرذاذ معروف وهو أكثر من الطش والبعش والطل نحو منه أو أقوى منه قليلا

وقال حسان بن ثابت يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد «قال ابن هشام» هذه أحسن ما قيل

منع النـوم بالعشاء الهـموم * وخيال اذا تغـور النجـوم
من حبيب أصاب قلبك منه * سـقم فهو داخـل مكتوم
ياقومى هل يقتل المرء مثلى * واهن البطش والعظام سؤوم
لو يدب الحـولى من ولد الذ * رعليها لاندبتها الكلوم
شأنها العطر والفراش ويعـلو * ها لجـين ولؤلؤ منظوم
لم تفتها شمس النهار بشئ * غـيران الشباب ليس يدوم
ان خالى خطيب جابية الجـو * لان عند النعمان حين يقوم
وانا الصقر عند باب ابن سـلمى * يوم نعمان فى الـكبول سقيم
وأبى وواقـد أطلقا لى * يوم راحوا كبلهم مخطوم

ورهنت اليـدين عنهـم جميعا * كل كف
جزء لها مقسوم
وسطت نسبتى الذوائب
منهم
كل دار فيهـا أب لى عظيم
وأبى فى سميحة القائل الفا *
صل يوم التقت عليه الخصوم
تلك أفعالنا وفعل الزبعرى *
خامل فى صـديقه مذموم
رب حلم أضاعه عدم الما *
ل وجهل غطى عليه النعيم
ان دهـرا يبور فيـه ذووا
العلـ
ـم لدهـر هـو العتو الزنـيم
لا تسبننى فلست بسبى *
ان سبى من الرجال الكريم
ما أبالى أنب بالحزن تيس *
أم لحانى بظهـر غيب لئيم
ولى البأس منكم اذ رحلتم *
أسرة من بنى قصى صميم
تسـعة تحمل اللـواء
وطارت
فى رعاع من القنا مخـزوم
وأقاموا حتى أبيحوا جميعا *
فى مقام وكلهـم مذمـوم
بدم عانـك وكان حفاظا * ان يقيموا ان الـكريم كريم
وأقاموا حـتى أزيروا شـعوبا * والقنا فى نحـورهم محطوم
وقـريش تفـر منا لواذا * ان يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حمـله العـواتق منهـم * انما يحـمل اللـواء النجوم

«قال ابن هشام» قال حسان هذه القصيدة * منع النوم بالعشاء الهموم * ليلا فدعا قومه فقال لهم خشيت أن يدركنى أجلى قبل أن أصبح فلا ترووها عنى «قال ابن هشام» أنشدنى أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلمى يمدح على بن أبى طالب رضى الله عنـه ويذكر قتله طلحة بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار صاحب لواء المشركين يوم أحد

لله أى مذبب عن حرمة * أعنى ابن فاطمة المعم المخولا
سبقت يداك له بعاجل طعنة * تركت طليحة للجبين مجدلا

يقال أرض مطلولة ومبغوشـة ولا يقال مرذوذة ولـكن يقال مرذة ومرذ عليها قاله الخطابى * وذكر شـعر حسان قال ابن هشام هذه أجود ما قال وهذه القصيدة التى قالها حسان ليلا ونادى قومـه أنا أبو الحسام أنا أبو الوليد وهما كنيتان له ثم أمرهم ان يروها عنـه قبل النهار مخافة ان يعوقه عائق نخر فيها على ابن الزبعرى بمقامات له عند ملوك الشام من أبناء جفنة افتك فيها عناة من قومه * وذكر مقام خالد عند النعمان الغسانى من آل جفنة وليس بالنعمان بن المنذر وقال فيها

رب حلم أضاعه عدم المـا * ل وجهل غطا عليه النعيم

غطا بتخفيف الطاء أنشده يونس بن حبيب وهكذا كان فى حاشية الشيخ مذكورا عن يونس وغطا معناه ارتفع وعلا وأنشد القتبى

ومن تعاجيب خلق الله غاطية * يعصى منها ملاحى وغربيب

ملاحى بتخفيف اللام ويقال ملاحى كما قال * كعنقود ملاحية حين نورا * وقال ابو حنيفـة من قال ملاحية بالتشديد شبهه بالملاح وهو ثمر الاراك وفيه ملوحة قال والغربيب اسم لنوع من العنب وليس بنعت «قال المؤلف» واذا ثبت هـذا فلعلك أن تفهم منه معنى قوله سبحانه «وغرابيب سود» حـين وصف الجدد وسود عنـدى بدل لا نعت وانما يـتم شرح الآية لمن لحظه من هـذا المطلع فان أبا حنيفة زعم ان الغربيب اذا اطلق لفظه ولم يقيد بشئ موصوف به فانما يفهم منه العنب الذى هذا اسمه خاصة والله الموفق للصواب وفهم الـكتاب * وذكر فيه حمـاة اللواء من بنى عبد الدار وانهم صرعوا حوله حتى أخـذته امراة منهم وهى عمرة بنت علقمة فلذلك قال

لم تطق حمله العواتق منهم * انـما يحمل اللواء النجوم

وقال فى شعر حجاج بن علاط يمدح عليا رضى الله عنه * أى مذبب عن حرمة * لله الفيت فى حاشية الشيخ أبى بحر على هذا البيت فى حاشية الاصل يعنى أصل أبى الوليد قال ابراهيم اى نصب لانه مديح والمديح نصب فى أى حالية فاما ابن هشام فرفع أى «قال المؤلف» وهذا الذى ذكره من نصب أى على المديح لا يستقيم الا أن تقدر حذف المبتدأ قبله كانه قال لله أنت لانه لا ينصب على المدح الا بعد جملة تامة وأما الرفع على أن تجعل خبره لله فقبيح لانها وان كانت خبرا فاصلها الاستفهام فلها صـدر الـكلام كما كان ذلك فى كم خبرية كانت أو استفهامية فالتقدير اذا لله دره أى مذبب عن حرمة هو ألا ترى انه يقبح أن يقول جاءنى اى فتى فان جعلته

وشددت شدة باسل فكشفتهم * بالجر اذ يهوون أخول أخولا

* قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه يبكى حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد رضى الله عنهم

يامى قومى فاندبى * بسحيرة شجوا النوائح
كالحاملات الوقر بالـ*ـثقل الملحات الدوالح
المعولات الخامشا * ت وجوه حرات صحائح
وكان سيل دموعها الا * نصاب تخضب بالذبائح
ينقضن أشعارا لهـ * ن هناك بادية المسائح
وكانها أذناب خيـ*ـل بالضحى شمس روامح
من بين مشرور ومجـ*ـزور بذعذع بالبوارح
يبكين شجو مسلبا * ت كدحتهن الكوادح
ولقد أصاب قلوبها *
مجل له جلب قوارح
أ اذا قصدا لحدثان من *
كنا نرجى اذ نشايح
أصحاب أحد غالهم *
دهر ألم له جوارح
من كان فارسنا وحا *
مينا اذا بعث المسالح
ياحمزة لا والله لا *
أنساك ماصر اللقائح
لمناخ أيتام وأضـ
ـياف وأرملة تلامح
ولما ينوب الدهر فى *
حرب لحرب وهى لاقح
يافارسا يامدرها *
ياحمز قد كنت المصامح
عنا شديدات الخطو *
ب اذا ينوب لهن فادح
ذكرتنى أسد الرسو *
ل وذاك مدرهنا المنافح
عنا وكان يعداذ *
عد الشريفون الجحاجح
يعلو القماقم جهرة * سبط اليدين أغر واضح
لا طائش رعش ولا * ذو علة بالحمل آنح
أودى شباب أولى الحفا * ئظ والثقيلون المراجح
لحم الجلاد وفوقه * من شحمه شطب شرائح
لهفى لشبان رزئـ * ـناهم كانهم المصابح
المشترون الحمد بالا * موال ان الحمد رابح

العطاء

بحرا فليس يغب جا * رامنه سيب أومنادح
المطعمون اذا المشا * تى ما يصفقهن ناضح
ليدافعوا عن جارهم * ما رام ذو الضغن المكاشح
شم بطارقة غطا * رفة خضارمة مسامح
والجامزون بلجمهم * يوما اذا ماصاح صائح

وصفا جاريا على ما قبلها فقلت جاءنى رجل أى رجل جاز ذلك لانه اذا كان وصفا لم تله العوامل اللفظية فكانه لم يخرج عن أصله اذ المبتدأ ألا تليه العوامل اللفظية * وقوله اخول اخولا أى متفرقين و وقع تفسيره فى بعض النسخ من قول ابن هشام وكان أصله من الخال وهو الخيلاء والكبر تقول فلان أخول من فلان أى أشد كبرا منه واختيالا فمعنى قولهم اذا جاء القوم أخول أخولا أى انفرد كل واحد منهم بنفسه وازدهاه الخال أن يكون تابعا لغيره فكلما رأيت أحدا منهم قلت هذا أخول من الآخر هذا هو الاصل ثم كثر حتى استعمل فى التفرق مثلا وان لم يكن هناك من معنى الخال شئ وقد قيل فى أخول انه من تخوات بالموعظة ونحوها اذا فعلت ذلك شيأ فشيأ وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا * وذكر شعر حسان الحائى وقال فيه

كالحاملات الوقر بالثقـ ـل الملحات الدوالح

الدوالح جمع دالحة وهى المثقلة وكذلك الدلوح من السحاب وهى المثقلة بالماء وفيه

ينفضن أشعارا لهـ ـن هناك بادية المسائح

المسائح جمع مسيحة وهو ما لم يمشط من الشعر بدهن ولا شئ والمسيحة أيضا القطعة من الفضة والمسيحة الفرس * وقوله من بين مشر و راى مفرق و يقال شررت الملح اذا فرقته والمجل كالجرح تقول مجلت يدى من العمل * وقوله نشائح أى محاذر كما قال الآخر * وشايحت قبل اليوم انك شيح * وقوله قد كنت المصافح وفى الحاشية عند الشيخ المصافح بالفاء فى رواية اخرى وأما المصامح بالميم فيجوز أن يكون من صمحت الشئ اذا أذبته قاله صاحب العين قال والصمحمح من الرجال الشديد العصب وسنه ما بين الثلاثين الى الاربعين والصماح فيما ذكر أبو حنيفة الريح المنتنة * وقوله سيب أومنادح يجوز أن يكون جمع مندوحة وهى السعة وقياسه مناديح بالياء وحذفها ضرورة و يجوز أن يكون من الندح فيكون مفاعلا بضم الميم أى مكاثرا و يكون بفتح الميم فيكون جمع مندوحة مفعلة من الكثرة والسعة وأما قولهم أنا فى مندوحة من هذا الامر فهى مفعولة من الندح و وهم أبو عبيد فجعله من انداح بطنه اذا اتسع والنون فى مندوحة أصل وهى فى انداح زائدة لان و زنه انفعل والالف فى انداح أصل وهى بدل من واو كانه مندوحة الشج والميم فى مندوحة زائدة والدال عين الفعل وهو فى انداح فاء الفعل ومن ههنا قال الخطابى ياعجبا لابن قتيبة يترك مثل هذا من غلط أبى عبيد و يعنق فى الرد عليه فيما لا بال له من الغلط * وقوله خضارمة جمع خضرم وهو الكثير

من كان يرمى بالنوا * قر من زمان غير صالح
ما إن تزال ركابه * يرسمن فى غير صحاصح
راحت تبارى وهو فى * ركب صدورهم رواشح
حتى تؤوب له المعا * لى ليس من فوز السفائح
ياحمز قد أوحدتنى * كالعود شذ به الكوافح
أشكو اليك وفوقك التـ * ـرب المكور والصفائح
من جندل يلقيه فو * قك اذا أجاد الضرح ضارح
فى واسع يحشونه * بالترب سوته المماسح
فعزاؤنا أنا نقول * وقولنا برح بوارح
من كان أمسى وهو عما * أوقع الحدثان جانح
فليأتنا فلتبك عيناه لهلكانا النوافح
القائلين الفاعلين ذوى السماحة والممادح
من لا يزال ندى يد * يه له طوال الدهر مائح

«قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان و بيته المطعمون اذا المشاتى و بيته والجامزون بلجمهم و بيته من كان يرمى بالنواقر عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

أتعرف الدار عفا رسمها * بعدك صوب المسبل الهاطل
بين السراديح فادمانة * فمدفع الروحاء فى حائل
ساءلتها عن ذاك فاستعجمت * لم تدر ما مرجوعة السائل
دع عنك دارا قد عفا رسمها * وابك على حمزة ذى النائل
المالىء الشيزى اذا أعصفت * غبراء فى ذى الشبم الماحل
والتارك القرن لدى لبدة * يعثر فى ذى الخرص الذابل
واللابس الخيل اذ أحجمت * كالليث فى غابته الباسل
أبيض فى الذروة من هاشم * لم يمر دون الحق بالباطل
مال شهيدا بين أسيافكم * شلت يدا وحشى من قاتل
أى امرىء غادر فى آلة * مطرورة مارنة العامل
أظلمت الارض لفقدانه * واسود نور القمر الناصل
صلى عليه الله فى جنة * عالية مكرمة الداخل
كنا نرى حمزة حرزا لنا * فى كل أمر نابنا نازل
وكان فى الاسلام ذا تدرإ * يكفيك فقد القاعد الخاذل
لا تفرحى ياهند واستحلبى * دمعا وأذرى عبرة الثاكل
وابكى على عتبة اذ قطه * بالسيف تحت الرهج الجائل
اذ خر فى مشيخة منكم * من كل عات قلبه جاهل
أرداهم حمزة فى اسرة * يمشون تحت الحلق الفاضل
غداة جبريل وزير له * نعم وزير الفارس الحامل

وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

طرقت همومك فالرقاد مسهد * وجزعت ان سلخ الشباب الاغيد
ودعت فؤادك للهوى ضمرية * فهواك غورى وصحوك منجد
فدع التمادى فى الغواية سادرا * قد كنت فى طلب الغواية تفند
ولقد أنى لك ان تناهى طائعا * أو تستفيق اذا نهاك المرشد
ولقد هددت لفقد حمزة هدة * ظلت بنات الجوف منها ترعد
ولو انه فجعت حراء بمثله * لرأيت راسى صخرها يتبدد
قرم تمكن فى ذؤابة هاشم * حيث النبوة والندى والسوددا
والعاقر الكوم الجلاد اذا غدت * ريح يكاد الماء فيها يجمد
والتارك القرن الكمى مجدلا * يوم الكريهة والقنا يتقصد
وتراه يرفل فى الحديد كأنه * ذو لبدة شثن البراثن أربد
عم النبى محمد وصفيه * ورد الحمام فطاب ذاك المورد
وأتى المنية معلما فى أسرة * نصروا النبى ومنهم المستشهد
ولقد أخال بذاك هندا بشرت * لتميت داخل غصة لا تبرد
مما صبحنا بالعقنقل قومها * يوما تغيب فيه عنها الاسعد
وببئر بدر اذ يرد وجوههم * جبريل تحت لوائنا ومحمد
حتى رأيت لدى النبى سراتهم * قسمين نقتل من نشاء ونطرد
فأقام بالعطن المعطن منهم * سبعون عتبة منهم والاسود
وابن المغيرة قد ضربنا ضربة * فوق الوريد لها رشاش مزبد

العطاء* وقوله يرسمن من الرسيم فى السير والصحاصح جمع صحصح وهى الارض الملساء* وقوله ليس من فوز السفائح السفائح جمع سفيحة وهى كالجوالق ونحوه* وقال فى القصيدة اللامية ذى الخرص الذابل يريد الرمح والخرص سنانه وجمعه خرصان . وفيه . شلت يدا وحشى من قاتل . ترك التنوين للضرورة لما كان اسما علما والعلم قد يترك صرفه كثيرا ومنع من ذلك البصريون واحتج الكوفيون فى اجازته بان الشاعر قد يحذف الحرف والحرفين نحو قول علقمة بسبا الكتان أى بسبائب وقول لبيد * كالحلاميج بايدى التلام أى التلاميذ * وقال ابن السراج محتجا عليهم ليس التنوين من هذا فى شىء لانه زائد لمعنى وما زيد لمعنى لا يحذف* وفى شعر كعب * طرقت همومك فالرقاد مسهد * أراد الرقاد مسهد صاحبه فحذف المضاف وقام المضاف اليه مقامه وهو الضمير المخفوض فصار الضمير مفعولا لم يسم فاعله فاستتر فى المسهد . ومنه * وجزعت ان سلخ الشباب الاغيد * أى الاغيد صاحبه وهو الناعم * وقوله

وأمية الجمحى قوم ميله • عضب بأيدى المؤمنين مهند فاتاك فل المشركين كأنهم • والخيل تثفنهم نعام شرد
شتان من هو فى جهنم ثاويا • أبدا ومن هو فى الجنان مخلدا وقال كعب أيضا يبكى حمزة رضى الله عنهما
صفية قومى ولا تعجزى • وبكى النساء على حمزة ولا تسأمى أن تطيلى البكا • على أسد الله
فى الهزة
فقد كان عزا لايتامنا •
وليث الملاحم فى البزة
يريد بذاك رضا احمد •
ورضوان ذى العرش
والعزة
وقال كعب رضى الله عنه
أيضا فى يوم أحد
انك عمر أبيك الكريـ •
ـم ان تسألى عنك من
يجتدينا
فان تسألى ثم لا تكذبى •
يخبرك من قدسالت اليقينا
بانا ليالى ذات العظا •
م كنا ثمالا لمن يعترينا
تلوذ النجوم باذرائنا •
من الضر فى أزمات السنينا
بجدوى فضول أولى
وجدنا
وبالصبر والبذل فى
المعدمينا
وأبقت لنا جلمات الحرو •
ب ممن نوازى لدن أن برينا
معاطن تهوى اليها الحقو •
ق يحسبها من رآها الفتينا
يخيس فيها عتق الجما •
ل صحما دواجن حمرا وجونا
ودفاع رجل كموج الفرا •
ت يقدم جأواء جولا
طحونا
ترى لونها مثل لون النجو • م رجراجة تبرق الباظرينا وجاؤا
فان كنت عن شاننا جاهلا • فسل عنه ذا العلم ممن يلينا بنا كيف نفعل ان قلصت • عوانا ضروسا عضوضا حجونا
ألسنا نشد عليها العصا • ب حتى تدر وحتى تلينا ويوم له رهج دائم • شديد التهاول حامى الارينا

والخيل تثفنهم أى تتبع آثارهم وأصله من ثفنات البعير وهو ماحول الخف منه * وقول كعب فى الشعر الزائى * وليث الملاحم فى البزة * البزة الشارة الحسنة والبزة السلاح أيضاً وهو من بززت الرجل اذا سلبته بزته يقال من عز بزأى من غلب سلب والبزابز الرجل الشديد * وقال أيضاً فى القصيدة النونية * تلوذ البجود بأذرائنا * البجود جمع بجد وهم جماعة من الناس ويروى النجود بالنون وهى المرأة المكروبة والنجود من الابل القوية وقوله باذرائنا جمع ذرى من قولهم انا فى ذرى فلان أى فى ستره وتقول العرب ليس فى الشجر أذرى من السلم أى ادفؤ ذرى منه لانه يقال ما مات أحد صرداقط فى ذرى سلمة * وقوله جلمات الحروب من قولك جلمت الشىء وجرشته اذا قطعته ومنه الجلمان * وقوله لدن ابرينا أى خلقنا والبارى الخالق سبحانه أى هذا حالنا من لدن خلقنا * وقوله يحسبها من رآها الفتينا هى الصخور السود سميت بذلك لانها تشبه ما فتن بالنار أى احرق وفى التنزيل «على النار يفتنون» وأصل الفتن الاختبار وانما قيل فتنت الحديدة بالنار لانك تختبر طيبها من خبيثها * وقوله دواجن حمرا وجونا أى حمرا وسودا * وقوله جأواء أى كتيبة لونها لون الحديد * وقوله جولا طحونا الجول جانب البئر * وقوله ان قلصت يعنى الحرب ثم وصفها فقال عضوضا حجونا من العض وحجونا من حجنت العود اذا لويته * وقوله

ألسنا نشد عليها العصا * ب حتى تدر وحتى تلينا

هذا كله من صفة الحرب شبهها بناقة صعبة قلصت أى صارت قلوصا أى انا نذلل صعبها ونلين من ضراسها وقوله ويوم له رهج دائم الرهج الغبار * وقوله شديد التهاول جمع تهويل والنهاويل ألوان مختلفة قال الشاعر يصف روضا

وعازب قد علا التهويل جنبته * لا تنفع النعل فى رقراقه الحافى

وقوله حامى الارينا جمع ارة وهو مستوقد النار يجوز أن يكون وزنها علة من الاوار وهو الحر فحذفت الهمزة وهمزت الواو لانكسارها وجائز أن يكون وزنها فعة من تأريت بالمكان لانهم يتأرون حولها وهذا الوجه هو الصحيح لانهم جمعوها على ارين مثل سنين ولا يجمع هذا الجمع المسلم كجمع من يعقل الا اذا حذفت لامه وكان مؤنثا وكان لام الفعل حرف علة ولم يكن له مذكر كالامة اذا اجتمعت فيه هذه الشروط الاربعة جمع بالواو والنون فى الرفع والياء والنون فى الخفض والنصب كسنين وعضين غير أنهم قد قالوا رقين فى جمع الرقة وهى الورق وقد تكلمنا على سر هذا الجمع وسر أرضين فى نتائج الفكر بما فيه جلاء والحمد لله * وقوله كنار أبى حباحب والظبينا يقال أبو حباحب ذباب يلمع بالليل وقيل كان رجلا لئيما لا يرفع ناره خشية الاضياف ولا يوقدها الا ضعيفة وترك صرفه ولم يخفض وهو فى موضع الخفض لما قدمنا من أن الاسم اذا ترك صرفه ضرورة أو غير ضرورة لم يدخله الخفض كما لا يدخله التنوين لئلا يشبه ما يضيفه المتكلم الى نفسه وقال أبو حنيفة لا ادرى ما حباحب ولا أبو حباحب ولا بلغنى عن العرب فيه شىء وقال فى الارة عن قوم حكى قولهم هو من أريت الشىء اذا عملته وقال الارى هو عمل النحل وفعلها ثم سمى العسل اريا لهذا كما يسمى مزجا وأنشد

طويل شديدا أوار القتا * ل تنفى قواحزه المقرفينا
تخال الكماة باعراضه * ثمالا على لذة مترفينا
تعاور أيمانهم بينهم * كؤس المنايا بحد الظبينا
شهدنا فكنا أولى باسه * وتحت العماية والمعلمينا
بخرس الحسيس حسان رواء * وبصرية قد أجمنا الجفونا
فما ينفللن وما ينحنين * وما ينتهينا اذا ما نهينا
كبرق الخريف بايدى الكما * ة يفجعن بالظل هاما سكونا
وعلمنا الضرب آباؤنا * وسوف نعلم ايضا بنينا
جلاد الكماة وبذل التلا * د عن حل أحسابنا ما بقينا
اذا مر قرن كفى نسله * وأورثه بعده آخرينا
نشب وتهلك آباؤنا * وبينا نربى بنينا فنينا
سألت (١٦٥) بك ابن الزبعرى فلم * أنباك فى القوم الا هجينا
خبيثا تطيف بك المنديات * مقيما على اللؤم حينا فحينا
تبجحت تهجو رسول المليك * قاتلك الله جلفا لعينا
تقول الخنا ثم ترمى به * نقى الثياب تقيا أمينا

«قال ابن هشام» أنشدنى بيته بنا كيف نفعل والبيت الذى يليه والبيت الثالث منه وصدر الرابع منه وقوله نشب وتهلك آباؤنا والبيت الذى يليه والبيت الثالث منه أبو زيد الانصارى * قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك رضى الله عنه ايضاً فى يوم أحد

سائل قريشا غداة السفح من أحد * ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب
كنا الاسود وكانوا النمر اذ زحفوا * ما ان نراقب من ال ولا نسب
فكم تركنا بها من سيد بطل * حامى الذمار كريم الجد والحسب
فينا الرسول شهاب ثم نتبعه * نور مضىء له فضل على الشهب
الحق منطقه والعدل سيرته * فمن يجبه اليه ينج من تبب
نجد المقدم ماضى الهم معتزم * حين القلوب على رجف من الرعب
يمضى ويذمرنا عن غير معصية * كانه البدر لم يطبع على الكذب
بدا لنا فاتبعناه نصدقه * وكذبوه فكنا أسعد العرب
جالوا وجلنا فما فاؤا وما رجعوا * ونحن نثفنهم لم نأل فى الطلب
ليسا سواء وشتى بين أمرهما * حزب الاله وأهل الشرك والنصب

«قال ابن هشام» أنشدنى من قوله يمضى ويذمرنا الى آخرها أبو زيد الانصارى * قال ابن اسحق وقال عبد الله بن رواحة يبكى حمزة بن عبد المطلب «قال ابن هشام» أنشدنيها أبو زيد الانصارى لكعب بن مالك

بكت عينى وحق لها بكاها * وما يغنى البكاء ولا العويل

وجاؤا بمزج لم ير الناس مثله * هو الضحك الا انه عمل النحل

قال والضحك الزبد الابيض وقيل الثغر وقيل الطلع وقيل العجب * وقوله والظبينا جمع ظبة جمعها على هذا الجمع المسلم لما قدمناه فى الارين والسنين غير انه لم يكسر أول الكلمة كما كسرت السين من سنين اشعارا بالجمع لان ظبين لا يشبه أن يكون واحدا اذ ليس فى الاسماء فعيل وكسروا أول سنين ايذانا بانه جمع كى لا يتوهم انه اسم على فعول اذ ليس فى الاسماء فعول ولا فعيل ولم يبلغ سيبويه ان ظبة تجمع على ظبين وقد جاء فى هذا الشعر وفى غيره كما تراه * وقوله قواحزه جمع قاحز وهو الوثاب القلق يقال قحز قحزانا اذا وثب وقلق وقوله بخرس الحسيس يصف السيوف بالخرس لوقوعها فى الدم واللحم * وقوله حسان رواء من الدم وقوله بصرية منسوبة الى بصرى من أرض الشام كما أن المشرفية منسوبة الى مشارف من أرض الشام لانها تصنع فيها * وقوله قد أجمن الجفونا أى كرهن المقام فيها وملنه ومنه قول هشام لسالم بن عبد الله ما طعامك قال الخبز بالزيت قال أما تأجمهما قال اذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما * وقوله وتحت العماية والمعلمينا باسقاط الواو من أول القسيم الثانى وقع فى الاصل وفى الحاشية وتحت العماية بواو العطف وقع فى الاصلين وبها يكمل الوزن ولا يجوز اسقاطها الا على مذهب الاخفش الذى يجيز الخرم فى أول القسيم الثانى من البيت كما يجيزه العروضيون فى أول البيت * وقوله تطيف بك المنديات أى الامور الشنيعة * وقوله تبجست من تبجس الماء اذا انفجر * وقول ضرار فى قصيدته الدالية يكبوا فى جديته أى فى دمه * وقوله ثعلب جسد يريد ثعلب الرمح وجسد من الجساد وهو الدم * وقوله الاضغان والحقد حرك القاف بالكسر ضرورة ولو وقف على الدال بالسكون وكان الاسم مخفوضا كان الكسر أحسن فى الوقف كما قال واصطفقا بالرجل أى الرجل * وقوله العوصاء والكود يريد الرملة العويص مسلكها والكؤد جمع عقبة كؤود وهى الشاقة. وقول عكرمة ارحب هلا هو من زجر الخيل وكذلك هقط وهقط وهب وسقب * وذكر قول نعيم

* يا عين جودى بفيض غير ابساس * الابساس أن تستدر لبن الناقة بان تمسح ضرعها وتقول لها بس بس فاستعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف ولا استدرار له * وقولها صعب البديهة أى بديهته لا تعارض ولا تطاق فكيف رويته واحتفاله. وفى شعر كعب

بكت عينى وحق لها بكاها * وما يغنى البكاء ولا العويل

على أسد الاله غداة قالوا * أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أبا يعلى لك الاركان هدت * وأنت الماجد البر الوصول
الا ياهاشم الاخيار صبرا * فكل فعالكم حسن جميل
ألا من مبلغ عنى لؤيا * فبعد اليوم دائلة تدول
نسيتم ضربنا بقليب بدر * غداة أتاكم الموت العجيل
وعتبة وابنه خرا جميعا * وشيبة عضه السيف الصقيل
وهام بنى ربيعه سائلوها * ففى أسيافنا منها فلول
ألا ياهند لاتبدى شماتا * بحمزة ان عزكم ذليل
أبلغ قريشا على نأيها * أتفخر منا بما لم تل
فخلوا جنانا وأبقوا لكم * أسودا تحامى عن الاشبل
رمته معد بعوار الكلام * ونبل العداوة لا تأتلى
أصيب المسلمون به جميعاً * هناك وقد أصيب به الرسول
عليك سلام ربك فى جنان * مخالطها نعيم لا يزول
رسول الله مصطبر كريم * بامر الله ينطق اذ يقول
وقبل اليوم ماعرفوا وذاقوا * وقائعنا بها يشفى الغليل
غداة ثوى أبو جهل صريعاً * عليه الطير حائمة تجول
ومتركنا أمية مجلعبا * وفى حيزومه لدن نبيل
ألا ياهند فابكى لاتملى * فانت الواله العبرى الهبول
* قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً
فخرتم بقتلى أصابتهم * فواضل من نعم المفضل
تقاتل عن دينها وسطها * نبى عن الحق لم ينكل

« قال ابن هشام » أنشدنى قوله لم تل وقوله من نعم المفضل أبو زيد الانصارى . قال ابن اسحق وقال ضرار بن الخطاب فى يوم أحد

ما بال عينيك قد أزرى بها السهد . كأنما جال فى أجفانها الرمد
أمن فراق حبيب كنت تألفه . قد حال من دونه الاعداء والبعد
أم ذاك من شغب قوم لاجداء بهم . اذا الحروب تلظت نارها تقد
ما ينتهون عن الغى الذى ركبوا
وما لهم من لؤى ويحهم عضد
وقد نشدناهم بالله قاطبة
فما تردهم الارحام والنشد
حتى اذا ما أبوا الا محاربة
واستحصدت بيننا الاضغان والحقد
سرنا اليهم بجيش فى جوانيه * قوانس البيض والمحبوكة السرد
والجرد ترفل بالابطال شازبة * كأنها حدأ فى سيرها تؤد
فأبرزالحين قوما من منازلهم * فكان منا ومنهم ملتقى أحد
قتلى كرام بنو النجار وسطهم * ومصعب من قنانا حوله قصد
كأنه حين يكبو فى جديته * تحت العجاج وفيه ثعلب جسد
مجلحين ولا يلوون قد ملؤا * رعبا فنجتهم العوصاء والكؤد
لوقد تركناهم للطير ملحمة * وللضباع الى أجسادهم تفد
وقول
جيش يقودهم صخر ويرأسهم . كأنه ليث غاب هاصر حرد
فغودرت منهم قتلى مجدلة * كالمعز أصرده بالصردح البرد
وحمزة القرم مصروع تطيف به * ثكلى وقد حز منه الانف والكبد
حوار ناب وقد ولى صحابته * كما تولى النعام الهارب الشرد
تبكى عليهم نساء لا بعول لها * من كل سالبة أثوابها قدد

« قال ابن هشام » وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار * قال ابن اسحق وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة أخو بنى جشم ابن الخزرج يوم أحد

انا أبو زعنة يعدو بى الهرم * لم تمنع المخزاة الا بالألم
يحمى الذمار خزرجى من جشم

قال ابن اسحق وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه « قال ابن هشام » قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير على فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلى رضى الله عنه

لاهم ان الحرث بن الصمه * كان وفيا وبنا ذمه
أقبل فى مهامه مهمه * كليلة ظلماء مدلهمه
بين سيوف ورماح جمه * يبغى رسول الله فيما ثمه

« قال ابن هشام » قوله كليلة عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أحد

وضع المقصور فى موضعه والممدود فى موضعه لان البكا مقصور بمعنى الحزن والغم وان كان ممدودا فهو الصراخ وكذلك قياس الاصوات أن تكون على فعال فقوله حق لها بكاها أى حق لها حزنها الا انه الذى يحق دون الصراخ ثم قال وما يغنى البكاء ولا العويل أى ليس ينفع الصياح ولا الصراخ ولا يجدى على أحد فتنزلت كل كلمة منزلتها * وقوله حق لها أى حق والاصل حقق على فعل فبكاها فاعل لا مفعول وكل فعل اذا أردت المبالغة فى الامر ومعنى التعجب نقلت الضمة من عين الفعل الى فائه فتقول حسن زيد أى حسن جدا فان لم ترد معنى التعجب لم يجز الا الضم أو التسكين تقول كبرزيد وكبر ولا تقول كبر الامع قصد التعجب قال الشاعر * وحب بها مقتولة حين تقتل * يعنى الخمر وقال آخر

لم يمنع القوم منى ما أردت ولم * أعطيهم ما أرادوا حسن ذا أدبا

أى حسن وقال آخر * الاحب بالبيت الذى أنت زائره * وقال بالبيت لان معناه كمعنى احبب بالبيت تعجبا

كلهم يزجره أرحب هلا * ولن يروه اليوم الا مقبلا * يحمل رمحا ورئيسا جحفلا

وقال الاعشى بن زرارة بن النباش التميمى « قال ابن هشام » ثم أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم يبكى قتلى بنى عبد الدار يوم أحد

حى من حى على نأيهم * بنو أبى طلحة لاتصرف   يمر ساقيهم عليهم بها * وكل ساق لهم يعرف
لاجارهم يشكو ولاضيفهم * من دونه باب لهم يصرف   وقال عبد الله بن الزبعرى يوم أحد
قتلنا ابن جحش فاغتبطنا بقتله * وحمزة فى فرسانه وابن قوقل   وأفلتنا منهم رجال فاسرعوا * فليتهم عاجوا ولم نتعجل
أقاموا لنا حتى تعض سيوفنا * سراتهم وكلنا غير عزل   وحتى يكون القتل فينا وفيهم * ويلقوا صبوحا شره غير منجلى

« قال ابن هشام » وقوله وكلنا وقوله ويلقوا صبوحا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وعنها

اسائلة أصحاب أحد مخافة * بنات أبى من أعجم وخبير
فقال الخبيران حمزة قد ثوى * وزير رسول الله خير وزير   دعاه اله الحق ذو العرش دعوة * الى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجى ونرتجى * لحمزة يوم الحشر خير مصير   فوالله لا أنساك ما هبت الصبا * بكاء وحزنا محضرى ومسيرى
على أسد الله الذى كان مدرها * يذود عن الاسلام كل كفور   فياليت شلوى عند ذاك واعظمى * لدى أضبع تعتادنى ونسور
أقول وقد أعلى النعى عشيرتى . جزى الله خيرا من أخ ونصير

« قال ابن هشام » أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها

* بكاء وحزنا محضرى ومسيرى *

قال ابن اسحق وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكى شماسا وأصيب يوم أحد

ياعين جودى بفيض غير ابساس
على كريم من الفتيان لباس
صعب البديهة ميمون نقيبته
حمال ألوية ركاب أفراس
أقول لما أتى الناعى له جزعا * أودى الجواد وأودى المطعم الكاسى   وقلت لما خلت منه مجالسه * لا يبعد الله عنا قرب شماس

فاجابها أخوها وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال

أقنى حياءك فى ستر وفى كرم * فانما كان شماس من الناس
لاتقتلى النفس اذ حانت منيته * فى طاعة الله يوم الروع والباس   قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى * فذاق يومئذ من كان شماس

وقالت هند بنت عتبة حين انصرف المشركون عن أحد

رجعت وفى نفسى بلابل جمة * وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى
من اصحاب بدر من قريش وغيرهم * بنى هاشم منهم ومن أهل يثرب   ولكننى قد نلت شيأ ولم يكن * كما كنت أرجو فى مسيرى ومركبى

« قال ابن هشام » وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى وبعضهم ينكرها لهند والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر يوم الرجيع فى سنة ثلاث

* قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة « قال ابن هشام » عضل والقارة من الهون بن خزيمة بن مدركة « قال ابن هشام » ويقال الهون بضم الهاء * قال ابن اسحق فقالوا يارسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرؤننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرا ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البكير الليثى حليف بنى عدى بن كعب وعاصم بن ثابت بن أبى الاقلح أخو بنى عمرو بن عوف ابن مالك بن الاوس وخبيب بن عدى أخو بنى جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدثنة بن معاوية أخو بنى بياضة بن عامر بن

وقول كعب * أبا يعلى لك الاركان هدت * كان حمزة يكنى ابا يعلى بابنه يعلى ولم يعش لحمزة ولد غيره وأعقب يعلى خمسة من البنين ثم انقرض عقبهم فيما ذكر مصعب ويكنى حمزة ايضا أبا عمارة وقد تقدم ذكره فى المبعث بهذه الكنية قيل ان عمارة بنت له كنى بها وهى التى وقع ذكرها فى السنن للدارقطنى ان مولى لحمزة مات وترك بنتا فورثت منه النصف وورثت بنت حمزة النصف الآخر ولم يسمها فى السنن ولكن جاء اسمها فى كتاب أحكام القرآن لبكر بن العلاء والله أعلم وقد روى ان الولاء كان لها وانها كانت المعتقة لا حمزة

مقتل خبيب وأصحابه

وذكر غدر عضل والقارة وهما بطنان من بنى الهون والهون هم بنو الريش ويشيع ابنى الهون بن خزيمة وقد تقدم التعريف بمعنى القارة وبالمثل الذى جرى فيهم والقارة الحرة وذكرنا السبب فى تسميتهم بها * وذكر ان أصحاب خبيب كانوا ستة وفى الجامع الصحيح للبخارى انهم كانوا عشرة وهو أصح والله اعلم * وذكر اسماء الستة وقد نسبهم فيما تقدم فأما خبيب فهو من بنى جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف بن مالك بن

زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبى مرثد الغنوى فخرج مع القوم حتى اذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهدأة غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف قد غشوهم فاخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم انا والله ما نريد قتالكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيأ من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ان لا نقتلكم فاما مرثد بن أبى مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا فقال عاصم بن ثابت

ماعلتى وانا جلد نابل * والقوس فيها وتر عنابل تزل عن صفحتها المعابل * الموت حق والحياة باطل
وكل ماحم الاله نازل * بالمرء والمرء اليه آيل * ان لم أقاتلكم فامى هابل

«قال ابن هشام». هابل ثاكل وقال عاصم بن ثابت أيضا أبو سليمان وريش المقعد * وضالة مثل الجحيم الموقد
اذا النواحى افترشت لم أرعد * ومجنأ من جلد ثور أجرد * ومؤمن بما على محمد *

وقال عاصم بن ثابت أيضا

أبو سليمان ومثلى راما * وكان قومى معشرا كراما

وكان عاصم بن ثابت يكنى أبا سليمان ثم قاتل القوم حتى قتل وقتل صاحباه فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فيه قحفة الخمر فمنعته الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا تنجسا فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة فاعطوا بايديهم فاسروهم ثم خرجوا بهم الى مكة ليبيعوهم بها حتى اذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبره رحمه الله بالظهران وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة «قال ابن هشام» فباعوهما من قريش باسيرين من هذيل كانا بمكة * قال ابن اسحق فابتاع خبيبا حجير بن أبى اهاب التميمى حليف بنى نوفل لعقبة بن الحرث بن عامر بن نوفل وكان أبو اهاب أخا الحرث بن عامر لامه ليقتله بابيه «قال ابن هشام» الحرث بن عامر خال أبى اهاب وأبو اهاب أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ويقال أحد بنى عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم من بنى تميم * قال ابن اسحق وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بابيه أمية بن خلف وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له يقال له نسطاس الى التنعيم وأخرجوه من الحرم ليقتله واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن فى

الاوس وزيد بن الدثنة بن معاوية مقلوب من التدنة والتدن استرخاء اللحم * وذكر فيهم عاصم بن ثابت وقوله

ماعلتى وأنا جلد نابل * والقوس فيها وتر عنابل

والعنابل الشديد وكانه من العبالة وهى القوة والنون زائدة والعبالة أيضا شجرة صلبة وفى الخبر أن عصا موسى كانت من عبالة وقد روى ان عصى موسى كانت من عين ورقة آس الجنة ويجوز أن يكون منحوتا من أصلين من العنن والنبل كانه يصيب ماعن له بنبله * وذكر قوله أبو سليمان وريش المقعد قوله أبو سليمان أى أنا أبو سليمان قد عرفت فى الحروب وعندى نبل راشها المقعد وكان رائشا نماو ريش السهم المحمود فيه اللؤام وهو أن تكون الريشة بطنها الى ظهر الاخرى واللغاب بعكس ذلك أن يكون ظهر واحدة الى ظهر الاخرى وهو الظهار أيضا ومن اللؤام أخذ اللأم وهو السهم المريش قال امرؤ القيس * كرك لامين على نابل * وسئل رؤبة عن معنى هذا البيت فقال حدثنى أبى عن أبيه قال حدثتنى عمتى وكانت فى بنى دارم قالت سألت امرأ القيس وهو يشرب طلاء له مع علقمة بن عبدة ما معنى قولك كرك لامين على نابل فقال مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاما وظهارا فما رأيت شيأ أسرع منه ولا أحسن فشبهت به ذكر هذا أبو حنيفة * وقوله وضالة أى سهام قداحها من الضال وهو السدر قال الشاعر

قطعت اذا تخوفت العواطى * ضروب السدر عبريا وضالا

فالعبرى منها ما كان على شطوط الانهار والضال ما كان فى البرية والعواطى هى الماشية تعطوا أى تتناول وانما تتناول أطراف الشجر فى الصيف فمعناه قطعت هذه الصحراء فى هذا الوقت وتخوفت اى تنقصت من قوله سبحانه «أو يأخذهم على تخوف» * وذكر أن حجير بن أبى اهاب هو الذى اشترى خبيبا

وكان

مكانك نضرب عنقه وانك فى أهلك قال والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانى جالس فى أهلى قال يقول أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس يرحمه الله . وأما خبيب بن عدى فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح انه حدث عن ماوية مولاة حجير بن أبى أهاب وكانت قد أسلمت قالت كان خبيب عندى حبس فى بيتى فلقد اطلعت عليه يوما وان فى يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم فى أرض الله عنبا يؤكل * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نجيح جميعا انها قالت قال لى حين حضره القتل ابعثى الى بحديدة أتطهر بها للقتل قالت فأعطيت غلاما من الحى الموسى فقلت أدخل بها على هذا الرجل البيت قالت فوالله ما هو الا أن ولى الغلام بها اليه فقلت ماذا صنعت أصاب والله الرجل ثاره بقتل هذا الغلام فيكون رجلا برجل فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرك ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة الى ثم خلى سبيله «قال ابن هشام» ويقال ان الغلام ابنها * قال ابن اسحق قال عاصم ثم خرجوا بخبيب حتى اذا جاؤا به الى التنعيم ليصلبوه قال لهم ان رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا قالوا دونك فاركع فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم فقال أما والله لولا أن تظنوا انى انما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة قال فكان خبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين قال ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ثم قال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ثم قتلوه رحمه الله فكان معاوية بن أبى سفيان يقول حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان فلقد رأيته يلقينى الى الارض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه * قال ابن اسحق وحدثنى يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عقبة بن الحرث قال سمعته يقول ما أنا والله قتلت خبيبا لانا كنت أصغر من ذلك ولكن أبا ميسرة أخا بنى عبد الدار أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أصحابنا قال كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى على بعض الشام فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهرى القوم فذكر ذلك لعمر بن الخطاب وقيل ان الرجل مصاب فسأله عمر رضى الله عنه فى قدمة قدمها عليه فقال يا سعيد ما هذا الذى يصيبك فقال والله يا أمير المؤمنين مابى من باس ولكنى كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط الا غشى على فزادته عند عمر رضى الله عنه خيرا «قال ابن هشام» أقام خبيب رضى الله عنه فى أيديهم حتى انقضت الاشهر الحرم ثم قتلوه * قال ابن اسحق وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية كما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال ابن عباس لما أصيبت السرية التى كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع قال رجال من المنافقين ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لا هم قعدوا فى أهليهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم فانزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين وما أصاب أولئك النفر من الخير الذى أصابهم فقال سبحانه ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا أى لما يظهر من الاسلام بلسانه ويشهد الله

وكان خبيب قد قتل الحارث بن نوفل أخا حجير لامه وقال معمر بن راشد اشترى خبيبا بنو الحارث بن نوفل لانه قتل أباهم يوم بدر والمعنى قريب مما ذكر ابن اسحق * وقوله ماوية بنت حجير بالواو رواه يونس بن بكير عن ابن اسحق ورواه غيره عن ابن اسحق مارية بالراء وبالواو وقع فى النسخ العتيقة من رواية ابن هشام كما رواه ابن بكير وقد تكلمنا عن اشتقاق هذا الاسم فى صدر هذا الكتاب فاغنى عن اعادته وذكرنا ان المارية بالتخفيف هى البقرة وبتشديد الياء القطاة الملساء وأما الغلام الذى أعطته المدية فقيل هو أبو عيسى بن الحارث بن عدى بن نوفل بن عبد مناف قاله الزبير وهو جد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين الذى يروى عنه مالك فى الموطأ * وذكر ان أبا ميسرة هو الذى طعن خبيبا فى الخشبة وهو أبو ميسرة ابن عوف بن السباق بن عبد الدار والذى طعنه معه عقبة بن الحارث يكنى أبا سروعة ويقال ان أبا سروعة وعقبة اخوان أسلما جميعا ولعقبة بن الحارث حديث واحد فى الرضاع وشهادة امرأة واحدة فيه وحديثه مشهور فى الصحاح فيه انه قال تزوجت بنت أبى اهاب بن عزيز فجاءت امرأة سوداء فقالت انى قد أرضعتكما وذكر الحديث وزاد فيه الدارقطنى قال جاءت امرأة سوداء تسئل فلم نعطها شيئاً فقالت انى والله أرضعتكما فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وقال انها كاذبة يا رسول الله فقال له عليه السلام كيف وقد قيل فطلقها ونكحت ضريب بن الحارث فولدت له أم قتال وهى امرأة جبير بن مطعم وأم ابنه محمد ونافع ابنا جابر واسم هذه المرأة التى طلقها عقبة غنية وتكنى أم يحيي ذكر اسمها أبو الحسن الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف ولم يذكره أبو عمر فى كتاب النساء ولا كثير ممن ألف فى الحديث * وذكر قصة عاصم

على مافى قلبه وهو مخالف لما يقول بلسانه وهو ألد الخصام أى ذو جدال اذا كلمك و راجعك « قال ابن هشام » الالد الذى يشغب فتشتد
خصومته وجمعه لد وفى كتاب الله عز وجل وتنذر به قوما لدا وقال المهلهل بن ربيعة التغلبي واسمه امرؤا القيس و يقال عدى بن ربيعة
ان تحت الاحجار حدا ولينا * وخصيما ألد ذا معلاق ويروى ذا مغلاق فيما قال ابن هشام وهذا البيت فى قصيدة له
وهو الالندد قال الطرماح بن حكيم الطائى يصف الحرباء يوفى على جذم الجذول كانه * خصم أبر على الخصوم ألندد
وهذا البيت فى قصيدة له واذا تولى سعى فى الارض * قال ابن اسحق حدثنى مولى لا ل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال أى خرج من عندك سعى فى الارض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد أى لا يحب عمله ولا يرضاه واذا
قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد أى قد شروا
أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله والقيام بحقه حتى هلكوا على ذلك يعنى تلك السرية « قال ابن هشام » يشرى نفسه يبيع نفسه وشروا باعوا قال
يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى وشريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامه برد غلام له باعه * وهذا البيت فى قصيدة له
وشرى أيضا اشترى قال الشاعر فقلت لها لا تجزعى أم مالك على ابنيك ان عبد لئيم شراهما قال ابن اسحق وكان مما قيل فى
ذلك من الشعر قول خبيب بن عدى (١٧٠) يرحمه الله حين بلغه أن القوم قد أجمعوا الصلبه « قال ابن هشام » و بعض أهل العلم
بالشعر ينكرها له
لقد جمع الاحزاب حولى وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد
على لانى فى وثاق بمضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله اشكو غربتى ثم كربتى
وما أرصد الاحزاب لى عند مصرعى
فذا العرش صبرنى على ما يراد بى * فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطمعى
وذلك فى ذات الاله وان يشا * يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيرونى الكفر والموت دونه * وقد هملت عيناى من غير مجزع
ومابى حذار الموت انى لميت * ولكن حذارى حجم نار ملفع
فوالله ما أرجو اذا مت مسلما * على اى جنب كان فى الله مصرعى
فلست بمبد للعدو تخشعا * ولا جزعا انى الى الله مرجعى
وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا
ما بال عينيك لا ترقا مدامعها * سحا على الصدر مثل اللؤلؤ الفلق
على خبيب فتى الفتيان قد علموا * لا فشل حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة * وجنة الخلد عند الحور فى الرفق
ماذا تقولون ان قال النبى لكم * حين الملائكة الابرار فى الافق
فيم قتلتم شهيد الله فى رجل * طاغ قد اوعث فى البلدان والرفق « قال ابن هشام » ويروى الطرق وتركنا ما بقى منها لانه اقذع فيها
قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى خبيبا يا عين جودى بدمع منك منكسب * وابكى خبيبا مع الفتيان لم يؤب
صقرا توسط فى الانصار منصبه * سمح السجية محضا غير مؤتشب قد هاج عينى على علات عبرتها * اذ قيل نص الى جذع من الخشب
يا أيها الراكب الغادى لطيته * أبلغ لديك وعيدا ليس بالكذب بنى كهيبة ان الحرب قد لقحت * محلوبها الصاب اذ تمرى لمحتلب
فيها اسود بنى النجار تقدمهم * شهب الاسنة فى معصوصب لجب « قال ابن هشام » وهذه القصيدة مثل التى قبلها و بعض أهل
العلم بالشعر ينكرها لحسان وقد تركنا أشياء قالها حسان فى أمر خبيب لما ذكرت . قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا

حين حمته الدبر الدبر ههنا الزنابير وأما الدبر فصغار الجراد ومنه يقال ما دبر قاله أبو حنيفة قال وقد يقال
للنحل أيضا دبر بفتح الدال واحدتها دبرة قال و يقال له خشرم ولا واحد له من لفظه هذه رواية أبى عبيد
عن الاصمعى ورواية غيره عنه ان واحدته خشرمة والثول جماعة النحل أيضا ولا واحد لها وكذلك
النوب واللوب ومن اللوب حديث زبان بن قسور قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو نازل بوادى
الشوحط فكلمته فقلت يا رسول الله ان معنا لوبا لنا يعنى نحلا كانت فى عيلم لنا به طرم وشمع فجاء رجل فضرب
ميتين فانتج حيا وكفنه بالثمام يعنى نارا من زندين ونحسه يعنى دخنه فطار اللوب هاربا ودلى مشواره فى العيلم
فاشتار العسل فمضى به فقال النبى صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من سرق شر وقوم فاضر بهم أفلا تبعتم
أثره وعرفتم خبره قال قلت يا رسول الله انه دخل فى قوم لهم منعة وهم جيراننا من هذيل فقال النبى صلى الله
عليه وسلم صبرك صبرك ترد نهر الجنة وان سعته كما بين اللقيقة والسحيقة يتسبسب جريا بعسل صاف من
قذاه ما تقياه لوب ولا مجه نوب فالعيلم البئر وأراد بها ههنا وقبة النحل أو الخلية وقد يقال لموضع النحل اذا كان
صدعا فى جبل شيق وجمعه شيقان و يقال لكل دخان نحاس ولا يقال أيام الا لدخان النحل خاصة يقال آمها
يؤمها اذا دخنها قاله أبو حنيفة

(فصل)

لو كان فى الدار قرم ماجد بطل * ألوى من القوم صقر خاله أنس
اذن وجدت خبيبا مجلسا فسحا * ولم يشد عليك السجن والحرس
ولم تسقك التنعيم زعنفة * من القبائل منهم من نفت عدس
دلوك عدرا وهم فيها أولو خلف * وانت ضيم لها فى الدار محتبس

« قال ابن هشام » أنس الاصم السلمى خال مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف وقوله من نفت عدس يعنى حجير بن ابى اهاب و يقال الاعشى بن زرارة بن النباش الاسدى وكان حليفا لبنى نوفل بن عبد مناف . قال ابن اسحق وكان الذين أجلبوا على خبيب فى قتله حين قتل من قريش عكرمة بن أبى جهل وسعيد بن عبد الله بن أبى قيس بن عبدود والاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهره وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة ابن الاوقص السلمى حليف بنى أمية بن عبد شمس وأمية بن أبى عتبة و بنوا الحضرمى . وقال حسان أيضا يهجو هذيلا فيما صنعوا بخبيب ابن عدى

أبلغ بنى عمرو بأن أخاهم
شراه امرؤ قد كان للغدر لازما
شراه زهير بن الاغر وجامع
وكانا جميعا يركبان المحارما
أجرتم فلما أن أجرتم غدرتم
وكنتم باكناف الرجيع لهاذما
فليت خبيبا لم تخنه أمانة *
وليت خبيبا كان بالقوم عالما

« قال ابن هشام » زهير بن الاغر وجامع الهذليان اللذان باعا خبيبا . قال ابن اسحق وقال حسان ابن ثابت أيضاً

ان سرك الغدر صرفا لا مزاج له * فأت الرجيع فسل عن دار لحيان
قوم تواصوا باكل الجار بينهم * فالكلب والقرد والانسان ميلان
لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم * وكان ذا شرف فيهم وذا شان

« قال ابن هشام » وأنشدنى أبو زيد الانصارى قوله

لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم * وكان ذا شرف فيهم وذا شان

* قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلا

سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب
سالوا رسولهم ماليس معطيهم * حتى الممات وكانوا سبة العرب
ولن ترى لهذيل داعيا أبدا * يدعو لمكرمة عن منزل الحرب
لقد أرادوا خلال الفحش ويحهم . وأن يحلوا حراما كان فى الكتب

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا

﴿ فصل ﴾ وذكر أن خبيبا أول من سن الركعتين عند القتل قوله هذا يدل على انهما سنة جارية وكذلك فعلهما حجر بن عدى بن الادبر حين قتله معاوية رحمه الله وذلك أن زيادا كتب من البصرة الى معاوية يذكر ان حجرا وأصحابه قد خرجوا على السلطان وشقوا عصى المسلمين ووجه مع الكتاب بكتاب فيه شهادة سبعين رجلا فيهم الحسن بن أبى الحسن البصرى وابن سيرين والربيع بن زياد وجماعة من علية التابعين ذكرهم الطبرى يشهدون بما قال زياد من خروج حجر بن عدى عليه وكان حجر شديد الانكار للظلم غليظا على الامراء وأنكر على زياد أمورا من الظلم فخرج عليه ولم يكن قصده الخروج على معاوية فلما حمل حجر الى معاوية فى خمسة من أصحابه قال له السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال له معاوية أو أنا للمؤمنين أمير ثم أمر بقتله فعند ذلك صلى حجر الركعتين ثم لقى معاوية عائشة بالمدينة فقالت له أما اتقيت الله يا معاوية فى حجر ابن عدى وأصحابه فقال أو أنا قتلتهم انما قتلهم من شهد عليهم فلما أكثرت عليه قال لها دعينى وحجرا فانى ملاقيه غداً على الجادة قالت فاين عزب عنك حلم أبى سفيان فقال حين غاب عنى مثلك من قومى وانما صار فعل خبيب سنة حسنة والسنة انما هى أقوال من النبى صلى الله عليه وسلم وأفعال واقرار لانه فعلها فى حياته عليه السلام فاستحسن ذلك من فعله واستحسنه المسلمون مع ان الصلاة خير ما ختم به عمل العبد وقد صلى هاتين الركعتين أيضاً زيد بن حارثة مولى النبى صلى الله عليه وسلم وذلك فى حياته عليه السلام حدثنا أبو بكر بن طاهر [بن طاهر] الاشبيلى قال نا أبو على الغسانى قال نا أبو عمر النمرى قال نا أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون قال نا أبو محمد قاسم بن أصبغ قال نا أبو بكر بن أبى خيثمة نا ابن معين نا قال نا يحيى بن عبد الله بن بكير المصرى قال نا الليث بن سعد قال بلغنى ان زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلا من الطائف اشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء قال فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا فى الخربة قتلى كثيرة قال فلما أراد ان يقتله قال دعنى أصلى ركعتين قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا قال فلما صليت أتانى ليقتلنى قال فقلت يا أرحم الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله قال فهاب ذلك فخرج يطلب احدا فلم ير شيئا فرجع الى فناديت يا أرحم الراحمين ففعل ذلك ثلاثا فاذا أنا بفارس بيده حربة حديد فى رأسها شعلة من نار فطعنه بها فانفذه من ظهره فوقع ميتاً ثم قال لما دعوت المرة الاولى يا أرحم الراحمين كنت فى السماء السابعة فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنت فى السماء الدنيا فلما دعوت المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتك

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق ما أنزل الله تعالى فى خبر خبيب وأصحابه من قول المنافقين فيهم « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه » الآية وأكثر أهل التفسير على خلاف قوله وانها

لعمرى لقد شانت هذيل بن مدرك * أحاديث كانت فى خبيب وعاصم
أحاديث لحيان صلوب قبيحها * ولحيان جرامون شر الجرائم
أناس هم من قومهم فى صميمهم * بمنزلة الزمعان دبر القوادم
هم غدروا يوم الرجيع وأسلمت * أمانتهم ذا عفة ومكارم
رسول رسول الله غدرا ولم تكن * هذيل توقى منكرات المحارم
فسوف يرون النصر يوما عليهم * بقتل الذى تحميه دون الحرائم
أبابيل دبر شمس دون لحمه * حمت لحم شهاد عظام الملاحم
لعل هذيلا أن يروا بمصابه * مصارع قتلى أو مقاما لمأتم
ونوقع فيها وقعة ذات صولة * يوافى بها الركبان أهل المواسم
بامر رسول الله ان رسوله * رأى رأى ذى حزم بلحيان عالم
قبيلة ليس الوفاء يهمهم * وان ظلموا لم يدفعوا كف ظالم
اذا الناس حلوا بالفضاء رأيتهم * بمجرى مسيل الماء بين المخارم
محلهم دار البوار ورأيهم * اذا نابهم أمر كرأى البهائم

وقال حسان بن ثابت يهجو هذيلا

لحى الله لحيانا فليست دماؤهم * لنا من قتيلى غدرة بوفاء
هموا قتلوا يوم الرجيع ابن حرة * أخا ثقة فى وده وصفاء
فلو قتلوا يوم الرجيع باسرهم * بذى الدبر ما كانوا له بكفاء
قتيل حمته الدبر بين بيوتهم * لدى أهل كفر ظاهر وجفاء
فقد قتلت لحيان أكرم منهم * وباعوا خبيبا ويلهم بلفاء
فاف للحيان على كل حالة * على ذكرهم فى الذكر كل عفاء
قبيلة باللؤم والغدر تعتزى * فلم تمس يخفى لؤمها بخفاء
فلو قتلوا لم توف منه دماؤهم * بلى ان قتل القاتليه شفائى
فالا امت اذعر هذيلا بغارة * كغادى الجهام المغتدى بافاء
بامر رسول الله والامر أمره * يبيت للحيان الخنا بفناء
يعنى
تصبح قوما بالرجيع كانهم * جداء شتاء بتن غير دفاء

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا

فلا والله لا تدرى هذيل * أصاف ماء زمزم أم مشوب
ولا لهم اذا اعتمروا وحجوا * من الحجرين والمسعى نصيب
ولكن الرجيع لهم محل * به اللؤم المبين والعيوب
كانهم لدى الكنات أصلا * تيوس بالحجار لها نبيب
هموا غروا بذمتهم خبيبا * فبئس العهد عهدهم الكذوب

«قال ابن هشام» آخرها بيتا عن أبى زيد الانصارى

نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى رواه أبو مالك عن ابن عباس وقاله مجاهد وقال ابن الكلبى كنت بمكة فسئلت عن هذه الآية فقلت نزلت فى الاخنس بن شريق فسمعنى رجل من ولده فقال لى ياهذا انما أنزل القرآن على أهل مكة فلا تسم أحدا ما دمت فيها وكذلك قالوا فى قوله «ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله» نزلت فى صهيب بن سنان حين هاجر وترك جميع ماله لقريش ويدعونه يهاجر بنفسه الى الله ورسوله واستشهد ابن هشام على تفسير الالد بقول مهلهل قال واسمه امرؤ القيس ويقال عدى وقد صرح مهلهل باسم نفسه فى الشعر الذى استشهد به ابن هشام فقال

ضربت صدرها الى وقالت * ياعديا لقد وقتك الاواقى

وفيه البيت الذى ذكر ابن هشام

ان تحت الاحجار حدا ولينا * وخصيما ألد ذا معلاق

ويروى مغلاق بالغين المعجمة والمعلاق اللسان وأما المغلاق بالغين معجمة فالقول الذى يغلق فم الخصم ويسكته وبعده

حية فى الوجار أربد لاينـ * ـفع منها السليم نفث الراقى

وسمى مهلهلا بقوله

لما توقل فى الكراع هجينهم * هلهلت آثار جابرا أو صنبلا

هلهلت أى كدت وقاربت وأما الالد فهو من اللديدين وهما جانبا العنق فالالد الذى يريغ الحجة من جانب الى جانب يقال تركته يتلدد وقال الزجاج الخصام جمع فى هذه الآية ولا يستقيم ان يكون معناه المخاصمة لان افعل الذى يراد به التفضيل انما يكون بعض ما أضيف اليه تقول زيد أفصح الناس ولا تقول زيد أفصح الكلام «قال الشيخ الحافظ رضى الله عنه» وهذا الذى قاله حسن ان كان ألد من هذا الباب الذى مؤنثه الفعلى وأما ان كان من باب افعل الذى مؤنثه فعلاء نحو أخرس وخرساء فالخصام مصدر خاصمته وهو ظاهر قول المفسرين فانهم فسروه بالشديد الخصومة فاللدد اذا من صفة المخاصمة وان وصف به الرجل مجازا ويقوى هذا قوله وخصيما ألد ولم يضفه ولا قال ألد من كذا فجعله من باب أصم وأشم ونحوه ويقويه أيضا قولهم فى الجمع قوم لد روت عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أبغض الخلق الى الله الخصم الالد وقرأ ابن محيصن «ويشهد الله على ما فى قلبه» بفتح الياء والهاء ورفع الهاء من اسم الله تعالى أى ويعلم الله ما فى قلبه

«فصل» وذكر شعر حسان فى قصة خبيب وقوله فيه * من القبائل منهم من نفت عدس *

قوله من نفت عدس يعنى حجير بن أبى اهاب بن عزين وهو ينتسب الى بنى عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ابن مالك بن حنظلة و يقال بل هو من بنى ربيعة بن مالك بن حنظلة ومن ههنا ذكر نفى بنى عدس له من أجل الاختلاف فى نسبه وعدس بضم الدال فى تميم وهو هذا وكل عدس فى العرب سواه فهو بفتح الدال وهو من عدس فى الارض اذا ذهب فيها والله أعلم فمن المفتوح الدال عدس بن عبيد فى الانصار ثم فى بنى النجار وهو جد أبى أمامة أسعد بن دارة وقد قال بعض النسابين فى عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الذى تقدم ذكره عدس بفتح الدال والاول أعرف وأشهر * وذكر قول خبيب حين رفعوه فى الخشبة اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً فمن رواه بدداً بكسر⁽¹⁾ الباء فهو مصدر بمعنى التبدد أى دوى بدد (فان قيل) فهل أجيبت فيهم دعوة خبيب والدعوة على تلك الحال من مثل ذلك العبد مستجابة (قلنا) أصابت منهم من سبق فى علم الله أن يموت كافراً ومن أسلم منهم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه ومن قتل منهم كافرا بعد هذه الدعوة فانما قتلوا بددا غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم فى أحد وقبل ذلك فى بدر وان كانت الخندق بعد قصة خبيب فقد قتل منهم آحاد فيها متبددون ثم لم يكن لهم بعد ذلك جمع ولا معسكر غزوا فيه فنفذت الدعوة على صورتها وفيمن أراد خبيب رحمه الله وحاشاه أن يكره ايمانهم واسلامهم

﴿فصل﴾ وذكر اشعار حسان فى خبيب وأصحابه وليس فيها معنى خفى ولا لفظ غريب وحشى فيحتاج الى تفسيره لكن فى بعضها * بنى كهيبة ان الحرب قد لقحت * جعل كهيبة كانه اسم علم لامهم وهذا كما يقال بنى ضوطرى و بنى الغبرى و بنى درزة قال الشاعر * أولاد درزة أسلموك وطاروا * وهذا كله اسم لمن يسب وعبارة عن السفلة من الناس وكهيبة من الكهبة وهى الغبرة وهذا كما قالوا بنى الغبراء وأكثر أشعار حسان فى هذه القصة قال فيها من هذيل لانهم اخوة القارة والمشاركون لهم فى الغدر بخبيب وأصحابه وهذيل وخزيمة أبناء مدركة بن الياس وعضل والقارة من بنى خزيمة * وقوله وابن لطارق وابن دثنة منهم حذف التنوين كما تقدم فى قوله شلت يدا وحشى من قاتل ولو انه حين حذف التنوين نصب وجعله كالاسم الذى لا ينصرف وهو فى موضع الخفض مفتوح لكان وجها وقياسا صحيحا لان الخفض تابع التنوين فاذا زال التنوين زال الخفض لئلا يلتبس بالمضاف الى ضمير المتكلم لان ضمير المتكلم وان كان ياء فقد يحذف و يكتفى بالكسرة منه و زوال التنوين فى أكثر ما لا ينصرف انما هو لاستغناء الاسم عنه اذ هو علامة الانفصال عن الاضافة فكل اسم لا يتوهم فيه الاضافة لا يحتاج الى التنوين لكنه اذا لم ينون لم يخفض لما ذكرناه من التباسه بالمضاف الى المتكلم وقد تقدم فى أشعار أحد كنار أبى حباحب والظبينا بفتح الباء من حباحب فى موضع الخفض وكان حق كل علم الا ينون لانه مستغن عن الاضافة كما لم ينون جميع أنواع المعارف ولكنه نون ما نون منه للسر الذى بيناه فى أسرار ما لا ينصرف من الاسماء وقد أملينا فى ذلك جزأ ولكن الخفض فى طارق و وحشى مروى و وجهه انه لما كان ضرورة شعر ولم يكثر فى كلامهم لم يتبعوا الخفض فيه التنوين اذ لا يتوهم اضافته الى المتكلم اذ لا يقع الا نادرا فى شعر فاللبس فيه بعيد * وقوله وابن البكير امامهم وخبيب أردف حرف الروى بياء مفتوح ما قبلها وقد تقدم القول فيه مرتين وخبيب فى اللغة تصغير خب وهو الماكر من الرجال الخداع و يجوز أن يكون تصغير خاب من الخبب فيكون من باب تصغير الترخيم وهو الذى ينبنى على حذف الزوائد وأما هذيل فقالوا فيه انه مصغر تصغير الترخيم لانه من هوذل الرجل ببوله اذا باعده به فكانه تصغير مهوذل على حذف الزوائد و يجوز أن يكون تصغير هذلول وهو التل الصغير من الرمل على تصغير الترخيم أيضاً * وقوله سالت هذيل رسول الله فاحشة ليس على تسهيل الهمزة فى سالت ولكنها

قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا وأصحابه

صلى الاله على الذين تتابعوا
يوم الرجيع فاكرموا وأثيبوا
رأس السرية مرثد وأميرهم ٠
وابن البكير امامهم وخبيب
وابن لطارق وابن دثنة منهم ٠
وافاه ثم حمامه المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم
كسب المعالى انه لكسوب
منع المقادة ان ينالوا ظهره ٠
حتى يجالد انه لنجيب

«قال ابن هشام» و يروى

حتى تجدل انه لنجيب

«قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

---

(١) وفى النسخة الاخرى [بكسر الباء فهو جمع بدة وهى الفرقة والقطعة من الشىء المتبدد أى ذوى بدد]

قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وولى تلك الحجة المشركون ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة فى صفر على رأس اربعة اشهر من احد

﴿ حديث بئر معونة ﴾

وكان من حديثهم كما حدثنى أبى اسحق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الله بن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره من أهل العلم قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام وقال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخشى عليهم أهل نجد قال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المعنق ليموت فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو بنى عدى بن النجار وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى رجال مسمين من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم كلا البلدين منها قريب وهى الى حرة بنى سليم أقرب فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بنى عامر فابوا أن يجيبوه الى مادعاهم اليه وقالوا لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم عصية ورعل وذكوان فاجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم يرحمهم الله الا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار فانهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا يرحمه الله وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار أحد بنى عمرو بن عوف « قال ابن وهو هشام » وهو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح * قال ابن اسحق فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن أمية ماترى قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصارى لكنى ما كنت لارغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه فخرج عمرو بن أمية حتى اذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر « قال ابن هشام » من بنى كلاب وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بنى سليم * قال ابن اسحق حتى نزلا معه فى ظل هو فيه وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية وقد سألهما حين نزلا ممن أنتما فقالا من بنى عامر فامهلهما حتى اذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد قتلت قتيلين لادينهما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبى براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب

لغة بدليل قولهم تسايل القوم ولو كان تسهيلا لكانت الهمزة بين بين ولم يستقم وزن الشعر بها لانها كالمتحركة وقد تقلب ألفا ساكنة كما قالوا المنساة ولكنه شىء لا يقاس عليه واذا كانت سال لغة فى سأل فيلزم أن يكون المضارع يسيل ولكن قد حكى يونس سلت تسال مثل خفت تخاف وهو عنده من ذوات الواو وقال الزجاج الرجلان يتسايلان وقال النحاس والمبرد يتساولان وهو مثل ماحكى يونس

﴿ خبر بئر معونة ﴾

قال ابن اسحق وكانوا أربعين رجلا والصحيح انهم كانوا سبعين كذا وقع فى صحيح البخارى ومسلم * وذكر أبا براء ملاعب الاسنة وانه أجار أصحاب بئر معونة من أهل نجد وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى ملاعب الاسنة فى يوم سوبان وهو يوم كانت فيه وقيعة فى أيام جبلة وهى أيام حرب كانت بين قيس وتميم وجبلة اسم لهضبة عالية وقد تقدم طرف من هذا الحديث فى أول الكتاب وكان سبب تسميته فى يوم سوبان ملاعب الاسنة ان أخاه الذى يقال له فارس قرزل وهو طفيل بن مالك وقد ذكرنا فى أول الكتاب معنى قرزل كان أسلمه فى ذلك اليوم وفر فقال شاعر

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمى ملاعب الاسنة وملاعب الرماح قال لبيد

وانى ملاعب الرماح * ومدره الكتيبة الرداح

عامر بن فهيرة * قال ابن اسحق فحدثنى هشام عن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة * قال ابن اسحق وقد حدثنى بعض بنى جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر قال وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم فكان يقول ان مما دعانى الى الاسلام انى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه فنظرت الى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول فزت والله فقلت فى نفسى ما فاز ألست قد قتلت الرجل قال حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت يحرض بنى أبى براء على عامر بن الطفيل

بنى أم البنين ألم يرعكم * وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبى براء * ليخفره وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى * فما أحدثت فى الحدثان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء * وخالك ماجد حكم بن سعد

«قال ابن هشام» حكم بن سعد من القين بن جسر وأم البنين بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهى أم أبى براء * قال ابن اسحق فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح فوقع فى فخذه فأشواه ووقع عن فرسه فقال هذا عمل ابى براء ان أمت فدمى لعمى فلا يتبعن به وان أعش فسارى رأيى فيما أتى الى وقال أنس بن عباس السلمى وكان خال طعيمة بن عدى بن نوفل وقتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى

تركت ابن ورقاء الخزاعى ثاويا • بمعترك تسفى عليه الاعاصر
ذكرت أبا الريان لما رأيته • وأيقنت انى عند ذلك ثائر

وأبو الريان طعيمة بن عدى وقال عبد الله بن رواحة يبكى نافع بن بديل بن ورقاء

وهو عم لبيد بن ربيعة وكانوا اخوة خمسة طفيل فارس قرزل وعامر ملاعب الاسنة وربيعة المقترين وهو والد لبيد وعبيدة الوضاح ومعاوية معوذ الحكماء وهو الذى يقول

اذا سقط السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

وفى هذا الشعر يقول

يعوذ مثلها الحكماء بعدى * اذا ما الامر فى الحدثان نابا

وبهذا البيت سمى معوذ الحكماء واياهم عنى لبيد حين قال بين يدى النعمان بن المنذر

نحن بنى أم البنين الاربعه * المطعمون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخيضعه * يارب هيجا هى خير من دعه

ثم ذكر الربيع بن زياد فقال * مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه * الى آخر الرجز فى خبر طويل انما قال الاربعة وهم خمسة لان أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك لا كما قال بعض الناس وهو قول يعزى الى الفراء انه قال انما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافى فيقال له لا يجوز للشاعر ان يلحن لاقامة وزن الشعر فكيف بان يكذب لاقامة الوزن وأعجب من هذا انه استشهد به على تأويل فاسد تأوله فى قوله سبحانه «ولمن خاف مقام ربه جنتان» وقال أراد جنة واحدة وجاء بلفظ التثنية لتتفق رؤوس الآى أو كلا ما هذا معناه فصمى صمام ما أشنع هذا الكلام وأبعده عن العلم وفهم القرآن وأقل هيبة قائله من ان يتبوأ مقعده من النار فحذار منه حذار ومما يدلك انهم كانوا أربعة حين قال لبيد هذه المقالة ان فى الخبر ذكر يتم لبيد وصغر سنه وان أعمامه الاربعة استصغروه أن يدخلوه معهم على النعمان حين همهم ما قاولهم به الربيع بن زياد فسمعهم لبيد يتحدثون بذلك ويهتمون له فسألهم ان يدخلوه معهم على النعمان وزعم انه سيفحمه فتهاونوا بقوله حتى اختبروه باشياء مذكورة فى الخبر فبان بهذا كله انهم كانوا أربعة ولو سكت الجاهل لقل الخلاف والحمد لله * وذكر ابن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه ان عامر بن الطفيل قال يومئذ من رجل لما طعنته رفع حتى رأيت السماء من دونه هذه رواية البكائى عن ابن اسحق وروى يونس بن بكير عنه بهذا الاسناد ان عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك وقال للنبى عليه السلام من رجل يا محمد لما طعنته رفع الى السماء فقال هو عامر بن فهيرة وروى عبد الرزاق وابن المبارك ان عامر بن فهيرة التمس فى القتلى يومئذ ففقد فيرون أن الملائكة رفعته أو دفنته * وذكر قول حسان

بنى أم البنين ألم يرعكم * وأنتم فى ذوائب أهل نجد

وهذه أم البنين التى ذكر لبيد فى قوله * نحن بنى أم البنين الاربعه * واسمها ليلى بنت عامر فيما ذكروا وقد ذكر ابن هشام نسبها ولم يذكر اسمها * وذكر قول أنس بن عباس السلمى

تركت ابن ورقاء الخزاعى ثاويا * بمعترك تسفى عليه الاعاصر
ذكرت أبا الزبان لما رأيته * وأيقنت انى عند ذلك ثائر

هكذا وقع فى النسخة أبا الزبان وفى رواية ابراهيم بن سعد أبا الريان بالراء المهملة وبالياء أخت الواو

رحم الله نافع بن بديل • رحمة المبتغي ثواب الجهاد
صابر صادق وفى اذا ما • أكثر القوم قال قول السداد

وقال حسان بن ثابت يبكي قتلى بئر معونة ويخص المنذر بن عمرو رحمه الله تعالى

على قتلى معونة فاستهلي • بدمع العين سحا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا • ولاقتهم مناياهم بقدر
أصابهم الفناء بعقد قوم • تخون عقد حبلهم بغدر
فيا لهفي لمنذر اذ تولى • وأعنق في منيته بصبر
وكائن قد أصيب غداة ذاكم • من ابيض ماجد من سر عمرو

«قال ابن هشام» أنشدني آخرها بيتا أبو زيد الانصاري وأنشدني لكعب بن مالك في يوم بئر معونه يعني بني جعفر بن كلاب

تركتم جاركم لبني سليم • مخافة حربهم عجزا وهونا
فلو حبلا تناول من عقيل • لمد بحبلها حبلا متينا
أوالقرطاء ما ان أسلموه • وقدما ما وفوا اذ لا تفونا

«قال ابن هشام» القرطاء قبيلة من هوازن ويروى من نفيل مكان من عقيل وهو الصحيح لان القرطاء من نفيل قريب

﴿ أمر اجلاء بني النضير في سنة اربع ﴾

* قال ابن اسحق ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما كما حدثني يزيد بن رومان وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم قاعد فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب احدهم فقال انا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما اراد القوم فقام وخرج راجعا الى المدينة فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فاقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا اليه صلى الله عليه وسلم فاخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم

وهكذا ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف كما في رواية ابراهيم بن سعد * وذكر شعر كعب وفيه * أوالقرطاء مال ان أسلموه * القرطاء هم بنو قرط وقريط وقريط وهم أبطن من بني عامر ثم من بني كلاب ولما قتل أصحاب بئر معونة نزل فيهم قرآن ثم رفع ان أبلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه فثبت هذا في الصحيح وليس عليه رونق الاعجاز فيقال انه لم ينزل بهذا النظم ولكن بنظم معجز كنظم القرآن (فان قيل) انه خبر والخبر لا يدخله النسخ (قلنا) لم ينسخ منه الخبر وانما نسخ منه الحكم فان حكم القرآن ان يتلى في الصلاة وان لا يمسه الا طاهر وان يكتب بين اللوحين وان يكون تعلمه من فروض الكفاية فكل ما نسخ ورفعت منه هذه الاحكام وان بقي محفوظا فانه منسوخ فان تضمن حكما جاز ان يبقى ذلك الحكم معمولا به وأنكرت ذلك المعتزلة وان تضمن خبرا بقي ذلك الخبر مصدقا به وأحكام التلاوة منسوخة عنه كما قد نزل لو ان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب ويروى لا يملأ عيني ابن آدم وفم ابن آدم كل ذلك في الصحيح وكذلك روي واديا من مال أيضاً فهذا خبر حق والخبر لا ينسخ ولكن نسخ منه أحكام التلاوة له وكانت هذه الآية أعني قوله لو ان لابن آدم في سورة يونس بعد قوله كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون كذلك قال ابن سلام وأما الحكم الذي بقي وكان قرآنا يتلى فالشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ولا ترغبوا عن آبائكم فان ذلك كفر بكم فهذا حكم كان نسخه جائزا حين نسخ حكم التلاوة وكان جائزا ان يبقى حكم التلاوة وينسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدم

﴿ غزوة بني النضير وما نزل فيها ﴾

ذكر ابن اسحق هذه الغزوة في هذا الموضع وكان ينبغي ان يذكرها بعد بدر لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهري قال كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر * وذكر نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني النضير وسيره اليهم حين نقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه وهموا بقتله فلما تحصنوا في حصونهم وحرق نخلهم نادوه ان يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه وذكر الحديث قال أهل التأويل وقع في نفوس المسلمين

المسلمين من هذا الكلام شىء حتى أنزل الله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها الآية واللينة ألوان التمر ما عدا العجوة والبرنى ففى هذه الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوه وفى الحديث العجوة من الجنة وتمرها يغذو أحسن غذاء والبرنى أيضاً كذلك وقال أبو حنيفة معناه بالفارسية حمل مبارك لان بر معناه حمل ونى معناه جيد أو مبارك فعربته العرب وأدخلته فى كلامها وفى حديث وفد عبد القيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم وذكر البرنى انه من خير تمركم وانه دواء وليس بداء رواه منهم مزيدة العصرى ففى قوله تعالى «ما قطعتم من لينة» ولم يقل من نخلة على العموم تنبيه على كراهة قطع ما يقتات و يغذو من شجر العدو اذا رجى أن يصير الى المسلمين وقد كان الصديق رضى الله عنه يوصى الجيوش الا يقطعوا شجراً مثمراً وأخذ بذلك الاوزاعى فاما تأولوا حديث بنى النضير ورأوه خاصا للنبى عليه السلام ولم يختلفوا ان سورة الحشر نزلت فى بنى النضير ولا اختلفوا فى أموالهم لان المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وانما قذف الرعب فى قلوبهم وجلوا عن منازلهم الى خيبر ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قد ساهموهم فى الاموال والديار غير انه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما وقال غير ابن اسحق وأعطى ثلاثة من الانصار وذكر الحارث بن الصمة فيهم وقوله سبحانه «يخربون بيوتهم» أى يخربونها من داخل والمؤمنون من خارج وقيل معنى بايديهم بما كسبت أيديهم من نقض العهد وأيدى المؤمنين أى بجهادهم * وقوله لاول الحشر روى موسى بن عقبة انهم قالوا له الى أين نخرج يا محمد قال الى الحشر يعنى أرض المحشر وهى الشام وقيل انهم كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قبلها فلذلك قال لاول الحشر والحشر الجلاء وقيل ان الحشر الثانى هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف والآية متضمنة لهذه الاقوال كلها ولزائد عليها فان قوله لاول الحشر يؤذن ان ثم حشر آخر فكان هذا الحشر والجلاء الى خيبر ثم أجلاهم عمر من خيبر الى تيماء وأريحاء وذلك حين بلغه التثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يبقين دينان بارض العرب * وقوله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا يقال نزلت فى قتل كعب ابن الاشرف * وقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى وروى عن مالك انه قال هم بنو قريظة وأهل التأويل على انها عامة فى جميع القرى المفتتحه على المسلمين وان اختلفوا فى حكمها فرأى قوم قسمها كما تقسم الغنائم ورأى بعضهم للامام أن يقفها وسيأتى بيان هذه المسئلة فى غزوة خيبر ان شاء الله * وذكر شعر العبسى فى اجلاء اليهود فقال * أحل اليهود بالحسى المزنم * يريد أحلهم بارض غربة وفى غير عشائرهم والزنيم والمزنم الرجل يكون فى القوم وليس منهم أى أنزلهم بمنزلة الحسى أى المبعد الطريد وانما جعل الطريد الذليل حسيا لانه عرضة الاكل والحسى والحسو ما يحسى من الطعام حسوا أى انه لا يمتنع على آكل ويجوز أن يريد بالحسى معنى الغذى من الغنم وهو الصغير الضعيف الذى لا يستطيع الرعى يقال بدلوا بالمال الدثر والابل الكوم رذال المال وغذاء الغنم والمزنم منه فهذا وجه يحتمل وقد أكثرت التنقير عن الحسى فى مضانه من اللغة فلم أجد نصاً شافيا أكثر من قول أبى على الحسية والحسى ما يحس من الطعام واذ قد وجدنا الغذى واحد غذاء الغنم فالحسى فى معناه غير ممتنع ان يقال والله أعلم والمزنم أيضاً صغار الابل وسائر هذا الشعر مع ما بعده من الاشعار ليس فيه عويص من الغريب ولا مستغلق من الكلام وما ذكر من أمر الكاهنين فهما قريظة والنضير وفى الحديث يخرج فى الكاهنين

* قال ابن اسحق ثم سار بالناس حتى نزل بهـم «قال ابن هشام» وذلك فى شهر ربيع الاول فحاصرهم ست ليال ونزل تحريم الخمر • قال ابن اسحق فتحصنوا منه فى الحصون فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه ان يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عدو الله عبد الله بن ابى بن سلول ووديعة بن مالك بن ابى قوقل وسويد وداعس قد بعثوا الى بنى النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قاتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله فى قلوبهم الرعب وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من اموالهم الا الحلقة ففعل فاحتملوا من اموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام فكان أشرافهم من سار منهم الى خيبر سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق وحيى بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر انه حدث انهم استقلوا بالنساء والابناء والاموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم وان فيهم لام عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسى التى ابتاعوا منه وكانت احدى نساء بنى غفار بزهاء وفخر ما رؤى مثله من حى من الناس فى زمانهم وخلوا الاموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الاولين دون الانصار الا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا فاعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم من بنى النضير الا رجلان يامين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فاحرزاها * قال ابن اسحق وقد حدثنى بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأنى فجعل يامين بن عمير لرجل جعلا على أن يقتل له عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون * ونزل فى بنى النضير سورة الحشر باسرها يذكر فيها ما اصابهم الله به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم وما عمل به فيهم فقال تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من ابن الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف ابوابهم اذ احتملوها فاعتبروا يا اولى الابصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء وكان لهم من الله نقمة لعذبهم فى الدنيا اى بالسيف ولهم فى الآخرة عذاب النار مع ذلك ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها واللينة ما خالف العجوة من النخل فباذن الله اى فبامر الله قطعت لم يكن فسادا ولكن كان نقمة من الله ليخزى الفاسقين «قال ابن هشام» اللينة من الالوان وهى ما لم تكن برنية ولا عجوة من النخل فيما حدثنا ابو عبيدة قال

ذو الرمة　　كان قتودى فوقها عش طائر * على لينة سوقاء تهفو جنوبها　　وهذا البيت فى قصيدة له ما افاء الله على رسوله منهم

* قال ابن اسحق يعنى من بنى النضير فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير اى له خاصة «قال ابن هشام» أوجفتم حركتم واتعبتم فى السير قال تميم بن ابى بن مقبل احد بنى عامر بن صعصعة

مذاويد بالبيض الحديث صقالها * عن الركب أحيانا اذا الركب أوجفوا　　وهذا البيت فى قصيدة له وهو الوجيف قال ابو زيد الطائى واسمه حرملة بن المنذر

مسنفات كانهن قنا الهند * لطول الوجيف جذب المرود

وهذا البيت فى قصيدة له «قال ابن هشام» السناف البطان والوجيف ايضا وجيف القلب والكبد وهو الضربان قال قيس بن الخطيم الظفرى

انا وان قدموا التى عملوا * أكبادنا من ورائهم تجف　　وهذا البيت فى قصيدة له ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول * قال ابن اسحق ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين

رجل يدرس القرآن درسا لم يدرسه أحد قبله ولا يدرسه أحد بعده فكانوا يرونه انه محمد بن كعب القرظى وهو محمد بن كعب بن عطية وسياتى خبر جده عطية فى بنى قريظة والكاهن فى اللغة بمعنى الكاهل وهو الذى يقوم بحاجة أهله اذا خلف عليهم يقال هو كاهن أبيه وكاهله قاله الهروى فيحتمل أن يكون سمى الكاهنان بهذا

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق خروج بنى النضير الى خيبر وانهم اشتغلوا بالنساء والابناء والاموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم وان فيهم لام عمرو صاحبة عروة بن الورد التى ابتاعوا منه وكانت احدى نساء بنى غفار انتهى كلام ابن اسحق ولم يذكر اسمها فى رواية البكائى عنه وذكره فى غيرها وهى سلمى قال الاصمعى اسمها ليلى بنت شعواء وقال أبو الفرج هى سلمى أم وهب امرأة من كنانة كانت ناكحا فى مزينة فاغار عليهم عروة بن الورد فسباها وذكر الحديث وقول أبى الفرج انها من كنانة لا يدفع قول

وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا يقول هـذا قسم آخر فيما أصيب الحرب بين المسلمين على ماوضعه الله عليه ثم قال تعالى ألم ترالى الذين نافقوا يعنى عبدالله بن أبى وأصحابه ومن كان على مثل أمرهم يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب يعنى بنى النضير الى قوله كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب اليم يعنى بنى قينقاع * ثم القصة الى قوله كمثل الشيطان اذقال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىءٌ منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين وكان مماقيل فى بنى النضير من الشعر قول ابن القيم العبسى و يقال قالها قيس بن بحر بن طريف «قال ابن هشام» قيس بن بحر الاشجعى فقال

أهلى فداء لامرىءٍ غيرهالك * أحل اليهود بالحسى المزنم   يقيلون فى جمر العضاه وبدلوا * أهيضب عورى بالودى المكمم
فان يك ظنى صادقا بمحمد * تروا خيله بين الصلا ويرمرم   يؤم بها عمرو بن بهثة انهم * عدو وماحى صديق كمجرم
عليهن أبطال مساعير فى الوغى * يهزون أطراف الوشيج المقوم   وكل رقيق الشفرتين مهند * تورثن من أزمان عاد وجرهم
فمن مبلغ عنى قريشا رسالة * فهل بعدهم فى المجد من متكرم   بان أخاكم فاعلمن محمدا * تليد الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق تجسم أموركم * وتسموا من الدنيا الى كل معظم   نبى تلافته من الله رحمة * ولا تسألوه أمر غيب مرجم
فقد كان فى بدر لعمرى عبرة * لكم ياقريشا والقليب الململم   غداة أتى فى الخزرجية عامدا * اليكم مطيعا للعظيم المكرم
معانا بروح القدس ينكى عدوه * رسولا من الرحمن حقا بعلم   رسولا من الرحمن يتلو كتابه * فلما أنار الحق لم يتلعثم
أرى أمره يزداد فى كل موطن * علو الامر حمه الله محكم

« قال ابن هشام » عمرو ابن بهثة من غطفان وقوله بالحسى المزنم عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه يذكر اجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الاشرف « قال ابن هشام » قالها رجل من المسلمين غير على بن أبى طالب رضوان الله عليه فيما ذكر بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلى رضوان الله عليه

ابن اسحق انها من غفار لان غفار من كنانة غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وعروة بن الورد بن زيد و يقال بن عمرو بن ناشب بن هدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس فهو عبسى غطفانى قيسى لان عبسا هو ابن بغيض بن ريث بن غطفان قال فيه عبد الملك بن مروان مايسرنى ان احدا من العرب ولدنى الا عروة بن الورد لقوله

أتهزأ منى ان سمنت وقد ترى * بجسمى مس الحق والحق جاهد
انى امرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى انائك واحد
اقسم جسمى فى جسوم كثيرة * واحسوا قراح الماء والماء بارد

عرفت ومن يعتدل يعرف * وأيقنت حقا ولم أصدف   عن الكلم المحكم اللاء من * لدى الله ذى الرأفة الارأف
رسائل تدرس فى المؤمن * ين بهن اصطفى أحمد المصطفى   فاصبح أحمد فينا عزيزا * عزيز المقامة والموقف
فيا أيها الموعدوه سفا * ها ولم يأت جورا ولم يعنف   ألستم تخافون أدنى العذاب * وما آمن الله كالاخوف
وان تصرعوا تحت أسيافه * كمصرع كعب أبى الاشرف   غداة رأى الله طغيانه * وأعرض كالجمل الاجنف
فانزل جبريل فى قتله * بوحى الى عبده ملطف   فدس الرسول رسولا له * بابيض ذى هبة مرهف
فباتت عيون له معولات * متى ينع كعب لها تذرف   وقلن لاحمد ذرنا قليلا * فانا من النوح لم نشتف
فخلاهم ثم قال اظعنوا * دحورا على رغم الآنف   وأجلى النضير الى غربة * وكانوا بدار ذوى زخرف
الى أذرعات ردافى وهم * على كل ذى دبر أعجف   (فاجابه سمال اليهودى فقال)
ان تفخروا فهو فخر لكم * بمقتل كعب أبى الاشرف   غداة غدوتم على حتفه * ولم يات غدرا ولم يخلف
فعل الليالى وصرف الدهور * يدلن من العادل المنصف   بقتل النضير وأحلافها * وعقر النخيل ولم تقطف
فان لا أمت نأتكم بالقنا * وكل حسام معا مرهف   بكف كمى به يحتمى * متى يلق قرنا له يتلف
مع القوم صخر وأشياعه * اذا غاور القوم لم يضعف   كليث بترج حمى غيله * أخى غابة هاصر أجوف

قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بني النضير وقتل كعب ابن الأشرف

لقد خزيت بغدرتها الحبور * كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك انهم كفروا برب * عزيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معا فهما وعلما * وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا * وآيات مبينة تنير
فقالوا ما أتيت بامر صدق * وأنت بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد أديت حقا * يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد * ومن يكفر به يجز الكفور
فلما أشربوا غدرا وكفرا * وجد بهم عن الحق النفور
أرى الله النبي برأى صدق * وكان الله يحكم لا يجور
فايده وسلطه عليهم * وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريعا * فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته * بايدينا مشهرة ذكور
بامر محمد اذ دس ليلا * الى كعب أخا كعب يسير
فماكره فانزله بمكر * ومحمود أخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء * أبارهم بما اجترموا المبير
غداة أتاهم في الزحف رهوا * رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه * على الاعداء وهو لهم وزير
فقال السلم ويحكم فصدوا * وخالف أمرهم كذب وزور
فذاقوا غب أمرهم وبالا * لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع * وغودر منهم نخل ودور

(فاجابه سمال اليهودي فقال)

أرقت وضافني هم كبير * بليل غيره ليل قصير
أرى الاحبار تنكره جميعا * وكلهم له علم خبير
وكانوا الدارسين لكل علم * به التوراة تنطق والزبور
قتلتم سيد الاحبار كعبا * وقد ما كان يأمن من يجير
تدلى نحو محمود أخيه * ومحمود سريرته الفجور
فغادره كان دما نجيعا * يسيل على مدارعه عبير
فقد وأبيكم وأبي جميعا * أصيبت اذ أصيب به النضير
فان نلم لكم نترك رجالا * بكعب حولهم طير تدور
كانهم عتائر يوم عيد * تذبح وهي ليس لها نكير
ببيض لا تليق لهن عظما * صوافي الحد أكثرها ذكور
كما لاقيتم من بأس صخر * باحد حيث ليس لكم نصير

وروى

وكان يقال من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد قال أبو الفرج وكان عروة يتردد على بني النضير فيستقرضهم اذا احتاج ويبيع منهم اذا غنم فرأوا عنده سلمى فاعجبتهم فسألوه أن يبيعها منهم فابى فسقوه الخمر واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه وفي ذلك يقول

سقوني الخمر ثم تكنفوني * عداة الله من كذب وزور

(وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني النضير)

ولو أن أهل الدار لم يتصدعوا * رأيت خلال الدار ملهى وملعبا
فانك عمري هل أريك ظعائنا * سلكن على ركن الشطاة فتيأبا
عليهن عين من ظباء تبالة * أوانس يصبين الحليم المجربا
اذا جاء باغي الخير قلنا نجاءة * له بوجوه كالدنانير مرحبا
وأهلا فلا ممنوع خير طلبته * ولا أنت تخشى عندنا ان تؤنبا
فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم * سلام ولا مولى حيي بن أخطبا

(فاجابه خوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال)

تبكي على قتلى يهود وقد ترى * من الشجو لو تبكي أحب وأقربا
فهلا على قتلى ببطن أرينق * بكيت ولم تعول من الشجو مسهبا
اذا السلم دارت في صديق رددتها * وفي الدين صدادا وفي الحرب ثعلبا
عمدت الى قدر لقومك تبتغي * لهم شبها كيما تعز وتغلبا
فانك لما ان كلفت تمدحا * لمن كان عيبا مدحه وتكذبا
رحلت بامر كنت أهلا لمثله * ولم تلف فيهم قائلا لك مرحبا
فهلا الى قوم ملوك مدحتهم * تبنوا من العز المؤثل منصبا
الى معشر سادوا وملوكا وكرموا * ولم يلف فيهم طالب العرف مجدبا
أولئك أحرى من يهود بمدحة * تراهم وفيهم عزة المجد ترتبا

(فاجابه عباس بن مرداس السلمي فقال)

هجوت صريح الكاهنين وفيكم * لهم نعم كانت من الدهر ترتبا
أولئك أحرى لو بكيت عليهم * وقومك لو أدوا من الحق موجبا
من الشكر ان الشكر خير مغبة * وأوفق فعلا للذي كان أصوبا
فكنت كمن أمسى يقطع رأسه * ليبلغ عزا كان فيه مركبا
فبك بني هرون واذكر فعالهم * وقتلهم للجوع اذ كنت مجدبا
أخوات اذر الدمع بالدمع وابكهم * وأعرض عن المكروه منهم ونكبا
فانك لو لاقيتهم في ديارهم * لالفيت عما قد تقول منكبا
سراع الى العليا كرام لدى الوغى * يقال لباغي الخير أهلا ومرحبا

(فاجابه كعب بن مالك أو عبد الله بن رواحة فيما قال ابن هشام فقال)

لعمري لقد حكت رحى الحرب بعدما * أطارت لؤيا قبل شرقا ومغربا
بقية آل الكاهنين وعزها * فعاد ذليلا بعد ما كان أغلبا
فطاح سلام وابن سعية عنوة * وقيد ذليلا للمنايا ابن أخطبا

وأجلب يبغي العز والذل يبتغي * خلاف يديه ماجنى حين أجلبا
كتارك سهل الأرض والحزن همه * وقد كان ذا في الناس أكدى وأصعبا
وشاس وعزال وقد صليا بها * وما غيبا عن ذاك فيمن تغيبا
وعوف بن سلمى وابن عوف كلاهما * وكعب رئيس القوم حان وخيبا
فبعدا وسحقا للنضير ومثلها * ان اعقب فتح أو ان الله أعقبا

«قال ابن هشام» قال أبو عمرو المدني ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بني النضير بني المصطلق وسأذكر حديثهم ان شاء الله في الموضع الذي ذكره ابن اسحق فيه

﴿ غزوة ذات الرقاع في سنة أربع ﴾

* قال ابن اسحق ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ثم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ويقال عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق حتى نزل نخلا وهي غزوة ذات الرقاع «قال ابن هشام» وانما قيل لها غزوة ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع

وروى أيضاً ان قومها افتدوها منه وكان يظن انها لاتختار عليه أحداً ولا تفارقه فاختارت قومها فندم وكان له منها بنون فقالت له والله ما أعلم امرأة من العرب ارخت ستراً على بعل مثلك اغض طرفا ولا أندى كفا ولا أغنى غناء وانك لرفيع العماد كثير الرماد خفيف على ظهور الخيل ثقيل على متون الأعداء راضي للاهل والجار وما كنت لأوثر عنك أهلي لولا اني كنت اسمع بنات عمك يقلن فعلت أمة عروة وقالت أمة عروة فاجد من ذلك الموت والله لايجامع وجهي وجه غطفانية أبدا فاستوص ببنيك خيرا قال ثم تزوجها بعده رجل من بني النضير فسألها أن تثني عليه في نادي قومه كما أثنت على عروة فقالت اعفني فاني لا أقول الا ما علمته فابى أن يعفيها فجاءت حتى وقفت على النادي وهو فيه فقالت عموا صباحا ثم قالت ان هذا أمرني أن أثني عليه بما علمت فيه ثم قالت له والله ان شملتك لالتفاف وان شربك لاشتفاف وان ضجعتك لانجعاف وانك لتشبع ليلة تضاف وتنام ليلة تخاف فقال له قومه قد كنت في غنى عن هذا وفيها يقول عروة بن الورد

أرقت وصحبتي بمضيق عمق * لبرق في تهامة مستطير
اذا قلت استهل على قديد * يحور ربابه حور الكسير
سقى سلمى وأين محل سلمى * اذا حلت مجاورة السرير
اذا حلت بارض بني علي * وأهلك بين امرة وكير
ذكرت منازلا من أم وهب * محل الحي أسفل ذي النقير
وآخر معهد من أم وهب * معرسنا فويق بني النضير
وقالت ماتشاء فقلت ألهو * الى الاصباح آثر ذي أثير
بآنسة الحديث رضاب فيها * بعيد النوم كالعنب العصير
أطعت الآمرين بصرم سلمى * فطاروا في بلاد اليستعور
سقوني الخمر ثم تكنفوني * عداة الله من كذب وزور
وقالوا لست بعد فداء سلمى * بمغن مالديك ولا فقير
ولا وأبيك لو كاليوم أمري * ومن لك بالتدبر في الامور
اذا لملكت عصمة أم وهب * على ما كان من حسك الصدور
فيا للناس كيف غلبت نفسي * على شيء ويكرهه ضميري

قوله السرير موضع في ناحية كنانة وقوله اليستعور هو موضع قبل حرة المدينة فيه عضاه من سمر وطلح وقال أبو حنيفة اليستعور شجر يستاك به ينبت بالسراة واليستعور أيضاً من أسماء الدواهي والياء في اليستعور أصلية فهذا شرح ما أومأ اليه ابن اسحق من حديث أم عمرو وانما هي أم وهب كما ذكر في شعره

﴿ غزوة ذات الرقاع ﴾

وسميت ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم في قول ابن هشام قال ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وذكر غيره انها أرض فيها بقع سود وبقع بيض كانها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة وأصح من هذه الاقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الاشعري قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما

* قال ابن اسحق فلقى بها جمعا عظيما من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس « قال ابن هشام » حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى وكان يكنى أبا عبيدة قال حدثنا يونس بن عبيد عن الحسن بن أبى الحسن عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف ثم انصرف بالناس « قال ابن هشام » بطائفة ركعتين ثم سلم وطائفة مقبلون على العدو قال فجاؤا فصلى بهم ركعتين أخريين ثم سلم « قال ابن هشام » وحدثنا عبد الوارث قال حدثنا أيوب عن أبى الزبير عن جابر قال صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين فركع بنا جميعا ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الصف الاول فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بانفسهم ثم تأخر الصف الاول وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبى صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ثم سجد النبى صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون بانفسهم ثم ركع النبى صلى الله عليه وسلم بهم جميعا وسجد كل واحد منهما بانفسهم سجدتين « قال ابن هشام » حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى قال حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال يقوم الامام وتقوم معه طائفة وطائفة مما يلى عدوهم فيرجع بهم الامام و يسجد بهم ثم يتأخرون فيكونون مما يلى العدو و يتقدم الآخرون فيرجع بهم الامام ركعة و يسجد بهم ثم تصلى كل طائفة بانفسهم ركعة فكانت لهم مع الامام ركعة ركعة وصلوا بانفسهم ركعة ركعة * قال ابن اسحق وحدثنى عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلا من بنى محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب ألا أقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال أفتك به قال فاقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره فقال يا محمد أنظر الى سيفك هذا قال نعم وكان محلى بفضة فيما قال ابن هشام قال فاخذه فاستله ثم جعل يهزه و يهم فيكبته الله ثم قال يا محمد أما تخافنى قال لا وما أخاف منك قال أما تخافنى وفى يدى السيف قال لا يمنعنى منك ثم عمد الى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه قال فانزل الله فيه يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن رومان أنها انما أنزلت فى عمرو بن جحاش أخى بنى النضير وما هم به فالله أعلم أى ذلك كان * قال ابن اسحق وحدثنى وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لى ضعيف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف حتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا جابر قال قلت يارسول الله أبطأ بى جملى هذا قال أنخه قال فانخته وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعطنى هذه العصا من يدك أو اقطع لى عصا من شجرة قال ففعلت قال فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ثم قال اركب فركبت فخرج والذى بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة قال وتحدثت مع رسول الله صلى الله

كنا نعصب من الخرق على أرجلنا فحدث أبو موسى بهذا ثم كره ذلك فقال ما كنت اصنع بان أذكره كأنه كره أن يكون شيأ من عمله أفشاه

﴿ فصل ﴾ وذكر صلاة الخوف وأوردها من طرق ثلاث وهى مروية بصور مختلفة أكثر مما ذكر سمعت شيخنا أبا بكر رحمه الله يقول فيها ست عشرة رواية وقد خرج المصنفون أصحها وخرج أبو داود منها جملة ثم اختلف الفقهاء فى الترجيح فقالت طائفة يعمل منها بما كان أشبه بظاهر القرآن وقالت طائفة يجتهد فى طلب الآخر منها فانه الناسخ لما قبله وقالت طائفة يؤخذ باصحها نقلا وأعلاها رواة وقالت طائفة وهو مذهب شيخنا يؤخذ بجميعها على حسب اختلاف أحوال الخوف فاذا اشتد الخوف أخذ بايسرها مؤنة فاذا تفاقم الخوف صلوا بغير امام لقبلة أو لغير قبلة وقد روى ابن سلام عن طائفة من السلف ان صلاة الخوف قد تؤل الى أن تكون أربع تكبيرات وذلك عند معمعة القتال وسيأتى بقية القول فى صلاة الخوف فى خبر بنى قريظة ان شاء الله ومما تخالف به صلاة الخوف حكم غيرها انه لا سهو فيها على امام ولا على مأموم رواه الدارقطنى بسند ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا سهو فى صلاة الخوف

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث جابر حين أبطأ به جمله فنخسه النبى صلى الله عليه وسلم نخسات فخرج يواهق ناقته مواهقة المواهقة كالمسابقة والمجاراة وأنشد سيبويه لاوس بن حجر

تواهق رجلاها يداها ورأسه * لها قتب خلف الحقيبة رادف

رفع يداها ورجلاها رفع الفاعل لان المواهقة لا تكون الا من اثنين فكل واحد منهما فاعل فى المعنى كما ذكروا فى قول الراجز

قد

قدسالم الحيات منه القدما * الافعوان والشجاع الشجعما

هكذا تاوله سيبويه ولعل هذا الشاعر كان من لغته أن يجعل التثنية بالالف فى الرفع والنصب والخفض كما قال

تزودمنا بين أذناه طعنة * دعته الى هابى التراب عقيم

وكما قال الآخر * قد بلغا فى المجد غايتاها * وهى لغة بنى الحارث بن كعب قاله أبو عبيد وقال النحاس فى الكتاب المقنع هى أيضاً لغة لخثعم وطيء وأبطن من كنانة والبيت أعنى تواهق رجلاها يداها هو لاوس بن حجر الاسدى وليس ممن هذه لغته فالبيت اذا على ما قاله سيبويه *وذكر مساومة النبى صلى الله عليه وسلم لجابر فى الجمل حتى اشتراه منه باوقية وانه أعطاه أولا درهما فقال لا اذا تغبننى يارسول الله فان كان أعطاه الدرهم مازحا فقد كان يمزح ولا يقول الا حقا فاذا كان حقا ففيه من الفقه اباحة المكايسة الشديدة فى البيع وأن يعطى فى السلعة مالا يشبه أن يكون ثمنا لها بنص الحديث. وفى دليله ان من اشترى سلعة بما لا يشبه أن يكون لها ثمنا وهو عاقل بصير ولم يكن فى البيع تدليس عليه فهو بيع ماض لا رجوع فيه وروى من وجه صحيح انه كان يقول له كلما زاده درهما قد أخذته بكذا والله يغفر لك فكانه عليه السلام أراد باعطائه اياه درهما درهما أن يكثر استغفاره له وفى جمل جابر هذا أمور من الفقه سوى ما ذكرنا وذلك أن طائفة من الفقهاء احتجوا به فى جواز بيع وشرط لان النبى صلى الله عليه وسلم شرط له ظهره الى المدينة وقالت طائفة لا يجوز بيع وشرط وان وقع فالشرط باطل والبيع باطل واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن جد أبيه عبد الله بن عمرو بن العاصى ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن شرط و بيع وعن بيع وسلف وقد روى أبو داود هذا الحديث فقال عن عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن أبيه محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عبد الله بن عمرو وهذه رواية مستغربة عند أهل الحديث جد الان المعروف عندهم ان شعيبا انما يروى عن جده عبد الله لا عن أبيه محمد لان أباه محمدا مات قبل جده عبد الله فتقف على هذه التنبيهة فى هذا الحديث فقل من تنبه اليها وقالوا لا حجة فى حديث جابر لما فيه من الاضطراب فقد روى انه قال أفقرنى ظهره الى المدينة و روى انه قال استثنيت ظهره الى المدينة و روى انه قال شرط لى ظهره وقال البخارى الاشتراط أكثر وأصح وكذلك اضطر بوا فى الثمن فقالوا بعته منه باوقية وقال بعضهم بأربع أواق وقال بعضهم بخمس أواق وقال بعضهم بخمسة دنانير وقال بعضهم بأربعة دنانير وقال بعضهم هو فى معنى الاوقية وكل هذه الروايات قد ذكرها البخارى وقال مسلم فى بعض رواياته دينارين ودرهمين وقالت طائفة بابطال الشرط وجواز البيع واحتجوا بحديث بريرة حين باعها أهلها من عائشة واشترطوا الولاء فاجاز النبى صلى الله عليه وسلم البيع وأبطل الشرط واستعمل مالك هذه الاحاديث أجمع فقال بابطال البيع والشرط على صورة و بجوازهما على صورة اخرى و بابطال الشرط وجواز البيع على صورة ايضاً وذلك بين فى المسائل لمن تدبرها وأبين ما توجد محكمة الاصول مستثمرة الجنا والفصول فى كتاب المقدمات لابن رشد فلينظرها هنالك من أرادها

﴿فصل﴾ ومن لطيف العلم فى حديث جابر بعد أن تعلم قطعا ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعل

عليه وسلم فقال لى أتبيعنى جملك هذا يا جابر قال قلت يارسول الله بل أهبه لك قال لا ولكن بعنيه قال قلت فسمنيه يارسول الله قال قد أخذته بدرهم قال قلت لا اذن تغبننى يارسول الله قال فبدرهمين قال قلت لا قال فلم يزل يرفع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الاوقية قال فقلت أفقد رضيت يارسول الله قال نعم قلت فهو لك قال قد أخذته قال. ثم قال يا جابر هل تزوجت بعد قال قلت نعم يارسول الله قال أثيبا أم بكرا قال قلت بل ثيبا قال أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك قال قلت يارسول الله ان أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤسهن وتقوم عليهن قال أصبت ان شاء الله أما انا لو قد جئنا صرارا أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك وسمعت بنا فنفضت نمارقها قال قلت والله يارسول الله ما لنا من نمارق قال انها ستكون فاذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا قال فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا قال فحدثت المرأة الحديث وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فدونك سمع وطاعة قال فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فاقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم جلست فى المسجد قريبا منه قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل فقال ما هذا قالوا يارسول الله هذا جمل جاء به جابر قال فأين جابر قال فدعيت له قال فقال يا ابن أخى خذ برأس جملك فهو لك ودعا بلالا فقال له اذهب بجابر فاعطه أوقية قال فذهبت معه فاعطانى أوقية وزادنى شيأ يسيرا

شيئاً عبثا بل كانت أفعاله مقرونة بالحكمة ومؤيدة بالعصمة فاشتراؤه الجمل من جابر ثم أعطاه الثمن وزاده عليه زيادة ثم رد الجمل عليه وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك العطاء دون مساومة فى الجمل ولا اشتراء ولا شرط ولا توصيل فالحكمة فى ذلك بديعة جدا فلتنظر بعين الاعتبار وذلك انه ساله هل تزوجت ثم قال له هلا بكرا فذكر له مقتل أبيه وما خلف من البنات وقد كان عليه السلام قد أخبر جابرا بان الله قد أحيا أباه ورد عليه روحه وقال ماتشتهى فازيدك فاكد عليه السلام هذا الخبر بمثل مايشبهه فاشترى منه الجمل وهو مطيته كما اشترى الله تعالى من أبيه ومن الشهداء أنفسهم بثمن هو الجنة ونفس الانسان مطيته كما قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ان نفسى مطيتى ثم زادهم زيادة فقال «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» ثم رد عليهم أنفسهم التى اشترى منهم فقال «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا» الآية فاشار عليه السلام باشترائه الجمل من جابر واعطائه الثمن وزيادته على الثمن ثم رد الجمل المشترى عليه أشار بذلك كله الى تاكيد الخبر الذى أخبر به عن فعل الله تعالى بابيه فتشاكل الفعل مع الخبر كما تراه وحاش لافعاله أن تخلو من حكمة بل هى كلها ناظرة الى القرآن ومنتزعة منه صلى الله عليه وسلم

﴿فصل﴾ وحدث عن عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر وذكر حديث غورث وقد ذكره البخارى فقال فيه غورث بن الحارث وقد ذكره الخطابى فقال فيه انه لما هم بقتل النبى صلى الله عليه وسلم رمى بالزلخة فندر السيف من يده وسقط الى الارض والزلخة وجع ياخذ فى الصلب وأمار وايته الحديث عن عمرو ابن عبيد فاعجب شئ سياقته اياه عن عمرو بن عبيد وقدر واه الاثبات عن جابر وعمرو بن عبيد متفق على وهن حديثه وترك الرواية عنه لما اشتهر من بدعته وسوء نحلته فانه حجة القدرية فيما يسندون الى الحسن رضى الله عنه من القول بالقدر وقد برأه الله منه وكان عند الله وجيها واما عمرو بن عبيد بن دأب فقد كان عظيما فى زمانه عالى الرتبة فى الورع حتى افتتن به وبمقالته امة فصار واقدرية وقد نبز بمذهبه قوم من أهل الحديث فلم يسقط حديثهم لانهم لم يجادلوا على مذهبهم ولا طعنوا فى مخالفيهم من اهل السنة كما فعل عمرو بن عبيد فممن نبز بالقدر ابن ابى ذئب وقتادة وداود بن الحصين وعبد الحميد بن جعفر وطائفة سواهم من الاثبات فى علم الحديث وعمرو بن عبيد يكنى أباعثمان وابوه عبيد بن دأب كان صاحب شرطة فيما ذكروا وسمع يوما ناسا يقولون فى ابنه هذا خير الناس ابن شر الناس فالتفت اليهم وقال وما يعجبكم من هذا هو كابراهيم وانا كآزر وكان ابو جعفر المنصور يقول بعد موت عمرو بن عبيد مابقى احد يستحيا منه بعد عمرو وكان يقول

كلكم خاتل صيد * كلكم يمشى رويد * غير عمرو بن عبيد

وقد نبز ابن اسحق بالقدر ايضاً وروايته عن عمرو بن عبيد تؤيد قول من عزاه اليه والله اعلم

﴿فصل﴾ وذكر قول جابر والله مازال ينمى عندنا ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب فيما أصيب منا يوم الحرة يعنى وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المرى الذى يسميه اهل المدينة مسرف بن عقبة وكان سببها ان اهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد ولم يوافق على هذا الخلع احد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم روى البخارى أن عبد الله بن عمر لما أرجف اهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم انا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله وانه والله لا يبلغنى عن أحد منكم انه خلع يداً من طاعته الا كانت الفيصل بينى وبينه ثم لزم بيته ولزم ابو سعيد الخدرى بيته فدخل عليه فى تلك الايام التى انتهبت المدينة فيها فقيل له من أنت ايها الشيخ فقال أنا ابو سعيد الخدرى صاحب النبى صلى الله

قال فوالله مازال ينمى عندي ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا يعنى يوم الحرة

* قال ابن اسحق وحدثنى عمى صدقة بن يسار عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله الانصارى * قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرقاع من نخل فاصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا أتى زوجها وكان غائبا فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهى حتى يهريق فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دما فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فقال من رجل يكلؤنا ليلتنا قال فانتدب رجل من المهاجرين ورجل آخر من الانصار فقالا نحن يارسول الله قال فكونا بفم الشعب قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا الى الشعب من الوادى وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فلما خرج الرجلان الى فم الشعب قال الانصارى للمهاجرى أى الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره قال بل اكفنى أوله قال فاضطجع المهاجرى فنام وقام الانصارى يصلى قال وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف انه ربيئة القوم قال فرمى بسهم فوضعه فيه قال فنزعه فوضعه فثبت قائما قال ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه قال فنزعه فوضعه وثبت قائما ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه قال فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه فقال اجلس فقد أثبت قال فوثب فلما رآهما الرجل عرف أنه قد نذرا به فهرب قال ولما رأى المهاجرى مابالانصارى من الدماء قال سبحان الله أفلا أهببتنى أول مارماك قال كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع على الرمى ركعت فاذنتك وايم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أوانفذها «قال ابن هشام» ويقال أنفذها * قال ابن اسحق ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجبا

﴿غزوة بدر الآخرة﴾ فى شعبان سنة أربع

* قال ابن اسحق ثم خرج فى شعبان الى بدر لميعاد أبى سفيان حتى نزله

عليه وسلم فقالوا له قد سمعنا خبرك وانعم مافعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم على وما عندى شىء فقالوا كذبت ونتفوا لحيته وأخذوا ماوجدوا حتى صوف الفرش وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما وأما جابر بن عبد الله الذى كنا بمساق حديثه فخرج فى ذلك اليوم يطوف فى أزقة المدينة والبيوت تنتهب وهو أعمى وهو يعثر فى القتلى ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل ومن أخاف رسول الله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخاف المدينة فقد اخاف ما بين جنبى فحملوا عليه ليقتلوه فاجاره منهم مروان وأدخله بيته وقتل فى ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والانصار الف وسبعمائة وقتل من اخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان فقد ذكر وان امرأة من الانصار دخل عليها رجل من اهل الشام وهى ترضع صبيها وقد اخذ ما كان عندها فقال لها هات الذهب والا قتلتك وقتلت صبيك فقالت ويحك ان قتلته فابوه ابو كبشة صاحب النبى صلى الله عليه وسلم وأنا من النسوة اللاتى بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خنت الله فى شىء بايعت رسوله عليه فانتفض الصبى من حجرها وثديها فى فيه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه فى الارض والمرأة تقول يابنى لو كان عندى شىء نفديك به لفديتك فما خرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلة فى الناس (قال المؤلف) وأحسب ان هذه المرأة جدة للصبى لا امالة اذ يبعد فى العادة ان تبايع النبى عليه السلام وتكون يوم الحرة فى سن من ترضع والحرة التى يعرف بها هذا اليوم يقال لها حرة زهرة وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم وقف بها وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار امتى بعد أصحابى ويذكر عن عبد الله بن سلام انه قال لقد وجدت صفتها فى كتاب يهود بن يعقوب الذى لم يدخله تبديل وانه يقتل فيها قوم صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم وذكر الحديث وعرفت حرة زهرة بقرية كانت لبنى زهرة قوم من اليهود وكانت كبيرة فى الزمان الاول ويقال كان فيها ثلاثمائة صائغ ذكر هذا الزبير فى فضائل المدينة له وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث وستين وقد كان يزيد بن معاوية قد أعذر اليهم فيماذكروا وبذل لهم من العطاء أضعاف ما يعطى الناس واجتهد فى استمالتهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن أبى الله الا ما أراد والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون»

﴿فصل﴾ وذكر حديث الانصارى والمهاجرى وهما عباد بن بشر وعمار بن ياسر وان رجلا من العدو رمى الانصارى بسهم وهو يصلى لما علم انه ربيئة القوم الربيئة هو الطليعة يقال ربأ على القوم يربأ فهو رباء وربيئة قال الشاعر

ربأ شماء لا يأوى لقلتها * الا السحاب والا الاوب والسبل

فرباء فعال من ربا اذا نظر من مكان مرتفع وشماء يريد هضبة شماء وانما قالوا ربيئة بهاء التأنيث وطليعة

« قال ابن هشام » واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول الانصارى * قال ابن اسحق فاقام عليه ثمان ليال ينتظر أباسفيان وخرج أبوسفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران و بعض الناس يقول قد بلغ عسفان ثم بدا له فى الرجوع فقال يامعشر قريش انه لا يصلحكم الاعام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أباسفيان لميعاده فاتاه مخشى بن عمرو الضمرى وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان فقال يامحمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء قال نعم ياأخا بنى ضمرة وان شئت مع ذلك رددنا اليك ما كان بيننا وبينك ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك قال لا والله يامحمد مالنا بذلك منك من حاجة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أباسفيان فمر به معبد بن أبى معبد الخزاعى فقال وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوى به

قد نفرت من رفقتى محمد * وعجوة من يثرب كالعنجد
تهوى على دين أبيها الاتلد * قد جعلت ماء قديد موعدى
وماء ضجنان لها ضحى الغد

وقال عبد الله بن رواحة فى ذلك « قال ابن هشام » أنشدنيها أبوزيد الانصارى لكعب بن مالك

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجد
لميعاده صدقا وما كان وافيا
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا *
لابت ذميما وافتقدت المواليا
تركنابه أوصال عتبة وابنه *
وعمرا أباجهل تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله أف لدينكم
وأمركم السيئ الذى كان غاويا
فانى وان عنفتمونى لقائل *
فدى لرسول الله أهلى وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره * شهابا لنا فى ظلمة الليل هاديا
دعوا فلجات الشام قد حال دونها * جلاد كافواه المخاض الاوارك
اذا سلكت للغور من بطن عالج * فقولا لها ليس الطريق هنالك
بكل كميت جوزه نصف خلقه * وقب طوال مشرفات الحوارك
فان تلق فى تطوافنا والتماسنا * فرات بن حيان يكن رهن هالك
فابلغ أبا سفيان عنى رسالة * فانك من غر الرجال الصعالك
احسان انا ياابن آكلة الفغا * وجدك نغتال الخروق كذلك
اذا ما انبعثنا من مناخ حسبته * مدمن أهل الموسم المتعارك
على الزرع تمشى خيلنا وركابنا * فما وطئت ألصقنه بالدكادك
حسبتم جلاد القوم عند قبابهم * كماخذ كم بالعير أرطال آنك

وقال حسان بن ثابت فى ذلك كاخذ كم
بايدى رجال هاجروا نحوربهم * وأنصاره حقا وأيدى الملائك
أقمنا على الرس النزوع ثمانيا * بارعن جرار عريض المبارك
ترى العرفج العامى تذرى أصوله * مناسم أخفاف المطى الرواتك
وان تلق قيس بن امرئ القيس بعده * يزد فى سواد لونه لون حالك
فاجابه أبوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال
خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا * ولو وألت منا بشد مدارك
أقمت على الرس النزوع تريدنا * وتتركنا فى النخل عند المدارك
أقمنا ثلاثا بين سلع وفارع * بجرد الجياد والمطى الرواتك
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها * على نحو قول المعصم المتماسك

لانها فى معنى العين والعين مؤنثة تقول ثلاث أعين وان كانوا رجالا يعنى الطلائع لان الطليعة والربيئة انما يراد منه عينه الناظرة كما تقول فى ثلاثة أعبد أعتقت ثلاث رقاب فتؤنث لان الرقبة ترجمة عن جميع العبد كما ان العين الذى هو الطليعة كذلك ويجوز ان تكون الهاء فى ربيئة وطليعة للمبالغة كما هى فى علامة ونسابة فعلى الوجه الاول تقول ثلاث طلائع وثلاث رباياً فى جمع ربيئة كما تقول ثلاث أعين لانه باب واحد من التأنيث واذا كانت الهاء للمبالغة قلت ثلاثة وأربعة لانك تقصد التذكير لان هاء المبالغة لا توجب تأنيث المسمى ولانها فى الصفة والصفة بعد الموصوف ولذلك تقول هذا علامة ولا تقول هذه علامة بخلاف الرقبة والعين لانك تقول فى العبد الذكر هذه رقبة فاعتقها وفى العين هذه طليعة وهذه عين وأنت تعنى الرجل هذا معنى الفرق بينهما وفى هذا الحديث من الفقه صلاة المجروح وجرحه يثعب دما كما فعل عمر بن الخطاب وقد ترجم بعض المصنفين عليه لموضع هذا الفقه وفيه متعلق لمن يقول ان غسل النجاسة لا يعد فى شروط صحة الصلاة وفيه من الفقه أيضاً تعظيم حرمة الصلاة وان للمصلى ان يتمادى عليها وان جر اليه ذلك القتل وتفويت النفس مع ان التعرض لفوات النفس لا يحل الا فى حال المحاربة ألا ترى الى قوله لولا ان أضيع ثغرا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل ان أقطعها أو انفذها يعنى السورة التى كان يقرؤها وذكر قول معبد * وعجوة من يثرب كالعنجد * العنجد حب الزبيب وقد يقال للزبيب نفسه أيضاً عنجد وأما العنب فيقال لعجمه الفرصد والاتلد الاقدم من المال التليد * وأما قول حسان

* دعوا فلجات الشام * جمع فلج وهو الماء الجارى سمى فلجا لانه قد خد فى الارض وفرق بين جانبيه مأخوذ من فلج الاسنان أو من الفلج وهو القسم والفالج مكيال يقسم به والفالج بعير ذو سنامين وهو من هذا الاصل ورواه أبوحنيفة بالحاء وقال الفلحة المزرعة * وذكر شعر أبى سفيان

* احسان انا ياابن آكلة الفغا * الفغا ضرب من التمر ويقال هى غبرة تعلو البسر والغفالغة فى الفغا * وفيه * كمأخذكم بالعين ارطال آنك * ألفيت على هذا البيت فى حاشية أبى بحر ما هذا نصه ذكر محمد بن سلام فى الطبقات له هذا البيت حسبتم جلاد القوم حول بيوتكم * كاخذكم فى العين ارطال آنك

سعدتم بها وغيركم كان أهلها * فوارس من أبناء فهر بن مالك   فانك لا فى هجرة ان ذكرتها * ولا حرمات الدين أنت بناسك

«قال ابن هشام» بقيت منها أبيات تركناها لقبح اختلاف قوافيها وأنشدنى أبو زيد الانصارى هذا البيت * خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا والبيت الذى بعده لحسان بن ثابت فى قوله * دعوا فلجات الشام قد حال دونها * وأنشدنى له فيها بيته فابلغ اباسفيان

غزوة دومة الجندل

فى شهر ربيع الاول سنة خمس * قال ابن اسحق ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاقام بها اشهرا حتى مضى ذوالحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * قال ابن اسحق ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل «قال ابن هشام» فى شهر ربيع الاول واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى * قال ابن اسحق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل اليها ولم يلق كيدا فاقام بالمدينة بقية سنته

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس فحدثنى يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظى والزهرى وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم من علمائنا كل قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق وبعضهم يحدث مالا يحدث به بعض قالوا انه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن ابى الحقيق النضرى وحيي بن اخطب النضرى وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النضرى وهوذة بن قيس الوائلى وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على سول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقالت لهم قريش يامعشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه ونحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق فهم الذين انزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الى قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله أى النبوة فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه * قال ابن اسحق فخرجت قريش وقائدها ابوسفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى

ووصل به بان قال فقال أبوسفيان بن حرب لابى سفيان بن الحارث يا ابن أخى لم جعلتها آنك ان كانت الفضة بيضاء جيدة * وقوله * سعدتم بها وغيركم كان أهلها * وفى حاشية الشيخ شقيتم بها وغيركم أهل ذكرها * وقوله * خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا * اليعافير الظباء العفر يريد انهم لكثرة عددهم لا تنجو منهم اليعافير

غزوة دومة الجندل

قال أبو عبيد البكرى سميت دومة الجندل بدومى بن اسماعيل كان نزلها .

غزوة الخندق

وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ولكنه من مكايد الفرس وحروبها ولذلك أشار به سلمان الفارسى وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبرى منوشهر بن أبيرج بن افريدون وقد قيل فى افريدون انه ابن اسحق عليه السلام وأكثرهم يقول فيه هو ابن أثفيان وهو أول من اتخذ آلة الرمى والى رأس ستين سنة من ملكه بعث موسى عليه السلام وقد تقدم ذكر الكمائن فى الحروب وان أول من فعلها بختنصر فى قول الطبرى * وذكر تحزيب بنى قريظة الاحزاب ونسب طائفة من بنى النضير فقال فيهم النضرى وهكذا تقيد فى النسخة العتيقة وقياسه النضيرى الا ان يكون من باب قولهم ثقفى وقرشى وهو خارج عن القياس وانما يقال فعلى فى النسب الى فعيلة * وذكر قائد غطفان يوم الاحزاب وهو عيينة بن حصن واسمه حذيفة وسمى عيينة لشتر كان بعينه وهو الذى قال فيه عليه السلام الاحمق المطاع لانه كان من الجرارين تتبعه عشرة آلاف قناة وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وفى رواية أخرى انه قال انى اداريه لانى أخشى أن يفسد على خلقا كثيرا وفى هذا بيان معنى

فزارة والحرث بن عوف بن ابى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن اشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من اشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين فى الاجر وعمل معه المسلمون فيه فدأب فيه ودأبوا وأبطا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعيف من العمل و يتسللون الى اهليهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اذن وجعل الرجل من المسلمين اذا نابته النائبة من الحاجة التى لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم و يستأذن فى اللحوق لحاجته فيأذن له فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان فيه من عمله رغبة فى الخير واحتسابا له فانزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم فنزلت هذه الاية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة فى الرغبة فى الخير والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل و يذهبون بغير اذن من النبى صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم « قال ابن هشام » اللواذ الاستتار بالشىء عند الهرب قال حسان بن ثابت

وقريش تفر منا لواذا * أن يقيموا وخف منها الحلوم

وهذا البيت فى قصيدة له قد ذكرتها فى أشعار يوم أحد ألا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه * قال ابن اسحق من صدق أو كذب و يوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شىء عليم * قال ابن اسحق وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جعيل سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا فقالوا سحوت

سماه من بعد جعيل عمرا * وكان للبائس يوما ظهرا

فاذا مروا بعمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا واذا مروا بظهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهرا * قال ابن اسحق وكان فى حفر الخندق أحاديث بلغتنى من الله تعالى فيها عبرة فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته عاين ذلك المسلمون فكان فيما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث انه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية فشكوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية فيقول من حضرها فوالذى بعثه بالحق نبيا لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فاسا ولا مسحاة * قال ابن اسحق وحدثنى سعيد بن ميناء أنه حدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت دعتنى أمى عمرة بنت رواحة فاعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ثم قالت أى بنية اذهبى الى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما قالت فاخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى فقال تعالى يا بنية ما هذا معك قالت فقلت يا رسول الله هذا تمر بعثتنى به أمى الى أبى بشير بن سعد وخالى عبد الله بن رواحة يتغديانه قال هاتيه قالت فصببته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لانسان عنده اصرخ فى أهل الخندق ان هلم الى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب * قال ابن اسحق وحدثنى سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق فكانت

الشر الذى اتقى منه وكان دخل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير اذن فلما قال له أين الاذن قال ما استأذنت على مضرى قبلك وقال ما هذه الحميراء معك يا محمد فقال هى عائشة بنت أبى بكر فقال طلقها وأنزل لك عن أم البنين فى أمور كثيرة تذكر من جفائه أسلم ثم ارتد وآمن بطليحة حين تنبأ وأخذ اسيرا فاتى به أبو بكر رضى الله عنه أسيرا فمن عليه ولم يزل مظهرا للاسلام على جفوته وعنجهيته ولوثة اعرابيته حتى مات قال الشاعر

وانى على ما كان من عنجهيتى * ولوثة اعرابيتى لأديب

وذكر حفره الخندق وانه عرضت له صخرة ووقع فى غير السيرة عبلة وهى الصخرة الصماء وجمعها عبلات و يقال لها العبلاء والاعبل أيضا وهى صخرة بيضاء [وذكر انه لمعت له من تلك الصخرة برقة بعد برقة وخرجه النسوى من طريق البراء بن عازب باتم مما وقع فى السيرة قال لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذ فيه المعول فأخذ المعول وقال بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر قصورها الحمر من مكانى هذا قال ثم ضرب أخرى وقال بسم الله وكسر ثلثا آخر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لأبصر قصر المدائن الابيض الآن ثم ضرب ثالثة وقال بسم الله فقطع الحجر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لأبصر باب صنعاء] * وقوله فاسا ولا مسحاة المسحاة مفعلة من

عندى شويهة غير جد سمينة قال فقلت والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فامرت امرأتى فطحنت لنا شيئا من شعير فصنعت لنا منه خبزا وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق قال وكنا نعمل فيه نهارنا فاذا أمسينا رجعنا الى أهالينا قال قلت يارسول الله انى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير فاحب أن تنصرف معى الى منزلى وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده قال فلما أن قلت له ذلك قال نعم ثم أمر صارخا فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت جابر بن عبد الله قال قلت انا لله وانا اليه راجعون قال فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه قال فجلس وأخرجناها اليه قال فبرك وسمى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها * قال ابن اسحق وحدثت عن سلمان الفارسى أنه قال ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة قال ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى قال قلت بابى أنت وأمى يارسول الله ماهذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب قال أوقد رأيت ذلك ياسلمان قال قلت نعم قال أما الاولى فان الله فتح على بها اليمن وأما الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب وأما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده افتتحوا مابدا لكم فوالذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك * قال ابن اسحق ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم * قال ابن اسحق وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فى الآطام وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده على ذلك وعاهده فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فاستاذن عليه فابى أن يفتح له فناداه حيي ويحك ياكعب افتح لى قال ويحك ياحيي انك امرؤ مشؤم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض مابينى وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لى أكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله ان أغلقت الحصن دونى الا تخوفت على جشيشتك أن آكل منها معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك ياكعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه قال فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء ويحك ياحيي فدعنى وما أنا عليه فانى لم أر من محمد الا صدقا ووفاء فلم

سحوت الطين اذا قشرته ويقال لحد الفاس والمسحاة الغراب ولنصابها الفعال بكسر الفاء قاله أبو عبيد فى حديث سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى انه عليه السلام حين ضرب فى الخندق قال

بسم الله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا * حبذا ربا وحبذا دينا

وقوله حتى نزلوا بين الجرف وزغابة زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة وذكره البكرى بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زعابة بضم الزاى والعين المهملة وحكى عن الطبرى أنه قال فى هذا الحديث بين الجرف والغابة واختاره هذه الرواية وقال لان زغابة لا تعرف (قال المؤلف) والاعرف عندى فى هذه الرواية رواية من قال زغابة بالغين المنقوطة لان فى الحديث المسند انه عليه السلام قال فى ناقة أهداها اليه أعرابى فكافأه بست بكرات فلم يرض فقال عليه السلام ألا تعجبون لهذا الاعرابى أهدى الى ناقة أعرفها بعينها كما أعرف بعض أهلى ذهبت منى يوم زغابة وقد كافأته بست فسخط الحديث وقال ذنب نقم ونقمى معا * وذكر حيي بن أخطب وماقال لكعب وانه لم يزل يفتل فى الذروة والغارب هذا مثل وأصله فى البعير يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك فضرب هذا الكلام مثلا فى المراوضة والمخاتلة وكذلك جاء فى حديث ابن الزبير حين أراد عائشة على الخروج الى البصرة فأبت عليه فجعل يفتل فى الذروة والغارب حتى أجابته وقال الحطيئة

يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر والى المسلمين بعث رسول الله صلى عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة بن دليم أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بنى الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس قال فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٩٠) وقالوا من رسول الله لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة أى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط «قال ابن هشام» وأخبرنى من أثق به من أهل العلم أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين واحتج بانه كان من أهل بدر *قال ابن اسحق وحتى قال أوس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحرث يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فاذن لنا أن نخرج فنرجع الى دارنا فانها خارج من المدينة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب الا الرميا بالنبل والحصار «قال ابن هشام» ويقال الرميا فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى الى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والى الحرث بن عوف بن أبى حارثة المرى وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح الا المراوضة فى ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث الى

لعمرك ما قراد بنى بعيض * اذا نزع القراد بمستطاع

يريد انهم لا يخدعون ولا يستذلون *وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم الحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس . اللحن العدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه كما أن اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف (قال السيرافى) ما عرفت حقيقة معنى النحو الا من معنى اللحن الذى هو ضده فان اللحن عدول عن طريق الصواب والنحو قصد الى الصواب وأما اللحن بفتح الحاء فأصله من هذا الا انه اذا لحن لك لتفهم عنه ففهمت سمى ذلك الفهم لحنا ثم قيل لكل من فهم قد لحن بكسر الحاء وأصله ما ذكرناه من الفهم عن اللاحن قال الجاحظ فى قول مالك بن أسماء

منطق صائب وتلحن أحيا * نا وخير الحديث ما كان لحنا

أراد ان اللحن الذى هو الخطأ قد يستملح ويستطاب من الجارية الحديثة السن وخطئ الجاحظ فى هذا التأويل وأخبر بما قاله الحجاج بن يوسف لامرأته هند بنت أسماء بن خارجة حين لحنت فانكر عليها اللحن فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء: *وخير الحديث ما كان لحنا* فقال لها الحجاج لم يرد أخوك هذا انما أراد اللحن الذى هو التورية والالغاز فسكتت فلما حدث الجاحظ بهذا الحديث قال لو كان بلغنى هذا قبل أن أألف كتاب البيان ما قلت فى ذلك ما قلت فقيل له أفلا تغيره فقال كيف وقد سارت به البغال الشهب وأنجد فى البلاد وغار وكما قال الجاحظ فى معنى تلحن أحيانا قال ابن قتيبة مثله أو قريبا منه * وقوله يفت فى أعضاد الناس أى يكسر من قوتهم ويوهنهم وضرب العضد مثلا والفت الكسر وقال فى أعضادهم ولم يقل يفت أعضادهم لانه كناية عن الرعب الداخل فى القلب ولم يرد كسرا حقيقيا ولا العضد الذى هو العضو وانما هو عبارة عما يدخل فى القلب من الوهن وهو من أفصح الكلام *وذكر أوس بن قيظى وهو القائل «ان بيوتنا عورة» وابنه عرابة بن أوس كان سيدا ولا صحبة له وقد قيل له صحبة وقد ذكرناه فيمن استصغر يوم أحد وهو الذى يقول فيه الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

ولعرابة اخ اسمه كباثة مذكور فى الصحابة أيضا

﴿فصل﴾ وذكر ما هم به النبى صلى الله عليه وسلم من مصالحة الاحزاب على ثلث ثمر المدينة وفيه من الفقه

سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه فقالا له يارسول الله أمر اتحبه فنصنعه أم شيأ أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيأ تصنعه لنا قال بل شىء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك الا لانى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر ما فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطعمون أن ياكلوا منها تمرة الا قرى أو بيعا أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا والله مالنا بهذا من حاجة لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا مافيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا * قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود بن أبى قيس أخو بنى عامر بن لؤى «قال ابن هشام» ويقال عمرو بن عبد بن أبى قيس * قال ابن اسحق وعكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب الشاعر بن مرداس أخو بنى محارب بن فهر تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة فقالوا تهيؤا يابنى كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها «قال ابن هشام» ويقال ان سلمان الفارسى أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» وحدثنى بعض أهل العلم أن المهاجرين يوم الخندق قالوا سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت * قال ابن اسحق ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع وخرج على بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال من يبارز فبرز له على بن أبى طالب فقال له ياعمرو انك قد كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا أخذتها منه قال له أجل قال له على فانى أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام قال لا حاجة لى بذلك قال فانى أدعوك الى النزال فقال له لم

الفقه جواز اعطاء المال للعدو اذا كان فيه نظر للمسلمين وحياطة لهم وقد ذكر أبو عبيد هذا الخبر وانه أمر معمول به وذكر ان معاوية صالح ملك الروم على الكف عن ثغور الشام بمال دفعه اليه قيل كان مائة ألف دينار وأخذ من الروم رهنا فغدرت الروم ونقضت الصلح فلم يرمعاوية قتل الرهائن وأطلقهم وقال وفاء بغدر خير من غدر بغدر قال وهو مذهب الاوزاعى وأهل الشام الا تقتل الرهائن وان غدر العدو * وذكر قوله عليه السلام سلمان منا أهل البيت بالنصب على الاختصاص أو على اضمار أعنى وأما الخفض على البدل فلم يرد سيبويه جائزا من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب لانه فى غاية البيان وأجازه الاخفش

«فصل» وذكر خبر عمرو بن أد العامرى ومبارزته لعلى الى آخر القصة ووقع فى مغازى ابن اسحاق من غير رواية ابن هشام عن البكائى فيها زيادة حسنة رأيت أن أوردها هنا تتميما للخبر * قال ابن اسحاق ان عمرو بن أد خرج فنادى هل من مبارز فقام على رضى الله عنه وهو مقنع بالحديد فقال أناله يانبى الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو ألا رجل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التى تزعمون انه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لى رجلا فقام على فقال أنا يارسول الله فقال اجلس انه عمرو ثم نادى الثالثة وقال

ولقد بححت من الندا * ء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت اذ جبن المشـ * ـجع موقف القرن المناجز
وكذاك انى لم أزل * متسرعا قبل الهزاهز
ان الشجاعة فى الفتى * والجود من خير الغرائز

فقام على فقال يارسول الله أناله فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فاذن له النبى صلى الله عليه وسلم فمشى اليه على حتى أتاه وهو يقول

لا تعجلن فقد أتا * ك مجيب صوتك غير عاجز
ذونية وبصيرة * والصدق منجى كل فائز
انى لارجوا أن أقـ * ـيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبـ * ـقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو ومن أنت قال أنا على قال ابن عبد مناف فقال أنا على بن أبى طالب فقال غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أسن منك فانى أكره أن أهريق دمك فقال له على رضى الله عنه ولكنى والله لا أكره أن

يا ابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك قال له على ولكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على على فتنازلا وتجاولا فقتله على رضى الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة * قال ابن اسحق وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك

نصر الحجارة من سفاهة رأيه * ونصرت رب محمد بصوابى
فصدرت حين تركته متجدلا * كالجذع بين دكادك وروابى
وعففت عن أثوابه ولو اننى * كنت المقطر بزنى أثوابى
لا تحسبن الله خاذل دينه * ونبيه يا معشر الاحزاب

«قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلى بن أبى طالب «قال ابن هشام» وألقى عكرمة بن أبى جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال حسان بن ثابت فى ذلك

فر وألقى لنا رمحه * لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم * ما ان تحور عن المعدل
ولم تلو ظهرك مستأنسا * كأن قفاك قفا فرعل

« قال ابن هشام» الفرعل صغير الضباع وهذه الابيات فى أبيات له وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبنى قريظة حم لا ينصرون * قال ابن اسحق وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الانصارى أخو بنى حارثة أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق وكان من احرز حصون من المدينة قال وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فمر سعد وعليه درع له مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفى يده حربته يرفل بها ويقول

ليث قليلا يشهد الهيجا حمل * لا بأس بالموت اذا حان الاجل

فقالت له أمه الحق أى بنى فقد والله أخرت قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى قالت وخفت عليه حيث اصاب السهم منه فرمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة حبان بن قيس بن العرقة احد

اهريق دمك فغضب ونزل فسل سيفه كانه شعلة نار ثم أقبل نحو على مغضبا وذكر انه كان على فرسه فقال له على كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معى فنزل عن فرسه ثم أقبل نحو على واستقبله على رضى الله عنه بدرقه فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه على على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع النبى صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن عليا رضى الله عنه قد قتله فثم يقول على رضى الله عنه

أعلى تقتحم الفوارس هكذا * عنى وعنه أخروا أصحابى
فاليوم تمنعنى الفرار حفيظتى * ومصمم فى الرأس ليس بناب
أدى عمير حين أخلص حقله * صافى الحديدة يستفيض ثواب
فغدوت ألتمس القراع بمرهف * عضب مع البتراء فى اقراب
قال ابن عبد حين شد ألية * وحلفت فاستمعوا من الكذاب
ألا يفر ولا يهلل فالتقى * رجلان يلتقيان كل ضراب

وبعده نصر الحجارة الى آخر الابيات الا انه روى عبد الحجارة وعبدت رب محمد وروى فى موضع ولقد بحثت ولقد عجبت ويروى فالتقى أسدان يضطربان كل ضراب وفيه انصاف من على رضى الله عنه لقوله أسدان ونسبه الى الشجاعة والنجدة وقوله أدى عمير الى قوله ثوابى أى أدى الى ثوابى وأحسن جزائى حين أخلص صقله ثم أقبل نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له عمر ابن الخطاب رضى الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها فقال انى حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت ابن عمى ان استلبه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق هاربة فمن هنالم يأخذ على سلبه. وقيل تنزه عن أخذها وقيل انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتلوا القتيل لا يسلبونه ثيابه وقول عمرو لعلى والله ما أحب ان اقتلك زاد فيه غيره فان أباك كان لى صديقا قال الزبير كان أبو طالب ينادمه مسافر بن أبى عمرو فلما هلك اتخذ عمرو بن ود نديما فلذلك قال لعلى حين بارزه ما قال * وقول حسان فى عكرمة * كان قفاك قفا فرعل * الفرعل ولد الضبع * وذكر قول سعد * ليث قليلا يلحق الهيجا حمل * هو بيت تمثل به يعنى به حمل بن سعدانه ابن حارثة بن معقل بن كعب بن عليم بن جناب الكلبى * وقوله يرقد بالحربة أى يسرع بها يقال ارقد وارمد بمعنى واحد قال ذو الرمة

يرقد فى أثر عراض وتتبعه * صهباء شامية عثنونها حصب

يعنى الريح وابن العرقة الذى رمى سعدا هو حبان بن قيس بن العرقة والعرقة هى قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم تكنى أم فاطمة سميت العرقة لطيب ريحها وهى جدة خديجة أم أمها هالة وحبان هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى وأم سعد اسمها كبشة بنت رافع وحديث اهتزاز العرش ثابت

بنى عامر بن لؤى فلما اصابه قال خذها منى وانا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله وجهك فى النار اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فابقنى لها فانه لا قوم أحب الى ان اجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه اللهم وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك انه كان يقول ما اصاب سعدا يومئذ الا ابو اسامة الجشمى حليف بنى مخزوم وقد قال ابو اسامة فى ذلك شعرا قال لعكرمة بن ابى جهل

اعكرم هلا لمتنى اذ تقول لى * فداك بآطام المدينة خالد   ألست الذى ألزمت سعدا مريشة * لها بين أثناء المرافق عاند
قضى نحبه منها سعيد فاعولت * عليه مع الشمط العذارى النواهد   وأنت الذى دافعت عنه وقد دعا * عبيدة جمعا منهم اذ يكابد
على حين ماهم جائر عن طريقه * وآخر مرعوب عن القصد قاصد

والله أعلم أى ذلك كان «قال ابن هشام» ويقال ان الذى رمى سعدا خفاجة بن عاصم بن حبان * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان قالت صفية رضى الله عنها فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم الينا ان أتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقتله قال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته قالت فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا أنه رجل قال مالى بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب * قال ابن اسحق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم واتيانهم اياهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بنى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية فقال يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم فيه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم واموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كانتم فان رأوا نهزة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه فقالوا له لقد أشرت بالراى ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى امر قد رأيت على حقا ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا عنى قالوا نفعل قال تعلموا أن معشر يهود

من وجوه وفى بعض ألفاظه ان جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش وفى حديث آخر قال عليه السلام لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطؤا الارض قبلها ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك وقال عليه السلام لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد وفى كتاب الدلائل أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس على قبر سعد حين وضع فيه فقال سبحان الله لهذا العبد الصالح ضم فى قبره ضمة ثم فرج عنه وأما ضغطة القبر التى ذكر فى الحديث فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يا رسول الله ما انتفعت بشىء منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته فقال يا عائشة ان ضغطة القبر على المؤمن أو قال ضمة القبر على المؤمن كضمة الام الشفيقة يديها على رأس ابنها يشكو اليها الصداع وصوت منكر ونكير كالكحل فى العين ولكن يا عائشة ويل للشاكين أولئك الذين يضغطون فى قبورهم ضغط البيض على الصخر ذكره أبو سعيد بن الاعرابى فى كتاب المعجم * وذكر ابن اسحق فى رواية الشيبانى عنه قال حدثنى أمية بن عبد الله قال قلت لبعض أهل سعد بن معاذ ما بلغكم فى هذا يعنى الضمة التى انضمها القبر عليه قال كان يقصر فى بعض الطهور من البول بعض التقصير

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث حسان حين جعل فى الآطام مع النساء والصبيان وما قالت له صفية فى أمر اليهودى حين قتلته وما قال لها ومحمل هذا الحديث عند الناس على ان حسانا كان جبانا شديد الجبن وقد

قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمد وقد أرسلوا اليه انا قد ندمنا على مافعلنا فهل يرضيك ان ناخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستاصلهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان انكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا اراكم تتهمونى قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا عنى قالوا نفعل فما أمرك ثم قال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم ماحذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان ارسل ابو سفيان بن حرب ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا و بينه فارسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت وهو لا نعمل فيه شيا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فاصابه مالم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق مايريد القوم الا ان يقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم و بين الرجل فى بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله بينهم و بعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر مافعل القوم ليلا * قال ابن اسحق فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال قال رجل من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخى قال فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال فقال والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الارض ولحملناه على أعناقنا قال فقال حذيفة يا ابن اخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة اسأل الله تعالى ان يكون رفيقى فى الجنة فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى فقال ياحذيفة اذهب فادخل فى القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثن شيا حتى تاتينا قال فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يامعشر قريش لينظر امرؤ من جليسه قال حذيفة فاخذت بيد الرجل الذى كان الى جنبى فقلت من أنت قال فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة و بلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ماترون ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فوالله ما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن لا تحدث شيأ حتى تاتينى ثم شئت لقتلته بسهم قال حذيفة فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه مراجل «قال ابن هشام» المراجل ضرب من وشى اليمن فلما رآنى أدخلنى الى رجليه وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد وانى لفيه فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم

دفع هذا بعض العلماء وأنكره وذلك انه حديث منقطع الاسناد وقال لو صح هذا لهجى به حسان فانه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبعرى وغيرهما وكانوا يناقضونه و يردون عليه فما عيره أحد منهم بجبن ولا وسمه به فدل هذا على ضعف حديث ابن اسحق وان صح فلعل حسان أن يكون معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال وهذا أولى ما تأول عليه وممن أنكر أن يكون هذا صحيحا أبو عمر رحمه الله فى كتاب الدرر له

﴿فصل﴾ وذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة حين مر بالصورين والصور القطعة من النخل فسألهم فقالوا مر بنا دحية بن خليفة الكلبى هو دحية بفتح الدال و يقال دحية بكسر الدال أيضا

والدحية

﴿غزوة بنى قريظة فى سنة خمس﴾

* قال ابن اسحق ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا الى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح فلما كانت الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى الزهرى معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج فقال أوقد وضعت السلاح يارسول الله قال نعم فقال جبريل فما وضعت الملائكة

السلاح بعد وما رجعت الآن الا من طلب القوم ان الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم فمزلزل بهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا فاذن فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببنى قريظة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه برايته الى بنى قريظة وابتدرها الناس فسار على بن أبى طالب حتى اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يارسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لم أظنك سمعت منهم لى أذى قال نعم يارسول الله قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه بالصورين قبل أن يصل الى بنى قريظة فقال هل مر بكم أحد قالوا يارسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم * ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنا «قال ابن هشام» بئر أنى * قال ابن اسحق وتلاحق به الناس فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا ببنى قريظة فشغلهم ما لم يكن لهم منه بد فى حربهم وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تأتوا بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك فى كتابه ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى بهذا الحديث أبى اسحق بن يسار عن معبد بن كعب بن مالك الانصارى * وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء الكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم يامعشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هى قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه لنبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنجدن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا علينا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما ثم انهم

والدحية بلسان اليمن الرئيس وجمعه دحاء وفى مقطوع الاحاديث أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دحية تحت يد كل دحية سبعون ألف ملك ذكره القتبي ورواه ابن سنجر فى تفسيره مسندا الى عبد الله بن الهذيل رواه عنه أبو التياح وذكر ان حماد بن سلمة قال لابى التياح حين حدثه بهذا الحديث ما الدحية قال الرئيس وأما نسب دحية فهو ابن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد ابن امرئ القيس بن الخزرج والخزرج العظيم البطن ابن زيد مناة بن عامر بن بكر بن عامر الاكبر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب يذكر من جماله أنه كان اذا قدم المدينة لم تبق معصر وهى المراهقة للحيض الا خرجت تنظر اليه * وذكر قوله عليه السلام لا يصلين أحدكم العصر الا فى بنى قريظة فغربت عليهم الشمس قبلها فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك فى كتابه ولا عنفهم به رسوله صلى الله عليه وسلم وفى هذا من الفقه انه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية فقد صلت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس وقالوا لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم اخراج الصلاة عن وقتها وانما أراد الحث والاعجال فما عنف أحد من الفريقين وفى هذا دليل على أن كل مختلفين فى الفروع من المجتهدين مصيب وفى حكم داود وسليمان فى الحرث أصل لهذا الاصل أيضا فانه قال سبحانه «ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما» ولا يستحيل أن يكون الشيء صوابا فى حق انسان وخطأ فى حق غيره فيكون من اجتهد فى مسئلة فاداه اجتهاده الى التحليل مصيبا فى استحلاله وآخر اجتهد فاداه اجتهاده ونظره الى تحريمها مصيبا فى تحريمها وانما المحال أن يحكم فى النازلة بحكمين متضادين فى حق شخص واحد وانما عسر فهم هذا الاصل على طائفتين الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فانهم علقوا الاحكام بالنصوص فاستحال عندهم أن يكون النص يأتى بحظر واباحة معا الا على وجه النسخ وأما المعتزلة فانهم علقوا الاحكام بتقبيح العقل وتحسينه

ابعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس لنستشيره في أمرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا له يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فوالله مازالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبدا ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا «قال ابن هشام» فانزل الله تعالى في أبي لبابة فيما قال سفيان بن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي قتادة يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون * قال ابن اسحق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال أما انه لو جاءني لاستغفرت له فاما اذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه * قال ابن اسحق فحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو في بيت أم سلمة رضي الله عنها فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك قالت فقلت مما تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة قالت قلت أفلا أبشره يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا الى صلاة الصبح أطلقه «قال ابن هشام» أقام أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع فيما حدثني بعض أهل العلم والآية التي نزلت في توبته قول الله عز وجل وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم

فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين فاستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن في حق زيد والقبح في حق عمرو كما يستحيل ذلك في الالوان والاكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات وأما ماعدى هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق فليس الحظر والاباحة عندهم بصفات أعيان وانما هي صفات أحكام والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر في النازلة على من أداه نظره واجتهاده الى الحظر وكذلك الاباحة والندب والايجاب والكراهة كلها صفات أحكام فكل مجتهد وافق اجتهاده وجها من التاويل وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقليد الى هضبة النظر فهو مصيب في اجتهاده مصيب للحكم الذي تعبد به وان تعبد غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبد هو به فلا يعد في ذلك الا على من لا يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق

«فصل» وذكر أبا لبابة واسمه رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر وقيل اسمه مبشر وتوبته وربطه نفسه حتى تاب الله عليه وذكر فيه انه أقسم الا يحله الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن علي بن الحسين ان فاطمة أرادت حله حين نزلت توبته فقال قد أقسمت الا يحلني الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاطمة مضغة مني فصلى الله عليه وعلى فاطمة فهذا حديث يدل على ان من سبها فقد كفر وأن من صلى عليها فقد صلى على أبيها صلى الله عليه وسلم وفيه أنزل الله تعالى «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا» الآية غير ان المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان فقال ابن اسحق ما ذكره في السيرة من اشارته على بني قريظة وقال آخرون كان من المخلفين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية (فان قيل) ليس في الآية نص على توبته وتوبة الله عليه أكثر من قوله تعالى «عسى الله أن يتوب عليهم» (فالجواب) ان عسى من الله واجبة وخبر صدق (فان قيل) وهو سؤال يجب الاعتناء به ان القرآن نزل بلسان العرب وليست عسى في كلام العرب بخبر ولا تقتضي وجوبا فكيف تكون عسى واجبة في القرآن وليس بخارج عن كلام العرب (وأيضا) فان لعل تعطي معنى الترجي وليست من الله واجبة فقد قال لعلهم يشكرون فلم يشكروا وقال لعله يتذكر أو يخشى فلم يتذكر ولم يخش فما الفرق بين لعل وعسى حتى صارت عسى واجبة (قلنا) لعل تعطي الترجي وذلك الترجي مصروف الى الخلق وعسى مثلها في الترجي وتزيد عليها بالمقاربة ولذلك قال عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ومعناه الترجي مع الخبر بالقرب كانه قال قرب أن يبعثك فالترجي مصروف الى العبد كما في لعل والخبر عن القرب والمقاربة مصروف الى الله تعالى وخبره حق ووعده حتم فما تضمنته من الخبر فهو الواجب دون الترجي الذي هو محال على الله تعالى ومصروف الى العبد وليس في لعل من تضمن الخبر مثل

*قال ابن اسحق ثم ان ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بنى هدل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال أنا عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد أبدا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمنى اقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الارض الى يومه هذا فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه و بعض الناس يزعم أنه كان أوثق بذمة فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة والله أعلم أى ذلك كان * فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الاوس فقالوا يا رسول الله صلى الله عليك وسلم انهم كانوا موالينا دون الخزرج وقد فعلت فى موالى اخواننا بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع وكانوا احلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فساله اياهم عبد الله بن ابى بن سلول فوهبهم له فلما كلمته الاوس قال رسول صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذاك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة فى مسجده كانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطؤا له بوسادة من أدم وكان رجلا جسيما جميلا ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال لقد أنى لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى عبد الاشهل فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد عن كلمته التى سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فاما المهاجرون من قريش فيقولون انما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار وأما الانصار فيقولون قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد ابن معاذ عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فانى احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء *قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة «قال ابن هشام» حدثنى بعض من أثق به من أهل العلم ان على بن أبى طالب صاح وهم محاصروا بنى قريظة يا كتيبة الايمان وتقدم هو والزبير بن العوام وقال والله لاذوقن ما ذاق

مثل ما فى عسى فمن ثم كانت عسى واجبة اذا تكلم الله بها ولم تكن كذلك لعل (فان قيل) فهل يجوز فى ليت ما كان فى لعل من ورودها فى كلام البارى سبحانه على أن يكون التمنى مصروفا الى العبد كما كان الترجى فى لعل كذلك (قلنا) هذا غير جائز وانما جاز ذلك فى لعل على شرط وصورة نحو أن يكون قبلها فعل وبعدها فعل والاول سبب للثانى نحو قوله «يعظكم لعلكم تذكرون» فقال بعض الناس لعل ههنا بمعنى كى أى كى تذكروه وأنا أقول لم يذهب منها معنى الترجى لان الموعظة مما يرجى أن تكون سببا للتذكر فعلى هذه الصورة وردت فى القرآن ونحو قوله أيضاً «فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك» هى ههنا توقع وتخوف أى ما أصابك من التكذيب مما يتخوف ويتوقع منه ضيق الصدر فهذا هو الجائز فى لعل وأما أن ترد فى القرآن داخلة على الابتداء والخبر مثل أن تقول مبتدئا لعل زيدا يؤمن فهذا غير جائز لان الرب سبحانه لا يترجى وان صرف الترجى الى حق المخلوق وموضوعها فى كلام العرب أن يكون المتكلم بها لا يستقيم أيضاً الا على الصورة التى قدمنا من كونها بمعنى كى ووقوعها بين السبب والمسبب واذا ثبت هذا فلا اشكال فى ليت انها لا تكون فى كلام البارى سبحانه لان التمنى محال عليه والترجى والتوقع والتخوف كذلك حتى تزيلها عن الموضع الذى يكون معناها فيه للمتكلم بها

❋ فصل ❋ وذكر حكم سعد فى بنى قريظة وقول النبى عليه السلام له لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة هكذا فى السيرة ارقعة وفى الصحيح من فوق سبع سموات والمعنى واحد لان الرقيع من أسماء

حمزة أولا فتحن حصنهم فقالوا يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ * قال ابن اسحق ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى دار بنت الحرث امرأة من بنى النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم اليه ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا يا كعب ماتراه يصنع بنا قال أفى كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعى لا ينزع وانه من ذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بحيي بن أخطب عدو الله وعليه حلة له فقاحية «قال ابن هشام» فقاحية ضرب من الوشى قد شقها عليها من كل ناحية قدر أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله مالمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه فقال جبل بن جوال الثعلبى

لعمرك مالام ابن أخطب نفسه
ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها
وقلقل يبغى العز كل مقلقل

* قال ابن اسحق وقد حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تحدث معى وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السوق اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قالت قلت لها ويلك مالك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل «قال ابن هشام» وهى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته

عن

السماء لانها رقعت بالنجوم ومن أسمائها الجرباء وبرقع وفى غير رواية البكائى انه عليه السلام قال فى حكم سعد بذلك طرقنى الملك سحرا وفيه من الفقه تعليم حسن اللفظ اذا تكلمت بالفوق مخبرا عن الله سبحانه ألا تراه كيف قال بحكم الله من فوق سبع سموات ولم يقل فوق على الظرف فدل على ان الحكم نازل من فوق وهو حكم الله تعالى وهذا نحو من قوله تعالى «يخافون ربهم من فوقهم» أى يخافون عقابا ينزل من فوقهم وهو عقاب ربهم (فان قيل) أوليس بجائز أن يخبر عنه سبحانه انه فوق سبع سموات (قلنا) ليس فى هذه الآية ولا فى هذا الحديث دليل على اطلاق ذلك فان جاز فبدليل آخر وكذلك قول زينب زوجنى الله من نبيه من فوق سبع سموات وانما معناه ان تزويجه اياها نزل من فوق سبع سموات ولا يبعد فى الشرع وصفه سبحانه بالفوق على المعنى الذى يليق بجلاله لا على المعنى الذى يسبق للوهم من التحديد ولكن لا يتلقى اطلاق ذلك الوصف مما تقدم من الآية والحديثين لارتباط حرف الجر بالفعل حتى صار وصفا له لا وصفا للبارى سبحانه وقد أملينا فى حديث الامة التى قال لها أين الله قالت فى السماء مسئلة بديعة نافعة شافية رافعة لكل لبس والحمد لله

﴿فصل﴾ وذكر حبس بنى قريظة فى دار بنت الحدث كذا وقع فى هذا الكتاب والصحيح عندهم بنت الحرث واسمها كيسة بنت الحرث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز وكيسة أخرى مذكورة فى النساء وهى بنت عبد الحميد بن عامر بن كريز وكيسة بنت أبى بكرة روت عن أبيها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان ينهى عن الحجامة يوم الثلاثاء اشد النهى ويقول فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم واما كيسة بسكون الياء فهى بنت ابى كثير تروى عن أمها عن عائشة فى الخمر لا طيب الله من تطيب بها ولا شفى من استشفى بها ذكره البخارى فى الاشربة فى بعض روايات الكتاب ووقع اسمها فى السيرة من غير رواية ابن هشام زينب بنت الحرث النجارية فالله أعلم وأما كيسة بنت الحرث فهى التى أنزل فى دارها وفد بنى حنيفة وسيأتى ذكرها * وذكر رفيدة وهى امرأة من أسلم الذى كان سعد عرض فى خيمتها لم يذكرها أبو عمرو زادها أبو على الغسانى فى كتاب أبى عمر حدثنى بتلك الزوائد أبو بكر بن طاهر عنه وحدثنى عنه أيضا عن أبى عمر انه قال لابى على أمانة الله فى عنقك متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة لم أذكره الا ألحقته فى كتابى الذى فى الصحابة

﴿فصل﴾ وذكر فى غزوة الخندق ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية وأسيد بن سعية وهم من بنى هدل وقد تكلمنا فى الجزء الثانى من هذا الكتاب على سعية وسعنة بالنون وذكرنا الاختلاف فى أسيد وأسيد وذكرنا خبرا عجيبا لزيد بن سعية بالياء ومن قال من النسابين هدل بسكون الدال فى بنى هدل فاغنى ذلك

* قال ابن اسحق وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس فيما ذكر لى ابن شهاب الزهرى أتى الزبير بن باطا القرظى وكان يكنى أبا عبد الرحمن وكان الزبير قد من على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية وذكر لى بعض ولد الزبير انه كان من عليه يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه ثابت وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى قال وهل يجهل مثلى مثلك قال انى قد أردت أن أجزيك بيدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم ثم اتى ثابت بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد كانت للزبير على منة وقد أحببت ان أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهو لك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله هب لى امرأته وولده قال هم لك قال فاتاه فقال قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهم لك قال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ماله قال هو لك فاتاه ثابت فقال قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك قال اى ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية يترآى فيها عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل فما فعل سيد الحاضر والبادى حيي بن اخطب قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا عزال بن سموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قال ذهبوا قتلوا قال فانى اسالك يا ثابت بيدى عندك الا ألحقتنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فما انا بصابر لله فتلة دلو ناضح حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق قوله القى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا مخلدا « قال ابن هشام » قبلة دلو ناضح قال زهير ابن ابى سلمى فى قبلة وقابل يتغنى كلما قدرت * على العرا يداه قائما دفقا وهذا البيت فى قصيدة له « قال ابن هشام » ويروى وقابل يتلقى يعنى قابل الدلو يتناول * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم * قال ابن اسحق وحدثنى شعبة بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر ان يقتل من بنى قريظة كل من انبت منهم وكنت غلاما فوجدونى لم انبت فخلوا سبيلى قال وحدثنى ايوب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابى صعصعة اخو بنى عدى بن النجار ان سلمى بنت قيس ام المنذر اخت سليط بن قيس وكانت احدي

عن اعادته وأما حديث المرأة المقتولة من بنى قريظة ففيها دليل لمن قال بقتل المرتد من النساء أخذا بعموم قوله عليه السلام من بدل دينه فاضربوا عنقه وفى هذا الحديث مع العموم قوة أخرى وهو تعليق الحكم بالعلة وهو التبديل والردة ولا حجة مع هذا لمن زعم من أهل العراق بان لا تقتل المرأة لنهيه عليه السلام عن قتل النساء والولدان وللاحتجاج للفريقين وما نزل به كل واحد منهم موطن غير هذا

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ثابت بن قيس مع الزبير بن باطا وهو الزبير بفتح الزاى وكسر الباء جد لزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأ فى كتاب النكاح واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن فقيل الزبير بفتح الزاى وكسر الباء كاسم جده وقيل الزبير وهو قول البخارى فى التاريخ * وذكر فيه قول الزبير فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح * وقال ابن هشام انما هو قبلة دلو بالقاف والباء وقابل الدلو هو الذى يأخذها من المستقى * وذكر أبو عبيد الحديث فى الاقوال على غير ما قالاه جميعا فقال قال الزبير يا ثابت الحقنى بهم فلست صابرا عنهم افراغة دلو * وذكر حديث عطية القرظى وهو جد محمد بن كعب القرظى وذكر انه لم يكن أنبت فترك ففى هذا ان الانبات أصل فى معرفة البلوغ اذا جهل الاحتلام ولم تعرف سنوه * وذكر حيي بن أخطب حين قدم الى القتل وعليه حلة فقاحية الحلة ازار ورداء وأصل تسميتها بهذا اذا كان الثوبان جديدين كما حل طيهما فقيل له حلة لهذا ثم استمر عليه الاسم قاله الخطابى * وقوله فقاحية نسبت الى الفقاح وهو الزهر اذا انشقت أكمته وانفرجت براعيمه وتفتقت أخفيته فيقال له حينئذ فقح وهو فقاح والقنابع أيضا فى معنى البراعيم واحدها قنبعة وأما الفقاع بالعين فهو الفطر ويقال له أيضا آذان الكماة من كتاب النبات ويروى أيضا حلة شقحية وهو سنخ البسر اذا تلون قاله الخطابى * ولكنه من يخذل الله يخذل * بنصب الهاء من اسم الله ويصحح هذه الرواية ان فى الخبر قول النبى صلى الله عليه وسلم ألم يمكن الله منك فقال بلى ولقد قلقلت كل مقلقل ولكن من يخذلك يخذل فقوله يخذلك كقول الآخر فى البيت * ولكنه من يخذل الله يخذل * لانه انما نظم فى البيت كلام حيي * وذكر حديثه عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبى صعصعة وألفيت فى حاشية الشيخ قال وقع فى تاريخ البخارى ان أيوب نفسه هو المخبر أن سلمى بنت قيس هى سلمى بنت أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله وهو الصحيح والله أعلم * وقوله عن سلمى بنت قيس هى سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن ملك بن عمرو بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار

خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلت معه القبلتين وبايعته بيعة النساء سألته رفاعة بن سموال القرظي وكان رجلا قد بلغ فلاذ بها وكان يعرفهم قبل ذلك فقالت يا نبي الله بأبي انت وامي هب لي رفاعة فانه قد زعم انه سيصلي ويأكل لحم الجمل قال فوهبه لها فاستحيته * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرسا وكان أول فيء وقعت فيه السهمان وأخرج منه الخمس فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ومضت السنة في المغازي * ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري أخا بني عبد الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها قد تعصت بالاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه لذلك من أمرها فبيناهو مع أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك من أمرها

* قال ابن اسحق وأنزل الله تعالى في أمر الخندق وأمر بني قريظة من القرآن القصة في سورة الاحزاب يذكر فيها ما نزل من البلاء ونعمته عليهم وكفايته اياهم حين فرج الله ذلك عنهم بعد مقالة من قال من أهل النفاق يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة يقول الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فالذين جاؤهم من فوقهم بنو قريظة والذين جاؤهم من أسفل منهم قريش وغطفان يقول الله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا لقول معتب بن قشير اذ يقول ما قال واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا لقول أوس بن قيظي ومن كان على مثل رأيه من قومه ولو دخلت عليهم من أقطارها أي المدينة « قال ابن هشام » الاقطار الجوانب وواحدها قطر وهي الاقتار وواحدها قتر قال الفرزدق

كم من غنى فتح الاله لهم به * والخيل مقعية على الاقطار ويروى على الاقتار وهذا البيت في قصيدة له ثم سئلوا الفتنة اي الرجوع الى الشرك لأتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا فهم بنو حارثة وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين همتا بالفشل يوم أحد ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا فذكر لهم الله الذي أعطوا من أنفسهم ثم قال تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم أي أهل النفاق والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أي الا دفعا وتعذيرا أشحة عليكم أي للضغن الذي في أنفسهم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي اعظاما له وفرقا منه فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أي في القول بما لا تحبون لانهم لا يرجون آخرة ولا تحملهم حسنة فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده « قال ابن هشام » سلقوكم بالغوا فيكم بالكلام فأحرقوكم وآذوكم تقول العرب خطيب سلاق وخطيب

* وقوله تعالى « وبلغت القلوب الحناجر » والقلب لا ينتقل من موضعه ولو انتقل الى الحنجرة لمات صاحبه والله سبحانه لا يقول الا الحق ففي هذا دليل على ان التكلم بالمجاز على جهة المبالغة فهو حق اذا فهم المخاطب عنك وهذا كقوله تعالى « يريد أن ينقض فأقامه » أي مثله كمثل من يريد أن يفعل ويهم به فهو من مجاز التشبيه وكذلك هؤلاء مثلهم فيما بلغهم من الخوف والوهل وضيق الصدر كمثل المنخلع قلبه من موضعه وقيل هو على حذف المضاف تقديره بلغ وجيف القلوب الحناجر وأما قوله « اذ القلوب لدى الحناجر » فلا معنى لحمله على المجاز لانه في صفة هول القيامة والامر فيه أشد مما تقدم لا سيما وقد قال في أخرى « لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء » أي قد فارق القلب الفؤاد وبقي فارغا هواء وفي هذا دليل على ان القلب غير الفؤاد كان الفؤاد هو غلاف القلب ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل اليمن ألين قلوبا وأرق أفئدة مع قوله تعالى « فويل للقاسية قلوبهم » ولم يقل للقاسية أفئدتهم والقسوة ضد اللين فتأمله * وقوله تعالى « قد يعلم الله المعوقين منكم » أي المخذلين لاخوانهم فيعوقونهم بالتخذيل عن

الطاعة

مسلق ومسلاق قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة   فيهم المجد والسماحة والنجـ * ـدة فيهم والخاطب السلاق
وهذا البيت فى قصيدة له يحسبون الاحزاب لم يذهبوا قريش وغطفان وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسئلون عن
أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ثم أقبل على المؤمنين فقال لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أى
لئلا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ولا عن مكان هو به ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء ليختبر به فقال ولما رأى
المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء وتصديقا
للحق لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه اى فرغ
من عمله ورجع الى ربه كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد «قال ابن هشام» قضى نحبه مات والنحب النفس فيما أخبرنى أبو عبيدة وجمعه
نحوب قال ذو الرمة   عشية فر الحارثيون بعدما * قضى نحبه فى ملتقى الخيل هوبر   وهذا البيت فى قصيدة له وهوبر من بنى الحرث
ابن كعب أراد يزيد بن هوبر والنحب أيضاً النذر قال جرير بن الخطفى   بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا * عشية بسطام جرين على نحب
يقول على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلته وهذا البيت فى قصيدة له وبسطام بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى وهو ابن ذى الجدين حدثنى
أبو عبيدة أنه كان فارس ربيعة بن نزار وطخفة موضع بطريق البصرة والنحب أيضاً الخطار وهو الرهان قال الفرزدق
واذ نحبت كلب على الناس أينا * على النحب اعطى للجزيل وأفضل   والنحب أيضاً البكاء ومنه قولهم ينتحب

والنحب أيضاً الحاجة
والهمة تقول مالى عندهم
نحب قال مالك بن نويرة
اليربوعى
ومالى نحب عندهم غير اننى *
تلمست ما تبغى من الشدن السجر
وقال نهار بن توسعة أحد
بنى تيم اللات بن ثعلبة بن
عكابة بن صعب بن على
بن بكر بن وائل «قال ابن
هشام» هو مولى أبى حنيفة
الفقيه   ونجى يوسف الثقفى ركض * دارك بعدما وقع اللواء   ولو أدركته لقضيت نحبا * به ولكل مخطأة وفاء
والنحب أيضا السير الخفيف المر * قال ابن اسحق ومنهم من ينتظر أى ما وعد الله به من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه يقول الله
تعالى وما بدلوا تبديلا أى ما شكوا وما ترددوا فى دينهم وما استبدلوا به غيره ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان
شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم أى قريشا وغطفان لم ينالوا خيرا وكفى الله
المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب أى بنى قريظة من صياصيهم والصياصى الحصون والآطام
التى كانوا فيها «قال ابن هشام» قال سحيم عبد بنى الحساس وبنو الحساس من بنى اسد بن خزيمة
وأصبحت الثيران صرعى وأصبحت * نساء تميم يلتقطن الصياصيا   ويروى يبتدرن وهذا البيت فى قصيدة له والصياصى
أيضا القرون قال النابغة الجعدى   وسادة رهطى حتى بقيـ * ـت فردا كصيصة الاعضب
يقول أصاب الموت سادة رهطى وهذا البيت فى قصيدة له وقال أبو داود الايادى
فذعرنا سحم الصياصى بايديهـ * ـن نضح من الكحيل وقار   وهذا البيت فى قصيدة له والصياصى ايضا الشوك الذى للنساجين
فيما أخبرنى أبو عبيدة وأنشدنى لدريد بن الصمة الجشمى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن
نظرت اليه والرماح تنوشه * كوقع الصياصى فى النسيج الممدد   وهذا البيت فى قصيدة له والصياصى أيضا التى تكون فى أرجل

الطاعة لقولهم هلم الينا تقول عاقنى الامر عن كذا وعوقنى فلان عن كذا أى صرفنى عنه * وذكر الصياصى
وانها الحصون واستشهد بقول سحيم يصف سيلا

وأصبحت الثيران صرعى وأصبحت * نساء تميم يبتدرن الصياصيا

وألفيت فى حاشية الشيخ أبى بحر رحمه الله على هذا البيت الصياصى قرون الثيران المذكورة فيه لا ما توهم
ابن هشام انها الحصون والآطام يقول لما أهلك هذا السيل الثيران وغرقها أصبحت نساء تميم يبتدرن أخذ
قرونها لينسجن بها البجد وهى الاكسية قال هذا يعقوب عن الاصمعى ويصحح هذا أنه لا حصون فى بادية
الاعراب (قال المؤلف) ويصحح هذا التفسير أيضا رواية أحمد بن داود له فانه أنشده فى كتاب
النبات له فقال فيه يلتقطن الصياصيا ولم يقل يبتدرن وأنشد

فذعرنا سحم الصياصى بأيديهـن نضح من الكحيل وقار

الكحيل القطران والقار الزفت شبه السواد الذى فى أيديهن بنضح من ذلك الكحيل والقار يصف بقر
وحش وأنشد لدريد الصمة * كوقع الصياصى فى النسيج الممدد * وحمله الاصمعى على ما تقدم فى البيت

الديكة ناتئة كأنها القرون الصغار والصياصى أيضا الاصول أخبرنى أبو عبيدة ان العرب تقول جذ الله صيصته أى أصله * قال ابن اسحق وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا أى قتل الرجال وسبى الذرارى والنساء وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها يعنى خيبر وكان الله على كل شئ قديرا * قال ابن اسحق فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيدا * قال ابن اسحق حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى قال حدثنى من شئت من رجال قومى ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد فوجده قد مات * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت أقبلت عائشة قافلة من مكة ومعها أسيد بن حضير فلقيه موت امرأة له فحزن عليها بعض الحزن فقالت له عائشة يغفر الله لك يا أبا يحيى أتحزن على امرأة وقد أصبت بابن عمك وقد اهتز له العرش * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى قال كان سعد رجلا بادنا فلما حمله الناس وجدوا له خفة فقال رجال من المسلمين والله ان كان لبادنا وما حملنا من جنازة أخف منه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان له حملة غيركم والذى نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش * قال ابن اسحق وحدثنى معاذ ابن رفاعة عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح عن جابر بن عبد الله قال لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله مم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه «قال ابن هشام» ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر لضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ * قال ابن اسحق ولسعد يقول رجل من الانصار

وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به الا لسعد أبى عمرو

وقالت ام سعد حين احتمل نعشه وهى تبكيه «قال ابن هشام» وهى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الابجر وهو خدرة بن عوف بن الحرث بن الخزرج

ويل ام سعد سعدا * صرامة وحدا
وسوددا ومجدا * وفارسا معدا
سد به مسدا * يقدها ماقدا

عن

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ * قال ابن اسحق ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق الا ستة نفر * من بنى عبد الاشهل سعد بن معاذ وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو وعبد الله بن سهل ثلاثة نفر * ومن بنى جشم بن الخزرج ثم من بنى سلمة الطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة رجلان * ومن بنى النجار ثم من بنى دينار كعب بن زيد أصابه سهم غرب فقتله «قال ابن هشام» سهم غرب وسهم غرب باضافة وغير اضافة وهو الذى لا يعرف من أين جاء ولا من رمى به * وقتل من المشركين ثلاثة نفر * من بنى عبد الدار ابن قصى منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة «قال ابن هشام» هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد ابن السباق * قال ابن اسحق ومن بنى مخزوم بن يقظة نوفل بن عبد الله بن المغيرة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فقتل فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا فى جسده ولا بثمنه فخلى بينهم وبينه «قال ابن هشام» أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم فيما بلغنى عن الزهرى * قال ابن اسحق ومن بنى عامر بن لؤى ثم من بنى مالك بن حسل * عمرو بن عبد ود قتله على بن أبى طالب رضوان الله عليه «قال ابن هشام» وحدثنى الثقة انه حدث عن ابن شهاب الزهرى انه قال قتل على بن أبى طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو «قال ابن هشام» ويقال عمرو ابن عبدودو يقال عمرو بن عبد * قال ابن اسحق واستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين ثم من بنى الحرث بن الخزرج خلاد بن سويد بن ثعلبة ابن عمرو طرحت عليه رحى فشدخته شدخا شديدا فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان له لأجر شهيدين ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان أخو بنى أسد بن خزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بنى قريظة فدفن فى مقبرة بنى قريظة التى يدفنون فيها اليوم

قبل هذا من أنها القرون التى ينسج بها الا انها شوك كما قال ابن هشام * وذكر اهتزاز العرش وقد تكلم الناس فى معناه وظنوا انه مشكل وقال بعضهم الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه وقال بعضهم يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة استبعادا منهم لان يهتز العرش على الحقيقة ولا بعد فيه لانه مخلوق وتجوز عليه الحركة والهزة ولا يعدل عن ظاهر اللفظ ما وجد اليه سبيل وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح قال أبو عمر هو ثابت من طرق متواترة وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه انه سرير سعد اهتز لم يلتفت اليه العلماء وقالوا كانت بين هذين الحيين من الانصار ضغائن وفى لفظ الحديث اهتز عرش الرحمن رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ورواه البخارى من طريق الاعمش عن أبى صالح وابى سفيان كلاهما

واليه دفنوا أمواتهم فى الاسلام * ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذى يغزوها حتى فتح الله تعالى عليه مكة

﴿ماقيل من الشعر فى أمر الخندق و بنى قريظة﴾

وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بنى محارب بن فهر فى يوم الخندق

ومشفقة تظن بنا الظنونا * وقد قدنا عرندسة طحونا
كأن زهاءها أحدا اذا ما * بدت اركانه للناظرينا
ترى الابدان فيها مسبغات * على الابطال واليلب الحصينا
وجردا كالقداح مسومات * نؤم بها الغواة الخاطئينا
كأنهم اذا صالوا وصلنا * بباب الخندقين مصافحونا
اناس لا نرى فيهم رشيدا * وقد قالوا ألسنا راشدينا
فاجحرناهم شهرا كريتا * وكنا فوقهم كالقاهرينا
نراوحهم ونغدو كل يوم * عليهم فى السلاح مدججينا
بايدينا صوارم مرهفات * نقد بها المفارق والشؤنا
كأن وميضهن معريات * اذا لاحت بايدى مصلتينا
وميض عقيقة لمعت بليل * ترى فيها العقائق مستبينا
فلولا خندق كانوا لديه * لدمرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا * به من خوفنا متعوذينا
فان نرحل فانا قد تركنا * لدى أبياتكم سعدا رهينا
اذا جن الظلام سمعت نوحا * على سعد يرجعن الحنينا
وسوف نزوركم عما قريب * كما زرناكم متوازرينا
بجمع من كنانة غير عزل * كاسد الغاب قد حمت العرينا

(فاجابه كعب بن مالك اخو بنى سلمة رضى الله عنه فقال)

وسائلة تسائل ما لقينا * ولو شهدت رأتنا صابرينا
صبرنا لا نرى لله عدلا * على ما نابنا متوكلينا
وكان لنا النبى وزير صدق * به نعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشرا ظلموا وعقوا * وكانوا بالعداوة مرصدينا
نعاجلهم اذا نهضوا الينا * بضرب يعجل المتسرعينا
ترانا فى فضافض سابغات * كغدران الملا متسربلينا
وفى ايماننا بيض خفاف * بها نشفى مراح الشاغبينا
بباب الخندقين كأن اسدا * شوابكهن يحمين العرينا
فوارسنا اذا بكروا وراحوا * على الاعداء شوسا معلمينا
لننصر احمدا والله حتى * نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا * واحزاب أتوا متحزبينا
بان الله ليس له شريك * وان الله مولى المؤمنينا
فاما تقتلوا سعدا سفاها * فان الله خير القادرينا
سيدخله جنانا طيبات * تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فلا شريدا * بغيظكم خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيرا * وكدتم أن تكونوا دامرينا
بريح عاصف هبت عليكم * فكنتم تحتها متكمهينا

(وقال عبد الله بن الزبعرى السهمى فى يوم الخندق)

حى الديار محا معارف رسمها * طول البلى وتراوح الاحقاب
فكأنما كتب اليهود رسومها * الا الكنيف ومعقد الاطناب
قفرا كأنك لم تكن تلهو بها * فى نعمة بأوانس أتراب
فاترك تذكر ما مضى من عيشة * ومحلة خلق المقام يباب
واذكر بلاء معاشر واشكرهم * ساروا باجمعهم من الانصاب
أنصاب مكة عامدين ليثرب * فى ذى غياطل جحفل جبجاب
يدع الحزون مناهجا معلومة * فى كل نشز ظاهر وشعاب
فيها الجياد شوازب مجنوبة * قب البطون لواحق الاقراب
من كل سلهبة وأجرد سلهب * كالسيد بادر غفلة الرقاب
جيش عيينة قاصد بلوائه * فيه وصخر قائد الاحزاب
قرمان كالبدرين اصبح فيهما * غيث الفقير ومعقل الهراب
حتى اذا وردوا المدينة وارتدوا * للموت كل مجرب قضاب

عن جابر ورواه من الصحابة جماعة غير جابر منهم ابو سعيد الخدرى واسيد بن حضير ورميثة بنت عمرو ذكر ذلك الترمذى والعجب لما روى عن ملك رحمه الله من انكاره للحديث وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله وكثرة الرواة له ولعل هذه الرواية لم تصح عن ملك والله أعلم

﴿فصل فى اشعار يوم الخندق﴾

ذكر فيها شعر ضرار بن الخطاب * على الابطال واليلب الحصينا * اليلب الترسة وقيل الدرق وقيل بيضات ودروع كانت تتخذ من جلود الابل ويشهد لهذا قول حبيب

هذه الاسنة والماذى قد كثرا * فلا الصياصى لها قدر ولا اليلب

اى لا حاجة بعد وجود الدروع الماذية الى اليلب وبعد الاسنة الى الصياصى وهى القرون وكانت أسنتهم منها فى الجاهلية قال الشاعر

يهز صعدة جرداء فيها * نقيع السم اوقرن محيق

وذكر فى شعر كعب * فكنتم تحتها متكمهينا * متفعلين من الكمه وهو العمى والاظهر فى الاكمه انه الذى

شهرا وعشرا قاهرين محمدا * وصحابه فى الحرب خير صحاب
نادوا برحلتهم صبيحة قلتم * كدنا نكون بها مع الخياب
لولا الخنادق غادرن من جمعهم * قتلى لطير سغب وذئاب
(فاجابه حسان بن ثابت الانصارى فقال)
هل رسم دارسة المقام يباب * متكلم لمحارب بجواب
قفر عفا رهم السحاب رسومه * وهبوب كل مطلة مرباب
ولقد رأيت بها الحلول يزينهم * بيض الوجوه ثواقب الاحساب
فدع الديار وذكر كل خريدة * بيضاء آنسة الحديث كعاب
واشك الهموم الى الاله وما ترى * من معشر ظلموا الرسول غضاب
ساروا باجمعهم اليه وألبوا * أهل القرى وبوادى الاعراب
جيش عيينة وابن حرب فيهم * متخمطون بحلبة الاحزاب
حتى اذا وردوا المدينة وارتجوا * قتلى الرسول ومغنم الاسلاب
وغدوا علينا قادرين بايديهم * ردوا بغيظهم على الاعقاب
بهبوب معصفة تفرق جمعهم * وجنود ربك سيد الارباب
فكفى الاله المؤمنين قتالهم * وأثابهم فى الاجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم * تنزيل نصر مليكنا الوهاب
وأقر عين محمد وصحابه * وأذل كل مكذب مرتاب
عاتى الفؤاد موقع ذى ريبة * فى الكفر ليس بطاهر الاثواب
علق الشقاء بقلبه ففؤاده * فى الكفر آخر هذه الاحقاب
(وأجابه كعب بن مالك أيضا فقال)
أبقى لنا حدث الحروب بقية * من خير نحلة ربنا الوهاب
بيضا مشرفة الذرى ومعاطنا * حم الجذوع غزيرة الاحلاب
كاللوب يبذل جمها وحفيلها * للجار وابن العم والمنتاب
ونزائعا مثل السراح نمى بها * علف الشعير وجزة المقضاب
عرى الشوى منها وأردف نحضها * جرد المتون وسائر الآراب

آراب

يولد اعمى وقد قيل فيه انه الذى لا يبصر بالليل شيئاً ذكر هذا القول البخارى فى التفسير * وفيه قوله * وجنود ربك سيد الارباب * فيه شاهد لمن زعم أن السيد من اسماء الله وقد كره اكثر العلماء ان يقال فى الدعاء ياسيدى وأجازه بعضهم واحتج بحديث ليس اسناده بالقوى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له رجل ياسيد فقال السيد الله وامامذهب القاضى فى مثل هذا من الاسماء التى يراد بها المدح والتعظيم فذكر الله به جائز مالم يرد نهى عنه أو تجمع الامة على ترك الدعاء به كما أجمعوا الا يسمى بفقيه ولا عاقل ولا سخى وان كان فى ذلك مدح ﴿قال المؤلف﴾ والذى أقول فى السيد انه اسم يعتبر بالاضافة لانه فى أصل الوضع بعض ما أضيف اليه تقول فلان سيد قيس اذا كان واحدا منهم ولا يقال فى قيس هو سيد تميم لانه ليس واحدا منهم فكذلك لا يقال فى الله تعالى هو سيد الناس ولا سيد الملائكة وانما يقال ربهم فاذا قلت سيد الارباب وسيد الكرماء جاز لان معناه أكرم الكرماء وأعظم الارباب ثم يشتق له من اسم الرب فيوصف بالربوبية ولا يوصف بالسودد لانه ليس باسم له على الاطلاق وقد جاء فى شعر حسان الذى يرثى به رسول الله صلى الله عليه وسلم * ياذا الجلال وذا العلا والسودد * يصف الرب ولكن لا تقوم الحجة فى اطلاق هذه الاسماء الا أن يسمعها الرسول عليه السلام فلا ينكرها كما سمع شعر كعب فلم ينكره وانما يوصف على الوجه الذى قدمناه وعلى المعنى الذى بيناه * وقول كعب * بيضاء مشرفة الذرى ومعاطنا * يعنى الآطام وقوله معاطنا يعنى منابت النخل عند الماء شبهها بمعاطن الابل وهى مباركها عند الماء * وقوله حم الجذوع وصفها بالحمة وهى السواد لانها تضرب الى السواد من الخضرة والنعمة وشبه ما يجتنى منها بالحلب فقال غزيرة الاحلاب * وقوله كاللوب اللوب جمع لوبة واللاب جمع لابة وهى الحرة يقال ما بين لابتيها مثل فلان ولا يقال ذلك فى كل بلد فقد قال شبيب بن شيبة لرجل نسبه الى التصحيف فى حديث السقط انه يظل محبنطئاً على باب الجنة فقال له شبيب بالظاء منقوطة فقال الرجل أخطأت انما هو بالطاء قال الراجز

انى اذا استنشدت لا احبنطى * ولا أحب كثرة التمطى

فقال له شبيب أتلحننى وما بين لابتيها أفصح منى فقال له الرجل وهذه لحنة أخرى او للبصرة لابتان انما اللابتان للمدينة والكوفة * وقوله يبذل جمها وحفيلها أى الكثير منها والمنتاب الزائر مفتعل من ناب ينوب اذا ألم * وقوله ونزائعا مثل السراج يعنى الخيل العربية التى نزعت من الاعداء * وقوله مثل السراج بالجيم كذا وقع فى الاصل أى كل واحد منها كالسراج ووقع فى الحاشية بالحاء وفسره فقال جمع سرحان وهو الذئب وهذا الجمع انما جاز على تقدير حذف الزائدتين من الاسم وهى الالف والنون ولو جمعه على لفظه لقال سراحين * وقوله وجزة المقضاب المقضاب مزرعة وجزتها ما يجزمنها للخيل * وقوله عرى الشوى منها يعنى القوائم والنحض اللحم والآراب المفاصل واحدها ارب وفى الحديث أمرت ان اسجد على سبعة

قودا تراح الى الصياح اذ غدت * فعل الضراء تراح للكلاب
وتحوط سائمة الديار وتارة * تردى العدا وتؤب بالأسلاب
حوش الوحوش مطارة عند الوغى * عبس اللقاء مبينة الانجاب
علفت على دعة فصارت بدنا * دخس البضيع خفيفة الاقصاب
يغدون بالزغف المضاعف شكه * وبمترصات فى الثقاف صباب
وصوارم نزع الصياقل علبها * وبكل أروع ماجد الانساب
يصل اليمين بمارن متقارب * وكلت وقيعته الى خباب
وأغر أزرق فى القناة كأنه * فى طخية الظلماء ضوء شهاب
وكتيبة ينفى القران قتيرها * وترد حد قواحز النشاب
جأوى ململمة كأن رماحها * فى كل مجمعة صريمة غاب
يأوى الى ظل اللواء كأنه * فى صعدة الخطى فىء عقاب
أعيت أبا كرب وأعيت تبعا * وأبت بسالتها على الاعراب
ومواعظ من ربنا نهدى بها * بلسان أزهر طيب الاثواب
عرضت علينا فاشتهينا ذكرها * من بعد ما عرضت على الاحزاب
حكما يراها المجرمون بزعمهم * حرجا ويفهمها ذوو الالباب
جاءت سخينة كى تغالب ربها * فليغلبن مغالب الغلاب

«قال ابن هشام» حدثنى من أثق به قال حدثنى عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير قال لما قال كعب بن مالك

جاءت سخينة كى تغالب ربها * فليغلبن مغالب الغلاب

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا

* قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق
من سره ضرب يمعمع بعضه * بعضا كمعمعة الاباء المحرق
فليأت مأسدة تسن سيوفها * بين المذاد وبين جذع الخندق
دربوا بضرب المعلمين وأسلموا * مهجات أنفسهم لرب المشرق
فى عصبة نصر الاله نبيه * بهم وكان بعبده ذا مرفق
فى كل سابغة تخط فضولها * كالنهى هبت ريحه المترقرق

آراب * وقوله قودا أى طوال الاعناق والضراء الكلاب الضارية وفى الحديث ان قيسا ضراء الله فى الارض أى أسده الضارية والكلاب جمع كالب وهو صاحب الكلاب الذى يصيد بها * وقوله عبس اللقاء جمع عبوس * وقوله دخس البضيع البضيع اللحم المستطيل والدخيس من اللحم الكثير * وقوله خفيفة الاقصاب يعنى جمع قصب وهو المعى ومنه سمى الجزار قصابا * وقوله يعدون بالزغف أى بالدروع * وقوله شكه حلقه ونسجه * وقوله * وبمترصات فى الثقاف صباب * المترصات المحكمة يعنى الرماح المثقفة وقوله نزع الصياقل علبها أى جسأتها وخشونة درئها يقال علب اللحم اذا لم يكن رخصا وعلب النبات اذا جسأ * وقوله بمارن متقارب المارن اللين و وقيعته صقله وخباب اسم صيقل * وقوله واغر ازرق يعنى الرمح وطخية الظلماء أى شدتها وطخاء القلب ظلمته ومنه قوله عليه السلام فى السفرجل انه يذهب بطخاء القلب * وقول كعب * جاءت سخينة كى تغالب ربها * كان هذا الاسم مما سميت به قريش قديما ذكروا أن قصيا كان اذا ذبحت ذبيحة أو نحرت نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة وهو لحم يطبخ ببر فيطعمه الناس فسميت قريش بها سخينة وقيل ان العرب كانوا اذا أسنتوا أكلوا العلهز وهو الوبر والدم وتأكل قريش الخزيرة والفيتة فنفست عليهم ذلك فلقبوهم سخينة ولم تكن قريش تكره هذا اللقب ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ولتركه أدبا مع النبى عليه السلام اذ كان قرشيا ولقد استنشد عبد الملك بن مروان ما قاله الهوازنى فى قريش

يا شدة ما شددنا غير كاذبة * على سخينة لولا الليل والحرم

فقال ما زاد هذا على ان استثنى ولم يكره سماع التلقيب بسخينة فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروها عندهم ولا كان فيه تعيير لهم بشىء يكره * وفى شعر كعب أيضا من سره ضرب يمعمع بعضه المعمعة صوت النار فيما عظم وكثف من الشعراء والقصباء ونحوها والكاحبة صوتها فيما دق كالسراج ونحوه والقطمطة صوت الغليان وكذلك الغرغرة والجعجعة صوت الرحى والدردبة صوت الطبل * وقوله الأباء هو القصب واحدتها اباءة والهمزة الآخرة فيها بدل من ياء قاله ابن جنى لانه عنده من الاباية كان القصب يابى على من أراده بمضغ أو نحوه ويشهد لما قاله ابن جنى قول الشاعر

يراه الناس أخضر من بعيد * وتمنعه المرارة والاباء

وقوله فليأت مأسدة هى الارض الكثيرة الاسد وكذلك المسبعة الارض الكثيرة السباع ويجوز أن يكون مأسدة جمع أسد كما قالوا مشيخة ومعلجة حكى سيبويه مشيخة ومشيوخاء ومعلجة ومعلوجاء وألفيت أيضا فى النبات مسلوقاء لجماعة السلم ومشيوحاء للشيح بالحاء المهملة الكثير * وقوله تسن سيوفها بنصب الفاء وهو الاصح عند القاضى أبى الوليد ووقع فى الاصل عند أبى بحر تسن سيوفها بالرفع ومعنى الرواية الاولى تسن أى تصقل ومعنى الرواية الثانية أى تسن للابطال ولمن بعدها من الرجال سنة الجرأة

بيضاء محكمة كان قتيرها * حدق الجنادب ذات شك موثق   جدلاء يحفزها نجاد مهند * صافى الحديدة صارم ذى رونق
تلكم مع التقوى تكون لباسنا * يوم الهياج وكل ساعة مصدق   نصل السيوف اذا قصرن بخطونا * قدما ونلحقها اذا لم تلحق
فترى الجماجم ضاحيا هاماتها * بله الاكف كانها لم تخلق   نلقى العدو بفخمة ملمومة * تنفى الجموع كقصد رأس المشرق
ونعد للاعداء كل مقلص * ورد ومحجول القوائم ابلق   تردى بفرسان كان كماتهم * عند الهياج
أسود طل ملثق
صدق يعاطون الكماة حتوفهم
تحت العماية بالوشيج المزهق
أمر الاله بربطها لعدوه
فى الحرب ان الله خير موفق
لتكون غيظا للعدو وحيطا
للدار ان دلفت خيول النزق
ويعيننا الله العزيز بقوة *
منه وصدق الصبر ساعة نلتقى
ونطيع أمر نبينا ونجيبه *
واذا دعا لكريهة لم نسبق
ومتى ينادى للشدائد نأتها *
ومتى نرى الحومات فيها نعنق
من يتبع قول النبى فانه *
فينا مطاع الامر حق مصدق
فبذلك ينصرنا ويظهر عزنا *
ويصيبنا من نيل ذاك بمرفق
ان الذين يكذبون محمدا *
كفروا وضلوا عن سبيل
المتقى

«قال ابن هشام» أنشدنى
بيته تلكم مع التقوى تكون
لباسنا وبيته من يتبع قول
النبى أبو زيد وأنشدنى تنفى
الجموع كراس قدس المشرق

* قال ابن اسحق وقال
كعب بن مالك فى يوم الخندق

لقد علم الاحزاب حين
تالبوا
علينا وراموا ديننا ما نوادع   أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت * وخندف لم يدروا بما هو واقع
يذودوننا عن ديننا ونذودهم * عن الكفر والرحمن راء وسامع   اذا غايظونا فى مقام أعاننا * على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وفضله * علينا ومن لم يحفظ الله ضائع   هدانا لدين الحق واختاره لنا * ولله فوق الصانعين صنائع

«قال ابن هشام» وهذه الابيات فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق

والاقدام * وقوله فى وصف الدرع * جدلاء يحفزها نجاد مهند * جدلاء من الجدل وهو قوة الفتل ومنه الاجدل للصقر وفى هذا البيت دليل على قوة امتناع الصرف فى أجدل وانه من باب أفعل الذى مؤنثة فعلاء ومن صرفه شبهه بارنب وافكل وهو أضعف الوجهين وان كانوا قد قالوا فى جمعه أجادل مثل أرانب فقد قالوا أيضا الاجارع والاباطح فى جمع أجرع وأبطح ولكنهم لا يصرفونهما من حيث قالوا فى المؤنث بطحاء وجرعاء وكذلك القول فى ابرق وبرقاء * وقوله يحفزها نجاد مهند كقول ابن الاسلت فى وصف الدرع

أحفزها عنى بذى رونق * أبيض مثل الملح قطاع

وذلك ان الدرع اذا طالت فضولها حفزوها أى شمروها فربطوها بنجاد السيف * وقوله * تلكم مع التقوى تكون لباسنا * من أجود الكلام وأملح الالتفاتات لانه قول انتزعه من قول الله تعالى «ولباس التقوى ذلك خير» وقال الشاعر

انى كانى أرى من لا وفاء له * ولا امانة وسط القوم عريانا

وموضع الاجادة والاحسان من قول كعب انه جعل لباس الدرع تبعا للباس التقوى لان حرف مع تعطى فى الكلام ان ما بعده هو المتبوع وليس بتابع وقد احتج الصديق على الانصار يوم السقيفة بان قال لهم أنتم الذين آمنوا ونحن الصادقون وانما أمركم الله ان تكونوا معنا فقال «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» والصادقون هم المهاجرون قال الله تعالى «للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون» * وقوله بله الاكف بخفض الاكف هو الوجه وقد روى بالنصب لانه مفعول أى دع الاكف فهذا كما تقول رويد زيد ورويد زيدا بلا تنوين مع النصب وبله كلمة بمعنى دع وهى من المصادر المضافة الى ما بعدها وهى عندى من لفظ البله والتباله وهو من الغفلة لان من غفل عن الشىء تركه ولم يسئل عنه وكذلك قوله بله الاكف أى لا تسئل عن الاكف اذا كانت الجماجم ضاحية مقطعة وفى الحديث يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت بله ما أطلعتهم عليه * وقوله بفخمة ملمومة أى كتيبة مجموعة وقوله كقصد رأس المشرق الصحيح فيه ما رواه ابن هشام عن أبى زيد كرأس قدس المشرق لان قدس جبل معروف من ناحية المشرق * وقوله * عند الهياج اسود طل ملثق * الطل معروف واللثق ما يكون عن الطل من زلق وطين والاسد أجوع ما تكون وأجرأ فى ذلك الحين * وقوله فى العينية

* أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت * واحد الاضاميم اضامة وهو كل شىء مجتمع يقال اضامة من الناس واضامة من كتب * وقوله من قيس بن عيلان * هو المشهور عند أهل النسب وبعضهم يقول ان قيسا هو عيلان لا ابنه قال وعرف قيس بن عيلان بفرس كان له يسمى عيلانا كما عرف قيس كبة من بجيلة بفرس اسمه كبة وكان هو وقيس عيلان متجاورين فكان اذا ذكر أحدهما وقيل أى القيسين هو * قيل قيس عيلان أو قيس كبة وقيل ان عيلان اسم كلب كان له وقيل عيلان اسم جبل ولد عنده وقيل اسم غلام لمضر

لمضر كان حضنه وقيل كان جوادا أتلف ماله فادركته عيلة فسمى عيـلان ومما يحتج به للقول الآخر قول رؤبة * وقيس عيلان ومن تقيسا * وقوله فى الدالية وما بين العريض الى الصماد العريض موضع والصماد جمع صمد وهو ماغلظ من الارض * وقوله نواضح فى الحروب يعنى حدائق نخل تسقى بالنضح وأراد بالخوص آبارا وانما جعـل البئر خوصا لان العـين الخوصاء هى الغائرة وجمعها خوص فعيون الماء فى الآبار كذلك غائرة * وأنشد أبو عبيد فى وصف الابل

مخيسة بزلا كان عيونها * عيون الركايا أنكرتها المواتح

وقوله يزخر المرار فيها * المرار اسم نهر * وقوله

كان الغاب والبردى فيها * أجش اذا تبقع للحصاد

يريد صوت خفيف الريح كصوت الاجش وهو الابح وقد يوصف النبات أيضاً بالغنة من أجـل خفيف الريح فيه فيقال روضة غناء وقد قيل انما ذلك من أجل صوت الذباب الذى يكون فيه قاله أبو حنيفة * وقوله تبقع للحصاد أى صارت فيـه بقع بيض من اليبس يقال للزرع اذا صار كذلك ارقاط واسحام واسحار واذا أخذ السبل الحب قيل الحم واسفى من السفى وأشع من الشعاع بفتح الشـين وكسرها وهو السفى ويقال أسبل الزرع من السـبل كما يقال بعـير حظل واحظل المكان من الحنظل وهى لغة أهـل الحجاز وبنو تميم يقولون سبل وأما همدان فيسمون السنبل سبولا والواحدة سبولة فقياس لغتهم ان يقال أسبل وانما فخرت الانصار فى هذا الشعر والذى قبـله بنخلها وآطامها اشارة الى عزها ومنعتها وانها لم تغلب على بلادها على قديم الدهر كما أجليت أكثر الاعاريب عن محالها وأزعجها الخوف عن مواطنها وهـذا المعنى أراد حسان فى قوله

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

لان اقامتهم حول قبور آبائهم وأجـدادهم دليل على منعتهم والامغالب لهم على ماتخـير وه من بقاع الارض وآثروه عنـد ارتيادهم * وقوله * أثرنا سكة الانباط فيها * السكة النخل المصـطف أى حرثناها وغرسـناها كما تفعل الانباط فى أمصارها لاتخاف عليها كيد كائد واياها أراد النبى صـلى الله عليه وسـلم بقوله خير المال سكة مأبورة والسكة أيضا السـنة وهى الحديدة التى يشق بها الفدان الارض ويقال لها أيضاً المان وهو تفسير الاصمعى وفسره أبو عبيد على المعنى الآخر وانها النخـل ويقال أيضاً أبيثت الارض فى معنى أثيرت قاله ابو حنيفة ويروى فى الحماسـة * هـلم اليها قد أبيثت زروعها * أى أثيرت وفى الغريب المصنف

وحق بنى شغارة ان يقولوا * لصخـر الغى ماذا تستبيث

وغلط أبو عبيد فجعـل تستبيث من نبيثت البئر وهو ترابها ولو كان كذلك لقال تستنبيث بنون قبـل الباء وقوله * جلهات واد * الجلهات من الوادى ما كشـفت عنه السيول الشـعراء فابرزته وهو من الجله وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس * وقوله صـفراء الجراد وهى الخيفانة منها وهى التى ألقت سرأها أى بيضها وهى اخف طيرانا والكتفان من الجراد أكبر من الخيفان وأول أمر الجراد دود يقال له الغمص يلقيه بحر اليمن وله علامة قبل خروجه وهو برق يلمع من ذلك البحر سبـع عشرة مرة فيعلمون بخروج الجراد قاله ابو حنيفة * وقوله غير معتلث الزناد * الزناد المعتلث هو الذى لايدرى من أى عود هو وأصل الاعتلاث

ألا أبلغ قريشا أن سـلعا * وما بين العريض الى الصماد
نواضح فى الحـروب مدزبات * وخـوض
ثقبت من عهد عاد
رواكد يزخر المرار فيها *
فليست بالجمام ولا الثماد
كان الغاب والبردى فيها *
أجش اذا تبقع للحصاد
ولم نجعل تجارتنا اشتراء الـ
حمير لارض دوس أو مراد
بلاد لم تثر الا لكيما *
نجالد ان نشطتم للجـلاد
أثرنا سكة الانباط فيها *
فلم تر مثلها جلهـات واد
قصرنا كل ذى حضر وطول
على الغايات مقتدر جواد
أجيبونا الى مانجتديكم *
من القول المبين والسـداد
والا فاصبروا لجلاد يوم *
لكم منا الى شطر المذاد
نصبحكم بكل أخى حروب
وكل مطهم سلس القياد
وكل طمرة خفق حشاها *
تدف دفيف صفراء الجراد
وكل مقلص الآراب نهد *
تميم الخلق من أخر وهادى
خيول لا تضاع اذا أضيعت *
خيول الناس فى السنة الجماد
ينازعن الاعنة مصغيات *
اذا نادى الى الفزع المنادى
اذا قالت لنا النذر استعدوا *
توكلنا على رب العبـاد
وقلنـا لن يفرج ما لقينا *
سوى ضرب القوانس
والجهاد
فلم تر عصبة فيمن لقينا *
من الاقوام من قار وبادى
أشـد بسـالة منـا اذا ما * أردناه وألـين فى الوداد اذا مانحـن أشرجنـا عليهـا * جياد الجدل فى الارب الشداد
فذقنا فى السـوابغ كل صقر * كريم غـير معتلث الزناد أشم كانه أسـد عبـوس * غداة بدا ببطن الجـذع غادى

يغشى هامة البطل المذكى * صبى السيف مسترخى النجاد   لنظهر دينك اللهم انا * بكفك فاهدنا سبل الرشاد
« قال ابن هشام » بيته قصرنا كل ذى حضر وطول والبيت الذى يتلوه والبيت الثالث منه والبيت الرابع منه و بيته أشم كانه أسد عبوس
والبيت الذى يتلوه عن أبى زيد الانصارى * قال ابن اسحق وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح يبكى عمرو بن عبد ود
و يذكر قتل على بن أبى طالب رضوان الله عليه اياه   عمرو بن عبد كان أول فارس * جدع المذاد وكان فارس يليل
سمح الخلائق ماجد ذو مرة * يبغى القتال بشكة لم ينكل   ولقد علمتم حين ولوا عنكم * أن ابن عبد فيهم لم يعجل
حتى تكنفه الكماة وكلهم * يبغى مقاتله وليس بمؤتل   ولقد تكنفت الاسنة فارسا * بجنوب سلع غير نكس أميل
بسل النزال على فارس غالب * بجنوب سلع ليته لم ينزل   فاذهب على فما ظفرت بمثله * فخرا ولا لاقيت مثل المعضل
نفسى الفداء لفارس من غالب * لاقى حمام الموت لم يتحلحل   أعنى الذى جزع المذاد مهره * طلبا لثار معاسر لم يخذل
قال مسافع أيضا يؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه فاجلوا عنه وتركوه   عمرو بن عبد والجياد يقودها * خيل تقاد له وخيل تنعل
أجلت فوارسه وغادر رهطه * ركنا عظيما كان أول فيها أول   عجبا وان أعجب فقد أبصرته * مهما يسوم على عمرا ينزل
لا تبعدن فقد أصبت بقتله * ولقيت قبل الموت أمرا يثقل   وهبيرة المسلوب ولى مدبرا * عند القتال مخافة أن يقتلوا
وضرار اكان البأس منه محضرا * ولى كما ولى اللئيم الاعزل   « قال ابن هشام » و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له وقوله عمرا ينزل
عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال هبيرة بن أبى وهب يعتذر من فراره و يبكى عمرا و يذكر قتل على اياه
لعمرى ما وليت ظهرى محمدا * واصحابه جبنا ولا خيفة القتل   ولكننى قلبت أمرى فلم أجد * لسيفى غناء ان ضربت ولا نبلى
وقفت فلما لم أجد لى مقدما * صددت كضرغام هزبر أبى شبل   ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد * مكرا وقدما كان ذلك من فعلى
فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا * وحق لحسن المدح مثلك من مثلى   (٢٠٨)   ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا * فقد بنت محمود
الثنا ماجد الاصل   فمن لطراد الخيل تقدع بالقنا * وللفخر يوما عند قرقرة البزل
هنالك لو كان ابن عبد لزارها * وفرجها حقا فتى غير ماوغل
فعنك على لا رأى مثل موقف * وقفت على نجد المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك فخرا بمثله * أمنت به ما عشت من زلة النعل   وقال هبيرة بن أبى وهب   مقتل
يبكى عمرو بن عبد ود ويذكر قتل على رضوان الله عليه اياه
لقد علمت عليا لؤى بن غالب * لفارسها عمرو اذا ناب نائب   لفارسها عمرو اذا ما يسومه * على وان الليث لا بد طالب
عشية يدعوه على وانه * لفارسها اذ خام عنه الكتائب   فيا لهف نفسى ان عمرا تركته * بيثرب لا زالت هناك المصائب
وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود   بقية كم عمرو أبحناه بالقنا * بيثرب نحمى والحماة قليل
ونحن قتلناكم بكل مهند * ونحن ولاة الحرب حين نصول   ونحن قتلناكم ببدر فاصبحت * معاشركم فى الهالكين تجول
« قال ابن هشام » و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا فى شأن عمرو بن عبد ود
أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغى * بجنوب يثرب ثأره لم ينظر   فلقد وجدت سيوفنا مشهورة * ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد لقيت غداة بدر عصبة * ضربوك ضربا غير ضرب الحسر   أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة * يا عمرو أو لجسيم أمر منكر
« قال ابن هشام » و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا
ألا أبلغ أبا هدم رسولا * مغلغلة تخب بها المطى   أكنت وليكم فى كل كره * وغيرى فى الرخاء هو الولى
ومنكم شاهد ولقد رآنى * رفعت له كما احتمل الصبى   « قال ابن هشام » وتروى هذه الابيات لربيعة بن أمية الديلى و يروى
فيها آخرها   كبيت الخزرجى على يديه * وكان شفاء نفسى الخزرجى   وتروى أيضا لابى اسامة الجشمى * قال
ابن اسحق وقال حسان بن ثابت فى بنى قريظة يبكى سعد بن معاذ و يذكر حكمه فيهم
لقد سجمت من دمع عينى عبرة * وحق لعينى أن تفيض على سعد   قتيل ثوى فى معرك فجعت به * عيون ذوارى الدمع دائمة الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة * مع الشهداء وفدها أكرم الوفد   فان تك قد ودعتنا وتركتنا * وأمسيت فى غبراء مظلمة اللحد
فانت الذى يا سعد أبت بمشهد * كريم وأثواب المكارم والحمد   بحكمك فى حيى قريظة بالذى * قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم * ولم تعف اذ ذكرت ما كان من عهد * فان كان ريب الدهر امضاك فى الاولى * شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد

الاختلاط يقال علثت الطعام اذا خلطت حنطة بشعير والعلاثة الزند الذى لا يورى نارا

فنعم مصير الصادقين اذا دعوا * الى الله يوما للوجاهة والقصد

وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى سعد بن معاذ ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء ويذكرهم بما كان فيهم من الخير

ألا يا لقومى هل لما حم دافع * وهل ما مضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصرا قد مضى فتهافتت * بنات الحشا وانهل منها المدامع
صبابة وجد ذكرتنى اخوة * وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فأضحوا فى الجنان وأوحشت * منازلهم فالارض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم * ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فاجابوه بحق وكلهم * مطيع له فى كل امر وسامع
فما نكلوا حتى توالوا جماعة * ولا يقطع الآجال الا المصارع
لانهم يرجون منه شفاعة * اذا لم يكن الا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا * اجابتنا لله والموت ناقع *
لنا القدم الاولى اليك وما خلفنا * لاولنا فى ملة الله تابع *
ونعلم ان الملك لله وحده * وان قضاء الله لابد واقع

وقال حسان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قريظة

لقد لقيت قريظة ما ساءها * وما وجدت لذل من نصير
أصابهم بلاء كان فيه * سوى ما قد أصاب بنى النضير
غداة أتاهم يهوى اليهم * رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تهادى * بفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشىء * دماؤهم عليهم كالعبير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم * كذاك يدان ذو العند الفجور
فانذر مثلها نصحا قريشا * من الرحمن ان قبلت نذيرى

وقال حسان بن ثابت فى بنى قريظة

لقد لقيت قريظة ما ساءها * وحل بحصنها ذل ذليل
وسعد كان أنذرهم بنصح * بان الهكم رب جليل
فما برحوا بنقض العهد حتى * فلاهم فى بلادهم الرسول
أحاط بحصنهم منا صفوف * له من حر وقعتهم صليل

وقال حسان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قريظة

تعاقد معشر نصروا قريشا * وليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه * وهم عمى من التوراة بور
كفرتم بالقرآن وقد أتيتم * بتصديق الذى قال النذير

(٢٠٩)

فهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

فاجابه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال

أدام الله ذلك من صنيع * وحرق فى طوائفها السعير
ستعلم أينا منها بنزه * وتعلم أى أراضينا تضير
فلو كان النخيل بها ركابا * لقالوا لامقام لكم فسيروا

وأجابه جبل بن جوال الثعلبى أيضا وبكى النضير وقريظة فقال

الا يا سعد سعد بنى معاذ * لما لقيت قريظة والنضير
لعمرك ان سعد بنى معاذ * غداة تحملوا لهو الصبور
فاما الخزرجى أبو حباب * فقال لقينقاع لا تسيروا
وبدلت الموالى من حضير * أسيدا والدوائر قد تدور
وأقفرت البويرة من سلام * وسعية بن أخطب فهى بور
وقد كانوا ببلدتهم ثقالا * كما ثقلت بميطان الصخور
فان يهلك أبو حكم سلام * فلا رث السلاح ولا دثور
وكل الكاهنين وكان فيهم * مع اللين الخضارمة الصقور
وجدنا المجد قد ثبتوا عليه * بمجد لا تغيبه البدور
أقيموا يا سراة الاوس فيها * كانكم من المخزاة عور
تركتم قدركم لا شىء فيها * وقدر القوم حامية تفور

مقتل ابن أبى الحقيق

ذكر فيه النفر الخمسة الذين قتلوه وسماهم وذكر فيهم ابن عقبة اسعد بن حرام ولا يعرف أحد ذكره غيره * وذكر

*قال ابن اسحق ولما انقضى شأن الخندق وأمر بنى قريظة وكان سلام بن أبى الحقيق وهو أبو رافع فيمن حزب الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الاشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه استأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل سلام بن أبى الحقيق وهو بخيبر فاذن لهم

مقتل سلام بن أبى الحقيق

* قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك قال وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم ان هذين الحيين من الانصار الاوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين لا تصنع الاوس شيا فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء الا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام قال فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها واذا فعلت الخزرج شيا قالت الاوس مثل ذلك ولما أصابت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا قال فتذاكروا من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الاشرف فذكروا ابن أبى الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله فاذن لهم فخرج اليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحرث بن ربعى وخزاعى بن أسود حليف لهم من أسلم فخرجوا وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله

ابن عتيك ونهاهم ان يقتلوا وليدا أو امرأة فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبى الحقيق ليلا فلم يدعوا بيتا فى الدار الا أغلقوه على أهله قال وكان فى علية له اليها عجلة قال فاسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا عليه فخرجت اليهم امرأته فقالت من أنتم قالوا ناس من العرب نلتمس الميرة قالت ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه قال فلما دخلنا عليه أغلقنا علينا وعليها الحجرة تخوفا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه قالت فصاحت امرأته فنوهت بنا وابتدرناه وهو على فراشه باسيافنا فوالله ما يدلنا عليه فى سواد الليل الا بياضه كأنه قبطية ملقاة قال ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل قال فلما ضربناه باسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه وهو يقول قطنى قطنى أى حسبى حسبى قال وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر قال فوقع من الدرجة فوثئت يده وثأ شديدا ويقال رجله فيما قال ابن هشام وحملناه حتى نأتى منهرا من عيونهم فندخل فيه قال فاوقدوا النيران واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا قال حتى اذا يئسوا رجعوا الى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضى بينهم قال فقلنا كيف لنا بان نعلم بان عدو الله قد مات قال فقال رجل منا أنا أذهب فانظر لكم قال فانطلق حتى دخل فى الناس قال فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه وتحدثهم وتقول اما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسى وقلت أنى ابن عتيك بهذه البلاد ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت فاظ واله يهود فما سمعت من كلمة كانت ألذ الى نفسى منها قال ثم جاءنا فاخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده فى قتله كلنا يدعيه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا أسيافكم قال فجئناه بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس هذا قتله أرى فيه أثر الطعام * قال ابن اسحق فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الاشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق

اسلام

لله در عصابة لاقيتهم * يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم * مرحا كأسد فى عرين مغرف
حتى أتوكم فى محل بلادكم * فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستبصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

«قال ابن هشام» قوله ذفف عن غير ابن اسحق

فى الحديث قطنى قطنى قال معناه حسبى حسبى (قال المؤلف) وهذه الكلمة أصلها من القط وهو القطع ثم خففت وأجريت مجرى الحرف وكذلك قد بمعنى قط هى ايضا من القد وهو القطع طولا والقط بالطاء هو القطع عرضا يقال ان عليا رحمه الله كان اذا استعلى الفارس قده واذا استعرضه قطه ولما كان الشىء الكافى الذى لا يحتاج معه الى غيره يدعوا الى قطع الطلب وترك المزيد جعلوا قد وقط تشعر بهذا المعنى فاذا ذكرت نفسك قلت قدى وقطى كما تقول حسبى وان شئت ألحقت نونا فقلت قدنى وذلك من أجل سكون آخرها فكرهوا تحريكه من اجل الياء كما كرهوا تحريك آخر الفعل فقالوا ضربنى وكذلك كرهوا تحريك آخر ليت فقالوا ليتنى وقد يقولون ليتى وهو قليل وقالوا لعلنى ولعلى وقالوا من لدنى فادخلوها على الياء المخفوضة بالظرف كما أدخلوها على الياء المخفوضة بمن وعن فعلوا هذا وقاية لأواخر هذه الكلم من الخفض وخصوا النون بهذا لأنها اذا كانت تنوينا فى آخر الاسم آذنت بامتناع الاضافة وكذلك فى هذه المواطن التى سمينا تشعر بامتناعها من الخفض وتشعر فى الفعل والحروف بامتناعها من الاضافة أيضا لان الحرف لا يضاف وكذلك الفعل مع ان النون من علامات الاضمار فى فعلنا وفعلنا فى ضمير المفعول فاما قد وقط فاسمان وكذلك لدن ولكن كرهوا تحريك أواخرها لشبهها بالحروف (فان قيل) فما موضع نى من قوله قطنى (قلنا) موضعها خفض بالاضافة كما هى فى لدنى (فان قلت) كيف تكون ضمير المفعول والمنصوب فى ضربنى وليتنى ثم تقول انها فى موضع خفض (قلنا) الضمير فى الحقيقة هى الياء وحدها فى الخفض والنصب كما ان الكاف والهاء كذلك وقد قالوا منى وعنى وهو ضمير خفض وفيه النون وقالوا ليتى ولعلى وهو ضمير نصب وليس فيه نون (فان قيل) فما موضع الاسم من الاعراب اذا قلت قطى وقدى (قلنا) اعرابهما كاعراب حسبى مبتدأ وخبره محذوف وانما لزم حذف خبره لما دخله من معنى الامر ومن هذا الباب قول جهنم أعاذنا الله منها قطى وعزتك قطى ويروى قطنى وذلك بعد قولها هل من مزيد فاذا وضعت فيها القدم وزوى بعضها الى بعض قالت قطى وقد جمع الشاعر بين اللغتين فقال * قدنى من نصر الخبيبين قدى * فهذا اما فى قط التى هى بمعنى حسبى فاما قط المبنية على الضم فهى ظرف لما مضى وهى تقال بالتخفيف والتثقيل وهى من القط أيضا الذى بمعنى القطع وفى مقابلتها فى المستقبل عوض مافعلته قط ولا أفعله عوض مثل قبل وبعد

﴿ اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ﴾

* قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن راشد مولى حبيب بن أوس الثقفى عن حبيب بن أبى أوس الثقفى قال حدثنى عمرو بن العاص من فيه قال لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله انى أرى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وانى لقد رأيت أمرا فما ترون فيه قالوا وماذا رأيت قال رأيت ان نلحق بالنجاشى فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى فانا أن نكون تحت يديه أحب الينا من أن نكون تحت يدى محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم الا خير قالوا ان هذا الرأى قلت فاجمعوا لنا ما نهديه له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه اليه فى شأن جعفر وأصحابه قال فدخل عليه ثم خرج من عنده قال فقلت لاصحابى هذا عمرو بن أمية الضمرى لو قد دخلت على النجاشى لسألته اياه فاعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت ذلك رأت قريش انى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقى أهديت الى من بلادك شيا قال قلت نعم أيها الملك قد أهديت اليك أدما كثيرا قال ثم قربته اليه فاعجبه واشتهاه ثم قلت له ايها الملك انى قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فاعطنيه لاقتله فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا قال فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت انه قد كسره فلو انشقت لى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت له أيها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألتكه قال أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله قال قلت أيها الملك اكذاك هو قال ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قال قلت أفتبايعنى له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت الى أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه وكتمت أصحابى اسلامى ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت أين يا أبا سليمان قال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبى اذهب والله فاسلم فحتى متى قال قلت والله ما جئت الا لاسلم قال فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فاسلم وبايع ثم دنوت فقلت يا رسول الله انى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ولا أذكر ما تأخر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمرو بايع فان الاسلام يجب ما كان قبله وان الهجرة تجب ما كان قبلها قال فبايعته ثم انصرفت « قال ابن هشام » ويقال فان الاسلام يحت ما كان قبله وان الهجرة تحت ما كان قبلها * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان معهما أسلم حين أسلما * قال ابن اسحق فقال ابن الزبعرى السهمى

أنشد عثمان بن طلحة خلفنا * وملقى نعال القوم عند المقبل
وما عقد الآباء من كل حلفة * وما خالد من مثلها بمحال
أمفتاح بيت غير بيتك تبتغى * وما تبتغى من مجد بيت مؤثل
فلا تأمنن خالدا بعد هذه * وعثمان جاآبالدهيم المعضل

وكان فتح قريظة فى ذى القعدة وصدر ذى الحجة وولى تلك الحجة المشركون

﴿ اسلام عمرو بن العاصى وخالد بن الوليد رحمة الله عليهما ﴾

[روينا من طريق أبى بكر الخطيب باسناد يرفعه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو بن العاص مهاجرا] ذكر فيه اجتماعه مع خالد فى الطريق وقول خالد له والله لقد استقام الميسم من رواه الميسم بالياء فهى العلامة أى قد تبين الامر واستقامت الدلالة ومن رواه المنسم بفتح الميم وبالنون فمعناه استقام الطريق ووجبت الهجرة والمنسم مقدم خف البعير وكنى به عن الطريق للتوجه به فيه وذكر الزبير خبر عمرو هذا وزاد فيه أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة صحبهما فى تلك الطريق فلما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم قال عمرو وكنت أسن منهما فاردت أن أكيدهما فقدمتهما قبلى للبيعة فبايعا واشترطا ان يغفر من ذنبهما ما تقدم فاضمرت فى نفسى ان نبايع على ان يغفر الله من ذنبى ما تقدم وما تأخر فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبى وانسيت أن أقول وما تأخر * وذكر فيه قدوم عمرو بن أمية الضمرى على النجاشى بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان فى الكتاب ما تكلم به عمرو بن أمية فانه لما قدم عليه قال له يا أصحمة ان على القول وعليك الاستماع انك كانك فى الرقة علينا منا وكانا بالثقة بك منك لانا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شىء قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من فيك الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفى ذلك وقع الحز واصابة المفصل والا فانت فى هذا النبى الامى كاليهود فى عيسى بن مريم وقد فرق النبى عليه السلام رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشى أشهد بالله انه النبى الامى الذى ينتظره

{ غزوة بنى لحيان }

(بسم الله الرحمن الرحيم) قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن سحق المطلبى قال ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرا وشهرى ربيع وخرج فى جمادى الاولى على رأس ستة أشهر من فتح بنى قريظة الى بنى لحيان يطلب باصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه وأظهر انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فسلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريق الشام ثم على مخيض ثم على البتراء ثم صفق ذات اليسار فخرج على بين ثم على صخيرات اليمام ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فاغذ السير سريعا حتى نزل على غران وهى منازل بنى لحيان وغران واد بين امج وعسفان الى بلد يقال له ساية فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رؤس الجبال فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم واخطأه من غرتهم ما اراد قالوا لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة انا قد جئنا مكة فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كر وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا فكان جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعا آيبون تائبون ان شاء الله لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال والحديث عن غزوة بنى لحيان عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال كعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان

لو أن بنى لحيان كانوا تناظروا * لقوا عصبا فى دراهم ذات مصدق
لقوا سرعانا يملأ السرب روعه * امام طحون كالمجرة فيلق
ولكنهم كانوا وبارا تتبعت * شعاب حجاز غير ذى متنفق

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يقم بها الا ليالى قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى فى خيل من غطفان على لقاح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة وفيها رجل من بنى غفار وامرأة له فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح

أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وان العيان له ليس باشفى من الخبر عنه ولكن أعوانى من الحبش قليل فانظرنى حتى أكثر الاعوان وألين القلوب وسنذكر فيما بعد ان شاء الله ما قالته أرسال النبى صلى الله عليه وسلم الى الملوك وما ردت عليها فان دحية كان رسوله الى قيصر وخارجة بن حذافة كان رسوله الى كسرى وشجاع بن وهب الى جبلة بن الايهم الغسانى وسليط بن عمرو الى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة والعلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى والمهاجر بن أبى أمية الى الحارث بن عبد كلال وعمرو بن العاصى الى الجلندى صاحب عمان وحاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس صاحب مصر وعمرو بن أمية الى النجاشى كما تقدم ولكل واحد منهم كلام قاله وشعر نظمه سنذكره بعد ان شاء الله

{ فصل } وما وقع فى أشعار السيرة من ذكر السمهرية من الرماح فمنسوبة الى سمهر وكان صنعا فيما زعموا يصنع الرماح وكانت امرأته ردينة تبيعهما فقيل للرماح الردينية لذلك وأما الماسخى من القسى فمنسوبة الى ماسخة واسمه نبيشة بن الحارث أحد بنى نصر بن الازد وقال الجعدى

بعيس تعطف أعناقها * كما عطف الماسخى القيانا

وقد تنسب القسى أيضاً الى زارة وهى امرأة ماسخة قال صخر الغي

سمحة من قسى زارة حمـ * ـراء هتوف عدادها غرد

من كتاب النبات للدينورى والبزنية منسوبة الى عبيد الطعان وهو المعروف ببزن بن هماذى والماذية منسوبة الى ماذى بن يافث بن نوح قاله الطبرى وزعم ان أول من عمل السيوف جم وهو رابع ملوك الارض

{ غزوة بنى لحيان }

ليس فيها ما يشكل وفيها من شعر حسان * لقوا سرعانا يملأ السرب روعه * سرعان الناس سباقهم والسرب المال الراعى كانه جمع سارب ويقال هو آمن فى سربه اذا لم يذعر ولا خاف على ماله من الغارة ومن قال فى سربه بكسر السين فهو مثل لان السرب هو القطيع من الوحش والطير فمعنى آمن فى سربه أى لم يذعر هو نفسه ولا ذعر أهله ولهذا المعنى أشار من قال من أهل اللغة معنى فى سربه أى فى نفسه لم يرد ان النفس يقال لها سرب وانما أراد انه لم يذعر هو ولا من معه لا كالآخر الذى تقدم ذكره وقيل فيه آمن فى سربه بفتح السين فكان الواحد آمن فى ماله والآخر آمن فى نفسه ويقال فى سربه أى فى طريقه أيضاً * وقوله * أمام طحون كالمجرة فيلق * يعنى كتيبة جعلها كالمجرة للمعان السيوف والاسنة فيها كالنجوم حول المجرة

﴿غزوة ذي قرد﴾

* قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك كل قد حدث عن غزوة ذي قرد بعض الحديث انه كان أول من ندر بهم سلمة بن عمرو بن الاكوع الاسلمي غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى اذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم فاشرف في ناحية سلع ثم صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم فجعل يردهم بالنبل و يقول اذا رمى خذها وانا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فاذا أمكنه الرمى رمى ثم قال خذها وانا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع قال فيقول قائلهم أو يكعنا هو أول النهار قال و بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الاكوع فصرخ بالمدينة الفزع الفزع فترامت الخيول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول من انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان المقداد بن عمرو وهو الذي يقال له المقداد بن الاسود حليف بني زهرة ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الانصار عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء أحد بني عبد الاشهل وسعد بن زيد أحد بني كعب بن عبد الاشهل وأسيد بن ظهير أخو بني حارثة بن الحرث يشك فيه وعكاشة بن محصن أخو بني أسد بن خزيمة ومحرز بن نضلة أخو بني أسد بن خزيمة وأبو قتادة الحرث بن ربعي أخو بني سلمة وأبو عياش وهو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بني زريق فلما اجتمعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد فيما بلغني ثم قال اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني عن رجال من بني زريق لابي عياش يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالقوم قال أبو عياش فقلت يا رسول الله أنا أفرس الناس ثم ضربت الفرس فوالله ماجرى بي خمسين ذراعا حتى طرحني فعجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أعطيته أفرس منك وأنا أقول أنا أفرس الناس فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص او عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة وكان ثامنا

المجرة لان النجوم وأكثر ماتكون حولها وقد قيل ان المجرة نفسها نجوم صغار متلاصقة فبياض المجرة من بياض تلك النجوم وقد روي في حديث منقطع ان المجرة التي في السماء هي من لعاب حية تحت العرش وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه الى اليمن قال له انك ستقدم على قوم يسئلونك عن المجرة فقل لهم هي من عرق الافعى التي تحت العرش لكن أسناد هذا الحديث ضعيف عند أهل النقل لا يعرج عليه ذكره العقيلي وعن علي انها شرج السماء الذي تنشق منه وأما قول المنجمين غير الاسلاميين في معنى المجرة فذكرهم القاضي في النقض الكبير نحوا من عشرة أقوال وأكثرها مما يجوزه العقل ومنها ما هو شبه الهذيان والله أعلم ويجوز ان يكون قوله كالمجرة أي أثر هذه الكتيبة الطحون كأثر المجرة تقشر مامرت عليه وتكنسه والفيلق فيعل من الفلق وهي الداهية كأنها تفلق القلوب وهي الفلقة أيضاً قال ابن أحمر

قد طرقت ببكرها أم طبق * فذروه خبرا ضخم العنق
فقيل وماذاك فقال * موت الامام فلقة من الفلق *

غزوة ذي قرد

ويقال فيه قرد بضمتين هكذا ألفيته مقيدا عن أبي علي والقرد في اللغة الصوف الرديء يقال في مثل عثرت على الغزل بآخرة فلم تدع بنجد قردة وذكر ابن اسحق في هذه الغزوة أسماء خيل جماعة ممن حضرها فذكر بعزجة فرس المقداد والبعزجة شدة جرى في مغالبة كأنه منحوت من بعج اذا شق وعز أي غلب وأما سبحة فمن سبح اذا علا علوا في اتساع ومنه سبحان الله وسبحات الله عظمته وعلوه لان الناظر المفكر في سبحاته يسبح في بحر لا ساحل له وقد ذكرنا في معنى هذه الكلمة حقائق ودقائق أسرار في شرح سبحان الله وبحمده وأما حزوة فمن حزوت الطير اذا زجرتها أو من حزوت الشيء اذا أظهرته قال الشاعر

ترى الامعز المحزو فيه كأنه * من الحر واستقباله الشمس مسطح

وجلوة من جلوت السيف وجلوت العروس كأنها تجلو الغم عن قلب صاحبها ومسنون من سننت الحديدة اذا صقلتها * وذكر سلمة بن الاكوع واسم الاكوع سنان وخبر سلمة في ذلك اليوم أطول مما ذكره ابن اسحق وأعجب فانه استلب وحده في ذلك اليوم من العدو وهو راجل قبل أن تلحق به الخيل ثلاثين بردة وثلاثين درقة وقتل منهم بالنبل كثيرا فكلما هربوا أدركهم وكلما راموه أفلت منهم وشهرة حديثه تغني عن سرده فانه في كتب الحديث المشهورة وقيل ان سلمة هذا هو الذي كلمه الذئب وقيل ان الذي كلمه الذئب هو اهبان بن صيفي وهو حديث مشهور * وقوله اليوم يوم الرضع يريد يوم اللئام أي يوم جبنهم وفي قولهم لئيم

و بعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الاكوع أحد الثمانية و يطرح أسيد بن ظهير أخا بنى حارثة والله أعلم أى ذلك كان ولم يكن سلمة يومئذ فارسا قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة أخو بنى أسد بن خزيمة وكان يقال لحرز الاخرم و يقال له قمير وان الفزع لما كان جال فرس لمحمود بن مسلمة فى الحائط حين سمع صاهلة الخيل وكان فرسا صنيعا جاما فقال نساء من نساء بنى عبد الاشهل حين رأين الفرس يجول فى الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه يا قمير هل لك فى أن تركب هذا الفرس فانه كما ترى ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم و بالمسلمين قال نعم فاعطيته اياه فخرج عليه فلم يلبث ان بذ الخيل بجمامه حتى أدرك القوم فقتلهم بين أيديهم ثم قال قفوا يا معشر بنى اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والانصار قال وحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على أرية من بنى عبد الاشهل فلم يقتل من المسلمين غيره «قال ابن هشام» وقتل يومئذ من المسلمين مع محرز وقاص بن محرز المدلجى فيما ذكر غير واحد من أهل العلم *قال ابن اسحق وكان اسم فرس محمود ذو اللمة «قال ابن هشام» وكان اسم فرس سعد بن زيد لاحق واسم فرس المقداد بعزجة و يقال سبحة واسم فرس عكاشة بن محصن ذو اللمة واسم فرس ابى قتادة حزوة وفرس عباد بن بشر لماع وفرس أسيد بن ظهير مسنون وفرس أبى عياش جلوة * قال ابن اسحق وحدثنى بعض من لا أتهم عن عبد الله ابن كعب بن مالك ان محرزا انما كان على فرس لعكاشة ابن محصن يقال له الجناح فقتل محرز واستلب الجناح ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحرث بن ربعى أخو بنى سلمة حبيب بن عيينة بن حصن وغشاه برده ثم لحق بالناس وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم * قال ابن اسحق فاذا حبيب مسجى ببرد أبى قتادة فاسترجع الناس وقالوا قتل أبو قتادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بابى قتادة ولكنه قتيل لابى قتادة وضع عليه برده لتعرفوا انه صاحبه وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا بعض اللقاح وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالخيل من ذى قرد وتلاحق به الناس فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به وأقام عليه يوما وليلة وقال له سلمة بن الاكوع يا رسول الله لو سرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت باعناق القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى انهم الآن ليغبقون فى غطفان فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مائة رجل جزورا وأقاموا عليها ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قدم المدينة وأقبلت امرأة الغفارى على ناقة من ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر فلما فرغت قالت يا رسول الله انى قد نذرت لله أن أنحرها ان نجانى الله عليها قال فتبسم رسول لله صلى الله عليه وسلم ثم قال بئس ما جزيتها أن أحملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها انه لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين انما هى ناقة من ابلى فارجعى الى أهلك على بركة الله والحديث على امرأة الغفارى وما قالت وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى الزبير

راضع أقوال ذكرها ابن الانبارى قيل الراضع هو الذى رضع اللؤم فى ثدى أمه أى غدى به وقيل هو الذى يرضع ما بين أسنانه يستكثر من الجشع بذلك وشاهد هذا القول قول امرأة من العرب تذم رجلا انه لاكلة ثكلة ياكل من جشعه خلله أى ما يتخلل بين أسنانه قال ابن قتيبة ولم أسمع فى الجشع والحرص أبلغ من هذا ومن قولهم هو يثير الكلاب من مرابضها أى يلتمس تحتها عظما يتعرقه وقيل فى اللئيم الراضع غير ما ذكرناه مما هو معروف عند الناس ومذكور فى كتبهم وقوله اليوم يوم الرضع بالرفع فيهما و بنصب الاول و رفع الثانى حكى سيبويه اليوم يومك على أن تجعل اليوم ظرفا فى موضع خبر للثانى لان ظروف الزمان يخبر بها عن زمان مثلها اذا كان الظرف يتسع ولا يضيق على الثانى مثل أن تقول الساعة يومك وقد قيل فى قوله تعالى « فذلك يومئذ يوم عسير » أن يومئذ ظرف ليوم عسير وذلك أن ظروف الزمان أحداث وليست بجثث فلا يمتنع فيها مثل هذا كما لا يمتنع فى سائر الاحداث *وقوله عليه السلام للغفارية واسمها ليلى و يقال هى امرأة أبى ذر حين أخبرته انها نذرت ان الله نجاها عليها أن تنحرها قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بئس ما جزيتيها ان حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها انه لا نذر فى معصية الله ولا فى ما لا تملكين فيه حجة للشافعى ومن قال بقوله ان ما أحرزه العدو من مال انه لهم بلا ثمن قبل القسم و بعده لانه لا يخرجه من ملكه حوز العدو له وقال مالك هو أولى به قبل القسم وصاحبه بعد القسم أولى به بالثمن وفيه قولان آخران لاهل العراق *وقوله عليه السلام انه لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين وقوله عليه السلام لا نذر لاحد فيما لا يملك ولا طلاق لاحد فيما لا يملك ولا عتق لاحد فيما لا يملك حديث مروى من طريق عبد الله بن عمرو ومن طريق أبى هريرة

المكى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى وكان مما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد قول حسان بن ثابت

لولا الذى لاقت ومس نسورها * بجنوب ساية أمس فى التقواد
للقيتكم يحملن كل مدجج * حامى الحقيقة ماجد الاجداد
ولسر أولاد اللقيطة أننا * سلم غداة فوارس المقداد
كنا ثمانية وكانوا جحفلا * لجبا فشكوا بالرماح بداد
كنا من القوم الذين يلونهم * ويقدمون عنان كل جواد
كلا ورب الراقصات الى منى * يقطعن
عرض مخارم الاطواد
حتى نبيل الخيل فى
عرصاتكم
ونؤب بالملكات
والاولاد
رهوا بكل مقلص
وطمرة
فى كل معترك عطفن
رواد
أفنى دوابرها ولاح
متونها
يوم تقاد به ويوم طراد
فكذاك ان جيادنا
ملبونة
والحرب مشعلة بريح
غواد
وسيوفنا بيض الحدائد
تجتلى
جنن الحديد وهامة
المرتاد
أخذ الاله عليهم لحرامه *
ولعزة الرحمن بالاسداد
كانوا بدار ناعمين فبدلوا *
أيام ذى قرد وجوه
عناد

« قال ابن هشام » فلما قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد وحلف أن لا يكلمه أبدا قال انطلق الى خيلى وفوارسى فجعلها للمقداد فاعتذر اليه حسان قال والله ماذاك أردت ولكن الروى وافق اسم المقداد وقال أبياتا يرضى بها سعدا

اذا أردتم الاشد الجلدا * أو ذا غناء فعليكم سعدا * سعد بن زيد لا يهد هدا

فلم يقبل منه سعد ولم يغن شيا وقال حسان بن ثابت فى يوم ذى قرد

أظن عيينة اذ زارها * بان سوف يهدم فيها قصورا
فاكذبت ما كنت صدقته * وقلتم سنغنم امرا كبيرا
فعفت المدينة اذ زرتها * وآنست للاسد فيها زئيرا

هريرة ولكنه لم يخرج فى الصحيحين لعلل فى أسانيده وقد قال بهذا الحديث ان لا طلاق قبل الملك جماعة من الصحابة وفقهاء التابعين وفقهاء الامصار وسواء عندهم عين امرأة أو لم يعين واليه مال البخارى رحمه الله ورواه ابن كنانة عن مالك وابن وهب واحتج ابن عباس فى هذه المسئلة بقوله تعالى «اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن» قال فاذا لا طلاق الا بعد نكاح وقال شريك القاضى النكاح عقد والطلاق حل فلا يكون الحل الا بعد العقد * وذكر شعر حسان * لولا الذى لاقت ومس نسورها * يعنى الخيل والنسر كالنواة فى باطن الحافر وفى الفرس عشرون عضوا كل عضو منها يسمى باسم طائر فمنها النسر والنعامة والهامة والسمامة والسعدانة وهى الحمامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر والخرب والناهض وهو فرخ العقاب والخطاف ذكرها وبقيتها الاصمعى وروى فيها شعر الابى حزرة جرير وهو

وأقب كالسرحان تم له * ما بين هامته الى النسر
رحبت نعامته ووفر فرخه * وتمكن الصردان فى النحر
وأناف بالعصفور فى سعف * هام اشم موثق الجدر
وازدان بالديكين صلصله * ونبت دجاجته عن الصدر
والناهضان أمر جلزهما * فكأنما عثما على كسر
مسحنفر الجنبين ملتئم * ما بين شيمته الى الغر
وصفت سماناه وحافره * وأديمه ومنابت الشفر
وسما الغراب لموقعيه معا * فابين بينهما على قدر
واكتن دون قبيحه خطافه * ونأت سمامته على الصقر
وتقدمت عنه القطاة له * فبانت بموقعها عن الحر
وسما على نقويه دون حداته * خربان بينهما مدى الشبر
يدع الرضيم اذا جرى فلقا * بتوآم كمواسم سمر
ركبن فى محض الشوى سبط * كفت الوثوب مشدد الاسر

وقوله فشكوا بالرماح بداد براد من التبدد وهو التفرق وهو فى موضع نصب غير انه مبنى ونصبه كانتصاب المصدر اذا قلت مشيت القهقرى وقعدت القرفصاء وكانه قال طعنوا الطعنة التى يقال لها بداد وبداد مثل فجار من قوله احتملت فجار جعلوه اسما علما للمصدر كما قالوا فحملت برة فجعل برة علما للبر وسر هذه العلمية فى هذا الموطن انهم أرادوا الفعل الاتم الذى يسمى باسم ذلك الفعل حقيقة فقد يقول الانسان بر فلان وفجر أى قارب أن يفعل ذلك أو فعل منه بعضه فاذا قال فعلت برة فانما يريد البر الذى يسمى برا على الحقيقة فجاء

فولوا سراعا كشد النعا * م ولم يكشفوا عن ملط حصيرا
أمير علينا رسول المليك أحبب بذاك الينا أميرا
رسول يصدق ماجاءه * ويتلو كتابا مضيئا منيرا

وقال كعب بن مالك فى يوم ذى قرد للفوارس

أيحسب أولاد اللقيطة أننا * على الخيل لسنا مثلهم فى الفوارس
وانا أناس لا نرى القتل سبة * ولا ننثنى عند الرماح المداعس
وانا لنقرى الضيف من قمع الذرا * ونضرب رأس الابلخ المتشاوس
نرد كماة المعلمين اذا انتحوا * بضرب يسلى نخوة المتقاعس
بكل فتى حامى الحقيقة ماجد * كريم كسرحان الغضاة مخالس
يذودون عن احسابهم وبلادهم * ببيض تقد الهام تحت القوانس
فسائل بنى بدر اذا مالقيتهم * بما فعل الاخوان يوم التمارس
اذا ماخرجتم فاصدقوا من لقيتمو * ولا تكتموا أخباركم فى المجالس
وقولوا زللنا عن مخالب خادر * به وحر فى الصدر مالم يمارس

«قال ابن هشام» أنشدنى بيته وانا لنقرى الضيف أبو زيد

* قال ابن اسحق وقال شداد بن عارض الجشمى فى يوم ذى قرد لعيينة بن حصن وكان عيينة بن حصن يكنى بابى مالك

فهلا كررت ابا مالك * وخيلك مدبرة تقتتل
ذكرت الاياب الى عسجر * وهيهات قد بعد المقتفل
وطمنت نفسك ذاميعة * مسح الفضاء اذا يرسل
اذا قبضه اليك الشما * ل جاش كما اضطرم المرجل
فلما عرفتم عباد الاله لم ينظر الآخر الاول
عرفتم فوارس قد عودوا * طراد الكماة اذا سهلوا
اذا طردوا الخيل تشقى بهم * فصاحا وان يطردوا ينزلوا
فيعتصموا فى سواء المقا * م بالبيض أخلصها الصيقل

غزوة بنى المصطلق

* قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ويقال نميلة بن عبد الله الليثى * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى المصطلق يجمعون له وقائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحرث زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج اليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فافاءهم عليه وقد أصيب رجل من المسلمين من بنى كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر يقال له هشام بن صبابة أصابه رجل من الانصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ

بالاسم العلم الذى هو عبارة عن مسماه حقيقة اذ لا يتصور هذا الضرب من المجاز فى الاعلام وكذلك اذا أراد الفجور على الحقيقة وأراد رفع المجاز سماه فجار تحقيقا للمعنى أى مثل هذه الفعلة ينبغى أن تسمى باسم الفجور حقيقة وكذلك قالوا فى النداء يا فساق ويا فسق فجاؤا بالصيغة المعروفة للعلمية مع النداء خاصة أى ان هذا الاسم ينبغى أن يكون اسمه الذى يدعى به اذ الاسم العلم الزم لمسماه من اسم مشتق من فعل فعله لان الفعل لا يثبت والاسم العلم يثبت فهذا هو معزاهم فى هذه الاسماء التى هى على صيغ الاعلام فى هذه المواطن فتأملها وقد بسطناه هذا الغرض بسطا شافيا فى أسرار ما ينصرف ومالا ينصرف فلتنظر هنالك فتم ترى سر بنائها على الكسر مع ما يتصل بمعانيها ان شاء الله والفيت فى حاشية الشيخ رحمه الله على قوله فشكوا بالرماح فشلوا باللام الروايه الصحيحة وحقيقة المعنى و وقع فى الاصلين فشكوا بالكاف كما فى هذا الاصل الى ههنا انتهى كلام الشيخ والشل باللام الطرد والشك بالكاف الطعن كما قال * شك الفريصة بالمدرى فانقدها * وقوله رهوا أى مشيا بسكون ويقال لمستنقع الماء أيضا رهو والرهو أسماء الكركى والرهو المرآة الواسعة * وقوله روادى أى تردى بفرسانها أى تسرع * وقول حسان فى خيل عيينة

فولوا سراعا كشد النعا * م لم يكشفوا عن ملط حصيرا

أى لم يغنموا بعيرا ولا كشفوا عنه حصيرا يعنى بالحصير ما يكتنف به حول الابل من عيدان الحظيرة والملط من قولهم لطت الناقة وألطت بذنبها اذا أدخلته بين رجليها

غزوة بنى المصطلق

وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة فجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلق وهو رفع الصوت * وذكر المريسيع وهو ماء لخزاعة وهو من قولهم رسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد * وذكر سنان بن وبرة

وقال

الجهنى يامعشر الانصار وصرخ جهجاه يامعشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبى بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال أوقد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ماأعدنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال الاول سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال مر به عباد بن بشر فليقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ياعمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه لا ولكن أذن بالرحيل فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أبى بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ان زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه فحلف بالله ماقلت ماقال ولا تكلمت به وكان فى قومه شريفا عظيما فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار من أصحابه يارسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ولم يحفظ ماقال الرجل حدبا على ابن أبى بن سلول ودفعا عنه

* قال ابن اسحق فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يانبى الله والله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما بلغك ماقال صاحبكم قال وأى صاحب يارسول الله قال عبد الله بن أبى قال وما قال قال زعم انه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل قال فانت يارسول الله والله تخرجه منها ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى أنك قد استلبته ملكا ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالامس من حديث عبد الله بن أبى ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقعاء فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوفوها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوها فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان عظيما من عظماء يهود وكهفا للمنافقين مات فى ذلك اليوم ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبى ومن كان على مثل أمره فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد بن أرقم ثم قال هذا الذى أوفى لله باذنه وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى

وقال غيره هو سنان بن تيم من جهينة بن سود بن أسلم حليف الانصار *وذكر انه نادى ياللانصار ونادى جهجاه الغفارى ياللمهاجرين ولم يذكر ماقال النبى صلى الله عليه وسلم حين سمعهما وفى الصحيح انه عليه السلام حين سمعهما منهما قال دعوها فانها منتنة يعنى انها كلمة خبيثة لانها من دعوى الجاهلية وجعل الله المؤمنين اخوة وحزبا واحدا فانما ينبغى أن تكون الدعوة ياللمسلمين فمن دعا فى الاسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال أحدها أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطا اقتداء بأبى موسى الاشعرى فى جلده النابغة الجعدى خمسين سوطا حين سمع ياللعامر فاقبل يشتد بعصبة له والقول الثانى ان فيها الجلد دون العشرة لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة الا فى حد والقول الثالث اجتهاد الامام فى ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة واغلاق باب الشر اما بالوعيد واما بالسجن واما بالجلد (فان قيل) ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها (قلنا) قد قال دعوها فانها منتنة فقد أكد النهى فمن عاد اليها بعد هذا النهى وبعد وصف النبى صلى الله عليه وسلم لها بالانتان وجب أن يؤدب حتى يشم نتنها كما فعل أبو موسى رحمه الله بالجعدى فلا معنى لنتنها الا سوء العاقبة فيها والعقوبة عليها وأما جهجاه فهو ابن مسعود بن سعد بن حرام وهو الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء وهو كان صاحب هذه القصة فيما روى ابن أبى شيبة والبزار وقد قيل ايضا ان الرجل الذى قال فيه عليه السلام هذه المقالة هو ثمامة بن أثال الحنفى ذكره ابن اسحاق وقيل بل هو أبو بصرة الغفارى قاله أبو عبيد ومات جهجاه هذا بعد قتل عثمان رحمه الله أخذته الاكلة فى ركبته فمات منها وكان قد كسر بركبته عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كان يخطب بها وذلك انه انتزعها من عثمان حين أخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه فكان هو أحد المعينين عليه حتى كسر العصا على ركبته فيما ذكروا فابتلى بما ابتلى به من الاكلة نعوذ بالله من عقوبته ونستجير به من الاهواء المضلة *وذكر مقالة عبد الله بن أبى وان ابنه عبد الله بن عبد الله استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه من أجل

الذى كان من أمر أبيه * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه فان كنت لابد فاعلا فمرنى به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى وانى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى انظر الى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا وجعل بعد ذلك اذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم كيف ترى يا عمر اما والله لو قتلته يوم قلت لى أقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته قال قال عمر قد والله علمت لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى * قال ابن اسحق وقدم مقيس بن صبابة من مكة مسلما فيما يظهر فقال يارسول الله جئتك مسلما وجئتك أطلب دية أخى قتل خطأ فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صبابة فاقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا فقال فى شعر يقوله

شفى النفس ان قد بات بالقاع مسندا * يضرج ثوبيه دماء الاخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله * تلم فتحمينى وطاء المضاجع
حللت به وترى وأدركت ثؤرتى
وكنت الى الاوثان أول راجع
ثأرت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار أرباب فارع

وقال مقيس بن صبابة أيضا

جللته ضربة بانت لها وشل
من ناقع الجوف يعلوه وينصرم
فقلت والموت تغشاه أسرته
لاتامنن بنى بكر اذا ظلموا
الوضاء

« قال ابن هشام » وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق يامنصور أمت أمت * قال ابن اسحق وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس وقتل على بن أبى طالب رضوان الله عليه منهم رجلين مالكا وابنه وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلا من فرسانهم يقال له أحمر أو احيمر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبيا كثيرا فشا قسمه فى المسلمين وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحرث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد الا أخذت بنفسه فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها قالت عائشة فوالله ماهو الا ان رأيتها على باب حجرتى فكرهتها وعرفت انه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيت فدخلت عليه فقالت يارسول الله أنا جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار سيد قومه وقد أصابنى من البلاء مالم يخف عليك فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى قال فهل لك فى خير من ذلك قالت وماهو يارسول الله قال أقضى عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم يارسول الله قال قد فعلت قالت وخرج الخبر الى الناس أن رسول

تلك المقالة وفى هذا العلم العظيم والبرهان النير من أعلام النبوة فان العرب كانت أشد خلق الله حمية وتعصبا فبلغ الايمان منهم ونور اليقين من قلوبهم الى أن يرغب الرجل منهم فى قتل أبيه وولده تقربا الى الله وتزلفا الى رسوله مع ان الرسول عليه السلام أبعد الناس نسبا منهم وما تأخر اسلام قومه وبنى عمه وسبق الى الايمان به الاباعد الا لحكمة عظيمة اذ لو بادر أهله وأقربوه الى الايمان به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم أو من غيرهم علم ان ذلك عن بصيرة صادقة ويقين قد تغلغل فى قلوبهم ورهبة من الله أزالت صفة قد كانت سدكت فى نفوسهم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع ازالتها الا الذى فطر الفطرة الاولى وهو القادر على ما يشاء وأما عبد الله بن عبد الله فكان من كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان اسمه حباب وبه كان يكنى أبوه فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله مات شهيدا باليمامة رضى الله عنه وروى الدارقطنى مسندا ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على جماعة فيهم عبد الله بن أبى فسلم عليهم ثم ولى فقال عبد الله لقد عتا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله فاستاذن النبى صلى الله عليه وسلم فى أن يأتيه برأس أبيه فقال لا ولكن بر اباك وذكر ابن اسحاق فى هذا الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم حين بلغته مقالة عبد الله بن أبى متن الناس يومهم ذلك ويروى مشى فامامتن فقال صاحب العين يقال سار واسيرا ممتنا أى بعيدا

﴿ فصل ﴾ وذكر جويرية بنت الحارث ووقوعها فى السهم لثابت بن قيس أو لابن عم له ثم جاءت تستعين فى كتابتها قالت عائشة وكانت امرأة حلوة ملاحة الملاح أبلغ من المليح فى كلام العرب وكذلك

الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية ابنة الحرث فقال الناس اصهار رسول صلى الله عليه وسلم وأرسلوا ما بأيديهم قالت فلقد أعتق بتزويجه اياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن رومان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم بعد اسلامهم الوليد بن عقبة بن أبى معيط فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم هابهم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ان القوم قد هموا بقتله ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فاكثر المسلمون فى ذكر غزوهم حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يغزوهم فبيناهم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته الينا فخرجنا اليه لنكرمه ونؤدى اليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعا فبلغنا انه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا اليه لنقتله والله ماجئنا لذلك فانزل الله تعالى فيه وفيهم يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم الى آخر الآية وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك كما حدثنى من لا أتهم عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها حتى اذا كان قريبا من المدينة وكانت معه عائشة فى سفره ذلك قال فيها أهل الافك ما قالوا

الوضاء أبلغ من الوضىء والكبار كذلك ابلغ من الكبير غير أنه لا يوصف البارى سبحانه بهذا اللفظ فيقال فيه كبار بمعنى كبير لانه على بنية الجمع نحو ضراب وشهاد فكان لفظ الكبير ونحوه أبعد من الاشتراك وأدل على الوحدانية والله أعلم وأما معنى الملاحة فذهب قوم الى انها من الملحة وهى البياض تقول العرب عنب ملاحى والصحيح فى معنى المليح انه مستعار من قولهم طعام مليح اذا كان فيه من الملح بقدر ما يصلحه ولذلك اذا بالغوا فى المدح قالوا مليح قزيح فمليح من ملحت القدر وقزيح من قزحتها اذا طيبت نكهتها بالافاويه وهى الاقزاح ويدلك على بعد هذا المعنى من البياض قولهم فى الاسود مليح وفى العينين اذا اشتد سوادهما وحسنهما كما جاء فى تفسير قوله سبحانه « وألقيت عليك محبة منى » انها ملاحة فى العينين وقال الاصمعى الحسن فى العينين والجمال فى الانف والملاحة فى الفم وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعلها انك لجميل يا أبا صفوان فقال وكيف وليس عندى رداء الجمال ولا برنسه ولا عموده ثم قال عموده الطول وأنا ربعة وبرنسه سواد الشعر وأنا أشمط ورداؤه البياض وأنا آدم ولكن قولى انك مليح ظريف فعلمها ان الملاحة قد تكون من صفة لآدم فهى اذاً ليست من معنى البياض فى شىء وانما هى ضد المساسة * وقول عائشة فى جويرية فوالله ماهو الا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها فيه ما كان عليه أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من الغيرة عليه والعلم بموقع الجمال منه كما قد روى انه عليه السلام انه خطب امرأة فارسل عائشة لتنظر اليها فلما رجعت اليه قالت ما رأيت طائلا فقال بلى لقد رأيت خالا فى خدها اقشعرت منه كل شعرة فى جسدك وأما نظره عليه السلام لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف فانما ذلك لانها كانت امرأة مملوكة ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها لانه لا يكره النظر الى الاماء وجائز أن يكون نظر اليها لانه نوى نكاحها كما نظر الى المرأة التى قالت له انى قد وهبت نفسى لك يا رسول الله فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها من غيره وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة فى النظر الى المرأة عند ارادة نكاحها وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة لو نظرت اليها فان ذلك أحرى أن يدوم بينكما وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح ثبيتة بنت الضحاك وقد أجازه مالك فى احدى الروايتين عنه ذكرها ابن أبى زيد وفى مسند البزار من طريق أبى بكرة لا حرج أن ينظر الرجل الى المرأة اذا أراد تزوجها وهى لا تشعر وفى تراجم البخارى النظر الى المرأة قبل التزويج وأورد فى الباب قوله عليه السلام لعائشة أريتك فى المنام يجىء بك الملك فى سرقة من حرير فكشفت عن وجهك فقال هذه امرأتك فقلت ان يكن من عند الله يمضه وهذا استدلال حسن وفى قوله ان يكن من عند الله سؤال لان رؤياه وحى فكيف يشك فى انها من عند الله والجواب انه لم يشك فى صحة الرؤيا ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه فمن ها هنا تطرق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها أولها تأويل كذلك وسمعت شيخنا يقول فى معنى هذا الحديث ولغيره فيه قول لا أرضاه فلا يخلو نظره عليه السلام اليها من أحد الامرين أو يكون ذلك قبل أن يضرب الحجاب والا فقد قال الله تعالى له « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » وهو امام المتقين وقدوة الورعين صلى الله عليه وسلم وأما جويرية فهى بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة وجذيمة هو المصطلق من خزاعة كان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية وقد روى مثل هذا فى حديث ميمونة بنت الحارث وكذلك زينب بنت جحش كان اسمها برة أيضا وزينب بنت أبى سلمة ربيبته عليه السلام كان اسمها برة فسماهن جمع بغير ذلك الاسم توفيت جويرية فى شهر ربيع الاول سنة ست أو خمس وخمسين من الهجرة وكانت قبل أن تسمى عند مسافع بن صفوان الخزاعى .

﴿ خبر الافك فى غزوة بنى المصطلق ﴾

* قال ابن اسحق حدثنا الزهرى عن علقمة بن وقاص وعن سعيد بن جبير وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال كل قد حدثنى بعض هذا الحديث و بعض القوم كان أوعى له من بعض وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم * قال محمد بن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبى بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الافك ما قالوا وكل قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم مالم يحدث صاحبه وكل كان عنها ثقة فكلهم حدث عنها بما سمع قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمى عليهن معه فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان النساء اذ ذاك انما يأكلن العلق لم يهجهن اللحم فيثقلن وكنت اذا رحل لى بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين يرحلون لى ويحملونى فيأخذون باسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به قالت فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلا حتى اذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى فلما رجعت الى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل فرجعت الى مكانى الذى ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحلون لى البعير وقد فرغوا من رحلته فاخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أنى فيه ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به فرجعت الى العسكر ومافيه من داع ولا مجيب قد انطلق الناس قالت فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى وعرفت ان لو قد افتقدت لرجع الى قالت فوالله انى لمضطجعة اذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس فرأى سوادى فاقبل حتى وقف على وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب فلما رآنى قال انا لله وانا اليه راجعون ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متلففة فى ثيابى قال ما خلفك يرحمك الله قالت فما كلمته ثم قرب البعير فقال اركبى واستأخر عنى قالت فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى فقال أهل الافك ما قالوا فارتج العسكر ووالله ما أعلم بشىء من ذلك ثم قدمنا المدينة فلم ألبث ان اشتكيت شكوى شديدة ولا يبلغنى من ذلك شىء وقد انتهى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أبوى لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا الا انى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بى كنت اذا اشتكيت رحمنى ولطف بى فلم يفعل ذلك بى فى شكواى تلك فانكرت ذلك منه كان اذا دخل على وعندى أمى تمرضنى «قال ابن هشام» وهى أم رومان واسمها زينب بنت عبد دهمان أحد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة قال كيف تيكم لا يزيد على ذلك * قال ابن اسحق قالت حتى وجدت فى نفسى فقلت يا رسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لى لو أذنت لى فانتقلت الى أمى فمرضتنى قال لا عليك قالت فانتقلت الى أمى ولا علم لى بشىء مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الاعاجم نعافها ونكرهها انما كنا نذهب فى فسح المدينة وانما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب

﴿ حديث الافك ﴾

فيه من الغريب قول عائشة والنساء يومئذ لم يهجهن اللحم فيثقلن التهييج انتفاخ فى الجسم قد يكون من سمن وقد يكون من آفة قال الاصمعى أو غيره هجمت على حى من العرب بواد خصيب واذا ألوانهم مصفرة ووجوههم مهيجة فقلت لهم ما بالكم واديكم أخصب واد وأنتم لا تشبهون المخاصب فقال لى شيخ منهم ان بلدنا ليست له ريح يريد ان الجبال أحاطت به فلا تذهب الرياح وباءه ولا رمده * وفيه ذكر صفوان بن المعطل ابن ربيضة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمى ثم الذكوانى يكنى أبا عمرو وكان يكون على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الافك ما قالوا وقد روى فى تخلفه سبب آخر وهو انه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبى داود ان امرأة صفوان اشتكت به الى النبى صلى الله عليه وسلم وذكرت أشياء منها انه لا يصلى الصبح فقال صفوان يا رسول الله انى امرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس فقال له النبى عليه السلام فاذا استيقظت فصل وقد ضعف البزار حديث أبى داود هذا فى مسنده وقتل صفوان بن المعطل شهيدا فى خلافة معاوية واندقت رجله يوم قتل فطاعن بها

ابن سعد بن تيم خالة ابى بكر الصديق رضى الله عنه قالت فوالله انها لتمشى معى اذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح ومسطح لقب واسمه عوف قالت قلت بئس لعمر الله ماقلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا قالت أوما بلغك الخبر يابنت أبى بكر قالت قلت وما الخبر فاخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك قالت قلت أوكان هذا قالت نعم والله لقد كان قالت فوالله ماقدرت على ان أقضى حاجتى ورجعت فوالله مازلت أبكى حتى ظننت ان البكاء سيصدع كبدى قالت وقلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيأ قالت أى بنية خفضى عليك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر الا كثرن وكثر الناس عليها قالت وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى و يقولون عليهم غير الحق والله ماعلمت منهم الا خيرا و يقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه الا خيرا ومايدخل بيتا من بيوتى الا وهو معى قالت وكان كبر ذلك عبد الله بن أبى بن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك ان أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن من نسائه امرأة تناصينى فى المنزلة عنده غيرها فاما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل الا خيرا وأما حمنة بنت جحش فاشاعت من ذلك ما أشاعت تضادنى لاختها فشقيت بذلك فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير يارسول الله ان يكونوا من الاوس نكفكهم وان يكونوا من اخواننا من الخزرج فمر بامرك فوالله انهم لاهل أن تضرب أعناقهم قالت فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحا فقال كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم أما والله ماقلت هذه المقالة الا انك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ماقلت هذا فقال أسيد كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين قالت وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الاوس والخزرج شر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على فدعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه واسامة بن زيد فاستشارهما فاما اسامة فاثنى على خيرا وقاله ثم قال يارسول الله أهلك ولا نعلم الا خيرا وهذا الكذب والباطل وأما على فانه قال يارسول الله ان النساء لكثير وانك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية فانها ستصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها قالت فقام اليها على بن أبى طالب فضربها ضربا شديدا و يقول اصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فتقول والله ما أعلم الا خيرا وما كنت أعيب على عائشة شيأ الا انى كنت أعجن عجينى فآمرها ان تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله قالت ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى أبواى وعندى امرأة من الانصار وأنا أبكى وهى تبكى معى فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياعائشة انه قد كان ماقد بلغك من قول الناس فاتقى الله وان كنت قارفت سوأ مما يقول الناس فتوبى الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده قالت فوالله ماهو الا ان قال لى ذلك فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيا وانتظرت أبوى أن يجيبا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلما قالت وايم الله لانا كنت أحقر فى نفسى وأصغر شانا من أن ينزل الله فى قرآنا يقرأ به فى المساجد و يصلى به ولكنى قد كنت أرجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه شيا يكذب به الله عنى لما يعلم من براءتى أو يخبر خبرا فاما قرآن ينزل فى فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك قالت فلما لم أر ابوى يتكلمان قالت قلت لهما ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقالا والله ماندرى بماذا نجيبه قالت ووالله ما أعلم اهل بيت دخل عليهم مادخل على آل ابى بكر فى تلك الايام قالت فلما ان استعجما

بها وهى منكسرة حتى مات وذلك بالجزيرة بموضع له شمطاط * وفيه من غير رواية ابن اسحاق انهم دعوا الجارية فسألوها حتى أسقطوا لها به يريد أفصحوا بالامر ونقروا عنه يقال ساقطته الحديث وساقطة وأسقطوا به فى هذا المعنى قال أبو حية

اذا هن ساقطن الحديث كانه * سقاط حصى المرجان من سلك ناظم

كذا فسره أبو الحسن بن بطال وفيما ذكر ابن اسحاق من رواية الشيبانى عنه انهم أداروا الجارية على الحديث ولم يصرحوا لها حتى فطنت بما أرادوا فقالت ما أعلم عليها عيبا الحديث وأما ضرب على للجارية وهى حرة ولم تستوجب ضربا ولا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ضربها فارى معناه انه أغلظ لها بالقول وتوعدها بالضرب واتهمها أن تكون خانت الله ورسوله فكتمت من الحديث مالا يسعها كتمه مع ادلاله وانه كان من أهل البيت وفى غير حديث ابن اسحق قالت الجارية والله ما أعلم عليها الا ما يعلم الصائغ على الذهب الاحمر وأما بريرة فهى مولاة عائشة رضى الله عنها التى اشترتها من بنى كاهل فاعتقتها وخيرت فى زوجها وكان عبدا لبنى جحش هذه رواية أهل المدينة وفى رواية أهل العراق انه كان حرا وهى رواية الاسود بن يزيد عن عائشة والاولى رواية عروة والقاسم بن محمد عن عائشة وكذلك يقولون بتخيير الامة اذا

على استعبرت فبكيت ثم قلت والله لا أتوب الى الله مما ذكرت ابدا والله انى لاعلم لئن اقررت بما يقول الناس والله يعلم انى منه بريئة لاقولن مالم يكن ولئن انا انكرت ما يقولون لا تصدقوننى قالت ثم التمست اسم يعقوب فما اذكره فقلت ولكن سأقول كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت راسه فاما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت ولا باليت قد عرفت انى منه بريئة وان الله عز وجل غير ظالمى وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن ياتى من الله تحقيق ما قال الناس قالت ثم سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وانه ليتحدر منه مثل الجمان فى يوم شات فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول أبشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك قالت قلت بحمد الله ثم خرج الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ثم أمر بمسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار ان أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم ايوب يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت يا أم أيوب فاعلة قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعائشة والله خير منك قالت فلما نزل القرآن ذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الافك فقال تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرى منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا «قال ابن هشام» ويقال وذلك عبدالله بن أبى وأصحابه «قال ابن هشام» والذى تولى كبره عبدالله بن أبى وقد ذكر ذلك ابن اسحق فى هذا الحديث قبل هذا ثم قال تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته ثم قال اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فلما نزل هذا فى عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة وأدخل علينا قالت فانزل الله فى ذلك ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم «قال ابن هشام» يقال كبره وكبره فى الرواية وأما فى القرآن فكبره بالكسر «قال ابن هشام» ولا يأتل ولا يال أولوا الفضل منكم قال امرؤ القيس بن حجر الكندى

الا رب خصم فيك ألوى رددته * نصيح على تعذاله غير مؤتل

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال ولا يأتل أولوا الفضل ولا يحلف أولوا الفضل وهو قول الحسن بن أبى الحسن البصرى فيما بلغنا عنه وفى كتاب الله تعالى للذين يؤلون من نسائهم وهو من الالية والالية اليمين قال حسان بن ثابت

آليت ما فى جمع الناس مجتهدا * منى ألية بر غير افناد

وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها ان شاء الله تعالى فى موضعها الجهنى

عتقت وان كان بعلها حرا وقول أهل الحجاز على حسب روايتهم فلا يرون تخييرها الا اذا كان زوجها عبدا وعاشت بريرة حتى روى عنها الحديث بعض التابعين قال عبد الملك بن مروان كنت أجالس بريرة قبل أن ألى هذا الامر فتقول لى يا أبا عبد الملك ان فيك خصالا خليقة بهذا الامر فان وليت هذا الامر فاتق الله فى الدماء فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليحال بينه وبين الجنة بعد أن ينظر اليها بمحجمة دم أراقها من مسلم فى غير حق والبريرة واحدة البرير وهو ثمر الاراك * واما ام رومان وهى ام عائشة فقد مر ذكرها فى هذا الحديث وهى زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن دهمان وهى من كنانة واختلف فى عمود نسبها ولدت لابى بكر عائشة وعبد الرحمن وكانت قبل ابى بكر عند عبد الله بن الحارث بن سخبرة فولدت له الطفيل وتوفيت ام رومان سنة ست من الهجرة ونزل النبى صلى الله عليه وسلم فى قبرها وقال اللهم انه لم يخف عليك ما لقيت ام رومان فيك وفى رسولك وقال من سره ان ينظر الى امرأة من الحور العين فلينظر الى ام رومان وروى البخارى حديثا عن مسروق وقال فيه سألت أم رومان وهى أم عائشة عما قيل فيها ومسروق ولد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا خلاف فلم ير أم رومان قط فقيل انه وهم فى الحديث وقيل بل الحديث صحيح وهو مقدم على ما ذكره اهل السيرة من موتها فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وقد تكلم شيخنا أبو بكر رحمه الله على هذا الحديث واعتنى به لاشكاله فاورده من طرق ففى بعضها حدثتنى أم رومان وفى بعضها عن مسروق عن أم رومان معنعنا قال رحمه الله والعنعنة أصح فيه واذا كان الحديث معنعنا كان محتملا ولم يلزم فيه ما يلزم فى حدثنا وفى سألت لان للراوى أن يقول عن فلان وان لم يدركه وهو كثير فى الحديث * وقول عائشة لم تكن امرأة تناصبنى فى المنزلة عنده غيرها

ان يؤتوا فى هذه المذاهب أن لا يؤتوا وفى كتاب الله عزوجل يبين لكم أن تضلوا يريد أن لا تضلوا و يمسك السماء أن تقع على الارض يريد
أن لا تقع على الارض وقال ابن مفرغ الحميرى   لاذعرت السوام فى وضع الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى مخافة الموت ضيما * والمنايا يرصدننى ان أحيدا   يريد أن لا أحيد وهذان البيتان فى أبيات له * قال ابن اسحق
قالت فقال أبو بكر بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا * قال ابن اسحق
ثم ان صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما كان يقول فيه وقد كان حسان قال شعرا مع ذلك يعرض بابن
المعطل فيه و بمن أسلم من العرب من مضر فقال   أمسى الجلابيب قد عزوا   وقد كثروا * وابن الفريعة أمسى
بيضة البلد
قد ثكلت امه من كنت صاحبه
أو كان منتشبا فى برثن الاسد
ما لقتيلى الذى أعدو فآخذه
من دية فيه يعطاها ولا قود
ما البحر حين تهب الريح شامية
فيغطئل و يرمى العبر بالزبد
يوما بأغلب منى حين تبصرنى
مل غيظ أفرى كفرى العارض البرد
أما قريش فانى لن أسالمهم
حتى ينيبوا من الغيات للرشد
و يتركوا اللات والعزى بمعزلة
و يسجدوا كلهم للواحد الصمد
و يشهدوا أن ما قال الرسول لهم
حق و يوفوا بعهد الله والوكد
فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف ثم قال كما
حدثنى يعقوب بن عتبة   تلق ذباب السيف عنى فاننى * غلام اذا هوجيت لست بشاعر   * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن ابراهيم
بن الحرث التيمى ان ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل حين ضرب حسان فجمع يديه الى عنقه بحبل ثم انطلق به الى دار بنى
الحرث بن الخزرج فلقيه عبد الله بن رواحة فقال ما هذا قال ما أعجبك ضرب حسان بالسيف والله ما أراه الا قد قتله قال له عبد الله بن رواحة
هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ مما صنعت قال لا والله قال لقد اجترأت اطلق الرجل فاطلقه ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكروا ذلك له فدعا حسان وصفوان بن المعطل فقال ابن المعطل يارسول الله آذانى وهجانى فاحتملنى الغضب فضربته فقال

غيرها هكذا فى الاصل تناصبنى والمعروف فى الحديث تناصينى من المناصاة وهى المساواة وأصله من
الناصية * وذكر قول حسان

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا * وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

يعنى بالجلابيب الغرباء و بيضة البلد يعنى منفردا وهى كلمة يتكلم بها فى المدح تارة و فى معنى القل أخرى
يقال فلان بيضة البلد اى انه واحد فى قومه عظيم فيهم وفلان بيضة البلد يريد انه ذليل ليس معه أحد * وأما
قوله * قد ثكلت أمه من كنت صاحبه * فقد يجوز ان يكون قوله من مبتدا وقد ثكلت أمه فى موضع الخبر المقدم
عليه و يجوز أن يكون من مفعولا بثكلت وأضمر قبل الذكر مع اتصال الضمير بالفاعل فيكون مثل قوله
* جزى ربه عنى عدى بن حاتم * ومثل قوله * أبقى اليوم مجده مطعما * وقد تقدم القول فيه
* وقوله فيغطئل يريد البحر اى يهيج و يعتلم واصل هذه الكلمة من الغيطلة وهى الظلمة وأصلها يغطال مثل
يسواد لكنه همز الالف لئلا يجتمع ساكنان وان كان اجتماعهما فى مثل هذا الموضع حسنا كقوله تبارك
وتعالى « ولا الضالين » ولكنهما فى الشعر لا يجتمعان الا فى عروض واحدة وهى المتقارب ومع هذا فقد قرأ
ايوب بن ابى تميمة السختيانى ولا الضألين بهمزة مفتوحة وقرأ عمرو بن عبيد « انس قبلهم ولا جأن »
وانشد الخطابى

سقى مطفيات المحل سكبا وديمة * عظام ابن ليلى حيث كان رميمها
فاصبح منها كل وادو تلعة * حدائق خضرا مزهئرا عميمها

وانشد ايضا * خاطمها زأمها ان تهربا * (فان قيل) الهمزة فى هذا كله مفتوحة و فى قوله يغطئل مكسورة
وكذلك فى الحديث الصحيح اسود مربئد فى رواية (قلنا) انما كسرت الهمزة فى مزهئر ومربئد و يغطئل
بعد ان فتحت فى الماضى فقيل أغطال وازهار فصار على وزن اطمان فجاء اسم الفاعل والمستقبل على ذلك
القياس مكسورا كما يكسر فى مطمئن * وقول ثابت لعبد الله بن رواحة أما اعجبك ضرب حسان بالسيف
معناه أما جعلك تعجب تقول عجبت من الشيء وأعجبنى الشيء اذا كان ذلك العجب من مكروه أو محبوب
وهو عند الناس بمعنى سرنى لا غير و فى الحديث وكلام العرب شواهد كثيرة على هذا المعنى منها فى الكامل
فلا عجبنى ان أعجبه بكاء ابيه و فى حديث ذكره عن عبد الرحمن بن حسان وكذلك أنشد

الا هزئت بنا قرشية يهتز منكبها * تقول لى ابن قيس ذا و بعض الشيب يعجبها

رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان أحسن ياحسان أتشوهت على قومه ان هداهم الله للاسلام ثم قال احسن ياحسان فى الذى قد اصابك قال هى لك يارسول الله « قال ابن هشام » ويقال أبعد أن هداكم الله للاسلام * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن ابراهيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضا منها بيرحاء وهى قصر بنى حديلة اليوم بالمدينة وكانت مالا لابى طلحة بن سهل تصدق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان فى ضربته وأعطاه سيرين أمة قبطية فولدت له عبد الرحمن بن حسان قالت وكانت عائشة تقول لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلا حصورا ما يأتى النساء ثم قتل بعد ذلك شهيدا ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلة حى من لؤى بن غالب * كرام المساعى مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم فلا رفعت سوطى الى أناملى
وكيف وودى ماحييت ونصرتى لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتطاول
فان الذى قد قيل ليس بلائط ولكنه قول امرئ بى ماحل

« قال ابن هشام » بيته عقيلة حى والذى بعده وبيته له رتب عال عن أبى زيد الانصارى « قال ابن هشام » وحدثنى وضرب أبو عبيدة ان امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة فقالت حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل فقالت عائشة لكن أبوها * قال ابن اسحق وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه فى فريتهم على عائشة « قال ابن هشام » فى ضرب حسان وصاحبه

لقد ذاق حسان الذى كان أهله * وحمنة اذ قالوا هجيرا ومسطح

وقال كعب بن زهير

لو كنت أعجب من شىء لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر

وقوله عليه السلام اتشوهت على قومى ان هداهم الله معناه أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم الى الله والى رسوله * وقوله فاعطاه عوضا منها بيرحاء وذكر بعضهم ان هذه البئر سميت بيرحاء بزجر الابل عنها وذلك ان الابل يقال لها اذا زجرت عن الماء وقد رويت حاحا [وهكذا كان الاصيلى يقيده برفع الراء اذا كان الاسم مرفوعا وبالمد وغير الاصيلى يقول بيرحاء بالفتح على كل حال وبالقصر يجعله اسما واحدا وقد حكى عن بعضهم فيه بيرحاء بفتح الباء مع القصر] * وفى الصحيح ان اباطلحة دفع بيرحاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها صدقة فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يجعلها فى الاقربين فقسمها بين أبى وحسان وفسر البخارى وابو داود القرابة التى بين أبى طلحة وبينهما قالا فاما حسان فهو ابن المنذر بن ثابت بن حرام وأبو طلحة هو زيد بن سهل بن حرام فهذه قرابة قريبة وأما أبى فيجتمع معه فى الاب السادس وهو عمرو بن مالك بن النجار وقد كان أبى غنيا فكيف ترك من هو أقرب منه وخصه والوجه فى ذلك ان أبيا كان ابن عمة أبى طلحة وهى صهيلة بنت الاسود بن حرام وهو معروف عند أهل النسب فمن أجل ذلك النسب خصه بها لا من أجل النسب الذى ذكرناه فانه بعيد وانما قال له النبى صلى الله عليه وسلم اجعلها فى الاقربين وفى المسند من حديث عائشة انه لما أنزل الله براءتها قام اليها أبو بكر فقبل رأسها فقالت له هلا كنت عذرتنى فقال أى سماء تظلنى وأى ارض تقلنى ان قلت بما لا اعلم وكان نزول براءة عائشة رضى الله عنها بعد قدومهم المدينة بسبع وثلاثين ليلة فى قول بعض المفسرين *وقول حسان فى عائشة

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

حصان فعال بفتح الحاء يكثر فى أوصاف المؤنث وفى الاعلام منها كانهم قصدوا بتوالى الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى أى المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس وحصان من الحصن والتحصن وهو الامتناع على الرجال من نظرهم اليها وقالت جارية من العرب لامها

يا أمتا أبصرنى راكب * يسير فى مسحنفر لاحب
جعلت أحثى التراب فى وجهه * حصنا وأحمى حوزة الغائب

فقالت لها أمها

الحصن أدنى لو تأييته * من حثيك الترب على الراكب

ذكر هذه الابيات أحمد بن أبى سعيد السيرافى فى شرح أبيات الايضاح والرزان والثقال بمعنى واحد وهى القليلة الحركة * وقوله وتصبح غرثى من لحوم الغوافل أى خميصة البطن من لحوم الناس أى اغتيابهم

وضرب الغرث مثلا وهو عدم الطعم وخلو الجوف وفى التنزيل «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا» ضرب المثل لاخذه فى العرض باكل اللحم لان اللحم ستر على العظم والشاتم لاخيه كانه يقشر ويكشف ما عليه من ستر * وقال ميتا لان الميت لا يحس وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب ثم هو فى التحريم كاكل لحم الميت * وقوله من لحوم الغوافل يريد العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر كما قال سبحانه «ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات» جعلهن غافلات لان الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن فهن فى غفلة عنه وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف * وقوله * له رتب عال على الناس كلهم * الرتب ما ارتفع من الارض وعلا والرتب أيضا قوة فى الشىء وغلظ فيه والسورة رتبة رفيعة من الشرف مأخوذة اللفظ من سور البناء * وقوله * فان الذى قد قيل ليس بلائط * أى بلاصق يقال ما يليط ذلك بفلان أى ما يلصق به ومنه سمى الربا لياطا لانه ألصق بالبيع وليس ببيع وفى الكتاب الذى كتب لثقيف وما كان من دين ليس فيه رهن فانه لياط مبرأ من الله وسيأتى حديثه مفسرا ان شاء الله * وقوله فى الشعر * فلا رفعت سوطى الى أناملى * دعاء على نفسه وفيه تصديق لمن قال ان حسان لم يجلد فى الافك ولا خاض فيه وأنشدوا البيت الذى ذكره ابن اسحاق * لقد ذاق حسان الذى كان أهله * على خلاف هذا اللفظ

لقد ذاق عبد الله ما كان أهله * وحمنة اذ قالوا هجيراً ومسطح

وذكر ما أنزل الله تعالى فى أصحاب الافك وقوله تعالى «اذ تلقونه بألسنتكم» وكانت عائشة رضى الله عنها تقرؤها اذ تلقونه بالسنتكم من الولق وهو استمرار اللسان بالكذب وأما اقامة الحد عليهم ففيه التسوية بين أفضل الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم وأدنى الناس درجة فى الايمان لا يزاد القاذف على الثمانين وان شتم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينقص منها فان قذف قاذف اليوم احدى أمهات المؤمنين سوى عائشة فيتوجه فيه للفقهاء قولان أحدهما ان يجلد ثمانين كما يقتضيه عموم التنزيل وكما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بالذين قذفوا أهله قبل نزول القرآن ببراءتها وأما بعد نزول القرآن ببراءتها فيقتل قاذفها قتل كفر ولا يصلى عليه ولا يورث لانه كذب الله تعالى والقول الثانى فى قاذف أمهات المؤمنين غير عائشة رضى الله عنهن ان يقتل أيضا وبه كان يأخذ شيخنا رحمه الله ويحتج بقوله تعالى «ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة» الآية واذا قذف أزواج النبى عليه السلام فقد سبه فمن أعظم الاذاية أن يقال عن الرجل قرنان واذا سب نبى بمثل هذا فهو كفر صراح وقد قال المفسرون فى قوله تعالى فخانتاهما أى خانتا فى الطاعة لهما والايمان وما بغت امرأة نبى قط أى ما زنت * وذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى حسان جاريته بضرب صفوان بن المعطل له وهذه الجارية اسمها سيرين بنت شمعون أخت مارية سرية النبى صلى الله عليه وسلم وهى أم عبد الرحمن بن حسان الشاعر وكان عبد الرحمن يفخر بانه ابن خالة ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم وقد روت سيرين هذه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا قالت رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا فى قبر ابراهيم ابنه فاصلحه وقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يصلحه

﴿غزوة الحديبية﴾

يقال فيها الحديبية بالتخفيف وهو الاعرف عند أهل العربية قال الخطابى أهل الحديث يقولون الحديبية بالتشديد والجعرانة كذلك وأهل العربية يقولونهما بالتخفيف وقال البكرى أهل العراق يشددون الراء

تعاطوا رجم الغيب زوج نبيهم
وسخطة ذى العرش الكريم فاترحوا
وآذوا رسول الله فيها فجللوا
مخازى تبقى عمموها وفضحوا
وصبت عليهم محصدات كانها
شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح

﴿أمر الحديبية فى آخر سنة ست وذكر بيعة الرضوان والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو﴾

* قال ابن اسحق ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالا وخرج فى ذى القعدة معتمرا لا يريد حربا « قال ابن هشام » واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى * قال ابن اسحق واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذى صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فابطأ عليه كثير من الاعراب وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى واحرم بالعمرة ليامن الناس من حربه وليعلم الناس انه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له * قال ابن اسحق حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عروة بن الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله فيما بلغنى يقول كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة قال الزهرى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي « قال ابن هشام » ويقال بسر فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ان رجلا من أسلم قال انا يارسول الله قال فسلك بهم طريقا وعرا أجرل بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا الى أرض سهلة عند منقطع الوادى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها قال ابن شهاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض فى طريق على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة قال فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم رجعوا راكضين الى قريش وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته فقالت الناس خلأت الناقة قال ماخلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم قال للناس انزلوا قيل له يارسول الله ما بالوادى ماء ينزل عليه فاخرج سهما من كنانته فاعطاه رجلا من أصحابه فنزل به فى قليب من تلك القلب

والياء فى الجعرانة والحديبية وأهل الحجاز يخففون وقال أبو جعفر النحاس سألت كل من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا على انها بالتخفيف

﴿ فصل ﴾ وذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم معتمرا الى مكة ولم يذكر فى حديثه من أين أحرم وفى الصحيح من رواية الزهرى انه أحرم من ذى الحليفة وهو خلاف مايروى عن على رحمه الله من قوله ان تمام العمرة أن تحرم بها من دويرة اهلك وهذا من قول على متأول فيمن كان منزله من وراء الميقات فهو الذى يحرم من دويرة أهله كما يحرم أهل مكة من مكة فى الحج * وفيه انه أشعر الهدى وهو خلاف قول النخعى وأهل الكوفة فى قولهم ان الاشعار منسوخ بنهيه عن المثلة ويقال لهم ان النهى عن المثلة كان باثر غزوة أحد فلا يكون الناسخ متقدما على المنسوخ * وفيه انهم مروا بطريق أجرد ومعناه كثير الحجارة والجرد الحجر وفيه انه بعث عينا له من خزاعة الى مكة فدل على انه يجوز للرجل أن يسافر وحده اذا مست الحاجة الى ذلك أو كان فى ذلك صلاح للمسلمين وفى البخارى والنسوى ان عينه الذى أرسل جاءه بغدير الاشطاط والاشطاط جمع شط وهو السنام قال الراجز * شطا رميت فوقه بشط * وشط الوادى أيضا جانبه وبعضهم يقول فيه الاشظاظ بالظاء المعجمة واسم عينه ذلك بسر بن سفيان بن عمرو بن عمير الخزاعى وهو الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بديل ابن أم أصوم وهو بديل بن سلمة الى خزاعة يستنفرهم الى قتال أهل مكة عام الفتح * وفيه ان قريشا خرجت ومعها العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهى الناقة التى معها ولدها يريد انهم خرجوا بذوات الالبان من الابل ليتزودوا ألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمدا وأصحابه فى زعمهم وانما قيل للناقة عائذ وان كان الولد هو الذى يعوذ بها لانها عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وان كانت مربوحا فيها لانها فى معنى نامية وزاكية وكذلك عيشة راضية لانها فى معنى صالحة ومن نحو هذا قوله والهدى معكوفا وان كان عاكفا لانه محبوس فى المعنى فتحول وزنه فى اللفظ الى وزن ما هو فى معناه كما قالوا

فى

فغرزه فى جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن * قال ابن اسحق فحدثنى بعض أهل العلم عن رجال من أسلم أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن افصى بن أبى حارثة وهو سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال ابن هشام » أفصى بن حارثة * قال ابن اسحق وقد زعم لى بعض أهل العلم ان البراء بن عازب كان يقول انا الذى نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم أى ذلك كان وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية قد ظننا انه هو الذى نزل بالسهم فزعمت أسلم ان جارية من الانصار أقبلت بدلوها وناجية فى القليب يميح على الناس فقالت

يا أيها المائح دلوى دونكا * انى رأيت الناس يحمدونكا
* يثنون خيرا ويمجدونكا *

« قال ابن هشام » ويروى انى رأيت الناس يمدحونكا * قال ابن اسحق فقال ناجية وهو فى القليب يميح على الناس

قد علمت جارية يمانية * أنى أنا المائح واسمى ناجيه
وطعنة ذات رشاس واهيه * طعنتها عند صدور العاديه

فقال الزهرى فى حديثه فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بديل بن ورقاء الخزاعى فى رجال من خزاعة فكلموه وسالوه ما الذى جاء به فاخبرهم انه لم يأت يريد حربا وانما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته ثم قال لهم نحوا مما قال لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقالوا يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ان محمدا لم يأت لقتال وانما جاء زائرا لهذا البيت فاتهموهم وجبهوهم وقالوا وان كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث بذلك عنا العرب قال الزهرى وكانت خزاعة عيبه نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيأ كان بمكة قال ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص بن الاخيف أخا بنى عامر بن لؤى فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل وأصحابه فرجع الى قريش فاخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيد الاحابيش وهو أحد بنى الحرث بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال لهم ذلك قال فقالوا له اجلس فانما أنت أعرابى لا علم لك * قال ابن اسحق فحدثنى

فى المرأة تهراق الدماء وقياسه تهريق الدماء ولكنه فى معنى تستحاض فحول الى وزن ما لم يسم فاعله وبقيت الدماء منصوبة على المفعول كما كانت وقوله فى بئر الحديبية انما يتبرض ماؤها تبرضا من البرض وهو الماء الذى يقطر قليلا قليلا والبارض من النبات الذى كانه يقطر من الرى والنعمة قال الشاعر

رعى بارض البهمى جميما وبسرة * وصمعاء حتى آنفته نصالها

يقال لكل شئ فى أوله بسرة حتى للشمس عند طلوعها وصمعاء متحدة قد شوكت قاله أبو حنيفة * وذكر أن رجلا من أسلم سلك بهم طريقا وعرا أجرل يقال ان ذلك الرجل هو ناجية الاسلمى وهو سائق بدنه وهو ناجية بن جندب ويقال فيه ابن عمير وكان اسمه ذكوان فسماه النبي صلى الله عليه وسلم ناجية حين نجا من كفار قريش وعاش الى زمن معاوية وأما صاحب بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكور فى حديث آخر فى الموطا وغيره فاسمه ذؤيب بن حلحلة بن عمرو بن كليب بن اصرم بن عبد الله بن قمير بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة جد خزاعة وذؤيب هذا هو والد قبيصة بن ذؤيب القاضى صاحب عبد الملك بن مروان وعاش ذؤيب الى خلافة معاوية أيضا * وذكر فى نسب أسلم بن أفصى بن أبى حارثة وهو وهم وقد أصلحه ابن هشام فقال هو حارثة يعنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الاسد ويحتمل أن يكون ابن اسحق لم يهم فيه ولكنه نسبه الى ابى حارثة بن عمرو بن عامر وهو عم حارثة بن ثعلبة وحارثة هو أبو الاوس والخزرج * وذكر قوله عليه السلام لا تدعونى قريش اليوم الى خطة الحديث وفى غير رواية ابن اسحق عن الزهرى انه قال والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش ولم يقل فى الحديث ان شاء الله وقد تكلموا فى ذلك فقيل انما أسقط الاستثناء لانه أمر واجب كان قد أمر به ألا تراه يقول فى الحديث انما أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولئن يضيعنى وقيل ان اسقاط الاستثناء انما هو من الراوى اما نسيه وأما لم يحفظه وفى الحديث أو تنفرد هذه السالفة السالفة صفحة العنق وانفرادها عبارة عن القتل أو الذبح وفى الرجز الذى أنشده * يا أيها المائح دلوى دونكا * لو قال دونك دلوى لكان الدلو فى موضع نصب على الاغراء

عبد الله بن أبى بكر ان الحليس غضب عند ذلك وقال يامعشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له اولا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد قال فقالوا له مه كف عنا ياحليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى به قال الزهرى فى حديثه ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفى فقال يامعشر قريش انى قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم انكم والد وانى ولد وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى قالوا اصدقت ما انت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال يامحمد أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العود المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة ابدا وايم الله لكانى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا قال وابو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فقال امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه قال من هذا يامحمد قال هذا ابن ابى قحافة قال اما والله لولا يد كانت لك عندى لكافاتك بها ولكن هذه بها قال ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه قال والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد قال فجعل يقرع يده اذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان لا تصل اليك قال فيقول عروة ويحك ما أفظك واغلظك قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يامحمد قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة قال أى غدر وهل غسلت سوأتك الا بالامس «قال ابن هشام» أراد عروة بقوله هذا ان المغيرة بن شعبة قبل اسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف فتهايج الحيان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين والاحلاف رهط المغيرة فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح ذلك الامر * قال ابن اسحق قال الزهرى فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم أصحابه وأخبره انه لم يات يريد حربا فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوأه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه ولا يسقط من شعره شىء الا أخذوه فرجع الى قريش فقال يامعشر قريش انى ق مع جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبدا فروا رأيكم * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى فبعثه الى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وقد حدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس ان قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه احدا فاخذوا أخذا فاتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يارسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب وانه انما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته * قال ابن اسحق فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله

فلما قدمها على دونك لم يجز نصبها بدونك ولكنه بفعل آخر كانه قال املأ دلوى فقوله دونكا أمر بعد أمر * وفيه قوله صلى الله عليه وسلم فى الحليس ان هذا من قوم يتألهون أى يعظمون أمر الاله ومنه قول رؤبة * سبحن واسترجعن من تأله * أى من تنسك وتعظيم لله سبحانه * وقول عروة بن مسعود لقريش قد عرفتم انكم والد أى كل واحد منكم كالوالد وقيل معناه أنتم حى قد ولدنى لانه كان لسفيعة بنت عبد شمس وقد يجوز أن يقال فى الجماعة هم لى صديق وعدو وفى التنزيل «وحسن أولئك رفيقا» فيفرد لانه صفة لفريق وحزب ويقبح أن تقول قومك ضاحك أو باك وانما يحسن هذا اذا وصفت بصديق ورفيق وعدو لانها صفة تصلح للفريق والحزب لان العداوة والصداقة صفتان متضادتان فاذا كان على احدهما الفريق الواحد كان الآخر على ضدها وكانت قلوب أحد الفريقين فى تلك الصفة على قلب رجل واحد فى عرف العادة فحسن الافراد وليس يلزم مثل هذا فى القيام والقعود ونحوه حتى يقال هم قاعد أو قائم كما يقال هم صديق لما قدمناه من الاتفاق والاختلاف وأما قوله تعالى «يخرجكم طفلا» بلفظ الافراد وقال فى موضع آخر واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فالاحسن فى حكم البلاغة أن يعبر عن الاطفال الرضع بالطفل فى الواحد والجميع لانهم

به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمان بن عفان قد قتل

﴿ بيعة الرضوان ﴾

* قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل لا نبرح حتى نناجز القوم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بنى سلمة فكان جابر ابن عبد الله يقول والله لكأنى أنظر اليه لاصقا بابط ناقته قد ضبأ اليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ذكر من أمر عثمان باطل « قال ابن هشام » فذكر وكيع عن اسمعيل ابن أبى خالد عن الشعبى ان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الاسدى « قال ابن هشام » وحدثنى من أثق به عمن حدثه باسناد له عن ابن أبى مليكة عن ابن أبى عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان فضرب باحدى يديه على الاخرى

﴿ الهدنة ﴾

* قال ابن اسحق قال الزهرى ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بنى عامر بن لؤى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ائت محمدا فصالحه ولا يكن فى صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب عنا انه دخلها علينا عنوة أبدا فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهى سهيل بن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم

مع حدثان الولادة كالجنس الذى يقع على القليل والكثير بلفظ واحد ألا ترى ان بدء الخلق طين ثم منى والمنى جنس لا يتميز بعضه من بعض فلذلك لا يجمع وكذلك الطين ثم يكون الخلق علقا وهو الدم فيكون ذلك جنسا ثم يخرجهم الله طفلا أى جنسا تاليا للعلق والمنى لا يكاد يتميز بعضهم من بعض الا عند آبائهم فاذا كبروا وخالطوا الناس وعرف الناس صورهم بعضها من بعض فصاروا كالرجال والفتيان قيل فيهم حينئذ أطفال كما يقال رجال وفتيان ولا يعترض على هذا الاصل بالاجنة انهم مغيبون فى البطون فلم يكونوا كالجنس الظاهر للعيون كالماء والطين والعلق وانما جمع الجنين على أجنة وحسن ذلك فيه لانه تبع للبطن الذى هو فيه ويقوى هذا الغرض الذى صمدنا اليه فى الطفل قول رجل من بنى مجاعة لعمر بن عبد العزيز وقد ساله هل بقى من كهول بنى مجاعة أحد قال نعم وشكير كثير فانظر كيف قال الكهول وجمع وقال فى الصغار شكير كما تقول حشيش ونبات فتفرد لانه جنس واحد والطفل فى معنى الشكير ما داموا رضعا حتى يتميزوا بالاسماء والصور عند الناس فهذا أحكم البلاغة ومساق الفصاحة فافهمه * وأما قول عروة جمعت أوشاب الناس يريد أخلاطا وكذلك الاوباش * وقوله فى حديث المغيرة أما المال فلست منه فى شىء فيه من الفقه ان أموال المشركين حرام اذا أمنوك وأمنتهم وانما يحل بالمحاربة والمغالبة لا عند طمأنينتهم اليك وأمنتهم منك فان ذلك هو الغدر وفى هذا المعنى آثار قد مضى بعضها وسيأتى بعضها فى غزوة خيبر وغيرها وفيه انهم كانوا يتدلكون بنخامة النبى صلى الله عليه وسلم اذا تنخم وفى ذلك دليل على طهارة النخامة خلافا للنخعى وما يروى فى ذلك عن سلمان الفارسى وحديث اذا تنخم أحدكم فى الصلاة أبين فى الحجة لان حديث السيرة يحتمل الخصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾ وذكر مصالحة النبى صلى الله عليه وسلم لقريش وشرطهم أن لا يأتيه منهم أحد ممن هو على دينه الا رده عليهم وفى هذا الحديث مصالحة المشركين على غير مال يؤخذ منهم وذلك جائز اذا كان بالمسلمين ضعف وقد تقدم مصالحتهم على مال يعطونه فى غزوة الخندق واختلف هل يجوز صلحهم الى أكثر من عشر سنين فقال بعضهم يجوز ذلك اذا رآه الامام وقالت طائفة لا يتجاوز فى صلحهم الى أكثر من عشر سنين وحجتهم أن حظر الصلح هو الاصل بدليل آية القتال وقد ورد التحديد بالعشر فى حديث ابن اسحق فحصلت الاباحة فى هذا المقدار متحققة وبقيت الزيادة على الاصل وهو الحظر وفيه الصلح على أن يرد المسلم الى دار الكفر وهذا منسوخ عند أبى حنيفة بحديث سرية خالد حين وجهه النبى صلى الله عليه وسلم الى خثعم وفيهم ناس مسلمون فاعتصموا بالسجود فقتلهم خالد فوداهم النبى صلى الله عليه وسلم نصف الدية وقال أنا برىء من مسلم بين مشركين وقال فقهاء الحجاز هو جائز ولكن للخليفة الاكبر لا لمن دونه وفيه نسخ السنة بالقرآن على أحد القولين فان هذا العهد كان يقتضى أن لا يأتيه مسلم الا رده فنسخ الله تعالى ذلك فى النساء خاصة فقال عز وجل « فان علمتموهن مؤمنات » هذا على رواية عقيل بن خالد عن الزهرى فانه قال فى الحديث أن

فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الامر ولم يبق الا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس برسول الله قال بلى قال أولسنا بالمسلمين قال بلى قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا قال أبو بكر يا عمر الزم غرزه فانى أشهد انه رسول الله قال عمر وأنا أشهد انه رسول الله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ألست برسول الله قال بلى قال أولسنا بالمسلمين قال بلى قال أو ليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا قال أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى قال فكان عمر يقول مازلت اتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيرا قال ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن أكتب باسمك اللهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل ابن عمرو قال فقال سهيل لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك ولكن أكتب اسمك واسم أبيك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع وكادت الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيهن الناس و يكف بعضهم عن بعض على انه من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة

لا يأتيه أحد وأحد يتضمن الرجال والنساء والاحسن أن يقال فى مثل هذا تخصيص عموم لا نسخ على ان بعض حذاق الاصوليين قد قال فى العموم اذا عمل بمقتضاه فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم واعتقد فيه العموم ثم ورد التخصيص فهو نسخ وهو قول حسن وفى رواية أخرى أن لا يأتيه رجل فهذا اللفظ لا يتناول النساء وقالت طائفة انما استجاز النبى صلى الله عليه وسلم رد المسلمين اليهم فى هذا الصلح لقوله عليه السلام لا تدعونى قريش الى خطة يعظمون فيها الحرم الا أجبتهم اليها وفى رد المسلم الى مكة عمارة البيت وزيادة خير له فى الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله تعالى فعلى هذا القول يكون حكما مخصوصا بمكة و بالنبى صلى الله عليه وسلم و يكون غير جائز لمن بعده كما قال العراقيون

﴿ فصل ﴾ وذكر قول الله سبحانه «اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن» وهذا عند أهل العلم مخصوص بنساء أهل العهد والصلح وكان الامتحان ان يستحلف المرأة المهاجرة انها ما خرجت ناشزا ولا هاجرت الا لله ولرسوله فاذا حلفت لم تردو رد صداقها الى بعلها وان كانت من غير أهل العهد لم تستحلف ولم يرد صداقها * وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم محا اسمه وهو رسول الله وكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله لانه قول حق كله وظن بعض الناس انه كتب بيده وفى البخارى انه كتب وهو لا يحسن الكتابة فتوهم ان الله تعالى أطلق يده بالكتابة فى تلك الساعة خاصة وقال هى آية فيقال له كانت تكون آية لولا انها مناقضة لآية أخرى وهو كونه أميا لا يكتب و بكونه أميا فى أمة أمية قامت الحجة وأفحم الجاحد وانحسمت الشبهة فكيف يطلق الله يده لتكون آية وانما الآية أن لا يكتب والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضا وانما معنى كتب أى أمر أن يكتب وكان الكاتب فى ذلك اليوم على بن أبى طالب وقد كتب له عدة من أصحابه منهم عبد الله بن الارقم وخالد بن سعيد وأخوه ابان وزيد بن ثابت وعبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول وأبى بن كعب القارى وقد كتب له أيضا فى بعض الاوقات أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وكتب له كثيرا معاوية بن أبى سفيان بعد عام الفتح وكتب له أيضا الزبير بن العوام ومعيقيب بن أبى فاطمة والمغيرة بن شعبة وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاصى وجهيم بن الصلت وعبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وحنظلة الاسيدى وهو حنظلة بن الربيع وفيه يقول الشاعر بعد موته

ان سواد العين أودى به * حزن على حنظلة الكاتب

والعلاء بن الحضرمى ذكرهم عمر بن شبة فى كتاب الكتاب له * وأما قول سهيل بن عمرو له ولكن اكتب باسمك اللهم فانها كلمة كانت قريش تقولها ولقولهم لها سبب قد ذكرناه فى كتاب التعريف والاعلام وأول من قالها أمية بن أبى الصلت ومنه تعلموها وتعلمها هو من رجل من الجن فى خبر طويل ذكره المسعودى وهو الخبر الذى لخصناه فى الكتاب المذكور

﴿ فصل ﴾ وذكر فى الكتاب وان بيننا و بينكم عيبة مكفوفة أى صدور منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة وضرب العيبة مثلا وقال الشاعر

وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب أن يدخل فى عقد قريش وعقدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن فى عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فاقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد قد انفلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون فلما رأى سهيل أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه ثم قال يا محمد قد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجره ليرده الى قريش وجعل أبو جندل يصرخ باعلى صوته يا معشر المسلمين أأرد الى المشركين يفتنونى فى دينى فزاد الناس الى ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وانا لا نغدر بهم قال فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى الى جنبه ويقول اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم دم كلب قال ويدنى قائم السيف منه قال يقول عمر رجوت ان ياخذ السيف فيضرب به أباه قال فضن الرجل بابيه ونفذت القضية فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبى وقاص ومحمود بن سلمة ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك وعلى بن أبى طالب وكتب وكان هو كاتب الصحيفة * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا فى الحل وكان يصلى فى الحرم فلما فرغ من الصلح قام الى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه وكان الذى حلقه فيما بلغنى فى ذلك اليوم خراش بن أمية ابن الفضل الخزاعى فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين

وكادت عياب الودمنا ومنهم * وان قيل أبناء العمومة تصفر

وقال صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعيبتى فضرب العيبة مثلا لموضع السر وما يعتد به من ودهم والكرش وعاء يصنع من كرش البعير يجعل فيه ما يطبخ من اللحم يقال ما وجدت لهذه البضعة فاكرش أى ان الكرش قد امتلأ فلم يسعها فمه ويضرب أيضا هذا مثلا كما قال الحجاج ما وجدت الى دم فلان فاكرش * وقوله ولا اغلال هى الخيانة يقال فلان مغل الاصبع أى خائن اليد قال الشاعر

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن * بالغدر خائنة مغل الاصبع

والاسلال السرقة والخلسة ونحوها وهى السلة قالوا فى المثل الخلة تدعو الى السلة

﴿ فصل ﴾ وذكر خروج أبى جندل يرسف فى الحديد أبو جندل هو العاصى بن سهيل وأما أخوه عبد الله بن سهيل فكان قد فر يوم بدر الى المسلمين فلحق بهم وشهد بدرا والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة شهيدا وأما أبو جندل فاستشهد مع أبيه بالشام فى خلافة عمر وهو الذى شرب الخمر متأولا لقوله تبارك وتعالى «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا» الآية فجلده أبو عبيدة بأمر عمر وجلد صاحبه وهو ضرار ثم ان أبا جندل أشفق من الذنب حتى قال لقد هلكت فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فكتب اليه ان الذى زين لك الخطيئة هو الذى حظر عليك التوبة «بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب» الآية وكان شربها معه ضرار بن الخطاب وأبو الازور فلما أمر عمر أن يجلدوا قالوا دعنا نلقى العدو فان قتلنا فذاك والا حددتمونا فقتل أبو الازور وحد الآخران

﴿ فصل ﴾ وذكر قول عمر رضى الله عنه فعلام نعطى الدنية فى ديننا هى فعيلة من الدناءة وأصلها الهمز وفى غير رواية ابن اسحق ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر انى عبد الله ولست أعصيه وهو ناصرى وانه أتى أبا بكر رضى الله عنه فقال له مثل ما قال للنبى صلى الله عليه وسلم فجاوبه أبو بكر بمثل ما جاوبه به النبى صلى الله عليه وسلم حرفا بحرف ثم قال له يا عمر الزم غرزه فانى أشهد انه رسول الله قال عمر وما شككت منذ أسلمت الا تلك الساعة وفى هذا ان المؤمن قد يشك ثم يجدد النظر فى دلائل الحق فيذهب شكه وقد روى عن ابن عباس انه قال هو شىء لا يسلم منه أحد ثم ذكر ابن عباس قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم ولكن ليطمئن قلبى ولولا الخروج عما صمدنا اليه فى هذا الكتاب لذكرنا ما للعلماء فى قول ابراهيم صلى الله عليه

قالوا والمقصرين يارسول الله قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يارسول الله قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يارسول الله قال والمقصرين فقالوا يارسول الله فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين قال لم يشكوا وقال عبد الله بن أبي نجيح حدثني مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في رأسه برة من فضة يغيظ بذلك المشركين قال الزهري في حديثه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه حتى انتهى الى ذكر البيعة فقال جل ثناؤه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ثم ذكر من تخلف عنه من الاعراب ثم قال حين استنفرهم للخروج معه فابطؤا عليه سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا ثم القصة عن خبرهم حتى انتهى الى قوله سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم اولى الباس الشديد * قال ابن اسحق حدثني عبدالله بن ابي نجيح عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال فارس * قال ابن اسحق وحدثني من لا اتهم عن الزهري انه قال اولى الباس الشديد حنيفة مع الكذاب * ثم قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا * ثم ذكر محبسه وكفه اياه عن القتال بعد الظفر منه بهم يعني النفر الذين اصاب منهم وكفهم عنه ثم قال تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا * ثم قال تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله « قال ابن هشام » المعكوف المحبوس قال أعشى بني قيس بن ثعلبة

وسلم ولكن ليطمئن قلبي وذكرنا النكتة العظمى في ذلك ولعلنا أن نلقى لها موضعا فنذكرها والشك الذي ذكره عمر وابن عباس ما لا يصر عليه صاحبه وانما هو من باب الوسوسة التي قال فيها عليه السلام مخبرا عن ابليس الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة وفي غير رواية ابن اسحق من الصحيح انه عليه السلام دخل على أم سلمة وشكى اليها ما لقي من الناس حين أمرهم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا لما بهم من الغيظ فقالت يارسول الله اخرج اليهم فلا تكلمهم حتى تحلق وتنحر فانهم اذا رأوك قد فعلت ذلك لم يخالفوك ففعل صلى الله عليه وسلم وفعل الناس [وكان الذي حلق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم خراش بن أمية الخزاعي وهو الذي كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الى مكة فعقروا جمله وأرادوا قتله فحينئذ بعث اليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه] في تركهم للبدار دليل على أن الامر ليس على الفور كما ذهب اليه بعض الاصوليين وفيه انهم حملوا الامر على غير الوجوب لقرينة وهي انهم رأوه لم يحلق ولم ينحر ولم يقصر فلما رأوه قد فعل اعتقدوا وجوب الامر وامتثلوه وفيه أيضا اباحة مشاورة النساء وذلك ان النهي عن مشاورتهن انما هو عندهم في أمر الولاية خاصة كذلك قال أبو جعفر النحاس في شرح هذا الحديث

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحاق استغفار النبي صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة ولم

وكأن السموط عكفها السلـ * ـك بعطفي جيداء أم غزال

وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم والمعرة الغرم أي أن تصيبوا منهم بغير علم فتخرج ديته فأما اثم فلم يخشه عليهم « قال ابن هشام » بلغني عن مجاهد انه قال نزلت هذه الآية في الوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة وأبي جندل بن سهيل وأشباههم * قال ابن اسحق ثم قال تبارك وتعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية يعني سهيل بن عمرو حين حمي ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأن محمدا رسول الله ثم قال تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها أي التوحيد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله * ثم قال تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا أي لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رأى أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف يقول محلقين رؤسكم ومقصرين معه لا تخافون فعلم من ذلك ما لم تعلموا فجعل من دون

ذلك فتحا قريبا صلح الحديبية يقول الزهرى فما فتح فى الاسلام فتح قبله كان أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وآمن الناس كلهم بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد فى الاسلام يعقل شيأ الا دخل فيه ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر « قال ابن هشام » والدليل على قول الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الحديبية فى ألف وأربعمائة فى قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف

﴿ ماجرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح ﴾

* قال ابن اسحق فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية وكان ممن حبس بمكة فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة والاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله علية وسلم بكتاب الازهر والاخنس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين (٢٣٣) فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك قال يارسول الله أتردنى الى المشركين يفتنوننى فى دينى قال ياأبا بصير انطلق فان الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما حتى اذا كان بذى الحليفة جلس الى جدار وجلس معه صاحباه فقال أبو بصير أصارم سيفك هذا ياأخا بنى عامر فقال نعم قال أنظر اليه قال انظر ان شئت قال فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعا قال ان هذا الرجل قد رأى فزعا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبي فوالله مابرح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله وفت ذمتك وأدى الله عنك أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى ان أفتتن فيه او يعبث بى قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل امه محش حرب لو كان معه رجال ثم خرج ابو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا ياخذون عليها الى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بصير ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال فخرجوا الى ابى بصير بالعيص فاجتمع اليه منهم قريب من سبعين رجلا وكانوا قد ضيقوا على قريش لا يظفرون باحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا اقتطعوها حتى كتبت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تساله بارحامها الا آواهم فلا حاجة لهم بهم فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه المدينة « قال ابن هشام » ابو بصير ثقفى * قال ابن اسحق فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل ابى بصير صاحبهم العامرى أسند ظهره الى الكعبة ثم قال والله لا أؤخر ظهرى عن الكعبة حتى يودى هذا الرجل فقال ابوسفيان بن حرب والله ان هذا لهو السفه والله لا يودى ثلاثا

ولم يكن المقصر يومئذ من أصحابه الا رجلين أحدهما عثمان بن عفان والآخر أبو قتادة الانصارى كذلك جاء فى مسند حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه * وذكر حديث أبى بصير واختلف فى اسمه فقيل عبيد ابن أسيد بن جارية وقيل عتبة * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم له حين قتل أحد الرجلين ويل امه محش حرب وفى الصحيح ويل أمه مسعر حرب يقال حششت النار وأرثتها وأذكيتها وأثقبتها وسعرتها بمعنى واحد وسمى الاسعر الجعفى أسعر بقوله

فلا يدعنى قومى لسعد بن مالك * لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

وكان اسمه مرثد بن حمران ومالك فى هذا البيت هو مذحج وأما لحوق أبى بصير بسيف البحر ففى رواية معمر عن الزهرى انه كان يصلى باصحابه هنالك حتى لحق بهم أبو جندل بن سهيل فقدموه لانه قرشى فلم يزل أصحابه يكثرون حتى بلغوا ثلاثمائة وكان أبو بصير كثيرا مايقول هنالك الله العلى الاكبر من ينصر الله فسوف ينصر فلما جاءهم الفرج من الله تعالى وكلمت قريش النبى عليه السلام ان يؤويهم اليه لما ضيقوا عليهم ورد كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بصير فى الموت يجود بنفسه فاعطى الكتاب فجعل يقرأه ويسر به حتى قبض والكتاب على صدره فبنى عليه هناك مسجد يرحمه الله وفى الحديث من غير السيرة ان المسلمين حين حلقوا فى ذلك اليوم وهم بالحل قد منعوا ان يدخلوا الحرم جاءت الريح فاحتملت شعورهم حتى ألقتها فى الحرم فاستبشروا بقبول الله عمرتهم ذكره أبو عمر والعمرة مشتقة من عمارة المسجد الحرام وبنيت على فعلة لانها فى معنى قربة ووصلة الى الله تعالى وليس قول من قال انها الزيارة فى اللغة ببين ولا فى قول الاعشى حجة لهم لانه محتمل التاويل وهو قوله * وراكب جاء من تثليث معتمر *

﴿ فصل ﴾ ومما يسئل عنه فى حديث أبى بصير قتله الرجل الكافر وهو فى العهد أكان ذلك حراما أم

فقال فى ذلك موهب بن رياح أبو أنيس حليف بنى زهرة «قال ابن هشام» أبو أنيس أشعرى

أتانى عن سهيل ذرو قول * فأيقظنى ومابى من رقاد فان تك العتاب تريدنى * فعاتبنى فما بك من بعاد *
أتوعدنى وعبد مناف حولى * بمخزوم ألهفى من تعادى فان تغمز قناتى لاتجدنى * ضعيف العود فى الكرب الشداد
أسامى الاكرمين أبا بقومى * اذا وطئ الضعيف بهم أرادى هم منعوا الظواهر غير شك * الى حيث البواطن فالعوادى
بكل طمرة وبكل نهد * سواهم قد طوين من الطراد لهم بالخيف قد علمت معد * رواق المجد رفع بالعماد

فأجابه عبد الله بن الزبعرى فقال

أمسى موهب كحمار سوء * أجاز ببلدة فيها ينادى
فان العبد مثلك لايناوى * سهيلا ضل سعيك من تعادى فاقصر ياابن قين السوء عنه * وعد عن المقالة فى البلاد
ولا تذكر عتاب أبى يزيد * فهيهات البحور من الثماد

وهاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى تلك المدة فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالانه ان يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبية فلم يفعل أبى الله ذلك قال ابن اسحق فحدثنى الزهرى عن عروة بن الزبير قال دخلت عليه وهو يكتب كتابا الى ابن أبى هنيدة صاحب الوليد ابن عبد الملك وكتب اليه يسأله عن قول الله تعالى يأأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر «قال ابن هشام» واحدة العصم عصمة وهى الحبل والسبب قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة

الى المرء قيس نطيل السرى * ونأخذ من كل حى عصم

وهذا البيت فى قصيدة له واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم قال فكتب اليه عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير اذن وليه فلما هاجر النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام أبى الله ان يرددن الى المشركين اذا هن امتحن بمحنة الاسلام فعرفوا انهن انما جئن رغبة فى الاسلام وأمر برد صدقاتهن اليهم ان احتبسن عنهم ان هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ورد الرجال وسال الذى أمره الله به ان يسال من صدقات نساء من حبسوا منهن وان يردوا عليهم مثل الذين يردون عليهم ان هم فعلوا ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما رد الرجال ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لامسك النساء ولم يردد لهن صداقا وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد * قال ابن اسحق وسألت الزهرى عن هذه الآية وقول الله عز وجل فيها وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون فقال يقول ان فات أحدا منكم أهله الى الكفار ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم فعوضوهم من فئ ان أصبتموه فلما نزلت

(فصل)

مباحاله وظاهر الحديث رفع الحرج عنه لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يثرب بل مدحه وقال ويل امه محش حرب (فان قيل) وكيف يكون ذلك جائزا له وقد حقن الصلح الدماء (قلنا) انما ذلك فى حق أبى بصير على الخصوص لانه دافع عن نفسه ودينه ومن قتل دون دمه فهو شهيد وانما لم يطالبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية لان أولياء المقتول لم يطالبوه امالانهم كانوا قد أسلموا وامالان الله شغلهم عن ذلك حتى انتكث العهد وجاء الفتح (فان قيل) فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يدى من قتل خطا من أهل الصلح كما ودى العامريين وغيرهما (قلنا) عن هذا جوابان احدهما ان أبا بصير كان قد رده الى المشركين فصار فى حكمهم ولم يكن فى فيئة المسلمين وحزبهم فيحكم عليه بما يحكم عليهم (والجواب الثانى) انه ان كان قتل عمدا ولم يكن قتل خطأ كما كان قتل العامريين وقد قال عمر بن الخطاب لا تعقل العاقلة عمدا ولا عبدا

﴿ فصل ﴾ وقول عمر للنبى صلى الله عليه وسلم ألم تعدنا انا نأتى البيت ونطوف به فقال نعم وذكر الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أرى ذلك فى منامه ورؤيا الانبياء وحى ثم أنزل الله تعالى «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» الآية ويسئل عن قوله ان شاء الله آمنين ما فائدة هذا الاستثناء وهو خبر واجب وفى الجواب أقوال أحدها انه راجع الى قوله آمنين لا الى نفس الدخول وهذا ضعيف لان الوعد بالامان قد اندرج فى الوعد بالدخول الثانى انه وعد على الجملة والاستثناء راجع الى التفصيل اذ لا يدرى كل انسان منهم هل يعيش الى ذلك أم لا فرجع الشك الى هذا المعنى لا الى الامر الموعود به وقد قيل انما هو تعليم للعباد أن يقولوا هذه الكلمة ويستعملونها فى كل فعل مستقبل أعنى ان شاء الله

هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله عز وجل ولا تمسكوا بعصم الكوافر كان ممن طلق عمر بن الخطاب امرأته قريبة بنت أبى أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان وهما على شركهما بمكة وأم كلثوم بنت جرول أم عبيدالله بن عمر الخزاعية فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما «قال ابن هشام» حدثنا أبو عبيدة أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة ألم تقل يارسول الله انك تدخل مكة آمنا قال بلى أفقلت لكم من عامى هذا قالوا لا قال فهو كما قال لى جبريل عليه السلام

﴿ذكر المسير الى خيبر﴾ في المحرم سنة سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

* قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم وولى تلك الحجة المشركون ثم خرج فى بقية المحرم الى خيبر «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة نميلة بن عبدالله الليثى ودفع الراية الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وكانت بيضاء * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمى عن أبى الهيثم بن نصر بن دهر الاسلمى ان أباه حدثه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى مسيره الى خيبر لعامر بن الاكوع وهو عم سلمة بن عمرو بن الاكوع وكان اسم الاكوع سنان انزل يا ابن الاكوع فخذ لنا من هناتك قال فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
انا اذا قوم بغوا علينا * وان أرادوا فتنة أبينا
فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

﴿فصل﴾ وذكر بيعة الشجرة وسببها ولم يذكر أول من بايع وذكر الواقدى ان أول من بايع بيعة الرضوان سنان بن أبى سنان الاسدى وقال موسى بن عقبة أول من بايع أبو سنان واسمه وهب بن محصن أخى عكاشة بن محصن الاسدى وقال الواقدى كان أبو سنان أسن من أخيه عكاشة بعشر [بعشرين] سنين شهد بدرا وتوفى يوم بنى قريظة ويروى انه حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ابسط يدك أبايعك قال علام تبايعنى قال على ما فى نفسك يارسول الله وأما سنان ابنه فهو أيضاً بدرى مات سنة ثلاث وثلاثين واما مبايعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة فى احدى الروايتين عن جابر وألفا وخمسمائة فى الرواية الاخرى عنه فبايعوه فى قول جابر على أن لا يفروا قال ولم يبايعوه على الموت وقال سلمة بن الاكوع بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال الترمذى وكلا الحديثين صحيح لان بعضهم بايع على أن لا يفروا ولم يذكروا الموت وبعضهم قال أبايعك على الموت

﴿فصل﴾ ومما قاله أبو جندل بن سهيل أيام كونه مع أبى بصير بسيف البحر

أبلغ قريشا عن أبى جندل * انا بذى المروة فالساحل
فى معشر تخفق أيمانهم * بالبيض فيها والقنا الذابل
يابون ان تبقى لهم رفقة * من بعد اسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا * والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء باسلامه * أو يقتل المرء ولم يأتل

﴿غزوة خيبر﴾

ذكر البكرى ان أرض خيبر سميت باسم رجل من العماليق نزلها وهو خيبر بن قانية بن مهلايل وكذلك قال فى الوطيح وهو من حصونها انه سمى بالوطيح بن مازن رجل من ثمود ولفظه مأخوذ من الوطح وهو ما تعلق بالاظافر ومخالب الطير من الطين * وذكر ابن اسحق قوله عليه السلام لسلمة بن الاكوع خذ لنا من هناتك الهنة كناية عن كل شىء لا تعرف اسمه أو تعرفه فتكنى عنه وأصل الهنة هنهة وهنوة قال الشاعر * على هنوات شأنها متتابع * وفى البخارى أن رجلا قال لابن الاكوع ألا تنزل فتسمعنا من هنيهاتك صغره بالهاء ولو صغره على لغة من قال هنوات لقال هنياتك وانما أراد صلى الله عليه وسلم ان يحدو بهم والابل تستحث بالحداء ولا يكون الحداء الا بشعر أو رجز وقد ذكرنا أول من سن حداء الابل وهو مضر ابن نزار والرجز شعر وان لم يكن قريضاً وقد قيل ليس بشعر وانما هى أشطار أبيات وانما الرجز الذى هو شعر سداسى الاجزاء نحو مقصورة ابن دريد أو رباعى الاجزاء نحو قول الشاعر

يامر ياخير أخ * نازعت در الحلمه

واحتج من قال فى مشطور الرجز انه ليس بشعر انه قد جرى على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وكان لا يجرى على لسانه الشعر وقد روى انه أنشد هذا الرجز الذى قاله ابن الاكوع فى هذا الحديث وقال أيضا امامتمثلا واما منشئا

هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك الله فقال عمر بن الخطاب وجبت والله يا رسول الله لو أمتعتنا به فقتل يوم خيبر شهيدا وكان قتله فما بلغنى ان سيفه رجع عليه وهو يقاتل فكلمه كلما شديدا فمات منه فكان المسلمون قد شكوا فيه وقالوا انما قتله سلاحه حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الاكوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأخبره بقول الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وصلى عليه فصلى عليه المسلمون * قال ابن اسحق حدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمى عن أبيه عن أبي معتب بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لاصحابه وأنا فيهم قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله قال وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح فان سمع أذانا أمسك وان لم يسمع أذانا أغار فنزلنا خيبر ليلا فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا أصبح لم يسمع أذانا فركب وركبنا معه فركبت خلف أبي طلحة وان قدمى لتمس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقبلنا عمال خيبر

وفى هذا الرجز من غير رواية ابن اسحاق مما وقع فى البخارى وغيره * فاغفر فداء لك ما أبقينا * ويروى ما اقتفينا أى ما تتبعنا من الخطايا من قفوت الاثر واقتفيته وفى التنزيل « ولا تقف ما ليس لك به علم » * واما قوله ما أبقينا أى ما خلفنا مما اكتسبنا أو يكون معناه ما أبقينا من الذنوب فلم نحقق التوبة منه كما ينبغى * وقوله فداء لك قد قيل ان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى اغفر لنا تقصيرنا فى حقك وطاعتك اذ لا يتصور أن يقال لله تبارك وتعالى مثل هذا الكلام وذلك ان معنى قولهم فداء لك أى فداء لك أنفسنا وأهلونا وحذف الاسم المبتدأ لكثرة دوره فى الكلام مع العلم به وانما يفدى الانسان بنفسه من يجوز عليه الفناء وأقرب ما قيل فيه من الاقوال الى الصواب انها كلمة يترجم بها عن محبة وتعظيم فجاز أن يخاطب بها من لا يجوز فى حقه الفداء ولا يجوز عليه الفناء قصدا لاظهار المحبة والتعظيم له وان كان أصل الكلمة ماذكرنا فرب كلمة ترك أصلها واستعملت كالمثل فى غير ما وضعت له أول كما جاؤا بلفظ القسم فى غير موضع القسم اذا أرادوا تعجبا واستعظاما لامر كقوله عليه السلام فى حديث الاعرابى من رواية اسماعيل بن جعفر أفلح وأبيه ان صدق ومحال أن يقصد صلى الله عليه وسلم القسم بغير الله تبارك وتعالى لا سيما برجل مات على الكفر وانما هو تعجب من قول الاعرابى والمتعجب منه هو مستعظم ولفظ القسم فى أصل وضعه لما يعظم فاتسع فى اللفظ حتى قيل على هذا الوجه وقال الشاعر

فان تك ليلى استودعتنى أمانة * فلا وأبى أعدائها لا أخونها

لم يرد أن يقسم بأبى أعدائها ولكنه ضرب من التعجب وقد ذهب أكثر شراح الحديث الى النسخ فى قوله أفلح وأبيه قالوا نسخه قوله عليه السلام لا تحلفوا بآبائكم وهذا قول لا يصح لانه لم يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحلف قبل النسخ بغير الله ويقسم بقوم كفار وما أبعد هذا من شيمته صلى الله عليه وسلم تالله ما فعل هذا قط ولا كان له بخلق وقال قوم رواية اسماعيل بن جعفر مصحفة وانما هو أفلح والله ان صدق وهذا أيضا منكر من القول واعتراض على الاثبات العدول فيما حفظوا وقد خرج مسلم فى كتاب الزكاة قوله عليه السلام لرجل ساله أى الصدقة افضل فقال وأبيك لا نبئك أو قال لاخبرنك وذكر الحديث وخرج فى كتاب البر والصلة قوله لرجل ساله من أحق الناس بان أبره أو قال أصله فقال وأبيك لا نبئك صل أمك ثم اباك ثم ادناك فادناك فقال فى هذه الاحاديث كما ترى وابيك فلم يات اسماعيل بن جعفر اذا فى روايته بشىء امر ولا بقول بدع وقد حمل عليه فى روايته رجل من علماء بلادنا وعظماء محدثيها وغفل عفا الله عنه عن الحديثين اللذين تقدم ذكرهما وقد خرجهما مسلم بن الحجاج وفى تراجم ابى داود فى كتاب الايمان فى مصنفه ما يدل على أنه كان يذهب الى قول من قال بالنسخ وان القسم بالآباء كان جائزا والذى ذكرناه ليس من باب الحلف بالآباء كما قدمنا ولا قال فى الحديث وابى وانما قال وابيه او وابيك بالاضافة الى ضمير المخاطب او الغائب وبهذا الشرط يخرج عن معنى الحلف الى معنى التعجب الذى ذكرناه * وذكر ابن اسحاق حديثه عليه السلام حين أشرف على خيبر وقال فى اسناده عن عطاء بن مروان وهذا هو الصحيح فى هذا الاسناد لان عطاء بن ابى مروان الاسلمى معروف فى اهل المدينة يكنى ابا مصعب قاله البخارى فى التاريخ وبعض من يروى السيرة يقول فى هذا الاسناد عن عطاء بن ابى رباح عن مروان الاسلمى والصحيح ما قدمناه

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث انس حين استقبلتهم عمال خيبر بمساحيهم ومكاتلهم المكاتل جمع مكتل

وهى

قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا محمد والخميس معه فادبروا هرابا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين * قال ابن اسحق حدثنا هرون عن حميد عن أنس بمثله * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة الى خيبر سلك على عصر فبنى له فيها مسجد ثم على الصهباء ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى نزل بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم و بين غطفان ليحول بينهم و بين أن يمدوا أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغنى ان غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى اذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسا ظنوا أن القوم قد خالفوا اليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين خيبر وتدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاموال يأخذها مالا مالا و يفتتحها حصنا حصنا فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه رحا فقتلته * ثم القموص حصن بنى أبى الحقيق وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا منهن صفية بنت حيى بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وبنتى عم لها فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه وكان دحية بن خليفة الكلبى قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين وأكل المسلمون لحوم الحمر الاهلية من حمرها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى الناس عن أمور سماها لهم * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزارى عن عبد الله بن ابى سليط عن أبيه قال أتانا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الحمر الانسية والقدور تفور بها فكفأناها على وجوهها * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مكحول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن أربع عن اتيان الحبالى من السبايا وعن أكل الحمار الاهلى وعن أكل كل ذى ناب من السباع وعن بيع المغانم حتى تقسم * وحدثنى سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله الانصارى ولم يشهد جابر خيبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم فى أكل لحوم الخيل * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن أبى مرزوق مولى تجيب عن حنش الصنعانى قال غزونا مع رويفع بن ثابت الانصارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة فقام فينا خطيبا فقال أيها الناس انى لا أقول فيكم الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فينا يوم خيبر قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره يعنى اتيان الحبالى من السبايا حتى يستبرئها ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر ان يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ولا يحل لامرىء

وهى القفة العظيمة سميت بذلك لتكتل الشىء فيها وهو تلاصق بعضه ببعض والكتلة من التمر ونحوه فصيحة وان ابتذلتها العامة * وقول النبى صلى الله عليه وسلم حين رآهم الله أكبر خربت خيبر فيه اباحة التفول وقوة لمن استجاز الزجر وقد قدمنا فى ذلك قولا مقنعا وذلك انه رأى المساحى والمكاتل وهى من آلة الهدم والحفر مع ان لفظ المسحاة من سحوت الارض اذا قشرتها فدل ذلك على خراب البلدة التى أشرف عليها وفى غير رواية ابن هشام قال حين ذكر المساحى كانوا يؤتون الماء الى زرعهم معناه يسوقون والاتى هى الصافية وقول اليهود محمد والخميس سمى الجيش العظيم خميسا لان له ساقة ومقدمة وجناحين وقلبا لا من اجل تخميس الغنيمة فان الخمس من سنة الاسلام وقد كان الجيش يسمى خميسا فى الجاهلية وقد ذكرنا الشاهد على ذلك فيما تقدم * وقوله يتدنى الحصون أى يأخذ الادنى فالادنى * وذكر نهيه عليه السلام عن أكل لحوم الحمر الاهلية وحديث جابر انه نهى عليه السلام يوم خيبر عن أكل لحوم الحمر الاهلية وأرخص لهم فى لحوم الخيل أما الحمر الاهلية فمجتمع على تحريمها الا شيئا يروى عن ابن عباس وعائشة وطائفة من التابعين وحجة من أباحها قوله تعالى «قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم» الآية وهى مكية وحديث النهى عن الحمر كان بخيبر فهو المبين للآية والناسخ للاباحة ومن حجتهم أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لرجل استفتاه فى أكل الحمار الاهلى يقال فى اسمه غالب بن أبجر المزنى اطعم أهلك من سمين مالك وهو حديث ضعيف لا يعارض بمثله حديث النهى مع انه محتمل لتأويلين أحدهما أن يكون الرجل ممن أصابته مسغبة شديدة فارخص له فيه أو يكون ذلك منسوخا بالتحريم على أن بعض رواة الحديث زاد فيه بيانا وهو قوله عليه السلام للرجل انما نهيت عن حوالى القرية أو جوالى القرية على اختلاف فى الرواية وأما حديث جابر فى اباحة لحوم الخيل فصحيح ويعضده حديث أسماء انها قالت ضحينا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرس وقال باباحة لحوم الخيل الشافعى والليث وأبو يوسف وذهب ملك والاوزاعى الى كراهة ذلك وقد روى من طريق خالد بن الوليد انه عليه السلام نهى عن أكل لحوم الحمر الاهلية والبغال والخيل

يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى اذا أعجفها ردها فيه ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فىء المسلمين حتى اذا أخلقه رده فيه * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط انه حدث عن عبادة بن الصامت قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن ان نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين وتبر الفضة بالورق العين وقال ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين وتبر الفضة بالذهب العين * قال ابن اسحق ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون والاموال فحدثنى عبد الله بن أبى بكر انه حدثه بعض أسلم ان بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله يارسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شىء فلم نجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ يعطيهم اياه فقال اللهم انك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وان ليس بيدى شىء أعطيهم اياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرها طعاما وودكا فغدا الناس ففتح الله عز وجل عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه * قال ابن اسحق ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح وحاز من الاموال ما حاز انتهوا الى حصنيهم الوطيح والسلالم وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحا فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة «قال ابن هشام» وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر يامنصور أمت أمت

* قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن سهل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل أخو بنى حارثة عن جابر بن عبد الله قال ابن
خرج مرحب اليهودى من حصنهم قد جمع سلاحه يرتجز وهو يقول

قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحينا أضرب * اذا الليوث أقبلت تحزب
* ان حماى للحمى لا يقرب *

وهو يقول من يبارز فأجابه كعب بن مالك فقال

قد علمت خيبر أنى كعب * مفرج الغما جرىء صلب
اذ شبت الحرب تلتها الحرب * معى حسام كالعقيق عضب
نطأكم حتى يذل الصعب * نعطى الجزاء أو يفىء النهب
* بكف ماض ليس فيه عتب *

«قال ابن هشام» أنشدنى أبو زيد الانصارى

قد علمت خيبر أنى كعب * واننى متى تشب الحرب
ماض على الهول جرىء صلب * معى حسام كالعقيق عضب
بكف ماض ليس فيه عتب * ندككم حتى يذل الصعب

«قال ابن هشام» ومرحب من حمير * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله

وقد خرجه أبو داوود وحديث الاباحة أصح غير ان مالكا رحمه الله نزع بآية من كتاب الله وهى ان الله جل ذكره ذكر الانعام فقال «ومنها تأكلون» ثم ذكر الخيل والبغال والحمير فقال «لتركبوها وزينة» وهذا انتزاع حسن ووجه الدليل من الآية أنه قال «والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع» فذكر الدفء والمنافع والاكل ثم أفرد الخيل والبغال والحمير بالذكر ثم جاء بلام العلة والنسب فقال لتركبوها أى لهذا سخرتها لكم فوجب أن لا يتعدى ما سخرت له وأما نهيه يوم خيبر عن لحوم الجلالة وعن ركوبها فهى التى تأكل الجلة وهو الروث والبعر وفى السنن للدارقطنى انه عليه السلام نهى عن أكل الجلالة حتى تعلف أربعين يوما وهذا نحو مما روى عنه عليه السلام انه كان لا يأكل الدجاج المخلاة حتى تقصر ثلاثة أيام ذكره الهروى * وذكر فى الحديث نهيه عليه الصلاة والسلام عن بيع الفضة بالفضة واباحة بيع الذهب بالورق فدل على ان الورق والفضة شىء واحد وقد فرق بينهما أبو عبيد فى كتاب الاموال فقال الرقة والورق ما كان سكة مضروبة فان كان حليا أو حلية أو نقرا لم يسم ورقا يريد بهذه التفرقة ان لا زكاة فى حلى الفضة والذهب لان النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر الزكاة قال فى الرقة الخمس وحين ذكر الربا قال الفضة بالفضة (قال المؤلف) وفى هذا الحديث الذى ذكره ابن اسحاق وفى أحاديث سواه قد تتبعتها ما يدل على خلاف ما قال منها قوله عليه السلام فى صفة الحوض يصب فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق وفى حديث عرفجة حين أصيب أنفه يوم الكلاب قال فاتخذت أنفا من ورق الحديث فى شواهد كثيرة تدل على ان الفضة تسمى ورقا على أى حال كانت * وقوله بالذهب العين والورق العين يريد النقد لان الغائب تسمى ضمارا كما قال وعينه كالكالىء الضمار وسمى الحاضر عينا لموضع المعاينه فالعين فى الاصل مصدر عنته أعينه اذا أبصرته بعينك وسمى المفعول بالمصدر ونحو منه الصيد لانه مصدر صدت أصيد وقد جاء فى التنزيل «لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم» فسماه بالمصدر ولعلك أن تلحظ من هذا المطلع معنى العين من قوله تعالى «ولتصنع على عينى» فقد أملينا فيها وفى مسئلة اليد مسئلتين لا يعدل بقيمتهما الدنيا بحذافيرها

﴿فصل﴾ ومما يتصل بحديث النهى عن أكل الحمر تنبيه على اشكال فى رواية مالك عن ابن شهاب فانه قال فيها نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الاهلية وهذا شىء لا يعرفه أحد من أهل السير ورواة الاثر ان المتعة حرمت يوم خيبر وقد رواه ابن عيينة عن ابن شهاب عن عبد الله

ابن سهل عن جابر بن عبد الله الانصارى قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا قال محمد بن مسلمة أنا له يارسول الله انا والله الموتور الثائر قتل أخى بالامس فقال فقم اليه اللهم أعنه عليه قال فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه مادونه منها حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم مافيها فنن ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت به فامسكته وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله * قال ابن اسحق ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول من يبارز فزعم هشام بن عروة ان الزبير بن العوام خرج الى ياسر فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابنى يارسول الله قال بل ابنك يقتله ان شاء الله فخرج الزبير فالتقيا فقتله الزبير * قال ابن اسحق فحدثنى هشام بن عروة أن الزبير كان اذا قيل له والله ان كان سيفك يومئذ لصارما عضبا قال والله ما كان صارما ولكنى أكرهته * قال ابن اسحق وحدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن أبيه سفيان عن سلمة بن عمرو بن الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه برايته وكانت بيضاء فيما قال ابن هشام الى بعض حصون خيبر فقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جهد ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار قال يقول سلمة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضوان الله عليه وهو أرمد فتفل فى عينه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك قال يقول سلمة فخرج والله بها يانح يهرول هرولة وانا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع اليه يهودى من رأس الحصن فقال من أنت قال أنا على بن أبى طالب قال يقول اليهودى علوتم وما أنزل على موسى أو كما قال قال فما رجع حتى فتح الله على يديه * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن الحسن عن بعض أهله عن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجنا مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطاح ترسه من يده فتناول على عليه السلام بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ فلقد رأيتنى فى نفر سبعة معى أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه * قال ابن اسحق وحدثنى بريدة بن سفيان الاسلمى عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليسر كعب بن عمرو قال والله انا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشية اذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل يطعمنا من هذه الغنم قال أبو اليسر فقلت أنا يارسول الله قال فافعل قال فخرجت أشتد مثل الظليم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا قال اللهم أمتعنا به قال فادركت الغنم وقد دخلت أولاها الحصن فاخذت شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدى ثم أقبلت بهما أشتد

ابن محمد فقال فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الحمر الاهلية عام خيبر وعن المتعة فمعناه على هذا اللفظ ونهى عن المتعة بعد ذلك أو فى غير ذلك اليوم فهو اذا تقديم وتاخير وقع فى لفظ ابن شهاب لا فى لفظ مالك لان مالكا قد وافقه على لفظه جماعة من رواة ابن شهاب وقد اختلف فى تحريم نكاح المتعة فاغرب ما روى فى ذلك رواية من قال ان ذلك كان فى غزوة تبوك ثم رواية الحسن ان ذلك كان فى عمرة القضاء والمشهور فى تحريم نكاح المتعة رواية الربيع بن سبرة عن أبيه ان ذلك كان عام الفتح وقد خرج مسلم الحديث بطوله وفى هذا أيضاً حديث آخر خرجه أبو داود ان تحريم نكاح المتعة كان فى حجة الوداع ومن قال من الرواة كان فى غزوة أوطاس فهو موافق لمن قال عام الفتح فتامله والله المستعان * وذكر قوله عليه السلام لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح على يديه وفى غير رواية ابن اسحق فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها ومعناه من الدوكة والدوكة وهو اختلاط الاصوات * وذكر ان عليا رضى الله عنه انطلق بالراية يانح وفى غير رواية ابن اسحق يؤج فمن رواه يانح فهو من الانيح وهو علو النفس يقال فرس أنوح من هذا ويروى عن عمر رضى الله عنه انه رأى رجلا يانح ببطنه فقال ما هذا فقال بركة من الله فقال بل هو عذاب عذبك به ومن رواه يؤج فمعناه يسرع يقال أجت الناقة تؤج اذا أسرعت فى مشيها وزاد الشيبانى عن ابن اسحق فى هذا الحديث حين ذكر ان عليا كان أرمد وان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى عينيه فبرأ قال فما وجعت عينه حتى مضى سبيله قال وكان على يلبس القباء المحشو الثخين فى شدة الحر فلا يبالى بالحر ويلبس الثوب الخفيف فى شدة البرد فلا يبالى بالبرد وسئل عن ذلك فاخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا له يوم خيبر حين رمدت عينه أن يشفيه الله وأن يجنبه الحر والبرد فكان ذلك

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث عبد الله بن مغفل حين احتمل جراب الشحم وأراد صاحب المغانم أخذه منه ولم يذكر اسم صاحب المغانم وروى عن ابن وهب انه قال كان على المغانم يوم خيبر أبو اليسر كعب بن عمرو ابن زيد الانصارى هكذا وجدته فى بعض كتب الفقه مرويا عن ابن وهب ولم يتصل لى به اسناد

كانه ليس معى شىء حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوهما فاكلوهما فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكا فكان اذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال امتعوا بى لعمرى حتى كنت من آخرهم هلكا * قال ابن اسحق ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص حصن بنى أبى الحقيق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية ابنة حيي بن أخطب وباخرى معها فمر بهما بلال وهو الذى جاء بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عنى هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال فيما بلغنى حين رأى بتلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ان قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه فسالها ما هو فاخبرته هذا الخبر

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله عنه فجحد ان يكون يعرف مكانه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك أأقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله عما بقى فابى أن يؤديه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ابن العوام فقال عذبه حتى تستاصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزنده فى صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة * وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر فى حصنيهم الوطيح والسلالم حتى اذا أيقنوا بالهلكة سالوه أن يسيرهم وان يحقن دماءهم ففعل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الاموال كلها الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم الا ما كان من ذينك الحصنين فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود أخو بنى حارثة فلما نزل أهل خيبر على ذلك سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم فى الاموال على النصف وقالوا نحن أعلم بها منكم وأعمر لها فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف على انا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر فيأ بين المسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب ابنة الحرث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية وقد سالت أى عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعته بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم

﴿ فصل ﴾ وذكر صفية بنت حيي وأمها بردة بنت سموال أخت رفاعة بن سموال المذكور فى الموطأ وانه اصطفاها لنفسه وفى حديث آخر عن عائشة قالت كانت صفية من الصفى والصفى ما يصطفيه أمير الجيش لنفسه قال الشاعر * لك المرباع منها والصفايا * فالمرباع ربع الغنيمة والصفى ما يصطفى للرئيس وكان هذا فى الجاهلية فنسخ المرباع بالخمس وبقى أمر الصفى وكانت أموال النبى صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه من الصفى والهدية تهدى اليه وهو فى بيته لا فى الغزو من بلاد الحرب ومن خمس الخمس وروى يونس عن ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع الانصارى قال حدثنى عثمان بن كعب القرظى قال لى رجل من بنى النضير كان فى حجر صفية بنت حيي من رهطها يقال له ربيع عن صفية بنت حيي قالت ما رأيت أحدا قط أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيته ركب بى من خيبر حين أفاء الله عليه على ناقته ليلا فجعلت أنعس فيضرب رأسى مؤخرة الرحل فيمسنى بيده ويقول يا هذه مهلا يا ابنة حيي حتى اذا جاء الصهباء قال أما انى أعتذر اليك يا صفية مما صنعت بقومك انهم قالوا لى كذا وقالوا لى كذا وحديث اصطفائه صفية يعارضه فى الظاهر الحديث الآخر عن أنس انها صارت لدحية فاخذها منه وأعطاه سبعة أرؤس ويروى انه أعطاه بنتى عمها عوضا منها ويروى أيضا انه قال له خذ رأسا آخر مكانها ولا معارضة بين الحديثين فانما أخذها من دحية قبل القسم وما عوضه منها ليس على جهة البيع ولكن على جهة النفل والهبة والله أعلم غير أن بعض رواة الحديث فى المسند الصحيح يقولون فيه انه اشترى صفية من دحية وبعضهم يزيد فيه بعد القسم فالله أعلم اى ذلك كان وكان أمر الصفى انه كان عليه السلام اذا غزا فى الجيش اختار من الغنيمة قبل القسم رأسا

يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور قد اخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرنى انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قال بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر قال فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر من أكلته التى أكل * قال ابن اسحق وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده يا أم بشر ان هذا الاوان وجدت فيه انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر قال فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة * قال ابن اسحق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف الى وادى القرى فحاصر أهله ليالى ثم انصرف راجعا الى المدينة * قال ابن اسحق فحدثنى ثور بن زيد عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبى هريرة قال فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر الى وادى القرى نزلنا بها أصيلا مع مغرب الشمس ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له أهداه له رفاعة بن زيد الجذامى ثم الضبى «قال ابن هشام» جذام أخو لخم قال فوالله انه ليضع رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه سهم غرب فاصابه فقتله فقلنا هنيا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذى نفس محمد بيده ان شملته الآن لتحترق عليه فى النار وكان غلها من فىء المسلمين يوم خيبر قال فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فقال يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لى قال فقال يقد لك مثلهما من النار * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن مغفل المزنى قال أصبت من فىء خيبر جراب شحم فاحتملته على عاتقى الى رحلى وأصحابى قال فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها فاخذ بناحيته وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين قال قلت لا والله لا أعطيكه قال فجعل يجابذنى الجراب قال فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ثم قال لصاحب المغانم لا أبا لك خل بينه وبينه قال فارسله فانطلقت به الى رحلى وأصحابى فاكلناه * قال ابن اسحق ولما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بخيبر او ببعض الطريق وكانت التى جملتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك فبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له وبات أبو أيوب خالد بن زيد أخو بنى النجار متوشحا سيفه يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطيف بالقبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى مكانه قال مالك يا أبا أيوب قال يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى * قال ابن اسحق وحدثنى الزهرى عن سعيد بن المسيب قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام قال بلال أنا يا رسول الله أحفظه عليك فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الناس فناموا وقام بلال يصلى فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلى ثم استند الى بعيره واستقبل الفجر يرمقه فغلبته عينه فنام فلم يوقظهم الا مس الشمس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب

وضرب له بسهم مع المسلمين فاذا قعد ولم يخرج مع الجيش ضرب له بسهم ولم يكن له صفى ذكره أبو داود وأمر الصفى بعد الرسول عليه السلام لامام المسلمين فى قول أبى ثور وخالفه جمهور الفقهاء وقالوا كان خصوصا للنبى عليه السلام * وقوله أعتقها وجعل عتقها صداقها هو صحيح فى النقل وقال به كثير من العلماء ومن لم يقل به من الفقهاء تأوله خصوصا بالنبى صلى الله عليه وسلم أو منسوخا وممن لم يقل به مالك بن أنس وجماعة سواه لا يرون مجرد العتق يغنى عن صداق * وذكر حديث حنش الصنعانى عن رويفع بن ثابت هو حنش بن عبد الله السبائى جاز الى الاندلس مع موسى بن نصير وهو الذى ابتنى جامع سرقسطة وأسس جامع قرطبة أيضاً فيما ذكروا وتوهم البخارى انه حنش بن على وان الاختلاف فى اسم أبيه وقد فرق بينهما على بن المدينى فقال حنش بن على السبائى من صنعاء الشام ومنها أبو الاشعث الصنعانى وحنش بن عبد الله السبائى من صنعاء اليمن وكلاهما يروى عن على فمن ههنا دخل الوهم على البخارى هكذا ذكر أبو بكر الخطيب ويروى عن على أيضاً حنش بن ربيعة وحنش بن المعتمر وهما غير هذين * وفيه ان لا توطأ حامل من السبايا حتى تضع وذكر باقى الحديث وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر انه نظر الى أمة مجح أى مغرب فسأل عن صاحبها فقيل انه يلم بها فقال لقد هممت أن ألعنه لعنة تدخل معه فى قبره وذكر الحديث فهذا وجه فى معنى قوله لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره يعنى اتيان الحبالى من السبايا فان فعل فالولد مختلف فى الحاقه به فقال مالك والشافعى لا يلحق به وقال الليث يلحق به لقول النبى صلى الله عليه وسلم كيف يستعبده وقد غذاه فى سمعه وبصره

فقال ما ذا صنعت بنا يا بلال قال يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك قال صدقت ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس ثم أمر بلالا فاقام الصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فلما سلم أقبل على الناس فقال اذا نسيتم الصلاة فصلوها اذا ذكرتموها فان الله تبارك وتعالى يقول أقم الصلاة لذكرى * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى قد أعطى ابن القيم العبسى حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن وكان فتح خيبر فى صفر فقال ابن القيم العبسى فى خيبر

رميت نطاة من الرسول بفيلق
شهباء ذات مناكب وفقار
واستيقنت بالذل لما شيعت
ورجال أسلم وسطها وغفار
صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة
والشق أظلم أهله بنهار
جرت بأبطحها الذيول فلم تدع
الا الدجاج تصيح فى الاسحار
ولكل حصن شاغل من خيلهم
من عبد الاشهل أو بنى النجار
ومهاجرين قد أعلموا سيماهم
فوق المغافر لم ينوا الفرار
ولقد علمت ليغلبن محمد *
وليثوين بها الى أصفار
فرت يهود يوم ذلك فى الوغى * تحت العجاج غمائم الابصار

«قال ابن هشام» وقرنها

فرت كشفت كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها يريد كشفت عن جفون العيون غمائم الابصار يريد الانصار * قال ابن اسحق وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفىء ولم يضرب لهن بسهم

﴿فصل﴾ ومما يتصل بقصة مرحب اليهودى مع على بن أبى طالب رضى الله عنه من غير رواية الكتاب قول على

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * أضرب بالسيف رؤس الكفره * أكيلهم بالصاع كيل السندره

أى أجزيهم بالوفاء والسندرة شجرة يصنع منها مكاييل عظام وفى قوله رضى الله عنه سمتنى أمى حيدره ثلاثة أقوال ذكرها قاسم بن ثابت أحدها ان اسمه فى الكتب المتقدمة أسد والاسد هو الحيدرة الثانى ان أمه فاطمة بنت أسد حين ولدته كان أبوه غائبا فسمته باسم أبيها أسد فقدم أبوه فسماه عليا الثالث انه لقب فى صغره بحيدرة لان الحيدرة الممتلى لحما مع عظم بطن وكذلك كان على رضى الله عنه ولذلك قال بعض اللصوص حين فر من سجنه الذى كان يسمى نافعا وقيل فيه يافع أيضاً بالياء

ولوانى مكثت لهم قليلا * لجرونى الى شيخ بطين

وذكر شقا والنطاه وشق بالفتح اعرف عند أهل اللغة كذلك قيده البكرى * وذكر وادى خاص من أرض خيبر وقال أبو الوليد دائما هو وادى خلص باللام والاول تصحيف وقال البكرى هو خلص باللام وأنشد البكرى لخالد بن عامر

وان بخلص خلصارة بدنا * نواعم كالغزلان مرضى عيونها

﴿فصل﴾ وذكر فى أشعار خيبر قول العبسى وفى آخره

فرت يهود يوم ذلك فى الوغا * تحت العجاج غمائم الابصار

وهو بيت مشكل غيران فى بعض النسخ وهى قليلة عن ابن هشام انه قال فرت فتحت من قولك فرت الدابة اذا فتحت فاها وغمائم الابصار هى مفعول فرت وهى جفون أعينهم هذا قول وقد يصح ان يكون فرت من الفرار وغمائم الابصار من صفة العجاج وهو الغبار ونصبه على الحال من العجاج وان كان لفظه لفظ المعرفة عند من ليس بشاذ فى النحو ولا ماهر فى العربية وأما عند أهل التحقيق فهو نكرة لانه لم يرد الغمائم حقيقة وانما أراد مثل الغمائم فهو مثل قول امرىء القيس * بمنجرد قيد الاوابد هيكل * فقيدها هنا نكرة لانه أراد مثل القيد ولذلك نعت به منجردا أو جعله فى معنى مقيد وكذلك قول عبدة بن الطيب * تحية من غادرته غرض الردى * فنصب غرضا على الحال وأصح الاقوال فى قوله سبحانه «زهرة الحياة الدنيا» انه حال من المضمر المخفوض لانه أراد التشبيه بالزهرة من النبات ومن هذا النحو قولهم جاء القوم الجماء الغفير انتصب على الحال وفيه الالف واللام وهو من باب ما قدمناه من التشبيه وذلك أن الجماء هى بيضة الحديد تعرف بالجماء والصلعاء فاذا جعل معها المغفر فهى غفير فاذا قلت جاؤا الجماء الغفير فانما أردت العموم والاحاطة بجميعهم أى جاؤا جيئة تشملهم وتستوعبهم كما تحيط البيضة الغفير بالرأس فلما قصدوا معنى التشبيه دخل الكلام التنكير كما تقدم وكذلك قولهم تفرقوا أيدى سبا وأيادى سبا أى مثل أيدى سبا فحسنت فيه الحال لذلك والذى قلناه فى معنى الجماء الغفير رواه أبو حاتم عن ابى عبيدة وكان علامة بكلام العرب ولم يقع سيبويه على هذا الغرض فى معنى الجماء فجعلها كلمة شاذة عن القياس واعتقد فيها التعريف

وقرنها بباب وحده وفى باب وحده أسرار قد أمليناها فى غير هذا الكتاب ومسئلة وحده تختص بباب وحده وهذا الذى ذكرنا من التنكير بسبب التشبيه انما يكون اذا شبهت الاول باسم مضاف وكان التشبيه بصفة متعدية الى المضاف اليه كقوله قيد الاوابد أى مقيد الاوابد ولو قلت مررت بامرأة القمر على التشبيه لم يجز لان الصفة التى وقع بها التشبيه غير متعدية الى القمر فهذا شرط فى هذه المسئلة ومما يحسن فيه التنكير وهو مضاف الى معرفة اتفاق اللفظين كقوله له صوت صوت الحمار وزئير زئير الاسد ﴿فان قلت﴾ فما بال الجماء الغفير جاز فيها الحال وليست بمضافة ﴿قلنا﴾ لم تقل العرب جاء القوم البيضة فيكون مثل ما قدمناه من قولك مررت بهذا القمر وانما قالوا الجماء الغفير بالصفة الجامعة بينها وبين ما هى حال منه وتلك الصفة الجم وهو الاستواء والغفر وهى التغطية فمعنى الكلام جاؤا اجيئة مستوية لهم موعبة لجميعهم فقوى معنى التشبيه بهذا الوصف فدخل التنكير لذلك وحسن النصب على الحال وهى حال من المجىء

﴿فصل﴾ وذكر حديث الشاة المسمومة وأكل بشر بن البراء منها وفيه ان الذراع كانت تعجبه لانها هادى الشاة وأبعدها من الاذى فلذلك جاء مفسرا فى هذا اللفظ * فأما المرأة التى سمته فقال ابن اسحق صفح عنها وقد روى أبو داود انه قتلها ووقع فى كتاب شرف المصطفى انه قتلها وصلبها وهى زينب بنت الحارث بن سلام وقال أبو داود هى أخت مرحب اليهودى وروى أيضاً مثل ذلك ابن اسحق ووجه الجمع بين الروايتين انه عليه السلام صفح عنها أول لانه كان صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر بن البراء من تلك الاكلة قتلها وذلك ان بشرا لم يزل معتلا من تلك الاكلة حتى مات منها بعد حول وقال النبى صلى الله عليه وسلم عند موته مازالت أكلة خيبر تعادنى فهذا أوان قطعت ابهرى وكان ينفث منها مثل عجم الزبيب وتعادنى أى تعتادنى المرة بعد المرة قال الشاعر

ألاقى من تذكر آل ليلى * كما يلقى السليم من العداد

والابهر عرق مستبطن القلب قال ابن مقبل

وللفؤاد وجيب تحت أبهره * لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

وقد روى معمر بن راشد فى جامعه عن الزهرى انه قال أسلمت فتركها النبى صلى الله عليه وسلم قال معمر هكذا قال الزهرى أسلمت والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم وفى جامع معمر بن راشد أيضاً ان أم بشر بن البراء قالت للنبى صلى الله عليه وسلم فى المرض الذى مات منه ما تتهم يا رسول الله فانى لا أتهم ببشر الا الاكلة التى أكلها معك بخيبر فقال وأنا لا أتهم بنفسى الا ذلك فهذا أوان قطعت أبهرى

﴿فصل﴾ وذكر حديث الغفارية التى شهدت خيبر ولم يسمها وقد يقال اسمها ليلى ويقال هى امرأة أبى ذر الغفارى وقولها رضخ لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصل الرضخ ان تكسر من الشىء الرطب كسرة فتعطيها * وأما الرضح بالحاء المهملة فكسر اليابس الصلب قال الشاعر * كما تطاير عن مرضاحه العجم * وقولها أمرنى أن اجعل فى طهورى ملحا فيه رد على من زعم من الفقهاء ان الملح فى الماء اذا غير طعمه صيره مضافا طاهرا غير مطهر وفى هذا الحديث ما يدفع قوله ومن طريق النظر أن المخالط للماء اذا غلب على أحد أوصافه الثلاثة الطعم أو اللون أو الرائحة كان حكم الماء كحكم المخالط له فان كان طاهرا غير مطهر كان الماء به كذلك واذا كان لا طاهرا ولا مطهرا كالبول كان الماء لمخالطته كذلك وان كان المخالط له طاهرا مطهرا كالتراب كان الماء طاهرا مطهرا والملح ان كان

* قال ابن اسحق حدثنى سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبى الصلت عن امرأة من بنى غفار قد سماها لى قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من بنى غفار فقلنا يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك الى وجهك هذا وهو يسير الى خيبر فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال على بركة الله قالت فخرجنا معه وكنت جارية حدثة فاردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله قالت فوالله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصبح وأناخ ونزلت عن حقيبة رحله واذا بها دم منى وكانت أول حيضة حضتها قالت فتقبضت الى الناقة واستحييت فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بى ورأى الدم قال مالك لعلك نفست قالت قلت نعم قال فاصلحى من نفسك ثم خذى اناء من ماء فاطرحى فيه ملحا ثم اغسلى به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك قالت فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر رضخ لنا من الفىء وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فاعطانيها وعلقها بيده فى عنقى فوالله لا تفارقنى أبدا قالت فكانت فى عنقها حتى ماتت ثم أوصت ان تدفن معها قالت وكانت لا تطهر من حيضة الا جعلت فى طهورها ملحا وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت

* قال ابن اسحق وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين * من قريش ثم من بنى أمية بن عبد شمس ثم من حلفائهم ربيعة بن أكثم بن صخيرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد * وثقف بن عمرو * ورفاعة بن مسروح * ومن بنى أسد بن عبد العزى عبد الله بن الهبيب ويقال الهبيب فيما قال ابن هشام بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بنى سعد بن ليث حليف لبنى أسد وابن أختهم * ومن الانصار ثم من بنى سلمة بشر بن البراء بن معرور مات من الشاة التى سم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفضيل بن النعمان رجلان * ومن بنى زريق مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق * ومن الاوس ثم من بنى عبد الاشهل محمود بن مسلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحرث حليف لهم من بنى حارثة * ومن بنى عمرو بن عوف أبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرى القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف * والحرث بن حاطب * وعروة بن مرة بن سراقة * وأوس بن القائد * وأنيف بن حبيب * وثابت ابن أثلة * وطلحة * ومن بنى غفار عمارة بن عقبة رمى بسهم * ومن أسلم عامر بن الاكوع * والاسود الراعى وكان اسمه أسلم «قال ابن هشام» الاسود الراعى من أهل خيبر * وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهرى من بنى زهرة مسعود بن ربيعة حليف لهم من القارة * ومن الانصار من بنى عمرو ابن عوف أوس بن قتادة

﴿ أمر الاسود الراعى فى حديث خيبر ﴾

* قال ابن اسحق وكان من حديث الاسود الراعى فيما بلغنى أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم له كان فيها أجيرا لرجل من يهود فقال يارسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فأسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحدا أن يدعوه الى الاسلام و يعرضه عليه الا فلما أسلم قال يارسول الله انى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم وهى أمانة عندى فكيف أصنع بها قال اضرب فى وجوهها فانها سترجع الى ربها أو كما قال فقام الاسود فاخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوهها وقال ارجعى الى صاحبك فوالله لا أصحبك أبدا فخرجت مجتمعة كان سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم الى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط فاتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا يارسول الله لم أعرضت عنه قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين * قال ابن اسحق وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح انه ذكر له ان الشهيد اذا ما أصيب تدلت زوجتاه من الحور العين عليه تنفضان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك

﴿ أمر الحجاج بن علاط ﴾

* قال ابن اسحاق ولما فتحت خيبر كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ماء جامدا فهو فى الاصل طاهر مطهر وان كان معدنيا ترابيا فهو كالتراب فى مخالطة الماء فلا معنى لقول من جعله ناقلا للماء عن حكم الطهارة والتطهير ووقع فى رواية يونس فى السيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم اغتسل عام الفتح من جفنة فيها ماء وكافور ومحمل هذه الرواية عندى ان صحت على انه قصد بها التطيب وانه لم يكن محدثا ولا بى حنيفة فى هذه الرواية متعلق لترخيصه * وذكر فيمن استشهد بخيبر أبا الضياح بن ثابت ولم يسمه وقال الطبرى اسمه النعمان بن ثابت بن النعمان وقال غيره اسمه عمير * وذكر فيمن استشهد عامر بن الاكوع وهو الذى رجع عليه سيفه فقتله فشك الناس فيه فقالوا اقتله سلاحه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال انه جاهد مجاهد وقل عربى مشابها مثله وفى رواية مشى بها مثله و يروى أيضاً نشأ بها مثله كل هذا يروى فى الجامع الصحيح وهذا اضطراب من رواة الكتاب فمن قال مشى بها مثله فالهاء عائدة على المدينة كما تقول ليس بين لابتيها مثل فلان يقال هذا فى المدينة وفى الكوفة ولا يقال فى بلد ليس حوله لابتان أى حرتان ويجوز ان تكون الهاء عائدة على الارض كما قال سبحانه «كل من عليها فان» ومن رواه مشابها مفاعلا من الشبه فهو حال من عربى والحال من النكرة لا باس به اذا دلت على تصحيح معنى كما جاء فى الحديث فصلى خلفه رجال قياما الحال ههنا مصححة لفقه الحديث أى صلوا فى هذه الحال ومن احتج فى الحال من النكرة بقولهم وقع أمر فجأة فلم يصنع شيأ لان فجأة ليس حالا من أمر انما هو حال من الوقوع كما تقول جاءنى رجل مشياً فليس مشياً حال من رجل كما توهموا وانما هى حال من المجىء لان الحال هى صاحب الحال وتنقسم أقساما حال من فاعل كقولك جاء زيد ماشيا وحال من الفعل كقولك جاء زيد مشيا و ركضا وحال من المفعول كقولك جاءنى القوم جالساً فهى صفة المفعول فى وقت وقوع الفعل عليه أو صفة الفاعل فى وقت وقوع الفعل منه أو صفة الفعل فى وقت وقوعه ونعنى بالفعل المصدر

﴿ فصل وذكر حديث الحجاج بن علاط السلمى ﴾ وقد ذكرنا فى حديث اسلامه خبراً عجيبا اتفق له مع الجن وهو والد نصر بن حجاج الذى حلق عمر رأسه ونفاه من المدينة لما سمع قول المرأة فيه

الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى فقال يارسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة وكانت عنده له منها معرض بن الحجاج ومال متفرق فى تجار أهل مكة فاذن لى يارسول الله فاذن له قال انه لا بدلى يارسول الله من أن أقول قال قل قال الحجاج فخرجت حتى اذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون الاخبار و يسالون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغهم انه قد سار الى خيبر وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجالا فهم يتحسسون الاخبار و يسالون الركبان فلما رأونى قالوا الحجاج بن علاط قال ولم يكونوا علموا باسلامى عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا محمد فانه قد بلغنا ان القاطع قد سار الى خيبر وهى بلد يهود و ريف الحجاز قال قلت قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم قال فالتبطوا بجنبى ناقتى يقولون ايه يا حجاج قال قلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد أسرا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة وقالوا قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال قلت أعينونى على جميع مالى بمكة وعلى غرمائى فانى اريد ان اقدم خيبر فاصيب من فل محمد واصحابه قبل ان يسبقنى التجار الى ماهنالك «قال ابن هشام» و يقال من فىء محمد * قال ابن اسحق قال فقاموا فجمعوا الى مالى كاحث جمع سمعت به قال وجئت صاحبتى فقلت مالى وقد كان لى عندها مال موضوع لعلى ألحق بخيبر فاصيب من فرص البيع قبل ان يسبقنى التجار قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عنى اقبل حتى وقف الى جنبى وانا فى خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذى جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك قال نعم قال قلت فاستاخر عنى حتى ألقاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف عنى حتى افرغ قال حتى اذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة واجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ على حديثى يا ابا الفضل فانى اخشى الطلب ثلاثا ثم قل ماشئت قال افعل قال فانى والله لقد تركت ابن اخيك عروسا على بنت ملكهم يعنى صفية بنت حيي ولقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولاصحابه فقال ما تقول يا حجاج قال قلت اى والله فاكتم عنى ولقد اسلمت وما جئت الا لآخذ مالى فرقا من ان اغلب عليه فاذا امضت ثلاث فاظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال حتى اذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا ابا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والله الذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما فاخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد واصحابه فيكون معه قالوا يا لعباد الله انفلت عدو الله اما والله لو علمنا لكان لنا وله شان قال ولم ينشبوا ان جاءهم الخبر بذلك * قال ابن اسحق وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسان بن ثابت

بئس ما قاتلت خيابر عما * جمعوا من مزارع ونخيل
كرهوا الموت فاستبيح حماهم * واقروا فعل اللئيم الذليل
امن الموت تهربون فان الـموت موت الهزال غير جميل

وقال حسان بن ثابت ايضا وهو يعذر ايمن بن ام ايمن بن عبيد وكان قد تخلف عن خيبر وهو من بنى عوف بن الخزرج وكانت امه ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ام اسامة بن زيد فكان أخا اسامة لامه

ألا سبيل الى خمر فاشربها * أم لا سبيل الى نصر بن حجاج

وهذه المرأة هى الفريعة بنت همام و يقال انها أم الحجاج بن يوسف ولذلك قال له عروة بن الزبير يا ابن المتمنية وكان من أحسن الناس لمة ووجها فاتى الشام فنزل على أبى الاعور السلمى فهويته امرأته وهواها وفطن أبو الاعور لذلك بسبب يطول ذكره فابتنى له قبة فى أقصى الحى فكان بها فاشتد ضناه بالمرأة حتى مات كلفا بها وسمى المضنى وضربت به الامثال وذكر الاصبهانى فى كتاب الامثال له خبره بطوله وقوله الحجاج بن علاط والعلاط وسم فى العنق و يقال له العلطة أيضا وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم لا بد لى ان أقول فقال له قل يعنى التكذب فاباحه له لانه من خدع الحرب وقال المبرد انما صوابه أتقول اذا أردت معنى التكذب وأخذ هذا المعنى حبيب فقال

بحسب امرئ أثنى عليك بانه * يقول وان أربى فلا يتقول

أى يقول الحق اذا مدحك وان أفرط فليس افراطه بتقول وذكر غير ابن اسحق فى حديث حجاج ان قريشا قالت حين أفلتهم أولى له وهى كلمة معناها الوعيد وفى التنزيل «أولى لك فاولى» فهى على وزن أفعل من ولى أى قد وليه الشر وقال الفارسى هى اسم علم ولذلك لم ينصرف وجدت هذا فى بعض مسائله ولا تتضح لى العلمية فى هذه الكلمة وانما هو عندى كلام حذف منه والتقدير الذى تصير اليه من الشر أو العقوبة أولى لك أى ألزم لك أى انه يليك وهو أولى لك مما فررت منه فهو فى موضع رفع ولم ينصرف لانه وصف على وزن أفعل وقول الفارسى هو فى موضع نصب جعله من باب تباله غير انه جعله علما لما رآه غير منون

﴿فصل﴾ وذكر شعر حسان فى ابن أم أيمن واسم أبيه عبيد واسم أمه أم أيمن بركة وهى ام أسامة بن زيد

على حين أن قالت لايمن أمه * جبنت ولم تشهد فوارس خيبر وأيمن لم يجبن ولكن مهره * أضر به شرب المديد المخمر

ولولا الذى قدكان من شان مهره * لقاتل فيهم فارسا غير أعسر ولكنه قد صده فعل مهره * وما كان منه عنده غير أيسر

«قال ابن هشام» أنشدنى أبوزيد هذه الابيات لكعب بن مالك وأنشدنى ولكنه قد صده شان مهره * وما كان لولا ذاكم بمقصر

* قال ابن اسحق وقال ناجية بن جندب الاسلمى يالعباد الله فيم يرغب * ماهو الا مأكل ومشرب * وجنة فيها نعيم معجب *

وقال ناجية بن جندب الاسلمى أيضا أنا لمن أنكرنى ابن جندب * يارب قرن فى مكرى أنكب * طاح بمغدى أنسر وثعلب *

« قال ابن هشام» أنشدنى بعض الرواة للشعر قوله فى مكرى وطاح بمغدى وقال كعب بن مالك فى يوم خيبر فيما ذكر ابن هشام عن أبى زيد الانصارى

ونحن وردنا خيبرا وفروضه

بكل فتى عارى الاشاجع مذود

جواد لدى الغايات لا واهن القوى

جرىء على الاعداء فى كل مشهد

عظيم رماد القدر فى كل شتوة

ضروب بنصل المشرفى المهند

يرى القتل مدحا ان أصاب شهادة

من الله يرجوها وفوزا باحمد

يذود ويحمى عن ذمار محمد

ويدفع عنه باللسان واليد

وينصره من كل أمر يريبه

يجود بنفس دون نفس محمد

يصدق بالانباء بالغيب مخلصا

يريد بذاك الفوز والعز فى غد

يقال لها أم الظباء قال الواقدى اسمها بركة بنت ثعلبة وكانت أمة لعبد الله بن عبد المطلب وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول أم ايمن أمى بعد أمى ويقال كانت لآمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم وهى التى هاجرت على قدميها من مكة الى المدينة وليس معها أحد وذلك فى حر شديد فعطشت فسمعت حفيفا فوق رأسها فالتفتت فاذا دلو قد أدليت لها من السماء فشربت منها فلم تظما أبدا وكانت تتعهد الصوم فى حارة القيظ لتعطش فلا تعطش وكان النبى صلى الله عليه وسلم يزورها وكان الخليفتان يزورانها بعده وقد روى مثل قصتها عن أم شريك الدوسية انها عطشت فى سفر فلم تجد ماء الا عند يهودى وأبى أن يسقيها الا أن تدين بدينه فابت الا أن تموت عطشا فدليت لها دلو من السماء فشربت ثم رفعت الدلو وهى تنظر ذكر خبرها ابن اسحاق فى السيرة من غير رواية ابن هشام وهو أطول مما ذكرنا * وقول حسان

وأيمن لم يجبن ولكن مهره * أضرّ به شرب المديد المخمر

المديد وقع فى الاصل وهو معروف ولكن الفيت فى حاشية الشيخ عن ابن دريد المريد براء والمريس أيضا وهو تمر ينقع ثم يمرس وأنشد * مسنفات تسقى ضياح المريد * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى أيوب حين بات يحرسه حرسك الله يا أبا أيوب كما بت تحرس نبيه ﴿قال المؤلف﴾ فحرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة حتى ان الروم لتحرس قبره ويستسقون به ويستصحون وذلك انه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين فلما بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب هنالك وأوصى يزيد أن يدفنه فى أقرب موضع من مدينة الروم فركب المسلمون ومشوا به حتى اذا لم يجدوا مساغا دفنوه فسألتهم الروم عن شأنهم فاخبروهم انه كبير من أكابر الصحابة فقالت الروم ليزيد ما أحمقك وأحمق من أرسلك أأمنت ان ننبشه بعدك فنحرق عظامه فاقسم لهم يزيد لئن فعلوا ذلك لنهدمن كل كنيسة بارض العرب ولننبشن قبورهم فحينئذ حلفوا لهم بدينهم ليكرمن قبره وليحرسنه ما استطاعوا فروى ابن القاسم عن ملك قال بلغنى ان الروم يستسقون بقبر أبى أيوب رحمه الله فيسقون

﴿قسم أموال خيبر وأراضيها﴾

أما قسم غنائمها فلا خلاف فيه وفى كل مغنم بنص القرآن كما تقدم فى غزاة بدر وأما أرضها فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بين من حضرها من أهل الحديبية وأخرج الخمس لله ولرسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين

﴿ذكر مقاسم خيبر وأموالها﴾

* قال ابن اسحق وكانت المقاسم على أموال خيبر على الشق ونطاة والكتيبة فكانت الشق ونطاة فى سهمان المسلمين وكانت الكتيبة خمس الله وسهم النبى صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وطعم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فدك بالصلح منهم محيصة بن مسعود وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقا من شعير وثلاثين وسقا من تمر وقسمت خيبر على أهل الحديبية من شهد خيبر ومن غاب عنها ولم يغب عنها الا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها وكان وادياها وادى السرير ووادى خاص وهما اللذان قسمت عليهما خيبر وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهما نطاة من ذلك خمسة أسهم

والشق ثلاثة عشر سهما وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم الرجال أربع عشرة مائة والخيل مائتا فرس فكان لكل فرس سهمان ولفارسه سهم وكان لكل راجل سهم فكان لكل سهم رأس جمع اليه مائة رجل فكانت ثمانية عشر سهما جمع «قال ابن هشام» وفى يوم خيبر عرب رسول الله صلى الله عليه وسلم العربى من الخيل وهجن الهجين * قال ابن اسحق فكان على بن أبى طالب رأسا والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى أخو بنى العجلان وأسيد بن الحضير وسهم بن الحرث بن الخزرج وسهم ناعم وسهم بنى بياضة وسهم بنى عبيدة وسهم بنى حرام من بنى سلمة وعبيد السهام «قال ابن هشام» وانما قيل له عبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر وهو عبيد بن أوس أحد بنى حارثة بن الحرث بن الخزج بن عمرو بن مالك بن الاوس * قال ابن اسحق وسهم ساعدة وسهم غفار وأسلم وسهم النجار وسهم حارثة وسهم أوس فكان أول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير بن العوام وهو الخوع وتابعه السرير ثم كان الثانى سهم بياضة ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بنى الحرث بن الخزرج ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف ابن الخزرج ومزينة وشركائهم وفيه قتل محمود بن مسلمة فهذه نطاة ثم هبطوا الى الشق فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى أخى بنى العجلان ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ثم سهم ساعدة ثم سهم النجار ثم سهم على بن

والمساكين وابن السبيل وقد تقدم الكلام فى معنى لله ولرسوله ومامعنى سهم الله وسهم الرسول ولولا الخروج عما صمدنا اليه لذكرنا سرا بديعا وفقها عجيبا فى قوله تعالى لله وللرسول ولذى القربى باللام ولم يقل ذلك فى اليتامى والمساكين وقال وللرسول وقال فى أول السورة «قل الانفال لله والرسول» وقال فى آية الفىء «ما أفاء الله على رسوله فلله وللرسول» ولم يقل رسوله وكل هذا الحكمة وحاشى لله ان يكون حرف من التنزيل خاليا من حكمة وقال أبو عبيد فى كتاب الاموال قسم النبى صلى الله عليه وسلم أرض خيبر اثلاثا اثلاثا السلالم والوطيح والكتيبة فانه تركها النوائب المسلمين ومايعروهم وفى هذا مايقوى ان الامام مخير فى أرض العنوة ان شاء قسمها أخذا بقول الله سبحانه واعلموا أنما غنمتم من شىء الآية فيجرى بها مجرى الغنيمة وان شاء وقفها كما فعل عمر رضى الله عنه أخذا بقول الله تعالى «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الى قوله والذين جاؤا من بعدهم» فاستوعبت آية الفىء جميع المسلمين ومن يأتى بعدهم فسمى آية القرى فيئا وسمى الاخرى غنيمة فدل على افتراقهما فى الحكم كما افترقا فى التسمية وكما اختلف الفقهاء فى هذه المسألة على أقوال منهم من يرى قسم الارض كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر وهو قول الشافعى ومنهم من يراها وقفا على المسلمين لبيت مالهم ومنهم من يقول بتخيير الامام فى ذلك فكذلك افترق رأى الصحابة عند افتتاح البلاد فكان رأى الزبير القسم فكلم عمرو بن العاصى حين افتتح مصر فى قسمها فكتب عمرو بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر أن دعها ولا تقسمها حتى يجاهد منها حبل الحبلة وقد شرحنا هذه الكلمة فى المبعث قبل هذا باجزاء وكذلك استأمر عمر رضى الله عنه الصحابة فى قسم أرض السواد حين افتتحت فكان رأى على مع رأى عمر رضى الله عنهما ان يقفها ولا يقسمها وأرض السواد أولها من تخوم الموصل مدامع الماء الى عبادان من الساحل عن يسار دجلة وفى العرض من جبال حلوان الى القادسية متصلا بالعذيب من أرض العرب كذا قال أبو عبيد وكانت العرب تقول دلع البرلسانه فى السواد لان أرض القادسية كلسان من البرية داخل فى سواد العراق حكاها الطبرى ولما سار عمر الى الشام وكان بالجابية شاور فيما افتتح من الشام أيقسمها فقال له معاذ ان قسمتها لم يكن لمن يأتى بعد من المسلمين شىء أو نحو هذا فاخذ بقول معاذ فألح عليه بلال فى جماعة من أصحابه وطلبوا القسم فلما أكثروا قال اللهم اكفنى بلالا وذويه فلم يأت الحول ومنهم على الارض عين تطرف وكانت أرض الشام كلها عنوة الا مدائنها فان أهلها صالحوا عليها وكذلك بيت المقدس فتحها عمر صلحا بعد ان وجه اليها خالد بن ثابت الفهمى فطلبوا منه الصلح فكتب بذلك الى عمر وهو بالجابية فقدمها وقبل صالح أهلها وارض السواد كلها عنوة الا الحيرة فان خالد بن الوليد صالح أهلها وكذلك أرض بانقيا أيضا صلح وأخرى يقال لها الليس وأرض خراسان عنوة الا ترمذ فانها قلعة منيعة وقلاع سواها وأما أرض مصر فكان الليث بن سعد قد اقتنى بها مالا وعاب ذلك عليه جماعة منهم يحيى بن أيوب ومالك بن أنس لان أرض العنوة لا تشترى وكان الليث يروى عن يزيد بن أبى حبيب انها فتحت صلحا وكلا الخبرين حق لانها فتحت صلحا أولا ثم انتكثت بعد فاخذت عنوة فمن ههنا نشأ الخلاف فى أمرها قاله أبو عبيد وقد احتج من قال بالقسم فى أرض العنوة بان عمر لم يقف أرض السواد وغيرها حتى استطاب نفوس المفتتحين لها وأعطاهم حتى أرضاهم ورووا ان أم كرز البجلية سألت سهم أبيها فى أرض السواد وأبت ان تتركه فيئا حتى أعطاها

أبى طالب رضوان الله عليه ثم سهم طلحة بن عبيد الله ثم سهم غفار وأسلم ثم سهم عمر بن الخطاب ثم سهما سلمة بنى عبيد و بنى حرام ثم سهم حارثة ثم سهم عبيد السهام ثم سهم أوس ثم سهم اللفيف جمعت اليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب وكان حذوه سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة وهى وادى خاص بين قرابته و بين نسائه و بين رجال من المسلمين و نساء أعطاهم منها فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مائتى وسق ولعلى بن أبى طالب مائة وسق ولاسامة بن زيد مائتى وسق وخمسين و سقا من نوى ولعائشة أم المؤمنين مائتى وسق ولابى بكر بن أبى قحافة مائة وسق ولعقيل بن أبى طالب مائة وسق وأربعين وسقا ولبنى جعفر خمسين وسقا ولربيعة بن الحرث مائة وسق وللصلت بن مخرمة وابنيه مائة وسق للصلت منها أربعين وسقا ولابى نبقة خمسين وسقا ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقا ولقيس بن مخرمة ثلاثين وسقا ولابن القاسم بن مخرمة أربعين وسقا ولبنات عبيدة بن الحرث وابنة الحصين بن الحرث مائة وسق ولبنى عبيدة بن عبد يزيد ستين وسقا ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقا ولمسطح بن اثاثة وابن الياس خمسين وسقا ولام رميثة أربعين وسقا ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا ولبحينة بنت الحرث ثلاثين وسقا ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ولام الحكم ثلاثين وسقا ولجمانة بنت أبى طالب ثلاثين وسقا ولابن الارقم خمسين وسقا ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وسقا ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقا ولام الزبير أربعين وسقا ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا ولابن أبى خنيس ثلاثين وسقا ولام طالب أربعين وسقا ولابى نضرة عشرين وسقا ولنميلة الكلبى خمسين وسقا ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقا لابنيه منها أربعين وسقا ولام حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ولملكو بن عبدة ثلاثين وسقا ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعمائة وسق «قال ابن هشام» قمح وشعير وتمر ونوى وغير ذلك قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب أكثر ولهذا أعطاهم أكثر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عمر راحلة وقطيفة حمراء وثمانين دينارا وكذلك رووا عن جرير بن عبد الله البجلى فى سهمه بارض العراق نحوا من هذا وقال من يحتج للفريق الآخر انما ترضى عمر جريرا لانه كان نفله تلك الارض فكانت ملكا له حتى مات وكذلك أم كرز كان سهم أبيها نفلا أيضا جاءت بذلك كله الآثار الثابتة والله المستعان

﴿فصل﴾ وذكر فيمن قسم له يوم خيبر أبا نبقة قسم له خمسين وسقا واسمه علقمة بن المطلب ويقال عبد الله بن علقمة وقال أبو عمر هو مجهول وقال ابن الفرضى أبو نبقة بن المطلب بن عبد مناف واسم أبى نبقة عبد الله ومن ولده محمد بن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبى نبقة ومن ولده أبو الحسين المطلبى امام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبى نبقة بن المطلب بن عبد مناف * وذكر فيهم أم الحكم وهى بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباعة هكذا قال أم الحكم والمعروف فيها انها أم حكيم وكانت تحت ربيعة بن الحارث وأما أم حكم فهى بنت أبى سفيان وهى من مسلمة الفتح ولولا ذلك لقلت ان ابن اسحاق اياها أراد لكنها لم تشهد خيبر ولا كانت أسلمت بعد * وذكر فيمن قسم له أم رمثة ولا تعرف الا بهذا الخبر وشهودها فتح خيبر * وذكر بحينة بنت الحارث وبحينة تصغير

﴿ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من فتح خيبر﴾

قسمه على قدر حاجتهم فكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب خاصة فلذلك أعطاهم أكثر قسم لهن مائة وسق وثمانين وسقا ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقا ولاسامة بن زيد أربعين وسقا وللمقداد بن الاسود خمسة عشر وسقا ولام رميثة خمسة أوسق شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن كيسان عن ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال لم يوص رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته الا بثلاث أوصى للرهاويين بجاد مائة وسق من خيبر وللداريين بجاد مائة وسق من خيبر وللسبائيين بجاد مائة وسق من خيبر وللاشعريين بجاد مائة وسق من خيبر وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة وأن لا يترك بجزيرة العرب دينان

﴿أمر فدك فى خبر خيبر﴾

* قال ابن اسحق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعد ما قدم المدينة فقبل ذلك منهم فكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب

﴿تسمية النفر الداريين﴾

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وهم بنو الدار ابن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم الذين ساروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام * تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ويزيد بن قيس وعرفة بن مالك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن «قال

ابن هشام» ويقال عزة بن مالك وأخوه مروان بن مالك «قال ابن هشام» مروان بن مالك * قال ابن اسحق وفاكه بن نعمان وجبلة ابن مالك وأبو هند بن بر وأخوه الطيب بن بر فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى عبد الله ابن أبى بكر يبعث الى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا بين المسلمين ويهود فيخرص عليهم فاذا قالوا تعديت علينا قال ان شئتم فلكم وان شئتم فلنا فتقول يهود بهذا قامت السموات والارض وانما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحدا ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله فكان جبار ابن صخر بن أمية بن خنساء أخو بنى سلمة هو الذى يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون باسا فى معاملتهم حتى عدوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل أخى بنى حارثة فقتلوه فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه * قال ابن اسحق فحدثنى الزهرى عن سهل بن أبى حثمة وحدثنى أيضا بشير بن يسار مولى بنى حارثة عن سهل بن أبى حثمة قال أصيب عبد الله بن سهل بخيبر وكان خرج اليها فى أصحاب له يمتار منها تمرا فوجد فى عين قد كسرت عنقه ثم طرح فيها قال فاخذوه فغيبوه ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له شانه فتقدم اليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ومعه ابنا عمه حويصة ومحيصة ابنا مسعود وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا وكان صاحب الدم وكان ذا قدم فى القوم فلما تكلم قبل ابنى عمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر الكبر «قال ابن هشام» ويقال كبر كبر فيما ذكر مالك بن أنس فسكت فتكلم حويصة ومحيصة ثم تكلم هو بعد فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل صاحبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتسمون قاتلكم ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه اليكم قالوا يا رسول الله ما كنا لنحلف على ما لا نعلم قال أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرؤن من دمه قالوا يا رسول الله ما كنا لنقبل أيمان يهود ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على اثم قال فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة قال سهل فوالله ما أنسى بكرة منها حمرة ضربتنى وأنا أحوزها * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن ابراهيم بن الحرث (٢٤٩) التيمى عن عبد الرحمن بن بجيد بن قيظى أخى بنى حارثة قال محمد بن ابراهيم وأيم الله ما كان سهل بأكثر علما منه ولكنه كان أسن منه انه قال له والله ما هكذا كان الشان ولكن سهلا أوهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلفوا على ما لا علم لكم به ولكنه كتب الى يهود خيبر حين كلمته الانصار انه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه فكتبوا اليه يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده * قال ابن اسحق وحدثنى عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بجيد الا انه قال فى حديثه دوه أو ائذنوا بحرب من الله فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده * قال ابن اسحق وسالت ابن شهاب الزهرى كيف كان اعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلهم حين أعطاهم النخل على خرجها أبت ذلك لهم حتى قبض أم أعطاهم اياها لضرورة من غير ذلك فاخبرنى ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان شئتم دفعت اليكم هذه الاموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقركم ما أقركم الله فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم فى الخرص فلما توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أقرها أبو بكر رضى الله تعالى عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بايديهم على المعاملة التى عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى ثم أقرها عمر رضى الله عنه صدرا من امارته ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى رجعه الذى قبضه الله فيه لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت فارسل الى يهود فقال ان الله عز وجل قد أذن فى جلائكم قد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتنى به أنفذه له ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليتجهز للجلاء فاجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم * قال ابن اسحق وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال خرجت أنا والزبير والمقداد بن الاسود الى أموالنا بخيبر نتعاهدها فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا قال فعدى على تحت الليل وأنا نائم على فراشى

تصغير بحنة وهى نخلة معروفة قاله أبو حنيفة ولفظها من البحونة وهى جلة التمر وهى أم عبد الله بن بحينة الفقيه وهو ابن مالك بن القشب الازدى وفى قسمه لهؤلاء النساء حجة للاوزاعى لقوله ان النساء يقسم لهن مع الرجال فى المغازى وأكثر الفقهاء لا يرون للنساء مع الرجال قسما ولكن يرضخ لهن من المغنم أخذا بحديث أم عطية قالت كنا نغزو مع النبى صلى الله عليه وسلم فنداوى الجرحى ونمرض المرضى ويرضخ لنا من المغنم

ففدعت يداى من مرفقى فلما أصبحت استصرخ على صاحباى فاتيانى فسالانى من صنع هـذا بك فقلت لا أدرى قال فأصلحا من يدى ثم قدما بى على عمر رضى الله عنه فقال هذا عمل يهود ثم قام فى الناس خطيبا فقال أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم اذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما قد بلغكم مع عدوهم على الانصارى قبله لا نشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فانى مخرج يهود فاخرجهم * قال ابن اسحق فحدثنى عـبد الله بن أبى بكر عن عبد الله بن مكنف أخى بنى حارثة قال لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب فى المهاجرين والانصار وخرج معه بجبار بن صخر بن أمية بن خنساء أخى بنى سلمة وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم ويزيد بن ثابت فهما قسما خيبر على أهلها على اصل جماعة السهمان التى كانت عليها وكان ما قسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من وادى القرى لعثمان بن عفان خطر ولعبـد الرحمن بن عوف خطر ولعـمر بن ابى سلمة خطر ولعامر بن ابى ربيعة خطر ولعمرو بن سراقة خطر ولاشيم خطر «قال ابن هشام» ويقال ولاسلم ولبنى جعفر خطر ولمعيقيت خطر ولعبد الله بن الارقم خطر ولعبد الله وعبيد الله خطران ولابن عبد الله بن جحش خطر ولابن البكير خطر ولمعتمر خطر ولزيد بن ثابت خطر ولابى بن كعب خطر ولمعاذ بن عفـراء خطر ولابى طلحة وحسن خطر ولجبار بن صخر خطر ولجابر بن عبد الله بن رئاب خطر ولمالك بن صعصعة وجابر بن عبد الله بن عمـرو خطر ولابن حضير خطر ولابن سعد بن معاذ خطر ولسلامة بن سلامة خطر ولعبـد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خطر ولابى عبس بن جبر خطر ولمحمـد بن مسلمة خطر ولعبـادة بن طارق خطر «قال ابن هشام» ويقال لقتادة * قال ابن اسـحق ولجبر بن عتيك نصف خطر ولبنى الحرث ابن قيس نصـف خطر ولابن خزمة والضحاك خطر فهذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادى القـرى ومقاسمها «قال ابن هشام» الخطر النصيب يقال أخطر لى فلان خطرا

﴿ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة وحديث المهاجرين الى الحبشة﴾

«قال ابن هشام» وذكر سفيان بن عيينة عن الاجلح عن الشعبى أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والتزمه وقال ما أدرى بايهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر * قال ابن اسحق وكان من أقام بارض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم حتى بعث فيهم رسول الله صـلى الله عليه وسـلم الى النجاشى عمرو بن أميـة الضمرى فحملهـم فى سفينتين فقدم بهم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعد الحديبية * من بنى هاشم بن عبد مناف جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب معه امرأته أسماء ابنة عميس الخثعمية * وابنه عبـد الله بن جعفر وكانت ولدته بارض الحبشـة قتل جعفر بمؤتة من أرض الشام أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل * ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد «قال ابن هشام» ويقال همينة بنت خلف * وابناه سعيد بن خالد وأمة بنت خالد ولدتهما بارض الحبشة قتل خالد بمرج الصفر فى خلافة أبى بكر الصديق بارض الشام * وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانى هلكت بارض الحبشة قتل عمرو باجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو احيحة

ألا ليت شعرى عنك يا عمرو سائلا * اذا شب واشتدت يداه وسلحا

﴿فصل﴾ وذكر قدوم أصحاب السفينة من أرض الحبشة وفيهم جعفر بن أبى طالب وأن النبى صلى الله عليه وسلم التزمه وقبل بين عينيه وقد احتج بهذا الحديث الثورى على مالك بن أنس فى جواز المعانقة وذهب مالك الى انه خصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم وما ذهب اليه سـفيان من حمل الحـديث على عمومه أظهر وقد التزم النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكة وأما المصافحة باليد عنـد السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام تمام تحيتكم المصافحة ومنها حـديث آخر ان أهل اليمن حين قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان أهل اليمن قد سـنوا لكم المصافحة ثم ندب اليها بلفظ لا أذكره الآن غـير ان معناه تنزل عليهما مائة رحمـة تسعون منها للبادئ وعن مالك فيها روايتان الاباحة والكراهة ولا أدرى ما وجه الكراهية فى ذلك وكان جعفر قد ولد له بأرض الحبشة محمد وعون وعبد الله وكان النجاشى قد ولد له مولود يوم ولد عبد الله فارسل الى جعفر يسئله كيف أسميت ابنك فقال أسميته عبد الله فسمى النجاشى ابنه عبد الله وأرضعته أسماء بنت عميس امرأة جعفر مع ابنها عبد الله فكانا يتواصلان بتلك الاخوة * وذكر عمرو بن سعيد وانه استشهد بأجنادين هكذا تقيد فى الاصل بكسر الدال وفتح أوله وكذا سمعت الشيخ الحافظ أبا بكر ينطق به وقيدناه عن أبى بكر بن طاهر عن أبى على الغسانى اجنادين بكسر أوله وفتح الدال وقال أبو عبيد البكرى فى كتاب معجم ما استعجم أجنادين بفتح أوله وفتح الدال وقال

كانه

أتترك أمر القوم فيه بلابل * تكشف غيظا كان فى الصدر موجحا

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص حين أسلما وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظريبة من ناحية الطائف هلك فى مال له بها

ألا ليت ميتا بالظريبة شاهد * لما يفترى فى الدين عمرو وخالد
أطاعا بنا أمر النساء فاصبحا * يعينان من أعدائنا من نكابد

فاجابه خالد بن سعيد فقال

أخى ما أخى لا شاتم أنا عرضه * ولا هو من سوء المقالة مقصر
يقول اذا اشتدت عليه أموره * ألا ليت ميتا بالظريبة ينشر
فدع عنك ميتا قد مضى لسبيله * وأقبل على الادنى الذى هو أفقر

* ومعيقيب بن أبى فاطمة خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان الى آل سعيد بن العاص * وأبو موسى الاشعرى عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أربعة نفر * ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الاسود بن نوفل بن خويلد رجل * ومن بنى عبد الدار بن قصى جهم بن قيس بن عبد شرحبيل معه ابناه عمرو بن جهم وخزيمة بنت جهم وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الاسود هلكت بارض الحبشة وابناه لها رجل * ومن بنى زهرة بن كلاب عامر بن أبى وقاص * وعتبة بن مسعود حليف لهم من هذيل رجلان * ومن بنى تيم بن مرة بن كعب الحرث بن خالد بن صخر وقد كانت معه امرأته ريطة بنت الحرث بن جبيلة هلكت بارض الحبشة رجل * ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن ربيعة بن أهبان رجل * ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب محمية بن الجزء حليف لهم من بنى زبيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على خمس المسلمين رجل * ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى معمر أبى عبد الله بن نضلة رجل * ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس * ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس معه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان بن عبد شمس رجلان * ومن بنى الحرث بن فهر بن مالك الحرث بن عبد قيس بن لقيط رجل وقد كان حمل النجاشى معهم فى السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو ابن أمية الضمرى فى السفينتين فجميع من قدم فى السفينتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر رجلا وكان من هاجر الى أرض الحبشة ولم يقدم الا بعد بدر ولم يحمل النجاشى فى السفينتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قدم بعد ذلك ومن هلك بارض الحبشة من مهاجرة الحبشة * من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عبيد الله بن جحش بن رئاب الاسدى أسد خزيمة حليف بنى أمية بن عبد شمس معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان وابنته حبيبة بنت عبد الله وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبى سفيان وكان اسمها رملة وخرج مع المسلمين مهاجرا فلما قدم أرض الحبشة تنصر بها وفارق الاسلام ومات هنالك نصرانيا فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب * قال ابن اسحق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة قالت خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما فلما قدم أرض الحبشة تنصر قال فكان اذا مر بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقحنا وصأصأتم أى قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد وذلك ان ولد الكلب اذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلا أى انا قد فتحنا أعيننا فابصرنا ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك * قال ابن اسحق وقيس بن عبد الله رجل من بنى أسد بن خزيمة وهو أبو أمية بنت قيس التى كانت مع أم حبيبة * وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب كانتا ظئرى عبيد الله بن جحش * وام حبيبة بنت ابى سفيان فخرجا بهما معهما حين هاجرا الى ارض الحبشة رجل * ومن بنى اسد بن عبد العزى بن قصى يزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب ابن اسد قتل يوم حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا وعمرو بن امية بن الحرث بن اسد هلك بارض الحبشة رجلان * ومن بنى عبد الدار بن قصى ابو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وفراس بن النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار رجلان * ومن بنى زهرة بن كلاب بن مرة المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة معه امرأته رملة بنت ابى عوف ابن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم هلك بارض الحبشة وولدت له هنالك عبد الله بن المطلب فكان يقال ان كان لاول رجل ورث اباه فى الاسلام رجل * ومن بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى عمرو بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم قتل بالقادسية مع سعد بن ابى وقاص رجل * ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب هبار بن سفيان بن عبد الاسد قتل باجنادين من ارض الشام فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه

كانه تثنية أجناد * وذكر عمرو بن عثمان التيمى وانه قتل بالقادسية مع سعد بن أبى وقاص والقادسية آخر أرض العرب وأول أرض السواد وفى أيامها قتل رستم ملك الفرس فى يوم من أيامها يسمى يوم الهرير وكان قد أقبل بالفيلة وجموع لم يسمع بمثلها والمسلمون فى عدد دون العشر من عدد المجوس فكان الظفر للمسلمين وكان الامير عليهم سعد بن أبى وقاص وخبرها طويل يشتمل على أعاجيب من فتح الله تعالى على هذه الامة

* واخوه عبد الله بن سفيان قتل عام اليرموك بالشام فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشك فيه اقتل ثم ام لا * وهشام بن ابى حذيفة ابن المغيرة ثلاثة نفر * ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب حاطب بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح * وابناه محمد والحرث معه امراته فاطمة بنت المجلل هلك حاطب هنالك مسلما فقدمت امراته وابناه وهى امهما فى احدى السفينتين * واخوه خطاب بن الحرث معه امراته فكيهة بنت يسار هلك هنالك مسلما فقدمت امراته فكيهة فى احدى السفينتين * وسفيان بن معمر بن حبيب * وابناه جنادة وجابر وامهما معه حسنة واخوهما لامهما شرحبيل بن حسنة وهلك سفيان وهلك ابناه جنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ستة نفر * ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب عبد الله بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم الشاعر هلك بارض الحبشة * وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وابو قيس بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم قتل يوم اليمامة فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه * وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وهو رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى * والحرث بن الحرث بن قيس بن عدى ومعمر بن الحرث بن قيس بن عدى * و بشر بن الحرث بن قيس بن عدى * واخ له من امه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمرو قتل باجنادين فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه * وسعيد بن الحرث بن قيس قتل عام اليرموك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه * والسائب بن الحرث بن قيس جرح بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل يوم فحل فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويقال قتل يوم خيبر يشك فيه وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم قتل بعين التمر مع خالد بن الوليد منصرفه من اليمامة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه أحد عشر رجلا * ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب هلك بأرض الحبشة * وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان هلك بارض الحبشة رجلان وقد كان مع عدى ابنه النعمان بن عدى فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فاستعمله على ميسان من أرض البصرة فقال أبياتا من شعر وهى

استقصاها سيف بن عمر فى كتاب الفتوح ثم الطبرى بعده وسميت القادسية برجل من الهراة وكان كسرى قد أسكنه بها اسمه قادس وقيل سميت بقوم نزلوها من قادس وقادس بخراسان وأما القادس فى لغة العرب فمن أسماء السفينة

﴿ فصل ﴾ وذكر فيمن قدم من أرض الحبشة هشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واسم أبى حذيفة مهشم وذكر الواقدى هشاما هذا فيمن قدم من الحبشة غير انه قال فيه هاشم ولم يذكره موسى بن عقبة ولا أبو معشر فى القادمين من الحبشة * وذكر فيمن قدم من الحبشة عبد الله بن حذافة وانه الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى كسرى * وذكر أيضا سليط بن عمرو وانه كان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة فأما كسرى فهو ابرويز بن هرمز بن أنوشروان ومعنى ابرويز المظفر فيما ذكر المسعودى وهو الذى كان غلب الروم فانزل الله فى قصتهم الم غلبت الروم فى أدنى الارض وأدنى الارض هى بصرى وفلسطين وأذرعات من أرض الشام قاله الطبرى * وذكر

ابو

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها * بميسان يسقى فى زجاج وحنتم
اذا شئت غنتنى دهاقين قرية * ورقاصة تجدو على كل منسم
فان كنت ندمانى فبالاكبر اسقنى * ولا تسقنى بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا فى الجوسق المتهدم

فلما بلغت أبياته عمر قال نعم والله ان ذلك ليسوءنى فمن لقيه فليخبره انى قد عزلته وعزله فلما قدم عليه اعتذر اليه وقال والله يا أمير المؤمنين ما صنعت شيئا مما بلغك انى قلته قط ولكنى كنت امرأ شاعرا وجدت فضلا من قول فقلت فيما تقول الشعراء فقال له عمر وأيم الله لا تعمل لى على عمل ما بقيت وقد قلت ما قلت * ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر وهو كان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على الحنفى باليمامة رجل * ومن بنى الحرث بن فهر بن مالك عثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبى شداد * وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحرث بن فهر وعياض بن زهير بن أبى شداد ثلاثة نفر فجميع من تخلف عن بدر ولم يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومن قدم بعد ذلك ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين أربعة وثلاثون رجلا وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بارض الحبشة * من بنى عبد شمس بن عبد مناف عبيد الله بن جحش بن رئاب حليف بنى أمية مات بها نصرانيا * ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى عمرو بن أمية بن الحرث بن أسد * ومن بنى جمح حاطب بن الحرث * وأخوه حطاب بن الحرث * ومن بنى سهم عمرو بن هصيص بن كعب عبد الله بن الحرث بن قيس * ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى

عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف * وعدى بن نضلة سبعة نفر * ومن أبنائهم *من بنى تيم بن مرة موسى بن الحرث بن خالد بن صخر ابن عامر رجل و جميع من هاجر الى أرض الحبشة من النساء من قدم منهن ومن هلك هنالك ست عشرة امرأة سوى بناتهن اللاتى ولدن هنالك من قدم منهن ومن هلك هنالك ومن خرجن به معهن حين خرجن * من قريش من بنى هاشم رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن بنى أمية أم حبيبة بنت أبى سفيان معها ابنتها حبيبة خرجت بها من مكة و رجعت بها معها * ومن بنى مخزوم أم سلمة ابنة أبى امية قدمت معها زينب ابنتها من أبى سلمة ولدتها هنالك * ومن بنى تيم بن مرة ريطة بنت الحرث بن جبيلة هلكت بالطريق * وابنتان لها كانت ولدتهما هنالك عائشة بنت الحرث و زينب بنت الحرث هلكن جميعا وأخوهن موسى بن الحرث من ماء شربوه فى الطريق وقدمت بنت لها ولدتها هنالك فلم يبق من ولدها غيرها يقال لها فاطمة * ومن بنى سهم بن عمرو رملة بنت أبى عوف بن صبيرة* ومن بنى عدى ابن كعب ليلى بنت أبى حثمة بن غانم * ومن بنى عامر بن لؤى سودة بنت زمعة بن قيس * وسهلة بنت سهيل بن عمرو وابنة المجلل وعمرة بنت السعدى بن وقدان وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ومن غرائب العرب أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية وفاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانية وفكيهة بنت يسار و بركة بنت يسار وحسنة أم شرحبيل بن حسنة *وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بارض الحبشة من بنى هاشم عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ومن بنى عبد شمس محمد بن أبى حذيفة وسعيد بن خالد بن سعيد وأخته امة بنت خالد ومن بنى مخزوم زينب بنت ابى سلمة بن عبد الاسد ومن بنى زهرة عبد الله بن عبد المطلب بن أزهر ومن بنى تيم موسى بن الحرث بن خالد واخواته عائشة بنت الحرث وفاطمة بنت الحرث و زينب بنت الحرث الرجال منهم خمسة عبد الله بن جعفر ومحمد بن ابى حذيفة وسعيد بن خالد وعبد الله بن المطلب وموسى بن الحرث ومن النساء خمس امة بنت خالد و زينب بنت ابى سلمة وعائشة و زينب وفاطمة بنات الحرث ابن خالد بن صخر *قال بن اسحق فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجمادين و رجبا وشعبان و رمضان وشوالا يبعث فيما بين ذلك من غزوه سراياه صلى الله عليه وسلم

أبو رفاعة وثيمة بن موسى بن الفرات قال لما قدم عبد الله بن حذافة على كسرى قال يامعشر الفرس انكم عشتم باحلامكم لعدة أيامكم بغير نبى ولا كتاب ولا تملك من الارض الا مافى يديك وما لا تملك منها أكثر وقد ملك قبلك ملوك أهل دنيا وأهل آخرة فاخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة فاختلفوا فى سعى الدنيا واستووا فى عدل الآخرة وقد صغر هذا الامر عندك انا أتيناك به وقد والله جاءك من حيث خفت وما تصغيرك اياه بالذى يدفعه عنك ولا تكذيبك به بالذى يخرجك منه و فى وقعة ذى قار على ذلك دليل فاخذ الكتاب فمزقه ثم قال لى ملك هنىء لا أخشى ان أغاب عليه ولا أشارك فيه وقد ملك فرعون بنى اسرائيل ولستم بخير منهم فما يمنعنى ان أملككم وأنا خير منه فاما هذا الملك فقد علمنا انه يصير الى الكلاب وأنتم أولئك تشبع بطونكم وتأبى عيونكم فاما وقعة ذى قار فهى بوقعة الشام فانصرف عنه عبد الله وانما خص النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بارساله الى كسرى لانه كان يتردد عليهم كثيراً ويختلف الى بلادهم وكذلك سليط بن عمرو كان يختلف الى اليمامة قال وثيمة لما قدم سليط بن عمرو العامرى على هوذة وكان كسرى قد توجه قال ياهوذة انه سودت أعظم حائلة وأرواح فى النار وانما السيد من منع بالايمان ثم زود التقوى ان قوما سعدوا برأيك فلا تشق به وانى آمرك بخير مامور به وأنهاك عن شر منهى عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان فى عبادة الله الجنة و فى عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت مارجوت وأمنت ماخفت وان أبيت فبيننا و بينك كشف الغطاء وهو المطلع فقال هوذة ياسليط سودنى من لو سودك شرفت به وقد كان لى رأى أختبر به الامور ففقدته فموضعه من قلبى هواء فاجعل لى فسحة يرجع الى رأيى فاجيبك به ان شاء الله قال ومن شعر عبد الله بن حذافة فى رسالته الى كسرى وقدومه عليه

أبى الله الا ان كسرى فريسة * لاول داع بالعراق محمدا
تقاذف فى فحش الجواب مصغرا * لامر العريب الخائضين له الردى
فقلت له أرود فانك داخل * من اليوم فى البلوى ومنتهب غدا
فاقبل وأدبر حيث شئت فاننا * لنا الملك فابسط للمسالمة اليدا
والا فامسك قارعا سن نادم * أقر بذل الخرج أومت موحدا
سفهت بتمزيق الكتاب وهذه * بتمزيق ملك الفرس يكفى مبددا

❊ وقال هوذة بن على فى شان سليط ❊

عمرته التى صدوه عنها «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة عويف بن الاضبط الديلى ويقال لها عمرة القصاص لانهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست صدوه فيه فاقتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه من سنة سبع وبلغنا عن ابن عباس انه قال فانزل الله فى ذلك والحرمات قصاص قال ابن اسحق وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه فى عمرته تلك وهى سنة سبع فلما سمع به اهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمدا واصحابه فى عسرة وجهد وشدة * قال ابن اسحق فحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس قال صفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى أصحابه فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال رحم الله أمرأ اراهم اليوم من نفسه قوة ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى اذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الاسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها فكان ابن عباس يقول كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما صنعها لهذا

أتانى سليط والحوادث جمة * فقلت لهم ماذا يقول سليط
فقال التى فيها على غضاضة * وفيها رجاء مطمع وقنوط
فقلت له غاب الذى كنت أجتلى * به الامر عنى فالصعود هبوط
وقد كان لى والله بالغ أمره * أبا النضر جاش فى الامور ربيط
فاذهبه خوف النبى محمد * فهوذة فه فى الرجال سقيط
فاجمع أمرى من يمين وشمال * كانى ردود للنبال لقيط
فاذهب ذاك الرأى اذ قال قائل * أتاك رسول للنبى خبيط
رسول رسول الله راكب ناضح * عليه من او بار الحجاز غبيط
سكرت ودبت فى المفارق وسنة * لها نفس عال الفؤاد غطيط
أحاذر منه سورة هاشمية * فوارسها وسط الرجال عبيط
فلا تعجلنى ياسليط فاننا * نبادر امرا والقضاء محيط

وسنذكر بقية ارسال النبى صلى الله عليه وسلم الى الملوك وما قالوا وما قيل لهم فيها بعد ان شاء الله * وذكر حديث نوم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة مقفله من خيبر وهذه الرواية أصح من قول من قال كان ذلك فى غزاة حنين ومن قال فى روايته للحديث كان ذلك عام الحديبية فليس ذلك بمخالف للرواية الاولى وأما رواية ابن اسحق للحديث عن الزهرى عن سعيد بن المسيب مرسلا فهكذا رواه مالك وأكثر أصحاب الزهرى ورواه عنه صالح بن أبى الاخضر وقال فيه عن أبى هريرة قاله الترمذى وقال أبو داود وقد رواه أيضا عن الزهرى مسندا يونس بن يزيد ومعمر من طريق أبان العطار عن معمر عنه وكذلك رواه الاوزاعى مسندا أيضا وذكر فيه هو وأبان العطار انه اذن وأقام فى تلك الصلاة حين خرج من الوادى ولم يذكر الاذان من رواة الحديث الا قليل

﴿عمرة القضية﴾

ويروى أيضا عمرة القضاء ويقال لها عمرة القصاص وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص» وهذه الآية فيها نزلت فهذا الاسم أولى بها وسميت عمرة القضاء لان النبى صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها لا لانه قضى العمرة التى صد عن البيت فيها فانها لم تك فسدت بصدهم عن البيت بل كانت عمرة تامة متقبلة حتى انهم حين حلقوا رؤسهم بالحل احتملتها الريح فالقتها فى الحرم فهى معدودة فى عمر النبى صلى الله عليه وسلم وهى أربع عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة الجعرانة والعمرة التى قرنها مع حجه فى حجة الوداع فهو أصح القولين انه كان قارنا فى تلك الحجة وكانت احدى عمره عليه السلام فى شوال كذلك روى عروة عن عائشة وأكثر الروايات انهن كن كلهن فى ذى القعدة الا التى قرن مع حجه كذلك روى الزهرى وانفرد معمر عن الزهرى بانه عليه السلام كان قارنا وان عمره كن أربعا بعمرة القران وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذى انه حج ثلاث حجات ثنتين بمكة وواحدة بالمدينة وهى حجة الوداع ولا ينبغى ان يضاف اليه فى الحقيقة الا حجة الوداع وان كان حج مع الناس اذ كان بمكة كما روى الترمذى فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج وكماله لانه كان مغلوبا على أمره وكان الحج منقولا عن وقته كما تقدم فى أول الكتاب فقد ذكر انهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ويؤخرونه فى كل

سنة

الحى من قريش للذى بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها * قال ابن اسحق وحدثنى عبدالله بن ابى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبدالله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير فى رسوله
يارب انى مؤمن بقيله * أعرف حق الله فى قبوله
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

«قال ابن هشام» نحن قتلناكم على تأويله الى آخر الابيات لعمار بن ياسر فى غير هذا اليوم والدليل على ذلك ان ابن رواحة انما أراد المشركين والمشركون لم يقروا بالتنزيل وانما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل * قال ابن اسحق وحدثنى أبان بن صالح وعبدالله بن ابى نجيح عن عطاء بن ابى رباح ومجاهد ابى الحجاج عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحرث فى سفره ذلك وهو حرام وكان الذى زوجه اياها العباس بن عبد المطلب «قال ابن هشام» وكانت جعلت أمرها الى أختها أم الفضل وكانت أم الفضل تحت العباس فجعلت أم الفضل أمرها الى العباس فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم * قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا فاتاه حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل فى نفر من قريش فى اليوم الثالث وكانت قريش قد وكلته باخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فقالوا له انه قد انقضى أجلك فاخرج عنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما عليكم لو تركتمونى فاعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا لا حاجة لنا فى طعامك فاخرج عنا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة حتى أتاه بها بسرف فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فى ذى الحجة «قال ابن هشام» فانزل الله عز وجل عليه فيما حدثنى ابو عبيدة لقد

سنة أحد عشر يوما وهذا هو الذى منع النبى صلى الله عليه وسلم ان يحج من المدينة حتى كانت مكة دار اسلام وقد كان أراد ان يحج مقفلة من تبوك وذلك باثر فتح مكة بيسير ثم ذكر ان بقايا المشركين يحجون و يطوفون عراة فاخر الحج حتى نبذ الى كل ذى عهد عهده وذلك فى السنة التاسعة ثم حج فى السنة العاشرة بعد امحاء رسوم الشرك وانحسام سير الجاهلية ولذلك قال فى حجة الوداع ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض والعمرة واجبة فى قول أكثر العلماء وهو قول ابن عمر وابن عباس وقال الشعبى ليست بواجبة وذكر عنه انه كان يقرؤها «وأتموا الحج والعمرة لله» بالرفع لا يعطفها على الحج وقال عطاء هى واجبة الا على أهل مكة و يكره مالك ان يعتمر الرجل فى العام مرارا وهو قول الحسن وابن سيرين وجمهور العلماء على الاباحة فى ذلك وهو قول على وابن عباس وعائشة والقاسم بن محمد قالوا يعتمر الرجل فى العام ماشاء * وذكر قول عبدالله بن رواحة وهو آخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

* خلوا بنى الكفار عن سبيله * وفيه

نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله

و يروى اليوم نضربكم على تأويله بسكون الباء وهو جائز فى الضرورة نحو قول امرئ القيس

* فاليوم أشرب غير مستحقب * ولا يبعد ان يكون جائزا فى الكلام اذا اتصل بضمير الجمع فقد روى عن ابن عمرو انه كان يقرأ يأمركم و ينصركم وهذان البيتان الآخيران هما لعمار بن ياسر كما قال ابن هشام قالهما يوم صفين وهو اليوم الذى قتل فيه عمار قتله أبو الغادية الفزارى وابن جزء اشتركا فيه

﴿ فصل ﴾ * وذكر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم لميمونة بنت الحارث الهلالية وأمها هند بنت عوف الكنانية الى آخر قصتها وفيه ان حويطب بن عبد العزى قال للنبى صلى الله عليه وسلم فى اليوم الثالث أخرج عنا وقد كان أراد ان يبتنى بميمونة فى مكة و يصنع لهم طعاما فقال له حويطب لا حاجة لنا بطعامك فاخرج عنا فقال له سعد ياعاضا ببظر أمه أأرضك وأرض امك هى دونه فاسكته النبى صلى الله عليه وسلم وخرج وفاء لهم بشرطهم وابتنى بها بسرف و بسرف كانت وفاتها رضى الله عنها حين ماتت وذلك سنة ثلاث وستين وقيل سنة ست وستين وصلى عليها ابن عباس و يزيد بن الاصم وكلاهما ابن أخت لها و يقال فيها نزلت وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى فى أحد الاقوال وذلك ان الخاطب جاءها وهى على بعيرها فقالت البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف الناس فى تزويجه اياها أكان محرما أم حلالا فروى ابن عباس انه تزوجها محرما واحتج به أهل العراق فى تجويز نكاح المحرم وخالفهم أهل الحجاز واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن ينكح المحرم أو ينكح وزاد بعضهم فيه أو يخطب من رواية مالك وعارضوا حديث

صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا يعنى خيبر

﴿ ذكر غزوة مؤتة ﴾ فى جمادى الاولى سنة ثمان ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

* قال ابن اسحق فاقام بها بقية ذى الحجة وولى تلك الحجة المشركون والمحرم وصفرا وشهرى ربيع وبعث فى جمادى الاولى بعثه الى الشام الذين اصيبوا بمؤتة * قال ابن اسحق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى مؤتة فى جمادى الاولى سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال ان أصيب زيد فجعفر بن ابى طالب على الناس فان أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة على الناس فتجهز الناس ثم تهيؤا للخروج وهم ثلاثة آلاف فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة فقال أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود فقال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين فقال عبد الله بن رواحة

لكننى أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثى * أرشده الله من غاز وقد رشدا

* قال ابن اسحق ثم ان القوم تهيؤا للخروج فاتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ثم قال

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا
انى تفرست فيك الخير نافلة * الله يعلم أنى ثابت البصر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله * والوجه منه فقد أزرى به القدر

« قال ابن هشام » أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الابيات

أنت الرسول فمن يحرم نوافله * والوجه منه فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن * فى المرسلين ونصرا كالذى نصروا
انى تفرست فيك الخير نافلة * فراسة خالفت فيك الذى نظروا

ابن عباس بحديث يزيد بن الاصم ان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال وخرج الدارقطنى والترمذى أيضا من طريق أبى رافع ان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال وروى الدارقطنى من طريق ضعيف عن أبى هريرة انه تزوجها وهو محرم كرواية ابن عباس [وفى مسند البزار من حديث مسروق وعائشة رضى الله عنها قالت تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم واحتجم وهو محرم وان لم تذكر فى هذا الحديث ميمونة فنكاحها أرادت وهو حديث غريب] وخرج البخارى حديث ابن عباس ولم يعلله هو ولا غيره وروى عن سعيد بن المسيب انه يقال غلط ابن عباس أو قال وهم ما تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم الا وهو حلال ولما أجمعوا عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها محرما ولم ينقل عنه أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغرابا شديدا ما رواه الدارقطنى فى السنن من طريق أبى الاسود يتيم عروة ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره فقف عليها فانها غريبة عن ابن عباس وقد كان من شيوخنا رحمهم الله من يتأول قول ابن عباس تزوجها محرما أى فى الشهر الحرام وفى البلد الحرام وذلك ان ابن عباس رجل عربى فصيح فتكلم بكلام العرب ولم يرد الاحرام بالحج وقد قال الشاعر

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما * ودعا فلم أر مثله مخذولا

وذلك ان قتله كان فى أيام التشريق والله أعلم أأراد ذلك ابن عباس أولا

﴿ غزوة موتة ﴾

وهى مهموزة الواو وهى قرية من أرض البلقاء من الشام وأما الموتة بلا همز فضرب من الجنون وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى صلاته أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وفسره راوى الحديث فقال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة * ذكر فى هذه الغزوة قول عبد الله بن رواحة حين ذكر قول الله تعالى «وان منكم الا واردها» فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود وقد تكلم العلماء فيها باقوال * منها ان الخطاب متوجه الى الكفار على الخصوص واحتج قائلوا هذه المقالة بقراءة ابن عباس وان منهم الا واردها وقالت طائفة الورود هاهنا هو الاشراف عليها ومعاينتها وحكوا عن العرب وردت الماء فلم أشرب وقالت طائفة الورود هاهنا هو المرور على الصراط لانه على متن جهنم أعاذنا الله منها وروى ان الله تبارك وتعالى يجمع الاولين والآخرين فيها ثم ينادى مناد خذى أصحابك ودعى أصحابى وقالت طائفة الورود ان يأخذ العبد بحظ منها وقد يكون ذلك فى الدنيا بالحميات فان النبى

صلى

يعنى المشركين وهذه الابيات فى قصيدة له * قال ابن اسحق ثم خرج القوم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم حتى اذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة

خلف السلام على امرئ ودعته * فى النخل خير مشيع وخليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس ان هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة الف من الروم وانضم اليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مائة الف منهم عليهم رجل من بلى ثم أحد اراشة يقال له مالك بن رافلة فلما بلغ ذلك المسلمون أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فاما ان يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بامره فنمضى له قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ولا نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة قال فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك

جلبنا الخيل من آجا وفرع
تقر من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتا
أزل كان صفحته أديم
أقامت ليلتين على معان *
فاعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات *
تنفس فى مناخرها السموم
فلا وأبى مآب لنأتينها *
وان كانت بها عرب وروم
فعبأنا أعنتها فجاءت *
عوابس والغبار لها بريم
بذى لجب كان البيض فيه
اذا برزت قوانسها النجوم
فراضية المعيشة طلقتها * أسنتها فتنكح أو تئيم

«قال ابن هشام» ويروى جلبنا الخيل من آجام قرح وقوله فعبأنا أعنتها عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق ثم مضى الناس فحدثنى عبد الله بن ابى بكر انه حدث عن زيد بن أرقم قال كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله فوالله انه ليسير ليلة اذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه

اذا ادنيتنى وحملت رحلى * مسيرة اربع بعد الحساء
فشانك انعم وخلاك ذم * ولا ارجع الى اهلى ورائى
وجاء المسلمون وغادرونى * بارض الشام مشتهى الثواء
وردك كل ذى نسب قريب * الى الرحمن منقطع الاخاء
هنالك لا ابالى طلع بعل * ولا نخل اسافلها رواء

فلما سمعتهن منه بكيت قال فخفقنى بالدرة وقال ما عليك يا لكع ان يرزقنى

صلى الله عليه وسلم قال الحمى كير من جهنم وهو حظ كل مؤمن من النار * وذكر شعر عبد الله بن رواحة وفيه * تقر من الحشيش لها العكوم * تقر أى يجمع بعضها الى بعض والعكوم جمع عكم * وفيه * من الغبار لها بريم * البريم خيط تحتزم به المرأة والبريم أيضا لفيف الناس وأخلاطهم ويقال هم بريمان أى لونان مختلطان * وفيه * أقامت ليلتين على معان * قال الشيخ أبو بحر معان بضم الميم وجدته فى الاصلين وأصلحه علينا القاضى رحمه الله حين السماع معان بفتح الميم وهو اسم موضع وذكره البكرى بضم الميم وقال هو اسم جبل والمعان أيضا حيث تحبس الخيل والركاب ويجتمع الناس ويجوز أن يكون من أمعنت النظر أو من الماء المعين فيكون وزنه فعالا ويجوز أن يكون من العون فيكون وزنه مفعلا وقد جنس المعرى بهذه الكلمة فقال

معان من أحبتنا معان * تجيب الصاهلات بها القيان

وقوله * فراضية المعيشة طلقتها * أى المعيشة المرضية وبناها على فاعلة لان أهلها راضون لانها فى معنى صالحة وقد تقدم طرف من القول فى هذا المعنى * وقوله وخلاك ذم أى فارقك الذم فلست باهل له وقد أحسن فى قوله * فشانك أنعم وخلاك ذم * بعد قوله اذا بلغتنى وأحسن أيضا من اتبعه فى هذا المعنى كقول أبى نواس

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام

وكقول الآخر

نجوت من حل ومن رحلة * يا ناق ان قربتنى من قثم

وقد أساء الشماخ حيث يقول

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

ويذكر عن الحسن بن هانىء انه كان يشنؤه اذا ذكر هذا البيت وذكر مهلهل بن يموت بن المزرع عن أبى تمام انه قال كان الحسن يشنؤ الشماخ وأنا ألعنه من أجل قوله هذا * وقول النبى صلى الله عليه وسلم للغفارية بئس ما جزيتيها يشد الغرض المتقدم ويشهد لصحته * وقوله مستنهى الثوا مستفعل من النهاية والانتهاء أى حيث انتهى مثواه ومن رواه مشتهى الثواء أى لا أريد رجوعا * وقوله * حذوناها من الصوان سبتا * أى حذوناها نعالا من حديد جعله سبتا لها مجازا وصوان من الصون أى يصون حوافرها أو اخفافها ان أراد الابل فهو فعال من الصون فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها وأظهر من هذا ان يكون أراد

الله شهادة وترجع بين شعبتى الرحل قال ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز

يا زيد زيد اليعملات الذبل * تطاول الليل هديت فانزل

* قال ابن اسحق فمضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها فتعبى لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الانصار يقال له عباية بن مالك « قال ابن هشام » ويقال عبادة بن مالك * قال ابن اسحق ثم التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط فى رماح القوم ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل فكان جعفر اول رجل من المسلمين عقر فى الاسلام وحدثنى يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عباد قال حدثنى أبى الذى ارضعنى وكان أحد بنى مرة بن عوف فكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة قال والله لكأنى أنظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها
* على اذ لاقيتها ضرابها *

« قال ابن هشام » وحدثنى من أثق به من اهل العلم ان جعفر بن ابى طالب اخذ اللواء بيمينه فقطعت فاخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فاثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء ويقال ان رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين * قال ابن اسحق وحدثنى يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عباد قال حدثنى ابى الذى أرضعنى وكان احد بنى مرة بن عوف قال فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال

أقسمت يا نفس لتنزلنه * رسول
لتنزلن او لتكرهنه
ان جلب الناس وشدوا الرنه * مالى أراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه * هل أنت الا نطفة فى شنه

وقال ايضا

يا نفس ان لا تقتلى تموتى * هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد اعطيت * ان تفعلى فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا ثم نزل فلما نزل اتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت فى ايامك هذه ما لقيت فاخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة فى ناحية الناس فقال وانت فى الدنيا ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم اخو بنى العجلان فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا انت قال ما انا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما اخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس * قال ابن اسحق ولما اصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى اخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا قال ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا انه قد كان عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال ثم اخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم قال لقد رفعوا الى فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى

بالصوان ييبس الارض أى لا سبت له الا ذلك ووزنه فعلان من قولهم نخلة خاوية أى يابسة وأنشد أبو على * قد أوبيت كل ماء فهى صاوية * ويشهد لمعنى الصوان هنا قول النابغة الذبيانى * ترى وقع الصوان حد نسورها * وعين الفعل فى صوان ولامه واو وأدخل صاحب العين فى باب الصاد والواو والياء هذا اللفظ فقال صوى يصوى اذا يبس ونخلة صاوية ولو كان مما لامه ياء لقيل فى صوان صيان كما قيل طيان وريان ولكن لما انقلبت الواو ياء من أجل الكسرة توهم الحرف من ذوات الياء وقول عبد الله * هل أنت الا نطفة فى شنة * النطفة القليل من الماء والشنة السقاء البالى فيوشك ان تهراق النطفة او ينخرق السقاء ضرب ذلك مثلا لنفسه فى جسده وأما عقر جعفر فرسه ولم يعب ذلك عليه أحد فدل على جواز ذلك اذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين فلم يدخل هذا فى باب النهى عن تعذيب البهائم وقتلها عبثا غير ان أبا داود خرج هذا الحديث فقال حدثنا النفيلى قال نا محمد بن مسلمة عن محمد بن اسحق عن ابن عباد يعنى يحيي بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنى أبى الذى أرضعنى وهو أحد بنى مرة بن عوف وكان فى تلك الغزاة غزاة مؤتة قال والله لكانى انظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل * قال ابو داود وليس هذا الحديث بالقوى وقد جاء فيه نهى كثير عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم فى جعفر فاثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء وروى عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة البارحة فرأيت جعفرا يطير مع الملائكة وجناحاه مضرجان بالدم وعن سعيد بن المسيب قال قال

سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه فقلت عم هذا فقيل لى مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن ابى بكر عن ام عيسى الخزاعية عن ام جعفر بنت محمد بن جعفر بن ابى طالب عن جدتها اسماء ابنة عميس قالت لما اصيب جعفر واصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دبغت اربعين مناء « قال ابن هشام » ويروى اربعين منيئة قالت وعجنت عجينى وغسلت بنى ودهنتهم ونظفتهم قالت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتنى ببنى جعفر قالت فأتيته بهم فتشممهم وذرفت عيناه فقلت يارسول الله بابى انت وامى ما يبكيك أبلغك عن جعفر واصحابه شئ قال اصيبوا هذا اليوم قالت فقمت اصيح واجتمع الى النساء وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فقال لا تغفلوا آل جعفر من ان تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت لما أتى نعى جعفر عرفنا فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن قالت فدخل عليه رجل فقال يارسول الله ان النساء عنيننا وفتننا قال فارجع اليهن فاسكتهن قالت فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك قالت يقول وربما ضر التكلف أهله قالت قال فاذهب فاسكتهن فان أبين فاحث فى أفواههن التراب قالت وقلت فى نفسى أبعدك الله والله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وعرفت انه لا يقدر على أن يحثى فى أفواههن التراب * قال ابن اسحق وقد كان قطبة بن قتادة العذرى الذى كان على ميمنة المسلمين قد حمل على مالك بن رافلة فقتله فقال قطبة بن قتادة

طعنت ابن رافلة بن الاراش * برمح مضى فيه ثم انحطم
ضربت على جيده ضربة * فمال كما مال غصن السلم
وسقنا نساء بنى عمه * غداة رقوقين سوق النعم

« قال ابن هشام » قوله ابن الاراش عن غير ابن اسحق والبيت الثالث عن خلاد بن قرة ويقال مالك بن راقلة عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قد قالت لقومها من حدس وقومها بطن يقال لهم بنو غنم أنذركم قوما خزرا ينظرون شزرا ويقودون الخيل تتراوى يهريقون

رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل لى جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة فى خيمة من در على أسرة فرأيت زيدا وعبد الله فى أعناقهما صدودا ورأيت جعفرا مستقيما فقيل لى انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما ومضى جعفر فلم يعرض وسمع النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة حين جاء نعى جعفر تقول واعماه فقال على مثل جعفر فلتبك البواكى وكان أبو هريرة يقول ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر وقال عبد الله بن جعفر كنت اذا سألت عليا حاجة فمنعنى أقسم عليه بحق جعفر فيعطينى ومما ينبغى الوقوف عليه فى معنى الجناحين انهما ليسا كما يسبق الى الوهم على مثل جناحى الطائر وريشه لان الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها وفى قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته تشريف له عظيم وحاشى لله من التشبيه والتمثيل ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر كما أعطيتها الملائكة وقد قال الله تعالى لموسى « اضمم يدك الى جناحك » فعبر عن العضد بالجناح توسعا وليس ثم طيران فكيف بمن أعطى القوة على الطيران مع الملائكة أخلق به اذا أن يوصف بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية وقد قال أهل العلم فى أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة واحتجوا بقوله تعالى « أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ولا أربعة فكيف بستمائة جناح كما جاء فى صفة جبريل عليه السلام فدل على انها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر ولا ورد أيضا فى بيانها خبر فيجب علينا الايمان بها ولا يفيدنا علما اعمال الفكر فى كيفيتها وكل امرئ قريب من معاينة ذلك * فاما ان يكون من الذين تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون واما أن يكون من الذين تقول لهم الملائكة وهم باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * وأما عبد الله بن رواحة فقد ذكر ابن اسحق ما ذكر من فضائله * وذكر قوله للنبى صلى الله عليه وسلم

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

وروى غيره أنه عليه السلام قال له قل شعرا تقتضبه اقتضابا وأنا أنظر اليك فقال من غير روية * انى تفرست فيك الخير * الابيات حتى انتهى الى قوله * فثبت الله ما آتاك من حسن * فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة وأما زيد فقد تقدم التعريف به وبجملة من فضائله فى أحاديث المبعث وحسبك بذكر الله له باسمه فى القرآن ولم يذكر أحدا من الصحابة باسمه سواه وقد بينا النكتة فى ذلك فى كتاب التعريف والاعلام فلينظر هنالك

﴿ فصل ﴾ وذكر رجوع أهل مؤتة وما لقوا من الناس اذ قالوا لهم يا فرار فررتم فى سبيل الله ورواية غير ابن

دما عكرا فأخذوا بقولها واعتزلوا من بين لخم فلم تزل بعد أرى حدس * وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة بطن من حدس فلم يزالوا قليلا بعد فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة فقال خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطونى ابن جعفر فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه قال وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرار فررتم فى سبيل الله قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض آل الحرث بن هشام وهم أخواله عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين قالت والله ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يا فرار فذل فى سبيل الله حتى قعد فى بيته فما يخرج * قال ابن اسحق وفررتم فيما كان من أمر الناس وامر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم وقال قيس بن المحسر اليعمرى يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس

فوالله لا تنفك نفسى تلومنى * على موقفى والخيل قابعة قبل
وقفت بها لا مستحيزا فنافذا * ولا مانعا من كان حم له القتل
على أننى آسيت نفسى بخالد * ألا خالد فى القوم ليس له مثل
وجاشت الى النفس من نحو جعفر * بمؤتة اذ لا ينفع النابل النبل
عسر
وضم الينا حجزتيهم كليهما * مهاجرة لا مشركون ولا عذل

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ان القوم حاجزوا وكرهوا الموت وحقق انحياز خالد بمن معه «قال ابن هشام» فاما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم وكان عليهم حتى قفل الى النبي صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وكان مما بكى به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قول حسان بن ثابت

تأوبنى ليل بيثرب أعسر * وهم اذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لى عبرة * سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلى ان فقدان الحبيب بلية * وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا * شعوبا وخلفا بعدهم يتاخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا * بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

اسحاق انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن الفرارون يا رسول الله فقال بل أنتم الكرارون وقال لهم انا فيئتكم يريد أن من فر متحيزا الى فئة المسلمين فلا حرج عليه وانما جاء الوعيد فيمن فر عن الامام ولم يتحيز اليه أى لم يلجأ الى حوزته فيكون معه فالمتحيز متفيعل من الحوز ولو كان وزنه متفعلا كما يظن بعض الناس لقيل فيه متحوز وروى ان عمر رضى الله عنه حين بلغه قتل أبى عبيد بن مسعود وأصحابه فى بعض أيام القادسية قال هلا تحيزوا الينا فانا فيئة لكل مسلم * وذكر ابن اسحاق مخاشاة خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة والمخاشاة المحاجزة وهى مفاعلة من الخشية لانه خشى على المسلمين لقلة عددهم فقد قيل كان العدو مائتى ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين وفى قول ابن اسحق كان العدو مائة ألف وخمسين ألفا وقد قيل ان المسلمين لم يبلغ عددهم فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف ومن رواه حاشى بالحاء المهملة فهو من الحشى وهى الناحية وفى رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة فى المعارف انه سئل عن قوله حاشى بهم فقال معناه انحاز بهم وشعر قطبة بن قتادة يدل على أنه قد كان ثم ظفر ومغنم لقوله

وسقنا نساء بنى عمه * غداة رقوقين سوق النعم

وفى هذا الشعر انه قتل رئيسا منهم وهو مالك بن رافلة وقد اختلف فى ذلك كما ذكر ابن اسحق فقال ابن شهاب فاخذ خالد الراية حتى فتح الله على المسلمين فاخبر انه قد كان ثم فتح وفى الرواية الاخرى حين قيل لهم يا فرار دليل على انه قد كان ثم محاجزة وترك للقتال حتى قالوا نحن الفرارون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم فالله أعلم

﴿فصل﴾ وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ان يصنع لآل جعفر طعام فانهم قد شغلوا بامر صاحبهم وهذا أصل فى طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة وكان الطعام الذى صنع لآل جعفر فيما ذكر الزبير فى حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال فعمدت سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم الى شعير فطحنته ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله فاكلت منه وحبسنى النبي صلى الله عليه وسلم مع اخوتى فى بيته ثلاثة أيام وذكر قول حسان يرثى جعفرا * تأوبنى ليل بيثرب أعسر * أعسر بمعنى عسر وفى التنزيل «يوم

وزيد وعبدالله حين تتابعوا * جميعاوأسباب المنية تخطر
غداةمضوابالمؤمنين يقودهم * الى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم * أبى اذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير مؤسد * بمعترك فيه قنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه * جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى فى جعفر من محمد * وفاء وأمرا
حازما حين يامر
ومازال فى الاسلام من آل
هاشم
دعائم عز لايزلن ومفخر
هم جبل الاسلام والناس
حولهم
رضام الى طود يروق
ويبهر
بها ليل منهم جعفر وابن
أمه
على ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم
ومنهم
عقيل وماء العود من حيث
يعصر
بهم تفرج اللاواء فى كل
مأزق
عماس اذا ماضاق بالناس
مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه *
عليهم وفيهم ذا الكتاب
المطهر

وقال كعب بن مالك

نام العيون ودمع عينك
يهمل
سحا كما وكف الطباب
المخضل
فى ليلة وردت على
همومها
طورا أخن وتارة أتململ
واعتادنى حزن فبت كأننى * ببنات نعش والسماك موكل
وكأنما بين الجوانح والحشا * مما تأوبنى شهاب مدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا * يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلى الاله عليهم من فتية * وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للاله نفوسهم * حذر الردى ومخافة أن ينكلوا

عسر وفيه أيضاً عسير » والمعنى متقارب فمن قال عسر قال عسير بالياء ومن قال عسر يعسر قال فى الاسم عسر وأعسر مثل حمق وأحمق * وفى هذا الشعر قوله

بهاليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

البهاليل جمع بهلول وهو الوضىء الوجه مع طول * وقوله منهم أحمد المتخير فدعابه بعض الناس لما أضاف احمد المتخير اليهم وليس بعيب لانها ليست باضافة تعريف وانما هو تشريف لهم حيث كان منهم وانما ظهر العيب فى قول أبى نواس

كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

لانه ذكر واحدا وأضاف اليه فصار بمنزلة ماعيب على الاعشى

شتان مايومى على كورها * ويوم حيان أخى جابر

وكان حيان أسن من جابر وأشرف فغضب على الاعشى حيث عرفه بجابر واعتذر اليه من أجل الروى فلم يقبل عذره و وجدت فى رسالة المهلهل بن يموت بن المزرع قال قال على بن الاصفر وكان من رواة أبى نواس قال لما عمل أبونواس * أيها المنتاب عن عفره * أنشدنيها فلما بلغ قوله

كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

وقع لى انه كلام مستهجن فى غير موضعه اذ كان حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضاف اليه ولا يضاف الى أحد فقلت له أعرفت عيب هذا البيت قال ما يعيبه الا جاهل بكلام العرب وانما أردت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذى هذا الممدوح منه أما سمعت قول حسان بن ثابت شاعر دين الاسلام

ومازال فى الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لاترام ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

وقوله * بهم تفرج اللأواء فى كل مازق * عماس المازق المضيق من مضائق الحرب والخصومة وهو من أزقت الشىء اذا ضيقته و فى قصة ذى الرمة قال سمعت غلاما يقول لغلمة قد أزقتم هذه الاوقة حتى جعلتموها كالميم ثم أدخل منجمه يعنى عقبة فيها فجنجه حتى أفهقها أى حركه حتى وسعها والعماس المظلم والاعمس الضعيف البصر وحفرة معمسة أى مغطاة قال الشاعر

فانك قد غطيت أرجاء هوة * معمسة لا يستبان ترابها
بثوبك فى الظلماء ثم دعوتنى * فجئت اليها سادرا الا أهابها

أنشده ابن الانبارى فى خبر لزرارة بن عدس * وذكر شعر كعب وفيه * سحا كما وكف الطباب المخضل * الطباب جمع طبابة وهى سير بين خرزتين فى المزادة فاذا كان غير محكم وكف منه الماء والطباب أيضا جمع طبة وهى شقة مستطيلة * وقوله طورا أخن الخنين بالخاء المنقوطة حنين ببكاء فاذا كان بالحاء المهملة فليس معه بكاء ولا دمع * وقوله . وسقى عظامهم الغمام المسبل . يرد قول من قال انما استسقت العرب لقبور أحبتها لتخصب أرضها فلا يحتاجوا الى الانتقال عنها لطلب النجعة فى البلاد وقال قاسم بن ثابت فى الدلائل فهذا

فضوا أمام المسلمين كأنهم * فنق عليهن الحديد المرفل
اذ يهتدون بجعفر ولوائه * قدام أولهم فنعم الاول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر * حيث التقى وعث الصفوف مجدل
فتغير القمر المنير لفقده * والشمس قد كسفت وكادت تأفل
قرم علا بنيانه من هاشم * فرعا أشم وسوددا ماينقل
قوم بهم عصم الاله عباده * وعليهم نزل الكتاب المنزل
فضلوا المعاشر عزة وتكرما * وتعمدت أحلامهم من يجهل
لا يطلقون الى السفاه حباهم * وترى خطيبهم بحق يفصل
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم * تندى اذا اعتذر الزمان الممحل
وبهديهم رضى الاله لخلقه * وبجدهم نصر النبي المرسل

وقال حسان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر * حب النبي
على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين
نعيت لى
من للجلاد لدى العقاب
وظلها
بالبيض حين تسل من
أغمادها
ضربا وانهال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك
جعفر
خير البرية كلها وأجلها
رزأ وأكرمها جميعا محتدا *
وأعزها متظلما وأذلها
للحق حين ينوب غير
تنحل
كذبا وأنداها يدا وأقلها
فحشا وأكثرها اذا ما
يجتدى
فضلا وأنداها يدا وأبلها
بالعرف غير محمد لا مثله *
حى من احياء البرية كلها

وقال حسان بن ثابت فى
يوم مؤتة يبكى زيد بن حارثة
وعبد الله بن رواحة

عين جودى بدمعك المنزور *
واذكرى فى الرخاء أهل القبور
واذكرى مؤتة وما كان فيها * يوم راحوا فى وقعة التغوير
الحجت
حين راحوا وغادروا ثم زيدا * نعم ماوى الضريك والماسور
حب خير الانام طرا جميعا * سيد الناس حبه فى الصدور
ذاكم أحمد الذى لا سواه * ذاك حزنى له معا وسرورى
ان زيدا قد كان منا بأمر * ليس أمر المكذب المغرور
ثم جودى للخزرجى بدمع * سيدا كان ثم غير نزور
قد أتانا من قتلهم ما كفانا * فبحزن نبيت غير سرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة

كفى حزنا أنى رجعت وجعفر * وزيد وعبد الله فى رمس أقبر
قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم * وخلفت للبلوى مع المتغير
ثلاثة رهط قدموا فتقدموا * الى ورد مكروه من الموت أحمر

كعب يستسقى لعظام الشهداء بمؤتة وليس معهم وكذلك قول الآخر

سقى مطفيات المحل جودا وديمة * عظام ابن ليلى حيث كان رميمها

فقوله حيث كان رميمها يدل على انه ليس مقيما معه وانما استسقاؤهم لاهل القبور استرحام لهم لان السقى رحمة وضدها عذاب * وقوله كأنهم فنق جمع فنيق وهو الفحل كما قال الآخر وهو طخيم

معى كل فضفاض الرداء كأنه * اذا ماسرت فيه المدام فنيق

وقوله

فتغير القمر المنير لفقده * والشمس قد كسفت وكادت تأفل

قوله حق لانه ان كان عنى بالقمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله قمرا ثم جعله شمسا فقد كان تغير بالحزن لفقد جعفر وان كان أراد القمر نفسه فمعنى الكلام ومغزاه حق ايضا لان المفهوم منه تعظيم الحزن والمصاب واذا فهم مغزى الشاعر فى كلامه والمبالغ فى الشىء فليس بكذب ألا ترى الى قوله عليه السلام أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه أراد به المبالغة فى شدة أدبه لاهله فكلامه كله حق صلى الله عليه وسلم وكذلك قالوا فى مثل قول الشاعر

اذا ماغضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

قال انما أراد فعلنا فعلة شنيعة عظيمة فضرب المثل بهتك حجاب الشمس وفهم مقصده فلم يكن كذبا وانما الكذب ان يقول فعلنا وهم لم يفعلوا وقتلنا وهم لم يقتلوا * وذكر أبيات حسان وفى بعضها تضمين نحو قوله وأذلها ثم قال فى أول بيت آخر للحق وكذلك قال فى بيت آخر وأقلها وقال فى الذى بعده فحشا وهذا يسمى التضمين * وذكر قدامة فى كتاب نقد الشعر انه عيب عند الشعراء ولعمرى ان فيه مقالا لان آخر البيت يوقف عليه فيوهم الذم فى مثل قوله وأذلها وكذلك وأقلها وقد غلب الزبرقان على المخبل السعدى واسمه كعب بكلمة قالها المخبل أشعر منه ولكنه لما قال يهجوه

وأبوك بدر كان ينتهز الخصى * وأبى الجواد ربيعة بن قبال

وصل الكلام بقوله وأبى وادركه بهر او سعلة فقال له الزبرقان فلا باس اذا فضحك من المخبل وغلب عليه الزبرقان واذا كان هذا معيبا فى وسط البيت فاحرى ان يعاب فى آخره اذا كان يوهم الذم ولا يندفع ذلك الوهم الا بالبيت الثانى فليس هذا من التحصين على المعانى والتوقى للاعتراض * وقول حسان

* عين جودى بدمعك المنزور * النزر القليل ولا يحسن ههنا ذكر القليل ولكنه من نزرت الرجل اذا

وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة . من قريش ثم من بنى هاشم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه . وزيد بن حارثة رضى الله عنه . ومن بنى عدى بن كعب مسعود بن الاسود بن حارثة بن نضلة . ومن بنى مالك بن حسل وهب بن سعد بن أبى سرح . ومن الانصار ثم من بنى الحرث بن الخزرج عبد الله بن رواحة وعباد بن قيس . ومن بنى غنم بن مالك بن النجار الحرث بن النعمان بن اساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم . ومن بنى مازن بن النجار سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء «قال ابن هشام» وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكر ابن شهاب من بنى مازن بن النجار أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول وهما الاب وأم . ومن بنى مالك بن أفصى عمرو وعامر ابنا سعد بن الحرث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى «قال ابن هشام» و يقال أبو كلاب وجابر ابنا عمرو

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ذكر الاسباب الموجبة المسير الى مكة وذكر فتح مكة فى شهر رمضان سنة ثمان﴾

* قال ابن اسحق ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه الى مؤتة جمادى الآخرة ورجبا ثم ان بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة وهم على ماء لهم باسفل مكة يقال له الوتير وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخزاعة ان رجلا من بنى الحضرمى واسمه مالك بن عباد وحلف الحضرمى يومئذ الى الاسود بن رزن خرج تاجرا فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بنى الاسود بن رزن الديلى وهم مفخر بنى كنانة وأشرافهم سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم * قال ابن اسحق وحدثنى رجل من الديل قال كان بنو الاسود بن رزن يودون فى الجاهلية ديتين ديتين ونودى دية دية لفضلهم فينا * قال ابن اسحق فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الاسلام وتشاغل الناس به فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قريش كان فيما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط لهم كما حدثنى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيرهم من علمائنا أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده * قال ابن اسحق فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم ثارا باولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الاسود بن رزن فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل وهو يومئذ قائدهم وليس كل بنى بكر بايعه حتى بيت خزاعة وهم على الوتير ماء لهم فاصابوا منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا ورفدت بنى بكر قريش بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حاوزوا خزاعة الى الحرم فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة لا اله له اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثاركم فلعمرى انكم لتسرفون فى الحرم أفلا تصيبون ثاركم فيه وقد أصابوا منهم ليلة بيتوهم بالوتير رجلا يقال له منبه وكان منبه رجلا مفؤدا خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد فقال له منبه يا تميم انج بنفسك فأما أنا فوالله انى لميت قتلونى أو تركونى لقد أنبت فؤادى وانطلق تميم فأفلت وأدركوا منبها فقتلوه فلما دخلت خزاعة مكة لجؤا الى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه لما رأيت بنى نفاثة أقبلوا * يغشون كل وتيرة وحجاب صخرا ورزنا لا عريب سواهم * يزجون كل مقلص خناب

ألححت عليه ونزرت الشىء اذا استنفدته ومنه قول عمر رحمه الله نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصح فيه التخفيف وقال الشاعر

فخذ عفو من تهواه لا تنزرنه * فعند بلوغ الكدر رنق المشارب

وقوله يوم راحوا فى وقعة التغوير هو مصدر غورت اذا توسط القائلة من النهار و يقال أيضا اغور فهو مغور وفى حديث الافك مغورين فى نحر الظهيرة وانما صحت الواو فى مغور وفى أغور من هذا لان الفعل بنى فيه على الزوائد كما بنى استحوذوا أغيلت المرأة وليس كذلك أغار على العدو ولا اغار الحبل * وذكر فيمن استشهد بمؤتة ابا كليب بن ابى صعصعة «وقال ابن هشام» فيه ابو كلاب وهو المعروف عندهم وقال ابو عمر لا يعرف فى الصحابة احد يقال له ابو كليب

﴿بدء فتح مكة﴾

ذكر فيه الاسود بن رزن الكنانى بفتح الراء وذكر الشيخ الحافظ ابو بحر ان ابا الوليد أصلحه رزنا بكسر الراء قال والرزن نقرة فى حجر يمسك الماء وفى كتاب العين الرزن أكمة تمسك الماء والمعنى متقارب وذكر أن بنى رزن من بنى بكر وقد قيل فيه الدئل وقد أشبعنا القول فيه فى اول الكتاب وما قاله اللغويون والنسابون وذكرناه هنالك كل ديل فى العرب وكل دول والحمد لله * وذكر شعر تميم بن اسد وفيه * يزجون كل مقلص خناب * الخناب الطويل من الخيل وقع ذلك فى الجمهرة و يقال الخناب الواسع

وذكرت ذحلا عندنا متقادما * فيما مضى من سالف الاحقاب
ونشيت ريح الموت من تلقائهم * ورهبت وقع مهند قضاب
وعرفت أن من يثقفوه يتركوا * لحما لجرية وشلو اغراب
قومت رجلا لا أخاف عثارها * وطرحت بالمتن العراء ثيابى
ونجوت لا ينجو نجائى أحقب * علج أقب مشمر الاقراب
تلحى ولو شهدت لكان نكيرها * بولا يبل مشافر القبقاب
القوم أعلم ما تركت منبها * عن طيب نفس فاسألى أصحابى

«قال ابن هشام» وتروى لحبيب بن عبد الله الهذلى و بيته وذكرت ذحلا عندنا متقادما عن أبى عبيدة وقوله خناب وعلج أقب مشمر الاقراب عنه أيضا * قال ابن اسحق وقال الاخزر بن لعط الديلى فيما كان بين كنانة وخزاعة فى تلك الحرب

ألا هل أتى قصوى الاحابيش أننا
رددنا بنى كعب بأفوق ناصل
حبسناهم فى دارة العبد رافع
وعند بديل محبسا غير طائل
بدار الذليل الآخذ الضيم بعدما
شفينا النفوس منهم بالمناصل
حبسناهم حتى اذا طال يومهم
نفحنا لهم من كل شعب بوابل
نذبحهم ذبح التيوس كأننا *
أسود نبارى فيهم بالقواصل
هموا ظلمونا واعتدوا فى مسيرهم
وكانوا لدى الانصاب أول قاتل
كأنهم بالجزع اذ يطردونهم *
بفاثور حفان النعام الجوافل

فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الاجب وكان يقال له بديل بن أم أصرم فقال وصفه

تفاقد قوم يفخرون ولم ندع * لهم سيدا يندوهم غير نافل
أمن خيفة القوم الالى تزدريهم * تجيز الوتير خائفا غير آيل
وفى كل يوم نحن نحبو حباءنا * لعقل ولا يحبا لنا فى المعاقل
ونحن صبحنا بالتلاعة داركم * باسيافنا يسبقن لوم العواذل
ونحن منعنا بين بيض وعتود * الى خيف رضوى من مجر القبائل
و يوم الغميم قد تكفت ساعيا * عبيس فجعناه بجلد حلاحل
أأن أجرت فى بيتها أم بعضكم * بجعموسها تنزون ان لم نقاتل
كذبتم و بيت الله ما ان قتلتم * ولكن تركنا أمركم فى بلابل

المنخرين والخنابة جانب الانف وفى العين الخناب الرجل الضخم وهو الاحمق أيضاً والمقلص من الخيل المنضم البطن والقوائم وان قلت المقلص بكسر اللام فهو من قلصت الابل اذا شمرت قاله صاحب العين وفيه ظل عقاب وهى الراية وكان اسم راية النبى صلى الله عليه وسلم العقاب والدليل على انه يقال لكل راية عقاب قول قطرى بن الفجاءة ويكنى ابا نعامة رئيس الخوارج

يارب ظل عقاب قد وقيت بها * مهرى من الشمس والابطال تجتلد

وفيه يبل مشافر القبقاب القبقاب أراد به الفرج والقبقب والقبقاب البطن أيضاً * وذكر قول الآخر وفيه * قفا ثور حفان النعام الجوافل * قفا ثور يعنى الجبل وقفا ظرف للفعل الذى قبله وقال قفا ثور ولم ينون لانه اسم علم مع ضرورة الشعر وقد تكلمنا على هذا فيما قبل ولو قال قفا ثور بنصب الراء وجعله غير منصرف لم يبعد لان ما لا تنوين فيه وهو غير معرب بالف ولام ولا اضافة فلا يدخله الخفض لئلا يشبه ما يضيفه المتكلم الى نفسه وقفا ثور بهذا اللفظ تقيد فى الاصل وظاهر كلام البرقى فى شرح هذا البيت انه بفاثور لانه قال الفاثور سبيكة الفضة وكانه شبه المكان بالفضة لنقائه واستوائه فان كانت الرواية كما قال فهو اسم موضع والفاثور خوان من فضة و يقال ابريق من فضة قيل ذلك فى قول جميل * وصدر كفاثور اللجين وجيد * وفى قول لبيد

حقائبهم راح عتيق ودرمك * ومسك وفاثورية وسلاسل

وكما قال البرقى ألفيته فى نسخ صحيحة سوى نسخة الشيخ وان صح ما فى نسخة الشيخ فهو كلام حذف منه ومعناه قفا فاثور وحسن حذف الفاء الثانية كما حسن حذف اللام الثانية فى قولهم علماء بنى فلان لا سيما مع ضرورة الشعر وترك الصرف لانه جعله اسم بقعة ومن الشاهد على أن فاثورا اسم بقعة قول لبيد

و يوم طعنتم فاسمعدت وفودكم * باجماد فاثور كريم مصابر

أى أنا كريم مصابر ولذلك قال البكرى ولم يذكر فيه اختلافا وقال هو اسم جبل يعنى فاثور وقال ابن مقبل

حى محاضرهم شتى و جمعهم * دوم الاياد وفاثور اذا انتجعوا

وقال لبيد

ولدى النعمان منى موطن * بين فاثور أفاق فالدخل

وحفان النعام صغارها وهو مرفوع لانه خبر كان * وذكر شعر بديل بن أم أصرم وفيه غير آيل هو فاعل من آل اذا رجع ولكنه قلب الهمزة التى هى بدل من الواو ياء لئلا تجتمع همزتان وكانت الياء أولى بها لانكسارها * وفيه ذكر عييس و وقع فى بعض روايات الكتاب عبيس بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل وفيه * ان اجمرت فى بيتها أم بعضكم بجعموسها * أى رمت به بسرعة وهو كناية عن ضرب من الحرث يسمج

«قال ابن هشام» قوله غير نافل وقوله الى خيف رضوى عن غير ابن اسحق «قال ابن هشام» وقال حسان بن ثابت فى ذلك

لحا الله قوما لم ندع من سراتهم * لهم أحدا يندوهم غير ناقب   أخصى حمار مات بالامس نوفلا * متى كنت مفلاخا عدو الحقائب

* قال ابن اسحق فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده وعهده خرج عمرو بن سالم الخزاعى ثم أحد بنى كعب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس فقال

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا   قد كنتم ولدا وكنا والدا * ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا   فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا * ان قريشا أخلفوك الموعدا   ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا * وهم اذل وأقل عددا   هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

يقول قتلنا وقد أسلمنا «قال ابن هشام» ويروى أيضا * فانصر هداك الله نصرا أبدا * «قال ابن هشام» ويروى أيضا * نحن ولدناك فكنت ولدا * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس كانكم بابى سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد فى المدة ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا الذى صنعوا فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقاء قال من أين أقبلت يا بديل وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى قال أوما جئت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء بديل المدينة لقد علف بها النوى فاتى مبرك راحلته فاخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيأ ثم ذهب الى أبى بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أأنا أشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على على بن أبى طالب رضوان الله عليه وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وعندها حسن بن على عليه رضوان الله غلام يدب بين يديها فقال يا على انك أمس القوم بى رحما وانى قد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا فاشفع لى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة فقال يا ابنة محمد هل لك أن تامرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر قالت والله ما بلغ بنى ذاك ان يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا الحسن انى أرى الامور

وصفه * وذكر أبيات عمرو بن سالم وفيها * قد كنتم ولدا وكنا والدا * يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة وكذلك قصى أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية والولد بمعنى الولد * وقوله ثمت أسلمنا هو من السلم لانهم لم يكونوا آمنوا بعد غير انه قال ركعا وسجدا فدل على انه كان فيهم من صلى لله فقتل والله أعلم * وذكر فيه الوتير وهو اسم ماء معروف فى بلاد خزاعة والوتير فى اللغة الورد الابيض وقد يكون منه برى فيحتمل أن يكون هذا الماء سمى به وأما الورد الاحمر فهو الحوجم ويقال للورد كله جل قاله أبو حنيفة وكان لفظ الحوجم من الحجمة وهى حمرة فى العينين يقال منه رجل أحجم * وذكر قول عمر رضى الله عنه فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به وهو كلام مفهوم المعنى وقد تقدم ان مثل هذا ليس بكذب وان كان الذر لا يقاتل به وكذلك قول عمر فى حديث الموطأ والله ليمرن به ولو على بطنك يعنى الجدول وهو من هذا القبيل لا يعد كذبا لانه جرى فى كلامهم كالمثل * وذكر قول فاطمة والله ما بلغ بنى أن يجير بين الناس وقد ذكر أبو عبيد هذا احتجاجا به على من أجاز أمان الصبى وجواره ومن أجاز جوار الصبى انما أجازه اذا عقل الصبى وكان كالمراهق * وقولها ولا يجير أحد على رسول الله وقد قال عليه السلام يجير على المسلمين أدناهم فمعنى هذا والله أعلم كالعبد ونحوه

قد اشتدت على فانصحنى قال والله ما أعرف لك شيئا يغنى عنك شيئا ولكنك سيد بنى كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال أو ترى ذلك مغنيا عنى شيا قال لا والله ما أظنه ولكنى لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال أيها الناس انى قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيا ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو «قال ابن هشام» أعدى العدو * قال ابن اسحق ثم أتيت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار على بشىء صنعته فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيا أم لا قالوا وبم أمرك قال أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ان زاد الرجل على ان لعب بك فما يغنى عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله ان يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها وهى تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى بنية أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم فتجهز قال فاين ترينه يريد قالت والله ما أدرى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس انه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس فقال حسان ابن ثابت يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة

عنانى ولم أشهد ببطحاء مكة * رجال بنى كعب تحز رقابها
بايدى رجال لم يسلوا سيوفهم * وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعرى هل تنالن نصرتى * سهيل بن عمرو حرها وعقابها
وصفوان عودا حز من شعر استه * فهذا أوان الحرب شد عصابها
فلا تأمننا يا ابن أم مجالد * اذا احتلبت صرفا وأعصل نابها
ولا تجزعوا منها فان سيوفنا * لها وقعة بالموت يفتح بابها

«قال ابن هشام» قول حسان بايدى رجال لم يسلوا سيوفهم يعنى قريشا وابن أم مجالد يعنى عكرمة ابن أبى جهل * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة
يرويه
كتابا الى قريش يخبرهم بالذى اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامر فى السير اليهم ثم اعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم لى غيره انها سارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب وجعل لها جعلا على ان تبلغه قريشا فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما فقال أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد أجمعناله فى أمرهم فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بنى أبى أحمد فاستنزلاها فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيأ فقال لها على بن أبى طالب انى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك فلما رأت الجد منه قالت أعرض فاعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليه فاتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال يا حاطب ما حملك على هذا فقال يا رسول الله اما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعنى فلاضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال

يجوز جواره فيما قل مثل أن يجير واحدا من العدو أو نفرا يسيرا وأما ان يجير على الامام قوما يريد الامام غزوهم وحربهم فلا يجوز ذلك عليهم ولا على الامام وهذا هو الذى أرادت فاطمة رضى الله عنها والله أعلم وأما جوار المرأة وتأمينها فجائز عند جماعة الفقهاء الا سحنون وابن الماجشون فانهما قالا هو موقوف على اجازة الامام وقد قال عليه السلام لام هانى "قد أجرنا من أجرت يا أم هانى" وروى معنى قولهما عن عمرو بن العاصى وخالد بن الوليد وأما جوار العبد فجائز الا عند أبى حنيفة وقول النبى صلى الله عليه وسلم يجير على المسلمين أدناهم يدخل فيه العبد والمرأة

﴿فصل﴾ وذكر كتاب حاطب الى قريش وهو حاطب بن أبى بلتعة مولى عبد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى والبلتعة فى اللغة التظرف قاله أبو عبيد واسم أبى بلتعة عمرو وهو لخمى فيما ذكروا ومن ذريته زياد بن عبد الرحمن الاندلسى الذى روى الموطأ عن مالك وهو زياد شبطون وكان قاضى طليطلة وكان شبطون زوج الامه فعرف به رحمه الله وقد قيل انه كان فى الكتاب ان النبى صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده وفى تفسير ابن سلام انه كان فى الكتاب الذى كتبه حاطب ان النبى محمدا قد نفر اما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر * وذكر ان على بن أبى طالب والزبير والمقداد أدركوها بروضة خاخ بخاءين منقوطتين وكان هشيم

اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى فى حاطب يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا و بينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الى آخر القصة * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس قال ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة ابارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج افطر * قال ابن اسحق ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين فسبعت سليم و بعضهم يقول ألفت سليم وألفت مزينة وفى كل القبائل عدد واسلام وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار فلم يتخلف عنهم منهم أحد فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ماهو فاعل وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يتحسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق «قال ابن هشام» لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فيما ذكر ابن شهاب الزهرى * قال ابن اسحق وقد كان أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بنبق العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فكلمته أم سلمة فيهما فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال لا حاجة لى بهما أما ابن عمى فهتك عرضى وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال قال فلما خرج الخبر اليهما بذلك ومع أبى سفيان بنى له فقال والله ليأذنن لى أو لآخذن بيدى بنى هذا ثم لنذهبن فى الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشده أبو سفيان بن الحرث

يرويه حاج بالحاء والجيم وهو مما حفظ من تصحيف هشيم وكذلك كان يروى سدادا من عون بفتح السين والمغيرة بن أبى بردة يقول فيه برزة بالزاى وفتح الباء فى تصحيف كثير وهو مع ذلك ثبت متفق على عدالته على ان البخارى قد ذكر عن أبى عوانة أيضاً انه قال فيه حاج كما قيل عن هشيم فالله أعلم وفى هذا الخبر من رواية الشيبانى ان عائشة قالت دخل علىّ أبو بكر وأنا أغربل حنطة لنا فسألنى وذكر باقى الحديث وفيه من الفقه أكلهم للبر وان كان أغلب أحوالهم أكل الشعير ولا يقال حنطة الا للبر

﴿فصل﴾ وذكر قول الله عز وجل فى حاطب تلقون اليهم بالمودة أى تبذلونها لهم ودخول الباء وخروجها عند الفراء سواء والباء عند سيبويه لا تزاد فى الواجب ومعنى الكلام عند طائفة من البصريين تلقون اليهم النصيحة بالمودة قال النحاس معناه تخبرونهم بما يخبر به الرجل أهل مودته وهذا التقدير ان نفع فى هذا الموضع لم ينفع فى مثل قول العرب ألقى اليه بوسادة أو بثوب ونحو ذلك فيقال اذا ان ألقيت تنقسم قسمين أحدهما ان تريد وضع الشىء فى الارض فتقول ألقيت السوط من يده ونحو ذلك والثانى أن تريد معنى الرمى بالشىء فتقول ألقيت الى زيد بكذا أرميته به وفى الآية انما هو القاء بكتاب وارسال به فعبر عن ذلك بالمودة لانه من افعال أهل المودة فمن ثم حسنت الباء لانه ارسال بشىء فتأمله وفى الحديث دليل على قتل الجاسوس فان عمر رضى الله عنه قال دعنى فلأضرب عنقه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع الى أصحاب بدر الحديث فعلق حكم المنع من قتله بشهود بدر فدل على ان من فعل مثل فعله وليس ببدرى انه يقتل زاد البخارى فى بعض روايات الحديث قال فاغرورقت عينا عمر رضى الله عنه وقال الله ورسوله أعلم يعنى حين سمعه يقول فى أهل بدر ما قال وفى مسند الحارث ان حاطبا قال يا رسول الله كنت عزيزا فى قريش وكانت أمى بين ظهرانيهم فاردت أن يحفظونى فيها أو نحو هذا ثم فسر العزير وقال هو الغريب * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لام سلمة حين استأذنته فى أخيها عبد الله بن أمية وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال يعنى حين قال له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وانا انظر ثم تاتى بصك واربعة من الملائكة يشهدون لك ان الله قد ارسلك وقد تقدمت هذه القصة وعبد الله بن ابى امية هو اخو ام سلمة لابيها وامه عاتكة بنت عبد المطلب وام سلمة امها عاتكة بنت جذل الطعان وهو عامر بن قيس الفراسى واسم أبى أمية حذيفة وكانت عنده أربع عواتك قد ذكرنا منهن ههنا ثنتين وقول أبى سفيان بن الحارث أو لآخذن بيد بنى هذا ثم لنذهبن فى الارض لم يذكر ابن اسحق اسم ابنه ذلك ولعله أن يكون جعفرا فقد كان اذ ذاك غلاما مدركا وشهد مع ابيه حنينا ومات فى خلافة معاوية ولا عقب له * وذكر الزبير لابى سفيان ولدا يكنى ابا الهياج فى حديث ذكره لا ادرى اهو جعفر ام غيره ومات ابو سفيان فى خلافة عمر رضى

قوله فى اسلامه واعتذر اليه مما كان مضى منه فقال

لعمرك انى يوم أحمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله * فهذا أوانى حين أهدى واهتدى
هدانى هاد غير نفسى ودلنى * على الله من طردت كل مطرد
أصد وأنأى جاهدا عن محمد * وادعى وان لم أنتسب من محمد
هم ما هم من لم يقل بهواهم * وان كان ذا رأى يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بلائط * مع القوم مالم أهد فى كل مقعد
فقل لثقيف لا أريد قتالها * وقل لثقيف تلك غيرى أوعدى
فما كنت فى الجيش الذى نال عامرا * وما كان عن جرى لسانى ولا يدى
قبائل جاءت من بلاد بعيدة * نزائع جاءت من سهام وسردد

« قال ابن هشام » ويروى ودلنى على الحق من طردت كل مطرد * قال ابن اسحق فزعموا انه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ونالنى مع الله من طردت كل مطرد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدره وقال أنت طردتنى كل مطرد فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب فقلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة ان يأتوه فيستامنوه بانه لهلاك قريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها قال حتى جئت الاراك فقلت لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب ابن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستامنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة قال فوالله انى لأسير عليها وألتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا قال يقول بديل هذه والله خزاعة حمشتها الحرب قال يقول أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتى فقال أبو الفضل قال قلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قال قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس واصباح قريش والله قال فما الحيلة فداك ابى وأمى قال قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك قال فركب خلفى ورجع صاحباه قال فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال من هذا وقام الى فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطىء قال فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى فلأضرب عنقه قال قلت يا رسول الله انى قد أجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة دونى رجل فلما أكثر عمر فى شانه قال قلت مهلا يا عمر فوالله ان لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت هذا ولكنك قد عرفت انه من رجال بنى عبد مناف فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم ومابى الا انى قد عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فاتنى به قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه

الله عنه وقال عند موته لا تبكن على فانى لم انتطف بخطيئة منذ أسلمت ومات من ثؤلول حلقه الحلاق فى حج فقطعه مع الشعر فنزف منه وقيل فى اسم أبى سفيان المغيرة وقيل بل المغيرة أخوه قال القتبى اخوته المغيرة ونوفل وعبد شمس وربيعة بنو الحارث بن عبد المطلب * وقوله نزائع جاءت من سهام وسردد على وزن فعال بفتح الفاء وسردد بضم أوله واسكان ثانيه هكذا ذكره سيبويه ويعقوب وبفتح الدال ذكره غيرهما وهما موضعان من أرض عك وذلك ان سيبويه من أصله انه ليس فى الكلام فعلل بالفتح وحكاه الكوفيون فى جندب وسردد وغيرهما ولا ينبغى أيضا على أصل سيبويه أن يمتنع الفتح فى سردد لان احدى الدالين زائدة من أجل التضعيف وانما الذى يمتنع فى الابنية مثل جعفر بضم أوله وفتح ثانيه فمثل سردد السودد والحلل جمع حائل وماذكره بعضهم من طحلب وبرقع وجؤذر فهو دخيل فى الكلام ولا يجعل أصلا ولا يمتنع أيضا جندب بفتح الدال لان النون زائدة وكان أبو سفيان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضعتهما حليمة وكان آلف الناس له قبل النبوة لا يفارقه فلما نبىء كان أبعد الناس عنه وأهجاهم له الى أن أسلم فكان أصح الناس ايمانا وألزمهم له صلى الله عليه وسلم ولابى سفيان هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم أنت يا أبا سفيان كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا وقيل بل قالها لابى سفيان بن حرب والاول أصح * وقول بديل حمشتهم الحرب يقال حمشت الرجل اذا أغضبته وحمشت النار ايضا اذا أوقدتها ويقال حمست بالسين * وذكر عبد بن حميد فى اسلام ابى سفيان بن حرب ان العباس لما احتمله معه الى قبته فاصبح عنده رأى الناس وقد ثاروا

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا أباسفيان ألم يان لك ان تعلم انه لا اله الا الله قال بابى أنت وامى ما احلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عنى شيا بعد قال ويحك يا اباسفيان ألم يأن لك ان تعلم انى رسول الله قال بابى أنت وامى ما احلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فان فى النفس منها حتى الآن شيا فقال له العباس ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك قال فشهد شهادة الحق فاسلم قال العباس قلت يارسول الله ان أباسفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيا قال نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها قال فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحبسه قال ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال يا عباس من هذه فاقول سليم فيقول مالى ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفذت القبائل ما تمر به قبيلة الا (٢٦٩) يسالنى عنها فاذا أخبرته بهم قال مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء «قال ابن هشام» وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها قال الحرث بن حلزة اليشكرى

ثم حجرا أعنى ابن أم فطام * وله فارسية خضراء

يعنى الكتيبة وهذا البيت فى قصيدة له وقال حسان بن ثابت الانصارى

لما رأى بدرا تسيل جلاهه * بكتيبة خضرا من الخزرج

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر * قال ابن اسحق فيها المهاجرون والانصار رضى الله عنهم لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار

قال مالاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما قال قلت يا أباسفيان انها النبوة قال فنعم اذن قال قلت النجاء الى قومك حتى اذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فقامت اليه هند بنت عتبة فاخذت بشاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الاحمس قبح من طليعة قوم قال ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم مالا قبل لكم به فمن دخل دار ابى سفيان فهو آمن قالوا قاتلك الله وما تغنى عنا دارك قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة حمراء وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء ابنة أبى بكر قالت لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده أى بنية اظهرى بى على

ثاروا الى ظهورهم فقال أبو سفيان يا أبا الفضل ما للناس أأمروا فى بشىء قال لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فامره العباس فتوضا ثم انطلق به الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه السلام فى الصلاة كبر فكبر الناس بتكبيره ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا فقال أبو سفيان ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس الاكارم ولا الروم ذات القرون باطوع منهم له وفى حديث عبد بن حميد ان اباسفيان قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين عرض عليه الاسلام كيف أصنع بالعزى فسمعه عمر رضى الله عنه من وراء القبة فقال له تخرأ عليها فقال له ابو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعنى مع ابن عمى فاياه اكلم * وذكر قول ابى سفيان لقد اصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما وقول العباس له انها النبوة قال شيخنا ابو بكر رحمه الله انما انكر العباس عليه ان ذكر الملك مجردا من النبوة مع انه كان فى اول دخوله فى الاسلام والا فجائز ان يسمى مثل هذا ملكا وان كان لنبى فقد قال الله تعالى فى داود « وشددنا ملكه » وقال سليمان « وهب لى ملكا » غير ان الكراهية اظهر فى تسمية حال النبى صلى الله عليه وسلم ملكا لما جاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا عبدا او نبيا ملكا فالتفت الى جبريل فاشار اليه ان تواضع فقال بل نبيا عبدا اشبع يوما واجوع يوما وانكار العباس على ابى سفيان يقوى هذا المعنى وامر الخلفاء الاربعة بعده يكره ايضاً ان يسمى ملكا لقوله عليه السلام فى حديث آخر يكون بعده خلفاء ثم يكون امراء ثم يكون ملوك ثم جبابرة ويروى ثم يعود الامر بزبريا وهو تصحيف قال الخطابى انما هو بزيزى اى قتل وسلب وقول هند اقتلوا الحميت الدسم الاحمس الحميت الزق نسبته الى الضخم والسمن والاحمس ايضاً الذى لا خير عنده من قولهم عام احمس اذا لم يكن فيه مطر وزاد عبد بن حميد فى حديثه انها قالت يا آل غالب اقتلوا الاحمق فقال لها ابو سفيان والله لتسلمن اولاضربن عنقك وفى اسلام ابى سفيان قبل هند واسلامها قبل انقضاء عدتها ثم استقرا على نكاحهما وكذلك حكيم بن حزام مع امراته حجة للشافعى فانه لم يفرق بين ان تسلم قبله او يسلم قبلها ما دامت فى العدة وفرق مالك بين المسئلتين على ما فى الموطا وغيره * وذكر اسلام ابى قحافة واسمه عثمان بن عامر واسم امه قيلة بنت اذاة * وقوله لبنت له وهى أصغر ولد يريد والله اعلم اصغر اولاده الذين لصلبه واولادهم لان اباقحافة

أَبى قبيس قالت وقد كف بصره قالت فاشرفت به عليه فقال أى بنية ماذا ترين قالت أرى سوادا مجتمعا قال تلك الخيل قالت وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك السواد مقبلا ومدبرا قال أى بنية ذلك الوازع يعنى الذى يامر الخيل و يتقدم اليها ثم قالت قد والله انتشر السواد قالت فقال قد والله اذن دفعت الخيل فاسرعى بى الى بيتى فانحطت به و تلقاه الخيل قبل أن يصل الى بيته قالت وفى عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها قالت فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بابيه يقوده فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون انا آتيه فيه قال أَبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى اليه أنت قال فاجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له أسلم فأسلم قالت فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثغامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غيروا هذا من شعره ثم قام أبو بكر فاخذ بيد أخته وقال أنشد الله والاسلام طوق أختى فلم يجبه أحد قالت فقال أى أخية احتسبى طوقك فوالله ان الامانة فى الناس اليوم لقليل * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذى طوى أمر الزبير ابن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كداء وكان الزبير على المجنبة اليسرى وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كدى

الناس

لم يعش له ولد ذكر الا ابو بكر ولا تعرف له بنت الا ام فروة التى انكحها ابو بكر رضى الله عنه من الاشعث بن قيس وكانت قبله تحت تميم الدارى فهى هذه التى ذكر ابن اسحق والله أعلم وقد قيل كانت له بنت أخرى تسمى قريبة تزوجها قيس بن سعد بن عبادة فالمذكورة فى حديث أبى قحافة هى احدى هاتين على هذا والله أعلم وفى الحديث وكان رأسه ثغامة والثغام من نبات الجبال وهو من الجنبة وأشد ما يكون بياضا اذا أمحل والحلى مثله يشبه به الشيب قال الراجز * ولمتى كانها حليه * وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى شيب أبى قحافة غيروا هذا من شعره هو على الندب لا على الوجوب لما دل على ذلك من الاحاديث عنه عليه السلام انه لم يغير شيبه وقد روى من طريق أبى هريرة انه خضب وقال من جمع بين الحديثين انما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب وقال أنس لم يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم حد الخضاب وفى البخارى عن عثمان بن موهب قال أرتنى أم سلمة شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أيضاً عن ابن موهب قال بعثنى أهلى بقدح الى أم سلمة وذكر الحديث وفيه اطلعت فى الجلجل فرأيت شعرات حمرا وهذا كلام مشكل وشرحه فى مسند وكيع بن الجراح قال كان جلجلا من فضة صنع صيوانا للشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قيل) فهذا يدل على انه كان مخضوب الشيب وقد صح من حديث أنس وغيره انه عليه السلام لم يكن بلغ ان يخضب انما كانت شعرات تعد (فالجواب) انه لما توفى خضب من كان عنده شىء من شعره تلك الشعرات ليكون أبقى لها كذلك قال الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ له وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم وكان عمر يخضب بالصفرة وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر وكان فيهم من يخضب بالخطر وهو الوسمة وأما الصفرة فكانت من الورس أو الكركم وهو الزعفران والورس ينبت باليمن يقال لجيده بادرة الورس ومن أنواعه العسف والحبشى وهو آخره و يقال من الحناء حنا شيبه و رقنه و جمع الحناء حنان على غير قياس قال الشاعر

ولقد أروح بلمة فينانة * سوداء قد رويت من الحنان

من كتاب أبى حنيفة و بعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن اسحق فى شيب أبى قحافة وجنبوه السواد وأكثر العلماء على كراهة الخضاب بالسواد من أجل هذا الحديث ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهى لمن خضب بالسواد وقيل أول من خضب بالسواد فرعون وقيل أول من خضب به من العرب عبد المطلب وترخص قوم فى الخضاب بالسواد منهم محمد بن على و روى عن عمر انه قال اخضبوا بالسواد فانه انكا للعدو وأحب للنساء وقال ابن بطال فى الشرح اذا كان الرجل كهلا لم يبلغ الهرم جاز له الخضاب بالسواد لان فى ذلك ما قال عمر رضى الله عنه من الارهاب على العدو والتحبب الى النساء وأما اذا قوس واحدودب فحينئذ يكره له السواد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبى قحافة غيروا شيبه وجنبوه السواد

﴿فصل﴾ وذكر كداء بفتح الكاف والمد وهو باعلى مكة وكدى وهو من ناحية عرفة و بمكة موضع ثالث يقال كدا بضم الكاف والقصر وأنشدوا فى كداء وكدى

أقفرت بعد عبد شمس كداء * فكدى فالركن والبطحاء

والبيت لابن قيس الرقيات يذكر بنى عبد شمس بن عبد ود العامريين رهط سهيل بن عمرو و بكداء وقف ابراهيم عليه السلام حين دعا للذريته بالحرم كذلك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس فقال فاجعل أفئدة من

* قال ابن اسحق فزعم بعض أهل العلم ان سعدا حين وجه داخلا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين « قال ابن هشام » هو عمر بن الخطاب فقال يارسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة ما نأمن أن يكون له فى قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب أدركه فخذ الراية منه فكن أنت الذى تدخل بها * قال ابن اسحق وقد حدثنى عبد الله بن أبى نجيح فى حديثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة فى بعض الناس وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذاخر حتى نزل باعلى مكة وضربت له هنالك قبته * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله ابن أبى بكر ان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وكانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يعد سلاحا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلح منه فقالت له امرأته لماذا تعد ما أرى قال لمحمد وأصحابه قالت والله ما أرى انه يقوم لمحمد وأصحابه شىء قال والله انى لأرجو أن أخدمك بعضهم ثم قال ان يقلوا اليوم فمالى عله * هذا سلاح كامل واله * وذو غرارين سريع السله * ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيأ من قتال فقتل كرز بن جابر أحد بنى محارب بن فهر وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بنى منقذ وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقة فقتلا جميعا قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر فجعله كرز بن جابر بين رجليه ثم قاتل عنه حتى قتل وهو يرتجز يقول قد علمت صفراء من بنى فهر * نقية الوجه نقية الصدر * لاضربن اليوم عن أبى صخر * « قال ابن هشام » وكان خنيس يكنى أبا صخر « قال ابن هشام » خنيس بن خالد من خزاعة

الناس تهوى اليهم فاستجيبت دعوته وقيل له أذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ألا تراه يقول يأتوك ولم يقل يأتونى لانها استجابة لدعوته فمن ثم والله اعلم استحب النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتى لمكة أن يدخلها من كداء لانه الموضع الذى دعا فيه ابراهيم بان يجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم

﴿ فصل ﴾ وذكر نزع الراية من سعد حين قال اليوم يوم الملحمة وزاد غير ابن اسحق فى الخبر ان ضرار ابن الخطاب قال يومئذ شعرا حين سمع قول سعد استعطف فيه النبى صلى الله عليه وسلم على قريش وهو من أجود شعر له

يانبى الهدى اليك لجاحى قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار * ض وعاداهم اله السماء
والتقت حلقتا البطان على القوم ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهر باهل الحجون والبطحاء
خزرجى لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر والعواء
فلئن أقحم اللواء ونادى * ياحماة اللواء اهل اللواء
لتكونن بالبطاح قريش * بقعة القاع فى أكف الاماء

فحينئذ انتزع النبى صلى الله عليه وسلم الراية من سعد بن عبادة فيما ذكروا والله اعلم ومد فى هذا الشعر العواء وأنكر الفارسى فى بعض كتبه مدها وقال لو مدت لقيل فيها العياء كما قيل فى العلياء لانها ليست بصفة كالعشواء قال وانما هى مقصورة كالشروى والنجوى وغفل عن وجه ذكره أبو على القالى فانه قال من مد العواء فهى عنده فعال من عويت الشىء اذا لويت طرفه وهذا حسن جدا لاسيما وقد صح مدها فى الشعر الذى تقدم وغيره والاصح فى معناها ان العواء من العوة والعوة هى الدبر فكانهم سموها بذلك لانها دبر الاسد من البروج

﴿ فصل ﴾ وذكر خنيس بن خالد وقول ابن هشام خنيس من خزاعة لم يختلفوا عن ابن اسحق انه خنيس بالخاء المنقوطة والنون وأكثر من ألف فى المؤتلف والمختلف يقول الصواب فيه حبيش بالحاء المهملة والباء والشين المنقوطة وكذلك فى حاشية الشيخ عن أبى الوليد ان الصواب فيه حبيش وأبوه خالد هو الاشعر بن حنيف وقد رفعنا نسبه عند ذكر أم معبد لانها بنته وهو بالشين المنقوطة وأما الاسعر بالسين المهملة فهو الاسعر الجعفى واسمه مرثد بن عمران وسمى الاسعر لقوله

فلا يدعنى قومى لسعد بن مالك * لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

يعنى بالك مذحج * وذكر الرجز الذى لكرز * قد علمت صفراء من بنى فهر * أشار بقوله صفراء

الى صفرة الخلوق وقيل بل أراد معنى قول امرىء القيس * كبكر مقاناة البياض بصفرة * وكقول الاعشى

حمراء غدوتها وصفر * اء العشية كالعرارة

وقوله من بنى فهر بكسر الهاء وكذلك الصدر فى البيت الثانى وأبو صخر هذا على مذهب العرب فى الوقف على ما أوسطه ساكن فان منهم من ينقل حركة لام الفعل الى عين الفعل فى الوقف وذلك اذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضا ولا يفعلون ذلك فى النصب وعلله مستقصاة فى النحو * وذكر خبر حماس وقول امرأته له لماذا تعد السلاح باثبات الالف ولا يجوز حذفها من أجل تركيب ذا معها والمعروف فى ماذا كانت استفهاما مجرورة أن تحذف منها الالف فيقال لم وبم قال ابن السراج الدليل على ان ذا جعلت مع ما اسما واحدا انهم اتفقوا على اثبات الالف مع حرف الجر فيقولون لماذا فعلت وبماذا جئت وهو معنى قول سيبويه * وقوله وذو غرارين سريع السله بكسر السين هو الرواية يريد الحالة من سل السيف ومن أراد المصدر فتح * وقوله وأبو يزيد قائم كالمؤتمة يريد المرأة لها ايتام والاعرف فى مثل هذا مؤتم مثل مطفل وجمعها مياتم وقال ابن اسحق فى غير هذه الرواية المؤتمة الاسطوانة وهو تفسير غريب وهو أصح من التفسير الاول لانه تفسير راوى الحديث فعلى قول ابن اسحق هذا يكون لفظ المؤتمة من قولهم وتم وأتم اذا ثبت لان الاسطوانة تثبت ما عليها ويقال فيها على هذا مؤتمة بالهمز وتجمع ماتم وموتمة بلا همز وتجمع مواتم * وقوله وأبو يزيد بقلب الهمزة من أبو ألفا ساكنة فيه حجة لورش حيث ابدل الهمزة ألفا ساكنة وهى متحركة وانما قياسها عند النحويين أن تكون بين بين * ومثل قوله وأبو يزيد قول الفرزدق * فارعى فزازة لا هناك المرتع * وانما هو هنأك بالهمز وتسهيلها بين بين فقلبها ألفا على غير القياس المعروف فى النحو وكذلك قولهم فى المنساة وهى العصا وأصلها الهمز لانها مفعلة من نسأت ولكنها فى التنزيل كما ترى وأبو يزيد الذى عنى فى هذا البيت هو سهيل بن عمرو خطيب قريش * وقوله لهم نهيت النهيت صوت الصدر وأكثر ما توصف به الاسد قال ابن الاسلت

كانهم أسد لدى اشبل * ينهتن فى غيل واجزاع

والغمغمة أصوات غير مفهومة من اختلاطها

﴿فصل﴾ ونذكرها هنا طرفا من أحكام أرض مكة فقد اختلف هل افتتحها النبى صلى الله عليه وسلم عنوة أو صلحا ليبتنى على ذلك الحكم هل ارضها ملك لاهلها أم لا وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة اذا قدم الحاج وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله بمكة ان ينهى أهلها عن كراء دورها اذا جاء الحاج فان ذلك لا يحل لهم وقال مالك رحمه الله ان كان الناس ليضربون فساطيطهم بدور مكة لا ينهاهم أحد وروى ان دور مكة كانت تدعى السوائب وهذا كله منتزع من أصلين أحدهما قوله تبارك وتعالى « والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادى » وقال ابن عمر وابن عباس الحرم كله مسجد والاصل الثانى ان النبى صلى الله عليه وسلم دخلها عنوة غير انه من على أهلها بانفسهم وأموالهم ولا يقاس عليها غيرها من البلاد كما ظن بعض الفقهاء فانها مخالفة لغيرها من وجهين أحدهما ما خص الله به نبيه فانه قال « قل الانفال لله والرسول » والثانى ما خص الله تعالى به مكة فانه جاء لا تحل غنائمها ولا تلتقط لقطتها وهى حرم الله تعالى وأمنه فكيف تكون ارضها ارض خراج فليس لاحد افتتح بلدا أن يسلك به سبيل مكة فارضها اذا ودورها لاهلها ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج اذا قدموها ولا يأخذوا منهم كراء فى مساكنها فهذا حكمها فلا عليك بعد هذا فتحت عنوة أو صلحا وان كانت ظواهر الحديث

* قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر قالا وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ثم انهزموا فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته ثم قال لامرأته اغلقى على بابى قالت فاين ما كنت تقول فقال

انك لو شهدت يوم الخندمه
اذ فر صفوان وفر عكرمه
وابو يزيد قائم كالمؤتمه *
واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه *
ضربا فلا يسمع الا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه *
لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

« قال ابن هشام » أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله كالمؤتمه للرعاش

الهذلى وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحنين والطائف شعار المهاجرين يا بنى عبد الرحمن وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الاوس يا بنى عبيد الله * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى أمرائه من المسلمين حين أمرهم ان يدخلوا مكة ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا انه قد عهد فى نفر سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة * منهم عبد الله بن سعد اخو بنى عامر بن لؤى وانما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لانه قد كان اسلم وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى فارتد مشركا راجعا الى قريش ففر الى عثمان بن عفان وكان اخاه للرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن الناس وأهل مكة فاستأمن له فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه لقد صمت ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا أومات الى يا رسول الله قال ان النبى لا يقتل بالاشارة « قال ابن هشام » ثم اسلم بعد فولاه عمر بن الخطاب بعض اعماله ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر * قال ابن اسحق وعبد الله بن خطل رجل من بنى تيم بن غالب وانما امر بقتله انه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وبعث معه رجلا من الانصار وكان معه مولى له يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا فيصنع له طعاما فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان فرتنى وصاحبتها وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه * والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصى وكان ممن يؤذيه بمكة « قال ابن هشام » وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وام كلثوم بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس بهما الحويرث بن نقيذ فرمى بهما الى الارض * قال ابن اسحق ومقيس بن صبابة وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لقتل الانصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قريش مشركا وسارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب وبعكرمة بن أبى جهل وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة فاما عكرمة فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت فى طلبه الى اليمن حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الاسلمى اشتركا فى دمه وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه فقالت أخت مقيس فى قتله

لعمرى لقد أخزى نميلة رهطه * وفجع أضياف الشتاء بمقيس
فلله عينا من رأى مثل مقيس * اذا النفساء أصبحت لم تخرس

وأما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فامنها وأما سارة فاستؤمن لها فامنها ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا فى زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن ابى طالب * قال ابن اسحق وحدثنى سعيد بن أبى هند عن ابى مرة مولى عقيل بن أبى طالب ان أم هانىء ابنة أبى طالب قالت لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فر الى رجلان من احمائى من بنى مخزوم وكانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى قالت فدخل على على بن أبى طالب اخى فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة ان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف الى فقال مرحبا واهلا بام هانىء ما جاء

انها فتحت عنوة وذكر الهذلى الذى قتل وهو واقف فقال أقد فعلتموها يا معشر خزاعة وروى الدارقطنى فى السنن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كنت قاتل مسلم بكافر لقتلت خراشا بالهذلى يعنى بالهذلى قاتل ابن أثوع وخراش هو قاتله وهو من خزاعة

﴿ فصل ﴾ وذكر قصة ابن خطل واسمه عبد الله وقد قيل فى اسمه هلال وقد قيل هلال كان أخاه وكان يقال لهما الخطلان وهما من بنى تيم بن غالب بن فهر وان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتله فقتل وهو متعلق باستار الكعبة ففى هذا ان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب وان معنى قوله تعالى « ومن دخله كان آمنا » انما معناه الخبر عن تعظيم حرمة الحرم فى الجاهلية نعمة منه على أهل مكة كما قال تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » الى آخر الآية فكان فى ذلك قوام للناس ومصلحة لذرية اسماعيل صلى الله عليه وسلم وهم قطان الحرم واجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام حيث يقول اجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وعندما قتل النبى صلى الله عليه وسلم ابن خطل قال لا يقتل قرشى صبرا بعد هذا كذلك قال يونس فى روايته

﴿ فصل ﴾ وذكر صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت أم هانىء وهى صلاة الفتح تعرف بذلك عند أهل العلم وكان الامراء يصلونها اذا افتتحوا بلدا قال الطبرى صلى سعد بن أبى وقاص حين افتتح المدائن ودخل ايوان كسرى قال فصلى فيه صلاة الفتح قال وهى ثمانى ركعات لا يفصل بينها ولا تصلى بامام فبين

بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر على فقال قد أجرنا من أجرت وأمنا من امنت فلا يقتلهما «قال ابن هشام» هما الحرث بن هشام وزهير بن أبى أمية بن المغيرة * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة واطمان الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس فى المسجد * قال ابن اسحق فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتيل الخطا شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل أربعون منها فى بطونها أولادها يامعشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية ياايها الناس انا خلقنا كم من ذكر وانثى الآية كلها ثم قال يامعشر قريش ماترون انى فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فقام اليه على بن ابى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال يارسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم بر ووفاء «قال ابن هشام» وذكر سفيان بن عيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى انما اعطيكم ماترزؤن لا ماترزؤن «قال ابن هشام» وحدثنى بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم فرأى ابراهيم عليه السلام مصورا فى يده الازلام يستقسم بها فقال قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالازلام ماشان ابراهيم والازلام ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم امر بتلك

الطبرى سنة هذه الصلاة وصفتها ومن سنتها أيضا ان لا يجهر فيها بالقراءة والاصل ما تقدم من صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث أم هانىء وذلك ضحى وأم هانىء اسمها هند تكنى بابنها هانىء بن هبيرة ولها ابن من هبيرة اسمه يوسف وثالث وهو الاكبر اسمه جعدة وقيل اياه عنت فى حديث مالك زعم ابن أمى على انه قاتل رجلا أجرته فلان بن هبيرة وقد قيل فى اسم أم هانىء فاختة

﴿ فصل ﴾ وذكر عبد الله بن سعد بن أبى سرح أحد بنى عامر بن لؤى يكنى أبا يحيى وكان كاتب النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ولحق بمكة ثم أسلم وحسن اسلامه وعرف فضله وجهاده وكان على ميمنة عمرو ابن العاصى حين افتتح مصر وهو الذى افتتح افريقية سنة سبع وعشرين وغزا الاساود من النوبة ثم هادنهم الهدنة الباقية الى اليوم فلما خالف محمد بن أبى حذيفة على عثمان رضى الله عنه اعتزل الفتنة ودعا الله عز وجل ان يقبضه ويجعل وفاته باثر صلاة الصبح فصلى بالناس الصبح وكان يسلم تسليمتين عن يمينه وعن شماله فلما سلم التسليمة الاولى عن يمينه وذهب ليسلم الاخرى قبضت نفسه وكانت وفاته بعسفان وهو الذى يقول فى حصار عثمان

أرى الامر لا يزداد الا تفاقما * وأنصارنا بالمكتين قليل
وأسلمنا أهل المدينة والهوى * الى أهل مصر والذليل ذليل

وأما نميلة بن عبد الله الذى ذكره ابن اسحق فهو ليثى احد بنى كعب بن عامر بن ليث صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد كثيرا من مشاهده وغزواته * وأما الحويرث بن نقيذ الذى أمر بقتله مع ابن خطل فهو الذى نخس بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدركها هو وهبار بن الاسود فسقطت عن دابتها وألقت جنينها * وأما القينتان اللتان أمر بقتلهما وهما سارة وفرتنى فاسلمت فرتنى وآمنت سارة وعاشت الى زمن عمر رحمه الله ثم وطئها فرس فقتلها

﴿ فصل ﴾ وذكر خطبة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها ذكر الديات وذكر قتيل الخطأ وذكر شبه العمد وتغليظ الدية فيه وهى أن يقتل القتيل بسوط أو عصا فيموت وهو مذهب أهل العراق ان لا قود فى شبه العمد والمشهور عن الشافعى أن فيه الدية مغلظة اثلاثا وليس عند فقهاء الحجاز الا قود فى عمد أو دية فى خطأ تؤخذ أخماسا على ما فسر الفقهاء وهو قول الليث وكذلك قال أهل العراق ان القود لا يكون الا بالسيف واحتجوا باثر يروى عن ابن مسعود مرفوعا أن لا قود الا بحديدة وعن على مرفوعا أيضا لا قود الا بالسيف ومن طريق أبى هريرة لا قود الا بحديدة وهو يدور على أبى معاذ سليمان بن أرقم وهو ضعيف باجماع وكذلك حديث ابن مسعود يدور على المعلى بن هلال وهو ضعيف متروك الحديث وكذلك

حديث

الصور كلها فطمست « قال ابن هشام » وحدثني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلف بلال فدخل عبد الله بن عمر على بلال فسأله اين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسأله كم صلى فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبل وجهه وجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه و بين الجدار قدر ثلاث أذرع ثم يصلي يتوخى بذلك الموضع الذي قال له بلال « قال ابن هشام » وحدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحرث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه فقال الحرث بن هشام أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته فقال أبو سفيان لا أقول شيئاً لو تكلمت لاخبرت عني هذه الحصى فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد علمت الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم فقال الحرث وعتاب نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك * قال ابن اسحق حدثني سعيد بن أبي سندر الاسلمي عن رجل من قومه قال كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا وكان رجلا شجاعا وكان اذا نام غط غطيطا منكرا لا يخفى مكانه فكان اذا بات في حيه بات معتنزا فاذا بيت الحي صرخوا يا أحمر فيثور مثل الاسد لا يقوم لسبيله شيء فاقبل غزي من هذيل يريدون حاضره حتى اذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلي لا تعجلوا علي حتى أنظر فان كان في الحاضر أحمر فلا سبيل اليهم فان له غطيطا لا يخفى قال فاستمع فلما سمع غطيطه مشى اليه حتى وضع السيف في صدره ثم تحامل عليه حتى قتله ثم أغاروا على الحاضر فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم فلما كان عام الفتح وكان الغد من يوم الفتح أتى ابن الأثوع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس وهو على شركه فرأته خزاعة فعرفوه فأحاطوا به وهو الى جنب جدار مكة يقولون أأنت قاتل أحمر قال نعم أنا قاتل أحمر فمه قال اذ أقبل خراش ابن أمية مشتملا على السيف فقال هكذا عن الرجل ووالله ما نظن الا أنه يريد أن يفرج الناس عنه فلما تفرجنا عنه حمل عليه فطعنه بالسيف في بطنه فوالله لكاني أنظر اليه وحشوته تسيل من بطنه وان عينيه لترنقان في رأسه وهو يقول أقد فعلتموها يا معشر خزاعة حتى انجعف فوقع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل ان نفع لقد قتلتم قتيلا لأدينه * قال ابن اسحق وحدثني عبد الرحمن بن حرملة الاسلمي عن سعيد بن المسيب قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خراش بن أمية قال ان خراشا لقتال يعيبه بذلك * قال ابن اسحق وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الخزاعي قال لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته فقلت له يا هذا انا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فقال يا أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام من حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيه دما ولا يعضد فيها شجراً لم تحلل لاحد كان قبلي ولا تحل لاحد يكون بعدي ولم تحلل لي الا هذه الساعة غضبا على أهلها ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل فيها فقولوا ان الله قد أحلها لرسوله ولم يحللها لكم يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر القتل ان نفع لقد قتلتم قتيلا لأدينه فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة فقال عمرو لابي شريح انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك انها لا تمنع سافك دم ولا خالع طاعة ولا مانع خربة فقال أبو شريح اني كنت شاهدا وكنت غائبا ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ

حديث علي لا تقوم باسناده حجة وحجة الآخرين في ان القاتل يقتل بما قتل به قوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وحديث اليهودي الذي رضخ رأس الجارية على أوضاح لها فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضخ رأسه بين حجرين * وأما دخوله عليه السلام الكعبة وصلاته فيها فحديث بلال أنه صلى فيها وحديث ابن عباس انه لم يصل فيها وأخذ الناس بحديث بلال لانه أثبت الصلاة وابن عباس نفى وانما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة النافي ومن تأول قول بلال انه صلى أي دعا فليس بشيء لان في حديث عمر انه صلى فيها ركعتين ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان لانه عليه السلام دخلها يوم النحر فلم يصل ودخلها من الغد فصلى وذلك في حجة الوداع وهو حديث مروي عن ابن عمر باسناد حسن خرجه الدارقطني وهو من فوائده

﴿ فصل ﴾ وذكر كسر الاصنام وطمس التماثيل ومقالة الحارث بن هشام حين اجتمع هو وأبو سفيان وعتاب بن أسيد فتكلموا فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبره جبريل عليه السلام

شاهدنا غائبنا وقد أبلغتك فانت وشانك «قال ابن هشام» وبلغني ان أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جنيدب بن الاكوع قتلته بنو كعب فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة ناقة «قال ابن هشام» وبلغني عن يحيي بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو الله وقد أحدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم «قال ابن هشام» وحدثني من أثق به من أهل الرواية في اسناد له عن ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده الى الاصنام ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار الى قفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم الا وقع فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك

وفي الاصنام معتبر وعلم * لمن يرجو الثواب أو العقابا

«قال ابن هشام» وحدثني ان فضالة بن عمير بن الملوح الليثي أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضالة قال نعم فضالة يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت اذكر الله عز وجل قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول والله ما رفع يده من صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب الى منه قال فضالة فرجعت الى أهلي فمررت بامرأة كنت اتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعث فضالة يقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى عليك الله والاسلام
لو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

* قال ابن اسحق فحدثني محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير قال خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب يا نبي الله ان صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر فامنه صلى الله عليك وسلم قال هو آمن قال يا رسول الله فاعطني آية يعرف بها أمانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد ان يركب في البحر فقال يا صفوان فداك ابي وأمي الله الله في نفسك ان تهلكها فهذا امان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به قال ويحك اغرب عني فلا تكلمني قال أي صفوان فداك ابي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذاك وأكرم فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك قد امنتني قال صدق قال فاجعلني فيه بالخيار شهرين قال انت بالخيار فيه أربعة اشهر «قال ابن هشام» وحدثني رجل من قريش من اهل العلم ان صفوان قال لعمير ويحك اغرب عني فلا تكلمني فانك كذاب لما كان صنع به وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر

بالذي قالوه فصح بذلك يقينهم وحسن اسلامهم وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر قال لعن النبي صلى الله عليه وسلم الحارث وأبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية فانزل الله تعالى «ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم» الآية قال فتابوا بعد وحسن اسلامهم ورويناه باسناد متصل عن عبد الله بن أبي بكر قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على أبي سفيان وهو في المسجد فلما نظر اليه أبو سفيان قال في نفسه ليت شعري باي شيء غلبتني فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بيده بين كتفيه وقال بالله غلبتك يا أبا سفيان فقال أبو سفيان أشهد انك رسول الله من مسند الحارث بن أبي أسامة وروى الزبير باسناد يرفعه الى من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يمازح أبا سفيان في بيت أم حبيبة وأبو سفيان يقول له تركتك فتركتك العرب ولم تنتطح بعدها جماء ولا قرناء والنبي صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول أنت تقول هذا يا أبا حنظلة وقال مجاهد في قوله جل وعز «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة» قال هي معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لابي سفيان وقال أهل التفسير رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام أسيد بن أبي العيص واليا على مكة مسلما فمات على الكفر فكانت الرؤيا لولده عتاب حين أسلم فولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وهو ابن احدى وعشرين سنة ورزقه كل يوم درهما فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم الحديث وقال عند موته والله ما اكتسبت في ولايتي كلها الا قميصا معقدا كسوته غلامي كيسان وكان قد قال قبل أن يسلم وسمع بلالا يؤذن على الكعبة لقد أكرم الله أسيدا يعني أباه أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه وكانت تحت عتاب جويرية بنت أبي جهل بن هشام وهي التي خطبها علي على فاطمة فشق ذلك على فاطمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا آذن ثم لا آذن ان فاطمة بضعة مني الحديث فقال عتاب أنا أريحكم منها فتزوجها فولدت له عبد الرحمن المقتول

يوم

يوم الجمل يروى أن عقابا طارت بكفه يوم قتل وفى الكف خاتمه فطرحتها باليمامة فى ذلك اليوم فعرفت بالخاتم وكانت لابى جهل بنت أخرى يقال لها الحنفاء كانت تحت سهيل بن عمرو يقال انها ولدت له ابنه أنسا الذى كان يضعف وفيه جرى المثل أساء سمعا فاساء اجابة ويقال انه نظر يوما الى رجل على ناقة يتبعها خروف فقال يا أبة أذاك الخروف من تلك الناقة فقال أبوه صدقت هند بنت عتبة وكانت حين خطبها قالت ان جاءت منه حليلته بولد أحمقت وان أنجبت فمن خطأ ما أنجبت وقد قيل فى بنت أبى جهل الحنفاء ان اسمها صفية فالله أعلم وقال الحارث بن هشام وقد قيل له ألا ترى ما يصنع محمد من كسر الآلهة ونداء هذا العبد الاسود على الكعبة فقال ان كان الله يكره هذا فسيغيره ثم حسن اسلامه رضى الله عنه بعد وهاجر الى الشام فلم يزل جاهدا مجاهدا حتى استشهد هنالك رحمه الله وأما بنت أبى جهل فقالت حين سمعت الاذان على الكعبة فلما قال المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله قالت عمرى لقد أكرمك الله ورفع ذكرك فلما سمعت حى على الصلاة قالت أما الصلاة فسنؤديها ولكن والله ما تحب قلوبنا من قتل الاحبة ثم قالت ان هذا الامر لحق وقد كان الملك جاءبه أبى ولكن كره مخالفة قومه ودين آبائه * وأما أبو محذورة الجمحى واسمه سلمة بن معير وقيل سمرة فانه لما سمع الاذان وهو مع فتية من قريش خارج مكة أقبلوا يستهزؤن ويحكون صوت المؤذن غيظا فكان أبو محذورة من أحسنهم صوتا فرفع صوته مستهزئا بالاذان فسمعه النبى صلى الله عليه وسلم فامر به فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح النبى صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلأ قلبى والله إيمانا ويقينا وعلمت انه رسول الله فالقى عليه النبى صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وأمره ان يؤذن لاهل مكة وهو ابن ست عشرة سنة فكان مؤذنهم حتى مات ثم عقبه بعده يتوارثون الاذان كابرا عن كابر وفى أبى محذورة يقول الشاعر

أما ورب الكعبة المستوره * وما تلا محمد من سوره
والنغمات من أبى محذوره * لافعلن فعلة مذكوره

وأما هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان فان من حديثها يوم الفتح انها بايعت النبى صلى الله عليه وسلم وهو على الصفا وعمر دونه باعلى العقبة فجاءت فى نسوة من قريش يبايعن على الاسلام وعمر يكلمهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخذ عليهن أن لا يشركن بالله شيأ قالت هند قد علمت انه لو كان مع الله غيره لاغنى عنا فلما قال ولا يسرقن قالت وهل تسرق الحرة لكن يارسول الله أبو سفيان رجل مسيك ربما أخذت من ماله بغير علمه ما يصلح ولده فقال النبى صلى الله عليه وسلم خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف ثم قال انك لانت هند قالت نعم يارسول الله اعف عنى عفا الله عنك وكان أبو سفيان حاضرا فقال أنت فى حل مما أخذت فلما قال ولا يزنين قالت وهل تزنى الحرة يارسول الله فلما قال ولا يعصينك فى معروف قالت بابى أنت وأمى ما أكرمك وأحسن ما دعوت اليه فلما سمعت ولا يقتلن أولادهن قالت والله قد ربيناهم صغارا حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدر كبارا قال فضحك عمر من قولها حتى مال

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث أبى شريح الخزاعى واسمه خويلد بن عمرو وقيل عمرو بن خويلد وقيل كعب ابن عمرو وقيل هانىء بن عمرو قال لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير بمكة هذا وهم من ابن هشام وصوابه عمرو بن سعيد بن العاصى بن أمية وهو الاشدق ويكنى أبا أمية وهو الذى كان يسمى لطيم الشيطان وكان جبارا شديد البأس حتى خافه عبد الملك على مكة فقتله بحيلة فى خبر طويل ورأى رجل عند موته فى المنام قائلا يقول

ألا يالقومى للسفاهة والوهن * وللعاجز الموهون والرأى ذى الافن
ولابن سعيد بيناهو قائم * على قدميه خر للوجه والبطن
رأى الحصن منجاة من الموت * فالتجا اليه فزارته المنية فى الحصن

فقص رؤياه على عبد الملك فامره أن يكتمها حتى كان من قتله ما كان وهو الذى خطب بالمدينة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرعف حتى سال الدم الى أسفله فعرف بذلك معنى حديثه عليه السلام الذى يروى عنه كانى بجبار من بنى أمية يرعف على منبرى هذا حتى يسيل الدم الى أسفله أو كما قال صلى الله عليه وسلم فعرف الحديث فيه فالصواب اذا عمرو بن سعيد لا عمرو بن الزبير وكذلك رواه يونس بن بكير عن ابن اسحق وهكذا وقع فى الصحيحين ذكر هذا التنبيه على بن هشام أبو عمر رحمه الله فى كتاب الاجوبة عن المسائل المستغربة وهى مسائل من كتاب الجامع للبخارى تكلم عليها فى ذلك الكتاب وانما دخل الوهم على ابن هشام او على البكائى فى روايته من أجل ان عمرو بن الزبير كان معاديا لاخيه عبد الله ومعينا لبنى أمية عليه فى تلك الفتنة والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر ام حكيم بنت الحارث وكانت تحت عكرمة بن أبى جهل وانها اتبعته حين فر من الاسلام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد عكرمة بالشام فخطبها يزيد بن ابى سفيان وخالد بن سعيد فخطت الى خالد فتزوجها فلما اراد البناء بها وجموع الروم قد احتشدت قالت له لو أمهلت حتى يفض الله جمعهم قال ان نفسى تحدثنى انى اصاب فى جموعهم فقالت دونك فابتنى بها فلما أصبح التقت الجموع وأخذت السيوف من كل فريق مأخذها فقتل خالد وقاتلت يومئذ ام حكيم وان عليها للردع الخلوق وقتلت سبعة من الروم بعمود الفسطاط بقنطرة تسمى الى اليوم بقنطرة أم حكيم وذلك فى غزوة أجنادين * وذكر فى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم الا كل مأثرة او دم او مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين وفى بعض روايات الحديث وأول دم اضعه دم ربيعة بن الحارث كان لربيعة ابن قتل فى الجاهلية اسمه آدم وقيل تمام وهو ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب مات فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة ثلاث وعشرين

﴿ فصل ﴾ وذكر فى حديث ابن شريح قوله عليه السلام فمن قتل بعد مقامى هذا فاهله بخير النظرين ان شاءوا فدم قاتله وان شاؤا فعقله وهو حديث صحيح وان اختلفت فيه ألفاظ الرواة وظاهره على هذه الرواية ان ولى الدم هو المخير ان شاء اخذ الدية وهو العقل وان شاء قتل وقد اختلف الفقهاء فى فصل من هذه المسئلة وهو ان يختار ولى المقتول اخذ الدية ويابى القاتل الا ان يقتص منه فقالت طائفة بظاهر الحديث والاختيار للقاتل وقالت طائفة يقتل القاتل ولا يجبر على اعطاء المال وتأولوا الحديث وهى رواية ابن القاسم وقال بها طائفة من السلف وقال آخرون بظاهر الحديث وهو قول الشافعى واشهب ومنشأ الاختلاف من الاحتمال فى قوله تعالى «فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف» فاحتملت الآية عند قوم ان تكون من واقعة على ولى المقتول ومن أخيه أى من وليه المقتول أى من ديته وعفى له أى يسر له شئ من المال واحتمل أن تكون من واقعة على القاتل وعفى من العفو عن الدم ولا خلاف ان المتبع بالمعروف هو ولى الدم وان المامور باداء باحسان هو القاتل واذا تدبرت الآية عرفت منشأ الخلاف منها ولاح من سياقة الكلام أى القولين أولى بالصواب وأما ما ذكرت من اختلاف ألفاظ النقلة فى الحديث فيحصرها سبعة ألفاظ * أحدها اما ان يقتل واما ان يفادى * والثانى اما أن يعقل أو يقاد * الثالث اما ان يفدى واما ان يقتل * الرابع اما أن تعطى الدية أو يقاد أهل القتيل * الخامس اما ان يعفو أو يقتل * السادس يقتل أو يفادى

* قال ابن اسحق وحدثنى الزهرى ان أم حكيم بنت الحرث بن هشام وفاختة بنت الوليد وكانت فاختة عند صفوان بن امية وام حكيم عند عكرمة بن ابى جهل أسلمتا فاما ام حكيم فاستامنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعكرمة فامنه فلحقت به باليمن فجاءت به فلما اسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الاول

السابع

* قال ابن اسحق وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال رمى حسان ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه

لا تعدمن رجلا احلك بغضه * نجران فى عيش أحذ لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم فقال حين أسلم

يارسول المليك ان لسانى * راتق مافتقت اذ أنا بور
اذ أبارى الشيطان فى سنن الـ * ـغى ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام لربى * ثم قلبى الشهيد انت النذير
اننى عنك زاجر ثم حيا * من لؤى وكلهم مغرور

قال ابن اسحق وقال عبد الله بن الزبعرى أيضا حين أسلم رضى الله عنه

منع الرقاد بلابل وهموم * والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتانى ان احمد لامنى * فيه فبت كاننى محموم
ياخير من حملت على أوصالها * عيرانة سرح اليدين غشوم
انى لمعتذر اليك من الذى * اسديت اذ أنا فى الضلال اهيم
أيام تامرنى باغوى خطة * سهم وتامرنى بها مخزوم
وامد اسباب الردى و يعودنى * أمر الغواة وامرهم مشؤم
فاليوم آمن بالنبى محمد * قلبى ومخطىء هذه محروم
مضت العداوة وانقضت اسبابها * ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والدى كلاهما * زللى فانك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة * نورا غر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه * شرفا وبرهان الاله عظيم
ولقد شهدت بان دينك صادق * حق وانك فى العباد جسيم
والله يشهد ان أحمد مصطفى * مستقبل فى الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم * فرع تمكن فى الذرا وأروم

« قال ابن هشام » وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

* السابع من قتل متعمدا دفع الى أولياء المقتول فان شاؤا اقتلوا وان شاؤا أخذوا الدية خرجه الترمذى ورواية ابن اسحق فى السيرة ثامنة وفى بعض هذه الروايات قوة لرواية ابن القاسم وفى بعضها قوة لرواية أشهب فتاملها وخطبته عليه السلام أطول مما ذكره ابن هشام وفيها من رواية الشيبانى عن ابن اسحق نهيه عن صيام يومين وصلاة ساعتين يعنى طلوع الشمس وغروبها وان لا يتوارث أهل ملتين وعن لبستين وطعمتين وفسرتا فى الحديث فقال اللبستان اشتمال الصماء وان يحتبى الرجل وليس بين عورته والسماء حجاب والطعمتان الاكل بالشمال وان ياكل منبطحا على بطنه

« فصل » وذكر شعر ابن الزبعرى والزبعرى البعير الازب مع قصر وفيه * راتق مافتقت اذ انا بور * قوله فتقت يعنى فى الدين فكل اثم فتق وتمزيق وكل توبة رتق ومن اجل ذلك قيل للتوبة نصوح من نصحت الثوب اذا خطته والنصاح الخيط ويشهد لصحة هذا المعنى قول ابراهيم بن أدهم .

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقوله اذ انا بور أى هالك يقال رجل بور وبائر وقوم بور وهو جمع بائر كان الاصل فيه فعل بتحريك الواو وأما رجل بور فوزنه فعل بالسكون لانه وصف بالمصدر ومنه قيل أرض بور من البوار وهو هلاك المرعى ويبسه * وقول ابن الزبعرى * والليل معتلج الرواق بهيم * الاعتلاج شدة وقوة وقد تقدم شرحها والبهيم الذى ليس فيه لون يخالط لونه * وقوله سرح اليدين غشوم الغشوم التى لا ترد عن وجهها ويروى سعوم وهى القوية على السير

قال ابن اسحق وأما هبيرة بن ابى وهب المخزومى فاقام بها حتى مات كافرا وكانت عنده أم هانئ ابنة ابى طالب واسمها هند وقد قال حين بلغه اسلام ام هانئ

أشاقتك هند ام أتاك سؤالها * كذاك النوى أسبابها وانفتالها
وقد أرقت فى رأس حصن ممنع * بنجران يسرى بعد ليل خيالها
وعاذلة هبت بليل تلومنى * وتعذلنى بالليل ضل ضلالها
وتزعم انى ان اطعت عشيرتى * سأردى وهل يردين الا زيالها
فانى لمن قوم اذا جد جدهم * على أى حال أصبح اليوم حالها
وانى لحام من وراء عشيرتى * اذا كان من تحت العوالى مجالها
وصارت بايديها السيوف كانها * مخاريق ولدن ومنها ظلالها
وانى لاقلى الحاسدين وفعلهم * على الله رزقى نفسها وعيالها
وان كلام المرء فى غير كنهه * لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها
فان كنت قد تابعت دين محمد * وعطفت الارحام منك حبالها
فكونى على اعلى سحيق بهضبة * ململمة غبراء يبس بلالها

قال ابن اسحق ويروى وقطعت الارحام منك حبالها * قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بنى سليم سبعمائة ويقول بعضهم ألف ومن بنى غفار أربعمائة ومن أسلم أربعمائة ومن مزينة ألف وثلاثة نفر وسائرهم من قريش والانصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر حسان يوم الفتح وأوله * عفت ذات الاصابع فالجواء * ذات الاصابع موضع بالشام والجواء كذلك وبالجواء كان منزل الحارث بن أبى شمر وكان حسان كثيرا ما يرد على ملوك غسان بالشام يمدحهم فلذلك يذكر هذه المنازل * وقوله الى عذراء هى قرية عند دمشق فيها قتل حجر بن عدى وأصحابه * وقوله نعم وشاء النعم الابل فاذا قيل أنعام دخل فيها الغنم والبقر والابل والشاء والشوى اسم للجميع كالضان والضئين والابل والابيل والمعز والمعيز وأما الشاة فليست من لفظ الشاء لان لام الفعل منها هاء وبنو الحسحاس حى من بنى أسد * وقوله الروامس والسماء يعنى الرياح والمطر والسماء لفظ مشترك يقع على المطر وعلى السماء التى هى السقف ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله

اذا سقط السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

لانه يحتمل ان يريد مطر السماء فحذف المضاف ولكن انما عرفناه من قولهم فى جمعه سمى وهم يقولون فى جمع السماء سموات واسمية فعلمنا انه اسم مشترك بين شيئين * وقوله ولكن من لطيف الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفا ولكن لا يقال للخيال هو طائف على وزن اسم الفاعل من طاف لانه لا حقيقة للخيال فيرجع الامر الى انه هو الطيف وهو توهم وتخيل فان كان شىء له حقيقة قلت فيه طائف وفى مصدره طيف كما فى التنزيل «طائف من الشيطان» وقد قرئ أيضا طيف من الشيطان لان غرور الشيطان وأمانيه تشبه بالخيال وما لا حقيقة له واما قوله «فطاف عليها طائف من ربك» فليس فيه الا اسم الفاعل دون المصدر لان الذى طاف عليها له حقيقة وهو فاعل معروف بالفعل يقال انه جبريل عليه السلام فتحصل من هذا ثلاث مراتب الخيال ولا حقيقة له فلا يعبر عنه الا بالطيف وحديث الشيطان ووسوسته يقال فيه طائف وطيف وكل طائف سوى هذين فهو اسم فاعل لا يعبر عنه بطيف ولا بطواف فقف على هذه النكتة فيه * وقوله يؤرقنى اذا ذهب العشاء أى يسهرنى فيقال كيف يسهره الطيف والطيف حلم فى المنام (فالجواب) ان الذى يؤرقه لوعة يجدها عند زواله كما قال الطائى

ظبى تقنصته لما نصبت له * من آخر الليل أشراكا من الحلم
ثم انثنى وبنا من ذكره سقم * باق وان كان معسولا من السقم

وقد أحسن فى قوله من آخر الليل تنبيها على انه سهر ليله كله الا ساعة جاء الخيال من آخره فكانه مسترق من قول حسان * وخيال اذا تغور النجوم * ونظير قوله يؤرقنى أى يؤرقنى بزواله عنى قول البحترى

ألمت بنا بعد الهدو فسامحت * بوصل متى تطلبه فى الجد تمنع
وولت كان البين يخلج شخصها * أوان تولت من حشائى وأضلع

وقوله لشعثاء التى قد تيمته شعثاء التى يشبب بها حسان هى بنت سلام بن مشكم اليهودى وروى انه قال يا معشر يهود قد علمتم أن محمدا نبى ولولا ان تعير بها شعثاء ابنتى لتبعته وقد كان تحت حسان أيضا امرأة اسمها شعثاء بنت كاهن الاسلمية ولدت له أم فراس * وقوله كان خبيئة من بيت رأس الى آخره خبر كان فى هذا البيت محذوف تقديره كان فى فيها خبيئة ومثل هذا المحذوف فى النكرات حسن كقوله

* ان محلا وان مرتحلا * أى ان لنا محلا وكقول الآخر * ولكن زنجيا طويل المشافر * وفى صحيح البخارى فى صفة الدجال أعور كان عنبة طافية أى كأن فى عينه وزعم بعضهم ان بعد هذا البيت بيتا فيه الخبر وهو

على أنيابها أو طعم غض * من التفاح هصره اجتناء

وهذا البيت موضوع لا يشبه شعر حسان ولا لفظه * وقوله فوليها الملامة ان ألمنا أى ان أتينا بما نلام عليه

وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الانصارى

عفت ذات الاصابع فالجواء
الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بنى الحسحاس قفر
تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس *
خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف
يؤرقنى اذا ذهب العشاء
لشعثاء التى قد تيمته *
فليس لقلبه منها شفاء
كان خبيئة من بيت رأس *
يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الاشربات ذكرن يوما
فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة ان ألمنا *
اذا ما كان مغث أو لحاء

ونشربها فتتركنا ملوكا * وأسدا ماينهنهنا اللقاء
عدمنا خيلنا ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الاعنة مصغيات * على أكتافها الاسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات * يلطمهن بالخمر النساء
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم * يعين الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ان نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه * فقلتم لانقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا * ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أباسفيان عنى * مغلغلة فقد برح الخفاء
بان سيوفنا تركتك عبدا * وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمدا وأجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا * أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
لسانى صارم لا عيب فيه * وبحرى لا تكدره الدلاء

« قال ابن هشام » قالها حسان يوم الفتح ويروى لسانى لا عتب فيه وبلغنى عن الزهرى أنه قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه * قال ابن اسحق وقال أنس بن زنيم الديلى يعتذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى

أأنت الذى تهدى معد بامره * بل الله يهديهم وقال لك اشهد
وماحملت من ناقة فوق رحلها * أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلا * اذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله * وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مدركى * وأن وعيدا منك كالاخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر * على كل صرم متهمين ومنجد

صرفنا اللوم الى الخمر واعتذرنا بالسكر والمقت الضرب باليد واللحاء الملاحاة باللسان ويروى ان حسانا مر بفتية يشربون الخمر فى الاسلام فنهاهم فقالوا والله لقد أردنا تركها فيزينها لنا قولك * ونشربها فتتركنا ملوكا * فقال والله لقد قلتها فى الجاهلية وماشربتها منذ أسلمت وكذلك قيل ان بعض هذه القصيدة قالها فى الجاهلية وقال آخرها فى الاسلام * وفيها يقول لابى سفيان فشركما لخيركما الفداء وفى ظاهر اللفظ بشاعة لان المعروف ان لا يقال هو شرهما الا وفى كليهما شر وكذلك شر منك ولكن سيبويه قال فى كتابه تقول مررت برجل شر منك اذا نقص عن ان يكون مثله وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الاول ونحو منه قوله عليه السلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان حظهم عن حظ الاول كما قال سيبويه ولا يجوز ان يريد التفضيل فى الشر والله أعلم * وفيها قوله فى صفة الخيل يلطمهن بالخمر النساء قال ابن دريد فى الجمهرة كان الخليل رحمه الله يروى بيت حسان يطلمهن بالخمر وينكر يلطمهن ويجعله بمعنى ينفض النساء بخمرهن ماعليهن من غبار أو نحو ذلك واتبع بذلك ابن دريد قوله الطلم ضربك خبزة الملة بيدك لتنفض ماعليها من الرماد والطلمة الخبزة ومنه حديث أبى هريرة مررنا بقوم يعالجون طلمة لهم فنفرناهم عنها فاقتسمناها فاصابتنى منها كسرة وكنت أسمع فى بلادى انه من أكل الخبز سمن فجعلت أنظر فى عطفى هل ظهر فى السمن بعد ومما جاء فى الحديث من هذا المعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم رؤى يمسح وجه فرسه بردائه فقال عوتبت الليلة فى الخيل * وفيها * ونحكم بالقوافى من هجانا * نحكم أى نرد ونقرع هو من حكمة الدابة وهو لجامها ويكون المعنى أيضا نحكمهم ونحرسهم فتكون قوافينا لهم كالحكمات للدواب قال زهير * قد أحكمت حكمات القد والابقا * وفى هذه القصيدة موعدها كداء وفى رواية الشيبانى يسيل بها كدى أو كداء * وقد ذكرنا كديا وكداء وذكرنا مهما كدى وزاد الشيبانى فى روايته أبياتا فى هذه القصيدة وهى

وهاجت دون قتل بنى لؤى * جذيمة ان قتلهم شفاء
وحلف الحارث بن أبى ضرار * وحلف قريظة فينا سواء
أولئك معشر ألبوا علينا * ففى أظفارنا منهم دماء
ستبصر كيف تفعل بابن حرب * بهولاك الذين هم الرداء

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر أنس بن سالم الديلى وفيه * وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله * الخال من برود اليمن وهو من رفيع الثياب وأحسبه سمى بالخال الذى بمعنى الخيلاء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل * البر أبغى لا الخال * وفيه

تعلم رسول الله انك مدركى * وان وعيدا منك كالاخذ باليد

تعلم ان الركب ركب عويمر * هم الكاذبون المخلفو كل موعد
ونبوا رسول الله أنى هجوته * فلا حملت سوطى الى اذن يدى
سوى أننى قد قلت ويل ام فتية * أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد
أصابهم من لم يكن لدمائهم * كفاء فعزت عبرتى وتبلدى
فانك قد أخفرت ان كنت ساعيا * بعبد بن عبد الله وابنة مهود
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا * جميعا فان لا تدمع العين أكمد
وسلمى وسامى ليس حى كمثله * واخوته وهل ملوك كاعبد
فانى لا ذنبا فتقت ولا دما * هرقت تبين عالم الحق واقصد

فاجابه بديل بن عبد مناف ابن أم اصرم فقال

بكى أنس رزنا فأعول بالبكا
فالا عديا اذ تطل وتبعد
بكيت أبا عيس لقرب دمائها
فتعذر اذ لا يوقد الحرب موقد
أصابهم يوم الخنادم فتية * كرام فسل منهم نفيل ومعبد
هنالك ان تسفح دموعك لا تلم
عليهم وان لم تدمع العين فاكمدوا

«قال ابن هشام» وهذه الابيات فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح

نفى أهل الحبلق كل فج * مزينة غدوة وبنو خفاف
ضربناهم بمكة فى فتح النـبى الخير بالبيض الخفاف
صبحناهم بسبع من سليم * وألف من بنى عثمان واف
نطأ أكتافهم ضربا وطعنا * ورشقا بالمريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لها حفيفا * كما انضاع الفواق من الرصاف
فرحنا والجياد تجول فيهم * بأرماح مقومة الثقاف
فابنا غانمين بما اشتهينا * وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا * مواثقنا على حسن التصافى
وقد سمعوا مقالتنا فهموا * غداة الروع منا بانصراف

«قال ابن هشام» وقال عباس بن مرداس السلمى فى فتح مكة

منا بمكة يوم فتح محمد * ألف تسيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه * وشعارهم يوم اللقاء مقدم
فى منزل ثبتت به أقدامهم * ضنك كأن الهام فيه الحنتم

وهذا البيت سقط من رواية أبى جعفر بن الورد كذا ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ رحمه الله ومعناه من أحسن المعانى ينظر الى قول النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن فى جبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

فالقسيم الاول كالبيت الاول من قول النابغة والقسيم الثانى كالبيت الثانى لكنه أطبع منه وأوجز وقول النابغة كالليل فيه من حسن التشبيه ما ليس فى قول الديلى الا انه يسمج مثل هذا التشبيه فى النبى صلى الله عليه وسلم لانه نور وهدى فلا يشبه بالليل وانما حسن فى قول النابغة ان يقول كالليل ولم يقل كالصبح لان الليل ترهب غوائله ويحذر من ادراكه ما لا يحذر من النهار وقد أخذ بعض الاندلسيين هذا المعنى فقال فى هربه من ابن عباد

كان بلاد الله وهى عريضة * تشد باقصاها على الانامل
فأين مفر المرء عنك بنفسه * اذا كان يطوى فى يديك المراحلا

وهذا كله معنى منتزع من القدماء روى الطبرى ان منوشهر بن ايرج بن افريدون بن اثفيان وهو الذى بعث موسى عليه السلام فى زمانه أعنى زمان منوشهر قال حين عقد التاج على رأسه فى خطبة له طويلة أيها الناس ان الخلق للخالق وان الشكر للمنعم وان التسليم للقادر وانه لا أضعف من مخلوق طالبا أو مطلوبا ولا أقوى من طالب طلبته فى يده ولا أعجز من مطلوب هو فى يد طالبه * وأنشد لبجير بن زهير

نفى أهل الحبلق كل فج * مزينة غدوة وبنو خفاف

الحبلق أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس والحبلق الغنم الصغار ولعله أراد بقوله أهل الحبلق أصحاب الغنم وبنو عثمان هم مزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن ادبن طابخة ومزينه أمهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة وأختها الحوأب التى عرف بها ماء الحوأب المذكور فى حديث عائشة وأصل الحوأب فى اللغة القدح الضخم الواسع وبنو خفاف بطن من سليم * وقوله

ضربناهم بمكة يوم فتح النـبى الخير بالبيض الخفاف

فى البيت مداخلة وهو انتهاء القسيم الاول فى بعض كلمة من القسيم الثانى وهو عيب عندهم الا فى الخفيف والهزج ومعنى الخير أى ذو الخير ويجوز ان يريد الخير فخفف كما يقال هين وهين وفى التنزيل «خيرات حسان» * وقوله كما انضاع الفواق من الرصاف أى ذهب والرصاف عصبة تلوى على فوق السهم واراد بالفواق الفوق وهو غريب * وذكر صاحب العين فى الفواق صوت الصدر وهو بالهمز فى قول ابن الاعرابى لانه من ذوات الواو

﴿فصل﴾ وذكر عباس بن مرداس ويكنى أبا الفضل وقيل أبا الهيثم ومن ذريته عبد الملك بن حبيب

فقيه

جرت سنابكها بنجد قبلها * حتى استقادلها الحجاز الادهم
الله مكنه له وأذله * حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرياسة شامخ عرنينه * متطلع ثغر المكارم خضرم

﴿ اسلام عباس بن مرداس ﴾

« قال ابن هشام » وكان اسلام عباس بن مرداس فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه أنه كان لابيه مرداس وثن يعبده وهو حجر كان يقال له ضمار فلما حضر مرداس قال لعباس أى بنى أعبد ضمار فانه ينفعك و يضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

قل للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد
ان الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مدة * قبل الكتاب الى النبى محمد

فحرق عباس ضمار ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فاسلم « قال ابن هشام » وقال جعدة بن عبد الله الخزاعى يوم فتح مكة

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل * لحين له يوم الحديد متاح
اتيحت له من أرضه وسمائه * لتقتله ليلى بغير سلاح
ونحن الالى سدت غزال خيولنا * ولفت سددناه وفج طلاح
خطرنا وراء المسلمين بجحفل * ذوى عضد من خيلنا ورماح

وهذه الابيات فى أبيات له وقال نجيد بن عمران الخزاعى

وقد أنشا الله السحاب بنصرنا * ركام سحاب الهيدم المتراكب
وهجرتنا فى أرضنا عندنا بها * كتاب أتى من خير ممل وكاتب
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة * لندرك ثارا بالسيوف القواضب

* قال ابن اسحق وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السرايا يدعو الى الله عز وجل ولم يأمرهم بقتال وكان ممن بعث خالد بن الوليد وأمره أن يسير باسفل تهامة داعيا ولم يبعثه مقاتلا فوطىء بنى جذيمة فاصاب منهم « قال ابن هشام » وقال عباس بن مرداس السلمى فى ذلك

فان تك قد أمرت فى القوم خالدا * وقدمته فانه قد تقدما
بجند هداه الله أنت أميره * يصيب به فى الحق من كان أظلما

« قال ابن هشام » وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ساذكرها ان شاء الله فى موضعها

فقيه الاندلس ونسبه عباس بن مرداس بن أبى عامر بن جارية بن عبد بن عباس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة ابن سليم السلمى كان أبوه حاجبا لحرب بن أمية وقتلتهما الجن فى خبر مشهور وعباس ممن حرم على نفسه الخمر فى الجاهلية وحرمها أيضاً على نفسه قبل الاسلام أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وقيس بن عاصم وقبل هؤلاء حرمها على نفسه عبد المطلب بن هاشم وورقة بن نوفل وعبد الله بن جدعان وشيبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة ومن قدماء الجاهلية عامر بن الظرب العدوانى * وذكر فى سبب اسلام عباس ماسمع من جوف الصنم الذى كان يعبده وهو ضمار بكسر الراء وهو مثل حذام ورقاش ولا يكون مثل هذا البناء الا فى أسماء المؤنث وكانوا يجعلون آلهتهم اناثا كاللات والعزى ومناة لاعتقادهم الخبيث فى الملائكة انها بنات وفى ضمار لغة اهل الحجاز وبنى تميم البناء على الكسر لاغير من أجل ان آخره راء ومالم يكن فى آخره راء كحذام ورقاش فهو مبنى فى لغة أهل الحجاز ومعرب غير مجرى فى لغة غيرهم كذلك قال سيبويه * وذكر ابن أبى الدنيا فى سبب اسلام عباس حديثا أسنده عن رجاله عن الزهرى عن عبد الرحمن بن أنس السلمانى عن عباس بن مرداس انه كان فى لقاح له نصف النهار فاطلعت عليه نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بياض فقال لى ياعباس ألم تران السماء كفت أحراسها وان الحرب جرعت أنفاسها وان الخيل وضعت أحلاسها وان الذى نزل عليه البر والتقى يوم الاثنين ليلة الثلاثاء صاحب الناقة القصواء قال فخرجت مرعوبا قد راعنى مارأيت وسعيت حتى جئت وثنالى يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مدة * قبل الصلاة على النبى محمد
ان الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى

قال فخرجت مذعورا حتى جئت قومى فقصصت عليهم القصة وأخبرتهم الخبر فخرجت فى ثلاثمائة من قومى من بنى جارية الى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلنا المسجد فلما رآنى النبى صلى الله عليه وسلم تبسم وقال الى ياعباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت فاسلمت أنا وقومى

﴿ فصل ﴾ وذكر فى شعر جعدة الخزاعى غزال وهو اسم طريق غير مصروف وقال كثير فى قصيدته المشهورة يذكر غزال

أناديك ماحج الحجيج وكبرت * بفيفا غزال رفقة وأهلت

وكذلك لفت اسم موضع وفى لفت يقول معقل بن خويلد

﴿ مسير خالد بن الوليد بعد الفتح الى بنى جذيمة من كنانة ومسير على رضوان الله عليه لتلافى خطأ خالد ﴾

* قال ابن اسحق فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ولم يبعثه مقاتلا ومعه قبائل من العرب سليم بن منصور ومدلج بن مرة فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه القوم أخذوا السلاح فقال خالد ضعوا السلاح فان الناس قد اسلموا * قال ابن اسحق فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة قال لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم ويلكم يا بنى جذيمة انه خالد والله ما بعد وضع السلاح الا الاسار وما بعد الاسار الا ضرب الاعناق والله لا أضع سلاحى أبدا قال فاخذه رجال من قومه فقالوا يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا ان الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح ووضعت الحرب وامن الناس فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد * قال ابن اسحق فحدثنى حكيم بن حكيم عن أبى جعفر محمد بن على قال فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه الى السماء ثم قال اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد «قال ابن هشام» حدثنى بعض أهل العلم أنه حدث عن ابراهيم بن جعفر المحمودى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت انى لقمت لقمة من حيس فالتذذت طعمها فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها فادخل على يده فنزعه فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يا رسول الله هذه سرية من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون فى بعضها اعتراض فتبعث عليا فيسهله «قال ابن هشام» وحدثنى انه انفلت رجل من القوم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنكر عليه أحد فقال نعم قد أنكر عليه رجل ابيض ربعة فنهمه خالد فسكت عنه وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجعه فاشتدت مراجعتهما فقال عمر بن الخطاب أما الاول يا رسول الله فابنى عبد الله وأما الآخر فسالم مولى أبى حذيفة * قال ابن اسحق فحدثنى حكيم بن حكيم عن أبى جعفر محمد بن على قال ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه فقال يا على اخرج الى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الاموال حتى انه ليدى لهم ميلغة الكلب حتى اذا لم يبق شىء من دم ولا مال الا وداه بقيت معه بقية من المال فقال لهم على رضوان الله عليه حين فرغ منهم هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم قالوا لا قال فانى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون ففعل ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فقال أصبت وأحسنت قال ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى انه ليرى ما تحت منكبيه يقول اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات * قال ابن اسحق وقد قال بعض من يعذر خالدا انه قال ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الاسلام «قال ابن هشام» قال أبو عمرو المدنى لما أتاهم خالد قالوا صبأنا صبأنا * قال ابن اسحق وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا سلاحه ورأى ما يصنع خالد ببنى جذيمة يا بنى جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف فيما بلغنى كلام فى ذلك فقال له عبد الرحمن بن عوف عملت بامر الجاهلية فى الاسلام فقال انما ثارت بابيك فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلت قاتل أبى ولكنك ثارت بعمك الفاكه بن المغيرة حتى اذا كان بينهما شر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا يا خالد دع عنك أصحابى فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وعوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة وعفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجارا الى اليمن ومع عفان ابنه عثمان ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا احملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر كان هلك باليمن الى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بارض بنى جذيمة قبل ان يصلوا الى أهل الميت فابوا عليه فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه وقاتلوه فقتل عوف بن عبد عوف والفاكه بن المغيرة ونجا عفان بن أبى العاص وابنه عثمان وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ومال عوف بن عبد عوف فانطلقوا به وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه فهمت قريش بغزو بنى جذيمة فقالت بنو جذيمة ما كان مصاب أصحابكم عن ملا منا انما عدا عليهم

لعمرك ما خشيت وقد بلغنا * جبال الجوز من بلد تهام
نزيعا محلبا من أهل لفت * لحى بين أثلة والنجام

وقد تقدم هذا البيت الاخير فى باب الهجرة * وذكر سرية خالد الى بنى جذيمة وتعرف بغزوة الغميط وهو اسم

قوم بجهالة فاصابوهم ولم نعلم فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال فقبلت قريش ذلك ووضعوا الحرب • وقال قائل من بني جذيمة وبعضهم يقول امرأة يقال لها سلمى

ولولا مقال القوم للقوم أسلموا * للاقت سليم يوم ذلك ناطحا
لماصعهم بسر وأصحاب جحدم * ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا
فكائن ترى يوم الغميصاء من فتى * أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا
ألظت بخطاب الايامى وطلقت * غداتئذ منهن من كان ناكحا

«قال ابن هشام» قوله بسر وألظت بخطاب عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق فاجابه عباس بن مرداس ويقال بل الجحاف بن حكيم السلمى

دعى عنك تقوال الضلال كفى بنا * لكبش الوغى فى اليوم والامس ناطحا
فخالد اولى بالتعذر منكم * غداة علا نهجا من الامر واضحا
معانا بامر الله يزجى اليكم * سوانح لا تكبوا له وبوارحا
نعوا مالكا بالسهل لما هبطنه * عوابس فى كابى الغبار كوالحا
فان نك أثكلناك سلمى فمالك * تركتم عليه نائحات ونائحا

﴿وقال الجحاف بن حكيم السلمى﴾

شهدن مع النبي مسومات * حنينا وهى دامية الكلام
وغزوة خالد (٢٨٥) شهدت وجرت * سنابكهن بالبلد الحرام
نعرض للطعان اذا التقينا * وجوها لا تعرض للطام

* قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس عن الزهرى عن ابن أبى حدرد الاسلمى قال كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد فقال لى فتى من بنى جذيمة وهو فى سنى وقد جمعت يداه الى عنقه برمة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه يا فتى قلت ما تشاء قال هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدى الى هؤلاء النسوة حتى أقضى اليهن حاجة ثم تردنى بعد فتصنعوا بى ما بدا لكم قال قلت والله ليسير ما طلبت فاخذت برمته فقدته بها حتى أوقفته عليهن فقال اسلمى حبيش على نفد العيش

أرأيتك اذ طالبتكم فوجدتكم * بحلية أو ألفيتكم بالخوانق
ألم يك أهلا ان ينول عاشق * تكلف ادلاج السرى والودائق
فلا ذنب لى قد قلت اذ أهلنا معا * اثيبى بود قبل احدى الصفائق
أثيبى بود قبل أن تشحط النوى * وينأى الامير بالحبيب المفارق
فانى لا ضيعت سر أمانة * ولا راق عينى عنك بعدك رائق
سوى ان ما نال العشيرة شاغل * عن الود الا أن يكون التوامق

قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخرين منها له * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس عن الزهرى عن ابن أبى حدرد الاسلمى قالت وأنت فحييت سبعا وعشرا وترا وثمانيا تترى قال ثم انصرفت به فضربت عنقه * قال ابن اسحق فحدثنى أبو فراس بن أبى سنبلة الاسلمى عن أشياخ منهم عمن كان حضرها منهم قالوا فقامت اليه حين ضربت عنقه فاكبت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده * قال ابن اسحق وقال رجل من بنى جذيمة

جزى الله عنا مدلجا حيث أصبحت * جزاءة بؤسى حيث سارت وحلت
أقاموا على اقضاضنا يقسمونها * وقد نهلت فينا الرماح وعلت
فوالله لولا دين آل محمد * لقد هربت منهم خيول فشلت
وما ضرهم أن لا يعينوا كتيبة * كرجل جراد أرسلت فاشمعلت
فاما ينيبوا أو يثوبوا لامرهم * فلا نحن نجزيهم بما قد أضلت

اسم ماء لبنى جذيمة * وذكر شعر امرأة اسمها سلمى وفيه * ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا * البرك جماعة الابل وماصع جالد وقاتل وضابحا من الضبح وهو نفس الخيل والابل اذا عييت وفى التنزيل «والعاديات ضبحا» وفى الخبر من جمع ضبحة بليل فلا يخرج مخافة أن يصيبه شر قال الراجز

نحن نطحناهم غداة الجمعين * بالضابحات فى غبار النقعين * نطحا شديدا لا كنطح الطورين

والضبح والضبى مصدر ضبحت وضبيت أى شويت وقليت قاله أبو حنيفة قال والمضابى والمضابح هو المقالى * وذكر تبرأ النبى صلى الله عليه وسلم مما فعل خالد وهذا نحو مما روى عن عمر حين قال لابى بكر الصديق رضى الله عنهما ان فى سيف خالد رهقا فاقتله وذلك حين قتل مالك بن نويرة وجعل رأسه تحت قدر حتى طبخ به وكان مالك ارتد ثم راجع الاسلام ولم يظهر ذلك لخالد وشهد عنده رجلان من الصحابة برجوعه الى الاسلام فلم يقبلهما وتزوج امرأته فلذلك قال عمر لابى بكر اقتله فقال لا أفعل لانه متاول فقال اعزله فقال لا أغمد سيفا سله الله على المشركين ولا أعزل واليا ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر قول الرجل للمرأة اسلمى حبيش على نفد العيش النفد مصدر نفد اذا فنى وهو النفاد وحبيش مرخم من حبيشة وحلية والخوانق موضعان والودائق جمع وديقة وهو شدة الحر فى الظهيرة سميت بذلك من الودق لان فى ذلك الوقت يسيل لعاب الشمس وهو ما تراه العين كالسراب ونحوه وقال الراجز

وقام ميزان النهار فاعتدل * وسال للشمس لعاب فنزل

وقال الاحول يقال ودق اذا دنا من الارض ويقال هو وادق السرة اذا كانت مائلة الى جهة الارض وأنشد • وادقا سراتها • فعلى هذا تكون الوديقة من ودقت الشمس اذا دنت من الافق فاشتد

﴿ فاجابه وهب رجل من بنى ليث فقال ﴾

دعونا الى الاسلام والحق عامرا * فما ذنبنا فى عامر اذ تولت
وما ذنبنا فى عامر لا ابالهم * لان سفهت أحلامهم ثم ضلت

﴿وقال رجل من بنى جذيمة﴾

ليهنى بنى كعب مقدم خالد * وأصحابه اذ صبحتنا الكتائب
فلا ترة يسعى بها ابن خويلد * وقد كنت مكفيا لوانك غائب
فلا قومنا ينهون عنا غواتهم * ولا الداء من يوم الغميصاء ذاهب

﴿ وقال غلام من بنى جذيمة وهو يسوق بامه وأختين له وهو هارب بهن من جيش خالد﴾

رخين اذيال المروط وأربعن * مشى حييات كان لم يفزعن * ان تمنع اليوم نساء تمنعن *

(وقال) غلمة من بنى جذيمة يقال لهم بنو مساحق يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم

قد علمت صفراء بيضاء الاطل
يحوزها ذو ثلة وذو ابل
لاغنين اليوم ما أغنى رجل

﴿ وقال الآخر ﴾

قد علمت صفراء تلهى العرسا
لا تملا الحيزوم منها نهسا
لاضربن اليوم ضربا وعسا*
ضرب المحلين مخاضا قعسا

﴿ وقال الآخر ﴾

أقسمت ما ان خادر ذو لبده
شثن البنان فى غداة برده
جهم المحيا ذو سبال ورده*
يرزم بين أيكة وجحده
ضار بتأكال الرجال وحده*
باصدق الغداة منى نجده

﴿ مسير خالد بن الوليد ليهدم العزى ﴾

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى العزى وكانت بنخلة وكانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها وكانت سدنتها وحجابها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم فلما سمع صاحبها السلمى بمسير خالد اليها علق عليها سيفه وأسند فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول (فصل)

أياعزى شدى شدة لا شوى لها * على خالد ألقى القناع وشمرى
ياعز ان لم تقتلى المرء خالدا * فبوئى باثم عاجل أو تنصرى

فلما انتهى اليها خالد هدمها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثنى ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة * قال ابن اسحق وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان

﴿ غزوة حنين فى سنة ثمان بعد الفتح ﴾

حرها والله أعلم *وقوله فنهمه خالد أى زجره ونجهه وروى النسائى فى قصة المرأة التى ماتت مكبة على الرجل المقتول قال حدثنا محمد بن على بن حرب عن على بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث سرية قال فغنموا وفيهم رجل فقال لهم انى لست منهم عشقت امرأة فلحقتها فدعونى أنظر اليها نظرة ثم اصنعوا بى ما بدا لكم قال فاذا امرأة طويلة ادماء فقال لها اسلمى حبيش قبل نفد العيش وذكر البيتين الاولين من القطعة القافية أول هذا الخبر ناقصى الوزن وبعدهما قالت نعم فديتك فقدموه فضربوا عنقه فجاءت المرأة فوقفت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت فلما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما كان فيكم رجل رحيم خرجه النسوى فى باب قتل الاسارى من مصنفه

﴿ ذكر غزوة حنين ﴾

وحنين الذى عرف به الموضع هو حنين بن قانية بن مهلايل كذا قال البكرى وقد قدمنا انه قال فى خيبر مثل هذا انه ابن قانية فالله أعلم ويقال لها أيضا غزوة أوطاس سميت بالموضع الذى كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشىء وطسا اذا كدرته وأثرت فيه والوطيس نقرة فى حجر توقد حوله النار فيطبخ به اللحم والوطيس التنور وفى غزوة أوطاس قال النبى صلى الله عليه وسلم الآن حمى الوطيس وذلك حين استعرت الحرب وهى من الكلم التى لم يسبق اليها صلى الله عليه وسلم فمنها هذه ومنها مات حتف أنفه قالها فى فضل من مات فى سبيل الله فى حديث رواه عنه عبد الله بن عتيك قال ابن عتيك وما سمعت هذه الكلمة يعنى حتف أنفه من أحد العرب قبله صلى الله عليه وسلم ومنها لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين قالها لابى عزة الجمحى يوم أحد وقد مضى حديثه ومنها لا ينتطح فيها عنزان وسيأتى سببهما ومنها قوله عليه السلام ياخيل الله اركبى قالها يوم حنين أيضا فى حديث خرجه مسلم وقال الجاحظ فى كتاب البيان عن يونس بن حبيب لم يبلغنا من روائع الكلام ما بلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم وغلط فى هذا الحديث ونسب الى التصحيف وانما قال القائل ما بلغنا عن البتى يريد عثمان البتى فصحفه الجاحظ قالوا والنبى صلى الله عليه وسلم أجل من أن يخلط مع غيره من الفصحاء حتى يقال ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذى بلغنا عن غيره كلامه أجل من ذلك وأعلى صلوات الله عليه وسلامه

قال ابن اسحق ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النصرى فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال وهم قليل ولم يشهدها من قيس عيلان الا هؤلاء وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ولم يشهدها منهم أحد له اسم وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شىء الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخا مجربا وفى ثقيف سيدان لهم فى الاحلاف قارب بن الاسود بن مسعود بن معتب وفى بنى مالك ذو الخمار سبيع بن الحرث بن مالك وأخوه احمر بن الحرث وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصرى فلما أجمع السير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم فلما نزل باوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة فى شجار له يقاد به فلما نزل قال باى واد أنتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس مالى اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال أين مالك قيل هذا مالك ودعى له فقال يا مالك انك قد أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كائن له ما بعده من الايام مالى اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قال سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم قال ولم ذاك قال أردت ان أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم قال فانقض به ثم قال راعى ضان والله وهل يرد المنهزم شىء انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد والجد ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ولوددت انكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب فمن شهدها منكم قالوا عمرو ابن عامر وعوف ابن عامر قال ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران يا مالك انك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيأ ارفعهم الى متمنع بلادهم وعليا قومهم ثم الق الصبا على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك قال لا والله لا أفعل ذلك انك قد كبرت وكبر عقلك والله لتطيعننى يا معشر هوازن أو لاتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى وكره ان يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأى قالوا أطعناك فقال دريد بن الصمة هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى

ياليتنى فيها جذع * أخب فيها واضع

اقود وطفاء الزمع * كانها شاة صدع

«قال ابن هشام» انشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله * ياليتنى فيها جذع * قال ابن اسحق ثم قال مالك للناس اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد قال وحدثنى امية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان انه حدث ان مالك بن عوف بعث عيونا من رجاله فاتوه وقد تفرقت اوصالهم فقال ويلكم ما شأنكم فقالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا ان اصابنا ما ترى فوالله ما رده ذلك عن وجهه ان مضى على ما يريد * قال ابن اسحق ولما سمع بهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى وأمره أن يدخل فى الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم ياتيه بخبرهم فانطلق ابن أبى حدرد فدخل فيهم فاقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فاخبره الخبر فقال عمر كذب ابن أبى حدرد فقال ابن أبى حدرد ان كذبتنى فربما كذبت بالحق يا عمر فقد كذبت من هو خير منى فقال عمر يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن ابى حدرد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر

❁ فصل ❁ وذكر دريد بن الصمة الجشمى أحد بنى جشم بن بكر بن هوازن وفيه تقول الخنساء حين خطبها ما كنت تاركة بنى عمى كانهم صدور الرماح ومرتثة شيخا من بنى جشم وهو دريد بن الصمة بن بكر ابن علقمة بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن يكنى أبا قرة ويروى عن ابن اسحاق من غير رواية زياد يقال كان يومئذ ابن ستين ومائة وروى أبو صالح كاتب الليث عن الليث قال كان دريد يومئذ ابن عشرين ومائة * وقوله فى شجار له الشجار مثل الهودج وفى العين الشجار خشب الهودج * وقوله فانقض به أى صوت بلسانه فى فمه من النقيض وهو الصوت وقيل الانقاض بالاصبع الوسطى والابهام كانه يدفع بهما شيئا وهو معنى قول البرقى * وقوله راعى ضان يجهله بذلك كما قال الشاعر

أصبحت هزءا لراعى الضان أعجبه * ماذا يريبك منى راعى الضان

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل قم فما نفعك صواغ ولا راعى ضان والدريد فى اللغة تصغير أدرد وهو تصغير الترخيم والصمة الشجاع وجمعه صمم * وذكر مالك بن عوف النصرى رئيس المشركين يوم حنين وهو مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن النصرى * وذكر بعث النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى حدرد عينا الى هوازن وهو عبد الله بن

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى هوازن ليلقاهم ذكر له ان عند صفوان بن أمية أدراعا له وسلاحا فارسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد قال بل عارية مضمونة حتى نؤديها اليك قال ليس بهذا بأس فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يكفيهم حملها ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثنى عشر ألفا واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميرا على من تخلف عنه من الناس ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن فقال عباس بن مرداس السلمى

اصابت العام رعلا غول قومهم * وسط البيوت ولون الغول ألوان
يالهف أم كلاب اذ تبيتها * خيل ابن هوذة لا تنهى وانسان
لا تلفظوها وشدوا عقد ذمتكم * ان ابن عمكم سعد ودهمان
لا ترجعوها وان كانت مجللة * مادام فى النعم المأخوذ البان
شنعاء جلل من سوآتها حضن * وسال ذو شوغر منها وسلوان
ليست باطيب مما يشتوى حذف * اذ قال كل شواء العير جوفان
وفى هوازن قوم غيران بهم * داء اليمانى فان لم يغدروا خانوا
فيهم أخ لو وفوا أو بر عهدهم * ولو نهكناهم بالطعن قد لانوا
أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها * منى رسالة نصح فيه تبيان
باى
انى أظن رسول الله صابحكم * جيشا له فى فضاء الارض أركان
فيهم سليم أخوكم غير تاركم * والمسلمون عباد الله غسان
وفى عضادته اليمنى بنو أسد * والاجربان بنو عبس وذبيان
تكاد ترجف منه الارض رهبته * وفى مقدمه أوس وعثمان

سلامة بن سعد وسلامة هو أبو حدرد وهو من بنى هوازن بن أسلم بن افصى بن حارثة وهم اخوة الاوس والخزرج أعنى بنى أسلم بن أفصى مات عبد الله سنة احدى وسبعين وهو العام التى قتل فيه مصعب بن الزبير شهد ابن أبى حدرد مع النبى صلى الله عليه وسلم الحديبية وما بعدها وفاته ما كان قبل ذلك * وذكر شعر عباس وفيه . أصابت العام رعلا . وهى قبيلة من سليم وفى الحديث قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرين يدعو على رعل وذكوان وعصيه وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة * وقوله . خيل ابن هوذة لا تنهى وانسان . انسان قبيلة من قيس ثم من بنى نصر قاله البرقى وقيل هم من بنى جشم ابن بكر ومن بنى انسان شيطان بن مدلج صاحب حميدة وهى فرس له تضرب بها العرب المثل فى الشؤم فيقال أشأم من حميدة وسبب ذلك خبر يطول ذكره الاصبهانى فى الامثال وسعد ودهمان ابنا نصر بن معاوية ابن بكر كذا وجدته فى بعض المعلقات والمعروف فى قيس دهمان بن أشجع بن ريث بن غطفان والد نصر ابن دهمان الذى عاش مائة وتسعين سنة حتى تقوم ظهره بعد انحناء واسود شعره بعد ابيضاض فكان أعجوبة فى العالم وقال الشاعر

لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها * وتسعين حولا ثم قوم فانصانا
وعاد سواد الرأس بعد ابيضاضه * ولكنه من بعد ذلك قد مانا

وممن ذكر هذا الخبر أبو الحسن الدارقطنى رحمه الله وحضن اسم جبل ومنه المثل أنجد من رأى حضنا * وقوله مما يشتوى حذف الحذف غنم سود صغار تكون باليمن وفى الحديث سووا صفوفكم لا تتخللكم الشياطين كأنها بنات حذف يعنى فى الصف فى الصلاة هكذا قال البرقى فى تفسير هذا البيت والذى أراد الشاعر انما هو رجل فلعله كان يسمى بحذف والحذف هى الغنم السود التى ذكرنا * وقوله . كل شواء العير جوفان . يقال انه شوى له غرمول حمار فأكله فى الشواء فوجده أجوف وقيل له انه القنب أى وعاء القضيب فقال كل شواء العير جوفان فضرب هذا الكلام مثلا وقيل كان فزارى وتغلبى وكلبى اجتمعوا فى سفر وقد اشتووا حمار وحش فغاب الفزارى فى بعض حاجاته فأكل صاحباه العير واختبآ له غرموله فلما جاء قالا له هذا خبأنا لك فجعل يأكله ولا يسيغه فضحكا منه فاخترط سيفه وقال لأقتلنكما ان لم تأكلاه فأبى أحدهما فضربه بالسيف فأبان رأسه وكان اسمه مرقمه فقال صاحبه طاح مرقمه فقال الفزارى وأنت ان لم تلقمه أراد تلقمها فطرح حركة الهاء على الميم وحذف الالف كما قد قيل فى الحيرة أى رجال به أى بها وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها باسيار
لا تأمننه ولا تأمن بوائقه * بعد الذى امتل أير العير فى النار
أطعمتم الضيف غرمولا مخاتلة * فلا سقاكم الاهى الخالق البارى

من كتاب الامثال للاصبهانى فهذا الفزارى هو حذف المذكور فى البيت والله أعلم * وقوله والاجربان بنو عبس وذبيان سماهما بالاجربين تشبيها بالاجرب الذى لا يقرب وقال مجذوم من العرب

* قال ابن اسحق أوس وعثمان قبيلا مزينة « قال ابن هشام » من أبلغ قوله هوازن أعلاها وأسفلها الى آخرها فى هذا اليوم وما قبل ذلك فى غير هذا اليوم وهما مصفولتان ولكن ابن اسحق جعلهما واحدة * قال ابن اسحق وحدثنى ابن شهاب الزهرى عن سنان ابن أبى سنان الدؤلى عن أبى واقد الليثى أن الحرث بن مالك قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية قال فسرنا معه الى حنين قال وكانت الكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات انواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة خضراء عظيمة قال فتنادينا من جنبات الطريق يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر قلتم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف ذى خطوط انما ننحدر فيه انحدارا قال وكان فى عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا الى الوادى فكمنوا لنا فى شعابه وأحنائه ومضايقه وقد أجمعوا وتهيؤا وأعدوا فوالله ماراعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانشمر الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال أين أيها الناس هلموا الى أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله قال فلاشئ حملت الابل بعضها على بعض فانطلق الناس الا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والانصار وأهل بيته وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ومن أهل بيته على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحرث وابنه والفضل بن العباس وربيعة بن الحرث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد قتل يومئذ « قال ابن هشام » اسم ابن أبى سفيان بن الحرث جعفر واسم أبى سفيان المغيرة وبعض الناس يعد فيهم قثم بن العباس ولا يعد ابن أبى سفيان * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح له طويل امام هوازن وهوازن خلفه اذا أدرك طعن برمحه واذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه * قال ابن اسحق فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان بن حرب لا تنتهى هزيمتهم دون البحر وان الازلام لمعه فى كنانته وصرخ جبلة بن الحنبل * قال ابن هشام كلدة بن الحنبل وهو مع اخيه صفوان بن أمية مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لان يربنى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازن « قال ابن هشام » وقال حسان بن ثابت يهجو كلدة

رأيت سوادا من بعيد فراعنى * أبو حنبل ينزو على أم حنبل كان الذى ينزو به فوق بطنها * ذراع قلوص من نتاج ابن عزهل

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين وذكر لنا انه هجا بهما صفوان بن أمية وكان أخا كلدة لامه * قال ابن اسحق وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة أخو بنى عبد الدار قلت اليوم أدرك ثأرى وكان أبوه قتل يوم أحد اليوم أقتل محمدا قال فأردت برسول الله صلى الله عليه وسلم لاقتله فاقبل شئ حتى تغشى فؤادى فلم أطلق ذلك فعلمت أنه ممنوع منى * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فصل من مكة الى حنين ورأى كثرة من معه من جنود الله لن نغلب اليوم من قلة * قال ابن اسحق وزعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكر

باى فعال رب أوتيت مأرى * أظل كانى كلما قمت أجرب

أى يفرمنى وفى الخبر ان عمر لما نهى الناس عن مجالسة صبيغ بن عسل كان كلما حل موضعا تفرق الناس عنه كانه بعير أجرب ومن رواه الاجربان بضم النون فهو جائز فى كل اثنين متلازمين كالجلمين يقال فيهما الجلمان بضم النون وكذلك القمران وروى ان فاطمة رضى الله عنها نادت ابنيها فى ليلة ظلمة ياحسنان ياحسينان نصم النون قاله الهروى فى الغريبين

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم أين أيها الناس أنا محمد أنا رسول الله وفى غير هذه الرواية أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وهو كلام موزون وقد تقدم الكلام فى مثل هذا وانه ليس بشعر حتى يقصد به الشعر وللخطابى فى كتاب الاعلام تنبيه على قوله أنا ابن عبد المطلب قال انما خص عبد المطلب بالذكر فى هذا المقام وقد انهزم الناس تشبها النبوته وازالة للشك لما اشتهر وعرف من رؤيا عبد المطلب المبشرة بالنبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ذكرها ولما أنبات به الاحبار والرهبان فكانه يقول أنا ذاك فلابد مما وعدت به لئلا ينهزموا عنه ويظنوا انه مقتول ومغلوب فالله أعلم أأراد ذلك رسوله أم لا * وذكر قصة شيبة بن عثمان حين أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم قال فجاء شىء حتى تغشى فؤادى وقد ذكر هذا

قالها * قال ابن اسحق فحدثني الزهري عن كثير بن العباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال اني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها قال وكنت امرأ جسيما شديد الصوت قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شيء فقال يا عباس اصرخ يا معشر الانصار يا معشر أصحاب السمرة قال فأجابوا لبيك لبيك قال فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله فيؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا اجتمع اليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا وكانت الدعوى أول ما كانت يا للانصار ثم خلصت أخيرا يا للخزرج وكانوا صبراء عند الحرب فاشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه فنظر الى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال الآن حمي الوطيس * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع اذ هوى له علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الانصار يريدانه قال فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله قال واجتلد الناس فوالله مارجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حسن الاسلام حين أسلم وهو آخذ بثفر بغلته فقال من هذا قال أنا ابن أمك يا رسول الله * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أم سليم ابنة ملحان وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها ببرد لها وانها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ومعها جمل أبي طلحة وقد خشيت أن يعزها الجمل فادنت رأسه منها فادخلت يدها في خزامته مع الخطام فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سليم قالت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكفي الله يا أم سليم قال ومعها خنجر فقال لها أبو طلحة ما هذا الخنجر معك يا أم سليم قالت خنجر أخذته ان دنا مني أحد من المشركين بعجته به قال يقول ابو طلحة ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميصاء * قال ابن اسحق وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجه الى حنين قد ضم بني سليم الى الضحاك بن سفيان الكلابي فكانوا اليه ومعه ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه

أقدم محاج انه يوم نكر * مثلي على مثلك يحمي ويكر
اذا أضيع الصف يوما والدبر * ثم احزألت زمر بعد زمر
كتائب يكل فيهن البصر * قد أطعن الطعنة تقدي بالسبر
حين يذم المستكين المنجحر * وأطعن النجلاء تعوي وتهر
لها من الجوف رشاش منهمر * تفهق تارات وحينا تنفجر
وثعلب العامل فيها منكسر * يا زين يا ابن همهم أين تفر
قد نفد الضرس وقد طال العمر * قد علم البيض الطويلات الخمر
أني في أمثالها غير غمر * اذ تخرج الحاضن من تحت الستر

وقال مالك بن عوف أيضا

أقدم محاج انها لاساوره * ولا تغرنك رجل نادره

الخبر أبو بكر بن أبي خيثمة في تاريخه قال شيبة اليوم آخذ بثاري فجئت النبي صلى الله عليه وسلم من خلفه فلما هممت به حال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد قال فالتفت الي النبي صلى الله عليه وسلم وتبسم وعرف الذي أردت فمسح صدري وذهب عني الشك أو كما قال ذهب عني بعض ألفاظ الحديث * وذكر أم سليم وهي مليكة بنت ملحان وقال في اسمها رميلة ويقال سهيلة وتعرف بالغميصاء والرميصاء لرمص كان في عينيها أبو طلحة بعلها هو زيد بن سهل بن الاسود بن حرام وهو القائل

أنا أبو طلحة واسمي زيد * وكل يوم في سلاحي صيد

وقول أم سليم يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك (ان قيل) كيف فر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حتى لم يبق معه منهم الا ثمانية والفرار من الزحف من الكبائر وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل (قلنا) لم يجمع العلماء على انه من الكبائر الا في يوم بدر وكذلك قال الحسن ونافع مولى عبد الله بن عمر وظاهر القرآن يدل على هذا فانه قال ومن يولهم يومئذ دبره فيومئذ اشارة الى يوم بدر ثم نزل التحقيق من بعد ذلك في الفارين يوم احد وهو قوله « ولقد عفا الله عنهم » وكذلك انزل في يوم حنين « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الى قوله غفور رحيم » وفي تفسير ابن سلام كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبائر وكذلك يكون من الكبائر في ملحمة الروم الكبرى وعند الدجال وايضا فان المنهزمين عنه عليه السلام رجعوا لحينهم وقاتلوا معه حتى فتح الله عليهم * وقول مالك في رجزه . قد اطعن الطعنة تقدي بالسبر . السبر جمع سابر وهو الفتيل الذي يسبر به الجرح اي يخبر * وقوله في الزجر الآخر . اقدم محاج انها الاساوره .

وقول

« قال ابن هشام » وهذان البيتان لغير مالك بن عوف فى غير هذا اليوم * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن أبى قتادة الانصارى قال وحدثنى من لا أتهم من أصحابنا عن نافع مولى بنى غفار أبى محمد عن أبى قتادة قال قال أبو قتادة رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان مسلما ومشركا قال واذا رجل من المشركين يريدان يعين صاحبه المشرك على المسلم قال فاتيته فضربت يده فقطعتها واعتنقنى بيده الأخرى فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم ويروى ريح الموت فيما قال ابن هشام وكاد يقتلنى فلولا ان الدم نزفه لقتلنى فسقط فضربته فقتلته وأجهضنى عنه القتال ومر به رجل من أهل مكة فسلبه فلما وضعت الحرب اوزارها وفرغنا من القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه فقلت يارسول الله والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب فاجهضنى عنه القتال فما أدرى من استلبه فقال رجل من أهل مكة صدق يارسول الله وسلب ذلك القتيل عندى فارضه عنى من سلبه فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا والله لا يرضيه منه تعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه اردد عليه سلب قتيله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق اردد عليه سلبه فقال أبو قتادة فاخذته منه فبعته فاشتريت بثمنه مخرفا فانه لاول مال اعتقدته * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن أبى سلمة عن اسحق ابن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك قال لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار عن جبير بن مطعم قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الاسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا نمل أسود مبثوث قد ملا الوادى لم أشك أنها الملائكة ثم لم يكن الا هزيمة القوم * قال ابن اسحق ولما هزم الله المشركين من أهل حنين وأمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم قالت امرأة من المسلمين

قد غلبت خيل الله خيل اللات * والله أحق بالثبات

« قال ابن هشام » أنشدنى بعض أهل العلم بالرواية للشعر

غلبت خيل الله خيل اللات * وخيله أحق بالثبات

* قال ابن اسحق فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف فى بنى مالك فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحرث بن حبيب وكانت رايتهم مع ذى الخمار فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قتل * قال ابن اسحق وأخبرنى عامر بن وهب بن الاسود قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله قال أبعده الله فانه كان يبغض قريشا * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانى اغرل قال فبينا رجل من الانصار يستلب قتلى ثقيف اذ كشف العبد يسلبه فوجده اغرل قال فصاح باعلى صوته يامعشر العرب يعلم الله ان ثقيفا غرل قال المغيرة بن شعبة فأخذت بيده وخشيت ان تذهب عنا فى العرب فقلت لا تقل ذاك فداك أبى وأمى انما هو غلام لنا نصرانى قال ثم جعلت اكشف له عن القتلى وأقول له ألا تراهم مختتنين كما ترى

* قال ابن اسحق وكانت راية الاحلاف مع قارب بن الاسود فلما انهزم الناس أسند رايته الى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه من

---

*وقول ابن هشام هما لغير مالك فى غير هذا اليوم يعنى يوم القادسية وكانت الدولة فيه للمسلمين على الفرس والاساورة ملوك الفرس وقتل فى ذلك اليوم رستم ملكهم دون الملك الاكبر وكان على المسلمين يومئذ سعد بن ابى وقاص وقد ذكرنا قبل بم سميت القادسية *وذكر حديث ابى قتادة فى سلب القتيل قال فاشتريت بثمنه مخرفا فانه لاول مال اعتقدته يقال اعتقدت مالى اى اتخذت منه عقدة كما تقول نبذة او قطعة والاصل فيه من العقد وان من ملك شيئاً عقد عليه وانشد أبو على

ولما رأيت الدهر أحت صروفه * على واودت بالذخائر والعقد
حذفت فضول العيش حتى رددتها * الى القوت خوفا ان اجاء الى احد

ويروى تأثلته وهى رواية الموطا ويقال مخرف بفتح الراء وكسرها وأما كسر الميم فانما هو للمخرف وهى الآلة التى تخترف بها الثمرة أى تجتنى بفتح الميم معناه البستان من النخل هكذا فسروه وفسره الحربى وأجاد فى تفسيره فقال المخرف نخلة واحدة أو نخلات يسيرة الى عشر فما فوق ذلك فهو بستان أو حديقة ويقوى ماقاله الحربى ماقاله أبو حنيفة قال المخرف مثل الخروفة والخروفة هى النخلة يخترفها الرجل لنفسه ولعياله وأنشد * مثل المخارف من خيلان أوهجرا * قال ويقال للخروفة خريفة أيضا وفى هذا الحديث من الفقه ان السلب للقاتل حكما شرعيا جعل ذلك الامام له أولم يجعله وهو قول الشافعى وقال مالك انما ذلك الى الامام له أن يقول بعد ممعة الحرب من قتل قتيلا فله سلبه ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئلا يخالط النية غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى وقد ذكرنا فى غزوة بدر فى هذه المسئلة ماهو أكثر من هذا *وقول جبير بن مطعم لقد رأيت مثل البجاد يعنى الكساء من النمل مبثوثا يعنى رآه ينزل من السماء قال لم أشك انها الملائكة وقد قدم ابن اسحاق قول الآخر رأيت رجالا بيضا على خيل بلق وكانت

الاحلاف فلم يقتل من الاحلاف غير رجلين رجل من بني غيرة يقال له وهب وآخر من بني كبة يقال له الجلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح قتل اليوم سيد شباب ثقيف الا ما كان من ابن هنيدة يعني بابن هنيدة الحرث بن أويس فقال عباس بن مرداس السلمي يذكر قارب بن الاسود وفراره من بني أبيه وذا الخمار وحبسه قومه للموت

ألا من مبلغ غيلان عني * وسوف اخال يأتيه الخبير　　وعروة انما اهدي جوابا * وقولا غير قولكما يسير
بان محمدا عبد رسول * لرب لا يضل ولا يجور　　وجدناه نبيا مثل موسى * فكل فتى يخايره مخير
وبئس الامر أمر بني قسي * بوج اذا تقسمت الامور　　أضاعوا أمرهم ولكل قوم * أمير

والدوائر قد تدور
فجئنا اسد غابات اليهم *
جنود الله ضاحية تسير
نؤم الجمع جمع بني قسي *
على حنق نكاد له نطير
واقسم لوهمو مكثوا لسرنا *
اليهم بالجنود ولم يغوروا
فكنا أسد لية ثم حتى *
أبحناها وأسلمت النصور
ويوم كان قبل لدى حنين *
فاقلع والدماء به تمور
من الايام لم تسمع كيوم *
ولم يسمع به قوم ذكور
قتلنا في الغبار بني حطيط *
على راياتها والخيل زور
ولم يك ذو الخمار رئيس قوم
لهم عقل يعاقب أو نكير
أقام بهم على سنن المنايا *
وقد بانت لمبصرها الامور
فافلت من نجا منهم حريضا *
وقتل منهم بشر كثير
ولا يغني الامور أخو التواني
ولا الغلق الصريرة الحصور　　احانهم وحان وملكوه * أمورهم وافلتت الصقور　　ويجوز

بنو عوف تميح بهم جياد * أهين لها الفصافص والشعير　　فلولا قارب وبنو أبيه * تقسمت المزارع والصقور
ولكن الرياسة عمموها * على يمن أشار به المشير　　أطاعوا قاربا ولهم جدود * وأحلام الى عز تصير
فان يهدوا الى الاسلام يلفوا * أنوف الناس ما سمر السمير　　وان لم يسلموا فهم أذان * بحرب الله ليس لهم نصير
كما حكمت بني سعد وجرت * برهط بني غزية عنقفير　　كان بني معاوية بن بكر * الى الاسلام ضائنة تخور
فقلنا أسلموا انا أخوكم * وقد برأت من الاحن الصدور　　كان القوم اذ جاؤا الينا * من البغضاء بعد السلم عور

الملائكة فاراهم الله لذلك الهوازني على صور الخيل والرجال ترهيبا للعدو ورآهم جبير على صورة النمل المبثوث اشعارا بكثرة عددها اذ النمل لا يستطاع عدها مع ان النملة يضرب بها المثل في القوة فيقال أقوى من النملة لانها تحمل ما هو أكبر من جرمها باضعاف وقد قال رجل لبعض الملوك جعل الله قوتك قوة النملة فانكر عليه فقال ليس في الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه الا النملة وهذا المثل قد ذكره الاصبهاني في كتاب الامثال مقرونا بهذا الخبر وقد أهلك بالنمل أمة من الامم وهم جرهم

﴿ فصل ﴾ وذكر قول عباس * وسوف اخال يأتيك الخبير * الفعل المستقبل هو يأتيك وان كان حرف سوف داخلا على اخال في اللفظ فان ما يدل عليه من الاستقبال انما هو الفعل الثاني كما قال * وما أدري وسوف اخال أدري * وذلك ان اخال في معنى أظن وليس يريد انه يظن فيما يستقبل وانما يريد أن يخال الآن ان سيكون ذلك * وقوله

فان يهدوا الى الاسلام يلقوا * أنوف الناس ما سمر السمير

أنوف الناس انتصب على الحال لانه نكرة لم يتعرف بالاضافة لانه لم يرد الانوف باعيانها ولكن اشرافا وهذا كقوله * بمنجرد قيد الاوابد * لانه جعله كالقيد ومثله ما ذكرناه قبل في بصب غمائم الابصار على الحال وليس هذا من باب ما منعه سيبويه حين قال معترضا على الخليل لو قلت مررت بقصير الطويل تريد مثل الطويل لم يجز والذي أراده الخليل هو ما ذكرناه في غير موضع من استعارة الكلمة على جهة التشبيه نحو قيد الاوابد وأنوف الناس تريد أشرافهم فمثل هذا يكون وصفا للنكرة وحالا من المعرفة وقد ألحق بهذا الباب له صوت صوت الحمار على الصفة وضعفه سيبويه في الحال قال وهو في الصفة اقبح وانما ألحقه الخليل بما تنكر هو مضاف الى معرفة من اجل تكرر اللفظ فيه فحسن لذلك * وقوله واسلمت النصور ذكر البرقي ان النصور ههنا جمع ناصر وليس هو عندي كذلك فان فاعلا قل ما يجمع على فعول وان جمع فليس هو بالقياس المطرد وانما هم بنو نصر من هوازن رهط مالك بن عوف النصري يقال لهم النصور كما يقال لبني المهلب المهالبة ولبني المنذر المناذرة وكما يقال الاشعرون وهم بنو اشعر ابن ادد والتوتيات لبني تويت بن اسد وقوله انا اخوكم جمع اخا جمعا مسلما بالواو والنون ثم حذفت النون للاضافة كما أنشدوا

ولما تبين أصواتنا بكين وفديننا بالابينا

« قال ابن هشام » غيلان غيلان بن سلمة الثقفى وعروة عروة بن مسعود الثقفى * قال ابن اسحق ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم باوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة الا بنو غيرة من ثقيف وتبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نخلة من الناس ولم تتبع من سلك الثنايا فادرك ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس وكان يقال له ابن الدغنة وهى أمه فغلبت على اسمه ويقال ابن لذغة فيما قال ابن هشام دريد بن الصمة فاخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة وذلك انه فى شجار له فاذا برجل فاناخ به فاذا شيخ كبير واذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد بى قال أقتلك قال ومن أنت قال أنا ربيعة بن رفيع السلمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن فيه شيئاً فقال بئس ماسلحتك أمك خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل وكان الرحل فى الشجار ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت أضرب الرجال ثم اذا أتيت أمك فاخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك فزعم بنو سليم أن ربيعة قال لما ضربته فوقع تكشف فاذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل أعراء فلما رجع ربيعة الى أمه أخبرها بقتله اياه فقالت أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا فقالت عمرة بنت دريد فى قتل ربيعة دريدا

لعمرك ماخشيت على دريد   ببطن سميرة جيش العناق   جزى عنا الاله بنى سليم   وعقتهم بما فعلوا عقاق
وأسقانا اذا قدنا اليهم   دماء خيارهم عند التلاقى   فرب عظيمة دافعت عنهم   وقد بلغت نفوسهم التراقى
ورب كريمة أعتقت منهم   وأخرى قد فككت من الوثاق   ورب منوه بك من سليم   أجبت وقد دعاك بلا رماق
فكان جزاؤنا منهم عقوقا   وهما ماع منه مخ ساقى   عفت آثار خيلك بعد أين   بذى بقر الى فيف النهاق

❊ وقالت عمرة بنت دريد أيضا ❊

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا   فظل دمعى على السربال ينحدر
لولا الذى قهر الاقوام كلهم * رأت سليم وكعب كيف تأتمر
اذن لصبحهم غبا وظاهرة * حيث استقرت نواهم جحل ذفر

ويجوز أن يكون وضع الواحد موضع الجميع كما تقدم فى قوله أنتم الوالد ونحن الولد * وقوله فى صفة الزبير طويل الباد أى الفخر والبدد تباعد ما بين الفخذين

« قال ابن هشام » ويقال اسم الذى قتل دريدا عبد الله بن قنيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة * قال ابن اسحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الاشعرى فادرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى أبو عامر بسهم فقتل فاخذ الراية أبو موسى الاشعرى وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله على يديه وهزمهم فيزعمون أن سلمة بن دريد هو الذى رمى أبا عامر الاشعرى بسهم فاصاب ركبته فقتله فقال

ان تسئلوا عنى فانى سلمه * ابن سمادير لمن توسمه * أضرب بالسيف رؤس المسلمه

وسمادير أمه واستحر القتل من بنى نصر فى بنى رئاب فزعموا أن عبد الله بن قيس وهو الذى يقال له ابن العوراء وهو أحد بنى وهب بن رئاب قال يا رسول الله هلكت بنو رئاب فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجبر مصيبتهم وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف فى فوارس من قومه على ثنية من الطريق وقال لاصحابه قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم ويلحق أخراكم فوقف هنالك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس فقال مالك بن عوف فى ذلك

لولا كرتان على محاج   لضاق على العضاريط الطريق
ولولا كر دهمان بن نصر   لدى النخلات مندفع الشديق
لآبت جعفر وبنو هلال   خزايا محقبين على شقوق

« قال ابن هشام » هذه الابيات لمالك بن عوف فى غير هذا اليوم ومما يدلك على ذلك قول دريد بن الصمه فى صدر هذا الحديث ما فعلت كعب وكلاب فقالوا لم يشهدها منهم أحد وجعفر بن كلاب وقال مالك بن عوف فى هذه الابيات لآبت جعفر وبنو هلال « قال ابن هشام » وبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لاصحابه ماذا ترون فقالوا نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم فقال هؤلاء بنو سليم ولا باس عليكم منهم فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال لاصحابه ماذا ترون قالوا نرى قوما عارضى رماحهم أغفالا على خيلهم فقال هؤلاء الاوس والخزرج ولا باس عليكم منهم فلما انتهوا الى أصل الثنية سلكوا طريق بنى سليم ثم طلع فارس فقال لاصحابه ماذا ترون قالوا نرى فارسا طويل الباد واضعا رمحه على عاتقه عاصبا رأسه بملاءة حمراء فقال هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم فاثبتوا له فلما انتهى الزبير الى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها * قال ابن اسحق وقال سلمة بن دريد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم

نسيتنى ما كنت غير مصابة   ولقد عرفت غداة نعف الاظرب

أنى منعتك والركوب محبب   ومشيت خلفك مثل مشي الأنكب
اذ فر كل مهذب ذي لمة   عن أمه وحليله لم يعقب

« قال ابن هشام » وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر لقي يوم أوطاس عشرة اخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه ابو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه فقال الرجل اللهم لا تشهد عليّ فكف عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم بعد فحسن اسلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رآه قال هذا شريد أبي عامر ورمى أبا عامر أخوان العلاء وأوفى ابنا الحرث من بني جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه وولي الناس أبو موسى الاشعري فحمل عليهما فقتلهما فقال رجل من بني جشم بن معاوية يرثيهما

ان الرزية قتل العلاء   وأوفى جميعا ولم يسندا
هما القاتلان أبا عامر   وقد كان داهية أربدا
هما تركاه لدى معرك   كان على عطفه مجسدا
فلم تر في الناس مثليهما   أقل عثارا وأرمى يدا

* قال ابن اسحق وحدثني بعض أصحابنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون عليها فقال ما هذا فقالوا امرأة قتلها خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه أدرك خالدا فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة او عسيفا * قال ابن اسحق وحدثني بعض بني سعد بن بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ ان قدرتم على بجاد رجل من بني سعد بن بكر فلا يفلتنكم وكان قد احدث حدثا فلما ظفر به المسلمون ساقوه واهله وساقوا معه الشيماء بنت الحرث بن عبد العزى اخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فعنفوا عليها في السياق فقالت للمسلمين تعلموا والله اني لاخت صاحبكم من الرضاعة فلم يصدقوها حتى أتوا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فحدثني يزيد بن عبيد السعدي قال فلما انتهى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله اني اختك من الرضاعة قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها في ظهري وانا متوركتك قال فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه فاجلسها عليه وخيرها وقال ان أحببت فعندي محببة مكرمة وان احببت ان أمتعك وترجعي الى قومك فعلت فقالت بل تمتعني وتردني الى قومي فمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها الى قومها فزعمت بنو سعد انه اعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجت احدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية « قال ابن هشام » وأنزل الله عز وجل في يوم حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم الى قوله وذلك جزاء الكافرين * قال ابن اسحق وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين من قريش ثم من بني هاشم ايمن بن عبيد ومن بني اسد بن عبد العزى يزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد جمح به فرس له يقال له الجناح فقتل * ومن الانصار

* وقوله في المرأة المقتولة أدرك خالدا فقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة أو عسيفا العسيف الاجير وهذا منتزع من كتاب الله تعالى لانه يقول « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » فاقتضى دليل الخطاب الا تقتل المرأة الا أن تقاتل وقد أخطأ من قاس مسئلة المرتدة على هذه المسئلة فان المرتدة لا تسترق ولا تسبى كما تسبى نساء الحرب وذراريهم فتكون مالا للمسلمين فنهى عن قتلهن لذلك * وذكر فيمن استشهد أبا عامر واسمه عبيد بن سليم بن حضار وهو عم أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري وهو الذي استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتل رافعا يديه جدا يقول اللهم اغفر لعبيد أبي عامر ثلاثا وفيه من الفقه رفع اليدين في الدعاء وقد كرهه قوم روى عبد الله بن عمر أنه رأى قوما يرفعون أيديهم في الدعاء فقال أوقد رفعوها قطعها الله والله لو كانوا بأعلى شاهق ما ازدادوا من الله بذلك قربا وذكر لمالك ان عامر بن عبد الله بن الزبير كان يدعو بإثر كل صلاة ويرفع يديه فقال ذلك حسن ولا أدري أن يرفعهما جدا وحجة من رأى الرفع أحاديث منها ما ذكرناه آنفا ومنها حديث تقدم في سرية الغميصاء حين رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات ولكل شيء وجه فمن كره فانما كره الافراط في الرفع كما كره رفع الصوت بالدعاء جدا قال صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا وهو معنى قول مالك الذي قدمناه في رفع اليدين

﴿ فصل ﴾ ومما ذكر في غزوة حنين من غير رواية ابن اسحاق الحفنة التي أخذها النبي صلى الله عليه وسلم

سراقة بن الحرث بن عدى من بنى العجلان * ومن الاشعريين ابو عامر الاشعرى . ثم جمعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حنين واموالها وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفارى وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والاموال الى الجعرانة فحبست بها

﴿ وقال بجير بن زهير بن ابى سلمى فى يوم حنين ﴾

لولا الاله وعبده وليتم * حين استخف الرعب كل جبان
بالجزع يوم حبا لنا اقراننا * وسوابح يكبون للاذقان
من بين ساع ثوبه فى كفه * ومقطر بسنابك ولبان
فالله اكرمنا واظهر ديننا * واعزنا بعبادة الرحمن
والله اهلكهم وفرق جمعهم * وأذلهم بعبادة الشيطان

« قال ابن هشام » ويروى فيها بعض الرواة

اذ قام عم نبيكم ووليه * يدعون بالكتيبة الايمان
أين الذين هم اجابوا ربهم * يوم العريض وبيعة الرضوان

* قال ابن اسحق وقال عباس بن مرداس فى يوم حنين

انى والسوابح يوم جمع * وما يتلو الرسول من الكتاب
لقد أحببت ما لقيت ثقيف * بجنب الشعب امس من العذاب
هم رأس العدو من اهل نجد * فقتلهم ألذ من الشراب
هزمنا الجمع جمع بنى قسى * وحكت بركها ببنى رئاب
وصرما من هلال غادرتهم * باوطاس تعفر بالتراب
ولولاقين جمع بنى كلاب * لقام نساؤهم والنقع كابى
ركضنا الخيل فيهم بين بس * الى الاورادتنحط بالنهاب
بذى لجب رسول الله فيهم * كتيبته تعرض للضراب

« قال ابن هشام » قوله تعفر بالتراب عن غير ابن اسحق . فاجابه عطية بن عفيف النصرى فيما قال ابن هشام فقال

أفاخرة رفاعة فى حنين * وعباس بن راضعة اللجاب
فانك والفخار كذات مرط * لربتها وترفل فى الاهاب

* قال ابن اسحق وقال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن فى يوم حنين ورفاعة من جهينة * قال ابن اسحق وقال عباس بن مرداس أيضا

يا خاتم النبناء انك مرسل * بالحق كل هدى السبيل هداكا
ان الاله بنى عليك محبة * فى خلقه ومحمدا سماكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم * جند بعثت عليهم الضحاكا
رجلا به ذرب السلاح كانه * لما تكنفه العدو يراكا
يغشى ذوى النسب القريب وانما * يبغى رضا الرحمن ثم رضاكا
أنبيك انى قد رأيت مكره * تحت العجاجة يدمغ الاشراكا
طورا يعانق باليدين وتارة * يفرى الجماجم صارما بتاكا
يغشى به هام الكماة ولو ترى * منه الذى عاينت كان شفاكا
وبنو سليم معنقون امامه * ضربا وطعنا فى العدو دراكا
يمشون تحت لوائه وكانهم * أسد العرين أردن ثم عراكا
ما يرتجون من القريب قرابة * الا لطاعة ربهم وهواكا
هذى مشاهدنا التى كانت لنا * معروفة وولينا مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضا

أما ترى يا أم فروة خيلنا * منها معطلة تقاد وظلع
أوهى مقارعة الاعادى دمها * فيها نوافذ من جراح تنبع
فلرب قائلة كفاها وقعنا * أزم الحروب فسربها لا يفزع
لا وفد كالوفد الالى عقدوا لنا * سببا بحبل محمد لا يقطع
وفد أبو قطن حزابة منهم * وأبو الغيوث وواسع والمقنع
والقائد المائة التى وفى بها * تسع المئين فتم ألف أقرع
جمعت بنو عوف ورهط مخاشن * ستا وأحلب من خفاف أربع
فهناك اذ نصر النبى بالفنا * عقد النبى لنا لواء يلمع

وسلم من البطحاء وهو على بغلته فرمى بها أوجه الكفار وقال شاهت الوجوه فانهزموا والمستقبل من شاهت تشاه لان وزنه فعل وفيه ان البغلة حضجت به الى الارض حين أخذ الحفنة ثم قامت به وفسروا حضجت أى ضربت بنفسها الى الارض وألصقت بطنها بالتراب ومنه الحضاج وهو زق مملوء قد أسند الى شىء وأميل اليه والبغلة التى كان عليها يومئذ هى التى تسمى البيضاء وهى التى أهداها اليه فروة بن نفاثة وقد تقدم ذكر الاخرى واسمها دلدل وذكر من أهداها اليه وذكر نداء العباس يامعشر أصحاب السمرة وكان العباس صيتا جهيرا وأصحاب السمرة هم أصحاب بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكانت الشجرة سمرة

﴿ فصل ﴾ وذكر الضحاك بن سفيان الكلابى وهو الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن ابى بكر بن كلاب الكلابى يكنى ابا سعيد وكان يقوم على رأس النبى صلى الله عليه وسلم متوشحا بالسيف وكان يعد وحده بمائة فارس وكانت بنو سليم يوم حنين تسع مائة فامره عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره انه قد عمهم به الفا واياه اراد عباس بن مرداس بقوله * جند بعثت عليهم الضحاكا * وقال البرقى ليس الضحاك بن سفيان هذا الكلابى انما هو الضحاك بن سفيان السلمى وذكر من غير رواية البكائى عن ابن اسحاق نسبه مرفوعا الى بهثة بن سليم ولم يذكر ابو عمر فى الصحابة الا الاول وهو الكلابى فالله اعلم * وذكر شعر عباس بن مرداس الذى اوله

فزنا برايته وأورث عقده * مجد الحياة وسوددا لا ينزع
وغداة نحن مع النبي جناحه * ببطاح مكة والقنا يتهزع
كانت اجابتنا لداعى ربنا * بالحق منا حاسر ومقنع
فى كل سابغة تخير سردها * داود اذ نسج الحديد وتبع
ولنا على بئرى حنين موكب * دمغ النفاق وهضبة ما تقلع
نصر النبي بنا وكنا معشرا * فى كل نائبة نضر وننفع
زرنا غداتئذ هوازن بالقنا * والخيل يغمرها عجاج يسطع
اذ خاف حدهم النبي وأسندوا * جمعا تكاد الشمس منه تخشع
يدعى بنو جشم ويدعى وسطه * افناء نصر والاسنة شرع
حتى اذا قال الرسول محمد * أبني سليم قد وفيتم فارفعوا
رحنا ولولا نحن أجحف باسهم
بالمؤمنين وأحرزوا ما جمعوا

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين

عفا مجدل من أهله فمتالع *
فمطلا أريك قد خلا فالمصانع
ديار لنا يا جمل اذ جل عيشنا
رخى وصرف الدار للحى جامع
حبيبة ألوت بها غربة النوى
لبين فهل ماض من العيش راجع
فان تبتغى الكفار غير ملومة
فانى وزير للنبي وتابع
دعانا اليهم خير وفد علمتهم
خزيمة والمدار منهم وواسع
فجئنا بالف من سليم عليهم *
لبوس لهم من نسج داود رائع
نبايعه بالاخشبين وانما *
يد الله بين الاخشبين نبايع
فجسنا مع المهدى مكة عنوة * باسيافنا والنقع كاب وساطع
علانية والخيل يغشى متونها * حميم وآن من دم الجوف ناقع
ويوم حنين حين سارت هوازن * الينا وضاقت بالنفوس الاضالع
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا * قراع الاعادى منهم والوقائع
أمام رسول الله يخفق فوقنا * لواء كخذروف السحابة لامع
عشية ضحاك بن سفيان معتص * بسيف رسول الله والموت كانع
نذود أخانا عن أخينا ولو نرى * مصالا لكنا الاقربين نتابع
ولكن دين الله دين محمد * رضينا به فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا * وليس لامر حمه الله دافع

* عفا مجدل من اهله فمتالع * المجدل القصر وهو فى هذا البيت اسم علم لمكان وفيه * فمطلا اريك * المطلى يمدو يقصر وهى ارض تعقل الرجل عن المشى فقيل انها مفعال من الطلى وهو الجرى يطلى اى تعقل رجله وقيل ان المطلاء فعلاء من مطلت اذا مددت وجمعه مطال فى الامالى

اما تسألان الله ان يسقى الحما * الا فسقى الله الحما فالمطاليا

وفيه

نذود أخانا عن اخينا ولو نرى * مطالا لكنا الاقربين نتابع

يريد انه من بنى سليم وسليم من قيس كما ان هوازن من قيس كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس فمعنى البيت نقاتل اخوتنا ونذودهم عن اخوتنا من سليم ولو نرى فى حكم الدين مطالا مفعلا من الصولة لكنا مع الاقربين هوازن

ولكن دين الله دين محمد * رضينا به فيه الهدى والشرائع

وفيه قوله

دعانا اليه خير وفد علمتهم * خزيمة والمدار منهم وواسع

هؤلاء وفد بنى سليم وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا ثم دعوا قومهم الى الاسلام فذكر فيهم المدار السلمى وواسعا السلمى وخزيمة وهو خزيمة بن جزى اخو حبان بن جزى وكان الدارقطنى يقول فيه جزى بكسر الجيم والزاى * وفيها * يد الله بين الاخشبين نبايع * من قول الله تعالى « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم » اقام يد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام يده كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحجر الاسود هو يمين الله فى الارض أقامه فى المصافحة والتقبيل مقام يمين الملك الذى يصافح بها لان الحاج وافد على الملك الاعلى وزائر بيته فجعل تقبيله الحجر مصافحة له وكما جعلت يمين السائل الآخذ للصدقة المتقبلة يمين الرحمن سبحانه ترغيبا فى الصدقة وتبشيرا بقبولها وتعظيما لحرمة من اعطيت له فانما أعطاها المتصدق لله سبحانه واياه سبحانه أقرض فقال سبحانه وتعالى « ويأخذ الصدقات » وقال صلى الله عليه وسلم انما يضعها فى كف الرحمن يربيها الحديث * وقول عباس فى الشعر الكافى

ان الاله بنى عليك محبة * فى خلقه ومحمدا اسماكا

معنى دقيق وغرض نبيل وتفطن لحكمة نبوية قد بيناها فى غير موضع من هذا الكتاب وغيره فى تسمية الله تعالى لنبيه محمدا او أحمد وانه اسم لم يكن لاحد من قومه قبله وان أمه أمرت فى المنام أن تسميه محمدا فوافق معنى الاسم صفة المسمى به موافقة تامة قد بينا شرحها هنالك ولذلك قال بنى عليك محبة لان البناء تركيب على أس فاسس له سبحانه مقدمات لنبوته منها تسميته بمحمد قبل أن يولد ثم لم يزل يدرجه فى محامد الاخلاق وما تحبه القلوب من الشيم حتى بلغ الى أعلا المحامد مرتبة وتكاملت له المحبة من الخالق والخليقة وظهر معنى اسمه

﴿وقال عباس بن مرداس أيضاً﴾

نقطع باقى وصل أم مؤمل * بعاقبة واستبدلت نية خلفا
وقد حلفت بالله لا تقطع القوى * فما صدقت فيه ولا برت الحلفا
خفافية بطن العقيق مصيفها * وتحتل فى البادين وجرة فالعرفا
فان تتبع الكفار أم مؤمل * فقد زودت قلبى على نأيها شغفا
وسوف ينبيها الخبير باننا * أبينا ولم نطلب سوى ربنا حلفا
وأنا مع الهادى النبى محمد * وفينا ولم يستوفها معشر ألفا
بفتيان صدق من سليم اعزة اطاعوا فما يعصون من أمره حرفا
خفاف وذكوان وعوف تخالهم مصاعب زافت فى طروقتها كلفا
كان نسيج الشهب والبيض ملبس أسودا تلاقت فى مراصدها غضفا
بنا عز دين الله غير تنحل * وزدنا على الحى الذى معه ضعفا
بمكة اذ جئنا كان لواءنا * عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا
على شخص الابصار تحسب بينها اذا هى جالت فى مراودها عزفا
غداة وطئنا المشركين ولم نجد لامر رسول الله عدلا ولا صرفا
بمعترك لا يسمع القوم وسطه * لنا زجمة الا التذامر والنقفا
ببيض تطير الهام عن مستقرها * ونقطف أعناق الكماة بها قطفا
فكائن تركنا من قتيل ملحب * وأرملة تدعو على بعلها لهفا
رضا الله ننوى لا رضا الناس نبتغى * ولله ما يبدو جميعا وما يخفى

﴿وقال عباس بن مرداس أيضاً﴾

ما بال عينك فيها عائر سهر * مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر

اسمه فيه على الحقيقة فهو اللبنة التى استتم بها البناء كما أخبر عليه السلام وهذا كله معنى بيت عباس حيث قال ان الاله بنى عليك البيت * وقوله فى العينية الاخرى يصف الخيل *أو هى مقارعة الاعادى دمها* يريد شحمها يقال أدم قدرك بودك ودممت الشىء طليته ومنه الدأماء أحد جحرة اليربوع لانه يدم بابه بقشر رقيق من الارض فلا يراه الصائد فاذا طلب من القاصعاء أو الراهطاء أو النافقاء أو العانقاء وهى الابواب الاخر نطح برأسه باب الداماء فخرقه وأما الدأماء بالتخفيف فهو البحر وهو فعلاء لانه يهمز فيقال دأماء قاله أبو عبيد *وذكر شعر عباس الفاوى وفيه * بعاقبة واستبدلت نية خلفا * النية من النوى وهو البعد وخلفا يجوز أن يكون مفعولا من أجله أى فعلت ذلك من أجل الخلف ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا للاستبدال لان استبدالها به خلف منها لما وعدته به ويقوى هذا البيت البيت الذى بعده *وقد حلفت بالله لا تقطع القوى* يعنى قوى الحبل والحبل هنا هو العهد ثم قال *فما صدقت فيه ولا برت الحلفا* وهذا هو الخلف المتقدم ذكره * وقوله *وفينا ولم يستوفها معشر ألفا* أى وفينا ألفا ولم يستوفها غيرنا اى لم يستوف هذه العدة غيرنا من القبائل *وقوله * اذا هى حالت فى مراودها عزفا* يجوز أن يكون جمع مردود وهو الوتد كما قال الآخر يصف طعنة

ومستنة كاستنان الخرو * ف قد قطع الحبل بالمرود

والخروف هاهنا فى قول بعضهم المهر وقال آخرون الفرس يسمى خروفا ومعناه عندى فى هذا البيت انها صفة من خرفت الثمرة اذا جنيتها فالفرس خروف للشجر والنبات لا نقول ان الفرس يسمى خروفا فى عرف اللغة ولكن خروف فى معنى أكول لانه يخرف اى يأكل فهو صفة لكل من فعل ذلك الفعل من الدواب ويجوز ان يكون فى مراودها جمع مراد وهو حيث ترود الخيل تذهب وتجىء فمراد ومراود مثل مقام ومقاوم ومنار ومناور *وقوله لنا زجمة الا التذامر والنقفا يقال ما زجم رجمة اى ما نبس بكلمة وقوس زجوم أى ضعيفة الارنان وقوله الا التذامر أى يذمر بعضنا بعضا ويحرضه على القتل والنقف كسر الرؤس وناقف الحنظلة كاسرها ومستخرج ما فيها (قال المؤلف) وانما قلنا فى هذه القصيدة وفى التى بعدها الفاوية والراوية لان النسب الى حروف المعجم التى أواخرها ألف هكذا هو بالواو وقاله أبو عبيد وغيره وفى التصغير تقلب ألفها ياء تقول فى تصغير باء بيية وخاء خيية وما كان آخره حرفا سالما من هذه الحروف قلبت ألفه واوا فى التصغير فتقول فى الذال ذويلة وفى الضاد ضويدة وكذلك قال صاحب العين وقياس الواو فى النحو ان تصغر اوية بهمزة أولها *وقول عباس فى القصيدة الراوية *مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر* الحماطة من ورق الشجر ما فيه خشونة وحروشة وقال أبو حنيفة الحماط ورق التين الجبلى وقال أيضاً فى باب القطانى الحماط تبن الذرة اذا ذريت وله أكال فى الجلد والعائر كالشىء يتنخس فى العين كانه يعورها وجعله سهرا وانما السهر الرجل لانه لم يفتر عنه فكانه قد سهر ولم ينم كما قال آخر فى وصف برق

حتى شآها كليل موهنا عمل * باتت طرابا وبات الليل لم ينم

شآها شاقها يقال شاه وشاءه بمعنى واحد أى شاق وأنشد * ولقد عهدت تشاء بالاظعان * فتأمله فانه

عين تأوبها من شجوها أرق * فالماء يغمرها طورا وينحدر
كأنه نظم در عند ناظمة * تقطع السلك منه فهو منتثر
يا بعد منزل من ترجو مودته * ومن أتى دونه الصمان فالحفر
دع ما تقدم من عهد الشباب فقد * ولى الشباب وزار الشيب والزعر
واذكر بلاء سليم فى مواطنها * وفى سليم لاهل الفخر مفتخر
قوم هم نصروا الرحمن واتبعوا * دين الرسول وأمر الناس مشتجر
لا يغرسون فسيل النخل وسطهم * ولا تخاور فى مشتاهم البقر
الا سوابح كالعقبان مقربة * فى دارة حولها الاخطار والعكر
تدعى خفاف وعوف فى جوانبها * وحى ذكوان لا ميل ولا ضجر
الضاربون جنود الشرك ضاحية * ببطن مكة والارواح تبتدر
حتى رفعنا وقتلاهم كأنهم * نخل بظاهرة البطحاء منقعر
ونحن يوم حنين كان مشهدنا * للدين عزا وعند الله مدخر
اذ نركب الموت مخضرا بطائنه * والخيل ينجاب عنها ساطع كدر
تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا * كما مشى الليث فى غاباته الخدر
فى مأزق من مجر الحرب كلكلها * تكاد تأفل منه الشمس والقمر
وقد صبرنا باوطاس أسنتنا * لله ننصر من شئنا وننتصر
حتى تاوب أقوام منازلهم * لولا المليك ولولا نحن ما صدروا
فما ترى معشرا قلوا ولا كثروا * الا قد اصبح منا فيهم أثر

﴿وقال عباس بن مرداس أيضا﴾

يا أيها الرجل الذى تهوى به * وجناء مجمرة المناسم عرمس
اما أتيت على النبى فقل له * حقا عليك اذا اطمان المجلس
يا خير من ركب المطى ومن مشى * فوق التراب اذا تعد الانفس
انا وفينا بالذى عاهدتنا * والخيل تقدع بالكماة وتضرس
اذ سال من أفناء بهثة كلها * جمع تظل به المخارم ترجس
حتى صبحنا أهل مكة فيلقا * شهباء يقدمها الهمام الاشوس
من كل أغلب من سليم فوقه * بيضاء محكمة الدخال وقونس
يروى القناة اذا تجاسر فى الوغى * وتخاله أسدا اذا ما يعبس
يغشى الكتيبة معلما وبكفه * عضب يقد به ولدن مدعس
وعلى حنين قد وفى من جمعنا * ألف أمد به الرسول عرندس
كانوا أمام المؤمنين دريئة * والشمس يومئذ عليهم أشمس
نمضى ويحرسنا الاله بحفظه * والله ليس بضائع من يحرس
ولقد حبسنا بالمناقب محبسا * رضى الاله به فنعم المحبس
وغداة أوطاس شددنا شدة * كفت العدو وقيل منها يا احبسوا
تدعو هوازن بالاخاوة بيننا * ثدى تمد به هوازن أيبس
حتى تركنا جمعهم وكأنه * عير تعاقبه السباع مفرس

«قال ابن هشام» أنشدنى خلف الأحمر قوله وقيل منها محبسوا * قال ابن اسحق وقال عباس بن مرداس أيضا

نصرنا رسول الله من غضب له * بالف كمى لا تعد حواسره
حملنا له فى عامل الرمح راية * يذود بها فى حومة الموت ناصره
ونحن خضبناها دما فهو لونها * غداة حنين يوم صفوان شاجره
وكنا على الاسلام ميمنة له * وكان لنا عقد اللواء وشاهره
وكنا له دون الجنود بطانة * يشاورنا فى أمره ونشاوره
دعانا فسمانا الشعار مقدما * وكنا له عونا على من يناكره
جزى الله خيرا من نبى محمدا * وأيده بالنصر والله ناصره

«قال ابن هشام» أنشدنى من قوله وكنا على الاسلام الى آخرها بعض أهل العلم بالشعر ولم يعرف البيت الذى أوله

* حملنا له فى عامل الرمح راية * وأنشدنى بعض قوله * وكان لنا عقد اللواء وشاهره *

ونحن خضبناه دما فهو لونه * قال ابن اسحق وقال عباس بن مرداس أيضا

من مبلغ الاقوام أن محمدا * رسول الاله راشد حيث يمما
دعا ربه واستنصر الله وحده * فاصبح قد وفى اليه وأنعما
سرينا وواعدنا قديدا محمدا * يؤم بنا أمرا من الله محكما

بديع من المعانى * وقوله الصمان والحفر هما موضعان واليه ينسب أبو داود الحفرى من أهل الحديث والعكر جمع عكرة وهى القطعة الضخمة من المال وعكرة اللسان أيضا أصله وما غلظ منه وعكدته أيضا بالدال * وقوله فى السينية وجناء مجمرة المناسم عرمس وجناء غليظة الوجنات بارزتها وذلك يدل على غؤور عينيها وهم يصفون الابل بغؤور العينين عند طور السفار و يقال هى الوجنة فى الآدميين رجل موجن وامرأة موجنة ولا يقال وجناء قاله يعقوب ومجمرة المناسم أى نكبت مناسمها الجمار وهى الحجارة والعرمس الصخرة الصلبة وتشبه بها الناقة الجلدة وقد يريد بمجمرة أيضا ان مناسمها مجتمعة منضمة فذلك أقوى لها وقد حكى أجمرت المرأة شعرها اذا ظفرته وأجمر الامير الجيش أى حبسه عن القفول قال الشاعر

معاوى اما أن يجهز أهلنا * الينا واما أن نؤوب معاويا
أأجمرتنا اجمار كسرى جنوده * ومنيتنا حتى نسينا الامانيا

وقوله كانوا أمام المؤمنين دريئة الدريئة الحلقة التى يتعلم عليها الرمى أى كانوا كالدريئة للرماح * وقوله * والشمس يومئذ عليهم أشمس * يريد لمعان الشمس فى كل بيضة من بيضات الحديد والسيوف كأنها شمس وهو

غاروا بنا فى الفجر حتى تبينوا * مع الفجر فتيانا وغابا مقوما
على الخيل مشدودا علينا دروعنا * ورجلا كدفاع الأتى عرمرما
فان سراة الحى ان كنت سائلا * سليم وفيهم منهم من تسلما
وجند من الانصار لا يخذلونه * أطاعوا فما يعصونه ما تكلما
فان تك قد أمرت فى القوم خالدا * وقدمته فانه قد تقدما
بجند هداه الله أنت أميره * تصيب به فى الحق من كان أظلما
حلفت يمينا برة لمحمد * فاكملتها ألفا من الخيل ماجما
وقال نبى المؤمنين تقدموا * وحب الينا أن نكون المقدما
وبتنا بنهى المستدير ولم يكن * بنا الخوف الا رغبة وتحزما
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم * وحتى صبحنا الجمع أهل يلملما
يضل الحصان الابلق الورد وسطه * ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما
سمونا لهم ورد القطا زفه ضحا * وكل تراه عن أخيه قد احجما
لدن غدوة حتى تركنا عشية * حنينا وقد سالت دوامعه دما
اذا شئت من كل رأيت طمرة * وفارسها يهوى ورمحا محطما
وقد أحرزت منا هوازن سربها * وحب اليها أن نخيب ونحرما

* قال ابن اسحق وقال ضمضم بن الحرث بن جشم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عصية السلمى فى يوم حنين وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد فقتل به محجنا وابن عم له وهما من ثقيف

نحن جلبنا الخيل من غير مجلب * الى جرش من أهل ريان والفم
نقتل اشبال الاسود ونبتغى * طواغى كانت قبلنا لم تهدم
فان تفخروا بابن الشريد فاننى · تركت بوج ماتما بعد ماتم
أباتهما بابن الشريد وغره * جواركم وكان غير مذمم
تصيب رجالا من ثقيف رماحنا * وأسيافنا يكلمنهم كل مكلم

﴿وقال ضمضم بن الحرث أيضا﴾

ابلغ لديك ذوى الحلائل آية * لا تأمنن الدهر ذات خمار
بعد التى قالت لجارة بيتها * قد كنت لولبث الغزى بدار
لما رأت رجلا تسفع لونه * وغر المصيفة والعظام عوارى
مشط العظام تراه آخر ليله * متسربلا فى درعه لغوار
اذلا أزال على رحالة نهدة * جرداء تلحق بالنجاد ازارى
يوما على أثر النهاب وتارة * كتبت مجاهدة مع الانصار
وزهاء كل خميلة أزهقتها * مهلا تمهله وكل خبار
كيما أغير مابها من حاجة * وتود أنى لا أءوب فجار

« قال ابن هشام » حدثنى أبو عبيدة قال اسر زهير بن العجوة الهذلى يوم حنين فكتف فرآه جميل بن معمر الجمحى فقال له أنت الماشى لنا بالمغايظ فضرب عنقه فقال أبو خراش الهذلى يرثيه وكان ابن عمه

عجف اضيافى جميل بن معمر * بذى فجر تأوى اليه الارامل
طويل نجاد السيف ليس بجيدر * اذا اهتز واسترخت عليه الحمائل
تكاد يداه تسلمان ازاره * من الجود لما أذلعته الشمائل
الى بيته ياوى الضريك اذا شتى * ومستنبح بالى الدريسين عائل
تروح مقرورا وهبت عشية * لها حدب تحتثه فيوائل
فما بال أهل الدار لم يتصدعوا * وقد بان منها اللوذعى الحلاحل
فاقسم لولاقيته غير موثق * لآبك بالنعف الضباع الجبائل
وانك لو واجهته أو لقيته * فنازلته أو كنت ممن ينازل
لظل جميل أفحش القوم صرعة * ولكن قرن الظهر للمرء شاغل
فليس كعهد الدار يا أم ثابت * ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالشيخ ليس بفاعل * سوى الحق شيأ واستراح العواذل

وهو معنى صحيح وتشبيه مليح * وفيها قوله والخيل تقرع بالكماة وتضرس أى تضرب اضراسها باللجم تقول ضرسته أى ضربت أضراسه كما تقول رأسته أى أصبت رأسه * وقوله فى كلمته الميمية وفيهم منهم من تسلما يريد وفى سليم من اعتزى اليهم من حلفائهم فتسلم بذلك كما تقول تقيس الرجل اذا اعتزى الى قيس أنشد سيبويه * وقيس عيلان ومن تقيسا * وأنشد لضمضم بن الحارث وهو ممن شهد حنينا مع المسلمين وكان ينبغى لابى عمر رحمه الله أن يذكره فى الصحابة لانه من شرطه فلم يفعل وقد أنشد له ابن اسحق مايدل على انه منهم لقوله

يوما على أثر النهاب وتارة * كتبت مجاهدة مع الانصار

يعنى فرسه وكذلك لم يذكر أبو عمر ضمضم بن قتادة العجلى وله حديث مشهور فى قدومه على النبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه قال له يارسول الله انى قد تزوجت امرأة فولدت لى غلاما أسود فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هل لك من ابل فقال نعم والحديث مشهور غير انه لم يسم باسمه فى الصحيحين وسمى فى بعض المسندات وذكره عبد الغنى فى المهمات وذكر عبد الغنى فى الحديث زيادة حسنة قال كانت المرأة من بنى عجل فقدم المدينة عجائز من عجل فسئلن عن المرأة التى ولدت الغلام الاسود فقلن كان فى آبائها رجل اسود * وذكر شعر أبى خراش واسمه خويلد بن مرة شاعر اسلامى مات فى خلافة عمر رحمه الله من نهش حية نهشته كان سببها أضياف نزلوا به وخبره بذلك عجيب وله فيه شعر والخراش وسم الابل يكون من الصدغ الى الذقن فقوله

تكاد يداه تسلمان ازاره * من الجود لما أذلعته الشمائل

وأصبح اخوان الصفاء كانما * أهال عليهم جانب الترب هائل
فلا تحسبى أنى نسيت لياليا * بمكة اذ لم نعد عما نحاول
اذا الناس ناس والبلاد بعزة * واذ نحن لا تثنى علينا المداخل

* قال ابن اسحق وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره

منع الرقاد فما اغمض ساعة * نعم باجزاع الطريق مخضرم
سائل هوازن هل أضر عدوها * واعين غارمها اذا ما يغرم
وكتيبة لبستها بكتيبة * فئتين منها حاسر وملام
ومقدم تعيا النفوس لضيقه * قدمته وشهود قومى أعلم
فوردته وتركت اخوانا له * يردون غمرته وغمرته الدم
فاذا انجلت غمراته أورثنى * مجد الحياة ومجد غنم يقسم
كلفتمونى ذنب آل محمد * والله أعلم من أعق وأظلم
وخذلتمونى اذ أقاتل واحدا * وخذلتمونى اذ تقاتل خثعم
واذا بنيت المجد يهدم بعضكم * لا يستوى بان وآخر يهدم
وأقب مخماص الشتاء مسارع * فى المجد ينمى للعلا متكرم
أكرهت فيه آلة يزنية * سحماء يقدمها سنان سلجم
وتركت حنته ترد وليه * وتقول ليس على فلانة مقدم
ونصبت نفسى للرماح مدججا * مثل الدريئة تستحل وتشرم

* قال ابن اسحق وقال قائل فى هوازن أيضا يذكر مسيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد اسلامه

اذكر مسيرهم للناس اذ جمعوا * ومالك فوقه الرايات تختفق
ومالك مالك ما فوقه أحد * يوم حنين عليه التاج يأتلق
حتى لقوا الباس حين الباس يقدمهم * عليهم البيض والابدان والدرق
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحدا * حول النبى وحتى جنه الغسق
ثمت نزل جبريل بنصرهم * من السماء فمهزوم ومعتنق
منا ولو غير جبريل يقاتلنا * لمنعتنا اذا أسيافنا العتق
وفاتنا عمر الفاروق اذ هزموا * بطعنة بل منها سرجه العلق

﴿ وقالت امرأة من بنى جشم ترثى أخوين لها أصيبا يوم حنين ﴾

أعينى جودا على مالك * معا والعلاء ولا تجمدا
هما القاتلان أبا عامر * وقد كان ذاهبة أربدا
هما تركاه لدى مجسد * ينوء نزيفا وما وسدا

﴿ وقال أبو ثواب زيد بن صحار أحد بنى سعد بن بكر ﴾

ألا هل أتاك أن غلبت قريش * هوازن والخطوب لها شروط
غزوة
وكنا يا قريش اذا غضبنا * يجىء من الغضاب دم عبيط
وكنا يا قريش اذا غضبنا * كأن أنوفنا فيها سعوط
فأصبحنا تسوقنا قريش * سياق العير يحدوها النبيط
فلا انا ان سئلت الخسف آب * ولا انا ان الين لهم نشيط
سينقل لحمها فى كل فج * وتكتب فى مسامعها القطوط

ويروى الخطوط وهذا البيت فى رواية ابن سعد « قال ابن هشام » ويقال أبو ثواب زياد بن ثواب وأنشدنى خلف الاحمر قوله

* يجىء من الغضاب دم عبيط *

وآخرها بيتا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق فاجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم ثم من بنى أسيد فقال

بشرط الله نضرب من لقينا * كافضل ما رأيت من الشروط
وكنا يا هوازن حين نلقى * نبل الهام من علق عبيط
بجمعكم وجمع بنى قسى * نحك البرك كالورق الخبيط
أصبنا من سراتكم وملنا * نقتل فى المباين والخليط
به الملتات مفترش يديه * يمج الموت كالبكر النحيط
فان تك قيس عيلان غضابا * فلا ينفك يرغمهم سعوطى

﴿ وقال خديج بن العوجاء النصرى ﴾

لما دنونا من حنين ومائه * رأينا سوادا منكر اللون أخصفا
بملمومة شهباء لو قذفوا بها * شماريخ من عزوى اذن عاد صفصفا
ولو أن قومى طاوعتنى سراتهم * اذن ما لقينا العارض المتكشفا
اذن ما لقينا جند آل محمد * ثمانين ألفا واستمدوا بخندفا

يريدانه من سخائه يريدان يتجرد من ازاره لسائله فيسلمه اليه وألفيت بخط ابى الوليد الوقشى الجود ههنا وعلى هذه الرواية وبهذه الرتبة السخاء وكذلك فسره الاصمعى والطوسى واما على ما وقع فى شعر الهذلى وفسر فى الغريب المصنف فهو الجوع وموضعه فى الشعر المذكور يتلو قوله تروح مقرورا وفى الغريب رداءه بدل ازاره * وقوله * ولكن قرن الظهر للمرء شاغل * قرن بالقاف جمعه اقران ويروى ولكن اقران الظهر مقاتل مقاتل جمع مقتل بكسر الميم مثل محرب من الحرب أى من كان قرن ظهر فانه قاتل وغالب * وقوله يصف الريح لها حرب بحته فيوائل بالحاء المهملة وقع فى الاصل وقد يسمى انحدار الماء ونحوه حدبا فيكون هذا منه والا فالخدب بالخاء المنقوطة أشبه بمعنى البيت لانهم يقولون ريح خدباء كان بها خدبا وهو الهوج * وذكر فى آخر بيت من شعر مالك بن عوف * مثل الدريئة تستحل وتشرم * الدريئة الحلقة التى يتعلم عليها الطعن وهو مهموز وتستحل بالحاء المهملة وقع فى الاصل وفى غيره تستخل بالخاء معجمة وهو أظهر فى المعنى من الخلال وقد يكون لتستحل وحيه من الحل اذ بعده تشرم وكلاهما قريب فى المعنى

﴿ غزوة الطائف ﴾

ذكر بعض اهل النسب ان الدمون بن الصدف واسم الصدف ملك بن مالك بن مرتع بن كندة من حضرموت أصاب دما من قومه فلحق بثقيف فاقام فيهم وقال لهم ألا أبنى لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمى به الطائف ذكره البكرى هكذا قال وانما هو الدمون بن عبيد بن مالك بن دهقل وهو من الصدف وله ابنان أدركا النبى صلى الله عليه وسلم وبايعاه اسم أحدهما الهميل والآخر قبيصة ولم يذكرهما أبو عمر فى الصحابة وذكرهما غيره * وذكر ان أصل أعنابها ان قيس بن منبه وهو ثقيف أصاب دما فى قومه أيضاً وهم اياد ففر الى الحجاز فمر بامرأة يهودية فآوته وأقام عندها زمانا ثم انتقل عنها فاعطته قضبا من الحبلة وامرته أن يغرسها فى أرض وصفتها له فاتى بلاد عدوان وهم سكان الطائف فى ذلك الزمان فمر بسخيلة جارية عامر بن الظرب العدوانى وهى ترعى غنما فاراد سباءها وأخذ الغنم فقالت له الا أدلك على خير مما هممت به اقصد الى سيدى وجاوره فهو أكرم الناس فاتاه فزوجه من بنته زينب بنت عامر فلما جلت عدوان عن الطائف بالحروب التى وقعت بينها أقام قسى وهو ثقيف فمنه تناسل أهل الطائف وسمى قسيا بقسوة قلبه حين قتل أخاه أو ابن عمه وقيل سمى ثقيفا لقولهم فيه ما أثقفه حين ثقف عامرا حتى أمنه وزوجه بنته * وذكر بعض المفسرين وجها آخر فى تسميتها بالطائف فقال فى الجنة التى ذكرها الله سبحانه فى سورة ن حيث يقول «فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون» قال كان الطائف جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها فاصبحت كالصريم وهو الليل أصبح موضعها كذلك ثم سار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف اليوم فسميت باسم الطائف الذى طاف عليها وطاف بها وكانت تلك الجنة بضوارن على فراسخ من صنعاء ومن ثم كان الماء والشجر بالطائف دون ما حولها من الارضين وكانت قصة أصحاب الجنة بعد عيسى بن مريم صلى الله على نبينا وعليه وسلم بيسير ذكر هذا الخبر النقاش وغيره (فان قيل) فاذا كان ثقيف هو قسى بن منبه كما قال ابن اسحق وغيره فكيف قال سيبويه حاكيا عن العرب ثقيف بن قسى فجعله ابنا لقسى (قيل) انما أراد سيبويه ان الحى سمى ثقيفا وهم بنو قسى كما قالوا باهلة بن أعصر وانما هى أمهم ولكن سمى الحى بها ثم قيل فيه ابن اعصر كذلك قالوا ثقيف بن قسى على هذا ويقوى هذا ان سيبويه انما قال حاكيا هؤلاء ثقيف بن قيس

﴿ فصل ﴾ وذكر تعلم أهل الطائف صنعة الدبابات والمجانيق والضبور الدبابة آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها والضبور مثل رؤس الاسفاط يتقى بها فى الحرب عند الانصراف وفى العين الضبر جلود يغشى بها خشب يتقى بها فى الحرب وفى الحديث عن الزهرى ان الله تبارك وتعالى حين مسخ بنى اسرائيل قردة مسخ رمانهم المظ وبرهم الذرة وعنبهم الاراك وجوزهم الضبر وهو من شجر البرية وله ثمر كالجوز لا نفع فيه فهذا معنى آخر غير الاول وقال أبو حنيفة فى الضبر انه كالجوز ينور ولا يطعم قال ويقال أظل الظلال ظل الضبرة وظل التنعيمة وظل الحجر قال وورقها كبار كثيفة فكان ظلها لذلك الملى وأما المظ الذى تقدم ذكره فى الحديث فهو رمان البر ينور ولا يثمر وله جلنار كالزمان يمتص منه المذخ وهو عسل كثير يشبع من امتصه حتى يملأ بطنه ذكره أبو حنيفة فى النبات وأما المجانيق فمعروفة وهى أعجمية عربتها العرب قال كراع كل كلمة فيها جيم وقاف أو جيم وكاف فهى أعجمية وذلك كالجوالق والجولق وجلق والكيلجة وهى مكيال صغير والكفجلار وهى المغرفة والقبج وهو الحجل وما كان نحو ذلك والميم فى منجنيق أصلية عند سيبويه والنون زائدة ولذلك سقطت فى الجمع

﴿ ذكر غزوة الطائف بعد حنين فى سنة ثمان ﴾

ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور . ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف حين فرغ من حنين

وقال كعب بن مالك حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى الطائف

قضينا من تهامة كل ريب * وخيبر ثم أجممنا السيوفا
نخبرها ولو نطقت لقالت * قواطعهن دوسا أو ثقيفا
فلست لحاضن ان لم تروها * بساحة داركم منا ألوفا
وتنتزع العروش ببطن وج * وتصبح دوركم منكم خلوفا
ويأتيكم لنا سرعان خيل * يغادر خلفه جمعا كثيفا
اذا نزلوا بساحتكم سمعتم * لها مما أناخ بها رجيفا
بايديهم قواضب مرهفات * يزرن المصطلين بها الحتوفا
كامثال العقائق أخلصتها * قيون الهند لم تضرب كثيفا
تخال جدية الابطال فيها * غداة الزحف جاديا مدوفا
أجدهم أليس لهم نصيح * من الاقوام كان بنا عريفا
يخبرهم باناقد جمعنا * عتاق الخيل والنجب الطروفا
وانا قد أتيناهم بزحف * يحيط بسور حصنهم صفوفا
رئيسهم النبي وكان صلبا * نقي القلب مصطبرا عزوفا
رشيد الامر ذا حكم وعلم * وحلم لم يكن نزقا خفيفا
نطيع نبينا ونطيع ربا * هو الرحمن كان بنا رؤفا
فان تلقوا الينا السلم نقبل * ونجعلكم لنا عضدا وريفا
وان تابوا نجاهدكم ونصبر * ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا
نجالد مابقينا أو تنيبوا * الى الاسلام اذعانا مضيفا
نجاهد لا نبالي من لقينا * أأهلكنا التلاد أم الطريفا
وكم من معشر ألبوا علينا * صميم الجذم منهم والحليفا
أتونا لايرون لهم كفاء * فجدعنا المسامع والانوفا
بكل مهند لين صقيل * نسوقهم بها سوقا عنيفا
لامر الله والاسلام حتى * يقوم الدين معتدلا حنيفا
وتنسى اللات والعزى وود * ونسلبها القلائد والشنوفا
فامسوا قد أقروا واطمأنوا * ومن لا يمتنع يقبل خسوفا

﴿فاجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير فقال﴾

من كان يبغينا يريد قتالنا * فانا بدار معلم لا نريمها
وجدنا بها الآباء من قبل ماترى * وكانت لنا أطواؤها وكرومها
وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر * فاخبرها ذو رأيها وحليمها
وقد علمت ان قالت الحق اننا * اذاما أبت صعر الخدود نقيمها
نقومها حتى يلين شريسها * ويعرف للحق المبين ظلومها
علينا دلاص من تراث محرق * كلون السماء زينتها نجومها
نرفعها عنا ببيض صوارم * اذا جردت في غمرة لا نشيمها

قال ابن اسحق وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها * وكيف ينصر من هو ليس ينتصر
ان التي حرقت بالسد فاشتعلت * ولم تقاتل لدى أحجارها هدر
ان الرسول متى ينزل بلادكم * يظعن وليس بها من أهلها بشر

قال ابن اسحق فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة اليمانية ثم على قرن ثم على المليح ثم على بحرة الرغاء من لية فابتنى بها مسجدا فصلى فيه * قال ابن اسحق فحدثني عمرو بن شعيب انه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء حين نزلها بدم وهو أول دم اقيد به في الاسلام رجل من بني ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بلية بحصن مالك بن عوف فهدم ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة

وذكر شعر كعب وفيه * وكم من معشر ألبوا علينا * أي جمعوا وصميم الجذم مفعول بألبوا وفيه يصف السيوف

كامثال العقائق أخلصتها * قيون الهند لم تضرب كتيفا

العقائق جمع عقيقة وهو البرق تنعق عنه السحاب * وقوله لم تضرب كتيفا جمع كتيفة وهي صحيفة من حديد صغيرة وأصل الكتيف الضيق من كل شيء * وذكر شعر كنانة بن عبد ياليل الثقفي وفيه * وكانت لنا أطواءها وكرومها * الاطواء جمع طوى وهي البئر جمعت على غير قياس توهموا سقوط ياء فعيل منها اذ كانت زائدة * وفيها * وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر * انما قال هذا جوابا للانصار لانهم بنو حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر وعمرو وهو مزيقياء وعامر هو ماء السماء ولم يرد ان الانصار جربتهم قبل ذلك وانما أراد اخوتهم وهم خزاعة لانهم بنو اربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر في أحد القولين وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة وقال البكري في معنى هذا البيت انما أراد بني عمرو بن عامر بن صعصعة وكانوا مجاورين لثقيف وامهم عمرة بنت عامر بن الظرب العدواني واختهاز ينب كانت تحت ثقيف وأكثر قبائل ثقيف منها وكانت ثقيف قد أنزلت بني عمرو بن عامر في أرضهم ليعملوا فيها ويكون لهم النصف في الزرع والثمر ثم ان ثقيفا منعتهم ذلك وتحصنوا منهم بالحائط الذي بنوه حول حاضرهم فحاربتهم بنو عمرو بن عامر فلم يظفروا منهم بشيء وجلوا عن تلك البلاد ولذلك يقول كنانة * وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر * البيت ذكره البكري في خبر طويل لخصته

(فصل)

فلما توجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سال عن اسمها فقال ما اسم هذه الطريق فقيل له الضيقة فقال بل هي اليسرى ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريبا من مال رجل من ثقيف فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أن تخرج واما أن نخرب عليك حائطك فأبى أن يخرج فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخرابه ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من الطائف فضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبل وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النبل تنالهم ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم أغلقوه دونهم فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة «قال ابن هشام» ويقال سبع عشرة ليلة * قال ابن اسحق ومعه امراتان من نسائه احداهما أم سلمة ابنة أبي أمية فضرب لهما قبتين ثم صلى بين القبتين ثم أقام فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجدا وكانت في ذلك المسجد سارية فيما يزعمون لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر الا سمع لها نقيض فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلهم قتالا شديدا وتراموا بالنبل «قال ابن هشام» ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق حدثني من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى في الاسلام بالمنجنيق رمى أهل الطائف * قال ابن اسحق حتى اذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه فارسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة الى الطائف فناديا ثقيفا ان أمنونا حتى نكلمكم فامنوهما فدعوا نساء من نساء قريش وبني كنانة ليخرجن اليهما وهما يخافان عليهن السباء فابين منهن آمنة بنت أبي سفيان كانت عند عروة بن مسعود له منها داود بن عروة «قال ابن هشام» ويقال ان أم داود ميمونة بنت أبي سفيان وكانت عند أبي مرة بن عروة بن مسعود فولدت له داود بن أبي مرة * قال ابن اسحق والفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة لها عبد الرحمن بن قارب والفقيمية أميمة بنت الناسئ أمية بن قلع فلما أبين عليهما قال لهما ابن الاسود بن مسعود يا أبا سفيان ويا مغيرة ألا أدلكما على خير مما جئتما له ان مال بني الاسود بن مسعود حيث قد علمتما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف نازلا بواد يقال له العقيق انه ليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مؤنة ولا أبعد عمارة من مال بني الاسود وان محمدا ان قطعه لم يعمر أبدا فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله والرحم فان بيننا وبينه من القرابة ما لا يجهل فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم وقد بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا يا أبا بكر اني رأيت اني أهديت لي قعبة مملوءة زبدا فنقرها ديك فهراق ما فيها فقال أبو بكر ما اظن ان تدرك منهم يومك هذا ما تريد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا لا أرى ذلك ثم ان خويلة ابنة حكيم بن أمية ابن حارثة بن الاوقص السلمية وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت يا رسول الله اعطني ان فتح الله عليك الطائف حلي بادية ابنة غيلان ابن سلمة أو حلي الفارعة بنت عقيل وكانتا من أحلى نساء ثقيف فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها وان كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث حدثتنيه خويلة زعمت

﴿فصل﴾ وذكر حصار الطائف وان أول من رمى بالمنجنيق في الاسلام النبي صلى الله عليه وسلم (قال المؤلف) وأما في الجاهلية فيذكر أن جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس وهو المعروف بالابرش أول من رمى بالمنجنيق وكان من ملوك الطوائف وكان يعرف بالوضاح ويقال له أيضا منادم الفرقدين لانه ربأ بنفسه عن منادمة الناس فكان اذا شرب نادم الفرقدين عجبا بنفسه ثم نادم بعد ذلك مالكا وعقيلا اللذين يقول فيهما متمم

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

ويذكر أيضا انه أول من أوقد الشمع * وذكر حلي بادية بنت غيلان وهو غيلان بن سلمة الثقفي وهو الذي أسلم وعنده عشر نسوة فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يمسك أربعا ويفارق سائرهن فقال فقهاء الحجاز يختار أربعا وقال فقهاء العراق بل يمسك التي تزوج أولا ثم التي تليها الى الرابعة واحتج فقهاء الحجاز بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستفصله أيتهن تزوج أول وتركه للاستفصال دليل على انه مخير حتى جعل الاصوليون منهم هذا أصلا من أصول العموم فقال أبو المعالي في كتاب البرهان ترك الاستفصال في حكايات الاحوال مع الاحتمال يتنزل منزلة العموم في المقال كحديث غيلان وغيلان هذا هو الذي قدم على كسرى فسأله أي ولده أحب اليه فقال غيلان الغائب حتى يقدم والمريض حتى يفيق والصغير حتى يكبر فقال له كسرى ما غذاءك

انك قلته قال قد قلته قال أوما أذن لك فيهم يارسول الله قال لا قال أفلا أؤذن بالرحيل قال بلى قال فاذن عمر بالرحيل فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج الا ان الحى مقيم قال يقول عيينة بن حصن أجل والله مجدة كراما فقال له رجل من المسلمين قاتلك الله ياعيينة أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى والله ماجئت لاقاتل ثقيفا معكم ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف فاصيب من ثقيف جارية أطئها لعلها تلد لى رجلا فان ثقيفا قوم مناكير ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقامته ممن كان محاصرا بالطائف عبيد فاسلموا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن مكدم عن رجال من ثقيف قالوا لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أولئك عتقاء الله وكان ممن تكلم فيهم الحرث بن كلدة « قال ابن هشام » وقد سمى ابن اسحق من نزل من أولئك العبيد * قال ابن اسحق وقد كانت ثقيف أصابت أهلا لمروان بن قيس الدوسى وكان قد أسلم وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف فزعمت ثقيف وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قيس خذيامروان باهلك أول رجل تلقاه من قيس فلقى أبى بن مالك القشيرى فأخذه حتى يؤدوا اليه أهله فقام فى ذلك الضحاك بن سفيان الكلابى فكلم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان وأطلق لهم أبى بن مالك فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه و بين أبى بن مالك

أتنسى بلائى يا أبى بن مالك

غداة الرسول معرض عنك أشوس يقودك مروان بن قيس بحبله * ذليلا كما قيد الذليل المخيس

فعادت عليك من ثقيف عصابة * متى يأتهم مستقبس الشر يقبسوا فكانوا هم المولى فعادت حلومهم * عليك وقد كادت بك النفس تياس

« قال ابن هشام » يقبسوا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف من قريش ثم من بنى أمية بن عبد شمس سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية وعرفطة بن جناب حليف لهم من الاسد بن الغوث « قال ابن هشام » ويقال ابن حباب * قال ابن اسحق * ومن بنى تيم بن مرة عبد الله بن أبى بكر الصديق رمى بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن بنى مخزوم عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة من رمية رميها يومئذ ومن بنى عدى بن كعب عبد الله بن عامر بن ربيعة حليف لهم * ومن بنى سهم بن عمرو السائب بن الحرث بن قيس بن عدى وأخوه عبد الله بن الحرث * ومن بنى سعد بن ليث

فى بلدك قال الخبز قال هذا عقل الخبز تفضيلا لعقله على عقول أهل الور ونسب المبرد هذه الحكاية مع كسرى الى هوذة بن على الحنفى والصحيح عند الاخباريين ماقدمناه وكذلك قال أبو الفرج وأما بادية ابنته فقد قيل فيها بادنة بالنون والصحيح بالياء وكذلك روى عن مالك وهى التى قال فيها هيت المخنث لعبد الله بن أبى أمية ان فتح الله عليكم الطائف فانى أدلك على بادية بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فسمعه النبى صلى الله عليه وسلم فقال قاتلك الله لقد أمعنت النظر وقال لايدخلن هؤلاء عليكن ثم نفاه الى روضة خاخ فقيل انه يموت بها جوعا فاذن له أن يدخل المدينة كل جمعة يسئل الناس ويروى فى الحديث زيادة لم تقع فى الصحيح بعد قوله وتدبر بثمان مع ثغر كالاقحوان ان قامت تثنت وان قعدت تبنت وان تكلمت تغنت يعنى من الغنة والاصل تغننت فقلبت احدى النونين ياء وهى هيفاء شموع نجلاء كما قال قيس بن الخطيم

بيضاء فرعاء يستضاء بها * كانها خوط بانة قصف
تغترق الطرف وهى لاهية * كانما شف وجهها نزف
تنام عن كبر شأنها فاذا قا * مت رويداً تكاد تنغرف

و فى هذا البيت صحف ابن دريد أعنى قوله تغترق فقال هو بالعين المهملة حتى هجى بذلك فقيل

ألست قدما جعلت تعترق الـ * ـطرف بجهل مكان تغترق
وقلت كان الخباء من أدم * وهو حباء يهدى ويصطدق

وكان صحف أيضاً قول مهلهل فقال فيه الخباء وبادية هذه كانت تحت عبد الرحمن بن عوف فولدت له جويرية وهى امرأة المسور بن مخرمة وكان المخنثون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة هيت هذا وهرم وماتع وانه ولم يكونوا يزنون بالفاحشة الكبرى وانما كان تانيثهم لينا فى القول وخضابا فى الايدى والارجل كخضاب النساء ولعبا كلعبهن وربما لعب بعضهم بالكرج وفى مراسيل أبى داود أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى لاعبا يلعب بالكرج فقال لولا انى رأيت هذا يلعب به على عهد النبى صلى الله عليه وسلم لنفيته من المدينة * وذكر عيينة بن حصن واسمه حذيفة وانما قيل له عيينة لشتر كان بعينه * وذكر العبيد الذين نزلوا من الطائف ولم يسمهم ومنهم أبو بكرة نفيع بن مسروح تدلى من سور الطائف على بكرة فكنى أبا بكرة

بكرة وهو من أفاضل الصحابة ومات بالبصرة ومنهم الازرق وكان عبدا للحارث بن كلدة المتطبب وهو زوج سمية مولاة الحارث أم زياد بن أبى سفيان وأم سلمة بن الازرق وبنو سلمة بن الازرق ولهم صيت وذكر بالمدينة وقد انتسبوا الى غسان وغلط ابن قتيبة فى المعارف فجعل سمية هذه المذكورة أم عمار بن ياسر وجعل سلمة بن الازرق أخا عمار بن ياسر لامه وقد ذكر ان الازرق خرج من الطائف فاسلم وسمية قد كانت قبل ذلك بزمان قتلها أبو جهل وهى اذ ذاك تحت ياسر أبى عمار كما تقدم فى باب المبعث فتبين غلط ابن قتيبة ووهمه وكذلك قال أبو عمر النمرى كما قلت ومن أولئك العبيد المنبعث وكان اسمه المضطجع فبدل النبى صلى الله عليه وسلم اسمه وكان عبدا لعثمان بن عامر بن معتب * ومنهم يحنس النبال وكان عبدا لبعض آل يسار * ومنهم وردان جد الفرات بن زيد بن وردان وكان لعبد الله بن ربيعة بن خرشة وابراهيم ابن جابر وكان أيضا لخرشة وجعل النبى صلى الله عليه وسلم ولاء هؤلاء العبيد لساداتهم حين أسلموا كل هذا ذكره ابن اسحق فى غير رواية ابن هشام * وذكر أبو عمر فيهم نافع بن مسروح وهو أخو نفيع أبى بكرة ويقال فيه وفى أخيه ابن الحارث بن كلدة * وذكر ابن سلام فيهم نافعا مولى غيلان بن سلمة الثقفى وذكر أن ولاءه رجع الى غيلان حين أسلم وأحسبه وهما من ابن سلام أو ممن رواه عنه وانما المعروف نافع ابن غيلان والله اعلم * وذكر شعر بجير بن زهير بن أبى سلمى واسم أبى سلمى ربيعة وهو من بنى لاطم بن عثمان وهم مزينة عرفوا بامهم وقد قدمنا انها بنت كلب بن وبرة وان أختها الحوأب وبها سمى ماء الحوأب وعثمان هو ابن ادبن طابخة * وقوله كانت علالة يوم بطن حنين هذا من الاقواء الذى تقدم ذكره وهو ان ينقص حرفا من آخر القسيم الاول من الكامل وهو الذى كان الاصمعى يسميه المقعد * وقوله كانت علالة العلالة جرى بعد جرى أو قتال بعد قتال يريد ان هوازن جمعت جمعها علالة فى ذلك اليوم وحذف التنوين من علالة ضرورة وأضمر فى كانت اسمها وهو القصة وان كانت الرواية بخفض يوم فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ولكن ألفيته فى النسخة المقيدة واذا كان اليوم مخفوضا بالاضافة جاز فى علالة ان يكون منصوبا على خبر كان فيكون اسمها عائدا على شىء تقدم ذكره ويجوز الرفع فى علالة مع اضافتها الى يوم على ان تكون كان تامة مكتفية باسم واحد ويجوز ان تجعلها اسما علما للمصدر مثل برة وفجار وينصب يوم على الظرف كما تقيد فى النسخة * وقوله ترتد حسرانا جمع حسير وهو الكليل والرجراجة الكتيبة الضخمة من الرجرجة وهى شدة الحركة والاضطراب وفيلق من الفلق وهى الداهية والهراس شوك معروف والضراء الكلاب وهى اذا مشت فى الهراس ابتغت لايديها موضعا ثم تضع أرجلها فى موضع أيديها شبه الخيل بها والقدر الوعول المشنة والنهى والنهى الغدير سمى بذلك لانه ماء نهاه ما ارتفع من الارض عن السيلان فوقف * وقوله جدل جمع جدلاء وهى الشديدة الفتل ومن رواه جدل فمعناه ذات جدل * وقوله وآل محرق يعنى عمر بن هند ملك الحيرة وقد تقدم فى أول الكتاب سبب تسميته بمحرق وفى زمانه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكروا والله أعلم

فصل وذكر انصراف النبى صلى الله عليه وسلم عن الطائف على دحنا ودحنا هذه هى التى خلق من تربها آدم صلى الله على نبينا وعليه وفى الحديث ان الله خلق آدم من دحنا ومسح ظهره بنعمان الاراك رواه ابن عباس وكان مسح ظهر آدم بعد خروجه من الجنة باتفاق من الروايات واختلفت الرواية فى مسح ظهره فروى ما تقدم وهو أصح وروى ان ذلك كان فى سماء الدنيا قبل هبوطه الى الارض وهو قول السدى وكلتا الروايتين ذكرهما الطبرى * وقوله حتى نزل الجعرانة بسكون العين فيها هو أصح الروايتين وقد ذكر

جليحة بن عبد الله * واستشهد من الانصار من بنى سلمة ثابت بن الجذع * ومن بنى مازن بن النجار الحرث بن سهل بن أبى صعصعة * ومن بنى ساعدة المنذر بن عبد الله * ومن الاوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا سبعة من قريش وأربعة من الانصار ورجل من بنى ليث فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف بعد القتال والحصار قال بجير بن زهير ابن أبى سلمى يذكر حنينا والطائف

كانت علالة يوم بطن حنين وغداة أوطاس ويوم الابرق
جمعت باغواء هوازن جمعها * فتبددوا كالطائر المتمزق
لم يمنعوا منا مقاما واحدا * الا جدارهم وبطن الخندق
ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا * فتحصنوا منا بباب مغلق
ترتد حسرانا الى رجراجة * شهباء تلمع بالمنايا فيلق
ململمة خضراء لو قذفوا بها حصنا لظل كانه لم يخلق
مشى الضراء على الهراس كاننا قدر تفرق فى القياد وتلتقى
فى كل سابغة اذا ما استحصنت كالنهى هبت ريحه المترقرق
جدل تمس فضولهن نعالنا من نسج داود وآل محرق

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وانعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن

معه من الناس ومعه من هوازن سبي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف يارسول ادع عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد ثقيفا وائت بهم ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء ومن الابل والشاء مالا يدرى ما عدته * قال ابن اسحق فحدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن وفد هوازن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا فقالوا يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك قال وقام رجل من هوازن ثم أحد بنى سعد بن بكر يقال له زهير يكنى أباصرد فقال يارسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ولو أنا ملحنا للحرث بن أبى شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين «قال بن هشام» ويروى ولو أنا مالحنا الحرث بن أبى شمر أو النعمان بن المنذر قال ابن اسحق فحدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم ام اموالكم فقالوا يارسول الله خيرتنا بين اموالنا واحسابنا بل تردالينا نساءنا وابناءنا فهو أحب الينا فقال لهم اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم واذا ما انا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين و بالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك واسأل لكم

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو فزارة فلا وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول عباس بن مرداس لبنى سليم وهنتمونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول سبي أصيبه فردوا الى الناس ابناءهم ونساءهم

الخطابى ان كثيرا من أهل الحديث يشددون الراء وقد ذكر ان المرأة التى نقضت غزلها من بعد قوة كانت تلقب بالجعرانة واسمها ريطة بنت سعد وان الموضع يسمى بها والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر زهيرا أباصرد وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم ولو انا ملحنا للحارث بن أبى شمر أو للنعمان ابن المنذر وقد تقدم فى أول الكتاب التعريف بالحارث وبالنعمان وملحنا أرضعنا والملح الرضاع قال الشاعر

فلا يبعد الله رب العبا * د والملح ماولدت خالده
هم المطعمو الضيف شحم السنا * م والكاسرو الليلة البارده
وهم يكسرون صدور القنا * بالخيل تطرد أو طارده
فان يكن الموت أفناهم * فللموت ما تلد الوالده

وأما زهير الذى ذكره فهو ابن صرد يكنى أباصرد وقيل أباجرول وكان من رؤساء بنى جشم ولم يذكر ابن اسحق شعره فى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم فى رواية البكائى وذكره فى رواية ابراهيم بن سعد عنه وهو

أمنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر * ممزق شملها فى دهرها غير
ياخير طفل ومولود ومنتخب * فى العالمين اذا ماحصل البشر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها * ياأرجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك تملؤه من محضها الدرر
اذ كنت طفلا صغيرا كنت ترضعها * واذ يزينك ماتأتى وماتذر
لاتجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فانا معشر زهر
ياخير من مرحت كمت الجياد به * عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا لنشكر آلاء وان كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
انا نؤمل منك عفوا تلبسه * هذى البرية اذ تعفو وتنتصر
فاغفر عفا الله عما أنت راهبه * يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

﴿ فصل ﴾ وذكر رد السبايا الى هوازن وانه من لم تطب نفسه بالرد عوضه مما كان بيده واستطاب نفوس الباقين وذلك ان المقاسم كانت قد وقعت فيهم ولا يجوز للامام أن يمن على الاسرى بعد القسم ويجوز له ذلك قبل المقاسم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم باهل خيبر حين منّ عليهم وتركهم عمالا للمسلمين فى أرضهم

التى

* قال ابن اسحق وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه جارية يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان واعطى عمر بن الخطاب جارية فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه * قال ابن اسحق فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال بعثت بها الى اخوالى من بنى جمح ليصلحوا لى منها ويهيؤها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها اذا رجعت اليها قال فخرجت من المسجد حين فرغت فاذا الناس يشتدون فقلت ماشأنكم قالوا رد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وابناءنا فقلت تلكم صاحبتكم فى بنى جمح فاذهبوا فخذوها فذهبوا اليها فاخذوها * قال ابن اسحق وأما عيينة بن حصن فاخذ عجوزا من عجائز هوازن وقال حين أخذها أرى عجوزا انى احسب لها فى الحى نسبا وعسى ان يعظم فداؤها فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض أبى أن يردها فقال له زهير أبو صرد خذها عنك فوالله مافوها ببارد ولا ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا زوجها بواجد ولا درها بماكد فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال فزعموا ان عيينة لقى الاقرع بن حابس فشكا اليه ذلك فقال انك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ولا نصفا وثيرة * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروا مالكا انه ان أتانى مسلما رددت اليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فاتى مالك بذلك فخرج اليه من الطائف وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه ان يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال فيحبسوه فامر براحلته فهيئت له وأمر بفرس له فاتى به الى الطائف فخرج ليلا فجلس على فرسه فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فادركه بالجعرانة أو بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل وأسلم فحسن اسلامه فقال مالك بن عوف حين أسلم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * فى الناس كلهم بمثل محمد   أوفى وأعطى للجزيل اذا اجتدى * ومتى تشاء يخبرك عما فى غد
واذا الكتيبة عردت أنيابها * بالسمهرى وضرب كل مهند   فكأنه ليث على أشباله * وسط الهباءة خادر فى مرصد

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتلك القبائل ثمالة وسلمة وفهم فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه حتى ضيق عليهم فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى

هابت الاعداء جانبنا * ثم تغزونا بنو سلمة   وأتانا مالك بهم * ناقضا للعهد والحرمه
وأتونا فى منازلنا * ولقد كنا أولى نقمه

. قال ابن اسحق ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين الى أهلها ركب واتبعه الناس يقولون يارسول الله اقسم علينا فيئنا من الابل والغنم حتى الجؤه الى شجرة فاختطفت عنه رداءه فقال ردوا على ردائى أيها الناس فوالله ان لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا ثم قام الى جنب بعير فاخذ وبرة من سنامه فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها ثم قال أيها الناس والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم

التى افتتحوها عنوة كذلك قال أبو عبيد قال ولا يجوز للامام ان يمن عليهم فيردهم الى دار الحرب ولكن على ان يؤدوا الجزية ويكونوا تحت حكم المسلمين قال والامام مخير فى الاسرى بين القتل والفداء والمن والاسترقاق والفداء بالنفوس لا بالمال كذلك قال أكثر الفقهاء هذا فى الرجال وأما الذرارى والنساء فليس الا الاسترقاق أو المفاداة بالنفوس دون المال كما تقدم * وذكر الجارية التى أعطيها عبد الله بن عمر وانه بعث بها الى اخواله من بنى جمح ليصلحوا له منها كى يصيبها وهذا لانها كانت قد أسلمت لانه لا يجوز وطء وثنية ولا مجوسية بملك يمين ولا بنكاح حتى تسلم وان كانت ذات زوج فلا بد أيضا من استبرائها وأما الكتابيات فلا خلاف فى جواز وطئهن بملك اليمين وقد روى عن طائفة من التابعين منهم عمرو بن دينار اباحة وطء المجوسية والوثنية بملك اليمين وقول الله تعالى «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن» تحريم عام الا ما خصصته آية المائدة من الكتابيات والنكاح يقع على الوطء بالعقد والملك وكان سبى حنين ستة آلاف رأس وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد ولى أبا سفيان بن حرب أمرهم وجعله أمينا عليهم قاله الزبير وفى حديث آخر ذكره الزبير باسناد حسن ان أبا جهم بن حذيفة العدوى كان على الانفال يوم حنين فجاءه خالد بن البرصاء فاخذ من الانفال زمام شعر فمانعه أبو جهم فلما تمانعا ضربه أبو جهم بالقوس فشجه منقلة فاستعدى عليه خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خذ خمسين شاة ودعه فقال أقدنى منه فقال خذ مائة ودعه فقال أقدنى منه فقال خذ خمسين ومائة ودعه وليس لك الا ذلك ولا أقصك من وال عليك فقومت الخمسون والمائة بخمس عشرة فريضة من الابل فمن هنالك جعلت دية المنقلة خمس عشرة فريضة

فادوا الخياط والمخيط فان الغلول يكون على أهله عارا ونارا وشنارا يوم القيامة قال فجاء رجل من الانصار بكبة من خيوط شعر فقال يارسول الله أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لى دبر فقال أما نصيبى منها فلك قال أما اذا بلغت هذا فلا حاجة لى بها ثم طرحها من يده «قال ابن هشام» وذكر زيد بن أسلم عن أبيه أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة ابنة شيبة بن ربيعة وسيفه متلطخ دما فقالت انى قد عرفت أنك قد قاتلت فماذا أصبت من غنائم المشركين فقال دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك فدفعها اليها فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شيأ فليرده حتى الخياط والمخيط فرجع عقيل فقال ماأرى ابرتك الا قد ذهبت فأخذها فالقاها فى الغنائم * قال ابن اسحق وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافا من أشرف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم فاعطى أباسفيان بن حرب مائة بعير وأعطى ابنه معاوية مائة بعير وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير وأعطى الحرث بن الحرث بن كلدة أخا بنى عبد الدار مائة بعير «قال ابن هشام» نضير بن الحرث بن كلدة ويجوز أن يكون اسمه الحرث أيضا * قال ابن اسحق وأعطى الحرث بن هشام مائة بعير واعطى سهيل بن عمرو مائة بعير واعطى حويطب بن عبد العزى بن ابى قيس مائة بعير واعطى العلاء بن جارية الثقفى حليف بنى زهرة مائة بعير واعطى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مائة بعير واعطى الاقرع بن حابس التميمى مائة بعير واعطى مالك بن هابت عوف النصرى مائة بعير واعطى صفوان بن أمية مائة بعير فهؤلاء اصحاب المئين واعطى دون المائة رجالا من قريش منهم مخرمة بن نوفل الزهرى وعمير بن وهب الجمحى وهشام بن عمرو اخو بنى عامر بن لؤى لا احفظ ما اعطاهم وقد عرفت انها دون المائة واعطى سعيد بن يربوع ابن عنكثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الابل واعطى السهمى خمسين من الابل «قال ابن هشام» واسمه عدى بن قيس * قال ابن اسحق

﴿فصل﴾ وأما اعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين حتى تكلمت الانصار فى ذلك وكثرت منهم القالة وقالت يعطى صناديد العرب ولا يعطينا وأسيافنا تقطر من دمائهم فللعلماء فى هذه المسئلة ثلاثة أقوال احدها انه أعطاهم من خمس الخمس وهذا القول مردود لان خمس الخمس ملك له ولا كلام لاحد فيه (القول الثانى) أنه أعطاهم من رأس الغنيمة وان ذلك خصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى قل الانفال لله والرسول وهذا القول أيضاً يرده ما تقدم من نسخ هذه الآية وقد تقدم الكلام عليها فى غزوة بدر غير ان بعض العلماء احتج لهذا القول بان الانصار لما انهزموا يوم حنين فأيد الله رسوله وأمده بملائكته فلم يرجعوا حتى كان الفتح رد الله تعالى أمر المغانم الى رسوله من أجل ذلك فلم يعطهم منها شيأ وقال لهم ألا ترضون يامعشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فطيب نفوسهم بذلك بعد ما فعل ما أمر به (والقول الثالث) وهو الذى اختاره أبو عبيد ان أعطاءهم كان من الخمس حيث يرى أن فيه مصلحة للمسلمين

﴿فصل﴾ ومما لم يذكر ابن اسحق يوم حنين أن خالد بن الوليد أثقل بالجراحة يومئذ فاتاه النبى صلى الله عليه وسلم يقول من يدلنى على رحل خالد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة رحله فنفث على جرحه فبرئ ذكره الكشى

﴿فصل﴾ وذكر عيينة بن حصن وقول زهير بن صرد له فى العجوز التى أخذها مافوها ببارد ولا ثديها بناهد ولا درها بماكد ويقال أيضاً بناكد يريد ليست بغزيرة الدر والنوق النكد الغزيرات اللبن وأحسبه من الاضداد لانه قد يقال أيضاً نكد لبنها اذا نقص قاله صاحب العين والصحيح عند أكثرهم أن النكد هى القليلات اللبن من قوله عز وجل «لا يخرج الا نكدا» وان المكد بالميم هى الغزيرات اللبن قال ابن سراج لانه من مكد فى المكان اذا أقام فيه وقد يقال أيضاً نكد فى معنى مكد أى ثبت * وذكر الاقرع بن حابس وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه بعد وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت «ولله على الناس حج البيت» أفى كل عام يارسول الله قال لو قلتها لوجبت وهو الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين أقطع أبيض بن حمال الماء الذى بمأرب أتدرى ما أقطعته يارسول الله انما أقطعته الماء العد فاسترجعه النبى صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور غير أنه لم يسم قائل هذا الكلام فيه الا الدارقطنى فى روايته وزاد فيه أيضاً قال أبيض على أن يكون صدقة منى يارسول الله على المسلمين فقال نعم وأما نسب الاقرع بن حابس فهو ابن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمى المجاشعى الدارمى وأما عيينة فاسمه حذيفة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى وقد تقدم ذكره

﴿فصل﴾ وذكر تولية النبى صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف على ثمالة وبنى سلمة وفهم وثمالة هم بنو اسلم بن أحجن أمهم ثمالة وقول أبى محجن فيه

واعطى عباس بن مرداس اباعر فسخطها فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانت نهابا تلافيتها * بكرى على المهر فى الاجرع
وايقاظى القوم ان يرقدوا * اذا هجع الناس لم اهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع
وقد كنت فى الحرب ذاتدرؤ * فلم اعطا شيأ ولم امنع
الا افايل اعطيتها * عديد قوائمها الاربع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان شيخى فى المجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

«قال ابن هشام» انشدنى يونس النحوى

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى المجمع

* قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهبوا به فاقطعوا عنى لسانه فاعطوه حتى رضى فكان ذلك قطع لسانه الذى امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» وحدثنى بعض اهل العلم ان عباس بن مرداس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت القائل فاصبح نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقال ابو بكر الصديق بين عيينة والاقرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما واحد فقال ابو بكر اشهد انك كما قال الله وما علمناه الشعر وما ينبغى له «قال ابن هشام» وحدثنى من اثق به من اهل العلم فى اسناد له عن ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم فاعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين * من بنى امية بن عبد شمس أبو سفيان بن حرب بن أمية وطليق ابن سفيان بن أمية وخالد بن أسيد بن ابى العيص بن أمية * ومن بنى عبد الدار بن قصى شيبة بن عثمان بن ابى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وابو السنابل بن بعكك بن الحرث بن عميلة بن السباق بن عبد الدار وعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * ومن بنى مخزوم ابن يقظة زهير بن ابى أمية بن المغيرة والحرث بن هشام بن المغيرة وخالد بن هشام بن المغيرة وهشام بن الوليد بن المغيرة وسفيان بن عبد الاسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والسائب بن ابى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن بنى عدى بن كعب مطيع بن الاسود بن حارثة بن نضلة وأبو جهم بن حذيفة بن غانم * ومن بنى جمح بن عمرو صفوان بن أمية بن خلف وأحيحة بن أمية بن خلف وعمير بن وهب بن خلف * ومن بنى سهم عدى بن قيس بن حذافة * ومن بنى عامر بن لؤى حويطب بن عبد العزى بن ابى قيس بن عبدود وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحرث بن حبيب * ومن افناء القبائل من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة نوفل بن معاوية ابن عروة بن صخر بن رزن بن يعمر بن نفاثة بن عدعدى بن الديل * ومن قيس ثم من بنى عامر بن صعصعة ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب * ومن بنى عامر بن ربيعة خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وحرملة بن هوذة بن ربيعة بن عمرو * ومن بنى نصر ابن معاوية مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع * ومن سليم بن منصور عباس بن مرداس بن ابى عامر اخو بنى الحرث بن بهثة بن سليم * ومن غطفان ثم من بنى فزارة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر * ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة الاقرع بن حابس بن عقال من بنى مجاشع بن دارم

هابت الاعداء جانبنا * ثم تغزنا بنو سلمه

هكذا تقيد فى النسخة بكسر اللام والمعروف فى قبائل قيس سلمة بالفتح الا أن يكونوا من الازد فان ثمالة المذكورين معهم حى من الازد وفهم من دوس وهم من الازد أيضا وأمهم جديلة وهى من غطفان بن قيس ابن غيلان على انه لا يعرف فى الازد سلمة الا فى الانصار وهم من الازد وسلمة أيضاً فى جعفى هم وسلمة ابن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفى وسلمة فى جهينة أيضاً سلمة بن نصر بن غطفان بن قيس بن جهينة وجعفى من مذحج وجهينة من قضاعة وأما محجن فاسمه مالك بن حبيب وقيل عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفى وقد تقدم نسب أحجن عند ذكرنا لهب بن أحجن قبل باب المبعث * وذكر أبا السنابل بن بعكك واسمه حبة أحد بنى عبد الدار وكان شاعرا وحديثه مع سبيعة الاسلامية حين آمت من زوجها مذكور فى الصحاح

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لعباس بن مرداس أنت القائل

فاصبح نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة

فقال أبو بكر الصديق بين عيينة والاقرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما واحد يعنى فى المعنى وأما فى الفصاحة فالذى أجرى على لسانه صلى الله عليه وسلم هو الافصح فى تنزيل الكلام وترتيبه وذلك أن القبلية تكون بالفضل نحو قوله تعالى « من النبيين والصديقين » وتكون بالرتبة نحو قوله تعالى حين ذكر اليهود والنصارى فقدم اليهود لمجاورتهم المدينة فهم فى الرتبة قبل النصارى وقبلية بالزمان نحو ذكر التوراة

* قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمى أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه يارسول الله أعطيت عيينة ابن حصن والاقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والذى نفس محمد بيده لجعيل ابن سراقة خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة بن حصن والاقرع بن حابس ولكنى تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه

* قال ابن اسحق وحدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمارة بن ياسر عن مقسم ابى القاسم مولى عبد الله بن الحرث بن نوفل قال خرجت انا وتليد بن كلاب الليثى حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقا نعله بيده فقلنا له هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمى يوم حنين قال نعم جاء رجل من بنى تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال يامحمد قد رأيت ماصنعت فى هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فكيف رأيت فقال لم أرك عدلت قال فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال ويحك اذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون فقال عمر بن الخطاب يارسول الله ألا أقتله فقال لا دعه فانه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر فى النصل فلا يوجد شىء ثم فى القدح فلا يوجد شىء ثم فى الفوق فلا يوجد شىء سبق الفرث والدم * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن على بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبى عبيدة وسماه ذا الخويصرة * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن أبيه بمثل ذلك « قال ابن هشام » ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى فى قريش وقبائل العرب ولم يعط الانصار شيأ قال حسان بن ثابت يعاتبه فى ذلك

ذر الهموم فماء العين منحدر … سحا اذا حفلته عبرة درر
وجدا بشماء اذ شماء بهكنة … هيفاء لاذنن فيها ولاخور
وائت الرسول فقل ياخير مؤتمن … للمؤمنين اذا ماعدد البشر
سماهم الله أنصارا بنصرهم … دين الهدى وعوان الحرب تستعر
والناس ألب علينا فيك ليس لنا … الا السيوف وأطراف القنا وزر
ولاتهر جناة الحرب نادينا … ونحن حين تلظى نارها سعر
ونحن جندك يوم النعف من أحد … اذا حزبت بطرا أحزابها مضر

دع عنك شماء اذ كانت مودتها … نزارا وشر وصال الواصل النزر
علام تدعى سليم وهى نازحة … قدام قوم هم آووا وهم نصروا
وسار عوافى سبيل الله واعترفوا … للنائبات وماخانوا وماضجروا
نجالد الناس لانبقى على أحد … ولا نضيع ماتوحى به السور
كما رددنا ببدر دون ماطلبوا … أهل النفاق وفينا ينزل الظفر
فما ونينا وماخمنا وماخبروا … منا عثارا وكل الناس قد عثروا

« قال ابن هشام » حدثنى زياد بن عبد الله قال حدثنا ابن اسحق وقال حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبى سعيد الخدرى قال لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وفى قبائل العرب ولم يكن فى الانصار منها شىء وجد هذا الحى

والانجيل بعده ونوحا وابراهيم وقبلية بالسبب وهو أن يذكر ماهو علة الشىء وسبب وجوده ثم يذكر المسبب بعده وهو كثير فى الكلام مثل أن يذكر معصية وعقابا أو طاعة وثوابا فالاجود فى حكم الفصاحة تقديم السبب والاقرع وعيينة من باب قبلية المرتبة وقبلية الفضل أما قبلية الرتبة فانه من خندف ثم من بنى تميم فهو أقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم من عيينة فترتب فى الذكر قبله وأما قبلية الفضل فان الاقرع حسن اسلامه وعيينة لم يزل معدودا فى أهل الجفاء حتى ارتد وآمن بطليحة وأخذ أسيرا فجعل الصبيان يقولون له وهو يساق الى أبى بكر ويحك ياعدو الله ارتددت بعد إيمانك فيقول والله ما كنت آمنت ثم أسلم فى الظاهر ولم يزل جافيا أحمق حتى مات وبحسبك تسمية النبى صلى الله عليه وسلم له الاحمق المطاع ومما يذكر من جفائه أن عمرو بن معدى كرب نزل به ضيفا فقال له عيينة هل لك فى الخمر نتنادم عليها فقال عمرو أليست محرمة فى القرآن فقال عيينة انما قال فهل أنتم منتهون فقلنا نحن لا فشربا * وذكر حديث ذى الخويصرة التميمى وماقال فيه النبى عليه السلام وفى شيعته وقال فى حديث آخر يخرج من ضئضئة قوم تحقرون صلاتكم الى صلاتهم وصيامكم الى صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وظهر صدق الحديث فى الخوارج وكان أولهم من ضئضئى ذلك الرجل أى من أصله وكانوا من أهل نجد التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم منها يطلع قرن الشيطان فكان بدؤهم من ذى الخويصرة وكان آيتهم ذو الثدية الذى قتله على رضى الله عنه وكانت احدى يديه كثدى المرأة واسم ذى الثدية نافع ذكره أبو داوود وغيره يقول اسمه حرقوص وقول أبى داوود أصح والله أعلم وذكر شعر حسان وفيه * هيفاء لاذنن فيها ولاخور * الذنن الغدر والتفل والذنين المخاط والذنن أيضا الا ينقطع حيض المرأة يقال امرأة ذناء ولو روى بالدال المهملة لكان جيدا أيضا فان الدنن بالدال هو قصر العنق وتطامنها وهو عيب والبهكنة الضخمة

(فصل.)

من الانصار فى أنفسهم حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم لقى والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يا رسول الله ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت قسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب ولم يك فى هذا الحى من الانصار منها شىء قال فاين أنت من ذلك يا سعد قال يا رسول الله ما أنا الا من قومى قال فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة قال فخرج سعد فجمع الانصار فى تلك الحظيرة قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحى من الانصار فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يا معشر الانصار ما قالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها على فى أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا بل الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال ألا تجيبونى يا معشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله لله ولرسوله المن والفضل قال صلى الله عليه وسلم أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك أوجدتم يا معشر الانصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ألا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا

﴿ عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان ﴾

قال ابن اسحق ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرا وأمر ببقايا الفىء فحبس بمجنة بناحية مر الظهران فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعا الى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ ابن جبل يفقه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفىء « قال ابن هشام » وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال لما استعمل النبى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما فقام فخطب الناس فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم فليست بى حاجة الى أحد * قال ابن اسحق وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى بقية ذى القعدة أو فى أول ذى الحجة « قال ابن هشام » وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بقين من ذى القعدة فيما قال أبو عمرو المدنى * قال ابن اسحق وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهى سنة ثمان وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة اذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شهر رمضان من سنة تسع

﴿ أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف ﴾

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبى سلمى الى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وأن من بقى من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب قد هربوا فى كل وجه

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار ما قالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها فى أنفسكم هكذا الرواية جدة والمعروف عند أهل اللغة موجدة اذا أردت الغضب وانما الجدة فى المال * وقوله عليه السلام فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا اللعاعة بقلة ناعمة وهذا نحو من قوله عليه السلام المال حلوة خضرة واللعة من هذا المعنى وهى المرأة المليحة العفيفة واللعلع السراب ولعاعه بصيصه * وذكر جعيل ابن سراقة وقول النبى صلى الله عليه وسلم فيه ووكلت جعيل بن سراقه الى اسلامه نسب ابن اسحق جعيلا الى ضمرة وهو معدود فى غفار لان غفارا هم بنو مليل بن ضمرة من بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وأما حديث التميمى الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين أعطى المؤلفة قلوبهم لم أرك عدلت فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال اذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون وقال أيضا انى أرى قسمة ما أريد بها وجه الله فقال صلى الله عليه وسلم أيامننى الله فى السماء ولا تامنونى أو كما قال صلى الله عليه وسلم فالرجل هو ذو الخويصرة كذلك جاء ذكره فى الحديث ويذكر عن الواقدى انه قال هو حرقوص بن زهير السعدى من سعد تميم وقد كان لحرقوص هذا مشاهد محمودة فى حرب العراق مع الفرس أيام عمر ثم كان خارجيا وفيه يقول نحيبة الخارجى * حتى ألاقى فى الفردوس حرقوصا * ولذلك قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم انه سيكون من ضئضئه قوم تحقرون صلاتكم الى صلاتهم وذكر صفة الخوارج وليس ذو الخويصرة هذا ذا الثدية الذى قتله على بالنهر وان ذلك اسمه نافع ذكره ابو داود وكلام الواقدى حكاه ابن الطلاع فى الاحكام له

﴿ فصل ﴾ وذكر قصة بجير بن زهير بن ابى سلمى واسم ابى سلمى ربيعة بن رياح احد بنى مزينة * وفى

فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض وكان كعب بن زهير قد قال

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة   فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل   على أى شىء غير ذلك دلكا
على خلق لم ألف يوما أباله   عليه وما تلقى عليه أبالكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف   ولا قائل اما عثرت لعالكا
سقاك بها المأمون كاسا روية   فانهلك المامون منها وعلكا

« قال ابن هشام » ويروى المامور وقوله فبين لنا عن غير ابن اسحق وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر وحدثنيه

من مبلغ عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
شربت مع المامون كاسا روية * فانهلك المامون منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته * على أى شىء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا * عليه ولم تدرك عليه أخالكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف
ولا قائل اما عثرت لعالكا

قال وبعث بها الى بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع سقاك بها المامون صدق وانه لكذوب أنا المامون ولما سمع على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه قال أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم قال بجير لكعب

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى
تلوم عليها باطلا وهى أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده
فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شىء دينه * ودين أبى سلمى على محرم

مقالة

قال ابن اسحق وانما يقول كعب المامون ويقال المامور فى قول ابن هشام لقول قريش الذى كانت تقوله فى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول فلما لم يجد من شىء بدا قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فيها خوفه وأرجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لى فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه فذكر لى أنه قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس اليه فوضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستامن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

شعر كعب الى اخيه بجير * سقاك بها المامون كاسا روية * ويروى المحمود فى غير رواية ابن اسحاق اراد بالمحمود محمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك المامون والامين كانت قريش تسمى بهما النبى صلى الله عليه وسلم قبل النبوة * وقوله لاخيه بجير

على خلق لم تلف اما ولا ابا * عليه ولم تدرك عليه اخالكا

انما قال ذلك لان امهما واحدة وهى كبشة بنت عمار السحيمية فيما ذكر ابن الاعرابى عن ابن الكلبى وقوله اما عثرت لعالكا كلمة تقال للعاثر دعاء له بالاقالة قال الاعشى

فالتعس أدنى لها * من ان يقال لعالها

وانشد ابو عبيد * فلا لعا لبنى فعلان اذ عثروا * وقول بجير * ودين زهير وهو لا شىء دينه * رواية مستقيمة وقد رواه القالى فقال وهو لا شىء غيره وفسره على التقديم والتاخير اراد ودين زهير غيره وهو لا شىء ورواية ابن اسحاق أبعد من الاشكال واصح والله اعلم وكعب هذا من فحول الشعراء هو وابوه زهير وكذلك ابنه عقبة بن كعب بن زهير يعرف عقبة بالمضرب وابن عقبة العوام شاعر ايضا وهو الذى يقول

الا ليت شعرى هل تغير بعدنا * ملاحة عينى أم عمرو وجيدها
وهل بليت أثوابها بعد جدة * الا حبذا اخلاقها وجديدها

ومما يستحسن ويستجاد من قول كعب

لو كنت أعجب من شىء لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * فالنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ماعاش ممدود له أمل * لا تنتهى العين حتى ينتهى الاثر

وقوله

ان كنت لا ترهب ذمى * لما تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى اذ أنا منصت * فيك لمسموع خنا القائل
فالسامع الذم شريك له * ومطعم المأكول كالآكل

نعم قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة انه وثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا عما كان عليه قال فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الا بخير فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا * الا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة * لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت * كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذى شبم من ماء محنية * صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه * من صوب غادية بيض يعاليل
فيا لها خلة لو انها صدقت *
بوعدها أو لو ان النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها
فجع وولع واخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها
كما تلون فى أثوابها الغول
وما تمسك بالعهد الذى زعمت
الا كما يمسك الماء الغرابيل
فلا يغرنك ما منت وما وعدت
ان الامانى والاحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
وما مواعيدها الا الاباطيل
أرجو وآمل أن تدنو مودتها *
وما اخال لدينا منك تنويل
أمست سعاد بأرض لا يبلغها
الا العتاق النجيبات المراسيل
ولن يبلغها الا عذافرة * لها على الاين ارقال وتبغيل
من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت * عرضتها طامس الاعلام مجهول
ترمى الغيوب بعينى مفرد لهق * اذا توقدت الحزان والميل
ضخم مقلدها فعم مقيدها * فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل
غلباء وجناء علكوم مذكرة * فى دفها سعة قدامها ميل
وجلدها من أطوم ما يؤيسه * طلح بضاحية المتنين مهزول
حرف أخوها أبوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شمليل
يمشى القراد عليها ثم يزلقه * منها لبان وأقراب زهاليل
عيرانة قذفت بالنحض عن عرض * مرفقها عن بنات الزور مفتول
كأنما فات عينيها ومذبحها * من خطمها ومن اللحيين برطيل
تمر مثل عسيب النخل ذا خصل * فى غارز لم تخونه الاحاليل
قنواء فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل

مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

وذكر قصيدته * بابت سعاد فقلبى اليوم متبول * وفيها قوله * شجت بذى شبم * يعنى الخمر وشجت كسرت من أعلاها لان الشجة لا تكون الا فى الرأس والشبم البرد وأفرطه أى ملأه والبيض اليعاليل السحاب وقيل جبال ينحدر الماء من أعلاها واليعاليل أيضا الغدران واحدها يعلول لانه يعل الارض بمائه * وقوله يا ويحها خلة قد سيط من دمها * أى خلط بلحمها ودمها هذه الاخلاق التى وصفها بها من الولع وهو الخلف والكذب والمطل يقال ساط الدم والشراب اذا ضرب بعضه ببعض وقال الشاعر يصف عبد الله بن عباس

صموت اذا ماز بن الصمت أهله * وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما حوى القرآن من كل حكمة * وسيطت له الآداب باللحم والدم

والغول التى تترا آى بالليل والسعلاة ما ترا آى بالنهار من الجن وقد أبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم الغول حيث قال لا عدوى ولا غول وليس يعارض هذا ما روى من قوله عليه السلام اذا تغولت الغيلان فارفعوا أصواتكم بالاذان وكذلك حديث أبى أيوب مع الغول حين أخذها لان قوله عليه السلام لا غول انما أبطل به ما كانت الجاهلية تتقوله من أخبارها وخرافاتها معها * وقوله كانت مواعيد عرقوب لها مثلا هو عرقوب بن صخر من العماليق الذين سكنوا يثرب وقيل بل هو من الاوس والخزرج وقصته فى اخلاف الوعد مشهورة حين وعد أخاه بجنا نخلة له وعدا من بعد وعد ثم جذها ليلا ولم يعطه شيئاً والتبغيل ضرب من السير سريع والحزان جمع حزين وهو ما غلظ من الارض والميل ما اتسع منها * وقوله ترمى النجاد وأنشده أبو على ترمى الغيوب وهو جمع غيب وهو ما غار من الارض كما قال ابن مقبل * لزم الغلام وراء الغيب بالحجر * وقوله

حرف أبوها أخوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شمليل

القوداء الطويلة العنق والشمليل السريعة والحرف الناقة الضامر * وقوله من مهجنة أى من ابل مهجنة مستكرمة هجان * وقوله أبوها أخوها أى انهما من جنس واحد فى الكرم وقيل انها من فحل حمل على أمه فجاءت بهذه الناقة فهو أبوها وأخوها وكانت للناقة التى هى أم هذه بنت اخرى من الفحل الاكبر فعمها خالها على

تخدى على يسرات وهى لاحقة * ذوابل مسهن الارض تحليل   سمر العجايات يتركن الحصا زيما * لم يقهن رؤس الاكم تنعيل
كان أوب ذراعيها اذا عرقت * وقد تلفع بالقور العساقيل   يوما يظل به الحرباء مصطخدا * كان ضاحيه بالشمس مملول
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت * ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا   شد النهار ذراعا عيطل نصف * قامت

فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس
لها
لما نعى بكرها الناعون
معقول
تفرى اللبان بكفيها
ومدرعها
مشقق عن تراقيها رعابيل
تسعى الغواة جنابيها وقولهم *
انك يا ابن أبى سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت
آمله
لا الهينك انى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لا أبا لكم *
فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت
سلامته
يوما على آلة حدباء محمول
نبئت ان رسول الله
أوعدنى
والعفو عند رسول الله مامول
مهلا هداك الذى أعطاك
نافلة القـ
رآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تاخذنى باقوال الوشاة
ولم
أذنب ولو كثرت فى الاقاويل
لقد أقوم مقاما لو يقوم به *
أرى وأسمع مالو يسمع الفيل
لظل يرعد الا أن يكون له *

هذا وهو عندهم من أكرم النتاج والقول الاول ذكره أبو على القالى عن أبى سعيد فالله أعلم * وقوله أقراب زهاليل أى خواصر ملس واحدها زهلول والبرطيل حجر طويل و يقال للمعول أيضا برطيل * وقوله ذوابل وقعهن الارض تحليل تحليل أى قليل يقال ما أقام عندنا الا كتحليل الالية وكتحلة المقسم وعليه حمل ابن قتيبة قوله عليه السلام لن تمسه النار الا تحلة القسم وغلط أبا عبيد حيث فسره على القسم حقيقة قال القتبى ليس فى الآية قسم لانه قال « وان منكم الا وارها » ولم يقسم قال الخطابى هذه غفلة من ابن قتيبة فان فى أول الآية « فوربك لنحشرنهم والشياطين » وقوله « وان منكم الا واردها » داخل تحت القسم المتقدم * وقوله بالقور العساقيل القور جمع قارة وهى الحجارة السود والعساقيل هنا السراب وهذا من المقلوب أراد وقد تلفعت القود بالعساقيل * وفيها قوله تمشى الغواة بجنبيها أى بجنبى ناقته * وقوله انك يا ابن ابى سلمى لمقتول ويروى وقيلهم وهو احسن فى المعنى واولى بالصواب لان القيل هو الكلام المقول فهو مبتد وقوله انك يا ابن ابى سلمى لمقتول خبر تقول اذا سئلت ما قيلك قيلى ان الله واحد فقولك ان الله واحد هو القيل والقول مصدر كالطحن والذبح والقيل اسم للمقول كالطحن والذبح بكسر أوله وانما حسنت هذه الرواية لان القول مصدر فيصير انك يا ابن أبى سلمى فى موضع المفعول فيه فيبقى المبتدا بلا خبر الا أن تجعل المقول هو القول على المجاز كما يسمى المخلوق خلقا وعلى هذا يكون قوله عز وجل « وقيله يارب » فى موضع البدل من القيل وكذلك قوله « الا قيلا سلاما سلاما » منتصب بفعل مضمر فهو فى موضع البدل من قيلا وكذلك قوله « ومن أصدق من الله قيلا » أى حديثا مقولا ومن هذا الباب مسئلة من النحو ذكرها سيبويه وابن السراج فى كتابه وأخذ الفارسى منهما أو من ابن السراج فكثيرا ما ينقل من كتابه بلفظه غير انه أفسد هذه المسئله ولم يفهم ما أراد بها وذلك انهما قالا اذا قلت اول ما أقول انى أحمد الله بكسر الهمزة فهو على الحكاية فظن الفارسى انه يريد على الحكاية بالقول فجعل انى احمد الله فى موضع المفعول باقول فلما بقى له المبتدا بلا خبر تكلف له تقديرا لا يعقل فقال تقديره أول ما أقول انى أحمد الله موجود أو ثابت فصار معنى كلامه الى ان أول هذه الكلمة التى هى انى أحمد الله موجود أى أول هذه الكلمة موجود فآخرها اذا معدوم وهذا خلف من القول كما ترى وقد وافقه ابن جنى عليه رأيته فى بعض مسائله قال قلت لابى على لم لا يكون انى أحمد الله فى موضع الخبر كما تقول أول سورة اقرأها « انا أعطيناك الكوثر » أو نحو هذا ولا يحتاج الى حذف خبر قال فسكت ولم يحد جوابا وانما معنى هذه المسئلة أول ما أقول أى أول القيل الذى أقوله انى أحمد الله على حكاية الكلام المقول وهذا الذى أراد سيبويه وأبو بكر بن السراج فان فتحت الهمزة من أن صار معنى الكلام أول القول لا اول القيل وكانت ما واقعة على المصدر وصار معناه اول قولى الحمد اذ الحمد قول ولم يبين مع فتح الهمزة كيف حمد الله هل قال الحمد لله بهذا اللفظ أو غيره وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد حين افتتح كلامه بانه قال انى أحمد الله بهذا اللفظ لا بلفظ آخر فقف على هذه المسئلة وتدبرها اعرابا ومعنى فقل من أحكمها وحسبك ان الفارسى لم يفهم عمن قبله وجاء بالتخليط المتقدم والله المستعان والخراديل القطع من اللحم وفى الحديث فى صفة الصراط فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل أى تخردل

من الرسول باذن الله تنويل   حتى وضعت يمينى ما أنازعه * فى كف ذى نقمات قيله القيل   لحمه
فلهو أخوف عندى اذ أكلمه * وقيل انك منسوب ومسؤل   من ضيغم بضراء الارض مخدره * فى بطن عثر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما * لحم من الناس معفور خراديل   اذا يساور قرنا لا يحل له * أن يترك القرن الا وهو مغلول

منه تظل سباع الجو نافرة * ولا تمشى بواديه الاراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة * مضرج البز والدرسان ما كول
ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف * عند اللقاء ولا ميل معازيل
شم العرانين أبطال لبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق * كانها حلق القفعاء مجدول
ليسوا مفاريح ان نالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم * ضرب اذا عرد السود التنابيل
لا يقع الطعن الا فى نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

« قال ابن هشام » قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة و بيته حرف أخوها أبوها و بيته يمشى القراد و بيته عيرانة قذفت و بيته تمر مثل عسيب النخل و بيته تفرى اللبان و بيته اذا يساور قرنا و بيته ولا يزال بواديه عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب اذا عرد السود التنابيل وانما يريدنا معشر الانصار لما كان صاحبنا صنع به ما صنع وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدحته غضبت عليه الانصار فقال بعد أن أسلم يمدح الانصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعهم من اليمن

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالحى الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار
المكرهين السمهرى باذرع * كسوالف الهندى غير قصار
والناظرين باعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار
والقائدين الناس عن أديانهم * بالمشرفى و بالقنا الخطار
يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت ببطن خفية * غلب الرقاب من الاسود ضوارى
واذا حللت ليمنعوك اليهم * أصبحت عند معاقل الاغفار
ضربوا عليا يوم بدر ضربة * دانت لوقعتها جميع نزار
لو يعلم الاقوام علمى كله * فيهم لصدقنى الذين أمارى
قوم اذا خوت النجوم فانهم * للطارقين النازلين مقارى
فى الغر من غسان من جرثومة * أعيت محافرها على المنقار

« قال ابن هشام » و يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده

* بانت سعاد فقلبى اليوم متبول *

لولا ذكرت الانصار بخير فانهم لذلك أهل فقال كعب هذه الابيات وهى فى قصيدة له « قال ابن هشام » وذكر لى عن على بن زيد بن جدعان أنه قال أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد

* بانت سعاد فقلبى اليوم متبول *

لحمه الكلاليب التى حول الصراط سمعت شيخنا الحافظ أبا بكر رحمه الله يقول تلك الكلاليب هى الشهوات لانها تجذب العبد فى الدنيا عن الاستقامة على سواء الصراط فتمثل له فى الآخرة على نحو ذلك وقوله بضراء الارض الضراء ما واراك من شجر والخمر ما واراك من شجر وغيره * وقوله بواديه الاراجيل أى الرجالة قيل انه جمع الجمع كانه جمع الرجل وهم الرجالة على أرجل ثم جمع أرجلا على أراجل و زاد الياء ضرورة والدرس الثوب الخلق والقفعاء شجرة لها ثمر كانه حلق ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم حين أنشده كعب

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

نظر الى أصحابه كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر * وقوله ليس لهم عن حياض الموت تهليل التهليل ان ينكص الرجل عن الامر جبنا * وقوله فى الانصار * ضربوا عليا يوم بدر ضربة * بنو على هم بنو كنانة يقال لهم بنو على لما تقدم ذكره فى هذا الكتاب وأراد ضربوا قريشا لانهم من بنى كنانة * وقوله اذا عرد السود التنابيل جمع تنبال وهو القصير * وقوله عرد أى هرب قال الشاعر

يعرد عنه صحبه وصديقه * وينبش عنه كلبه وهو ضاربه

وجعلهم سودا لما خالط أهل اليمن من السودان عند غلبة الحبشة على بلادهم ولذلك قال حسان فى آل جفنة

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * بيض الوجوه من الطراز الاول

يعنى بقوله من الطراز الاول ان آل جفنة كانوا من اليمن ثم استوطنوا الشام بعد سيل العرم فلم يخالطهم السودان كما خالطوا من كان من اليمن فهم من الطراز الاول الذى كانوا عليه فى ألوانهم وأخلاقهم * وقوله حول قبر أبيهم أى انهم لعزهم لم يجلوا عن منازلهم قط ولا فارقوا قبر أبيهم ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

تخدى به الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم
ففى عطافيه أو أثناء بردته * ما يعلم الله من دين ومن كرم

﴿ غزوة تبوك فى رجب سنة تسع ﴾

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة الى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم وقد ذكر لنا الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا كل حدث فى غزوة تبوك ما بلغه عنها وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك فى زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد له الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى يصمد له ليتاهب الناس لذلك اهبته فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بنى سلمة يا جد هل لك العام فى جلاد بنى الاصفر فقال يا رسول الله أو تاذن لى ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل باشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين أى ان كان انما خشى الفتنة من نساء بنى الاصفر وليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه يقول تعالى وان جهنم لمن ورائه وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض لا تنفروا فى الحر زهادة فى الجهاد وشكا فى الحق وارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تبارك وتعالى فيهم وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون « قال ابن هشام » وحدثنى الثقة عمن حدثه عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن اسحق بن ابراهيم بن عبد الله بن حارثة عن أبيه عن جده قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى وكان بيته عند جاسوم يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فبعث اليهم النبى صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعل طلحة فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله واقتحم أصحابه فافلتوا فقال الضحاك فى ذلك

كادت وبيت الله نار محمد * يشيط بها الضحاك وابن أبيرق
وظلت وقد طبقت كبس سويلم * أنوء على رجلى كسيرا ومرفقى
سلام عليكم لا أعود لمثلها * أخاف ومن تشمل به النار يحرق

* قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد فى سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها « قال ابن هشام » حدثنى من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض

* قال ابن اسحق ثم ان رجالا من المسلمين أتوا رسول صلى الله عليه وسلم وهم البكاؤن وهم سبعة نفر من الانصار وغيرهم * من بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير وعلبة بن زيد أخو بنى حارثة وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بنى مازن بن النجار وعمرو بن حمام بن الجموح أخو بنى

﴿ غزوة تبوك ﴾

سميت بعين تبوك وهى العين التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا يمسوا من مائها شيأ فسبق اليها رجلان وهى تبض بشىء من ماء فجعلا يدخلان فيها سهمين ليكثر ماؤها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما زلتما تبوكانها منذ اليوم فيما ذكر القتبى قال وبذلك سميت العين تبوك والبوك كالنقش والحفر فى الشىء ويقال منه باك الحمار الاتان يبوكها اذا نزا عليها ووقع فى السيرة فقال من سبقنا الى هذا فقيل له يا رسول الله فلان وفلان وفلان وقال الواقدى فيما ذكر لى سبقه اليها أربعة من المنافقين معتب بن قشير والحارث بن يزيد الطائى ووديعة بن ثابت وزيد بن لصيت * وذكر الجد بن قيس وقول النبى صلى الله عليه وسلم له يا جد هل لك العام فى جلاد بنى الاصفر يقال ان الروم قيل لهم بنو الاصفر لان عيصوا ابن اسحق كان به صفرة وهو جدهم وقيل ان الروم بن عيصوا هو الاصفر وهو أبوهم وأمه نسمة بنت اسماعيل وقد ذكرنا فى أول الكتاب من ولدت من الامم وليس كل الروم من ولد بنى الاصفر فان الروم الاول هم فيما زعموا من ولد يونان بن يافث بن نوح والله أعلم بحقائق هذه الاشياء وصحتها * وذكر يونس باثر حديث الجد بن قيس عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ان اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا يا أبا القاسم ان كنت صادقا انك نبى فالحق بالشام فان الشام أرض المحشر

وارض

سلمة وعبد الله بن المغفل المزنى وبعض الناس يقول بل هو عبد الله بن عمرو المزنى وهرمى بن عبد الله أخو بنى واقف وعرباض بن سارية الفزارى فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة فقال لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون * قال ابن اسحق فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لقى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان فقال ما يبكيكما قالا جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه فاعطاهما ناضحا له فارتحلاه وزودهما شيئا من تمر فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وجاءه المعذرون من الاعراب فاعتذروا اليه فلم يعذرهم الله تعالى وقد ذكر لى أنهم نفر من بنى غفار ثم استتب برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره وأجمع السير وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلفوا عنه عن غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك بن أبى كعب أخو بنى سلمة ومرارة بن ربيع أخو بنى عمرو بن عوف وهلال بن أمية أخو بنى واقف وأبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف وكانوا نفر صدق لا يتهمون فى اسلامهم فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الانصارى وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة مخرجه الى تبوك سباع بن عرفطة * قال ابن اسحق وضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه على أهله وأمره بالاقامة فيهم فارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا منه فلما قال ذلك المنافقون أخذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبى الله زعم المنافقون انك انما خلفتنى انك استثقلتنى وتخففت منى فقال كذبوا ولكننى خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك فلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى فرجع على الى المدينة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن ابراهيم بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه سعد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى هذه المقالة * قال ابن اسحق ثم رجع على الى المدينة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره ثم ان أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما الى أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له فيه طعاما فلما دخل قام على باب العريش فنظر الى امرأتيه وما صنعتا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح والحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيا وامرأة حسناء فى ماله مقيم ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيا لى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحى فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى اذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب ان لى ذنبا فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل حتى اذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك قال الناس هذا راكب على الطريق مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى لك يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير «قال ابن هشام» وقال أبو خيثمة فى ذلك

وارض الانبياء فصدق النبى صلى الله عليه وسلم ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ أنزل الله تعالى عليه آيات من سورة بنى اسرائيل بعد ما ختمت السورة «وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الى قوله تحويلا» فامره بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك وفيها مماتك ومنها تبعث ثم قال «أقم الصلاة لدلوك الشمس الى قوله محمودا» فرجع النبى صلى الله عليه وسلم فامره جبريل فقال سل ربك فان لكل نبى مسئلة وكان جبريل عليه السلام له ناصحا وكان محمد صلى الله عليه وسلم له مطيعا فقال ما تامرنى ان أسئل قال «قل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا» وهؤلاء نزلن عليه فى رجعته من تبوك

﴿ فصل ﴾ وذكر أبا ذر الغفارى وابطاءه واسمه جندب بن جنادة هذا أصح ما قيل فيه وقد قيل فيه برير بن عشرقة وجندب بن عبد الله وابن السكن أيضا وقول النبى صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر وفى أبى خيثمة كن أبا خيثمة لفظه لفظ الامر ومعناه الدعاء كما تقول أسلم سلمك الله

شعراً واسمه مالك بن قيس لما رأيت الناس فى الدين نافقوا * أتيت التى كانت أعف وأكرما
وبايعت باليمنى يدى لمحمد * فلم أكتسب اثما ولم أغش محرما تركت خضيبا فى العريش وصرمة * صفايا كراما بسرها قد تحمما
وكنت اذا شك المنافق اسمحت * الى الدين نفسى شطره حيث يمما * قال ابن اسحق وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشربوا من مائها شيأ ولا تتوضؤا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الابل ولا تأكلوا منه شيأ ولا يخرجن أحد منكم الليلة الا ومعه صاحب له ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر فى طلب بعير له فاما الذى ذهب لحاجته فانه خنق على مذهبه وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلى طىء فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم انهكم ان يخرج منكم أحد الا ومعه صاحبه ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى أصيب على مذهبه فشفى واما الآخر الذى وقع بجبلى طىء فان طيئا اهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة والحديث على الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر عن عباس بن سهل بن سعد الساعدى وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر ان قد سمى له العباس الرجلين ولكنه استودعه اياهما فابى عبد الله ان يسميهما لى « قال ابن هشام » بلغنى عن الزهرى انه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم * قال ابن اسحق فلما اصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الله سبحانه سحابة فامطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة عن محمود ابن لبيد عن رجال من بنى عبد الاشهل قال قلت لمحمود هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم قال نعم والله ان كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك ثم قال محمود لقد أخبرنى رجال من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا فارسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا أقبلنا عليه نقول ويحك هل بعد هذا شىء قال سحابة مارة * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى اذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته فخرج أصحابه فى طلبها وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه يقال له عمارة بن حزم وكان عقبيا بدريا وهو عم بنى عمرو بن حزم وكان فى رحله زيد بن اللصيت القينقاعى وكان منافقا « قال ابن هشام » ويقال ابن لصيب بالباء * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رجال من بنى عبد الاشهل قالوا فقال زيد بن اللصيت وهو فى رحل عمارة وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس محمد يزعم انه نبى ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده ان رجلا قال هذا محمد يخبركم انه نبى ويزعم انه يخبركم بامر السماء وهو لا يدرى أين ناقته وانى والله ما أعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها فذهبوا فجاؤا بها فرجع عمارة بن حزم الى رحله فقال والله لعجب من شىء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا للذى قال زيد بن لصيت فقال رجل ممن كان فى رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى فاقبل عمارة على زيد يجأ فى عنقه ويقول الى

---

* وقوله فى أبى ذر رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده أى يموت منفردا وأكثر ما تستعمل هذه الحال لنفى الاشتراك فى الفعل نحو كلمنى زيد وحده أى منفردا بهذا الفعل وان كان حاضرا معه غيره أى كلمنى خصوصا وكذلك لو قلت كلمته من بينهم وحده كان معناه خصوصا كما قرره سيبويه وأما الذى فى الحديث فلا يتقدر هذا التقدير لانه من المحال ان يموت خصوصا وانما معناه منفردا بذاته أى على حدته كما قال يونس فقول يونس صالح فى هذا الموطن وتقدير سيبويه له بالخصوص يصلح ان يحمل عليه فى أكثر المواطن وانما لم يتعرف وحده بالاضافة لان معناه كمعنى لا غير ولانها كلمة تنبئ عن نفى وعدم والعدم ليس بشىء فضلا عن أن يكون متعرفا فامتنعنا بالاضافة وانما لم يشتق منه فعل وان كان مصدرا فى الظاهر لما قدمناه من انه لفظ ينبئ عن عدم ونفى والفعل يدل على حدث وزمان فكيف يشتق من شىء ليس بحدث انما هو عبارة عن انتفاء الحدث عن كل أحد الا عن زيد مثلا اذا قلت جاءنى زيد وحده أى لم يجئ غيره وانما يقال انعدم وانتفى بعد الوجود لا قبله لانه أمر متجدد كالحدث وقد أطنبنا فى هذا الغرض وزدناه بيانا فى مسئلة سبحان الله وبحمده وشرحها

﴿ فصل ﴾ وذكر الرجل الذى طرحته الريح بجبلى طىء وهما اجا وسلمى عرف اجا باجا بن عبد الحى

كان

عباد الله ان فى رحلى لداهية وما أشعر أخرج أى عدو الله من رحلى فلا تصحبنى * قال ابن اسحق فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك وقال بعض الناس لم يزل متهما بشر حتى هلك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون يارسول الله تخلف فلان فيقول دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه حتى قيل يارسول الله قد تخلف أبوذر وأبطأ به بعيره فقال دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه وتلوم أبوذر على بعيره فلما ابطا عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا ونزل رسول الله فى بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال يارسول الله ان هذا الرجل يمشى على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباذر فلما تامله القوم قالوا يارسول الله هو والله أبوذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أباذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده * قال ابن اسحق فحدثنى بريدة بن سفيان الاسلمى عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن مسعود قال لما نفى عثمان أباذر الى الربذة وأصابه بها قدره لم يكن معه أحد الا امرأته وغلامه فاوصاهما أن اغسلانى وكفنانى ثم ضعانى على قارعة الطريق فاول ركب يمر بكم فقولوا هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة الطريق وأقبل عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل العراق عمار فلم يرعهم الا بالجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها وقام اليهم الغلام فقال هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه قال فاستهل عبد الله ابن مسعود يبكى ويقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره الى تبوك *

كان صاب فى ذلك الجبل وسلمى صلبت فى الجبل الآخر فعرف بها وهى سلمى بنت حام فيما ذكر والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر كتابه لاكيدر دومة ودومة بضم الدال هى هذه وعرفت بدومى بن اسماعيل فيما ذكروا وهى دومة الجندل ودومة بالضم أخرى وهى عند الحيرة ويقال لما حولها النجف وأما دومة بالفتح فاخرى مذكورة فى أخبار الردة * وذكر أنه كتب لاكيدر دومة كتابا فيه عهد وأمان قال أبو عبيد أنا قرأته أتانى به شيخ هنالك فى قضيم والقضيم الصحيفة واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لاكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل

قال ابن اسحق وقد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بنى عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبنى سلمة يقال له مخشن بن حمير «قال ابن هشام» ويقال مخشى يشيرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق الى تبوك فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكانا بكم غدا مقرنين فى الحبال ارجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشن بن حمير والله لوددت أنى أقاضى على أن يُضرب كل منا مائة جلدة وانا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى لعمار بن ياسر أدرك القوم فانهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فان أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه فقال وديعة ابن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحقبها يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله عز وجل ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقال مخشن بن حمير يارسول الله قعد بى اسمى واسم أبى وكان الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشن بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسال الله تعالى أن يقتله شهيدا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر * ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة صاحب ايلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فاعطوه الجزية فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا فهو عندهم فكتب ليحنة بن رؤبة بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يردونه من بر أو بحر

﴿ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى أكيدر دومة ﴾

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد فبعثه الى أكيدر دومه وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكا عليها وكان نصرانيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد انك ستجده يصيد البقر فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين وفى ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذه قال لا أحد فنزل فامر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان فركب وخرجوا معه بمطاردهم فلما خرجوا تلقتهم خيل

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذته وقتلوا أخاه وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد فبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أنس بن مالك قال رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسلمون يلمسونه بايديهم و يتعجبون منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا * قال ابن اسحق ثم ان خالدا قدم باكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله فرجع الى قريته فقال رجل من طيئ يقال له بجير بن بجرة يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد انك ستجده يصيد البقر وماصنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

تبارك سائق البقرات انى * رأيت الله يهدى كل هاد
فمن يك حائدا عن ذى تبوك * فانا قد أمرنا بالجهاد

فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ثم انصرف قافلا الى المدينة وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل مايروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيا حتى ناتيه قال فسبقه اليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيا فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له يارسول الله فلان وفلان فقال أولم أنههم أن يستقوا منه شيا حتى آتيه ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب فى يده ماشاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به فانخرق من الماء كما يقول من سمعه ما ان له حسا كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه قال وحدثنى محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمى أن عبد الله بن مسعود كان يحدث قال قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال فرأيت شعلة من نار فى ناحية العسكر قال فاتبعتها أنظر اليها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر واذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات واذاهم قد حفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه اليه وهو يقول ادنيا الى أخاكما فدلياه اليه فلما هياه لشقه قال اللهم انى قد أمسيت راضيا عنه فارض عنه قال يقول عبد الله بن مسعود ياليتنى كنت صاحب الحفرة «قال ابن هشام» وانما سمى ذا البجادين لانه كان ينازع الى الاسلام فيمنعه قومه من ذلك و يضيقون عليه حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره والبجاد الكساء الغليظ الجافى فهرب منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريبا منه شق بجاده باثنين فاتزر بواحد واشتمل بالآخر ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ذو البجادين لذلك والبجاد أيضا المسح «قال ابن هشام» قال امرؤ القيس

كأن أبانا عرانين ودقه * كبير أناس فى بجاد مزمل

وأكنافها ان لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامى واغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لاتعدل سارحتكم ولاتعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم بذلك الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين الضاحية أطراف الارض والمعامى مجهولها واغفال الارض مالا أثرلهم فيه من عمارة أونحوها والضامنة من النخل ماداخل بلدهم ولا يحظر عليكم النبات أى لاتمنعون من الرعى حيث شئتم ولاتعدل سارحتكم أى لاتحشر الى المصدق وانما أخذ منهم بعض هذه الارضين مع الحلقة وهى السلاح ولم يفعل ذلك مع أهل الطائف حين جاؤا تائبين لان هؤلاء ظهر عليهم واخذ ملكهم أسيرا ولكنه أبقى لهم من أموالهم ماتضمنه الكتاب لانه لم يقاتلهم حتى يأخذهم عنوة كما أخذ خيبر فلو كان الامر كذلك لكانت أموالهم كلها للمسلمين وكان له الخيار فى رقابهم كما تقدم ولوجاؤا اليه تائبين ايضاً قبل الخروج اليهم كما فعلت ثقيف ما أخذ من أموالهم شيئاً ولم يذكر ابن اسحق فى غزوة تبوك ما كان من أمر هرقل فان النبى صلى الله عليه وسلم كتب اليه من تبوك مع دحية بن خليفة ونصه مذكور فى الصحاح مشهور فامر هرقل مناديا ينادى ألا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الاجناد فى سلاحها وأطافت بقصره تريد قتله فارسل اليهم انى أردت أن أختبر صلابتكم فى دينكم فقد رضيت عنكم فرضوا عنه ثم كتب كتابا وأرسله مع دحية يقول فيه للنبى صلى الله عليه وسلم انى مسلم ولكنى مغلوب على أمرى وأرسل اليه بهدية فلما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم كتابه قال كذب عدو الله ليس بمسلم بل هو على نصرانيته وقبل هديته وقسمها بين المسلمين وكان لايقبل هدية مشرك محارب وانما قبل هذه لانها فىء للمسلمين ولذلك قسمها عليهم ولوأتته فى بيته كانت له خالصة كما كانت هدية المقوقس خالصة

* قال ابن اسحق وذكر ابن شهاب الزهرى عن ابن أكيمة الليثى عن ابن أخى أبى رهم الغفارى أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة يقول غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فسرت ذات ليلة معه ونحن بالاخضر قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفزعنى دنوها منه مخافة أن أصيب رجله فى الغرز فطفقت أحوز راحلتى عنه حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ونحن فى بعض الليل فزاحمت راحلتى راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجله فى الغرز فما استيقظت الا بقوله حس فقلت يارسول الله استغفر لى فقال سر فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالنى عمن تخلف من بنى غفار فاخبره به فقال وهو يسالنى مافعل النفر الحمر الطوال الثطاط فحدثته بتخلفهم قال فما فعل النفر السود الجعاد القصار قال قلت والله ما أعرف هؤلاء منا قال بلى الذين لهم نعم بشبكة شدخ فتذكرتهم فى بنى غفار ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا فقلت يارسول الله أولئك رهط من أسلم حلفاء فينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من ابله امرأ نشيطا فى سبيل الله ان أعز أهلى على أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش والانصار وغفار وأسلم

خالصة له وقبلها من المقوقس لانه لم يكن محاربا للاسلام بل كان قد أظهر الميل الى الدخول فى الدين وقد رد هدية أبى براء ملاعب الاسنة وكان أهدى اليه فرسا وأرسل اليه انى قد أصابنى وجع أحسبه قال يقال له الدبيلة فابعث الى بشىء أتداوى به فارسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم بعكة عسل وأمره أن يستشفى به ورد عليه هديته وقال انى نهيت عن زبد المشركين وبعض أهل الحديث ينسب هذا الخبر لعامر بن الطفيل عدو الله وانما هو عمه عامر بن مالك وقوله عليه السلام عن زبد المشركين ولم يقل عن هديتهم يدل على انه انما كره ملاينتهم ومداهنتهم اذا كانوا حربا لان الزبد مشتق من الزبد كما أن المداهنة مشتقة من الدهن فعاد المعنى الى معنى اللين والملاينة ووجود الجد فى حربهم والمخاشنة وقد رد هدية عياض بن حماد المجاشعى قبل أن يسلم وفيها قال انى نهيت عن زبد المشركين وأهدى الى أبى سفيان عجوة واستهداه أدما فاهداه أبو سفيان وهو على شركه الادم وذلك فى زمن الهدنة التى كانت بينه وبين المسلمين فى صلح الحديبية وقد روى ان هرقل وضع كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب اليه فى قصبة من ذهب تعظيما له وانهم لم يزالوا يتوارثونه كابرا عن كابر فى أرفع صوان وأعز مكان حتى كان عند اذفونش الذى تغلب على طليطلة وما أخذ أخذها من بلاد الاندلس ثم كان عند ابن بنته المعروف بالسليطين حدثنى بعض أصحابنا انه حدثه من ساله رؤيته من قواد أجناد المسلمين كان يعرف بعبد الملك بن سعيد قال فاخرجه الى فاستعبرته واردت تقبيله وأخذه بيدى فمنعنى من ذلك صيانة له وضنا به على ويقال هرقل وهرقل

﴿ فصل ﴾ وذكر البكائين وذكر فيهم علبة بن زيد وفى رواية يونس ان علبة خرج من الليل فصلى ماشاء الله ثم بكى وقال اللهم انك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به مع رسولك ولم تجعل فى يد رسولك مايحملنى عليه وانى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى بها فى مال أو جسد أو عرض ثم أصبح مع الناس وقال النبى صلى الله عليه وسلم أين المتصدق فى هذه الليلة فلم يقم أحد ثم قال أين المتصدق فى هذه الليلة فليقم ولا يتزاهد ماصنع هذه الليلة فقام اليه فاخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم أبشر فوالذى نفس محمد بيده لقد كتب فى الزكاة المتقبلة وأما سالم بن عمير وعبد الله بن المغفل فرآهما يامين بن كعب يبكيان فزودهما وحملهما فلحقا بالنبى صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾ وقوله خبرا عن أبى رهم أصابت رجلى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجله فى الغرز فما استيقظت الا بقوله حس الغرز للرحل كالركاب للسرج وحس كلمة تقولها العرب عند وجود الالم وفى الحديث ان طلحة لما أصيبت يده يوم أحد قال حس فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو أنه قال بسم الله يعنى مكان حس لدخل الجنة والناس ينظرون أو كلاما هذا معناه وليست حس باسم ولا بفعل انها الا موضع لها من الاعراب وليست بمنزلة صه ومه ورويد لان تلك أسماء سمى الفعل بها وانما حس صوت كالانين الذى يخرجه المتألم نحو آه ونحو قول الغراب غاق وقد ذكرنا قبل فى اف وجهين أحدهما ان تكون من باب الاصوات مبنية كانه يحكى بها صوت النفخ والثانى ان يكون معرفة مثل تبا يراد بها الوسخ * وقوله السود الثطاط جمع ثط وهو الذى لا لحية له قال الشاعر * كهامة الشيخ اليمانى الثط * ونحو منه السناط ومن المحدثين من يرويه الشطاط وأحسبه تصحيفا * وقوله بشبكة شرخ موضع من بلاد غفار

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

* قال ابن اسحق ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر وحال شغل أو كما قال صلى الله عليه وسلم ولو قد قدمنا ان شاء الله لاتيناكم فصلينا لكم فيه فلما نزل بذى أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بنى سالم بن عوف ومعن بن عدى أو أخاه عاصم بن عدى أخا بنى العجلان فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك لمعن أنظرنى حتى أخرج اليك بنار من أهلى فدخل الى أهله فأخذ سعفا من النخل فاشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين الى آخر القصة وكان الذين بنوه اثنا عشر رجلا خذام بن خالد من بنى عبيد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق وثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد ومعتب بن قشير من بنى ضبيعة بن زيد وأبو حبيبة بن الازعر من بنى ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف وجارية بن عامر وابناه مجمع بن جارية وزيد بن جارية ونبتل بن الحرث من بنى ضبيعة وبحزج من بنى ضبيعة وبجاد بن عثمان من بنى ضبيعة ووديعة بن ثابت وهو من بنى أمية رهط أبى لبابة بن عبد المنذر وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة الى تبوك معلومة مسماة مسجد بتبوك ومسجد بثنية مداران ومسجد بذات الزراب ومسجد بالاخضر ومسجد بذات الخطمى ومسجد بالا ومسجد بطرف البتراء من ذنب كواكب ومسجد بالشق شق تارا ومسجد بذى الجيفة ومسجد بصدر حوضى ومسجد بالحجر ومسجد بالصعيد ومسجد بالوادى اليوم وادى القرى ومسجد بالرقعة من الشقة شقة بنى عذرة ومسجد بذى المروة ومسجد بالفيفاء ومسجد بذى خشب

﴿ فصل ﴾ وذكر المنافقين الذين اتخذوا مسجدا ضرارا * وذكر فيهم جارية بن عامر وكان يعرف بحمار الدار وهو جارية بن عامر بن مجمع بن العطاف * وذكر فيهم ابنه مجمعا وكان اذ ذاك غلاما حدثا قد جمع القرآن فقدموه اماما لهم وهو لا يعلم بشىء من شأنهم وقد ذكر ان عمر بن الخطاب فى أيامه أراد عزله عن الامامة وقال أليس بامام مسجد الضرار فاقسم له مجمع انه ما علم شيئا من أمرهم وما ظن الا الخير فصدقه عمر وأقره وكانت مساجد المدينة تسعة سوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يصلون باذان بلال كذلك قال بكير بن عبد الله الاشج فيما روى عنه أبو داود فى مراسيله والدارقطنى فى سننه فمنها مسجد راتج ومسجد بنى عبد الاشهل ومسجد بنى عمرو بن مبذول ومسجد جهينة وأسلم وأحسبه قال مسجد بنى سلمة وسائرها مذكور فى السنن وذكر ابن اسحق فى المساجد التى فى الطريق مسجدا بذى الخيفة كذا وقع فى كتاب أبى بحر بالخاء معجمة ووقع الجيفة بالجيم فى كتاب قرئ على ابن ابى سراج وابن الافليلى وأحمد بن خالد

﴿ فصل ﴾ وذكر الثلاثة الذين خلفوا ونهى الناس عن كلامهم وانما اشتد غضبه على من تخلف عنه ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاثة منهم وان كان الجهاد من فروض الكفاية لا من فروض الاعيان لكنه فى حق الانصار خاصة كان فرض عين وعليه بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم ألا تراهم يقولون يوم الخندق وهم يرتجزون

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

نحن

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعذرهم الله ولا رسوله واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة * قال ابن اسحق فذكر الزهرى محمد بن مسلم بن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان أباه عبد الله وكان قائد أبيه حين أصيب بصره قال سمعت أبى كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وحديث صاحبيه قال ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة غزاها قط غير انى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحدا تخلف عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج يريد عير قريش حتى جمع الله بينه وبين عدوه

على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب ان لى بها مشهد بدر وان كانت غزوة بدر هى أذكر فى الناس منها قال كان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك انى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا واستقبل غزو عدو كثير فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته واخبرهم خبره بوجهه الذى يريد والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعنى بذلك الديوان يقول لا يجمعهم ديوان مكتوب قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن أنه سيخفى له ذلك مالم ينزل فيه وحى من الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحبت الظلال فالناس اليها صعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه وجعلت أغدو لا تجهز معهم فارجع ولم أقض حاجة فاقول فى نفسى أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيأ فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم الحق بهم فغدوت بعد أن فصلوا لا تجهز فرجعت ولم أقض شيأ ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيأ فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا وتفرط الغزو فهممت أن أرتحل فادركهم وليتنى فعلت فلم أفعل وجعلت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم يحزننى أنى لا أرى الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ماقلت والله يارسول الله ماعلمنا منه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرنى بثى فجعلت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطة رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل وعرفت أن لا أنجو منه الا بالصدق فأجمعت أن أصدقه وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فجعلوا يحلفون له و يعتذرون وكانوا بضعة وثمانين رجلا فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وأيمانهم و يستغفر لهم و يكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فسلمت عليه فتبسم تبسم المغضب ثم قال لى تعاله فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى ما خلفك ألم تكن ابتعت ظهرك قال قلت يارسول الله والله انى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كذبا الترضين عنى وليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديثا صدقا تجد على فيه انى لارجو عقباى من الله فيه ولا والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدقت فيه فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار معى رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به اليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله مازالوا بى حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسى ثم قلت لهم هل لقى هذا أحد غيرى قالوا نعم رجلان قالا مثل مقالتك وقيل لهما مثل ماقيل لك قال قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمرى من بنى عمرو بن عوف وهلال بن أمية الواقفى فذكروا لى رجلين صالحين فيهما اسوة فصمت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لى نفسى والارض فماهى

ومن تخلف منهم يوم بدر انما تخلف لانهم خرجوا لاخذ عير ولم يظنوا أن سيكون قتال فكذلك كان تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزاة كبيرة لانها كالنكث لبيعتهم كذلك قال ابن بطال رحمه الله فى هذه المسئلة ولا أعرف لها وجها غير الذى قال وأما الثلاثة فهم كعب بن مالك بن أبى كعب واسم أبى كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الانصارى السلمى يكنى أبا عبد الله وقيل أبا عبد الرحمن أمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بنى سلمة أيضا وهلال بن أمية وهو من بنى واقف ومرارة بن ربيعة و يقال ابن الربيع العمرى الانصارى من بنى عمر بن عوف

﴿ فصل ﴾ وذكر قول كعب زاح عنى الباطل يقال زاح وانزاح اذا ذهب والمصدر زيوحا وزيحانا

بالارض التى كنت أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين وأطوف بالاسواق ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ثم أصلى قريبا منه فاسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظر الى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال ذلك على من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم انى أحب الله ورسوله فسكت فعدت فناشدته فسكت عنى فعدت فناشدته فسكت عنى فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناى وثبت فتسورت الحائط ثم غدوت الى السوق فبينا انا امشى بالسوق واذا نبطى يسال عنى من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فجعل الناس يشيرون له حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك غسان وكتب كتابا فى سرقة من حرير فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال قلت حين قرأتها وهذا من البلاء أيضا قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك قال فعمدت بها الى تنور فسجرته بها فاقمنا على ذلك حتى اذا مضت أربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك أن تعتزل امرأتك قال قلت أطلقها أم ماذا قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل الى صاحبى بمثل ذلك فقلت لامرأتى الحقى باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر ما هو قاض قال وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له أفتكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك قالت والله يا رسول الله ما به من حركة الى والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا ولقد تخوفت على بصره قال فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال قلت والله لا أستاذنه فيها ما أدرى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثنا بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ثم صليت الصبح صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا على الحال التى ذكر الله منا قد ضاقت علينا الارض بما رحبت وضاقت على نفسى وقد كنت ابتنيت خيمة فى ظهر سلع فكنت أكون فيها اذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب نحو صاحبى مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من أسلم حتى أوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبى فكسوتهما اياه بشارة ووالله ما أملك يومئذ غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقانى الناس يبشروننى بالتوبة ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام ابو طلحة بن عبد الله فحيانى وهنانى ووالله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ووجهه يبرق من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال بل من عند الله قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استبشر كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتى الى الله عز وجل أن أنخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال قلت انى ممسك سهمى الذى بخيبر وقلت يا رسول الله ان الله قد نجانى بالصدق وان من توبتى الى الله أن لا أحدث الا صدقا ما حييت والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلانى والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجوا أن يحفظنى الله فيما بقى وأنزل الله تعالى لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين

احداهما عن الاصمعى والاخرى عن الكسائى * وقوله فقام الى طلحة بن عبيد الله يهنئنى فكان كعب يراها له فيه جواز السرور بالقيام الى الرجل كما سر كعب بقيام طلحة اليه وقد قال عليه السلام فى خبر سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم وقام هو صلى الله عليه وسلم الى قوم منهم صفوان بن أمية حين قدم عليه والى عدى ابن حاتم والى زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكة وغيرهم وليس هذا بمعارض لحديث معاوية عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ويروى يستجم له الرجال لان هذا الوعيد

خلفوا الى قوله وكونوا مع الصادقين قال كعب فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هدانى للاسلام كانت أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أن لا أكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا فان الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شر ما قال لاحد قال سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فعذرهم واستغفر لهم وارجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ما قضى فبذلك قال الله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه ايانا وارجائه أمرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه

﴿ أمر وفد ثقيف واسلامها فى شهر رمضان سنة تسع ﴾

* قال ابن اسحق وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل الى المدينة فاسلم وساله أن يرجع الى قومه بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتحدث قومه انهم قاتلوك وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم فقال عروة يا رسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم « قال ابن هشام » ويقال من أبصارهم * قال ابن اسحق وكان فيهم كذلك محببا مطاعا فخرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء ان لا يخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فاصابه سهم فقتله فتزعم بنو مالك انه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف أخو بنى سالم بن مالك وتزعم الاحلاف أنه قتله رجل منهم من بنى عتاب بن مالك يقال له وهب بن جابر فقيل لعروة ما ترى فى دمك قال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله الى فليس فى الا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنونى معهم فدفنوه معهم فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه ان مثله فى قومه لكمثل صاحب يس فى قومه ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة اشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم ورأوا انه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا حدثنى يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أن عمرو بن أمية أخا بنى علاج كان مهاجر العبد ياليل بن عمرو الذى بينهما سيء وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب فمشى الى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره ثم أرسل اليه ان عمرو بن أمية يقول لك اخرج الى قال فقال عبد ياليل للرسول ويلك أعمرو أرسلك الى قال نعم وها هو ذا واقفا فى دارك فقال ان هذا الشىء ما كنت اظنه بعمرو ولعمرو كان أمنع فى نفسه من ذلك فخرج اليه فلما رآه رحب به فقال له عمرو انه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة انه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت وقد أسلمت العرب كلها وليست لكم بحربهم طاقة فانظروا فى أمركم فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها وقال بعضهم لبعض أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم أحد الا اقتطع فائتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كما أرسلوا عروة فكلموا عبد ياليل بن عمرو وكان سن عروة بن مسعود وعرضوا ذلك فابى أن يفعل وخشى أن يصنع به اذا رجع كما صنع بعروة فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا فاجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الاحلاف وثلاثة من بنى مالك فيكونوا ستة فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دهمان أخا بنى يسار وأوس بن عوف أخا بنى سالم ونمير بن خرشة بن ربيعة أخا بنى الحرث فخرج بهم عبد ياليل وهو ناب القوم وصاحب أمرهم ولم يخرج بهم الا خشية من مثل ما صنع بعروة بن مسعود لكى يشغل كل رجل منهم اذا رجعوا الى الطائف رهطه فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة ألفوا بها المغيرة بن شعبة يرعى فى نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت رعيتها نوبا على أصحابه صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين وصبر يشتد

الوعيد انما توجه للمتكبرين والى من يغضب أو يسخط الا يقام له وقد قال بعض السلف يقام الى الوالد برا به والى الولد سرورا به وصدق هذا القائل فان فاطمة رضى الله عنها كانت تقوم الى أبيها صلى الله عليه وسلم برا به وكان هو صلى الله عليه وسلم يقوم اليها سرورا بها رضى الله عنها وكذلك كل قيام أثمره الحب فى الله والسرور بأخيك بنعمة الله والبر بمن يحب بره فى الله تبارك وتعالى فانه خارج عن حديث النهى والله أعلم

﴿ اسلام ثقيف ﴾

فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عروة بن مسعود حين قتل مثله كمثل صاحب ياسين فى قومه يحتمل قوله

ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والاسلام بان يشرط لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شروطا و يكتتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فى قومهم و بلادهم وأموالهم فقال أبو بكر للمغيرة أقسمت عليك بالله لا تسبقنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل المغيرة فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة الى أصحابه فروح الظهر معهم وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفعلوا الا بتحية الجاهلية ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده كما يزعمون فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكتتبوا كتابهم وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم وقد كان فيما سألوه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة و يأبى عليهم حتى سالوا شهرا واحدا بعد مقدمهم فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى وانما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفائهم ونسائهم وذراريهم و يكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلها الاسلام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يبعث أباسفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها وقد كانوا سالوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وان لا يكسروا أوثانهم بايديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كسر أوثانكم بايديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة فانه لا خير فى دين لا صلاة فيه فقالوا يا محمد فسنؤتيكها وان كانت دناءة

صلى الله عليه وسلم كمثل صاحب ياسين ان يريد به المذكور فى سورة ياسين الذى قال لقومه اتبعوا المرسلين فقتله قومه واسمه حبيب بن مرى ويحتمل أن يريد صاحب الياس وهو اليسع فان الياس يقال فى اسمه ياسين أيضا وقال الطبرى هو الياس بن ياسين وفيه قال الله تبارك وتعالى «سلام على آل ياسين» فالله أعلم وقد بينا فى التعريف والاعلام معنى الياس والياسين وآل ياسين بيانا شافيا وأوضحنا خطأ قول من قال ان الياسين جمع كالاشعرين وضعف قول من قال ان ياسين هو محمد صلى الله عليه وسلم فلينظر هنالك وكانت تحت عروة ميمونة بنت أبى سفيان فولدت له أبا مرة بن عروة و بنت أبى مرة هى ليلى امرأة الحسين ابن على عليهما السلام ولدت للحسين عليا الاكبر قتل معه بالطف وأما على الاصغر فلم يقتل معه وأمه أم ولد واسمها سلافة وهى بنت كسرى ابن يزدجرد واختها الغزال هى أم أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام

﴿ فصل ﴾ وذكر اسلام ثقيف وهدم طاغيتهم وهى اللات وان المغيرة وأبا سفيان هما اللذان هدماها وذكر بعض من ألف فى السير ان المغيرة قال لابى سفيان حين هدمها الا أضحكك من ثقيف فقال بلى فأخذ المعول وضرب به اللات ضربة ثم صاح وخر على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سرورا بان اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم انها تهلك من عاداها و يحكم الآخرون ما تصنع فقام المغيرة يضحك منهم و يقول لهم يا خبثاء والله ما قصدت الا الهزء بكم ثم اقبل على هدمها حتى استأصلها واقبلت عجائز ثقيف تبكى حولها وتقول اسلمها الرضاع اذ كرهوا المصاع اى أسلمها اللئام حين كرهوا القتال

شهادة

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبى العاص وكان من أحدثهم سنا وذلك انه كان أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن * قال ابن اسحق وحدثنى عيسى بن عبد الله عن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى عن بعض وفدهم قال كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقى من رمضان بفطرنا وسحورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتينا بالسحور وانا لنقول انا لنرى الفجر قد طلع فيقول قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر لتأخير السحور و يأتينا بفطرنا وانا لنقول ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد فيقول ما جئتكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضع يده فى الجفنة فيلتقم منها «قال ابن هشام» بفطورنا وسحورنا * قال ابن اسحق وحدثنى سعيد بن أبى هند عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عثمان بن أبى العاص قال كان من آخر ما عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثنى على ثقيف أن قال يا عثمان تجاوز فى الصلاة واقدر الناس باضعفهم فان فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة * قال ابن اسحق فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم راجعين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فى هدم الطاغية فخرجا مع القوم حتى اذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن

يقدم أباسفيان فابى ذلك أبو سفيان عليه وقال ادخل أنت على قومك وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرم فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول وقام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع * أسلمها الرضاع * لم يحسنوا المصاع «قال ابن هشام» لتبكين عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفاس واهالك آهالك فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل الى أبى سفيان وحليها مجموع وما لها من الذهب والجزع وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الاسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف وأن لا يجامعاهم على شئ أبدا فاسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم توليا من شئتما فقالا نتولى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالكما أبا سفيان بن حرب فقالا وخالنا أبا سفيان فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة الى هدم الطاغية سال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال له قارب بن الاسود وعن الاسود يارسول الله فاقضه وعروة والاسود اخوان لاب وأم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسود مات مشركا فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله لكن تصل مسلما ذا قرابة يعنى نفسه انما الدين على وانما أنا الذى أطلب به فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والاسود من مال الطاغية فلما جمع المغيرة مالها قال لابى سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عروة والاسود دينهما فقضى عنهما * وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده لا يعضد من وجد يفعل شيأ من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه فان تعدى ذلك فانه يؤخذ فيبلغ به النبى محمدا وان هذا أمر النبى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب خالد بن سعيد بامر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعده أحد يظلم نفسه فيما أمره به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾ وذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف وذكره ابو عبيد كما ذكره ابن اسحاق وذكر فيه شهادة على وابنيه الحسن والحسين قال وفيه من الفقه شهادة الصبيان وكتابة اسمائهم قبل البلوغ وانما تقبل شهادتهم اذا أدوها بعد البلوغ وفيه من الفقه ايضا شهادة الابن مع شهادة ابيه فى عقد واحد * وذكر فى الكتاب وجا وانه حرام عضاهه وشجره يعنى حراما على غير أهله كتحريم المدينة ومكة ووج هى ارض الطائف وهى التى جاء فيها الحديث ان آخر وطأة وطئها الرب بوج ومعناها عند بعضهم آخر غزوة ووقعة كانت بارض العرب بوج لانها آخر غزواته صلى الله عليه وسلم الى العرب وقد قيل فى معنى الحديث غير هذا مما ذكره القتبى ونحن نضرب عن ذكره لما فيه من ايهام التشبيه والله المستعان وقد قيل فى وج هى الطائف نفسها وقيل هو اسم لواديها ويشهد لهذا القول قول اميه بن الاسكر

اذا يبكى الحمام ببطن وج * على بيضاته بكيا كلابا

وقال آخر اتهدى لى الوعيد ببطن وج * كانى لا اراك ولا ترانى

وقد ألفيت فى نسخة الشيخ وجا بتخفيف الجيم والصواب تشديدها كما تقدم وقال امية بن ابى الصلت

ان وجا وما يلى بطن وج * دار قومى ربوة ورثوق

وسميت وجا فيما ذكروا بوج بن عبد الحى من العمالقة ويقال وج وأج بالهمزة قاله يعقوب فى كتاب الابدال وكتابه صلى الله عليه وسلم لاهل الطائف اطول مما ذكره ابن اسحاق بكثير وقد أورده ابو عبيد بكماله فى كتاب الاموال

﴿ انزال سورة براءة ﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم من تبوك فذكر مخالطة المشركين للناس فى حجهم

﴿ حج أبى بكر رضى الله عنه بالناس سنة تسع واختصاص النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه بتادية أول براءة عنه وذكر براءة والقصص فى تفسيرها ﴾

* قال ابن اسحق ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين ونزلت براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم أن لا يصد عن البيت أحد جاءه ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص الى آجال مسماة فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه فى تبوك وفى قول من قال منهم فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا

يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا فقال عز وجل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين أى لأهل العهد العام من أهل الشرك فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله أى بعد هذه الحجة فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من المشركين أى العهد الخاص الى الاجل المسمى ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعنى الاربعة التى ضرب لهم أجلا فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان أحد من المشركين أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون ثم قال كيف يكون للمشركين الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا تخيفوهم فى الحرمة ولا فى الشهر الحرام عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهى قبائل بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية الى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقضها الا هذا الحى من قريش وبنو الديل من بنى بكر بن وائل الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم فامر باتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر الى مدته فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ثم قال تعالى كيف وان يظهروا عليكم أى المشركون الذين لا عهد لهم الى مدة من أهل الشرك العام لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة «قال ابن هشام» الال الحلف قال أوس بن حجر أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم آخرها

لولا بنو مالك والال مرقبة * ومالك فيهم الآلاء والشرف

وهذا البيت فى قصيدة له وجمعه آلال قال الشاعر

فلا آل من الآلال بينى * وبينكم فلا تألن جهدا

والذمة العهد قال الأجدع بن مالك الهمدانى وهو أبو مسروق بن الأجدع الفقيه

وكان علينا ذمة ان تجاوزوا * من الارض معروفا الينا ومنكرا

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له وجمعها ذمم يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون أى قد اعتدوا عليكم فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون * قال ابن اسحق وحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه انه قال لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم للناس الحج قيل له يا رسول الله لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ثم دعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه فقال له اخرج بهذه القصة

وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت وكانوا يقصدون بذلك أن يطوفوا كما ولدوا وبغير الثياب التى أذنبوا فيها وظلموا فامسك صلى الله عليه وسلم عن الحج فى ذلك العام وبعث أبا بكر رضى الله عنه بسورة براءة لينبذ الى كل ذى عهد عهده من المشركين الا بعض بنى بكر الذين كان لهم عهد الى أجل خاص ثم أردف بعلى رضى الله عنه فرجع أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله هل أنزل فى قرآن قال لا ولكن أردت ان يبلغ عنى من هو من أهل بيتى قال أبو هريرة فامرنى على رضى الله عنه ان أطوف فى المنازل من منى ببراءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى فقيل له بم كنت تنادى فقال باربع الا يدخل الجنة الا مؤمن والا يحج بعد هذا العام مشرك والا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى سترون بعد الاربعة أشهر بانه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن والضرب ثم ان الناس فى تلك المدة رغبوا فى الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا وكرها وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام القابل وحج المسلمون وقد عاد الدين كله واحدا لله رب العالمين * وأما النداء فى أيام التشريق بانها أيام أكل وشرب وفى بعض الروايات أكل وشرب وبعال فان الذى أمر أن ينادى بذلك فى أيام التشريق هو كعب بن مالك وأوس بن الحدثان وفى الصحيح ان زيد بن مربع [ويقال فيه أيضا عبد الله بن مربع] كان ممن أمر ان ينادى بذلك وروى مثل ذلك عن بشر بن سحيم الغفارى وقد روى أن حذيفة كان المنادى بذلك وعن سعد بن أبى وقاص أيضا وبلال ذكر بعض ذلك البزار فى مسنده وقد قيل فى قوله تعالى «فاذا انسلخ الاشهر الحرم» انه أراد ذا الحجة والمحرم من ذلك العام وانه جعل ذلك أجلا لمن لا عهد له من المشركين ومن كان له عهد جعل له أربعة أشهر أولها يوم النحر من ذلك العام وقوله تعالى «يوم الحج الاكبر» قيل أراد حين الحج أى أيام الموسم كلها لان نداء على بن أبى طالب ببراءة كان فى تلك الايام

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحاق ما أنزل الله فى سورة براءة فى غزوة تبوك وأهل التفسير يقولون ان

من صدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى انه لايدخل الجنة كافر ولايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهوله الى مدته فخرج على بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال أمير أومامور فقال بل مامور ثم مضيا فاقام أبو بكر للناس الحج والعرب اذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج التى كانوا عليها فى الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فاذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس انه لايدخل الجنة كافر ولايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهوله الى مدته وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم الى مامنهم أو بلادهم ثم لاعهد لمشرك ولاذمة الا احد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فهوله الى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فكان هذا من امر براءة فيمن كان من أهل الشرك من اهل العهد العام واهل المدة الى الاجل المسمى * قال ابن اسحق ثم امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد اهل الشرك ممن نقض من اهل العهد الخاص ومن كان من اهل العهد العام بعد الاربعة الاشهر التى ضرب لهم اجلا الا ان يعدو فيها عاد منهم فيقتل بعدائه فقال ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة أتخشونهم فالله أحق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون « قال ابن هشام » وليجة دخيل وجمعها ولائج وهو من ولج يلج أى دخل يدخل وفى كتاب الله عز وجل حتى يلج الجمل فى سم الخياط أى يدخل يقول لم يتخذوا دخيلا من دونه يسرون اليه غير مايظهرون نحو مايصنع المنافقون يظهرون الايمان للذين آمنوا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم قال الشاعر واعلم بانك قدجعلت وليجة * ساقوا اليك الحتف غيرمشوب قال ابن اسحق ثم ذكر قول قريش انا أهل الحرم وسقاة الحاج وعمار هذا البيت فلا أحد أفضل منا فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أى ان عمارتكم ليست على ذلك وانما يعمر مساجد الله أى من عمرها بحقها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله أى فاولئك عمارها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وعسى من الله حق ثم قال تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لايستوون عند الله ثم القصة عن عدوهم حتى انتهى الى ذكر حنين وما كان فيه وتوليهم عن عدوهم وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ثم قال تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة وذلك ان الناس قالوا لتنقطعن عنا الاسواق فلتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق فقال الله عز وجل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله أى من وجه غير ذلك ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون أى ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع الاسواق فعوضهم الله مما قطع عنهم بامر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه حتى انتهى الى قوله تعالى ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم * ثم ذكر النسىء وما كانت العرب أحدثت فيه والنسىء ما كان يحل مما حرم الله تعالى من الشهور ويحرم مما احل الله منها فقال ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم أى لاتجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما أى كما فعل أهل الشرك فانما النسىء الذى كانوا يصنعون زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لايهدى القوم الكافرين * ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها وما أعظموا من غزو الروم حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جهادهم ونفاق من نافق من المنافقين حين دعوا الى مادعوا اليه من الجهاد ثم ما نعى عليهم من احداثهم فى الاسلام فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ثم القصة الى قوله تعالى يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم الى قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى

آخرها نزل قبل أولها فان أول ما نزل منها «انفروا خفافا وثقالا» ثم نزل أولها فى نبذ كل عهد الى صاحبه كما تقدم * وقوله انفروا خفافا وثقالا فيه أقوال قيل معناه شبانا وشيوخا وقيل أغنياء وفقراء وقيل أصحاب

اثنين اذ هما فى الغار * ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر أهل النفاق لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون أى انهم يستطيعون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين الى قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم « قال ابن هشام » أوضعوا خلالكم ساروا بين أضعافكم الايضاع ضرب من السير أسرع من المشى قال الاجدع بن مالك الهمدانى

يصطادك الواحد المدل بشأوه * بشريج بين الشد والايضاع

وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف فيما بلغنى منهم عبد الله بن أبى ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا فى قومهم فثبطهم الله لعلمه ان يخرجوا معه فيفسدوا عليه جنده وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرفهم فيهم فقال تعالى وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل أى من قبل أن يستاذنوك وقلبوا لك الامور أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وكان الذى قال ذلك فيما سمى لنا الجد بن قيس أخو بنى سلمة حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جهاد الروم ثم كانت القصة الى قوله تعالى لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون أى انما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم * ثم بين الصدقات لمن هى وسمى أهلها فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم * ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وكان الذى يقول تلك المقالة فيما بلغنى نبتل بن الحرث أخو بنى عمرو بن عوف وفيه نزلت هذه الآية وذلك انه كان يقول انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه يقول الله تعالى قل أذن خير لكم أى يسمع الخير ويصدق به ثم قال تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ثم قال ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن الى قوله تعالى ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة وكان الذى قال هذه المقالة وديعة بن ثابت أخو بنى أمية بن زيد من بنى عمرو بن عوف وكان الذى عفى عنه فيما بلغنى مخشن بن حمير الاشجعى حليف بنى سلمة وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع منهم ثم القصة من صفتهم حتى انتهى الى قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير الى قوله من ولى ولا نصير وكان الذى قال تلك المقاله الجلاس بن سويد بن صامت فرفعها عليه رجل كان فى حجره يقال له عمير بن سعد فانكرها وحلف بالله ما قالها فلما نزل فيهم القرآن ناب ونزع وحسنت حاله وتوبته فيما بلغنى ثم قال تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بنى عمرو بن عوف ثم قال الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب فى الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق باربعة آلاف درهم وقام عاصم بن عدى فتصدق بمائة وسق من تمر فلمزوهما وقالوا ما هذا الا رياء وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف أتى بصاع من تمر فافرغها فى الصدقة فتضاحكوا به وقالوا ان الله لغنى عن صاع أبى عقيل ثم ذكر قول بعضهم لبعض حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر بالسير الى تبوك على شدة الحر وجدب البلاد فقال تعالى وقالوا لا تنفروا فى الحر يقول الله عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون الى قوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم * قال ابن اسحق حدثنى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال سمعت عمر بن

شغل وغير ذى شغل * وقيل ركبانا ورجالة * وأنشد شاهدا على أوضعوا خلالكم للاجدع بن ملك والد مسروق بن الاجدع وقد غير عمر رضى الله عنه اسم الاجدع وقال الاجدع اسم شيطان فسماه عبد الرحمن ويكنى مسروق أبا عائشة * وقوله فى البيت يصطادك الواحد أى يصطاد بك وأراد بالواحد الثور الوحشى * وقوله بشريج بين الشد والايضاع يقال هما شريجان أى مختلفان وقبل هذا البيت بابيات فى شعر الاجدع

أسألتنى بركائبى ورحالها * ونسيت قتلى فوارس الارباع

وذكره أبو على فى الامالى فقال وسألتنى بالواو وقد خطؤه وقالوا انما هو أسألتنى وفوارس الارباع قد سماهم أبو على فى الامالى وذكر لهم خبرا * وذكر قوله تعالى «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» وقيل فيه

الخطاب يقول لما توفى عبدالله بن أبى دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت فى صدره فقلت يارسول الله أتصلى على عدو الله عبدالله بن أبى ابن سلول القائل كذا يوم كذا والقائل كذا يوم كذا أعدد أيامه له ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا أكثرت قال ياعمر أخر عنى انى قد خيرت فاخترت قد قيل لى استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر لهم فلو أعلم انى ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت لى ولجراءتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله * قال ابن اسحق ثم قال تعالى واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وكان ابن ابى من أولئك فنعى الله ذلك عليه وذكره منه ثم قال تعالى لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله الى آخر القصة وكان المعذرون فيما بلغنى نفرا من بنى غفار منهم خفاف بن ايماء بن رحضة ثم كانت القصة لاهل العذر حتى انتهى الى قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما احملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون وهم البكاؤن ثم قال تعالى انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون والخوالف النساء ثم ذكر خلفهم للمسلمين واعتذارهم فقال فاعرضوا عنهم الى قوله تعالى فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ثم ذكر الاعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين فقال ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق أى من صدقة أو نفقة فى سبيل الله مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ثم ذكر الاعراب أهل الاخلاص والايمان منهم فقال ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم ثم ذكر السابقين الاولين من المهاجرين والانصار وفضلهم وما وعدهم الله من حسن ثوابه اياهم ثم ألحق بهم التابعين لهم باحسان فقال رضى الله عنهم ورضوا عنه ثم قال تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق أى لجوا فيه وأبوا غيره سنعذبهم مرتين والعذاب الذى أوعدهم الله تعالى مرتين فيما بلغنى غمهم بما هم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ثم عذابهم فى القبور اذا صاروا اليها ثم العذاب العظيم الذى يردون اليه عذاب النار والخلد فيه ثم قال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ثم قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الى آخر القصة ثم قال تعالى وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهم الثلاثة الذين خلفوا وأرجا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم ثم قال تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الى آخر القصة ثم قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ثم كان قصة الخبر عن تبوك وما كان فيها الى آخر السورة وكانت براءة تسمى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعده المبعثرة لما كشفت من سرائر الناس وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال حسان بن ثابت يعدد أيام الانصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه «قال ابن هشام» وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان

ألست خير معد كلها نفرا * ومعشرا ان هم عموا وان حصلوا
قوم هم شهدوا بدرا باجمعهم * مع الرسول فما ألوا وما خذلوا

فيه أربعة أقوال أيضاً * أحدها ان يؤديها الذمى بنفسه ولا يرسلها مع غيره * الثانى ان يؤديها قائما والذى يأخذها قاعدا * الثالث ان معناه عن قهر واذلال * الرابع ان معناه عن يد منكم أى انعام عليهم بحقن دمائهم وأخذ الجزية منهم بدلا من القتل كل هذه الاقوال مذكورة فى كتب المفسرين ولفظ الآية يتناول جميع هذه المعانى والله أعلم ومعنى قوله تعالى فى هذه الآية قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وان كان أهل الكتاب يصدقون بالآخرة فمعناه فيما ذكر ابن سلام ان أهل الكتاب لا يقولون باعادة الاجساد ويقولون ان الارواح هى التى تبعث دون الاجساد

﴿ فصل ﴾ وذكر فى المعذرين خفاف بن ايماء بن رحضة ويقال فيه رحضة بالضم ابن خربة وكان له ولابيه ايماء ولجده رحضة صحبة مات خفاف فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان اماما لبنى غفار وذكر أبا عقيل صاحب الصاع الذى لمزه المنافقون واسمه جثجاث * وقد قيل فى صاحب الصاع انه رفاعة بن سهل

﴿ فصل ﴾ وذكر كلمة حسان الميمية وفيها * ألست خير معد كلها نفرا * وحسان ليس من معد

وبايعوه فلم ينكث به أحد * منهم ولم يك فى أيمانهم دخل
ويوم صبحهم فى الشعب من أحد * ضرب رصين كحر النار مشتعل
ويوم ذى قرد يوم استثار بهم * على الجياد فما خاموا وما نكلوا
وذا العشيرة جاسوها بخيلهم * مع الرسول عليها البيض والاسل
ويوم ودان أجلوا أهله رقصا * بالخيل حتى نهانا الحزن والجبل
وليلة طلبوا فيها عدوهم * لله والله يجزيهم بما عملوا
وغزوة يوم نجد ثم كان لهم * مع الرسول بها الاسلاب والنفل
وليلة بحنين جالدوا معه * فيها يعلهم بالحرب اذ نهلوا
وغزوة القاع فرقنا العدو به * كما تفرق دون المشرب الرسل
ويوم بويع كانوا أهل بيعته * على الجلاد فآسوه وما عدلوا
وغزوة الفتح كانوا فى سريته * مرابطين فما طاشوا وما عجلوا
ويوم خيبر كانوا فى كتيبته * يمشون كلهم مستبسل بطل
بالبيض ترعش فى الايمان عارية * تعوج فى الضرب أحيانا وتعتدل
ويوم سار رسول الله محتسبا * الى تبوك وهم راياته الاول
وساسة الحرب ان حرب بدت لهم * حتى بدا لهم الاقبال والقفل
أولئك القوم أنصار النبى وهم * قومى أصير اليهم حين أتصل
ماتوا كراما ولم تنكث عهودهم * وقتلهم فى سبيل الله اذ قتلوا

«قال ابن هشام» عجز آخرها بيتا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضاً

كنا ملوك الناس قبل محمد * فلما أتى الاسلام كان لنا الفضل
وأكرمنا الله الذى ليس غيره * اله بأيام مضت ما لها شكل
بنصر الاله والرسول ودينه * وألبسناه اسما مضى ما له مثل
أولئك قومى خير قوم بأسرهم * فما عد من خير فقومى له أهل
يربون بالمعروف معروف من مضى * وليس عليهم دون معروفهم قفل
اذا اختبطوا لم يفحشوا فى نديهم * وليس على سؤالهم عندهم بخل
وان حاربوا أو سالموا لم يشبهوا * فحربهم حتف وسلمهم سهل
وجارهم موف بعلياء بيته * له ما ثوى فينا الكرامة والبذل
وحاملهم موف بكل حمالة * تحمل لا غرم عليها ولا خذل

ولكن أراد ألست خير الناس فاقام معد الكثير بها مقام الناس * وفيها وناد جهارا ولا تحتشم وفيها رد على من زعم ان الحشمة لا تكون الا بمعنى الغضب وانها مما يضعها الناس غير موضعها وقد جاء عن ابن عباس لكل طاعم حشمة فابدؤه باليمين وفى الحديث المرفوع لا يرفعن أحدكم يده عن الطعام قبل أكيله فان ذلك مما يحشمه وأنشد ابو الفرج لمحمد بن يسير وان كان ليس مثل حسان فى الحجة

فى انقباض وحشمة فاذا * جالست اهل الوفاء والكرم
ارسلت نفسى على سجيتها * وقلت ماشئت غير محتشم

وفيها قوله
وكانوا ملوكا ولم يملكوا * من الدهر يوما كحل القسم

فيه شاهد لما قاله ابن قتيبة فى تفسير كحلة القسم وخلافه لابى عبيد وقد قدمنا قولهما فيما تقدم من شرح قصيدة كعب بن زهير * وأنشد ابن قتيبة

وقائلهم بالحق ان قال قائل * وحلمهم عود وحكمهم عدل اذا
ومنا أمين المسلمين حياته * ومن غسلته من جنابته الرسل

«قال ابن هشام» وقوله وألبسناه اسما عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضاً

قومى أولئك ان تسألى * كرام اذا الضيف يوما ألم
عظام القدور لايسارهم * يكبون فيها المسن السنم
يواسون جارهم فى الغنى * ويحمون مولاهم ان ظلم
فكانوا ملوكا بارضيهم * ينادون عضبا بامر غشم
ملوكا على الناس لم يملكوا * من الدهر يوما كحل القسم
فانبوا بعاد وأشياعها * ثمود وبعض بقايا ارم
بيثرب قد شيدوا فى النخيـ * ـل حصونا ودجن فيها النعم
نواضح قد علمتها اليهو * د عل اليك وقولا هلم
وفيما اشتهوا من عصير القطا * ف والعيش رخوا على غيرهم
فسرنا اليهم باثقالنا * على كل فحل هجان قطم
جنبنا بهن جياد الخيو * ل قد جللوها جلال الادم
فلما أناخوا بجنبى صرار * وشدوا السروج بلى الحزم
فما راعهم غير معج الخيو * ل والزحف من خلفهم قد دهم
فطاروا سراعا وقد أفزعوا * وجئنا اليهم كاسد الاجم
على كل سلهبة فى الصيان * لا يشتكين نحول السائم
وكل كميت مطار الفؤاد * أمين الفصوص كمثل الزلم
عليها فوارس قد عودوا * قراع الكماة وضرب البهم
ملوك اذا غشموا فى البلا * د لا ينكلون ولكن قدم
فابنا بساداتهم والنساء * واولادهم فيهم تقتسم
ورثنا مساكنهم بعدهم * وكنا ملوكا بها لم نرم

فلما أتانا الرسول الرشيد بالحق والنور بعد الظلم
فقلنا صدقت رسول المليك هلم الينا وفينا أقم
فنشهد انك عبد الاله أرسلت نورا بدين قيم
فانا وأولادنا جنة نقيك وفى مالنا فاحتكم
فنحن أولئك ان كذبوك فناد نداء ولا تحتشم
وناد بما كنت أخفيته نداء جهارا ولا تكتتم
فسار الغواة باسيافهم اليه يظنون ان يخترم
فقمنا اليهم باسيافنا نجالد عنه بغاة الامم
بكل صقيل له ميعة رقيق الذباب عضوض خذم
اذاما يصادف صم العظا م لم ينب عنها ولم ينثلم
فذلك ماورثتنا القرو م مجدا تليدا وعزا أشم
اذامر نسل كفى نسله وغادر نسلا اذاما انفصم
فما ان من الناس الا لنا * عليه وان خاس فضل النعم

«قال ابن هشام» أنشدنى أبوزيد الانصارى بيته فكانوا ملوكا بارضهم * ينادون عضبا بامر غشم وأنشدنى بيثرب قد شيدوا فى النخيل حصونا ودجن فيها النعم و بيته وكل كميت مطارد الفؤاد عنه

﴿ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح﴾

* قال ابن اسحق لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف و بايعت ضربت اليه وفود العرب من كل وجه «قال ابن هشام» حدثنى أبو عبيدة ان ذلك فى سنة تسع وانها كانت تسمى سنة الوفود

* قال ابن اسحق وانما كانت العرب تربص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن قريشا كانوا امام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقادة العرب لا ينكرون ذلك وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الاسلام عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته فدخلوا فى دين الله كما قال الله عز وجل أفواجا يضربون اليه من كل وجه يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح و رأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره انه كان توابا ﴿قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات﴾ فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى فى أشراف

اذا عصفت ريح فليس بقائم * بها وتد الا تحلة مقسم

وأنشد أيضا * قليلا كتحليل الالى ثم أصبحت * البيت * وقوله وعز أشم هو كقول العرب عزة قعساء يريد شماء لان الاقعس الذى يخرج صدره و يدخل ظهره وقد فسره المبرد غير هذا التفسير و بيت حسان يشهد لما قلناه انما هو الشمم الذى يوصف به ذو العزة فوصفت العزة به مجازا

﴿فصل﴾ وذكر سورة اذا جاء نصر الله وتفسيره لها فى الظاهر خلاف ما ذكره ابن عباس حين سأله عمر عن تأويلها فاخبره ان الله تعالى أعلم فيها نبيه عليه السلام بانقضاء أجله فقال له عمر ما أعلم منها الا ما قلت وظاهر هذا الكلام يدل على ما قاله ابن عباس وعمر لان الله تعالى لم يقل فاشكر ربك واحمده كما قال ابن اسحق انما قال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فهذا أمر لنبيه عليه السلام بالاستعداد للقاء ربه تعالى والتوبة اليه ومعناها الرجوع عما كان بسبيله مما أرسل به من اظهار الدين اذ قد فرغ من ذلك وتم مراده فيه فصار جواب اذا من قوله تعالى «اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا» محذوفا وكثيرا ما يجىء فى القرآن الجواب محذوفا والتقدير اذا جاء نصر الله والفتح فقد انقضى الامر ودنا الاجل وحان اللقاء فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا و وقع فى مسند البزار مبينا من قول ابن عباس فقال فيه فقد دنا أجلك فسبح هذا المعنى هو الذى فهمه ابن عباس وهو حذف جواب اذا ولما لم يتنبه لهذه النكتة حسب ان جواب اذا فى قوله سبحانه فسبح كما تقول اذا جاء رمضان فصم وليس فى هذا التأويل من المشاكلة لما قبله ما فى تأويل ابن عباس فتدبره فقد وافقه عليه عمر رضى الله عنه وحسبك بهما فهما لكتاب الله تبارك وتعالى فالفاء على قول ابن عباس رابطة للامر بالفعل المحذوف وعلى ما ظهر لغيره رابطة لجواب الشرط الذى فى اذا

﴿قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

من أصح ما جاء فى هذا الباب حديث وفد عبد القيس وهم الذين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى وقد تكرر حديثهم فى الصحيحين دون تسمية أحد منهم فمنهم أشج عبد القيس وهو المنذر بن عائذ قال له النبى صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين يحبهما الله و رسوله الحلم والاناة ومنهم أبو الوازع الزارع بن عامر وابن أخته مطر بن هلال العنزى ولما ذكروا للنبى صلى الله عليه وسلم انه ابن

بنى تميم منهم الاقرع بن حابس التميمى والزبرقان بن بدر التميمى أحد بنى سعد وعمرو بن الاهتم والحبحاب بن يزيد «قال ابن هشام» الحتات وهو الذى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه و بين معاوية بن أبى سفيان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين بين أبى بكر وعمر و بين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف و بين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام و بين أبى ذر الغفارى والمقداد بن عمرو البهرانى و بين معاوية بن أبى سفيان والحتات بن يزيد المجاشعى فمات الحتات عند معاوية فى خلافته فاخذ معاوية ما ترك وراثة بهذه الاخوة فقال الفرزدق لمعاوية

أبوك وعمى يامعاوى أورثا * تراثا فيحتاز التراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته * وميراث حرب جامد لك ذائبه

وهذان البيتان فى أبيات له * قال ابن اسحق وفى وفد بنى تميم نعيم بن يزيد وقيس بن الحرث وقيس ابن عاصم أخو بنى سعد فى وفد عظيم من بنى تميم «قال ابن هشام» وعطارد بن حاجب أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم والاقرع ابن حابس أحد بنى مالك ابن دارم بن مالك والحتات ابن يزيد أحد بنى دارم بن مالك والزبرقان بن بدر أحد بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم وعمرو بن الاهتم أحد بنى منقر بن عبيد بن الحرث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم وقيس بن عاصم أحد بنى منقر بن عبيد بن الحرث * قال ابن اسحق ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر الفزارى وقد كان الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنينا والطائف فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته أن اخرج الينا يا محمد فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم فخرج اليهم فقالوا يا محمد جئناك نفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطارد بن حاجب فقال

خطبة تميم

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة فمن مثلنا فى الناس

أختهم قال ابن أخت القوم منهم ومنهم ابن أخى الزارع وكان مجنونا فجاء به معه ليدعو له النبى صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره ودعا له فبرئ لحينه وكان شيخا كبيرا فكسى جمالا وشبابا حتى كان وجهه وجه العذراء ومنهم الجهم بن قثم لما نهاهم النبى عليه السلام عن الشرب فى الاوعية وحذرهم ما يقع فى ذلك من الجراح وأخبرهم انهم اذا شربوا المسكر عمد أحدهم الى ابن عمه فجرحه وكان فيهم رجل قد جرح فى ذلك وكان يخفى جرحه و يكتمه وذلك الرجل هو جهم بن قثم عجبوا من علم النبى عليه السلام بذلك واشارته الى ذلك الرجل ومنهم أبو خيرة الصباحى من بنى صباح بن لكيز من حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم اغفر لعبد القيس وانه زودهم الاراك يستاكون به ومنهم مزيدة العصرى جد هود بن عبد الله بن سعد بن مزيدة وعلى هود يدور حديثه فى التمر البرنى وانه دواء وليس فيه داء ومنهم قيس بن النعمان ذكره أبو داود فى كتاب الاشربة فهذا ما بلغنى من تسمية من وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد عبد القيس * وذكر فى الوفود الحتات بن يزيد وقول الفرزدق لمعاوية فيه * فما بال ميراث الحتات أكلته * البيت و بعده فى غير سيرة ابن اسحق

فلو أن هذا كان فى غير ملككم * لبؤت بها أوغص بالماء شاربه

وذكر فيهم عطارد بن حاجب بن زرارة وهو صاحب الحلة التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم انما يلبس هذه الحلة من لا خلاق له وقول عمر رضى الله عنه اتكسونى هذه وقد قلت فى حلة عطارد ما قلت وكان سبب تلك الحلة ان حاجب بن زرارة أبا عطارد كان وفد على كسرى ليأخذ منه أمانا لقومه ليقربوا من ريف العراق لجدب أصاب بلادهم فسأله كسرى رهنا ليستوثق بها منهم فدفع اليه قوسه رهينة فاستحمقه الملك وضحك منه فقيل له أيها الملك انهم العرب لو رهنك أحدهم تبنة ما أسلمها غدرا فقبلها منه كسرى فلما أخصبت بلادهم انتشروا راجعين اليها وجاء حاجب يطلب قوسه فعند ذلك كساه كسرى تلك الحلة التى كانت عند عطارد المذكورة فى جامع الموطا ذكره ابن قتيبة فى المعارف أو معناه وفى الموطا ان عمر رضى الله عنه كسا الحلة أخا له مشركا بمكة قال ابن الحذاء كان أخاه لامه واسمه عثمان بن حكيم الثقفى وهو جد سعيد بن المسيب لامه هكذا ذكر فى تسمية رجال الموطا وغلط من وجهين أحدهما أنه قال كان أخا عمر لامه وانما هو أخو زيد بن الخطاب لامه أسماء بنت وهب بن أسد بن خزيمة وأما أم عمر فهى حنتمة بنت هاشم بن المغيرة والغلط الثانى انه جعله ثقيفيا وانما هو سلمى وهو عثمان بن حكيم بن أمية ابن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم هكذا نسبه الزبير و بنته أم سعيد ولدت سعيد ابن المسيب * وذكر فيهم عمرو بن الاهتم ونسبه واسم الاهتم سمى بن سنان وهو جد شبيب بن شيبة وخالد

ابن

ألسنا برؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ماعددنا وانا لو نشاء لا كثرنا الكلام ولكنا نحيا من الاكثار فيما أعطانا وانا نعرف بذلك أقول هذه لان تاتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس اخى بنى الحرث بن الخزرج قم فاجب الرجل فى خطبته فقام ثابت فقال ﴿ خطبة ثابت بن قيس ﴾ الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسية علمه ولم يك شيا قط الا من فضله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه أكرم الناس حسبا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الخلق اجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله نحن فنحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم فقام الزبرقان بن بدر فقال

نحن الكرام فلا حى يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الاحياء كلهم * عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا * من الشواء اذا لم يؤنس القزع
بما ترى الناس تاتينا سراتهم * من كل أرض هويا ثم نصطنع
فننحر الكوم عبطا فى أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا الى حى نفاخرهم * الا استقادوا فكانوا الرأس يقتطع
فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه * فيرجع القوم والاخبار تستمع
انا أبينا ولم يابى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

« قال ابن هشام » يروى منا الملوك وفينا تقسم الربع ويروى من كل أرض هوانا ثم نتبع رواه لى بعض بنى تميم وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان * قال ابن اسحق وكان حسان غائبا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حسان جاءنى رسوله فاخبرنى انه انما دعانى لاجيب شاعر بنى تميم فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول

ابن صفوان الخطيبين البليغين وسمى سمى بالاهتم لان قيس بن عاصم ضربه فهتم فاه * وذكر خطبة ثابت ابن قيس وفيها وسع كرسيه علمه وفيه رد على من قال الكرسى هو العلم وكذلك من قال هو القدرة لانه لا توصف القدرة والعلم بان العلم وسعها وانما كرسيه ما احاط بالسموات والارضين وهو دون العرش كما جاءت به الآثار فعلمه سبحانه قد وسع الكرسى بما حواه من دقائق الاشياء وجلائلها وجملها وتفاصيلها وقد قيل ان الكرسى فى القرآن هو العرش وهو قول الحسن وفى هذا الحديث ما يكاد أن يكون حجة لهذا القول لانه لم يرد ان العلم وسع الكرسى فما دونه على الخصوص دون ما فوقه فجائز ان يريد به العرش وما تحته والله أعلم فان صحت الرواية عن ابن عباس ان الكرسى هو العلم فمؤولة كانه لم يقصد تفسير لفظ الكرسى ولكن أشار الى ان معنى العلم والاحاطة يفهم من الآية لان الكرسى الذى هو عند العرب موضع القدمين من سرير الملك اذا وسع ما وسع فقد وسعه علم الملك وملكه وقدرته ونحو هذا فليس فى ان يسع الكرسى ما وسعه مدح وثناء على الملك سبحانه الا من حيث تضمن سعة العلم والملك والا فلا مدح فى وصف الكرسى بالسعة والآية لا محالة واردة فى معرض المدح والتعظيم للعلى العظيم الذى لا يؤده حفظ مخلوقاته كلها وهو الحى القيوم وقوى الطبرى قول ابن عباس واحتج له بقوله عز وجل ولا يؤده حفظهما وبان العرب تسمى العلماء كراسى قال ومنه سميت الكراسى لما تضمنه وتجمعه من العلم وأنشد

تحفهم بيض الوجوه وعصبة * كراسى بالاحداث حين تنوب

أى عالمون بالاحداث * وذكر شعر الزبرقان وان بعض الناس ينكر الشعر له وذكر البرقى ان الشعر لقيس ابن عاصم المنقرى وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمائم وثياب وينضح بالزعفران والطيب وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت قال الشاعر وهو المخبل السعدى واسمه كعب بن ربيعة بن قتال

وأشهد من عوف حلولا كثيرة * يحجون ست الزبرقان المزعفرا

والسب العمامة وأحسبه أشار الى هذا المعنى بقوله * بما ترى الناس تاتينا سراتهم * البيت وليس السراة جمع سرى كما ظنوا وانما هو كما تقول ذروتهم وسنامهم وسراة كل شىء أعلاه وقد أوضحناه فيما مضى من هذا الكتاب والزبرقان من أسماء القمر قال الشاعر

تضىء به المنابر حين يرقى * عليها مثل ضوء الزبرقان

والزبرقان أيضاً الخفيف العارضين وكانت له ثلاثة أسماء الزبرقان والقمر والحصين وثلاث كنى أبو العباس وأبو شذرة وأبو عياش وهو الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب

منعنا رسول الله اذ حل وسطنا   على انف راض من معد وراغم   منعناه لما حل بين بيوتنا   باسيافنا من كل باغ وظالم
ببيت حريد عزه وثراؤه   بجابية الجولان وسط الاعاجم   هل المجد الا السودد العود والندى   وجاه الملوك واحتمال العظائم

قال فلما انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم فقال ما قال عرضت فى قوله وقلت على نحوما قال فلما فرغ الزبرقان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم ياحسان فاجب الرجل فيما قال قال فقام حسان فقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع   يرضى بهم كل من كانت سريرته * تقوى الاله وكل الخير يصطنع
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا   سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
ان كان فى الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لادنى سبقهم تبع   لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون مارقعوا
ان سابقوا الناس يوما فاز سبقهم * أووازنوا أهل مجد بالندى متعوا   أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم * لا يطبعون ولا يرديهم طمع
لا يبخلون على جار بفضلهم * ولا يمسهم من مطمع طبع   اذا نصبنا لحى لم ندب لهم * كما يدب الى الوحشية الذرع
نسمو اذا الحرب نالتنا مخالبها * اذا الزعانف من أظفارها خشعوا   لا يفخرون اذا نالوا عدوهم * وان أصيبوا فلا خور ولا هلع
كانهم فى الوغى والموت مكتنع * أسد بحلية فى ارساغها فدع   خذ منهم ما أتى عفوا اذا غضبوا * ولا يكن همك الامر الذى منعوا
فان فى حربهم فاترك عداوتهم * شرا يخاض عليه السم والسلع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفاوتت الاهواء والشيع
أهدى لهم مدحتى قلب يوازره * فيما أحب لسان حائك صنع
فانهم أفضل الاحياء كلهم * ان جد بالناس جد القول أو شمعوا

ابن سعد بن زيد مناة بن تميم * وقول حسان * ببيت حريد عزه وثراؤه * يريد بيت شرفهم من غسان وهم ملوك الشام وهم وسط الاعاجم والبيت الحريد المنفرد عن البيوت كما انفردت غسان وانقطعت عن أرض العرب وكان حسان يضرب بلسانه ارنبة انفه هو وابنه وأبوه وجده وكان يقول لووضعته يعنى لسانه على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه ومايسرنى به مقول من معد * وقول حسان * يخاض اليه السم والسلع * السلع شجر مر قال أمية

عشر ماوفوقه سلع ما * عائل ماوعالت البيقورا

يريد انهم كانوا اذا استسقوا فى الجاهلية ربطوا السلع والعشر فى أذناب البقر * وقوله شمعوا أى ضحكوا ومزحوا قال الشاعر يصف الاضياف

وأبدؤهم بشمعة وأثنى * بجهدى من طعام أو بساط

وفى الحديث من تتبع المشمعة شمع الله به يريد من ضحك من الناس وأفرط فى المزح * وقوله * أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا * أى ارتفعوا يقال متع النهار اذا ارتفع * وقول حسان * وطبناله أنفسا بفىء المغانم * يريد طيب نفوسهم يوم حنين حين أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيأ

(فصل)

«قال ابن هشام» أنشد أبو زيد

يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا

«قال ابن هشام» حدثنى بعض أهل الشعر من بنى تميم أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا * اذا احتفلوا عند احتضار المواسم   بانا فروع الناس فى كل موطن * وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم
وأنا نذود المعلمين اذا انتخوا * ونضرب رأس الاصيد المتفاقم   وأن لنا المرباع فى كل غارة * تغير بنجد أو بارض الاعاجم

فقام حسان بن ثابت فأجابه فقال

هل المجد الا السودد العودى والندى * وجاه الملوك واحتمال العظائم
نصرنا وآوينا النبى محمدا * على أنف راض من معد وراغم   بحى حريد أصله وثراؤه * بجابية الجولان وسط الاعاجم
نصرناه لما حل وسط ديارنا * بأسيافنا من كل باغ وظالم   جعلنا بنينا دونه وبناتنا * وطبناله نفسا بفىء المغانم
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا * على دينه بالمرهفات الصوارم   ونحن ولدنا من قريش عظيمها * ولدنا نبى الخير من آل هاشم
بنى دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم   هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول مابين ظئر وخادم
فان كنتم جئتم لحقن دمائكم * وأموالكم أن تقسموا فى المقاسم   فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا * ولا تلبسوا زيا كزى الاعاجم

* قال ابن اسحق فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الاقرع بن حابس وأبى ان هذا الرجل لمؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أحلى من أصواتنا فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم

وكان عمرو بن الاهتم قد خلفه القوم فى ظهرهم وكان أصغرهم سنا فقال قيس بن عاصم وكان يبغض عمرو بن الاهتم يارسول الله انه قد كان رجل منا فى رحالنا وهو غلام حدث وأزرى به فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطى القوم فقال عمرو بن الاهتم حين بلغه ان قيسا قال ذلك يهجوه

ظللت مفترش الهلباء تشتمنى * عند الرسول فلم تصدق ولم تصب
سدنا كم سوددا راهوا وسوددكم * بادنواجذه مقع على الذنب

«قال ابن هشام» بقى بيت واحد تركناه لانه اقذع فيه * قال ابن اسحق وفيهم نزل من القرآن ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

﴿ قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس فى الوفادة عن بنى عامر ﴾

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدر به وقد قال له قومه ياعامر ان الناس قد أسلموا فاسلم قال والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ثم قال لاربد اذا قدمنا على الرجل فانى ساشغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يامحمد خالنى قال لا والله حتى تؤمن بالله وحده قال يامحمد خالنى وجعل يكلمه وينظر من اربد ما كان أمره به فجعل اربد لا يحير شيئا فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال يامحمد خالنى قال لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله لاملأنها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى عامر بن الطفيل فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لاربد ويلك ياأربد أين ما كنت أمرتك به والله ما كان على ظهر الارض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا قال لا أبالك لا تعجل على والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره الا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول يابنى عامر أغدة

﴿ فصل ﴾ وذكر قول عمرو بن الاهتم لقيس بن عاصم

ظللت مفترش الهلباء تشتمنى * عند النبى فلم تصدق ولم تصب

الهلباء فعلاء من الهلب وهو الخشين من الشعر يقال منه رجل أهلب ومنه قول الشعبى فى مشكلة نزلت هلباء زباء ذات وبر وكانه أراد بمفترش الهلباء أى مفترشا لحيته ويجوز أن يريد بمفترش الهلباء يعنى امرأة وقيل الهلباء يريد بها ههنا دبره فان كان عنى امرأة فهو نصب على النداء * وذكر ما أنزل الله تبارك وتعالى فيهم فى سورة الحجرات وقد كان عمر وأبو بكر اختلفا فى أمر الزبرقان وعمرو بن الاهتم فاشار أحدهما بتقديم الزبرقان وأشار الآخر بتقديم عمرو بن الاهتم حتى ارتفعت أصواتهما فانزل الله عز وجل ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله الى قوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى فكان عمر بعد ذلك اذا كلم النبى عليه السلام لا يكلمه الا كاخى السرار وفى هذا الوفد جاء الحديث ان رجلين قدما من نجد خطيبا فعجب الناس لبيانهما فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وأدخله مالك فى باب ما يذم من القول من أجل ان السحر مذموم شرعا وغيره يذهب الى انه مدح لهما بالبيان واستمالة القلوب كالسحر وكان من قولهما ان عمرا قال للنبى صلى الله عليه وسلم فى الزبرقان انه مطاع فى أدنيه سيد فى عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدنى يارسول الله لشرفى ولقد علم أفضل مما قال قال فقال عمرو انه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال فعرف الانكار فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت ولقد صدقت فى الاولى وما كذبت فى الثانية فحينئذ قال النبى صلى الله عليه وسلم «ان من البيان لسحرا» وقوله لئيم الخال قيل ان أمه كانت من باهلة قاله ابن ثابت فى الدلائل وقد أنكر هذا عليه وممن أنكره عليه أبو مروان بن سراج فالله أعلم لان أهل النسب ذكروا ان أم الزبرقان عكلية من بنى أقيش وعكل وان كانت تجتمع مع تيم فى اد بن طابخة لكن تيما أشرف منهم ولا سيما بنى سعد رهط الزبرقان فلذلك جعله عمرو لئيم الخال

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر عامر بن الطفيل وأربد وأن أربد قال لعامر ما هممت بقتل محمد الا رأيتك بينى وبينه أفأقتلك وفى غير رواية ابن اسحق الا رأيت بينى وبينه سورا من حديد وكذلك فى رواية غيره قال عامر لاملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولاربطن بكل نخلة فرسا فجعل أسيد بن حضير يضرب فى رؤسهما ويقول اخرجا أيها الهجرسان فقال له عامر ومن أنت فقال أسيد بن حضير فقال أحضير بن سماك قال نعم قال أبوك كان خيرا منك فقال بل أنا خير منك ومن أبى لان أبى كان مشركا وأنت مشرك وذكر

كغدة البكر فى بيت امرأة من بنى سلول «قال ابن هشام» ويقال أغدة كغدة الابل وموتا فى بيت سلولية * قال ابن اسحق ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بنى عامر شاتين فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا ماوراءك يا أربد قال لاشىء والله لقد دعانا الى عبادة شىء لوددت انه عندى الآن فارميه بالنبل حتى أقتله نخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه فارسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فاحرقتهما وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لامه «قال ابن هشام» وذكر زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال وأنزل الله عز وجل فى عامر وأربد الله يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله وما لهم من دونه من وال قال والمعقبات هى من أمر الله يحفظون محمدا ثم ذكر أربد وما قتله الله به فقال ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الى قوله شديد المحال * قال ابن اسحق فقال لبيد يبكى أربد

ما ان تعرى المنون من أحد * لا والد مشفق ولا ولد أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد
فعين هلا بكيت أربد اذ * قمنا وقام النساء فى كبد ان يشغبوا الايبال شغبهم * أو يقصدوا فى الحكوم يقتصد
حلو أريب وفى حلاوته * مر لطيف الاحشاء والكبد وعين هل بكيت أربد اذ * ألوت رياح الشتاء بالعضد
وأصبحت لاقحا مصرمة * حين تجلت غوابر المدد أشجع من ليث غابة لحم *

ذو نهمة فى العلا ومنتقد
لا تبلغ العين كل نهمتها *
ليلة تمسى الجياد كالقدد
الباعث النوح فى مآتمه
مثل الظباء الابكار بالجرد
فجعنى البرق والصواعق بالـ
ـفارس يوم الكريهة النجد
والحارب الجابر الحريب اذا
* جاء نكيبا وان يعد يعد
يعفو على الجهد والسؤال
كما *
ينبت غيث الربيع ذو
الرصد
كل بنى حرة مصيرهم *
قل وان أكثرت من العدد
ان يغبطوا يهبطوا وان أمروا * يوما فهم للهلاك والنقد «قال ابن هشام» بيته والحارب (فصل)
الجابر الحريب عن أبى عبيدة وبيته يعفو على الجهد عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال لبيد أيضاً يبكى أربد

ألا ذهب المحافظ والمحامى * ومانع ضيمها يوم الخصام وأيقنت التفرق يوم قالوا * تقسم مال اربد بالسهام
نظير عدائد الاشراك شفعا * ووترا والزعامة للغلام فودع بالسلام ابا حريز * وقل وداع اربد بالسلام
وكنت امامنا ولنا نظاما * وكان الجزع يحفظ بالنظام وار بد فارس الهيجا اذا ما * تقعرت المشاجر بالفئام
اذا بكر النساء مردفات * حواسر لا يجئن على الخدام فـوال يوم ذلك من أتاه * كما وأل المحل الى الجرام
ويحمد قدرار بد من عراها * اذا ما ذم ارباب اللحام وجارته اذا حلت لديه * لها نفل وحظ من سنام
فان تقعد فمكرمة حصان * وان تظعن فمحسنة الكلام وهل حدثت عن اخوين داما * على الايام الابنى اشمام
والا الفرقدين وآل نعش * خوالد ما تحدث بانهدام «قال ابن هشام» وهى فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال لبيد ايضا يبكى اربد
انع الكريم للكريم اربدا * انع الرئيس واللطيف كبدا يحذى ويعطى ماله ليحمدا * أدما يشبهن صوارا ابدا

سيبويه قول عامر أغدة كغدة البعير وموتا فى بيت سلولية فى باب ما ينتصب على اضمار الفعل المتروك اظهاره كانه قال أغد غدة والسلولية امرأة منسوبة الى سلول بن صعصعة وهم بنو مرة بن صعصعة وسلول أمهم وهى بنت ذهل بن شيبان وكان عامر بن الطفيل من بنى عامر بن صعصعة فلذلك اختصها القرب النسب بينهما حتى مات فى بيتها وأما أشعار لبيد فى أربد ففيها قوله

تطير عدائد الاشراك شفعا * ووترا والزعامة للغلام

الزعامة الرياسة وقيل أراد بالزعامة هنا بيضة السلاح والاشراك الشركاء والعدائد الانصباء ماخوذ من العدد ويقال ان أربد حين أصابته الصاعقة أنزل الله تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم «ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء» يعنى أربد والله أعلم وعامر وأربد يجتمعان فى جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر وأمهما واحدة وسائر شعر لبيد فى اربد مرغوب عن الاشتغال بشرحه بناء على أصلنا المتقدم والله ولى التوفيق على ان لبيدا رحمه الله قد أسلم وحسن اسلامه وعاش فى الاسلام ستين سنة لم يقل فيها بيت شعر فساله عمر عن تركه الشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد ان علمنى الله البقرة وآل عمران فزاده عمر فى عطائه خمس مائة درهم من اجل هذا القول فكان عطاؤه الفين وخمسمائة فلما كان معاوية اراد ان ينقصه من عطائه الخمسمائة وقال له ما بال العلاوة فوق الفودين فقال له لبيد الآن اموت وتصير لك العلاوة والفودان فرق له معاوية وتركها له فمات لبيد اثر ذلك بايام قليلة وقد قيل انه قال بيتا واحدا فى الاسلام

الحمد لله اذلم ياتنى اجلى * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

السائل الفضل اذا ما عددا * ويملأ الجفنة ملا مددا رفعها اذا يأتي ضريك وردا * مثل الذي في الغيل يقرو جمدا
يزداد قربا منهم أن يوعدا * أو رثتنا تراث غير أنكدا غبا ومالا طارفا وولدا * شرخا صقورا يافعا وأمردا

﴿ وقال لبيد أيضاً ﴾

لم تفنينا خيرات أر * بد فابكيا حتى يعودا قولا هو البطل المحا * مى حين يكسون الحديدا
ويصدعنا الظالمين اذا لقينا القوم صيدا فاعتاقه رب البرية اذرأى ان لاخلودا
فثوى ولم يوجع ولم * يوصب وكان هو الفقيدا

﴿ وقال لبيد أيضا ﴾

يذكرني بار بدكل خصم * ألد تخال خطته ضرارا اذا اقتصدوا فمقتصد كريم * وان جاروا سواء الحق جارا
ويهدى القوم مطلعا اذا ما * دليل القوم بالموماة حارا «قال ابن هشام» وآخرها بيتا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق
وقال لبيد أيضا أصبحت أمشي بعد سلمى بن مالك * وبعد أبي قيس وعروة كالاجب
اذا ما رأى ظل الغراب أضجه * حذارا على باقي السناسن والعصب «قال ابن هشام» وهذان البيتان في أبيات له

﴿ قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بني سعد بن بكر ﴾

* قال ابن اسحق وبعث بنو سعد بن بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم يقال له ضمام بن ثعلبة * قال ابن اسحق فحدثني محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب مولى عبد الله بن عباس عن ابن عباس قال بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه وكان ضمام رجلا جلدا اشعر ذا غديرتين فاقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقال أيكم ابن عبد المطلب قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب قال أمحمد قال نعم قال يا ابن عبد المطلب اني سائلك ومغلظ عليك في المسئلة فلا تجدن بها على في نفسك قال لا أجد في نفسي فسل عما بدا لك قال انشدك الله الهك واله من كان قبلك واله من هو كائن بعدك آلله بعثك الينا رسولا قال اللهم نعم قال فانشدك الله الهك واله من كان قبلك واله من هو كائن بعدك آلله أمرك ان تامرنا ان نعبده وحده ولا نشرك به شيا وان نخلع هذه الانداد التي كان آباؤنا يعبدون معه قال اللهم نعم قال فانشدك الله الهك واله من كان قبلك واله من هو كائن بعدك آلله أمرك ان نصلي هذه الصلاة الخمس قال اللهم نعم قال ثم جعل يذكر فرائض الاسلام فريضة فريضة الزكاة والصيام والحج وشرائع الاسلام كلها ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها حتى اذا فرغ قال فاني أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وساؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا ازيد ولا انقص ثم انصرف الى بعيره راجعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صدق ذو العقيصتين دخل الجنة قال فاتى بعيره فاطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا اليه فكان اول ما تكلم به ان قال باست اللات والعزى قالوا مه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون قال ويلكم انهما والله لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه واني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده

﴿ فصل ﴾ وذكر وفد جرش وان خثعم ضوت اليها حين حاصرهم صرد بن عبد الله وانشد

حتى أتينا حميرا في مصانعها * وجمع خثعم قد صاغت لها النذر

ويروى خميرا بالخاء المعجمة وفي حمير حمير الادنى وهو حمير بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن شدد بن زرعة وهو حمير الاصغر بن سبا الاصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد الجمهور ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير الاكبر وهو العرنجج وقال الابرهي وهو من علماء حمير بالنسب وهو منسوب الى ابرهة بن الصباح الحميري في حمير الادنى المبدؤ بذكره حمير وعلى هذا القول تصح رواية الخاء المنقوطة ومن رواه بالحاء المهملة فهو تصغير حمير تصغير الترخيم والعرنجج في لغة حمير العتيق

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ضمام بن ثعلبة وهو الذي قال فيه طلحة بن عبيد الله جاءنا اعرابي من أهل نجد ثائر الراس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فاذا هو يسئل عن الاسلام الحديث رواه مالك في الموطا عن عمه عن جده عن طلحة وقد ترجم عليه ابو داود لما فيه من دخول المشرك المسجد * وذكر معه حديث اليهود حين دخلوا المسجد وذكروا ان رجلا منهم وامراة زنيا وقال به الشافعي وكره مالك دخول

بما أمركم به وما نهاكم عنه قال فوالله ما امسى من ذلك اليوم وفى حاضره رجل ولا امراة الا مسلما قال يقول عبد الله بن عباس فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة

﴿ قدوم الجارود فى وفد عبد القيس ﴾

* قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن خنش أخو عبد القيس «قال ابن هشام» الجارود بن بشر بن المعلى فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا * قال ابن اسحق حدثنى من لا أتهم عن الحسين قال لما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعاه اليه ورغبه فيه فقال يا محمد انى قد كنت على دين وانى تارك دينى لدينك أفتضمن لى دينى قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا ضامن لك ان قد هداك الله الى ما هو خير منه قال فاسلم وأسلم أصحابه ثم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحملان فقال والله ما عندى ما أحملكم عليه قال يا رسول الله فان بيننا و بين بلادنا ضوال من ضوال الناس أفنتبلغ عليها الى بلادنا قال لا اياك واياها فانما تلك حرق النار فخرج من عنده الجارود راجعا الى قومه وكان حسن الاسلام صلبا على دينه حتى هلك وقد أدرك الردة فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم الى دينهم الاول مع الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر قام الجارود فتشهد شهادة الحق ودعا الى الاسلام فقال أيها الناس انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأكفر من لم يشهد «قال ابن هشام» و يروى وأكفى من لم يشهد * قال ابن اسحق وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى قبل فتح مكة الى المنذر بن ساوى العبدى فاسلم فحسن اسلامه ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين والعلاء عنده أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين

﴿ قدوم بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب ﴾

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حنيفة فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب «قال ابن هشام» مسيلمة بن ثمامة و يكنى أبا ثمامة

الذمى المسجد وخصص ابو حنيفة المسجد الحرام لقول الله تبارك وتعالى «انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام» الآية وتعلق مالك بالعلة التى نبهت عليها الآية وهى التنجيس فعم المساجد كلها

﴿ فصل ﴾ وذكر الجارود العبدى وهو بشر بن عمرو بن المعلى يكنى أبا المنذر وقال الحاكم يكنى أبا غيات وأبا عتاب وسمى الجارود لانه أغار على قوم من بكر فجردهم قال الشاعر

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

وذكر فى آخر حديث الجارود الغرور بن النعمان بن المنذر وكان كسرى حين قتل النعمان صير أمر الحيرة الى هانئ بن قبيصة الشيبانى ولم يبق لآل المنذر رسم ولا أمر يذكر حتى كانت الردة ومات هانئ بن قبيصة فاظهر أهل الردة أمر الغرور بن النعمان واسمه المنذر وانما سمى الغرور لانه غر قومه فى تلك الردة أو غروه واستعانوا به على حربهم فقتل هنالك وزعم وثيمة بن موسى انه أسلم بعد ارتداده والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر وفد بنى حنيفة واسم حنيفة أثال بن لجيم بن سعد بن على بن بكر بن وائل مع مسيلمة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مسيلمه بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة يكنى أبا ثمامة وقيل أبا هارون وكان يسمى بالرحمن فيما روى عن الزهرى قبل مولد عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل وهو ابن مائة وخمسين سنة وكانت قريش حين سمعت بسم الله الرحمن الرحيم قال قائلهم دق فوك انما تذكر مسيلمة رحمان اليمامة وكان الرحال الحنفى واسمه نهار ابن عنفوة والعنفوة يابس الحلى وهو نبات وذكره أبو حنيفة فقال فيه عنثوة بالثاء المثلثة وقال هو يابس الحلى والحلى النصى وهو نبت قدم فى وفد اليمامة على النبى صلى الله عليه وسلم فآمن وتعلم سورا من القرآن فرآه النبى صلى الله عليه وسلم يوما جالسا مع رجلين من أصحابه أحدهما فرات بن حيان والآخر أبو هريرة فقال ضرس أحدكم فى النار مثل أحد فما زالا خائفين منها حتى ارتد الرحال وآمن بمسيلمة وشهد زورا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد شركه معه فى النبوة ونسب اليه بعض ما تعلم من القرآن فكان من أقوى أسباب الفتنة على بنى حنيفة وقتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة ثم قتل زيد بن الخطاب سلمة بن صبيح الحنفى وكان مسيلمة صاحب نيرجات يقال انه أول من أدخل البيضة فى القارورة وأول من وصل جناح الطائر المقصوص وكان يدعى ان ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها وقال رجل من بنى حنيفة يرثيه

لهفى عليك أبا ثمامه * لهفى على ركنى شمامه

كم آية لك فيهم * كالشمس تطلع من غمامه

وكذب بل كانت آياته منكوسة تفل فى بئر قوم سألوه ذلك تبركا فملح ماؤها ومسح رأس صبى فقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل فى ابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى البئر والآخر قد أكله الذئب ومسح على عينى رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه واسم مؤذنه حجير وكان أول ما أمر أن يذكر

مسيلمة

* قال ابن أسحق فكان منزلهم فى دار بنت الحرث امرأة من الانصار ثم من بنى النجار فحدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة ان بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه معه عسيب من سعف النخل فى رأسه خوصات فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وسآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لوسألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه * قال ابن اسحق وحدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة ان حديثه كان على غير هذا زعم ان وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة فى رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يارسول الله انا قد خلفنا صاحبا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا قال فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم وقال اما انه ليس بشركم مكانا أى لحفظه ضيعة أصحابه ذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاؤا بما أعطاه فلما انتهوا الى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم وقال انى قد أشركت فى الامر معه وقال لوفده الذين كانوا معه ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له اما انه ليس بشركم مكانا ما ذاك الا لما كان يعلم انه قد أشركت فى الامر معه ثم جعل يسجع لهم الاساجيع ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وأحل لهم الخمر والزنا ووضع عنهم الصلاة وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه نبى فاصفقت معه حنيفة على ذلك فالله أعلم أى ذلك كان

مسيلمة فى الاذان توقف فقال له محكم بن الطفيل صرح حجير فذهبت مثلا وأما سجاح التى تنبأت فى زمانه وتزوجها فكان مؤذنها جنبة بن طارق وقال القتبى اسمه زهير بن عمرو وقيل ان شبث بن ربعى أذن لها أيضا وتكنى أم صادر وكان آخر أمرها ان أسلمت فى زمان عمر كل هذا من كتاب الواقدى وغيره وكان محكم بن طفيل الحنفى صاحب حربه ومدبر أمره وكان أشرف منه فى حنيفة ويقال فيه محكم ومحكم وفيه يقول حسان بن ثابت

يامحكم بن طفيل قد أتيح لكم * لله در أبيكم حية الوادى

وقال أيضا * يخبطن بالايدى حياض محكم * وقول ابن اسحق انزلوا يعنى وفد بنى حنيفة بدار الحارث الصواب بنت الحرث واسمها كيسة بنت الحرث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس وقد تقدم فى غزوة قريظة الكلام على كيسة وكيسة بالتخفيف وانها كانت امرأة لمسيلمة قبل ذلك فلذلك أنزلهم بدارها وكانت تحت مسيلمة ثم خلف عليها عبد الله بن عامر وذكرنا هنالك أن الصواب ماقاله ابن اسحاق ان اسم تلك المرأة زينب بنت الحرث كذا وقع فى رواية يونس عن ابن اسحاق والمذكورة هاهنا كيسة بنت الحرث واياه عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خطب فقال اريت فى يدى سوارين من ذهب فكرهتهما فنفخت فيهما فطارا فاولتهما كذاب اليمامة والعنسى صاحب صنعاء فاما مسيلمة فقتله خالد بن الوليد وأفنى قومه قتلا وسبيا وأما مسعود بن كعب العنسى وعنس من مذحج فاتبعته قبائل من مذحج واليمن على أمره وغلب على صنعاء وكان يقال له ذو الخمار ويلقب عبهلة وكان يدعى ان سحيقا وشريقا ياتيانه بالوحى ويقول هما ملكان يتكلمان على لسانى فى خدع كثيرة يزخرف بها وهو من ولد مالك بن عنس وبنو عنس جشم وجشيم ومالك وعامر وعمرو وعزيز ومعاوية وعتيكة وشهاب والقرية ويام ومن ولد يام بن عنس عمار بن ياسر وأخواه عبد الله وحويرث ابنا ياسر بن عمر بن مالك قتله فيروز الديلمى وقيس ابن مكشوح وداذويه رجل من الابناء دخلوا عليه من سرب صنعته لهم امرأة كان قد غلب عليها من الابناء فوجدوه سكران لا يعقل من الخمر فخبطوه باسيافهم وهم يقولون

ضل نبى مات وهو سكران * والناس تلقى جلهم كالذبان
النور والنار لديهم سيان

ذكره الدولابى وزاد ابن اسحاق فى رواية يونس عنه ان امرأته سقته البنج فى شرابه تلك الليلة وهى التى احتفرت السرب للدخول عليه وكان اغتصبها لانها كانت من أجمل النساء وكانت مسلمة صالحة وكانت تحدث عنه انه لا يغتسل من الجنابة واسمها المرزبانة وفى صورة قتله اختلاف * وقوله صلى الله عليه وسلم أريت سوارين من ذهب فنفختهما فطارا قال بعض أهل العلم بالتعبير تأويل نفخه لهما انهما بريحه قتلا لانه لم يغزهما بنفسه وتأويل الذهب انه زخرف فدل لفظه على زخرفتهما وكذبهما ودل الاسواران بلفظهما على ملكين لان الاساورة هم الملوك وبمعناهما على التضييق عليه لكون السوار مضيقا على الذراع

*قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء فيهم زيد الخيل وهو سيدهم فلما انتهوا اليه كلمهم وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فاسلموا فحسن اسلامهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى من لا أتهم من رجال طيء ماذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى الا رأيته دون ما يقال فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما كان فيه ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وقطع له فيد وأرضين معه وكتب له بذلك فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينج زيد من حمى المدينة فانه قال قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى وغير أم ملدم فلم يثبته فلما انتهى من بلد نجد الى ماء من مياهه يقال له فردة أصابته الحمى بها فمات ولما أحس زيد بالموت قال

أمر تحل قومى المشارق غدوة
وأترك فى بيت بفردة منجد
ألا رب يوم لو مرضت لعادنى
عوائد من لم يبرمنهن يجهد

فلما مات عمدت امرأته الى ما كان معه من كتبه التى قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرقتها بالنار

﴿ فصل ﴾ وذكر زيد الخيل وهو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب يكنى أبا مكنف الطائى واسم طيء ادد وقيل له زيد الخيل لخمس أفراس كانت له لها أسماء أعلام ذهب عنى حفظها الآن *وذكر قوله صلى الله عليه وسلم ان ينج زيد من حمى المدينة (قال الراوى) ولم يسمها باسمها الحمى ولا أم ملدم سماها باسم آخر ذهب عنى والاسم الذى ذهب عن الراوى من أسماء الحمى هو أم كلبة ذكر لى ان أبا عبيدة ذكره فى مقاتل الفرسان ولم أره ولكن رأيت البكرى ذكره فى باب أفرده من أسماء البلاد ولها أيضا اسم سوى هذه الاسماء ذكره ابن دريد فى الجمهرة قال سباط من أسماء الحمى على وزن رقاش وأما أم ملدم فيقال بالدال وبالذال وبكسر الميم وفتحها وهو اللدم وهو شدة الضرب ويحتمل أن يكون أم كلبة هذا الاسم مغيرا من كلبة بضم الكاف والكلبة شدة الرعدة وكلب البرد شدائده فهذه أم كلبة بالهاء وهى الحمى وأما أم كلب فشجرة لها نور حسن وهى اذا حركت أنتن شىء وزعم أبو حنيفة ان الغنم اذا مستها لم تستطع أن تقرب الغنم ليلتها تلك من شدة انتانها *وذكر فى خبر زيد الخيل فى روايه أبى على البغدادى ما هذا نصه خرج نفر من طيء يريدون النبى عليه السلام بالمدينة وفودا ومعهم زيد الخيل ووزر بن سدوس النبهانى وقبيصة بن الاسود بن عامر بن جوين الجرمى وهو النصرانى ومالك بن عبد الله بن خيبرى بن أفلت بن سلسلة وقعين بن خليف الطريفى رجل من جديلة ثم من بنى بولان فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا فجلسوا قريبا من النبى صلى الله عليه وسلم حيث يسمعون صوته فلما نظر النبى صلى الله عليه وسلم اليهم قال انى خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود الذى تعبدون من دون الله ومما حازت مناع من كل ضار غير نفاع فقام زيد الخيل فكان من أعظمهم خلقا وأحسنهم وجها وشعرا وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه فى الارض كأنه حمار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه الحمد لله الذى أتى بك من سهلك وحزنك وسهل قلبك للايمان ثم قبض على يده فقال من أنت فقال أنا زيد الخيل بن مهلهل وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبد الله ورسوله فقال له بل أنت زيد الخير ثم قال يا زيد ما خبرت عن رجل شيئا قط الا رأيته دون ما خبرت عنه غيرك فبايعه وحسن اسلامه وكتب له كتابا على ما أراد وأطعمه قرى كثيرة منها فيد وكتب لكل واحد منهم على قومه الا وزر بن سدوس فقال انى لارى رجلا ليملكن رقاب العرب ولا والله لا يملك رقبتى عربى أبدا ثم لحق بالشام وتنصر وحلق رأسه فلما قام زيد من عند النبى صلى الله عليه وسلم قال أى فتى لم تدركه أم كلبة يعنى الحمى ويقال بل قال ان نجا من آجام المدينة فقال زيد حين انصرف

أنيخت بآجام المدينة أربعا * وعشرا يغنى فوقها الليل طائر
فلما قضت أصحابها كل بغية * وخط كتابا فى الصحيفة ساطر
شددت عليها رحلها وشليلها * من الدرس والشعراء والبطن ضامر

الدرس الجرب والشعراء ذباب قال أبو الحسن المدائنى فى حديثه وأهدى زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم مخذما والرسوب وكانا سيفين لصنم بلى القلس فلما انصرفوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قدم على رجل من العرب يفضله قومه الا رأيته دون ما يقال الا ما كان من زيد فان ينج زيد من حمى المدينة فلامر ما هو *وقوله

الا رب يوم لو مرضت لعادنى * عوائد من لم يبرمنهن يجهد

وبعده

فليت اللواتى عدننى لم يعدننى * وليت اللواتى غبن عنى شهدى

﴿ أمر عدى بن حاتم ﴾

وأما عدى بن حاتم فكان يقول فيما بلغنى ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى اما أنا فكنت امرأ شريفا وكنت نصرانيا وكنت أسير فى قومى بالمرباع فكنت فى نفسى على دين وكنت ملكا فى قومى لما كان يصنع بى فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته فقلت لغلام كان لى عربى وكان راعيا لابلى لا أبالك أعدد لى من ابلى اجمالا ذللا سمانا فاحتبسها قريبا منى فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ففعل ثم أتانى ذات غداة فقال يا عدى ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فانى قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد قال فقلت فقرب الى اجمالى فقربها فاحتملت بأهلى وولدى ثم قلت ألحق باهل دينى من النصارى بالشام فسلكت الجوشية ويقال الحوشية فيما قال ابن هشام وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها وتخالفنى خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيىء وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى الى الشام قال فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس فيها فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت امرأة جزلة فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك قال ومن وافدك قالت عدى بن حاتم قال الفار من الله ورسوله قالت ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى حتى اذا كان من الغد مر بى فقلت له مثل ذلك وقال لى مثل ما قال بالامس قالت حتى اذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست منه فاشار الى رجل من خلفه أن قومى فكلميه قالت فقمت اليه فقلت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك فقال صلى الله عليه وسلم قد فعلت فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك الى بلادك ثم آذنينى فسالت عن الرجل الذى أشار الى أن أكلمه فقيل على بن أبى طالب رضوان الله عليه وأقمت حتى قدم ركب من بلى أو قضاعة قالت وانما أريد أن آتى أخى بالشام قالت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ قالت فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام قال عدى فوالله انى لقاعد فى أهلى اذ نظرت الى ظعينة تصوب الى تؤمنا قال فقلت ابنة حاتم قال فاذا هى هى فلما وقفت على انسلحت تقول القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك قال قلت أى أخية لا تقولى الا خيرا فوالله مالى من عذر لقد صنعت ما ذكرت قال ثم نزلت فاقامت عندى فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين فى أمر هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يكن الرجل نبيا فللسابق اليه فضله وان يكن ملكا فلن تذل فى عز اليمن وأنت أنت قال قلت والله ان هذا الرأى قال فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلت عليه وهو فى مسجده فسلمت عليه فقال من الرجل فقلت عدى بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بى الى بيته فوالله انه لعامد بى اليه اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها قال قلت فى نفسى والله ما هذا بملك قال ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بى بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا فقذفها الى فقال اجلس على هذه قال قلت بل أنت فاجلس عليها فقال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض قال قلت فى نفسى والله ما هذا بامر ملك ثم قال ايه يا عدى بن حاتم ألم تك ركوسا قال قلت بلى أولم تكن تسير فى قومك بالمرباع قال قلت بلى قال فان ذلك لم يكن يحل لك فى دينك قال قلت أجل والله وعرفت انه نبى مرسل يعلم ما يجهل ثم قال لعلك يا عدى انما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من ياخذه ولعلك انما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف ولعلك انما يمنعك من دخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال فاسلمت وكان عدى يقول قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من ياخذه

﴿ قدوم عدى بن حاتم ﴾

وهو عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن حشرج بن امرىء القيس بن عدى بن ربيعة بن جرول بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طيىء يكنى أبا طريف وحديث اسلامه صحيح عجيب خرجه الترمذى وأخته التى ذكر اسلامها أحسب اسمها سفانة لانى وجدت فى خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخائه قالت فاخذ حاتم عديا يعلله من الجوع وأخذت أنا سفانة ولا يعرف لعدى ولد انقرض عقبه ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن

﴿ قدوم فروة بن مسيك المرادى ﴾

* قال ابن اسحق وقدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة ومباعدا لهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قبيل الاسلام بين مراد وهمدان وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا حتى أثخنوهم فى يوم كان يقال له يوم الردم فكان الذى قاد همدان الى مراد الاجدع بن مالك فى ذلك اليوم «قال ابن هشام» الذى قاد همدان فى ذلك اليوم مالك بن حريم الهمدانى * قال ابن اسحق وفى ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك

مررن على لفات وهن خوص * ينازعن الاعنة ينتحينا
فان نغلب فغلابون قدما * وان نغلب فغير مغلبينا
وما ان طبنا جبن ولكن * منايانا وطعمة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال * تكر صروفه حينا فحينا
فبينا ما نسر به ونرضى * ولو لبست غضارته سنينا
اذا انقلبت به كرات دهر * فالفيت الالى غبطوا طحينا
فمن يغبط بريب الدهر منهم * يجد ريب الزمان له خؤنا
فلو خلد الملوك اذا خلدنا * ولو بقى الكرام اذا بقينا
فافنى ذلكم سروات قومى * كما أفنى القرون الاولينا

«قال ابن هشام» وأول بيت منها وقوله فان نغلب عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق ولما توجه فروة بن مسيك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة قال

لما رأيت ملوك كندة أعرضت * كالرجل خان الرجل عرق نسائها
قربت راحلتى أؤم محمدا * أرجو فواضلها وحسن ثرائها

«قال ابن هشام» أنشدنى أبو عبيدة أرجو فواضله وحسن ثنائها * قال ابن اسحق فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم قال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوءه ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له اما ان ذلك لم يزد قومك فى الاسلام الا خيرا واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حاتم ذكره القتبى ولا يعرف له بنت الاسفانة فهى اذا هذه المذكورة فى السيرة والله أعلم وأم حاتم عنبة بنت عفيف كانت من أكرم الناس وهى التى تقول

لعمرى لقد ما عضنى الجوع عضة * فآليت الا أحرم الدهر جائعا

والسفانة الدرة وبها كان يكنى حاتم * وذكر ابن اسحاق حديث فروة وقوله

طرقت سليمى موهنا أصحابى * والروم بين الباب والقروان

القروان يجوز أن يكون جمع قرو وهو حوض الماء مثل صنوان ويجوز أن يكون جمع قرى مثل صليب وصلبان

﴿ قدوم عمرو بن معديكرب فى أناس من بنى زبيد ﴾

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معديكرب فى أناس من بنى زبيد فاسلم وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادى حين انتهى اليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قيس انك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال انه نبى فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لن يخفى عليك اذا لقيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو بن معديكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وصدقه وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرا وتحطم عليه وقال خالفنى وترك رأيى فقال عمرو بن معديكرب فى ذلك

أمرتك يوم ذى صنعا * ء أمرا باديا رشده
أمرتك باتقاء الله * والمعروف تتعده
خرجت من المنى مثل الـ * ـحمير غره وتده
تمنانى على فرس * عليه جالسا أسده
على مفاضة كالنهـ * ـى أخلص ماءه جدده
ترد الرمح منثنى السـ * ـسنان عوائرا قصده
فلو لاقيتنى للقيـ * ـت ليثا فوقه لبده
تلاقى شنبثا شثن الـ * ـبراثن ناشزا كتده
يسامى القرن ان قرن * تيممه فيعتضده
فياخذه فيرفعه * فيخفضه فيقتصده
فيدمغه فيحطمه * فيخضمه فيزدرده
ظلوم الشرك فيما أحـ * ـرزت أنيابه ويده

«قال ابن هشام» أنشدنى أبو عبيدة

أمرتك يوم ذى صنعا * ء أمرا بينا رشده
أمرتك باتقاء الله * تاتيه وتتعده
فكنت كذى الحمير غره مما به وتده

ولم يعرف سائرها * قال ابن اسحق فاقام عمرو بن معديكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فروة بن مسيك فلما توفى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ارتد عمرو بن معديكرب وقال حين ارتد

وجدنا ملك فروة شر ملك * حمارا ساف منخره بثفر
وكنت اذا رأيت أبا عمير * ترى الحولاء من خبث وغدر

«قال ابن هشام» قوله بثفر عن أبي عبيدة

﴿ قدوم الاشعث بن قيس في وفد كندة ﴾

* قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاشعث بن قيس في وفد كندة فحدثني الزهري بن شهاب أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمانين راكبا من كندة فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده وقد رجلوا جممهم وتكحلوا عليهم جبب الحبرة وقد كففوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير في أعناقكم قال فشقوه منها فالقوه ثم قال له الاشعث بن قيس يا رسول الله نحن بنوا آكل المرار وأنت ابن آكل المرار قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرث وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا اذا شاعا في بعض العرب فسئلا ممن هما قالا نحن بنوا آكل المرار يتعززان بذلك وذلك أن كندة كانوا ملوكا ثم قال لهم لا بل نحن بنوا النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا فقال الاشعث بن قيس هل فرغتم يا معشر كندة والله لا أسمع رجلا يقولها الا ضربته ثمانين «قال ابن هشام» الاشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء وآكل المرار الحرث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندي ويقال كندة وانما سمي آكل المرار لان عمرو بن الهبولة الغساني أغار عليهم وكان الحرث غائبا فغنم وسبي وكان فيمن سبي أم أناس بنت عوف بن محلم الشيباني امرأة الحرث بن عمرو فقالت لعمرو في مسيره لكأني برجل أدلم أسود كأن مشافره مشافر بعير آكل مرار قد أخذ برقبتك تعني الحرث فسمي آكل المرار والمرار شجر ثم تبعه الحرث في بني بكر بن وائل فلحقه فقتله واستنقذ امرأته وما كان أصاب فقال الحرث بن حلزة اليشكري لعمرو بن المنذر وهو عمرو بن هند اللخمي

وأقدناك رب غسان بالمنـ * ـذر كرها اذ لا تكال الدماء

لان الحرث الاعرج الغساني قتل المنذر أباه وهذا البيت في قصيدة له وهذا الحديث أطول مما ذكرت وانما منعني من استقصائه ما ذكرت من القطع ويقال بل آكل المرار حجر بن عمرو بن معاوية وهو صاحب هذا الحديث وانما سمي آكل المرار لانه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجرا يقال له المرار

﴿ قدوم صرد بن عبد الله الازدي ﴾

* قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صرد ابن عبد الله الازدي فاسلم وحسن اسلامه في وفد من الازد فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من اسلم من قومه وامره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج صرد بن عبد الله يسير بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بجرش وهي يومئذ مدينة مغلقة وبها قبائل من قبائل اليمن وقد ضوت اليهم خثعم فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين اليهم فحاصروهم فيها قريبا من شهر وامتنعوا فيها منه ثم انه رجع عنهم قافلا حتى اذا كان الى جبل لهم يقال له شكر ظن أهل جرش أنه انما ولى عنهم منهزما فخرجوا في طلبه حتى اذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينتظران فبينا هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد صلاة العصر اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باي بلاد الله شكر فقام الجرشيان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر وكذلك يسميه أهل جرش فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شانه يا رسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن قال فجلس الرجلان الى أبي بكر أو الى عثمان فقال لهما ويحكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لينعى لكما قومكما فقوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسالاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما فقاما اليه فسالاه ذلك فقال اللهم ارفع عنهم فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس والراحلة وللمثيرة بقرة الحرث فمن رعاه من الناس فماله سحت فقال في تلك الغزوة رجل من الازد وكانت

وصلبان وأصح ما قيل في القروانة حويض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفي المثل ما فيها لاعي قرو أي ما في الدار حيوان وأراد بلاعي قرو لاعق قرو وقلب القاف الاولى ياء للتضعيف وحسن ذلك انه اسم فاعل وقد يبدلون من آخر حرف في اسم الفاعل ياء وان لم يكن ثم تضعيف كقولهم في الخامس خاميهم وفي سادسهم ساديهم وكذلك الى العاشر ونحو منه ما أنشد سيبويه * ولضفادي جمه نقانق * أي لضفادع جمه وأنشد * من الثعالي ووخز من أرانبها * أراد الثعالب وأرانبها واذا كان هذا معروفا فلاعي قرو أحق ان يقلب آخره ياء كراهة اجتماع قافين * وذكر قدوم وفد كندة وفيه قوله عليه السلام لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا وفي هذا ما يدل على ان الاشعث قد أصاب في بعض قوله نحن وأنت بنوا آكل

خثعم تصيب من الازد فى الجاهلية وكانوا يعدون فى الشهر الحرام

ياغزوة ماغزونا غير خائبة * فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا حميرا فى مصانعها * وجمع خثعم قد شاعت لها النذر
اذا وضعت غليلا كنت أحمله * فما أبالى أدانوا بعد أم كفروا

﴿ قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم ﴾

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسولهم اليه باسلامهم الحرث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذى رعين ومعافر وهمدان وبعث اليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوى باسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم * بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبى الى الحرث بن عبد كلال والى نعيم بن عبد كلال والى النعمان قيل ذى رعين ومعافر وهمدان اما بعد ذلكم فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم متلقينا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم النبى صلى الله عليه وسلم وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء وعلى ماسقى الغرب نصف العشر ان فى الابل الاربعين ابنة لبون وفى ثلاثين من الابل ابن لبون ذكر وفى كل خمس من الابل شاة وفى كل عشر من الابل شاتان وفى كل أربعين من البقر بقرة وفى كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة وانها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له ومن أدى ذلك وأشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فانه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله وانه من أسلم من يهودى أو نصرانى فانه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فانه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف من قيمة المعافر أو عوضه ثيابا فمن أدى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فانه عدو لله ولرسوله * أما بعد فان رسول الله محمدا النبى أرسل الى زرعة ذى يزن أن اذا أتاكم رسلى فاوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم وأبلغوها رسلى وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا * أما بعد فان محمدا يشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله ثم ان مالك بن مرة الرهاوى قد حدثنى انك أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فابشر بخير وآمرك بحمير خيرا ولا تخونوا ولا تخاذلوا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيرا وانى قد أرسلت اليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم وآمركم بهم خيرا فانهم منظور اليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذا أوصاه وعهد اليه ثم قال له يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر وانك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسئلونك ما مفتاح الجنة فقل شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له قال فخرج معاذ حتى اذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته امرأة من أهل اليمن فقالت يا صاحب رسول الله ما حق زوج المرأة عليها قال ويحك ان المرأة لا تقدر على أن تؤدى حق زوجها فاجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت قالت والله لئن كنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتعلم ما حق الزوج على المرأة قال ويحك لو رجعت اليه فوجدته تنثعب منخراه قيحا ودما فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه

﴿ اسلام فروة بن عمرو الجذامى ﴾

* قال ابن اسحق وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامى ثم النفاثى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا باسلامه وأهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام فلما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم فقال فى محبسه ذلك

طرقت سليمى موهنا أصحابى * والروم بين الباب والقروان
صدا الخيال وساءه ما قد رأى * وهممت ان أغفى وقد أبكانى
لا تكحلن العين بعدى اثمدا * سلمى ولا تدين للاتيان
ولقد علمت أبا كبيشة أننى * وسط الاعزة لا يحص لسانى
فلئن هلكت لتفقدن أخاكم * ولئن بقيت لتعرفن مكانى
ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى * من جودة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عفرى بفلسطين قال

المرار وذلك ان فى جدات النبى صلى الله عليه وسلم من هى من ذلك القبيل منهن دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندى المذكور وهى أم كلاب بن مرة وقيل بل هى جدة كلاب أم أمه هند وقد ذكر ابن اسحاق هندا هذه وانها ولدت كلابا

قدوم

ألا هل أتى سلمى بان حليلها * على ماء عفرى فوق احدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أمها * مشذبة أطرافها بالمناجل

فزعم الزهرى بن شهاب أنهم لما قدموه ليقتلوه قال

بلغ سراة المسلمين بانى * سلم لربى أعظمى ومقامى

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء

﴿ اسلام بنى الحرث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار اليهم ﴾

* قال ابن اسحق ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الاولى سنة عشر الى بنى الحرث ابن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس أسلموا تسلموا فاسلم الناس ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام فيهم خالد يعلمهم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هم اسلموا ولم يقاتلوا * ثم كتب خالد بن الوليد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ لمحمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ﴿ أما بعد ﴾ يارسول الله صلى الله عليك فانك بعثتنى الى بنى الحرث بن كعب وأمرتنى اذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وان أدعوهم الى الاسلام فان أسلموا أقمت فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه وان لم يسلموا اقاتلتهم وانى قدمت عليهم فدعوتهم الى الاسلام ثلاثة ايام كما امرنى رسول الله صلى الله عليهم وسلم وبعثت فيهم ركبانا قالوا يابنى الحرث أسلموا تسلموا فاسلموا ولم يقاتلوا وانا مقيم بين اظهرهم آمرهم بما امرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه وأعلمهم معالم الاسلام وسنة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ﴿ فكتب ﴾ اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى رسول الله الى خالد بن الوليد سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فان كتابك جاءنى مع رسولك تخبران بنى الحرث بن كعب قد أسلموا واقبل أن تقاتلهم وأجابوا الى مادعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا ان لا اله الا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله وأن قد هداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم واقبل وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فاقبل خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه وفد بنى الحرث بن كعب منهم قيس بن الحصين ذو الغصة ويزيد بن عبد المدان * ويزيد بن المحجل * وعبد الله بن قراد الزيادى * وشداد بن عبد الله القنانى * وعمرو بن عبد الله الضبابى فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم قال من هؤلاء القوم الذين كانهم رجال الهند قيل يارسول الله هؤلاء رجال بنى الحرث بن كعب فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه وقالوا نشهد انك رسول الله وأنه لا اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الذين اذا زجروا استقدموا فسكتوا فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الثانية فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الثالثة فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الرابعة فقال يزيد بن عبد المدان نعم يارسول الله نحن الذين اذا زجروا استقدموا قالها اربع مرار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن خالدا لم يكتب الى انكم أسلمتم ولم تقاتلوا لالقيت رؤسكم تحت أقدامكم فقال يزيد بن عبد المدان أما والله ماحمدناك ولا حمدنا خالدا قال فمن حمدتم قالوا حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يارسول الله قال صدقتم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية قالوا لم نكن نغلب أحدا قال بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا كنا نغلب من قاتلنا يارسول الله انا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ احدا بظلم قال صدقتم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحرث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بنى الحرث الى قومهم فى بقية من شوال اوفى صدر ذى القعدة فلم يمكثوا بعد ان رجعوا الى قومهم الا اربعة اشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحم وبارك ورضى وانعم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث اليهم بعد ان ولى وفدهم عمرو بن حزم ليفقههم فى الدين ويعلمهم السنة ومعالم الاسلام ويأخذ منهم صدقاتهم * وكتب له كتابا عهد اليه فيه عهده وأمره فيه

﴿ قدوم وفد بنى الحارث بن كعب ﴾

ذكر فيهم يزيد بن عبد المدان واسم عبد المدان عمرو بن الديان والديان اسمه يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب الحارثى * وذكر فيهم أيضا ذا الغصة واسمه الحصين بن يزيد بن شداد الحارثى وقيل له ذو الغصة لغصة كانت فى حلقه لا يكاد يبين منها وذكره عمر بن الخطاب يوما فقال لا تزاد امرأة فى صداقها على كذا وكذا ولو كانت بنت ذى الغصة * وذكر فيهم عمرو بن عبد الله الضبابى وهو ضباب بكسر الضاد فى بنى الحارث بن كعب بن مذحج وضباب أيضا فى قريش وهو ابن حجير بن عبد بن معيص بن عامر أخو حجر بن عبد وفى حجر وحجير يقول الشاعر

بامره بسم الله الرحمن الرحيم هذا بيان من الله ورسوله يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود عهد من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن امره بتقوى الله فى امره كله فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وامره أن ياخذ بالحق كما امره الله وان يبشر الناس بالخير و يامرهم به و يعلم الناس القرآن و يفقههم فيه و ينهى الناس فلا يمس القرآن انسان الا وهو طاهر و يخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم و يلين للناس فى الحق و يشتد عليهم فى الظلم فان الله كره الظلم ونهى عنه فقال الا لعنة الله على الظالمين و يبشر الناس بالجنة و بعملها و ينذر الناس النار و عملها و يستالف الناس حتى يفقهوا فى الدين و يعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته وما أمر الله به والحج الاكبر الحج الاكبر والحج الاصغر هو العمرة و ينهى الناس أن يصلى احد فى ثوب واحد صغير الا ان يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقه و ينهى الناس ان يحتبى احد فى ثوب واحد يفضى بفرجه الى السماء و ينهى ان لا يعقص احد شعر راسه فى قفاه و ينهى اذا كان بين الناس هيج عن الدعاء الى القبائل والعشائر وليكن دعواهم الى الله عز وجل وحده لا شريك له فمن لم يدع الى الله ودعا الى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى تكون دعواهم الى الله وحده لا شريك له و يامر الناس باسباغ الوضوء وجوههم وايديهم الى المرافق وارجلهم الى الكعبين و يمسحون برؤسهم كما امرهم الله وامر بالصلاة لوقتها واتمام الركوع والسجود والخشوع و يغلس بالصبح و يهجر بالهاجرة حين تميل الشمس وصلاة العصر والشمس فى الارض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا يؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء والعشاء اول الليل وامر بالسعى الى الجمعة اذا نودى لها والغسل عند الرواح اليها وامره ان ياخذ من المغانم خمس الله وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وفى كل عشر من الابل شاتان و فى كل عشرين اربع شياه وفى كل اربعين من البقر بقرة وفى كل ثلاثين من البقر تبيع جذع او جذعة وفى كل اربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فانها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له وانه من اسلم من يهودى او نصرانى اسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الاسلام فانه من المؤمنين له مثل مالهم وعليه مثل ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فانه لا يردعنها وعلى كل حالم ذكر او انثى حر أو عبد دينار واف او عوضه ثيابا فمن أدى ذلك فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فانه عدو لله ولرسوله وللمومنين جميعا صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمه الله و بركاته

﴿قدوم رفاعة بن زيد الجذامى﴾

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الجذامى ثم الضبيبى فاهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما واسلم فحسن اسلامه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه وفى كتابه * بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ومن ادبر فله امان شهرين فلما قدم رفاعة على قومه اجابوا واسلموا ثم ساروا الى الحرة حرة الرجلاء و نزلوها

﴿وفد همدان﴾

«قال ابن هشام» وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثنى من أثق به عن عمرو بن عبد الله بن اذينة العبدى عن ابى اسحق السبيعى قال قدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مالك ابن نمط وابو ثور وهو ذو المشعار ومالك بن ايفع وضمام بن مالك السلمانى وعميرة بن مالك الخارفى فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من

أنبئت ان غواة من بنى حجر * ومن حجير بلا ذنب أراغوينى

أغنوا بنى حجر عنا غواتكم * ويا حجير اليكم لا تبوروني

والضباب فى بنى عامر بن صعصعة وهم ضباب ومضب وحسل وحسيل بنو امعاوية بن كلاب وأما الضباب بالفتح ففى نسب النابغة الذبيانى ضباب بن يربوع بن غيظ وأما الضباب بالضم فزيد ومنجا ابنا ضباب من بنى بكر ذكره الدارقطنى

﴿ فصل ﴾ وذكر وفود رفاعة الضبيبى وانه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما وذلك الغلام هو الذى يقال له مدعم وقع ذكره فى الموطأ * وذكر وفد همدان ومالك بن نمط الهمدانى الذى يقال له ذو المشعار وكنيته أبو ثور وقع فى النسخة وفى أكثر النسخ وأبو ثور بالواو كانه غيره والصواب سقوط الواو لانه هو هو وقد يخرج اثبات الواو على اضمار هو كانه قال وهو أبو ثور ذو المشعار وقد ذكره ابن قتيبة فقال فى غريب الحديث مالك ذو المشعار وذكره أبو عمر فقال هو ذو المشعار يكنى أبا ثور وفى الكتاب الذى كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كتاب من محمد رسول الله الى مخلاف خارف و يام وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط فهذا كله يدل على ان الواو فى قوله وأبو ثور ذو المشعار

تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية برحال الميس على المهرية والارحبية ومالك بن نمط ورجل آخر يرتجزان بالقوم يقول أحدهما

همدان خير سوقة واقيال * ليس لها فى العالمين أمثال
محلها الهضب ومنها الابطال * لها اطابات بها وآكال

﴿ويقول الآخر﴾

اليك جاوزن سواد الريف * فى هبوات الصيف والخريف
مخطمات بحبال الليف

فقام مالك بن نمط بين يديه فقال يارسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم فى الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام وشاكر أهل السود والقود أجابوا دعوة الرسول وفارقوا آلهات الانصاب عهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع وماجرى اليعفور بصلع فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه * بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار لمالك بن نمط ومن أسلم من قومه على أن لهم فراعها ووهاطها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عافيها لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله وشاهدهم المهاجرون والانصار فقال فى ذلك مالك بن نمط

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجا * ونحن باعلى رحرحان وصلدد

وهن بنا خوص طلائح تعتلى
بركبانها فى لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسرة
تمر بنا مر الهجيف الخفيدد
حلفت برب الراقصات الى منى
صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق *
رسول أتى من عند ذى العرش مهتدى
فما حملت من ناقة فوق رحلها *
أشد على أعدائه من محمد
وأعطى اذا ما طالب العرف جاءه
وأمضى بحد المشرفى المهند

﴿ذكر الكذابين مسيلمة الحنفى والاسود العنسى﴾

* قال ابن اسحق وقد كان تكلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان مسيلمة بن حبيب الكذاب باليمامة فى بنى حنيفة والاسود ابن كعب العنسى بصنعاء * قال ابن اسحق حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره وهو يقول أيها الناس انى قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت فى ذراعى سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمن وصاحب اليمامة * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا كلهم يدعى النبوة

﴿خروج الامراء والعمال على الصدقات﴾

* قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث امراءه وعماله على الصدقات الى كل ما أوطأ الاسلام من البلدان فبعث المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة الى صنعاء فخرج عليه العنسى وهو بها وبعث زياد بن لبيد أخا بنى بياضة الانصارى الى حضرموت وعلى صدقاتها وبعث عدى بن حاتم على طيء وصدقاتها وعلى بنى أسد وبعث مالك بن نويرة « قال ابن هشام » اليربوعى على صدقات بنى حنظلة وفرق صدقة بنى سعد على رجلين

المشعار لامعنى له * وقوله عليهم مقطعات الحبرات المقطعات من الثياب فى تفسير أبى عبيد هى القصار واحتج بحديث ابن عباس فى صلاة الضحى اذا انقطعت الظلال أى قصرت وبقولهم فى الاراجيز مقطعات وخطأه ابن قتيبة فى هذا التأويل وقال انما المقطعات الثياب المخيطة كالقمص ونحوها سميت بذلك لانها تقطع وتفصل ثم تخاط واحتج بحديث رواه عن بعض ولد عبد الملك بن مروان وفيه انه خرج وعليه مقطعات يجرها فقال له شيخ من بنى أمية لقد رأيت أباك وكان مشمرا غير جار ثيابه فقال له الفتى لقد هممت بتقصيرها فمنعنى قول الشاعر فى أبيك

قصير الثياب فاحش عند ضيفه * لشر قريش فى قريش مركبا

والظاهر فى قوله عليهم مقطعات الحبرات ما قاله ابن قتيبة ولا معنى لوصفها بالقصر فى هذا الموطن والمهدية منسوبة الى مهدة بن حيران بن الحاف بن قضاعة والارحبية منسوبة الى أرحب بطن من همدان ويام هو يام ابن أصبى وخارف بن الحارث بطنان من همدان ينسب الى يام زبيد اليامى المحدث وأهل الحديث يقولون فيه الايامى والفراع ما علا من الارض والوهاط ما انخفض منها واحدها وهط ولعلع اسم جبل والصلع الارض الملساء والخفيدد ولد النعامة والهجف الضخم * وذكر حديث عمرو بن معديكرب وقيس بن مكشوح * وذكر فى الشعر

تلاق شنبثا شثن الـ * براثن ناشزا قتده

الفيت بخط الشيخ أبى بحر على هذا البيت قال القاضى لا أعرف شنبثا الآن ولعله تلاق شرنبثا وجزم تلاق لما فى قوله * فلو لاقيتنى من قوة الشرط فكأنه أراد ان لاقيتنى تلاق

منهم فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها وقيس بن عاصم على ناحية وقد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين و بعث على بن أبى طالب رضوان الله عليه الى أهل نجران ليجمع صدقتهم و يقدم عليه بجزيتهم

كتاب مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجواب عنه

وقد كان مسيلمة بن حبيب قد كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فانى قد أشركت فى الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريشا قوم يعتدون فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب * قال ابن اسحق فحدثنى شيخ من أشجع عن سلمة بن نعيم بن مسعود الاشجعى عن أبيه نعيم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه فما تقولان أنتما قالا نقول كما قال فقال أما والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم كتب الى مسيلمة * بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وذلك فى آخر سنة عشر

حجة الوداع

* قال ابن اسحق فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة تجهز للحج وأمر الناس بالجهاز له قال فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه القاسم بن محمد عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة «قال ابن هشام» فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى و يقال سباع بن عرفطة الغفارى * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد عن عائشة قالت لا يذكر ولا يذكر الناس الا الحج حتى اذا كان بسرف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدى وأشراف من أشراف الناس أمر الناس أن يحلوا بعمرة الا من ساق الهدى قالت وحضت ذلك اليوم فدخل على وأنا ابكى فقال مالك ياعائشة لعلك نفست قالت قلت نعم والله لوددت انى لم أخرج معكم عامى هذا فى هذا السفر فقال لا تقولن ذلك فانك تقضين كل ما يقضى الحاج الا انك لا تطوفين بالبيت قالت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فحل كل من كان لا هدى معه وحل نساؤه بعمرة فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير فطرح فى بيتى فقلت ما هذا قالوا ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر حتى اذا كانت ليلة الحصبة بعث بى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فاعمرنى من التنعيم مكان عمرتى التى فاتتنى * قال ابن اسحق وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن حفصة ابنة عمر قالت لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يحللن بعمرة قلنا فما يمنعك يارسول الله ان تحل معنا فقال انى أهديت ولبدت فلا أحل حتى أنحر هدبى

حجة الوداع

ذكر فيها حديث عائشة وقولها فاهللنا بالحج وما نذكر الا أمر الحج وهذا يدل على انهم أفردوا وقد بين ذلك جابر فى حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج وهذا هو الصحيح فى حديث جابر وقد روى من طرق فيها لين عن جابر انه قال قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحج والعمرة وطاف لهما طوافا واحدا وسعى لهما سعيا واحدا رواه الدارقطنى وروى أيضا أن جابرا قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حجات حجتين قبل الهجرة وحجته التى قرنها بعمرته * وأما حديث ابن عباس فصحيح وقال فيه طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجته وعمرته طوافا واحدا وقد اختلف عن على فروى عنه انه طاف عنهما طوافين ولم يختلف عنه انه كان قارنا وكذلك حديث عمران بن حصين فى انه عليه السلام كان قارنا وأما حديث أنس فصرح فيه بانه كان قارنا وقال ما تعدونا الا صبيانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرخ بهما جميعا يعنى الحج والعمرة فاختلفت الروايات فى احرام رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ترى هل كان مفردا أو قارنا أو متمتعا وكلها صحاح الا من قال كان متمتعا وأراد به انه أهل بعمرة وأما من قال تمتع

موافاة على رضوان الله عليه فى قفوله من اليمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحج

* قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث عليا رضى الله عنه الى نجران فلقيه بمكة وقد أحرم فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم و رضى عنها فوجدها قد حلت وتهيأت فقال مالك يا بنت رسول قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمرة فحللنا ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من الخبر عن سفره قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فطف بالبيت وحل كما حل أصحابك قال يارسول الله انى أهللت كما أهللت فقال ارجع فاحلل كما حل أصحابك قال يارسول الله انى قلت حين أحرمت اللهم انى أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم قال فهل معك من هدى قال لا فاشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هديه وثبت على احرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما * قال ابن اسحق وحدثنى

يحيي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال لما أقبل على رضى الله عنه من اليمن لتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة تعجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذى كان مع على رضى الله عنه فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فاذا عليهم الحلل قال ويلك ما هذا قال كسوت القوم ليتجملوا به اذا قدموا فى الناس قال ويلك انزع قبل أن تنتهى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فانتزع الحلل من الناس فردها فى البز قال وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب وكانت عند أبى سعيد الخدرى عن أبى سعيد الخدرى قال اشتكى الناس عليا رضوان الله عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فسمعته يقول أيها الناس لا تشكوا عليا فوالله انه لأخشن فى ذات الله أو فى سبيل الله من ان يشكى * قال ابن اسحق ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم وخطب الناس خطبته التى بين فيها ما بين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اسمعوا قولى فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أنه لا ربا وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع وان أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس فان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم أيها الناس ان النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان أما بعد أيها الناس فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيأ وانكم انما أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولى فانى قد بلغت وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت فذكر لى أن الناس قالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد * قال ابن اسحق وحدثنى يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أمر بالتمتع وفسخ الحج بالعمرة فقد يصح هذا التأويل ويصح أيضا ان يقال تمتع اذا قرن لان القران ضرب من المتعة لما فيه من اسقاط أحد السفرين والذى يرفع الاشكال حديث البخارى انه أهل بالحج فلما كان بالعقيق أتاه جبريل فقال له انك بهذا الوادى المبارك فقل لبيك بحج وعمرة معا فقد صار قارنا بعد ان كان مفردا وصح القولان جميعا وأمره لاصحابه ان يفسخوا الحج بالعمرة خصوص لهم وليس لغيرهم ان يفعله وانما فعل ذلك ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية فى تحريمهم العمرة فى أشهر الحج فكانوا يرون العمرة فى أشهر الحج من أكبر الكبائر ويقولون اذا برأ الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر ولم يفسخ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجه كما فعل أصحابه لانه ساق الهدى وقلده والله سبحانه يقول «حتى يبلغ الهدى محله» وقال حين رأى أصحابه قد شق عليهم خلافه لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لجعلتها عمرة ولما سقت الهدى (قال شيخنا) أبو بكر رضى الله عنه انما ندم على ترك ما هو أسهل وأرفق لا على ترك ما هو أفضل وأوفق وذلك لما رأى من كراهة أصحابه لمخالفته ولم يكن ساق الهدى معه من اصحابه الا طلحة بن عبيد الله فلم يحل حتى نحر وعلى أيضا أتى من اليمن وساق الهدى فلم يحل الا باحلال رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله عليه السلام فى خطبة الوداع ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان انما قال ذلك لان ربيعة كانت تحرم فى رمضان وتسميه رجبا من رجبت الرجل ورجبته اذا عظمته ورجبت النخلة اذا دعمتها فبين عليه السلام انه رجب مضر لا رجب ربيعة وانه الذى بين جمادى وشعبان وقد تقدم تفسير قوله ان الزمان قد استدار وتقدم اسم ابن أبى ربيعة المسترضع فى هذيل وان اسمه

وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف قال يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هل تدرون أي شهر هذا فيقول لهم فيقولون الشهر الحرام فيقول له قل لهم ان الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا ثم يقول قل يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هل تدرون أي بلد هذا قال فيصرخ به قال فيقولون البلد الحرام قال فيقول قل لهم ان الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم الى ان تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا قال ثم يقول قل يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هل تدرون أي يوم هذا قال فيقول لهم فيقولون يوم الحج الاكبر قال فيقول قل لهم ان الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا * قال ابن اسحق حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الاشعري عن عمرو بن خارجة قال بعثني عتاب بن أسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فبلغته ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لغامها ليقع على رأسي فسمعته وهو يقول أيها الناس ان الله قد أدى الى كل ذي حق حقه وانه لا تجوز وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة قال هذا الموقف للجبل الذي هو عليه وكل عرفة موقف وقال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة هذا الموقف وكل المزدلفة موقف ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر وكل منى منحر فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم من الموقف ورمي الجمار وطواف بالبيت وما احل لهم من حجهم وما حرم عليهم فكانت حجة البلاغ وحجة الوداع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها

آدم وقيل تمام وكان سبب قتله حرب كانت بين قبائل هذيل تقاذفوا فيها بالحجارة فاصاب الطفل حجر وهو يحبو بين البيوت كذلك ذكر الزبير

﴿ بعث اسامة ﴾

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة على جيش كثيف وأمره ان يغير على ابنا صباحا وان يحرق وابناهي القرية التي عند مؤتة حيث قتل أبوه زيد ولذلك أمره على حداثة سنه ليدرك ثاره وطعن في امارته أهل الريب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله انه لخليق بالامارة وان كان أبوه لخليقا بها وانما طعنوا في امارته لانه مولى مع حداثة سنه لانه كان اذ ذاك ابن ثمان عشرة سنة وكان رضي الله عنه أسود الجلدة وكان أبوه أبيض صافي البياض نزع في اللون الى أمه بركة وهي أم أيمن وقد تقدم حديثها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويمسح خشمه وهو صغير بثوبه وعثر يوما فاصابه جرح في رأسه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمص دمه ويمجه ويقول لو كان اسامة جارية لحليناها حتى يرغب فيها وكان يسمى الحب من الحب * وذكر ابن اسحق عدة الغزوات وهي ست وعشرون وقال الواقدي كانت سبعا وعشرين وانما جاء الخلاف لان غزوة خيبر اتصلت بغزوة وادي القرى فجعلها بعضهم غزوة واحدة وأما البعوث والسرايا فقيل هي ست وثلاثون كما في الكتاب وقيل ثمان وأربعون وهو قول الواقدي ونسب المسعودي الى بعضهم ان البعوث والسرايا كانت ستين قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسع غزوات وقال الواقدي قاتل في احدى عشرة غزوة منها الغابة ووادي القرى والله أعلم

﴿ ارسال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك ﴾

ذكر فيه ارسال عيسى ابن مريم الحواريين وأصح ما قيل في معنى الحواريين ان الحواري هو الخلصان أي الخالص

﴿ بعث اسامة بن زيد الى ارض فلسطين ﴾

* قال ابن اسحق ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفرا وضرب على الناس بعثا الى الشام وامر عليهم اسامة بن زيد بن حارثة مولاه وامره ان يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من ارض فلسطين فتجهز الناس وأوعب مع اسامة بن زيد المهاجرون الاولون

﴿ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك ﴾

«قال ابن هشام» وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الملوك رسلا من أصحابه وكتب معهم اليهم يدعوهم الى الاسلام «قال ابن هشام» حدثني من أثق به عن ابي بكر الهذلي قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية فقال ايها الناس ان الله قد بعثني رحمة وكافة فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم فقال اصحابه وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله قال دعاهم الى الذي دعوتكم اليه فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم واما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل فشكا ذلك عيسى الى الله فاصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التي بعث اليها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من

اصحابه وكتب معهم كتبا الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام فبعث دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر ملك الروم و بعث عبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى ملك فارس و بعث عمرو بن امية الضمرى الى النجاشى ملك الحبشة و بعث حاطب بن ابى بلتعة الى المقوقس ملك الاسكندرية و بعث عمرو بن العاص السهمى الى جيفر وعبد ابنى الجلندى الازديين ملكى عمان و بعث سليط بن عمرو أحد بنى عامر ابن لؤى الى ثمامة بن أثال وهوذة بن على الحنفيين ملكى اليمامة و بعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين و بعث شجاع بن وهب الاسدى الى الحرث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم الشام «قال ابن هشام» بعث شجاع بن وهب الى جبلة بن الايهم الغسانى و بعث المهاجر بن أبى أمية المخزومى الى الحرث بن عبد كلال الحميرى ملك اليمن «قال ابن هشام» أنا نسيت سليطا وثمامة وهوذة والمنذر * قال ابن اسحق حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى انه وجد كتابا فيه من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البلدان وملوك العرب والعجم وما قال لاصحابه حين بعثهم قال فبعثت به الى محمد بن شهاب الزهرى فعرفه وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه فقال لهم ان الله بعثنى رحمة وكافة فأدوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم قالوا وكيف يارسول الله كان اختلافهم قال دعاهم لمثل مادعوتكم له فأما من قرب به فأحب وسلم وأما من بعد به فكره وأبى فشكا ذلك عيسى منهم الى الله فاصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم * قال ابن اسحق وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والاتباع الذين كانوا بعدهم فى الارض بطرس الحوارى ومعه بولس وكان بولس من الاتباع ولم يكن من الحواريين الى رومية واندرائس ومنتا الى الارض التى يا كل أهلها الناس وتوماس الى أرض بابل من أرض المشرق وقيبليس الى قرطاجنة وهى افريقية ويحنس الى أفسوس قرية الفتية أصحاب الكهف ويعقوبس الى أوراشلم وهى ايلياء قرية بيت المقدس وابن ثلما الى الاعرابية وهى أرض الحجاز وسيمن الى أرض البربر ويهودا ولم يكن من الحواريين جعل مكان يودس

﴿ذكر جملة الغزوات﴾ بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى وكان جميع ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا

الخالص الصافى من كل شىء ومنه الحوارى والحور وقول المفسرين هو الخلصان كلمة فصيحة أنشد أبو حنيفة

خليلى خلصانى لم يبق حبها * من القلب الاعوذا سببا لها

قال والعوذ مالم تدركه الماشية لارتفاعه أولانه باهداف فكانه قد عاذ منها وأصح ماقيل فى معنى المسيح على كثرة الاقوال فى ذلك انه الصديق بلغتهم ثم عربته العرب وكان ارسال المسيح للحواريين بعد مارفع وصلب الذى شبه به فجاءت مريم الصديقة والمرأة التى كانت مجنونة فابرأها المسيح وقعدتا عند الجذع تبكيان وقد أصاب أمه من الحزن عليه مالا يعلم علمه الا الله فاهبط اليهما وقال علام تبكيان فقالتا عليك فقال انى لم أقتل ولم أصلب ولكن الله رفعنى وكرمنى وشبه عليهم فى أمرى أبلغا عنى الحواريين أمرى ان يلقونى فى موضع كذا ليلا فجاء الحواريون ذلك الموضع فاذا الجبل قد اشتعل نورا لنزوله به ثم أمرهم ان يدعوا الناس الى دينه وعبادة ربهم فوجههم الى الامم التى ذكر ابن اسحق وغيره ثم كسى كسوة الملائكة فعرج معهم فصار ملكيا انسيا سمائيا أرضيا

﴿فصل﴾ وذكر فى الامم الامة الذين يأكلون الناس وهم من الاساودة فيماذكره الطبرى * وذكر فى الحواريين زريب بن برثملى وهو الذى عاش الى زمن عمر وسمع نضلة بن معاوية اذانه فى الجبل وكلمه فاذا رجل عظيم الخلق رأسه كدور الرحى فسأل نضلة والجيش الذين كانوا معه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قبض وعن أبى بكر فقالوا قبض ثم سالهم عن عمر فقالوا هو حى ونحن جيشه فقال لهم اقرؤه منى السلام ثم أمرهم ان يبلغوا عنه وصايا كثيرة وان يحذر الناس من خصال اذا ظهرت فى أمة محمد فقد قرب الامر ومنها لبس الحرير وشرب الخمر وأن يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء * وذكر فيها أيضا المعازف والقيان وأشياء غير هذه فقالوا له من أنت يرحمك الله فقال زريب بن برثملى حوارى عيسى بن مريم عليه السلام دعوت الله ان يحيينى حتى أرى أمة محمد أو نحو هذا الكلام وقد أردت الخلوص الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم أستطع حال بينى و بينه الكفار * وذكر الدارقطنى فى هذا الحديث من طريق مالك بن أنس مرفوعا ان عمر قال لنضلة ان لقيته فاقرأه منى السلام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بذلك الجبل وصيا من أوصياء عيسى عليه السلام والخبر بهذا مشهور عنه وفيه طول فاختصرناه ويقال انه الآن حى ومن قال ان الخضر والياس قد ماتا فمن أصله ايضا ان زريبا قد مات لانهم يحتجون بالحديث الصحيح الى رأس مائة سنة لا يبقى على الارض ممن هو عليها أحد

﴿فصل﴾ وذكر ارسال عمرو بن امية الى النجاشى وقد قدمنا ذكر ما قال وماقيل له وكذلك ذكرنا خبر

وعشرين غزوة منها غزوة ودان وهى غزوة الابواء ثم غزوة بواط من ناحية رضوى ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ثم غزوة بدر الاولى يطلب كرز بن جابر ثم غزوة بدر التى قتل الله فيها صناديد قريش ثم غزوة بنى سليم حتى بلغ الكدر ثم غزوة السويق يطلب أباسفيان بن حرب ثم غزوة غطفان وهى غزوة ذى أمر ثم غزوة بحران معدن بالحجاز ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بنى النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ثم غزوة بدر الآخرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة بنى قريظة ثم غزوة بنى لحيان من هذيل ثم غزوة ذى قرد ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون ثم غزوة خيبر ثم عمرة القضاء ثم غزوة الفتح ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها فى تسع غزوات بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف

﴿ ذكر جملة السرايا والبعوث ﴾ وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيا وثلاثين بين بعث وسرية غزوة عبيدة بن الحرث الى أسفل من ثنية ذى المروة ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب الى ساحل البحر من ناحية العيص و بعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة وغزوة سعد بن أبى وقاص الخرار وغزوة عبد الله بن جحش نخلة وغزوة زيد بن حارثة القردة وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الاشرف وغزوة مرثد ابن أبى مرثد الغنوى الرجيع وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة وغزوة أبى عبيدة بن الجراح ذا القصة من طريق العراق وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بنى عامر وغزوة على بن أبى طالب اليمن وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى كلب ليث الكديد فاصاب بنى الملوح

﴿ خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوح ﴾ وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس حدثنى عن مسلم بن عبد الله بن خبيب الجهنى عن المنذر عن جندب بن مكيث الجهنى قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبى كلب بن عوف بن ليث فى سرية كنت فيها وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوح وهم بالكديد فخرجنا حتى اذا كنا بقديد لقينا الحرث بن مالك وهو ابن البرصاء الليثى فاخذناه فقال انى جئت أريد الاسلام ماخرجت الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان تك مسلما فلن يضيرك رباط ليلة وان تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك فشددناه رباطا ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود وقلنا له ان عازك فاحتز رأسه قال ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكنا فى ناحية الوادى و بعثنى أصحابى ربيئة لهم فخرجت حتى آتى تلا مشرفا على الحاضر فاستندت فيه فعلوت فى رأسه فنظرت الى الحاضر فوالله انى لمنبطح على التل اذ خرج رجل منهم من خبائه فقال لامرأته انى لارى على التل سوادا ما رأيته فى أول يومى فانظرى الى أوعيتك هل تفقدين شيئا لا تكون الكلاب جرت بعضها قال فنظرت فقالت لا والله ما أفقد شيئا قال فناولينى قوسى وسهمين فناولته قال فارسل سهما فوالله ما أخطا جنبى فانزعه فاضعه وثبت مكانى قال ثم أرسل الآخر فوضعه فى منكبى فانزعه فاضعه وثبت مكانى فقال لامرأته لو كان ربيئة لقد تحرك لقد خالطه سهماى لا أبالك اذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما على الكلاب قال ثم دخل قال وأمهلناهم حتى اذا اطمأنوا وناموا وكان فى وجه السحر شننا عليهم الغارة قال فقتلنا واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا دهم لا قبل لنا به ومضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملناهما معنا قال وأدركنا القوم حتى قربوا منا قال فما بيننا و بينهم الا الوادى قديد فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشىء ليس لاحد به قوة ولا يقدر أحد أن يجاوزه فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم ما يستطيع منهم رجل أن يجيز الينا ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم فلم يقدروا على طلبنا قال فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثنى رجل من أسلم عن رجل منهم ان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة أمت أمت فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها

سليط مع هوذة وما قال له وخبر عبد الله بن حذافة مع كسرى وكلامه معه ونذكر هنا بقية الارسال وكلامهم

فمنهم

أبى أبو القاسم ان تعزبى * فى خضل نباته مغلوب * صفر أعاليه كلون المذهب

«قال ابن هشام» و يروى كلون الذهب (تم خبر الغزاة وعدت الى ذكر تفصيل السرايا والبعوث) * قال ابن اسحق وغزوة على بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبد الله بن سعد من أهل فدك وغزوة أبى العرجاء السلمى أرض بنى سليم أصيب بها هو وأصحابه جميعا وغزوة عكاشة ابن محصن الغمرة وغزوة أبى سلمة بن عبد الاسد قطنا ماء من مياه بنى أسد من ناحية نجد قتل بها مسعود بن عروة وغزوة محمد بن مسلمة أخى بنى حارثة القرطاء من هوازن وغزوة بشير بن سعد بن مرة بفدك وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر وغزوة زيد بن حارثة الجموم من ارض بنى سليم وغزوة زيد بن حارثة جذام من أرض خشين «قال ابن هشام» عن نفسه والشافعى عن عمرو بن حبيب عن ابن اسحاق من أرض حسمى

﴿ غزوة زيد بن حارثة الى جذام ﴾ * قال ابن اسحق وكان من حديثها كما حدثنى من لا أتهم عن رجال من جذام كانوا علماء

بها أن رفاعة بن زيد الجذامى لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم الى الاسلام فاستجابوا له ثم لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبى من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ومعه تجارة له حتى اذا كانوا بواد من أوديتهم يقال له شنار أغار على دحية بن خليفة الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد الصلعيان والصليع بطن من جذام فأصابا كل شىء كان معه فبلغ ذلك قوما من الضبيب رهط رفاعة بن زيد ممن كان أسلم وأجاب فنفروا الى الهنيد وابنه فيهم من بنى الضبيب النعمان بن أبى جعال حتى لقوهم فاقتتلوا وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضفادى ثم الصلعى فقال أنا ابن لبنى ورمى النعمان بن أبى جعال بسهم فاصاب ركبته فقال حين أصابه خذها وأنا ابن لبنى وكانت له أم تدعى لبنى وقد كان حسان بن ملة الضبى قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك فعلمه ام الكتاب «قال ابن هشام» و يقال قرة بن أشقر الضفارى وحيان بن ملة * قال ابن اسحق حدثنى من لا أتهم عن رجال من جذام قال فاستنقذوا ما كان فى يد الهنيد وابنه فردوه على دحية فخرج دحية حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره واستسقاه دم الهنيد وابنه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم زيد بن حارثة وذلك الذى هاج غزوة زيد جذام وبعث معه جيشا وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا الحرة حرة الرجلاء ورفاعة بن زيد بكراع رية لم يعلم ومعه ناس من بنى الضبيب وسائر بنى الضبيب بوادى مدان من ناحية الحرة من ماء يسيل مشرقا وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الاولاج فاغار بالماقض من قبل الحرة فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بنى الاخيف «قال ابن هشام» من بنى الاحنف * قال ابن اسحق فى حديثه ورجلان من بنى خصيب فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفيفاء مدان ركب نفر منهم وكان فيمن ركب حسان بن ملة على فرس لسويد بن زيد يقال لها العجاجة وأنيف بن ملة على فرس لملة يقال له رعال وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شمر فانطلقوا حتى اذا دنوا من الجيش قال أبو زيد وحسان لانيف بن ملة كف عنا وانصرف فانا نخشى لسانك فوقف عنهما فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب فقال لانا أضن بالرجلين منك بالفرسين فارخى لها حتى أدركهما فقالا له أما اذا فعلت ما فعلت فكف عنا لسانك ولا تشأمنا اليوم فتواصوا أن لا يتكلم منهم الا حسان بن ملة وكانت بينهم كلمة فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض اذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال بورى أو ثورى فلما برزوا على الجيش أقبل القوم يبتدرونهم فقال لهم حسان انا قوم مسلمون وكان أول من

فنهم دحية بن خليفة الكلبى فقدم دحية على قيصر وقد ذكرنا معنى هذا الاسم اعنى اسم دحية واسم قيصر فيما مضى من الكتاب فلما قدم دحية على قيصر قال له يا قيصر أرسلنى اليك من هو خير منك والذى ارسله هو خير منه ومنك فاسمع بذل ثم أجب بنصح فانك ان لم تذلل لم تفهم وان لم تنصح لم تنصف قال هات قال هل تعلم أكان المسيح يصلى قال نعم قال فانى ادعوك الى من كان المسيح يصلى له وأدعوك الى من دبر خلق السموات والارض والمسيح فى بطن أمه وأدعوك الى هذا النبى الامى الذى بشر به موسى وبشر به عيسى ابن مريم بعده وعندك من ذلك اثارة من علم تكفى من العيان وتشفى من الخبر فان أجبت كانت لك الدنيا والآخرة والا ذهبت عنك الآخرة وشوركت فى الدنيا واعلم ان لك رب يقصم الجبابرة ويغير النعم فاخذ قيصر الكتاب فوضعه على عينيه ورأسه وقبله ثم قال أما والله ما تركت كتابا الا وقرأته ولا عالما الا سألته فما رأيت الا خيرا فامهلنى حتى أنظر من كان المسيح يصلى له فانى أكره ان اجيبك اليوم بامر أرى غدا ما هو أحسن منه فارجع عنه فيضرنى ذلك ولا ينفعنى اقم حتى أنظر فلم يلبث ان أتاه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى غزوة تبوك بقية حديث قيصر فانظره هنالك * واما حاطب فقدم على المقوقس واسمه جريج ابن ميناء فقال له انه قد كان رجل قبلك يزعم انه الرب الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك قال هات قال ان لك دينا لن تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافى به الله فقد ما سواه ان هذا النبى صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبى أدرك قوما فهم من أمته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن أدركه هذا النبى ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكن نأمرك به قال المقوقس انى قد نظرت فى أمر هذا النبى فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى الا عن مرغوب عنه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء والاخبار بالنجوى وسأنظر فاهدى للنبى صلى الله عليه وسلم أم ابراهيم القبطية واسمها مارية بنت شمعون وأختها معها واسمها سيرين وهى أم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وغلاما اسمه مابور وبغلة اسمها دلدل وكسوة وقدحا من قوارير كان

لقيهم رجل على فرس أدهم فاقبل يسوقهم فقال أنيف بورى فقال حسان مهلا فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان انا قوم مسلمون فقال له زيد فاقرأ أم الكتاب فقرأها حسان فقال زيد بن حارثة نادوا فى الجيش ان الله قد حرم علينا ثغرة القوم التى جاؤا منها الا من ختر * قال ابن اسحق واذا اخت حسان بن ملة وهى امرأة أبى وبر بن عدى بن أمية بن الضبيب فى الاسارى فقال له زيد خذها وأخذت بحقويه فقالت ام الفزر الصلعية أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم فقال أحد بنى الخصيب انها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم فسمعها بعض الجيش فاخبر بها زيد بن حارثة فأمر باخت حسان ففكت يداها من حقويه وقال لها اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه فرجعوا ونهى الجيش أن يهبطوا الى واديهم الذى جاؤا منه فامسوا فى أهليهم واستعتموا ذودا لسويد بن زيد فلما شربوا عتمتهم ركبوا الى رفاعة بن زيد وكان ممن ركب الى رفاعة بن زيد تلك الليلة أبو زيد بن عمرو وأبو شماس بن عمرو وسويد بن زيد وبعجة بن زيد وبرذع بن زيد وثعلبة ابن عمرو ومخربة بن عدى وأنيف بن ملة وحسان بن ملة حتى صبحوا رفاعة بن زيد بكراع رية بظهر الحرة على بئر هنالك من حرة ليلى فقال له حسان بن ملة انك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به فدعا رفاعة بن زيد بجمل له فجعل يشد عليه رحله وهو يقول * هل أنت حى أوتنادى حيا * ثم غداوهم معه بامية بن ضفارة أخى الخصيبي المقتول مبكرين من ظهر الحرة فساروا الى جوف المدينة ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا الى المسجد نظر اليهم رجل من الناس فقال لا تنيخوا ابلكم فتقطع أيديهن فنزلوا عنهن وهن قيام فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ألاح اليهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق قام رجل من الناس فقال يارسول الله ان هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين فقال رفاعة بن زيد رحم الله من لم يحذنا فى يومه هذا الا خيرا ثم دفع رفاعة كتابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتب له فقال دونك يارسول الله قديما كتابه حديثا غدره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأه ياغلام وأعلن فلما قرأ كتابه استخبرهم فاخبروه الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرار فقال رفاعة أنت يارسول الله أعلم لا نحرم عليك حلالا ولا نحل لك حراما فقال أبو زيد بن عمرو أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هذه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أبو زيد اركب معهم ياعلى فقال على رضى الله عنه ان زيدا لن يطيعنى يارسول الله قال فخذ سيفى هذا فاعطاه سيفه فقال على ليس لى يارسول الله راحلة اركبها فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو يقال له مكحال فخرجوا فاذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من ابل أبى وبر يقال لها الشمر فانزلوه عنها فقال ياعلى ما شانى فقال مالهم عرفوه فاخذوه ثم سار وافلقوا الجيش بفيفاء الفحلتين فاخذوا ما فى أيديهم حتى كانوا ينزعون لبد المرأة من تحت الرحل فقال أبو جعال حين فرغوا من شانهم

وعاذلة ولم تعذل بطب * ولولا نحن حش بها السعير   تدافع فى الاسارى بابنتيها * ولا يرجى لها عتق يسير
ولو وكلت الى عوص وأوس * وأوس لحار بها عن العتق الامور   ولو شهدت ركائبنا بمصر * تحاذر أن يعل بها المسير

يشرب فيه النبى صلى الله عليه وسلم وكاتبه * وأما العلاء بن الحضرمى فقدم على المنذر بن ساوى فقال له يامنذر انك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب ينكحون ما يستحيا من نكاحه وياكلون ما يتكرم على أكله ويعبدون فى الدنيا نارا تاكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأى فانظر هل ينبغى لمن لا يكذب ان لا تصدقه ولمن لا يخون ان لا تامنه ولمن لا يخلف ان لا تثق به فان كان هذا هكذا فهو هذا النبى الامى الذى والله لا يستطيع ذو عقل ان يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به أو ليته زاد فى عفوه أو نقص من عقابه ان كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر * فقال المنذر قد نظرت فى هذا الامر الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت فى دينكم فوجدته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام من جاء به ان يعظم رسوله وسانظر

﴿ فصل ﴾ ومما وقع فى السيرة فى حديث العلاء قول النبى عليه السلام له اذا سئلت عن مفتاح الجنة فقل مفتاحها لا اله الا الله وفى البخارى قيل لوهب أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله فقال بلى ولكن ليس من مفتاح الا وله أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح لك وفى رواية غيره ان ابن عباس ذكر له قول وهب فقال صدق وهب وأنا أخبركم عن الاسنان ما هى فذكر الصلاة والزكاة وشرائع الاسلام * وأما عمرو بن العاصى فقدم على الجلندى فقال له ياجلندى انك وان كنت منا بعيدا فانك من الله غير بعيد ان الذى تفرد بخلقك أهل أن تفرده بعبادتك وأن لا تشرك به من لم يشركه فيك واعلم أنه يميتك

الذى

وردنا ماء يثرب عن حفاظ * لربع انه قـرب ضرير
بكل مجرب كالسيد نهد * على اقتاد ناجية صبور
فدى لابى سليمى كل جيش * بيثرب اذ تناطحت النحور
غداة نرى المجرب مستكينا * خلاف القوم هامته تدور

«قال ابن هشام» قوله ولا يرجى لها عتق يسير وقوله عن العتق الامور عن غير ابن اسحق * تمت الغزاة وعدنا الى تفصيل ذكر السرايا والبعوث * قال ابن اسحق وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطرف من ناحية نخل من طريق العراق

﴿غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة﴾

وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادى القرى لقى به فزارة فاصيب بها ناس من أصحابه وارتث زيد من بين القتلى وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مداش وكان أحد بنى سعد بن هذيل أصابه أحد بنى بدر «قال ابن هشام» سعد بن هذيم * قال ابن اسحق فلما قدم زيد بن حارثة آلى ان لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة فلما استبل من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى فزارة فى جيش فقتلهم بوادى القرى وأصاب فيهم وقتل قيس بن المسحر اليعمرى مسعدة بن حكمة ابن مالك بن حذيفة بن بدر وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر وبنت لها وعبيد الله بن مسعدة فامر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة فقتلها قتلا عنيفا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة وبابن مسعدة وكانت بنت أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الاكوع كان هو الذى أصابها وكانت فى بيت شرف من قومها كانت العرب تقول لو كنت أعز من أم قرفة مازدت فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة فوهبها له فاهداها لخاله حزن بن أبى وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن فقال قيس بن المسحر فى قتل مسعدة

سعيت بورد مثل سعى ابن أمه * وانى بورد فى الحياة لثائر
كررت عليه المهر لما رأيته * على بطل من آل بدر مغاور
فركبت فيه قعضبيا كانه * شهاب بمعراة يذكى لناظر

﴿غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام﴾

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين احداهما التى أصاب فيها اليسير ابن رزام «قال ابن هشام» ويقال ابن رازم وكان من حديث اليسير بن رزام انه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه منهم عبد الله بن انيس حليف بنى سلمة فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا له انك ان قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك واكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فى نفر من يهود فحمله عبد الله بن انيس على بعيره حتى اذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة اميال ندم اليسير بن رزام على مسيره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففطن له عبد الله بن انيس وهو يريد السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه اليسير بمخراش فى يده من شوحط فامه ومال كل رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله الا رجلا واحدا أفلت على رجليه فلما قدم عبد الله بن انيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه * وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر فاصاب بها ابارافع بن ابى الحقيق

الذى أحياك ويعيدك الذى بدأك فانظر فى هذا النبى الامى الذى جاء بالدنيا والآخرة فان كان يريد به أجرا فامنعه او يميل به هوى فدعه ثم انظر فيما يجىء به هل يشبه ما يجىء به الناس فان كان يشبهه فسله العيان وتخير عليه فى الخبر وان كان لا يشبهه فاقبل ما قال وخف ما وعد قال الجلندى انه والله لقد دلنى على هذا النبى الامى انه لا يأمر بخير الا كان أول من أخذ به ولا ينهى عن شر الا كان أول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر وانه يفى بالعهد وينجز الموعود وانه لا يزال سر قد اطلع عليه يساوى فيه أهله وأشهد أنه نبى * وأما شجاع بن وهب فقدم على جبلة بن الايهم وهو جبلة بن الايهم بن الحارث بن أبى شمر وجبلة هو الذى أسلم ثم تنصر من أجل لطمة حاكم فيها الى أبى عبيدة بن الجراح وكان طوله اثنى عشر شبرا وكان يمسح برجليه الارض وهو راكب فقال له يا جبلة ان قومك نقلوا هذا النبى الامى من داره الى دارهم يعنى الانصار فآووه ومنعوه وان هذا الدين الذى أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت بها الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس لملك العراق وقد أقر بهذا النبى الامى من أهل دينك من ان فضلناه عليك لم يغضبك وان فضلناك عليه لم يرضك فان أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرة وكنت قد استبدلت المساجد بالبيع والآذان بالناقوس والجمع بالسعانين والقبلة بالصليب وكان ما عند الله خير وأبقى فقال له جبلة انى والله لوددت ان الناس أجمعوا على هذا النبى الامى اجتماعهم على خلق السموات والارض ولقد سرنى اجتماع قومى له وأعجبنى قتله أهل الاوثان واليهود واستبقاؤه النصارى ولقد دعانى

﴿ غزوة عبد الله بن انيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى ﴾

وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وهو بنخلة أو بعرنة يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه فقتله * قال ابن اسحق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال قال عبد الله بن أنيس دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه قد بلغنى ان ابن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى وهو بنخلة او بعرنة فاته فاقتله قلت يارسول الله انعته لى حتى أعرفه قال انك اذا رأيته اذكرك الشيطان وآية ما بينك و بينه انك اذا رأيته وجدت له قشعريرة قال فخرجت متوشحا سيفى حتى دفعت اليه وهو فى ظعن يرتاد لهن منزلا وحيث كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة فاقبلت نحوه وخشيت أن تكون بينى و بينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة فصليت وانا أمشى نحوه أومئ برأسى فلما انتهيت اليه قال من الرجل قلت رجل من العرب سمع بك و بجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك قال أجل انى لفى ذلك قال فمشيت معه شيا حتى اذا أمكننى حملت عليه بالسيف فقتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه منكبات عليه فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى قال أفلح الوجه قلت قد قتلته يارسول الله قال صدقت ثم قام بى فادخلنى بيته فاعطانى عصا فقال أمسك هذه العصا عندك ياعبد الله بن أنيس قال فخرجت بها على الناس فقالوا ما هذه العصا قلت أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرنى أن أمسكها عندى قالوا أفلا ترجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله لم ذلك قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لم أعطيتنى هذه العصا قال آية بينى و بينك يوم القيامة ان أقل الناس المتخصرون يومئذ قال فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ثم أمر بها فضمت فى كفنه ثم دفنا جميعا « قال ابن هشام » وقال عبد الله بن أنيس فى ذلك

تركت ابن ثور كالحوار وحوله * نوائح تفرى كل جيب مقدد
تناولته والظعن خلفى وخلفه * بابيض من ماء الحديد مهند
عجوم لهام الدارعين كانه * شهاب غضا من ملهب متوقد
أقول له والسيف يعجم رأسه * أنا ابن أنيس فارسا غير قعدد
أنا ابن الذى لم ينزل الدهر قدره * رحيب فناء الدار غير مزند
وقلت له خذها بضربة ماجد * حنيف على دين النبى محمد
وكنت اذا هم النبى بكافر * سبقت اليه باللسان و باليد

تمت الغزاة وعدنا الى خبر البعوث * قال ابن اسحق وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة مونة من أرض الشام فأصيبوا بها جميعا وغزوة كعب بن عمير الغفارى ذات اطلاح من أرض الشام أصيبوا بها هو وأصحابه جميعا وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بنى العنبر من بنى تميم

﴿ غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من تميم ﴾

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه اليهم فاغار عليهم فاصاب منهم أناسا وسبى منهم أناسا فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله ان على رقبة من ولد اسمعيل قال هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن فنعطيك منهم انسانا فتعتقينه * قال ابن اسحق فلما قدم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فيهم وفد من بنى تميم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ربيعة بن رفيع وسبرة بن عمرو والقعقاع بن معبد ووردان بن محرز وقيس بن عاصم ومالك بن عمرو والاقرع بن حابس وفراس بن حابس فكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فاعتق بعضا وأفدى بعضا وكان ممن قتل يومئذ من بنى العنبر عبد الله واخوان له بنو وهب وشداد بن فراس وحنظلة بن دارم وكان ممن سبى من

قيصر الى قتال أصحابه يوم مؤتة فابيت عليه فانتدب مالك بن نافلة من سعد العشيرة فقتله الله ولكنى لست أرى حقا ينفعه ولا باطلا يضره والذى يمدنى اليه أقوى من الذى يختلجنى عنه وسأنظر * وأما المهاجر بن أبى أمية فقدم على الحارث بن عبد كلال وقال له ياحارث انك كنت أول من عرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم نفسه فخطئت عنه وأنت أعظم الملوك قدرا فاذا نظرت فى غلبة الملوك فانظر فى غالب الملوك واذا سرك يومك فخف غدك وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها و بقيت أخبارها عاشوا طويلا وأملوا بعيدا وتزودوا قليلا منهم من أدركه الموت ومنهم من أكلته النقم وانى أدعوك الى الرب الذى ان أردت الهدى لم يمنعك وان أرادك لم يمنعه منك أحد وأدعوك الى النبى الامى الذى ليس له شىء أحسن مما يأمر به ولا أقبح مما ينهى عنه واعلم ان لك ربا يميت الحى و يحيى الميت و يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فقال الحارث قد كان هذا النبى عرض نفسه على فخطئت عنه وكان ذخرا لمن صار اليه وكان أمره أمرا سبق فحضره اليأس وغاب عنه الطمع ولم يكن لى قرابة أحتمله عليها ولا لى فيه هوى اتبعه له غير انى أرى أمرا لم يوسوسه الكذب ولم يسنده الباطل له بدء سار وعاقبة نافعة وسأنظر ومما قاله دحية بن خليفة فى قدومه على قيصر

الا

نسائهم يومئذ أسماء بنت مالك وكاس بنت أرى ونجوت بنت نهد وجميعة بنت قيس وعمرة بنت مطر فقالت فى ذلك اليوم سلمى بنت عتاب

لعمرى لقد لاقت عدى بن جندب * من الشر مهواة شديدا كؤدها تكنفها الاعداء من كل جانب * وغيب عنها عزها وجدودها

« قال ابن هشام » وقال الفرزدق فى ذلك وعند رسول الله قام ابن حابس * بخطة سوار الى المجد حازم

له أطلق الاسرى التى فى حباله * مغللة أعناقها فى الشكائم كفى أمهات الخائفين عليهم * غلاء المفادى أو سهام المقاسم

وهذه الابيات فى قصيدة له وعدى بن جندب من بنى العنبر والعنبر بن عمرو بن تميم

﴿ غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة ﴾

* قال ابن اسحق وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى كلب ليث أرض بنى مرة فاصاب بها مرداس بن نهيك حليفا لهم من الحرقة « قال ابن هشام » الحرقة من جهينة قتله أسامة بن زيد ورجل من الانصار فيما حدثنى أبو عبيدة * قال ابن اسحق وكان من حديثه عن أسامة بن زيد قال أدركته أنا ورجل من الانصار فلما شهرنا عليه السلاح قال أشهد ان لا اله الا الله قال فلم ننزع عنه حتى قتلناه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره فقال يا أسامة من لك بلا اله الا الله قال قلت يارسول الله انه انما قالها تعوذا بها من القتل قال فمن لك بها يا أسامة قال فوالذى بعثه بالحق مازال يرددها على حتى لوددت ان ما مضى من اسلامى لم يكن وأنى كنت أسلمت يومئذ وأنى لم أقتله قال قلت أنظرنى يارسول الله انى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا اله الا الله أبدا قال يقول بعدى يا أسامة قال قلت بعدك

﴿ غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل ﴾

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العرب الى الشام وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلى فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم يستألفهم لذلك حتى اذا كان على ماء بارض جذام يقال له السلسل وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل فلما كان عليه خاف فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الاولين فيهم أبو بكر وعمر وقال لابى عبيدة حين وجهه لا تختلفا فخرج أبو عبيدة حتى اذا قدم عليه قال له عمرو انما جئت مددا لى قال أبو عبيدة لا ولكنى على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا هينا عليه أمر الدنيا فقال له عمرو بل أنت مدد لى فقال له أبو عبيدة يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لا تختلفا وانك ان عصيتنى أطعتك قال فانى الامير عليك وأنت مدد لى قال فدونك فصلى عمرو بالناس قال وكان من الحديث فى هذه الغزاة أن رافع بن أبى رافع الطائى وهو رافع بن عميرة كان يحدث فيما بلغنى عن نفسه قال كنت امرأ نصرانيا وسميت جرجس فكنت أدل الناس وأهداه بهذا

ألا هل أتاها على نأيها * فانى قدمت على قيصر
فقدرته بصلاة المسيـ * ـح وكانت من الجوهر الاحمر
وتدبير ربك أمر السما * ء والارض فاغضى ولم ينكر
وقلت تقر ببشرى المسيـ * ـح فقال سانظر قلت انظر
فكاد يقر بامر الرسو * ل فمال الى البدل الاعور
فشك وجاشت له نفسه * وجاشت نفوس بنى الاصفر
على وضعه بيديه الكتا * ب على الرأس والعين والمنخر
فاصبح قيصر من أمره * بمنزلة الفرس الاشقر

يريد بالفرس الاشقر مثلا للعرب يقولون * أشقر ان يتقدم ينحر * وان يتاخر يعقر * وقال الشاعر فى هذا المعنى

وهل كنت الامثل سيقة العدى * ان استقدمت نحر وان جبات عقر

وفى حديث دحية من رواية الحارث فى مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ينطلق بكتابى هذا الى قيصر وله الجنة فقالوا وان لم يقتل يارسول الله قال وان لم يقتل فانطلق به رجل يعنى دحية وذكر الحديث

﴿ فصل ﴾ وذكر غزوة عمر الى تربة وهى تربة بفتح الراء أرض كانت لخثعم وفيها جاء المثل صادف بطنه بطن تربة يريدون الشبع والخصب قال البكرى وكذلك عرنة بفتح الراء يعنى التى عند عرفة

﴿ ذكر غزوه ذات السلاسل ﴾

والسلاسل مياه واحدها سلسل وأن عمرو بن العاصى كان الامير يومئذ وكان عليه السلام أمره أن يسير الى بلى وان أم أبيه العاصى كانت من بلى واسمها سلمى فيما ذكر الزبير وأما أم عمرو فهى ليلى تلقب بالنابغة سبيت من بنى جلان بن عنترة بن ربيعة * وذكر فى هذه السرية صحبة رافع بن أبى رافع لابى بكر وهو رافع بن عميرة

الرمل كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ثم أغير على ابل الناس فاذا أدخلتها الرمل غلبت عليها فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه حتى أمر بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام فاستخرجه فاشرب منه فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى ذات السلاسل قال فقلت والله لاختارن لنفسى صاحبا قال فصحبت أبا بكر قال فكنت معه فى رحله قال وكانت عليه عباية له فدكيه فكان اذا نزلنا بسطها واذا ركبنا لبسها ثم شكها عليه بخلال له قال وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا نحن نبايع ذا العباية قال فلما دنونا من المدينة قافلين قال قلت يا أبا بكر انما صحبتك لينفعنى الله بك فانصحنى وعلمنى قال لولم تسالنى ذلك لفعلت قال آمرك أن توحد الله ولا تشرك به شيا وأن تقيم الصلاة وأن تؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج هذا البيت وتغتسل من الجنابة ولا تتامر على رجلين من المسلمين أبدا قال قلت يا أبا بكر أما أنا والله فانى أرجو أن لا أشرك بالله أبدا وأما الصلاة فلن أتركها أبدا ان شاء الله وأما الزكاة فان يك لى مال أؤدها ان شاء الله وأما رمضان فلن أتركه أبدا ان شاء الله وأما الحج فان أستطع أحج ان شاء الله تعالى واما الجنابة فسأغتسل منها ان شاء الله وأما الامارة فانى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس الا بها فلم تنهانى عنها قال انك انما استجهدتنى لاجهدك وساخبرك عن ذلك ان شاء الله ان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه وفى ذمته فاياك أن تخفر الله فى جيرانه فيتبعك الله فى خفرته فان أحدكم يخفر فى جاره فيظل ناتئا عضله غضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير فالله أشد غضبا لجاره قال ففارقته على ذلك قال فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أبو بكر على الناس قال قدمت عليه فقلت له يا أبا بكر ألم تك نهيتنى على أن أتامر على رجلين من المسلمين قال بلى وأنا الآن أنهاك عن ذلك قال فقلت له فما حملك على أن تلى أمر الناس قال لا أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة * قال ابن اسحق أخبرنى يزيد بن أبى حبيب انه حدث عن عوف بن مالك الاشجعى قال كنت فى العزاة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى ذات السلاسل قال فصحبت أبا بكر وعمر فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يعضوها قال وكنت امرأ لبقا جازرا قال فقلت أتعطوننى منها عشيرا على ان اقسمها بينكم قالوا نعم قال فاخذت الشفرتين فجزأتها مكانى واخذت منها جزأ فحملته الى اصحابى فاطبخناه فاكلناه فقال لى ابو بكر وعمر رضى الله عنهما انى لك هذا اللحم يا عوف قال فاخبرتهما خبره فقالا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ثم قاما يتقيآن ما فى بطونهما من ذلك قال فلما قفل الناس من ذلك السفر كنت اول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجئته وهو يصلى فى بيته قال فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته قال اعوف بن مالك قال قلت نعم بابى انت وامى قال أصاحب الجزور ولم يزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيا

ويقال فيه ابن عمير وهو الذى كلمه الذئب وله شعر مشهور فى تكليم الذئب له وكان الذئب قد أغار على غنمه فاتبعه فقال له الذئب ألا أدلك على ما هو خير لك قد بعث نبى الله وهو يدعو الى الله فالحق به ففعل ذلك رافع وأسلم * وذكر فى حديثه مع أبى بكر انه أطعمه وعمر لحم جزور كان قد أخذ منها عشيرا على أن يجزئها لاهلها فقام أبو بكر وعمر فتقيآ ما أكلا وقالا أتطعمنا مثل هذا وذلك والله أعلم أنهما كرها أجرة مجهولة لان العشير واحد الاعشار على غير قياس يقال برمة أعشار اذا انكسرت ويجوز أن يكون العشير بمعنى العشر كالثمين بمعنى الثمن ولكنه عاملهم عليه قبل اخراج الجزور من جلدها وقبل النظر اليها أو يكونا كرها جزارة الجزار على كل حال والله أعلم * وذكر غزوة غالب بن عبد الله وقتله مرداس بن نهيك من الحرقة وقال ابن هشام الحرقة فيما ذكر أبو عبيدة وقال ابن حبيب فى يشكر حرقة بن ثعلبة وحرقة بن مالك كلاهما من بنى حبيب ابن كعب بن يشكر وفى قضاعة حرقة بن جذيمة بن نهد وفى تميم حرقة بن زيد بن مالك بن حنظلة وقال القاضى أبو الوليد هكذا وقعت هذه الاسماء كلها بالقاف وذكرها الدارقطنى كلها بالفاء * وذكر غزوة محمد بن مسلمة الى القرطاء وهم بنو قرط وقريط وقريط بنوا أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة * وذكر حيان بن ملة وهو حسان بن مله وكذلك قاله فى موضع آخر من الكتاب وهو قول ابن هشام * وذكر سعد بن هذيم وانما هو سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وانما نسب الى هذيم لان هذيما حضنه وهو عبد حبشى

﴿ حديث أم قرفة ﴾

التى جرى فيها المثل أمنع من أم قرفة لانها كانت يعاق فى بيتها خمسون سيفا كلهم لها ذو محرم واسمها فاطمة بنت حذيفة بن بدر كنيت بابنها قرفة قتله النبى عليه السلام فيما ذكر الواقدى * وذكر ان سائر بنيها وهم تسعة قتلوا

﴿ غزوة ابن ابى حدرد بطن اضم وقتل عامر بن الاضبط الاشجعى ﴾

وغزوة ابن ابى حدرد وأصحابه بطن اضم وكانت قبل الفتح * قال ابن اسحق حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن ابى حدرد عن ابيه عبد الله بن ابى حدرد قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اضم فى نفر من المسلمين منهم ابو قتادة الحرث بن ربعى ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن اضم مر بنا عامر بن الاضبط الاشجعى على قعود له ومعه متيع له ووطب من لبن قال فلما مر بنا سلم بتحية الاسلام فامسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشىء كان بينه و بينه وأخذ بعيره وأخذ متيعه قال فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا الى آخر الآية «قال ابن هشام» قرأ ابو عمرو بن العلاء ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا لهذا الحديث * قال ابن اسحق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال سمعت زياد بن ضميرة بن سعد السلمى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه عن جده وكانا شهدا حنينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ثم عمد الى ظل شجرة فجلس تحتها وهو بحنين فقام اليه الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر يختصمان فى عامر بن الاضبط الاشجعى عيينة يطلب بدم عامر وهو يومئذ رئيس غطفان والاقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندف فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول والله يارسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة مثل ما أذاق نسائى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين اذا رجعنا وهو يابى عليه اذ قام رجل من بنى ليث يقال له مكيثر قصير مجموع «قال ابن هشام» مكيتل فقال والله يارسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبها فى غرة الاسلام الا كغنم وردت فرميت اولاها فنفرت أخراها اسنن اليوم وغير غدا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال بل تاخذون الدية خمسين فى سفرنا هذ وخمسين اذا رجعنا قال فقبلوا الدية قال ثم قالوا أين صاحبكم هذا يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل آدم ضرب طويل عليه حلة له قد كان تهيأ فيها للقتل حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما اسمك قال أنا محلم بن جثامة قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة ثلاثا قال فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه قال فاما نحن فنقول فيما بيننا انا لنرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له وأما ما ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه أمنته بالله ثم قتلته ثم قال له المقالة التى قال قال فوالله ما مكث محلم بن جثامة الا سبعا حتى مات فلفظته والذى نفس الحسن بيده الارض ثم عادوا له فلفظته الارض ثم عادوا فلفظته فلما غلب قومه عمدوا الى صدين فسطحوه بينهما ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه قال فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال والله ان الارض لتطابق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم فى حرم ما بينكم بما أراكم منه * قال ابن اسحق وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث أن عيينة بن حصن وقيسا حين قال الاقرع بن حابس وخلا بهم يامعشر قيس منعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا

قتلوا مع طليحة بن بزاخة فى الردة وهم حكمة وخرشة وجبلة وشريك ووالان ورمل وحصين وذكر باقيم * وذكر ان أم قرفة قتلت يوم بزاخة أيضا وذكر عن عبد الله بن جعفر انه أنكر ذلك وهو الصحيح كما فى هذا الكتاب وذكر الدولابى ان زيد بن حارثة حين قتلها ربطها بفرسين ثم ركضا بها حتى ماتت وذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المرأة التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلمة وهى بنت أم قرفة وفى مصنف ابى داود وخرجه مسلم أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسلمة هب لى المرأة ياسلمة لله أبوك فقال هى لك يارسول الله ففدى بها أسيرا كان فى قريش من المسلمين وهذه الرواية أصح وأحسن من رواية ابن اسحق فانه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله بمكة وهو حزن بن أبى وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم وفاطمة جدة النبى صلى الله عليه وسلم أم أبيه هى بنت عمرو بن عائذ فهذه الخؤلة التى ذكر وقتل عبد الرحمن بن حزن باليمامة شهيدا وحزن هذا هو جد سعيد بن المسيب بن حزن ومسعدة الذى ذكر فى هذا الحديث انه قتل هو ابن حكمة بن حذيفة بن بدر وسلمة الذى كانت عنده الجارية قيل هو سلمة بن الاكوع واسم الاكوع سنان وقيل هو سلمة بن سلامة بن وقش قاله الزبير * وذكر غزوة أبى حدرد واسمه سلمة بن عمير وقيل عبيد بن عامر * وذكر قتل محلم بن جثامة وخبره فى غير رواية ابن اسحق ان محلم بن جثامة مات بحمص فى امارة ابن الزبير وأما الذى نزلت فيه الآية لمن القى اليكم السلم والاختلاف فيه شديد فقد قيل اسمه فليت وقيل هو محلم كما تقدم وقيل نزلت فى المقداد بن عمرو وقيل فى أسامة

يستصاح به الناس أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته أوأن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه والله الذى نفس الاقرع بيده لتسلمنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصنعن فيه ماأراد أولآتين بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله كلهم لقتل صاحبكم كافراماصلى قط فلاطلن دمه فلماسمعوا ذلك قبلوا الدية « قال ابن هشام » محلم فى هذا الحديث كله عن غير ابن اسحق وهو محلم بن جثامة بن قيس الليثى * وقال ابن اسحق ملجم فيما حدثناز يادعنه

﴿ غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى ﴾

* قال ابن اسحق وغزوة ابن أبى حدرد الاسلمى الغابة وكان من حديثهافيما بلغنى عمن لاأتهم عن أبى حدرد قال تزوجت امرأة من قومى وأصدقتهامائتى درهم قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحى فقال وكم أصدقت فقلت مائتى درهم يارسول الله قال سبحان الله لوكنتم تأخذون الدراهم من بطن وادمازدتم والله ماعندى ماأعينك به قال فلبثت أياما وأقبل رجل من بنى جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس أوقيس بن رفاعة فى بطن عظيم من بنى جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذا اسم فى جشم وشرف قال فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معى من المسلمين فقال اخرجوا الى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم قال وقدم لنا شارفا عجفاء فحمل عليها أحدنا فوالله ماقامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بايديهم حتى استقلت وما كادت ثم قال تبلغوا عليها واعتقبوها قال فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريبا من الحاضر عشيشية مع غروب الشمس قال كمنت فى ناحية وأمرت صاحبى فكمنا فى ناحية أخرى من حاضرى القوم وقلت لهما اذا سمعتمانى قد كبرت وشددت فى ناحية العسكر فكبرا وشدا معى قال فوالله انالكذلك ننتظر غرة القوم أو أن نصيب منهم شيا قال وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء وقد كان لهم راع وقد سرح فى ذلك البلد فابطاعليهم حتى تخوفوا عليه قال فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس فاخذ سيفه فجعله فى عنقه ثم قال والله لاتبعن أثر راعينا هذا ولقد أصابه شر فقال نفر ممن معه والله لا تذهب نحن نكفيك قال والله لا يذهب الا أنا قالوا فنحن معك قال والله لا يتبعنى أحد منكم قال وخرج حتى يمر بى قال فلما أمكننى نفحته بسهمى فوضعته فى فؤاده قال فوالله ماتكلم و وثبت اليه فاحتززت رأسه قال وشددت فى ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباى وكبرا قال فوالله ما كان الا النجاء ممن فيه عندك عندك بكل ماقدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وماخف معهم من أموالهم قال واستقنا ابلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجئت برأسه أحمله معى قال فاعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الابل بثلاثة عشر بعيرا فى صداقى فجمعت الى أهلى

وقيل فى أبى الدرداء واختلف أيضا فى المقتول فقيل مرداس بن نهيك وقيل عامر بن الاضبط والله أعلم كل هذامذكور فى التفاسير والمسندات * وذكر ابن اسحق ثمامة بن أثال الحنفى واسلامه وقدخرج أهل الحديث حديث اسلامه وفيه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان تقتل تقتل ذادم وان تنعم تنعم على شاكر وان تردالمال تعطه فقال عليه السلام اللهم أكلة من جزور أحب الى من دم ثمامة فاطلقه فتطهر وأسلم وحسن اسلامه ونفع الله به الاسلام كثيرا وقام بعدوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماحميداً حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة وذلك انه قام فيهم خطيبا وقال يابنى حنيفة أين عزبت عقولكم « بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب » أين هذامن ياضفدع نقى كماتنقين لاالشراب تكدرين ولاالماء تمنعين مما كان يهذى به مسيلمة فاطاعه منهم ثلاثة آلاف وانحاز والى المسلمين ففت ذلك فى أعضاد حنيفة وذكر ابن اسحق انه الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معى واحد الحديث وقال أبوعبيد هو أبو بصرة الغفارى وفى مسند ابن أبى شيبة انه جهجاه الغفارى وفى الدلائل ان اسمه نضلة وقد أملينا فى معنى قوله يأكل فى سبعة أمعاء نحوا من كراسة رددنا فيه قول من قال انه مخصوص برجل واحد وبينامعنى الاكل والسبعة الامعاء وأن الحديث ورد على سبب خاص ولكن معناه عام وأتينا فى ذلك بمافيه شفاء والحمدلله وقوله فى رواية البخارى ذادم رواه أبوداود ذاذم بالذال المعجمة

ابن

﴿ غزوة عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل ﴾

* قال ابن اسحق حدثنى من لاأتهم عن عطاء بن أبى رباح قال سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن ارسال العمامة من خلف الرجل اذا اعتم قال فقال عبد الله سأخبرك ان شاء الله عن ذلك بعلم كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهم وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل فتى من الانصار فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم

جلس فقال يارسول الله صلى الله عليك أى المؤمنين أفضل فقال أحسنهم خلقا قال فاى المؤمنين أكيس قال أكثرهم ذكرا للموت وأحسنهم استعدادا له قبل أن ينزل به أولئك الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن انه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الاظهر فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم الامنعوا القطر من السماء فلولا البهائم مامطروا وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فاخذ بعض ما كان فى أيديهم ومالم يحكم ائمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله الا جعل الله باسهم بينهم ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها فاصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فادناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ثم نقضها ثم عممه بها وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوا من ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه فحمد الله تعالى وصلى على نفسه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذه يا ابن عوف فاغزوا جميعا فى سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فاخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء « قال ابن هشام » نخرج الى دومة الجندل

﴿ غزوة أبى عبيدة بن الجراح الى سيف البحر ﴾

* قال ابن اسحق وحدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى سيف البحر عليهم أبو عبيدة بن الجراح وزودهم جرابا من تمر فجعل يقوتهم اياه حتى صار الى أن يعده عليهم عددا قال ثم نفد التمر حتى كان يعطى كل رجل منهم كل يوم تمرة قال فقسمها يوما بيننا قال فنقصت تمرة عن رجل فوجد فقدها ذلك اليوم قال فلما اجهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر فاصبنا من لحمها وودكها وأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سمنا وابتللنا وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها فوضعها على طريقه ثم أمر باجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا قال فجلس عليه قال فخرج من تحتها وما مست رأسه قال فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرناه خبرها وسالناه عما صنعنا فى ذلك من أكلنا اياه فقال رزق رزقكموه الله

﴿ مازاده ابن هشام مما لم يذكره ابن اسحاق ﴾

وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان بن العاصى رحمه الله فى هذا الموضع قال نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسماع أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابنى عبد الله بن عبد الرحيم ماهذا نصه وجدت بخط أخى قول ابن هشام هذا مما لم يذكره ابن اسحاق هو غلط منه قد ذكره ابن اسحاق عن جعفر بن عمرو بن أمية عن عمرو بن امية فيما حدث أسد عن يحيي بن زكرياء عن ابن اسحاق والقائل فى الحاشية وجدت بخط أخى هو أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم وفى الكتاب المذكور قول أبى بكر المذكور فى غزوة الطائف بعد قوله فولدت له داود بن أبى مرة الى هاهنا انتهى سماعى من اخى ومابقى من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه *وذكر سرية عمرو بن أمية وحله لخبيب بن عدى من خشبته التى صلب فيها وفى مسند ابن أبى شيبة زيادة حسنة انه ماحين حلاه من

﴿ بعث عمرو بن امية الضمرى لقتل أبى سفيان بن حرب وماصنع فى طريقه ﴾

« قال ابن هشام » ومما لم يذكره ابن اسحق من بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه بعث عمرو بن أمية الضمرى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثنى من أثق به من أهل العلم بعد مقتل خبيب بن عدى وأصحابه الى مكة وامره ان يقتل اباسفيان بن حرب وبعث معه جبار بن صخر الانصارى فخرجا حتى قدما مكة وحبسا جمليهما بشعب من شعاب ياجج ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرو لو انا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو ان القوم اذا تعشوا جلسوا بافنيتهم فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله انا لنمشى بمكة اذ نظر الى رجل من أهل مكة فعرفنى فقال عمرو بن أمية والله ان قدمها الا لشر فقلت لصاحبى النجاء فخرجنا نشتد حتى أصعدنا فى جبل وخرجوا فى طلبنا حتى اذا علونا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا فى الجبل فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرساله ويختلى عليها فغشينا ونحن فى الغار فقلت ان رآنا صاح بنا فاخذنا فقتلنا قال ومعى خنجر قد أعددته لابى سفيان فاخرج اليه فاضربه به على ثديه ضربة وصاح صيحة أسمع أهل مكة وأرجع فادخل مكانى وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك فقال عمرو بن أمية وغلبه الموت فمات مكانه ولم يدلل على مكاننا فاحتملوه فقلت لصاحبى لما أمسينا النجاء فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدى فقال أحدهم والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن امية لولا انه بالمدينة لقلت هو عمرو بن امية قال فلما حاذى الخشبة شد عليها فاخذها فاحتملها وخرجا شدا وخرجوا وراءه حتى اتى جرفا باهبط مسيل ياجج فرمى بالخشبة فى الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه قال وقلت لصاحبى النجاء النجاء حتى تاتى بعيرك فتقعد عليه فانى ساشغل عنك القوم وكان

الانصارى لا رحلة له قال ومضيت حتى اخرج على ضجنان ثم اويت الى جبل فادخل كهفا فبينا انا فيه اذ دخل على شيخ من بنى الديل اعور فى غنيمة له فقال من الرجل فقلت من بنى بكر فمن انت قال من بنى بكر فقلت مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال

ولست بمسلم مادمت حيا * ولادان بدين المسلمينا

فقلت فى نفسى ستعلم فامهلته حتى اذا نام أخذت قوسى فجعلت سيتها فى عينه الصحيحة ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ثم خرجت النجاء حتى جئت العرج ثم سلكت ركوبة حتى اذا هبطت النقيع اذا رجلان من قريش من المشركين كانت قريش بعثتهما عينا الى المدينة ينظران و يتجسسان فقلت استأسرا فابيا فارمى أحدهما بسهم فاقتله واستأسر الآخر فاوثقه رباطا وقدمت به المدينة

﴿سرية زيد بن حارثة الى مدين﴾

«قال ابن هشام» وسرية زيد بن حارثة الى مدين ذكر عبد الله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة ابنة الحسين بن على عليهم رضوان الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ومعه ضميرة مولى على بن أبى طالب رضوان الله عليه وأخ له قالت فاصاب سبيا من أهل ميناء وهى السواحل وفيها جماع من الناس فبيعوا ففرق بينهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال مالهم فقيل يارسول الله فرق بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبيعوهم الا جميعا «قال ابن هشام» أراد الامهات والاولاد

﴿سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك﴾

قال ابن اسحق وغزوة سالم بن عمير أبا عفك احد بنى عمرو بن عوف ثم من بنى عبيد وكان قد نجم نفاقه حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرث بن سويد بن صامت فقال

لقد عشت دهرا وما ان ارى * من الناس دارا ولا مجمعا
أبر عهودا وأوفى لمن * يعاقد فيهم اذا مادعا
من اولاد قيلة فى جمعهم * يهد الجبال ولن يخضعا
فصدعهم راكب جاءهم * حلال حرام لشتى معا
فلو أن بالعز صدقتم * أو الملك تابعتم تبعا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لى بهذا الخبيث فخرج سالم بن عمير أخو بنى عمرو بن عوف وهو أحد البكائين فقتله فقالت أمامة المريدية فى ذلك

تكذب دين الله والمرء أحمدا * لعمر الذى أمناك أن بئس مايمنى
حباك حنيف آخر الليل طعنة * أبا عفك خذها على كبر السن

﴿غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان﴾

وغزوة عمير بن عدى الخطمى عصماء بنت مروان وهى من بنى أمية بن زيد فلما قتل أبو عفك نافقت فذكر عبد الله بن الحرث ابن الفضيل عن أبيه قال وكانت تحت رجل من بنى خطمة يقال له يزيد بن زيد فقالت تعيب الاسلام وأهله

باست بنى مالك والنبيت * وعوف وباست بنى الخزرج
أطعتم أتاوى من غيركم * فلا من مراد ولا من مذحج
ترجونه بعد قتل الرؤس * كما يرتجى مرق المنضج
ألا آنف يبتغى غرة * فيقطع من أمل المرتجى

قال فاجابها حسان بن ثابت فقال

بنو وائل وبنو واقف * وخطمة دون بنى الخزرج
متى مادعت سفها ويحها * بعولتها والمنايا تجى
فهلا فتى ماجدا عرقه * كريم المداخل والمخرج
فضرجها من جميع الدماء * بعيد الهدو فلم يخرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ألا آخذ لى من ابنة مروان فسمع ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير ابن عدى الخطمى وهو عنده فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها فى بيتها فقتلها ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد قتلتها فقال نصرت الله و رسوله ياعمير فقال هل على شىء من شأنها يارسول الله فقال لا ينتطح فيها عنزان فرجع عمير الى قومه و بنو خطمة يومئذ كثير موجهم فى شأن بنت مروان ولها يومئذ بنون خمسة رجال فلما جاءهم عمير بن عدى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يابنى خطمة أنا قتلت ابنة مروان فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون فذلك اليوم أول ما عز الاسلام فى دار بنى خطمة وكان يستخفى باسلامه فيهم من أسلم وكان أول من أسلم من بنى خطمة عمير بن عدى وهو الذى يدعى القارئ وعبد الله بن أوس وخزيمة بن ثابت وأسلم يوم قتلت ابنة مروان رجال من بنى خطمة لما رأوا من عز الاسلام

الخشبة التقمته الارض * وذكر ابن هشام مقتل العصماء بنت مروان وفى خبرها قال صلى الله عليه وسلم لا ينتطح فيها عنزان وكانت تسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلها بعلها على ذلك فقال رسول الله صلى الله

﴿أسر ثمامة بن أثال الحنفى واسلامه بعد امتنان رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

والسرية التى أسرت ثمامة بن أثال الحنفى * بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة انه قال خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت رجلا من بنى حنيفة لا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال الحنفى أحسنوا اساره و رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله فقال اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به اليه وأمر بلقحته أن يغدى عليه بها و يراح فجعل لا يقع من ثمامة موقعا و يأتيه رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم يا ثمامة فيقول ايها يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان ترد الفداء فسل ما شئت فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يوما أطلقوا ثمامة فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع فتطهر فاحسن طهوره ثم أقبل فبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام فلما أمسى جاؤه بما كانوا ياتونه به من الطعام فلم ينل منه الا قليلا وباللقحة فلم يصب من حلابها الا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك مم تعجبون أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر وأكل آخر النهار فى معى مسلم ان الكافر ياكل فى سبعة أمعاء وان المسلم ياكل فى معى واحد ﴿ قال ابن هشام ﴾ فبلغنى أنه خرج معتمرا حتى اذا كان ببطن مكة لبى فكان أول من دخل مكة يلبي فاخذته قريش فقالوا لقد اجترأت علينا فلما قدموه ليضربوا عنقه قال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة لطعامكم فخلوه فقال الحنفى فى ذلك

ومنا الذى لبى بمكة معلنا * برغم أبى سفيان فى الاشهر الحرم

وحدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم لقد كان وجهك أبغض الوجوه الى ولقد أصبح وهو أحب الوجوه الى وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك ثم خرج معتمرا فلما قدم مكة قال أصبأت يا ثمام فقال لا ولكنى اتبعت خير الدين دين محمد ولا والله لا تصل اليكم حبة من اليمامة حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا الى مكة شيئا فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تامر بصلة الرحم وانك قد قطعت أرحامنا وقد قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه أن يخلى بينهم وبين الحمل

﴿ سرية علقمة بن مجزز ﴾ وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز لما قتل وقاص بن مجزز المدلجى يوم ذى قرد وسأل علقمة ابن مجزز رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعثه فى آثار القوم ليدرك ثاره فيهم فذكر عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عمرو بن علقمة عن عمر و ابن الحكم بن ثوبان عن أبى سعيد الخدرى قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز قال أبو سعيد الخدرى وأنا فيهم حتى اذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق أذن لطائفة من الجيش واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمى وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيه دعابة فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا ثم قال للقوم أليس لى عليكم السمع والطاعة قالوا بلى قال أفما أنا بآمركم بشيء الا فعلتموه قالوا نعم قال فانى أعزم عليكم بحقى وطاعتى الا تواثبتم فى هذه النار قال فقام بعض القوم يحتجز حتى ظن أنهم واثبون فيها فقال لهم اجلسوا فانما كنت أضحك معكم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا

﴿ سرية كرز بن جابر لقتل البجليين اللذين قتلوا يسارا ﴾ وبعث كرز بن جابر حدثنى بعض أهل العلم عمن حدثه عن محمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبدا يقال له يسار فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لقاح له كانت ترعى فى ناحية الحمى فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كبة من بجيلة فاستوبؤا وطحلوا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو خرجتم الى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها فخرجوا اليها فلما صحوا وانطوت بطونهم عدوا على راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسارا فذبحوه وغرزوا الشوك فى عينيه واستاقوا اللقاح فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كرز بن جابر فلحقهم فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة ذى قرد فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم

﴿ غزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه الى اليمن ﴾ وغزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه اليمن غزاها مرتين « قال ابن هشام » قال أبو عمرو المدنى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب الى اليمن وبعث خالد بن الوليد فى جند آخر وقال ان التقيتما فالامير على بن أبى طالب وقد ذكر ابن اسحق بعث خالد بن الوليد فى حديثه ولم يذكره فى عدة البعوث والسرايا فينبغى أن تكون العدة فى قوله تسعا وثلاثين

﴿ بعث أسامة بن زيد الى أرض فلسطين وهو آخر البعوث ﴾ قال ابن اسحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد ابن حارثة الى الشام وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الاولون « قال ابن هشام » وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ قال ابن اسحق فبينا الناس على ذلك ابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذى قبضه الله فيه الى ما أراد من كرامته ورحمته فى ليال بقين

الله عليه وسلم اشهدوا ان دمها هدر قال الدارقطنى من هاهنا يقوم أصل التسجيل فى الفقه لانه قد أشهد على نفسه بامضاء الحكم ووقع فى مصنف حماد بن سلمة انها كانت يهودية وكانت تطرح المحائض فى مسجد بنى خطمة فاهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها وقال لا ينتطح فيها عنزان

من صفر أو فى اول شهر ربيع الاول فكان أول ما ابتدئ به من ذلك فيما ذكر لى أنه خرج الى بقيع الغرقد من جوف الليل فاستغفر لهم ثم رجع الى أهله فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن عمر عن عبيد بن جبير مولى الحكم بن أبى العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبى مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل فقال يا أبا مويهبة انى قد أمرت ان أستغفر لاهل هذا البقيع فانطلق معى فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنى لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الاولى ثم أقبل على فقال يا أبا مويهبة انى قد أتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال فقلت بابى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة قال لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة ثم استغفر لاهل البقيع ثم انصرف فبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذى قبضه الله فيه * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة عن محمد بن مسلم الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدنى وأنا أجد صداعا فى رأسى وأنا أقول وارأساه فقال بل أنا والله يا عائشة وارأساه قالت ثم قال وما ضرك لو مت قبلى فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك قالت قلت والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتى فاعرست فيه ببعض نسائك قالت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استعز به وهو فى بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى فاذن له

﴿ ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم ﴾

«قال ابن هشام» وكن تسعا عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة وسودة بنت زمعة بن قيس و زينب بنت جحش بن رئاب وميمونة بنت الحرث بن حزن وجويرية بنت الحرث بن أبى ضرار وصفية بنت حيي بن أخطب فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة * خديجة بنت خويلد وهى أول من تزوج زوجه اياها أبوها خويلد بن أسد ويقال أخوها عمرو بن خويلد وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم الا ابراهيم وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم حليف بنى عبد الدار فولدت له هند بن أبى هالة و زينب بنت أبى هالة وكانت قبل أبى هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له عبد الله وجارية «قال ابن هشام» جارية من الجوارى تزوجها صيفى بن أبى رفاعة * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر الصديق بمكة وهى بنت سبع سنين وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين أو عشر ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها زوجه اياها أبوها أبو بكر وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى زوجه اياها سليط بن عمرو

﴿ ذكر أزواج النبى عليه السلام ﴾

قد تقدم فى مواضع من هذا الكتاب نبذ كافية من التعريف بهن وذكرها هنا خديجة وأنها كانت عند أبى هالة وكانت قبله عند عتيق بن عائذ «قال ابن أبى خيثمة» ولدت لعتيق عبد مناف وكان اسم أبى هالة هند بن زرارة بن النباش وقيل بل أبو هالة هو زرارة وابنه هند مات هند فى طاعون البصرة ومما نزيده هنا فى ذكر عائشة انها كانت تكنى أم عبد الله روى ابن الاعرابى فى المعجم حديثا مرفوعا انها أسقطت جنينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمى عبد الله فكانت تكنى به وهذا الحديث يدور على داود بن المحبر وهو ضعيف وأصح منه حديث أبى داوود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها تكنى بابن أختك عبد الله بن الزبير ويروى بابنك عبد الله بن الزبير لانها كانت قد استوهبته من أبويه فكان فى حجرها يدعوها اما ذكره ابن اسحاق وغيره وأصح ما روى فى فضلها على النساء قوله عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام وأراد الثريد باللحم كذا رواه معمر فى جامعه مفسرا عن قتادة وأبان يرفعه فقال فيه كفضل الثريد باللحم ووجه التفضيل من هذا الحديث انه قال فى حديث آخر سيد أدم الدنيا والآخرة اللحم مع أن الثريد اذا أطلق لفظه فهو ثريد اللحم وأنشد سيبويه

اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

ولولا ما تقدم من الحديث المخصص لخديجة بالفضل عليها حيث قال والله ما أبدلنى الله خيرا منها لقلنا بتفضيلها على خديجة وعلى نساء العالمين وكذلك القول فى مريم الصديقة فانها عند كثير من العلماء نبية نزل عليها

ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم «قال ابن هشام» ابن اسحق يخالف هذا الحديث يذكر أن سليطا وأبا حاطب كانا غائبين بارض الحبشة فى هذا الوقت وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب الاسدية زوجه اياها أخوها أبو أحمد بن جحش وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيها انزل الله تبارك وتعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية واسمها هند زوجه اياها سلمة بن أبى سلمة ابنها وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشا حشوه ليف وقدحا وصحفة ومجشة وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الاسد واسمه عبد الله فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب زوجه اياها أبوها عمر رضى الله عنه وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمى * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة واسمها رملة بنت أبى سفيان بن حرب زوجه اياها خالد بن سعيد بن العاص وهما بارض الحبشة وأصدقها النجاشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار وهو الذى كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الاسدى * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار الخزاعية كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس الانصارى فكاتبها على نفسها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها فقال هل لك فى خير من ذلك قالت وما هو قال أقضى عنك كتابتك وأتزوجك فقالت نعم فتزوجها «قال ابن هشام» حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة «قال ابن هشام» ويقال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحرث فكان بذات الجيش دفع جويرية الى رجل من الانصار وديعة وأمره بالاحتفاظ بها وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاقبل أبوها الحرث بن أبى ضرار بفداء ابنته فلما كان بالعقيق نظر الى الابل التى جاء بها للفداء فرغب فى بعيرين منها فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أصبتم ابنتى وهذا فداؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين البعيران اللذان غيبت بالعقيق فى شعب كذا وكذا فقال الحرث أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليك فوالله ما اطلع على ذلك الا الله تعالى فاسلم الحرث وأسلم معه ابنان له وناس كثير من قومه وأرسل الى البعيرين فجاء بهما فدفع الابل الى النبى صلى الله عليه وسلم ودفعت اليه ابنته جويرية فاسلمت وحسن اسلامها وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبيها فزوجه اياها وأصدقها اربعمائة درهم وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله «قال ابن هشام» ويقال اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس فاعتقها وتزوجها وأصدقها اربعمائة درهم * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن اخطب سباها من خيبر فاصطفاها لنفسه وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة ما فيها شحم ولا لحم كان سويقا وتمرا وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن ابى الحقيق * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحرث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة زوجه اياها العباس بن عبد المطلب واصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعمائة درهم وكانت قبله عند ابى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ويقال انها التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وذلك أن خطبة النبى صلى الله عليه وسلم انتهت اليها وهى على بعيرها فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله فانزل الله تبارك وتعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش

عليها جبريل عليه السلام بالوحى ولا يفضل على الانبياء غيرهم ومن قال لم تكن نبية وجعل قوله تعالى «اصطفاك على نساء العالمين» مخصوصا بعالم زمانها فمن قوله ان عائشة وخديجة أفضل منها وكذلك يقولون فى سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم انهن أفضل نساء العالمين ونزعوا فى تصحيح هذا المذهب بما يطول ذكره والله أعلم [وفى مسند البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى فاطمة هى سيدة نساء اهل الجنة الا مريم] * وذكر أم سلمة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقها مجشة وهى الرحى ومنه سمى الجشيش وذكر مع المشجة أشياء لا تعرف قيمتها منها جفنة وفراش وفى مسند البزار ذكر قيمتها قال أنس أصدقها متاعا قيمته عشرة دراهم قال البزار ويروى أربعون درهما * وذكر جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار وكانت قبله عند مسافع بن صفوان الخزاعى وقال أسلم الحارث وأسلم ابناه ولم يسمهما وهما الحارث بن الحارث وعمرو بن الحارث ذكره البخارى * وذكر زينب بنت جحش وان أخاها

ويقال ام شريك غزية بنت جابر بن وهب من بنى منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى ويقال بل هى امراة من بنى سامة بن لؤى فارجاها رسول الله صلى الله عليه وسلم * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحرث بن عبد الله بن عمرو ابن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة وكانت تسمى ام المساكين لرحمتها اياهم ورقتها عليهم زوجه اياها قبيصة بن عمرو الهلالى وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعمائة درهم وكانت قبله عند عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو ابن الحرث وهو ابن عمها فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى عشرة فمات قبله منهن ثنتان خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى اول هذا الحديث * وثنتان لم يدخل بهما اسماء بنت النعمان الكندية تزوجها فوجد بها بياضا فمتعها وردها الى اهلها وعمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم منيع عائذ الله فردها الى اهلها ويقال ان التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كندية بنت عم لاسماء بنت النعمان ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها فقالت انا من قوم نؤتى ولا نأتى فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهلها * القرشيات من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ست خديجة بنت خويلد بن اسد ابن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وعائشة بنت ابى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى * وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن زراح بن عدى بن كعب بن لؤى * وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى * وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى * وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى * والعربيات وغيرهن سبع زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن ذكر
كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة * وميمونة بنت الحرث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان * وزينب بنت خزيمة بن الحرث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية * وجويرية بنت الحرث بن أبى ضرار الخزاعية ثم المصطلقية * وأسماء بنت النعمان الكندية * وعمرة بنت يزيد الكلابية * ومن غير العربيات صفية بنت حيى بن أخطب من بنى النضير

بأحمد هو الذى أنكحها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا خلاف ما ثبت فى الحديث أنها كانت تفخر على صواحبها وتقول زوجكن أهلوكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجنى رب العالمين من فوق سبع سماوات وفى حديث آخر أنه لما نزلت الآية « زوجناكها » قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن ولم يذكر ابن اسحاق فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت دحية بن خليفة الكلبى وذكرها غيره ولم تقم عنده الا يسيرا حتى ماتت وكذلك العالية بنت ظبيان ذكرها غيره فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك وسنى بنت الصلت تزوجها ثم خلى سبيلها ويقال فيها سنا بنت أسماء بنت الصلت ومنهن أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية اتفقوا على تزويج النبى صلى الله عليه وسلم اياها واختلفوا فى سبب فراق النبى صلى الله عليه وسلم لها وكذلك قيل فى شراف بنت خليفة انها هلكت قبل أن يدخل بها فالله أعلم وذكر خولة ويقال فيها خويلة ذكرت فيمن تزوجهم النبى عليه السلام ويقال هى التى وهبت نفسها للنبى عليه السلام

« وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم »

« عدنا الى ذكر شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم »

* قال ابن اسحق حدثنى يعقوب بن عتبة عن محمد بن مسلم الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر عاصبا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتى قال عبيد الله فحدثت هذا الحديث عبد الله بن عباس فقال هل تدرى من الرجل الآخر قال قلت لا قال على بن أبى طالب ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه فقال هريقوا على سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج الى الناس فاعهد اليهم قالت فاقعدناه فى مخضب لحفصة بنت عمر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم * قال ابن اسحق وقال الزهرى حدثنى أيوب بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ثم كان أول ما تكلم به انه صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم ثم قال ان عبدا من عباد الله خيره الله بين

الدنيا وبين ما عندة فاختار ما عند الله قال ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد فبكى وقال بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر ثم قال انظروا هذه الابواب اللافظة فى المسجد فسدوها الا بيت أبى بكر فانى لا أعلم أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه «قال ابن هشام» ويروى الا باب أبى بكر * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن بعض آل أبى سعيد بن المعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ فى كلامه هذا فانى لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صحبة واخاء ايمان حتى يجمع الله بيننا عنده * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطا الناس فى بعث اسامة وهو فى وجعه فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر وقد كان الناس قالوا فى امارة أسامة أمر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والانصار فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال أيها الناس انفذوا بعث اسامة فلعمرى لئن قلتم فى امارته لقد قلتم فى امارة أبيه من قبله وانه لخليق للامارة وان كان أبوه لخليقا لها قال ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكمش الناس فى جهازهم واستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فخرج أسامة وخرج بجيشه معه حتى نزلوا الجرف من المدينة على فرسخ فضرب به عسكره وتتام اليه الناس وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام اسامة والناس لينظروا ما الله قاض فى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق قال الزهرى وحدثنى عبد الله بن كعب ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلى واستغفر لاصحاب أحد وذكر من أمرهم ماذكر مع مقالته يومئذ يا معشر المهاجرين استوصوا بالانصار خيرا فان الناس يزيدون وان الانصار على هيئتها لا تزيد وانهم كانوا عيبتى التى أويت اليها فاحسنوا الى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيته وتتام به وجعه حتى غمر فاجتمع اليه نساء من نسائه أم سلمة وميمونة ونساء من نساء المسلمين منهن أسماء بنت عميس وعنده العباس عمه فاجمعوا أن يلدوه وقال العباس لالدنه قال فلدوه فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صنع هذا بى قالوا يا رسول الله عمك قال هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الارض وأشار نحو أرض الحبشة قال ولم فعلتم ذلك فقال عمه العباس خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال ان ذلك لداء ما كان الله ليقذفنى به لا يبق فى البيت احد الا لد الا عمى

ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم فى مرضه الى المسجد وان أبا بكر كان الامام وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتم به وهذا الحديث مرسل فى السيرة والمعروف فى الصحاح ان أبا بكر كان يصلى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبى بكر ولكن قد روى عن أنس من طريق متصل ان أبا بكر كان الامام يومئذ واختلف فيه عن عائشة رضى الله عنها وروى الدارقطنى من طريق المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مات نبى حتى يؤمه رجل من أمته وذكر أبو عمر هذا الحديث الا انه ساقه عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن مرسلا وقد أسنده البزار أيضا من طريق ابن الزبير عن عمر عن ابى بكر وفى مراسيل الحسن البصرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض عشرة ايام صلى ابو بكر بالناس تسعة ايام منها ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم العاشر منها يهادى بين رجلين اسامة والفضل بن عباس حتى صلى خلف ابى بكر رواه الدارقطنى ففى هذا الحديث انه مرض عشرة ايام وهو غريب وفيه أن احد الرجلين كان اسامة والمعروف عن ابن عباس أنه كان على بن ابى طالب وفيه صلاته عليه السلام خلف ابى بكر

﴿فصل﴾ وذكر حديث العباس وانه قال لالدنه فلدوه وحسبوا ان به ذات الجنب ففى هذا الحديث ان العباس حضره ولده مع من لد وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبقين أحد بالبيت الا لد الا عمى العباس فانه لم يشهدكم وهذه أصح من رواية ابن اسحق وانما لدوه لانه عليه السلام قد قال فى القسط فيه سبعة أشفية يلد به من ذات الجنب ويسعط به من العذرة ولم يذكر الخمسة قال ابن شهاب فنحن نستعمله فى أدويتنا كلها العلنا نصيبها واللدود فى جانب الفم من داخله يجعل هناك الدواء ويحك بالاصبع قليلا * وقوله فى ذات الجنب ذاك داء ما كان الله ليقذفنى به وقال فى هذا الحديث من رواية الطبرى له انا أكرم على الله من ان يقذفنى بها وفى رواية أخرى وهى من الشيطان وما كان الله ليسلطها علىّ وهذا يدل على انها من سيئ الاسقام التى تعوذ النبى عليه السلام منها فى دعائه حيث يقول اللهم انى أعوذ بك من الجنون والجذام وسيئ الاسقام وان كان صاحبها من الشهداء السبعة ولكنه عليه السلام قد تعوذ من الغرق والحرق مع قوله عليه السلام الغريق شهيد والحريق شهيد وقد ذكر ان أسماء بنت عميس هى التى لدته فالله أعلم والوجع الذى كان بالنبى عليه السلام فلدهو الوجع الذى يسمى خاصرة وقد جاء ذكره فى كتاب النذور من الموطا قال فيه فاصابتنى خاصرة قالت عائشة وكثيرا ما كان يصيب رسول الله صلى الله

فالقد لدت ميمونة وانها الصائمة لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوبة لهم بما صنعوا به * قال ابن اسحق وحدثني سعيد بن عبيد بن السباق عن محمد بن اسامة عن أبيه أسامة بن زيد قال لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معي الى المدينة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده الى السماء ثم يضعها على فاعرف انه يدعولي * قال ابن اسحق وقال ابن شهاب الزهري حدثني عبيد بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما أسمعه يقول ان الله لم يقبض نبيا حتى يخيره قالت فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول بل الرفيق الاعلى من الجنة قالت قلت اذا والله لا يختارنا وعرفت أنه الذي كان يقول لنا ان نبيا لم يقبض حتى يخير

﴿صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس﴾

قال الزهري وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت قلت يا نبي الله ان أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء اذا قرأ القرآن قال مروه فليصل بالناس قالت فعدت بمثل قولي فقال انكن صواحب يوسف فمروه فليصل بالناس قالت فوالله ما أقول ذلك الا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبدا وان الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر * قال ابن اسحق وقال ابن شهاب حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام عن أبيه عن عبد الله ابن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد قال لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وانا عنده في نفر من المسلمين قال دعاه بلال الى الصلاة فقال مروا من يصلي بالناس قال فخرجت فاذا عمر في الناس وكان أبو بكر غائبا فقلت قم يا عمر فصل بالناس قال فقام فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان عمر رجلا مجهرا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين أبو بكر يابى الله ذلك والمسلمون يابى الله ذلك والمسلمون قال فبعث الى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس قال قال عبد الله بن زمعة قال لي عمر ويحك ماذا صنعت بي يا ابن زمعة والله ما ظننت حين أمرتني الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ولولا ذلك ما صليت بالناس قال قلت والله ما امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس * قال ابن اسحق وقال الزهري حدثني أنس بن مالك انه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم خرج الى الناس وهم يصلون الصبح فرفع

عليه وسلم الخاصرة قالت ولا نهتدي لاسم الخاصرة ونقول أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عرق في الكلية وفي مسند الحارث بن أبي اسامة يرفعه الى النبي عليه السلام قال الخاصرة عرق في الكلية اذا تحرك وجع صاحبه دواؤه العسل بالماء المحرق وهو حديث يرويه عبد الرحيم بن عمرو عن الزهري عن عروة وعبد الرحيم ضعيف مذكور عند المحدثين في الضعفاء ولكن قد روت عنه جماعة منهم * وقول أبي بكر رضي الله عنه هذا يوم بنت خارجة يا رسول الله بنت خارجة اسمها حبيبة وقيل ملكية وخارجة هو ابن زيد بن أبي زهير وابن خارجة هو زيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت فيما روى ثقات أهل الحديث لا يختلفون في ذلك وذلك أنه مات في زمن عثمان فلما سجي عليه سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم فقال أحمد أحمد في الكتاب الاول صدق صدق وأبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الاول صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الامين في الكتاب الاول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت سنتان أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر أريس وما بئر أريس قال سعيد بن المسيب ثم هلك رجل من بني خطمة فسجي بثوب فسمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم فقال ان أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق وكانت وفاته في خلافة عثمان رضي الله عنه وقد عرض مثل هذه القصة لربيع بن خراش أخي ربعي بن خراش قال ربعي مات أخي فسجيناه وجلسنا عنده فبينما نحن كذلك اذ كشف الثوب عن وجهه ثم قال السلام عليكم قلت سبحان الله أبعد الموت قال اني لقيت ربي فتلقاني بروح وريحان ورب غير غضبان وكساني ثيابا خضرا من سندس واستبرق اسرعوا بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أقسم ان لا يبرح حتى آتيه وأدركه وان الامر أهون ما تذهبون اليه فلا تغتروا ثم والله كانما كانت نفسه حصاة فالقيت في طست

﴿فصل﴾ وذكر ان آخر كلمة تكلم بها عليه السلام اللهم الرفيق الاعلى وهذا منتزع من قوله تبارك وتعالى «فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الى قوله سبحانه وحسن أولئك رفيقا» فهذا هو الرفيق الاعلى ولم يقل الرفقاء لما قدمناه في هذا الكتاب مما حسن ذلك مع ان أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد فهذه آخر كلمة تكلم بها عليه السلام وهي تتضمن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام

المؤمن

الستر وفتح الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على باب عائشة فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحا به وتفرجوا فاشار اليهم أن اثبتوا على صلاتكم قال وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرورا لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة قال ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افرق من وجعه فرجع أبو بكر الى أهله بالسنح * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن ابراهيم بن الحرث عن القاسم بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة أين أبو بكر يابى الله ذلك والمسلمون فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ولكنه قال عند وفاته ان استخلف فقد استخلف من هو خير منى وان أتركهم فقد تركهم من هو خير منى فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا وكان عمر غير متهم على أبى بكر * قال ابن اسحق وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مليكة قال لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه الى الصبح وأبو بكر يصلى بالناس فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس فعرف أبو بكر ان الناس لم يصنعوا ذلك الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنكص عن مصلاه فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظهره وقال صل بالناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فصلى قاعدا عن يمين أبى بكر فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلمهم رافعا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد يقول أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم وانى والله ما تمسكون على بشىء انى لم أحل الا ما أحل القرآن ولم أحرم الا ما حرم القرآن قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه قال له أبو بكر يا نبى الله انى أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خارجة أفآتيها قال نعم ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر الى اهله بالسنح * قال ابن اسحق قال الزهرى وحدثنى عبد الله ابن كعب بن مالك عن عبد الله بن عباس قال خرج يومئذ على بن ابى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الناس يا ابا حسن كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اصبح بحمد الله بارئا قال فاخذ العباس بيده ثم قال يا على انت والله عبد العصا بعد ثلاث أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب فانطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان هذا الامر فينا عرفناه وان كان فى غيرنا أمرناه فاوصى بنا الناس قال فقال له على انى والله لا أفعل والله لئن منعناه لا يؤتيناه أحد بعده فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة عن الزهرى عن عروة عن عائشة قال قالت رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل المسجد فاضطجع فى حجرى فدخل على رجل من آل أبى بكر وفى يده سواك أخضر قالت فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فى يده نظرا عرفت انه يريده قالت فقلت يا رسول الله أتحب ان اعطيك هذا السواك قال نعم قالت فاخذته فمضغته له حتى لينته ثم اعطيته اياه قالت فاستن به كاشد ما رأيته يستن بسواك قط ثم وضعه ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل فى حجرى فذهبت انظر فى وجهه فاذا بصره قد شخص وهو يقول بل الرفيق الاعلى من الجنة قالت فقلت خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق قالت وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال سمعت عائشة تقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وفى دولتى لم أظلم فيه أحدا فمن سفهى وحداثة سنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو فى حجرى ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء واضرب وجهى * قال ابن اسحق قال الزهرى وحدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

المؤمن لانه قال مع الذين أنعم الله عليهم وهم أصحاب الصراط المستقيم وهم أهل لا اله الا الله قال الله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم» ثم بين فى الآية المتقدمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم وهم الرفيق الاعلى الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خير فاختار وبعض الرواة يقول عن عائشة فى هذا الحديث فاشار باصبعه وقال فى الرفيق وفى رواية أخرى انه قال اللهم الرفيق وأشار بالسبابة يريد التوحيد فقد دخل بهذه الاشارة فى عموم قوله عليه السلام من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة ولا شك انه عليه السلام فى أعلى درجات الجنة ولو لم يشر ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل لم يكن آخر كلامه لا اله الا الله وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترضع عند حليمة ان قال الله أكبر رأيت ذلك فى بعض كتب الواقدى * وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بان قال الصلاة وما ملكت أيمانكم حرك بها لسانه وما يكاد يبين وفى قوله ما ملكت أيمانكم قولان قيل أراد الرفق بالمملوك وقيل أراد الزكاة لانها فى القرآن مقرونة بالصلاة وهى من ملك اليمين قاله الخطابى * وقول عائشة رضى الله عنها فمن سفهى وحداثة سنى انه قبض فى حجرى فوضعت رأسه على الوسادة وقمت ألتدم مع النساء الالتدام ضرب الخد باليد ولم يدخل

قام عمر بن الخطاب فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى وان رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات ولكنه قد ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى فليقطعن ايدى رجال وارجلهم زعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأقبل ابو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر وعمر يكلم الناس فلم يلتفت الى شىء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فى ناحية البيت عليه برد حبرة فاقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل عليه فقبله ثم قال بابى انت وامى اما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة ابدا قال ثم رد البرد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال على رسلك يا عمر أنصت فابى الا ان يتكلم فلما رآه ابو بكر لا ينصت أقبل على الناس فلما سمع الناس كلامه اقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد واثنى عليه ثم قال ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت قال ثم تلا هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا وسيجزى الله الشاكرين قال فوالله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت حتى تلاها ابو بكر يومئذ قال واخذها الناس عن ابى بكر فانما هى فى أفواههم قال فقال ابو هريرة قال عمر فوالله ماهؤلاء الا ان سمعت أن ابا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت الى الارض ما تحملنى رجلاى وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات

﴿امر سقيفة بنى ساعدة﴾

* قال ابن اسحق ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحى من الانصار الى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة واعتزل على بن ابى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة وانحاز بقية المهاجرين الى ابى بكر وعمر وانحاز معهم اسيد بن حضير فى بنى عبد الاشهل فاتى آت الى ابى بكر وعمر فقال ان هذا الحى من الانصار مع سعد بن عبادة فى سقيفه بنى ساعدة قد انحازوا اليه فان كان لكم بامر الناس حاجة فادركوا الناس قبل ان يتفاقم أمرهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يفرغ من امره قد اغلق دونه الباب اهله قال عمر فقلت لابى بكر انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الانصار حتى ننظر ماهم عليه * قال ابن اسحق وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الانصار أن عبد الله بن ابى بكر حدثنى عن ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس قال أخبرنى عبد الرحمن بن عوف قال وكنت فى منزله بمنى انتظره وهو عند عمر فى آخر حجة حجها عمر قال فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر فوجدنى فى منزله بمنى انتظره وكنت اقرئه القرآن قال ابن عباس فقال لى عبد الرحمن بن عوف لو رأيت رجلا اتى امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين هل لك فى فلان يقول والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا والله ما كانت بيعة ابى بكر الا فلتة فتمت قال فغضب عمر فقال انى ان شاء الله لقائم العشية فى الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون ان يغصبوهم أمرهم قال عبد الرحمن فقلت يا امير المؤمنين لا تفعل فان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وانهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم فى الناس وانى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها اولئك عنك كل مطير ولا يعوها ولا يضعوها على مواضعها فامهل حتى تقدم

هذا فى التحريم لان التحريم انما وقع على الصراخ والنوح ولعنت الخارقة والحالقة والصالقة وهى الرافعة لصوتها ولم يذكر اللدم لكنه وان لم يذكره فانه مكروه فى حال المصيبة وتركه أحمد الا على أحمد صلى الله عليه وسلم

فالصبر يحمد فى المصائب كلها * الا عليك فانه مذموم
وقد كان يدعى لابس الصبر حازما * فاصبح يدعى حازما حين يجزع

واتفقوا انه توفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الا شيئا ذكره ابن قتيبة فى المعارف الاربعاء قالوا كلهم وفى ربيع الاول غير انهم قالوا أو قال أكثرهم فى الثانى عشر من ربيع ولا يصح أن يكون توفى صلى الله عليه وسلم الا فى الثانى من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر لاجماع المسلمين على أن وقفة عرفة فى حجة الوداع كانت يوم الجمعة وهو التاسع من ذى الحجة فدخل ذو الحجة يوم الخميس فكان المحرم اما الجمعة واما السبت فان كان الجمعة فقد كان صفر اما السبت واما الاحد فان كان السبت فقد كان ربيع الاحد أو الاثنين وكيف ما دارت الحال على هذا الحساب فلم يكن الثانى عشر من ربيع يوم الاثنين بوجه ولا الاربعاء أيضا كما قال القتبى وذكر الطبرى عن ابن الكلبى وأبى مخنف انه توفى فى الثانى من ربيع الاول وهذا القول وان كان خلاف أهل الجمهور فانه لا يبعد ان كانت الثلاثة الاشهر التى قبله كلها من تسعة وعشرين فتدبره فانه صحيح ولم أر أحدا تفطن له وقد رأيت للخوارزمى انه توفى عليه السلام فى أول يوم من ربيع الاول وهذا أقرب فى القياس بما ذكر الطبرى عن ابن الكلبى وأبى مخنف

﴿فصل﴾ وذكر عن عائشة رضى الله عنها أنها ناولته السواك حين رأته ينظر اليه فاستاك به وفيه من

المدينة فانها دار السنة وتخلص باهل الفقه واشراف الناس فتقول ماقلت بالمدينة متمكنا فيعى اهل الفقه مقالتك ويضعوها على مواضعها قال فقال عمر اما والله ان شاء الله لاقومن بذلك اول مقام اقومه بالمدينة قال ابن عباس فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس فاجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا الى ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتى ركبته فلم أنشب ان خرج عمر بن الخطاب فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف قال فانكر على سعيد بن زيد ذلك وقال ماعسى ان يقول مما لم يقل قبله فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذن قام فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فانى قائل لكم مقالة قد قدر لى ان اقولها ولا ادرى لعلها بين يدى أجلى فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ومن خشى ان لا يعيها فلا يحل لاحد ان يكذب على ان الله بعث محمدا وأنزل عليه الكتاب فكان مما انزل عليه آية الرجم فقرأناها وعلمناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل والله مانجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف ثم انا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم او كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم ألا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطرونى كما أطرى عيسى بن مريم وقولوا عبد الله ورسوله ثم انه قد بلغنى أن فلانا قال والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا فلا يغرن امرأ ان يقول ان بيعة ابى بكر كانت فلتة فتمت وانها قد كانت كذلك الا أن الله قد وقى شرها وليس فيكم من تنقطع الاعناق اليه مثل أبى بكر فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فانه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تغرة ان يقتلا انه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان الانصار خالفونا فاجتمعوا باشرافهم فى سقيفة بنى ساعدة وتخلف عنا على بن أبى طالب والزبير بن العوام ومن معهما واجتمع المهاجرون الى أبى بكر فقلت لابى بكر انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الانصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم وقال اين تريدون يامعشر المهاجرين قلنا نريد اخواننا هؤلاء من الانصار قالا فلا عليكم أن لا تقربوهم يامعشر المهاجرين اقضوا أمركم قال قلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة فاذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا فقالوا سعد بن عبادة فقلت ماله فقالوا وجع فلما جلسنا تشهد خطيبهم فاثنى على الله بما هو له أهل ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة من قومكم قال واذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ويغتصبونا الامر فلما سكت أردت ان اتكلم وقد زورت فى نفسى مقالة قد اعجبتنى أن أريد ان أقدمها بين يدى أبى بكر وكنت اداري منه بعض الحد فقال أبو بكر على رسلك ياعمر فكرهت أن أغضبه فتكلم وهو كان أعلم منى وأوقر فوالله ماترك من كلمة اعجبتنى من تزويرى الا قالها فى بديهته أو مثلها أو أفضل حتى سكت قال أما ماذكرتم فيكم من خير فانتم له أهل ولن تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحى من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ولم أكره شيئا مما قال غيرها كان والله ان أقدم فتضرب عنقى لا يقربنى اثم ذلك الى أحب الى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر قال فقال قائل من الانصار انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا امير ومنكم امير يامعشر قريش قال فكثر اللغط وارتفعت الاصوات حتى تخوفت الاختلاف فقلت ابسط يدك ياأبا بكر فبسط يده فبايعته ثم بايعه المهاجرون ثم بايعه الانصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة قال فقلت قتل الله سعد بن عبادة * قال ابن اسحق قال الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير ان

الفقه التنظف والتطهر للموت ولذلك يستحب الاستحداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خبيب لان الميت قادم على ربه كما ان المصلى مناج لربه فالنظافة من شأنهما وفى الحديث ان الله نظيف يحب النظافة خرجه الترمذى وان كان معلول السند فان معناه صحيح وليس النظيف من أسماء الرب ولكنه حسن فى هذا الحديث لازدواج الكلام ولقرب معنى النظافة من معنى القدس ومن أسمائه سبحانه القدوس وكان السواك المذكور فى هذا الحديث من عسيب نخل فيما روى بعضهم والعرب تستاك بالعسيب وكان أحب السواك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صرع الاراك واحدها صريع وهو قضيب ينطوى من الاراكة حتى يبلغ التراب فيبقى فى ظلها فهو ألين من فرعها ومما روى من قول عائشة رضى الله عنها فى معنى قولها بين سحرى ونحرى أنها قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حاقنتى وداقنتى فالحاقنة الثغرة والداقنة تحت الذقن ويقال لها النونة أيضا وروى أيضا بين شجرى بالشين والجيم ونحرى وسئل عمارة بن عقيل عن معناه فشبك بين أصابع يديه وضمها الى نحره وغسل عليه السلام حين قبض من بئر لسعد بن خيثمة يقال لها بئر الغرس

أحد الرجلين اللذين لقوا من الانصار حين ذهبوا الى السقيفة عويم بن ساعدة والآخر معن بن عدى أخو بنى العجلان فاما عويم بن ساعدة فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله عز وجل لهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المرء منهم عويم بن ساعدة وأما معن بن عدى فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل وقالوا والله لوددنا أنا متنا قبله انا نخشى أن نفتتن بعده قال معن بن عدى لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا فقتل معن يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر يوم مسيلمة الكذاب * قال ابن اسحق وحدثنى الزهرى قال حدثنى أنس بن مالك قال لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس انى قد كنت قلت لكم بالامس مقالة ما كانت وما وجدتها فى كتاب الله ولا كانت عهدا عهده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا يقول يكون آخرنا وان الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين اذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فاعينونى وان أسأت فقومونى الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط الا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله * قال ابن اسحق وحدثنى حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال والله انى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد الى حاجة له وفى يده الدرة وما معه غيرى قال وهو يحدث نفسه ويضرب وحشى قدمه بدرته قال اذ التفت الى فقال يا ابن عباس هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت لا أدرى يا أمير المؤمنين أنت أعلم قال فانه والله ان كان الذى حملنى على ذلك الا أنى كنت أقرأ هذه الآية وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فوالله ان كنت لأظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها فانه للذى حملنى على الذى قلت ما قلت

﴿ جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه ﴾

* قال ابن اسحق فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء فحدثنى عبد الله بن أبى بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا ان على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس واسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين ولوا غسله وان أوس بن خولى أحد بنى عوف بن الخزرج قال لعلى بن ابى طالب أنشدك الله يا على وحظنا من رسول الله صلى

﴿ فصل ﴾ وذكر انهم كلموا حين أرادوا نزع قميصه للغسل وكلهم سمع الصوت ولم ير الشخص وذلك من كراماته صلى الله عليه وسلم ومن آيات نبوته بعد الموت فقد كان له عليه السلام كرامات ومعجزات فى حياته وقبل مولده وبعد موته ومنها ما رواه أبو عمر رحمه الله فى التمهيد من طرق صحاح ان أهل بيته سمعوا وهو مسجى بينهم قائلا يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أهل البيت ان فى الله عوضا من كل تالف وخلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة فاصبروا واحتسبوا ان الله مع الصابرين وهو حسبنا ونعم الوكيل قال فكانوا يرون انه الخضر صلى الله على نبينا وعليه ومن ذلك ايضا أن الفضل بن عباس كان يغسله هو وعلى فجعل الفضل وهو يصب الماء يقول أرحنى أرحنى فانى أجد شيئا يتنزل على ظهرى ومنها انه عليه السلام لم يظهر منه شىء مما يظهر من الموتى ولا تغيرت له رائحة وقد طال مكثه فى البيت قبل أن يدفن وكان موته فى شهر أيلول فكان طيبا حيا وميتا وان كان عمه العباس قد قال لعلى ان ابن أخى مات لا شك وهو من بنى آدم يأسن كما يأسنون فواروه وكان مما زاد العباس يقينا بموته عليه السلام انه كان قد رأى قبل ذلك بيسير كان القمر رفع من الارض الى السماء باشطان فقصها على نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال له هو ابن أخيك وروى يونس بن بكير فى السيرة ان أم سلمة قالت وضعت يدى على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ميت فمرت على جمع لا آكل ولا أتوضأ الا وجدت ريح المسك من يدى وفى روايته أيضا ان عليا نودى وهو يغسله أن ارفع طرفك الى السماء وفيها أيضا ان عليا والفضل حين انتهيا فى الغسل الى أسفله سمعوا مناديا يقول لا تكشفوا عورة نبيكم عليه السلام * وأما جزع عمر رضى الله عنه وقوله والله ما مات رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر قال ادخل فدخل فجلس وحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسنده على بن أبى طالب الى صدره وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه وكان اسامة بن زيد وشقران مولاه هما اللذان يصبان الماء وعلى يغسله قد اسنده الى صدره وعليه قميصه يدلكه به من ورائه لا يفضى بيده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يقول بابى أنت وامى ما اطيبك حيا وميتا ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء مما يرى من الميت * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عباد عن عائشة قالت لما ارادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فقالوا والله ما ندرى انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه قالت فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا ذقنه فى صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن أغسلوا النبى وعليه ثيابه قالت فقاموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه والقميص دون أيديهم * قال ابن اسحق فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبرد حبرة ادرج فيه ادراجا كما حدثنى جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده على بن الحسين والزهرى عن على بن الحسين * قال ابن اسحق وحدثنى حسين ابن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال لما أرادوا ان يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة وكان ابو طلحة زيد بن سهل هو الذى يحفر لاهل المدينة فكان يلحد فدعا العباس رجلين فقال لاحدهما اذهب الى ابى عبيدة بن الجراح وللآخر اذهب الى ابى طلحة لنلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد صاحب أبى طلحة اباطلحة فجاء به فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه فقال قائل ندفنه فى مسجده وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه فقال أبو بكر انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قبض نبى الا دفن حيث يقبض فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى عليه فحفر له تحته ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون عليه ارسالا دخل الرجال حتى اذا فرغوا ادخل النساء حتى اذا فرغ النساء ادخل الصبيان ولم يؤم الناس على

الله عليه وسلم وليرجعن كما رجع موسى عليه السلام حتى كلمه أبو بكر رحمه الله وذكره بالآية فعقر حتى سقط الى الارض وما كان من ثبات جاش أبى بكر وقوته فى ذلك المقام ففيه ما كان عليه الصديق رضى الله عنه من شدة التأله وتعلق القلب بالاله ولذلك قال لهم من كان يعبد محمدا فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ومن قوة تألهه رضى الله عنه حين أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على رد جيش أسامة حين رأوا الردة قد استعرت نارها وخافوا على نساء المدينة وذراريها فقال والله لو لعبت الكلاب بخلاخل نساء المدينة ما رددت جيشا أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة وكان أشد شىء عليه أن يخالف رأيه رأى سالم فكلموه أن يدع للعرب زكاة ذلك العام تألفا لهم حتى يتمكن له الامر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم وكلمه عمر أن يولى مكان أسامة من هو أسن منه وأجلد فاخذ بلحية عمر وقال له يا ابن الخطاب أتامرنى أن أكون أول حال عقدا عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لان أخر من السماء الى الارض فتخطفنى الطير أحب الى من أن أمالئكم على هذا الرأى وقال لهم والله لو أفردت من جميعكم لقاتلتهم وحدى حتى تنفرد سالفتى ولو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه أوفى شك أنتم ان وعد الله لحق وان قوله لصدق وليظهرن الله هذا الدين ولو كره المشركون ثم خرج وحده الى ذى القصة حتى اتبعوه وسمع الصوت بين يديه فى كل قبيلة الا ان الخليفة قد توجه اليكم الهرب الهرب حتى اتصل الصوت من يومه ببلاد حمير وكذلك فى أكثر أحواله رضى الله عنه كان يلوح الفرق فى التأله بينه وبين عمر رضى الله عنهما ألا ترى الى قوله حين قال النبى صلى الله عليه وسلم سمعتك وأنت تخفض من صوتك يعنى فى صلاة الليل فقال قد أسمعت من ناجيت وقال للفاروق سمعتك وأنت ترفع من صوتك فقال كى أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان قال عبد الكريم بن هوازن القشيرى وذكر هذا الحديث انظروا الى فضل الصديق على الفاروق هذا فى مقام المجاهدة وهذا فى بساط المشاهدة وكذلك ما كان منه يوم بدر وقد ذكرنا مقالته للنبى عليه السلام ذلك اليوم وهو معه فى العريش وكذلك فى أمر الصدقة حين رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فجاء عمر بنصف ماله وجاء الصديق بجميع ماله فقال له النبى عليه السلام ما أبقيت لاهلك قال الله ورسوله وكذلك فعله فى قسم الفىء حين سوى بين المسلمين وقال هم اخوة أبوهم الاسلام فهم فى هذا الفىء اسوة وأجور أهل السوابق على الله وفضل عمر فى قسم الفىء بعضهم على بعض على حسب سوابقهم ثم قال فى آخر عمره لئن بقيت الى قابل لاسوين بين الناس وأراد الرجوع الى رأى أبى بكر ذكره أبو عبيد رضى الله عنه وعن جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها وغيرها من الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قبض وارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم احد * ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الاربعاء * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله ابن ابى بكر عن امرأته فاطمة بنت عمارة عن عمرة بنت عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن عائشة رضى الله عنها قالت ماعلمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحى من جوف الليل من ليلة الاربعاء * قال محمد بن اسحق وقد حدثنى فاطمة هذا الحديث * قال ابن اسحق وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والفضل بن عباس وقثم بن عباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال أوس بن خولى لعلى بن أبى طالب ياعلى أنشدك الله وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انزل فنزل مع القوم وقد كان مولاه شقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته وبنى عليه قد اخذ قطيفة قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها فدفنها فى القبر وقال والله لايلبسها أحد بعدك أبداً قال فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان المغيرة بن شعبة يدعى انه أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أخذت خاتمى فالقيته فى القبر وقلت ان خاتمى سقط منى وانما طرحته عمدا لامس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون أحدث الناس عهدا به صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فحدثنى أبى اسحق بن يسار عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل عن مولاه عبد الله بن الحرث قال اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان فنزل على أخته أم هانئ بنت أبى طالب فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل فاغتسل فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا يا أباحسن جئناك نسالك عن أمر نحب ان تخبرنا عنه قال أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم انه كان أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل عن ذلك جئنا نسألك قال كذب قال أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن عباس * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن كيسان عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن

عليه وسلم الملائكة دهش الناس وطاشت عقولهم وأفحموا واختلطوا فمنهم من خبل ومنهم من أصمت ومنهم من أقعد الى أرض فكان عمر ممن خبل وجعل يصيح ويحلف مامات رسول الله صلى الله عليه وكان ممن أخرس عثمان بن عفان حتى جعل يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاما وكان ممن أقعد على رضى الله عنه فلم يستطع حراكا وأما عبد الله بن أنيس فاضنى حتى مات كمدا وبلغ الخبر أبا بكر رضى الله عنه وهو بالسنح فجاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد فى صدره وغصصه ترتفع كقطع الجرة وهو فى ذلك رضوان الله عليه جلد العقل والمقالة حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه وجعل يبكى ويقول بابى أنت وأمى طبت حيا وميتا وانقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الانبياء من النبوة فعظمت عن الصفة وجلات عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدن عليك ماء الشؤون فاما مالا نستطيع نفيه فكمد وادناف يتحالفان لايبرحان اللهم أبلغه عنا اذكرنا يامحمد عند ربك ولنكن من بالك فلولا ماخلفت من السكينة لم نقم لماخلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا ثم خرج لما قضى الناس غمراتهم وقام خطيبا فيهم بخطبة جلها الصلاة على النبى محمد صلى الله عليه وسلم وقال فيها أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وان الله هو الحق المبين فى كلام طويل ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لم يمت وأن الله قد تقدم لكم فى أمره فلا تدعوه جزعا وان الله تبارك وتعالى قد اختار لنبيه عليه السلام ماعنده على ماعندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط » ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يلفتنكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخزى تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم فلما فرغ من خطبته قال ياعمر أأنت الذى بلغنى عنك انك تقول على باب نبى الله والذى نفس عمر بيده مامات نبى الله أماعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا وقال الله عز وجل فى كتابه « انك ميت وانهم ميتون » فقال عمر والله لكانى لم أسمع بها فى كتاب الله تعالى قبل الآن لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله تبارك وتعالى حى لايموت « انا لله وانا اليه راجعون » صلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله وقال عمر فيما كان منه

لعمرى لقد أيقنت انك ميت * ولكنما ابدى الذى قلته الجزع
وقلت يغيب الوحى عنا لفقده * كما غاب موسى ثم يرجع كما رجع

عتبة أن عائشة حدثته قالت كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة سوداء حين اشتد به وجعه قالت فهو يضعها مرة على وجهه ومرة يكشفها عنه و يقول قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ذلك على أمته * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن كيسان عن الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال لا يترك بجزيرة العرب دينان * قال ابن اسحق ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عائشة فيما بلغنى تقول لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم حتى جمعهم الله على أبى بكر «قال ابن هشام» حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم ان أكثر اهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الاسلام وأرادوا ذلك حتى خافهم عتاب بن أسيد فتوارى فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وظهر عتاب بن

وكان هواى أن تطول حياته * وليس لحى فى بقا ميت طمع
فلما كشفنا البرد عن حر وجهه * اذا الأمر بالجزع الموعب قد وقع
فلم تك لى عند المصيبة حيلة * ارد بها اهل الشماتة والقذع
سوى آذن الله الذى فى كتابه * وما آذن الله العباد به يقع
وقد قلت من بعد المقالة قولة * لها فى حلوق الشامتين به بشع
الا انما كان النبى محمد * الى أجل وافى به الوقت فانقطع
ندين على العلات منا بدينه * ونعطى الذى عطى ونمنع ما منع
ووليت محزونا بعين سخينة * اكفكف دمعى والفؤاد قد انصدع
وقلت لعينى كل دمع ذخرته * فجودى به ان الشجى له دفع

وفى هذا الخبر أن عمر قال فعقرت الى الارض يعنى حين قال له أبو بكر ما قال يقال عقر الرجل اذا سقط الى الارض من قامته وحكاه يعقوب عفر بالفاء كانه من العفر وهو التراب وصوب ابن كيسان الروايتين وقالت عائشة رضى الله عنها توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو نزل بالجبال الصم ما نزل بابى لهاضها ارتدت العرب واشرأب النفاق فما اختلفوا فى نقطة الا طار أبى بحظها وغنائها ويروى فى بقطة بالباء قاله الهروى فى الغريبين وفسره باللمعة ونحوها واستشهد بالحديث فى النهى عن بقط الارض وهو ان يقطع شجرها فتتخذ بقعا للزرع وبقطها ضرب من المخابرة قد فسره

كيف صلى على جنازته عليه السلام

ذكر ابن اسحاق وغيره ان المسلمين صلوا عليه أفذاذا لا يؤمهم أحد كلما جاءت طائفة صلت عليه وهذا خصوص به صلى الله عليه وسلم ولا يكون هذا الفعل الا عن توقيف وكذلك روى انه أوصى بذلك ذكره الطبرى مسندا ووجه الفقه فيه ان الله تبارك وتعالى افترض الصلاة عليه بقوله «صلوا عليه وسلموا تسليما» وحكم هذه الصلاة التى تضمنتها الآية الا تكون بامام والصلاة عليه عند موته داخلة فى لفظ الآية وهى متناولة لها وللصلاة عليه على كل حال وأيضا فان الرب تبارك وتعالى قد أخبر انه يصلى عليه وملائكته فاذا كان الرب تعالى هو المصلى والملائكة قبل المؤمنين وجب أن تكون صلاة المؤمنين تبعا لصلاة الملائكة وان تكون الملائكة هم الامام والحديث الذى ذكرته عن الطبرى فيه طول وقد رواه البزار أيضاً من طريق مرة عن ابن مسعود وفيه انه حين جمع أهله فى بيت عائشة رضى الله عنها انهم قالوا فمن يصلى عليك يارسول الله قال فهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً فبكينا وبكى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على جليسى وخليلى جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده ثم الملائكة باجمعها ثم ادخلوا على فوجا بعد فوج فصلوا على وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا ضجة ولا رنة وليبدأ بالصلاة على رجال بيتى ثم نساؤهم وأنتم بعد اقرؤا أنفسكم السلام منى ومن غاب من أصحابى فاقرؤه منى السلام ومن تابعكم بعدى على دينى فاقرؤه منى السلام فانى أشهدكم انى قد سلمت على من تابعنى على دينى من اليوم الى يوم القيامة قلت فمن يدخلك قبرك يارسول الله قال أهلى مع ملائكة كثير يرونكم من حيث لا ترونهم

﴿فصل﴾ وكان موته عليه السلام خطباً كالحاً ورزأ لاهل الاسلام فادحا كادت تهد له الجبال وترجف الارض وتكسف النيرات * لانقطاع خبر السماء وفقد من لا عوض منه مع ما آذن به موته عليه السلام من

أسيد فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطاب انه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه * وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثنا ابن هشام عن أبى زيد الانصارى

بطيبة رسم للرسول ومعهد * منير وقد تعفو الرسوم وتهمد   ولا تمتحى الآيات من دار حرمة * بها منبر الهادى الذى كان يصعد
وواضح آثار وباقى معالم * وربع له فيه مصلى ومسجد   بها حجرات كان ينزل وسطها * من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها * أتاها البلى فالآى منها تجدد   عرفت بها رسم الرسول وعهده * وقبرا بها وارا فى الترب ملحد
ظلت بها أبكى الرسول فاسعدت * عيون ومثلاها من الجن تسعد
يذكرن آلاء الرسول وما أرى * لها محصيا نفسى فنفسى تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد * فظلت لآلاء الرسول تعدد
وما بلغت من كل مر عشيره * ولكن لنفسى بعد ما قد توجد
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها * على طلل القبر الذى فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت * بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا * عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين * عليه وقد غارت بذلك أسعد   فصل
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة * عشية علوه الثرى لا يوسد   وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم * وقد وهنت منهم ظهور واعضد
يبكون من تبكى السموات يومه * ومن قد بكته الارض فالناس أكمد   وهل عدلت يوما رزية هالك * رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحى عنهم * وقد كان ذا نور يغور وينجد   يدل على الرحمن من يقتدى به * وينقذ من هول الخزايا ويرشد
امام لهم يهديهم الحق جاهدا * معلم صدق ان يطيعوه يسعدوا   عفو عن الزلات يقبل عذرهم * وان يحسنوا فالله بالخير أجود

الفتن السحم * والحوادث الوهم * والكرب المدلهمة * والهزاهز المضلمة * فلولا ما أنزل الله تبارك وتعالى من السكينة على المؤمنين * وأسرج فى قلوبهم من نور اليقين * وشرح له صدورهم من فهم كتابه المبين لانقصمت الظهور * وضاقت عن الكرب الصدور واعاقهم الجزع عن تدبير الامور * فقد كان الشيطان أطلع اليهم رأسه * ومد الى اغوائهم مطامعه فاوقد نار الشنآن * ونصب راية الخلاف ولكن أبى الله تبارك وتعالى الا ان يتم نوره ويعلى كلمته وينجز موعوده فاطفأ نار الردة وحسم قادة الخلاف والفتنة على يد الصديق رضى الله عنه ولذلك قال أبو هريرة لولا أبو بكر لهلكت أمة محمد عليه السلام بعد نبيها ولقد كان من قدم المدينة يومئذ من الناس اذا أشرفوا عليها سمعوا لاهلها ضجيجا وللبكاء فى جميع أرجائها عجيجا حتى صحلت الحلوق * ونزفت الدموع * وحق لهم ذلك ولمن بعدهم كما روى عن أبى ذؤيب الهذلى واسمه خويلد ابن خالد وقيل ابن محرث قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فاستشعرت حزنا وبت باطول ليلة لا ينجاب ديجورها * ولا يطلع نورها فظللت أقاسى طولها حتى اذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بى هاتف وهو يقول

خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبى محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب فوثبت من نومى فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحا يقع فى العرب وعلمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قبض وهو ميت من علته فركبت ناقتى وسرت فلما أصبحت طلبت شيئاً أزجر به فعن لى شيهم يعنى القنفد قد قبض على صل يعنى الحية فهى تلتوى عليه والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك وقلت شيهم شئ مهم والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد النبى صلى الله عليه وسلم ثم أكل الشيهم اياها غلبة القائم بعده على الامر فحثثت ناقتى حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطائر فاخبرنى بوفاته ونعب غراب سانح فنطق مثل ذلك فتعوذت بالله من شر ما عن لى فى طريقى وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام فقلت مه فقالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت المسجد فوجدته خالياً فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبت بابه مرتجا وقيل هو مسجى قد خلا به أهله فقلت أين الناس فقيل فى سقيفة بنى ساعدة صاروا الى الانصار فجئت الى السقيفة فاصبت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالما وجماعة من قريش ورأيت الانصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وملأ منهم فآويت الى قريش وتكلمت الانصار فاطالوا الخطاب وأكثروا الصواب وتكلم أبو بكر رضى الله عنه فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع

وان ناب أمر لم يقوموا بحمله * فمن عنده تيسير ما يتشدد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى * حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
فبيناهم فى ذلك النور اذغدا * الى نورهم سهم من الموت مقصد
وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها * لغيبة ما كانت من الوحى تعهد
ومسجده فالموحشات لفقده * خلاء له فيه مقام ومقعد
فبكى رسول الله ياعين عبرة * ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
فجودى عليه بالدموع وأعولى * لفقد الذى لامثله الدهر يوجد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة * وأقرب منه نائلا لاينكد
وأكرم صيتا فى البيوت اذا انتمى * وأكرم جدا أبطحيا يسود
وأثبت فرعا فى الفروع ومثبتاً * وعودا غذاه المزن فالعود أغيد
تناهت وصاة المسلمين بكفه * فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند
وليس هوائى نازعا عن ثنائه * لعلى به فى جنة الخلد أخلد
فبيناهم فى نعمة الله عندهم * دليل به نهج الطريقة يقصد
عطوف عليهم لا يثنى جناحه * الى كنف يحنوا عليهم ويمهد
فأصبح محمودا الى الله راجعا * يبكيه حق المرسلات ويحمد
قفارا سوى معمورة اللحد ضافها * فقيد يبكيه بلاط وغرقد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت * ديار وعرصات وربع ومولد
ومالك لاتبكين ذا النعمة التى * على الناس منها سابغ يتغمد
وما فقد الماضون مثل محمد * ولا مثله حتى القيامة يفقد
وأبذل منه للطريف وتالد * اذا ضن معطاء بما كان يتلد
وأمنع ذروات وأثبت فى العلا * دعائم عز شاهقات تشيد
رباه وليدا فاستتم تمامه * على أكرم الخيرات رب ممجد
أقول ولا يلقى لقولى عائب * من الناس الاعازب القول مبعد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره * وفى نيل ذاك اليوم اسعى وأجهد

﴿ وقال حسان بن ثابت ايضاً يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

مابال عينك لاتنام كانما * كحلت مآقيها بكحل الارمد
جزعا على المهدى أصبح ثاويا * ياخير من وطئ الحصى لاتبعد
وجهى يقيك الترب لهفى ليتنى * غيبت قبلك فى بقيع الغرقد
فظللت بعد وفاته متبلدا * متلددا ياليتنى لم أولد
أوحل أمر الله فينا عاجلا * فى روحة من يومنا أومن غد
يابكر آمنة المبارك بكرها * ولدته محصنة بسعد الاسعد
يارب فاجمعنا معا ونبينا * فى جنة تثنى عيون الحسد
والله أسمع مابقيت بهالك * الا بكيت على النبى محمد
ضاقت بالانصار البلاد فاصبحوا * سودا وجوههم كلون الاثمد
والله أكرمنا به وهدى به * أنصاره فى كل ساعة مشهد
بأبى وأمى من شهدت وفاته * فى يوم الاثنين النبى المهتدى
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم * ياليتنى صبحت سم الاسود
فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً * محضاً ضرائبه كريم المحتد
نوراً أضاء على البرية كلها * من يهد للنور المبارك يهتدى
فى جنة الفردوس فاكتبها لنا * ياذا الجلال وذا العلا والسودد
ياويح أنصار النبى ورهطه * بعد المغيب فى سواء الملحد
ولقد ولدناه وفينا قبره * وفضول نعمته بنا لم نجحد
صلى الاله ومن يحف بعرشه * والطيبون على المبارك أحمد

﴿ قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

نب المساكين أن الخير فارقهم * مع النبى تولى عنهم سحرا
أم من نعاتب لانخشى جنادعه * اذا اللسان عتا فى القوم أو عثرا
فليتنا يوم واروه بملحده * وغيبوه وألقوا فوقه المدرا
من ذا الذى عنده رحلى وراحلتى * ورزق أهلى اذا لم يؤنسوا المطرا
كان الضياء وكان النور نتبعه * بعد الاله وكان السمع والبصرا
لم يترك الله منا بعده أحدا * ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا

فصل الخطاب والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا انقاد له ومال اليه ثم تكلم عمر رضى الله عنه بعده دون كلامه ومد يده فبايعه وبايعوه ورجع أبو بكر ورجعت معه «قال أبو ذؤيب» فشهدت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وشهدت دفنه ثم أنشد أبو ذؤيب يبكى النبى صلى الله عليه وسلم

لما رأيت الناس فى عسلانهم * من بين ملحود له ومضرح
متبادرين لشرجع باكفهم * نص الرقاب لفقد أبيض أروح
فهناك صرت الى الهموم ومن يبت * جار الهموم يبيت غير مروح
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها * وتزعزعت آطام بطن الابطح
وتزعزعت أجبال يثرب كلها * ونخيلها لحلول خطب مفدح
ولقد زجرت الطير قبل وفاته * بمصابه وزجرت سعد الاذبح

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم

أرقت فبات ليلى لايزول * وليل أخى المصيبة فيه طول

وأسعدني البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ماسالت عليه * نفوس الناس أوكربت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن ورجع المهاجرون والانصار الى رحالهم ورجعت فاطمة الى بيتها اجتمع اليها نساؤها فقالت

اغبر آفاق السماء وكورت * شمس النهار وأظلم العصران
فالارض من بعد النبي كئيبة * أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها * ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود المعظم جوده * والبيت ذو الاستار والاركان
ياخاتم الرسل المبارك ضوءه * صلى عليك منزل القرآن

﴿ فصل ﴾ وأما الاختلاف في كفنه عليه السلام كم ثوبا كان وفي الذين أدخلوه قبره ونزلوا فيه فكثير وأصح ماروى في كفنه أنه كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية وكانت تلك الاثواب من كرسف وكذلك قميصه عليه السلام كان من قطن ووقع في السيرة من غير رواية البكائي انها كانت ازارا ورداء ولفافة وهو موجود في كتب الحديث وفي الشروحات وكانت اللبن التي نضدت عليه في قبره تسع لبنات * وذكر ابن اسحق فيمن ألحده شقران مولاه واسمه صالح وشهد بدرا وهو عبد قبل ان يعتق فلم يسهم له انقرض عقبه فلا عقب له * وذكر ابن اسحق مراثي حسان في النبي صلى الله عليه وسلم وليس فيها ما يشكل فنشرحه وقد رثاه كثير من الشعراء وغيرهم وأكثرهم أفحمهم المصاب عن القول وأعجزتهم الصفة عن التأبين ولن يبلغ بالاطناب في مدح ولا رثاء في كنه محاسنه عليه السلام ولا قدر مصيبة فقده على أهل الاسلام * فصلى الله عليه وعلى آله صلاة تتصل مدى الليالي والايام * وأحله أعلى مراتب الرحمة والرضوان والاكرام * وجزاه عنا أفضل ماجزى به نبيا عن أمته * ولا خالف بنا عن ملته * انه ولي الطول والفضل والانعام * وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

ذلت رقاب بني النجار كلهم * وكان أمرا من امر الله قد قدرا واقسم الفيء دون الناس كلهم * وبددوه جهارا بينهم هدرا

﴿ وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا ﴾

آليت ما في جميع الناس مجتهدا * مني ألية بر غير افناد تالله ماحملت أنثى ولا وضعت * مثل الرسول نبي الامة الهادي
ولا برى الله خلقا من بريته * أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به * مبارك الامر ذا عدل وارشاد
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما * يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد * أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي
ياأفضل الناس اني كنت في نهر * أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

« قال ابن هشام » عجز البيت الاول عن غير ابن اسحق (وجد بآخر نسخة مانصه) وهذا آخر الكتاب والحمد لله كثيرا وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الاخيار الراشدين (أنشدني) أبو محمد بن عبد الواحد عن محمد بن عبد الرحمن البرقي قال أوعب أبو محمد عبد الملك بن هشام كتاب السيرة وبحضرته رجال من فصحاء العرب فقال

تم الكتاب وصار في الفرض * عشرين جزأ كلها ترضى
كملت بلا لحن ولا خطل * في الشكل والاعجام والقرض
والحمل حق صح ناقله * بعض من العلماء عن بعض

فهرست

الجزء الثانى من الروض الانف

صحيفه

٢ هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة بصحبة أبى بكر *
٣ مطلب فى الناقة التى اشتراها رسول الله لهجرته
٣ فصل فى وداع رسول الله البيت حين خرج من مكة
٤ حديث الغار وما كان فيه من الآيات
٥ فصل فى قوله عليه السلام لابى بكر لا تحزن وما تأولته الرافضة فى ذلك والرد عليهم
٦ حديث سراقة بن مالك الكنانى وتعرضه للنبى صلى الله عليه وسلم
٧ قصة أم معبد وما فيها من الآيات
٩ فصل فى ذكر الاماكن التى سلك بهما الدليل فى طريقهما الى المدينة
٩ فصل فى ذكر قدومهم على أوس بن حجر الاسلمى و بعض خبره
١٠ فصل فى نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم وترجمته
١١ فصل فى تأسيس مسجد قباء
١١ مطلب فى فهم الصحابة لمعنى قوله تعالى من أول يوم وجعلهم التاريخ الهجرى موافقا لهذا اليوم
١٢ فصل فى بروك ناقته صلى الله عليه وسلم موضع مسجده
١٢ فصل فى مثامنته بنى النجار الحائط الذى اتخذه مسجدا وفيه هيئة بنيان المسجد ومن زاد فيه
١٣ مطلب فى خبر سمية أم عمار وحديث عمار تقتله الفئة الباغية
١٣ مطلب وأما بيوته عليه الصلاة والسلام فكانت تسعة وذكر بعض صفتها
١٤ فصل فى حديث أم أيوب ونزوله صلى الله عليه وسلم ضيفا على أبى أيوب الانصارى
١٤ مطلب فى شرح قول عبد الله بن جحش لابى سفيان طوقتها طوق الحمامة
١٥ مطلب فى تفسير أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت على جذع ثم صنع له المنبر وفيه ذكر حنين الجذع
١٦ مطلب فى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه و بين اليهود *
١٦ مطلب فى أصل اليهود الذين سكنوا المدينة و بعض أسماء المدينة
١٦ مطلب فى تفسير بعض كلمات من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨ فصل فى مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين الصحابة

صحيفة

١٩ خبر الاذان وفيه حكمة تخصيص الاذان برؤيا رجل من المسلمين وانه لم يكن عن وحى
٢٠ مطلب فى خبر انه أرى النداء (أى الاذان) من فوق سبع سموات
٢١ مطلب فى هل أذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه قط
٢١ فصل فى حديث صرمة بن أبى أنس ونزول قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم
٢٢ مطلب فى شرح قصيدة لابى قيس صرمة المذكور
٢٣ مطلب فى تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن وعداوتهم لرسول الله عليه الصلاة والسلام
٢٤ فصل فى خبر لبيد بن الاعصم اليهودى وسحره للنبى صلى الله عليه وسلم
٢٥ قصة اسلام عبد الله بن سلام *
٢٦ حديث مخيريق اليهودى وقتاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم *
٢٦ مطلب فى توجيه قوله صلى الله عليه وسلم مخيريق خير يهود
٢٦ مطلب فى ذكر نبتل المنافق وانه كان ادلم ومعنى الادلم
٢٧ مطلب فى ارتداد الحارث بن سويد ونزول القرآن فيه
٢٨ ذكر حديث بشير بن ابيرق سارق الدرعين وما فى ذلك من الفقه
٢٩ مطلب فى ذكر من أخرج من المنافقين من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم *
٣٠ فصل فى ذكر ما أنزل الله فى المنافقين والاحبار من يهود من سورة البقرة وتفسير ذلك
٣٦ مطلب فى أن يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه ولما بعث كفروا به *
٣٦ مطلب فى قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شىء الآية *
٣٦ مطلب فى أنّ مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وكلام المصنف فى ذلك
٣٧ مطلب فى أن لحروف أوائل السور معان وفوائد وان الله تعالى ما كان لينزل فى الكتاب مالا فائدة فيه
٣٨ مطلب فى ذكر تحويل القبلة وما قالته جماعة يهود فى ذلك
٣٨ فصل فى ذكر ما أنزل الله تعالى فى بنى قينقاع من القرآن وتفسير ذلك
٤٠ فصل فى تفسير اناء الليل على ما ذكره ابن هشام
٤٢ فصل فى ذكر الرجم عند اليهود وقصة المرجومة منهم وما فى ذلك من الفقه
٤٥ مطلب فى ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم من القرآن
٤٦ فصل فى تفسير آيات من صدر سورة آل عمران
٤٧ فصل فى ذكر احتجاج الاحبار والقسيسين من أهل نجران
٤٩ فصل فى تأويل قوله تعالى رب انى وضعتها أنثى
٥٠ فصل فى ذكر دعاءه عليه الصلاة والسلام أهل نجران الى المباهلة
٥٠ فصل فى قصة عبد الله بن أبى بن سلول ونفاقه

صحيفه

٥١ فصل فى ذكر بعض آطام المدينة
٥٢ ذكر من أعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مقدمهم المدينة *
٥٢ فصل فى ذكر حب الوطن والحنين اليه
٥٣ فصل فى معنى قوله عليه السلام اللهم حبب لنا المدينة
٥٤ مطلب فى تاريخ الهجرة *
٥٤ مطلب فى غزوة ودان وانها أول غزوة صلى الله عليه وسلم *
٥٤ سرية عبد الله بن الحارث وان رايته أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام *
٥٥ فصل فى تفسير القصيدة الثائية التى تعزى لابى بكر الصديق ونقيضتها لابن الزبعرى
٥٦ مطلب فى سرية حمزة رضى الله عنه الى سيف البحر
٥٧ مطلب فى غزوة بواط *
٥٧ مطلب فى غزوة العشيرة *
٥٨ مطلب فى سرية سعد بن أبى وقاص *
٥٨ مطلب فى ذكر غزوة سفوان وهى غزوة بدر الاولى *
٥٩ مطلب فى سرية عبد الله بن جحش ونزول قوله تعالى « يسئلونك عن الشهر الحرام » *
٥٩ مطلب فى رواية المناولة واختلاف العلماء فيها
٦٠ مطلب فى قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام
٦١ مطلب غزوة بدر الكبرى *
٦١ مطلب ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب *
٦٢ ذكر أمر الحرب بين كنانة وقريش وتحاجزهم عند وقعة بدر *
٦٤ مطلب فى الفرق بين الطيرة المنهى عنها وكراهية الاسم القبيح
٦٦ فصل فى تفسير القلُب التى احتفرها المشركون ليشربوا منها
٦٧ فصل فى معنى قولهم مصفر استه وأول من قالها من العرب
٦٨ فصل فى قصة سواد بن غزية وتقبيله بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٦٨ فصل فى اجتهاد رسول الله بالدعاء وكف أبى بكر له عن ذلك وما للعلماء فى هذا الباب من التأويل
٦٩ فصل فى قوله عليه الصلاة والسلام هذا جبريل على ثناياه النقع
٦٩ فصل فى حديث عمير بن الحمام حين ألقى التمرات من يده طلبا للشهادة
٧٣ خبر عكاشة بن محصن وسيفه الذى يسمى العون
٧٤ مطلب فى ندائه صلى الله عليه وسلم أصحاب القليب
٧٥ فصل فان قيل ما معنى القائهم فى القليب وما فى ذلك من الفقه
٧٥ مطلب فى ذكر الفتية الذين أنزل الله فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم *
٧٥ فصل فى قول أبى بكر الصديق لابنه يوم بدر أين مالى

صحيفه

٧٦ مطلب فى ذكر الفىء ببدر والاسارى *
٧٦ فصل فيما ذكر من تنازعهم فى النفل
٧٦ فصل فى ذكر قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبى معيط
٧٧ مطلب فى نسب أمية بن عبد شمس والطعن فيه
٧٧ فصل فى لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر أبا هند الحجام
٧٨ ذكر اسارى بدر
٧٨ ذكر خبر أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم فل قريش مكة
٧٩ مطلب فى خبر موت أبى لهب
٨٠ ذكر خبر أبى العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
٨١ فصل فى خبر خروج زينب بنت رسول الله من مكة وتعرض كفار قريش لها
٨٢ ذكر تفسير شعر عبد الله بن رواحة فى الذى كان من أمر زينب رضى الله عنها
٨٣ مطلب فى رد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على زوجها أبى العاص على النكاح الاول
وما فى ذلك من الفقه
٨٤ مطلب فى قتل بلال الحبشى لامية بن خلف
٨٤ خبر اسلام عمير بن وهيب وما تم على يديه من اسلام ناس كثير
٨٥ خبر ابليس وتمثله بسراقة بن مالك يوم بدر
٨٥ المطعمون من قريش وذكر أسمائهم بانسابهم *
٨٦ أسماء خيل المسلمين يوم بدر *
٨٦ ذكر ما أنزل الله فى بدر من سورة الانفال وتفسير ذلك
٨٨ فصل فى قوله تعالى بالف من الملائكة مردفين
٨٩ مطلب فى الفرار من الزحف وحكمه
٩١ مطلب فى تفسير قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم
٩٢ فصل فى خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودوابه
٩٣ جريدة من حضر ببدر من المسلمين من قريش ومن معهم *
٩٥ ذكر الانصار ومن معهم *
١٠١ ذكر من استشهد من المسلمين يوم بدر
١٠٢ فصل فى ذكر من قتل ببدر من المشركين
١٠٥ فصل فى تسمية من أسر من المشركين يوم بدر
١٠٧ فصل فى تخلف عثمان رضى الله عنه على امرأته رقية عن بدر وموتها رضى الله عنها
١٠٧ ذكر ما قيل من الشعر فى يوم بدر
١١٩ غزوة بنى سليم بالكدر وهى غزوة قرقرة الكدر *
١١٩ غزوة السويق *

صحيفه

١٢٠ غزوة ذى أمر *
١٢٠ غزوة الفرع من بحران *
١٢٠ خبر أمر بنى قينقاع *
١٢١ سرية زيد بن حارثة الى القردة من مياه نجد *
١٢٣ خبر مقتل كعب بن الاشرف *
١٢٥ أمر محيصة اليهودى ومقتله
١٢٦ غزوة أحد *
١٢٧ فصل فى رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرا تنحر حوله وثلمة فى سيفه
١٢٩ فصل فى ذكر المستصغرين يوم أحد
١٣١ فصل فى حديث وحشى ومقتل حمزة رضى الله عنه
١٣٣ فصل فى خبر مقتل حنظلة بن أبى عامر غسيل الملائكة
١٣٤ فصل فى ذكر الصارخ يوم أحد بقتل رسول الله وقول ابن هشام الصارخ ازب العقبة
١٣٥ فصل فى ذكر ما أصاب رسول الله يوم أحد من الجراح
١٣٦ ذكر قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بن خلف وخبر ذلك
١٣٨ خبر مقتل ثابت بن وقش وحسيل بن جابر
١٣٨ خبر قزمان وقتله نفسه *
١٣٨ خبر قتل مخيريق *
١٣٩ خبر الحارث بن سويد المنافق وفراره لمكة *
١٣٩ خبر خروج عمرو بن الجموح للقتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتله *
١٣٩ أمر هند بنت عتبة والمثلة بحمزة رضى الله عنه *
١٤٠ لوم الحليس بن زبان الكنانى أباسفيان على المثلة بحمزة *
١٤٠ مطلب فى قول حسان أشرت لكاع ومعنى ذلك
١٤١ مطلب فى خبر سعد بن الربيع وتطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم له
١٤٢ مطلب فى صلاته صلى الله عليه وسلم على حمزة وشهداء أحد
١٤٣ فصل ومما وقع فى هذه الغزوة من الكلم الذى يسئل عنه
١٤٣ فصل ومما يليق ذكره بهذه الغزاة حديث مخيريق
١٤٣ فصل فى قوله لاسيف الاذو الفقار
١٤٤ فصل فى غزوة حمراء الاسد
١٤٥ ذكر ما أنزل الله عز وجل فى أحد من القرآن وتفسيره *
١٤٧ مطلب فى قوله تعالى أفان مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم
١٥٠ فصل فى قوله سبحانه ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله
١٥١ فصل فى قوله تعالى وتكونوا شهداء على الناس

صحيفه

١٥٣ ذكر من استشهد باحد من المهاجرين *
١٥٥ شرح ما وقع فى غزوة أحد من الاشعار
١٦٧ ذكر يوم الرجيع ومقتل خبيب واصحابه
١٧١ فصل فى ان خبيبا اول من سن ركعتين عند القتل
١٧١ فصل فى ذكر ما انزل الله تعالى فى امر خبيب واصحابه
١٧٣ مطلب فى تفسير أشعار حسان فى رثاء خبيب وأصحابه
١٧٤ خبر بئر معونة وقدوم أبو براء ملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٦ أمر اجلاء بنى النضير وما نزل فيها من القرآن *
١٧٨ ذكر أم عمرو صاحبة عروة بن الورد
١٧٩ ذكر ما قيل من الاشعار فى أمر بنى النضير
١٨١ غزوة ذات الرقاع *
١٨٢ فصل فى صلاة الخوف وصفتها
١٨٢ مطلب فى حديث جابر و جمله الذى نخسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٣ مطلب فى مساومته صلى الله عليه وسلم لجمل جابر وما فى ذلك من الفقه
١٨٣ فصل ومن لطيف العلم فى حديث جابر
١٨٤ فصل فى رواية بعض حديث جابر عن عمرو بن عبيد بن دأب و بعض خبره
١٨٤ فصل فى بعض خبر وقعة الحرة المتصل بحديث جابر
١٨٥ فصل فى خبر الانصارى والمهاجرى من غزوة ذات الرقاع
١٨٥ غزوة بدر الآخرة *
١٨٧ غزوة دومة الجندل *
١٨٧ غزوة الخندق *
١٩٠ مطلب فى قول السيرافى ما عرفت النحو الا من اللحن الذى هو ضده
١٩٠ فصل فى ذكر ما هم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصالحة الاحزاب
١٩١ فصل فى خبر عمرو بن ود العامرى ومبارزته لعلى رضى الله عنه
١٩٣ فصل فى حديث حسان حين جعل فى الآطام مع النساء
١٩٤ غزوة بنى قريظة *
١٩٦ فصل فى خبر أبى لبابة و ربطه نفسه حتى تاب الله عليه
١٩٧ فصل فى خبر حكم سعد فى بنى قريظة
١٩٨ فصل فى ذكر حبس بنى قريظة فى دار بنت الحدث
١٩٨ فصل فى خبر ثعلبة وأسد وأسيد ابناء سعية
١٩٩ فصل وذكر حديث ثابت بن قيس مع الزبير بن باطا
٢٠٣ ما قيل من الشعر فى أمر الخندق و بنى قريظة *

صحيفه

٢٠٩ مقتل سلام بن أبى الحقيق *
٢١١ اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضى الله عنهما *
٢١٢ غزوة بنى لحيان *
٢١٣ غزوة ذى قرد *
٢١٦ غزوة بنى المصطلق *
٢١٨ فصل فى ذكر جويرية بنت الحارث ووقوعها فى سهم ثابت بن قيس
٢٢٠ خبر الافك فى غزوة بنى المصطلق *
٢٢٥ غزوة الحديبية والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو *
٢٢٦ فصل فى خروج النبى صلى الله عليه وسلم معتمرا الى مكة
٢٢٩ حديث بيعة الرضوان *
٢٢٩ خبر الهدنة مع قريش *
٢٢٩ فصل فى مصالحة النبى صلى الى عليه وسلم لقريش وما شرطوه فى صلحهم
٢٣٠ فصل فى قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
٢٣٠ فصل ومن ألفاظ كتاب الصلح وان بيننا وبينكم عيبة مكفوفة
٢٣١ فصل وذكر خروج أبى جندل يرسف فى الحديد
٢٣١ فصل فى قول عمر علام نعطى الدنية فى ديننا
٢٣٢ فصل فى استغفار النبى صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا الخ
٢٣٣ خبر ماجرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح *
٢٣٣ فصل ومما يسئل عنه حديث أبى بصير وقتله الرجل الكافر وهو فى العهد
٢٣٤ فصل فى قول عمر الم تعدنا أنا نأتى البيت ونطوف به
٢٣٥ فصل فى ذكر بيعة الشجرة
٢٣٥ غزوة خيبر
٢٣٦ ذكر حديث أنس حين استقبلتهم عمال خيبر بمساحيهم
٢٣٨ خبر النهى عن أكل لحم الحمر الاهلية وما يتصل بحديث النهى عنها
٢٣٩ فصل فى حديث عبد الله بن مغفل حين احتمل جراب الشحم
٢٤٠ فصل فى خبر صفية بنت حيى وانه صلى الله عليه وسلم اصطفاها لنفسه
٢٤٠ بقية أمر خيبر *
٢٤٢ فصل ومما يتصل بقصة مرحب اليهودى مع على رضى الله عنه
٢٤٢ فصل فى تفسير شعر ابن القيم العبسى فى خيبر
٢٤٣ فصل فى خبر الشاة المسمومة
٢٤٣ فصل فى حديث الغفارية التى شهدت خيبر
٢٤٤ فصل فى حديث الحجاج بن علاط السلمى

صحيفه

٢٤٦ ذكر مقاسم أموال خيبر وأراضيها *
٢٤٨ فصل وذكر فيمن قسم له يوم خيبر أبانبقة
٢٤٨ ذكر ما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من فتح خيبر *
٢٤٨ أمر فدك فى خبر خيبر *
٢٤٨ تسمية النفر الداريين *
٢٥٠ ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة وحديث المهاجرين اليها *
٢٥٢ فصل وذكر فيمن قدم من الحبشة هشام بن أبى حذيفة وغيرهم
٢٥٤ عمرة القضاء أو القضية *
٢٥٥ ذكر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بميمونة بنت الحارث الهلالية
٢٥٦ ذكر غزوة مؤتة *
٢٥٩ رجوع أهل مؤتة وما لقوا من الناس حين قالوا لهم يا فرار
٢٦٠ فصل فى أمره صلى الله عليه وسلم ان يصنع لآل جعفر طعاما
٢٦٠ ذكر الاشعار التى قيلت فى غزوة مؤتة *
٢٦٣ بدء خبر فتح مكة وذكر الاسباب الموجبة لذلك *
٢٦٦ فصل فى ذكر قصة كتاب حاطب بن أبى بلتعة الى قريش
٢٦٧ فصل فى ذكر قوله تعالى فى حاطب وتلقون اليهم بالمودة
٢٧٠ فصل فى ذكر كداء وكدى من مكة
٢٧١ فصل فى ذكر نزع الراية من سعد لقوله اليوم يوم الملحمه
٢٧١ فصل فى ذكر خنيس بن خالد واختلافهم فى ضبطه
٢٧٢ فصل فى ذكر أحكام أرض مكة
٢٧٣ فصل فى قصة عبد الله بن خطل
٢٧٣ فصل فى ذكر صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت أم هانئ
٢٧٤ فصل فى ذكر قصة عبد الله بن سعد بن أبى سرح
٢٧٤ فصل فى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم وما ذكر فيها من أحكام الدماء
٢٧٥ فصل فى ذكر كسر الاصنام وطمس التماثيل
٢٧٧ فصل فى حديث أبى شريح الخزاعى
٢٧٨ فصل فى ذكر أم حكيم بنت الحارث حين فر زوجها عكرمة بن أبى جهل من الاسلام
٢٧٨ فصل ومما يتصل بحديث أبى شريح الخ
٢٧٩ فصل فى تفسير شعر لابن الزبعرى
٢٨١ فصل فى تفسير شعر لانس بن سليم الديلى
٢٨٢ فصل فى بعض خبر عباس بن مرداس
٢٨٣ فصل فى تفسير شعر لجعدة الخزاعى

صحيفه
٢٨٤ مسير خالد بن الوليد بعد الفتح الى بنى جذيمة ومسير على ؓ ايضا لتلافى خطأ خالد
٢٨٦ ذكر غزوة حنين بعد الفتح *
٢٨٧ فصل فى ذكر دريد بن الصمة و بعض خبره
٢٨٩ فصل فى قوله صلى الله عليه وسلم حين فر الناس أين أيها الناس أنا محمد أنا رسول الله
٢٩٢ فصل فى تفسير شعر لعباس بن مرداس
٢٩٤ فصل ومما ذكر فى غزوة حنين من غير روايه ابن اسحق الخ
٢٩٥ فصل فى ذكر الضحاك بن سفيان الكلابى و بعض خبره
٢٩٥ مطلب فى أشعار لعباس بن مرداس قالها فى يوم حنين و تفسير بعض ذلك
٢٩٩ مطلب فى « لضمضم بن الحارث السلمى قالها فى يوم حنين أيضا
٣٠١ فصل فى غزوة الطائف والكلام على صنعة الدبابات والمجانيق
٣٠٣ فصل فيه ذكر حصار الطائف وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى بالمنجنيق فى الاسلام
٣٠٥ فصل فى انصرافه صلى الله عليه وسلم عن الطائف الى دحنا التى خلق الله تعالى من ترابها آدم
٣٠٥ مطلب فى أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها *
٣٠٦ فصل فى التعريف بين زهير أبا صرد و زهير بن صرد
٣٠٦ فصل فى رد السبايا الى هوازن وتعويض من لم تطب نفسه بالرد
٣٠٨ فصل واما عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين الخ
٣٠٨ فصل فى تفسير كلمات لزهير بن صرد
٣٠٨ فصل فى تولية النبى صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف على ثمالة
٣٠٩ فصل فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباس بن مرداس أنت القائل الخ
٣١١ فصل فى معتبة الانصار لاعطائه صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم
٣١١ عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة واستخلافه على مكة عتاب بن أسيد *
٣١١ أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف *
٣١٢ مطلب فى شرح قصيدته بانت سعاد
٣١٦ غزوة تبوك *
٣١٧ فصل فى ذكر أبى ذر الغفارى وأبى خيثمة و بعض خبرهما
٣١٨ فصل فى الرجل الذى طرحته الريح بجبلى طىء
٣١٩ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى أكيدر دومة *
٣١٩ نص كتابه صلى الله عليه وسلم لاكيدر دومة
٣٢٠ مطلب فى أحكام تتعلق بالهدايا التى وردت له صلى الله عليه وسلم
٣٢١ فصل وذكر البكائين وفيهم علبة بن زيد

صحيفه

٣٢١ مطلب فى كلمة حس التى تقولها العرب
٣٢٢ وقوع قصة مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك *
٣٢٢ فصل فى قصة الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك *
٣٢٣ مطلب فى قول كعب زاح عنى الباطل
٣٢٥ أمر وفد ثقيف واسلامها
٣٢٦ فصل فى هدم اللات طاغية ثقيف
٣٢٧ فصل فى ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف
٣٢٧ انزال سورة براءة واختصاص النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه بتادية ذلك عنه
٣٢٧ حج أبى بكر رضى الله عنه بالناس سنة تسع *
٣٢٨ ذكر ما أنزل من براءة فى غزوة تبوك
٣٣١ فصل فى ذكر كلمة حسان الميمية وتفسيرها
٣٣٣ فصل فى نزول سورة اذا جاء نصر الله وتفسيرها
٣٣٣ قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسمية سنة تسع سنة الوفود
٣٣٣ وفود بنى تميم ونزول سورة الحجرات *
٣٣٤ خطبة تميم *
٣٣٥ خطبة ثابت بن قيس *
٣٣٧ قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس فى الوفادة عن بنى عامر *
٣٣٧ فصل فى قول عمرو بن الاهتم لقيس بن عاصم « ظللت مفترش الهلباء تشتمنى »
٣٣٩ وفود ضمام بن ثعلبة عن بنى سعد بن بكر *
٣٤٠ قدوم الجارود فى وفد عبد القيس *
٣٤٠ قدوم بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب *
٣٤٢ قدوم زيد الخيل فى وفد طيء *
٣٤٣ قدوم عدى بن حاتم *
٣٤٤ قدوم فروة بن مسيك المرادى *
٣٤٤ قدوم عمرو بن معديكرب فى أناس من زبيد *
٣٤٥ قدوم الاشعث بن قيس فى وفد كندة *
٣٤٥ قدوم صرد بن عبد الله الازدى *
٣٤٦ قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم *
٣٤٦ اسلام فروة بن عمرو الجذامى *
٣٤٧ اسلام بنى الحارث بن كعب عليه خالد بن الوليد لما سار اليهم *
٣٤٨ ذكر وفود رفاعة الضبيبي وانه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما

صحيفه

٣٤٨ وفد همدان *
٣٤٩ خبر الكذابين مسيلمة الحنفى والاسود العنسى *
٣٤٩ خروج الامراء والعمال على الصدقات *
٣٥٠ حجة الوداع *
٣٥٠ موافاة على رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قفوله من اليمن فى الحج *
٣٥٢ بعث اسامة بن زيد الى أرض فلسطين *
٣٥٢ ارسال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل الى الملوك *
٣٥٣ فصل فى ذكر الامة الذين يأكلون الناس
٣٥٣ فصل فى ارسال عمرو بن أمية الى النجاشى
٣٥٣ ذكر جملة الغزوات *
٣٥٤ ذكر جملة السرايا *
٣٥٤ غزوة زيد بن حارثة الى جذام *
٣٥٦ فصل ومما وقع فى السيرة قوله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا إله الا الله
٣٥٧ غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة *
٣٥٧ غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام *
٣٥٨ غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان الهذلى *
٣٥٩ غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من تميم *
٣٥٩ غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة *
٣٥٩ ذكر غزوة ذات السلاسل
٣٦٠ فصل فى حديث أم قرفة التى جرى فيها المثل
٣٦١ غزوة ابن أبى حدرد بطن من اضم وقتل عامر بن الاضبط الاشجعى *
٣٦٢ غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى *
٣٦٢ غزوة عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل *
٣٦٣ غزوة أبى عبيدة بن الجراح الى سيف البحر *
٣٦٣ بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتل أبى سفيان بن حرب وما فعله فى طريقه *
٣٦٣ فصل مما زاده ابن هشام ولم يذكره ابن اسحق
٣٦٤ سرية زيد بن حارثة الى مدين *
٣٦٤ سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك *
٣٦٤ غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان *
٣٦٤ أسر ثمامة بن اثال الحنفى واسلامه *
٣٦٥ سرية علقمة بن مجزز *
٣٦٥ سرية كرز بن جابر لقتل البجليين *

صحيفه

٣٦٥ غزوة على بن أبى طالب رضى الله عنه الى اليمن *
٣٦٥ بعث اسامة بن زيد الى أرض فلسفين وهو آخر البعوث *
٣٦٥ ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم *
٣٦٦ ذكر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وشىء من سيرتهم
٣٦٨ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٦٩ فصل فى حديث العباس وقوله لالدنه فلدوه
٣٧٠ صلاة أبى بكر رضى الله عنه بالناس *
٣٧٠ فصل فى آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٧١ فصل فى سواكه صلى الله عليه وسلم حالة مرضه
٣٧٤ جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم *

﴿ تمت ﴾

893.792
Ab314

FEB 7 1961

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58897380
893.792 Ab314
Kitab al-rawd al-unu